أسهل تفسير
لكلام اللطيف الخبير

رامي حنفي محمود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

سلسلة كيف نفهم القرآن؟ (*)

تفسير سورة الفاتحة

- الآية 1: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي قل: أبدأ قراءة القرآن باسم اللهِ تعالى، مُستعيناً به، (واعلم أنّ لفظ الجَلالة "الله" هو اسمٌ يَخُصّ الرَّب تبارك وتعالى وحده، فلا يُسَمَّى به غيره، وباقي الأسماء الحُسنى تُنسَب إليه)، ومَعنى لفظ الجَلالة "الله" أي الإله المعبود بحق (يعني الذي لا يَستحِق العبادة غيره)، ﴿الرَّحْمَنِ﴾ أي صاحب الرحمة العامة، الذي وَسِعَت رحمته جميعَ خَلْقه، ﴿الرَّحِيمِ﴾ أي صاحب الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، (واعلم أنّ الرحمن والرحيم هما اسمان من أسماء الله تعالى).

♦ واعلم أن هذه السورة قد سُمِّيَت بالفاتحة، لأنه يُفتتَح بها القرآن العظيم، وتُسَمَّى أيضاً: (المَثاني) أي المتكررة، لأنها تُقرأ في كل ركعة، ولها أسماء أخرى.

♦ واعلم أيضاً أن هناك خِلاف بين العلماء: هل البَسملة (أي: بسم الله الرحمن الرحيم) آية من الفاتحة أو لا؟، وهذا الخِلاف بيتهم مُعتبَر فلا يُنكِر أحدٌ على أحد.

- الآية 2: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الثناء على اللهِ تعالى بصفاته الكاملة، والشكر له على نِعَمِهِ الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية، فهو سبحانه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي هو المُنشِئ للخلق، القائم على أمورهم، المُرَبِّي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح.

♦ وعندما يقرأ المؤمن هذه الآية في الصلاة ينبغي أن يَستشعر أنه يحب اللهَ تعالى، لأنه سبحانه الذي أنعم عليه بنعمٍ كثيرةٍ لا تُحصَى، وهو الذي أمهله للتوبة ولم يُعاجله بالعقوبة، بل إنه وفقّه لطاعته الآن – وَلم يوفق غيرَه – رغمَ كثرةِ ذنوبه.

- الآية 3: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (لقد تقدَّم شَرْح هذين الاسمَين الكريمَين في الآية الأولى).

♦ وعندما يقرأ المؤمن هذه الآية في الصلاة ينبغي أن يرجو رحمة ربه، فيقول بقلبه: (يارب أنا مُذنِب، ولكني أرجو رحمتك، وليس لي غيرك).

- الآية 4: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي هو سبحانه وحده مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال، (فالدِّين هنا هو الجزاء، كما قال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي يُعطيهم جزاءهم الحق).

♦ وعندما يقرأ المؤمن هذه الآية في الصلاة ينبغي أن يَستشعر الخوف والهَيبة من الله تعالى، لأنه هو الذي سيَحكم عليه بجنةٍ أو بنار، وليسَ له غيره يُنَجِّيه من عذابه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: (وأعوذُ بك منك).

- الآية 5: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي نَخُصّك وحدك بالعبادة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي نستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيَدك، (وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للعبد أن يَصرف شيئًا من أنواع العبادة – كالدعاء والاستغاثة والذبح والطواف – إلا لله وحده، وفي الآية أيضاً شفاءٌ للقلوب من مرض التعلق بغير الله تعالى).

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبي بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو التفسير.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ولَعَلّ الله تعالى ذَكَرَ العبادة أولاً قبل الاستعانة، لأنه سبحانه يَشترط أن تكون البداية من العبد حتى يُعينه، كما قال تعالى في سورة العنكبوت: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)، ألاَ فأكثِروا مِن عبادته سبحانه – بإخلاصٍ وإتقان، وعلى النحو الذي شَرَعه لكم – ليُعينكم في أمور الدنيا والآخرة.

♦ وعندما يقرأ المؤمن هذه الآية في الصلاة ينبغي أن يُظهِر شدة ضَعفه واحتياجه لله تعالى، حتى يُعينه على التوبة النصوح الصادقة، التي تتبدل بها السيئاتُ حسنات، وحتى يُعينه على مُخالفة شيطانه وهَواه.

– الآية 6: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ): أي وَفِّقنا للثبات على الطريق المستقيم الواضح، الذي لا عِوَج فيه، والذي يُوَصّل العبد إلى رضا الله وجنّته، والذي لا طريق إلى سعادة العبد إلا بالاستقامة عليه، وهو الإسلام.

♦ وعندما يقرأ المؤمن هذه الآية في الصلاة ينبغي أن يرجو من الله تعالى– بصِدقٍ وتذلُّل – أن يُثبته على الإسلام حتى يَلقاه، وألاَّ يُضِلَّهُ بذنوبه، فإنه ما مِن قلبٍ إلا وهو بين يديه سبحانه، فإنْ شاءَ ثَبَّته وإنْ شاءَ أضَلّه.

– الآية 7: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ): أي طريق الذين أنعمتَ عليهم مِن النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ والشهداء والصالحين، فهُم أهل الهِداية والاستقامة.

♦ وعندما يقرأ المؤمن هذه الجُملة في الصلاة ينبغي أن يَستشعر الرجاء والتذلل لله تعالى في أن يَجعله في الجنة مع الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وأن يَستشعر كذلك – في قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ – أن الله تعالى هو الذي أنعم على أهل الجنة بالهداية والتوفيق، والإعانة والتثبيت، والنجاة من الفتن والذنوب، وأنه هو الذي حَبَّبَ إليهم الطاعات، وَكَرَّهَ إليهم المعاصي، وليس ذلك مَهارةً منهم أو ذكاء، كما قال أحد أهل الجنة: (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أي لَكنتُ من المُحضَرين في العذاب، فبذلك يرجو من ربه هذه النعمة التي ينجو بها من عذابه، ويَتنعم بها في جَنَّته.

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) أي: ولا تجعلنا مِمّن سَلَكَ طريق المغضوب عليهم، وهم الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، (وَلَا الضَّالِّينَ) (الذين لم يعلموا الحق، فضَلُّوا الطريق).

♦ وعندما يقرأ المؤمن هذه الجُملة في الصلاة ينبغي أن يَستشعر الخوف مِن أن يَغضب اللهُ عليه أو يُضِلّه بسبب ذنوبه.

♦ واعلم أنه يُستحَبّ للقارئ أن يقول في الصلاة بعد قراءة الفاتحة: (آمين)، ومعناها: اللهم استجب دعائي وهو: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، عِلماً بأنّ "آمين" ليست آية من الفاتحة باتفاق العلماء، ولهذا أجمَعوا على عدم كتابتها في المصاحف.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة البقرة كاملة

1. تفسير الربع الأول من سورة البقرة

الآية 1: ﴿الم﴾: هذه الحروف – وغيرها من الحروف المُقطَّعَة في أوائل السور – فيها إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم، فقد تَحَدَّى اللهُ به المشركين، فعجزوا عن مُعارَضَتِه، مع أنه مُرَكَّب من هذه الحروف التي تتكون منها لُغَتُهُم، فدَلَّ عَجْزُ العرب عن الإتيان بمثله – مع أنهم أفصَحُ الناس – على أنّ القرآنَ وَحيٌ من عند الله.

الآية 2، والآية 3: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ – وهو القرآنُ – ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي لا شَكَّ في أنه حقٌ مِن عند الله، فلا يَصِحّ أن يَرتابَ فيه أحدٌ لوضوحه، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي يَنتفع به المُتقون بالعلم النافع والعمل الصالح.

♦ وهؤلاء المُتقون هم ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: أي الذين يُصَدِّقون بكل ما غابَ عن حَواسّهم مِمَّا أخبرَ به الرُسُل، (واعلم أنّ الإيمان: هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذا التصديق يكونُ إقراراً بالقلب، وقولاً باللسان، وعَمَلاً بالجَوَارِح (والجَوَارِح هي أعضاء الإنسان))، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾: أي ويُحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها أداءً صحيحًا (مُوافِقًا لِمَا كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم)، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ – مِن أنواع المال – ﴿يُنْفِقُونَ﴾: أي يُخرِجون صَدَقة أموالهم الواجبة والمُستحَبة.

الآية 4: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أيها الرسول من القرآن والسُنَّة، ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي ويؤمنون بالكتب التي أُنزِلَت على الرُسُل الذين مِن قبلك، كالتَوْراة والإنجيل وغيرهما، ﴿وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: أي ويُصَدِّقون – تصديقاً جازماً – بالحياة الآخرة وما فيها من الحساب والجزاء، (وقد خَصَّ اللهُ الإيمانَ بالآخرة، لأنَّه مِن أعظم المُحَفزات على فِعل الطاعات، واجتناب المُحَرَّمات، ومُحاسبة النفس).

الآية 5: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى من ربهم﴾: أي على نورٍ من ربهم، ويعيشونَ بتوفيقٍ مِن خالِقِهم وهادِيهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بجنات النعيم.

الآية 6: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنْذَرْتَهُمْ﴾ أيها الرسول سُوء عاقبة كُفرهم وعِصيانهم ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾: ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يقعُ الإيمان في قلوبهم، وذلك لإصرارهم وعنادِهِم مِن بعد ما تبَيَّنَ لهم الحق.

الآية 7: ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ أي طبعَ اللهُ ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ حتى لا يَفهموا القرآن ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ حتى لا يَسمعوه سماعَ تدبُّر وانتفاع ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: أي وجعل سبحانه على أبصارهم غِطاءً، حتى لا يُبصِروا الحق والهدى (عقوبةً لهم على تكَبُّرهم وعِنادهم)، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في نار جهنم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 8: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ﴾ بلسانه: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي وهُم في باطِنِهم كاذبونَ لم يُؤمنوا (وهؤلاء هم المنافقون الذين يُظهِرونَ الإيمانَ للناس، ويُخفونَ الكُفرَ في صدورهم).

الآية 9: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: أي يَعتقدون بجهلهم أنهم يَخدعونَ اللهَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾ لأنّ عاقبة خِداعِهم تعودُ عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يَخْدَعُونَ أَنفُسَهُمْ، وذلك لفساد قلوبهم.

الآية 10: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي شكٌّ وفسادٌ وشهوات ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (لأنهم لا يُريدون التوبة مِمَّا هم فيه)، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

الآية 11: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ﴾ – بالكفر والمعاصي، وإفشاء أسرار المؤمنين، ونُصرة الكافرين ومَحبتهم وغير ذلك من أنواع الفساد – ﴿قَالُوا﴾ – جِدَالاً وَكَذِباً –: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

الآية 12: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ لأنَّ ما يَفعلونه – ويَزعُمون أنه إصلاح – هو بذاتِهِ عَينُ الفساد ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك لِجَهْلِهم وعِنادهم.

الآية 13: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ أي آمِنُوا – مثل إيمان الصحابة (وهو الإيمان بالقلب واللسان والجَوارِح) –، ﴿قَالُوا﴾ – جِدالاً واستهزاءً –: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أي ضِعاف العقل والرأي؟، فرَدَّ اللهُ عليهم بقوْله: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ما هم فيه هو الضَلال والخُسران المُبين.

الآية 14: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾: يعني وإذا انفردوا بزعمائهم الكفرة المتمردين: ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ أي نستخِفُّ بهم، ونَسخَر منهم.

الآية 15: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طغيانهم يعمهون﴾: أي يُمْهِلُهُم لِيَزدادوا ضلالاً وحِيرةً وتردُّداً.

الآية 16: ﴿أُولَئِكَ﴾ المنافقون هم ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ أي استبدلوا ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ لأنهم باعوا أنفسهم في صفقةٍ خاسرة، حيثُ استبدلوا النعيمَ المقيم بالعذاب الأليم ، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الرُّشد والصواب.

الآية 17: ﴿مَثَلُهُمْ﴾: أي مَثَلُ هؤلاء المنافقين مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾، وهذه النار – في نورها – مِثلُ رسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾: أي فلَمَّا أضاءت رسالته الدنيا بنورها: آمنوا بها، ثم كفروا فـ ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾ وهي ظُلُمات ضَلالهم ﴿لا يُبْصِرُونَ﴾.

www.alukah.net

الآية 18: ﴿صُمّ﴾ عن سَماع الحَق، ﴿بُكْمٌ﴾: أي خُرْسٌ عن النُطق به، ﴿عُمْيٌ﴾ عن إبصار نور الهداية، ﴿فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾: أي فلذلك هم لا يستطيعون أن يَرجعوا إلى الإيمان الذي تركوه – بعد أن عرفوا أنه الحق –، واستبدلوه بالضَلال.

الآية 19: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾: يعني أو مَثَلُهُم كَمَطرٍ شديدٍ نازلٌ مِنَ السَّمَاءِ ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ المُحرقة والرعد القاصِف ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: أي خوفاً من الهلاك، وهذا هو حال المنافقين: إذا سمعوا القرآن، جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمْرِهِ ونَهْيِهِ وَوَعدِهِ وَوَعِيدِه، فهم يُعرضون عنه غاية ما يُمْكِنهم، ويكرهون سَماعَهُ مِثل كراهة الذي يَسمع الرعد ويَخافُ منه، ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، فهُم لا يُعجزونه سبحانه، ولكنه يُمهِلُهم، ثم يأخذهم أخْذَ عزيزٍ مُقتدِر.

الآية 20: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ مِن شدة لَمَعانه ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، ومع ذلك فـ ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾: أي مَشَوْا في ضوءِه، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي وقفوا في أماكنهم مُتحَيِّرين، وهذا هو حال بعض المنافقين: يَظهر لهم الحق أحياناً، ثم يَشكُّون فيه أحياناً أخرى، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾: أي ولولا إمهال اللهِ لهم: لأَخَذَ سَمْعهم وأبصارَهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجِزُهُ شيء.

الآية 21، والآية 22: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي وخَلَقَ الذين مِن قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (وهذا يَدُلّ على أنّ كثرة العبادة هي الطريق للوصول إلى التقوى، وإلى درجة المتقين).

♦ هو سبحانه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾: أي بِساطًا لِتَسهُلَ حياتكم عليها، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ أي مُحكَمة البناء، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾ من جميع أنواع الفاكهة والخضروات والحُبوب، ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أي نُظَراء له في العبادة، ﴿وأنتم تعلمونَ﴾ أنه وحده الخالق الرازق المستحق للعبادة.

الآية 23: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ أي في شَكٍّ ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد صلى الله عليه وسلم (وهو القرآن الكريم) ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (في أسلوبه وهدايته وإعجازه)، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ أي ادعوا مَن تقدرون عليه مِن أعوانكم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فإذا عجزتم عن ذلك – وأنتم أهلُ البَراعة في الفصاحَة والبَلاغة – فقد عَلِمتم أنَّ غيرَكم أعْجَزُ مِنكم عن الإتيان بذلك.

الآية 24: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: يعني فإن لم تأتوا بسورةٍ مِثل سور القرآن، ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: أي ولن تستطيعوا الإتيان بها ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (وذلك بالإيمان بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، وبطاعة الله)، واعلموا أنّ هذه النار ﴿الَّتِي وَقُودُهَا﴾ أي حَطَبُها ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قد ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

♦ واعلم أنّ قولَه تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: فيه إثارةٌ لِهِمَمِهِم، وتحريكٌ لِنُفوسِهم، ليكونَ عَجزُهُم بعدَ ذلكَ أبدَعَ (وهذا مِن الغيوب التي أخبرَ بها القرآن قبلَ وقوعِها).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 25: ﴿وَبَشِّرِ﴾ – أيها النبي – ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بإخلاصٍ لله تعالى وعلى النحو الذي شَرَعَه لهم ﴿أَنَّ لَهُمْ جناتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي حدائق عجيبة، تجري أنهارُ الماء والعسل واللبن والخمر مِن تحت قصورها العالية، وأشجارها الظليلة، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي قد رَزَقَنا اللهُ هذا النوع مِن قبل في الدنيا، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾: يعني ورغم أنه متشابه مع سابقِهِ في اللون والمَنظر والاسم، إلاَّ إنهم إذا ذاقوهُ: وجدوهُ شيئًا جديدًا في طعمه ولذته، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من كل أنواع الدَنَس الحِسيِّ كالبَول والحَيض، وكذلك مِن الدَنس المعنوي كالكذب وسُوء الخُلق، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

****

2. تفسير الربع الثاني من سورة البقرة

الآية 26، والآية 27: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ﴾ – مِن أجل إظهار الحق – ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا ﴾ (كَبُرَ أو صَغُر)، ولو كانَ ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾: أي ولو كانَ تمثيلاً بأصغر شيء (كالبعوضة والذباب ونحو ذلك) مِمَّا ضربهُ اللهُ مَثلاً لإظهار عَجْز كل ما يُعْبَد مِن دونِه، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي يَعلمون حِكمة اللهِ تعالى في ذلك فيزدادوا بهِ إيماناً.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ﴾ على سبيل السُخرية: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾؟ يعني ماذا أرادَ اللهُ مِن ضَرْب المَثَل بهذه الحشرات؟، ويُجيبهم سبحانهُ بأنّ المقصود مِن ضَرْب هذه الأمثال هو تمييز المؤمن من الكافر، فلذلك أخبر بأنه ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ أي يَصرف بهذا المَثَل كثيراً من الناس عن الحق لِسُخريتهم منه، ويُوَفِق به غيرهم إلى مَزيد من الإيمان والهداية، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: يعني واللهُ تعالى لا يَظلم أحدًا، لأنه لا يَصْرِف عن الحق إلا الخارجين عن طاعته.

♦ وهؤلاء الفاسقون هم ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ أي مِن بعد عَهْدِهِ الذي أخَذَهُ عليهم بتوحيدِهِ وَهُم في ظَهر أبيهم آدم (وقد أكَّدَ سبحانه هذا العهد بإرسال الرُسُل وإنزال الكُتب)، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ كقطع الأرحام، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكُفر والمعاصي وغير ذلك من أنواع الفساد، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة.

الآية 28: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾؟ يعني كيف تُنكِرون أيُّها المشركون وحدانية اللهِ تعالى رغم الدليل القاطع عليها في أنفسكم؟ فلقد كنتم أمواتًا – وأنتم في العَدَم – فأوجدكم ونَفَخَ فيكم الحياة، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد انتهاء آجالكم التي حَدَّدَها لكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يوم البعث، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء.

الآية 29: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ مِن النِّعم التي تنتفعون بها، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: أي قَصَدَ إلى خلق السماوات ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فعِلْمُه سبحانه مُحيطٌ بجميع ما خلق.

الآية 30: ﴿وَإِذْ﴾: أي واذكر حين ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي قومًا يَخلُفُ بعضُهم بعضًا لعمارة الأرض، ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: أي نُنَزِّهُكَ وننفي عنك كل ما لا يَليقُ بك، شاكرينَ لِنِعَمك علينا، ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: أي ونُمَجِّدك بكل صفات الجلال والكمال، فـ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

www.alukah.net

الآية 31: ﴿وَعَلَّمَ﴾ سبحانه ﴿آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أي أسماء المَوجودات كلها، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي عَرَضَ هذه المَوجودات ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم أوْلَى من آدم بالاستخلاف في الأرض.

الآية 32: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي نُنَزِّهُك يا ربَّنا ونَنفي عنك ما لا يَليقُ بك، وإنه ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بشؤون خَلقك، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرك وصُنعِكَ، تَضَعَ الأشياءَ في مَواضعها.

الآية 33: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي بأسماء هذه الأشياء التي عَجَزوا عن مَعرفتها، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ آدم ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ﴿قَالَ﴾ اللهُ للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما خَفِيَ عنكم في السماوات والأرض، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: يعني وأعلم ما تُظهِرونه، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ في صدوركم مِن أنكم أوْلَى مِن آدم بالاستخلاف في الأرض؟ إذاً فَسَلِّموا لأمْري وارضوا بحُكمي وقضائي، لأني أعلم ما لا تعلمون.

الآية 34: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي واذكر – أيها الرسول – حين قال اللهُ للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ إكرامًا له وإظهارًا لفضله، ﴿فَسَجَدُوا﴾ جميعًا ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الذي كان معهم (يَعبد اللهَ تعالى)، فإنه ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾: أي امتنع عن السجود تكَبُّرًا وحسدًا، ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي فصارَ بذلك من الجاحدين باللهِ تعالى، العاصينَ لأمره.

الآية 35: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾: أي وتمَتَّعا بثمارها تمتُّعًا هنيئًا واسعًا ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: يعني في أي مكانٍ تشاءانِ فيها، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي المُتجاوزينَ لحدود الله.

الآية 36: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾: يعني فأوقعهما الشيطان في الخطيئة فأبعدهما عن الجنة، ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم، ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني (آدم وحواء) يُعادون الشيطان، والشيطان يُعادِيهما، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي مكانُ استقرار، ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾: أي وانتفاعٌ بما في الأرض إلى وقت انتهاء آجالكم.

الآية 37: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ألهَمهُ اللهُ إيَّاها توبةً واستغفارًا، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: أي فقبِلَ توبته وَغفرَ له ذنبه ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

الآية 38: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾: أي وسيأتيكم – أنتم وذرياتكم – ما فيهِ هدايتكم إلى الحق، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يَستقبلونه مِن أمر الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا.

الآية 39: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأدلة توحيدنا ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي الذين يُلازِمون النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 40: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ – وإسرائيل هو يَعقوب عليه السلام –: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (واعلم أنّ هذا العهد الذي أخذه اللهُ عليهم هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾)، ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾: يعني وإيَّايَ – وحدي – فخافوني، واحذروا نِقمتي إن نقضتم العهد.

الآية 41: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ ﴾ – وهو القرآن – ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ ﴾: أي وهذا القرآن مُوافِقٌ لِما تعلمونه مِن صحيح التوْراة، ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ مِن أهل الكتاب، ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾: أي ولا تستبدلوا بآياتي ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن مَتاع الدنيا ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾.

الآية 42: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: أي ولا تَخلِطوا الحقَّ الذي بَيَّنتُهُ لكم بالباطل الذي افترَيْتموه، ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾: أي ولا تكتموا الحق الصريح مِن صفة نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها موجودة في الكتب التي بأيدِيكم.

الآية 43: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾: أي وادخلوا في دين الإسلام: بأن تقيموا الصلاة على الوجه الصحيح – كما جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم – ، وتؤَدُّوا الزكاة المفروضة على الوجه المشروع، وتكونوا مع الراكعين مِن أُمَتِهِ صلى الله عليه وسلم.

****

3. تفسير الربع الثالث من سورة البقرة

الآية 44: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ أي بفعل الخيرات، ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تأمرونها بالخير العظيم وهو الإسلام ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾: يعني وأنتم تقرؤون التوْراة التي فيها صفات محمد صلى الله عليه وسلم ، ووجوب الإيمان به ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟!، (وفي هذا تحذيرٌ لكل مَن يأمر الناس بطاعةٍ معينة ثم لا يَفعلها مُطلقاً، أو يَنهاهم عن المنكر ثم يَفعله).

الآية 45، والآية 46: ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ في كل أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ وتسَلَّحوا به، فإنه مَا أُعطِيَ أحدٌ عطاءً أوسع من الصبر، (واعلم أنّ الصبر ثلاثة أنواع: صبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية، وصبرٌ على ما يُصيب العبد مِن مِحَنٍ وبَلاءٍ لتكفير ذنوبه أو رفع درجاته)، فعلى الإنسان دائماً أن يتذكر أنّ بلاءَ اللهِ عَدل وأن عافيته فَضْل، فإذا ابْتُلِيَ بشيءٍ فعليه أن يُسارع بأن يقول: (الحمدُ لله، بذنوبي، أنا أستحق أكثر من ذلك، هذا عدل)، فهذا مِمَّا يُعِينُهُ على الصبر.

﴿وَالصَّلَاةِ﴾: أي واستعينوا بالصلاة على قضاء حَوائجكم وتفريج كُرُباتكم، ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي ثقيلة على النفوس ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي يُوقِنون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ بعد الموت ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يوم القيامةِ للحساب والجزاء.

♦ واعلم أنّ الخُشوع هو الذل والخوف من اللهِ تبارك وتعالى، فالخاشعون ذليلون مِن كَثرة النِعَم، وذليلون أيضاً من كثرة الذنوب، وهم الخائفون من المَلِك الجبار الذي سَيَحكم عليهم بجنة أو بنار.

www.alukah.net

الآية 47: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي وتذكَّروا أني فَضَّلْتكم على عَالمِي زمانِكم بكثرة أنبيائكم، وما أنزلتُ عليهم من الكُتب.

الآية 48: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾ – وهو يوم القيامة – حيثُ ﴿لا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ أي لا تُغني نفسٌ ﴿عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ إلا بإذن الله، وكذلك إلا لِمَن ارتضاهُ اللهُ أن يُشفَعَ له (كما ذكَرَ اللهُ ذلك في آياتٍ أخر)، ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أي وَلا يُؤْخَذُ منها فِدية تُنجيها من العذاب، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: أي ولا يَملِكُ أحدٌ في هذا اليوم أن يَتقدم لنُصرَتِهِم وإنقاذهم من العذاب.

الآية 49: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أي واذكروا حين أنقذناكم مِن بَطش فرعون وأتباعه، فقد كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي يُذيقونكم أشدَّ العذاب، فـ ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: أي ويتركون بناتكم أحياءً للخِدمة والإهانة، ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: أي وفي ذلك اختبارٌ لكم من ربكم، وفي إنجائكم مِنْهُ نعمة عظيمة ، تستوجبُ شُكرَ اللهِ تعالى في كل عصوركم وأجيالكم.

الآية 50: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾: أي واذكروا حينَ قطعنا لكم البحر، وجعلنا فيه طُرُقاً يابسة ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي وقد حدث ذلك أمام أعينكم.

الآية 51: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لإنزال التوْراة (هِداية ونورًا لكم)، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي ثم انتهزتم فرصة غياب موسى، وجعلتم العجل الذي صنعتموه بأيديكم معبودًا لكم من دون الله، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذكم العجل إلهًا.

الآية 52: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: أي ثم تَجاوَزنا عن هذه الفِعلة المُنكَرَة، وقَبِلْنَا توبتكم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي مِن بعد عَودة موسى إليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ربكم على نِعَمِهِ وأفضاله.

الآية 53: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي أعطيناهُ الكتاب الفارق بين الحق والباطل ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضَلالة.

الآية 54: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي عَرَّضتموها لغضب الله وعذابه ﴿بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ﴾ أي بسبب اتِّخاذكم العجل معبوداً من دون الله ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ أي إلى خالقكم، ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ وذلك بأن يَقْتل بعضكم بعضًا، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ من الخلود الأبدي في النار ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي قَبِلَ توبتكم – بعد امتثالكم لأمره – ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

الآية 55: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي عياناً بالبصر، ﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾: أي فنَزَلَتْ نارٌ من السماء رأيتموها بأعينكم، فقَتَلَتْكم بسبب ذنوبكم، وجُرأتكم على اللهِ تعالى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 56: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: يعني إنّ هذا الموت كانَ عقوبة لكم، ثم بَعثكم اللهُ لِتَستوفوا آجالكم التي قدَّرَها لكم في اللوح المحفوظ، و﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ربكم، لأنه أحياكم بعد أنْ أماتكم.

الآية 57: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾: أي وجعلنا السحابَ مُظلَّلاً عليكم من حَرِّ الشمس، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ وهو شيءٌ يُشبهُ الصَّمغ وطعمُهُ كالعسل، ﴿وَالسَّلْوَى﴾ وهو طائرٌ يُشبه السّمانى، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ﴿وما ظلمونا﴾ بكُفران النعم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأنّ عاقبة ظُلمهم ستعودُ عليهم.

الآية 58: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وهي مدينة بيت المَقدس، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾ ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي باب القريةِ ﴿سُجَّداً﴾: أي وكونوا في دخولكم خاضعينَ لله، ذليلينَ له، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: أي نسألك يا رَبّ أن تَحُطَّ عنا ذنوبنا، فإنْ تفعلوا ذلك: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ مِن خَيرَي الدنيا والآخرة.

الآية 59: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من بني إسرائيل ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ واستهزءوا بدين الله، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً﴾: أي عذابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي بسبب تَمَرُّدهم وخروجهم عن طاعة الله.

****

4. تفسير الربع الرابع من سورة البقرة

الآية 60: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي طلب لهم السُقيا من اللهِ تعالى بتضَرُّع، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد قبائل بني إسرائيل الاثني عَشَر، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾: أي قد عَلِمَت كلُّ قبيلةٍ منهم مَوضِعَ شُربِها، وقلنا لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلا تَعْثَوْا﴾: أي وَلا تسعوا ﴿فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

الآية 61: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وهو المَنّ والسلوى، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا﴾ – والقِثّاء هي الثمرة المعروفة بالـ (قَتَّة) –، ﴿وَفُومِهَا﴾ وهو الثوم، ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم موسى مُنكِراً عليهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أي أقلّ في القيمة ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾؟! ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ أي اهبطوا أيّ مدينة، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾: أي فستجدون ما طلبتم في الحقول والأسواق، (فلمَّا هبطوا: تبيَّن لهم أنهم دائماً يُقَدِّمون اختيارهم وشهواتهم على اختيار اللهِ لهم) ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾: أي ولَزِمَتهم صِفَةُ الذل والهَوان، فهُم أذِلاء مُحتقَرون أينما وُجِدوا، ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ وهي فقر النفوس، فلا ترى اليهوديَّ إلا وعليه الخوف والرعب مِن أهل الإيمان، ﴿وَبَاءُوا﴾: أي ورجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ مُستحقين له، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي جعله اللهُ عليهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي ظلمًا واعتداءً، ﴿ذَلِكَ﴾: أي الجُرأة على قتل الأنبياء كانت ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: أي بسبب ارتكابهم للمعاصي، وتجاوُزهم لحدود اللهِ تعالى، فقَسَتْ قلوبهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 62: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من هذه الأمَّة، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾: أي والذين كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من الأمم السابقة من اليهود، والنصارى، والصابئين – وهم قومٌ باقون على فِطرتهم (أي على التوحيد)، ولا دين مُقرَّر لهم يتبعونه – فهؤلاء جميعًا ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وأما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم – خاتمًا للنبيين والمُرسَلين – إلى الناس كافة، فلا يَقبلُ اللهُ ديناً مِن أحدٍ غيرَ الإسلام.

الآية 63: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي العهد المؤكَّد منكم بالإيمان باللهِ تعالى واتِّباع رُسُله، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ وهو جبل الطور بسيناء، (فقد رفعه اللهُ فوق بني إسرائيل كأنه سحابةٌ تُظِلهُم، وأيقنوا أنه واقعٌ بهم إن لم يَقبلوا أحكام التَوْراة)، وقال اللهُ لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: أي بجدٍ واجتهاد، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: أي ولا تنسوا التَوْراة قولاً وعملاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: يعني لِكَي تخافوا عقابي، فحينئذٍ ستنتهون عن فِعل المعاصي.

الآية 64: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي ثم خالفتم وعصيتم مرة أخرى مِن بعد أَخْذِ العهد ورَفْع الجبل، كشأنِكم دائمًا، ﴿فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ (بالتوبة والتجاوُز عن خطاياكم) ﴿لَكُنتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين خسروا الدنيا والآخرة.

الآية 65: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ – يا مَعشرَ اليهود – العذابَ الذي نَزَلَ بـ ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ والمقصود بهم قرية أصحاب السَّبت (وهم من اليهود)، حيثُ عَصَوا ربهم فيما عاهَدوه عليه مِن تعظيم يوم السبت وعدم الصيد فيه، فوضعوا الشِّبَاك وحَفروا البِرَك يوم السبت، ثم جاؤوا يوم الأحد، فاصطادوا السمك الذي في الشِّباك، كَحِيلةٍ للوصول إلى المُحَرَّم ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: أي فمَسَخَهم اللهُ تعالى قِرَدةً ذليلين.

الآية 66: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: أي فجعل اللهُ هذه القرية ﴿نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: أي عِبرة لمَن بحَضرتها مِن القرى، يَبلغهُم خبرُها وما حَلَّ بها، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: أي وعِبرةً لمَن يَعمل بعدها مثل تلك الذُّنوب ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الآية 67: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي واذكروا يا بني إسرائيل كَثرة جدال أسلافكم لموسى عليه السلام حين قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ يعني أتَسْخَر مِنَّا وتَستهزئ بنا؟ ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الذين يَسخَرونَ من الناس، ويُحَدِّثونهم بغير علم، استهزاءً بشأنهم.

الآية 68: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ يعني ما هي حقيقة هذه البقرة التي أمَرَنا أن نذبحها، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ﴾ أي ليست مُسِنَّة، ﴿وَلا بِكْرٌ﴾: يعني وليست بِكراً صغيرة، ولكنها ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: أي متوسطة بين هذيْن السِنَّيْن، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾: أي فسارِعوا إلى امتثال أمر ربكم.

الآية 69: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ﴾ ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ أي شديد الصُّفرة، ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ إليها لِبَهاء خِلقتها ولونها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 70: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى البقرة التي أمَرتنا أن نذبحها.

الآية 71: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي غير مُذلَّلة للعمل في حراثة الأرض للزراعة، ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: أي وكذلك غير مُعَدَّة – أو مُذلَّلة – للسَقي من الساقية، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: أي خالية من جميع العيوب، ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾: أي ليس فيها لون إلا الأصفر، ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾: يعني الآن جئتَ بحقيقة وَصْف هذه البقرة، ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾: أي وقد قاربوا ألاَّ يفعلوا، بسبب كثرة جدالهم.

الآية 72: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾: أي فتنازعتم بشأنها، كُلٌّ يَدفع عن نفسه تُهمة القتل، ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ مِن قَتْل القتيل.

الآية 73: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾: أي فقلنا: اضربوا القتيل بجُزء من هذه البقرة المذبوحة، فإنّ الله سيَبعثه حيًا، ويُخبركم عن قاتله، فضربوه ببعضها، فأحياه اللهُ، وأخبرَ بقاتله، ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ يوم القيامة، ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي معجزاته الدالة على كمال قدرته تعالى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي لكي تتفكروا بعقولكم، فتمتنعوا عن مَعاصيه.

الآية 74: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي ولكنكم لم تنتفعوا بتلك المعجزة، إذ بعد كل هذه المعجزات الخارقة، اشتدت قلوبكم وغَلُظَت، فلم يَنْفُذ إليها خير، ولم تَلِنْ أمام الآيات الباهرات التي أريتكموها ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي يَسقط من أعالي الجبال مِن خشية اللهِ تعالى وتعظيمه، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وسيُجازيكم على أفعالِكم.

****

5. تفسير الربع الخامس من سورة البقرة

الآية 75: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المسلمون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ : أي يُصدِّق اليهودُ بدينكم؟!، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ – وهو التَوْراة – ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: أي مِن بعد ما عَقلوا حقيقته، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم يُحَرِّفون كلام رب العالمين عَمْدًا وكَذِبًا.

الآية 76: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بدينكم وبرسولكم المُبشَّر به في التَوْراة، ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يعني إذا انفرد بعضهم ببعض: ﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: يعني أتُحَدِّثُونَ المسلمين بما بَيَّنَ اللهُ لكم في التَوْراة مِن أمر محمد ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾ أي ليتخذوا ذلك حُجَّةً عليكم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 77: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ؟ (هذا استفهام للاستنكار)، يعني ألم يَعلموا أنَّ اللهَ يَعلم ما يتحدثون به سِرًّا ويَعلم أيضاً ما يُظهِرونه للمسلمين؟ إذاً فكيف يَجرؤون على فِعل هذه الجرائم واللهُ مُطَّلِعٌ عليهم؟!

الآية 78: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي جَهَلة بدينهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾: أي لا يعلمون من التَوْراة إلا أكاذيبَ تلقَّوْهَا مِن أحبارهم، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظنونًا فاسدة.

الآية 79: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي ليأخذوا في مقابل هذا التحريف عَرَضًا زائلاً مِن الدنيا، ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ مِن المال الحرام، كالرشوة وغيرها.

الآية 80: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يعني إلا أربعين يومًا فقط بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل ، ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ بذلك؟ إن كانَ ذلك صحيحاً ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؟!

الآية 81: ﴿بَلَى﴾: أي ليس الأمر كما زعموا، وإنما حُكْمُ اللهِ ثابت، وهو أنّ ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾: يعني إنّ مَن ارتكب الآثام حتى جَرَّتهُ إلى الكُفر ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 82: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾ باللهِ ورُسُله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ – بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شرَعَهُ اللهُ لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم – ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 83: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي العهد المؤكَّد عليهم: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾: أي وأحسِنوا إلى أقربائكم ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: أي وقولوا للناس أطيَب الكلام، وذلك بالتفكُّر في الكلام قبل أن تقولوه، حتى لا تؤذوا به الناس، (ولأنّ ذلك سوف يؤدي إلى دخول الشيطان في صدر مَن تأذَّى بكلامكم، فيَنشأ عنده الغِلّ والغضب والكَراهية لكم)، كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ ، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي ثم أعْرَضْتم ونقضتم ذلك العهد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ﴾ ثَبُتَ عليه، ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يعني إنكم توَلّيتم على وجه الإعراض؛ لأنَّ المُتَوَلِّي قد يَتولى وفي نيَّتِهِ الرجوع إلى ما أعرَضَ عنه، وأمّا هؤلاء فليس لهم رغبة في الرجوع إلى هذه الأوامر.

الآية 84: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي العهد المؤكَّد منكم، وهو: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي لا تقتلوا بعضكم، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: أي ولا تُخرِجوا إخوانكم من ديارهم، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: يعني ثم اعترفتم بذلك، وأنتم تشهدون على صِحَّتِه.

الآية 85: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ أي يا هؤلاء ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي يَقتل بعضكم بعضًا، ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾: أي ويَتقَوّى كلُّ فريقٍ منكم على إخوانِهِ بالأعداء، ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: أي ظلمًا واعتداءً، ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿أُسَارَى﴾ في يد الأعداء ﴿تُفَادُوهُمْ﴾: أي تسعَوْنَ في تحريرهم من الأسْر بدَفع الفِدية، ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: أي مع أنه مُحَرَّمٌ عليكم إخراجهم من ديارهم ، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو فِداء الأسير ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو قتل إخوانكم وإخراجهم من ديارهم؟!، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ﴾: أي ذُلٌّ وفضيحة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ – وقد وقع ذلك لهم ؛ فلقد سَلَّطَ اللهُ رسولَه عليهم، فقَتل منهم مَن قَتل، وأسَرَ مَن أسَر، وطرد مَن طرد ، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

الآية 86: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾: يعني أولئكَ الَّذِينَ آثَرُوا الحياة الدنيا على الآخرة، ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

الآية 87: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: أي وأتبعناه برُسُلٍ من بني إسرائيل، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي المعجزات الواضحات، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: أي وقوَّيناه بجبريل عليه السلام، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ يا بني إسرائيل ﴿بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن اتِّباعِهِ وعادَيْتموه، ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: يعني فكذبتم فريقًا من هؤلاء الرُسُل الذين جاؤوكم، وقتلتم فريقًا آخر .

الآية 88: ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أي عليها أغطِيَة، فلا يَنْفُذ إليها قولُك، ﴿بَل﴾: أي ليس الأمر كما زعموا، ولكنْ ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾: أي طردهم اللهُ من رحمته بسبب جحودهم، ﴿فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلاً لا ينفعهم، كإيمانهم بموسى وهارون، والتوراة (التي أنزِلَت على موسى)، والزَبور (الذي أُنزِلَ على داوود)، ولكنَّ كفرَهم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم أضاع هذا الإيمان، لأنّ مَن كَفرَ برسولٍ من الرُسُل فقد كفر بسائر الرُسُل، كما قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، ولم يقل: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ رسولهم).

الآية 89: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ – وهو القرآن – ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي يَستنصرون به صلى الله عليه وسلم على مُشركي العرب، ويقولون: (قَرُبَ مَبعثُ نبيٍّ آخرِ الزمان، وسنتبعُهُ ونقاتلكم معه)، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾: أي فلمَّا جاءهم الرسول الذي عرفوا صفاتِه وَصِدْقَه: ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

الآية 90: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾: أي قَبُحَ ما اختاره بنو إسرائيل لأنفسهم ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ أي ظلمًا وحسدًا ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ القرآن ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يعني على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كانوا يَرجون أن يكون هذا النبي مِن بني إسرائيل، وليس مِن العرب، ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾: أي فرجعوا بغضبٍ من الله عليهم؛ بسبب جحودهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد غضبه الأول عليهم بسبب تحريفهم للتوْراة، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

www.alukah.net

الآية 91: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ – وهو القرآن – ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾: أي نُؤْمِنُ فقط بِمَا أنزلَ اللهُ على أنبيائنا (الذين كانوا مِن بني إسرائيل)، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾: أي ويجحدون بما أنزَلَ اللهُ بعدَ ذلك، مع أنَّ القرآن نزلَ أيضاً من عند الله، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ فلو كانوا يُؤمنون بكُتُبهم حقًّا، لآمَنوا بالقرآن الذي صدَّقها، وحتى تعلم – أيها الرسول – كَذبهم في ادَّعائهم بأنهم يؤمنون فقط بما أنزلَ على أنبيائهم: ﴿ قُلْ﴾ لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ الذين أُرسِلوا إليكم ﴿مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؟!

****

6. تفسير الربع السادس من سورة البقرة

الآية 92: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى﴾ – أيها اليهود – ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمُعجِزات الواضحات الدالَّة على صِدقه، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: أي ومع ذلك فقد اتخذتم العِجل مَعبودًا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي مِن بعد ذهاب موسى لِمُناجاة ربه ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ مُتجاوزونَ لحدود اللهِ بهذا الفِعل القبيح.

الآية 93: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي العهد المؤكَّد عليكم ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ أي جبل الطور بسيناء، وقلنا لكم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي بجدٍ واجتهاد، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ وأطيعوا، وإلا أسقطنا عليكم الجبل، فـ ﴿قَالُوا﴾ لموسى: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمْرك، ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾: أي وذلك العِصيان؛ لأنَّ عبادة العِجل قد امتزجت بقلوبهم، بسبب كُفرهم، ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾: أي قَبُحَ ما يَأمُرُكم به إيمانُكم مِن الجحود والضلال ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقًّا بما أنزلَ اللهُ عليكم.

الآية 94: ﴿قُلْ﴾ – أيها الرسول – لهؤلاء اليهود الذين يَزعمون أن الجنة خاصة بهم: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ لِزَعْمكم أنكم أولياءُ للهِ مِن دون الناس، وأنكم أبناءُ الله وأحِبَّاؤه: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعواكم.

الآية 95: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾: يعني ولن يَتمنى اليهودُ الموتَ أبدًا؛ لِما يَعرفونه مِن صِدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومِن كذبهم وافترائهم عليه، وبسبب ما ارتكبوه مِن الكُفر والعِصيان، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وسيُعاقبهم على ظلمهم.

♦ وفي الآيةِ دليلٌ على إعجاز القرآن الكريم، وأنه كلامُ اللهِ تعالى الذي بيدِهِ كلُّ شيء، والذي يعلمُ الغيبَ وحده، فلقد طلب اللهُ تعالى منهم تَمَنِّيَ الموت، حينَ زعموا أنَّ الجنة خاصة بهم مِن دون الناس، وأنهم إذا ماتوا: دخلوها، فلم يتمنَّوا الموت، رغمَ قدرتهم على تَمَنِّيهِ ولو كذبًا، ورغمَ توبيخِ اللهِ لهم بأنهم لن يَتمنوه ، ورغمَ حِرصهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 96: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: أي وأَحْرَصَ مِن الذين أشركوا، بمعنى أنهم تزيد رغبتهم في طول الحياة على رغبات المشركين، أيًّا كان نوع هذه الحياة مِن الذِّلَّة والمَهانة ، ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾: يعني وما تعميرُهُ في الدنيا بمُزَحْزِحِهِ من عذابِ الله، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

الآية 97: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي فإنَّ جبريل نَزَّل القرآن على قلبك ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فنَزَلَ القرآنُ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية 98: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ أي وخاصةً المَلَكين (جبريل ومِيكال)؛ لأنّ اليهود زعموا أنَّ جبريل عدوهم، وأنَّ مِيكال وليُّهم، فأعلمَهُم اللهُ تعالى أنه مَن عادَى واحدًا منهما فقد عادَى الآخر وعادَى اللهَ أيضًا، ومَن عادَى الله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

الآية 99: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني آياتٍ واضحاتٍ تدلُّ على أنَّك رسولٌ مِن اللهِ صِدقًا وحقًّا، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: يعني وما يَكْفُرُ بهذه الآيات إلا الخارجون عن دين الله وطاعته.

الآية 100: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾؟! هذا استفهامٌ للتعجب من عدم صَبْر اليهود على الوفاء بعهودهم، فكلما عاهَدوا عهدًا: طَرَحَ ذلك العهد فريقٌ منهم ونَقضوه، ثم ذَكَرَ تعالى السبب في ذلك فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إذ عدم إيمانهم هو الذي أوْجَبَ لهم نَقْضَ العهود، ولو صَدَقَ إيمانُهم، لَكانوا مِثل الذين قال اللهُ فيهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

الآية 101: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ (حيثُ جاءهم بالقرآن الموافق لِمَا معهم من التوْراة)، فلَمَّا جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: أي طَرَحَ فريقٌ منهم التوْراة، وجعلوها ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما ذُكِرَ فيها من صفات هذا الرسول.

الآية 102: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾: أي واتَّبعَ اليهودُ ما تُحَدِّث الشياطينُ به السَّحَرة على عهد مُلك سليمان، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وما تَعلَّم السِّحر، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ حين ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ إفسادًا لدينهم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾: يعني وكذلك اتَّبَعَ اليهودُ السِّحرَ الذي أُنزِلَ على الملَكَين (هاروت وماروت) بأرض "بابل" في "العراق"، امتحانًا وابتلاءً من اللهِ لعباده، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾: يعني وما يُعَلِّم المَلَكان ﴿مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلم السِّحر وطاعة الشياطين، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أي ما يُحْدِثون به الكراهية بين الزوجين حتى يتفرَّقا، ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ – أي اليهود – ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ يعني إنّ مَن اختار السِّحر وترَك الحق: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

www.alukah.net

﴿خَلاقٍ﴾ يعني: ما له في الآخرة مِن نصيبٍ في الجنة، بل إنّ السِّحرَ مُوجِبٌ للعذاب، ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: أي قَبُحَ ما باعوا بِهِ أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

♦ واعلم أن اللام التي في قوله تعالى: ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾، والتي في قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا﴾، تُسَمَّى (لام التوكيد).

الآية 103: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ يعني لأيقنوا أن ثواب الله خيرٌ لهم مِن السِّحر ومما اكتسبوه به ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية 104: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ أي راعِنا سَمْعَك، فافهَم عنا وأفهِمْنا؛ لأنّ اليهود كانوا يقولون كلمة: (راعِنا) للنبي صلى الله عليه وسلم – ويَلوون ألسنتهم بها – ليقصدوا سَبَّهُ ونسبَتَهُ إلى الرُّعُونة، (وهي الحُمق والطَّيْش)، ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾: أي ولكنْ قولوا: انظرنا (أي انظر إلينا وتعهَّدْنا)، وهي تؤدي المعنى المطلوب، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما يُتلَى عليكم مِن كتابِ ربكم وافهموه، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية 105: ﴿مَا يَوَدُّ﴾ أي لا يُحِبّ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ – وهم اليهود والنصارَى – ﴿وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ سواء كانَ هذا الخير قرآنًا أو عِلمًا، أو نَصرًا أو بُشرَى ، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ ﴾: أي بالنبُوَّة والهداية إلى أكمل الشرائع ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مِن عِباده، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: أي ذو العطاء الكثير الواسع.

****

7. تفسير الربع السابع من سورة البقرة

الآية 106: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ يعني: ما نُبدِّلْ مِن آيةٍ ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: يعني أو نُزلها من القلوب والأذهان إلا و ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ في التكليف والثواب، ولِكُلٍّ حِكمة، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لا يُعجِزُهُ شيء؟، (إذ مَن يقدِرُ أن يُزِيلَ الآياتِ من القلوب والأذهان غير مَن يَملكُ القلوبَ والأذهانَ سبحانه تعالى؟).

الآية 107: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ خَلقًا وتدبيرًا، فهو سبحانه المالك المُتصرِّف في السماوات والأرض، يَفعل ما يشاء، ويَحكم ما يريد، ويأمر عباده ويَنهاهم كيفما شاء، فعليكم الطاعة والقَبول، فإن عصيتموه فاعلموا أنه: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أموركم ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ يَمنعُكم من عذابه.

الآية 108: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾: يعني أَم تريدون أن تطلبوا من رسولكم محمد صلى الله عليه وسلم أشياء بقصد العِناد والمُكابَرة ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴾ حينَ سأله بنو إسرائيل أن يُرِيَهُمُ اللهَ جهرَةً، وغير ذلك؟، ﴿ وَمَنْ يَتَبَدَّلْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أي فقد خرج عن الصراط المستقيم إلى الجهل والضَّلال.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 109: ﴿وَدَّ﴾ أي تمَنَّى ﴿كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ مِن اليهود والنصارى ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾، وذلك ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ لأنهم كانوا يَرجُون أن يكون هذا النبي الخاتم مِن بني إسرائيل، وليس مِن العرب، فلذلك كفروا به ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ ﴿فَاعْفُوا﴾: أي فتجاوزوا – أيها المسلمون – عمَّا كان منهم مِن إساءةٍ وخطأٍ، ﴿ وَاصْفَحُوا﴾ عن جهلهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ لكم بقتالهم (وقد جاء ووقع)، وسوف يُعاقبهم اللهُ لسوءِ أفعالهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية 110: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾: أي واعلموا أنَّ كلَ خيرٍ تُقدِّمونه لأنفسكم مِن الطاعات، تجدون ثوابه عند الله في الآخرة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فهو سبحانه يرى عَمَلكم، (ويَرى تَعَبَكم مِن أجلِه).

الآية 111: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: أي تلك أوهامهم الفاسدة، ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعوَاكم.

الآية 112: ﴿بَلَى﴾: أي ليس الأمر كما زعموا أنَّ الجنة تختص بطائفةٍ دونَ غيرها، وإنما يَدخلُ الجنَّة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: أي أخلصَ عبادته لله وحده لا شريك له، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: أي وهو مُتبعٌ للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في أقواله وأعماله، ومَن يفعلْ ذلك ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الآية 113: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ﴾ مِن الدِّين الصحيح، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ مِن الدِّين الصحيح، ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: أي مع أنهم يَقرؤون التَوْراة والإنجيل، وفيهما وجوب الإيمان بالأنبياء جميعًا ، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ مِن مُشركي العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: يعني إنّهم قالوا لكل ذي دِين: لستَ على شيء، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

الآية 114: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: أي ومَن أشدُّ ظلمًا ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾؟ ﴿أولئك﴾ الظالمون ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي يدخلوا المساجد ﴿ إِلاَّ خَائِفِينَ﴾ من عقوبة اللهِ تعالى، ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي ذل وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية 115: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني: ولله جِهَتا شروق الشمس وغروبها وما بينهما، ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾: يعني فأيَّ جهةٍ توجهتم إليها في الصلاة، بأمر الله لكم – فقد أمَرَكم باستقبال الكعبة، بعد أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المَقدس – فأينما تَوجهتم في الصلاة ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: أي فهناكَ اللهُ تعالى؛ إذ إنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – مُحيطٌ بخلقِه، والكائناتُ كلها بين يديه، وكيف لا يكونُ ذلك وقد أخبرَ تعالى – عن نفسِهِ – أنَّ الأرضَ جميعًا قبضتهُ يومَ القيامة، والسماواتُ مطوياتٌ بيمينِه.

♦ وفي الآية، إثباتُ الوَجْه للهِ تعالى ، كما يَليقُ بجلاله وكماله، وأنَّ لهُ وَجْهًا لا تُشبهُهُ الوُجوه، وهذا هو مَنهجُ أهل السُّنَّة (الإثبات مع التنزيه)، بمعنى أنهم يُثبِتون الصفة للهِ تباركَ تعالى كما أخبرَ بها عن نفسِهِ، وكما أخبرَ بها عنه نَبيّه محمد صلى الله

www.alukah.net

عليه وسلم، ولكنْ مع تنزيهِهِ سبحانه (أي مع الاعتقاد الجازم أنه سبحانه ليسَ كمِثلِهِ شيء، فلا يُشبِهُ أحدًا مِن خَلقِه)، وَكُلُّ ما دارَ ببالِكَ: فاللهُ بخِلافِ ذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ في رحمته بعباده، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يَستحق فضله وعطائه ورحمته.

الآية 116: ﴿وَقَالُوا﴾ أي اليهود والنصارَى والمشركون: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿سُبْحَانَهُ﴾: أي تنزَّهَ اللهُ تعالى وتبرَّأ مِن ذلك، فإنه سبحانه ليس مُحتاجًا إلى ولدٍ كما يَحتاجُ البشر، فإنَّ البشر يَحتاجون إلى ولدٍ يَخدمهم ويَرعاهم في كِبَرهم، وعند مرضهم، وحالَ ضَعفِهم، أما اللهُ تعالى فهو - سبحانهُ - القوي الغني الذي لا يحتاجُ إلى شيءٍ مما يحتاجُه البشر، ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهُم مِلكُهُ وعَبيدُه، و ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾: أي وهم جميعًا خاضعونَ له، مُسَخَّرونَ تحتَ تدبيره، فكيف يكونُ له منهم ولد؟!

الآية 117: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي خالِقهُما على غير مِثالٍ سابق، ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

الآية 118: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ من الجَهَلة المشركين وغيرهم: ﴿لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكُفر والضَّلال، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: أي قد أوْضَحنا البراهين والحُجَج للذين يُصدِّقون تصديقًا جازمًا، فلا يَحتاجون بعد تلك الحُجَج القوية إلى أن يَطلبوا أن يُكَلِّمَهم اللهُ، أو غير ذلك.

الآية 119: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: أي بالدِين الحق المُؤيد بالحُجَج والمعجزات، ﴿بَشِيرًا﴾ للمؤمنين الطائعين ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين والعاصين، ﴿وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾: أي ولست - بعد البلاغ - مسؤولاً عن كُفر مَن كَفر.

الآية 120: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾: يعني إنّ دينَ الإسلام هو الدين الصحيح، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأنك على الحق وهم على الباطل، فحينئذٍ ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾.

الآية 121: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ - من علماء اليهود والنصارى الصادقين - ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾: أي يَقرؤون كتابهم القراءة الصحيحة، ويَعملون به، ولا يُحَرفونه، بل يُؤمنون بما جاء فيه من التصديق بجميع رُسُل الله، ومنهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، (وبهذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿حق تلاوته﴾: أي تِلاوة وإيمانًا واتِّباعًا وتعظيمًا)، ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني: وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، فيدخلون في الإسلام بمجرد بعثته صلى الله عليه وسلم، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

الآية 122: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كإنزال المَنّ والسَلوَى وغير ذلك، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي وتَذَكَّروا أني فَضَّلْتُكم على عَالَمِي زمانِكم بكثرة أنبيائكم، وما أَنزلتُ عليهم من الكُتب.

الآية 123: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ﴾: أي لا تَدفع نفسٌ ﴿عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أي وَلا يُؤْخَذُ منها فِدية تُنجيها من العذاب، ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ إلا مِن بعدِ أن يَأذنَ اللهُ لمن يشاءُ ويرضى، ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾: أي ولا يَملِكُ أحدٌ في هذا اليوم أن يَتقدم لِنُصرَة أحد وإنقاذه من العذاب.

****

8. تفسير الربع الثامن من سورة البقرة

الآية 124: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾: أي واذكر حين اختبرَ اللهُ إبراهيمَ ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾: أي ببعض التكاليف التي شرعها له، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أي فأدَّاها إبراهيمُ، وقام بها خيرَ قيام، فحينئذٍ ﴿قَالَ﴾ اللهُ له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: أي قدوةً لهم، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: يعني واجعل ياربُّ مِن ذُرِّيَّتي أيضاً أئِمَّة (فضلاً منك)، ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: أي لا تَحْصُلُ الإمامة في الدِّين للظالمين.

الآية 125: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ أي مَرجعًا لهم (يأتونه، ثم يرجعون إلى أهليهم، ثم يعودون إليه)، وكذلك جعلناهُ مَوضِعَ ثوابٍ لهم ﴿وَأَمْنًا﴾، ﴿وَاتَّخِذُوا﴾: أي وقلنا لهم: اتخِذوا ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: أي مكانًا للصلاة فيه، ﴿وَعَهِدْنَا﴾: أي وأوحينا ﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ مِن كل شِرك ونجاسة ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ وهم المعتكفون ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

الآية 126: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ – أي مكة – ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ مِن كل خوف، ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ منهم أيضًا ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾: أي أُلجئُهُ مُرغمًا ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: أي وبئسَ المَرجعُ والمقامُ: جهنم، (ففي صحيح مُسلِم أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أخبرَ بأنَّ أقلَّ أهل النار عذابًا يوم القيامة: رجلٌ يَلبَسُ نَعلَيْن مِن نار، يَغلِي دماغُهُ مِن سخونة نعليْه، كما يَغلي القِدر، وما يَرى أنَّ أحدًا أشدَّ منه عذابًا، وإنه لأهوَنُهُم عذابًا).

الآية 127، والآية 128، والآية 129: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ أي: واذكر – أيها النبي – حين رَفَعَ إبراهيمُ وإسماعيلُ أُسُسَ الكعبة، وهما يدعُوان اللهَ في خشوع: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي ثابتَيْن على الإسلام، مُنقادَيْن لأحكامك، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: أي وبَصِّرْنا بمَعالم عبادتنا لك، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي في ذُرِّيَّتنا ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾: أي مِن ذرية إسماعيل ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: أي ويُطهرهم من الشِرك وسُوء الأخلاق ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي الغالب، الذي لا يمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يَضع الشيء في مَوضعه.

www.alukah.net

الآية 130: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي ولا أحد يُعرِضُ عن دين إبراهيم – وهو الإسلام – ﴿إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: يعني إلاّ سَفيه، ضعيف العقل، جاهل، ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ أي اخترناهُ بالرسالة، وجعلناهُ قدوةً للناسِ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم أعلى الدرجات.

الآية 131: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾: أي وسبب هذا الاصطفاء والاختيار لإبراهيم : مُسارَعَته للانقياد لله تعالى، والاستسلام لأوامره دونَ تردد، حينَ قال اللهُ لهُ: أسلِم، فـ ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيدًا وإخلاصًا ومَحَبَّة.

الآية 132: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: أي وَوَصَّى إبْرَاهِيمُ أبناءه بكلمة ﴿ أسلمتُ﴾ والثبات عليها، وكذلك وَصَّى بها يَعْقُوبُ أبناءَهُ أيضًا: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ وهو دين الإسلام، ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

الآية 133: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾: يعني هل كنتم أيها اليهود حاضرينَ حين جاء الموتُ يعقوبَ؟ ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾؟ فـ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، فلن نعبد إلاَّ ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وهو اللهُ سبحانه وتعالى ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: أي ونحن له مُنقادونَ خاضعون.

الآية 134: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ مِن أسلافِكم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي مَضَتْ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يُؤاخَذُ أحدٌ بذنب أحد، ولا ينفعُ أحدًا إلا إيمانُه وتقواه، (وفي الآيةِ قطعٌ للتعلق بالمخلوقين ، وعدم الاغترار بالانتساب إليهم، وأنَّ العِبرة بالإيمان بالله وعبادته وحده، واتِّباع رُسُله، وأنَّ مَن كفَرَ برسولٍ منهم فقد كفر بجميع الرُسُل).

الآية 135: ﴿وَقَالُوا﴾ أي اليهود والنصارى: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي قل لهم: بل الهداية أن نتبع – جميعًا – دين إبراهيم، وهو الإسلام، فقد كانَ عليه السلام ﴿حنيفًا﴾: أي مائلاً عن كل دِين باطل إلى الدين الحق، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله تعالى.

الآية 136: ﴿قُولُوا﴾ أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنَّصارى: ﴿آمَنَّا بالله﴾: أي صدَّقنا باللهِ الواحد الأحد ﴿وما أنزل إلينا﴾ أي: وآمنَّا بما أُنزلَ إلينا من القرآن، ﴿وَمَا أُنزلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾: أي وبمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسباط﴾ – والأسباط هم الأنبياء مِن وَلَدِ يعقوب (الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة) – ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾: أي وآمنَّا بما أوتيَ ﴿مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ أي وبمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ في الإيمان بهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

الآية 137: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ – وفي الآية دليلٌ على وجوب اتّباع النبي صلى الله عليه وسلم بفَهْم الصحابةِ الكِرام رضوان اللهِ عليهم؛ لأنَّ الله تعالى قد أثبتَ أنَّ إيمانهم هو الإيمانُ الحق، وذلك في قولِه تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: يعني وإن أعرضوا فإنَّما هُم في مُخالَفةٍ وعداوةٍ للرسول صلى الله عليه وسلم.

♦ وهذه العداوة تتطلَّب أن يَبذلوا كل ما يَقدِرون عليه في أذِيَّة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلهذا وَعَدَ اللهُ رسولَهُ أن يَكفِيَهُ إيَّاهم، فقال: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾: أي فسَيَكفِيكَ شرَّهم؛ لأنه – سُبحانهُ – السميعُ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، العليمُ بظوَاهرِهِم وبَوَاطِنِهِم، يعلمُ ما يَمكُرون وما يُدَبِّرونه لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد أنجَزَ اللهُ وَعدَهُ، فقد كفاهُ مَكرَهم وشَرَّهُم، بل وَنَصَرَهُ عليهم حتى قتَلَ بعضَهم، وأسَرَ بعضهم، وشرَّدَهُم كُلَّ مُشرَّد، ففي هذا مُعجزة من مُعجزات القرآن الكريم، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعِه، فوقع كما أخبر، فللهِ الحمدُ والمِنَّة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

الآية 138: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: أي الزموا دينَ اللهِ الذي فَطَرَكم عليه، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: أي فليس هناك أحسنُ مِن فطرة اللهِ التي فطَرَ الناسَ عليها فالزموها، ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾: أي وقولوا: نحن له خاضعون.

الآية 139: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾: يعني وهو ربُّ العالمين جميعًا، لا يختَصُّ بقومٍ دونَ قوم، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ في العبادة والطَّاعة، لا نُشركُ به شيئًا، ولا نَعبدُ أحدًا غيره.

الآية 140: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾؟، وهذا كَذِب، فقد بُعِثوا وماتوا قبل نزول التَوْراة والإنجيل، ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾؟ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي ولا أحد أظلمُ منكم حين تُخفون شهادة ثابتة عندكم من اللهِ تعالى، (والمقصود بهذه الشهادة : ما أخذه اللهُ عليهم – في كتابهم – من الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم عند ظهوره)، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

الآية 141: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ مِن أسلافِكم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي مَضَتْ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يُؤاخَذُ أحدٌ بذنب أحد، ولا ينفعُ أحدًا إلا إيمانُه وتقواه.

****

9. تفسير الربع التاسع من سورة البقرة

الآية 142: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ – وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾: أي ما صَرَفهم ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾: أي التي كانوا يُصَلُّون إلى جهتِها أوَّلَ الإسلام – وهي بيت المَقدِس – إلى الكعبة، ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فليست جهة من الجهات خارجة عن مُلكِه، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يعني إلى طريقٍ واضح، وإلى مِنهاج الهداية القويم، (وفي هذا إشعارٌ بأنَّ الشأنَ كله للهِ تعالى في امتثال أوامره، فحيثما وَجَّهَنا: تَوَجَّهْنا).

الآية 143: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: يعني وكما هديناكم إلى الدين الصحيح: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي كاملين، فأمّة محمد صلى الله عليه وسلم هي أمَّةٌ وَسَطٌ في كل أمور الدين؛ فهُم وَسَطٌ في إيمانهم بالأنبياء (فلم يُجاوزوا الحَدَّ في تعظيمهم كما فعل النصارى بالمسيح عليه السلام، ولم يُنقِصُوهم قدرَهم كما فعل اليهودُ بأنبيائهم).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

♦ وهم وسطٌ في الشريعة (فلم يَتشدّدوا كتشديدات اليهود، ولم يَتهَاوَنوا كتَهَاوُن النصارى)، وهُم وسطٌ في باب المطاعم (فهُم ليسوا كاليهود الذين حُرِّمَت عليهم الطيبات عقوبةً لهم، ولا كالنصارَى الذين لا يُحرِّمُون شيئًا، بل أباحوا كل شيء)، فلهذه الأمَّة مِن الدينِ أكْمَلُهُ، ومِن الأخلاقِ أجَلُّها، ومِن الأعمالِ أفضلها، فلذلك كانوا أُمَّةً وَسَطًا.

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ مِن سائر أهل الأديان يوم القيامة، بسبب حُكمِكُم بين الناسِ بالعدل، (فما شَهِدَتْ له هذه الأمَّة بالقبول، فهو مقبول، وما شَهِدَت له بالرَدِّ، فهو مَردود)، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنَّه بلَّغكم رسالة ربه، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ ثم صرفناك عنها إلى الكعبة ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: يعني إلاَّ ليَظهر للخلق ما عَلِمناهُ في قديم الأزل، لِنميزَ ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي ومَن هو ضعيفُ الإيمان، فينقلب مُرتَدًّا عن دينِهِ لِشكِّهِ ونفاقه، ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ أي تحويل القِبلة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ أي شاقة ثقيلة على النفوس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: أي ما كانَ اللهُ لِيُبطِلَ صلاتكم إلى القبلة السابقة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية 144: ﴿قَدْ نَرَى﴾ مَرَّة بعدَ مَرّة ﴿تَقَلُّبَ﴾: أي تحوُّلَ ﴿وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ انتظارًا لنزول الوَحْيِ إليك في شأن القبلة، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: أي فلنُوَجِهَنَّكَ ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ وتحبها، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾: أي فوَجِّهْ وجهَك نَحْوَ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي الذين أعطاهم اللهُ الكتابَ مِن علماء اليهود والنصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أي لَيَعلمون أنَّ تحويلك إلى الكعبة هو ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أي الحق الثابت في كُتبهمْ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ مِن تشكِيكٍ، وسيُجازيهم على ذلك.

الآية 145: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ مرة أخرى، ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأنك على الحق وهم على الباطل ﴿إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية 146: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ مِن عُلماء اليهود والنصارى ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: أي يعرفون أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم هو رسولُ الله، بأوصافه المذكورة في كُتُبِهِم، مثل مَعرفتِهم بأبنائهم، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ صِدْقَه، وثبوت أوصافِه.

الآية 147: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي الذي أنزل إليك – أيها النبي – هو الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي فلا تكونَنَّ من الشاكِّين في هذا الحق، بل تفكَّرْ فيهِ وتأمَّلْ، حتى تصِل بذلك إلى اليقين؛ لأن التفكُّر فيه – لا مَحالة – دافعٌ للشكِّ، مُوصِلٌ لليقين، وهذا – وإن كانَ خِطابًا للرسول صلى الله عليه وسلم – فهو مُوَجَّهٌ للأمَّةِ عمومًا.

الآية 148: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: يعني ولكل أمَّةٍ من الأمم قِبلة يَتوجَّه إليها كل واحدٍ منها في صلاته، وليس الشأن في استقبال القبلة؛ فإنَّ ذلك من الشرائع التي تتغير بالأزمنة والأحوال، ويَدخلها النَّسخ، والنقل من جهةٍ إلى جهة، ولكنَّ الشأنَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كله في امتثال طاعة الله، والتقرُّب إليه، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أيها المؤمنون، وأدُّوا الفرائض والنوافل على أكمَل وجه، ف ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ليُجازي كلَّ عاملٍ بعمَلِه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية 149: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ – أيها النبي – مُسافرًا وأرَدْتَ الصلاة: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي فوجِّه وَجهك نحو المسجد الحرام، ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني: وإنَّ تَوَجُّهك إليه هو الحق الثابت من ربك، فلا تتأثروا – أيها المسلمون – بكلام السُفهاء من اليهود والمنافقين حول تحويل القِبلة، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وسيُجازيكم على أعمالكم.

الآية 150: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ مِن بيتك، وأردتَ الصلاة، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ بأي قطر من أقطار الأرض، وأردتم الصلاة ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، وقد شرَعْنا لكم استقبالَ الكعبة ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: أي ليَنقطع عنكم احتجاج الناس مِن أهل الكتاب، لأنكم لو بَقِيتم مستقبلين بيتَ المَقدِس، لتوَجَّهَتْ عليكم الحُجَّة، فإنَّ أهلَ الكِتاب يَجدون في كتابهم أنَّ قِبلة النبي صلى الله عليه وسلم – التي سَيَستقرُّ عليها – هي الكعبة، وكذلك يَنقطع عنكم احتجاج الناس مِن المشركين؛ لأنَّ المشركين يَرَوْنَ أنَّ هذا البيت العظيم مِن مَفاخرهم، وأنه مِن مِلَّة إبراهيمَ، وأنه إذا لم يَستقبلهُ محمدٌ صلى الله عليه وسلم، لقالوا: كيف يَدَّعِي أنه على مِلَّةِ إبراهيم، وهو مِن ذريته، وقد ترك استقبال قبلته؟

♦ فباستقبال الكعبة: قامت الحُجَّة على أهل الكتاب والمشركين، وانقطعت حُجَجُهُم ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: يعني إلا أهل الظلم والعِناد منهم، فسَيَظلُّون على جدالِهم، وليس لهم دليلٌ إلا اتِّباع الهَوَى، فهؤلاء لا سبيلَ إلى إقناعِهم والاحتجاج عليهم، ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾: أي فلا تخافوهم وخافوني بامتثال أمري واجتناب نهْيِي، ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ باستِقبال الكعبة، واختيار أكمل الشرائع لكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى ما فيه رُشدكم وصلاحكم.

الآية 151: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾: أي كما أنعمنا عليكم باستقبال الكعبة: أرسلنا فيكم ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي ويُطهركم من الشرك وسُوء الأخلاق ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والسُنَّة، والدليل على أنَّ الحِكمة هي السُنَّة: قوْلُ الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وقوله تعالى لنساء النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، وإلاَّ، فماذا كانَ يُتلَى في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن والسُنَّة؟! ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ مِن قصَص الأنبياء والأمم السابقة.

الآية 152: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أي أثني عليكم في الملأ الأعلى، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ نِعَمي عليكم، (واعلم أنَّ الشُكر يكونُ حَمداً باللسان واعترافاً بالقلب، وبأن يَستخدمَ العبدُ هذه النِعَم في طاعة اللهِ تعالى، وألاّ يَستخدمها في مَعْصِيَتِه، كما قال تعالى في سورة سبأ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾، وقال أيضاً في سورة آل عمران: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾)، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ أي ولا تَجحَدوا هذه النِعَم، ولا تستخدموها في غير ما يُحِبُّه الله.

www.alukah.net

الآية 153: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ على الابتلاءات والمصائب، وعلى تَرْك المعاصي والذنوب، وعلى فِعل الطاعات والقُرُبات، ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أي واطلبوا العَونَ من اللهِ تعالى بالصلاة التي تطمئن بها النفوس، والتي تَنهَى العبد عن الفحشاء والمُنكر (هذا إذا أدَّاها العبدُ بخشوعٍ كما أرادَ اللهُ تعالى)، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي معهم بعَوْنِهِ وتوفيقه وحِفظه (وهذه مَعِيَّة خاصة بالصابرين، غير المَعِيَّة العامة لجميع الخلق، المُتَضَمِّنة للعِلم والإحاطة).

الآية 154: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ حياة خاصة بهم في قبورهم، لا يعلمُ كيفيتها إلا اللهُ تعالى، ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: أي ولكنكم لا تُحسُّون بهذه الحياة، (وفي هذا دليلٌ على نعيم القبر).

الآية 155، والآية 156: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: أي وَلَنَخْتبرَنَّ صَبرَكُم ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ بفقدانها وصعوبة الحصول عليها، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بموتها، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بقلَّة ناتجها أو فسادِها، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على هذا وأمثالِه بما يَسُرُّهم في الدنيا والآخرة، وهؤلاء الصابرون هم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ يعني إنّا عبيدٌ مملوكون لله، يَفعلُ بنا ما يشاء، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ بالموت، فإنْ صَبَرْنا واحتسبْنا: وَجدْنا أجرَنَا مَوْفورًا عنده، وإنْ جَزَعْنا وسَخِطنا: لم يكن حَظُّنا إلا السخط وفوات الأجر.

الآية 157: ﴿أُولَئِكَ﴾ الصابرون ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ أي مغفرةٌ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى طريق الرَّشاد.

****

10. تفسير الربع العاشر من سورة البقرة

الآية 158: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي مِن مَعالم دين الله الظاهرة، التي تعبَّدَ اللهُ عبادَه بالسعي بينهما، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أي فلا إثم عليه ولا حرج في أن يَسعى بينهما، بل يجب عليه ذلك، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: يعني ومَن ازداد في الطاعة – بشرط أن تكون خالصة لله تعالى، لا يُريدُ العبد بها إلا الأجر والثواب من الله – ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ يُثيبُ على القليل بالكثير، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال عباده فلا يُضَيِّعُها، ولا يُنقِصُ أحدًا مِثقالَ ذَرَّة.

الآية 159، والآية 160: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي من الآيات الواضحات الدالّة على نبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَالْهُدَى﴾: أي ويكتمون أيضًا حقيقة ما جاءَ به مِن الهدى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: أي مِن بعد ما أظهرناه للناس في التَوْراة والإنجيل ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾: أي يطردهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾: أي ويدعو عليهم جميع الخلائق باللعنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي رجعوا مستغفرين اللهَ من خطاياهم، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوه ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموه ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي أقبَلُ توبتهم، وأجازيهم بالمغفرة، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾ على مَن تابَ من عبادي، ﴿الرحيمُ﴾ بهم؛ إذ وفقتُهم للتوبة وقبلتُها منهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 161: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي واستمَرّوا على الجحود وكِتمان الحق حتى ماتوا: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أي يَطردهم سبحانه مِن رحمته، ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾: أي وتدعو عليهم الملائكة باللعنة، ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أي والناسُ جميعاً يَلعنونهم، حتى الكُفار، فإنهم يَلعنونهم يوم القيامة، كما قال تعالى في سورة العنكبوت: (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا).

الآية 162: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي دائمين في اللعنة والنار، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾: أي لا يُرفَع عنهم العذاب قليلاً ليستريحوا، ﴿وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: أي ولا هم يُمهَلون بمَعذرةٍ يَعتذرون بها.

الآية 163: ﴿وَإِلَهُكُمْ﴾ أيها الناس ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فهو سبحانه واحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته، ليس كَمِثله شيء، وهو السميع البصير، فاللهُ تعالى يَسمع ويُبصِر، والإنسان أيضًا يَسمع ويُبصِر، ولكنَّ سَمْعَ الإنسان وبصره لهما حدودٌ؛ إذ إنه لا يستطيع أن يُبصِرَ ما وراء الحائط، وكذلك لا يستطيع أن يَسمع ما يدور في الغرفة المجاورة له، أمّا اللهُ تبارك وتعالى فليس لِسَمعِهِ ولا لبصره حدود، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿تبارك الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأصوات، إنّ المرأة لَتُناجي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أسمعُ بعض كلامها، ويَخفى عليَّ بعض، إذ أنزل اللهُ تبارك وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾).

♦ وهو سبحانه واحدٌ في أفعاله؛ لأنه تعالى غالبٌ على أمْره، إذا أراد شيئًا، قال لهُ: كُن، فيكون، وهو سبحانه واحدٌ في استحقاقه لعبودية خلقه له، فهو الذي ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾: أي لا معبودَ بحقٍ إلا هو، وكل ما يُعبَدُ من دونه باطل، وهو ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي وَسِعَتْ رحمته جميع الخلق ﴿وهذه رحمة عامة بالمؤمنين والكافرين﴾، وهو ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين، كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ولذلك ينبغي للعبد المؤمن أن يرجو من ربه هذه الرحمة الخاصة مُتذلِّلاً إليه بالرحمة العامة، فعندما يقرأ في الصلاة قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فإنه يقولُ بقلبه: (يا رب، إنك لا تَزالُ بي بَرًّا أيامَ حياتي، فأرجو أن تُدرِكني برحمتك بعد مماتي).

الآية 164: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ بارتفاعها واتّساعها، ﴿وَالأَرْضِ﴾ بجبالها وسهولها وبحارها، ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي وفي اختلاف الليل والنهار مِن الطول والقِصَر، والظلمة والنور، وتعاقبهما بأن يَخلفَ كلٌّ منهما الآخر، ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾: أي وفي السفن الجارية في البحار، التي تحمل ما ينفعُ الناس، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي وفيما أنزل اللهُ من السماء ﴿مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فصارت مُخضرَّة ذاتَ بهجة، بعد أن كانت يابسة لا نباتَ فيها، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: يعني وما نَشرَ فيها ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ ﴿وَ﴾ ما أنعمَ به عليكم مِن ﴿تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: أي تقليبها وتوجيهها، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ لإنزال المَطر، إنّ في كل الدلائل السابقة ﴿لآيَاتٍ﴾ على وحدانية اللهِ تعالى، واستحقاقه وحدَه للعبادة، وعلى عظِيمِ نِعَمِه ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، إذ إنه لا يُعقَلُ أبدًا أن يَخلُقَ ويُعبَد غيرُه، وأن يَرزُقَ ويُشكَر غيرُه!

www.alukah.net

الآية 165: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾ يعني: ورغم هذه البراهين القاطعة على وحدانية اللهِ تعالى، يَتخذ فريقٌ من الناسِ آلهةً وأوثانًا وأولياءَ ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾: أي يُعطونهم من المَحَبّة والتعظيم والطاعة، ما لا يَليق إلا باللهِ وحده، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ مِن حُب هؤلاء الكفار لآلهتهم؛ لأنّ المؤمنين قد أخلَصوا المَحَبّة كلَّها لله، وأولئك أشرَكوا في المَحبّة، ﴿وَلَوْ يَرَى﴾: يعني ولو يَعلم ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ بأعينهم، لَعَلِمُوا علمًا جازمًا ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وأنّ هذه الآلهة المزعومة ليس لها من القوة شيء، فتبيَّن لهم في ذلك اليوم ضَعفُها وعجزُها، لا كما ظنوا – في الدنيا – أنّ لها من الأمر شيئًا، وأنها تقرِّبُهم إلى ربهم، فخابَ ظَنُّهم، وحَقَّ عليهم العذاب، (فاللهُ تعالى لا يَحتاجُ إلى واسطةٍ بينه وبين خلقه في العبادة، لأنه – سبحانه – ليس كمُلوك الدنيا الذين يَحتاجون إلى واسِطةٍ لقضاء مصالح الناس)، ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ فعذابُهُ تعالى لا يُطاقُ ولا يُحتمَل.

الآية 166: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾: يعني وحين رَأى المُشركون العذاب: تبرَّأ ﴿الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾: أي تَبرَّأ الرؤساء المَتبوعون مِمَّن اتَّبَعَهم على الشِرك، ﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾: أي وتقطعت بينهم كل الصِّلات التي كانت تربطهم في الدنيا، فلم تدفع عنهم شيئًا من عذاب الله، بل حصلَ لهم الضررُ منها، مِن حيث ظنوا نفعَها.

الآية 167: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ وهم الأتباع: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أي عَودة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ : يعني وكما أراهم اللهُ شدة عذابه يوم القيامة: يُريهم أعمالهم الباطلة التي عملوها في الدنيا ﴿حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾: أي يَندمون على فِعلها حيثُ لا ينفع الندم ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

الآية 168: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وهو الطاهر غير النجس، النافع غير الضار، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: أي ولا تتبعوا طرُقه في التحليل والتحريم والبدع والمعاصي؛ وأغلِقوا عليه كُلَّ بابٍ يَدخل لكم منه ، وهذا ما يُسَمَّى في الشرع بـ (سَدّ الذرائع): أي سد الطرق على الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عدوٌ مبين﴾: أي عداوته لكم واضحة.

الآية 169: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ أي بكل ذنب قبيح يَسُوؤكم، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: يعني ويأمركم بكل معصيةٍ بالغةِ القُبح، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: يعني ويأمركم بأن تفتروا على اللهِ الكذبَ، مِن تحريم الحلال وغير ذلك، (وفي الآية تحذيرٌ من الفتوى بغير علم، وأنها من الكبائر).

الآية 170: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا ﴾ أي وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: يعني أيتبعون آباءهم حتى ولو كانوا لا يعقلون عن الله شيئًا، ولا يُدركون رشدًا؟

الآية 171: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مع داعِيهم إلى الهدى والإيمان ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾: أي كمثل الراعي الذي يَصيح بالبهائم وينهرها، وهي لا تفهم معنى كلامه ، وإنما تسمع الصياح فقط، وكذلك الكفار ، فإنهم ﴿صُمٌّ﴾ عن سَماع الحَق، ﴿بُكْمٌ﴾: أي خُرسٌ عن النُطق به، ﴿عُمْيٌ﴾ عن إبصار نور الهداية، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي فهم لا يُعمِلون عقولهم فيما يَنفعهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 172: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ولا تكونوا كالكُفار الذين يُحَرِّمون الحلال، ويَستحِلُّون الخبائث، ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ نِعَمَه العظيمة عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

الآية 173: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ وهو الحيوان الذي تفارقه الحياة بدون ذبْح شرعي، ويُستثنَى من ذلك مَيْتة الجَراد والسمك، فإنهما حلال (كما ثبتَ ذلك في السُنَّة)، ولَعَلَّ الحكمة من تحريم المَيْتة: هو احتقان الدم في جوفها ولحمها، مما يتسبب في إضرار مَن يأكلُ منها، ﴿وَالدَّمَ﴾: يعني وحُرِّمَ عليكم شُرب الدم، ويُستثنى من الدم: (الكبد والطحال) فإنّ أكْلهما حلال، كما ثبت ذلك في السُنَّة، واعلم أن المقصود بالدم المُحَرَّم هنا هو الدم المسفوح (أي السائل المُراق)، كما ذَكَر تعالى ذلك في سورة الأنعام فقال: (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا)، (وأما الدم غير المُراق، وهو الذي يختلط باللحم أو الذي يكون في المخ والعروق وما شابَه ذلك: فإنه لا شيءَ فيه).

﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾: يعني وكذلك حُرِّمَ عليكم لحم الخنزير، فلا تغتروا بمَن يَستحلونه (افتراءً على الله)، بل هو مُحَرَّم مِن جُملة الخبائث، ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾: يعني وكذلك الذبائح التي ذُبِحت لغير الله، وكذلك ما ذُكِرَ عند ذبْحِهِ اسمُ غيرِهِ تعالى ، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: يعني فمن ألجأته الضرورة إلى أكْل شيءٍ من هذه المُحَرَّمات ﴿ غَيْرَ بَاغٍ﴾: أي غيرَ طالبٍ للمُحرَّم – لِلذَّةٍ أو غير ذلك، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: يعني ولا مُتجاوز – في أكلِه – ما يَسُدُّ حاجتَه ويَرفع اضطراره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ له، ﴿رَحِيمٌ﴾ به، حيث رَخَّصَ له في أكل تلك المُحرمات عند الضرورة حتى لا يموت.

الآية 174: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أي ويَحرصون على أخذِ عِوَضٍ قليل من عَرَض الحياة الدنيا مُقابل هذا الإخفاء ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ يعني إلا نار جهنم تشتعل في بطونهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: أي ولا يُطهرهم من دَنَس ذنوبهم وكُفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية 175: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ أي استبدلوا ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: يعني فما أشدَّ جُرأتَهم على النار (بعملهم أعمالَ أهل النار)، وما أشدَّ صَبْرَهم على النار ومُكثهم فيها.

الآية 176: ﴿ذَلِكَ﴾: أي ذلك العذاب الذي استحقُّوه ﴿ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: أي بسبب أنّ اللهَ تعالى نزَّل كُتُبَهُ مُشتملةً على الحق الواضح، فكفروا بها، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ ﴾ فآمَنوا ببعضها وكفروا ببعضها: ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: يعني أولئك في مُخالَفة بعيدة عن الرُّشد والصواب.

****

11. تفسير الربع الحادي عشر من سورة البقرة

الآية 177: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾: أي ليس الخيرَ عند اللهِ تعالى في التوَجُّهِ في الصلاة إلى جهة المَشرق أو المَغرب – إنْ لم يَكُن عن أمْرِ الله وشرْعِه – ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي ولكنّ الخيرَ عند الله تعالى في ﴿ مَنْ آمَنَ

www.alukah.net

﴿بِاللَّهِ﴾: أي آمَنَ بأنه إلهٌ واحدٌ، مَوصُوفٌ بكلِّ صِفات الكَمال، وَمُبَرَّأٌ مِن كُلِّ نقص، ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وما فيه مِن ثوابٍ وعقاب ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ وهم أجسام نورانية، لا يَعصون اللهَ تعالى، ويَفعلون ما يُؤمرون، لا يُوصَفون بذكورةٍ ولا بأنوثة، ﴿وَالْكِتَابِ﴾: أي وآمَنَ بكُلِّ الكتب المُنَزَّلة (كالتوْراة والإنجيل والقرآن)، ﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾، ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾: أي ورغمَ شِدَّةِ حُبِّهِ للمال، فإنه يُعطيهِ ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ ﴿وَالْيَتَامَى﴾ الذين ماتَ آباؤهم وهُم قبل سِنِّ البُلوغ، ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر الذي فَقَدَ ماله - أو نَفَدَ ماله - واحتاجَ للنفقة، ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الذين اضطروا إلى السؤال لشدة حاجتهم، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: أي وأنفق ماله في تحرير العبيد والأسرَى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ أي: وأخُصُّ الصابرين - لِمَزيدِ فضلِهم - وهم الذين صبروا ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ وهو الفقر، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ وهو المرض، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: أي عند شدة القتال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الذين اتقوا عقاب اللهِ تعالى، ففعلوا الطاعات، واجتنبوا المعاصي.

الآية 178: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾: أي فُرِضَ عليكم أن تَقتصُّوا مِن القاتل - الذي قتلَ عَمدًا -، وذلك بقتلِهِ (واعلم أنّ تنفيذ هذا القِصاص يكون عن طريق وَلِيِّ الأمر، وهو حاكِمُ البلد)، بشرط المُساواة والمُماثلة، فيُقتَلُ ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾: يعني فمَن سامَحَهُ وَلِيُّ المقتول بالعفو عن الاقتصاص منه، والاكتفاء بأخذ الدِيَة (وهي قدْر مالي مُحَدَّد يَدفعه القاتل مقابل العفو عنه)، ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي فليُطالب وَلِيُّ المقتول بالدِيَة مِن غير عُنف، ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾: يعني وليَدفع القاتل إلى وَلِيِّ المقتول حقه مِن غير تأخير أو نقص، ﴿ذَلِكَ﴾ أي العفو مع أخذ الدِيَة ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ بكم؛ لِما فيه من التسهيل والانتفاع، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾: يعني فمن قتل القاتل بعد أن أخَذَ منه الدِيَة ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إما بقتلِهِ - قِصاصًا - في الدنيا، أو بالنار في الآخرة.

الآية 179: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾: يعني ولكم في تشريع القِصاص وتنفيذِهِ حياة آمنة ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي يا أصحاب العقول السليمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أي رجاء تقوَى اللهِ وخشيتِهِ بطاعته، وامتثال أوامره وأحكامه.

مِن الآية 180 إلى الآية 182: يعني مِن قولِهِ تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، هذه الآيات منسوخٌ حُكْمُها بآيات المَواريث في سورة النساء.

الآية 183: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي فُرِضَ عليكم الصيام ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، والسبب في ذلك: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فبهذا وَضَّحَ سبحانه أنّ الغرض الحقيقي من الصيام هو الوصول إلى التقوى، (والتقوى هي: أنْ تجعل بينك وبين غضب اللهِ وعذابه وقاية، وذلك بفعل الطاعات (بأنواعها وأشكالها)، واجتناب المعاصي (صغيرها وكبيرها)، أو بمعنى آخر: أنْ يَجِدَكَ اللهُ حيثُ أمَرَك، وألاَّ يَجِدَكَ حيثُ نَهاك).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 184: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ وهي أيام شهر رمضان، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يعني فلَهُ أن يُفطِر، وحينئذٍ يكونُ عليه صيامُ عددٍ من أيام أُخَر بقدْر التي أفطر فيها، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾: يعني وعلى الذين يَشُقُّ عليهم الصيام مَشقة غير مُحتمَلَة كالشيخ الكبير، والمريض الذي لا يُرْجَى شفاؤه (يعني عنده مرض مُزمِن)، فأولئك عليهم ﴿فِدْيَةٌ﴾ وهي: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ عن كل يومٍ أفطروه، ولا يُكَلَّفون بصيام أيامٍ أُخَر، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: يعني فمَن زادَ في قدر الإطعام للمسكين الواحد، أو أطعمَ أكثرَ مِن مسكين – تبرُّعًا منه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾ مع تحمُّل المَشقة ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الفضل العظيم للصوم عندَ اللهِ تعالى.

♦ واعلم أنه قد قِيل في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أنهم كانوا – في بداية الصيام – مُخَيَّرين بين الصيام والإطعام، فكان يَجُوز للرجل أن يُطعِمَ مِسكيناً عن كل يومٍ أفطَرَهُ (رغم قدرته على الصيام) (وذلك لأنّهم كانوا غير معتادين على الصيام)، فلذلك دَرَّجَهم الرَبُّ الرحيم الحكيم بأسهل الطرق، فَخَيَّرَ المُطِيق للصوم بين أن يُطعِم، وبين أن يصوم (وهو أفضل)، ولهذا قال: ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾، ثم نَسَخَ اللهُ ذلك الحُكم، وجعل الصيام فَرْضاً على المُطِيق وغير المُطِيق، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾، وأمَّا المُسافر والمريض: فإنّ حُكمَهُما ثابت لم يُنسَخ، ولذلك أعادَ اللهُ ذِكْرَهما في الآية التالية، للتأكيد على أنّ لهما نفس الحُكم السابق وهو: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، واللهُ أعلم.

الآية 185: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي هِدايةً للناس إلى الحق، وإرشادًا لهم إلى ما فيهِ مَصالحهم الدينية والدنيوية، ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى﴾: يعني إنّه نزلَ مُبَيِّنًا ومُوَضِّحًا للناس طريق الفوز والنجاة، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾: أي ومُبَيِّنًا لهم الفارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والحلال والحرام ، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾: يعني فمن كانَ حاضرًا – غير مُسافر – عندما أُعلِنَ عن رؤية هلال رمضان ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ لِذا لم يُكَلِّفكم سبحانه بتحمُّل المَشقة، وإنما شَرَعَ لكم قضاءَ يومٍ آخر مكان الذي أفطرتموه يُسراً بكم ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾: أي لِتُكمِلوا صيامَ الشهر كاملاً.

♦ واعلم أنّ العظيمَ سبحانهُ إذا يَسَّرَ أمرًا ، كانَ ذلك أجْدَرُ بتعظيمِهِ، ولذلك قال: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: أي ولِتَختموا الصيامَ بتكبير اللهِ في عيدِ الفِطر، ولِتُعظِّموه على هِدايتِهِ لكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي وقد فرضَ عليكم الصوم وَحَثَّكم على التكبير، لتكونوا بذلك من الشاكرينَ للهِ تعالى على ما أنعمَ به عليكم من التوفيق والتيسير.

الآية 186: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (ولم يَقُل سبحانه: فقُلْ لهم إني قريب)، لِيُبَيِّنَ للناس أنَّهُ لا يَحتاجُ إلى واسطةٍ بينه وبين خلقِهِ في عبادتهم له، ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾: أي فلْيُطيعوني فيما أمَرتُهُم به ونَهيتُهم عنه ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي حتى يهتدوا إلى ما فيهِ صلاح دينهم ودنياهم.

♦ وقد نزلتْ هذه الآية حينما سأل بعضُ الصَحابةِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم : (يا رسولَ الله، أقريبٌ ربُنا فنُناجيه، أم بعيدٌ فنُناديه؟) فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، واعلم أنَّ القُربَ نوعان: قربٌ بعِلمِهِ – سبحانه – وإحاطته

www.alukah.net

مِن جميع خلقِه، وقربٌ مِن عابدِيهِ وداعِيهِ (بالإجابة والمَعُونة والتوفيق والرحمة) (وهذا مِثلما يقول أحدهم: (هذا الرجل مِن المُقرَّبين لَدَيّ) – أي مُقرَّبٌ منه في المَنزلة والعطاء، وقريبٌ إلى رضاه عنه، وليس مُقرَّباً منه بجسده)، فمَن دعا ربه بقلبٍ حاضر، ودعاءٍ مشروع (يعني لا يكونُ فيه طلبٌ لمعصية معينة أو قطيعة رَحِم)، ولم يَمنع مانعٌ من إجابة الدعاء (كالرياء وأكْل الحرام) فإنَّ اللهَ تعالى قد وَعدَهُ بالإجابة.

الآية 187: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾: أي أحَلَّ اللهُ لكم جماعَ نسائِكم في ليالي رمضان، بعد أن كانَ ذلك مُحَرَّمًا عليكم، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾: أي هُنّ سِترٌ وحِفظٌ لكم من الوقوع في الفاحشة، ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي كنتم تخونون أنفسكم بمخالفة ما كانَ مُحَرَّمًا عليكم من مُجامعة زوجاتكم في ليالي الصيام، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: يعني فلم يؤاخذكم بما فعلتم، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ بأنْ وَسَّع لكم في الأمر وأباحه لكم ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ في ليالي الصيام ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي واطلُبوا ما قدَّره اللهُ لكم من الأولاد، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي حتى يتَّضح ضياء الصباح مِن سَواد الليل، وذلك بظهور الفجر، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي إلى المغرب ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾: أي بمِثل هذا البيان الواضح، يُبين اللهُ آياتِهِ وأحكامه للناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

الآية 188: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾: يعني ولا يأكل بعضُكم مالَ بعضٍ بسببٍ باطل، كاليَمين الكاذبة، والسرقة، والرِّبا، والرِّشوة (وهي أخْذ حق بغير حق، نَظير مُقابل مادِّي)، حتى وإنْ وصلَ الأمرُ إلى الحاكم أو القاضي، فيَحْرُمُ أن يُلقي – مَن يريدُ أكْل المال – بالحُجج الباطلة للحاكم أو القاضي، ولذلك قال تعالى: ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾: أي ولا تُلقوا بهذه الأسباب الباطلة (كالرشوة وشهادة الزُّور، والحَلِف الكاذب) إلى الحُكام والقُضاة ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ﴾: أي لتأكلوا قطعة من أموال الناس بالباطل، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حُرمَة ذلك.

****

12. تفسير الربع الثاني عشر من سورة البقرة

الآية 189: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ وتغيُّر أحوالِها على مَدَى الشهر، وعن الحِكمة من ذلك، (والأهِلّة: جمع هِلال) ﴿قل هي مواقيتُ للناس والحَجّ﴾: أي هي علامات يَعرفُ الناسُ بها أوقات عباداتِهم المُحدَّدة بوَقت (مثل الصيام والحج)، وأيضًا يَعرفون بها أوقات معاملاتِهم (مثل وقت سَداد الدَّيْن، وغير ذلك)، وقد خَصَّ اللهُ تعالى الحَجَّ بالذِّكر؛ لأنه يقع في أشهُرٍ معلوماتٍ – وهي: شوّال، وذو القعدة، وذو الحِجّة –، ويَستغرقُ أوقاتًا كثيرة.

﴿وليس البِرُّ﴾ ما تعوَّدتُم عليه – في الجاهلية وأوّل الإسلام – حِينَ كنتم تُحرِمُون بالحَجّ أو العُمرة ﴿بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، فقد كنتم تتسلقون سُور جِدَار البيتِ الحرام، وتدخلونَ مِن ظَهْر البيت، ظانِّين أنّ ذلك يُقَرِّبُكُم إلى اللهِ تعالى، فهذا ليسَ من البِرِّ؛ لأنّ اللهَ تعالى لم يُشرِّع لكم ذلك، وَكُلّ مَن تعبّدَ للهِ بعبادةٍ لم يشرعها اللهُ ولا رسولُهُ، فهو مُتعَبِّدٌ بِبِدعَة، ﴿ولَكِنَّ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾: أي ولكنّ الخيرَ هُو فِعْلُ مَنِ اتَّقى اللهَ تعالى واجتنبَ مَعاصِيه، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ المعتادة؛ لِما في ذلك مِن السهولةِ، التي هي أصْلٌ من أصول الشرع، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي لِتفوزوا بكل ما تحبون مِن خَيرَي الدنيا والآخرة.

الآية 190: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ من المشركين، أمّا المُسالِمينَ لكم فلا تقاتلوهم، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: يعني ولا ترتكبوا ما نَهاكم اللهُ ورسوله عنه (مِن التمثيل بالجُثث – أي تشويه مَنظرها بعد موتها –، وقَتْلِ النساءِ والصِّبيان والمَرضى والشيخ الكبير والراهب)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الذين يُجَاوِزُونَ حُدُودَهُ، ويَستَحِلّونَ ما حَرَّمَ اللهُ ورسوله.

الآية 191: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي حيثُ وجدتمُوهُم، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي مِن مَكّة، ﴿والفتنة﴾ وهي الشركُ بالله، وَصدّ الناس عن الدخول في الإسلام: ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾: أي أشَدّ مِن قتلِكُم إياهم، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ تعظيمًا لِحُرُماتِهِ ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: أي حتى يَبدؤوكم بالقتال فيه، ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ في المسجد الحرام ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه، ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: أي مِثل ذلك الجزاء الرادع يكونُ جزاء الكافرين.

الآية 192: ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عَن الكُفر وعن قتالِكُم، ودخلوا في الإسلام: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية 193: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾: أي واستمِروا في قتال المشركين المُعتدين؛ وذلك ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ هناك ﴿فِتْنَةٌ﴾ للمسلمين عن دينهم، وحتى لا يكونَ هناك شركٌ باللهِ تعالى، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾: أي ويَبقى الدينُ للهِ وحده – خالصًا – لا يُعْبَدُ معه غيرُه، ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي فالعقوبة لا تكونُ إلا على الظّالِمينَ المستمرين على كُفرهِم واعتدائهم.

الآية 194: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: أي قتالُكم للمشركين في الشهر الذي حَرَّم اللهُ القتالَ فيه، هو جزاءٌ لقتالِهم لكم في الشهر الحرام، ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾: يعني والذي يَعتدي على ما حَرَّمَ اللهُ من المكان والزمان، يُعاقَبُ بمِثل فِعله، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عليكم﴾ ولا حرجَ عليكم في ذلك؛ لأنهم هم البادئون بالعُدوان، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بعدم تجاوُز المُماثلة في العقوبة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بعَوْنِهِ ونَصْرِه.

♦ واعلم أنّ الأشهر الحُرُم هي: (رجب، وذو القعدة، وذو الحِجَّة، والمُحَرَّم)، وقد كانَ العَربُ يُحَرِّمُونَ القتالَ في هذه الأشهُر – وذلك في الجاهليةِ قبلَ الإسلام – فلمّا جاءَ الإسلامُ أقرَّ ذلك، بل وَعَظَّمَ المَعصِية في هذه الأشهُر، كما قال تعالى في سورة التوبة: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

الآية 195: ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ مِن أموالِكم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يعني في الطرق المُوصلة إلى رضا اللهِ تعالى، وهي كُلّ طرق الخير (مِن صدقةٍ على مسكين، أو قريب، وأعظمُ ذلك – وأوّل ما دَخَلَ في ذلك – هو الإنفاق في الجهاد في سبيل الله؛ لتقويَة المسلمين، وإضعافِ المشركين، فإنّ النفقة فيهِ جهادٌ بالمال، وهو فرضٌ كالجهادِ بالبَدَن)، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بترك الجهاد في سبيل الله، وعدم الإنفاق فيه.

www.alukah.net

♦ ولَمّا كانت النفقة في سبيل الله نوعًا من أنواع الإحسان، أمَرَ اللهُ تعالى بالإحسان عمومًا، فقال: ﴿وأحسِنوا﴾ - أي في كل أمُورِكم -، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، والإحسانُ - كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مُسلِم -: (أن تعبُدَ اللهَ كأنك تراه، فإنْ لم تكنْ تراهُ، فإنه يَراك).

الآية 196: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: يعني وأدُّوا الحَجّ والعُمرة تامَّيْن، خالِصَيْن لوجهِ اللهِ تعالى، ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: يعني فإنْ مَنَعَكُم مانعٌ عن الذهاب لإتمامِهما (كالعَدُوّ والمرض)، وذلكَ بعد أن نويتم الدخولَ في النُّسُك: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: أي فالواجب عليكم ذَبْحُ ما تيَسَّرَ لكم من الإبل، أو البقر، أو الغنم.

♦ واعلم أنّ أقلَّ ما يُجزئ في الهَدْي: (شاة (يعني ضأن أو ماعز، ذكر أو أنثى)، أو سُبع بقرة (يعني يُشارِكُ سِتَّة غيره في ثَمَنِها)، أو سُبع جَمَل)؛ وذلك لكي تَخرُجوا وتتحلّلوا مِن إحرامِكُم بحَلق شعر الرأس أو تقصيره، ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ﴾ إذا كنتم مُحصَرين - أي مَمنُوعين - ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾: أي حتى يَذبح المُحصرُ هَدْيَهُ في المَوضِع الذي مُنِعَ فيه مِن إتمام النُّسُك، كما نَحَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في "الحُدَيْبِيَة"، ثم حَلَقَ رأسه، وأمّا غير المُحصَر فلا يَنحَر الهَدْي إلا في الحَرَم (وذلك في يوم العِيد، أو في أيّ يوم من الثلاثة الأيام التي تَلِي يوم العِيد).

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾: يعني فإذا حصل الضرر، بأنْ كانَ هذا المُحصَرُ مَريضًا (ويُرجَى شفاؤهُ إذا حلق رأسه) ﴿أو﴾ كانَ ﴿به أذًى مِن رأسِهِ﴾ مِثل الجُرُوح، والحَشَرة المعروفة بـ (القمل) ونحو ذلك مِمَّا يَجعله يَحتاجُ إلى الحَلق (وهو مُحْرِم قبل أن يَنحر الهَدْي)، فإنه يَحلق وعليه الفِديَة، وقد ذكر اللهُ هذه الفِديَة في قوله : ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾: أي يصوم ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾: يعني أو يتصدق على سِتة مساكين، بحيث يُعطي لِكل مسكين منهم نصفَ صاعٍ من طعام، (والصّاع: هو ما يُقَدّر بـ 2.5 كيلو جرام تقريبًا)، ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾: يعني أو يَذبح شاة، ويُوَزِّعها على فقراء الحَرَم (هكذا على سبيل التَخيير، وحَسَب الأيْسَر له: إما الصيام، أو الصدقة، أو الذبح).

﴿فَإِذَا أَمِنْتُم﴾: يعني فإذا كنتم في أمْنٍ وصِحَّة، ولم تُمنَعُوا عن إتمام النُّسُك: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ﴾ منكم ﴿بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ وذلك بأن أحْرَمَ بعُمرةٍ في أشهُر الحج، ثم تحَلّلَ بعد انتهاء عُمرَتِه (أي فعل ما كانَ مُحَرَّمًا عليه بسبب الإحرام)، ثم بقِيَ في مكة يَنتظرُ الحَجّ، وحَجَّ فِعلاً: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: أي فعليه ذَبْحُ ما تيَسَّرَ مِن الهَدْي (سواء مِن الإبل، أو البقر، أو الغنم)، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ هَدْيًا يذبحه: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي﴾ أشهر ﴿الْحَجِّ﴾ ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكُم، ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ لابُدَّ مِن صيامِها، ﴿ذَلِكَ﴾: أي ذلك الهَدْيُ وما تَرَتّبَ عليه من الصيام يكونُ ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي ليس أهلُهُ مِن سُكَّان مَكّة، (واعلم أنّ المُقيمين في مَكّة لِعَمَلٍ أو تجارةٍ أو نحو ذلك، فأولئك أيضًا ليسُوا مِن حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أموركم، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ومِن ذلكَ امتثالكم لهذه المأمورات، واجتناب هذه المَحظورات المذكورة في هذه الآية، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَن خالفَ أمْرَه وَعَصَاه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 197: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾: أي وقتُ الحَج أشهرٌ يَعلمها الناس، ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾: يعني فمَن أوْجَب على نفسِهِ الحَجّ في هذه الأشهر، وذلك بالإحرام (وهو نيَّة الدخول في النُسُك) ﴿فَلا رَفَثَ﴾: يعني فيَحرُمُ عليه الجِماعُ، ومُقدِّماتهُ القولية والفِعليَّة، ﴿وَلا فُسُوقَ﴾: أي ويَحرُمُ عليه الخروج عن طاعة اللهِ تعالى بفعل المعاصي ﴿وَلا جِدَالَ﴾: أي ويَحرُمُ عليه الجدالُ الذي يؤدي إلى الغضب والكراهية، كلُّ ذلك حَرَّمَهُ اللهُ ﴿فِي الْحَجِّ﴾.

♦ إذ إنّ المقصود مِن الحَجّ: (الذل والانكسار للهِ تعالى، والتقرُّب إليه بما أمكنَ مِن القُربَات، والترَفُّع عن فِعل السيئات)، فإنه بذلك يكونُ حَجًّا مَبرورًا، والحَجّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة، واعلم أنّ هذه الأشياء - وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان - فإنها تكونُ أعظمَ إثمًا في الحج.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ وهذا يَتضمن غاية الحَثّ على أفعال الخير، وخصوصًا في تلك البِقاع الشريفة، فإنه ينبغي تدارُك ما أمكنَ تدارُكُهُ فيها مِن صلاةٍ وصدقةٍ وطوافٍ، وغير ذلك، وقد ثبت عن النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم أنّ الصلاة في المسجد الحرام تُعادِلُ مائة ألفِ صلاةٍ في غيره (انظر حديث رقم: **3841** في صحيح الجامع)، ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾: أي وخذوا لأنفسِكم زادًا مِن الطعام والشراب والمال لسَفر الحَج؛ (فإنّ الإنسانَ إذا تزوّد: استغنى عن المخلوقين، وكَفَّ عن سؤالِهم وأموالَهُم)، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾: أي وخذوا أيضًا زادًا مِن صالِح الأعمال للدار الآخرة، فإنّ خيرَ الزادِ: تقوى اللهِ تعالى، فهذا هو الزاد الحقيقي، المستمرُّ نفعُهُ لِصَاحِبِهِ في دُنياهُ وآخِرَتِه، وهو المُوصِلُ لأكمَلِ لذةٍ، وأسْعَدِ حياةٍ، ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾.

الآية 198: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي لَيسَ عَلَيكُمْ إثمٌ ولا حرج في أن تطلبوا رزقاً من ربكم (بالربح مِن التجارة وغيرها) في أيام الحج، ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: يعني فإذا دُفِعتم - مع الزحام - راجعين ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ وهي المكان الذي يقف فيه الحُجّاج يومَ التاسع مِن ذي الحِجَّة، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتسبيح والتلبية والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ وهو المُزدَلفة، ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أي كما مَنَّ عليكم بالهداية بعدَ الضلال، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي مِن قبل هذا الهُدى ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾: أي كنتم في ضلالٍ لا تعرفونَ معهُ الحق.

الآية 199: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾: يعني وَلْيَكُن اندفاعُكُم مِن مُزدَلفة، التي أفاضَ منها إبراهيمُ عليه السلام ، مُخالِفينَ بذلك مَن لا يَقف بها مِن أهل الجاهلية، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ مِن الخَلَل والتقصير الذي وَقَعَ منكم في عبادة الحَج ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لعبادِهِ المُستغفِرين التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

الآية 200: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾: يعني فإذا فرَغتم من أعمال الحج: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾: أي فأكثِروا مِن ذِكر اللهِ والثناء عليه، مِثل ذِكْركم مَفاخِر آبائكم وأعظم من ذلك.

www.alukah.net

♦ ثم أخبَرَ تعالى عن أحوال الخَلق، وأنَّ الجميع يَسألونه مَطالبهم، ولكنّ مَقاصدهم تختلف: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ﴾ يَجعل هَمَّهُ الدنيا فقط، فـ ﴿يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ أي صِحَّةً ومالاً وأولادًا وغير ذلك، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: أي وليس له حَظٌّ ولا نصيب في نعيم الآخرة، لعدم رغبته فيها ولأنّ هَمَّهُ كانَ مُقتصراً على الدنيا.

الآية 201: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي زوجةً صالحة، وصِحَّةً ورزقاً، وولداً صالحاً، وعِلمًا نافعًا، وعملاً مُتقَبَّلاً، وغير ذلك من أمور الدِّين والدنيا، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ أي الجنة، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

الآية 202: ﴿أُولَئِكَ﴾ الداعُون بهذا الدعاء ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾: أي لهم ثوابٌ عظيم، بسبب ما كَسَبُوهُ من الأعمال الصالحة (ولذلك ينبغي للعبد أن يُكثِرَ مِن قول هذا الدعاء، كما كانَ يفعل النبي صلى الله عليه وسلم)، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يُعجزُهُ إحصاءُ أعمالِهم، ومُحاسبتهم عليها.

****

13. تفسير الربع الثالث عشر من سورة البقرة

الآية 203: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ تسبيحًا وتحميدًا وتهليلاً وتكبيرًا ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾: يعني في أيامٍ قلائِل، وهي أيام التشريق: (الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر) مِن شهر ذي الحِجَّة، التي هي: (ثاني وثالث ورابع) أيام عِيد الأضحى، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾: يعني فمَن أرادَ التعَجُّل، والخروج مِن "مِنَى" (وهو المكان الذي يَرمي فيه الحُجَّاج الجَمَرَات)، فإذا خرج الحاجُّ منها قبل غروب شمس ثالث أيام عيد الأضحى، بعد رَمْي الجِمَار ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بأنْ باتَ بـ "مِنَى" حتى يَرمي الجِمار في رابع أيام عِيد الأضحى ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ اللهَ في حجِّه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ بعدَ موتكم للحساب والجزاء.

الآية 204: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: أي ومِن المنافقينَ ﴿مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ الفصيح ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي إذا تحدث في أمرٍ من أمور الدنيا، بخِلافِ أمُور الآخرة، فإنه يَجْهَلُهَا، ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾: أي يُخبرُكَ أنَّ اللهَ يَعلم ما في قلبهِ مِن مَحَبَّة الإسلام، وذلك بأن يقولُ للرسول صلى الله عليه وسلم: (يَعلمُ اللهُ أني مُؤمن، ويَشهَدُ اللهُ أني أحِبُّك)، وهو كاذب؛ لأنَّ فِعلهُ يُخالِفُ قوْله، وفي هذا غاية الجُرأة على الله، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: أي وهو شديدُ العَدَاوةِ للإسلام والمسلمين.

الآية 205: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: يعني وإذا خرجَ هذا المنافق مِن عندِكَ أيها الرسول: ﴿سَعَى﴾: أي جَدَّ ونَشِطَ ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾: أي ويُتلِف زروعَ الناس، ويقتل ماشيَتهُم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.

الآية 206: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ واحذرْ عقابَهُ، وكُفَّ عن الفسادِ في الأرض، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: أي لم يقبل النصيحة، بل يَحمِلهُ الكِبْرُ على مَزيدٍ من الآثام، ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾: أي يَكفيهِ عذابُ جَهَنَّم، التي هي دار العاصين والمتكبرين، ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: أي وهي بِئسَ الفِراش والمُستقَر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 207: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ أي يَبيعُ ﴿نَفْسَهُ﴾ بالجهادِ في سبيل الله، والتزامِ طاعتِهِ ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾: أي طلبًا لرضا اللهِ عنه، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ يَرحمُ عبادهُ المؤمنين رحمة واسعة، ويُجازيهم أحسنَ الجزاء.

الآية 208: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ – وهو الإسلامِ – ﴿كَافَّةً﴾: أي ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، عاملينَ بجميع أحكامِه، ولا تتركوا منها شيئًا، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: أي ولا تتبعوا طرُقَ الشيطان فيما يَدعوكُم إليهِ من المعاصي، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ فاحذرُوه، وأغلِقوا عليهِ أيَّ بابٍ يأتيكُم مِنه.

الآية 209: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: يعني فإن انحرفتم عن طريق الحق، مِن بعد ما جاءتكم الحُجَج الواضحة مِن القرآن والسُنَّة: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي قاهِرٌ لِكُل شيءٍ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تصرفِهِ وَشَرعِهِ وتدبيره (يضعُ كُلَّ شيءٍ في مَوضِعِه)، وفي هذا مِن الوَعيد والتخويف ما يُوجِبُ تركَ المعاصي والإعراض عن الحق، فإنَّ العزيزَ الحكيمَ إذا عَصَاهُ العاصِي – ولم يَتُب – قَهَرَهُ بقوّتِهِ، وَعَذبَهُ بعَدلِهِ وحِكْمَتِه، فإنَّ مِن حِكمتِهِ: تعذيبَ العُصاةِ والكافرين.

الآية 210: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: يعني هل يَنتظرُ هؤلاء المعانِدونَ الكافرونَ ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ عَزَّ وَجَلَّ يومَ القيامةِ لِيَفصِلَ بينهم بالقضاءِ العادل – إتيَانًا حقيقيًّا بذاتِهِ على الوَجْهِ اللائق بهِ سُبحانه – وليسَ كما يقولُ البعضُ بأنه يأتي أمرُهُ فقط، ففي صحيح مُسلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال – وهو يتحدث عن يوم القيامة –: (حتى إذا لم يَبْقَ إلاَّ مَن كان يَعْبُدُ اللَّهَ تعالى مِن بَرٍّ وفاجر: أتاهم رَبُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنَى صورةٍ مِن التي رأوهُ فيها)، ﴿فِي ظُلَلٍ﴾: أي معَ ظُلَلٍ – وهي جَمْع ظُلَّة – ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ أي مِن السَّحاب الأبيض الرقيق، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: أي وستأتي الملائكةُ الكِرَام، فتحِيطُ بالخَلائق، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: يعني وحينئذٍ يَقضي اللهُ تعالى فيهم أمرَهُ وقضاءَهُ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: أي ومَصِير جميع الخلائق إلى اللهِ وَحدَهُ، فيُجازي كُلاًّ على قدْر استحقاقِه، إنْ خَيرًا فخيرٌ، وإنْ شَرًّا فشرٌّ.

الآية 211: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المُعاندينَ لك: ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: يعني كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِن علاماتٍ واضحاتٍ كثيرة في كُتُبِهِم تهديهم إلى الحق، فكفروا بها كلها، وأعرضوا عنها، وحَرَّفوها عن مَوَاضِعِهَا، ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ – وهي دِينهُ – ويَكفر بها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾: أي مِن بعدِ مَعرفتِها، وقيام الحُجَّةِ عليهِ بها: ﴿فَإِنَّ اللهَ شديدُ العقابِ﴾ له.

الآية 212: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وما فيها من الشهوات والمَلذات الفانيَة، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يعني وهؤلاء الذين اتقوْا رَبَّهُم – مِن المؤمنين – فوقَ جميع الكفار يوم القيامة، حيثُ يُدخلهم اللهُ أعلى درجات الجنة، ويُنزلُ الكافرين أسفل دَرَكَات النار، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي بغير عدد ولا حَدّ، وذلك لِوَاسِعِ فضلِهِ سبحانه وتعالى.

الآية 213: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي جماعة واحدة متفقين على الإيمان بالله، ثم اختلفوا في دِينهم، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي الكُتب السماوية ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي اشتملتْ عليه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: أي لِيَحكُمَ النَّبِيُّونَ – بما في هذه الكتب – بين الناس فيما اختلفوا فيه، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي في أمر محمد

www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم وكتابه ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: يعني إلا الذين أعطاهُمُ اللهُ الكتاب (أي التَوْراة) وهُم اليهود ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي ظلمًا وحسدًا؛ لأنهم كانوا يَرجُون أن يكون هذا النبي مِن بني إسرائيل وليس مِن العرب، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾: أي فوَفَّقَ اللهُ المؤمنين بفضلِهِ إلى تمييز الحق مِن الباطل، ومَعرفة ما اختلفوا فيه ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

الآية 214: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ دونَ أن تُبْتَلوا؟ ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي ولا بُدَّ أن يُصيبكُم – مِن الابتلاء – مِثلُ ما أصابَ المؤمنين الذين مَضوا مِن قبلِكم، فقد ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾: أي أصابهم الفقر والأمراض، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ بأنواع المَخاوف والابتلاءات، ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ – على سبيل الاستعجال للنصر مِن اللهِ تعالى –: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾؟ ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ من المؤمنين.

الآية 215: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي يَسألك أصحابك ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ مِن أصناف أموالِهم تقرُّبًا إلى اللهِ تعالى، وعلى مَن يُنفقون؟ ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني أنفقوا أيَّ خيرٍ يَتيسر لكم مِن أصناف المال الحلال، واجعلوا نفقتكم: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي أقربائكم ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وسيُجازيكم عليه.

الآية 216: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ لِمَشقتِهِ وكثرة مَخاطره – وهوَ مَكروهٌ مِن جهة الطبْع البشري الذي يُحِب الحياة ويكرهُ الموتَ – ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ﴾ في حقيقتِه ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إذ إنَّ الشهادة في سبيل اللهِ تتسَبَّبُ في غفران جميع الذنوب – إلا الدَّيْن وحقوق العِباد – وكذلك تتسَبَّبُ في النجاة من عذاب النار وعذاب القبر، والفوز بالجنة، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ لِمَا فيه مِن الراحة أو اللذة العاجلة ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خيرٌ لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فبادِروا إلى الجهاد في سبيلِه – وذلكَ بعد إذنٍ مِن وليّ الأمر (وهو حاكم البلد) – فبِمَا أنها مَوتةٌ واحدة، فلتكُنْ للهِ جَلَّ وَعَلا؛ حتى تكونَ كَلِمَتُهُ هي العُليا، وذلك بأن يُعبَدَ ولا يُعبَد غيرُه.

♦ وفي هذه الآية تصبير لِكُلِّ مَن كانَ يَظنُّ أنَّ الخيرَ في أمرٍ ما، ثم لم يَتحقق له ذلك الأمر، فإنه لا بد أن يَعلمَ أنَّ الإنسانَ جاهِلٌ بما فيه الخير والمَصلحة؛ لأنه لا يَعلمُ الغيبَ، فعليه أن يُفوِّضَ أمرَهُ كُلهُ للهِ تعالى، الذي يَعلمُ الغيبَ وحدهُ، والذي يَعلمُ أين الخير؛ ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الآية 217: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ أي: هل يَحِلُّ القتال فيه؟ ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: أي عظيمٌ – في حُرمَتِهِ – عند اللهِ تعالى، ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي واعلموا أنَّ مَنْعَكُمُ الناسَ – بالتعذيب والتخويف – مِن الدخول في سبيل اللهِ (وهو الإسلام)، ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾: يعني وأنَّ جُحودكُم باللهِ وبرسوله وبدينه، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يعني وأنَّ صَدَّكُمُ الناسَ عن دخول المسجد الحرام، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾: يعني وأنَّ إخراجَ النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين منه – وهُم أهله وأولياؤه – ، كُلُّ ذلك ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ذنبًا، وأعظمُ جُرمًا مِن القتال في الشهر الحرام، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ وهي الشِرك الذي أنتم عليه ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ في الشهر الحرام ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ تحقيقَ ذلك ﴿وَمَنْ

يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي بَطُلَ أجْرُها فلا يُثابون عليها ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (ولَعَلّ المقصود بحبوط أعمالهم في الدنيا: إزالة آثارها النافعة مِن حياةٍ طيبة وغير ذلك) ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 218: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ باللهِ ورسولِهِ وعَمِلوا بشرْعِهِ، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ وتركوا ديارَهُم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ أي يرجون بأعمالهم رحمة ربهم، ولا يَرجُونَ أعمالهم فقط ؛ لأنهم يَعلمونَ أنه مهما عَظُمَت أعمالُهُم، فإنها لا تَعْظُمُ على العظيمِ جَلَّ جلالُه ، وأنهم لن يَدخلوا الجنة بأعمالهم، إنما يَدخلو نها – فقط – برحمةِ اللهِ تعالى لهم.

♦ وفي هذا إرشادٌ إلى عدم الإعجاب والاغترار بالعمل، فإنَّ العبدَ لا يدري: هل قُبِلَ العملُ منه أو لا؟ وإنْ قُبِلَ منه، فلا يدري: هل فعَلَ شيئاً مِن مُحبِطات الأعمال أم لا؟، ولذلك ينبغي لِلعبدِ أن يَعملَ العمل، ثم يرجو رحمة ربه، فيقولُ مَثلاً: (يا ربِّ، أنا أعلمُ أنَّ هذا العمل لا يَستحِقُّ أن يُعرَضَ عليكَ، فضلاً عن أن يُقبَل، ولكني أعلمُ أنك كريم، فاقبلهُ يا ربِّ رَحمَةً مِنك وَفضلاً)، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذنوب عِبادِهِ المؤمنينَ التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بمَن اتَّقاهُ، كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وقال – أيضا –: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

♦ فعَلى العَبدِ أن يأخُذَ بأسباب هذه الرحمة ، وذلك بأنْ يَتقي اللهَ قدرَ المُستَطاع، وألاَّ يُصِرَّ على مَعصيَتِه، وإذا وقعَ في ذنبٍ ما، فعليهِ أن يُسارعَ بالتوبةِ (بندمٍ صادقٍ على ما فات، وبعَزمٍ قويّ – وإصرارٍ مُؤَكَّد – على عدم العودة إلى الذنوب مرة أخرى)، فقد قال تعالى في وَصْفِ عبادِهِ المتقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

****

14. تفسير الربع الرابع عشر من سورة البقرة

الآية 219، والآية 220: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ حُكم تعاطِي ﴿الْخَمْرِ﴾ شُربًا وبَيعًا وشِراءً، (والخمرُ هو كل مُسكِرٍ غَطَّى العقلَ وأذهَبَهُ – مشروبًا كانَ أو مَأكولاً، أو تَمَّ إدخالُه للجسَد بأي وَسِيلة)، ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾: أي ويسألونك عن حُكم القِمار (وهو أخْذُ المال أو إعطاؤه بالمُقامَرة، وهي المُغالَبات التي فيها عِوَض من الطرفين)، ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: يعني فيهما أضرارٌ ومَفاسدُ كثيرة في الدِين والدنيا، والعقول والأموال، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: أي وفيهما منافعُ للناس مِن جهة كَسْب الأموال وغير ذلك، ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ إذ يَصُدَّان عن ذِكر اللهِ وعن الصلاة، ويُوقعان العداوة والبَغضاء بين الناس، ويُتلِفان المال، وكان هذا تمهيدًا لتحريمِهمَا.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾: أي يسألونك عن القَدْر الذي يُنفقونه مِن أموالِهم تبرُعًا وصدقة، ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾: أي أنفقوا القَدْر الذي يَزيدُ على حاجاتِكم الضرورية ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لعلكم تتفكرون﴾ فيما ينفعُكم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ كيف يتصرفون معهم في مَعاشهم وأموالهم؟ ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾: أي إصلاحُكم لهم خيرٌ،

www.alukah.net

فافعلوا الأنفعَ لهم دائمًا، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ في سائر شؤون المعاش: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾: أي فهُم إخوانكم في الدِين، وعلى الأخ أن يُراعي مصلحة أخيه؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في الصَحِيحَيْن (البخاري ومُسلِم) -: (لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنفسِه)، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ المُضَيِّع لأموال اليتامى ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ الحريص على إصلاحها، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: أي لضيَّقَ وشَقَّ عليكم بتحريم مُخالطةِ أموالِهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي غالب، لا يمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تشريعه لعباده.

الآية 221: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾: أي ولا تتزوجوا ﴿الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾: أي حتى يَدخُلنَ في الإسلام، ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ﴾: أي واعلموا أنَّ امرأة مَمْلوكة لا مال لها ولا حَسَب، ولكنها مؤمنة ﴿خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حُرَّة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ هذه المُشركة الحُرّة، ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: أي ولا تُزَوِّجوا نساءَكُم المؤمنات - إماءً كانوا أو حَرائِر - للمشركين ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ باللهِ ورسوله، ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ﴾ - وإنْ كانَ فقيرًا - ﴿خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ هذا المُشرك، ﴿أُولَئِكَ﴾ المُتصِفون بالشِرك - رجالاً ونساءً ﴿يَدْعُونَ﴾ كل مَن يُعاشرُهم ﴿إِلَى النَّارِ﴾: أي إلى ما يُؤدي به إلى النار، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ عباده إلى دينِهِ الحق، المُؤَدِّي بهم ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ ومَشيئتِه، فهو سُبحانهُ يَهدي مَن يشاءُ بفضلِهِ ورحمته، ويُضِلُّ مَن يشاءُ بِعَدْلِهِ وحكمته، وقد أخبرَ تعالى - في آياتٍ أخَر - أنه يَهدِي إليهِ مَن أنابَ (أي رَجَعَ إليه تائبًا)، وأنه يُضِلُّ الظالمين، ويُضِلُّ الفاسقين، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيَعتبروا.

الآية 222: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ - وهو الدَم الذي يَسِيلُ من رَحِمِ المرأة بعد بلوغها في أوقاتٍ مُعتادة، وهو دَمٌ طبيعيٌّ، ليسَ له سببٌ مِن مَرَضٍ، أو جُرْحٍ، أو سُقوطٍ، أو ولادَة - ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: أي مُستقذَرٌ يَضُرُّ مَن يَقْرَبُه، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾: أي فاجتنبوا جِماع النساء مُدَّة الحَيْض، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ أي حتى يَنقطِعَ الدم عنهُنَّ، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ بالماء واغتسلنَ ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ وهو القبل لا الدُّبُر، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ المُكثِرين من الاستغفار والتوبة، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ الذين يَبتعدون عن الفواحش والأقذار.

الآية 223: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي مَوضِع زرْعٍ لكم، تضَعُونَ النُّطفة في أرحامِهِنَّ، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يعني بأيّ كَيْفِيَّةٍ شِئتم، طالما أنَّ ذلك في مَحِلِّ الجماع، وهو القبل، ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أعمالاً صالحة، ومِن هذه الأعمال: (تحصينُ النفس والزوجة بالجماع، وإنجابُ الأولاد الصالحين الذين يُوَحِّدُونَ اللهَ تعالى، ويَدعُونَ - طوالَ حياتِهِم - لوالدَيْهِم).

♦ وقد قال بعضُ المُفسِّرين في قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي وابدؤوا بالمُداعَبَة والمُلاطفة)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بمُراعاة أوامِرِهِ وَحُدودِه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ فلا تغفلوا عن ذِكْرِهِ وطاعتِهِ؛ إذ إنَّ هذا هو الزادُ الذي ينفعُكُم يومَ تقفونَ بينَ يَدَيهِ سُبحانه، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بما يُفرِّحُهُم وَيَسُرُّهُم مِن حُسن الجزاء في الآخرة.

الآية 224: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾: أي ولا تجعلوا حَلِفَكُم باللهِ مانِعًا لكم مِن ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾، وذلك بأن تُدْعَوا إلى فعل شيءٍ مِن هذه الأشياء: (البِرّ - وهو أيُّ فِعلٍ مِن أفعال الخير -، والتقوى، والإصلاح بين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الناس)، فتحتَجُّوا بأنكم قد أقسمتم باللهِ ألاَّ تفعلوا ذلك، بل على الحالِفِ أن يَرجِعَ عن حَلِفِهِ، ويَفعل أفعالَ البرِّ، ويُكَفِّر عن يَمينِه، ولا يَعتاد ذلك، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالِكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بجميع أحوالِكم.

الآية 225: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: أي لا يُعاقبُكمُ اللهُ بسبب أيمانِكُم التي تحلفونها بغير قصد؛ وذلك بأنْ يَذكُرَ الإنسان لفظ الجَلالة بصيغةِ القَسَم (وَاللهِ)، ولكنْ - ليسَ في نِيَّتِهِ - عقد اليَمين، كأنْ يُقدِّمَ طعامًا لِضَيفِهِ، ويقول له: (وَاللهِ لَتأكُلنَّ)، وهو ليسَ في نِيَّتِهِ القسَم، وكذلك أن يَحلفَ الإنسانُ على شيءٍ يَظنُّهُ كَذا، ثم يَتبَيَّنُ لهُ خِلافُ ما ظَنَّ، مِثلَ أنْ يقول: (واللهِ ليسَ في جَيْبي دِرْهَمٌ ولا دِينارٌ)، وهو ظانٌّ - أو جازمٌ - أنه ليسَ في جيبِهِ شيءٌ مِن ذلك، ثم يَجدهُ، فهذا لا يؤاخذكم اللهُ عليه.

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي بما قصدَتْه قلوبُكم مِن الإثم، وذلك كأن يَحلِفَ المرءُ باللهِ - كَذِبًا - لِيَأخُذَ حَقَّ أخيهِ المُسلِم بيمينِهِ الكاذبة، فهذه هي اليَمين الغَمُوس، التي تغمِسُ صاحبَها في الإثم، ثم تغمِسُهُ في النار، وهذه لا تنفعُ فيها كفارة اليَمين - وهي الكفارة المَشروعة لِمَن حَلفَ حَلِفًا ثم نَقضَهُ - وإنما على صاحب اليَمين الغمُوس: التوبة؛ وذلك بتكذيب نفسه، والاعتراف بذنبه، وَرَدِّ الحق الذي أخذهُ إلى صاحبه، وبذلكَ يغفرُ اللهُ له ﴿وَاللَّهُ غفورٌ﴾ لِمَن تابَ مِن ذنوبه، ﴿حليمٌ﴾ على عبادِهِ؛ حيثُ لم يُعاجل مَن عَصاهُ بالعقوبة.

الآية 226: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِسَائِهِمْ﴾ يعني: على الذين يَحلِفون باللهِ ألاَّ يُجامِعُوا نساءَهم: ﴿تَرَبُّصُ﴾: أي انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾: يعني فإن رجعوا - عن حَلِفِهِم - وجامَعوا نِساءهُم قبل فوات الأشهر الأربعة: ﴿فإنَّ اللهَ غفورٌ﴾ لِما وقعَ منهم مِن الرجوع عن الحَلِف، وكذلك يَغفرُ لهم ما ارتكبوهُ مِن الذنب في حَق نسائِهم، ﴿رحيمٌ﴾ بهم؛ حيث جَعلَ لأيْمانِهم كفارة، ولم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك، ورحيمٌ بهم أيضًا بسبب توبتهم؛ حيثُ رجعوا إلى زوجاتهم، وَحَنُّوا عليهنَّ وَرَحِمُوهُنَّ.

الآية 227: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ﴾: يعني وإنْ أصَرُّوا على الطلاق (وذلك باستمرارهم في اليَمين وترْكِ الجِمَاع) فقد وَجَبَ على الزوج أن يُطَلِّقَ زَوجته، وإلاَّ أجبرَهُ الحاكم - أو القاضي - على تَطليقِها، فإن رفض: طلقهَا القاضي عليه، ﴿فإنَّ اللهَ سميعٌ عليمٌ﴾: أي وليَعلمْ مَن يَحلِفُ هذا الحَلِف أنَّ اللهَ سميعٌ لأقوالِهم، عليمٌ بمقاصِدِهِم السيئة، وسيُجازيهم على ذلكَ فليَحذروه، وفي هذا وَعِيدٌ وتهديدٌ لِمَنْ يَحلف هذا الحَلِف ويَقصِدُ به الإضرارَ بزوجته.

♦ واعلم أنَّ الطَّلاقَ هو: فكُّ رابطةِ الزوجية؛ وذلكَ بقوْلِ الزوج: (هي طالِق أو: هي مُطلقة أو: طلقتُكِ)، وأمّا إذا عَلقَ الزوجُ الطلاقَ بشرطٍ ما، كأن يقولَ مَثلاً: (إنْ تفعلي كذا: تكوني طالقًا)، فقد أفتى الشَّيْخُ مصطفى العَدَويُّ - أثابهُ الله - بأنَّ هذا لا يَقعُ طلاقًا، وإنما عليهِ أن يُكَفِّرَ كفارة يَمين (وذلك بأن يُطعِمَ عشرة مساكين - وَجبة مُشبِعة - مِن أوْسَطِ طعام بَيتِه، أو أن يَكسوَهُم (سواء كانَ الكِساء قديمًا أو جديدًا، المُهِمُّ أن يكون يَصلح - لهم - للارتداء)، أو أن يَعتقَ عبدًا أو جارية، فمَن لم يستطعْ إطعامَ المساكين أو كِسوَتهم - بسبب فقرهِ مثلاً - وكذلك لم يَجدْ عبدًا يعتقه: فعليه أن يصومَ ثلاثة أيام)، وعليهِ ألاَّ يَعتاد ذلك القول، حتى لا يقع في الإثم؛ فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ (وبالطبع لا نُنكِرُ على مَن يأخذ

www.alukah.net

بالرأي الآخَر في هذه المَسألة، فإنَّ ذلك الأمرَ - وهو وقوعِ الطلاق مِن عَدَمِهِ بسبب ذلك القول - هو مَحلُّ خِلاف مُعتبَر بين العلماء).

الآية 228: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ اللاتي ما زالَ يَنزلُ عليهِنَّ الحَيْض، (أي لم يَبلُغنَ ما يُعرَفُ بـ (سِنِّ اليأس)، وكذلك لم يَستأصِلنَ الرَّحِم - أو غير ذلك - مما يتسبَّب في انقطاع الحَيض عنهُنَّ)، فهؤلاء يَجب عليهِنَّ - بعدَ الطلاق - أن ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي يَنتظِرنَ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ - دونَ زواجٍ مِن رجلٍ آخر، وذلك لِمُدَّةِ: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾: أي ثلاث حَيْضات (وذلك على الراجح من أقوال العلماء)، بمعنى أن يَمُرَّ عليها الحَيْض ثلاث مرات، تبدأ في عَدِّ هذه الحَيْضات الثلاث مِن لحظة وقوع الطلاق، فإذا أتَى عليها الحَيْض بعد الطلاق ولو بلحظة: احتسبت هذه الحَيضة من الحَيْضات الثلاث، أمّا إذا طلقها الزوج وهي حائض: فإنها لا تحتسب هذه الحَيْضة - التي وقع فيها الطلاق - مِن الثلاث حَيْضات.

♦ واعلم أنَّ تلك المُدَّة تكونُ على سبيل العِدَّة (وهي المدة التي تنتظر فيها المرأة دونَ زواجٍ مِن رجل آخر)؛ وذلك للتأكُد مِن فراغ الرَّحِم مِن الحَمل، وكذلك لإعطاء الفرصة للزوجين في التَرَوِّي والرجوع إلى بناء الأسرة المُتهَدِّمة بسبب الطلاق، وكذلك لضمان استحقاق الزوجة للنفقة والسَّكَن - مِن الزوج - ما دامت في العِدَّة، (وأما حُكم المُطلَّقة التي لا يَنزل عليها الحَيْض - وكذلك التي لم تبلغ سِنَّ الحَيْضِ بعد -: فهؤلاءِ عِدَتهُنَّ ثلاثة أشهُر، تبدأ مِن لحظة وقوع الطلاق، وأما المُطلَّقات الحَوامِل: فإنَّ عدَّتهنّ تنتهي بوضْع الحملِ (كما جاء في سورة الطلاق)، وأما المُطلَّقات اللاتِي لم يُدخَلْ بهنَّ بعد: فليسَ لهنَّ عِدَّة (كما جاء في سورة الأحزاب)، وأما المُطلَّقات الإماء (أي الجَواري): فعِدَتهُنَّ حَيْضَتان فقط (كما هُوَ قوْلُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم).

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ﴾: أي يُخفِين ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ مِن الحَمْل أو الحَيْض، لأنّ كِتمانَها لِلحَمْل - استعجالاً مِنها لانتهاء العِدَّة - يؤدي إلى اختلاط الأنساب؛ لأنها سَتُلْحِقُهُ بغير أبيه، مِمَّا سَيُؤدي إلى أنْ يقطَعَ هذا المَوْلُود - الذي في بطنِها - رَحِمَهُ الأصلي، وأنْ يُحرَمَ مِن حَقِّهِ في مِيراث أبيهِ الحقيقي، وَمِن الممكن أن يتزوجَ أحد مَحارمِهِ دونَ أن يعلم، وغير ذلك مِما فيهِ مِن الشر والفساد، ما لا يَعلمه إلا ربُّ العِباد.

♦ وأما كِتمانُ الحَيْض؛ وذلك بأنْ تخبر أنَّ الحَيْضات الثلاث قد أتتها - كَذِبًا منها واستعجالاً لانتهاء العِدَّة - فهذا يؤدي إلى انقطاع حق الزوج عنها، وإباحة نفسها لغيره، وما يَتفرع عن ذلك مِن الشَر الذي ذكرناهُ من اختلاط الأنساب وغير ذلك، وأما إنْ أخبرَتْ بعدم اكتمال الحَيْضات الثلاث (وهنّ قد اكتملنَ) - كَذِبًا منها لتطويل العِدَّة - حتى تأخذ مِن الزوجِ نفقة غير واجبة عليه، بل هي حرامٌ عليها، وربما راجَعها وهو لا يَعلم بمرور الحَيْضات الثلاث، فيكون ذلك زِنا؛ لِكَوْنِها أصبحتْ أجنبية عنه، ولهذا قال تعالى : ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنَّ صُدُورَ الكِتمان مِنهُنَّ: دليلٌ على عدم إيمانِهنَّ باللهِ واليوم الآخِر، وإلاَّ، فلو آمَنَّ باللهِ واليوم الآخِر، وَعَرَفنَ أنهنَّ مَجْزيَّاتٌ عن أعمالِهِنَّ: لم يَصدرْ مِنهُنَّ ذلك الكِتمان.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: يعني وأزواج هؤلاء المطلقات ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: يعني لهم الحق في مُراجعتِهِنَّ في ذَلِكَ الوقت (وهو وقت الانتظار أو وقت العِدة) وذلك بأن يقول لها: (راجَعْتُكِ)، أو يُجامِعَها، هذا ﴿إِنْ أَرَادُوا﴾ بتلك المُراجَعَة: ﴿إِصْلَاحًا﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وخيرًا، ولا يَحِلُّ أن تكونَ المُراجَعَة بقصدِ الإضرار – تعذيبًا لهُنَّ بتطويل العِدَّة – وذلك بأن يُطلِقها، ثم ينتظر إلى قبل انتهاء العِدَّة فيُراجعها، ثم يَعُودُ فيُطلقها مرة أخرى وهكذا، ﴿وَلَهُنَّ﴾ مِن الحقوق والواجبات ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ للزوج ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: يعني على الوجه المُستحْسَن شَرْعًا وعُرفًا، وقد قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عنهما في هذه الآية: "إني لأحِبُّ أن أتزيَّنَ لامرأتي، كما أحِبُّ أن تتزين لي"، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي مَنزلة زائدة، مِن القوامَة على البيت، ومِلكُ الطلاق، ومَنصِبُ النُّبوة والقضاء والإمامة، وغير ذلك، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي غالب، لا يمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تشريعه لعباده.

الآية 229: ﴿الطَّلاقُ﴾ الذي تحصُلُ بهِ الرَّجْعَة ﴿مَرَّتَانِ﴾ ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾: أي فحُكْمُ اللهِ بعدَ كلِ طلقةٍ منهما هو: مراجعة المرأةِ بالمعروف (يعني يُحسِن معاملتها بعدَ مُراجَعتِها)، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾: يعني أو تَخليَة سبيلِها، معَ حُسْن مُعاملتِها – بأداءِ حقوقِها، وألاَّ يَذكُرها مُطلِّقُها بسُوء ، ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ مِن المَهْر ونحوه، إلا في حالةٍ واحدة وهي: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي الزوجان ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: يعني ألاَّ يَقوما بالحقوق الزوجية، وألاَّ يقوما بما يَجب عليهما مِن طاعةِ اللهِ تعالى واجتناب مَعصيتِه، أو أن تكرَهَ المرأة زوجَها ولا تُطِق البقاءَ معه، فحينئذٍ يَعرِضان أمرَهُما على أولياء الزوج والزوجة، أو القاضي ، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ أي فلا حرجَ على الزوجين فيما تدفعُهُ المرأة للزوج مقابل طلاقِها، وهو ما يُسَمَّى بـ (الخُلع)، ويكونُ الزوجُ في هذه الحالة غيرُ ظالمٍ لها في أخذِ هذا المال لأنها دفعتهُ له برضاها، (واعلم أنّ عِدَّة المُختلِعَة: ثلاثة قروء مثل عِدَّة المُطلقة، وهذا هو قول الجمهور).

﴿تلك﴾: أي ما سبقَ مِن التشريعات والأحكام هي ﴿حدودُ الله﴾ الفاصلة بين الحلال والحرام، ﴿فَلا تَعْتَدُوهَا﴾: أي فلا تتجاوزوها، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هم الظالمونَ﴾ لأنفسهم بتعريضِها لعذاب الله، (واعلم أنَّ الظلم ثلاثة أقسام : (الظلمُ الأكبَر (وهو الشِّرك)، كما قال تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيمٌ﴾ وهذا لا يُغفَرُ للعبدِ إلا بالتوبةِ منه)، (وظلمُ العبدِ لأخيهِ، وهذا لابد أن يَرُدّ الحقوق لأصحابها، أو أن يَطلب مسامحتهم، أو أن يَتصدق بنيَّة أن يَصل الثواب إليهم – هذا إن لم يَستطع الوصول إليهم)، (وظلمُ العبدِ لِنفسِهِ بتعدي حَدٍّ مِن حدودِ اللهِ تعالى، فإنْ تابَ العبدُ، وقبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُ: فإنَّ اللهَ يَغفِرُ له، وأما إذا لم يَتُبْ: فهذا أمْرُهُ إلى الله، إنْ شاءَ عَذّبَهُ، وإنْ شاء غفرَ له).

الآية 230: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ زوجها الطلقة الثالثة ﴿فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ زواجًا صحيحًا يُجامِعُها فيه، ويكون الزواجُ عن رَغبةٍ، لا بِنيَّةِ تحليل المرأةِ لزوجها الأول؛ لأنَّ هذا مِن الكبائر، وبالطبع يكون هذا الزواج بعد انتهاء عِدَّتها، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوجُ الآخرُ – أو ماتَ عنها – وانتهت عِدَّتها: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: أي فلا حرج على المرأة وزوجُها الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ بعقدٍ جديدٍ، ومَهرٍ جديد، هذا ﴿إِنْ ظَنَّا﴾: أي غلبَ على ظنهما ﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، وأن تطيبَ العِشرَة بينهما، وألا يتكرَّر ذلك الاعتداء الذي أدَّى إلى الطلاق ثلاث مرات ، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يبينها لقوم يعلمونَ﴾ أحكامَهُ وحدوده؛ لأنَّ العالِمين بها هم الذين ينتفعون بتلك الأحكام، فيقفون عندها ولا يتعدونها، فيَسْلمونَ بذلكَ مِن الظلم وعقوبة الظالمين.

www.alukah.net

الآية 231: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أقلّ من ثلاث طلقات (يعني طلاقًا رَجعيًّا بواحدةٍ أو ثِنتين)، ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي فقارَبَتْ عِدَتُهُنّ أن تنتهي: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: أي فرَاجِعُوهُنَّ، وفي نِيَّتكُم: (حُسن معاملتهنّ بعدَ مُراجَعتهنّ) ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: يعني أو خَلّوا سبيلهنّ، مع أداءِ حقوقِهنّ، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: أي واحذروا أن تكونَ مُراجَعَتهُنَّ بقصدِ الإضرار بهنّ ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ على حُقوقِهن، حتى تضطر المرأة المظلومة إلى المُخالعة، بأن تفدِي نفسها منه بالمال، وتتنازل عن بعض حقوقها، حتى تتخلص مِن هذا الزوج الظالم، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ منكم أيها الأزواج ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها لعذاب الله، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي لَعِبًا بها، وهو التجَرُّؤ عليها، وعدم الامتثال لواجبها، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ باللسانِ: ثناءً وحَمدًا، وبالقلبِ: اعترافًا وإقرارًا، وبالجَوارح: بصَرْفِها في طاعةِ الله، ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾: أي واذكروا ما أنزلَ اللهُ عليكم مِن القرآن والسُنَّة، فهو ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾: أي يُذكّركم بما في الكتاب والسُنَّة مِن أحكام، ويُخوفكم مِن المُخالفة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الآية 232: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أقلّ من ثلاث طلقات، ولكنْ: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي فانتهت عِدَّتُهُنَّ مِن غير أن تراجعُوهُنَّ في أثناء العِدَّة: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: أي فلا تمنعوا – أيها الأولياء – المُطلقاتِ مِن ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي مِن العودة إلى أزواجهنّ مرة أخرى بعقدٍ جديدٍ إذا أرَدْنَ ذلك، و ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي إذا حدث التراضِي شرعًا وعُرفًا بين الأزواج والزوجات، ﴿ذَلِكَ﴾: أي تمْكِين الأزواج مِن نِكاح زوجاتِهم ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ﴾: أي بهذا يَعِظُ اللهُ المُؤمِن الذي يؤمن ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ويَستجيبُ للهِ ولرسوله، ولا يتبعُ هَوَاهُ، ﴿ذَلِكُمْ﴾: أي عودة الزوجين لبعضهما مرة أخرى ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾: أي خيرٌ لكم وأكثر نماءً وتربيةً لأولادكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم وأعراضِكم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه صَلاحكُم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فسارعوا إلى التسليم بقبول شرْعِه، والانقياد لأمْرِه.

****

15. تفسير الربع الخامس عشر من سورة البقرة

الآية 233: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ أي عامين ﴿كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: أي وعلى الآباء – الذين وُلد لهم هذا المولود –: ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: يعني أن يَكفُلوا للمُرضِعات المُطلّقات طعامَهنّ ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي بحسب حال الوالد من الغِنى والفقر، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي لا يُكلف اللهُ نفسًا إلا قدر طاقتها في الإنفاق، ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾: أي لا يَحِلّ أن تؤذَى الأمُّ بولدها، وذلك بمنعها من إرضاعه، أو بمنعها الأجرة على إرضاعه (هذا في حال طلاقها، أو موت زوجها)، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾: أي وكذلك لا يَحِلّ أن يُؤذَى المولودُ له – وهو الأب – بسبب ولده، وذلك بأن يُطالَب بنفقةٍ باهظةٍ لا يَقدِرُ عليها، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾: يعني (وإن كان الأبُ ميتًا، أو كان فقيرًا لا يقدرُ على دفع نفقة الأم المُرضِعة، أو كان غير موجودٍ لأيِّ سبب، وكان الطفلُ ليس له مالٌ): فإنّ نفقة الأم وكِسوتها تجب على الوارث (الذي سيَرِثُ الطفلَ بعد موته)، وهذا هو قول الجُمهور، ومعنى قوله تعالى: ﴿مثلُ ذَلِكَ﴾ أي مثلُ ما كان يجبُ على الوالد من النفقة (إذا كان موجودًا وقادرًا على دفعها).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ – أي الوالدان – قبل انتهاء السنتين، وكان ذلك ﴿فِصَالًا﴾: يعني أن يَفطموا المولود ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك؛ ليصلا إلى ما فيه مصلحة المولود، فإذا كان ذلك في مصلحته، ورَضِيَا به : فلا إثم عليهما، (ويُفهَمُ من الآية: أنه إذا رضي أحدُهما دون الآخر، أو لم يكُن الفطام في مصلحة الطفل – فإنه لا يجوزُ فطامُه)، ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾: يعني وَإِنْ أَرَدْتُمْ أن تطلبوا إرضاع المولود من مُرضِعة أخرى غير والدته: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي فلا إثمَ عليكم، ولكنْ بشرط: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾: يعني إذا أعطيتم المُرضعات من الأجر مِثل ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾: أي مِثل ما أعطيتمُوهن مِن وعدٍ واتفاق، وهذا مِثل قول أحدهم: (أنا أعطيتُك كلمة، أو: أنا أعطيتُك وعدًا)، وعلى هذا فيكونُ معنى: ﴿إذا سلمتُم ما آتيتُم﴾ أي إذا سلمتمُوهُنّ ما اتفقتم عليه من الأجر ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي بما يَتعارفُ عليه الناسُ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الآية 234: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾: أي والذين يموتون منكم، ﴿وَيَذَرُونَ﴾: أي ويتركون ﴿أَزْوَاجًا﴾ بعدهم، فعلى هؤلاء الزوجات أن ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: أي ينتظرن بأنفسهن مُدة أربعة أشهُرٍ وعشرة أيام، (لا يتزوَّجن في هذه المُدة، ولا يتزيَّنَّ في البيت، ولا يَخرُجن من منزل الزوجية إلا لضرورة؛ وذلك إظهارًا للحُزن على الزوج، واعترافاً منها بالفضل والجميل)، واعلم أن تلك المُدة تكونُ على سبيل العدة.

♦ وقد يتساءلُ بعض الناس عن الحكمة من طُول هذه العدة ، فدعُونا نُجِبْ ابتداءً بأنّ الأصل فينا أننا مُسلمون، والإسلام معناه: الاستسلام والخضوع والانقياد التام لأوامر الله تعالى، سواء عَلِمنا الحكمة من الأمر الشرعي، أم لم نعلمها؛ إذ إننا نطيع إيمانًا مِنّا بأنّ الله تعالى قد أمرنا بذلك، وأنه سبحانه حكيمٌ في شرعه وتدبيره، يضع الشيء في موضعه المناسب، وأنه سبحانه يَعلم ما فيه صلاحنا ونحن لا نَعلم ذلك، ولذلك قال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وقد يُظهِرُ اللهُ لنا الحكمة مِن أمرٍ ما، وقد يُخفيها عنا – اختبارًا لإيماننا – فينبغي ألاّ نُعَلِّق طاعَتنا للهِ تعالى بمعرفة الحكمة، فإن عَلِمناها: فللهِ الحمدُ والمِنَّة، وإن لم نَعلمها، قلنا: (سمعنا وأطعنا).

♦ هذا، وقد اجتهد بعضٌ من العلماء – وغيرهم – في معرفة بعض هذه الحِكَم، فمِن ذلك: التأكُّد من فراغ الرَّحِم من الحَمْل، وحتى تنسى الزوجة – في هذه المدة – معاملة الزوج الأول معها، حتى لا تحدث عندها مقارنة بين الزوجين، فيحدث لها من السخط ما يتسبَّب في إفساد حياتها مع الزوج الثاني.

♦ ومنها: إظهار حقِّ الزوج عليها؛ حيث إنّ طاعة المرأة لزوجها بالمعروف (يعني في غير معصية الله تعالى)، والقيام بأمر الزوج، واحتساب الأجر في ذلك عند الله – من أعظم ما تتقرَّب به المرأة إلى ربِّها تبارك وتعالى؛ فقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إذا صَلَّتْ المرأة خَمْسَها، وصامت شهرها، وحفظَتْ فرجَها، وأطاعت زوجَها – قيل لها: ادخلي الجنَّة من أيِّ أبواب الجنة شئتِ) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 660).

♦ وفي المقابل: فإن معصية الزوج، وتكدير حياته: ذنبٌ عظيم، ومعصيةٌ تؤدّي بالمرأة إلى غضب اللهِ ولعنته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا تُجاوِزُ صلاتهم آذانهم - أي لا ترتفع إلى السماء، وهو كِناية عن عدم القبول، وذَكَرَ منهم –: وامرأة

www.alukah.net

باتت وزوجُها عليها ساخط) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 3057)، قال الشوكاني رحمه الله: (إنّ إغضاب المرأة لزوجها حتى يَبيت ساخطًا عليها: من الكبائر)، هذا إذا كان ذلك السخط بسبب سوء خُلُقها، أو قلة طاعتها له، وكان زوجها صالحًا لا يأمرها إلا بخير، ولا يَطلب منها إلا ما تطيقه من الأمور المعروفة لا المُنكَرة.

♦ ولَعَلّ أحد هذه الحِكَم ما صرَّح به الدكتور جمال الدين إبراهيم (أستاذ علم التسمُّم بجامعة كاليفورنيا ومدير معامل أبحاث الحياة بالولايات المتحدة الأمريكية) مِن أنَّ العلم قد اكتشف حديثًا أن السائل الذكري يَختلف من شخصٍ إلى آخر كما تختلف بصمة الأصبع، وأنّ لكل رجلٍ شفرة خاصة به، وأنّ المرأة تحمل داخل جسدها جهازًا يَختزن هذه الشفرة، وإذا دخل على هذا الجهاز أكثر من شفرة فإنه يُصاب بالخلل والاضطراب والأمراض الخبيثة، ومع الدراسات المكثَّفة للوصول إلى حل لهذه المشكلة: اكتشفوا الإعجاز، واكتشفوا أنّ الإسلام يعلم ما يَجهلونه: (وهو أنّ المرأة تحتاج إلى نفس مُدَّة العِدَّة التي شرعها الإسلام، حتى تستطيعَ استقبال شفرةٍ جديدةٍ بدون أن تُصاب بأذى)، (كما فسَّر هذا الاكتشاف سبب عدم تزوُّج المرأة إلا من رجلٍ واحد).

♦ وأمّا عن اختلاف مُدَّة العِدَّة بين المُطلَّقة والأرملة: فقد أُجْرِيَت الدراسات على المُطلّقات والأرامل، وأثبتت التحاليل أن الأرملة تحتاج إلى وقتٍ أطول من المُطلَّقة لنسيان هذه الشفرة، وذلك يَرجع إلى حالتها النفسية؛ حيثُ تكون حزينة على فقدان زوجها أكثر؛ إذ لم تُصَب منه بضرر الطلاق، بل توفَّاه اللهُ تعالى؛ فلذلك هي لا تستطيع نسيان ذلك الزوج الذي عاش معها حياة المَوَدَّة والرحمة والسكن إلا بعد فترة العِدَّة.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: يعني فإذا انتهت المُدَّة المذكورة للمتوفَّى عنها زوجها: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء النساء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي فيما فعلن في أنفسهنّ على وجهٍ غيرِ مُحَرَّم ولا مكروه، إذ يَجوز لهنَّ التزيُّن في البيت، والتعرُّض للخُطَّاب، والزواج، والخروج من البيت – كما أمرَ الشرع – أي لا يَتبرَّجن، ولا يَضعن العِطر، وأن يَخرجن بملابس واسعةٍ فضفاضة؛ وذلك حتى لا يَدخلن في قول النبي صلى الله عليه وسلم عن المتبرِّجات – كما في صحيح مسلم –: (لا يَدخلنَ الجنة، ولا يَجدنَ ريحها)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (واعلم أن المرأة المتوَفَّى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فإنَّ عدَّتها تنقضي بوضْع حملِها).

الآية 235: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الرجال ﴿فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾: أي فيما تُلَمِّحون به ﴿مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المتوَفَّى عنهنّ أزواجهنّ (وذلك في أثناء العِدَّة)، وكذلك المُطلَّقات طلاقًا بائنًا (أي لا رَجْعَةَ فيه)، وأما الطلاق الرَّجعِي: فلا تَصِحّ الخطبة فيه – لا تلميحًا ولا تصريحًا – لأنّ المرأة المُطلَّقة تكون في حُكم الزوجة، ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: أي ولا إثمَ عليكم أيضًا فيما أخفيْتُموه في أنفسكم مِن نيّة الزواج بهنّ بعد انتهاء عدَّتهنّ، فقد ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ ولن تصبروا على السكوت عنهن – بسبب ضعفكم – لذلك أباح لكم أن تذكروهنّ تلميحًا أو إخفاءً في النفس فقط، ولا تصرِّحوا بذلك؛ لأنّ التصريح لا يَحتمل غير النكاح؛ فلهذا حُرِّمَ التصريح خوفاً من استعجالها وكذبها في انتهاء عِدَّتها (رغبةً في النكاح)، ﴿وَلَكِنْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ على النكاح ﴿سِرًّا﴾ وذلك بالاتفاق معهنّ على الزواج بعد العدَّة، فهذا الاتفاق لا يَحِلّ طالما أنهنّ ما زِلْنَ في العِدَّة ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: يعني إلا أن تقولوا قولا يُفهم منه أنّ مِثلها يَرغَب فيها الأزواجُ، أو غير ذلك.

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾: أي ولا تعزموا على عَقد النكاح ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: أي حتى تنتهي عِدَّتها، (والمقصود من الكتاب: المُدّة التي كَتَبَ اللهُ على المُعتَدَّة أن تنتظر فيها دونَ زواج)، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ أي فانووا الخير، ولا تنووا الشرَّ؛ خوفاً من عقابه ورجاءً لثوابه ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لذنوب التائبين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعاجل مَن عصاه بالعقوبة، لعله يرجع ويَندم على ما فعل.

الآية 236: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي لا إثمَ عليكم أيها الأزواج ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ بعد العقد عليهنّ ﴿ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي قبل أن تدخلوا بهنّ، أو تحدِّدوا لهنَّ مَهرًا، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أي وأعطوهنّ شيئًا من المال يتمتَّعنَ به؛ عِوَضًا عمَّا فاتهنّ من الزواج، وجَبرًا لخاطرهنّ، ودفعًا لِوَحشة الطلاق وإزالةً للأحقاد، وهذه المُتعة تجب بحسب حال الرجل المُطلِّق، فتجب ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾: يعني على الغني قدْرَ سعة رزقه، ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾: أي وعلى الفقير قدْرَ ما يَملكه، وهذا المتاع يكونُ ﴿مَتَاعًا﴾ مِن كسوةٍ ونفقةٍ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: يعني على الوجه المُستَحسَن شرعًا وعُرْفًا ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: أي وهو حقٌّ ثابتٌ على الذين يُحسنون إلى المُطلَّقات، ويُحسِنون إلى أنفسهم بطاعة اللهِ وامتثال أمره.

الآية 237: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ أي من قبل أن تدخلوا بهنَّ، ولكن: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي وقد حدَّدتم لهنَّ مهرًا: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: يعني فيجب أن تعطوهنَّ نصف المهر المُتفق عليه ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾: يعني إلا أن تعفوا المُطلقات، فيَترُكنَ نصف المهر المُستحَق لهنّ، ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾: يعني أو أن يعفو الزوج – الذي بيده حل عقد النكاح – بأن يَترك المهر كله للمُطلقة، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ يعني: وتَسامُحُكم أيها الرجال والنساء – في ذلك – هو أقرب إلى خشية اللهِ وطاعته، ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أي ولا تنسوا أيها الناس أن تتفضلوا وأن تحسنوا فيما بينكم، (وهو إعطاء ما ليس بواجبٍ عليكم، والتسامح في الحقوق)، وذلك لِما كان بينكم مِن معروفٍ وَوُدٍّ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الآية 238: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ الخمس المفروضة، وذلك بالمداومة على أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها ، ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾: أي وحافظوا – بالأخصّ – على الصلاة المتوسِّطة بينها وهي صلاة العصر، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾: أي صَلُّوا له قيامًا، وكونوا في صلاتكم ﴿قَانِتِينَ﴾: أي مطيعين، خاشعين، ساكنين.

الآية 239: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍّ أو من حيوان مفترس أو غير ذلك: ﴿فَرِجَالًا﴾: أي فصَلُّوا صلاة الخوف ماشين على أقدامكم، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: يعني أو راكبين، أو على أيّ هيئةٍ تستطيعونها ولو بالإيماء – أي بالانحناء – ولو إلى غير جهة القبلة، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾: يعني فإذا زال خوفكم: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: أي فأتِمُّوا الصلاة كما أمَرَكم الله، وذلك بأنْ تُتمُّوا ركوعها وسجودها وقيامها وجلوسها كما تفعلون ذلك في حال الأمن وعدم الخوف، واذكروا اللهَ فيها، ولا تنقصوها عن هيئتها الأصلية، واشكروه ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ من أمور العبادات والأحكام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 240: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، وهذا هو قول الجمهور.

الآية 241: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ – مِن كِسوَةٍ ونفقةٍ – ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بما تَعارفَ عليه الناس، وقد جعل اللهُ متاعَ المُطلَّقة ﴿حَقًّا﴾ ثابتاً ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ أي على المُطلِّقين الأتقياء، الذين يَخافون اللهَ تعالى، ويَتقونه في أمْرِه ونَهْيِه.

الآية 242: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: أي بمِثل ذلك البيان الواضح – في أحكام الأولاد والنساء –: يبيِّن الله لكم آياته وأحكامه في كل ما تحتاجون في معاشكم وآخرتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي لكي تعقلوا تلك الآيات وتعملوا بها.

****

16. تفسير الربع السادس عشر من سورة البقرة

الآية 243: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾؟ يعني ألم تعلم قصة الذين فرُّوا من أرضهم ومنازلهم؟ ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ كثيرة، ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾؛ أي خشيَةَ الموت.

♦ وهنا وقع خِلاف بين المفسِّرين؛ (فمنهم مَن قال: إنهم فرُّوا من ديارهم خوفاً من القتال؛ يعني إنّ عَدُوَّهم نزل بأرضهم، وقد كان الواجب عليهم أن يَثبتوا ويُدافعوا عن أرضهم ، ولكنهم تركوا ديارهم للعدو، وَفرُّوا جُبنًا من القتال وخوفاً من الموت)، (ومنهم مَن قال: إنهم فرُّوا خوفاً من مرض الطاعون الذي نزل بأرضهم، ففرُّوا – اعتقادًا منهم – أنّ المرض سوف يُميتُهم بذاته، وليس بقدَر اللهِ تعالى، فاعتقدوا أن السبب هو الذي ينفع ويضر، ولم يعتقدوا أنّ كل شيء بيد مُسَبِّب الأسباب – سبحانه وتعالى – الذي بيده مَلَكوتُ كل شيء).

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا دفعة واحدة؛ "عقوبةً لهم على فرارهم"، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ اللهُ تعالى بعد مدة، ليَستوفوا آجالهم – المكتوبة في اللوح المحفوظ – وليتَّعظوا ويتوبوا، وليُبَيِّن سبحانه لِخَلقه آياته بقدرته على إحياء الموتى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بنعمِه الكثيرة عليهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ فَضلَ اللهِ عليهم، بل ربما استعانوا بنعم اللهِ على مَعاصيه، وقليلٌ منهم الشكور الذي يَعترف بالنعمة، ويَستخدمها في طاعة المُنعم.

♦ وبمناسبة ذِكر الفرار من المرض: فإنه قد يَسأل سائل ويقول: (كيف نجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري –: (لا عَدوَى)، وبين قوله في نفس الحديث: (وَفِرَّ من المجذوم – وهو الذي أصابه مرض الجُذام – كما تفرُّ من الأسد)؟) وخلاصة أقوال العلماء في ذلك أنّ قوله صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى)؛ أي لا عدوى مؤثرة بذاتها – أي لا تنتقل بذاتها – إنما يَنقلها اللهُ سبحانه وتعالى إذا شاء، واعلم أنّ هذا يكون من باب الاعتقاد بأنّ اللهَ سبحانه هو الذي يُصيبنا، وأنه هو الذي يَصرف عنا السوء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وأمّا قوله صلى الله عليه وسلم: (فِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد)، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون – كما في صحيح البخاري –: (إذا سمعتم بِهِ بأرضٍ: فلا تَقدُموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها: فلا تخرجوا فِرارًا منه)، فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها اللهُ تعالى، وجعلها سببًا للهلاك أو الأذى، والعبد مأمورٌ باتقاء أسباب البلاء؛ مِثل اجتناب مقاربة المريض، أو القدوم على بلد الطاعون، أو غير ذلك، ولكنْ مع الاعتقاد الجازم أنّ السبب لا ينفع ولا يضر بذاته، وإنما كل شيء بيد الله سبحانه ؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، وكذلك نعتقد أننا لا نُصاب بمجرد مُخالطة المَرضَى، وإنما جعل اللهُ – سبحانه وتعالى – مخالطة المريض للصحيح سببًا لإعدائه، وقد يَشاءُ اللهُ أن يُخالِطَهُ ولا تحدث عدوى، فالأمرُ يَرجع في ذلك إلى قدَر اللهِ تعالى.

♦ ومن لطيف ما يُذكَر هنا "أنّ عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه – حينما كانَ أميرًا للمؤمنين – خرج إلى الشام، فلقِيَهُ أبو عُبَيدة بن الجَرّاح وأصحابه رضي اللهُ عنهم، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فقرَّرَ "عمر" الرجوع إلى المدينة، فقال له أبو عبيدة: "فِرارًا من قدر الله"؟ فقال له عمر: "نعم؛ نفِرُّ مِن قدَر اللهِ إلى قدَر الله"، (وهذا يدل على أنّ الأخذ بالأسباب إنما هو جزء من القدر).

♦ فعلى سبيل المثال: إذا أصاب العبدُ مرضًا ما، فعليه أن يأخذ بالأسباب التي أمَرَهُ اللهُ تعالى بها، كالذهاب إلى الطبيب، وأخْذ الدواء، ولكنْ مع عدم تعلق قلبه بالطبيب ولا بالدواء، (لأنّ هناك مَن كانَ عنده نفس المرض، وأخَذَ نفس الدواء، ومع ذلك لم يَكتب اللهُ له الشفاء)، وإنما عليه أن يُعلق قلبه باللهِ الشافي، الذي يُوفق الإنسان لأخْذ الدواء المناسب للمرض الذي عنده، فلذلك يَتناول الدواء وهو يقول: (بسم الله الشافي)، حتى يُوصل اللهُ الدواء إلى مكان المرض، فيَبرأ بإذن الله، وهذه نقطة هامة جدًّا؛ لأنّ تعلق القلب بغير اللهِ تعالى هو مِن أعظم مُفسِدات القلب، وهو بداية الشرك.

الآية 244، والآية 245: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم وأعمالكم، فأحسِنوا النيّة، واقصدوا بها وجه اللهِ تعالى، واعلموا أن القعود عن القتال لا يفيدكم شيئًا – ولو ظننتم أنّ في القعود حياتكم وبقاءكم – فليس الأمر كذلك، فإنكم لا تُمتَّعون بعد القعود عن القتال إلا قليلاً ، ولهذا ذكَرَ اللهُ تعالى هذه القصة السابقة تمهيدًا لهذا الأمر، فكما لم يَنفعهم خروجهم من ديارهم – بل أتاهم ما كانوا يَحذرون (وهو الموت) – من غير أن يَحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك.

♦ ولمَّا كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة وبذل الأموال في ذلك، أمَرَ تعالى بالإنفاق في سبيله ورَغَّبَ فيه، وسَمَّاه قرضًا، فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾؛ أي يُنفق إنفاقًا حسنًا (يعني من مال حلال، طالبًا للأجر)، وذلك في جميع طرق الخير، وخصوصًا في الجهاد، ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ لا تُحصَى من الثواب وحُسن الجزاء، (فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة، وذلك بحسب حال المُنفق مع الله، وبحسب نيّته، ونَفْع نفقته، والحاجة إليها)، ولمَّا كان الإنسان رُبما توَهَّم أنه إذا أنفقَ افتقر : دَفَعَ اللهُ تعالى هذا الوهم بقولِه: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾؛ أي يُضيِّق على مَن يشاءُ مِن عباده في الرزق ابتلاءً لهم، ﴿وَيَبْسُطُ﴾؛ أي ويوسِّعه على آخرين امتحانًا لهم، فالتصرف كله بيديه سبحانه، وله الحكمة البالغة

www.alukah.net

في تضييق الرزق وتوسعته؛ لأنه - سبحانه - الأعلم بما يُصلِح عباده من الفقر والغنى، فأنفِقوا ولا تُبالوا فإنه هو الرزاق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

♦ واعلم أنّ اللهَ تعالى قد سَمَّى ذلك الإنفاق قرضًا ؛ حَثاً للنفوس على البَذل؛ لأنّ المُقرِض مَتَى عَلِمَ أنّ ماله كله سيعود إليه، مع مضاعفة حسناته، وتكفير سيئاته، سَهُلَ عليه إخراجه، ومَجيء لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ في قوله: ﴿ يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾ فيه غاية الطمأنة للمُنفِق؛ لأنه يَعلم أنّ قرْضَهُ سيُعطيه لِغني كريمٍ قادر.

الآية 246: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ وهم الأشراف والرؤساء ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ زمان ﴿مُوسَى﴾ ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني اجعل علينا مَلِكًا نجتمع تحت قيادته، ونُقاتل أعداءنا في سبيل الله، ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾؟ يعني هل الأمر - كما أتوقعه - إن فَرَضَ اللهُ عليكم القتال في سبيله أنكم لا تقاتلون؟ فإني أتوقع جُبْنَكم وفراركم من القتال ، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ يعني وأيُّ مانع يمنعنا عن القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾: أي وقد أخرَجَنا عدونا من ديارنا، وأبعَدَنا عن أولادنا بالقتل والأسْر؟ ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ أي خافوا وفرُّوا من القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ ثبَتوا بفضل اللهِ تعالى، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الناكثين لعهودهم.

الآية 247: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ﴾ أي أرسَلَ إليكم ﴿طَالُوتَ﴾ ليكونَ ﴿مَلِكًا﴾ عليكم، ويَقُودكم لقتال عَدُوِّكم كما طلبتم، ﴿قَالُوا﴾ أي قال كُبَراء بني إسرائيل: ﴿أَنَّى﴾ يعني كيف ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ وهو لا يَستحق ذلك؟ لأنه ليس مِن أبناء الملوك، ولا مِن بيت النُبوَّة ، ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأننا من أبناء الملوك، ومِن بيت النُبوَّة، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ ؟ أي وهو أيضاً لم يُعطَ كَثرةً في الأموالِ يَستعينُ بها في مُلْكِه، فكيف يكونُ مَلِكًا علينا؟!، ﴿قَالَ﴾ لهم نَبيُّهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي اختاره عليكم وهو سبحانه أعلم بأمور عباده ، ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾: أي وقد زادَهُ سبحانه سَعَةً في العِلم وقوةً في الجسم لِيُجاهد الأعداء ، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في فضله وعطائه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يَستحق ذلك الفضل والعطاء، فسَلِّموا الأمرَ إليه واسمعوا وأطيعوا.

الآية 248: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ أي علامة مُلك طالوت - الذي اختاره الله ليكون مَلِكًا عليكم -: ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وهو الصندوق الذي كان بنو إسرائيل يضعون فيه التوْراة - وكان أعداؤهم قد انتزعوه منهم - فسيأتيكم هذا التابوت، وسيكونُ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾: أي طمأنينة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تثبِّت قلوب المخلصين، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ (والبقيَّة هي ما تبَقى من الشيء بعد ذهاب أكثره، وهي هنا: عصا موسى، وفُتات من الألواح التي تكسَّرت، وشيءٌ من آثار أنبيائهم) ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ من أرض أعدائهم العمالقة، فتضعه بين أيديهم في مُخَيّماتهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾: يعني إنّ في ذلك لأعظم برهان لكم على اختيار طالوت مَلكًا، فعليكم بأمر الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسله، (فأتَت به الملائكة تحمله، وهم يرونه بأعينهم).

الآية 249: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ أي فلمَّا خرج بجنوده لقتال العمالقة: ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾: أي ممتحنكم - على الصبر - بنهرٍ أمامكم تعبرونه، ليتميز المؤمن من المنافق ، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾: يعني فمن شَرِبَ من ماء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

النهر ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ولا يَصلح للجهاد معي، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فهذا ليس عليه لوم، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾: أي فلمَّا وصلوا إلى النهر: انكبُّوا على الماء، وأفرَطوا في الشرب منه ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ صبَروا على العطش والحر، وحينئذٍ تَخَلَّفَ العُصاة، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ لمُلاقاة العدو – وكان عدد المؤمنين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً – فلما رأوا كثرة عدد العدو، وكثرة سلاحه: ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ﴾ أي لا قدرة ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ – قائد العمالقة – ﴿وَجُنُودِهِ﴾ الأشداء، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾ أي فأجاب الذين يوقنون بلقاء الله – مُذَكِّرين إخوانهم باللهِ وقدرته –: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ مؤمنةٍ صابرة ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ كافرة ظالمة ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وإرادته، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بتوفيقه ونصره.

الآية 250: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾: أي ولمَّا ظهروا ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ ورأوا الخطرَ رأيَ العين: لجأوا إلى اللهِ بالدعاء والتضرُّع، ف ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: يعني أنزِل على قلوبنا صبرًا عظيمًا، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ واجعلها راسخة في قتال العدو، لا تَفِرُّ مِن هَوْل الحرب، ﴿وَانْصُرْنَا﴾ بعَونك وتأييدِكَ ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية 251: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ﴾ عليه السلام ﴿جَالُوتَ﴾ قائد العمالقة ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي المُلك والنبوة، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ مِن العلوم، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾: أي ولولا أن يَدفعَ اللهُ ببعض الناس – وهم أهل الطاعةِ له والإيمان به – بعضًا، وَهُم أهل الشِّرك؛ وذلك بالجهاد والقتال في سبيله ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بانتصار الكُفر، وتَمَكُّن الطُغاة وأهل المعاصي، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

الآية 252: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ – أيها النبي – ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالصِدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصادقين.

****

17. تفسير الربع السابع عشر من سورة البقرة

الآية 253: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الكِرام الذين قصَّ اللهُ على رسولِهِ بعضًا منهم، وأخبَرَهُ أنه منهم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ في الآية السابقة لهذه، فهؤلاء الرُسُل ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وذلك بحسب ما مَنَّ اللهُ به عليهم، ولكننا لا نُفرقُ بين أحدٍ منهم في الإيمان بهم، ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كَمُوسَى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ عالية كمحمد صلى الله عليه وسلم، بعُموم رسالته، وخَتْم النُبوة به، وتفضيل أمَّتِهِ على جميع الأمم، وغير ذلك.

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي المُعجِزات الواضحات الدالَّة على صِدقِ نُبُوَّتِهِ ورسالته ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: أي وقوَّيْناهُ بجبريل عليه السلام، يُلازمُهُ في أحوالِهِ، فكانَ يَقِفُ دائمًا إلى جانب عيسى يُسَدِّدُهُ ويُقوِّيه إلى أنْ رَفعَهُ اللهُ إليه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي ما اقتتلت الأمم التي جاءت بعدَ هؤلاء الرُسُل ﴿مِن بعد ما جاءتهم البينات﴾ التي تستوجب الاجتماع على الإيمان، ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾: أي ولكنْ وقع الاختلاف بينهم: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾: أي ثبَتَ على إيمانِهِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾: أي ومنهم مَن أصرَّ على كُفره، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ مِن بعد ما وقع بينهم هذا الاختلافُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذي تسبَّب في قتال بعضهم بعضاً، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيُوفق مَن يشاءُ – بفضلِه – لِطاعتِهِ والإيمان به، ويَخذل مَن يشاءُ – بِعَدْله وحِكْمتِهِ – فيَعصِيهِ ويَكفر به.

الآية 254: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي أخرِجوا الزكاة المفروضة عليكم، وتصدَّقوا مما أعطاكم اللهُ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ وهو يوم القيامة، الذي ﴿لا بَيْعٌ فِيهِ﴾: أي ليس فيه بيعٌ ولا ربحٌ ولا مالٌ تفتدونَ به أنفسكم مِن عذاب الله، ﴿وَلا خُلَّةٌ﴾: أي ولا صَداقة صَديق تُنقذكم، ﴿وَلا شَفَاعَةٌ﴾: أي ولا شفاعة تُقبَلُ إلا مِن بعدِ أن يَأذنَ اللهُ لمن يشاءُ ويرضى (كما ذكَرَ اللهُ ذلك في سورة النجم)، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

الآية 255: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ أي: اللهُ الذي لا يَستحق العُبُوديّة إلا هُوَ ﴿الْحَيُّ﴾ ﴿الْقَيُّومُ﴾: أي القائم بتدبير المَلَكُوتِ كله، القائم على كل نفسٍ بما كَسَبَتْ، (وقد قال بعضُ المُحققين: إنَّ (الْحَيّ الْقَيُّوم) هو اسمُ اللهِ الأعْظَم الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعْطَى؛ ولذلك ينبغي للعبد أن يَذكُرَ هذا الاسم في دُعائِهِ، فيقول: (يا حَيُّ يا قيوم)، ثم يدعو اللهَ بما شاءَ مِن الخير)، واعلموا أنّ الله سبحانهُ ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ أي نُعاس، ﴿وَلا نَوْمٌ﴾ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾: أي مَن هذا الذي يَجرؤ أن يَشفعَ عنده إلا مِن بعد أن يَأذنَ له؟

♦ وفي هذا رَدٌّ قاطِع على مَن يُنكِرُون حديثَ الشفاعة – الثابت في الصَحِيحَيْن (البخاري ومُسلِم) – وذلك لأنهم يُحَكِّمُونَ عقولَهُم في ذلك بدونِ عِلم، فيَحْتَجُّونَ بقوْلِهم: (كيف يَذهب الناس إلى الأنبياء – ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم – لِيَشفعوا لهم عند ربهم، ولا يذهبون مُباشرةً إلى اللهِ تعالى لِيَطلبوا منه الشفاعة؟) ويعتبرون أنَّ هذا الحديثَ ضعيفٌ بِحُجَّةِ أنَّه يَتناقَضُ مع قوْلِ اللهِ تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، ونحن نقولُ لهم: إنه قد ثَبَتَ – في نفس الحديث – أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يَذهبُ لِيَخِرَّ تحتَ العرش ساجدًا، ثم يَحْمَدُ اللهَ تعالى بمَحَامِدَ لم يَحْمَدْهُ بها مِن قبل، فيقولُ اللهُ له: (يا محمد، ارفع رأسَك، وَسَلْ تُعْطَهْ، واشفعْ تُشَفَّعْ)، ففي هذا دليلٌ واضحٌ على أنه قد استأذنَ رَبَّهُ في الشفاعة، وأنَّ اللهَ قد أذِنَ له، ألاَ يَتفِقُ هذا تمامًا مع قولِهِ تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، ومع قولِهِ تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾؟

♦ ونحن نعلمُ أنهم يَفعلونَ ذلك حِرْصًا منهم على عدم الشركِ باللهِ تعالى، ولكننا نُذَكِّرُهُم بقوْلِ الإمامِ عَلي رَضِيَ اللهُ عنه: (لو كانَ الدينُ بالرأي لكانَ أسفلُ الخُف أوْلَى بالمَسْحِ مِن أعلاه)، (والخُفُّ هوَ شيءٌ يُلبَسُ في القدم مِثل الجَوْرَب)، (ورغم أنَّ أسفل الخُفِّ هو الأوْلَى بأنْ يُمسَحَ في الوضوء؛ لأنه هو الذي يَتسِخ، إلا أنَّنا أُمِرْنا بالمَسح أعلاه)، وَنُذَكِرُهُم – أيضًا – بأنَّ المَرْأة تقضِي صيامَ الأيام التي مَرَّتْ عليها وهي حائِض في رمضان، ولا تقضي صلوات تلك الأيام، وبأنَّ اللهَ تعالى قد جعل عدد ركعات الصلوات مختلفة: (فالصبح نُصَلّيهِ ركعتين، والظهر أربعًا، والمغرب ثلاثًا، وهكذا)، فهذه كلها أشياء تَعَبُّدِيَّة لا تَخضَعُ للعقل في شيء.

♦ فلذلك ينبغي ألاَّ نجعلَ العقلَ حاكمًا على دين الله، فيُصَحِّح ويُضَعِّف بهَوَاه، فإنَّ عقولَ البشر مُتفاوتة، وقد يقولُ لك قائل: (أنت لستَ أذكى مِني، وإنَّ عقلَكَ ليس أفضل مِن عقلي، فأنا أرى هذا صحيحًا وأنت تراهُ ضعيفًا، والعكس)، وَلتعلمْ – أخي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الكريم – أنه لا يَتعارضُ – أبدًا – نَص صحيحٌ معَ عقلٍ سليم ، ولكنَّ المُشكِلة أنَّ الناسَ تستَحِي أن تقول: (أنا لا أفهم هذا الحديث، ولا أفهم ما هو المقصود مِن هذه الجُزئِيَّة، ولا أفهم كيف أجمعُ بين هذا الحديث وهذه الآية، وهكذا)، فطالما أنَّ علماءَ الحديث – وَهُم أهلُ التخصص، وأهلُ الذكر في هذا المجال – قد أجْمَعُوا على صِحَّةِ حديثٍ ما، فلا ينبغي أن تُضعفَ الحديث لِمُجَرَّد أنك تعتقد أنه لا يتفق مع عقلك، وإنما ينبغي أن ترجع إلى أهل العلم المتخصصين لِيُفهِّمُوكَ بإذن اللهِ تعالى، فأنتَ لا تعلمُ الفرقَ بين العام والخاص، والمُطلَق والمُقيَّد، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعني: وَعِلمُهُ تعالى مُحيطٌ بجميع الكائنات – ماضِيها وحاضرها ومُستقبَلها – ﴿وَلا يُحِيطُونَ﴾: أي ولا يَطَّلِعُ أحدٌ مِن الخَلق ﴿بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ (والكُرسي: هو مَوضِع قدَمَي الرَّبِّ جَلَّ جلالُه)، كما ثبتَ ذلك عن ابن عباس رضي اللهُ عنهما، مِن غير أن نُشَبِّهَ قدمَي الرب بقدمَي المخلوق؛ لأنه سبحانه ليس كَمِثلِهِ شيء، فلا يَعلمُ شكلَ هذه القدم إلا اللهُ سبحانه وتعالى، ونحن نقولُ ذلكَ لأنَّ هناك مَن يُؤَوِّلُونَ – أي يُبدلون معنى – صفاتِ اللهِ تعالى الثابتة في كِتابه، فيقولون – مَثلاً – بأنَّ معنى اليَد هو: النعمة، ونحنُ نعلمُ أنهم يفعلون ذلك مِن أجل تَنزيهِ اللهِ تعالى (خَوْفًا مِن تشبيههِ بخَلقِه، وحتى يَمنعوا العقلَ مِن التخيُّل)، ونحن نُحسِنُ الظنَّ بهم في ذلك ، ولكننا نقولُ – وبِمُنتهَى البَساطة –: (إذا سألكَ اللهُ تعالى يوم القيامة: (لماذا قلتَ أنَّ لي يَدًا؟)، فإذا قلتَ: (يا ربِّ، أنتَ الذي قلتَ – وقَوْلُكَ الحق –: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فتنجو بذلك الجواب، وأمّا إذا سألك: ﴿لماذا قلتَ بأنَّ اليَد هي النعمة؟)، فبماذا سَتَرُدُّ؟! فلا داعي – أخي الكريم – لإرهاق ذهنِكَ فيما لم تَرَهُ، وفيما لا يَنفعك، فالأمر بسيط جدًّا : أثبِت الصفة للهِ تعالى – كما أثبَتَها لِنفسِه – ثمَّ لا تتخيلْ ولا تُشَبِّهْ، ولا تقلْ – مثلاً –: (كيفَ يتكلم؟ أو كيفَ يَسمع؟) ولكنْ قل: (اللهُ تعالى له يَد، ولكنْ ليست كَيَد المخلوق).

♦ ونضربُ على ذلك مثالاً – ولِلهِ تعالى المَثَلُ الأعلى –: (لو أننا تصورنا أن هناك سَيَّارَة لها عقل، فإذا حاوَلَتْ هذه السيارة أن تتخيل شكل مَن صَنَعَهَا، فإنها ستقول: (إنَّ الذي صَنَعَنِي – بالتأكيد – سيارة ضخمة جدًّا، ولها إطارات (يعني عَجَلات) كبيرة جدًّا)، فهي تظن أنه مِثل شكلها تمامًا ولكنْ بحَجْم أكبر، فهل الذي صنعها كذلك؟ أم أنه مُختلف تمامًا عما تَخَيَّلَتْهُ؟ وهكذا تَخَيُّلُ الإنسان لخالقه سبحانه وتعالى (الذي لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، فلا يُشْبِهُ تعالى أحدًا مِن خَلقِه، وَكُلُّ ما سَيَدُورُ ببالِكَ فاللهُ سبحانه بخِلافِ ذلك).

♦ وَمِنْ لَطِيفِ ما يُذكَرُ هنا أنه قد دخل رَجُلان على أحد علماء المسلمين، فقالا له: (أنتَ الذي قلتَ: إنَّ اللهَ يَغضب؟)، فقال لهما: (أنا لم أقل ذلك، ولكنَّ اللهَ تعالى هو الذي قال ذلك)، فقالا له: ﴿هل تعلم أنَّ الغضب هو غَلَيَانُ الدم في القلب؟) فقال لهما: (هل لِلهِ إرادة؟) قالا: (نعم)، قال: (فإنَّ الإرادة هي مَيْل القلب إلى فِعل الشَيْء)، فأرادَ بذلك أن يُوَضحَ لهما أنَّ غضبَ اللهِ تعالى ليس كَغَضَبِ المخلوق ، وأنَّ إرادَتَهُ لَيْسَتْ كَإرادةِ المخلوق، – المُهِمُّ أن تُثبِتَ الصفة كما جاءت، ولا تقل: كيف؟ – فما كانَ مِن الرجُلَيْن إلا أن انصرفا.

www.alukah.net

﴿وَلا يَئُودُهُ﴾: أي ولا يُثقِلُهُ تعالى ﴿حِفْظُهُمَا﴾: أي حِفظ السماوات والأرض مِن الزوَال، فهو وَحْدَهُ الذي يَحفظهما في تَوَازُن عَجِيب ومُذهِل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، فهما قائمتان بقدرتِهِ جَلَّ وَعَلاَ، وكذلك لا يُثقِلُهُ تعالى حِفظُ ما فيهما من الكائنات، ولا يَشُقُّ عليه ذلك، بل إنَّ ذلك أهْوَنُ عليه سبحانه مِن حِفظ السماوات والأرض، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاتِهِ وصفاتِهِ على جميع مخلوقاتِهِ، وهو ﴿الْعَظِيمُ﴾ الذي يَتضاءل عندَ عَظَمَتِهِ جَبَرُوت المُلوك والجَبَابِرَة.

♦ واعلم أنَّ هذه الآية هي أعظمُ آيةٍ في القرآن، وتُسَمَّى: (آية الكُرْسِيِّ)، ومَن قرأها عندَ النوم لم يَقرِبْهُ شيطان، ولا يَزالُ عليهِ مِن اللهِ حافظٌ حتى يُصبح (كما ثبتَ ذلك في صحيح البُخاري، مِن حديث أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه).

الآية 256: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: أي لا يَحتاجُ الإسلام إلى أن يُكْرَهَ المرءُ على الدخول فيه، وإنما يَعتنقهُ بإرادتِهِ واختياره، وذلك لِكَمَال هذا الدين واتضاح آياته ، (وفي هذا رَدٌّ واضح على مَن قالَ بأنَّ الإسلامَ قد انتشرَ بِحَدِّ السيْف)، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾: أي فالدلائلُ واضحة يَتضِح بها الحق مِن الباطل، والهُدَى مِن الضلال، ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ (والطاغوت هو كل ما يَعبُدُه الناس – مِن دون اللهِ تعالى – بشرط أن يكون هذا الطاغوت راضياً بعبادة الناس له، لأنّ عيسى عليه السلام لم يكن راضياً بعبادة النصارى له)، فمَن يَكفر بالطاغوت ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ وحده ويُخلِص له العبادة ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي فقد ثَبتَ على الطريقةِ المُثلى، واستمسك بأقوى سبب من الدين، ﴿لا انْفِصَامَ لَهَا﴾: أي لا انقطاعَ لهذه الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

الآية 257: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو سبحانه يَتولاهُم بنصره وتوفيقِهِ وحفظِه، و ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي مِن ظلمات الكُفر إلى نور الإيمانِ، ومِن ظلمات الجهل إلى نور العِلم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ مِن شياطين الجن والإنس، فلما تَوَلَّى الكفارُ هؤلاءَ الشياطين : سَلطَهم اللهُ عليهم عقوبةً لهم، فزَيَّنُوا لهم عبادة الأصنام، وحَسَّنُوا لهم الباطلَ والشرُور، وزَيَّنُوا لهم الكُفرَ والفسُوقَ والعِصْيَان، فكانوا بذلكَ ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ أي مِن نور الإيمان إلى ظلمات الكُفر، ومِن نور العِلم إلى ظلمات الجهل ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

♦ واعلم أنه لا يَجُوزُ للمُسلِم أن يُكَفِّرَ أخاه المُسلم، طالما أنه ناطِقٌ بالشهادتين – حتى وإن فعلَ فِعلاً كُفريًّا يُخرجُهُ مِن المِلَّة – فقد يكون هذا الرجل (الذي يُتَّهَم بالكفر) مَعذورًا بجهلِه، ويَحتاجُ إلى عالمٍ – يثقُ هُوَ في عِلمِه – لِيُعَلِّمَهُ، ويُزيل عنه الشبُهَات، ويُقِيمَ عليه الحُجَّة.

♦ واعلم أنَّ الأدِلَّة – على أنَّ العُذر بالجهل قاعدة شرعية أصُوليَّة ، وأنه مِن صُلب هذا الدين – كثيرة جدًّا، ولا يَتسِعُ هذا المُختصَر لِذِكْرها، ولكننا نَذكرُ فقط قولَ الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ﴾، فقولُه تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ دليلٌ على أنَّ اللهَ تعالى قد جعلَ مَعرفة العبدِ بالهُدى، وإيضاحِهِ له، وإقامة الحُجَّة عليه: شرطاً قبل أن يَذكرَ العقوبة، واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال – كما في صحيح مُسلِم –: (أيُّما امْرِئٍ قالَ لأخيهِ: يا كافر، فقد باءَ – أي رجع – بها أحدهما، إنْ كانَ كما قالَ، وَإلاَّ رَجَعَتْ عليه)،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالأمرُ خطير جدًّا، فإنَّ الكُفرَ يُسَببُ الخلودَ الأبديَّ في النار، فإذا كانَ هذا الرجلُ مَعذورًا بجهلِه: فإنَّ الكلمة سَتُرَد على قائلِها فيَهلك؛ ولأنَّ هذا سوف يُؤدي بعدَ ذلك إلى استباحتِهِ لِدَمِهِ ومالِهِ، وغير ذلك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مُسلم –: (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ).

الآية 258: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ أي جادَلَهُ في توحيد اللهِ تعالى، وما دَفَعه إلى ذلك إلا ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ فتجبَّر وسأل إبراهيم: مَن ربُّك؟ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يعني: ربي الذي يُحيي الخلائق فتحيَا، ويَسلبُ منها الحياة فتموت، فهو سبحانه المُتفرد بالإحياء والإماتة، ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أي أقتل مَن أردتُ قَتْلَه، وأستَبْقِي مَن أردتُ استبقاءَه، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: أي فتحيَّرَ وانقطعتْ حُجَّته، وأيَّد اللهُ وَلِيَّهُ إبراهيمَ فانتصرَ على عَدُوِّهِ بالحُجَّة القاطعة، (فهذا مثالٌ لِمَا ذكره اللهُ تعالى في الآيَةِ السابقة مِن إخراجِهِ لأوليائِهِ من ظلمات الجهل إلى نور العلم)، ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى الحق والصواب.

الآية 259: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾: يعني أو هل عَلِمتَ مَثَلَ الذي ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي فارغة مِن سُكانها، وقد سقطتْ حِيطانُها وجُدرانها ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: أي على سُقوفِ بيوتِها، فـ ﴿قَالَ أَنَّى﴾: يعني كيف ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾؟ يعني كم مَكَثتَ ميتًا؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ ولكي تقتنع بما أخبرتُكَ به: ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغيَّر طَعْمُهُ رغمَ مرور هذه السنين الطويلة، وذلك بحِفظِ اللهِ له، ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيفَ أحياهُ اللهُ بعد أن كانَ عظامًا متفرقة، ثم قال له الربُّ تبارك وتعالى بعدَ أن أراهُ مَظاهرَ قدرته : فَعَلنا بك هذا لِنُريكَ قدرتنا على إحياء القريةِ مَتَى أردنا إحياءَهَا ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ﴾ في قصتِكَ هذه ﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾: أي دَلالة ظاهرة على قدرة اللهِ على البَعث بعدَ الموت، ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾: أي إلى عِظام حِمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: أي كيفَ نرفعُ بعضها على بعض، ونَصِلُ بعضَها ببعض، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، ثم نُعِيدُ فيها الحياة.

♦ وهنا قد يَقولُ قائل: إنَّ اللهَ تعالى لمَّا قال له: ﴿ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾: كانَ مِن المُتَوَقَّعِ أن يَذكُرَ بعدهُ مُباشرةً ما يَدُلُّ على ذلك الزمن الطويل الذي مَكَثَه، فيَبدأ – مَثلاً – بأنْ يُريَهُ العِظامَ التي تَحَلَّلتْ، وأما أن يُريَهُ – أولاً – الطعامَ (الذي لم يَفسد)، فإنه قد يُتَوَهَّم أنَّ هذا يَدُلُّ على ما قاله العبد مِن أنه مَكَثَ يومًا أو بعضَ يوم، والجواب: أنه كلما كانت الشُّبْهة أقوى، كلما كانَ سَمَاعُ الدليل المُزِيل لتلك الشُبهة أكثر تأكيداً وأكْمَل ، ووقوعُهُ في القلب بعد ذلك أرْسَخ، فكأنَّ اللهَ سبحانهُ لمَّا أراهُ الطعامَ والشرابَ لم يتغير، ظنَّ العبدُ أنَّ هذا مِمَّا يُؤكدُ أنه مَكَثَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فحينئذٍ عَظُمَ اشتياقهُ إلى الدليل الذي سيَكشف عن هذه الشُبهة ، ثم لمَّا أراهُ اللهُ سبحانه أنَّ الحمارَ قد صارَ عِظامًا بالية، عَظُمَ تَعَجُّبهُ مِن قدرة اللهِ تعالى؛ لأنه قد رأى الطعامَ الذي لا يستطيعُ البقاء: باقيًا، وكذلك رأى العظامَ التي تستطيعُ البقاء زمانًا طويلاً قبل أن تتحلل: غير باقية، فحينئذٍ تَمَكَّنَ وقوع هذه الحُجَّة في عقلِهِ وقلبه.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: أي فلما اتضح له ذلك، ورآه بعينه، وظهرتْ له أنوارُ ولايةِ اللهِ في قلبه: ﴿ قَالَ أَعْلَمُ﴾ أي أعترفُ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فهذا مثالٌ آخر لِمَا ذكرَهُ اللهُ مِن إخراجه لأوليائه مِن ظلمات الكُفر إلى نور الإيمان.

www.alukah.net

الآية 260: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾: أي واذكُر حين سألَ إبراهيمُ رَبَّهُ أن يُريَهُ طريقة الإحياءِ كيف تتم، فـ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ بعد؟ ﴿قَالَ بَلَى﴾ أنا مؤمن، ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: أي لأزدادَ يَقينًا على يَقيني، ولِكَي يَسْكُنَ قلبي ويهدأ من التطلع والتشوق إلى معرفة الكَيْفِيَّة، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾: أي فاضْمُمْهُنَّ إليك واذبحْهُنَّ وقطعْهُنَّ ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾: أي ثم نَادِ عليهِنَّ يأتينَكَ مُسرعات، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي غالب، لا يمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿حَكِيمٌ﴾ يَضع الشيء في مَوضعه.

♦ ورغمَ أنه كان مِن المُتوَقع – بعدَ أنْ أراهُ اللهُ تعالى هذه القدرة – أن يقول له: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ قدير﴾، ولكنَّ اللهَ تعالى أرادَ أن يُوَضحَ لإبراهيم عليه السلام أنه – سبحانه – لا يَهدي إلا مَن طلبَ منه الهداية بقلبٍ صادق، كما قال تعالى عن فِتيَة الكهف: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ فاللهُ تعالى أخبرَ أنهم لَمَّا آمَنوا: زادَهُم هُدًى على هُدَاهُم، وأنَّ إيمَانَهُم كانَ سببَ هِدايتِهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ ولذلك سألَ اللهُ تعالى إبراهيمَ – ابتداءً –: ﴿أوَلم تؤمن﴾؟، فلما قال له إبراهيم: ﴿بلى﴾ مؤمن: أجابَهُ اللهُ لِمَا طلب؛ لأنه كان يَعلمُ أنَّ إبراهيمَ كانَ مُتيَقنًا بإخبار اللهِ تعالى له، ولكنه أحَبَّ أن يُشَاهِدَ ذلك عيَانًا لِيَحْصُلَ له مَرْتَبَة: (عَيْن اليَقين)، وأما المُرتاب؛ فإنه لا يَهديهِ اللهُ أبدًا، بل يُضِله، ويَزيدُهُ ضلالاً على ضلالِه، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ فلذلك يَنبغي للعبد – إذا أُشكِلَ عليه أمرٌ ما – أنْ يُصَحِّح نِيَّته، فيقول: (أنا أريدُ أن أفهم، أنا قد التَبَسَ عَليَّ الأمر)، فإذا صَدَقَ في ذلك، فوَاللهِ – الذي لا إلهَ غيرُه – لَيُفَهِمَنَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيُعَلمَنَّه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إن تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ﴾ (والحديث في صحيح الجامع برقم: 1415)، وقال اللهُ تعالى في الحديث القدسِي: ﴿أنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ إنْ خَيْرًا فخَيْر، وَإنْ شَرًّا فَشَرّ﴾ (والحديث في صحيح الجامع برقم:1905).

****

18. تفسير الربع الثامن عشر من سورة البقرة

الآية 261: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في الجهاد، وجميع أنواع الخير: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ بُذِرَت في أرضٍ طيبة، فـ ﴿ أَنْبَتَتْ﴾ هذه الحبة: ﴿ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ﴾ منها ﴿مِائَةُ حَبَّةٍ﴾، فبهذا تكون الحبة الواحدة قد أثمرت سبعمائة حبة، وهكذا الدرهم الواحد ينفقُه المؤمنُ في سبيل الله: يُضاعَف له إلى سبعمائة ضعف، وقد يضاعفه اللهُ إلى أكثر من هذا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وذلك بحسب ما يكون في قلب المُنفِق من الإيمان والإخلاص التام، وبحسب نَفْعِ نفقته، ووقوعها موقعها ، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في فضله وعطائه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يَستحق هذه المُضاعَفَة؛ لأنه سبحانه – وحده – المُطَّلع على نيَّات عباده، يَعلم المخلص من غيره؛ إذ إنه سبحانه لا يَقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري –: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)؛ بمعنى: أن الأعمال تُقبَل بحسب النيات، فما كانَ لِلهِ تعالى: فإنه يقبله، وما كان لغيره: فإنه يردُّه على صاحبه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ هذا، وقد عرَّف العلماءُ الإخلاصَ بتعريفاتٍ كثيرة، ولكنْ مِن أنفع هذه التعريفات للعبد أن الإخلاص هو: (تَغميضُ القلب عن كل ما سِوَى الرَبّ)؛ بمعنى أن يَتناسَى العبدُ نظرَ الخلق إليه، ويُهَوِّن ثنائهم عنده، فيَعلم أنهم لو مدحوه: ما رفعوه، ولو ذمُّوه: ما خفضوه، إنما الذي يَرفع ويَخفض هو اللهُ عز وجل، فيَعظُمُ بذلك ثناءُ اللهِ عندَه، وينشغل بنظره سبحانه إليه، وبسماعه له، فبهذا لا يَرجو إلا رحمته، ولا يَخشى إلا عذابه ؛ ولذلك ينبغي – قبل أن يعمل العبد العمل – أن يسأل نفسه سؤالاً واحدًا: (ماذا أريد من وراء هذا العمل؟)، والجواب في كلماتٍ ثلاث: (أريد حسنات فقط)، (فلا أريد من البشر شيئًا ؛ إنما أعمل – فقط – من أجل الجنة ونعيمها).

♦ واعلم أنّ هناك أمورًا دقيقة جدًّا في مسألة الإخلاص والرياء، تجعل العبد لا يَحكم على نفسه بالإخلاص أبدًا، ولا يُحسِنُ الظن بنفسه ولا بعمله، بل يعمل وهو خائفٌ ألاَّ يكون مخلصًا، فيأتي يوم القيامة فيجدُ عملَه هباء منثورًا، فعلى سبيل المثال: (رجلٌ عَلِمَ أن أخاه مريض، فذهب لزيارته، ولكنْ لماذا زاره؟ لأنّ صديقه سوف يُعاتبه إن لم يَزُره، فزاره مِن أجل رفع العتاب عن نفسه، ولم يَزُره لله)، فهل هذا يتساوى مع من زارَهُ لأنه يحبُّه في الله، ولكي يدعو له، ويَرقيه بالرُقية الشرعية، ويواسيه بالكلام الطيب ليخفف عنه، وليشتري له طعاماً أو فاكهة ينوي بها (إطعام الطعام، وإدخال السرور على قلب مسلم)؟

♦ وهناك مثال آخر: (شخصٌ أُهْدِيَ إليه بصندوق كبير من الفاكهة، فقال: (إن الصندوق كبير جدًّا، ماذا سأفعل بهذا كله؟ سآخذ من الصندوق ما يَكفيني، وأتصدَّق بالباقي)، وبالفعل، تصدَّق بجزء من الصندوق، ثم لمَّا جلس يأكل: وجد أن الفاكهة حلوة جدًّا، فقال في نفسه: (لو كنت أعرف أنها حلوة هكذا، ما كنت تصدَّقْتُ بهذا كله!)، فهل هذا يتساوى مع من فرح أنه تصدَّق بهذه الفاكهة الحلوة؛ لعلّها تنالُ عند اللهِ القبول، ولأنّ مَن أخذها سوف يَفرح بها كما فرح هو بها؟).

♦ فكل هذه أعمال قلب يَغفل الكثير عنها، ولَعَلّ هذا هو المقصود من قول بعض السلف: (رُبَّ عمل صغير تُعظِّمُه النية، ورُبَّ عمل كبير تصغِّره النية).

♦ ولكنْ قد يقول قائل: (إنني أجتهد في أن أُخْلِص العمل لله، ولكنْ يأتي الشيطان فيقول لي: (أنت لستَ مُخلِصًا، أنت تكذب على نفسك، وتفعل ذلك من أجل الناس)، فيُحبطني بذلك عن إكمال العمل، فماذا أفعل؟)، والجواب: أن تستعيذ باللهِ منه، ثم تقول له – على سبيل دفع مجادلته ووسوسته -: (نعم أنا مُرَاءٍ، أسألُ اللهَ أن يتوب عليَّ، ليس لك شأن)، ثم تُخلص العمل لله جل وعلا، بأنك لا تريد من ورائه إلا الحسنات.

♦ وقد يقول قائل: (حينما يسألني سائل، فإنني – عندما أُخرج الصدقة لأعطيها له – أجد مَن يوسوس لي بأنني فعلتُ ذلك من أجل أنني استحييتُ من السائل، وليسَ لله، أو أنّ ذلك السائل قد لا يَستحق الصدقة؟)، والجواب: أن تجدِّد النية – وقتها – بأنك تقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في أنه كان لا يَرُدُّ سائلاً، ثم تتحرى – قدر المستطاع – أن تعطي الصدقة لمن يَستحقُّها، وسوف يَقبلُها الله تعالى بفضله ومشيئته، وعليك أن تسأل الله دائمًا أن يرزقك الإخلاص.

www.alukah.net

الآية 262: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا ﴾ أي تفضُّلاً على مَن أعطوه، ﴿وَلَا أَذًى﴾ بقولٍ أو فِعلٍ يُشعِرُهُ بالتفضُّل عليه.

♦ والمَنُّ: هو ذِكر الصدقة وتعدادها على مَن تُصدِّق عليه (وذلك على سبيل التفضُّل عليه)، وقد يَطلب منه فِعل خدمات مقابل هذا الإحسان، وكذلك قد يكون المَنُّ بالقلب، كأن يفعل له هذا الرجل - الذي تُصدِّق عليه - موقفًا يُغضبه، فيقول المتصدِّق في قلبه: (هل نَسِيَ كل ما فعلتُهُ معه؟ إنه لا يستحق ذلك)، وأما الأذى: فهو التطاول على المتصدَّق عليه، وإذلاله بالكلمات التي تمسُّ كرامتَه، كأن يَشتري له حذاءً جديدًا، ثم يقول له أمام الناس: (لا تقلق، أتلِفِ الحذاءَ، وأنا أحضر لك غيره)، واعلم: أنّ المَنَّ مِن كبائر الذنوب، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: (ثلاثة لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامة، ولا يُزكيهم، ولهم عذابٌ أليم - وذَكَرَ منهم -: والمَنَّان الذي لا يُعطِي شيئًا إلا مَنَّهُ).

♦ فهؤلاء الذين اجتنبوا المَنّ والأذى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، وهذه هي السعادة الحقيقية؛ لأنّ حياتهم قد خلت من الخوف والحزن، وحَلَّ محلَّها الأمنُ والسرور.

الآية 263: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: أي كلامٌ طيب تقوله للسائل، مِثل: (الله يُوسع عليك، الله يرزقُك من فضله)، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: أي وعفوٌ عما صدر منه من إلحاح: ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا﴾ من المتصدِّق ﴿أَذًى﴾ وإساءة، ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقات العباد، ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلهم بالعقوبة.

الآية 264: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا﴾: أي لا تُذهبوا ثوابَ ﴿صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، فهذا حاله في إبطال صدقاته ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾: أي يُخرجُ مالَه ليراه الناس، فيُثنوا عليه، أو ليَدفعَ عن نفسه لومَهم ومذمَّتَهم إذا لم يتصدق، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ لأنه لا يريد بعمله وجه اللهِ ولا الدار الآخرة، ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أي حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ أي مطر غزير، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: أي فأزاح المطرُ الترابَ عن الحجر، فتركه أملس عاريًا ليس عليه شيء، فكذلك تذهب صدقات هؤلاء المرائين، و ﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾: أي ولا يجدون عند الله شيئًا من الثواب على ما أنفقوه؛ وذلك لأنهم وضعوا النفقة في غير موضعها، وجعلوها لمخلوق مثلهم لا يَملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، وانصرفوا عن عبادة مَن تنفعهم عبادتُه، فصرف اللهُ قلوبهم عن الهداية؛ فلهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: أي لا يُوفِّقهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها، (وفي هذا تحذير شديد للمؤمنين أن يَسلكوا مسالك الكافرين في إنفاقهم وأعمالهم، فإنها باطلة مردودة عليهم).

♦ واعلم أنه يُستدَلّ بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾: على أن الأعمال السيئة تُبْطِلُ الأعمال الحسنة، فكما أن الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات، فالسيئات أيضًا يُذْهِبنَ الحسنات؛ ولذلك ينبغي للعبد أن يحافظ على حسناته - التي تَعِبَ في تحصيلها - من كل ما يُفسدها ويُضيعها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وقد ضرب اللهُ مثلاً بهذه الصخرة الملساء التي عليها التراب؛ لأنّ الأرض الصخرية إذا رآها الفلاّح ظن أنها أرض زكية قابلة للنبات، فيُعجبُه نعومة تربتها وصفائها، فيبذر فيها رجاء الحصاد، ولكنْ إذا نزل عليها المطر الشديد وذهب بالبذر معه، فإنه يُصابُ بخيبة الأمل (فكذلك المنفِقُ مالَه رئاء الناس، والذي يعمل أعمالاً تفسد حسناته).

الآية 265: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ أي طلبًا لرضا اللهِ تعالى، ﴿ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي وتيقُّنًا بصدق وعده سبحانه على إثابة المنفقين ، ومضاعفة حسناتهم، ومغفرة ذنوبهم، (وليس على وجه التردد وضعف النفس في إخراجها)، فمَثَلُ نفقة هؤلاء ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: أي بُستان كثير الأشجار ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: أي موجود بأرض عالية طيبة، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: أي أصابت هذه الجنةَ أمطارٌ غزيرة ﴿فَآَتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: أي فتضاعفتْ ثمراتها، ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾: يعني وإن لم تسقط عليها الأمطار الغزيرة، فيكفيها رذاذ المطر لتعطي الثمرة المضاعَفة، وكذلك نفقات المخلصين تُقبَل عند الله وتُضاعَف – قلّتْ أم كثرت - ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ومُطّلعٌ على سرائركم، فيُثيبُ كُلاًّ بحسب إخلاصه.

الآية 266: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ أيها المنفقون أموالهم رئاء الناس، وكذلك مَن عمل عملاً لوجه الله، ثم عمِلَ أعمالاً تُفسِدُه، فهل يحب أحدهم ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾: أي بستان عظيم ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ فتسقيها من غير تكلفة و ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ﴾ أنواع ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: أي وقد تقدمت به السِنّ، وأصبح شيخًا كبيرًا، فضعُف عن العمل وزاد حِرصُه، ومع هذا العجز : ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: أي وله أولاد صغار في حاجة إلى هذا البستان، وهم ضعفاء لا يقدرون على الكسب وجلب عيشهم بأنفسهم، ولا يعاونون أباهم الكبير، بل هم عبء وَهَمّ ثقيل عليه، فبينما هو كذلك : ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾: أي فهبَّتْ على هذه الجنة – التي هي مصدر عيشهم – ريحٌ شديدة، فيها نارٌ مُحرقة فأحرقتها، فكيف يكون حال ذلك الرجل الكبير وأولاده من الهم والغم والحزن؟ (وهكذا الذي يُنفق أموالَه رئاءَ الناس، والذي يَعمل العمل لوجه الله ثم يُفسده، فإنّ أعمالهم بمنزلة بذر الزروع والثمار، ولا يزالون كذلك حتى يحصل لهم من أعمالهم جنة موصوفة بغاية الحُسن والبهاء، ثم يأتي ذلك الرياء، وتلك المُفسِدات التي تفسد الأعمال، فتكون بمنزلة الإعصار (وهي الريح القوية التي تستدير ثم ترتفع في الجو) فتحرق تلك الأعمال).

♦ فبذلك يخسرون حسناتهم يوم القيامة، في وقتٍ هم أحْوَجُ إليها من حاجة هذا الرجل وأطفاله الصغار لهذه الجنة، فإنّ العبد أحْوَجُ ما يكون لعمله إذا مات وكان بحالة لا يَقدِرُ معها على العمل ، فيجد عمله الذي يضع أمله عليه قد صار هباءً منثورًا، فلو تصور الإنسان هذه الحالة، وكان له ذرة عقل، لم يُقدِمْ على ما فيه مَضرته وحسرته، ولكن ضعف الإيمان والعقل يُصَيِّر صاحبه إلى هذه الحالة؛ فلهذا حَثَّ تعالى على التفكر ، فقال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾: أي بمِثل هذه الأمثلة يُبَيِّنُ اللهُ لكم ما ينفعكم كي تتأملوا، فتُخلِصوا في نفقاتكم، وتحافظوا على حسناتكم.

الآية 267، 268: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ أي من الحلال الطيب الذي كسبتموه، ومن جيِّد أموالكم وأصلحها، ﴿وَمِمَّا﴾: أي وأنفقوا – أيضًا – مما ﴿أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الحبوب وأنواع الثمار مما تحبونه وترضونه لأنفسكم، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾: أي ولا تقصدوا الرديء الذي لا ترضَوْنه لأنفسكم فتنفقونه، ﴿وَلَسْتُمْ

www.alukah.net

﴿بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: يعني وأنتم لا تأخذون هذا الرديء من الناس إلا أن تغضوا أبصاركم عن النظر في رداءته، وتتسامحوا في أخذه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عنكم وعن صدقاتكم، وإنما نَفْع صدقاتكم وأعمالكم عائدٌ إليكم، واعلموا أنه سبحانه ﴿حَمِيدٌ﴾: أي مُستحقٌّ للثناء في كل حال؛ لِمَا أفاض – ويفيض– من النعم على خلقه، واعلموا - أيضًا - أن هذا البخل واختيار الرديء للصدقة إنما مصدره ﴿الشَّيْطَانُ﴾ الذي ﴿يَعِدُكُمُ﴾: أي يخوِّفكم ﴿الْفَقْرَ﴾ لِيَمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾: أي ويأمركم بارتكاب الفواحش، ومنها: البخل، والشحُّ، ويدعوكم إلى مخالفة أوامر الله تعالى في النفقات وغيرها، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾ على إنفاقكم ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم، وتطهيرًا لعيوبكم، ﴿وَفَضْلًا﴾: أي ورزقًا واسعًا، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في فضله، ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأعمال والنيات، وعليمٌ بمن يَستحق فضله وعطاءه.

الآية 269: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (والحِكمة هي الإصابة والسَّداد في القول والفِعل ، وهي تتمثل في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله)، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: يعني ومَن أنعمَ اللهُ عليه بذلك فقد أعطاهُ خيرًا كثيرًا، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: يعني وما يَتذكر هذا ويَنتفع به إلا أصحاب العقول المُستنيرة بنور الله وهدايته.

الآية 270: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ يعني أو ألزمتم أنفسكم بشيءٍ من مال أو غير ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾؛ لأنه المُطَّلِع على نِيَّاتكم، وسوف يُثيبكم على ذلك ، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: أي واعلموا أنّ مَن منع حقَّ الله فهو ظالم ، والظالمون ليس لهم أنصارٌ يمنعونهم من عذاب الله.

♦ واعلم أن النذر ثلاثة أنواع: (النذر المشروط بشرط معين)، كأن يقول العبد مثلاً: (إنْ شَفَى اللهُ فلانًا: فللهِ عَلَيَّ أن أصوم ثلاثة أيام)، وهذا النوع مكروه؛ لأنه لا يَصدر إلا من البخيل الذي يَشترط على ربه، والنوع الثاني : هو (النذر المُطلَق) أي بدون شرط أو مقابل؛ كأنْ يقول العبدُ مثلاً: (للهِ عليَّ أن أصوم ثلاثة أيام، أو للهِ عليَّ أن أقرأ نصف جزء من القرآن يومياً ، أو للهِ عليَّ ألاّ أفعل المعصية الفلانية أبدًا، أو لمدة أسبوع مثلاً)، وذلك على سبيل إلزام النفس، وتربيتها، وترويضها على فِعل الطاعات واجتناب المعاصي، وهذا النوع هو قربة من أفضل القُرُبات، وأما النوع الثالث : فهو (النذر لغير الله تعالى)، كالنذر للأولياء والصالحين وغير ذلك، وهذا شرك.

♦ واعلم أنّ الإنسانَ إذا نذرَ نذرًا جائزًا: (سواء كانَ نذرًا مُطلَقًا، أو كانَ نذرًا مَشروطاً) فعليه أن يُوفِي بنذره، فإذا نقضَ نذرَهُ، فليَعلم أنَّ كفارة النذر هي نفسها كفارة اليمين، وأمّا نَذْرُ الشِّرك، فلا يَجوز للإنسان أن يَفعله ولا أن يُوفِي به.

الآية 271: ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾: يعني إن تُظهِروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أمام الناس، وكنتم تقصدون بها وَجْهَ اللهِ تعالى، وحَثّ الناس على الصدقة: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾: أي فنِعْمَ تلك الصدقة التي أظهرتموها لِيَقتدي الناس بكم، فيتصدقوا مثلكم، فيكون ذلك في مصلحة الفقير، ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي أفضل لكم من الإنفاق أمام الناس؛ لأن ذلك سيكون أبعد لكم عن الرياء، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: أي وبسبب الصدقة – مع الإخلاص – يَمحو الله مِن ذنوبكم، ويُلاحَظ أنه تعالى لم يقل: (ويكفر عنكم سيئاتكم)؛ لأنّ حقوق العباد لا تكفِّرها الصدقة، إلا إذا وهب المتصدق ثواب الصدقة لهم (بنية أن يَرُدّ بذلك حقوقهم)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعلم دقائق الأمور.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

19. تفسير الربع الأخير من سورة البقرة

الآية 272: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾: أي لستَ مَسؤولاً عن توفيق الكافرين للإيمان وصالح الأعمال؛ وإنما عليك فقط بيان الطريق المستقيم، وهذا هو الجَمْع بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (أي هِداية التوفيق)، وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (أي هِداية الإرشاد والبيان)، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي يَشرحُ صدرَ مَن يَشاءُ لِدينِهِ ويُوفقه له.

♦ واعلم أن سبب نزول هذه الآية، أنه لما رَغَّبَ اللهُ تعالى المؤمنين في صدقة التطوع (وهي الصدقة المُستَحَبَّة، غير الزكاة المفروضة)، جاء غير المؤمنين – من اليهود وغيرهم – فسألوا مِن هذه الصدقة، فتحرَّج الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من التصدق عليهم، فأذهَبَ اللهُ عنهم هذا الحرج، وأذِنَ لهم بالتصدق على غير المؤمنينَ ولو لم يهتدوا، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ﴾: يعني وما تُنفِقوا مِن مالٍ: تُثَابُوا عليه في الدنيا والآخرة، سواء كان على مؤمن أو على كافر، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: يعني والمؤمنون لا يُنفقون إلا طلبًا لمَرضاة اللهِ تعالى وَجَنَّتِهِ والنظر إلى وجهه الكريم، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي مِن مالٍ – مخلصين لله – ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: أي يُرَدّ ثوابه كاملاً إليكم، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: يعني وأنتم لا تُنْقَصُون شيئًا من ذلك، حتى وإن كان قليلاً تحتقرونَ أن تتصدقوا به، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصَّحِيحَيْن –: (اتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تمرة)؛ أي ولو أن تتصدقوا بنصف تمرةٍ، أو ما يُعادلها في القِيمة.

الآية 273: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: أي اجعلوا صدقاتكم لأوْلى الناس استحقاقاً لها، وهم فقراء المسلمين ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي الذين حَبَسوا أنفسهم مِن أجل طاعة الله (كالاستعداد للجهاد وغير ذلك)، وكذلك مَن حُبسوا ومُنِعوا من التصرف في أموالهم (لأنهم هاجروا من بلادهم)؛ لذلك فهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾: أي لا يستطيعون السفر للتجارة أو للعمل (طلبًا للرزق)؛ بسبب حصار العدو لهم، وَهُم ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾: يعني والذي لا يَعرفهم: يَحسبهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي بسبب تعففهم عن السؤال، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: أي تعرفهم بعلامات الاحتياج فيهم (كاصفرار وجوههم وثيابهم البالية)، ومع ذلك فهم ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: أي لا يسألون الناس بالكُليَّة، وإن سألوا اضطرارًا: لم يُلِحُّوا في السؤال.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ وسيَجزي سبحانه عليه أوفر الجزاء يوم القيامة، فقد أخبر تعالى أنه يُضاعف ثواب الصدقة إلى سبعمائة ضعف ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنَّ الصدقة لَتُطْفِئُ عن أهلها حَرَّ القبور، وإنما يَسْتَظِل المؤمن يوم القيامة في ظِلِّ صَدَقَتِه) (انظر السلسلة الصحيحة ج: 7)، وقال صلى الله عليه وسلم : (والصدقة تُطفِئُ الخَطيئة كما يُطفِئُ الماءُ النار) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 5136).

الآية 274: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ﴿سِرًّا﴾ أي في الخَفاء ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ أي جهراً أمام الناس لِيُشَجِّعوهم على الصَدَقة ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي لهم ثوابٌ عظيم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (فذلك التشريع الإلهي

www.alukah.net

الحكيم هو مِنهاج الإسلام في الإنفاق، فقد جَعَله اللهُ تعالى سَدّاً لحاجة الفقراء في كرامةٍ وعِزَّة، دونَ أن يضطروا إلى السؤال، وكذلك جَعَله تطهيراً لذنوب الأغنياء وتزكيةً لنفوسهم وأخلاقهم).

الآية 275: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾: أي الذين يتعاملون بالربا - وهو الزيادة على أصل الدَّيْن - يعني يأخذون من الناس مالاً زائدًا عن قيمة الدَّيْن الذي أعطوه لهم، والقاعدة الشرعية تقول: (كل قرضٍ جرَّ نفعًا، فهو ربا)؛ يعني أيّ قرْض كان مِن ورائِهِ زيادة المال المُقترَض، أو تَسبَّب في حصول مَنفعة عادت على صاحب الدَّيْن، فهذا القرض يكونُ ربًا، وذلك كأن يَقترض شخصٌ ألفَ دِرهم مِن شخص آخر، فيقول له صاحب المال: (تَرُدُّهم إليَّ ألفًا ومائتي درهم) (أو تردهم ألفًا فقط، بشرط أن تفعل لي الخِدمة الفلانية) أو غير ذلك.

♦ فهؤلاء ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ في الآخرة مِن قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي يَضربه ويَصرعه ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أي من الجنون، فيقومون من قبورهم حيارَى سُكارَى مُضطربين، مُتوقعين لِسوء العاقبة وعظيم العذاب، و﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾؛ لأنَّ كِلَيْهما - بزعمهم - يؤدي إلى زيادة المال، وهذا القول لا يَصدر إلا مِن جاهلٍ عظيمِ العِناد، فكما تقلبتْ عقولهم وقالوا ذلك، جازاهم اللهُ مِن جِنس أحوالهم، فصاروا يَخرجون من قبورهم كالمجانين.

♦ ثم رَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾؛ وذلك لِما في البيع والشراء مِن نفعٍ للأفراد والجماعات، ولِما في الربا من استغلال وضياع وهلاك، ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ بالنَّهْي عن الربا ﴿فَانْتَهَى﴾ عنه ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾: أي فله ما مضى من المال قبل أن يَبلغه التحريم، ولا إثم عليه فيه، وليس عليه أن يَرُدَّ الأموال التي سبقت توبته، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيما يُستقبَل من زمانه، فإن استمرَّ على توبته، فإنّ اللهَ لا يُضيعُ أجر المحسنين، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى الربا، ففعَلَهُ بعد بُلوغِهِ نَهْيَ اللهِ عنه، فقد قامت عليه الحُجَّة، ووجبتْ عليه العقوبة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وقد عُلِمَ - بالكتاب والسُّنَّة وإجماع سَلف الأمَّة - أنّ التوحيد يَمنع صاحبه من الخلود في النار، فبالتالي يكون المعنى: (فلولا ما مع الإنسان من التوحيد، لَصارَ أكْلُهُ للربا صالحًا لخلوده في النار)؛ ولهذا يجب أن يَحذر - أشد الحذر - مَن يتعامل بالربا، أو يُعِين غيره على فِعل الربا؛ فالأمرُ خطير وليس بالهَيِّن.

الآية 276: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: أي يُذهِبُ اللهُ الربا كله، أو يَحرِمِ صاحبه بَركة مالِهِ فلا يَنتفع به، ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾: أي يُنَمِّيها ويُكَثِّرها، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في الصَّحيحَيْن -: (مَن تصَدَّقَ بعدل تمرة - (يعني بمقدار أو بقيمة تمرة) - مِن كَسْبٍ طيب، ولا يَصعد إلى اللهِ إلا الطيب، فإنَّ اللهَ يَتقبلها بيمينه، ثم يُرَبِّيها لصاحبه كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل) (والفَلُوُّ: هو ولد الفَرَس)، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مُصِرٍّ على كُفره، مُسْتَحِلٍّ أكل الربا، كَفَّارٌ لِنعم اللهِ عليه، لا يُؤدي ما أوْجَب عليه من الصدقات، ﴿أَثِيمٍ﴾: أي مُصِرّ على الإثم وأكْل الحرام.

الآية 277: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني وأدَّوا الصلاة في أوقاتها - باطمئنانٍ وخشوع - كما أمَرَ اللهُ ورسوله ﴿وَآَتَوُا الزَّكَاةَ﴾: أي وأخرَجوا زكاة أموالهم، أولئك ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يَستقبلونه مِن أمْر الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 278: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ أي اتركوا طلب ما بَقِيَ لكم من زيادة على أصول أموالكم – التي كانت لكم عند الناس – قبل تحريم الربا، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: يعني إن كنتم مُحققين إيمانكم قولاً وعملاً.

الآية 279: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾: يعني فإن لم تنتهوا عمَّا نهاكم اللهُ عنه، وظللتم تطلبون هذه الزيادة على أصل الدَّيْن: ﴿فَأْذَنُوا﴾: أي فتيَقنوا ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾: يعني وإن رجعتم إلى ربكم وتركتم أخْذ الربا: ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾: أي فلكم أَخْذُ ما لكم مِن ديون دونَ زيادة، وبهذا ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ أحدًا بأخذ ما زاد على رؤوس أموالكم، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: أي ولا يَظلمكم أحد بإنقاصكم شيئًا مما أقرضتموه.

الآية 280: ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المَدين (الذي عليه الدَّيْن) ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾: أي غير قادر على السداد: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾: أي فأمْهِلوه إلى أن يُيسِّر اللهُ له رزقًا فيَدفع لكم مالكم، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾: يعني وأن تتركوا للمَدِين رأس المال كله أو بعضه ولا تُطالِبوه به: فهذا ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فقد قالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 6106)، وقال النَّبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصَّحِيحَيْن –: (كانَ تاجرٌ يُدَاين النَّاس، فإذا رأى مُعْسِرًا، قال لصِبيانه: تجاوزوا عنه؛ لَعَلّ اللهَ أن يَتجاوز عنَّا، فتجاوَزَ اللهُ عنه)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم –: (مَن سرَّه أن يُنجيه اللهُ مِن كُرَب يوم القيامة، فليُنفِّس عن مُعسِر (يعني فليُؤخِّر مُطالبته عن المَدِين إلى مُدَّةٍ يَجد فيها مالاً)، أو يَضع عنه)؛ يعني أو يَترك له رأس المال كله – أو بعضه – ولا يُطالبه به.

الآية 281: ﴿وَاتَّقُوا﴾ أي احذروا – أيها الناس – ﴿يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ وهو يوم القيامة، حيثُ تُعرَضون على ربكم ليحاسبكم على جميع أعمالكم، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاءَ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ مِن خيرٍ أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

الآية 282: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ ﴾ أي إذا تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ يعني إلى وقتٍ معلوم، وهو وقت السَداد، ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾: أي فاكتبوا هذا الدَّيْن؛ وذلك حِفظًا للمال ودَفعًا للخِلاف، ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾: يعني وليَقُم بالكتابة رجل أمين، يَعدل بينهما، فلا يَميل لأحدهما – لِقرابةٍ أو صداقةٍ أو غير ذلك – ويَجب أن يكون عارفًا بكتابة الوثائق وما يَحصل به التَوثُّق، وأن يَستطيع أن يُلزِم كل واحد منهما – في هذه الوثائق – بالحق الذي له أو عليه؛ لأنه لا سبيلَ إلى العدل إلا بذلك، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾: أي ولا يَمتنع ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾، فكما أحسَنَ اللهُ إليه بتعليمه الكتابة، فليُحسِنْ إلى عباد اللهِ المحتاجين إلى كتابته ، ولا يَمتنع عن الكتابة لهم، بل ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾: أي وليَقم المَدِين – الذي عليه الدَيْن – بإملاء الكاتب ما عليه مِن الدَّيْن؛ (لأنّ ذلك الإملاء يُعتبَر اعترافًا منه بالدَّيْن الذي عليه)، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي ولا يُنْقِص شيئًا مِن الدَّيْن الذي عليه أثناء الإملاء.

﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ وهو المَدين ﴿سَفِيهًا﴾: أي لا يُحسن التصرف في المال كالمُبَذر، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: يعني أو كانَ صغيرًا أو مجنونًا، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ ﴾: يعني أو كان لا يستطيع النُّطق وإملاء ما عليه بنفسه، بسبب خَرَسٍ به أو

www.alukah.net

عدم قدرة كاملة على الكلام : ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾: يعني فليَقم وَلِيُّ المَدين (وهو الذي يتولى شؤونه) بالإملاء نِيابةً عنه، بلا زيادة ولا نقصان، ولا غش ولا احتيال.

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾: أي اطلبوا شهادة رجلين مُسلِمَيْن بالِغَيْن عاقلَيْن مَشهود لهما بالعدل، (واعلم أن العدل يُشترَط فيهِ العُرف في كل مكان وزمان ، فكل مَن كان مَرْضِيًّا مُعتبَرًا عند الناس: قُبلَتْ شهادته) ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾: يعني حتى إذا نَسِيَتْ إحداهما الشهادة ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ أي فتُذَكِّرها الأخرى، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾: يعني ولا يَمتنع ﴿الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لِيَشهدوا وقت كتابة الدَيْن (وكذلك عليهم أداء الشهادة إذا طُلِبَ منهم ذلك في أيّ وقت).

♦ واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا دُعُوا﴾ فيه دليل على أنه لا يَجب على الشاهد أن يَشهد إلا إذا دُعِيَ إلى الشهادة، ولكنْ وَرَدَ في السُّنَّة: (الترغيب في أداء الشهادة ولو لم يُدْعَ إليها المسلم)، خاصةً إذا توقف على شهادته إثباتُ حق من الحقوق، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا).

﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾: يعني ولا تمَلوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ - أي الدَّيْن - سواء كانَ ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ يعني إلى موعد السداد، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الكتابة مع الإشهاد ﴿أَقْسَطُ﴾: أي أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في شرعِهِ وهَدْيِه، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: أي وأعظم عَونًا على إقامة الشهادة وأدائها، وأثبت لها وأكثر تقريرًا؛ لأن الكتابة لا تُنسَى، والشهادة تُنسَى، أو قد يموت الشاهد، أو يَغيب عن الإدلاء بشهادته، ﴿وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: يعني وأقرب إلى نفي الشك في قيمة الدَّيْن وموعد سداده، بخلاف الإشهاد بدون كتابة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: يعني إن كانت المسألة مسألة بيع وشراء، وذلك بأخذ سلعة ودفع ثمنها في الحال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: يعني فلا حاجة إلى الكتابة، ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: أي ورغم أنه لا حرج أو إثم يَترتب على ترْك الكتابة في البيع، إلا أنه يُستحَب الإشهاد على تلك التجارة؛ مَنعًا للنِّزاع والخِلاف، مِثل أن يبيع أحدٌ دارًا أو بستانًا لأحد، أو غير ذلك.

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: أي واعلموا أنه لا يَجوز لصاحب الحق ومَن عليه الحق: الإضرار بالكُتَّاب والشهود، وذلك بأن يُكلفوهم ما لا يَقدرون عليه، كأنْ يَدعوهم لِيَشهدوا ويَكتبوا في مكان بعيد، أو أن يَطلبوا منهم أن يَكتبوا زُورًا أو يَشهدوا به، أو أن يُلزِموهم الكتابة والشهادة وهم في أشغالهم، فإذا تَعَذَّرَ ذلك منهم لانشغالهم، فليَطلُبا كاتبًا وشاهدًا غيرهما، وكذلك لا يجوز للشاهد والكاتب أن يُضِروا بصاحب الحق، وذلك بالامتناع عن الكتابة والشهادة بدون عذر.

﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ - أي خروج عن طاعة اللهِ - وعاقبة ذلك الفسوق سوف تَحِلّ عليكم، وتلحق ﴿بِكُمْ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: يعني وكما عَلَّمَكم اللهُ هذا العِلم النافع، يُعلمكم جميع ما يُصلِح دُنياكم وأُخراكم، واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: فيه وَعْدٌ منه تعالى بأنْ يَجعل للمُتقي نورًا في قلبه، يَفهمُ به ما يَتلقاهُ من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

العلم فهمًا صحيحًا، قال تعالى: ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ أي نورًا وعِلمًا تُفرقون بِهِ بين الحق والباطل، والهُدى والضلال، والسُنَّة والبِدعة، والحلال والحرام ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الآية 283: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾: يعني وإذا كنتم مُسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ يَكتب لكم، أو لم تجدوا أدوات الكتابة: ﴿فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾: يعني فليَضَعِ المَدِين عندَ صاحب الحق شيئًا يَقبضه منه، ويكونُ رَهنًا عنده حتى يأتيه حقه ، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: يعني فإنْ وَثَقَ بعضكم ببعض، فلا حَرَجَ في ترْك الكتابة والإشهاد والرَّهن، ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾: أي ويَبقى الدَّيْن أمانة في ذمَّة المَدِين إلى أن يؤديه لصاحب الحق (وعلى هذا فإذا وُجِدَ الأمانُ والثقة بين الدائن والمَدِين، فلا تَجِب الكتابة، بل تُستحَب فقط).

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: يعني ويَجِب على المَدِين أن يَخافَ اللهَ تعالى ولا يَخونَ صاحبه، فإذا أنكرَ الدَيْن الذي عليه، وكانَ هناك مَن حضر وشهد، فعليه أن يُظهِر شهادته، ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾: أي فهو صاحبُ قلبٍ غادر فاجر، (وقد نُسِبَ الإثم إلى القلب؛ لأن الكِتمان مِن عمل القلب)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وقد اشتملت هاتان الآيتان على حِكَمٍ عظيمة، ومصالحَ عَميمةٍ، دَلَّتْ على أنّ الخَلق لو اهتدوا بإرشاد اللهِ لهم، لَصَلحَ دِينهم ودنياهم، فقد اشتملتْ على العَدل والمَصلحة، وحِفظ الحقوق وقطع المُشاجَرات، وانتظام أمْر المَعاش، فللهِ الحمدُ كما يَنبغي لجلال وجهه وعظيمِ سلطانه.

الآية 284: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكًا وتدبيرًا وتصَرُّفاً وإحاطة، فهو سبحانه لا يَخفَى عليه شيء، ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجِزُهُ شيء (فأحكامُهُ تعالى تدور بين العدل والفضل، والجميع مِلكُهُ وعبيده، وهم طَوْعُ قَهْرِهِ ومشيئتِهِ وتقديرِهِ وجزائِه)، (هذا، وقد أكرم اللهُ المسلمين بعد ذلك فعفا عن حديث النفس وخطَرات القلب، ما لم يَتْبَعها كلامٌ أو عمل، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لمَّا نزلتْ: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾: (دخلَ قلوبَهُم منها شيء) - أي كأنهم شَقَّ عليهم أن يُحاسبهم اللهُ على ما يدور في أنفسهم -، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (قولوا: سمعنا وأطعنا وسَلَّمْنا)، فألقى اللهُ في قلوبهم الإيمان، فلمَّا فعلوا ذلك، نَسَخَها اللهُ تعالى فأنزل قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾).

الآية 285: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو القرآن، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ كذلك صَدَّقوا وعَمِلوا بالقرآن العظيم، ﴿كُلٌّ﴾ مِن الرسول والمؤمنين ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ فنحن نؤمن بهم جميعًا، ولا نفرّق بينهم في الإيمان بهم، ولكننا نُقِرُّ - أيضًا - بأنّ اللهَ قد فَضَّلَ بعضهم على بعضٍ درجات (كما أخبر سبحانه بذلك)، ﴿وَقَالُوا﴾ أي الرسول والمؤمنون: ﴿سَمِعْنَا﴾ يا ربنا ما أوحيتَ به ﴿وَأَطَعْنَا﴾ في كل ذلك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾: أي نرجو أن تغفر - بفضلك - ذنوبنا، فأنت الذي رَبَّيتنا بما أنعمتَ به علينا ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: يعني وإليك - وحدك - مَرجعنا ومصيرنا.

www.alukah.net

الآية 286: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾: يعني إنّ دِينَ اللهِ يُسر، لا مَشَقةَ فيه، فلا يَطلب اللهُ مِن عباده ما لا تُطِيقه أنفسهم، ﴿لَهَا﴾: أي لكل نفسٍ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير، فتُجْزَى بِهِ خيرًا، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر، فتُجْزَى به شرًّا.

♦ ثم عَلَّمَ اللهُ المؤمنين كيف يَدعونه بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ﴾ أي لا تعاقِبنا ﴿إِنْ نَسِينَا﴾ شيئًا مِمَّا افترضتَهُ علينا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ في فِعْل شيءٍ نَهيتنا عن فِعله، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾: أي لا تكلّفنا من الأعمال الشاقة ما كَلَّفتَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا مِن العُصاةِ عقوبةً لهم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ يعني ما لا نتحمله من التكاليف والمصائب.

﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾: أي فيما بيننا وبينك مما تَعلمه مِن تقصيرنا وزَلَلِنا، ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا﴾: أي فيما بيننا وبين عبادك، فلا تُطْلِعهم على مَساوئنا وأعمالنا القبيحة، ﴿وَارْحَمْنَا﴾: أي فيما يُستقبَل، فلا تُوقِعنا – بتوفيقك – في ذنب آخر؛ ولهذا قالوا: إن المُذنِب مُحتاجٌ إلى ثلاثة أشياء : أن يَعفو اللهُ عنه فيما بينه وبينه، وأن يَستره عن عباده فلا يَفضحه بينهم، وأن يَعصمه فلا يُوقِعه في ذنبٍ آخر، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أي مالِكُ أمرنا ومُدَبِّرُه ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

♦ واعلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر – كما في الصَحيحَيْن – أنَّ مَن قرأ هاتين الآيتين (الأخيرتين من سورة البقرة) في ليلةٍ كَفَتاه (أي كَفَتاه مِن شر ما يُؤذيه).

****

♦ وفي خِتام تفسير سورة البقرة نُحِبّ أن نَذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم –: (اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزَّهراوَيْن: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غَيَايَتان، أو كأنهما فِرْقان من طيرٍ صَوَافّ (والمقصود أنهما تُظِلان أصحابهما يوم القيامة)، تُحاجَّان (أي تجادلان) عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة؛ فإنَّ أخْذَهَا بركة، وتَرْكَهَا حسرة، ولا تستطيعها البَطَلَة)؛ (والبَطَلَة: هم السَّحَرة؛ لأنَّ ما يفعلونه باطل)، وَهَؤلاء السَّحَرة لا يستطيعون اختراق تحصين سورة البقرة لصاحبها؛ ولذلك ينبغي للعبد أن يُداوم على قراءة سورة البقرة وأن يَتدبرها، وأن يَحفظها إن أمْكَنَه، مع مُراجَعتها باستمرار حتى لا يَنساها، وأن يَعمل بما فيها من أحكامٍ وأوامر (قدر المُستطاع)؛ وذلك حتى يُحَصِّلَ الثواب المذكور في الحديث السابق، وكذلك للتخلص من السِّحر وإبطاله وإفساده، ووقاية النفس منه بإذن الله تعالى.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة آل عمران كاملة

1. تفسير الربع الأول من سورة آل عمران

الآية 1: ﴿الم﴾: سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أن هذه الحروف تُقرأ هكذا: (أَلِف لام ميم).

الآية 2، والآية 3، والآية 4: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي الذي لا يَستحق العبادة إلا هو، ثم ذَكَر سبحانه الدليل على ذلك، فأخبَرَ أنه ﴿الْحَيُّ﴾ الذي لا يموت، وكُلُّ حَيٍّ غيره مَسبوقٌ بالعدم، ويَلحقه الفَناء، فهو وحده المُتَّصِف بالحياة الكاملة، وهذه الحياة الكاملة تَتطَلَّب بالضرورة وجود جميع الصفات - التي لا تتم الحياة إلا بها - (كالإرادة والعِلم والسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والعِزّ، وغير ذلك من صفات الجلال والكمال)، وهو سبحانه ﴿الْقَيُّومُ﴾: أي القائم على كل خلقه بالتربية والرعاية والحفظ والرزق والتدبير، ولذلك افتقرتْ إليه جميع مخلوقاته، واستغنى هو سبحانه عن خلقه.

♦ ومِن مَظاهر قيامِهِ تعالى بشؤون عباده ورحمته بهم أنْ ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (وهو القرآن الذي لا شَكَّ فيه)، فكُلُّ ما فيه حقٌّ وصِدق، فكانَ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي مُوافقًا لِما كانَ قبله مِن صحيح الكُتب السماوية، لأنّ مَصدرها جميعًا واحد، وهو اللهُ تعالى، ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ﴾ - أي مِن قبل نزول القرآن - فأنزَلَها تعالى ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾: أي لإرشاد الناس إلى الإيمان، وإلى ما فيهِ صلاح دينهم ودنياهم، ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: أي وأنزَلَ سبحانه ما يُفَرِّق به بين الحق والباطل، كالكتب السماوية والمُعجزات، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي قاهِرٌ لِكُل شيءٍ، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ بمن جحد حُجَجَهُ وأدِلّته وتفرُّده بالعُبودية.

الآية 5: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ - فعِلْمُهُ سبحانه مُحيطٌ بجميع الخلائق، وسيُجازي المُكَلَّفين منهم على أعمالهم.

الآية 6: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي يَخلقكم في أرحام أُمَّهاتكم كما يشاء (مِن ذكرٍ وأنثى، وأبيض وأسمر وغير ذلك)، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا مَعبودَ بحقٍّ إلا هو سبحانه، وهو ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يَمنعه مانع مِمَّا أراد، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمْرِهِ وتدبيره.

الآية 7، والآية 8: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن الكريم ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ أي: مِنَ القرآن آياتٌ واضحات الدِّلالة، لا تَحتمل إلا معنًى واحدًا، فلذلك ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أي هُنَّ أصل الكتاب، بحَيثُ يُرجَعُ إلى هذه الآيات عند وجود التباس، أو إشكال في الفَهم، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾: أي وهناك آياتٌ أُخَر تَحتمل بعض المعاني، فلا يُعلَمُ المقصود منها إلا بضَمِّها إلى الآيات المُحكَمات، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: أي مرضٌ وضلال، فهؤلاء لِسُوء قصدهم: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾: أي فيَذهبون إلى المُتشابِه وحده، دونَ أن يَرجعوا إلى المُحكَم الواضح، وذلك ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: أي طلبًا لعمل الفتنةِ، لِيُثيروا الشُّبُهات عند الناس كي يُضِلوهم، ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: وحتى يُفَسِّروا هذه الآيات المُتشابهات على ما يُوافق مَذاهبهم الباطلة، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ولا يَعلم حقيقة معاني هذه الآيات إلا الله، ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾: يعني وأما

www.alukah.net

المُتمكنونَ ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ - وَهُم أهل العِلم اليَقيني، الذين رَسختْ أقدامهم في معرفة الحق، فلا يَزِلُّون مِن أجلِ شُبهة أو باطل – فهؤلاء ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾: أي صَدَّقنا بهذا القرآن، ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾: أي فالقرآنُ كله – المُحكَم منه والمُتشابه – قد جاءنا مِن عند ربنا على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويَرُدُّون مُتشابِهه إلى مُحكَمِه.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يعني: وإنما الذين يَفهمون المعاني على وجهها الصحيح ويتَّعظونَ بها: هم أصحاب العقول السليمة، فهؤلاء يَسألون ربهم الثبات، ويقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ﴾ أي لا تُضِلّ ﴿قُلُوبَنَا﴾، ولا تجعلها تميل عن الحق بسبب شُبهةٍ أو شهوةٍ أو فِتنة، وذلك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الحق وعَرَّفتنا به، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾: أي وامنحنا مِن فضلك رحمة واسعة، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ أي كثير الفضل والعطاء.

الآية 9: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ يعني: يا ربنا، إننا نُقِرُّ ونَشهد بأنك ستجمع الناس ﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي ليومٍ لا شَكَّ في وقوعه – وهو يوم القيامة – لِتُجازي فيه الناس بأعمالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

الآية 10: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا مِن عذاب اللهِ إنْ وقع بهم في الدنيا، ولن تدفعه عنهم في الآخرة، ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ أي حطب النار.

الآية 11: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: يعني إنّ شأنَ الكافرين في تكذيبهم وما يَنزل بهم من العذاب، كشأن فرعون وأتباعه ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فقد ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: يعني إنكروا آيات اللهِ الواضحة ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي فعاجَلهم اللهُ بالعقوبة بسبب تكذيبهم وعِنادهم ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

الآية 12: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِن اليهود وغيرهم، الذين استهانوا بنصرك في بَدْر، وقالوا لك: (لا يَغُرَّنَّك أنك قاتلتَ مَن لا يُحسِنُ الحرب فانتصرتَ عليهم، إنك إنْ قاتلتنا ستعلمُ أنَّا نحن الناس، وأنك لم تَلقَ مِثلنا)، فلمَّا قالوا قولتهم هذه يُهَددون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمَرَه اللهُ أن يقول لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا، وستموتون على الكفر، ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ لِتكون فِراشًا دائمًا لكم ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: أي وهي بِئسَ الفِراش والمُستقرُّ.

♦ وبالفِعل، فقد جَمَعهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال لهم: ﴿يا مَعشرَ يهود، احذروا مِن اللهِ مِثلَ ما نَزَلَ بقريش يومَ بدر، قبل أن يَنزل بكم ما نزل بهم، وقد عرفتم أني نبيٌّ مُرسَل، تجدون ذلك في كتابكم وعَهْدِ اللهِ إليكم﴾، (وقد صَدَقَ القرآنُ فيما أخبر به مِن هزيمة اليهود ، حينما قال لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾، فكانَ هذا دليلاً على أن القرآن وَحيٌ من الله، وأن محمدًا هو رسول الله، وأن الإسلام هو دين اللهِ الحق).

الآية 13: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ - أيها اليهود المُعانِدون - ﴿آيَةٌ﴾: أي دلالة وعِبرة عظيمة ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾: أي في جماعتين تقابلَتا في معركة بَدْر، منهم ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي مِن أجلِ دين الله، وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ تقاتل مِن أجل الباطل، ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ أي: وهذه الجماعة الكافرة ترى المؤمنين ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾: أي يَزيدون عليهم في العدد زيادة كبيرة، تبلغ المُضاعَفة، وأكَّدَ على ذلك بقوله: ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾، (وقد جعل اللهُ ذلك سببًا في نصر المسلمين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عليهم، فهزموهم وقتلوا زعماءهم، وأسَرُوا كثيرًا منهم)، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (فاللهُ تعالى يَنصر مَن نَصر دينه، ويَخذل مَن كَفر به).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي حَدَث ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظيمة ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾: أي لأصحاب البصائر النافذة، والعقول الكاملة، الذين يَهتدون إلى حِكَم اللهِ تعالى وأفعاله، وإلاَّ، فلو نَظَرَ الناظر إلى مجرد الأسباب الظاهرة (كالأعداد والسلاح)، لَتأكَّدَ أنه يَستحيل هزيمة هذه الفئة القليلة لِتلك الفئة الكثيرة، ولكنْ كانَ وراء هذا السبب – الذي يُشاهَد بالأبصار - سببٌ أعظم منه، وهو نَصْرُهُ تعالى لعباده المؤمنين بجنوده التي لا يَعلمها إلا هو (كالملائكة، وإلقاء الرُّعب في قلوب الكافرين، وتكثير أعداد المؤمنين في عيون أعدائهم، وغير ذلك).

الآية 14: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾: يعني الاموال الكثيرة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: أي الخيل الحِسَان (والحِسان: جَمْع حَسَن)، ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ من الإبل والبقر والغنم (وهي الضأن والماعز)، ﴿وَالْحَرْثِ﴾: يعني الارض المتَّخَذة للغرس والزراعة، ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وزينتها الفانية، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾: أي عِنْدَهُ حُسن المَرجع والثواب، وهو الجنَّة.

الآية 15، والآية 16، والآية 17: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾: يعني هل أُخبِركم بخيرٍ مما زُيِّن للنَّاس في هذه الحياة الدنيا؟، والجواب: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: إنّ الذين راقبوا اللهَ تعالى وخافوا عقابه، هؤلاء لهم في الدار الآخرة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي حدائق عجيبة، تجري أنهارُ الماء والعسل واللبن والخمر مِن تحت قصورها وأشجارها، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون منها أبداً ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من كل أنواع الدَنَس الحِسِيِّ (كالبَول والحَيض)، وكذلك مِن الدَنس المعنوي (كالكذب وسُوء الخُلُق)، ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ يُحِلُّهُ سبحانه عليهم، فلا يَغضب عليهم أبداً ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ أي آمَنَّا بك، واتَّبَعنا رسولك محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ ﴿وَقِنَا﴾ أي: وأجِرنا واحفظنا من ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾.

♦ ثم وصف سبحانه هؤلاء المتقين بقوله: ﴿الصَّابِرِينَ﴾ أي على الطاعات، وعن المعاصي، وعلى ما يُصيبهم من الابتلاءات، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يَزالُ البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يَلقى اللهَ وما عليه خطيئة) (انظر السلسلة الصحيحة: ج 5/ 349)، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال والنيَّات ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾: أي الطائعين المُنقادين للهِ تعالى، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ الذين يُنفِقونَ مِن أموالهم سِرّاً وعَلانية، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾: أي الذين يُكثِرون من الاستغفار – وهو طلب المغفرة – قبل طلوع الفجر بقليل (وهو وقت السحور)، (وقد خَصَّ اللهُ ذلك الوقت بالاستغفار، لأنَّه وقتٌ يُرجَى فيه قبول الاستغفار، وإجابة الدعاء).

الآية 18: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي شَهِدَ اللَّهُ تعالى أنَّهُ لا معبودَ بحقٍّ إلا هو، وكل معبودٍ سِوَاهُ باطل، وهذا هو ما يُعرَف بـ ﴿توحيد الألُوهِيَّة﴾، وهو إفرادُ الله وحده بجميع أنواع العبادة ﴿كالصلاة والصيام والدعاء والذبح والنذر والطواف والاستغاثة والاستعانة – فيما لا يَقدر عليه الخلق﴾، وغير ذلك من أفعال العبد.

www.alukah.net

♦ وهذا النوع من التوحيد هو الذي لم يُقِرَّ به مُشركوا العرب، على الرغم مِن أنهم كانوا يَعترفون بأنّ اللهَ وحده هو المُتفرِّد بالخَلق والرزق والتدبير، وغير ذلك من أفعال الربّ سبحانه، وهو ما يُعرَف بـ (توحيد الرُّبوبيَّة)، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾.

♦ ورغم إقرار المشركين بتوحيد الرُّبوبية، فإنّ ذلك لم يُنَجِّهِم من الخلود الأبدي في نار جهنم، إذ إنه لابُدّ مِن أن يَجمعوا بين توحيد الألوهية وتوحيد الرُّبوبية (فكما اعترفوا بأنه وحده الخالق الرازق: لابد أن يعترفوا – أيضًا – بأنه وحده المستحق للعبادة، وأن يُوَحِّدوا له عبادتهم)، ولكنهم تكبروا عن الإقرار بتوحيد الأُلوهية، كما قال تعالى في سورة الصافات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وذلك لأنهم كانوا يعلمون أنهم إذا أقرُّوا بكلمة: ﴿لا إله إلا الله﴾، فإنهم سوف يَنقادون لأمر اللهِ وحده، ولن يُحَكِّمُوا أهواءهم وشهواتهم في أيّ أمْرٍ بعد ذلك.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾: أي وقد شهدتْ الملائكة، وشهد أهل العلم – أيضًا – على أنه لا معبود بحق إلا هو سبحانه، ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: أي قائمًا بالعدل، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

****

2. تفسير الربع الثاني من سورة آل عمران

الآية 19: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾: يعني إنَّ الدِين الذي ارتضاهُ اللهُ لخَلقِه، وأرسَلَ به رُسُله، ولا يَقبَل غيره هو الإسلام (وهو الانقياد للهِ وحده بالطاعة، والاستِسلام له بالعُبودية، والسَلامة من الشِّرك، واتّباع الرُسُل فيما بَعَثهم اللهُ به من التوحيد)، حتى خُتِموا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، الذي لا يَقبلُ اللهُ مِن أحدٍ دينًا - بَعدَ بِعثتِهِ – إلا الإسلام الذي أُرسِلَ به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ﴾: يعني وما وقع الاختلاف بين ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ مِن اليهود والنصارى، فصاروا فِرَقاً وأحزابًا ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: يعني إلا مِن بعد ما تبيَّنوا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي وُعِدوا به في التوراة والإنجيل، وذلك ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: أي ظلمًا وحسدًا، وحِفاظًا على المنافع التي بينهم، وطلبًا للدنيا، لأنّ كل فرقةٍ منهم كانت تتمنَّى أن يكون هذا النبي الخاتَم مِن عندها، حتى تكون لها الرئاسة والسُّلطة الدينية والدنيوية دونَ غيرها، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي يَجحد بها – وخصوصًا مَن ترَكَ الحق بعدما عرفه – ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي فإنّ اللهَ يُحصِي عليه ذنوب كُفره وسيئات عِصيانه، ثم يُحاسبه عليها ويَجزيه بها، وهو سبحانه سريع الحساب، فلا يَشغله شيءٌ عن آخر، ولا يُتعِبُهُ إحصاءٌ ولا عدد.

الآية 20: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: أي فإن جادلوك بعد أن أقمتَ عليهم الحُجَّة ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أي أخلصتُ قصدي وتوجهي، وأخلصتُ جميع أعمالي القلبية والبدنية للهِ وحده، وانقدتُ له بقلبي ولساني وجميع جوارحي، (وإنما خَصَّ الوجه لأنه أشرف الجوارح، وعليه تظهر المَشاعر، وبه يَحصُل التوجُّه إلى كل شيء)، (فإذا خضع وجه العبد لله: خضعتْ له

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جميع جوارحه، فلا يُشرك بعبادته أحدًا) ، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾: أي وكذلك مَن اتبعني من المؤمنين، أخلَصوا توجههم وأعمالهم لله، وانقادوا لأمره، ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ وهم مُشركوا العرب: ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾؟ ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ إلى الطريق المستقيم، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: وإنْ أعرَضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: أي فما عليك إلا البلاغ، وقد أبلغتَهم وأقمتَ عليهم الحُجَّة، وحسابُهم على اللهِ تعالى ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

الآية 21، والآية 22: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي يَجحدون بها كِبراً وعِناداً مِن بعد ما تبيَّنَ لهم الحق ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ ظلمًا ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾: أي ويَقتلون الناس الذين يَأمرون بالعدل واتِّباع طريق الأنبياء: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي فأخبِرْهم بخبرٍ يَظهرُ أثره على بَشرَةِ وجوههم ألمًا وحسرة، وهو العذاب المؤلم – للأبدان والقلوب والأرواح – في النار، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي بَطلَتْ أعمالهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، فلا يُقبَلُ منهم عملٌ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يَنصرونهم مِن عذاب اللهِ تعالى.

الآية 23: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾ حال ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾: أي آتاهم اللهُ عِلماً من التوراة ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: أي يُدْعَوْنَ إلى كتابهم الذي يؤمنون به وهو التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: أي لِيَفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ لأنّ الحُكم لم يوافق أهواءهم، ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: أي وهم مِن عادتهم أنهم دائمًا معرضون عن الحق.

الآية 24: ﴿ذَلِكَ﴾ الانصراف عن الحق ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: أي بسبب أنهم ﴿قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ وهي الأيام التي عبدوا فيها العِجل، وهذا اعتقادٌ فاسد لا دليل عليه، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي وهذا الافتراء والاعتقاد الفاسد – وهو اعتقادهم بأنهم لن يُعذَّبوا إلا أيامًا قليلة – هو الذي جَرَّأهم على اللهِ تعالى، وعلى استهانتهم بدينه (وهو الإسلام)، وجَرَّأهم كذلك على استمرارهم على دينهم الباطل الذي خَدَعوا به أنفسهم.

الآية 25: ﴿فَكَيْفَ﴾ يكونُ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ﴾ – في ذلك اليوم – ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

الآية 26، والآية 27: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾: أي تمنح المُلك والمال والتمكين في الأرض ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ مِن عبادك ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ لا بِيَدِ غيرك، تُفيضُ الخيرَ على مَن تشاء، وتَمنعه عَمَّن تشاء ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا يَمتنع عليك أمْرٌ من الأمور، بلِ الأشياءُ كلها طَوْع مَشيئتك وقدرتك، ومِن دلائل قدرتك – سبحانك – أنك ﴿تُولِجُ﴾: أي تُدخِل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ ﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيطولُ هذا ويقصُر ذاك، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كإخراج الزرع من الحَب، والمؤمن من الكافر، ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كإخراج البيض من الدجاج، والكافر من المؤمن، ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الآية 28: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: يَنهَى اللهُ المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء – بالمَحبة والتأييد والمَعونة والنُّصرة – على إخوانهم المؤمنين، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: أي ومَن يتولهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: أي

www.alukah.net

فاللهُ تعالى برِيءٌ منه – ومَن برِئَ اللهُ منه فقد هَلك – ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾: يعني إلا أن تكونوا ضِعافًا خائفين، تعيشون تحت سُلطانهم، فقد رَخَّصَ اللهُ لكم في أن تُعطوهم (حلاوة لسانكم) بكلمات المُجامَلة والمُلاطفة، مع مُخالفتهم بقلوبكم وأعمالكم، فتتَّقُوا بذلك شَرَّهُم وأذاهم حتى تقوى شوكتكم، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ في أن تتخذوا أعداءه أولياءَ ضد أوليائه، فاتقوه وخافوهُ ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، فيُجازي كُلاًّ بعمله.

الآية 29: ﴿قُلْ﴾ للمؤمنين: ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من مَحبة الكافرين ونُصرتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ يعني أو تُظهِروا ذلك للناس: ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ وسيحاسبكم عليه، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي وعِلمُهُ تعالى مُحيطٌ بكل ما في السماوات وما في الأرض، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي وله القدرة التامة على كل شيء.

♦ ورغم أنه كان مِن المُتوقع – بعد أنْ ذكرَ تعالى عِلمَهُ الخاص (وهو عِلمه بما في الصدور)، وبعد أن ذكرَ عِلمه العام (وهو عِلمه بجميع ما في السماوات والأرض) – أن يقول بعدها: (والله بكل شيء عليم)، ولكنه سبحانه أرادَ إثبات صفة القدرة بعد إثباتِهِ لصفة العِلم، حتى يَكمُلَ بذلك تحذيرُهُ للعُصاة، فكأنه سبحانه أراد أن يقول: (ويُحذِّركم اللهُ نفسَه، فلا تتجرَّؤوا على عِصيانه ومُوالاةِ أعدائه: إذ إنه ما مِن معصية – خَفيةٍ كانت أو ظاهِرة - إلاَّ وهو مُطَّلِعٌ عليها، وقادرٌ على العقاب بها، وإنْ أنظرَ مَن أنظر، فإنه سبحانه يُمهِل، ثم يأخذ أخْذَ عزيزٍ مُقتدِر).

♦ واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾، فيهِ إرشادٌ إلى تطهير القلوب، واستحضار عِلم اللهِ تعالى بما فيها في كل وقت، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم -: (إنّ اللهَ لا يَنظر إلى صوركم وأموالكم، ولكنْ ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)، فالقلب هو مَحلُّ نظر الرَّبّ، فلذلك ينبغي أن يَستحي العبد أن يَرى اللهُ تعالى في قلبه أيَّ فِكْرٍ رديء، بل عليه أن يُشغِلَ فِكرَهُ فيما يُقربه إلى ربه (مِن نصيحةٍ يَنصحُ بها عباده، أو تدبُّر لآيةٍ من كِتابه، أو تفكُّر في عظمتِهِ تعالى ونِعَمِه، فيَستشعر مَثلاً أنَّ عافيةَ اللهِ فضل، وأن بلاءهُ عَدْل: إذ إنه لو عامله اللهُ بِعَدْلِه لأَهْلَكَهُ في الحال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾، فبذلك يَشعر أنه لا يَستحق كل ما هو فيه من النِّعم بسبب مقابلته لِنِعَمِ اللهِ بالعِصيان، فساعتَها ينطقُ قلبُهُ بكلمة: (الحمدُ لله) – التي تملأ الميزان - قبل أن يَنطق بها لسانه، وذلك على كل لحظة عافية هو لا يَستحقُّها.

الآية 30: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾: أي يَنتظرها لتُجزَى به، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ تجده أيضًا في انتظارها، و ﴿تَوَدُّ﴾ أي تتمنى ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا﴾ أي زمنًا ﴿بَعِيدًا﴾، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ فاستعدوا لذلك اليوم، وخافوا بَطشَ اللهِ وعقابه إن عصيتموه، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: أي ومع شدَّة عقابه، فإنه سبحانه رءوفٌ بالعباد، إذ لم يُعاجلهم بالعقوبة، مع قدرته على ذلك.

الآية 31: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ حقًّا ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فهل هناك شيء أفضل مِن مَحبة اللهِ تعالى لعبده، وغفرانه لذنوبه؟! فواللهِ لو أيْقنَ العبدُ ذلك، لكانَ حريصًا – كُلَّ الحِرص – على التَمَسُّك بسُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في أقواله (كالمُداومة على أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وغير ذلك من الأذكار والأدعِيَة التي صَحَّتْ عنه صلى الله عليه وسلم)، وكذلك الاقتداء به في أفعاله (كالصلاة كما كان يُصلي، والوضوء مثل وضوئه وغير ذلك)، وكذلك التأدُّب بآدابه في الطعام والشراب وغير ذلك، وكذلك التخلق بأخلاقه (قدر المُستطاع)، فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يَغضب لنفسه، وإنما كان يَغضب إذا انتُهِكَ حَدٌّ مِن حدود الله.

♦ ويُلاحَظُ هنا أنّ اللهَ تعالى قال: ﴿يُحْبِبْكُمُ﴾، ولم يقل: (يُحِبُّكُم)، وذلك لِيُوَضِّح لنا أنّ هذا الأمر يأتي بالتَدَرُّج، فكلما ازداد اتِّباعُك للنبي صلى الله عليه وسلم ، كلما ازدادت مَحبة اللهِ تعالى لك ، وقد قال الحسن البَصْرِيُّ – رحمه الله – عن هذه الآية: (ادَّعَى قومٌ أنهم يحبون الله، فأنزل اللهُ هذه الآية مِحْنَةً لهم - أي امتحانًا لهم – إن كانوا صادقين في حب اللهِ تعالى، فليَتَّبعوا سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم)، فهذه الآية حاكمة على كل مَن ادَّعَى محبة اللهِ تعالى وهو ليس مُتَّبِعًا لسُنَّةِ نَبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وليسَ مُطيعًا له في أمْرِهِ ونَهْيِه.

♦ واعلم أنّ هذا الاتباع شرطٌ من شروط قبول العمل (مِثل الإخلاص تمامًا)، بحيث إنَّ العبد إذا فعل أمرًا مُبْتَدَعًا (لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه الكِرام مِن بعدِه) فإنّ ذلك العمل لا يَقبله اللهُ منه: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصحيحين –: (مَن عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ) أي فهو مَردودٌ على صاحبه، وقد أخبر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم – كما في صحيح مسلم – أنّ هناك أناسًا مِن أمته سوف يُطرَدون عن حَوضه يوم القيامة – رغم شدة الحر والعطش، ورغم حدوث الأمل لهم في النجاة بعدما رأوا الحَوض – فيناديهم صلى الله عليه وسلم: (ألاَ هَلُمَّ)، فيُقالُ له: (إنَّهم قد بَدَّلوا بَعدَك)، فيقول لهم: (سُحقًا سُحقًا – أي بُعدًا بُعدًا – لمَن بَدَّلَ بَعدي)، ففي هذا دليل على خطورة التفريط في اتباع سُنته صلَّى الله عليه وسلَّم .

الآية 32: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ باتباع كِتابه، ﴿وَالرَّسُولَ﴾: أي وأطيعوا الرسول باتباع سُنته في حياته وبعد مماته، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي فإن أعرضوا عنك، وأصَرُّوا على ما هُم عليه مِن الكفر والضلال، فاعلم أنهم ليسوا أهلاً لِمَحَبّة اللهِ تعالى لهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

****

3. تفسير الربع الثالث من سورة آل عمران

الآية 33، والآية 34: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ أي اختار ﴿آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ وفضَّلهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي على عالَمِي زمانهم، وهؤلاء الأنبياء والرسل كانوا ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾: أي سلسلة طُهْر متواصلة في إخلاصهم للهِ تعالى وتوحيده والعمل بِوَحْيِه، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال العباد ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم وأفعالهم، ولذلك يَصطفي مِنهم مَن يَعلمُ استقامته قولاً وفِعلاً، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

الآية 35: ﴿إِذْ﴾: أي اذكر حين ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ﴾ أي جعلتُ لك ﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أي خالصًا لك، لِخدمة بيت المَقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيَّتي.

www.alukah.net

الآية 36: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ لا تصلح للخدمة في بيت المقدس، ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ وسوف يَجعل لها شأنًا عظيماً، ثم قالت امرأة عِمران: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي أردتُ للخدمة ﴿كَالْأُنْثَى﴾ في ذلك، لأنّ الذَكَر أقوى على الخدمة، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾: أي أحَصِّنها ﴿بِكَ﴾ ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أي وكذلك أحَصِّن ذريّتَها بك ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي المطرود من رحمتك.

الآية 37: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: أي فاستجاب اللهُ دعاءها، وقَبِلَ منها نَذرها – ولم يَقبل أنثى مَنذورة غير مريم – وكذلك عصم مريم وولدها مِن مَسِّ الشيطان عند الولادة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصحيحين –: (ما مِن مولودٍ يُولد إلا والشيطانُ يَمَسُّهُ حين يُولَد، فيَستهِلُّ صارخًا مِن مَسّ الشيطان، إلا مريم وابنها)، وذلك استجابةً لدعاء امرأة عمران: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، واعلم أنّ كلمة: ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ توضح أنّ هناك زيادة في رضاه تعالى عن امرأة عمران.

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: أي وتولَّى ابنتها مريم بالرعاية والتربية منذ ولادتها، فقد جعل زكريا عليه السلام كافلاً لها، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ فأسكنَها في مكان عبادته: لِيُرَبِّيها على أكمل الأحوال، فنشأتْ في عبادة ربها، وكانَ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ - وهو مكان صلاته - ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ هنيئًا مُعَدًّا ف ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ يعني: مِن أين لكِ هذا الرزق الطيب؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الآية 38: ﴿هُنَالِكَ﴾: أي في هذا المكان المبارك الذي حدثتْ فيه هذه الكَرامة لمريم: ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ ف ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي ولدًا صالحًا مباركًا، (وقد قلنا بأنّ المقصود بالذرية هنا هو الذكر وليس الأنثى، لأنّ اللهَ سبحانه قد أخبرَ في سورة مريم أنّ زكريا عليه السلام دعاهُ فقال: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾)، ثم أتَمَّ زكريا دعاءه، فقال: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي لِمَن دَعاك.

♦ وفي هذا إرشادٌ إلى اغتنام الدعاء في الأماكن المباركة (كالمساجد بصفة عامة)، (وكالبيت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى) بصفة خاصة، وكذلك في الأزمِنة المباركة (كشهر رمضان، والعشر الأوائل من ذي الحجة، ووقت نزول المطر، وقُبَيْل طلوع الفجر، وفي آخر ساعة من يوم الجمعة، وغير ذلك).

الآية 39: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ أي يُخبرك بخبرٍ يَسُرُّك، وهو أنه رزقك ﴿بِيَحْيَى﴾ الذي سيكونُ ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾: أي سيكونُ مُصَدِّقًا بعيسى ابن مريم – الذي سيكونُ وُجودُهُ بكلمةٍ مِن الله، وهي كلمة: (كُن) –، ﴿وَسَيِّدًا﴾: أي وسيكون يحيى سيدًا في قومه، له المكانة والمنزلة العالية، ﴿وَحَصُورًا﴾: أي لا يأتي الذنوب والشهوات الضارة، ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي الذين بلغوا أعلى درجات الصلاح.

الآية 40: ﴿قَالَ﴾ زكريا – فرحًا مُتعجبًا –: ﴿رَبِّ أَنَّى﴾ يعني كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي أدركتني الشَّيخوخة وأضعفتني ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ أي عقيم لا تلد، ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ يعني هذا – الذي يَحدث لك – ليس بمُستبعَد على الإله القادر الذي يَفعَلُ مَا يَشاءُ من الأفعال الخارقة للعادة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 41: ﴿قَالَ﴾ زكريا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي اجعل لي علامةً على وجود هذا الولد لَيحصل لي السرور والاستبشار ، ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ التي طلبتَها هي ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾: يعني إنك لن تستطيع التحدث إلى الناس ثلاثة أيامٍ إلا بالإشارة إليهم، مع أنك سَوِيٌّ صحيح، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾: أي وفي هذه المدة أكثِرْ مِن ذِكر ربك، ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ أي أواخِر النهار وأوائله.

الآية 42: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ – والمقصود بهذا الاصطفاء أنه سبحانه اختارها لطاعته، وفرَّغَها لعبادتِه (ولذلك خَصَّها بأنواع الهِداية والعِصمة واللُّطف، فقد كفاها أمْرَ عَيْشها، فكانَ رزقها يأتيها من عند الله)، وأنه تعالى أسْمَعَها كلام الملائكة لها، ولم يَحدث هذا لأنثى غيرها، ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ مِن الكُفر والمَعصية والأخلاق الرذيلة، ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ – والمقصود بهذا النوع من الاصطفاء أنه تعالى وَهَبَ لها عيسى عليه السلام من غير أب، وأنطقَ عيسى حالَ انفصالِهِ منها لِيَشهد لها ببراءتها مِن التُّهمة، فبذلك جعلها وابنها آية للعالمين.

الآية 43: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾: أي داومِي على الطاعة لربك، وقومي في خشوع وتواضع، شكرًا لله على ما أعطاكِ مِن نِعَمِه، ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، (ويُلاحَظ هنا أنه سبحانه لم يقل: (واركعي مع الراكعات) مع أنها أنثى، وقد قال عنها – أيضًا – في سورة التحريم: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾، وذلك لأنه تعالى لمَّا كان يريد أن يَمدحَ عبدًا من عباده – رجلاً كانَ أو امرأة – كان يَمنحه درجة الرجال، قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾).

الآية 44: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قصَصْناهُ عليك أيها الرسول هو ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ (واعلم أنّ الوحي هو الإعلام الخفي السريع)، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾: يعني وما كنتَ معهم حين اختلفوا في كَفالة مريم أيُّهم أحَقُّ بها وأوْلَى، فعملوا القرعة، وألقَوْا أقلامهم التي يَكتبون بها التوراة، فوقع الاختيار على قلم زكريا عليه السلام، ففاز بكفالتها، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: يعني وما كنتَ معهم حين وقع بينهم هذا الاختلاف.

الآية 45: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أي يُبشرك بمولودٍ يكونُ وجوده بكلمةٍ من الله، وهي كلمة: "كن"، وهذا المولود ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وسيَكونُ ﴿وَجِيهًا﴾: أي له الجاه والشرف والقدْر ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله يوم القيامة، (واعلم أن لفظ: (المَسيح) هو لقب من الألقاب المُشَرَّفة كالصِّدِّيق والفاروق، وأصلُهُ بالعِبرانية: (مشيحا)، ومعناه: المبارك).

الآية 46: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾: أي بعد ولادته، ﴿وَكَهْلًا﴾: أي ويُكلمهم أيضاً وهو كَهل، وذلك بعد أن يَنزل من السماء في آخر الزمان ويَقتل الدَّجَّال، (قال الحسين بن الفضل رحمه الله: "وفي هذه الآيةِ نَصٌّ في أنه عليه الصلاة والسلام سيَنزل إلى الأرض)، فقد رُفِعَ عيسى عليه السلام إلى السماء وَعُمْرُهُ ثلاثٌ وثلاثون سنة (أي وهو في شبابه)، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي وهو مَعدود من أهل الصلاح والفضل في قوله وعمله.

www.alukah.net

الآية 47: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾؟! ﴿قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ أي هذا - الذي يحدث لكِ - ليس بمُستبعَد على الإله القادر، الذي يُوجِدُ ما يشاء من العدم، و ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾: أي إذا قدَّرَ أمرًا، وأراد إيجاد شيء: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

♦ ويُلاحَظ هنا أنّ اللهَ تعالى قال في قصة مريم: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، لأنّ الأمر كان مُعجِزًا وخارقًا للعادة، مِن غير وجود السبب الطبيعي للإنجاب، أمّا في أمْر زكريا عليه السلام فإنه قال: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، لأنّ الأمر كان طبيعيًّا بين الرجل والمرأة - وكانت أسباب الإنجاب موجودة - ولكنها كانت مُعَطَّلَة.

الآية 48: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾: أي ويُعلمه الكتابة، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: أي ويُعَلِّمُهُ سُنَن الأنبياء عليهم السلام، والفِقه، والسَّداد في القول والفعل، ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

الآية 49، والآية 50، والآية 51: ﴿وَرَسُولًا﴾: أي ويَبعثه رسولاً ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قائلاً لهم: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تدلُّ على أنني رسولٌ مِن عند الله، وهي ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾: أي أصنع لكم ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ﴾ أي مِثل شَكل ﴿الطَّيْرِ﴾ ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿وَأُبْرِئُ﴾: أي وبإذن اللهِ تعالى أشفي ﴿الْأَكْمَهَ﴾ وهو الأعمى، ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وهو الذي أصابه مَرَضُ البَرَص فتغيَّر لونُ جِلده، ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾ على أنني رسولٌ مِن عند الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني إن كنتم مُصَدِّقين حُجَجَ اللهِ وآياتِه ومُقرِّين بتوحيده.

♦ وهنا ينبغي أن نعرف الفرق بين المُعجِزات وبين ما يُسمونه بـ (السِّحر والشَّعْوَذَة): وهو أنّ المعجزة التي تحدث على يد النبي فإنه لا يَتباهَى بها، بل يَستدِلُّ بها لتقريب الناس إلى ربهم عَزَّ وجَلَّ، ولِدَعوَتِهم إلى التوحيد الخالص، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أعمال الخير والصلاح، أمَّا التي تحدث على يد الكاهن أو الساحر فإنه يَدعو بها لنفسه وللشياطين، وللشِّرك بالله عَزَّ وجَلَّ، وفِعل المُنكَرات، وأكْل أموال الناس بالباطل.

♦ ثم قال لهم عيسى عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقًا﴾: أي وجئتُكم مُصَدِّقًا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ المُنَزَّلة على أخي موسى لأحُثَّكُم على العمل بها، ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ مِن الأطعمة بسبب ذنوبكم، ثم أعادَ تذكيرهم بالمعجزات مرة أخرى، فقال: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وذلك ليكون كلامه مُؤثرًا في قلوبهم وطباعهم الغليظة، ولِيُؤكد أنها مِن عند الله، وليست مِن عند نفسه، فكأنه أراد أن يقول: (وجئتُكم بآيةٍ تدل على أنّ اللهَ هو ربي وربكم، وعلى أني رسولٌ من عنده).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أبلغُكُم به عن الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: يعني إنّ الله - الذي أدعوكم إليه - هو وحده ربي وربكم فاعبدوه، فأنا وأنتم سواءٌ في العُبودية والخضوع للهِ تبارك وتعالى، وإلاَّ، فدَعونا نتساءل: (أين قال عيسى عليه السلام في الإنجيل: (اعبدوني لأنني أنا ربُّكم)؟! وأين هو - أصلاً - إنجيل عيسى ابن مريم؟! وهل يُعقلُ أن ينزل الإله مِن عَليائِهِ لِيَعيشَ في بطن امرأة، ثم يَخرج منه ليَعيش على الأرض، فَيَرضع مِن أمِّهِ، ويحتاج إلى الطعام والشراب، وينام، ويحتاج إلى قضاءِ حاجته، ويَنشغلَ بأمر نفسِه؟! هل هذا إلهٌ يَستحق أن يُعبَد؟!) تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، ولذلك قال عيسى عليه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السلام بعدها: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يعني: وهذا - أي عبادة اللهِ تبارك وتعالى وحده لا شريك له - هو الطريق الصحيح الذي لا اعْوِجاجَ فيه، وهذا مُطابقٌ تمامًا لِما دعا إليه جميع الأنبياء والرُسُل من توحيد اللهِ تعالى، وإخلاص العبادة له.

****

4. تفسير الربع الرابع من سورة آل عمران

الآية 52: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ﴾ أي من اليهود ﴿الْكُفْرَ﴾: أي الإصرار على الكفر برسالته: نادَى في أصحابه المخلصين، فـ ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يعني: مَن يكون معي في نُصرة دين الله؟، ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ وهم أصفياء عيسى (الذين اختارَهم لِصُحبته): ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: أي نحن أنصار دين اللهِ والداعون إليه، ﴿آَمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي وَاشْهَدْ يا عيسى بِأنّنا مستسلمون للهِ تعالى بالتوحيد والطاعة.

♦ وفي هذا دليل على أنّ دينَ اللهِ واحدٌ وهو الإسلام، وذلك على مُختلف الأزمان والعصور، قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، ولكنّ الشرائع هي التي اختلفت، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، ثم خُتِمَت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي نَسخت جميع الشرائع المُنزَّلة، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، ولذلك تعهَّدَ اللهُ تعالى بحفظ القرآن، قال تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، أمّا الكتب السماوية الأخرى فإنّ اللهَ لم يَتعهد بحفظها، ولكنه وَكَلَ حِفظَها إلى الأحبار والرُهبان، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾، ولذلك أصابها التحريف.

الآية 53، والآية 54: ﴿رَبَّنَا آَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ أي عيسى عليه السلام، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: أي فاجعلنا في الآخرة مع مَن شَهِدوا لك بالوحدانية ولأنبيائك بالرسالة، وهم أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، (الذين يَشهدون للرسل بأنهم قد بلَّغوا أمَمَهم)، فلَمّا قام الحواريون مع عيسى بنُصرة دين اللهِ وإقامة شَرعه، آمنَتْ طائفة مِن بني إسرائيل بعيسى، وكفرتْ طائفة أخرى، فاقتتلت الطائفتان، فلهذا قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا﴾: أي ومَكر الذين كفروا - من بني إسرائيل - بعيسى عليه السلام، بأن وَكَّلوا به مَن يَقتله، ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ بهم، حيثُ ألقى شَبَه عيسى على رجلٍ دَلَّهم عليه، فأمسَكوا به، وقتلوه وصلبوه (ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام)، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

♦ وفي هذا إثبات صفة المَكر للهِ تعالى على النحو الذي يَليقُ بجلاله وكماله، لأنه مَكرٌ بحق، وفي مقابلة مَكر الماكرين، وقد كانَ النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: (وامكُر لي ولا تمكُر عليّ) (انظر صحيح الترمذي: 355)، ومِمَّا يَجب أن يُعلَم أنَّ أفعالَ اللهِ تعالى لا تُشبه أفعال العباد، لأنّ ذاتَهُ سبحانه لا تُشبه ذَواتِهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 55: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾: أي اذكر - أيها الرسول - مَكْرَ اللهِ بهؤلاء اليهود حين قال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: يعني إني قابضك من الأرض - حَيّاً - مِن غير أن ينالك سُوء، ومُتمِّم لك ما كُتِبَ لك مِن أيام بقاءك مع قومك، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ببدنك وروحك، (واعلم أن بعض المُفسرين قد فسَّروا قوله تعالى لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، أنه ألقَى عليه النوم، ثم رفعه إليه، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾، فأطلق سبحانه لفظ الوفاة على النوم، والله أعلم)، ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾: أي ومُخَلِّصُك ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ أي الذين هم على دِينك الحق (مِن توحيد الله تعالى، ومِن البِشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم)، فآمَنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد بعْثَته، والتزموا شريعته، فأولئك سأجعلهم ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

♦ وبالفعل، فقد أخبر سبحانه - في سورة الصف - بأنه أيَّدَ المؤمنين منهم على عَدُوِّهم، فأصبحوا ظاهرين عليهم، حتى بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ محمداً صلى الله عليه وسلم، فكان المسلمون هم المُتبعين لعيسى حَقيقةً، فأيَّدهم اللهُ تعالى ونَصَرَهم على اليهود والنصارى وسائر الكفار، وإنما يَحصل في بعض الأزمان انتصار الكفار على المسلمين، وذلك حِكمةً مِن الله تعالى، وعقوبةً للمسلمين على ترْكِهم العمل بكتاب ربهم وسُنَّة رسولهم صلى الله عليه وسلم، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمْر عيسى عليه السلام.

♦ واعلم أنّ في قولِهِ تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: دليلٌ على عُلُوّ اللهِ تعالى واستوائِهِ على عرشهِ حَقيقةً، كما دَلَّت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، مِن غير تشبيهٍ - لهذا الاستواء - ولا تَكييف (يعني مِن غير أن نقول: كيف استوى على العرش؟)، وسيأتي تفصيل ذلك في مَوضعه بإذن اللهِ تعالى.

الآية 56: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالمَسيح من اليهود، أو غَلَوا فيه من النصارى (أي جاوَزوا الحَدّ في تعظيمه)، ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسْر وإزالة المُلك، ﴿وَالْآَخِرَةِ﴾: أي وأعذبهم في الآخرة بالنار، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يَنصرونهم ويَدفعون عنهم عذاب الله.

الآية 57: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي يُعطيهم اللهُ ثوابَ أعمالهم - يوم القيامة - كاملاً غير منقوص، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يَظلمون الناس، والذين يَظلمون أنفسهم بالشِرك والكفر والمعاصي، (واعلم أنّ معنى ظُلمهم لأنفسهم أنهم يُعَرِّضونها - بذنوبهم - لغضب اللهِ وعقابه).

الآية 58: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: أي الذي نَقصُّه عليك في شأن عيسى هو ﴿مِنَ الْآَيَاتِ﴾: أي من الدلائل الواضحة على صحة رسالتك، وذلك باعتراف علماء النصارى أنفسِهم، مِثل النَجاشِي (مَلِك الحَبَشة) وَمَن معه، فحِينما تَلا عليهم جعفر بن أبي طالب آياتٍ مِن سورة مريم، حتى وَصَلَ إلى قول اللهِ تعالى - حِكايةً عن عيسى عليه السلام - : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، قال النَجاشيُّ لِجعفر: (إنَّ الذي قلتَ - (وهو القرآن) -، والذي قال عيسى - (وهو الإنجيل) - لَيَخرُجُ مِن مِشكاةٍ واحدة) - (وهو اللهُ تبارك وتعالى)، ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾: أي وهذا الذي نتلوه عليك هو من الدلائل الواضحة على صحة هذا القرآن الحكيم الذي يَفصل بين الحق والباطل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 59: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾: يعني إنَّ خَلقَ اللهِ لعيسى مِن غير أب، مَثَلُهُ كَمَثل خَلْق اللهِ لآدم من غير أب ولا أم، إذ خَلَقَهُ من تراب الأرض ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بَشراً ﴿فَيَكُونُ﴾، فدَعوَى ألوهية عيسى لِكَونِهِ خُلِقَ من غير أب دَعوَى باطلة، لأنّ آدم عليه السلام خُلِقَ من غير أب ولا أم، وقد اتفق الجميع على أنه عَبْد من عباد الله، وإلاَّ، فقد كانَ آدمُ هو الأَوْلَى بهذا الادِّعاء.

♦ ويُلاحَظ هنا أنّ اللهَ تعالى قال: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، رَغمَ أنه كانَ مِن المُتوَقَّع أن يقول: (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فكان) أي بصيغة الماضي – اتفاقاً مع سِياق الآية – ولكنه سبحانه أراد أن يُوضح أنّ هذا الأمر – وهو أمْر: (كُن فيكون) – يَتحقق في كل وقتٍ وحِين (في الماضي وفي المُستقبَل)، فكأنه سبحانه أراد أن يقول: (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فكان، وكذلك يكونُ أيّ شيءٍ يُريده، في أيّ وقتٍ يُريده).

الآية 60: ﴿الْحَقُّ﴾: أي الذي جاءك أيها الرسول في أمر عيسى هو الحقُّ ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي فاستمِرّ على يَقينك، ولا تكن من الشاكّين، (وفي هذا تثبيتٌ وطَمأنَة للرسول صلى الله عليه وسلم وأمّته).

الآية 61: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: أي فمَن جادَلَك – مِن النصارى - في أمر عيسى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، فنجتمعُ جميعاً في مكانٍ واحد، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾: أي ثم نتجه إلى اللهِ بالدعاء أن يُنزل عقوبته ولَعْنته على الكاذبين مِنّا، المُصِرِّين على عِنادهم، فيَهلَكوا على الفور، وبالفِعل، فقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في الغَد، ومعه الحسن والحسين وفاطمة (رضي الله عنهم)، إلاَّ إنّ علماء نصارى نَجران – الذين جاءوا يُجادلونه في أمر عِيسى – هَربوا من هذه المُلاعَنة، لأنهم عرفوا الحق، وخافوا إن دَعَوا باللعنة على الكاذبينَ أن يَهلكوا، فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فرفضوا، ورَضوا بالكفر (إبقاءً على مَناصبهم)، ورضوا بالمُصالحة، والتزموا بأداء الجِزيَة للمسلمين، (ففي هروب علماء نصارى نجران مِن المُلاعَنة: دليلٌ قاطع على أنّ محمداً هو رسول الله، وأنَّ دِينَهُ هو الدين الحق، وما سواهُ باطل).

الآية 62: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني: وما مِن مَعبودٍ يَستحق العبادة إلا اللهُ وحده، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

الآية 63: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: أي فإن أعرَضوا عن تصديقك واتّباعك فهُم المفسدون، واللهُ عليمٌ بهم، وسيُجازيهم على ذلك.

الآية 64: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أي يا أهل التوراة والإنجيل ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: أي إلى كلمةِ عدلٍ وحَقٍّ نلتزم بها جميعًا، وهي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ يعني ولا نتخذ أيَّ شريك معه – مِن صَنَمٍ أو بَشَرٍ أو صليب أو غير ذلك – ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي ولا يَدِينُ بعضُنا لبعضٍ بالطاعة مِن دون الله، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: فإن أعرَضوا ﴿فَقُولُوا﴾ لهم: ﴿اشْهَدُوا﴾ علينا ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: أي منقادون لربنا وحده بالعبودية والإخلاص.

www.alukah.net

الآية 65: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ أي لماذا تجادلون ﴿فِي﴾ أمر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بأن يَدَّعِي كلُ فريقٍ منكم أنه كان على مِلَّتِه ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي وقد عَلِمتم أنّ اليهودية والنَصرانية كانتا بعد وفاته بزمن؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

الآية 66: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ – أي يا هؤلاء – ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: أي جادلتم رسولَ اللهِ محمدًا صلى الله عليه وسلم فيما تعتقدونه حقاً – مِن أمْر عيسى عليه السلام – وهو باطل (لأنه بَشَر وليس إله)، ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ﴾: أي فلماذا تجادلونه ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِن أمْر إبراهيم عليه السلام؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الآية 67: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ أي مائلاً عن أيّ دين باطل، فكان عليه السلام ﴿مُسْلِمًا﴾: أي مُستسلمًا لربه، خاضعاً لأمْرِهِ وطاعته، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

الآية 68: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أي لَهُمُ الذين اتَّبعوه على التوحيد مِن أمَّته وآمَنوا برسالته، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾: أي وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ به هم أحَقّ الناس بإبراهيم، وأوْلَى بِهِ مِن غيرهم، لأنهم هم الذين اتَّبعوه على دينه (وهو توحيد اللهِ تعالى والإسلام له)، وأمَّا مَن تَرَكَ مِلَّتَهُ وراءَ ظهره (كاليهود والنصارى والمشركين) فليسوا من إبراهيم، وهو ليس منهم، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ناصرهم ومُعِينهم على أعدائهم.

♦ واعلم أنَّ اللام التي في قوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ تُسَمَّى: (لام التوكيد)، واعلم أيضاً أن هذه الآيات قد اشتملت على النَهي عن الجدال بغير علم.

الآية 69: ﴿وَدَّتْ﴾ أي تَمَنَّتْ ﴿طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ عن الإسلام، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ وأتْباعهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك لفساد قلوبهم.

الآية 70: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أي لماذا تجحدون بآيَاتِ اللَّهِ التي أنزلها في كتبكم، وفيها أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو الرسول المُنتظَر، وأنَّ ما جاءكم به هو الحق، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بذلك في أنفسكم، ولكنكم تُنكرونه أمام الناس.

الآية 71: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يعني لماذا تَخلِطون الحقَّ الذي بَيَّنتُهُ لكم بالباطل الذي حَرَّفتمُوهُ وكَتبتمُوهُ بأيديكم، ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ أي ولماذا تُخفون الحق الصريح مِن صفة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها موجودة في الكتب التي بأيديكم.

الآية 72، والآية 73: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ فيما بينهم: ﴿آمِنُوا﴾ أي أظهِروا الإيمان (نفاقاً) ﴿بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾: أي أول النهار، ﴿وَاكْفُرُوا﴾ به ﴿آخِرَهُ﴾: أي آخر النهار ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي لعلهم يتشكّكون في دينهم فيَرجعوا عنه، ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: أي ولا تُصدِّقوا تصديقًا صحيحًا إلا لمَن آمَنَ بدينكم، ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ والتوفيق هو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتوفيقه للإيمان الصحيح، وقالوا أيضاً: لا تُظهِروا ما عندكم من العلم للمسلمين ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾: أي حتى لا يَتعلموا منكم فيُساوُوكم في العلم، ﴿أَوْ يُحَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: يعني أو يَتخذوا هذا العلم – الذي عندكم – حُجَّةً عليكم عند ربكم، فيَغلبونكم بها، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ يَسَعُ بعِلمه وعطائه جميع مخلوقاته، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَن يستحق فضله ونِعَمَه.

♦ واعلم أنّ هذه الجُملة: ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾، هي مَعطوفة على قولهم في أول الآية: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، فكأنهم قالوا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ولا تُظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين، حتى لا يُؤْتَوا مِن العِلم مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ بهذا العلم عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾، وبهذا تكون الجُملة: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾، هي جملة اعتراضية بين الجملتين، للتأكيد على أن التوفيق للهُدى إنما هو بيد اللهِ تعالى وحده.

الآية 74: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي بالنُبُوَّة والهداية إلى أكمَل الشرائع ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مِن خَلقه ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

****

5. تفسير الربع الخامس من سورة آل عمران

الآية 75 ، والآية 76: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾ أي تأمَنْهُ على مالٍ كثير، فـ ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ مِن غير خيانة، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾ واحد، فـ ﴿لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ يعني إلا إذا بذلتَ غاية الجهد في مُطالبته، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾: أي بسبب أنهم ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾: أي ليس علينا في أكل أموال العرب إثمٌ ولا مؤاخذة، لأنّ الله قد أحَلَّها لنا، وهذا كَذِبٌ على اللهِ تعالى، ولذلك قال سبحانه بعدها: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون، ﴿بَلَى﴾: أي ليس الأمر كما زعم هؤلاء الكاذبون، فإنّ المُتّقِي حقاً هو ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ الذي عاهدَ اللهَ عليه مِن أداء الأمانة، ومِن الإيمان به وبرسله ﴿وَاتَّقَى﴾ اللهَ عَزَّ وَجَلّ، فامتثلَ أمْرَه واجتنب نَهْيَه، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

الآية 77: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ﴾: أي يَستبدلون بعهد اللهِ لهم – في كُتُبهم –، وكذلك يَستبدلون بحَلِفِهم باللهِ تعالى ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي عَرَضاً زائلاً مِن الدنيا، فـ ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾: أي لا نصيبَ لهم ﴿فِي﴾ نعيم الدار ﴿الْآخِرَةِ﴾، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ يوم القيامة غضباً عليهم (لتقديمهم هَوَى أنفسِهم على رضا ربهم)، ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بعَين الرحمة، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: أي ولا يُطهِّرُهم مِن دَنَس ذنوبهم وكُفرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم.

♦ ولذلك يَجب ألاَّ يَطمئن المسلمون إلى اليهود أبداً، وألاَّ يَثقوا فيهم - حتى ولو حلفوا لهم –، وذلك لِمَا عُرِفوا بهِ من الغدر والخيانة، (واعلم أنه يدخل أيضاً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾: ما يُلزِمُ به الرجل نفسه مِن عبادةٍ وغير ذلك، لأنّ كل ذلك مِن عهْد اللهِ الذي يَجب الوفاء به).

الآية 78: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ - أي مِن أهل الكتاب - ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ أي يُحَرِّفون الكلام – الذي في كُتُبهم – عن معناه الحقيقي، وكذلك يُحَرِّفون ألفاظه، بل ويَزيدون فيه مِن كلامهم، ثم يُميلون ويَعْوِجُون ألسِنتهم بهذا الكلام الذي

www.alukah.net

أضافوه، وذلك ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾: أي لِيُوهموكم أنّ هذا من الكتاب، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وهُم مِن أجْل دُنياهم: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي يَكذبونَ على اللهِ تعالى – مع عِلمهم أنهم كاذبون – وهذا أعظم عقوبةً مِمَّن يقولُ على اللهِ بغير علم.

الآية 79، والآية 80: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾: أي مَا كَانَ لِبَشرٍ أن يُنزِّل اللهُ عليه كتابه، ﴿وَالْحُكْمَ﴾: أي ويَجعله حَكمًا بين خلقه، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: أي ويُعطيه النُبوَّة ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾! فهذا يَستحيل أن يَصدر مِن أحدٍ أنعم اللهُ عليه بالنُبُوَّة (سواء كانَ عيسى عليه السلام أو غيره)، ﴿وَلَكِنْ﴾ يقولُ لهم: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾: أي كونوا حُكماء فقهاء علماء بسبب تَعليمكم الكتابَ للناس، وهذا التعليم يَتطلَّب أن تكونوا أنتم قدوة للناس (عِلماً وعَملاً)، ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: أي وبما تدرسونه من الكتابِ حِفظًا وعِلمًا وفِقهًا، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ هذا النبي ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ أي آلهة تَعبدونهم مِن دون اللهِ تعالى، ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يعني: أيُعْقَلُ – أيها الناس – أن يأمركم بالكفر باللهِ تعالى، بعد أن أَمَركم أن تنقادوا له؟!، وبعد أن كنتم على فِطرَتِكم الأولى ﴿وهي التوحيد﴾؟!، وبعد تعاليم الرُسل التي قبله بتوحيد اللهِ تعالى وإخلاص العبادة له؟! هذا لا يُعقَلُ أبداً، ولا يكونُ بأيِّ حال.

الآية 81: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: أي واذكر – أيها الرسول – حين أخذ اللهُ العهد المُؤكَّد على جميع الأنبياء، فقال لهم: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾: أي لَئِنْ أعطيتكم ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ مِن عندي ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: أي فهل أقررتم واعترفتم بذلك، وأخذتم عليه عهدي المُوثَق؟ ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾: أي فليشهدْ بعضكم على بعض، واشهدوا على أمَمِكم بذلك، ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم (وفي هذا دليل على أنّ اللهَ تعالى قد أخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأخذ العهد أيضاً على أُمَم الأنبياء بذلك).

الآية 82: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي فمَن أعرض عن الإسلام بعد هذا العهد الذي أخذه اللهُ عليهم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الآية 83: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ يعني: هل يريدون ديناً غير الإسلام؟ ﴿وَلَهُ﴾: أي ولِلهِ تعالى قد ﴿أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ أي طائعين لأمْر اللهِ تعالى (كالمؤمنين)، ﴿وَكَرْهًا﴾: أي رغمًا عنهم عند الشدائد، حِينَ لا يَنفعهم ذلك (وهم الكفار) مِثل إسلام "فرعون" عند موته، ﴿وَإِلَيْهِ﴾ أي وإلى اللهِ وحده ﴿يُرْجَعُونَ﴾ جميعاً (مؤمنهم وكافرهم)، فيُجازي كُلاً بعمله، وفي هذا تحذيرٌ مِن اللهِ تعالى لخلقه أن يَرجع إليه أحدٌ منهم على غير مِلَّة الإسلام.

الآية 84: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿آمَنَّا بِاللهِ﴾: أي صدَّقنا باللهِ الواحد الأحد وأطَعْناه، فلا رَبَّ لنا غيره، ولا مَعبودَ لنا سواه، ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي وآمنَّا بما أُنزلَ علينا من القرآن، ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾: أي وبما أُنزِلَ على إبراهيم ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسباط﴾ – والأسباط هم الأنبياء مِن وَلَدِ يعقوب (الذين كانوا في قبائل بَني إسرائيل الاثنتي عشرة) – ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾ أي وآمَنَّا بما أُوتِيَ ﴿مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ في الإيمان بهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي مُنقادونَ له تعالى بالطاعة والعبادة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 85: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾: أي ومَن يَطلب دِينًا غير دين الإسلام (الذي هو الاستسلام للهِ تعالى، والانقياد له بالطاعة والعبودية، والإيمان برسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم واتِّباعِهِ ومَحبته)، ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ذلك الدين الباطل الذي اختاره، ﴿وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لأنه قد استبدل النعيم المقيم بالعذاب الأليم.

الآية 86: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ يعني: كيف يُوَفِّق اللهُ – للإيمان به وبرسوله – قومًا جَحدوا نُبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به، ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾: أي وبعد أن شهدوا أنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم حق، وأنّ ما جاء به هو الحق، ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: أي وبعد ما جاءتهم الحُجَج والدلائل من عند اللهِ بصِحَّة ذلك، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية 87، والآية 88، والآية 89: ﴿أُولَئِكَ﴾ الظالمون ﴿جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ﴾ أي يَطردهم سبحانه مِن رحمته، ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾: أي وتدعو عليهم الملائكة باللعنة، ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أي والناسُ جميعاً يَلعنونهم، حتى الكُفار ، فإنهم يَلعنونهم يوم القيامة، كما قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي دائمين في اللعنة والنار، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾: أي لا يُرفَع عنهم العذاب قليلاً ليستريحوا، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: أي ولا هم يُمهَلون بمَعذرةٍ يَعتذرون بها ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي رَجَعوا إلى ربهم بالتوبة النصوح، نادمينَ مُستغفرين من خَطاياهم، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي مِن بعد كُفرهم وظُلمهم وكِتمانهم للحق، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوه، وأظهَروا ما كتموه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي فإنَّ اللهَ يَقبلُ توبتهم ويُجازيهم بالمغفرة، فهو سبحانه الغفور لذنوب عباده التائبين، الرحيم بهم إذ وَفقهم للتوبة وقَبِلَها منهم.

الآية 90: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾: أي استمروا على كُفرهم حتى الممات، فأولئك ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ عند حضور الموت، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

الآية 91: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي جَحَدوا نُبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ لِيَفتدي به مِن عذاب اللهِ تعالى ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ فِعْلا، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يُنقِذونهم مِن عذاب الله.

الآية 92: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾: أي لن تبلغوا درجة البر (الذي هو كمال الخير، والذي يُوصِلُ صاحبَه إلى الجنة)، قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصحيحيْن – : (وإنّ البر يَهدي إلى الجنة)، فلن تَبلغوا درجة الأبرار ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي حتى تنفقوا من الأشياء التي تحبها نفوسكم (سواء كانَ مالاً أو طعاماً أو غير ذلك) (لأنكم إذا قدَّمتم مَحبة اللهِ تعالى على ما تحبه أنفسكم: دَلَّ ذلك على إيمانكم الصادق)، واعلم أنه يَدخل في ذلك أيضاً: الإنفاق عند حاجة المُنفِق إلى ما أنفقه)، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، وسيُجازيكم بهِ أوْفَر الجزاء.

****

www.alukah.net

6. تفسير الربع السادس من سورة آل عمران

الآية 93، والآية 94: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾: أي حَلالاً ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: يعني إلا مَا حَرَّمَ يعقوب عَلَى نَفْسِهِ لِمرضٍ نَزل به، وذلك ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾، فلما نزلتْ التوراة، حَرَّمَ اللهُ فيها - على بني إسرائيل - بعض الأطعمة التي كانت حلالاً لهم، وذلك بسبب ذنوبهم وظُلمهم، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعواكم الكاذبة (مِن أنّ اللهَ هو الذي حَرَّمَ على يعقوب هذه الأطعمة، وأنه أنزل في التوراة هذا التحريم على يعقوب)، وذلك حتى تعلموا صِدْقَ ما جاء في القرآن مِن أنّ اللهَ لم يُحَرِّم على بني إسرائيل شيئًا قبل نزول التوراة، لا على يعقوب ولا على غيره، إلا ما حرَّمه يعقوب على نفسه، ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي فمَن كذبَ على اللهِ بعدَ قراءة التوراة ووضوح الحقيقة: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

الآية 95: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي فإن كنتم صادقين في مَحبتكم وانتسابكم لإبراهيم عليه السلام، فاتَّبعوا مِلَّتَهُ التي شرعها اللهُ على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنها الحق الذي لا شك فيه، وقد كانَ إبراهيم عليه السلام ﴿حَنِيفًا﴾: أي مائلاً عن أي دينٍ باطل، فكانَ عليه السلام مُسلِماً للهِ تعالى ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

الآية 96: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أي بُنِيَ لعبادة اللهِ في الأرض: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: أي لَهُوَ بَيتُ اللهِ الحرام الذي بمكة، ﴿مُبَارَكًا﴾: أي وهذا البيت مُبارك تتضاعف فيه الحسنات، وتنزل فيه الرحمات ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾: أي (وفي استقباله في الصلاة، وكذلك في قَصْدِهِ لأداء الحج والعمرة): صلاحٌ وهِداية للناس أجمعين.

الآية 97: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: في هذا البيت دلالاتٌ ظاهراتٌ على أنه مِن بناء إبراهيم عليه السلام، فمِن هذه الدلالات: (مَقامُ إبراهيم)، وهو الحَجَر الذي كان يَقف عليه حين كان يَرفع القواعد مِن البيت، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾: أي ومَن دخل المسجد الحرام: ﴿كَانَ آمِنًا﴾: أي كان حقاً عليكم أن تؤَمِّنوه، فلا يَحِلّ أن يَناله أحدٌ بسُوء، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: أي وقد أوْجَبَ اللهُ قَصْدَ هذا البيت على المستطيع (بمالِهِ وبَدَنِه) لأداء مناسك الحج، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: أي ومَن جَحَدَ فريضة الحج فقد كفر، ومَن كفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عنه وعن حجِّه و ﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

الآية 98: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول - لأهل الكتاب من اليهود والنصارى -: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: يعني لماذا تجحدون الدلائل والبراهين التي في كُتُبِكم، والتي دَلَّتْ على أنّ محمداً هو رسول الله؟، ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ (وفي ذلك تهديدٌ ووعيدٌ لهم).

الآية 99: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾: أي لماذا تَصُدّون مَن أراد الدخول في سبيل الله ﴿وهو دين الإسلام﴾، و ﴿تَبْغُونَهَا﴾ له ﴿عِوَجًا﴾: أي وتريدون له زيغًا ومَيلاً عن الاستقامة والهدى، وذلك بتشكيكه وتضليله حتى يَضِلّ، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾: أي وأنتم تعلمون أن ما جئتُ به هو الحق؟، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ واعلم أنّ الهاء التي في كلمة: ﴿تبغونها﴾ عائدة على (سبيل الله)، لأنّ كلمة: (السبيل) تؤنَّث وتُذَكَّر، وبذلك يكون المعنى: (وتَبغون العِوَجَ لِسالِكِها) أي سالِك سبيل الله.

الآية 100: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ أي يُضِلُّوكم، ويُلقوا إليكم الشُبُهات في دينكم، لترجعوا جاحدين للحق بعد أن كنتم مؤمنين به، فلا تأمَنوهم على دينكم، ولا تَقبلوا لهم رأيًا أو مَشورة.

الآية 101: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ – أيها المؤمنون – ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم يُبَلِّغها لكم؟ ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾ مِن شر النفس والشيطان، ويَستمسك بالقرآن والسُنَّة: ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أي فقد وَفَّقَهُ اللهُ لطريقٍ واضح، ومنهاجٍ مستقيم.

الآية 102، والآية 103: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وذلك بأن يُطاعَ فلا يُعصَى، وبأن يُشكَرَ فلا يُكفَر، ووبأن يُذكَرَ فلا يُنسَى، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: أي داوِموا على تَمسُّكِكم بإسلامكم إلى آخر حياتكم لِتَلقوا اللهَ وأنتم عليه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾: أي وتَمَسَّكوا – جميعًا – بكتاب ربكم وهَدْي نبيكم ، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: أي ولا تفعلوا ما يُؤدي إلى فُرقَتِكم، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ أي جَمَعَ بين قلوب الأنصار بعد أن كانت متنافرة، يُعادي بعضهم بعضاً وتقوم بينهم الحروب لأتفه الأسباب، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ﴾: أي بفضله ﴿إِخْوَانًا﴾، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أي على حافة نار جهنم، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بأن هَداكم للإسلام، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: أي وكما وَضَّحَ اللهُ لكم مَعالم الإيمان الصحيح، فكذلك يُوَضِّح لكم آياته ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى كل ما فيه صلاح دينكم ودُنياكم.

الآية 104، والآية 105، والآية 106: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ أي جماعة ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو كل ما عُرِفَ حُسْنُهُ (شرعًا وعُرفاً بين الناس)، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو ما عُرف قُبْحُهُ (شرعًا وعُرفاً بين الناس)، بشرط ألاّ يتسبب النهي عن المُنكر في حدوث مُنكر أكبر منه، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بجنات النعيم، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ فِرَقاً وأحزابًا، ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ في أصول دينهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: أي مِن بعد أن اتَّضَح لهم الحق، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ – وهي وجوه أهل السعادة، الذين آمنوا باللهِ ورسوله، وامتثلوا أمْرَه –، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ – وهي وجوه أهل الشقاء، الذين عَصَوا أوامِرَ اللهِ وكَذَّبوا رُسُلَه –، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فيُقالُ لهم توبيخًا: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ – واخترتم الكفر على الإيمان؟ – ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

♦ واعلم أنّ كلمة: (البيّنات) ليست مُؤنّثاً حقيقياً، بمعنى أنه يَجوز تذكيرها ويَجوز تأنيثها، فيَجوز أن تأتي مع الفِعل المُذَكَّر: (جاءهم)، كما يَجوز أن تأتي مع الفِعل المُؤنَّث: (جاءتهم)، ولذلك نجد أنّ اللهَ تعالى أحياناً يقول: ﴿جاءهم البيّنات﴾، وأحياناً يقول: ﴿جاءتهم البيّنات﴾، واعلم أنّ الفرق بين المُؤنَّث الحقيقي والمُؤنَّث المَجازي : أنّ المُؤنَّث الحقيقي هو كل ما يبيض أو

www.alukah.net

يَلد من الإنسان والحيوان والطيور، وأمّا المُؤنَّث المَجازي فهي كلمات استُعمِلتْ بصيغة المُؤنَّث، رغم أنها مِمَّا لا يَبيض ولا يَلد، مثل: (شجرة، كلمة، شمس، يد، طريق، تفاحة، صيحة، وغير ذلك).

الآية 107: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: أي فأولئك في جَنَّة اللهِ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 108: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ أي بالصدق واليقين، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾: يعني وما اللهُ بظالمٍ أحدًا مِن خَلقِه، ولا بمُنقِصهم شيئًا من أعمالهم.

الآية 109: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكاً وتدبيرًا وتصرُّفاً وإحاطة، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي وإلى اللهِ وحده يَرجع مَصير الخلائق يوم القيامة، فيُجازي كُلاًّ بما عمل.

الآية 110، والآية 111: ﴿كُنْتُمْ﴾: أي كَتَب اللهُ أنكم ستكونونَ ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾: أي خُلِقَت لِنفع النَّاسِ، وذلك لأنكم ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إيماناً صادقاً يُؤَيِّدُهُ العمل، ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به مِن عندِ اللهِ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم العاملون بها (وهم قليل)، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن دين اللهِ وطاعته، وهؤلاء ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ يعني إلا ما يُؤذي أسماعكم من ألفاظ الشرك والكفر وغير ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾، ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾: أي يُعطونكم ظهورهم فِراراً منكم، ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ عليكم.

الآية 112: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾: أي أحاطت بهم ﴿الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا ﴾: أي فهم أذِلاَّءُ مُحتقَرون أينما وُجِدوا، فلا يكون اليهود إلا تحت أحكام المسلمين، أو تحت أحكام النَصارَى، ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ ﴾: يعني إلا بعد أن يُوفوا بعهد اللهِ الذي أخذه عليهم مِن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم متى بُعِث، والدخول في الإسلام ، فبذلك يَزول ذلك الذل عنهم، ﴿وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾: يعني أو بعهدٍ من الناس يَأمَنون به على أنفسهم وأموالهم، كحماية دولة قوية لهم، أو مُعاهَدةٍ يفعلونها، أو غير ذلك.

﴿وَبَاءُوا﴾: أي رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ مُستحقين له، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾: وهي فقر النفوس، فلا ترى اليهوديَّ إلا وعليه الخوف والرعب من أهل الإيمان، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي جعله اللهُ عليهم، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي ظلمًا واعتداءً، ﴿ذَلِكَ﴾: أي الجُرأة على قتل الأنبياء كانت ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: أي بسبب ارتكابهم للمعاصي، وتجاوُزِهم لحدود اللهِ تعالى، فقسَتْ قلوبهم.

الآية 113: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: أي ليس أهل الكتاب متساوين، فإنَّ ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾: أي مستقيمة على أمر اللهِ تعالى، مؤمنة برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، و ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾: أي وهم يقومون الليل مُرَتِّلين آيات القرآن الكريم، (وغالباً يَكتُمُ هؤلاء إيمانهم، خوفاً من بطش أعدائهم)، ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: أي وهم خاضعون لله، ذليلون له، مُقبلون على مُناجاتِهِ في صلواتهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 114: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إيماناً صحيحاً كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العالية في الجنة.

الآية 115: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾: أي فلن يَضيعَ ثوابه عند الله، بل يُشكَرُ لهم، ويُجازونَ عليه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

****

7. تفسير الربع السابع من سورة آل عمران

الآية 116: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لن تدفع عنهم مِن عذاب اللهِ شيئًا إن وقع بهم في الدنيا، ولن تدفعه عنهم في الآخرة، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 117: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾: أي مَثَلُ ما يُنفق الكافرون في وجوه الخير ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أي فيها بَرْدٌ شديد فـ ﴿أَصَابَتْ﴾ هذه الريح الباردة ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾: يعني إنها هَبَّتْ على زرع قومٍ كانوا يَرجون خيره، ولكنْ بسبب ذنوبهم لم تُبْقِ الريح منه شيئًا، (وكذلك هؤلاء الكافرون لا يجدون في الآخرة ثوابًا، ولكن يُعَجِّلُ اللهُ ثوابهم في الدنيا، حتى لا يَجعل لهم نصيباً في الآخرة)، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

الآية 118: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ كافرة، (والمقصود ألاَّ تتخذوا الكافرين أولياء) ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾: أي مِن غير المؤمنين، ولا تُطْلِعوهم على أسراركم، لأنهم ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: أي لا يُقَصِّرونَ جهداً في إفساد حالكم، و ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾: أي وهم يفرحون بَعَنَتِكم (أي بما يصيبكم مِن ضرر ومكروه)، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي وقد ظهرت شدة البُغض في كلامهم، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما يظهرونه لكم من الكراهية، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ المُتَضَمِّنة لبيان أعدائكم وأحوالهم وصفاتهم لتعتبروا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لأنّ العاقل هو الذي يُفرِّق بين الصَديق والعدو.

الآية 119، والآية 120: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ يعني: ها هو الدليل على أنكم مُخطِئون في مَحبتكم لهم، فأنتم تحبونهم وتحسنون إليهم، وهم لا يُحبونكم، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾: أي وأنتم تؤمنون بالكتب المُنَزَّلة كلها ومنها كتابهم، وهم لا يؤمنون بكتابكم، فكيف تحبونهم؟، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ أي انفردوا ببعضهم: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾: أي ظهر عليهم الغم والحزن، فعَضُّوا أطراف أصابعهم من شدة الغضب، لِمَا يَرونه مِن أُلْفة المسلمين واجتماع كلمتهم، وعزة الإسلام وإذلالهم به، ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

♦ ومِن عداوتهم لكم أيها المؤمنون أنكم ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾: يعني إنْ نَزَلَ بكم أمْرٌ حَسَنٌ – مِن نصْرٍ وغنيمة – ظهرتْ عليهم الكآبة والحزن ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾: يعني وإنْ وقع بكم مَكْروهٌ – مِن هزيمةٍ أو نقصٍ في الأموال

www.alukah.net

والأنفس والثمرات – فرحوا بذلك، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ أيها المؤمنون على ما أصابكم، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله فيما أمَركم به ونهاكم عنه، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ – من الفساد والمَكر – ﴿مُحِيطٌ﴾ وسيُجازيهم على ذلك.

الآية 121: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: أي واذكر – أيها الرسول – حين خَرَجْتَ مِن بيتك في الصباح، لابسًا عُدَّة الحرب، و ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: أي وتنظم صفوف أصحابك، وتُنْزِل كل واحد منهم مكانه في الصف للقاء المشركين في غزوة "أُحُد"، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم.

الآية 122: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ – وهُم بنو سلمة وبنو حارثة – ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾: أي فقد حَدَّثتهم أنفسهم بأن يَجْبنوا، ويَهربوا من القتال، ويرجعوا مع زعيمهم المنافق (عبد الله بن أُبَيٍّ) خوفًا من لقاء العدو، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: أي ولكنَّ الله عَصَمَهُم وحَفظهم وثَبَّتهم، فساروا معك متوكلين على الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

♦ واعلم أن التوكل على الله: هو الأخذ بالأسباب – تعبُّداً لله تعالى – لأنه هو الذي أمرنا بذلك، ولكنْ مع الاعتماد على اللهِ وحده، ومع الاعتقاد الجازم بأنّ كل شيء بيده سبحانه وتعالى، فلا يُعَلِّقُ العبد قلبه بالأسباب أبداً، وإلاَّ، فإنَّ هناك مَن أخذ بنفس الأسباب ورغم ذلك فشل في قضاء حوائجه، فالتوفيق كله بيد اللهِ تعالى، فهو سبحانه الذي يُيَسِّرُ لعبده الأمور، وهو الذي يُلهمه أسباب الرشاد، ويُسَخِّر له مَن يُرشده للصواب، ويُهيئ له الأسباب الصالحة والأوقات المناسبة لقضاء حاجاته ومصالحه، وهو الذي يُسَخِّر قلوب العباد لخدمة المتوكلين عليه، إذ إنَّ قلوب العباد بين يديه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنّ قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد، يُصَرِّفه حيث شاء) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 2141)، فهو سبحانه المتصرف في الأمور كلها، قال تعالى – في شأن العبد التَقِيّ - : ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾، وقال أيضاً – في شأن العبد الشَقِيّ - : ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

الآية 123: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي وأنتم ضعفاء، قليلوا العَدَد والسلاح، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الآية 124، والآية 125: ﴿إِذْ﴾: أي اذكر – أيها الرسول – ما حدث في بدر حينَ ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ - عندما بَلَغَهُم أثناء المعركة أن " كرز بن جابر المُحاربي " يريد أن يَمُدّ المشركين برجاله ليقاتلوا معهم، فشَقَّ ذلك على أصحابك، فقلتَ لهم :- ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ مِن السماء إلى أرض المعركة، يُثبِّتونكم، ويقاتلون معكم؟، ﴿بَلَى﴾: أي يَكفيكم هذا المَدَد، وهناك بشارة أخرى ، وهي أنكم ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في جميع أحوالكم، فتفعلوا ما يُرضيه وتنتهوا عما يُغضِبه، ﴿وَيَأْتُوكُمْ﴾ أي مَدد المشركين ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾: أي على الفور مُسرعين لقتالكم (يظنون أنهم سوف يَستأصلونكم)، فحينئذٍ سوف ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: يعني إن هؤلاء الملائكة قد مَيَّزُوا أنفسهم وخيولهم بعلاماتٍ واضحات.

♦ فلَمَّا قعد "كرز" عن إمداد قريش بالمقاتلين: لم يَمُدّ اللهُ تعالى رسوله والمؤمنين بهذا العدد من الملائكة، لأنه سبحانه وَعَدَهم أن يَمُدَّهم بذلك العدد في حالة مَجيء مَدد المُشركين – وهم رجال "كرز" – مُسرعين، فلمَّا لم يأتوا، لم يَزِدهم الله

على الألْف التي أَمَدَّهم بها عندما استغاثوه في أول المعركة، كما قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾.

الآية 126، والآية 127، والآية 128: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: أي وما جعل اللهُ هذا الإمداد بالملائكة يوم بدْر ﴿إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وقد جعل تعالى ذلك النصر ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾: أي لِيَهْلِكَ فريقًا ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: أي ويجعل مَن نَجا منهم – من القتل – يرجع حزينًا، قد ضاقت عليه نفسه، يَظْهَر عليه الذل والعار أمام أهله.

– ثم قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: أي ليس لك مِن أمْر العباد شيء، بل إنّ الأمر كله للهِ تعالى وحده لا شريك له، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: ولعل بعض هؤلاء الذين قاتَلوك أن تنشرح صدورهم للإسلام فيُسلِموا، فيتوب اللهُ عليهم، وقد كان، فَيَكفيك إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد (الذي كان أحد أسباب هزيمة المسلمين في غزوة "أحد")، ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ يعني: ومَن بَقي على كُفره منهم بعد أن نَجا من القتل، فإنّ اللهَ يُعذبه في الدنيا والآخرة بسبب ظلمه وكفره.

♦ واعلم أن هذه الجملة: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ هي معطوفة على قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾، أي كأنّ اللهَ تعالى أراد أن يقول: (وقد جعل تعالى ذلك النصر لِيَقْطَعَ فريقًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بالقتل، أَوْ يَكْبِتَ مَن نجا منهم فَيَنْقَلِبُوا إلى أهلهم خَائِبِينَ يَظْهر عليه الذل والعار، أَوْ يَتُوبَ عَلَي مَن شاء منهم، أَوْ يُعَذِّبَ مَن بَقي منهم على كُفره فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)، وبهذا تكون الجملة: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: هي جملة اعتراضية بين الجملتين، وذلك للتأكيد على أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من أمْر العباد شيئ، فلا يَملك لهم ضراً ولا نفعاً، فكيف بمَن هو دونَهُ صلى الله عليه وسلم؟!، فلذلك لابد أن يَعلم العبد أنه لا يُقصَدُ في الدعاء وقضاء الحوائج إلا اللهُ تبارك وتعالى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 7957).

الآية 129: ﴿وَلِلَّهِ﴾ وحده جميع ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ بفضله ورحمته، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بعدله وحِكمته ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

الآية 130، والآية 131، والآية 132: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ أي احذروا الرِّبا بجميع أنواعه، ولا تأخذوا في القرض زيادة على أصول أموالكم (ولو كانت تلك الزيادة قليلة)، فكيف إذا كانت هذه الزيادة تتضاعف كلما حانَ موعد سداد الدين؟!، (واعلم أنّ بعض العلماء يَرون أن هذه الآية منسوخة بعموم تحريم الرِّبا في سورة البقرة، واللهُ أعلم).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ – بالتزام شرعه – ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي لتفوزوا في الدنيا والآخرة، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾: أي اجعلوا لأنفسكم وقاية بينكم وبين النار ﴿الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما أمَركم به من الطاعات وفيما نهاكم عنه مِن

www.alukah.net

أكْل الربا وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي لِتُرحَموا، فلا تعذبوا أبداً (لأنّ كلمة "لعل"، وكلمة "عسى"، إذا جاءت من الله تعالى فإنها تفيد الوجوب وتأكيد الوقوع).

****

8. تفسير الربع الثامن من سورة آل عمران

الآية 133، والآية 134: ﴿وَسَارِعُوا﴾ – بطاعتكم للهِ ورسوله – ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ واسعةٍ ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وهم ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ أموالهم ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: أي في حال يُسرهم، وكذلك في حال عُسرهم، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾: أي وهم الذين يُمسكون ما في أنفسهم من الغيظ بالصبر.

♦ واعلم انَّ أفضل وسيلة لِكَظم الغيظ وطَرْد الغضب بإذن اللهِ تعالى هي:

أولاً: (أن تُكثِر – وبقوة – من الاستعاذة باللهِ تعالى من الشيطان الرجيم، بشرط أن تقول الاستعاذة بصِدق اللُّجوء إلى اللهِ تعالى، وطلب العِصمة والحِفظ منه سبحانه).

ثانياً: (احتقار النفس، لأنها عاصية للهِ تعالى، بمعنى أن تَكْرَه نفسك العاصية، لأنها هي التي أوقعتك في الذنوب والمعاصي، وهي التي جَرَّأتك على حُرُمات ربك، وهي السبب فيما أنت فيه من البلاء، فلذلك هي لا تستحق أن تَغضب لها، ولا أن تَنتصر لها، لأنها أخَسّ وأحقر مما قيل فيها، فلذلك تقول لها: (مَن أنتِ حتى أدافع عنكِ؟!) (لا شيء)، وكذلك تتذكر أنه إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يغضب لنفسه، فهل تغضبُ لها أنت؟!).

♦ ومِن لَطيفِ ما يُذكَر أنّ أحد الدُعاة كانَ إذا قيل له: (إنَّ فلاناً قد قال في حقك كذا وكذا) – مع أنّ هذا الفعل خاطئ، لأنّ اللهَ تعالى يقول: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ - المهم أنّ هذا الشيخ كانَ إذا قيل له ذلك، تذكَّرَ احتقاره لنفسه، فكانَ يقول: (أنا في الوَحل والطين، دَعْكَ مِنّي)، وهذه نقطة هامة جداً، لأنّ تذكُّر حَقارة النفس العاصية – عند الغضب – يَجعلك تتحكم في أعصابك، حتى تكون ردود أفعالك مُنضبطة.

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾: أي والذين إذا قَدَروا أن يُعاقبوا مَن ظلمهم: عَفَوا عنه، لأنهم يعلمون أنّ اللهَ يَغفرُ لهم ما فعلوه في حقه، فلماذا لا يغفرون هم ما يَفعله الخَلق في حقهم؟!، كما قال تعالى في سورة النور: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لكم﴾؟، ولكنْ بشرط أن تكون نتيجة هذا العفو: إصلاحٌ، كما قال تعالى في سورة الشورى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، بمعنى أنك إذا وجدتَ هذا الشخص – الذي قد عفوتَ عنه – يَتمادى في الإساءة والإيذاء، فهذا لا ينفع معه العفو، لأنه يظن بذلك أنك ضعيف، ولا يَفهم أنك تعفو عنه لله، فهذا من الممكن أن تقول له: (الله يسامحك)، ولكنْ تقولها له بشدة، وبِوَجْهٍ غاضب، وذلك لأنّ تغيُّر الوجه بالغضب عند قوْل كلمة: (الله يسامحك)، يُوحي لِمَن أمامك بأنك قادرٌ على مُعاقبته، وإنما يمنعك من ذلك خوفك من الله.

♦ وأمّا الذي ينفع معه العفو فهو الذي - إذا عفوتَ عنه - يتوقف عن ظلمه وأذاه وإساءته، ويَعتبر أنّ عفوك هذا جميلٌ يَحمله في رقبته إلى يوم القيامة.

♦ ومِن لَطيفِ ما يُذكَر أنّ أحد الناس كانَ قد التقى أثناء العُمرة بأحد الأشخاص الذين ظلموه وآذوه أشد الإيذاء، فقال له ذلك الشخص الظالم: (سامحني)، فقال له: (لا أستطيع أن أسامحك بعد كل الذي فعلته معي، لا أقدر)، ثم لمَّا طاف شوطاً بالكعبة: لَقِيَهُ مرة أخرى أمامه، فقال له: (اعلم أنني قد سامحتك حتى يسامحني الله، وإلاَّ، فماذا سأستفيدُ أنا إذا أنت دخلتَ جهنم؟)، وكانَ أحد الناس يقول لِخُصومه (الذين اغتابهم وآذاهم): (إن لم تسامحوني، فأنا أشْهِدُ اللهَ أنني قد سامحتكم فيما كانَ منكم في حقي)، فكان بذلك يُرَقق قلوبهم، فيُسامحوه، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: وهذا هو الإحسان الذي يُحب اللهُ أصحابه.

الآية 135: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ أي ارتكبوا ذنبًا كبيرًا، ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بارتكاب صغائر الذنوب: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: أي ذكروا وَعْدَ اللهِ ووعيده، فتذكَّروا أنهم قد يُحرَمون من الجنة (إذا خُتِمَ لهم بذلك، وماتوا على المعاصي مِن غير توبة، ولم يُوَفقوا لقول الشهادتين بسبب ذنوبهم)، وتذكَّروا أنهم لا يَتحملون أقلّ قدْر من عذاب الله، وهو لِبس النعلين الذين تغلي الدماغ من شدة حَرّها وسخونتها ، فعندما تذكَّروا ذلك، وخافوا عقابَ اللهِ تعالى، وخافوا حرمانهم من نعيم الجنة: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾: أي لجأوا إلى ربهم تائبين، مُستغفرين نادمين، يَطلبون منه أن يَغفر لهم ذنوبهم، ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾: أي وهم مُوقنون أنه لا يَغفر الذنوب إلا الله، فليسَ لأحدٍ من البشر أن يَدَّعِي أنّ معه (صَكّ غفران) يَغفر به الذنوب، وإلاَّ، فليَغفر ذنوبه هو، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾، (واعلم أن الإصرار: هو البقاء على المخالفة، والعزم على المعاودة، كأن يَنوي أن يفعل معصية معينة في الأسبوع القادم، فهذا ليس بتائب، وليس من المتقين)، ﴿وَهُمْ﴾ - أي المتقون - ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أنهم إن تابوا بصِدق: تابَ اللهُ عليهم.

الآية 136: ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفات العظيمة ﴿جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ، فيَستر عليهم ذنوبهم ولا يُعاقبهم عليها، ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ - أي ولهم حدائق عجيبة - ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (المغفرة والجنة).

الآية 137: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: يُخاطب اللهُ المؤمنين لَمَّا أُصيبوا يوم "أُحُد" - تَعْزِيَةً لهم - بأنّ سُنَن اللهِ تعالى قد مَضت في أممٍ قبلهم، فابتُلِيَ المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فكان النصر في النهاية للمؤمنين، وإن شَكَكْتم في ذلك: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بأبدانكم وقلوبكم، وتأمَّلوا في الهالكين كعادٍ وثمود، وفي ديارهم ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، فإنكم لن تجدوهم إلا مُعَذَّبين بأنواع العقوبات الدُنيوية، قد خَوَت ديارهم، وذهب عِزُّهم ومُلْكُهم، وزالَ نعيمهم وفخرهم، أليس في هذا أعظم دليل على صِدْق ما جاءت به الرُسُل؟

www.alukah.net

الآية 138: ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾: أي يتبيَّنون به الحق من الباطل، ﴿وَهُدًى﴾: أي وإرشاد إلى طريق الحق، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي وتذكيرٌ تَخشَع له قلوب المتقين، وهم الذين يخشون الله تعالى، (وقد خَصَّهم اللهُ بتلك الموعظة لأنهم المنتفعون بها دونَ غيرهم).

♦ ولذلك نلاحظ أنّ الله تعالى عندما يَذكر فضائل القرآن ومَنافعه، فإنه يَخُصّ بها عباده المؤمنين، وعباده المتقين، كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، أمَّا عندما ذكَرَ سبحانه فوائد العسل قال: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

الآية 139: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: أي ولا تضْعُفوا - أيها المؤمنون - عن قتال عدوكم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ لِمَا أصابكم في "أُحُد"، ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: أي وأنتم الغالبون، والعاقبة لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ باللهِ تعالى، ومُطيعين له ولرسوله.

الآية 140، والآية 141: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾: يعني إنْ أصابكم أيها المؤمنون جِراحٌ وقتل في غزوة "أُحُد" فحزنتم لذلك، فقد أصاب المشركين جراحٌ وقتل مِثل ذلك في غزوة "بدر"، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: أي وتلك الأيام يُصَرِّفها اللهُ بين الناس (نصرٌ مَرَّة وهزيمةٌ مَرّة)، لِما في ذلك من الحكمة، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي وحتى يَظهر ما عَلِمَهُ اللهُ في قديم الأزل، لِيَتميَّز المؤمن الصادق مِن غيره ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾: أي ولِيُكْرِمَ أقوامًا منكم بالشهادة، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم، الذين قعدوا عن القتال في سبيله، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي وقد كانت هذه الغزوة اختبارًا وتصفية للمؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، وتخليصًا لهم من المنافقين المُخالطين لهم، ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: أي بإذهابهم وإنهاء وجودهم، فإنّ هذا الدرس قد نفع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد، فلم يخرجوا عن طاعة نبيهم، وبذلك توالت انتصاراتهم حتى أذهبوا ريح الكفر والكافرين من أرض الجزيرة العربية كلها، بل وخارج الجزيرة، فالفتوحات التي فتحها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغرب والشرق لم يفتحها غيرهم مِمَّن جاء بعدهم ﴿لا من التابعين ولا من غيرهم﴾، وهذا إنجازُ وَعْدِ الله تعالى لهم في قوله: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الآية 142: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ دونَ أن تُبْتَلُوا بالقتال والشدائد؟ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾: أي ولابُدَّ أن تُبتَلوا بذلك حتى يَعلم الله - عِلماً ظاهراً للخلق - المُجاهدين منكم في سبيله، ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ على مقاومة الأعداء.

الآية 143: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾: أي ولقد كنتم تتمنون لقاء العدو، لتنالوا شرف الجهاد والاستشهاد (الذي ناله إخوانكم في غزوة "بدر")، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾: أي مِن قبل أن تلقوا الموتَ، وتروهُ أمام أعيُنكم في غزوة "أُحُد"، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: أي فها هو ذا قد حصل لكم الذي طلبتموه، إذاً فقاتِلوا واصبروا.

الآية 144: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يعني إنه صلى الله عليه وسلم مِثل باقي الرسل، مُهَمَّتهم واحدة، وهي تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا بمُخلَّدين، وليس بقاؤهم شرطاً في امتثال أوامر الله، بل الواجب على

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأمم: عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال، ﴿أَفَإِنْ مَاتَ﴾ بانتهاء أجله، ﴿أَوْ قُتِلَ﴾ كما أشاع الأعداء: ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: أي رجعتم عن دينكم وتركتم ما جاءكم به نبيكم؟! ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾، وإنما يَضر نفسه ضررًا عظيمًا، أما مَن ثبت على الإيمان وشكر ربه على نعمة الإسلام، فإنّ اللهَ يَشكر له عمله ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أحسن الجزاء.

الآية 145: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وَقَدَره، فقد كتب تعالى ذلك على عباده ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾: وهو اللوح المحفوظ الذي كُتِبَت فيه آجال الناس بمواقيتها، فلا تتقدم عنه ولا تتأخر، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: أي ومَن يَطلب بعمله عَرَض الدنيا والثناء من الناس، نُعطِهِ ما قسمناه له مِن رزق، وليسَ له نصيب في الآخرة، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: أي ومَن يَطلب بعمله ثوابَ اللهِ في الآخرة، نؤته جزاءه وافرًا في الآخرة، مع ما لَه في الدنيا مِن رزقٍ مقسوم، فهذا قد شَكَرَنا بطاعته وجِهاده ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ خير الجزاء.

الآية 146، والآية 147: ﴿وَكَأَيِّنْ﴾: أي وكثيرٍ ﴿مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أي قاتل معه جُموعٌ كثيرة مِن أتباعه الصالحين، ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: أي فما ضعفوا نفسياً ولا قلبياً ولا إيمانياً ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مِن قتلٍ وجِراح، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: يعني وما عَجَزوا جسدياً عن مقاتلة الأعداء بعد ذلك، ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: أي ولا خضعوا لعدوهم، إنما صبروا على ما أصابهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ في أثناء المعركة ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فلا تخذلنا أثناء القتال بسببها، ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾: أي واغفر لنا ما وقع منا مِن تجاوُز في أمْر ديننا، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ حتى لا نَفِرَّ من قتال عَدُوِّنا، ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ الذين جحدوا وحدانيتك ونُبُوَّة أنبيائك.

الآية 148: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ وذلك بالنصر على أعدائهم، وبالتمكين لهم في الأرض، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾: أي وآتاهم الجزاء الحسن في الآخرة، وهو رضاهُ عنهم، وهم في جنات النعيم الأبدي الذي قد سَلِمَ مِن جميع المُنَكِّدات والمُنَغِّصات، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين أحسنوا عبادتهم لربهم، وأحسنوا معاملة خلقه.

الآية 149، والآية 150: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي يُضِلوكم عن طريق الحق، ويَرُدُّوكم عن دينكم ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: أي فتعودوا بالخُسران المُبين والهلاك المُحَقَّق، فاعلموا أنهم لن ينصروكم ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

الآية 151: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾: أي بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي آلهة مزعومة، ليس لهم دليل على استحقاقها للعبادة مع اللهِ تعالى، ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾: أي ومكانهم الذي يأوون إليه في الآخرة هو النار، ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾: أي وَبِئْسَ مُقامهم: جهنم.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

9. تفسير الربع التاسع من سورة آل عمران

الآية 152: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ مِن نَصْرٍ على المشركين في أول القتال في غزوة "أُحُد" ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾: أي حين كنتم تقتلون الكفار، وذلك بإذنه تعالى لكم بقتالهم ، ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: أي حتى إذا جَبُنتم وضعفتم عن القتال، ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أي واختلفتم: هل تبقون في مواقعكم؟، أو تتركونها لجمع الغنائم مع مَن يجمعها؟، ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أمْرَ رسولكم حين أمَرَكم ألاَّ تفارقوا أماكنكم بأيّ حال، فساعتها حلَّت بكم الهزيمة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ مِن النصر (في أول المعركة)، وتبيَّن أنّ ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ﴾.

– وقد أصابكم الخوف والرعب، حينما رأيتم أنفسكم محصورين بين رُماة المشركين ومُقاتليهم ، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: أي ثم صرفكم اللهُ عن عدوكم، بأنْ فررتم من القتال لتنجوا بأنفسكم، وقد قدَّرَ اللهُ حدوث ذلك كله ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: أي ليختبركم، فيرى المؤمن الصادق من المنافق الكاذب (في الأقوال والأفعال)، ويرى الصابر مِن غيره، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ بعد أنْ عَلِمَ سبحانه ندمَكم وتوبتكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية 153: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: أي اذكروا حين كنتم تَصْعَدون الجبل هاربين من أعدائكم، ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾ رؤوسكم ﴿عَلَى أَحَدٍ﴾ يعني ولا تلتفتون إلى أحدٍ لِمَا أصابكم من الدهشة والخوف والرعب، ﴿وَالرَّسُولُ﴾ ثابت في الميدان، و ﴿يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾: أي يناديكم مِن خلفكم قائلاً: (إليَّ عبادَ الله)، وأنتم لا تسمعون ولا تنظرون، ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾: أي فكان جزاؤكم على فِعلكم أن أنزل اللهُ بكم ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾: أي غَمّاً يَتبعُ غَمّاً: (إذ أصابكم غَمٌّ بانهزامكم، وغَمٌّ آخر بفوات الغنيمة، وغَمٌّ ثالث أنساكم كل غَمّ، وهو سماعكم أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم قد قُتِل)، (وقد جعل اللهُ اجتماع هذه الأمور من باب التربية لعباده المؤمنين، وذلك لمكانتهم عنده)، ثم لَطَفَ اللهُ تعالى بكم، فجعلكم تتأكدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُقتَل، فهانت عليكم تلك المصائب، وفرحتم بوجوده المُهَوِّن لكل مصيبة ومِحنة ، وذلك ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ مِن نَصرٍ وغنيمة، ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ مِن خوفٍ وهزيمة، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

الآية 154: ﴿ثُمَّ﴾ كان من رحمة الله بكم أيها المؤمنون المخلصون أن ﴿أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أي ألقى في قلوبكم اطمئنانًا وثقة في وعد اللهِ تعالى، مِن بعد ما نزل بها مِن هَمّ وغَمّ، وكان مِن أثر هذا الأمن والاطمئنان أن أنزل عليكم ﴿نُعَاسًا يَغْشَى﴾ أي يُغطي ﴿طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ وهم أهل الإخلاص واليقين، ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ أُخرى ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي أهَمَّهم تخليص أنفسهم خاصَّةً دونَ المؤمنين، و ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: يعني إنهم أساؤوا الظن بربهم وبدينه وبنبيه صلى الله عليه وسلم ، وظنوا أنّ اللهَ لن يُتِمُّ أمْرَ رسوله، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة، ولذلك تراهم نادمين على خروجهم للقتال، فـ ﴿يَقُولُونَ﴾ لبعضهم: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي هل كان لنا مِن اختيار في الخروج للقتال؟

﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ فهو الذي قدَّرَ خروجكم وما حدث لكم، وهم ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ من الحسرة على خروجهم للقتال، فـ ﴿يَقُولُونَ﴾ سِرّاً فيما بينهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾: أي لو كان لنا الاختيار، ما خرجنا ولا قاتلنا ولا أصابنا الذي أصابنا، فأطْلَعَ اللهُ رسوله على سِرِّهم، وقال له: ﴿قُلْ﴾ لهم: إنّ الآجال بيد اللهِ وحده، و

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾، وقدَّر اللهُ لكم أن تموتوا: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي لَخرج الذين كَتب اللهُ عليهم الموت إلى حيث يُقتلون، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾: يعني وما جعل اللهُ ذلك – الذي حدث في "أُحُد" – إلا ليختبر ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من الشك والنفاق، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أي وليَميزَ الخبيث من الطيب، وليَظهر للناس أمر المنافق (من أقوالِهِ وأفعالِه)، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

الآية 155: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: يعني إن الذين فرُّوا عن القتال يوم التقى المؤمنون والمشركون في غزوة "أُحُد": ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾: يعني إنما أوقعهم الشيطان في هذا الذنب العظيم (وهو الفرار من الجهاد) بسبب بعض ما اكتسبوه مِن مُخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث تركوا مواقعهم، ونزلوا لطلب الغنيمة، فخذلهم اللهُ بسبب ذلك الذنب، فلم يُثبِّت أقدامهم في القتال، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: أي تجاوَزَ عنهم فلم يعاقبهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، إذ يُمهِل سبحانه عباده حتى يتوبوا، فيتوبَ عليهم ويَغفر لهم، ولو لم يكن حليماً: لَعاقبَ مِن أول ذنب، ولم يُمَكِّن أحداً من التوبة والنجاة.

الآية 156: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي إذا خرجوا يَبحثون في أرض اللهِ عن معاشهم، ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾: يعني أو كانوا مع الغُزاة المقاتلين (ثم ماتوا أو قُتِلوا)، فإنهم يُعارضون القدَر، ويقولون: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾: يعني لو لم يخرج هؤلاء، وأقاموا معنا ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: أي وعندما يتذكر المنافقون هذا الاعتقاد الفاسد (وهو أنهم لو كانوا قعدوا عن القتال مع أصحابهم المنافقين، ما أصابهم شيئاً)، فإنهم بذلك يزدادون حُزنًا وحسرة تُمزقهم، بسبب سخطهم على قضاء اللهِ وقدره ، أمّا المؤمنون فإنهم يعلمون أنّ ذلك قد حدث بقدر اللهِ تعالى، فيَهدي اللهُ قلوبهم، ويُخفف عنهم المصيبة، ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي﴾ مَن قدَّر له الحياة - وإن كان مسافرًا أو غازيًا – ﴿وَيُمِيتُ﴾ مَن انتهى أجله – وإن كان مقيمًا – ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وسيرى سبحانه: هل ستنتهون عن السخط على قضاءه أو لا، وسيُجازيكم على ذلك.

الآية 157: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ مَوتةً (طبيعية) بانتهاء آجالكم أثناء المعركة: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾: أي لَيَغفِرَنَّ اللهُ لكم ذنوبكم، وليَرحَمَنَّكم رحمة مِن عندِه، فتفوزون بجنات النعيم، وذلك ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: أي خيرٌ من الدنيا وما يَجمعه أهلها فيها.

الآية 158: ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ﴾ بانتهاء آجالكم في هذه الحياة الدنيا، فَمُتُّم على فُرُشكم ، ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في ساحة القتال: ﴿لَإِلَى اللَّهِ﴾ وحده ﴿تُحْشَرُونَ﴾ فيُجازيكم بأعمالكم.

الآية 159: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾: أي فبسبب رحمةٍ مِن اللهِ لك ولأصحابك، أنعم اللهُ عليك فكنتَ رفيقًا بهم، وهذا يُوضح كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخُلُقِي، ويوضح أيضاً فضل الصحابة، وكرامتهم عند ربهم، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: أي ولو كنت سيِّئ الخُلق قاسي القلب، لانصَرَفَ أصحابك من حولك، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي فلا تؤاخذهم بما كان منهم في غزوة "أُحُد "، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ الذي يحتاج إلى مشورة، ﴿فَإِذَا

www.alukah.net

﴿عَزَمْتَ﴾ على أمر من الأمور – بعد الاستشارة - ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: أي فامضِ في تنفيذ هذا الأمر معتمدًا على اللهِ وحده، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه.

الآية 160: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾: يعني إن يُمدِدكم اللهُ بنَصْرِهِ ومَعُونته: ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي فمَن هذا الذي يستطيع نَصْرَكم مِن بعد خذلان اللهِ لكم؟ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

الآية 161: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ أي يأخذ الغُلول (وهو أخْذ شيء من الغنيمة قبل تقسيمها)، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ﴾ منكم: ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ حاملاً له ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لِيُفضَحَ به في الموقف المشهود، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

الآية 162، والآية 163: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ يعني: أفمن كان مُتَّبعاً لِمَا يُرضي اللهَ من الأقوال والأفعال والنيَّات ﴿كَمَنْ﴾: أي هل يستوي مع مَن ﴿بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾: أي رجع بغضبٍ من الله، لانغماسه في المعاصي، ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾: أي فاستحق بذلك سكن جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؟ لا يستويان أبداً، ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي أصحاب الجنة – المُتَّبعون لِمَا يُرضي اللهَ تعالى – متفاوتون في الدرجات، وأصحاب النار – المُتَّبعون لِمَا يُغضِبُ اللهَ – متفاوتون في الدَرَكات، كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

الآية 164: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾: أي لقد أنعم اللهُ ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ من العرب، ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي عَرَبيّاً مِن جِنسِهم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: أي يُطَهِرهم من الشِرك والأخلاق الفاسدة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: أي يُعَلِّمهم القرآن والسُنَّة، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: يعني ولقد كانوا من قبل هذا الرسول في جهلٍ وضلالٍ ظاهر.

الآية 165: ﴿أَوَلَمَّا﴾ يعني: أفعندما ﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ أيها المسلمون، وهي جِراحكم وقتلكم يوم "أُحُد "، ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ مِن المشركين في يوم بدْر، ﴿قُلْتُمْ﴾ – مُتعجبين -: ﴿أَنَّى هَذَا﴾؟! يعني كيف يكون هذا ونحن مسلمون، ورسول الله فينا، وهؤلاء مشركون؟!، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي قد أصابكم ذلك بسبب مُخالفتكم أمْرَ رسولكم وإقبالكم على جَمْع الغنائم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فيفعل ما يشاء، ويَحكم ما يريد، ولا مُعقِّب لِحُكمه.

الآية 166، والآية 167، والآية 168: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ يعني: وكل ما أصابكم مِن جراح أو قتلٍ ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ في أُحُد: ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي فذلك كله بقضاء اللهِ وقدَره، ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي وليظهر ما عَلِمَه اللهُ في قديم الأزَل لِيَتميَّز المؤمنون الصادقون منكم ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: أي وهؤلاء المنافقون هم الذين كشف اللهُ ما في قلوبهم عندما قال المؤمنون لهم: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا﴾ معنا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ المشركين عنا بتكثيركم لعددنا، (حتى وإن لم تقاتلوا)، ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ أي لَوْ نَعْلَمُ أنكم تقاتلون أحَدًا لَكُنَّا معكم عليهم، ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي في هذا اليوم ﴿أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ لأنهم ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي بألسنتهم ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ في صدورهم، وهؤلاء هم ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ المنافقين – الذين أُصِيبوا مع المسلمين – أثناء قتالهم المشركين يوم "أُحُد"

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَقَعَدُوا﴾ هم عن القتال: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ وقعدوا معنا: ﴿مَا قُتِلُوا﴾، ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾ أي ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ إذا جاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم بأنهم لو أطاعوكم ما قتِلوا، وأنكم قد نجوتم من الموت بقعودكم عن القتال.

****

10. تفسير الربع العاشر من سورة آل عمران

الآية 169: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أي في جوار ربهم (الذي جاهدوا مِن أجله، وماتوا في سبيله)، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: أي يَجري عليهم رزقهم في الجنة، ويُنعَّمون.

الآية 170: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾: أي لقد عَمَّتهم السعادة حين أعطاهم اللهُ من النعيم والرضا ما تَقَرُّ به أعينهم، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾: أي وهم يَفرحون بإخوانهم المجاهدين (الذين فارقوهم وهم أحياء)، لِعِلْمِهم أنّ إخوانهم إذا استُشهِدوا في سبيل اللهِ مُخلِصين له، فإنهم سوف يَنالون الخير الذي نالوه، و ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يَستقبلونه مِن أمر الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا.

الآية 171، والآية 172، والآية 173: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: أي وإنهم في فرحةٍ غامرة بما أُعطاهم اللهُ مِن عظيمِ كرمه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: أي وَبأنّ الله ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: أي الذين لَبُّوا نداء اللهِ ورسوله، وخرجوا في أعقاب المشركين إلى " حمراء الأسد"، وذلك لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن يَرفع معنويات أصحابه الذين جُرحوا وهُزِموا بأحُد، وأن يُرهِب أعداءَ اللهِ تعالى، فأمَرَ مُؤذناً يُؤَذِّن بالخروج في طلب أبي سُفيان وجيشه، فاستجاب المؤمنون وخرجوا معه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾: أي رغم ما كان بهم من آلام وجراح، وبذلوا غاية جهدهم، والتزموا بطاعة نبيهم، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ ﴾: أي لِلّذينَ أَحْسَنُوا مِن هؤلاء المؤمنين ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ربهم، فلم يُشركوا به ولم يَعصوه، فأولئك لهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

- وهؤلاء المؤمنون هم ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾: أي قال لهم بعض المشركين: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾: يعني إنّ أبا سُفيان ومَن معه قد أجمعوا أمْرهم على الرجوع إليكم لِقتلكم، فاحذروهم واخشَوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك التخويف ﴿إِيمَانًا﴾: أي يقينًا وتصديقًا بوعد اللهِ لهم بالنصر عليهم، فساروا إلى حيث شاء الله، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: أي هو سبحانه كافينا شَرّ ما أرادوه بنا من الأذى، ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ الذي نُوَكِّل إليه أمورنا، ونفوضها إليه.

♦ فلمَّا قالوا ذلك، مَرَّ أحد حُلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بمعسكر أبي سُفيان، فسأله أبو سفيان عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخبره أنه قد خرج في طلبكم ومعه جيش كبير وكُلُّهُم تَغَيُّظٌ عليكم، ونَصَحهم أن يَرحلوا، فألقى اللهُ الرعب في قلب أبي سفيان، فانهزم وهرب برجاله إلى مكة، خوفاً من رسول اللهِ وأصحابه، (واعلم أنّ في قوله تعالى : ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾: دليلٌ على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بالطاعة، ويَنقص بالمعصية).

www.alukah.net

الآية 174: ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ أي فرجعوا من "حمراء الأسد" إلى "المدينة" مع نبيهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: أي بالثواب الجزيل، وبالمنزلة العالية، وبالنصر على الأعداء، وبالتوفيق للخروج بهذه الحالة، و ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾: أي وفازوا بالسلامة من القتل والقتال، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ وذلك بطاعتهم لله ولرسوله، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ عليهم وعلى غيرهم.

الآية 175: ﴿إِنَّمَا﴾ الذي يُصيبكم بالإحباط والكسل عن الجهاد هو ﴿ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ الذي جاءكم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: أي يُخوِّفكم أنصاره، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ لأنّهم ضِعافٌ لا ناصرَ لهم، ﴿وَخَافُونِ﴾ بالإقبال على طاعتي ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بي ومُتَّبِعينَ لرسولي.

الآية 176: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: أي لا تحزن أيها الرسول بسبب هؤلاء الكُفار لمسارعتهم في الجحود والضلال، ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بذلك الكُفر، إنما يَضرون أنفسهم بحرمانها من نعيم الجنة ، فأولئك ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ أي نصيباً من الخير ﴿فِي الْآَخِرَةِ﴾ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في نار جهنم.

الآية 177: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ أي استبدلوا ﴿الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بل ضَرَرُ فِعْلِهِم يَعودُ على أنفسهم ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم.

الآية 178: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾: أي لا يَحسبوا أننا إذا أطَلْنا أعمارهم، ومَتَّعناهم بمُتَع الدنيا، ولم نؤاخذهم بكفرهم وذنوبهم، أنهم قد نالوا بذلك خيرًا لأنفسهم، ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾: يعني إنما نؤخر عذابهم وآجالهم: ليزدادوا ظلمًا وطغيانًا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي يُهينهم ويُذلُّهم في الآخرة.

الآية 179: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ أي لِيَترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ مِن اختلاط المؤمن منكم بالمنافق ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ وذلك بالمِحَن والابتلاءات والتكاليف الشاقة (كالجهاد والهجرة والزكاة وصلاة الفجر)، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ الذي يَعلمه مِن عباده ، فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: يعني غيرَ أنّ الله تعالى يَختار مِن رُسُله مَن يشاء لِيُطلِعَهُ على بعض علم الغيب بِوَحْيٍ منه سبحانه، ﴿فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

♦ وقد كان المتوقع أنْ يقول الله تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المؤمنين على ما هم عليه) (بضمير الغائب) اتفاقاً مع سياق الآية، ولكنه سبحانه قال: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾، وذلك لأن المُخاطَب هنا بضمير (أنتم) هم المسلمون كلهم (باعتبار مَن فيهم مِن المنافقين)، وأما المقصود هنا بلفظ (الْمُؤْمِنِينَ) هم المؤمنون الخالصون من النفاق، ولذلك غَيَّرَ سبحانه الأسلوب مِن ضمير الغائب إلى ضمير المُخاطَب؛ للتنبيه على أن المقصود مِن الخطاب هنا: أنتم أيها المسلمون جميعاً بمَن فيكم من المنافقين.

الآية 180: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾: أي لا يَحسبوا أنّ هذا البُخل خيرٌ لهم، ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ فإنهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾: أي سيكون هذا البُخل طوقًا مِن نارٍ يُوضَعُ في أعناقهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾،

فكيف تَبخلونَ – أيها الناسُ – بأموالِكم ولا تُنفِقونها في سبيل اللهِ ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي واللهُ سبحانه هو مالك المُلك، وهو الباقي بعد فناء خَلقه، فالمالُ مالُه، وسيَرِثُهُ عن قريب، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وسيُجازي كُلاًّ بما يَستحق، إذاً فآتوا زكاة ماله وتطوَّعوا بالصدقات المُستَحَبَّة ، فإن ذلك خيرٌ لكم في دُنياكم وأُخراكم، واللهُ يَعلم وأنتم لا تعلمون.

الآية 181: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ يَطلب مِنّا أن نُقرِضَهُ أموالاً ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: أي وسنكتب أيضاً أنهم راضون بما كان مِن قَتْل آبائهم لأنبياء اللهِ ظلمًا واعتداءً، وسوف نعاقبهم بذلك في الآخرة، ﴿وَنَقُولُ﴾ لهم وهم يُعَذَّبون في النار: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

♦ وقد وَضَّحنا معنى قول اللهِ تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، في تفسير الآية رقم ﴿245﴾ في الربع السادس عشر من سورة البقرة، فراجِعها إن شِئت.

الآية 182، والآية 183: ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد – وهو عذاب الحريق – ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾: أي بسبب ما قدمته ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ في حياتكم الدنيا من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية، وأنّ عذابكم ليس ظلما من اللهِ لكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

♦ وهؤلاء اليهود هم ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ – حينَ دَعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلا م –: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أي أوصانا في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ أي حتَّى يَأْتِيَنَا بصدقةٍ يَتقرب بها إلى الله، فتنزل نارٌ من السماء فتحرقها، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: أنتم كاذبون في قولكم لأنه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعواكم.

الآية 184: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ حينَ ﴿جَاءُوا﴾ إلى أقوامهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي بالمعجزات الباهرات والحُجَج الواضحات، ﴿وَالزُّبُرِ﴾: أي وجاءوهم بالكتب السماوية، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: أي وهذه الكتب السماوية هي نورٌ يَكشف الظُلُمات، بِبَيَانها ووضوحها.

♦ واعلم أن الواو الذي بين كلمة: ﴿الزُّبُرِ﴾، وبين كلمة: ﴿الْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: تسمى (عطف بيان)، أي عطف توضيح، لِتُبَيِّن أنّ هذه الكتب هي كتب منيرة، وليس معناها أن (الزُّبُر)، شيءٌ، (وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) شيءٌ آخر، فكأنّ المعنى: (وجاؤوا أقوامهم بالزُبُر التي هي كتب منيرة)، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي (الكتاب الذي يُفَرِّق بين الحق والباطل)، ومثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ أي (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ، وهو هذا الكتاب المبين)، وهذا مِثل قول أحدهم: (هذا هو اللقاء الثالث والأخير)، يعني هذا هو اللقاء الثالث، وهو نفسه اللقاء الأخير.

www.alukah.net

الآية 185: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: أي فمَن أكرمه ربه ونجَّاه من النار وأدخله الجنة، فقد نال غاية ما يَطلب، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: أي متعة زائلة، فلا تغترُّوا بها.

****

11. تفسير الربع الأخير من سورة آل عمران

الآية 186: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: أي لَتُختبَرُنَّ أيها المؤمنون ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بإخراج النفقات الواجبة والمُستحَبَّة، وبالمصائب التي تصيبها (بالفقدان والسرقة وغير ذلك)، ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾: أي وَلَتُختبَرُنَّ في أنْفُسِكُمْ بما يَجب عليكم من الطاعات، وبما يَحلُّ بكم مِن جراحٍ أو قتلٍ أو فَقْدٍ للأحباب، وذلك حتى يتميَّز المؤمن الصادق من غيره، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ أي ما يُؤذي أسماعكم من ألفاظ الشرك والطعن في دينكم.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك كله، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: أي وتنشغلوا بتقوى اللهِ تعالى (وذلك بلزوم طاعته واجتناب معصيته) ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: يعني إنّ الصبر والتقوى من الأمور التي يُعزَمُ عليها عزماً قوياً، ويُنافَسُ فيها، ولا يُوَفَّقُ لها إلا أهل العزائم والهِمَم العالية، (وكذلك إن تصبروا وتتقوا، لا يَضركم أذى كيدهم لكم، كما أخبر تعالى بذلك في نفس السورة)، فجعل اللهُ تعالى (الصبر والتقوى): شرطان اشترطهما على عباده حتى يَكفيهم شر أعداءهم ومَكرهم، وحتى ينصرهم عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

الآية 187: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي أخذ سبحانه العهد المؤكد عليهم فقال لهم: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي يَجب أن تُظهِروا ما في الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ عنهم، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: أي فتركوا ذلك العهد ولم يلتزموا به، ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي وأخذوا ثمناً قليلاً مقابل كتمانهم للحق وتحريفهم للكتاب، ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾: أي فبئس هذا الشراء الذي يُضَيِّعون به ميثاق ربهم.

الآية 188: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ مِن أفعالٍ قبيحة كاليهود والمنافقين وغيرهم، ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا﴾: أي وَيُحِبُّونَ أَنْ يُثني عليهم الناس ﴿بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾: أي بالخير والإصلاح الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

الآية 189: ﴿وَلِلَّهِ﴾ وحده ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فذَكَرَ سبحانه قدرته بعد ذِكر مُلكه، لِيُدَلِّل بذلك على قدرته على تحقيق وعده ووعيده، إذ هو سبحانه لا يُعارِضُهُ في قضاءه أحد، ولا يُعجِزُهُ شيء).

الآية 190، والآية 191، والآية 192: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمواتِ﴾ بارتفاعها واتِّساعها، ﴿والأَرْضِ﴾ بجبالها وسهولها وبحارها، ﴿واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ أي: وَفِي اختلاف الليل والنهار مِن الطول والقِصَر، والظُلمة والنور، وتعاقبهما بأن يَخلفَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كلٌّ منهما الآخر ﴿لَآيَاتٍ﴾: أي لَدلائل عظيمة على وحدانية اللهِ تعالى ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي يَنتفع بهذه الآيات أصحاب العقول السليمة، وهم ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ في جميع أحوالهم، فيَذكرونه ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ – قائلين –: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾: أي ما أوْجَدتَ هذا الخَلق عَبثًا، ﴿سُبْحَانَكَ﴾ فأنت مُبَرّأ مِن ذلك، بل خلقتَهما لِتُذكَرَ فيهما وتُشكر، ولِتُعلِمَ عبادك أنّ الذي خَلَقَ السماوات والأرض قادرٌ على أن يُحيي الموتى، وأنّ ذلك أهْوَنُ عليه سبحانه مِن خَلق السماوات والأرض.

﴿فَقِنَا﴾: أي فأجِرْنا واحفظنا من ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ وذلك بتوفيقك لنا للأعمال الصالحة، وعِصمَتِنا من الأعمال الفاسدة المُوجِبة لعذاب النار، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾: يعني إنك مَن تُدخِلْه النار بذنوبه فقد أذللته وأهَنتَه، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: يعني وما للمذنبين الظالمين مِن أحدٍ يَدفع عنهم عقابَ اللهِ يوم القيامة.

الآية 193، والآية 194، والآية 195: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ وهو نَبِيّك محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿يُنَادِي﴾ الناسَ ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ بك والإقرار بوحدانيتك، والعمل بشرعك، فأمَرَهُم ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾، ﴿فَآمَنَّا﴾: أي فأجَبنا دَعْوَتَه، وصدَّقنا رسالته، ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الكبيرة، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ الصغيرة، ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: أي وألحِقنا بالصالحين في درجاتهم العالية في الجنة، ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ مِن نصرٍ وتمكين وتوفيقٍ وهداية، ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾: أي ولا تفضحنا أمام خلقك بذنوبنا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾: أي والذكَرُ والأنثى هم سَواءٌ في أُخُوَّة الدين، وقَبول الأعمال والجزاء عليها، وكذلك في التكليف بالأحكام الشرعية، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما النساء شَقائق الرجال) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 2333).

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ أي آذاهم الناس في عبادتهم لربهم والدعوةِ إليه، وتحَمَّلوا ذلك الإيذاء طلباً لرضا اللهِ عنهم، ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ لإعلاء كلمة ربهم – حتى يُعبَدَ وحده ولا يُعبَدَ غيره – ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: أي لأَستُرَنَّ عليهم ما ارتكبوه من المعاصي، كما سترتُها عليهم في الدنيا، فلا أُحاسبهم عليها، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿ثَوَابًا﴾ أي جزاءً ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: أي واللهُ عنده خير الجزاء وهو: الجنة.

الآية 196، والآية 197: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾: أي لا يَخدعَنَّك – أيها الرسول – ما عليه أهل الكفر مِن سعةٍ في الرزق والعَيش، ومن انتقالهم من مكان إلى مكان للتجارة وطلب الأموال، فإنَّ هذا كلُّه ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾، وسوف يَزول عنهم عن قريب، ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ﴾ أي مَصيرهم ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي وهي بِئسَ الفِراش والمُستقرُّ.

الآية 198: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أي هي منزلهم الدائم لا يَخرجون منه أبداً، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ مما يَتقلب فيه الكافرون مِن نعيم الدنيا الرخيص.

www.alukah.net

الآية 199: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ إلهًا واحدًا لا شريك له، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: أي ويؤمنون بما أُنزِلَ إليكم (وهو القرآن)، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: أي ويؤمنون بما أُنزِلَ إليهم، ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾: أي متذللين للهِ تعالى، خاضعينَ له، ﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ أي لا يَستبدلونَ ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن متاع الدنيا الزائل، ولا يَكتمون ما أنزل اللهُ إليهم، ولا يُحَرِّفونه كغيرهم من أهل الكتاب، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

الآية 200: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ ﴿وَصَابِرُوا﴾: أي اغلبوا أعدائكم في الصبر، ﴿وَرَابِطُوا﴾: أي وأقيموا على جهاد عَدوّي وعَدوّكم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة النساء كاملة

1. تفسير الربع الأول من سورة النساء

الآية 1: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي خافوا عذابَ ربكم (وذلك بامتثال أمْره واجتناب نَهْيه)، فهو سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهي نفس آدم عليه السلام ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: وخلق حواء عليها السلام من ضلع آدم ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: وخلق من آدم وحواء بالتناسل: ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ في جميع أنحاء الأرض، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي الذي يَسْأل به بعضكم بعضًا، فيقول الرجل لأخيه: (باللهِ عليكَ افعَل كذا)، ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ أي: واحذروا أن تقطعوا الأرحام ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (فهو سبحانه يراكم ويَسمع كلامكم، ويَعلم سِرَّكم وعَلانِيَتكم).

الآية 2: ﴿وَآَتُوا الْيَتَامَى﴾ (وهم الذين مات آباؤهم وهم قبل سن البلوغ)، فإذا كنتم أوصياء عليهم فأعطوهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ التي لهم عندكم (هذا إذا وصلوا سن البلوغ، ورأيتم منهم قدرة على حِفظ أموالهم)، ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ أي: ولا تأخذوا الجيِّد من أموالهم، وتجعلوا مكانه الرديء من أموالكم (كأنْ تعطوهم شاة نحيفة وتأخذوا مكانها شاة سمينة وغير ذلك) ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: ولا تَخلِطوا أموالهم بأموالكم بقصد أن تحتالوا بذلك على أخْذ أموالهم ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾: يعني إنّ مَن فعَلَ ذلك فقد ارتكب إثمًا عظيمًا.

الآية 3: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ أي: وإن أردتم الزواج من البنات اليتامَى (اللاتي كنتم أوصياء عليهنّ)، وخِفتم ألاَّ تَعدِلوا فيهنّ، وذلك بألا تُعطوهنّ مُهورهنّ كغيرهنّ: ﴿فَانْكِحُوا﴾: أي فاتركوهنّ وانكحوا غيرهنّ مِن ﴿مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بين الزوجات: ﴿فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: أي فاكتفوا بواحدة، أو بما عندكم من الجَوَاري المملوكات لكم شرعاً (إن وُجِدْنَ)، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي شَرَعتُهُ لكم في اليَتيمات، والزواج من واحدة إلى أربع، أو الاقتصار على واحدة، أو الجَوَاري هو ﴿أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾: أي أقرب إلى عدم ظلم الزوجات (بترك العدل بينهنّ في العطاء).

الآية 4: ﴿وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ أي: وأعطوا النساء مُهورهنّ، (واعلم أن صَدُقات: جمع صَدُقة) بضَمّ الدال) وهو الصَداق الذي يُعرَفُ بالمَهر)، ﴿نِحْلَةً﴾: أي عَطِيَّة واجبة وفريضة لازمة، عن طِيب نفسٍ منكم ، ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾: أي فإن طابَتْ أنفسهنّ عن شيءٍ من المهر فوهَبْنَهُ لكم: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾: أي فخذوه وتصرَّفوا فيه، فهو حلالٌ طيب.

الآية 5: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ – وهم اليتامى الذين لا يُحسِنون التصرف في المال – فلا تعطوهم ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾: أي لا تُعطوهم أموالهم التي تحت أيديكم، حتى لا يُنفِقوها في غير موضعها (إسرافًا)، لأن هذه الأموال هي ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ أي التي عليها قيام حياة الناس، ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ أي: وأنفِقوا عليهم منها، واكْسُوهم، (ويُلاحَظ أنّ اللهَ تعالى قال: (وارزقوهم فيها)، ولم يقل: (وارزقوهم منها) إشارةً إلى أنّ المال ينبغي أن يُستثمَر لهم في تجارةٍ أو صناعةٍ أو زراعة، بحيث يَبقى رأس المال محفوظاً، وتكون النفقة والكِسوة عليهم من الربح فقط)، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي قولاً

www.alukah.net

تَطِيبُ به نفس اليتيم، فلا يَغضب ولا يَحزن إذا لم يُعطَ من المال، كأن تقولوا له: (هذا مالكم نحفظه لكم لتأخذوه يوم تَرشُدون).

الآية 6: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ أي اختبروا اليتامَى الذين تحت أيديكم، لمعرفة قدرتهم على حُسن التصرف في أموالهم، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ - وهو سن البلوغ - ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾: أي فإذا عَلمتم منهم صلاحًا في دينهم، وقدرةً على حِفظ أموالهم: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ أي: ولا تعتدوا على أموالهم بإنفاقها في غير موضعها (إسرافًا)، ومُسارَعةً بأخذِها قبل أن يَكبروا فيأخذوها منكم، ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بغِناه ولا يأخذ من مال اليتيم شيئًا، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي فليأخذ من مال اليتيم (الذي تحت يديه) بقدر حاجته عند الضرورة (ويَرُدُّهُ إليهم متى تَيَسَّرَ له ذلك)، وكذلك يأخذ منه على قدر أُجْرَتِهِ (إذا كان يَستثمر لهم أموالهم) (وذلك على الراجح من أقوال العلماء).

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا﴾ أحد الناس ﴿عَلَيْهِمْ﴾، وذلك ضَمانًا لوصول حقهم كاملاً إليهم حتى لا يُنكِروا ذلك، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: ويكفيكم أنّ اللهَ شاهدٌ عليكم، ومُحاسِبُكم على ما فعلتم في أموالهم.

الآية 7: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ أي للذكور (صغارًا كانوا أو كبارًا): ﴿نَصِيبٌ﴾ شرعه اللهُ لهم ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ من المال، ﴿وَلِلنِّسَاءِ﴾ كذلك ﴿نَصِيبٌ﴾ شرعه اللهُ لهنّ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ أي: وذلك في أنصِبَةٍ محددة فرَضها اللهُ عز وجل، سواء كان المال قليلا أو كثيرًا.

♦ وقد كان العرب في الجاهلية - مِن جبروتهم وقسوتهم - لا يُوَرِّثون النساء والصِبيان، ويجعلون الميراث كله للرجال الأقوياء، فأراد الرب الرحيم الحكيم أن يُشَرِّع لعباده شرعًا، يستوي فيه رجالهم ونساؤهم، وأقوياؤهم وضعفاؤهم.

♦ واعلم أنّ الميت إذا ترك شيئاً لا يَقبل التقسيم (كالدار الصغيرة، والجوهرة الواحدة، وغير ذلك)، فالراجح أنّ هذا الشيء يُباع ويُقسَّم ثمَنهُ على الوَرَثة، وذلك لتَعَذُّر قِسمتِه.

الآية 8: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ﴾ يعني: وإذا حضر قِسمة الميراث أقاربُ الميت (مِمَّن لا حقّ لهم في التَرِكة)، أو حضرها أطفالٌ يتامى، أو حضرها أناسٌ مساكين ليس لهم مال: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾: أي فأعطوهم شيئًا من المال (على وجه الاستحباب) قبل تقسيم التَرِكة على أصحابها، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ يعني: وإن تَعَذَّرَ إعطاؤهم من المال: فقولوا لهم قولا حَسنًا، كاعتذارٍ جميل تَطِيبُ به نفوسهم، ولا تُهينوهم ولا تطردوهم.

الآية 9: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً﴾ أي: ولْيَخَفْ الذين لو ماتوا وتركوا بعدهم أبناء صغارًا ﴿ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ من الظلم والضياع، ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيمن تحت أيديهم من اليتامى وغيرهم، وذلك بحفظ أموالهم، وحُسن تربيتهم، ودَفْع الأذى عنهم، ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي قولاً موافقا للعدل والمعروف (لأنه كما تَفعلُ معهم: سَيُفعَلُ مع أبنائك بعدَ موتك، وكما تدين تدان).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 10: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ أي يَأخذونها بغير حق (فقد أباح اللهُ للفقير أن يأخذ مِن مالهم (الذي تحت يديه) بقدر حاجته عند الضرورة (ويَرُدُّهُ إليهم متى تَيَسَّرَ له ذلك)، وكذلك يأخذ منه على قدر أُجْرَته (إذا كان يَستثمر لهم أموالهم) (وذلك على الراجح من أقوال العلماء).

♦ فمَن يَظلمهم ويأخذ مِن أموالهم بغير ما أحلَّ الله، فـ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ أي يأكلون ما يُؤدي بهم إلى دخول النار يوم القيامة، ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ أي: وسيَدخلون ناراً مُحرِقة مُلتهِبة يُقاسون حَرَّها، ويأكلونها في بطونهم، فتتقطع بها أمعاءهم.

الآية 11: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ ويأمركم ﴿فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ أنه إذا مات أحدٌ منكم (ذكراً كانَ أو أنثى)، وترك أولادًا (ذكورًا وإناثًا)، ولم يكن هناك وارثٌ غيرهم، فإنّ ميراثه كله يكون لهم، بحيث يكونُ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ﴾ أي مثل نصيب ﴿الْأُنْثَيَيْنِ﴾.

♦ فعلى سبيل المثال: لو أنّ المَيِّت ترك ولدين وثلاث بنات، وترك لهم أربعة عشر ديناراً، فإننا سنفترض أن هذه التَرِكة عبارة عن مجموعة من الأسهُم، ثم نوزع هذه الأسهم على أولاد المَيِّت، بحيث يأخذ الولد سهمين، والبنت تأخذ سهماً واحداً، فبالتالي يكون نصيب الولدين كالآتي: (2) (وهو عدد الأولاد) × 2 (وهو عدد الأسهم لكل ولد منهم) = 4 أسهم، ويكون نصيب البنات كالآتي: (3) (وهو عدد البنات) × 1 (وهو عدد الأسهم لكل بنت منهنّ) = 3 أسهم، وبهذا يكون مجموع هذه التَرِكة المفترَضة: (4 أسهم للأولاد + 3 أسهم للبنات = سبعة أسهم).

♦ ثم نَقسم الأربعة عشر ديناراً (وهي التَرِكة الحقيقية) على السبعة أسهم (وهي التَرِكة المفترَضة)، فبالتالي يكون نصيب السهم الواحد كالآتي: (14 دينار ÷ 7 أسهم) = دينارين، وبما أن الولد له سهمان، إذن يكون نصيب الولد الواحد: (2) × (2) دينار = أربعة دنانير، ويكون نصيب البنت سهماً واحداً (أي: ديناران).

♦ فإذا ترك المَيِّت ولداً ذكراً فقط: فإن الولد يأخذ التَرِكة كلها، وأما إن ترك أولاداً ذكوراً فقط: فإن التَرِكة كلها تُقسَّم على الأولاد الذكور بالتساوي، (ويُلاحَظ في كل الحالات السابقة أن المَيِّت إذا ترك زوجته مع الأولاد، فإن الزوجة تأخذ ثُمُن التَرِكة أوّلاً (كما سيأتي)، ثم يُقسَّم الباقي على الأولاد).

♦ واعلم أن الجَنين (الذي مات أبوه وهو في بطن أمه) فإنه يَشترك مع الأبناء في تقسيم الميراث (أي يعتبرونه ضمن القِسمة، ويحفظون له حقه)، فإن عُلِمَ بالوسائل الحديثة أن الجنين أنثى: فإنهم يَحفظون لها سهماً واحداً، وإن عُلِمَ أنه ذكر: فإنهم يَحفظون له سهمين، وإن لم يُعلَم: (فإنه يُحفَظ له نصيب ذكر – أي سهمين –، فإذا اتضح بعد ذلك أنه أنثى: فإنّ السهم الآخر يُوَزَّع على جميع الأولاد كأنه تَرِكة منفصلة)، فإذا كانا (توأم)، ولم يُعلَم: (هل هم ذكور أو إناث؟)، فإنهم يحفظون لهما نصيب ذكرين (أي أربعة أسهم)، فإذا اتضح بعد ذلك أنهما (أنثيان، أو أنثى وذكر): فإنّ الأسهم الزائدة تُوَزَّع على جميع الأولاد كأنها تَرِكة منفصلة.

www.alukah.net

♦ وأمّا إن ترك المَيِّت بناتٍ فقط، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ أي: فإنْ مات وترك بناتٍ فقط، وكانت هذه البنات (اثنتين فأكثر): ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ أي: فيكون لهنّ ثُلُثَي التَركة، وتأخذ زوجة المَيِّت ثُمن التَرِكة (إن كانت موجودة)، والباقي يأخذه العَصبَة، والعَصَبَة: هم أقرباء الميّت من أَبيه، وهم – في أحَقيَّتِهِم للميراث – على الترتيب التالي: (بُنُوَّة - أُبُوَّة – أُخُوَّة – عُمومة).

♦ والمقصود بالبُنُوَّة: (أبناء المَيِّت، ويليهم في الترتيب: أولاد (أبناءه الذكور) (وهم أحفاد الميت)، وهؤلاء لا يأخذون إلا إذا كان أبوهم مَيِّتاً، فيأخذون نصيبه.

♦ والمقصود بالأُبُوَّة: (أبو المَيِّت)، ويليه في الترتيب جدّه (وهو أبو والد الميت).

♦ والمقصود بالأُخُوَّة: (إخوة المَيِّت وأخواته الأشِقَّاء، ويليهم في الترتيب: إخوة المَيِّت وأخواته (الذين من جهة أبيه)، ويليهم: الأبناء الذكور (لإخوته الذكور الأشِقّاء)، ويليهم: الأبناء الذكور (لإخوته الذكور الذين من جهة أبيه) (واعلم أن أولاد الإخوة (سواء الأشِقّاء أو الذين من جهة أبيه) لا يأخذون إلا إذا كان أبوهم مَيِّتاً فيأخذون نصيبه).

♦ والمقصود بالعُمومة: (أعمام المَيِّت الذكور، ويليهم في الترتيب: الأبناء الذكور لأعمام المَيِّت (وهؤلاء لا يأخذون إلا إذا كان أبوهم مَيِّتاً فيأخذون نصيبه).

♦ ومعنى (ترتيبهم في أحَقيَّتِهِم للميراث) أنه إذا وُجِدَ أحد هؤلاء (على الترتيب السابق) فإنه يَحجُب مَن بَعدَهُ في الترتيب، بمعنى أنَّ مَن بَعدَهُ في الترتيب لا يكون له حق في الميراث طالما أنَّ مَن قبله موجود، (باستثناء والد المَيِّت، فإنّ له نصيباً مفروضاً وهو السدس، سواء كان أبناء المَيِّت موجودين أو لا، كما سيأتي).

♦ واعلم أيضاً أنّ هؤلاء العَصبَة ليس لهم قدْرٌ مُحَدَّد في الميراث ، وإنَّما يأْخذون ما تبَقى من الورثة الذين لهم قدر مُحَدَّد في الشرع، بحيث يُقسَّم عليهم هذا المتبقي على أساس: (للذكر مثل نصيب الأُنْثَيَيْن).

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ يعني: وإن ترك المَيِّت بنتاً واحدة: ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾: أي فلها نصف التَرِكة، والباقي يأخذه العَصَبة، وكذلك الحال إذا مات وترك (بنت ابنِهِ) وعَصَبة: فإنّ بنت الابن هنا تأخذ النصف (مثلما تأخذ بنت الميت إذا كانت موجودة)، والباقي يأخذه العَصبَة، وأما إنْ ترك (بنات ابنِهِ) وعَصَبة: فإنّ بنات الابن هنا يأخذنَ الثلثين (مثلما تأخذ بنات الميت إذا كُنّ موجودات)، والباقي يأخذه العَصبَة.

♦ واعلم أن المَيِّت إذا ترك (أمه وأباه)، وترك أيضاً أولاداً (ذكوراً كانوا أو إناثاً): فإنَّ لكل واحد مِن أبَويه سدس التَرِكة، والباقي للأولاد، كما قال تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي لوالِدَي المَيِّت: ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾: أي هذا إذا كان عند المَيِّت أولاد (ذكوراً كانوا أو إناثاً).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ أمّا إذا مات وترك (أمه وأباه وزوجته)، وترك معهم بناتٍ فقط (أو بنتاً واحدة): فإنَّ البنات يَأخذنَ نصيبهنّ (كما سبق)، ويأخذ أبوه السدس، وأمه السدس، وزوجته الثُمن، والباقي يَرِثُهُ أبوه (بالتعصيب)، لأنه يَحجُبُ مَن بَعدَهُ في ترتيب العَصَبة، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ يعني: فإن لم يكن له أولاد نهائياً، وورثه أبواه فقط: فلأمه ثلث التركة، ولأبيه الباقي، ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ يعني: فإن كان للمَيِّت إخوة (اثنان فأكثر) (ذكورًا كانوا أو إناثًا): فلأمه السدس فقط، وللأب الباقي ولا شيء لإخوته، لأن الأب يَحجُبُ مَن بَعدَهُ في ترتيب العَصَبة، (ولَعَلَّ الحِكمة مِن أنّ نصيب الأم قد قَلَّ من الثلث إلى السدس - في حالة وجود إخوة للميت - وأنّ الأب قد ورث هذا السدس المتبقي: لأنّ والدهم هو الذي توَلَّى نِكاحَهُم، وكذلك يَتولى نكاح مَن لم يتزوج منهم، وهو الذي يُنفِقُ عليهم وليست أمّهم)، وأما إذا كانَ للميت أخ واحد فقط، أو أخت واحدة فقط: فإنَّ لأمه الثلث (كما هو الحال لو لم يكن له إخوة أصلاً) ولأبيه الباقي.

♦ واعلم أنه إذا كانت أم المَيِّت مَيِّتة، وكان للمَيِّت جدَّة ، فإنَّ جدَّة المَيِّت ترث السدس فقط (سواء كان له إخوة أو لا)، أما لو كانت أم المَيِّت موجودة: فلا شيء لِجدَّة المَيِّت، وكذلك الحال إذا كان والد المَيِّت مَيِّتاً، وكان للمَيِّت جدّ، فإن جدّ المَيِّت يَرِث ما يَرِثه والد المَيِّت، أما إذا كان والد المَيِّت موجوداً: فلا شيء لجدّ المَيِّت.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أي: وهذا التقسيم السابق للتَرِكة إنما يكون بعد إخراج وَصِيّة المَيِّت (كأن يُوصي قبل مَوته ببناء مسجد أو غير ذلك، بشرط أن تكون هذه الوصية لا تزيد على ثلث التَرِكة، فإن زادت على الثلث، فإن الورثة لا يُخرجون من الميراث إلا الثلث)، وكذلك بعد إخراج ما على المَيِّت مِن دَيْن، واعلم أن الراجح من أقوال العلماء: أنَّ مَن مات وعليه (زكاة أو حَجّ أو كان لم يَعتمِر أو كان عليه كفارة أو نذر)، فإن ذلك يُؤخَذ مِن تَرِكَتِه قبل تقسيم المِيراث (سواء أوصَى المَيِّت بذلك أو لم يُوصِ)، لأنَّ دَيْنَ الله أحق بالوفاء، وعندئذٍ يختار أهلُهُ مَن يَحُجّ عنه من هذا المال بالإنابة.

♦ فَنَفِّذوا هذه الوصية المفروضة كما عَلَّمَكُم الله، ولا تُفَضِّلوا أحداً على أحد، فإنّ هؤلاء الوارثين هم ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ و (﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾) في دُنياكم وأخراكم، وقد كانت هذه الوصية ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ عليكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه وبما ينفعهم ﴿حَكِيمًا﴾ في شرعه، وفي تدبيره لشؤونهم، فارضوا بقِسمته، فإنها قِسمة عليمٍ حكيم.

♦ واعلم أن الولد الكافر قد خرج مِن قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾، لأنه لا حَقّ له في الميراث، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين - : (لا يَرِث المسلمُ الكافرَ، ولا الكافرُ المسلمَ)، وهذا يدل على أهمية السُنَّة، فهي - ليست فقط تُفَصِّل القرآن - وإنما هي أيضاً تُقَيِّد مُطْلَق القرآن، بمعنى أن القرآن هنا قد أطلقَ لفظ (أولادكم) بحيث يَشمل (المسلم منهم والكافر)، ولكنْ جاءت السُنَّة فقيَّدت الولد بأنه المسلم فقط وليس الكافر.

♦ وفي هذا رَدٌّ واضح على مَن يأخذون القرآن ويتركون السُنَّة ، فإنّ السُنَّة توضح القرآن وتُكَمِّله، فهي مُنَزَّلة مثل القرآن سواءٌ بسواء، كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (أي القرآن

www.alukah.net

والسُنَّة)، والدليل على أنّ الحِكمة هي السُنَّة: قوْلُ الله تعالى لنساءِ النبي في سورة الأحزاب: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، وإلاّ، فماذا كانَ يُتلَى في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن والسُنَّة؟!

♦ وعندما تطاول بعض الخَلق على السُّنَّة ووضعوا فيها أحاديث مكذوبة، قيَّضَ الله للسُنَّةِ رجالاً، وسَخَّرَ لها علماءً ليتتبعوا الأسانيد، وليُظهِروا للناس الأحاديث الصحيحة من غيرها، أليس هذا التوفيق دليلاً على أنّ الله قد حفظ السُنَّة الصحيحة كما حفظ القرآن؟، وبما أنكم تقرُّون بقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، إذاً فدعونا نسأل: (أين وَرَدَ في القرآن عدد ركعات الصلوات وكيفية أدائها؟! وأين ورد مقدار الزكاة المفروضة؟!) (فتبيَّنَ مِن ذلك أنه لا استغناء عن السُنَّة مُطلقاً بأيّ وَجْهٍ من الوجوه).

♦ واعلم أنّ هؤلاء قد أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهورهم حينَ قال: ((ألاَ إني أوتيتُ الكتاب – (وهو القرآن) – ومِثله معه – (وهي السُنَّة) – ألاَ يُوشِكُ رجلٌ شبعان على أريكتِهِ يقول: (عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه مِن حلال فأحِلُّوه، وما وجدتم فيه مِن حرامٍ فحَرِّموه)، ألاَ لاَ يَحِلّ لكم لحم الحِمار الأهلي)) - (وهو الحمار المُستأنَس الذي يعيش بين الناس، ويَحمل أثقالهم) (والحديث في صحيح الجامع برقم: **2643**)، فعلى مَن يفعل ذلك أن يرجع إلى ربه الكريم الغفار بالتوبة، وليَحذر مِن تهميش السُنَّة، وذلك حتى لا يُحرَم من الشُرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم عند اشتداد الحر والعطش يوم القيامة.

****

2. تفسير الربع الثاني من سورة النساء

الآية 12: ﴿وَلَكُمْ﴾ أيها الرجال ﴿نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ بعد وفاتهنّ ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾: أي هذا إذا لم يكن لهنّ أولاد (ذكورًا كانوا أو إناثاً)، ثم يُقسَّم النصف الآخر على عَصَبَة الزوجة (إن وُجِدوا)، فإن قُدِّرَ أنها ماتت وترَكَتْ (زوجها وأباها وأمّها): فيكون للزوج النصف، وأما النصف الآخر فيكون (ثلثه للأم، وثُلُثاهُ للأب) (وهذه حالة استثنائية)، فإنْ ماتت وترَكَتْ (زوجها وإخوتها الأشِقاء): فيكون للزوج النصف، وأما النصف الآخر فيُقسَّم بين إخوتها على أساس: (للذكر مثل حظ الأُنْثَيَيْن)، فإن لم يكن لها عَصَبَة نهائياً: فإن النصف الآخر يُقسَّم على ذوي أرحامها، عِلماً بأنّ ذوي الأرحام هم كل أقارب الميت الذين (ليس لهم قدر مُحَدَّد في الميراث، وكذلك ليسوا مِن العَصَبَة) (مثل أخوال الميت وخالاته وعَمَّاته وأولادهم، وغيرهم).

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾: يعني فإن كان لزوجتكم أولاد (ذكورًا كانوا أو إناثاً) منكم أو مِن غيركم: ﴿فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ والباقي للأولاد، وذلك ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ إنفاذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا﴾ ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ عليهنّ يُؤدَّى لمُستحِقّيه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: ولأزواجكم ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ﴾ بحيث يُقسَّم هذا الرُّبع بين الزوجات (إنْ كُنَّ أكثر من واحدة)، فإن كانت زوجة واحدة: كانَ الرُبع مِيراثًا لها، ويكون الباقي لعَصَبة الرجل، فإن لم يكن له عَصَبة نهائياً: فإن الباقي يُقسَّم على ذوي أرحامه، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾: أي فإذا كانَ لكم أولاد (ذكورًا كانوا أو إناثاً)، مِنهُنّ أو مِن غيرهِنّ: ﴿فَلَهُنَّ﴾ أي فللزوجات ﴿الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ بحيث يُقسَّم هذا الثُمُن بين الزوجات (إن كُنَّ أكثر من واحدة)، فإن كانت زوجة واحدة: كان الثُمن ميراثًا لها، والباقي للأولاد، وذلك ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ﴾ يعني: وإن مات رجل (أو امراة) ولم يكن له ولد ولا والد (أي ليس له ابن ولا ابنة) (ولا ابن ابن، ولا ابنة ابن)، وكذلك ليس له أب (ولا والد أب)، وإنما: ﴿وَلَهُ أَخٌ﴾ واحد فقط (من جهة أمه، كما ورد ذلك في بعض القراءات الأخرى)، ﴿أَوْ﴾ كانت له ﴿أُخْتٌ﴾ واحدة فقط من جهة أمه أيضاً: ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾: يعني فإنّ هذا الأخ يأخذ السُدس، وإن كانت أختاً واحدة: فإنها تأخذ السدس، ويُقسَّم الباقي (وهو الأسداس الخَمس الباقين) على عَصَبَته (بمعنى أنّ الباقي يُقسَّم على إخوته الأشقاء) (إن وُجِدوا)، وذلك على أساس: ﴿ للذكر مثل حظ الأُنْثَيَيْن ﴾، وكذلك الحال إذا كان له إخوة من جهة أبيه، فإن الباقي يُقسَّم عليهم على أساس: (للذكر مثل حظ الأُنْثَيَيْن)، وأما إن كان له (إخوة أشِقاء، وكان له أيضاً إخوة من جهة أبيه): فإن الإخوة الأشقاء يأخذون الباقي، ولا شيء لإخوته الذين من جهة أبيه، لأن الإخوة الأشقاء أقوى منهم في درجة القرابة) (انظر ترتيب العصبة في تفسير الآية السابقة)، فإن لم يكن له إخوة (لا أشقاء ولا من جهة أبيه)، فإن الباقي يُقسَّم على الأعمام بالتساوي (إن وُجِدوا)، فإن لم يكن له عَصَبة نهائياً: فإن الباقي يُرَدّ إلى أخيه من أمه (الذي أخذ السدس) فَرْضاً.

﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴾: يعني إنّ كان الإخوة أو الأخوات (الذين من جهة أمه) أكثر مِن واحد: ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾: أي فهُم شركاء في ثلث تَرِكَتِه، بحيث يُقسَّم بينهم ذلك الثلث بالمساواة، (لا فرق بين الذكر والأنثى)، ويكون الباقي للعَصَبة، فإن لم يكن له عَصَبة نهائياً: فإن الثلثين الباقِيَيْن يُرَدُّون إلى إخوته مِن أمّه، ويُقَسَّم بينهم بالتساوي أيضاً.

♦ وأما إذا كانَ – هذا الرَّجُل الذي يُورَثُ كَلَالَةً – ليس له إخوة من جهة أمه، وإنما كان له فقط إخوة أشقاء (أو إخوة من جهة أبيه): فحُكمُهُم مذكور في آخر آية من هذه السورة، ومَضمونها أنه إنْ مات ولم يترك إخوة من أمه، وإنما ترك أختاً شقيقة (أو أختاً من جهة أبيه فقط) فإنها تأخذ نصف تَرِكَتِه، والباقي يُقسَّم على العَصَبَة، فإن لم يكن له عَصَبة نهائياً: فإنّ الباقي يُرَدّ إليها، فإن كان له أختان (شقيقتان، أو من جهة أبيه فقط): فلهما الثلثان مما ترك، والباقي يُقسَّم على العَصَبة، فإن لم يكن له عَصَبة نهائياً: فإن الباقي يُرَدّ إليهما، وأما إن ترك أخوة (ذكوراً وإناثاً) (أشقاء، أو من جهة أبيه): فإن التَرِكَة كلها تقسم عليهم على أساس: (للذكر مثل نصيب الأُنْثَيَيْن).

♦ وإذا ماتت امرأة – تُورَثُ كَلَالَةً – ولكنْ لم يكن لها أخوة من جهة أمها، وإنما تَرَكَتْ أخاً شقيقاً، (أو أخاً من جهة أبيها فقط): فإنه يَرِث جميع مالها، فإن تركتْ أخوة (ذكوراً وإناثاً) (أشقاء، أو من جهة أبيها): فإن التَرِكَة كلها تُقسَّم عليهم على أساس: (للذكر مثل نصيب الأُنْثَيَيْن).

www.alukah.net

♦ واعلم أن هذا الرَّجُل – الذي يُورَثُ كَلَالَةً – إذا مات وترك (أمًّا أو جدّة)، وكذلك ترك إخوة من جهة أمه، وكذلك ترك إخوة أشقاء: فإن الأم – أو الجدة – تأخذ السدس، ثم يُقسَّم الثلث على الإخوة الذين من جهة أمه بالتساوي (كما سبق)، ويُقسَّم الباقي على الإخوة الأشِقاء.

♦ وأما إن ترك (أمًّا أو جدّة)، وكذلك ترك إخوة أشقاء فقط، (أو إخوة من جهة أبيه فقط): فإن الأم – أو الجدة – تأخذ السدس، ثم يُقسَّم الباقي على الإخوة الأشقاء – أو الإخوة الذين من جهة أبيه – على أساس: (للذكر مثل حظ الأُنْثيَيْن).

وذلك ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا﴾: أي يُوصَى وارثُ الميت بتنفيذها، ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ على الميت يُخرِجهُ وارثه من التَركة، بشرط أن يكون الميت ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾: أي (بشرط ألاَّ يكون الميت قد أوْصَى بشيء فيه ضرر على الورثة)، فقد يُوصِي بأكثر من الثلث، أو يَزعم أنّ عليه دَيْن، وهو ليس عليه شيء، وإنما فعل ذلك حسداً للورثة أو بُغضاً لهم لا غير، فإنْ تبيَّنَ ذلك، فلا تُنَفَّذ الوصية، ولا يُسَدَّد الدَيْن، وتُقسَّم التَرِكة كلها على الورثة.

♦ واعلم أنّ لفظ (مُضارّ): هو اسم فاعل، بمعنى (مُضارِر)، فأُدْغِمَتْ الراء في الراء فصارت: (مُضارّ)، فيكون معنى: (غير مُضارّ): أي وهو غير مُريد الإضرار بالورثة، (ولَعَلَّ الحِكمة من تقديم لفظ الوصية على الدَيْن – مع أنَ الدَيْن يُخرَج قبل الوصية – أنه لا يُوجد مَن يُطالِب بالوصية فقد تُنسَى، وأما الدَيْن فإنّ أهله يُطالِبون به فلا يُنسَى ولا يُترَك).

♦ بهذا أوصاكم ربكم ﴿وَصِيَّةً﴾ نافعة لكم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يُصلِح خَلقه ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعاجلُ مَن عَصاه بالعقوبة، ولكنْ لا يَغُرَّنّكم حِلمَه فإنّ بَطْشه شديد وعذابه أليم، ألا، فسارِعوا بالتوبة.

الآية 13، والآية 14: ﴿تِلْكَ﴾ أي تلك الأحكام التي شَرَعها اللهُ في اليَتامَى والنساء والمواريث، هي ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي شرائعه الدالّة على أنها مِن عند عليمٍ حكيم، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيَعمل بما شَرَعَهُ اللهُ لعباده على لسان رسوله: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ – كثيرة الأشجار والقصور – ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بمياهها العَذبة، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي باقين في هذا النعيم، لا يَخرجون منه أبداً ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ وذلك بإنكاره لشيءٍ من أحكامه وشرائعه، أو بتغييره لشيءٍ منها: ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي عذابٌ يُهينه ويُذِلُّه في جهنم.

الآية 15، والآية 16: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ – وهُنّ المسلمات اللاتي وَقعْنَ في فاحشة الزنا – ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ﴾ أي فاطلبوا – أيها القُضاة – أن يَشهد عليهنّ ﴿أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ أي أربعة مِن رجال المسلمين (مشهودٌ لهم بالصِدق والعدل)، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهنّ بالزنا: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي فاحبسوهنّ ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾، بحيث لا يَخرجنَ مِن بيوتهنّ ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي حتى تنتهي حياتهنّ بالموت ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: يعني أو يجعل اللهُ لَهُنَّ طريقاً للخَلاص مِن ذلك (بأنْ يُشَرِّع لهنّ شرعاً يَنسَخ ذلك الحُكم).

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾ أي: وإذا وقع رجلٌ وامرأة – من المسلمين – في فاحشة الزنى، ﴿فَآذُوهُمَا﴾ بالضرب والهَجر والتوبيخ، ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ عمَّا وقع منهما ﴿وَأَصْلَحَا﴾ أي فعَلا الأعمال الصالحة: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على عباده التائبين، ﴿رَحِيمًا﴾ بهم، إذ وفَّقَّهم للتوبة وقبِلَها منهم.

♦ واعلم أنّ هذا الحُكم – وهو الحبس والأذى – كان في بدء الإسلام، ثم نُسِخَ بما شَرَعَ اللهُ ورسوله بعد ذلك (وهو الرَّجْم حتى الموت – للمتزوج – والجلدُ مائة جلدة، مع إخراج الزاني والزانية من بلدهما لمدة عام – وذلك لغير المتزوج).

الآية 17: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ ﴾: يعني إنّما يَقبل اللهُ التوبة من الذين يرتكبون المعاصي والذنوب ﴿بِجَهَالَةٍ﴾: أي بجهلٍ منهم لِسُوء عاقبة هذه الذنوب، وبجهلهم بقدْر ربهم الذي عصوه، ولكنْ بشرط: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ فلا يُؤخرون التوبة ولا يُسَوِّفونها (يعني لا يقول العبد: سوف أتوب، لأنّه لا يَضمَن أن يُمهِلَهُ اللهُ ليتوب)، ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أي يَقبل توبتهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بضَعف عباده ﴿حَكِيمًا﴾ يضع كل شيء في موضعه اللائق به، ومِن ذلك قبول توبة مَن عصوه بجهالة (لا بعنادٍ ومُكابرةٍ)، ثم تابوا من قريب.

الآية 18: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ يعني: وليس قَبول التوبة ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي يُصِرُّون على فِعل المعاصي ولا يتوبون منها، ثم يَظلون على ذلك ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ فهذا لا تُقبَل توبته، ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فأولئك أيضاً لا تُقبَل توبتهم عند الاحتضار، ﴿أُولَئِكَ﴾ المُصِرُّون على المعاصي إلى أن ماتوا، والجاحدون الذين يأتيهم الموت وهم كُفار ﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي أعَدَّ اللهُ ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

الآية 19: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ أي لا يجوز لكم أن تجعلوا زوجات آبائكم مِن جُملة تَرِكَتِهم، فتتصرفوا فيهنّ بالزواج منهنّ، أو بتزويجهنّ للآخرين، وهنّ كارهاتٌ لذلك كله، ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾: أي ولا تمنعوهنّ من الزواج، حتى لا تضطر هذه المرأة المظلومة إلى إعطائكم شيئًا مما وَرِثَتْهُ من ميراث آبائكم، حتى تتخلص مِن هذا الظلم والتحكم.

♦ وكذلك لا يجوز للزوج إذا كره زوجته أن يُضايقها حتى تفتدي منه ببعض مَهرها ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ كالزنى، أو أن تتكبَّر الزوجة على طاعة الزوج، وتتمرد عليه، ولا تعطيه حقه في المعاشرة بالمعروف، فحينئذٍ يجوز للزوج أن يضايقها حتى تفتدي منه بمهرها حتى يُطلقها، وذلك حتى لا يكون قد تضرَّر من الناحيتين : (مِن سُوء عِشرَتها، ومِن دفْع مهرها إذا طلَّقها)، إذ إنها هي البادئة بالضرر وليس هو، ومع ذلك: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: ولتكن مصاحبتكم لنسائكم مَبنية على التكريم والمَحبة واللطف، وأداء ما لهنّ من حقوق.

♦ واعلم أنَّ مِن المعاشرة بالمعروف: ألاَّ يَعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون ليِّناً ورفيقاً في القول، ليس فظاً ولا غليظاً، ولا مُظهِراً مَيْلاً إلى غيرها، وأن يسألها عن اسمٍ تحبه ليناديها به، وألاَّ يَقلْ لها على سبيل الاحتقار: (أنتي ناقصة عقل ودين)، فليتقِ اللهَ وليَفهم أنَّ نُقصان العقل عند المرأة إنما يكونُ بسبب تغليبها العاطفة على العقل، وذلك حتى يَتغلَّب على طبْعها صفة

www.alukah.net

الحنان، فيتسِّع بذلك قلبُها لهموم زوجها، لتكونَ خيرَ مُهَوِّنٍ له على مَشقة الحياة، وأما نقصان الدين عندها: فلأنها تمتنع عن الصلاة في أيام حَيْضها، وليس ذلك بإرادتها.

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ لِسُوء خُلقهنّ أو بَذاءة لسانهنّ أو غير ذلك: فاصبروا عليهنّ ولا تطلقوهنّ ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي: فلَعَلَّ اللهَ أن يجعل في بقائها خيراً كثيراً لكم (فبسبب صبركم عليهنّ وتقوى الله فيهنّ: قد يُذهِبُ اللهُ ذلك الكُره من نفوسكم، ويُحِلّ مَحَلّهُ الحب والمَوَدَّة، وقد تُرزَقونَ منهنّ بولدٍ ينفعكم).

♦ واعلم أن هذه الآية قد تضمنتْ إبطال ما كانَ شائعاً بين الناس قبل الإسلام من الظلم اللاحق بالنساء، فقد كان الرجل إذا ماتَ وترك زوجته: وَرِثها أكبر أولاده (مِن غيرها)، فإن شاء زَوَّجَها وأخذ مَهرها ممن سيتزوجها، وإن شاء أبقاها عنده، حتى تعطيه بعض مالها ليتركها وشأنها، فجاء الإسلامُ فرفع ذلك الظلم عن المرأة، فكَرَّمها وأعطاها حقوقها.

الآية 20، والآية 21: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾: يعني وإن أردتم طلاقَ زوجةٍ واستبدالها بأخرى، ﴿وَآَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾: أي وكنتم قد أعطيتم مَن تريدون طلاقها مالاً كثيرًا (مهرًا لها): ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾: يعني أتأخذونه كذبًا وافتراءً واضحًا؟، ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: وكيف يَحلُّ لكم أن تأخذوا من المهر الذي أعطيتموهنّ؟ ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: أي وقد استمتع كلٌ منكما بالآخر بالجماع، ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾: أي وقد أخذتْ زوجاتكم منكم عهداً مؤكَّداً من إمساكهنّ بمعروف أو تسريحهنّ بإحسان.

♦ واعلم أن المقصود بالميثاق الغليظ هوعقد النكاح، إذ يقول الزوج: نكحتُها على مبدأ: (إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)، فأين التسريح بإحسان إذا كان يضايقها حتى تتنازل عن مهرها أو عن شيءٍ منه؟!، هذا هو ما أنكره الله تعالى بقوله: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ)؟ إذ هو استفهام استنكاري لفظاعة هذا الأمر وخروجه عن اللياقة والأدب.

الآية 22: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (فبهذه الجملة حُرِّمَتْ امرأة الأب على الابن – إذا طلقها الأب أو مات عنها، حتى ولو لم يدخل بها –، فبذلك أصبحت زوجة الأب ضِمن المُحَرَّمات المذكورة في الآية التي بعد هذه) ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: يعني إلا ما قد مضى منكم في الجاهلية قبل هذا التحريم، فهذا مَعفو عنه بالإسلام (بشرط التخلي عنه وعدم المُقام عليه)، بمعنى أنّ مَن فعل ذلك قبل إسلامه، ثم بلغه التحريم: فعليه أن يفارق زوجة أبيه، فإنها لا تَحِلّ له، وعليه أن يُعطِيَها حقها (المُؤخَّر)، كما هو الحال في طلاق أيّ امرأة، وأما ما يتعلق بالأولاد الذين وُلِدوا منها فإنهم مَنسوبون إليه، ومنسوبون إليها أيضاً (رغم الفِراق التي حدث).

﴿إِنَّهُ﴾ أي زواج الأبناء مِن زوجات آبائهم في الجاهلية ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾: أي كانَ أمراً قبيحاً يَعظُمُ قبحه ﴿وَمَقْتًا﴾: أي وكان أمراً بَغيضاً يكره اللهُ فاعله ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي وكان بئس الطريق والمنهج ما كنتم تفعلونه في جاهليتكم.

♦ واعلم أن المقصود بلفظ ﴿آَبَاؤُكُمْ﴾: (الأب وإنْ عَلا)، بمعنى أنه تَحرُم زوجة الجد أيضاً على الابن وعلى الحفيد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

3. تفسير الربع الثالث من سورة النساء

الآية 23: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾: أي حَرَّمَ اللهُ عليكم نكاحَ أمّهاتكم (ويدخل في ذلك الجدَّات مِن جهة الأب والأم)، ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ (ويدخل في ذلك الحفيدات مِن جهة الابن والابنة)، ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ (سواء الشقيقات أو اللاتي من جهة الأب أو اللاتي من جهة الأم)، ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ وهُم: أخوات آبائكم، وأخوات أجدادكم أيضاً، ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ وهُم: أخوات أمهاتكم، وأخوات جدّاتكم أيضاً، ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ (ويدخل في ذلك حَفيدات الإخوة والأخوات)، ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾، واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر – كما في الصحيحين – أنه (يَحرُمُ من الرِّضاع ما يَحرُمُ من النَسب)، فكُل امرأة حُرِّمَتْ مِن الأقارب: حُرِّمَ مثلها مِن الرضاعة، بمعنى أنه كما حُرِّمَتْ عليه أمُّه التي ولدته، فإنّ أمَّه التي أرضعته حرامٌ عليه.

♦ وكذلك فإنّ أيّ بنت رَضَعَتْ من زوجته فهي حرامٌ عليه (لأنها أصبحت ابنته من الرضاعة)، واعلم أنّ ابنته من الرضاعة هذه تَحْرُمُ أيضاً على أخيه (لأنه أصبح عَمَّها من الرضاعة)، وكذلك يَحرُم على هذه البنت: (أخو أمها التي أرضعتها) لأنه أصبح خالها من الرضاعة.

♦ وكذلك يَحْرُم على الرجل أخواته من الرضاعة (وهُم: بنات هذه المرأة التي رضع منها)، لكنهنّ لا يَحرُمْنَ على إخوته من النسب، وكذلك يَحرُم على الرجل خالاته من الرضاعة (وهُم: أخوات أمه التي أرضعته)، وكذلك يَحرُم عليه عمّاته من الرضاعة (وهُم: أخوات زوج المُرضِعة)، وكذلك يَحرُم عليه بنات إخوته من الرضاعة، وكذلك يَحرُم عليه بنات أخواته من الرضاعة، وأما بالنسبة لزوج المُرضِعة: فإنّ أخوات هذا الطفل الذي رضع من زوجته: لا يَحرُمْنَ عليه.

♦ ولكن اعلم أنه يُشترَط لهذا التحريم السابق أن يكون الطفل قد رضع منها خمس رضعات فأكثر (كما ثبت ذلك في السُنَّة)، وكذلك أن يكون عُمره لا يزيد عن سنتين (وهما الحَوْلان الكاملان)، أما إذا كانَ عدد الرضعات أقل من خمس ، أو كانَ الطفل حينها أكبر من سنتين: فلا يَحرُم عليه أحد بسبب هذه الرضاعة، ويُلاحَظ أنّ الأخ من الرضاعة لا يَرِث.

♦ وحُرِّمَ عليكم كذلك: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ سواء دخلتم بنسائكم، أو لم تدخلوا بهنّ، ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أي: ويَحرُم عليكم بنات نسائكم (مِن غيركم) اللاتي يَتربَّيْنَ غالبًا في بيوتكم وتحت رعايتكم، ولكنْ بشرط: (الدخول بأمهاتهنّ)، ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: يعني فإن لم تكونوا دخلتم بأمهاتهنّ وطلقتموهنّ أو مُتْنَ قبل الدخول: فلا جناح عليكم أن تنكحوهنّ، ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ أي: ويَحرُم عليكم زوجات أبنائكم (سواء دخل الابن بها أو لم يدخل)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (أي: ليس الذين تَبَنّوتموهم قبل الإسلام)، وكذلك يَحرُم على زوج المرضعة أن يَتزوج امرأة ابنه من الرضاعة (وابنه من الرضاعة: هو الطفل الذي رضع من زوجته).

♦ وحُرِّمَ عليكم كذلك: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ سواء كانوا أخواتكم من النَسب أو كانوا أخواتكم من الرِضاعة ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يعني إلا مَن كانَ قد تزوج أختين في الجاهلية – قبل هذا التشريع –، فإنه مَعفو عنه، بشرط عدم الإقامة عليه (وحينئذٍ يختار الزوج منهما مَن كانت تطيعه وتصاحبه بالمعروف، ويُفارق الأخرى بعد أن يُعطيَها حقها)، واعلم أنه لا يجوز كذلك الجَمع بين المرأة وعمتها أو المرأة وخالتها (كما ثَبَتَ ذلك في السُنَّة)، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: وقد كتبَ اللهُ على نفسِهِ أنه غفورٌ رحيم.

www.alukah.net

♦ واعلم أنّ الفعل (كان) إذا جاء مع صفة معينة، فإنه يدل على أنّ هذه الصفة مُلازِمة لصاحبها، كقوله تعالى – واصفاً نفسه بالرحمة والمغفرة -: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي كانَ سبحانه – دائماً وأبداً – غفوراً رحيماً (للتائبين إليه في كل وقت، الخائفينَ من عاقبة ذنوبهم).

الآية 24: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: ويَحرُمُ عليكم كذلك نكاح المتزوجات من النساء ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: يعني إلا مَنْ أسَرتُم منهنّ في الجهاد، فإنه يَحِلّ لكم نكاحهنّ، وقد كانَ هذا التحريم السابق: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: أي كَتَبَ اللهُ عليكم تحريم نكاح هؤلاء المُحرَّمات ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ أي: وأجاز لكم نكاح أيّ امرأة (غير هذه المُحَرَّمات) ممَّا أحَلَّهُ الله لكم، بشرط ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾: يعني أن تطلبوا بأموالكم العِفَّة عن فِعل الحرام، ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾: أي فَمَا استَمْتَعْتُمْ مِن زوجاتكم بالنكاح الصحيح (لأنّ هذه الآية - والتي قبلها – كانت تتحدث عن النكاح، وعن ذِكر مَن يَحرُم نكاحُها ومَن تَحِلّ)، وذلك بدءاً من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾، وفي هذا رَدٌّ واضح على مَن يتجرأون على دين رب العالمين، ويَستحِلُّون ما يُسَمُّونه بـ (نِكاح المُتعة)، وهو في أصلِه زنا ، وإنما أوقعَهم في هذا الإثم العظيم: سُوءُ فَهمِهم، واتِّباعُ أهوائهم.

﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي فأعطوا زوجاتكم مُهورهنّ، التي فرض اللهُ لهنّ عليكم، كما قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، وكما قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ أي: ولا إثم عليكم فيما تمَّ التراضي به بينكم – أيها الأزواج - من الزيادة أو النقصان في المهر، بشرط الاتفاق على مهرٍ محدد في البداية، وذلك ضماناً لحق الزوجة، بحيثُ يَرجع الأمر إليها، فتَرَى: هل هذا الزوج يتقي اللهَ فيها ويعاملها معاملةً طيبةً يَستحق بسببها أن تتنازل له عن المهر (كله أو بعضه)، أو لا يستحق ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما شرَّعه لكم، ليَحفظ لكم حقوقكم.

الآية 25: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: ومَن لا قدرة له على مهور الحرائر المؤمنات: ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي فله أن يَنكح غيرهنّ من الفتيات المؤمنات المملوكات (الإماء)، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ أي بحقيقة إيمانكم ، ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ يعني: فأصل البشر: (آدم وحواء)، والباقي مِن نَسلهم (سواء الحرائر أو المملوكات).

﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: أي فتزوجوا هؤلاء المملوكات بموافقة أهلهنّ، ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: وأعطوهنّ مُهورهنّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: على ما تراضيتم به عن طِيب نفسٍ منكم ، بشرط أن يَكُنَّ ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: يعني يَكُنّ بزواجهنّ هذا طالباتٍ للعفة عن الحرام، ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ أي: وعليكم أن تجتنبوا اختيار الإماء المُجاهِرات بالزنى ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أي: واجتنبوا أيضاً اختيار مَن يتخذون أصدقاء (للزنى) سرَّاً، ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾: أي فإذا تزوجْنَ وأتيْنَ بفاحشة الزنى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ﴾ مِن الحدِّ ﴿نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾: أي نصف ما على الحرائر ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ وذلك في الشيء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذي يُمكن تنصيفه، وهو جلد خمسين جلدة للأمَة البِكر (لأنّ البِكر الحُرّة تُجلَد مائة) وتغريبها (أي إخراجها من قريتها) لمدة ستة أشهر فقط (بدلاً من سَنَة للبِكر الحُرّة)، أما الرَّجْم (الذي هو الموت) فإنه لا يُمكن تنصيفه، فلذلك ليس على الإماء المتزوجات رَجْم، إنما عليهنّ تعزير (أي تأديب وعقاب يَمنعهنّ عن فِعل الفاحشة بعد ذلك، وذلك بحسب ما يراه ولي الأمر مناسباً).

﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الذي أُبيحَ لكم مِن نكاح الإماء إنما أُبيحَ ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ أي لِمَن خاف على نفسه الوقوع في الزنى، ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: والصبر عن نكاح الإماء - مع العِفة - أَوْلَى وأفضل، حتى يُغنيكم اللهُ من فضله، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم إذ أذِنَ لكم في نكاحهنّ عند العجز عن نكاح الحرائر.

الآية 26: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: أي يريد اللهُ تعالى - بهذه التشريعات - أن يوضح لكم مَعالم دينه القويم وشَرْعِهِ الحكيم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي ويريد سبحانه أن يُرشدكم إلى طرق الأنبياء والصالحين الذين مِن قَبلكم ، لتقتدوا بهم، فتفوزوا بالجنة مِثلهم، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: أي ويريد سبحانه أن يتوب عليكم مِن فِعل السيئات، لترجعوا إليه بفِعل الطاعات، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يُصلح شأن عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شَرَعَه لهم.

الآية 27: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ويتجاوز عن خطاياكم، ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ يعني: وأما الذين يَنقادون لشهواتهم ومَلذاتهم فيريدون لكم ﴿أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾: أي تنحرفوا عن الدين انحرافًا كبيرًا.

الآية 28: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ أي: يريد اللهُ تعالى - بما شرعه لكم مِن أحكام - أن يُيَسِّر عليكم، فقد ثبتَ أن النبي صلى الله عليه وسلم كانَ إذا خُيِّرَ بين أمرَين: يَختارُ أيْسَرَهما (ما لم يكن إثماً)، إذ ليس معنى أنّ الدينَ يُسر، أنْ يفعل الإنسان ما حَرَّمه الله، وإنما الدين يُسر في أحكامه وتكاليفه، فعلى سبيل المثال: يقول النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخاري - : (ليكونَنَّ من أمّتي أقوامٌ يَستحِلّون الحِرَ - (والمقصود به الزنى) - والحرير - (أي يَستحِلون لِبْسَهُ للرجال) -، والخمر، والمَعازف) - (وهي الآلات الموسيقية)، فالذي أخبر بأن (الموسيقى) حرام، هو نفسه - صلى الله عليه وسلم - الذي قال: (إن الدين يُسر).

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ أي: وذلك التيسير في الأحكام - وخصوصاً في أمر النكاح - لأنكم قد خُلِقتم ضعفاء.

الآية 29، والآية 30: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾: أي لا يَحِلّ لكم أن يأخذ بعضكم مالَ بعضٍ بغير حق ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾: يعني إلا أن يكون أخْذ المال بطريقٍ حلال كالتجارة، وأن يكون ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ فهذا لا بأس بأخْذِه فإنه حلالٌ لكم، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا تُؤَدُّوا بأنفسكم إلى الهَلاك، ولا يَقتل بعضكم بعضًا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في كل ما أمَرَكم به ونَهاكم عنه، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: ومَن يَفعل ما نَهى اللهُ عنه - مِن القتل وأخْذ المال الحرام - ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ أي بالعَمْد والإصرار - وليس بالسهو والخطأ - ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: أي فسوف نُدخله نارًا يَحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

www.alukah.net

الآية 31: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ وهو الجنة، وبهذا قد ضمن الله تعالى لمن اجتنب الكبائر أن يُكفر عنه الصغائر من السيئات، وأن يُدخله الجنة ، فلذلك وَجَبَ علينا البحث عن هذه الكبائر لكي يَجتنبها المسلمون، وقد قال بعض العلماء أنّ عددها سَبع، وقال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: (هي إلى السبعين أقرب منها إلى السَبع).

♦ وقد عرَّفها العلماء بأنها: كل ما وَرَدَ فيه حَدّ في الدنيا (كالقتل والزنا والسرقة)، أو جاء فيه وعيد في الآخرة (مِن عذابٍ أو غضبٍ أو تهديد أو لعْن فاعله)، مع التسليم بأنّ بعض الكبائر أكبر من بعض، علماً بأنّ صاحب الكبيرة لا يُكَفَّر.

♦ وقد جمعها الإمام الذهبي في كتابه: (الكبائر)، وقد رأيتُ – إتماماً للفائدة – أن أسوقها إليك مُختصَرة ومُبسَّطة:

(الشرك بالله (ومنه الذبح لغيرهِ تعالى) – قتل النفس – السِحر – ترْك الصلاة – مَنْع الزكاة – إفطار يوم من رمضان بلا عذر – ترْك الحج مع القدرة عليه – عقوق الوالدين – هَجْر الأقارب - الزنا – اللُّواط (وهو فِعل قوم لوط) – أكْل الربا – أكْل مال اليتيم وظلمه – الكذب على الله ورسوله (وكذلك القول على الله بغير علم) – الفرار من القتال – غش الإمام للرَعِيَّة وظلمه لهم – الكِبر والفخر والعُجْب والغرور - شهادة الزُور (أي يَشهد على شيءٍ غير صحيح وهو يَعلم أنه كاذبٌ، وكذلك مَن يحتفل بأعياد غير المسلمين، أو يَحضر مجالس الباطل (كالغيبة والنميمة والكذب) وهو موافقٌ لهم) – شُرب الخمر – القِمار – قذف المحصنات (أي اتّهام نساء المسلمين بالزنا أو مقدماته، ومنه قول القائل: (يا ابن الزانية) أو ما شابَهَ ذلك) – الغُلول (وهو سرقة شيء مِن الغنيمة قبلَ توزيعِها) – السرقة – قطع الطريق).

♦ وكذلك من الكبائر: (اليمين الغَموس (وهو الحلف الكاذب الذي يغمس صاحبه في النار) – الظلم - المَكّاس (وهو الذي يَجمع الضرائب قهراً وظلماً، ولا يَدخل في ذلك ما يراهُ ولي الأمر في مصلحة الدولة، أو في مصلحة المسلمين) – أكْل الحرام بأيّ وجهٍ كان – أن يَقتل الإنسانُ نفسه – الكذب في غالب أقواله – القاضي السوء - أخذ الرّشوة على الحُكم – تَشبُّه النساء بالرجال وتَشبُّه الرجال بالنساء – الدَّيُّوث (وهوالمُستحسِن على أهلِهِ التَبَرُّج والفاحشة) - القوَّاد (وهو الساعي بين الاثنين بالفاحشة) – المُحَلِّل (وهو مَن يتزوج امرأة مُطلقة (ثلاث طلقات) بِنيَّةِ تحليلها لزوجها الأول)، والمُحَلَّل له (وهو الزوج المُطلّق، الذي يُعطِي للمُحلِّل أجراً لِيَفعل ذلك).

♦ وكذلك من الكبائر: (عدم الاستنجاء من البول (وعدم الاحتراز مِن رَذاذه أثناء التبول) – الرياء - تعَلُّم العِلم الشرعي طلباً للدنيا (إلا مَن كانَ ليس له مصدر رزق إلا ذلك، كإمام المسجد والخطيب والمُحَفِّظ، مع مراعاة أن يَنوي بذلك العلم: الدعوة إلى الله مع طلب الرزق) – كِتمان العلم – الخيانة – المَنَّان (الذي لا يُعطِي شيئاً إلا وتَفَضَّلَ به على مَن أعطاَه، سواء كان هذا التفضُّل باللسان أو بالقلب) – التكذيب بالقدَر – التجَسُّس على الناس – النَمَّام (وهو الذي يَنقل الكلام بين الناس بغرض الوقيعة بينهم) – اللَّعَّان (وهو الذي يُكثِر من لعْن الناس ولعْن الأشياء) – الغدْر وعدم الوفاء بالعهد – تصديق الكاهن والمُنَجِّم – نشوز المرأة على زوجها (أي تمَرُّدها عليه، ومُعانَدَتِهِ وإسخاطه وعدم طاعته) – تصوير التماثيل).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وكذلك من الكبائر: (اللَّطْم والنِياحة – أذى الجار – أذى المسلمين وَشَتْمهم – التطاول على عباد الله الضعفاء – تطويل الثوب للرجال (فخراً وكِبراً) – لِبْس الحرير والذهب للرجال – هروب العبْد من سيده – فيمَن يُدْعَى (نَسَباً) إلى غير أبيه وهو يعلم أنه ليس أبيه (وكان راضياً بذلك) - الجدال بالباطل (أي يجادل وهو يعلم أنه على باطل، ولكنه يفعل ذلك اتّبَاعاً لهواه) – مَنْع الماء (الزائد عن حاجته) عن الآخرين – الغش ونقص الميزان – الأمْن من مَكْر الله – الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر – الإضرار في الوصية (وقد تقدم ذلك في آيات المواريث) – المكر والخديعة – مَن دَلَّ الأعداء على المسلمين – سَبّ أحد الصحابة رضوان الله عليهم).

الآية 32: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في المواهب والأرزاق وغير ذلك، ولكن انظروا إلى مَن هو أقلّ منكم في النِعَم، وذلك حتى لا تحتقروا نعمة الله عليكم، واحرصوا على فِعل ما ينفعكم في الدنيا والآخرة، فقد جُعِلَ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ أي لهم نصيبٌ من الرزق (وذلك بحسب ما اكتسبوه من السَعي والأخذ بالأسباب)، ونصيبٌ من الثواب (بحسب ما اكتسبوه من الطاعات)، ونصيبٌ من العقاب (بحسب ما اكتسبوه من السيئات)، ﴿وَلِلنِّسَاءِ﴾ كذلك ﴿نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من الأعمال، فبذلك رَدَّ سبحانه القضية إلى سُنَّتِهِ فيها وهي: (كَسْب الإنسان)، ونهَى عن التمني والحسد وترْك العمل.

♦ ثم بَيَّنَ سبحانه سُنَّةً أخرى في الحصول على المرغوب (ألاَ وهي الدعاء)، فقال: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: وادعوا اللهَ أن يُعطيكم من فضله مثلما أعطى غيركم (إن كانَ ذلك خيراً لكم)، (وذلك مع الدعاء لهم بالبركة)، فمَن سألَ ربه وألَحَّ عليه مُوقناً بإجابته سبحانه – لِمَا فيه الخير له –: فإنّ اللهَ يُوفقه للإتيان بالأسباب الصالحة، ويَصرف عنه الموانع والابتلاء، ويُعطيه بغير سببٍ إن شاء، فهو على كل شيءٍ قدير، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ إذ هو سبحانه أعلم بما يُصلِحُ حالَ عبادِهِ فيما قسَمَه لهم، ولذلك وَزَّعَ المواهب والقُدرات في خَلقه (بين الرجل والمرأة)، وذلك حتى يتكامل المجتمع، فالعاقلُ إذاً هو مَن يَحترم مَواهبَ اللهِ في خَلقه.

♦ واعلم أنّ سبب نزول هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أنَّ النساء قُلْنَ: (إننا لم يُكتَبْ علينا الجهاد، وأعطانا ربُّنا نصف الرجل من الميراث)، وقد أوضحَ اللهُ تعالى للمرأة أنها أخذتْ نصف الرجل لأنها محسوبة عليه، فهي لن تُنفِق على نفسها، بل سيُنفِق عليها الرجل، والمسألة بذلك تكون عادلة.

الآية 33: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ هذه الآية منسوخة بآيات المواريث.

الآية 34: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى﴾ توجيه ﴿النِّسَاءِ﴾ ورعايتهنّ، وذلك ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: أي بسبب ما خَصَّهم الله به من خصائص القوامة والتكليف، ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: وبسبب ما أعطوهنّ من المهور، وكذلك بالإنفاق عليهنّ، ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ المستقيمات على شرع الله – مِن صفاتهنّ – أنهنّ ﴿قَانِتَاتٌ﴾: أي مطيعات للهِ تعالى ولأزواجهنّ (في غير معصية الله)، و ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾: أي حافظاتٌ لكل ما يُؤتمَنَّ عليه (وذلك في غياب أزواجهنّ) ﴿بِمَا

www.alukah.net

﴿حَفِظَ اللَّهُ﴾: أي وذلك بحِفظ اللهِ تعالى لهنّ وإعانتهنّ على ذلك (لا مِن أنفسهنّ)، فإنّ النفس أمارة بالسوء، ولو وُكِلَت المرأة إلى نفسها: لا تستطيعُ حِفظَ شيءٍ وإنْ قَلّ، وإنما مَن يتوَكَّلْ على اللهِ، فإنه يَكفيهِ ما أهَمَّهُ مِن أمْر دينه ودنياه، واعلم أنه يُفهَم مِن ثناء اللهِ تعالى على هؤلاء الصالحات أنه يَجب على الرجل إكرام المرأة الصالحة، والإحسان إليها، والرفق بها لضعفها.

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أي: واللاتي تخشون تكبُّرهنّ عن طاعتكم: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بالكلمة الطيبة والمَوعِظة الحَسَنة، وبإعلامِهنّ الأشياءَ التي تُغضِبكم منهن، وبتخويفهنّ من العِصيان حتى لا يَقعنَ في غضب اللهِ ولعنتِهِ وعدم قبول أعمالهنّ، وحتى لا تضطروا إلى فِعل الأشياء التي تغضبهن، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ يعني: فإن لم تنفع معهنّ النصيحة الطيبة، وأصرَرنَ على مَعصيتكم ومعاندتكم: فاهجروهنّ في الفِراش، ولا تُكلِموهنّ (إلاَّ لِضرورة)، وذلك حتى يَنتهيْنَ عن ذلك، ويَندمنَ على مُخالفتكم، فإن لم يُؤثر الهَجْر فيهنّ: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربًا لا ضرر فيه، فلا تضربوهنّ على الوجه، ولا ضرباً يؤثر في عظمٍ أو جِلد، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾، وتُبْنَ عن عِصيانكم: ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: أي فاحذروا ظُلمهنّ فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾: يعني فإنّ الله العليَّ الكبير هو وليُّهن، وسوف يَنتقمُ مِمَّن ظلمهنَّ.

الآية 35: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ يا أولياء الزوجين ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: يعني إنْ خِفتُمْ حدوث خِلاف بين الزوجين يؤدي إلى فراقهما (بعد اتّباع جميع الوسائل السابقة): ﴿فَابْعَثُوا﴾ إليهما ﴿حَكَمًا﴾ عدلاً ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾: أي مِن أهل الزوج، ﴿وَحَكَمًا﴾ عدلاً ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾: أي من أهل الزوجة، ليَنظرا ويَحكما بما فيه المصلحة لهما، فـ ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي هذان الحَكمان ﴿إِصْلَاحًا﴾ بين الزوجين، ويَستعملا الأسلوب الطيب في الصُلح، ويُخَوِّفا الزوجين من هَدم البيت وتشريد الأولاد: ﴿يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ أي بين الزوجين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ لا يَخفى عليه شيءٌ من أمْر عباده ﴿خَبِيرًا﴾ بما في نفوسهم.

****

4. تفسير الربع الرابع من سورة النساء

من الآية 36 إلى الآية 39: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، وانقادوا له في جميع أوامره، واعلم أنّ العبادة قد عرَّفها ابن تَيْمِيَة رحمه الله بأنها: (هي اسمٌ جامع لكل ما يُحبه اللهُ ويَرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)، وعَرَّفها ابن القَيِّم رحمه الله بأنها: (هي كمال الحب مع كمال الذل)، وحتى تُحَقِّق ذلك بإذن اللهِ تعالى: لا بد أن تتذكر نِعَم اللهِ عليك (حتى تحب اللهَ تعالى)، ثم تتذكر أنك تقابل هذه النعم بالمعاصي (حتى تكره نفسك الأمَّارة بالسوء)، فحينها تذِلّ للهِ تعالى وتنكسر بين يديه قائلاً: (أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ بذنبي)، هذه هي بداية الطريق إلى اللهِ، لأنّ رؤية النعم ورؤية الذنوب تستوجبُ الذلَّ والانكسار والفقر التام بين يدي اللهِ تعالى، والتوبة إليه سبحانه في كل وقت، فلا ترى نفسك إلا مُفلِساً، وأنه لو تخلى عنك سبحانه طرفة عين: لهَلَكْتَ وخسِرتَ خسارةً لا تُجبَرُ إلا أن يَتداركك اللهُ برحمته.

♦ ومِن لطيفِ ما يُذكَر أنَّ أحد الدُعاة كان يَنصح تلاميذه بأن يَكتبوا نِعَمَ اللهِ في ورقة، ثم يَقلبوا الورقة ليَكتبوا ذنوبهم (منذ لحظة البلوغ) (حتى ولو كتبوها بطريقةٍ لا يَفهمها أحدٌ غيرهم)، ثم بعد ذلك يُقطِّعوا تلك الورقة أو يَحرقوها (المهم أن يَعترفوا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بنعم اللهِ عليهم، وأن يَعترفوا بذنوبهم)، وكانَ يُذَكِّرُهم بقول اللهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.

♦ هذا، وقد جَمَعَ النبي صلى الله عليه وسلم بين رؤية النعم ورؤية الذنوب حينما كان يقول: (سبحان الله وبِحَمدِه أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه)، عِلماً بأن (سبحان الله وبحمده) تعادل في المعنى (سبحان الله والحمد لله)، وقد كان أحد السلف دائماً يقول: (الحمد لله أستغفر الله)، فقال له أحد جُلَسائِه: (ألاَ تُحسِنُ غيرَ هذا؟)، فقال له: (بل أُحسِنُ الكثير، ولكنني رأيتُني أتقلبُ بين نعمةٍ وذنب)، فهو بذلك يُعِدُّ حَمداً كثيراً ليساعده في سؤال النعم أمام اللهِ تعالى، كما يُعِدُّ استغفاراً كثيراً ليساعده في سؤال الذنوب.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ لا شركاً أصغر (كالرياء والحلف بغير الله)، ولا شِركاً أكبر (كَشِرك العبادة)، فلا تُشركوا معه مَلَكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا غيرهم من المخلوقين، الذين لا يَملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشوراً (والنشور هو البعث بعد الموت)، واعلم أنّ الله لا يَغفر أن يُشرَكَ به (إلا إذا تاب العبد من الشرك قبلَ موته).

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: وعليكم بتأدية حقوق الوالدين (وذلك بالقول الكريم اللّيِّن، وبطاعة أمْرهما – في غير معصية الله – وبالإنفاق عليهما، وإكرام صديقهما ومَن له تعلُّق بهما، وصلة رَحِمِهما، والدعاء لهما، وطلب رِضاهما)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما) (والحديث في صحيح الجامع برقم: **3507**)، فاعلم أنه لن يَرضى عنك الله سبحانه وتعالى حتى يَرضى عنك والداك (ولو كنتَ أعبَدَ أهل الأرض)، ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ إِحْسَانًا ﴿وَالْيَتَامَى﴾ ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ وهم مَن لا مالَ لهم ولا مَصدَر رزق، وكذلك مَن لهم مَصدَر رزق (ولكنهم لا يَسُدُّون به كفايتهم وكفاية مَن يَعُولُونهم)، ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ وهو الجار القريب منكم، واعلم أنّ الجار إذا كان من الأقارب، فإنّ له حق الجُوار وحق القرابة، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ وهو الجار البعيد عنكم، وكذلك الجار الذي ليس له قرابة، واعلم أنه كلما كان الجارُ أقربَ بابًا، كلما كان حقه أكثر تأكيداً، فينبغي للمسلم أن يتعاهد جاره بالهدية والدعوة، واللطف في الأقوال والأفعال، وعدم أذيَّتِه بقولٍ أو فِعل، ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ وهو الصاحب المُلازم الذي لا يُفارِق؛ كالزوجة والمُرافق في السفر والعمل وطلب العلم وغير ذلك، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر المحتاج للنفقة، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وهم المماليك من فِتيانكم وفَتياتكم.

♦ فمَن قام بهذه المأمورات، فهو الخاضع لأمْر ربه، المتواضع لعباد الله، الذي يُحبه الله، ومَن لم يقم بذلك فإنه عبدٌ مُعرضٌ عن ربه، غيرُ متواضعٍ للخلق، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ أي مُعجَباً بنفسه متكبرًا على الخلق ﴿فَخُورًا﴾: أي يَمدح نفسه على سبيل الفخر، فهذا الكِبر والفخر يَمنع هؤلاء من القيام بحقوق الله وحقوق الآخرين، ولهذا قال تعالى بعدها: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي من المال والعِلم وغير ذلك، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ أي عذاباً يُهينهم ويُذِلُّهم في جهنم، هُم ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي لِيَمدحهم الناس ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنهم لا يَرجون ثواباً عند اللهِ تعالى بهذه الأعمال، فهذا مِمّا يَدعو إليه

www.alukah.net

الشيطان ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ - أي مُلازِمًا يأمره بالشر وينهاه عن الخير - ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾: أي فهذا بئس المُلازِم والقرين، ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: وأيُّ ضَرَرٍ يَلحق بهم ﴿لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ بإخلاصٍ للهِ تعالى واحتسابٍ للأجر عنده؟!، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ وسيُحاسبهم سبحانه على أعمالهم ونيَّاتهم.

الآية 40: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي لا يُنقِص أحدًا - مِن أجر عمله - مِقدار ذرَّة، بل ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ للمؤمن ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ﴾ أي: ويُعطي سبحانه مِن عِنده ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ - فضلاً منه سبحانه لمن يشاء من عباده، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الآية 41، والآية 42: ﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حال الناس يوم القيامة ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ وهو رسولها لِيَشهد عليها بما عملتْ، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ أيها الرسول لتكونَ ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أنك قد أبلغتَهم رسالة ربِّك، فـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي يتمنون لو أنّ اللهَ يجعلهم والأرض سواء، فيَصيرون ترابًا، حتى لا يُبعَثوا، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾: أي وهم لا يستطيعون أن يُخفوا عن اللهِ شيئًا مما في أنفسهم ، إذ ختم اللهُ على أفواههم، وشَهِدَتْ عليهم أعضاءهم بما كانوا يعملون.

♦ واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بكى عندما قرأ عليه عبد الله بن مسعود هذه الآية، ولِذا يَحضرني هنا قول أحد الدُعاة: (فإذا كان الشاهدُ قد بَكى، فما بالُ المشهودِ عليهِ لا يَبكي؟).

الآية 43: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (وقد كان ذلك قبل نزول التحريم النهائي للخمر في كل حال).

﴿وَلَا جُنُبًا﴾ أي: ولا تقربوا الصلاة إذا أصابتكم جَنابة (مِن جِماعٍ أو احتلام)، وكذلك لا تقربوا المساجد وأنتم على جَنابةٍ ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ يعني إلا إذا كنتم مارِّين بالمسجد - مِن بابٍ إلى باب - مُروراً بدون جلوس ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾.

♦ واعلم أنه قد ثبت عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أنّ المقصود بقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، أنهم المسافرون الذين تصيبهم جَنابة، فيتيَمَّمون ويُصلُّون، (وفي المسألة خِلاف في جَوَاز جلوس الجُنُب في المسجد).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ أي كانَ بكم مرضٌ لا تَقدرون معه على استعمال الماء، ﴿أَوْ﴾ كنتم ﴿عَلَى سَفَرٍ﴾ ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾: يعني أو قضى أحدكم حاجته ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: يعني أو جامَعتم زوجاتكم ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ للوضوء أو الغُسل: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: أي فاضربوا بأيديكم وَجهَ الأرض الطاهرة ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ وذلك بأن يَنوي العبدُ التيَمُّمَ بقلبه ويُسمِّي ، ثم يَضرب الترابَ بيدَيْه ضربة واحدة فقط، ثم يَنفخ في يَدَيْه، ثم يَمسَح بهما وجهَهُ وكفَّيه فقط، وهذه الصفة سواء كان التيَمُّم نيابةً عن الوضوء، أو كان نيابةً عن الغُسل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ لا يؤاخذ المؤمنين على كل ذنب، ﴿غَفُورًا﴾ لذنوب التائبين، ولذلك لم يؤاخذهم عندما صَلُّوا وهم سُكارى، فغفَرَ لهم، وأَنزل هذا القرآن تعليماً وهِداية لهم.

الآية 44: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود الذين أُعطاهم الله عِلماً من التوراة ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: أي يَستبدلون الضلالة بالهدى، ويَتركون ما عندهم من الحُجَج والبراهين الدالة على صِدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: ويتمنون لكم – أيها المؤمنون المهتدون – أن تنحرفوا عن الطريق المستقيم، لتكونوا ضالين مثلهم.

الآية 45: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ – أيها المؤمنون – ولذلك أخبَرَكم بعداوة هؤلاء اليهود لكم ، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ يَتولَّى أموركم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ يَنصركم على أعدائكم.

الآية 46: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: من اليهود فريقٌ ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾: أي اعتادوا على تبديل كلام الله وتغييره عمَّا هو عليه (افتراءً على الله)، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي: واسمع منَّا لا استطعتَ السماع، ﴿ وَرَاعِنَا﴾ سَمْعَك، أي: افهم عنا وأفهِمنا، ولكنهم يقولونها ﴿ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾: أي يَلوون ألسنتهم بذلك، وهم يريدون الدعاء عليه بالرُعُونة (وهي الحُمق والطَيش)، ويريدون بذلك الطعن في دين الإسلام مِن خلال شخص الرسول صلى الله عليه وسلم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ بدلاً من "سَمِعْنا وعَصَينا"، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿ وَاسْمَعْ﴾ بدون "غير مُسمَع"، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿وَانْظُرْنَا﴾ بدلاً من "راعِنا" ﴿لَكَانَ﴾ ذلك ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ ﴿وَأَقْوَمَ﴾ أي وأعدل قولاً، ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: ولكنَّ اللهَ طردهم من رحمته، بسبب جحودهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا ﴾ إيماناً ﴿ قَلِيلًا﴾ لا ينفعهم (كإيمانهم بموسى وهارون، والتوراة (التي أُنزِلَتْ على موسى)، والزَبور (الذي أُنزِلَ على داوود)، ولكنَّ كفرَهم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم أضاع هذا الإيمان، لأنّ مَن كفر برسولٍ من الرسل فقد كفر بسائر الرُسُل، كما قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، ولم يقل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ رسولهم﴾.

الآية 47: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ – وهذه صِفةُ مَن كان عالماً بجميع التوراة – ﴿آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتب، لأنه يجب عليكم أن تكونوا مُبادرين إليه قبلَ غيركم، بسبب ما أنعم اللهُ به عليكم من العِلم والكتاب، ولهذا تَوَعَّدَهم اللهُ على عدم الإيمان فقال: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾: أي من قبل أن نمحو وجوهكم، ثم نجعل الوجه مكان القَفا، والقَفا مكان الوجه، ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾: يعني أو نلعنهم – بِمَسخِهِم قِردَةً وخنازير – كما لعنَّا اليهود مِن أصحاب السبت، الذين نُهُوا عن الصيد فيه فلم ينتهوا، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي نافذاً في كل حال، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

www.alukah.net

♦ واعلم أنَّ قولَه تعالى : ﴿من قبل أن نطمسَ وجوهاً﴾ فيه إشارة إلى أنه متى وقع منهم إيمانٌ قبل الطَمْس: أخَّرَهُ اللهُ عنهم، وقد آمَنَ بعضهم كَعَبدِ الله بن سَلَام وأصحابه، فرُفِعَتْ عنهم هذه العقوبة بسبب إيمانِ بعض علمائهم.

الآية 48: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي لا يَتجاوز عَمَّن أشرك به في عبادته (إلا إذا تاب العبد مِن الشِرك قبلَ موتِه)، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ – وهي الذنوب التي أقل مِن الشرك – فيَغفرها سبحانه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مِن عباده، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ أي اختلق ذنبًا عظيمًا.

الآية 49: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود الذين يُثنون على أنفسهم وأعمالهم، ويَصفونها بالطُهر والبعد عن السُوء؟! ﴿بَلِ اللَّهُ﴾ تعالى هو الذي ﴿يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ مِن عباده، لِعلمِهِ بحقيقة أعمالهم ، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: ولا يُنقَصون من أعمالهم شيئًا، ولو كان مقدار الخيط الذي يكون في شق نَواة التمرة.

الآية 50: ﴿انْظُرْ﴾ – أيها الرسول – ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وهو سُبحانه المُبَرّأ عن كل ما لا يَليق به؟!، ﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ أي: وكفى بهذا الافتراء ذنبًا كبيرًا كاشفًا عن فساد عقيدتهم.

الآية 51: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود، فإنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾: أي يُصَدقون ويُقِرُّون بصِحة عبادة كل ما يُعبَدُ من دون الله – من الأصنام والكَهَنة والسَّحَرة وشياطين الإنس والجن – تصديقاً يَحمِلهم على تحكيم غير شرع الله.

♦ واعلم أنّ الطاغوت هو كل ما يَعبُدُه الناس – مِن دون اللهِ تعالى –، بشرط أن يكون هذا الطاغوت راضياً عن عبادة الناس له (لأنّ عيسى عليه السلام لم يكن راضياً عن عبادة النَصارَى له).

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: وهؤلاء اليهود يقولون لِمُشركي العرب (الذين لم ينزل عليهم أيّ كتاب): ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾: أي دينكم - يا مُشرِكي العرب – خيرٌ من دين محمد، وأنتم أفضلُ طريقاً وأكثر هِداية - في سلوككم وحياتكم والاجتماعية – من أولئك الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

♦ مع أنَّ في كتابهم إبطالَ الشِرك وَهَدْمه ، ولكنْ ما حَمَلهم على ذلك القول إلا الكفر والحسد وبُغض النبي محمد، فما أشدّ عنادهم وأقلّ عقولهم! فهل يُفَضَّلُ دينٌ قام على (عبادة الأصنام، وتحريم الطيِّبات، وإباحة الخبائث، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالمخلوقين)، على دينٍ قام على (عبادة الرحمن وحده لا شريك له، وعلى صلة الأرحام، والإحسان إلى جميع الخلق – حتى البهائم –، وعلى إقامة العدل بين الناس، وتحريم الظلم والخبائث، والصِدق في جميع الأقوال والأعمال)؟!

♦ ويُلاحَظ هنا أنّ اللهَ تعالى قال : ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾، رَغمَ أنه كانَ مِن المُتوقَّع أن يقول: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أنتم أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾، أي بصيغة الخطاب، اتفاقاً مع سِياق الآية، ولكنه سبحانه أراد أن يُوضح أن اليهود يقولون ذلك القول أمام مُشركي العرب وفي غيبتهم، وهو ما يُسَمَّى: (حكايةً لِمعنى القَوْل)، فكأنه

تعالى حكى أن اليهود – حين تناجَوا فيما بينهم – قال بعضهم لبعض في شأن أهل مكة : (هؤلاء العابدون للأصنام أهدَى مِن محمدٍ وأصحابه).

الآية 52: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي طردهم من رحمته، ﴿ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ يَنصره، ويدفع عنه سُوء العذاب.

♦ واعلم أنه لا يجوز أن يقول الرجل لأخيه: (يا ملعون)، أو: (اللهم العن فلاناً) - طالما أنه مُسلم ناطقٌ بالشهادتين –، لأن اللعن هو الطرد من رحمة الله، فالرجل - الذي يقول هذا الكلام – قد حَكَمَ على أخيه بالطرْد من الرحمة، فليَحذر أن يقول ذلك حتى لا تُرَدّ الكلمة عليه فيُطرَد هو من الرحمة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا خرجتْ اللعنة مِن فِي – (أي مِن فم) – صاحبها: نظرتْ، فإن وَجَدَتْ مَسلكاً في الذي وُجِّهَتْ إليه، وإلاَّ عادت إلى الذي خرجتْ منه) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 502)، وهذه هي عقيدة أهل السُنَّة والجماعة: ألاَّ نلعنَ شخصاً بعينه، وألاَّ نَحكم عليه بالرحمة أو الشهادة أو الجنة أو النار، إلا مَن شَهد له اللهُ ورسوله بذلك.

الآية 53: ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يعني: أم لهؤلاء اليهود ﴿ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾؟ فيفضِّلون مَن شاءوا على مَن شاءوا بمجرد أهوائهم؟ وهذا استفهام استنكاري (أي ليس لهم ذلك) ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ يعني: ولو أنه قُدِّرَ أنَّ لهم نصيباً من المُلك: لَمَا أعطوا أحدًا منه شيئًا، ولو كان مقدارالنُّقرة التي تكون في ظهر نَواة التمرة، (وهي عبارة عن ثقب صغير يُضرَب به المثل في صِغَرِه)، وذلك لِشدة بُخلهم.

الآية 54، والآية 55: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾: يعني أم يحسدون محمدًا صلى الله عليه وسلم على ما أعطاه الله من نعمة النُبُوَّة والرسالة، ويَحسدون أصحابه على نعمة التوفيق إلى الإيمان واتِّباع الرسول والتمكين في الأرض، ويَتمنون زوال هذا الفضل عنهم؟، بل اللهُ يَختص برحمته من يشاء، وذلك ليس بغريبٍ على فضل الله تعالى ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾: أي فقد أعطينا إبراهيم وذريته الكتاب (كَصُحُف إبراهيم والتوراة والزبور والإنجيل)، وأعطيناهم الحكمة (وهي السُنَّة التي كانت لأولئك الأنبياء يَتلقونها وَحياً مِن الله تعالى، وكلها عِلمٌ نافع وحُكمٌ صائبٌ سديد)، وكذلك أعطينا المُلك الواسع لبعضهم (كَداوودَ وسليمانَ عليهما السلام)، فإنعامُهُ تعالى لم يَزَلْ مستمرًا على عباده المؤمنين، كل هذا يَعرفه اليهود، فكيف يُنكِرون إنعامَهُ تعالى بالنُبُوَّة والنصر والمُلك لمحمد صلى الله عليه وسلم (أفضل الخلق، وأعظمهم مَعرفةً بالله وأخشاهم له)، ويَحسدونه على ذلك؟!

﴿فَمِنْهُمْ﴾: أي فمِن هؤلاء اليهود ﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾: أي آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وعمل بشرعه، كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾ أي: ومنهم مَن أعرض عنه ولم يَستجب لدعوته، ومَنَعَ الناس مِن اتِّباعِه، ﴿ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: أي وحَسْبُكُم – أيها المكذبون – نار جهنم تُسعَّر بكم (أي تُوقَدُ عليكم وتفورُ بكم) يوم القيامة.

www.alukah.net

الآية 56: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾: أي سوف نُدخلهم نارًا يُقاسون حَرَّها الشديد، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ أي كلما احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي لِيَستمر عذابهم وألَمُهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يَمتنع عليه تحقيق ما تَوَعَّدَ به أعداءه، ﴿حَكِيمًا﴾ يُعذب مَن يَستحق العذاب.

الآية 57: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي حدائق عجيبة، تجري أنهارُ الماء والعسل واللبن والخمر مِن تحت قصورها وأشجارها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من كل أنواع الدَنَس الحِسِيّ كالبَول والحَيض، وكذلك مِن الدَنس المعنوي كالكذب وسُوء الخُلق، ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ أي ظلا كثيفًا ممتدًا في الجنة يَحفظهم من الحر والبرد.

****

5. تفسير الربع الخامس من سورة النساء

الآية 58: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ سواء كانوا مؤمنين أو كفاراً، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي: ونِعْمَ ما يَعظكم اللهُ به، فإنّ الحياة الكريمة تعتمد على أداء الأمانات والحُكم بالعدل، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لأقوالكم، ﴿بَصِيرًا﴾ بأعمالكم، وسيُجازيكم عليها (وقد خُتِمَتْ الآية بهاتين الصفتين للحَثّ على فِعل المأمور به، ولإيجاد مُراقبة اللهِ تعالى في النفس، لأنّ مَن تَذكَّر أنّ اللهَ تعالى يَسمع أقواله ويَرى أعماله: استقامَ في قوله فلم يَكذب، وفي عمله فلم يُفرِّط).

الآية 59: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ بالعمل بكتابه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ بالعمل بسُنَّته، ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي: وأطيعوا وُلاةَ أمْركم – وهم الحُكّام – في غير معصية الله، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: يعني فإن اختلفتم في شيءٍ بينكم، فأرجعوا الحُكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ حق الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾، لأنّ ﴿ذَلِكَ﴾ أي الرَدّ إلى الكتاب والسُنَّة ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: وأحسن عاقبةً ومَآلاً في الدنيا والآخرة (لأنّ تأويل الشيء هو ما يَؤول إليه في آخر الأمر)، فحُكم اللهِ ورسوله هو أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمْر دينهم ودُنياهم وأُخراهم.

الآية 60: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾ أولئك المنافقين ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ومع ذلك فهُم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا﴾ في فَصْل الخصومات بينهم ﴿إِلَى الطَّاغُوتِ﴾: أي إلى غير ما شَرَعَ اللهُ من الباطل، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أي بهذا الباطل، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن طريق الحق، وفي هذه الآية دليل على أن الإيمان الصادق يَقتضي الانقياد لشرع الله تعالى، والحُكم به في كل أمْر من الأمور.

الآية 61: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى﴾ الحُكم بـ ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى﴾ تحكيم ﴿الرَّسُولِ﴾ ﴿رَأَيْتَ﴾ هؤلاء ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين يُظهرون الإيمان ويُبطِنون الكفر ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾: أي يُعرضون عنك، وكذلك يَصُدّون الناس عن اتِّباع دينك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 62: ﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حال أولئك المنافقين ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصي (ومنها تحكيم الطاغوت)؟، ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ أيها الرسول مُعتذرين لِما صَدَرَ منهم و ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ لك ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾: أي ما قصَدْنا بتحاكُمِنا إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾: أي ما قصَدْنا بذلك إلاَّ الإحسان إلى المتخاصمين والتوفيق بينهم، وهم كَذَبة في ذلك، فإنَّ الإحسان كله في تحكيم الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

الآية 63: ﴿أُولَئِكَ﴾ هم ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ حقيقة ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ﴿وَعِظْهُمْ﴾: أي وحَذِّرْهُم مِن سوء ما هم عليه، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾: أي قولاً يؤثر فيهم، ويُخوفهم تخويفاً شديداً.

الآية 64: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ يعني إلا لِيُستجابَ لدعوته، وفي هذا دليل على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به وينهى عنه، وفي هذا أيضاً إثبات عِصمة الرُسُل – من الخطأ – فيما يُبلغونه عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه؛ لأنّ الله قد أمر بطاعتهم طاعة مُطلقة، فلولا أنهم معصومون، ولولا أنهم لا يُشَرِّعون ما هو خطأ: لَمَا أمر بذلك مطلقاً.

♦ وأما قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعني إنّ الطاعة – التي تصدر من المؤمن المطيع – صادرة بقضاء الله وقدره وتوفيقه، ففيه إثبات القضاء والقدر، والحث على الاستعانة بالله، وبيان أنه لا يُمكِن للإنسان - إن لم يُعِنْهُ الله – أن يطيع الرسول، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾: أي ولو أن هؤلاء المنافقين ﴿إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بفعل السيئات (ومنها التحاكم إلى الطاغوت، وترْكِهِم لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فلو أنهم حينها ﴿جَاءُوكَ﴾ أيها الرسول – في حياتك - تائبين معترفين بخطيئتهم ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

♦ واعلم أن هذا المَجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مُختَصّ بحياته فقط؛ لأن السِيَاق يدل على ذلك (ولأنّ الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته)، وإلاَّ، فلو أنَّ كل مذنب لا يُغفَرُ له إلا إذا أتى الرسول صلى الله عليه وسلم واستغفر له: لَمَا تابَ أحد، ولَلَزِمَ أن يَبقى الرسولُ حياً لِيستغفر للمذنبين، وأما بعد موته صلى الله عليه وسلم فإنه لا يُطلَبُ منه شيءٌ، لأنّ ذلك يكونُ شِركاً.

الآية 65: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أي: فوَرَبِّكَ، وهذا مِثل قول القائل مُهدداً: (أنا لن أقسم، ولكنْ لو لم تفعل كذا: سوف يَحدث كذا)، وهذا تأكيدٌ للقسم، فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حق الإيمان ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: أي حتى يَجعلوك حَكَمًا فيما وقع بينهم من اختلاف (وذلك في حياتك)، وأن يَتحاكموا إلى كتاب الله وسُنَّتِك (وذلك بعد مماتك)، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ أي ضِيقاً ﴿مِمَّا قَضَيْتَ﴾ لهم، بل ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: أي وينقادوا انقيادًا تاماً لهذا الحُكم.

♦ وفي هذا دليل على أنه مِن صَميم الإيمان: تحكيم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم (من الكتاب والسُنّة) في كل شأن من شؤون الحياة (مع الرضا والتسليم للحُكم الإلهي) حتى ولو لم يوافق هَوَى العبد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 66، والآية 67، والآية 68: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ولو أوجَبنا على هؤلاء المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت ﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: أي أن يَقتل بعضكم بعضًا (كما حصل ذلك لبني إسرائيل عندما تابوا من عبادة العجل)، ﴿أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ مُهاجرينَ في سبيلنا: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾: أي ما استجاب لذلك إلا عددٌ قليلٌ منهم، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: ولو أنهم استجابوا لما يُنصحون به من أوامر الله ونواهيه ﴿لَكَانَ﴾ ذلك ﴿خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ للإيمان في قلوبهم، وللطاعة على جَوارحهم (والجوارح هي أعضاء الإنسان)، ﴿وَإِذًا لَآَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا﴾: أي وحينئذٍ سنعطيهم مِن عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: أي ولأرشدناهم ووفقناهم إلى طريق الله القويم وهو الإسلام، وثبَّتناهم عليه، (ولذلك ينبغي للعبد عندما يقرأ في الصلاة قول الله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أن يرجو من الله أن يُثبته على الإسلام حتى يَلقاه، وألاَّ يُضِلَّه بذنوبه).

الآية 69، والآية 70: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي فَأُولَئِكَ سيكونون في صُحبة مَن أنعم اللهُ عليهم بالجنة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ الذين كَمُلَ تصديقهم بما جاءت به الرُسل (اعتقادًا وقولا وعملاً)، وكذلك مَن غلب عليهم الصدق في أقوالهم وأعمالهم، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ في الجنة، ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾: أي ذلك العطاء الجَزيل إنما هو ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ وحده، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾، فهو سبحانه يَعلم أحوال عباده، ويَعلم مَن يَستحقُّ منهم ذلك الثواب الجزيل (بسبب ما قام به من الأعمال الصالحة)، ومَن لا يستحق ذلك.

♦ ولذلك ينبغي للعبد عندما يقرأ في الصلاة قول الله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أن يَستشعر الرجاء والتذلل لله تعالى في أن يَجعله في الجنة مع الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وأن يستشعر كذلك – في قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ – أن الله هو الذي أنعم عليهم بالهداية والتوفيق والإعانة والتثبيت، والنجاة من الفتن والذنوب، وأنه هو الذي حَبَّبَ إليهم الطاعات، وَكَرَّهَ إليهم المعاصي، وليس ذلك مَهارةً منهم أو ذكاء، كما قال أحد أهل الجنة: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي لكنتُ من المُحضَرين في العذاب، فبذلك يرجو من ربه هذه النعمة التي ينجو بها من عذابه، ويَتنعم بها في الجنة.

الآية 71: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ بالاستعداد لعدوكم ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾: أي فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة، ﴿أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾: يعني أو اخرجوا لملاقاته مجتمعين.

الآية 72، والآية 73: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾: يعني وإنّ مِنكم لَنَفَرًا يتأخر عن الخروج (لِمُلاقاة الأعداء) مُتثاقلاً وَيُثَبِّطُ غيره (أي يُلقي في نفوسهم الرغبة في التخلف، ويُحَبِّبه إليهم حتى يَتكاسلوا عن الخروج)، ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾: يعني فإن قُدِّر عليكم أن تُصابوا بقتلٍ أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ - مستبشرًا - : ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾: أي قد حفظني اللهُ حين لم أكن حاضرًا مع أولئك الذين وقع لهم ما أكرهه لنفسي، وَسرَّه تخلُّفه عنهم، ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ بنصرٍ وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ - حاسدًا متحسِّرًا - ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ في الظاهر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

6. تفسير الربع السادس من سورة النساء

الآية 74: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ليستبدلوها ﴿بِالْآخِرَةِ﴾ ونعيمها الأبدي الذي لا تنغيص فيه ولا تعب (وهذا بعد أن يُطلَبُ منهم الجهاد من وَليّ الأمر – وهو حاكم البلد – دفاعاً عن دينهم، وعن وطنهم المسلم)، ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مُخلِصًا له، مُقبِلاً على عَدُوِّه ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الآية 75: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ ؟ أي: وما الذي يَمنعكم – أيها المؤمنون – عن الجهاد في سبيل الله لِنُصرَة دِينه ونُصرَة عباده المُستضعَفين ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الصغار ﴿الَّذِينَ﴾ اعتُدِيَ عليهم مِن أجل دِينهم، ولا حِيلةَ لهم ولا وسيلة، إلا أن يَستغيثوا بربهم، فـ ﴿يَقُولُونَ﴾: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ – والمقصود بها هنا "مكة"– ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾: أي التي ظَلَم أهلها أنفسهم بالكفر وإيذاء المؤمنين، ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي مِن عِندك ﴿وَلِيًّا﴾ يَتولى أمورنا ويَكفينا ما أهَمَّنا، ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يَنصرنا على الظالمين.

الآية 76: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ باللهِ ورسوله وصَدَّقوا بوعد الله ووعيده: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي حتى تكونَ كَلِمَتُهُ تعالى هي العُليا – وذلك بأن يُعبَدَ وحده ولا يُعبَد معه غيرُه – وفي سبيل نُصرة الحق وأهله، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بوحدانية اللهِ تعالى وكفروا برسوله وبالدار الآخرة ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ أي يُقاتلون في سبيل نُصرة الشِرك وأهله، ومُساندة الظلم والطُغيان ونَشْر الفساد، ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أي فقاتِلوا أهل الشِرك الذين يَنصرون الشيطان ويُطيعون أمْرَه، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾: يعني إنّ تدبير الشيطان لأوليائه ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ فلا يَثبُت – هو وأولياؤه المشركون – أمام أهل الإيمان وأولياء الرحمن.

الآية 77: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ - قبل الإذن بالجهاد –: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال أعدائكم من المشركين، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ﴾: أي وعليكم فقط أداء ما فرضه الله عليكم من الصلاة والزكاة، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾: أي فلما فُرِضَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ أي إذا جماعةٌ منهم قد تغير حالهم، فأصبحوا ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ ﴿وَقَالُوا﴾: أي وأعلنوا عَمَّا أصابهم من شدة الخوف، فقالوا: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾؟ ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أي هَلاَّ أمهلتنا إلى وقتٍ قريب (وذلك رغبةً منهم في متاع الحياة الدنيا)، ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾، وسوف يتركه الإنسان في لحظةٍ خاطفةٍ مِن ليلٍ أو نهار، ثم يُقسَّمُ مالُهُ على ورثته، ويَتوارى هو في التراب، ولن ينفعه إلا عمله الصالح، ﴿وَالْآَخِرَةُ﴾ وما فيها مِن نعيمٍ ﴿خَيْرٌ﴾ وأبقى ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ ربه، فعَمِلَ ما أمَرَه به، وانتهى عمَّا نَهاه عنه، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: أي ولا يَظلِمُ ربك أحدًا شيئًا، ولو كان مقدار الخيط الذي يكون في شق نَواة التمرة.

الآية 78، والآية 79: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ عند حلول آجالكم ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾: أي ولو كنتم في حصون مَنيعة، بعيدة عن ساحة المعارك والقتال، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾: يعني وإن يَحصل لهم ما يَسُرُّهم من متاع هذه الحياة: يَنسبوا حُصوله إلى الله تعالى، فـ ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: يعني وإن وقع لهم ما يكرهونه: ينسبوه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جهلاً وتشاؤمًا، فـ ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ مُقَدَّرٌ ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وحده (بخيره وشَرِّه وحُلوِه ومُرِّه)، فأقدارُهُ تعالى تدورُ بين الفضل والعدل، ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾؟ ﴿مَا

www.alukah.net

﴿أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾: أي ما أصابك أيها الإنسان مِن خيرٍ ونعمةٍ: فهو من الله تعالى وحده (فضلا وإحسانًا)، ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ يعني: وما أصابك من شدةٍ وبلاء: فبسبب عملك السيئ، وما ارتكبته من الخطايا (عدلاً وحكمة).

♦ فالحسنة مِن اللهِ تعالى، إذ هو الآمِرُ بها، المُوجِدُ لأسبابها، المُوَفِّقُ للحصول عليها، أما السيئة فمن النفس، إذ هي التي تأمر بها وتدعو إليها، فلذلك لا يَصِحّ نسبتها إلى اللهِ تعالى.

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ﴾: أي لجميع الناس ﴿رَسُولًا﴾ تُبَلِّغُهم رسالة ربك، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على صِدق رسالتك.

♦ واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: فيه تصبيرٌ من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم عمَّا يُلاقيه من أذى الناس وسُوء أخلاقهم؛ كالذين يَنسبون إليه السيئة تشاؤمًا به، فيُخبره سبحانه بأنَّ مهمته أداء الرسالة، وقد أدَّاها صلى الله عليه وسلم (والله شاهدٌ على ذلك)، وسيَجزيه عليه بما هو أهله، وسيُجازي مَن رَدَّ رسالته وخرج عن طاعته.

الآية 80: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ﴾ ويَتَّبع سُنَّته ﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أي: ومَن أعرض عن طاعة الله ورسوله: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: أي فما بعثناك - أيها الرسول - رقيبًا على هؤلاء المعترضين لتحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها، وإنما إلينا مَرجعهم، ثم علينا حسابهم.

الآية 81: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾: أي ويُظهِر هؤلاء المُعرضون طاعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وهم في مَجلسه، ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾: أي فإذا خرجوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾ أيها الرسول: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾: أي بَدَّلَ جماعةٌ منهم ليلاً غيرَ ما أعلنتْه من الطاعة، (والتبييت: هو تدبير الأمر بالليل، حيثُ اتِّساع الوقت، والفراغ من العمل، وقلة العيون)، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾: أي واللهُ يَكتب ما يُبَيِّتونه من الشر والباطل (بواسطة ملائكته الكِرام الكاتبين)، وسيُجازيهم عليه، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، ولا تهتم بهم، فإنهم لن يَضروك، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وحده، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: أي وكفى به وليّاً يتولى أحوال عباده ويَلطف بهم، وَكَفَى بِهِ نَصِيرًا يَنصرهم على أعدائهم ويبين لهم ما يَحذرونه منهم، ويَكفيهم ما يُدبرونه لهم من الشر، (فوِلايته تعالى فيها حصول الخير، ونُصرته فيها زوال الشر).

الآية 82: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: يعني أفلا يَنظر هؤلاء المشركون إلى ما في القرآن - نظرة تأمُّل وتدُّبر - حيثُ جاء على نَسَقٍ مُحكَم يَدُلّ - يقيناً - على أنه مِن عند اللهِ تعالى؟ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

♦ ومِن لطيف ما يُذكَر أنّ هذه الآية كانت سبباً في إسلام أحد علماء الغرب، وذلك عندما كان يريد أن يَبحث في القرآن الكريم عن أيّ خطأ، فأخذ يَقرؤه بتمعُّن لعله يَجد مَأخذاً عليه، ولكنه صُعِقَ عندما قرأ هذه الآية الكريمة، فقال - ما مُختصَرُه -: (مِن المبادئ العِلمية المعروفة في الوقت الحاضر: هو مبدأ (البحث عن الأخطاء في النظريات إلى أنْ تَثبُتَ صِحَّتها)، والعجيب أنّ القرآن يَدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه، بل ويتحداهم أنْ يجدوا أيّ خطأ، وإنه لا يوجد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مُؤلف في العالم يُؤلف كتاباً ثم يَمتلك الجُرأة ليقول : (هذا الكتاب خالي من الأخطاء)، ولكنَّ القرآن على العكس تماماً، إنه يقول لك: (لا يوجد خطأ واحد)، بل ويَعرض عليك أن تتمعَّن في القراءة حتى تجد فيه أخطاءً، ويقول لك: (لن تجد))، فما هذه القوة التي يتكلم بها قائل هذا الكلام؟!، واللهِ لا يمكن لأيّ بشر أن يتكلم بهذه الثِقة وبهذه الجُرأة.

الآية 83: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾: يعني وإذا جاء هؤلاء الذين لم يَستقر الإيمان في قلوبهم ﴿أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾: أي أمْرٌ يَجب كتمانه متعلقًا بالأمن الذي يعود بالخير على الإسلام والمسلمين، أو بالخوف الذي يُلقي في قلوبهم عدم الاطمئنان: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: أي أفشَوه وأذاعوه بين الناس دونَ التثبُّت مِن صِحَّته، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾: أي ولو ردَّ هؤلاء ذلك الخبر – الذي جاءهم – إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى أهل العِلم والفقْه والخِبرة: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾: أي لَعَلِمَ حقيقة معناه أهل الاستنباط منهم (وهم الذين يَستخرجون معناه الصحيح) ويَعرفون ما يَترتب عليه، فإن كان نافعاً أذاعوه، وإن كان ضارّاً كتموه ، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: أي ولولا أنْ تَفَضَّلَ الله عليكم ورَحِمكم ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ ووساوسه في قبول تلك الشائعات الضارة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم من أصحاب الآراء الصائبة والعقول السليمة، إذ مِثلُهُم لا تُثيرهم تلك الشائعات، كَكِبار الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين، (وفي الآية دليل على حُرمة الشائعات، ونَشْرها بين الناس قبلَ التثبُّت من صحتها والرجوع إلى أهل العلم والخبرة).

الآية 84: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي فجاهِد – أيها النبي – في سبيل اللهِ تعالى لإعلاء كلمته، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾: أي لن تؤاخَذ بِفعل غيرك (مِمَّن تركوا الجهاد)، ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولكن حُثَّ المؤمنين أيضاً على الجهاد ورَغِّبهم فيه، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لعل الله أن يَمنع – بك وبالمؤمنين – قوة الكافرين وشِدَّتهم ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ أي: واللهُ تعالى أشَدّ قوةً من هؤلاء الكافرين وأعظمُ عقوبةً لهم، حتى يكونوا عِبرةً لغيرهم، (واعلم أنّ كلمة: عَسَى، وكلمة: لَعَلَّ، إذا جاءت من اللهِ تعالى، فإنها تفيد التأكيد ووجوب الوقوع).

الآية 85: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾: أي من يَسْعَ – شافعاً – لإيصال الخير إلى غيره: يكن له بشفاعته نصيبٌ من الثواب، ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾: أي ومن يَسْعَ لإيصال الشر إلى غيره: يكن له نصيب من الإثم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ أي شاهدًا وحفيظًا.

الآية 86: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ أي فرُدُّوا على قائلها بأفضل مما سَلَّمَ لفظاً وبَشاشةً، ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾: يعني أو رُدُّوا عليه بمثل ما سَلَّم، ولكلٍ ثوابه وجزاؤه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾: أي يَحسب أعمال عباده ويُجازيهم عليها، ولو كانَ مثقال ذرةٍ، فاحرص على فِعل الخير دائماً فأنت لا تدري أيَّ عملٍ سيكونُ سبب دخولك الجنة.

الآية 87: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي لا مَعبودَ بحقٍّ إلا هو، ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ سبحانه – مِن قبوركم – جميعاً ﴿إِلَى﴾ أرض المَحشَر في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الذي ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي الذي لا شَكَّ فيه – للحساب والجزاء – ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾؟! والاستفهام للنفي والإنكار، أي: لا أحد أصْدَق مِن اللهِ تعالى حديثًا فيما أخبر به (لقدرته التامة – سبحانه – على تحقيق ما يريد).

www.alukah.net

♦ واعلم أنّ الله تعالى قد قال : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بعد أن أعلنَ تَفرُّدَه باستحقاق العبودية – وذلك في قوله –: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، لأنّ المعبودَ بحق لا يَترك خلقه بلا حساب ولا جزاء، وذلك بعد أن أمَرَهم ونَهاهم.

****

7. تفسير الربع السابع من سورة النساء

الآية 88: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون قد اختلفتم ﴿فِي﴾ شأن ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾، فأصبحتم ﴿فِئَتَيْنِ﴾، فئةٌ منكم تقولُ بقتالهم وأخرى لا تقول بذلك؟ ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾: أي واللهُ قد أوقعهم في الكفر والضلال بسبب سوء أعمالهم، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، فلا يَنبغي لكم أن تشكُّوا في أمْرهم، بل أمْرهم واضح لا إشكال فيه، إنهم منافقون قد تكرر كُفرهم، واتخَذوا الكفار أولياء، ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: يعني أَتُرِيدُونَ هداية مَن صَرف اللهُ قلبه عن دينه (بسبب عِناده وإصراره مِن بعد ما تبيَّن له الحق)؟ ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾: أي ومَن خَذله الله عن دينه، فلا طريق له إلى الهدى.

الآية 89: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: تمنَّى المنافقون لكم أيها المؤمنون لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ في الكفر والجحود، ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ بالنُصرة والمحبة والمَعونة ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بُرهانًا منهم على صِدق إيمانهم، لأنّ الهجرة إلى المدينة تقطع صِلَتُهُم بدار الكفر، فيَضعف عزْمهم عن النفاق، ويُراجعوا الصِدق في إيمانهم فيؤمنوا، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي أعرضوا عما دُعُوا إليه ولم يهاجروا: ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أينما كانوا، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

الآية 90: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: يعني إلا المنافقين الذين يلجأون وينضمون إلى قوم بينكم وبينهم عهدٌ وميثاق (على عدم القتال) فلا تقاتلوهم، لأنه باستجارتهم بهم (طالبين الأمان منهم) سيكون لهم نفس حُكمهم في حقن الدم والمال، وذلك حتى لا تنقضوا عهدكم معهم، ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾: أي وكذلك المنافقون الذين جاءوا إليكم وقد ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾: أي ضاقت صدورهم وكرهوا أن يقاتلوكم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾: أي كما كرهوا أن يقاتلوا قومهم، فلم يكونوا معكم ولا مع قومهم، فلا تقاتلوهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ﴾ أي لَسلَّطَ هؤلاء المنافقين ﴿عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ مع أعدائكم المشركين، ولكنَّ الله تعالى صرفهم عنكم بفضله وقدرته، ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ﴾: أي فإن تركوكم ﴿فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾: أي وقدموا إليكم المُسالَمة: ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: أي فليس لكم عليهم مِن طريقٍ لِقتالهم، وهذا دليل على أن الاعتداء لا يكونُ إلا على المعتدين، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ وهذا هو الكافر المحارِب للمسلمين، أما الكافر المُسالِم فلا يُقتَل ، وكذلك المُعاهد والمُستأمَن في أوطاننا، كما قال صلى الله عليه وسلم : (مَن قتلَ مُعاهداً لم يرِحْ رائحة الجنة، وإنَّ ريحها لَيوجَد مِن مَسيرة أربعين عاماً) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 6457).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 91: ﴿سَتَجِدُونَ﴾ قومًا ﴿آخَرِينَ﴾ من المنافقين ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾: أي يُريدُونَ الاطمئنان على أنفسهم مِن جانبكم (فيُظهِروا لكم الإيمان)، كما يُريدُونَ الاطمئنان على أنفسهم من جانب قومهم الكافرين (فيُظهِروا لهم الكفر)، وهُم ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾: أي كلما أُعِيدوا إلى مَوطن الكفر والكافرين: وقعوا في أسوأ حال، وكلما ظهرتْ لهم فتنة من الفتن : ازداد كُفرهم ونفاقهم، ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾: أي فهؤلاء إن لم يُفارقوكم، ويُقدموا إليكم المُسالَمة، ﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ أي حيثُ وجدتموهم، ﴿وَأُولَئِكُمْ﴾ قد ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: أي جعلنا لكم الحُجَّة البيِّنة على قتْلِهم وأسْرِهم (لِكَونِهم معتدين، ظالمين لكم، تاركين للمُسالَمة، فلا يَلوموا إلا أنفسهم).

الآية 92: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ يعني إلا أن يَقع منه ذلك على وجه الخطأ الذي لا عَمْدَ فيه، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي فعليه تحرير مؤمن أو مؤمنة من الأسر ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾: أي وتسليم الدِيَة (وهي مائة من الإبل، أو ألف دينار ذهب، أو اثنا عشر ألف درهم فضة) يَدفعها القاتل إلى أهل المقتول ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾: يعني إلا أن يعفوا عنه فلا يأخذوا منه هذه الدِيَة، ولا يُطالبوه بها، ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾: أي من قوم كفار أعداء للمسلمين، مُحاربين لهم ﴿وَهُوَ﴾ أي المقتول ﴿مُؤْمِنٌ﴾ بالله ورسوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: أي فعلى قاتله عِتق رقبة مؤمنة فقط، ولا يُعطِي الدِيَة إلى أهله الكفار ، إذ لا تُعطَى الدِيَة لعدو يستعين بها على حرب المسلمين، ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ هذا المقتول المؤمن ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ كفار، ولكنْ: ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾: أي بينكم وبينهم عهدٌ على عدم القتال: ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ وذلك احتراماً لأهله بسبب ما لهم من العهد والميثاق ، ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقبةً يَعتقها، أو كانَ لا يَقدر على ثمن عِتقها: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾، وقد شُرِعَتْ هذه الكفارة في القتل الخطأ لتكون ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ ﴾ تعالى على العبد القاتل خطأً، ورحمةً به، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بحقيقة شأن عباده ﴿حَكِيمًا﴾ فيما شرعه لهم.

الآية 93: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ هذا إذا جازاه اللهُ على ذنبه ولم يَقبل توبته (عِلماً بأنه سبحانه يَتفضل على أهل الإيمان فلا يُجازيهم بالخلود في جهنم)، ففي الحديث أنّ اللهَ تعالى يقول يوم القيامة: (أخرِجوا من النار مَن قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يَزِن ذَرَّة) (انظر صحيح الترمذي ج 711/4).

الآية 94: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي إذا خرجتم تضربون الأرض بأرجلكم (مسافرين) لتجاهدوا في سبيل الله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: أي فتثبتوا، وكونوا على بَيِّنَة مِمَّن تلقونهم في طريقكم، حتى لا تقتلوا مُسلماً تحسبونه كافراً، لأن التَثبُّت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكَفّ عن الشرور العظيمة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

♦ واعلم أن سبب نزول هذه الآية أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا فلَقَوا رجلاً يسوقُ غَنماً مِن بَني سليم، فلما رآهم سَلَّمَ عليهم قائلاً: السلام عليكم، فقالوا له: ما قلتَها إلا تَقِيَّةً – أي خوفاً مِنّا – لِتَحفظ نفسك ومَالَك، فقتلوه، فلَمَّا عَلِمَ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، حَمَلَ دِيَتَهُ إلى أهله وَرَدَّ غَنَمَه.

www.alukah.net

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾: أي وَلَا تَقُولُوا لمن ظهر منه شيءٌ من علامات الإسلام ولم يقاتلكم، كأن يُعلن إسلامه لكم (بقول الشهادة أو بإلقاء السلام)، فلا تقولوا له: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ لاحتمال أن يكون مؤمنًا يُخفِي إيمانه، ثم عاتبَهم سبحانه بقوله: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي تطلبون بهذا الفِعل متاع الدنيا الزائل، لتأخذوا غنم الرجل الذي قتلتموه، فإن كان قصْدُكم الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾: أي فعند الله تعالى من الفضل والعطاء ما يُغنيكم به، وما عنده سبحانه خيرٌ وأبقَى من عَرَض الدنيا القليل الفاني، فأطيعوه وأخلِصوا له النِيَّة والعمل.

﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: أي كذلك كنتم في بدء الإسلام – مثل هذا الرجل الذي قتلتموه – تُخفون إيمانكم عن قومكم المشركين، ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأنْ أظهَرَ دينه، ونَصَرَكم، وأعَزَّكم بالإيمان والقوة والهداية.

♦ فنظرُ العبد لحالته الأولى، يَجعله يُعامل الناس بِمثل ما كانَ عليه قبلَ هُداه، ولهذا أعاد اللهُ الأمرَ بالتبَيُّن فقال: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: أي فتبَيَّنوا في المستقبل، ولا تقتلوا أحداً حتى تتأكدوا مِن كُفره، لأنّ قتْل النفس عظيم، ولذلك لَمَّا أُخبِرَ النبي صلى الله عليه وسلم بأنّ أسامة بن زيد قتل رجلاً قال (لا إله إلا الله) – ظناً منه أنه قالها خوفاً من سيفه – فقال صلى الله عليه وسلم لأسامة: "هَلاَّ شَقَقْتَ عن قلبه"، ومِن هنا خرجتْ القاعدة الفقهية التي تقول: (نحن لنا الظاهر، والله يتولى السرائر)، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وسيجازيكم على أعمالكم.

♦ وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي للعبد إذا رأى نفسه تميلُ إلى شيءٍ – يُغضِبُ الله – أن يُذَكِّرها بما أعَدَّهُ الله لمن نَهى نفسه عن هواها، وقدَّم رضا ربه على رضا نفسه، فإنَّ في ذلك ترغيبًا للنفس في امتثال أمر الله (وإنْ شَقَّ عليها ذلك)، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

♦ واعلم أنَّ في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ إرشادٌ إلى المؤمن في أن يَرفق بالعُصاة، وأن يرحمهم لِضَعفهم واستحواذ الشيطان عليهم، وأن يَعذرهم بجهلهم، لأنه كان جاهلاً مثلهم بحُرمة ما يفعل، حتى سَخَّرَ الله له مَن عَلَّمَه وصَبَرَ عليه ورَفَقَ به، فإذا رأى عاصياً فعليه أن يقول: (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به)، وأن يسأل اللهَ الثبات، فقد يتوبُ اللهُ على هذا العاصي الذي يحتقره، وقد يَخذل الآخر لحظة الاحتضار – بسبب تَكَبُّره – فلا يَنطق الشهادتين، فحينئذٍ يَتَّسع صدره للخلق، ويكون لَيِّناً ورفيقاً في النصيحة كما عَلَّمَه الله (بالحكمة والموعظة الحسنة) – وذلك بعد أن يُنكِرَ المعصية بقلبه.

♦ وعليه أن يبدأ معه بالثناء عليه وأن يُظهِرَ له أنه يخاف عليه مِن عذاب الله، كما قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾، وليَحذر من أن يُنَفِّرَه من الالتزام والهدى بسبب نصيحةٍ بسُوء خُلُق (بغضب أو أن ينصحه أمام الخَلق)، فيَصُدَّهُ بذلك عن سبيل الله، فيجده في ميزان سيئاته يوم القيامة، كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فارحم – أخي الحبيب – حتى تُرحَم، واعلم أنه إذا كان نَهْيُك عن المنكر سوف يَتسبب في منكر أكبر منه فتوقف، فإنه سَعْيٌ في معصية الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 95، والآية 96: ﴿لَا يَسْتَوِي﴾: أي لا يتساوى ﴿الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾: أي باستثناء أصحاب الأعذار منهم فإنهم معذورون بتخلفهم عن الجهاد – أما المتخلف عن الجهاد بغير عُذر فلا يتساوى هو ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ فقد ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾، ورفع منزلتهم ﴿دَرَجَةً﴾ عالية في الجنة، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: وكُلاً من المجاهدين والقاعدين (من أهل الأعذار) قد وعدهم الله بالجنة، وذلك لما بذلوا وضحَّوا في سبيل الحق، وبصِدق نية أصحاب الأعذار في الخروج إذا زال عنهم العذر، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فقد مَنحهم سبحانه ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ﴾ عالية في الجنات ﴿وَمَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَرَحْمَةً﴾ واسعة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لمن تاب إليه وأناب ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته، المجاهدين في سبيله.

الآية 97، والآية 98، والآية 99: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: إنَّ الَّذِينَ تتوفاهم الملائكة لحظة الاحتضار، وكانوا ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بقعودهم في دار الكفر وترْك الهجرة، ﴿قَالُوا﴾: أي تقول لهم الملائكة توبيخًا لهم: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾: أي في أيّ شيءٍ كنتم مِن أمْر دينكم؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي كنا ضعفاء في أرضنا، عاجزين عن دفْع الظلم والقهر عن أنفسنا، ﴿قَالُوا﴾: أي فتقول لهم الملائكة توبيخًا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾: أي فتخرجوا من أرضكم إلى أرضٍ أخرى حتى تأمنوا على دينكم؟ ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾: أي ويُستثنَى – من ذلك المصير – هؤلاء الضعفاء الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: أي لا يقدرون على دفع القهر والظلم عن أنفسهم، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾: أي ولا يعرفون طريقًا يُخَلِّصُهُم مما هم فيه من المُعاناة ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الضعفاء ﴿عَسَى اللَّهُ﴾: أي يُرجَى لهم من الله تعالى ﴿أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ لِعلمه تعالى بحقيقة أمْرهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

****

8. تفسير الربع الثامن من سورة النساء

الآية 100: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: ومَن يخرج من أرض الشرك إلى أرض الإسلام فِرارًا بدينه، راجيًا فضل ربه: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾ أي مكانًا يَنعَمُ فيه بما يكونُ سببًا في قُوَّته وذِلَّة أعدائه، ﴿وَسَعَةً﴾: أي ويجد أيضاً سَعَةً في رزقه وعَيْشه، ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي قاصدًا نُصرة دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإعلاء كلمة الله تعالى وعبادته، ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ وهو في طريق هجرته قبل أن يَبلُغ مَقصِده: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: أي فقد ثَبَتَ له جزاء عمله، ووجب أجْرُهُ على الله تعالى كاملاً غير منقوص (فضلاً منه وإحسانًا)، وسيَغفِرُ له ذنوبه، ويَرحمه فيُدخِله جنته ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

الآية 101: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني وإذا سافرتم في أرض الله ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني إن خفتم من عُدوان الكفار عليكم في حال صلاتكم، ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ أي يُظهِرون لكم عداوتهم فاحذروهم.

www.alukah.net

♦ واعلم أنّ هذه الآية قد ذكرتْ أنّ القصر في السفر رخصة في حال الخوف من الكفار (لأنَّ غالب أسفار المسلمين - في بدء الإسلام - كانت على خوفٍ من الكفار)، ولكنْ ثبت في السُنَّة أن القصرَ يكونُ رخصةً في السفر عموماً (سواء في حال الأمن أو في حال الخوف).

الآية 102: ﴿وَإِذَا كُنْتَ﴾ أيها النبي ﴿فِيهِمْ﴾ أي في ساحة القتال ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾: أي فأردتَ أن تصلي بهم: ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾: أي فَلْتَقُمْ جماعةٌ منهم لِيُصَلّوا معك، ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم لِيحملوها وهم يُصَلّون، ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾: أي فإذا سجدتْ هذه الجماعة الأولى: فلتكن الجماعة الأخرى مِن خلفكم في مواجَهة عدوكم، ثم عندما تقومون إلى الركعة الثانية: تُتِمّ الجماعة الأولى ركعتهم الثانية بأنفسهم، ثم يُسَلِّمون وَحدَهم (هذا كله وأنت واقف قبل ركوعك)، ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ أي: ثم تأتي الجماعة الأخرى (التي لم تبدأ الصلاة) فليأتَمُّوا بك في ركعتك الثانية (وهي الركعة الأولى لهم)، ثم بعد أن تُسَلِّم أنت، يقوموا لِيُكملوا ركعتهم الثانية بأنفسهم (وبهذا تكون كل جماعة منهم قد صَلَّتْ ركعة معك وركعة بأنفسهم) ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾: أي وليَحذروا مِن عَدُوِّهم وليأخذوا أسلحتهم لِيُصَلُّوا بها، ﴿وَدَّ﴾ أي تَمَنَّى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ أي ليهجموا عليكم هجمة واحدة ليقضوا عليكم، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ على الأرض أثناء الصلاة، ولكنْ: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ لأنكم حينئذٍ سَتُصَلُّون بغير سلاح، ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

♦ واعلم أن هذه الطريقة السابقة هي إحدى طرق صلاة الخوف، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صَلاها بأكثر من طريقة.

الآية 103: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾: أي فإذا أدَّيتم الصلاة بهذه الطريقة السابقة ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾: أي فداوِموا على ذِكر الله في جميع أحوالكم، ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾: أي فإذا زالَ الخوف عنكم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ كاملةً، وفي أوقاتها، فـ ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ يعني إنها واجبة في أوقاتٍ معلومةٍ في الشرع.

الآية 104: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾: أي ولا تَضْعُفوا في طلب عدوكم وقتاله، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾: أي تتألمون من القتال وآثاره: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾، ومع ذلك لا يَكُفُّون عن قتالكم، فأنتم أوْلَى بذلك منهم لأنكم: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ من الثواب والنصر والتأييد ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هُم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

الآية 105: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿الْكِتَابَ﴾ أي القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي اشتمل عليه ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ أي بما أوْحَى اللهُ إليك - وعَلّمَك إياه - مِن القرآن والسُنَّة، ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ أي: ولا تكن مُدافِعًا عن الذين يَخونون أنفسهم بكِتمان الحق وإظهار القول المُخالِف للحقيقة، بل تَثَبَّت مِن صِحَّة قولهم قبل أن تُدافِع عنهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصحيحين -: "إنما أنا بَشَر، وإنكم تختصمون إليّ – أي تجعلونني حَكَماً بينكم – ولعل بعضكم أن يكون ألْحَنَ بحُجَّته مِن بعض – أي أكثر قدرة على (الإقناع) – فأقضي له على نَحْو ما أسمع، فمَن قضَيْتُ له بحق أخيه: فلا يأخذه، فإنما أقتطع له قطعة مِن نار".

الآية 106: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي اطلب منه تعالى المغفرة في جميع أحوالك، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن يَرجو فضله ومغفرته، ﴿رَحِيمًا﴾ به.

الآية 107، والآية 108: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: أي ولا تدافع – أيها الرسول – عن الذين يخونون أنفسهم بمعصية الله تعالى، وَلَا تَكُنْ لهم خَصِيمًا (أي مُدافعًا عنهم)، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾: يعني إنّ الله لا يحب مَن عَظُمَتْ خيانته، وكَثُرَ ذنبه، فهؤلاء ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾: أي يَستترون من الناس خوفًا من اطّلاعهم على أعمالهم السيئة، ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ تعالى ولا يستحيون منه ، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿مَعَهُمْ﴾ بعِلمه، مُطَّلِعٌ عليهم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: أي حين يُدبِّرون ليلاً ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

الآية 109: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ – أي يا هؤلاء – قد ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ أي دافعتم عن هؤلاء الخائنين لأنفسهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (ودَفَعتم عنهم العار والفضيحة – عند الخَلْق – بهذا الجِدال)، ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ﴾: أي فمَن الذي يَجرؤ أن يُدافع عنهم أمام اللهِ تعالى ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؟! ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ يعني: ومَن الذي يَقدر أن يتولى أمورهم في ذلك اليوم، فيَحفظهم مِن عذاب اللهِ تعالى حين تَشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم؟! (وهذا الاستفهام للإنكار والتوبيخ).

الآية 110: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ أي: ومَن يُقْدِمْ على عملٍ سيِّئ قبيح، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بارتكاب ما يخالف حُكمَ اللهِ وشرعِه، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ نادمًا على ما عمل، راجيًا مغفرته : ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَحِيمًا﴾ به، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ولذلك ينبغي للعبد – وهو يستغفر الله – أنْ يَستشعرَ في قلبه الندم أنه خالفَ أمْرَ الملك العظيم جَلَّ جلاله، وأنه عَصاهُ بِنِعْمَتِهِ التي أعطاها له وحَرَمَ غيره منها، وأنه كان يعلم أنَّ اللهَ يراه وهو يَعصي ولم يَهتم بذلك، ولكنْ رغمَ هذا كله فإنه يعلَم أنه سبحانه غفورٌ رحيم، فحينئذٍ ينكسر قلبه لله تعالى وهو يستغفره (على كل ما ضاع مِن عُمره في المعصية، وعلى كل ما فاته من الطاعة).

الآية 111: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ متعمداً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: يعني فإنما يَضر بذلك نفسه وحدها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بحقيقة أمر عباده ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يقضي به بين خلقه.

الآية 112: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ بغير عمد ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ متعمدًا، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾: أي ثم يتهم بهذا الإثم شخصاً (بريئًا) لم يفعل شيئاً ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ﴾: أي فقد تحمَّل ﴿بُهْتَانًا﴾: أي كَذبًا ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ واضحاً.

www.alukah.net

الآية 113: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ أيها الرسول ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بك – حيثُ أخبرك بحقيقة هؤلاء الخائنين ، وحَذَّرك من الدفاع عنهم –: ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: أي لَعَزَمتْ جماعةٌ منهم ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن الصواب – حتى تَحكم بغير العدل – ولكنّ اللهَ عَصمك من الخطأ والضلال، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: يعني إنهم لو هَمُّوا بذلك لَحَقَّ عليهم الضلال، ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: وما يقدرون على إيذائك لأنّ اللهَ تعالى قد حفظك، ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والسُّنَّة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

****

9. تفسير الربع التاسع من سورة النساء

الآية 114: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾: أي لا نفعَ في كثيرٍ من كلام الناس سِرّاً فيما بينهم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾: يعني إلا إذا كان حديثاً داعيًا إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو الإصلاح بين المتخاصمين، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: يعني ومن يفعل تلك الأمور ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾: أي طلبًا لرضا الله تعالى ورجاءً في ثوابه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الآية 115: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ أي: ومَن يُخالف ﴿الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾: أي مِن بعد ما ظهر له الحق ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي ويَسلك طريقًا غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الحق، (وأوَّلهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتابعيهم بإحسان)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصَحِيحَيْن – : (خيرُ الناس قَرْني، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يلونهم)، فمن اتَّبَع طريقاً غير طريقهم: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾: أي نَتركه وما توجَّه إليه، فلا نوفقه للخير ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾: أي ونُدخِله نار جهنم يُقاسي حرَّها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

♦ واعلم أنّ في قوله تعالى : ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دليل على أن (إجماع المسلمين) هو مصدر من مصادر التشريع (بعد القرآن والسُنَّة)، بمعنى أنه إذا أجمعتْ أمَّةُ محمد صلى الله عليه وسلم على شيء، فإنه يجب الأخذ به وعدم مخالفته، فمَا شَهدَتْ له هذه الأمّة بالقبول، فهو مقبول، وما شَهدَت له بالرَدّ، فهو مَردود، وذلك في جميع علوم الدين (كإجماع أهل التفسير، وإجماع أهل الحديث وغيرهم).

♦ ونحن نقول لمن يخالفون الإجماع ولا يأخذون به : (عندما مات موسى عليه السلام: حَرَّفَ اليهود التوراة، فأرسل الله لهم عيسى عليه السلام ليوضح لهم ما حَرَّفوه، ثم لمَّا رُفِعَ عيسى عليه السلام: حَرَّفَ النصارى الإنجيل، فأرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم لِيُبَيِّن لهم ما حَرَّفوه، وعندما مات محمد صلى الله عليه وسلم : تطاوَلَ بعض الخلق على القرآن، وحاولوا أن يُحَرِّفوه (فأفشلهم الله تعالى، وأبطل مَكْرهم، وفضَحَ أمْرهم)، هنا نسأل: (هل كان الله سَيُرسِل نبياً بعد محمد صلى الله عليه وسلم لِيَرُدّ على هؤلاء المفترين؟) بالطبع لا، لأن الله قد أخبر أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتَم النبيين، إذن مَن سَيَرُدّ عليهم؟! لا يوجد غير إجماع المسلمين بأن هذا القرآن قد نُقِلَ إلينا مُتَواتِراً (أي من جماعات كثيرة تنقل بعضها عن بعض)،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وذلك بحفظ الله تعالى له، لأنه سبحانه قد تعَهَّدَ بحفظه وجَمْعِه، كما قال تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وقال تعالى في سورة القيامة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، وذلك لأنه هو الدين الخاتَم، الذي ارتضاه الله لجميع الخلق إلى قيام الساعة، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، وقال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

الآية 116: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي لا يَتجاوز عَمَّن أشرك به في عبادته (إلا إذا تاب مِن الشِرك قبلَ موته)، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ – وهي الذنوب التي أقل مِن الشرك – فيَغفرها سبحانه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مِن عباده، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن طريق الحق والصواب.

الآية 117، والآية 118، والآية 119: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾: أي ما يَعبد المشركون من دون الله تعالى إلا أوثانًا لا تنفع ولا تضر (وهم يُسَمُّونهم بأسماء الإناث، كاللات والعُزَّى ومَناة)، ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾: يعني إنهم في واقع الأمر يَدعون شيطاناً متمردًا على الله، إذ هو الذي دعاهم إلى عبادة الأصنام فعبدوها، فهم إذاً عابدون للشيطان في باطن الأمر لا الأوثان، وهذا الشيطان قد ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ ﴿وَقَالَ﴾ الشيطان لله تعالى: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾: أي لأتخِذنَّ مِن عبادك عدداً كبيراً يعبدونني ولا يعبدونك، وهم معروفون بمعصيتهم لك، وطاعتهم لي، ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: أي ولأصرفَنَّ مَن تبعني منهم عن طريق الحق، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ يعني: سوف أعوقهم عن طاعتك بالأماني الكاذبة بأنهم لن يُعذَّبوا، أو بأنه سيُغفَر لهم (حتى وإن استمروا على المعاصي ولم يتوبوا)، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ أي: ولأدعُوَنَّهم ليجعلوا لآلهتهم نصيباً من الأنعام، فيَقطعون آذانها لتكون علامة على أنها ستُذبَح للآلهة، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾: أي ولأدعُوَنَّهم إلى تغيير ما خلقه الله تعالى في الفِطرة، (بالبِدَع والشرك والمعاصي)، وتغيير هيئة ما عليه الخَلق (كالوَشْم والنَمْص (وهو تخفيف الحاجب للمرأة)، وغير ذلك)، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾.

الآية 120: ﴿يَعِدُهُمْ﴾ أي: يَعِدُ الشيطان أتْباعه بالوعود الكاذبة ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ أي: ويَخدعهم بالأماني الباطلة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي خِداعاً لا صِحَّة له، ولا دليلَ عليه.

الآية 121: ﴿أُولَئِكَ﴾ المتبعون للشيطان ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: أي ولا يجدون مَلجأً يَهربون إليه منها.

الآية 122: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ – طالبينَ الأجرَ مِن اللهِ تعالى، ومُتَّبعينَ لرسوله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله – أولئك ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وبهذا وَعَدَهم اللهُ وعداً حقاً، لابد مِن إتمامه، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ؟! أي: ولا أحد أصْدَقُ مِن اللهِ تعالى في قوله ووعده (لقدرته التامة على تحقيق ما يريد).

www.alukah.net

الآية 123، والآية 124: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾: أي اعلموا أيها المسلمون أنَّ فضْل الله تعالى وثوابه العظيم لا يُنال بأمنياتكم الخالية من العمل، ﴿وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى، وإنما يُنالُ بالإيمان الصادق بالله تعالى، وإحسان العمل الذي يُرضيه، فسُنن الله تعالى ثابتة، وهي أنَّ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ - إلا لو تاب العبدُ من ذنبه وقبِلَ الله توبته - ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يتولى أمْره (إذا لم يتب وأصرّ على عصيانه)، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَنصره، ويَدفع عنه سوء العذاب.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله تعالى وبما أنزل من الحق ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ دار السعادة والراحة والنعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين، التي فيها ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر من أنواع المآكل والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والقصور المُزَخرَفة، والأنهار الجارية، والأشجار المُتَدَلِّية، والفواكه الغريبة، والأصوات العذبة، وأعلى من ذلك كله: تَمَتُّع الأرواح بقُرب ربهم، وتلذذ العيون برؤيته، وتلذذ الأسماع بخطابه الذي يُنسيهم كل نعيم، ولولا الثبات من الله لهم، لطاروا من الفرح والسرور، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: أي ولا يُنْقَصون من ثواب أعمالهم شيئًا، ولو كان مقدار النُقرة التي في ظهر النواة.

الآية 125: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ أي: لا أحد أحسن ديناً ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي وهو مُتقِن للعبادة ومُؤديها على النحو الذي شرعه اللهُ تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي: وقد اختار اللهُ إبراهيم عليه السلام ليكونَ خليله، (واعلم أنّ الخُلّة هي أعلى مقامات المحبة والاصطفاء)، وقد شرَّفَ اللهُ أيضاً بالخُلَّة محمداً صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم خطبهم آخر خطبة، فقال: "أمّا بعد أيها الناس: فلو كنتُ متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذتُ أبا بكر ابن أبي قحافة خليلاً، ولكنّ صاحبكم – يعني نفسه صلى الله عليه وسلم – خليل الله".

الآية 126: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فالكل خَلقه وعَبيده، تحت قهره وسلطانه، لا يَتحركون إلا بمشيئته وإرادته، فلِذلك لن يكون إلا ما يريدُ سبحانه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ (لا يَخفى عليه شيءُ مِن أمور خَلقه).

الآية 127: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ يعني: وما زالوا يَستفتونك في النساء (أي: في شأن ما لَهُنَّ وما عليهنَّ من حقوق، كالميراث والمهر وغير ذلك)، ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ وحده ﴿يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، وقد أفتاكم سبحانه فيهنَّ وبَيَّنَ لكم حقوقهنَّ وواجباتهنَّ في الآيات الأولى من هذه السورة، حيث قرّرَتْ الآيات حق المرأة والطفل في الميراث، وحَثَّتْ على المحافظة على مال اليتيم.

♦ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي: وما يُتلَى عليكم في يتامى النساء في أول السورة كافٍ لا تحتاجون معه إلى مَن يُفتيكم، إذ بَيَّنَ لكم سبحانه أنه إذا كانت تحت أيديكم يتيمات وكنتم ترغبون في نكاحهنّ فأعطوهنّ مهورهنّ كاملة مثل باقي النساء، وإذا كنتم لا ترغبون في نكاحهنّ فأعطوهنّ مالهنّ وزَوِّجوهنَّ لِغيركم، ولا يَحِلّ لكم أن تحبسوهنّ في بيوتكم من أجل أموالهنّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: وكذلك قد بَيَّنَ اللهُ لكم أمر الضعفاء ﴿مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ الصغار، حيثُ قد أعطاهم حقهم وافياً في آيات المواريث، ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ﴾ أي: وكذلك بَيَّنَ لكم وجوب القيام لليتامى بالعدل، وترْك الظلم عليهم في حقوقهم، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾، وسيُجازيكم به – مِن فضله وإحسانه – في جنات النعيم.

الآية 128: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ يعني: وإذا خافت الزوجة مِن استغناء زوجها عنها وعدم رغبته فيها، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه، فلا يُكلمها ولا يأنَس بها (وذلك لِسُوء خُلُقِها، أو لِكِبَر سِنّها وعدم رغبتها في المعاشرة الزوجية، أو غير ذلك)، وأراد أن يُفارقها، فَفَضَّلت هي البقاءَ معه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: أي فلا بأس ولا حرج في هذه الحالة ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ أي: فلها أن تُجْري مع زوجها صُلحاً (وهو ما يُسَمُّونه: تفاوُضاً) يَحفظ لها بقاءها في بيتها عزيزة محترمة، وذلك بأن تتنازل له عن بعض حقها في الفراش (فتَهَبُ بعضَ أيامها لزوجته الثانية)، أو تتنازل عن بعض ما كان واجباً لها من النفقة أو الكسوة، فإنّ هذا خيرٌ لها من الفراق، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أي: والصلح أوْلَى وأفضل من الفِراق، وذلك لضمان النفقة عليها وغير ذلك.

♦ وقوله تعالى : ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾: أي وقد فُطِرَتْ النفوس على البخل، فهو مُلازمٌ للنفس البشرية لا يفارقها (والمرأة كالرجل في هذا)، إلا أن المرأة أبخَل منه في أن تُعطي شيئاً مِن حقها لغيرها، إذاً فليُراعِ الزوج هذا، ولا يَستغل اضطرارها لهذه المصالحة فيُنقِصها كثيراً من حقوقها، ولهذا قال تعالى بعدها: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ معاملة زوجاتكم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله فيهنّ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ لا يَخفى عليه شيء، وسيَجزيكم بالإحسان إحساناً وبالخيرِ خيراً.

♦ واعلم أن الشح هو البخل، غير أن الشُحّ يُطلَق على حِرص النفس على حقوقها وقلة التسامح فيها، ويرى ابن القيم رحمه الله أنَّ الشُحّ هو شدة الحِرص على الشيء، والمبالَغة في طلبه، والتعب في تحصيله، وأما البخل فهو مَنْع إنفاقه بعد الحصول عليه، فهو شَحِيحٌ قبل الحصول على الشيء، بخيلٌ بعد الحصول عليه).

الآية 129: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا﴾ أيها الرجال ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ العدل التام ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المَحبة وميل القلب، أما في النفقة والكِسوة والعِشرة بالمعروف فهذا مُستطاع.

﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على تحقيق العدل في الحب فلن تستطيعوا، ولذلك لا يؤاخِذ اللهُ تعالى به، ولكنْ بشرط: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾: أي فلا تُعرِضوا عن المرغوب عنها كُلَّ الإعراض ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: أي حتى لا تتركوها كالمرأة المُعلَّقة التي (ليست متزوجة ولا هي مُطلَّقة) فتأثَموا، ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ أعمالكم فتَعدِلوا في النفقة والعطاء بين زوجاتكم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله تعالى فيهنّ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ يغفر لكم ما عجزتم عن القيام به لِضَعفكم ﴿رَحِيمًا﴾ يَرحمكم في دُنياكم وأُخراكم بسبب تقواكم له.

الآية 130: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي: فإذا تعذر الاتفاق بين الرجل وامرأته، فلا بأس بالفراق، فإذا تفرقا: ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ منهما ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ وفضله، فيُغني الزوج بزوجةٍ خيرٍ له منها، ويُغني الزوجة بزوجٍ خيرٍ لها منه، وإن انقطعتْ نفقتها من زوجها (بعد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفراق)، فإنَّ رزقَها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم، ولذلك قال في الآية التي بعدها: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، فمَن كان كذلك فهو قادرٌ على إغنائهما ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ في فضله وعطائه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يَقضي به بين عباده.

الآية 131: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ خَلقاً ومُلكاً وتصرُّفاً وتدبيراً، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أي وكذلك عَهِدنا إليكم يا أمَّة محمد ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني فإنه سبحانه غنيٌ عنكم، لأنّ له جميع ما في السماوات وما في الأرض ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خَلقه، فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين وجحود الجاحدين، وكان سبحانه ﴿حَمِيدًا﴾ في صفاته وأفعاله، مُستحقاً للثناء في كل حال.

الآية 132، والآية 133: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (فهُم جميعاً مُنقادون لمشيئتِهِ وتقديرِهِ وحُكمه وتَدبيره)، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي قائمًا بشؤون خلقه (واعلم أنَّ الوكيل هو مَن يُوَكَّل إليه الأمر لِيُدَبِّره)، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي يُهلِككم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ يُوَحِّدونه ولا يُشركونَ به شيئاً ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ (إذ يقول سبحانه للشيئ كُن فيكون).

الآية 134: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ أي: مَن كانت هِمَّتُهُ وإرادته دَنِيَّة، غير متجاوزة ثواب الدنيا، وليس له إرادة في الآخرة، فإنه قد قَصُرَ سَعْيُهُ ونَظَرُه، ولذلك أرشده اللهُ بقوله: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، لأنه سبحانه هو المالك لكل شيء،إذاً فلْيَطلب العبدُ ثواب الدنيا والآخرة منه سبحانه ولْيَستعن به على تحصيل هذا الثواب العظيم، فإنه لا يُنالُ ما عند الله – من الأمور الدينية والدنيوية – إلا بطاعته تعالى، وصِدق الاستعانة به، والافتقار إليه على الدَوام، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لأقوال عباده ﴿بَصِيرًا﴾ بأعمالهم ونياتهم، وسيجازيهم على ذلك.

****

10. تفسير الربع العاشر من سورة النساء

الآية 135: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ أي كونوا قائمين بالعدل في كل أموركم، ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾: أي مُؤَدِّين الشهادة لوجه اللهِ تعالى ﴿وَلَوْ﴾ كانت ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾: أي: ومهما كان شأن المشهود عليه غنيًّا أو فقيرًا، فلا يَحمِلَنَّكم غِنَى الغَنِيّ ولا فقْر الفقير على تحريف الشهادة أو كِتمانها (ظناً منكم أنَّ ذلك في مصلحته) ، فإنَّ اللهَ تعالى أوْلَى به منكم، وأعلم بما فيه صلاحه، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾: أي فلا يَحمِلَنَّكم الهوى والتعصب للغير على ترْك العدل، ﴿وَإِنْ تَلْوُوا﴾ يعني: وإن تُحَرِّفوا الشهادة بألسنتكم فتأتوا بها على غير حقيقتها، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا ﴾ عنها بترْك أدائها أو بكتمانها: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ أي عليمًا بكل أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 136: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾: أي اعملوا على زيادة إيمانكم (وذلك بالإكثار من فِعل الطاعات)، لأنّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وداوموا على ما أنتم عليه من التصديق الجازم ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على رُسُله الكرام، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن طريق الحق.

الآية 137: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ أي: ثم أصَرُّوا على كُفرهم واستمَرُّوا عليه، أولئك ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾: أي ليس مِن حِكمة اللهِ تعالى أن يغفر لهم، ولا أن يُرشِدهم إلى طريق الهداية، (وذلك لإصرارهم على الكفر واستمرارهم عليه).

الآية 138، والآية 139: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي أخبِرهم بخبرٍ يَظهرُ أثره على بَشرَةِ وجوههم ألماً وحسرة، (وهو العذاب المؤلم في النار).

♦ وهؤلاء المنافقون هم ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنُصرة والمَحبة والإعانة، ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ يعني: أيَطلبون النُصرة والقوة عند الكافرين بتلك المَحبّة؟ إنهم لا يَملكون ذلك ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ﴾ والنُصرة والقوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: أي جميعُ ذلك للهِ وحده.

الآية 140، والآية 141: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ سبحانه ﴿عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي في القرآن ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ أي فلا تجلسوا مع الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾: يعني إنّكم إذا جالستموهم، وهم على ما هم عليه من الكفر والاستهزاء، فأنتم مِثلهم؛ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها.

♦ وكذلك السامع لغَيْبَةِ أخيه (أي بما يَكرهه في غيبته)، وكانَ في استطاعته أن يدافع عنه، أو أن يقول لهم مَثلاً: (الله يهديه ويغفر له)، ليمنعهم بذلك من غيبته، أو كانَ في استطاعته أن يترك مجلس الغيبة ولم يفعل، وكان راضياً بذلك، ومُقِرّاً للمغتابين على ما هم عليه: فإنه مغتابٌ مثلهم يأكل لحم أخيه ميتاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (يَلْقَون فيها سُوء العذاب)، وهؤلاء المنافقون هم ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ أي ينتظرون ما يَنزل بكم من البلاء والفتن والحرب: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ ونَصَرَكم على عدوكم وأخذتم الغنائم: ﴿قَالُوا﴾ لكم: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ نُناصِرُكم؟، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ أي قَدْرٌ من النصر والغنيمة، ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟ يعني ألم نساعدكم ونَحْمِكم من المؤمنين؟، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي بينكم وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ أي: ولن يجعل اللهُ للكافرين على المؤمنين طريقًا ليَغلبوهم بالحُجَّة في الآخرة، وإنما قلنا (في الآخرة) لأنّ السِياق كان يتحدث عن أنّ الله سوف يَحكم بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

www.alukah.net

الآية 142، والآية 143: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي يعتقدون بجهلهم أنهم يُخادعونَ اللَّهَ، بما يُظهرونه من الإيمان، وبما يُبطنونه من الكفر، ظنًّا منهم أنّ ذلك يَخفى على الله تعالى ، ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ ومجازيهم بمثل عملهم، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ والسبب في ذلك أنهم : ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ فلا يَرجونَ من اللهِ أجراً على عبادتهم، وإنما يريدونَ ثناء الناس عليهم، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ولذلك أمر الله المؤمنين – في سورة الأحزاب – أن يذكروا الله ذكراً كثيراً، لأن الذكر الكثير براءةٌ من النفاق.

♦ وإنَّ مِن شأن هؤلاء المنافقين أنهم كانوا ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: أي حَيارَى مترددين بين الكفر والإيمان، لا يَستقرون على حال، فـ ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾: أي فلا هم مع المؤمنين ولا هم مع الكافرين، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ أي: ومَن يَصرف اللهُ قلبه عن الإيمان وعن الاستمساك بهُداه: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾: أي فلن تجد له طريقًا إلى الهداية واليقين.

الآية 144: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنُصرة والمَحبة والإعانة وبإفشاء أسرار المؤمنين إليهم، ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ بمَحبتكم لأعدائكم ﴿أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي حُجَّةً ظاهرة على عدم صِدق إيمانكم؟

الآية 145، والآية 146: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ أي في أسفل منازل النار يوم القيامة، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يَدفع عنهم هذا المصير، ثم ذكر تعالى الأمل الوحيد لهم في النجاة من ذلك العذاب الأبدي فقال : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوه من أحوالهم باطنًا وظاهرًا، ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ من شر النفس والشيطان، واستمسكوا بدين اللهِ تعالى، ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الآية 147: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ أي: ماذا يستفيد اللهُ تعالى من تعذيبكم ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾؟ فإنه سبحانه غنيٌّ عن ذلك، وإنما يُعذب العباد بذنوبهم إن لم يتوبوا وأصَرُّوا على ما هم فيه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لعباده على طاعتهم له، ﴿عَلِيمًا﴾ بكل شيء.

****

11. تفسير الربع الحادي عشر من سورة النساء

الآية 148، والآية 149: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي: لا يُحِبُّ الله أن يُعلِن أحدٌ بقول السُوء من السَبّ والغيبة وغير ذلك ﴿إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ يعني: إلا المظلوم، فإنه يُباح له أن يدعو على ظالِمه، وأن يَذكُره بما فيه من السوء، لِيُبيِّن مَظْلمته، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ يَسمع أقوالكم ﴿عَلِيمًا﴾ بنيَّاتكم وأعمالكم، لِذا فاحذروا أن تتكلموا بما يُغضبه.

♦ ثم حَبَّبَ اللهُ إلى عباده فِعل الخير في السر والعَلَن، وكذلك حَبَّبَ إليهم العفو عَمَّن ظلَمهم فقال: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾: يعني إن تُظهِروا الخير أو تُخفوه، فإنَّ اللهَ سيُعطِي فاعلَه خيراً، ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾: يعني أو تعفو عَمّن أساء إليكم، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فمَن عفا عن الخَلق: عفا اللهُ عنه، ومَن أحسن إلى الخَلق: أحسن اللهُ إليه، فلهذا قال:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي يعفو عن عباده مع قدرته عليهم، وسيعفو سبحانه عن صاحب العفو حينَ تزِلّ قدمه، فيَجني - في حق اللهِ تعالى – ما يَستوجب به العقوبة، فيَشكر اللهُ له عفوه السابق فيعفو عنه.

الآية 150، والآية 151: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (وذلك بأن يؤمنوا باللهِ تعالى ويُكَذِّبوا رُسُلَه) ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ﴾ أي ببعض الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ أي: ويريدون أن يَتَّخذوا طريقاً بين الكفر والإيمان، وليس هناك إلا طريق واحد (وهو الإيمان أو الكفر)، فمَن آمن بكل الرسل فهو المؤمن، ومَن آمن ببعضهم وكفر ببعضهم فهو الكافر، ولهذا قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾، أما المؤمنون فإنهم يُقِرُّون بنبوَّة الرُسُل أجمعين، ولا يُفرقون بين أحدٍ منهم في الإيمان بهم، وبما جاؤوا به من التوحيد.

الآية 152: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ﴾ أي صَدَّقوا بوحدانية اللهِ تعالى وعملوا بشريعته، ﴿وَرُسُلِهِ﴾ أي: وأقرُّوا بنُبُوَّة رُسُله أجمعين ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ – في الإيمان بهم – ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي سوف يُعطيهم جزاءَ إيمانهم وأعمالهم في جنات النعيم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (يَغفر السيئات ويَتقبل الحسنات).

الآية 153: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ وهم هنا اليهود، الذين جاؤوا يَطلبون منك – على سبيل العناد – طلباً يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم، وهو ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾: أي تُنَزِّلَ عليهم القرآن – كاملاً – مَرّةً واحدة كما نَزَلت التوراة والإنجيل، وهذا قمة الظلم والجهل، فإنَّ الرسولَ صلى الله عليه وسلم بَشر، ليس في يده شيءٌ من الأمر، بل إنّ الأمر كله لله، وهو الذي يُنزل ما يشاء في الوقت الذي يشاء (بحسب الأحوال والأحداث)، وذلك لتربية عباده، وتثبيت المؤمنين، والرد على المخالفين، مما يدل على اعتناء الله برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، كما قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآَنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

♦ فلا تَعجب أيها الرسول مِن طلب هؤلاء اليهود ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ أي عياناً بالبصر، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ أي بسبب ظُلْمِهم، حين سألوا أمرًا ليس مِن حقِّهم، ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي: وبعد أن رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يَرَهُ غيرهم (حيث فلق اللهُ لهم البحر وأنجاهم وأغرق عدوهم)، وبعد أن شاهدوا المعجزات (القاطعة بنفي الشرك) على يد موسى عليه السلام: اتخذوا العجل إلهاً يَعبدونه من دون اللهِ تعالى، ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾: أي فعَفونا عن عبادتهم العجل بسبب توبتهم، ﴿وَآَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ أي: وآتينا موسى حُجَّة عظيمة تؤيِّد صِدق نُبُوَّته، فقهر بها أعداءه، ورغم هذا لم يؤثر ذلك في طِباع بني إسرائيل الغليظة.

الآية 154، والآية 155: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ أي ورفعنا جبل الطور فوق رؤوسهم – تهديداً لهم – ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ أي بسبب نقضهم ميثاقهم، حين امتنعوا عن الالتزام بالعهد المؤكَّد (بالعمل بأحكام التوراة)، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ أي: وأمرناهم أن يدخلوا باب "بيت المَقدس" سُجَّدًا، فلم يفعلوا ، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ أي: وأمرناهم ألا

www.alukah.net

يَعْتَدُوا بالصيد في يوم السبت فاعتدوا، واصطادوا، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ أي: وأخذنا عليهم عهدًا مؤكَّدًا على أن يَعملوا بما في التوراة، فنقضوا هذا العهد، إذاً فلا غَرابة في سؤالهم إيَّاك أن تُنزل عليهم كتاباً من السماء.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾: أي فبسبب نقضهم للعهود لَعَنَّاهم، لأن هذا نَظير قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾، ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي: وكذلك لَعَنَّاهُمْ بسبب كُفرهم بآيات اللهِ الدالة على صِدق رسله، وكذلك بسبب: ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾، وكذلك بسبب: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾: أي عليها أغطية فلا تفهم قولك يا محمد ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ يعني: بل طمس اللهُ عليها بسبب كُفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا ﴾ إيمانًا ﴿قَلِيلًا﴾ لا ينفعهم (كإيمانهم بموسى وهارون والتوراة)، ولكن كُفرهم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم أضاع هذا الإيمان.

الآية 156: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ أي: وكذلك لَعَنَّاهُمْ بسبب كُفرهم وافترائهم على مريم بما نسبوه إليها من الزنى، وهي بريئة منه.

الآية 157: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ أي: ولَعَنَّاهُمْ أيضاً بسبب قولهم – على سبيل الاستهزاء -: (إننا قتلنا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مريم الذي يَدَّعِي أنه رسولَ اللَّه)، وهذا مِثل قول فرعون وهو يتحدث عن موسى: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

♦ فكَذَّبَهم اللهُ تعالى بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ أي: وما قتلوا عيسى عليه السلام ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ يعني: بل صلبوا رجلاً – ألقى اللّهُ عليه شبه عيسى – فظنُّوا أنهم صَلبوا عيسى، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ﴾ يعني: والذين ادَّعَوا قَتْلَهُ من اليهود قد وقعوا في شكٍّ وحَيْرَة: (هل الرجل – الذي ألْقِيَ عليه شبه عيسى – هو عيسى عليه السلام أو أنه غيره؟)، و ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي: وليس عندهم عِلْمَ بذلك ﴿إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: وما قتلوه مُتيقنين بأنه هو، بل كانوا شاكِّين مُتوهمين.

♦ فإذا كان النصارَى يَزعمون أنه صُلِب، ويَزعمونَ أنه إلهٌ (فهل هناك إلهٌ - يَتعَذب على أيدي بعضِ خَلقِه – يَستحق أن يُعبَد؟!)، (وهل يُعقل أن يُعبَد الصليب الذى قتِلَ عليه إلهٌ وأغرقه دماً، أمْ يُكسَر وَيُدَنَّس؟!)، (وإذا كانوا يعتقدون أنَّ الصَلب كانَ مِن أجل تكفير خطيئة آدم عليه السلام، فهل يتحمل الأبناء خطيئة الآباء؟ أمْ أنَّ اللهَ لم يكن قادراً أن يَغفر مِن غير تعذيب؟!)، (ومَن الذى كان يَحكم الكون، وَيُسَيِّر المخلوقات ويَرزقها، ويُمسِك السماء حتى لا تقع على الأرض عندما مات الإله؟!)، (وإنْ كانوا يزعمون أنّ الإله قد مات، فمَن الذى أحياه؟ هل هو الذى أحيا نفسه؟ أمْ أنّ هناك إلهاً آخر هو الذى أحياه؟، ولماذا لم يَقهر الموتَ عندما جاءه ليَنتزع روحه، أليس هو إلههم كما يزعمون؟!)، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُواً كبيراً، بل هو سبحانه – جَلَّ في عُلاه – الحي الذي لا يموت، القيومُ الذي لا ينام، الجبارُ القهارُ ذو القوةِ المتين.

الآية 158: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يعني: بل رفع اللهُ عيسى إليه ببدنه وروحه حيًّا، ونَجَّاهُ من الذين كفروا، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره وقضائه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 159: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ أي: وما مِن أحدٍ مِن أهل الكتاب – المختلفين في أمر عيسى عليه السلام – يكونُ موجوداً وقت نزول عيسى في آخر الزمان، إلاَّ وسيُؤمن بأنه عبدُ الله ورسوله، وذلك ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾: أي بعد نزوله من السماء (لأنه لن يموت حتى يَنزل في آخر الزمان)، فحينئذٍ يُوقِنُ أهل الكتاب أنه ما قُتِلَ وما صُلِبَ (لأنّ بنزوله ورؤيته: قد زالت الشُبهة التي كانت عندهم)، وعندما يَنزل عليه السلام، يَقتل الدجال، ويُؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين، حتى تكون المِلَّة واحدة (وهي مِلَّة الإسلام).

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عيسى عليه السلام ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي يَشهد على اليهود أنهم كَذَّبوه، وعلى النصارى أنهم جعلوه شريكاً مع اللهِ تعالى في عبادتهم، وأنه بَرِيءٌ مِمَّن فَعَلَ ذلك، فقد قال اللهُ تعالى – حاكياً عن عيسى عليه السلام –: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾، وكذلك يَشهد على مَن لم يَتَّبع بِشارته بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يُؤمن به.

الآية 160، والآية 161: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: فبسبب ظلم اليهود لأنفسهم – بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة –: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ ﴾ من المأكولات ﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: أي كانت حلالاً لهم، ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ أي: وكذلك كان هذا التحريم بسبب صَدِّهم أنفسهم وغيرهم عن دين اللهِ القويم (وهو الإسلام)، ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا﴾ أي: وبسبب أخْذهم الربا (وهو الزيادة التي يأخذونها على المال المُقترَض) ﴿وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾: أي وقد نَهاهم اللهُ عن أخذ هذه الزيادة، ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ أي: وبسبب استحلالهم أموال الناس بغير حق ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ أي: وأعددنا للكافرين بالله ورسوله – مِن هؤلاء اليهود – ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في جهنم.

الآية 162: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ أي: لكنِ المتمكنون في العلم من اليهود ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ منهم بالله ورسله – ولم يُفرِّقوا بين أحدٍ من الرُسُل – أولئك ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ وهو القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ كالتوراة والإنجيل ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ أي: وأخصّ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ – لِمَزيد فضلِهم – وهم الذين يؤدُّون الصلاة في أوقاتها بخشوعٍ واطمئنان، ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ﴾ ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة.

****

12. تفسير الربع الأخير من سورة النساء

الآية 163: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ – أيها الرسول – لِتُبَلِّغ رسالة ربك للناس ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (واعلم أنّ الوحي: هو الإعلام السريع الخفي، ووحي اللهِ تعالى إلى أنبيائه: هو إعلامهم بما يريد أن يُعْلمهم به مِن أمور الدين وغيره)، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ – واعلم أنّ الأسباط هم الأنبياء مِن وَلَدِ يعقوب (الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة) –، ﴿وَآَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (والزبور هو أحد الكتب الإلهية، أنزله اللهُ تعالى على نَبِيِّه داوود عليه السلام).

www.alukah.net

الآية 164، والآية 165: ﴿وَرُسُلًا﴾: أي وأرسلنا للناس رُسُلاً، فمنهم مَن ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾ في القرآن ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي مِن قبلِ هذه الآية، ﴿وَرُسُلًا﴾ أخرى ﴿لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ لِحكمةٍ أردناها، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

♦ وفي هذه الآية إثبات صفة الكلام للهِ تعالى (كما يَليقُ بجلاله وكماله)، وأنه سبحانه كَلَّمَ نبيه موسى عليه السلام حقيقةً بلا وَساطة، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، وفي هذا ردٌ قاطع على مَن يُنكِرون صفة الكلام للهِ تعالى، ويتحَجَّجون بأنه لا يَليق به سبحانه أن يَتكلم، فهذا قولٌ باطل، وافتراءٌ على الله عز وجل، بل على العكس تماماً، فإنَّ الذي يتكلم خيرٌ وأكْمَل مِن الذي لا يتكلم، والذي يَسمع ويُبصِر خيرٌ وأكْمَل مِن الأصَمّ والأعمى، وإنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، ولَمَّا أراد اللهُ تعالى إبطال عبودية هذه الآلهة المزعومة مِن دونِه: كانَ يُظهِر صفة النقص التي فيها، كما قال تعالى – حِكايةً عن ابراهيم عليه السلام –: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، فكيف تُعبَدُ آلهةً صَمَّاء لا تَسمع ولا تُبصِر ولا تتكلم؟، وكذلك لَمَّا أراد إبطال عبودية النصارى لعيسى عليه السلام وأمّه قال عنهما: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، فكيف تُعبَدُ آلهة تحتاج إلى الطعام والشراب وتفتقر إليه، وبالتالي تحتاج إلى قضاء حاجتها؟!

♦ ثم يُخبِرُ اللهُ تعالى أنه قد أرسل إلى خَلقه ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾ بثوابه ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بعقابه ﴿لِئَلَّا﴾ أي لكي لا ﴿يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ يَعتذرون بها ﴿بَعْدَ﴾ إرسال ﴿الرُّسُلِ﴾ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ أي غالباً بحُجَجه وأدِلَّته ﴿حَكِيمًا﴾ في تصرفه، إذ لا يؤاخذ عباده إلاّ بعد إقامة الحُجَّة عليهم.

الآية 166: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: إنْ يَكفُر بك اليهود وغيرهم، فاللهُ تعالى يَشهد لك بأنك رسوله الذي أنزَلَ عليه القرآن العظيم، حيثُ ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ تعالى بشؤون عباده وما يُصلِحهم في كل زمانٍ ومكان، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾: أي يَشهدونَ بصِدق ما أُوحِيَ إليك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: وشهادة اللهِ وحدها كافية.

الآية 167: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: وصَدُّوا الناسَ عن الإسلام، أولئك ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن طريق الحق.

الآية 168، والآية 169: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ – باستمرارهم على الكفر – أولئك ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ لأنه سبحانه لا يُعجِزُهُ شيء.

الآية 170: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي بالإسلام – الذي هو دينُ الحق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ﴿فَآمِنُوا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبِعوهُ ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: وإن تُصِرُّوا على الجحود والعِناد: فإنّ اللهَ غنيٌ عنكم وعن إيمانكم، لأنه سبحانه مالِكُ السماوات والأرض وما فيهما، فإذا كانت السماوات والأرض قد خضعتَا للهِ تعالى (كَوْنًا وقدَرًا)، فالأوْلَى بكم أن تخضعوا له (شرعًا)، فتؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي أنزله عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، (وفي الآية دليل على عموم رسالة نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم للناس أجمعين).

الآية 171: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ – وهم هنا النصارى –: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾: أي لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، فلا تجعلوا له زوجةً ولا ولدًا، فـ ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ – وهي كلمة: "كُن" التي خلقه الله بها – ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أرسله إلى مريم (وهو جبريل عليه السلام، الذي أرسله اللهُ إلى مريم بكلمة " كُن"، فنفخها جبريل في مريم بأمر ربه)، واعلم أنّ الروح هو اسم من أسماء جبريل عليه السلام، والدليل على ذلك: قوْل اللهِ تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي تجدونه في كتبكم، ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ بأن تجعلوا عيسى وأمه شريكين مع اللهِ تعالى، ﴿انْتَهُوا﴾ عن ذلك ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾: أي تنزَّهَ اللهُ تعالى وتَبرّأ عن ذلك، فإنه ليس مُحتاجاً إلى ولدٍ كما يحتاجُ البشر، فإنّ البشر يحتاجون إلى ولدٍ يَخدمهم ويَرعاهم في كِبرهم، وعند مرضهم، وحالَ ضَعفِهم، أما اللهُ تعالى فهو – سبحانهُ – القوي الغني الذي لا يحتاجُ إلى شيءٍ مما يحتاجُه البشر ، فلا يحتاجُ إلى زوجةٍ أو ولد، لأنه سبحانه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي كل ما في السماوات والأرض مِلْكُه وعبيده، فكيف يكونُ له منهم زوجة أو ولد؟! ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ على تدبير أمور خلقه وتصريف معاشهم.

♦ فسُبحانَ اللهِ العظيم، أحياناً يقولون عن المسيح إنه هو الله، وأحياناً يقولون إنه ابن الله، وأحياناً يقولون إنه ثالثُ ثلاثة، فمَن إلههم الذي يَعبدون؟!

الآية 172، والآية 173: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾: أي لن يَمتنع المسيح عليه السلام، ولن يُصابَ بأي خِزيٍ أو عار في ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾: أي وكذلك لن يَمتنع الملائكة المُقرَّبون من الإقرار بالعبودية للهِ تعالى، ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ أي: ومَن يَمتنع عن الانقياد والخضوع للهِ تعالى ﴿وَيَسْتَكْبِرْ﴾ عن عبادته ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة، ويَفصلُ بينهم بحُكمه العادل ويُجازي كُلاً بما يستحق، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي يُعطيهم ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص، بل ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سبحانه ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا﴾ أي امتنعوا عن طاعة اللهِ تعالى، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الانقياد له ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في جهنم، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يُنقذهم، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَدفع عنهم عذابَ الله.

الآية 174، والآية 175: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو رسولنا محمد وما جاء به من المعجزات والحُجَج القاطعة، وأعظمها القرآن الكريم (المعجزة الخالدة التي تشهد له بصِدق نبوته ورسالته الخاتمة)، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ وهو القرآن، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ﴾ ووَحَّدوا عبادتهم له ﴿وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ من شر النفس والشيطان وكذلك استمسَكوا بالنور الذي أُنزل إليهم: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾: أي فسيُدخلهم الجنة رَحمةً منه وفضلاً، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: ويوفقهم إلى سلوك الطريق المستقيم المُوصل إلى روضات الجنات.

الآية 176: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

♦ هذه الآية قد تَمَّ تفسيرها مع الآيتين (العاشرة والحادية عشر) – من هذه السورة الكريمة – (مع أحكام المواريث).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة المائدة كاملة

1. تفسير الربع الأول من سورة المائدة

الآية 1: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: يعني أوْفوا بالعهود التي أخذها الله عليكم (من الإيمان بشرائع الدين والانقياد لها)، وكذلك أوْفوا بِالْعُقُود التي تعاقدتم عليها فيما بينكم (من عقود البيع والشراء وغيرها)، ومِن هنا خرجتْ القاعدة التي تقول: (العقد شريعة المتعاقدين، بشرط ألاَّ يخالف ذلك العقد: كتاب الله، أو سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم) – فلا تنقضوا تلك العقود، ولا تتركوا واجباً، ولا ترتكبوا معصية، ولا تُحرِّموا حلالاً، ولا تستحلوا حراماً، فقد ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ وهي الإبِل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾: يعني إلا ما بَيَّنه سبحانه لكم مِن تحريم المَيْتة والدم وغير ذلك، وهي المحرمات المذكورة في الآية الآتية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ...﴾ إلى آخر الآية.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾: يعني وكذلك حَرَّمَ اللهُ عليكم الصيد وأنتم مُحرِمون بِحَجٍّ أو عُمرة، فلا تستحلوه، وسَلِّموا الأمرَ لله تعالى فيما أحَلَّهُ وحَرَّمه، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: يعني فما أراده تعالى: حَكَمَ به حُكماً مُوافقا لِحكمته وعَدْله، مِثل أمْرِهِ لكم بالوفاء بالعقود (لِما في ذلك مِن حصول المصالح لكم، ودفع المَضارّ عنكم).

الآية 2: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: أي لا تتعدَّوا حدوده ومعالم دينه، فلا تستحلوها بترْك واجب، ولا بفِعل مُحرَّم، ومن ذلك مناسك الحج والعمرة، ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: يعني ولا تستحِلُّوا القتال في الأشهر الحُرُم، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمُحَرَّم ورجب.

﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: يعني ولا تستحِلُّوا حُرمة الهَدْي، وهو ما يُهدَى للبيت الحرام من بهيمة الأنعام، لِيُذبَح فيه ويُوزَّع على الفقراء، ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ والقلائد جمع قِلادة، وهي ضفائر مِن صوف أو وَبَر، كانوا يضعونها في رقاب الهَدي لتكون علامةً على أن الرجل يريد الحج، ولإظهار أن هذه البهيمة التي يَسُوقها هي هَدْيٌ فيُحترَم، وقد كان ذلك الفِعلُ إظهاراً لشعائر الله، فلا تستحلوا حُرمَتَه.

♦ أما ما يفعله البعض من تعليق بعض التمائم (كَحِدوة الحصان والكَفّ وغير ذلك)، فيُعلقها في بيته أو سيارته، اعتقاداً منه أنها تنفع أو تضر، أو أنها تجلب الحظ، (وكذلك الإشارة بالكف في وجه مَن يتوقع منه الحسد – اعتقاداً منه أن ذلك يدفع الحسد)، فكل هذا حرام لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الرُّقَى – (أي رقى السَحَرة التي لا يُفهَم معناها، أو الرُّقَى المشتملة على الشرك بالله تعالى) – والتمائم والتِوَلَةَ شِرك) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 1632) (والتِوَلَة هي نوع من السِحر يُحَبِّب المرأة إلى زوجها).

♦ واعلم أن السبب في تحريم هذه التمائم هو تعلق القلب بغير الله تعالى، إذ لا يَملك النفع والضر إلا الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، وقال تعالى – مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم – وهو خير الخلق – لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف بمن دونه؟!، وفي هذا رَدٌّ على كل مَن يعتقد أن بعض الصالحين – أو الأولياء – يملكون لهم ضراً أو نفعاً أو يقربونهم إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَلَا آَمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: يعني ولا تَستَحِلُّوا قتال أو أذِيَّة قاصدي البيت الحرام الذين ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أي الذين يطلبون من فضل الله ما يُصلِحُ معاشهم (وذلك بالتجارة والمكاسب المباحة في الحج)، ﴿وَرِضْوَانًا﴾: أي ويطلبون رضوان ربهم عليهم (وذلك بأداء الحج والعمرة والصلاة في الحرم وغير ذلك)، فهؤلاء لا تتعرضوا لهم بسوء، ولا تهينوهم، بل أكرِموهم، (واعلم أنه يدخل في هذا الأمر: تأمين الطرق الموصلة إلى بيت الله تعالى، وجَعْل القاصدين له مطمئنين مستريحين، غير خائفين على أنفسهم ولا على أموالهم).

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾: يعني وإذا حَلَلْتم من إحرامكم، فإنه يُباحُ لكم الصيد، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ﴾: يعني ولا يَحملَنَّكم بُغْض قوم – بسبب: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وذلك عندما منعوكم من أداء العمرة (عام الحُدَيْبِيَة)، فلا يَحمِلَنَّكم بُغضُهم على ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ عليهم بغير ما أذِنَ الله لكم (وهو قتالهم إن قاتلوكم، وترْكهم إن تركوكم)، ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ فيما بينكم ﴿عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾: أي على فِعْل الخير وتقوى الله، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: وهو التعدي على الخَلْق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، (وعلى هذا فيجب على العبد أن يَكُفَّ نفسه عن إعانة غيره على أي معصيةٍ أو ظُلم)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: أي عقابه شديد لا يُطاق ولا يُحتمَل.

الآية 3: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ وهو الحيوان الذي تفارقه الحياة بدون ذبْح شرعي، ويُستثنَى من ذلك مَيْتة الجَراد والسمك، فإنهما حلال (كما ثبتَ ذلك في السُنَّة)، ولَعَلَّ الحكمة من تحريم المَيْتة: هو احتقان الدم في جوفها ولحمها، مما يتسبب في إضرار مَن يأكلُ منها، ﴿وَالدَّمُ﴾: يعني وحُرِّمَ عليكم شُرب الدم، ويُستثنَى من الدم: (الكبد والطحال) فإنّ أكْلهما حلال، كما ثبت ذلك في السُنَّة.

♦ واعلم أن المقصود بالدم المُحَرَّم هنا هو الدم المسفوح (أي السائل المُراق)، كما ذَكَر تعالى ذلك في سورة الأنعام فقال: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، (وأما الدم غير المُراق، وهو الذي يختلط باللحم أو الذي يكون في المخ والعروق وما شابَه: فإنه لا شيءَ فيه).

﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾: يعني وكذلك حُرِّمَ عليكم لحم الخنزير، فلا تغتروا بمَن يَستحلونه (افتراءً على الله)، بل هو مُحَرَّم مِن جُملة الخبائث، ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: يعني وكذلك حُرِّمَ عليكم كل ما ذُكِرَ عليه – عند الذبح – غيرُ اسم الله تعالى، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ وهي التي حُبِسَ نَفَسُها حتى ماتت (كأن تموت غريقة، أو تُخنَق بحبل، سواء بقصد أو بدون قصد)، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ وهي التي ضُرِبَت بعصا أو حجر حتى ماتت، أو التي هُدِمَ عليها شيءٌ، ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ وهي التي سَقطت من مكان عالٍ، أو سَقطت في بئر فماتت، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ وهي التي ضَرَبَتها أخرى بقرْنها فماتت، ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: يعني وحَرَّم

www.alukah.net

الله عليكم البهيمة التي أكلها السبع (كالأسد والنمر والذئب، ونحو ذلك)، فإنها إذا ماتت – بسبب افتراس السبع لها – ثم أدركتم منها جزءاً لم يأكله السبع، فإن هذا الجزء لا يَحِلّ لكم أكْله.

♦ وأما قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: يعني واستثنى - سبحانه - من هذه المُحرَّمات: أن تدركوا ذبْح البهيمة (قبل موتها بأحد الأسباب المميتة، كالخنق والسقوط وغير ذلك)، فحينئذ يَحِلّ لكم أكْلها، بشرط أن تدركوا ذبْحها والروح مستقرة فيها.

♦ وأما إذا كانت البهيمة تغرق، ولم يتمكن من الوصول إلى رقبتها حتى يذبحها: فعليه أن يُسَمِّي اللهَ تعالى، ثم يَطعنها – طعنة واحدة – في جسدها بسِكّين أو بشيءٍ حاد، بشرط أن تتسبب تلك الطعنة في أن ينزف الدم منها، واعلم أن هذه حالة استثنائية في التذكية (للضرورة)، لأن البهيمة ستموت حَتماً بالغرق، وليس هناك إمكانية من الوصول إلى رقبتها، إذَنْ فالانتفاع بها – عن طريق التذكية - أوْلَى من أن تموت هباءً.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾: يعني وحَرَّم الله عليكم الذبائح التي ذُبِحَت على الأصنام والأحجار المنصوبة (التي تمثل إلهاً أو غير ذلك مما يُعبَد من دون الله تعالى)، ومِثلها ما يُذبَح على قبور الأولياء والصالحين ، ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ أي: وحَرَّم اللهُ عليكم الاستقسام بالأزلام، (ومعنى الاستقسام: طلب معرفة ما يُقسَم للخَلق ويُقدَّر)، والأزلام هي ثلاثة قِداح – أي: ثلاثة آنية - متساوية في الحجم، كانت تستعمَل في الجاهلية، مكتوب على أحدها " افعل" وعلى الثاني "لا تفعل" والثالث لا توجد عليه كتابة، فإذا هَمَّ أحدهم بأمرٍ ما: أدار تلك الآنية على جوانبها، ثم اختار أحدها، فإذا خرج المكتوب عليه " افعل": مَضَى في أمره، وإن ظهر المكتوب عليه " لا تفعل": لم يَمضِ، وإن ظهر الثالث (الذي لا شيء عليه): أعاد الاختيار، حتى يخرج أحد القدَحَيْن فيعمل به، فحَرَّم اللهُ ذلك عليهم، وعَوَّضَهم عنه بالاستخارة لربهم في جميع أمورهم.

﴿ذَلِكُمْ﴾ أي المُحرَّمات المذكورة – إذا ارتُكِبَت – فإنها ﴿فِسْقٌ﴾: يعني خروج عن أمر الله وطاعته إلى طاعة الشيطان.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾: يعني الآن انقطع طمع الكفار من أن ترتدوا عن دينكم إلى الشِرك (وذلك بعد أن نصَرْتُكم عليهم، وأظهرتُ دينكم)، واليوم المُشار إليه هو يوم عرفة، إذ أتَمَّ اللهُ دينه، ونصرَ عبده ورسوله، وانخذل أهلُ الشِرك انخذالاً بليغاً، بعد ما كانوا حريصين على رَدّ المؤمنين عن دينهم، فصاروا يخشون المؤمنين، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾: أي فلا تخشوا المشركين، واخشوا اللهَ الذي نصركم عليهم، وَرَدَّ كَيدهم في نحورهم، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: أي دِين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فالزموه، ولا تفارقوه.

♦ واعلم أن هذه الجملة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ قد فضحَتْ كُلّ مَن يَدَّعي كذباً أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأمَرَهُ أن يفعل كذا وكذا، فإن لم يفعل، فسوف يحدث له كذا وكذا، فنقول له: (اتقِ اللهَ ولا تفتري الكذب، فإن الله تعالى قد أخبر أن الدِين قد كَمُل، ولن يُضافَ إليه شيءٌ آخر).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾: يعني فمن ألجَأتْهُ الضرورة – وهو في مجاعة شديدة – إلى أكْل شيءٍ من المُحَرّمات المذكورة في الآية، وكانَ ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾: أي غير متعمد لارتكاب إثم، وغيرَ طالبٍ للمُحَرّم (لِلذّةٍ أو غير ذلك)، ولا مُتجاوز - في أكلِهِ – ما يَسُدّ حاجته ويرفع اضطراره: فله تناوله، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ له، ﴿رَحِيمٌ﴾ به، حيث رَخَّصَ له في أكل تلك المُحرمات عند الضرورة حتى لا يموت.

الآية 4: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾: يعني يسألك أصحابك: ماذا أُحِلَّ لهم أكْلُه؟ ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: يعني الحلال الطيب من الطعام والشراب (وهو كل ما لم يُذكَر تحريمه)، ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾: يعني وكذلك أُحِلَّ لكم الصيدَ الذي تصطاده لكم الحيوانات (ذوات المخالب والأنياب) التي دَرَّبتموها على الصيد (كالكلاب والفهود والصقور ونحو ذلك مما يُعَلَّم)، بشرط أن تكونوا قد أرسلتموها للصيد، أما إذا اصطادته بنفسها – دونَ إرسالكم لها – فلا تأكلوها، (واعلم أن المُكَلِّب: هو مُعَلِّم الكلاب، ومُدَرِّبها على الصيد، ويُقال للصائد: مُكَلِّب، وعلى هذا فإنَّ قوله تعالى: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ يكون بمعنى: صائدين).

♦ وهذه الحيوانات ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ طلبَ الصيد ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ إذ هو سبحانه الذي سَخَّرها للإنسان ابتداءً، وهو الذي عَلَّمَه ما لم يكن يعلم، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾: يعني فكلوا مما أمْسَكَتْ لكم هذه الحيوانات – من الصيد – فهو حلالٌ طيب، (حتى وإن أتى بالصيد ميتاً بسبب الصراع معه، أما إذا أتى به حياً: فمِن كمال التذكية أن تذبحوه)، ولكنْ بشرط: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أي واذكروا اسم الله عند إرسال هذه الحيوانات للصيد، كأنْ يقول مَثلاً: (بسم الله هاته)، وكذلك إذا صاد الإنسان صيداً بسلاحٍ ما: فعليه أن يذكر اسم الله عليه قبل إطلاق السلاح عليه (حتى وإن مات بسبب أثر السلاح قبل أن يذبحه، فهو حلالٌ طيب)، وأما قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ففيه وعيدٌ لمن لم يتق الله في أكل ما حُرِّمَ أكلُهُ من المَيْتة وأنواعها، ومِن أكْل صيدٍ صادَه حيوان غير مُدَرَّب من الجوارح، فليتق عقوبة الله في ذلك فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

الآية 5: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ يعني: وَفي هذا اليوم الذي أكمل الله تعالى لكم فيه الدين: أحَلّ لكم ما سألتم عنه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ (وهو جميع الطيبات من الطعام والشراب)، ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾: يعني وذبائحُ اليهود والنصارى حلالٌ لكم (إن ذبحوها حَسبَ شرعهم)، وذبائحكم حلالٌ لهم، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: يعني وأحَلَّ لكم نكاح الحرائر العفيفات من المؤمنات، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي وكذلك أحَلَّ لكم نكاحَ الحرائر العفيفات من اليهود والنصارى، هذا إذا أمِنتم من التأثر بدينهنّ، وكذلك ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ﴾: يعني إذا أعطيتموهُنَّ مُهورهن، وكنتم طالبين بهذا الزواج التعفف عن الحرام، وكنتم ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾: يعني غير مرتكبين للزنى (وأنتم تخبرونَ الناس بذلك الفعل)، ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: يعني ولا مُتخِذي عشيقات سراً، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾: يعني ومن يجحد شرائع الإيمان: ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

الآية 6: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وأنتم على غير طهارة: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ - والمِرْفَق: هو المِفْصَل الذي بين الذراع والعَضُد، وهو ما يُطلَق عليه بعض الناس لفظ:

www.alukah.net

(الكوع)، والصحيح أنَّ اسمه المِرفَق - ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: يعني وامسحوا رؤوسكم، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: أي واغسلوا أرجلكم مع الكعبين (والكعبان: هم العظمان البارزان عند مُلتقى الساق بكف القدم)، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: يعني وإن أصابتكم جَنابة: فتطهروا منها بالاغتسال قبل الصلاة، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾: يعني أو قضى أحدكم حاجته، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: يعني أو جامَعتم زوجاتكم ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ للوضوء أو الغُسل: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: أي فاضربوا بأيديكم وَجْهَ الأرض الطاهرة ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ وذلك بأن يَنوي العبدُ التيَمُّمَ بقلبه ويُسمِّي، ثم يَضرب التراب بيدَيْه ضربة واحدة فقط، ثم يَنفخ في يدَيْه، ثم يَمسَح بِهما وجهَهُ وكفَّيه فقط، وهذه الصفة سواء كان التيَمُّم نيابةً عن الوضوء، أو كان نيابةً عن الغُسل.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾: يعني ما يريد الله – في أمر الطهارة – أن يُضيِّق عليكم، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: يعني بل أباح التيمم توْسِعةً عليكم، ورحمةً بكم، إذ جَعَله بديلاً للماء في الطهارة، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: يعني فكانت رخصة التيمُّم من تمام النعم التي تستوجب شُكْر المُنعِم بطاعته فيما أمر وفيما نهى.

♦ واعلم أنه يَجوز التيَمُّم أيضاً لمَن بهِ جُرْح أو مرض (مثل مرض الجُدَري)، ووَجَدَ مَشقَّة من الوضوء (أو الغُسل) بالماء (وذلك بزيادة المرض، أو تأخُّر الشِّفاء)، (وكذلك إذا كان الماء شديدَ البُرودة وعَجَزَ عن تسخينه، وغلبَ على ظَنِه حُصُول ضَرَر باستعماله وهو بارد)، (وكذلك مَن كان الماء قريبًا منه إلاَّ أنه يَخاف ضَيَاعَ متاعه، أو فوْتَ رفقتِه، أو حالَ بينه وبَيْن الماء عَدُوٌّ ظالِم، أو نار، أو أيُّ خوف كان في القَصْد إليه مَشَقَّة، فهذا يتيمم أيضاً لأنه يَصعُب عليه الوصول إلى الماء)، (وكذلك لو كان الماء بِمَجْمَع الفُسَّاق وتخافُ المرأةُ على نفسها منهم)، (وكذلك مَن كان مريضًا لا يقدر على الحركة ولا يجد مَن يُناوِلُهُ الماء)، فكل هؤلاء يَجُوز لهم التيَمُّم، (واعلم أيضاً أنه يَنقُض التيَمُّمَ جميعُ نواقض الوضوء، ويُزَاد عليها وجود الماء لمَن فقدَهُ، أو قدَرَ على استعماله لمَن عَجَزَ عنه).

الآية 7: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ من التيسير فيما شَرَعه لكم، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾: يعني واذكروا عهده الذي أخذه سبحانه عليكم، والمقصود به هنا: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، إذ بها وجب الالتزام بجميع التكاليف الشرعية، وأما قوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ فقد قالها الصحابة – بلسان الحال – عندما بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، وقد قالها كل مسلم – بلسان الحال أيضاً – لمَّا شَهِدَ للهِ بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

الآية 8: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾: يعني قوموا بحق الله تعالى (مُخلِصين له، طالبينَ ثوابَه)، ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: يعني وكونوا شُهداء بالعدل، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾: يعني ولا يَحملنَّكم بُغضُ قومٍ ﴿عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بينهم في الحُكم، بل ﴿اعْدِلُوا﴾ بين الأعداء والأحباب على درجةٍ سواء، فذلك العدل ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾: يعني أقرب لخشية الله تعالى، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 9، والآية 10: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ تعالى – وَوَعْدُهُ الحق – بأنَّ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في الجنة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أي يُلازِمونَ النارَ ولا يَخرجون منها.

الآية 11: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مِن الأمنِ، وإلقاءِ الرعب في قلوب أعدائكم، واذكروا ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: أي أرادوا أن يبطشوا بكم، فصرفهم الله عنكم، وحال بينهم وبين ما أرادوا.

♦ ولَمَّا أمَرَهم سبحانه بذِكر النعمة: أمَرَهم أيضاً بالخوف من المُنعِم أن يُبدل نعمته بنِقمةٍ إن عَصَوه ، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واحذروا أن تخالفوا أمْرَهُ فيُسلط عليكم أعداءكم، وغير ذلك من أنواع عقوباته، ثم أمرهم سبحانه بما يستعينون به على عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي فتوكلوا – أيها المؤمنون – عليه وحده في أموركم الدينية والدنيوية، وثِقوا بعَونه ونَصره.

****

2. تفسير الربع الثاني من سورة المائدة

الآية 12: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي أخذ عليهم العهد المؤكَّد بأن يُخلِصوا العبادة له وحده، ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: يعني وأمَرَ اللهُ موسى عليه السلام أن يجعل عليهم اثنَي عشر عريفاً (رئيساً) بعدد فروعهم (حيث كان بنو إسرائيل اثني عشر قبيلة)، وذلك ليأخذوا عليهم العهد بالسمع والطاعة (لله ولرسوله ولكتابه)، ويَحُثوهم على القيام بما أُمِرُوا به، (واعلم أن النقيب هو مَن يُنَقِب عن أمور القوم ومصالحهم ليرعاها لهم، فيبحث عن شؤونهم ويتولى أمورهم)، ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ لبني إسرائيل: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بحفظي ونصري وإعانتي ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ) (وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾: أي وصدَّقتم رسلي فيما أخبروكم به، ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: يعني ونصرتم هؤلاء الرسل، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: يعني وأنفقتم في سبيلي، طالبينَ ثوابي: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: يعني فقد خرج عن طريق الحق إلى طريق الضلال.

الآية 13: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾: يعني فبسبب نقض هؤلاء اليهود لعهودهم المؤكَّدة: طردناهم من رحمتنا، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾: أي غليظة، فلا يَنْفُذ إليها خير، ولا تَلينُ أمام المعجزات الباهرات، بل جَعَلتهم يتجرأون على حدود الله تعالى، فكانوا ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾: يعني يبدلون كلام الله (الذي أنزله على موسى، وهو التوراة)، ويفسرونه على غير وجهه الصحيح، وذلك بما يتناسب مع أهوائهم ومقاصدهم السيئة ، فإن عجزوا عن التحريف: تركوا ما لا يتفق مع أهوائهم، فلم يُظهروه للناس، ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾: يعني وتركوا نصيبًا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فلم يعملوا به، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ - أيها الرسول - ﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾: يعني تجد من اليهود خيانةً وغدرًا، فهُم على مِنهاج أسلافهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: يعني فاعفُ عن سوء معاملتهم لك، ﴿وَاصْفَحْ﴾ عنهم، فلا تتعرض لهم بمكروه، وبذلك تكون قد أحسنتَ إليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يُحسِنون إلى مَن أساء إليهم (بالعفو والصفح عنهم).

www.alukah.net

الآية 14: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾: يعني وكذلك الذين ادَّعَوا أنهم أتباع المسيح عيسى - وهم ليسوا كذلك - أخذنا عليهم العهد المؤكد الذي أخذناه على بني إسرائيل: بأن يَتبعوا رسولهم وينصروه، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فلم يعملوا به، وبدَّلوا دينهم كما صنع اليهود ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: يعني فألقينا ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾: أي فجعلناهم يُعادي بعضهم بعضًا ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يوم القيامة، وسيعاقبهم على صَنيعهم.

الآية 15: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ عن الناس مما في التوراة والإنجيل، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾: يعني وهناك أشياء - مما كنتم تخفونها من الكتاب - لا يَذكر عنها شيئاً، ولا يلومكم على إخفاءها، لأن الحكمة تتطلب ألاَّ يفعل ذلك)، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ وهو القرآن الكريم.

♦ واعلم أن حرف الواو الذي بين كلمة: (نُورٌ)، وبين كلمة: (كِتَابٌ مُبِينٌ)، تسمى (عطف بيان)، يعني عطف توضيح، لتبين أن هذا النور هو الكتاب المبين الواضح، وليس معناها أن (النور)، شيءٌ، و (الْكِتَابِ المبين) شيءٌ آخر، فكأنّ المعنى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ، وهو هذا الكتاب المبين)، وهذا مِثل قول أحدهم: (هذا هو اللقاء الثالث والأخير)، يعني هذا هو اللقاء الثالث، وهو نفسه اللقاء الأخير.

الآية 16: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾: يعني يهدي اللهُ بهذا القرآن مَن اتَّبع رضا ربه تعالى (ففعل ما يُرضيه، واجتنبَ ما يُغضبه)، ليوصلهم إلى طريق السلامة والسعادة ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾: أي بإذن ربهم، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: يعني ويوفقهم إلى الثبات على دِينه القويم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام.

الآية 17: ﴿لَقَدْ كَفَرَ﴾ النصارى ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم - أيها الرسول -: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعني: لو كان المسيح إلهًا كما تدَّعون، لقَدرَ أن يدفع قضاء الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمِّه ومَن في الأرض جميعًا، وقد ماتت أم عيسى فلم يَدفع عنها الموت، فكذلك لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه ، فهذا دليلٌ على أنه بشر كسائر بني آدم، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: وجميع الموجودات في السماوات والأرض ملكٌ لله تعالى وحده ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية 18: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم - أيها الرسول- : ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾؟ أي: فلِمَ عَذّب أسلافكم بذنوبهم، فمَسَخهم قِردةً وخنازير وغير ذلك مما هو ثابتٌ في كتبكم وفي تاريخكم؟ فلو كنتم أحبابه ما عَذبكم، فأحبابُ الله تعالى حقاً هم أهل طاعته، وقل لهم أيضاً: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾: يعني بل أنتم خلقٌ مثلُ سائر بني آدم، تجري عليكم أحكام العدل والفضل، فنِسبتكم إليه تعالى نسبة مخلوق إلى خالق، وعبدٌ إلى مالك، فمَن آمَنَ منكم وعمل صالحا: غفرَ له وأكرمه، ومَن كفر منكم وعمل سُوءا: عَذبه وأهانه، كما هي سُنَّته في سائر عباده، إذ هو سبحانه ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده إذا أتوا بأسباب المغفرة، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده إذا أتوا بأسباب العذاب، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ

﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، فأيُّ شيءٍ خَصَّكم بهذه الفضيلة، وأنتم مِن جُملة مملوكات الله تعالى الذين يرجعون إليه في الدار الآخرة، فيجازيهم بأعمالهم؟

الآية 19: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الحق والهدى ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾: يعني بعد مُدَّة من الزمن بين إرساله وإرسال عيسى ابن مريم؛ ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: يعني لِئَلاَّ تقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ فإنه لا عُذرَ لكم الآن بعد إرساله إليكم، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ من الله ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو سبحانه قديرٌ على عقاب العاصي، وعلى إثابة المطيع، وعلى مغفرة ذنوب التائب، قال تعالى في الحديث القدسي: (مَن عَلِمَ أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب: غفرتُ له ولا أبالي، ما لم يُشرك بي شيئاً) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 4330).

♦ ولذلك ينبغي للعبد المؤمن كلما تذكر هذه الجملة: (والله على كل شيءٍ قدير)، أن يتذكر أنه سبحانه قادرٌ أن يغفر له يوم يقرره بذنوبه، وقادرٌ أن يثبته في القبر عند سؤال الملكين، فيتقلب قلبه حينئذٍ بين الخوف من ذنوبه، وبين الرجاء في قدرة الله تعالى على المغفرة.

الآية 20: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ تَملِكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه، ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: يعني وقد منحكم مِن نِعمه صُنوفًا لم يَمنحها أحدًا من عالَمي زمانكم، مِثل المَنّ والسلوى وغير ذلك.

الآية 21: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: أي الأرض المُطَهَّرة، (وهي " بيت المَقدس " وما حولها)، فهذه الأرض هي ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي التي فرض الله عليكم أن تدخلوها وتقاتلوا مَن فيها من الكفار، ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: يعني ولا ترجعوا عن قتالهم، فتخسروا خيرَي الدنيا الآخرة.

الآية 22: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: أي أشداء أقوياء، لا طاقة لنا بحربهم، ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: يعني وإنَّا لن نستطيع دخولها وهم فيها، ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

الآية 23: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: يعني يخشون الله تعالى، وقد ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بطاعته وطاعة نبيِّه، فقالا لِبَني إسرائيل: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: أي ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب مدينتهم، أخذًا بالأسباب، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الآية 24: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولن نقاتلهم، وهذا إصرارٌ منهم على مخالفة موسى عليه السلام.

www.alukah.net

الآية 25: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾: يعني لا أقدر إلا على نفسي وأخي، ﴿فَافْرُقْ﴾: أي فاحكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

الآية 26: ﴿قَالَ﴾ الله لنبيه موسى عليه السلام: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدَّسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ حائرين ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: أي فلا تأسف يا موسى على القوم الخارجين عن طاعتي.

****

3. تفسير الربع الثالث من سورة المائدة

الآية 27، والآية 28، والآية 29: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾: أي واقصص - أيها الرسول - على اليهود الذين هَمُّوا بقتلِك وقتل أصحابك خَبَر ابنَيْ آدم (قابيل وهابيل)، وهو خبرٌ حقٌ، ليعلموا بذلك عاقبة جريمة القتل الذي هَمُّوا به، ولإظهار موقفك الشريف منهم حيث عفوتَ عنهم، فلم تقتلهم بعد أن تمَكَّنتَ منهم، وكنتَ معهم كخير ابنَي آدم (وهو هابيل المقتول ظلماً) ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وهو ما يُتَقرَّب به إلى الله تعالى، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾: أي فتقبَّل الله قُربان هابيل؛ لأنه كان تقيًّا، ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾: يعني ولم يتقبل قُربان قابيل؛ لأنه لم يكن تقيًّا، فحسد قابيلُ أخاه، و ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾، ثم قال هابيلُ واعظًا أخاه: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وإن رَضِيتَ قتلي فـ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾: يعني أريد أن ترجع إلى الله يوم القيامة حاملاً إثمَ قتْلِكَ لي، وإثمَكَ الذي عليك قبل ذلك، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية 30، والآية 31: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾: يعني فزَيَّنت لقابيلَ نفسُه أن يقتل أخاه، وشَجَّعَتْهُ على ذلك ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، فلما قتل قابيلُ أخاه لم يَعرف ماذا يصنع بجسده ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي يَحفر حفرةً في الأرض ليَدفن فيها غرابًا مَيِّتًا ؛ وذلك ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ ﴾: يعني لِيَدُلّ قابيلَ كيف يَدفن جُثمان أخيه، فـ ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ﴾: أي بَدَن أخي، لأنّ بدن الميت عورة، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حَمْله على عاتقه طوال هذه المُدَّة، وعدم دفنِه.

♦ واعلم أن بعض الناس يتشاءمون إذا سمعوا صوت الغراب أو صوت البُومة أو غير ذلك، فهذا لا أصلَ له في الإسلام، بل هو مَنهيٌ عنه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الطِّيَرَةُ شِرْكٌ - (والمقصود بالطيرة: التشاؤم) -، وَمَا مِنَّا إِلاَّ - (يعني وما منا مِن أحد إلا وقد يقع في قلبه شيءٌ من التشاؤم) - ولكنّ الله يُذهِبُهُ بالتوكل) (انظر السلسلة الصحيحة 1/ 791).

♦ والمعنى أن الله تعالى يُذهِب ذلك من القلب بالتوكل عليه وتفويض الأمر إليه، والتعلق بمُسبب الأسباب وحده (الذي بيده ملكوت كل شيءٍ، والذي خَلَقَ كل شيءٍ بِقَدَر).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 32: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾: أي من أجل قبح جريمة القتل وما يترتب عليها مِن مفاسد عظيمة: ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي شَرَعنا لبني إسرائيل – لكثرة ما شاعَ بينهم من القتل (فقد قتلوا الأنبياء والدُعاة) – فأوحينا إليهم ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: يعني بغير سبب (مِن قِصاص أو حَدّ)، ﴿أَوْ﴾ قتلها بغير ﴿فَسَادٍ﴾ قامت به ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ (كَسَلب الأموال وقتل الأبرياء، وغير ذلك)، فإذا قتلَها ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾: يعني يُعَذَّب عذاب مَن قتل الناس جميعاً، لأنه بتَجَرُّئِهِ على قتل النفس التي لم تستحق القتل: عُلِمَ أنه لا فرْقَ عنده بين هذا المقتول وبين غيره، وإنما ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمارة بالسوء، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: يعني ومَن امتنع عن قَتْل نفسٍ حرَّمها الله – مع قدرته على قتلها، ومع تزيين نفسه له بذلك – وإنما مَنَعَه خوفه من الله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأن الحفاظ على حُرمة إنسان واحد يعادل الحفاظ على حُرمات الناس كلهم، ولأنَّ ما معه من الخوف يمنعه مِن قتل مَن لا يستحق القتل.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي ولقد جاءت رسلُنا إلى بني إسرائيل بالحُجج والدلائل التي لا يَبقى بعدها حُجة لأحدٍ على ارتكاب ما حَرَّمه الله، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد مجيء الرسل إليهم: ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: يعني متجاوزون لحدود الله تعالى (بارتكاب مَحارمه، وترْك أوامره)، ساعينَ في الأرض فساداً.

الآية 33: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يعني يبارزون الله تعالى بالعداوة، ويعتدون على أحكامه، وعلى أحكام رسوله، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقتل الأنفس، وسلب الأموال، وغير ذلك، فهؤلاء جزاؤهم: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ ويكون تنفيذ هذا الحد من خلال ولي الأمر (حاكم البلد)، ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ (ويكونُ الصَلب بأن يُشَدَّ الجاني على خشبة، ثم يقتل)، ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ وذلك بأن تُقْطَع يدُه اليمنى ورجله اليسرى، فإن لم يَتُبْ: تُقطعْ يدُه اليسرى ورجلُه اليمنى، ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾: يعني أو يُنفَوا إلى بلدٍ غير بلدهم، ويُحبَسوا في سجن ذلك البلد حتى تَظهر توبتُهم، ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء الذي أعدَّه الله للمحاربين لله ورسوله إنما يكونُ ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾: أي ذلّ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إن لم يتوبوا.

الآية 34: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ يعني: لكنْ مَن أتى مِن المحاربين لله ورسوله طائعًا نادمًا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ فإنه يسقط عنه ما فعله في حق الله (أي يسقط عنه ذلك الحد في الدنيا، فلا تقيموه عليه)، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لعباده التائبين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

الآية 35: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: أي اطلبوا إليه القربى، (يعني تَقرَّبوا إليه بفعل ما يحب وترْك ما يَكره، لتفوزوا بالقرب منه)، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: يعني لكي تفوزوا بجناته.

الآية 36، والآية 37: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ يعني لو أنهم مَلَكُوا جميع ما في الأرض، ومَلَكُوا ضِعْفَهُ معه، ثم قدَّموهُ للهِ في الآخرةِ ﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾ – لِمَا يُلاقونه مِن عذابها وشِدة حَرِّهَا – ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 38: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾ - يا وُلاة الأمر - ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ بما يَقتضيه الشرع، وذلك ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾: أي جزاءً لهما على أَخْذهما أموال الناس بغير حق، و ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾: أي وعقوبةً يَمنع اللهُ بها غيرهما أن يصنع مِثل صَنيعهما، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

الآية 39: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾: يعني فمَن تاب مِن بعد سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ في كل أعماله، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾: أي يقبل توبته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

♦ فإذا كانت التوبة نصوحاً مستوفية لشروطها: (الإقلاع عن المعصية، والندم على مافات، وأن يَصدُق في العزم – والإصرار – على عدم العودة إلى المعصية، وأن يَرد الحقوق لأصحابها، أو يطلب مسامحتهم ويدعو لهم، أو يتصدق بِنيَّة أن يصل الثواب إليهم، هذا إذا لم يستطع هو الوصول إليهم)، فإن الله يقبلها، ويمحو بها الذنب.

♦ ولكنَّ الشأنَ كله في تحقيق التوبة النصوح، والإتيان بها على وجهها، فهذا هو الذي ينبغي أن يُقلِقَ العبد ويجعله خائفاً مِن أن يُحبَطَ عمله وألاَّ تُقبَلَ توبته فيَهلك، ولهذا كان اتهام التوبة والخوف من عدم قبولها من علامات التوبة النصوح، (فالتائب الصادق لا يزال خائفاً وَجِلاً، يبذل ما استطاع مِن جهدٍ في تحقيق التوبة النصوح، حتى يَقبلها الله تعالى منه)، وقد قال ابن القيم رحمه الله (ما مُختصَرُه): وأما اتهام التوبة فلأنها حقٌ عليه، لا يتيقن أنه أدَّى هذا الحق على الوجه المطلوب منه، الذي ينبغي له أن يؤديه عليه، فيخاف أنه ما وَفَّاها حقها، وأنها لم تُقبَل منه، وأنه لم يَبذل جهده في صحتها، وأنها لم تكن خوفاً من الله تعالى، وإنما كانت لسببٍ آخر.

♦ ومِن اتهام التوبة أيضا: ضعف العزيمة، والتفات القلب إلى الذنب، وتَذكُّره مِن حينٍ إلى آخر، ومنها: طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب، حتى كأنه قد أُعطِيَ منشوراً بالأمان، ومنها: جمود العين عن البكاء، واستمرار الغفلة، وألاَّ يَستحدث بعد التوبة أعمالاً صالحة لم تكن له قبل الخطيئة.

♦ فالتوبة المقبولة الصحيحة لها علامات، منها: أن يكون العبد بعد التوبة خيراً مما كان قبلها، ومنها: تقطُّع قلبه ندماً وخوفاً، فلا يزال الندم والخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين، حتى يسمع قول الرسل لقبض روحه: ﴿ ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾(فهناك يزول الخوف).

♦ ومِن مُوجبات التوبة الصحيحة أيضا: كَسرة خاصة تحصل للقلب، تُلقِيهِ بين يدي ربه طريحاً ذليلاً خاشعاً، كحال عبدٍ هارب مِن سيده، فأُخِذَ فأُحضِرَ بين يديه، ولم يجد مَن يُنجيه مِن سَطوَتِه، ولم يجد منه مَفراً ولا عنه غِناء، وعَلِمَ أنّ حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه، وقد عَلِمَ بإحاطة سيده بتفاصيل جناياته، هذا مع حبه لسيده، وشدة حاجته إليه، وعِلمه بضعفِهِ وعَجْزه وقوة سيده، وذُلِّه وَعِزّ سيده، فيجتمع من هذه الأحوال ذلٌ وخضوع، ما أنفعه للعبد، وما أقرَبَهُ به من سيده!

♦ فوالله ما أحلى قوله في هذه الحالة: أسألك بعزك وذلي إلاَّ رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيدٌ سواك، لا مَلجأ ولا مَنجَى منك إلا إليك، أسألك مسألة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال مَن خضعتْ لك رقبته، ورَغِمَ لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذَلَّ لك قلبه).

الآية 40: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ – أيها الرسول – ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، لا يُشاركه في حُكْمِهِ أحد، إذ ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيَقطع يد السارق والسارقة، ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إذا تاب العبد من السرقة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

****

4. تفسير الربع الرابع من سورة المائدة

الآية 41: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: أي لا تحزن بسبب الذين يسارعون في جحود نُبُوَّتك ﴿مِنَ﴾ المنافقين ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ فإني ناصرُكَ عليهم، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: يعني ولا يَحزُنك أيضاً تسرُّع اليهود إلى إنكار نبوتك، فإنهم قومٌ ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: أي يستمعون للكذب، ويَقبلون ما يَفتريهِ أحبارُهم، ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾: يعني ويَقبلون كلامَ قومٍ آخرين لا يحضرون مجلسك، وهؤلاء الآخرون ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: أي يُبَدِّلون كلام الله مِن بعد ما عَقَلوه، و ﴿يَقُولُونَ﴾ لليهود الذين يحضرون مجلسك: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾: يعني إن جاءكم مِن محمد ما يوافق الذي بدَّلناه وحرَّفناه من أحكام التوراة فاعملوا به، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾: يعني وإن جاءكم منه ما يُخالفه فاحذروا أن تقبلوه أو تعملوا به، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: يعني ومَن يَشأ اللهُ إضلاله، فلن تستطيع دَفْعَ ذلك عنه، ولن تقدر على هدايته، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي المنافقون واليهود هم ﴿الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من دَنَس الكفر، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: أي ذلٌّ وفضيحة، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية 42: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ يعني: وهؤلاء اليهود يجمعون بين الاستماع إلى الكذب وقبوله وبين أكْل الحرام، ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ يتحاكمون إليك ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: يعني فاقضِ بينهم، أو اتركهم، ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ﴾ يقدروا على أن ﴿يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: أي بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

الآية 43: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ﴾ يعني: إنَّ صنيع هؤلاء اليهود عجيب، فهم يَحتكمون إليك – أيها الرسول – وهم لا يؤمنون بك ولا بكتابك، مع أن التوراة التي يؤمنون بها ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي ثم يتولَّون مِن بعد حُكمك إذا لم يُرضِهِم، فجمعوا بذلك بين الكفر بشرعهم، وبين الإعراض عن حُكمك، ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية 44: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾: يعني فيها إرشاد من الضلالة، ونورٌ مُبَيِّن لأحكام الحلال والحرام، مُخرِجٌ من ظلمات الجهل، ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ يعني: وإنَّ النبيِّين – الذين انقادوا لحكم الله تعالى – قد حكموا بالتوراة ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾: أي قد حكموا بها بين اليهود، ولم يَخرجوا عن حُكمها ولم يُحرِّفوها، ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: يعني وكذلك قد حكم بها عُبَّاد اليهود وعلماؤهم (الذين يُرَبُّون الناس بشرع الله)، وذلك ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: أي بما استأمنهم

www.alukah.net

أنبياؤهم على تبليغ التوراة، والعمل بها، ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: يعني وكان الربانيون والأحبار شهداء على أن أنبياءهم قد حكموا بين اليهود بكتاب الله.

♦ ثم يقول تعالى لعلماء اليهود: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ في تنفيذ حُكمي، فإنهم لا يقدرون على نفعكم ولا ضرِّكم، ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ وحدي، فإني أنا الذي أملك النفع والضر، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: يعني ولا تأخذوا عِوَضًا حقيرًا مِن الدنيا مقابل ترْك الحُكم بما أنزلتُ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾: واعلم أنَّ العلماء قد اختلفوا بشأن هذه الجملة: هل هي في المسلمين، أو في اليهود (اتفاقاً مع سِياق الآية)؟

♦ وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية: (ليس الكُفر الذي تذهبون إليه) أي إنّ المقصود بالكفر فيها: (كُفر دونَ كُفر)، يعني ليس الكُفر المُخرج من المِلَّة، وقال القرطبي في تفسيره: (فأما المسلم فلا يُكَفَّر وإن ارتكب كبيرة)، طبعاً إلا إذا استحَلَّ الكبيرة، وقال: إنها حلال، فحينئذٍ تُقامُ عليه الحُجّة من عالمٍ يثق هو في عِلمه، (هذا مع الأخذ في الاعتبار دائماً أنَّ العُذر بالجهل قاعدة شرعية أصُوليَّة، وأنه مِن صُلب هذا الدِين).

الآية 45: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾: يعني وفَرَضنا عليهم في التوراة: العدل والمساواة في القِصاص، فشَرَعْنا لهم ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تُقتَل ﴿بِالنَّفْسِ﴾، ﴿وَالْعَيْنَ﴾ تُفقَأ ﴿بِالْعَيْنِ﴾، ﴿وَالْأَنْفَ﴾ يُقطَع ﴿بِالْأَنْفِ﴾، ﴿وَالْأُذُنَ﴾ تُقطع ﴿بِالْأُذُنِ﴾، ﴿وَالسِّنَّ﴾ تُقلَعُ ﴿بِالسِّنِّ﴾، بمعنى أنه إذا قلع شخصٌ إحدى الأسنان لشخصٍ آخر (أو كَسَرها)، فإنّه يَقتص منه بقلْع سِنِّه (أو كَسْرها)، ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: يعني وشَرَعْنا لهم أنَّه يُقْتَصُّ في الجِراحات أيضاً بالعدل والمساواة، ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾: أي فمن تجاوز عن حقه في الاقتصاص من المُعتدي ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: يعني فإنّ ذلك العفو يكونُ تكفيراً لبعض ذنوبه وإزالةً لها، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في القِصاص وغيره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

الآية 46، والآية 47: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾: يعني وأتْبَعْنا أنبياءَ بني إسرائيل ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، فكانَ عليه السلام ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾: أي مؤمنًا بالتوراة، فلم يُنكرها ولم يَتجاهلها، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾: يعني وأنزلنا إليه الإنجيل هادياً إلى الحق، ونوراً مُبَيِّنًا لِما جَهِلَهُ الناس مِن حُكم الله تعالى، ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾: أي وكان الإنجيل شاهدًا على صِدق التوراة، مُقرِّراً لأحكامها (إلا ما نسخه اللهُ منها بالإنجيل)، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾: يعني وقد جعلناه بيانًا للذين يخافون الله، ورادعاً لهم عن ارتكاب المحرَّمات، فإن أهل التقوى هم الذين ينتفعون بهذا الهدى.

♦ واعلم أن هذه الهداية التي ذكرها تعالى في قوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾: هي هداية خاصة للمتقين، غير الهداية التي ذُكِرَتْ في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ فهذه هداية عامة لجميع الناس، ثم أخبر تعالى أنه أمرهم وقتها بالحكم بالإنجيل، فقال: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ﴾ الذين أُرسِل إليهم عيسى – قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم - ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾: أي بما أنزل الله في الإنجيل من الأحكام، وأخبرهم أنَّه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الآية 48: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: أي وأنزلنا إليك القرآن، وَكُل ما فيه حق، وجعلناه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾: أي يَشهد على صِدق الكتب التي قبله، وأنها من عند الله، مُصدقًا لما فيها مِن صِحَّة، ومبيِّنًا لِما فيها من تحريف،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: أي وناسخًا لبعض شرائع هذه الكتب، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين المحتكمين إليك من اليهود ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إليك في هذا القرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾: يعني ولا تنصرف عن الحق الذي أمَرَكَ الله به إلى أهوائهم وآرائهم، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ﴾ يعني: فقد جعلنا لكل أمةٍ منكم شريعة، ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: أي وجعلنا لكم طريقًا واضحًا مستنيرًا ناسخًا لما قبله، وهو الإسلام، وقد جعلنا شريعتك ناسخة لجميع الشرائع.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾: أي لَجَعَلَكم جماعة متفقة – على دينٍ واحد – يَؤم بعضها بعضًا، ولَجعل شرائعكم واحدة، ولم يجعل شيئًا من الكتب ناسخًا لشيءٍ من الشرائع، ﴿وَلَكِنْ﴾ لم يَشأ سبحانه ذلك، بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة، وذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾: يعني ليختبركم ويَنظر كيف تعملونَ عند ظهور هذه الشريعة الناسخة: هل ستتبعونها وتنقادون إليها بمجرد قيام البراهين على صِدقها، ونهوض الأدلة البَيِّنة على صِحَّة نَسْخِها لشرائعكم، وترجعون عن شريعتكم بعد أن أحببتموها واعتدتم عليها؟، أم ستَميلون إلى شريعتكم، فتُؤثرون الركون إليها والعكوف عليها لمجرد اتِّباع الهَوَى، وتزيغون عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، تكَبُّراً عن الانقياد لها (كما فعل أول المتكبرين إبليس)؟

♦ ولَمَّا كانَ في هذا الاختبار أعظم تهديد، قال لهم: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: أي بادِروا إلى هذه الشريعة الناسخة بغاية جهدكم، وسارعوا إلى ما هو خيرٌ لكم في الدارين (وذلك بالعمل بما في القرآن العظيم)، فـ ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ وسيَجزي كُلاًّ بعمله.

الآية 49: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ – واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ﴾ معطوف على قوله تعالى – في الآية التي قبلها - : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، فكأنّ المعنى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، فلْتحكمْ بينهم به)، أو: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، ولِلحُكم به).

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: أي ولا تتبع أهواء الذين يَحتكمون إليك من اليهود، (وقد كَرَّرَ تعالى النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير من ذلك)، ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾: يعني واحذرهم أن يُضِلوك عن بعض ما أنزل الله إليك فتترك العمل به، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يعني فإن أعرض هؤلاء عن قبول ما تَحكم به: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾: أي فاعلم أن الله يريد أن يَصرفهم عن الهدى بسبب ذنوبٍ اكتسبوها مِن قبل، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ أي: عُصاة خارجون عن طاعة ربهم ورسله، (فهَوَّنَ اللهُ على رسوله بهذه الجملة ما قد يجده من ألم تمرد اليهود والمنافقين، وإعراضهم عن الحق الذي جاءهم به ودَعاهم إليه).

الآية 50: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾: يعني أيريد هؤلاء اليهود أن تَحكُمَ بينهم بالضَلالات والجَهالات التي تعارَفَ عليها المشركون (عَبَدَةُ الأصنام)؟! لا يكونُ ذلك ولا يَليقُ أبدًا، ثم أخبر تعالى – نافياً أن يكون هناك حُكمٌ أعْدَلَ أو أرحم مِن حُكمه تعالى للمؤمنين بشرعه، الموقنين بعدله ورحمته – فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟ والجواب: لا أحد.

****

www.alukah.net

5. تفسير الربع الخامس من سورة المائدة

الآية 51، والآية 52، والآية 53: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾: أي حُلفاءَ وأنصارًا على أهل الإيمان، لأنَّ اليهود ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وكذلك النصارى، وكِلا الفريقين يَجتمع على عداوتكم، وأنتم – أيها المؤمنون – أوْلَى بأن يَنصر بعضُكم بعضًا، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾: يعني ومَن يَستنصر باليهود أو النصارى ﴿مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: أي فإنه يصير منهم، وحُكْمه حُكْمهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يَتولون الكافرين.

♦ ثم يخبر تعالى عن جماعة من المنافقين، فيقول: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: أي يُسارعون في التوَدُّد إلى اليهود، لِما في قلوبهم من الشكِّ والنفاق، و ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: يعني إنما نتوَدَّد إليهم خشية أن ينتصروا على المسلمين فيصيبونا معهم، قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ أي فتح "مكة"– ويَنصر نَبِيَّه، ويُظْهِر الإسلام والمسلمين على الكفار، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾: يعني أو يُهيِّئ من الأمور ما تَذهب به قوةُ اليهود والنَّصارى، فيخضعوا للمسلمين، ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾: يعني فحينئذٍ يندم المنافقون على ما أخفوه في أنفسهم مِن مَحبتهم والاستنصار بهم، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: يعني وحينئذٍ يقول المؤمنون بعضهم لبعض – مُتعجِّبين من حال المنافقين إذا كُشِف أمرهم -: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾: يعني أهؤلاء الذين أقسموا بأغلظ الأيمان إنهم لَمَعَنا؟! ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾: أي بَطلت أعمال المنافقين التي عملوها في الدنيا، فلا ثوابَ لهم عليها؛ لأنهم عملوها على غير إيمان، فبذلك خسروا الدنيا والآخرة.

الآية 54: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ ويَستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يَضرّ الله شيئًا، وإنما يَضُرّ نفسه، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ خيرٍ من الذين ارتدوا، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي رحماء بالمؤمنين، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: يعني أشدَّاء على الكافرين، ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَا يَخَافُونَ﴾ في سبيل إرضاء الله تعالى ﴿لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في فضله وعطائه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يَستحق ذلك الفضل من عباده.

الآية 55: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾: يعني إنما ناصركم – أيُّها المؤمنون – هو ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾ وهم ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: أي يحافظون على الصلاة المفروضة في أوقاتها ويطمئنون وهم يؤدون أركانها، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: يعني ويؤدون الزكاة عن رِضا نفسٍ وهم خاضعون لله.

الآية 56: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾: يعني ومَن يُحبُّ اللهَ ورسولَه والمؤمنين ويَنصرهم على أعدائهم: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾: أي فهو مِن حزب اللهِ تعالى (أي مِن أنصارِه)، وحِزبُ الله هم الغالبون المنتصرون.

الآية 57: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: أي الذين يستهزئون ويتلاعبون بدينكم ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾، فلا تتخذوا هؤلاء ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ من دون المؤمنين، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 58: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾: يعني وإذا أذَّنَ مؤذنكم – أيها المؤمنون – بالصلاة: ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: يعني سَخِرَ هؤلاء اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا من دَعْوَتِكم إلى الصلاة، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي وذلك بسبب جهلهم، ولأنهم لا يَعقلون حقيقة تلك العبادة، ولا يعلمون قيمتها العظيمة عند الله تعالى.

الآية 59: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: يعني هل تكرهوننا وتعيبون علينا بسبب إيماننا بالله ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾: أي وبسبب إيماننا أيضاً بأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم! فما تَجِدُونه عيباً علينا هو – في أصله – صفة مدح لنا عند ربنا.

الآية 60: ﴿قُلْ﴾ أيها النبي للمؤمنين: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني هل أخبركم بمن يُجازَى يوم القيامة جزاءً أشدَّ مِن جزاء هؤلاء الفاسقين من أهل الكتاب؟ إنه ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾: يعني إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته وغضِب عليهم، ومَسَخَ خَلْقهم، فجعل منهم القردة والخنازير، وذلك بسبب عصيانهم وافترائهم وتكَبُّرهم ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: يعني وبسبب أنه كان منهم عُبَّاد للطاغوت (وهو كل ما يَعبُدُه الناس – مِن دون اللهِ تعالى – بشرط أن يكون هذا الطاغوت راضياً بعبادة الناس له، لأنّ عيسى عليه السلام لم يكن راضياً بعبادة النصارى له)، ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ في الآخرة، ﴿وَأَضَلُّ﴾ طريقاً ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي عن طريق الاستقامة.

الآية 61: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ يعني: وإذا جاءكم – أيها المؤمنون – منافقوا اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بدينكم، ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ يعني: وقد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم، ثم خرجوا من عندكم وهم مُصِرُّون عليه، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾، وإن أظهروا خِلاف ذلك.

الآية 62، والآية 63: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي مِن اليهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: يعني يُبادرون إلى المعاصي (مِن قول الكذب وشهادة الزور وغير ذلك)، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: أي وكذلك يسارعون إلى الظلم والاعتداء على أحكام الله، ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: يعني وكذلك يبادرون إلى أكل أموال الناس بالباطل ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ يعني: ألاّ ينهاهم أئمتهم وعلماؤهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾؟ ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: يعني لقد ساء صنيع هؤلاء العلماء حين تركوا النهي عن المنكر.

الآية 64: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ سِرَّاً فيما بينهم – حين حَلَّ بهم الجفاف والقحط - : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: أي محبوسة عن فِعل الخيرات، بَخِلَ علينا بالرزق والتوسعة، فرَدَّ الله عليهم بقوله : ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي حُبِسَت أيديهم هُم عن فِعْلِ الخيرات، ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾: يعني وطردهم الله من رحمته بسبب قولهم، وليس الأمر كما يفترونه على ربهم، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فلا مانع يمنعه من الإنفاق، فإنه سبحانه الجَواد الكريم ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ وذلك بحسب ما تقتضيه حِكمته وبحسب ما فيه مصلحة عباده.

www.alukah.net

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾: يعني وإنَّ كثيرًا من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزالُ القرآن إليك إلا تجبُّرًا وجحودًا، وذلك بسبب حقدهم وحسدهم؛ لأن الله قد اصطفاك بالرسالة، ثم أخبَرَ تعالى أنّ طوائف اليهود سيظلون إلى يوم القيامة يُعادي بعضهم بعضًا، ويَنفُرُ بعضهم من بعض، فقال: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾، وهم ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾: أي كلما تآمروا على الكيد للمسلمين بإثارة الفتن وإشعال نار الحرب: رَدَّ الله كيدهم، وفرَّق شملهم، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ بالمعاصي والكفر وغير ذلك من أنواع الفساد في الأرض، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الآية 65: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ من اليهود والنصارى ﴿آَمَنُوا﴾ بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ربهم فامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: أي لَمَحَوْنا عنهم ذنوبهم، ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

الآية 66: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾: يعني ولو أنَّهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أُنزِل عليك أيها الرسول - وهو القرآن الكريم : ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾: أي لَرَزقناهم من كلِّ طريق، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر، وقد كانَ ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ﴾: يعني جماعة معتدلة ثابتة على الحق، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

****

6. تفسير الربع السادس من سورة المائدة

الآية 67: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (وقد بَلَّغَ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة)، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (لو كانَ النبي صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي، لَكَتَمَ هذه الآية: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ))، ثم يقولُ تعالى مُطَمْئِناً لرسوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فلا تخفْ من المخلوقين، فإنَّ نَوَاصيهم بيد الله، وقد تكفَّلَ سبحانه بعِصْمتك، فأنتَ إنما عليك البلاغ المبين، فمَن اهتدَى فلنفسه، ومَن كفر ف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

♦ ومِن لطيفِ ما يُذكَرُ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أن المسلمين كانوا – قبل نزول هذه الآية – يَمشون حول رسول الله في كل مكانٍ يَنتقل إليه (خوفاً عليه من اليهود – قتلة الأنبياء)، لدرجة أنَّهم كانوا يَتناوَبُون في حراسة بيتِهِ كل ليلةٍ وهو نائم، فلما نزلتْ هذه الآية ليلاً، طلبَ الرسول صلى الله عليه وسلم مِن أصحابه الانصراف، فلمَّا سألوه عن السبب، قال لهم: (قد عَصَمَنِي الله)، يقول العَلاَّمَة "بارتملى هِيلَر" بعد إسلامه: (لَمَّا وَعَدَ اللهُ رسوله بالحِفظ بقوْلِهِ: ﴿ واللهُ يَعصِمُكَ مِن الناس﴾، صرَفَ النبيُ حُرَّاسَه، والمرءُ لا يَكذِبُ على نفسِه، فلو كانَ لِهذا القرآن مَصدَرٌ غير السماء: لأَبْقى محمدٌ على حِراسَتِه).

الآية 68: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لليهود والنصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ إنكم ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ مِن الدين الحق، ولستم أهل نُصرة الله تعالى ومحبته ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: يعني حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: يعني وإنّ كثيرًا من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزالُ القرآن إليك إلا تجبُّرًا وجحودًا، فهم يحسدونك لأن الله بعثك بهذه الرسالة الخاتمة، التي بَيَّن فيها معايبهم، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: أي فلا تحزن أيها الرسول ﴿عَلَى﴾ تكذيب ﴿الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية 69: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ (وهم المسلمون)، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ (وهم اليهود)، - ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ كذلك – (وهم قومٌ باقون على فِطرتهم (يعني: على التوحيد)، ولا دين مُقرَّر لهم يتبعونه)، ﴿وَالنَّصَارَى﴾ (وهم أتْباع المسيح عليه السلام)، هؤلاء جميعًا ﴿مَنْ آَمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ﴾ إيماناً كاملاً، وذلك بتوحيد الله تعالى والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد بعثته، ﴿وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من أهوال يوم القيامة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما تركوه وراءهم في الدنيا.

الآية 70، والآية 71: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: يعني لقد أخذنا العهد المؤكَّد على بني إسرائيل في التوراة بالسمع والطاعة، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾: أي وأرسلنا إليهم رسلنا لِيُذكِّروهم بذلك العهد، فَنَقَضوا هذا العهد، واتبعوا أهواءهم، وكانوا ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ من أولئك الرسل ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾: أي بما لا تشتهيه أنفسهم عادَوْه، فـ ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: يعني فكذبوا فريقًا من هؤلاء الرسل، وقتلوا فريقًا آخر ، ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: يعني وظنَّ هؤلاء العُصاة أن الله لن يأخذهم بالعذاب والشدائد والمِحن بسبب عصيانهم وكفرهم، وقتلهم الأنبياء، ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾: أي فمضوا في شهواتهم، وعَمُوا أعينهم عن الهدى فلم يُبصروه، وصَمُّوا آذانهم عن سماع الحقّ فلم ينتفعوا به، فأنزل الله بهم بأسه، وسَلَّطَ عليهم مَن أذاقهم سوء العذاب، فتابوا ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: يعني قَبِلَ توبتهم، فاستقام أمرهم وصلحتْ أحوالهم.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾: يعني ثم عَمِيَ كثيرٌ منهم مرة أخرى عن الهدى، وصَمُّوا عن سماع المواعظ، وذلك بعد أن تبين لهم الحقُّ، فسَلَّطَ الله عليهم مَن أذاقهم سوء العذاب أيضاً، وهاهم ما زالوا في عَماهم وصَمَمِهم، فلم يؤمنوا بالنبي محمد بعد أن عرفوا أنه النبي الخاتم، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ وسيجازيهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة.

الآية 72: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: أي اعبدوا الله وحده لا شريك له، فأنا وأنتم مُتساوين في العبودية لله تعالى، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: يعني إنه مَن يَعبد مع الله غيره – إلا أن يتوب من الشرك قبل موته – ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ ، ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾: أي وجَعَلَ النارَ مُستقرَّه، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يُنقذُونهم من هذه النار.

الآية 73: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (فهو سبحانه واحدٌ في ذاته، لم يلد ولم يولد، ليس له شريك، وليس كمثله شيء، وجبريل هو أحد ملائكته، وعيسى هو عبده ورسوله، ومريم هي أَمَتُه، فالكُلُّ عبيده، وخاضعون لِقَهْرِه وسُلطانه)، ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني وإن لم يَنتهِ أصحاب هذه المَقالة عن افترائهم وكَذِبهم: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 74: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾: يعني أفلا يَرجع هؤلاء النصارى إلى الله تعالى، وينتهون عمّا قالوا، ويسألون الله تعالى المغفرة؟ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم حيث أمهلهم للتوبة.

الآية 75: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: أي مِثل مَن تقدمه مِن الرسل، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: يعني قد صَدَّقت تصديقًا جازمًا علمًا وعملا، وهما كغيرهما من البشر، فقد ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾: يعني كانا يحتاجان إلى الطعام، ولا يكونُ إلهًا مَن يحتاج الى الطعام ليعيش، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾: يعني فتأمَّل أيها الرسول حالهم، فقد أوضحنا لهم العلاماتِ الدالةَ على وحدانيتنا، وبُطلان ما يَدَّعونه في أنبياء الله، وهم مع ذلك يَضِلُّون عن الحق الذي نَهديهم إليه، ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: يعني ثم انظر كيف يُصرَفون عن الحق بعد أن ظهر واضحاً!

الآية 76: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: يعني كيف تشركون مع الله مَن لا يَقْدِرُ على ضَرِّكم، ولا على جَلْبِ نفعٍ لكم؟ فلا هم يسمعون دعاء مَن يدعوهم، ولا يعلمون عن حاله شيئاً، ﴿وَاللَّهُ﴾ وحده ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال عباده ولدعائهم إياه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بسائر أحوالهم وأعمالهم، مُجيب المُضطر إذا دعاه، فهو سبحانه المعبود بحق، وما سواه باطل.

الآية 77، والآية 78، والآية 79: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول للنصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: يعني لا تتجاوزوا الحقَّ فيما تعتقدونه من أمر المسيح عليه السلام، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾: يعني ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتَّبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس، ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: أي وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الضلال.

♦ ثم يُخبر تعالى أنه طرد من رحمته الكافرين من بني إسرائيل، وهذا مذكورٌ في الكتاب الذي أنزله على داوود عليه السلام (وهو الزَّبور)، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى عليه السلام (وهو الإنجيل)، فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: أي وذلك اللعن كان بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله، فقد ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: يعني كانوا يُجاهرون بالمعاصي ويرضونها، ولا يَنْهى بعضُهم بعضًا عن أيِّ مُنكرٍ فعلوه، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، لأنهم قد استحقوا بذلك الفعل أن يُطْرَدُوا من رحمة الله تعالى، (وفي هذا تحذيرٌ لكل مَن يفعل مِثل فِعلهم حتى لا يَلقى مصيرهم).

الآية 80، والآية 81: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي مِن هؤلاء اليهود ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني يتخذون المشركين نصراء لهم، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: يعني ساء ما عملوه مِن مُناصرة المشركين، لأنّ مناصرتهم لهم كانت سببًا في ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ وهو القرآن الكريم: ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾: أي ما اتخذوا الكفار أنصارًا وأحباءً، ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: أي خارجون عن طاعة الله ورسوله.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

7. تفسير الربع السابع من سورة المائدة

الآية 82، والآية 83، والآية 84: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ وذلك لِعنادهم، وتكَبُّرهِم من بعد ما تبَيَّنَ لهم الحق ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مع اللهِ غيره، كعَبَدة الأوثان وغيرهم، هم أيضاً أشد الناس عداوة للذين آمنوا بك واتبعوك، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: أي علماء بدينهم زاهدين، ﴿وَرُهْبَانًا﴾: أي عُبَّادًا في صوامعهم، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يعني ولأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قَبول الحق، وهؤلاء هم الذين قَبِلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ - والمقصود بهم وفد الحبشة (النَجاشي وأصحابه) لَمَّا سمعوا القرآن - : ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾: يعني وذلك البكاء لأنهم أيقنوا بأن هذا القرآنَ حقٌّ من عند الله تعالى، فآمَنوا به واتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم.

♦ وهم يتضرعون إلى الله تعالى أن يحشرهم مع أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، فـ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الذين يشهدون على باقي الأمم يوم القيامة، وقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾: يعني وأيُّ لوم علينا في أن نؤمن ﴿بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ في جنته يوم القيامة؟

الآية 85: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾: أي فجَزاهم الله بما قالوا – من الاعتزاز بإيمانهم بالإسلام، وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين - : ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: يعني وذلك جزاء إحسانهم في القول والعمل.

الآية 86: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني وأما الذين جحدوا وحدانية الله تعالى، وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

الآية 87: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فتُضَيِّقوا بذلك ما وَسَّع اللهُ عليكم، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: أي ولا تتجاوزوا حدود ما حرَّم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

الآية 88: ﴿وَكُلُوا﴾ – أيها المؤمنون – ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: أي واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنَّ إيمانكم بالله يُوجِبُ عليكم تقواه.

الآية 89: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: أي لا يعاقبكم الله بسبب أيمانِكُم التي تحلفونها بغير قصد، وذلك بأنْ تذكروا لفظ الجَلالة بصيغةِ القَسَم (وَاللهِ)، ولكنْ – ليسَ في نِيَّتِكم - عَقد اليَمين، مِثل قول بعضكم: لا واللهِ، وبلى واللهِ (وليس في نيتكم الحلف)، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾: يعني ولكنْ يعاقبكم بسبب ما قصدتم عَقْدَهُ بقلوبكم من الأيمان ولم تَفُوا به، فإذا لم تَفُوا باليمين، فإثمُ ذلك يمحوه الله بما شرعه لكم من الكفارة، وهي: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ - وَجبة مُشبِعة - ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: أي مِن أوْسَطِ طعامِ بَيتِكم، أو من أوسط طعام أهل البلد، ﴿أَوْ

www.alukah.net

﴿كِسْوَتُهُمْ﴾: يعني أو أن تكسوا هؤلاء المساكين بحيث يُعطَى كل مسكين ما يَكفيه في الكِسوة عُرفًا، (سواء كانَ الكِساء قديماً أو جديداً، المُهمّ أن يكون يَصلح – لهم – للارتداء)، ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: يعني أو أن تعتقوا عبداً أو جارية من الأسر، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾: أي فمَن لم يستطعْ إطعامَ المساكين أو كِسوَتهم – بسبب فقرِهِ مثلاً –، وكذلك لم يَجدْ عبداً يعتقه: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: أي تلك مُكفِّرات عدم الوفاء بأيمانكم، ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ وذلك باجتناب الحلف، أو بالوفاء به إذا حلفتم، أو بالكفارة إذا لم تفوا بالحلف، ﴿كَذَلِكَ﴾: يعني وكما بيَّن الله لكم حُكم الأيْمان والتحلل منها: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي أحكام دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ربكم على هدايته لكم إلى الطريق المستقيم.

الآية 90: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ وهو كل مُسكِرٍ غطَّى العقلَ وأذهَبَهُ (مشروبًا كانَ أو مأكولاً، أو تَمَّ إدخالهُ للجسَد بأي وَسِيلة)، ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ وهو القمار (وذلك يشمل المراهنات ونحوها، مما فيه عِوَض من الجانبين)، ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ وهي الأصنام والأحجار المنصوبة، التي تمثل إلهاً أو غير ذلك مما يُعبَد من دون الله تعالى، والتي كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا لها، ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ وهي القِداح التي كانَ يستخدمها الكفار ليَطلبوا معرفة ما يُقسَم لهم قبل الإقدام على فِعل الشيء، وقد تقدم تفصيل ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ في تفسير الربع الأول من سورة المائدة، فراجِعْه إن شئت.

♦ إنَّ كل ما سبق هو ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: أي إثمٌ مِن تزيين الشيطان لكم، ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: يعني لعلكم تفوزون بالجنة.

الآية 91: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ بما يُزينه لكم من الآثام ﴿أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ ﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾: أي بسبب شُرب الخمر ولَعِب القمار، ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾: يعني ويريد أن يَصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة (بغياب العقل في شرب الخمر، والاشتغال باللهو في لعب الميسر)، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾: أي فانتهوا عن ذلك.

الآية 92: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ﴿وَاحْذَرُوا﴾ المعصية وسوء عاقبتها، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي فإن أعرضتم عن الامتثال للأوامر والنواهي: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي فاعلموا أن الرسول لن يضره إعراضكم، إذ ما عليه إلا البلاغ المبين وقد بَلّغ، وما تضرون بذلك الإعراض إلا أنفسكم.

الآية 93: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾: أي ليس على المؤمنين الذين شربوا الخمر قبل تحريمها إثمٌ في ذلك، هذا ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: يعني إذا تركوها واتقوا سخط الله وآمنوا به، وقدَّموا الأعمال الصالحة التي تدل على إيمانهم ورغبتهم في رضوان الله تعالى عنهم، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾: يعني ثم ازدادوا مراقبةً لله عز وجل وإيماناً به، حتى أصبحوا – مِن يقينهم – يعبدونه وكأنهم يرونه، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين بلغوا درجة الإحسان، فأصبح إيمانهم بالغيب كالمشاهدة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 94: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: أي لَيَختبرنّكم ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ يقترب منكم على غير المعتاد بحيثُ ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾: يعني تستطيعون صَيد صغاره بغير سلاح، وصَيد كباره بالسلاح، وذلك الاختبار ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلمًا ظاهرًا للخلق ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ لِتَيقنه بأن الله تعالى يراه، فيُمسِك عن الصيد وهو مُحرِم، لأنه يخاف أن يراه الله على معصية، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يعني فمن تجاوز الحَدَّ بعد هذا البيان، فأقدَمَ على الصيد – وهو مُحرِم – فإنه يستحق العذاب الشديد.

الآية 95: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾: أي لا تقتلوا صيد البر، وأنتم مُحرمون بحجٍ أو عمرة، أو كنتم داخل الحرم، ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾: يعني فجزاءُ هذا المُحرم – الذي صادَ حيواناً ما – أن يَذبح حيواناً من الأنعام (أي من الإبل أو البقر أو الغنم) مقابل الذي صاده، بحيثُ يُشبِهُ الحيوان الذي صادَهُ في الصورة والخِلقة، وذلك بعد أن ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: يعني وذلك بعد أن يُقَدِّر ذلك الصيد – بما يشبهه من الأنعام – اثنان مِن ذَوِي العَدْل (أي مَشهود لهما بالعدل)، واعلم أنّ ما حَكَمَ فيه الصحابة والتابعون في جزاء الصيد وما يشبهه من الأنعام: وَجَبَ الرجوع إليه، لأنهم مِن ذَوي العدل، فوجَبَ الرجوع إلى حُكْمهم.

♦ وإليكَ الآن بيانٌ لبعض ما حَكَم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم في الحيوانات البرية وما يشبهها من الأنعام:

المُشابه للنعامة في الأنعام: البَدَنَة (يعني الجمل سواء كانَ ذكراً أو أنثى)، وفي حِمار الوحش وثور الوحش وشاة الوحش (وتسمي الأروية): البقرة، وفي الغزال والظبْي والوَعْل (وهو التيس الجبلي): العَنزة (وهي أنثى الجدْي)، وفي الضَبّ واليَربُوع والأرنب: الجدْي.

﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾: يعني يَهدي هذا الحيوان – المُشابه للصيد من الأنعام – إلى الحرم بحيث يذبحه في الحرم ويوزعه على فقراء الحرم، ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾: يعني أو أن يشتري بقيمة هذا الحيوان: طعامًا يهديه لفقراء الحرم، بحيث يُعطي لكل مسكين منهم وجبة مشبعة، وقد اختلف العلماء في عدد المساكين الذين يجب إطعامهم، هذا، وقد رأى بعض أهل العلم أن يُقَدِّر ثمن هذا الصيد – الذي صاده – بالمال، ويشتري بثمنه طعاماً، ثم يُطعِم كل مسكين مقدار صَاع مِن هذا الطعام، (والصَاع هو ما يُقَدّر بـ 2.5 كيلو جرام تقريباً).

﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾: يعني أو يصوم عدداً من الأيام بعدد الناس الذين يُشبِعُهُم هذا الصيد الذي صاده، وقد فَرَضَ الله عليه هذا الجزاء ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾: يعني ليشعر بعاقبة فِعْله، وثِقَل جزاء ذنبه ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: أي عفا الله عَمَّن وقعوا في شيء من ذلك قبل التحريم، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى المخالفة متعمدًا بعد التحريم: ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾: أي فإنه مُعَرَّض لانتقام الله منه، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾: أي والله تعالى قاهِرٌ لِكُلِ شيءٍ، صاحبُ السُلطان العظيم، الذي خضعتْ له جميعُ الأشياء، ومِن عزته سبحانه أنه ينتقم ممن عصاه إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع.

www.alukah.net

♦ واعلم أنّ قاتِل الصيد مُخَيَّرٌ بين واحدٍ من ثلاثة: (ذبح الهَدْي أو إطعام المساكين أو الصيام)؛ هذا إذا كانَ للصيد (مِثل) أو مُشابه مِن الأنعام، وأما إذا لم يكن له (مِثل) فهو مُخَيَّرٌ بين الإطعام والصيام.

الآية 96: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها المسلمون في حال إحرامكم: ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ وهو ما يُصادُ حيًّا من البحر، ﴿وَطَعَامُهُ﴾ وهو ما يخرج من البحر ميتاً فإنه حلالٌ لكم أيضاً وأنتم محرمون، وذلك ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: يعني وذلك من أجل انتفاعكم به مقيمين أو مسافرين، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

****

8. تفسير الربع الأخير من سورة المائدة

الآية 97: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾: أي جَعَله صلاحًا لدينهم، وأمنًا لحياتهم، فبِالحَجِّ إليه يكتمل إسلامهم، وبه تُحَطُّ أوزارهم، وتتضاعف حسناتهم، ويجتمع فيه جميع أجناس المسلمين من كل فجٍ عميق، فيتعارفون ويستعين بعضهم ببعض، وتنعقد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية والدنيوية، ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: يعني وحَرَّمَ تعالى العدوان والقتال في الأشهر الحرم (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب)، ﴿وَالْهَدْيَ﴾: أي وحرَّم تعالى الاعتداء على ما يُهدَى إلى الحَرَم من بهيمة الأنعام، ﴿وَالْقَلَائِدَ﴾: يعني وحرَّم كذلك الاعتداء على القلائد، وهي ضفائر من صوف أو وَبَر، كانوا يضعونها في رقاب الهَدي لتكون علامةً على أن الرجل آتٍ من الحرم أو ذاهبٌ إليه، فهذه الأربعة: (البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد) كانت تقوم مقام السلطان بين العرب، فتحقق بذلك الأمن والرخاء في ديارهم (وخاصة سكان الحرم من قبائل قريش)، فهذا من تدبير الله تعالى لعباده، وهو دليلٌ على عِلمه وحكمته، ولهذا قال بعدها: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ومِن ذلك ما شَرَعه لحماية خلقه بعضهم من بعض، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلا تخفى عليه خافية.

الآية 98، والآية 99: ﴿اعْلَمُوا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمن عصاه ولم يتب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب ورجع إليه، واعلموا أنَّ ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وقد بَلَّغَ كما أُمِر وقام بوظيفته، وبقِيَ الأمر إليكم: فإن رجعتم إلى ربكم وأطعتموه فإنه يغفر لكم ويرحمكم، وإن أعرضتم وعصيتم فإنه يعاقبكم.

♦ وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، فيه وعدٌ ووعيد، لأنَّ عِلمه تعالى بالظواهر والبواطن يترتب عليه الجزاء، أي إنه تعالى سيُجازيكم بما يعلمه منكم.

الآية 100: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي﴾: أي لا يتساوي ﴿الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾، فالكافر لا يتساوي مع المؤمن، والعاصي لا يتساوي مع المطيع، والجاهل لا يتساوي مع العالم، والمُبتدِع لا يتساوي مع المُتَّبِع، والمال الحرام لا يتساوي مع الحلال، حتى ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ وعدد أهله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي فاتقوا الله يا أصحاب العقول الراجحة باجتناب الخبائث، وفِعل الطيبات ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بالحصول على هدفكم الأعظم، وهو رضا الله تعالى والفوز بالجنة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 101، والآية 102: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ مِن أمور الدين لم تؤمَروا فيها بشيء، كالسؤال عن الأمور التي يترتب عليها تشديدات في الشرع، وغير ذلك، ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾: أي ولو كُلِّفتموها لَشقَّتْ عليكم، ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾: يعني وإن تسألوا عنها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين نزول القرآن عليه: تُبيَّن لكم، وقد تُكلَّفونها فتعجزون عنها، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾: أي سكت الله عنها (وكل ما سَكَتَ الله عنه فهو مما أباحه وعفا عنه)، وكذلك عفا الله عنكم فلم يؤاخذكم بما سألتم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لعباده إذا تابوا، ﴿حَلِيمٌ﴾ عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة

♦ واعلم أن سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحُجُّوا)، فقال رجل: (أفِي كل عامٍ يا رسول الله؟)، فسكت، حتى قالها الرجل ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا، ولو قلتُ نعم: لَوَجَبَتْ، ولو وَجَبَتْ: لما استطعتم)، ثم قال: (ذروني ما تركتُكم) فنزلتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

♦ ثم يُخبر تعالى عباده المؤمنين بأنَّ مِثل تلك الأسئلة ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ لرسلهم، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾: يعني فلما أُمِروا بها جحدوها، ولم يُنَفذوها، فاحذروا أن تكونوا مثلهم.

الآية 103: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾: يعني ما شرع الله للمشركين ما ابتدعوه في بهيمة الأنعام مِن تَرْك الانتفاع ببعضها وجَعْلها للأصنام، مثل: (البَحيرة: وهي الناقة إذا ولدتْ خمسة صغار (وكان الخامس ذكراً)، فيَشُقون أذنها ثم يُحَرِّمون ركوبها، والسائبة: وهي الناقة التي تُترَك وتُنذَر للأصنام، فلا تُركَب ولا يُحمَل عليها ولا تؤكَل، والوصيلة: وهي الناقة التي تكونُ أوّل ولادتها أنثى، أو التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى، فلا يذبحونها، والحامي: وهو الذكر من الإبل إذا وُلد مِن صُلبه عددٌ من الإبل، فيَمنعون ظهره من الركوب والحَمل).

﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: يعني ولكنّ الكفار نسبوا ذلك إلى الله تعالى افتراءً عليه، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي لا يُميزون الحق من الباطل.

الآية 104: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ – أي لهؤلاء الكفار المُحرِّمين لِمَا أحلَّ الله –: ﴿تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ لِيَتبيَّن لكم الحلال والحرام، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي يَكفينا ما ورثناه عن آبائنا مِن الأقوال والأعمال، ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ يعني أيَتَّبِعون آباءهم حتى ولو كانوا لا يعلمون شيئًا لِجَهْلِهم، ولا يُدركون رشدًا؟! فإنه لا يَتَّبعهم إلا مَن هو أجْهَلُ منهم وأضَلُّ سبيلاً.

الآية 105: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: يعني ألزموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، وداوموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم ، فإذا فعلتم ذلك فـ ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾: أي لا يَضركم مَن أصَرَّ على ضلاله بعد أن أمرتموه بالمعروف، ونهيتموه عن المنكر ، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ويجازيكم على أعمالكم.

www.alukah.net

الآية 106، والآية 107، والآية 108: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾ * ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ * ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُواْ أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاسْمَعُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ اختلف العلماء في هذه الآيات: هل هي منسوخة أم لا، لذلك لم أشأ أن أخوضَ في تفسيرها.

الآية 109: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾: أي فيسألهم عن جواب أُمَمِهم لهم حينما دَعَوْهم إلى التوحيد، ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ فنحن لا نعلم ما في صدور الناس، ولا ما أحدَثوا بَعدَنا، و ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

الآية 110: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يوم القيامة: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ إذ خَلقتُكَ من غير أب، ﴿وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ حيث اصطفيتُها على نساء العالمين، وبَرَّأتُها مما نُسِبَ إليها، واذكُر ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي قوَّيْتُك وأعَنْتُك بجبريل عليه السلام، فكنتَ ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ يعني وأنت رضيع، ﴿وَكَهْلًا﴾ أي وتدعوهم إلى الله وأنت كبير، بما أوحاه الله إليك من التوحيد، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ أي الكتابة والخط بدون مُعلم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: وعلَّمْتُكَ سُنَن الأنبياء، والفقه، والسَّداد في القول والفعل ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ أي تصنع وتُصَوِّر ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ﴾ أي مِثل شَكل ﴿الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ أي وتَشْفِي الأعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ (والأبْرَص هو الذي أصابه مَرَضُ البَرَص فتغيَّر لونُ جلدِه)، ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم أحياءً ﴿بِإِذْنِي﴾.

♦ ثم ذكَّرَهُ سبحانه بنعمةٍ أخرى فقال: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾: أي واذكُر حينَ مَنَعْتُ بني إسرائيل عنك عندما أرادوا قتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي حين جئتَهم بهذه المعجزات الواضحات، الدالَّة على نُبُوَّتِك، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

الآية 111: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾: أي واذكُر نِعمتي عليك، إذ ألْهَمْتُ جماعةً مِن أصحابك المخلصين، وألقيتُ في قلوبهم أن يُصَدِّقوا بوحدانيتي وبنُبُوَّتك، فـ ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ يعني: وَاشْهَدْ يا عيسى بِأنّنا خاضعونَ للهِ تعالى بالتوحيد والطاعة.

الآية 112، والآية 113: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ إنْ دَعَوْتَهُ ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ عليها طعامٌ؟ ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (فهذا أمْرٌ لهم بمُلازمَة التقوى وعدم تَزَلْزُل الإيمان)، فـ ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين فيها، ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي ولنَعلم يقيناً صِدقك في نُبُوَّتك ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أنَّ الله أنزل علينا هذه الآية، لِتكون حُجَّةً له في توحيده وقدرته على ما يشاء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 114: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي نتخذ يوم نزولها عيدًا لنا نتذكر فيه هذه الآية العظيمة، فنَذكُرك فيه ربنا ونشكرك، ﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ أي لأول أمّة النصرانية وآخرها (وهم الذين خُتِمَتْ بهم النصرانية عند البعثة المحمدية)، ﴿ وَآيَةً مِنْكَ﴾ لهم على وحدانيتك وعلى صِدق نُبُوَّتي، ﴿وَارْزُقْنَا﴾: أي واجعلها رزقاً لنا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي خَيْرُ مَن أعطى.

الآية 115: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ أي مُنَزِّل مائدة الطعام ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾: أي فمَن يَجحد منكم وحدانيتي ونُبُوَّة عيسى بعد نزول المائدة: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ شديدًا ﴿لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

الآية 116، والآية 117: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؟ ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: يعني ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق، ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ لأنه لا يَخفى عليك شيء، فإنك سبحانك ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: أي إنك أنت عالمٌ بكل شيء مِمَّا ظَهَر أو خَفِي.

♦ ثم قال عيسى عليه السلام لربه : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾: يعني ما قلتُ لهم إلا ما أوْحَيتَهُ إليَّ، وأمرتني بتبليغه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾: أي وكنتُ على ما يفعلونه – وأنا بينهم – شاهدًا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾: يعني فلما وَفَّيْتني أجلي على الأرض، ورفعتني إلى السماء حيّاً : ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: أي كنتَ أنت المُطَّلِع على سرائرهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فلا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

الآية 118: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ وأنت أعلم بأحوالهم، تفعل بهم ما تشاء بعَدْلِك، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ برحمتك لِمَن أتى منهم بأسباب المغفرة كالاستغفار والتوبة والأعمال الصالحة: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمنعه مانع مما أراد، فلا تمنعه الذنوب من المغفرة لعباده التائبين ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وأمره، (وفي هذه الآية ثناءٌ على الله تعالى بحكمته وعدله، وكمال علمه).

الآية 119: ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة: ﴿هَذَا يَوْمُ﴾ الجزاء الذي ﴿يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾: أي ينفع الموحدين توحيدهم، وانقيادهم لشرع ربهم، وصِدقهم في نِيَّاتهم وأقوالهم وأعمالهم ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي تجري من تحت قصورها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فقبل حسناتهم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من جَزيل ثوابه ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء والرضا منه عليهم هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

الآية 120: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ خَلقاً وتصرُّفاً وتدبيراً وإحاطة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

****

www.alukah.net

تفسير سورة الأنعام كاملة

1. تفسير الربع الأول من سورة الأنعام

الآية 1: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي الثناء على اللهِ تعالى بصفاته (التي كلّها صفات كمال)، وبنِعَمِهِ الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فهو سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾: أي وخلق الظلمات والنور، وذلك بتعاقب الليل والنهار والشمس والقمر، فالذي أوجد السماوات والأرض وما فيهما من سائر المخلوقات، وجعل الظلمات والنور (وهما من أقوى عناصر الحياة) هو وحده المستحق للحمد والثناء والعبادة لا غيره، ومع هذا الوضوح في استحقاقه تعالى وحده للعبادة: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ أي يُساوونه بغيره في العبادة والتعظيم والمحبة والخوف، (إذ معنى يَعدلون: يُساوون، وهي مأخوذة من العدل والمساواة)، فالذين كفروا يَعدلون باللهِ تعالى أصناماً ومخلوقاتٍ فيعبدونها معه، مع أنهم لم يُساووا اللهَ في شيءٍ من الكمال، بل هم فقراء عاجزون ناقصون مِن كل وجه.

الآية 2: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾: يعني هو الذي خلق أباكم آدم من طين (وأنتم سُلالة منه)، ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾: يعني ثم كتب مدة بقاء كل إنسان في هذه الحياة الدنيا، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾: أي وكتب أجلاً آخر محدَّدًا معروفاً عنده، لا يعلمه إلا هو جَلَّ وعَلا، وهو يوم القيامة.

♦ واعلم أنَّ في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾، إعلامٌ بأنه تعالى قادرٌ على أن يعيد خَلق الإنسان – بعد الموت – كما بدأه أول مرة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، بل إنَّ إعادة الخَلق أهْوَنُ عليه سبحانه، كما قال تعالى في سورة الروم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، إذ هي نفس الأرض التي خلقه منها، قال تعالى في سورة طه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، وضرب لنا سبحانه مَثَلاً حتى نُوقِنَ بقدرته على البعث فقال في سورة فصلت: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾: أي ثم أنتم بعد هذا تشكُّون – أيها المشركون – في قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت، كما تشكُّون في وجوب توحيدِهِ بالعبادة دونَ غيره.

الآية 3: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ هذه الجُملة يُفسرها قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)، يعني وهو سبحانه المعبود في السماء والمعبود أيضاً في الأرض، لأنّ كلمة (إله) معناها في اللغة: (المعبود)، وليس كما يَستدل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

البعض بهذه الآية على أن الله موجود في كل مكان، فهذا لا يليق به سبحانه، إذ قد يقول قائل – بجهل –: (طالما أنه موجود في كل مكان، إذن فهو – حاشَ لله - موجود أيضا في الأماكن الخربة، وغيرها)، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً، بل هو سبحانه فوق عرشه كما أخبر عن نفسه فقال في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، أي عَلا وارتفع، كما قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وقال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وهذه آياتٌ مُحكَمات (يعني لا تَحتمِل أكثر من معنى)، والعرش فوق السماء السابعة، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال – كما في صحيح البخاري – وهو يتحدث عن الفردوس الأعلى من الجنة: (وفوقه عرش الرحمن)، ومعلومٌ أنَّ الجنة بعد السماء السابعة، كما ذكر صلى الله عليه وسلم ذلك بعد صعوده إلى سِدرة المنتهى – في رحلة الإسراء والمعراج - حينَ صعد به جبريل فوق السماء السابعة للقاء ربه تبارك وتعالى، قال تعالى في سورة النجم: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى*عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾.

♦ فإذا قلنا ذلك، فإننا نجد مَن يقول: (إنَّ معنى استوى على العرش هو: استولى على العرش)، فدعونا نسأل: (هل كانَ العرشُ في يدِ أحد، حتى يستولى اللهُ عليه؟!)، سبحان الله وتعالى عما يصفون، ثم نجدهم يحتجون بأنهم فعلوا هذا التأويل (أي التبديل للمعنى) لأنه سبحانه إذا كانَ فوق العرش، فإنه سيكونُ مُحتاجاً له للجلوس عليه، وهذه ستكون صفة نقص في حقه تعالى، ونحن نقول: (إذا تصورنا أنني وضعتُ قلماً فوق يدي بحيثُ يكون ملامساً لها، فإننا سنقول: إن القلم فوق اليد، وكذلك إذا رفعتُ القلم فوق يدي – قليلاً – بحيثُ يكون غير ملامس لها، فإننا سنقول أيضاً: إنّ القلم فوق اليد)، إذن فإنَّ الفوقيَّة لا تَشترط المُلامَسة، فإذا كانت المُلامَسة للعرش صفة نقصٍ عندهم، وهي أيضاً صفة نقصٍ عندنا، إذن فهو سبحانه فوق العرش – كما أخبر عن نفسه - ولكنْ غير مُلامِسٍ له.

♦ ولكنْ ليعلم الجميع أنه سبحانه – مع عُلُوِّه – قريبٌ مِن عباده بعِلمه وإحاطته، فعِلمُهُ مُحيطٌ بجميع الخلائق، لا يَخفى عليه شيءٌ منها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ولهذا قال بعدها: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أي إنه سبحانه معكم بعِلمه وإحاطته في كل وقت.

♦ وهو سبحانه المُهَيمِن على السماوات والأرض ومَن فيهنّ، المُتصرف في الكون كله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ)، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنّ قلوبَ بَني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد، يُصَرِّفه حيثُ شاء) (والحديث في صحيح الجامع برقم: **2141**)، فهو سبحانه المتصرف في الأمور كلها، فسبحان مَن عَلَّمَ خَلقه أن يتحكموا في الأشياء وهُم على بعدٍ سحيق منها بمختلف أجهزة التحكم الحديثة (مثل ما يُعرَف بالأقمار الصناعية وغيرها).

الآية **4**، والآية **5**: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾: أي وما يأتي الكفار ﴿مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ تدل على وحدانيته تعالى، وصِدقِ محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: أي كَذَّبوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما معه مِن الدين الحقِّ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، وسَخِروا مِن دَعْوَتِهِ؛ جَهلاً منهم، واغترارًا بإمهال الله لهم، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾: يعني فسوف يتبين لهم أنَّ ما استهزءوا به هو الحق والصِدق، وسوف يُبَيِّن اللهُ للمكذبين كَذبهم وافتراءهم، ويُجازيهم عليه.

♦ فلما استهزأ مُشركوا قريش بالوعيد: أنزل الله بهم العذاب الذي استهزأوا به، وأوَّل عذاب نزل بهم: هزيمتهم يوم بدر ، ثم القحط سبع سنين، ومَن مات منهم على الشِرك: فسوف يُعَذَّب في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ويُقال لهم وهم يُعَذَّبون: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تستهزئون.

الآية 6: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: يعني ألم يعلم هؤلاء الكفار أننا قد أهلكنا كثيراً من أهل القرون من الأمم السابقة المُكذبة، (والقرن: مائة سنة)، أفلا يتأملون ما حَلَّ بهم مِن هلاكٍ وتدمير، رغم أننا قد ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي أعطيناهم من القوة المادية ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ أيها الكافرون، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾: يعني وأنعمنا عليهم بإنزال المطر متواصلاً غزيراً، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾: أي من تحت مساكنهم، فيَنبُتْ لهم بذلك ما شاء الله من الزروع والثمار، فلم يشكروا نعم الله عليهم، بل أقبلوا على الشهوات وألهَتْهُم المَلَذَّات، فكفروا بنعم الله وكَذَّبوا الرسل ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، لا ظُلماً مِنَّا، ولكنْ بظُلمهم هم لأنفسهم، ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾: يعني وأنشأنا من بعدهم أممًا أخرى خَلَفُوهم في عمارة الأرض، وكان ذلك علينا يسيراً، فاعتبِروا أيها الكفار مما حدث لهم.

الآية 7: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ من السماء ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾: أي في أوراق ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ليتأكدوا منه، فإذا لمسوه بأصابعهم وتيَقنوا أنه حق: ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظلما وتكبُّراً وجُحوداً: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

الآية 8: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ من السماء، ليساعده ويُصدِّقه – أمام الناس – فيما جاء به من النُبوّة ، فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ من السماء إجابةً لِطلبهم: ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بإهلاكهم، إذ ليس مِن شأن اللهِ تعالى أن يُنزل الملائكة ، ولو أنزل مَلَكاً لأهْلَكَهم في الحال، لأنّ الأمر أصبح يَقينِيّاً، وليس قضية إيمان بالغيب، وهذا ما لا يريده الله لهم ، ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾: يعني ثم لا يُمهَلون – ولو ساعة – ليتوبوا أو يعتذروا.

الآية 9، والآية 10: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾: يعني ولو جعلنا ذلك الرسول المُرسَل إليهم مَلَكًا – إذ لم يقتنعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾: أي لَجَعلنا ذلك الملك في صورة بشر، حتى يستطيعوا السماع منه ومخاطبته ، إذ ليس بإمكانهم رؤية المَلَك على صورته الملائكية، وحينها سيَطلبون أن يكون الرسولُ بشراً، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾: يعني ولو جاءهم المَلَك بصورة رجل: لاشتبَه الأمر عليهم، كما اشتبه عليهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم، إذ هم مُعاندون للحق، مُتَّبِعون لأهوائهم.

♦ ولمَّا كان طلبهم إنزال المَلَك على سبيل الاستهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم : بيَّن الله له أن الاستهزاء بالرسل عليهم السلام ليس أمراً جديداً، بل قد وقع من الكفار السابقين مع أنبيائهم، فقال – مُصَبِّراً له على تكذيبهم، ومُهَدِّداً لهم - :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾: أي فأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به ويُنكرون وقوعه، فاحذروا – أيها المكذبون – أن تستمروا على تكذيبكم، فيُصيبكم ما أصابهم.

الآية 11: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا﴾ بعيونكم، واعتبروا بقلوبكم ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ إنه الهلاك والخِزي، وانتقام وإبادة المَلِك الجبار لهم، فاحذروا أن يَحِلَّ بكم مِثل الذي حَلَّ بهم.

الآية 12: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟ ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ كما تُقِرُّون بذلك، فاعبدوه وحده، واعترفوا له بالإخلاص والتوحيد، كما تعترفون بانفراده بالمُلك والخلق والتدبير، واعلموا أنه سبحانه وتعالى قد ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾: أي أوْجَبَ على نفسه رَحمة خَلقه، فلا يُعاجلهم بالعقوبة إذا أذنبوا، وقد كتب سبحانه على نفسه أنَّ رحمته تغلب غضبه، وأنه قد فتح لعباده أبواب الرحمة (إن لم يُغلِقوا أبوابها عليهم بذنوبهم).

♦ ومِن مَظاهر رحمته تعالى: أن يجمع الناسَ يومَ القيامة ليحاسبهم ويُجازيهم بعملهم: فالحسنة بعشر أمثالها، أما السيئة فبِسَيئةٍ مثلها فقط ، ولهذا قال – بعد أن ذَكَرَ رحمته - : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ الذي ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي الكائن الواقع يقيناً بلا شك، وهذا قسَمٌ منه سبحانه، وهو أصدق القائلين، وقد أقام على ذلك من الحُجج والبراهين، ما يجعله حق اليقين، ولكنْ أبَى الظالمون إلا جحوداً، وأنكروا قدرة الله على بعث الخلائق، فانغمسوا في مَعاصيه، وتجرؤوا على الكفر به، فخسروا بذلك دنياهم وأُخراهم ، ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: الذين خسروا أنفسهم بانطماس فِطرَتهم وإصرارهم على العناد والجحود لا يدخل الايمان في قلوبهم لأنها أصبحت قاسية ومُظلِمة.

****

2. تفسير الربع الثاني من سورة الأنعام

الآية 13، والآية 14: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾: أي وَللهِ تعالى مُلكُ كل شيءٍ في السماوات والأرض (سَكَنَ أو تحرَّك، خَفِيَ أو ظهر)، فالجميعُ عبيده وخلقه، وتحت قهره وتصَرُّفه وتدبيره، ومِن هنا وَجَبَ اللجوء إليه، والتوكل عليه، والانقياد لأمره ونَهْيه، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال عباده ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم الظاهرة والباطنة.

♦ واعلم أنَّ في قوله تعالى : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾، محذوفاً (بلاغياً) تقديره: (وَلَهُ مَا سَكَنَ وتحرك فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)، لأنّ كل متحرك يَؤول أمْرُهُ إلى سكون، وذلك كَقوْلِهِ في سورة النحل: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ أي ملابس تحميكم من الحر والبرد، فاكتفى بذِكر أحدهما لِيَدُلّ على الآخَر ، ومن الممكن أن يكون المقصود أنّ له سبحانه كل ما حَلَّ في الليل والنهار (متحركًا كان أو ساكنًا)، كما يُقال: (فلان سَكَنَ ببلدٍ) أي حَلَّ فيه.

♦ ثم أمَرَ تعالى رسوله أن يَرُدّ على المشركين الذين يريدونه أن يوافقهم على شِركهم، وأن يَعبد معهم آلهتهم، فقال له: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: يعني أغيرَ الله تعالى أتخذ وليّاً ونصيرًا، أعبده كما اتخذتم أنتم أيها المشركون أولياء عَجَزَة تعبدونهم، إنَّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا لن يكونَ أبداً، لأنه سبحانه هو وحده ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي خالق السماوات والأرض وما فيهنّ، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: يعني وهو الذي يُطعِمُ خَلقه لافتقارهم إليه، ولا يُطعِمُهُ أحد لِغِناه المُطلَق عن ذلك، إذ هو سبحانه ليس بمحتاجٍ إلى رزق، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: أي أُمِرتُ أن أكونَ أول مَن خضع للهِ وانقاد له بالعبودية مِن هذه الأُمَّة، وقيل لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين يعبدونَ مع الله غيره من مخلوقاته.

الآية 15، والآية 16: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أن يُنزِلَ بي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو عذابُ يوم القيامة، ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾: يعني مَن يَصرِف اللهُ عنه ذلك العذاب الشديد ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

الآية 17: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: يعني وإن يُصِبْكَ اللهُ بشيءٍ يَضرك كالفقر والمرض والحزن: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: يعني وإن يُصِبْكَ بخيرٍ كالغِنَى والصحة والفرح: فلا رادَّ لِفضله، ولا مانعَ لِعَطائه ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، واعلم أنه قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (يا غلام، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيءٍ: لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء: لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 7957).

الآية 18: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ الذي خضعتْ له الرِّقاب وذَلَّتْ له الجَبابرة، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الذي يَضع الأشياء في مواضعها، ﴿الْخَبِيرُ﴾ الذي لا يَخفَى عليه شيء، فمَن اتَّصَفَ بهذه الصفات: يَجب ألاَّ يُشرَكَ به.

الآية 19: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ يعني: أيُّ شيء أعظم شهادة في إثبات صِدقي فيما أخبرتكم به أني رسول الله؟ ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: أي هو سبحانه العالِمُ بما جئتكم به، وهو العالِمُ بما أنتم قائلونه لي، فشهادته تعالى لي بالنبوة هي ما أعطاه لي من المعجزات الباهرة (كانشقاق القمر وغير ذلك)، وكذلك وَحْيُهُ إليّ بهذا القرآن الذي أنذركم به، والذي لا يستطيع أن يقوله بشر، وأنتم تعلمون ذلك لأنكم أبْلغ البشر ، ولهذا قال بعدها: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾: أي مِن أجل أن أنذركم به عذابَ الله أن يَحلَّ بكم، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾: يعني ولأنذر به كل مَن وصل إليه هذا القرآن، قال القرطبي رحمه الله: (مَن بَلغه القرآن، فكأنما قد رأي محمداً صلى الله عليه وسلم وسَمِعَ منه)، وفي هذا دليلٌ على أنّ الأصل أن يُعذَرَ الإنسانُ بجهله حتى يبلغه العلم.

♦ ولمّا بيّن سبحانه شهادته بصِدق نبيه (وهي أكبر الشهادات على التوحيد)، أمَرَهُ أن يُنكِرَ عليهم الشرك بقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾: يعني إنكم لَتُقِرُّون أنَّ مع اللهِ معبوداتٍ أخرى تشركونها به في العبادة، ﴿قُلْ﴾: أما أنا فـ ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ على ما أقررتم به، ولا أعترف بهذه الأصنام والأحجار التي تعبدونها – تقليداً لآبائكم – مِن غير دليل، ثم أمره تعالى بعد ذلك أن يقرر ألوهية الله وحده، وأن يتبرأ من آلهتهم المزعومة، فقال له: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له، وهو الله الواحد الأحد الصمد (أي السيد الذي يُلجأ إليه عند الشدائد والحوائج)، ﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 20: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾: أي الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، يعرفون محمدًا صلى الله عليه وسلم بصفاته المكتوبة عندهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾، فكما أنَّ أبناءهم لا يَشتَبِهون عليهم بغيرهم، فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم لا يَشتَبِه عليهم بغيره، لِدقة وَصْفِهِ في كُتبهم، ولكنهم اتبعوا أهواءهم، فخسروا أنفسهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية 21: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: يعني لا أحد أشَدّ ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنّ له شركاء في العبادة، أو ادَّعى أنّ له ولدًا أو زوجة، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾: يعني أو كَذَّبَ ببراهينه وأدلته التي أيَّدَ بها رسله، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾: يعني إن الظالمين الذين افتروا على الله الكذب لا يُفلحون في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يَنجون من عذاب الله يوم القيامة.

الآية 22، والآية 23، والآية 24: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾: يعني أين آلِهَتكم التي كنتم تزعمون أنهم شركاء مع الله تعالى ليشفعوا لكم؟، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ يعني: ثم لم تكن إجابتهم حين فُتِنوا بالسؤال عن شركائهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾: يعني أنهم تبرؤوا منهم، وأقسموا بالله ربهم أنهم لم يكونوا مشركين معه غيره، وذلك لأنهم قد رأوا أن المشركين لا يُغفَرُ لهم ولا يَنجون من عذاب الله.

♦ ثم أمر الله رسوله أن يتعجب من هذا الموقف المُخزي لهم، فقال له: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ حينَ تبرؤوا من الشِرك؟ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي ذهب وغاب عنهم ما كانوا يَزعمونه كَذِباً مِن شفاعة آلِهَتهم لهم عند الله تعالى.

الآية 25: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: يعني ومِن هؤلاء المشركين مَن يستمع إلى القرآن الذي تتلوه، فلا يصل إلى قلوبهم، لأنهم – بسبب اتِّباعهم أهواءهم : ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾: أي جعلنا على قلوبهم أغطية، حتى لا يفقهوا القرآن، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: أي وجعلنا في آذانهم ثِقلاً وصَمَمًا فلا تسمع ولا تفهم شيئًا، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: يعني وإن يروا الآيات الكثيرة الدالة على صِدق محمد صلى الله عليه وسلم، لا يُصَدِّقوا بها، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ﴾ أيها الرسول بعد معاينة الآيات الدالة على صِدقك: تَراهم ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ فـ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ - ظلماً وتكبراً –: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: يعني ما هذا الذي نسمعه إلا قصص السابقين وأباطيلهم، (وهذا مِن جَهلهم وعِنادهم، وإلاَّ، فكيف يكون هذا الكتاب المشتمل على الحق والعدل التام، أساطيرَ الأولين؟!).

الآية 26: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ يعني: وهؤلاء المشركون ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والاستماع إليه، ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾: يعني ويبتعدون بأنفسهم عنه، ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ﴾: أي وما يُهلكون – بصَدِّهم عن سبيل الله - ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يَسعون في هلاكها.

الآية 27، والآية 28: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ أيها الرسول هؤلاء المشركين يوم القيامة لرأيتَ أمراً عظيماً ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾: يعني حين يُحْبَسون على النار، ويُشاهِدون ما فيها من السلاسل والحميم، فلما رأوا بأعينهم تلك الأهوال والأمور العِظام: ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الحياة الدنيا، فنُصَدق بآيات الله ونعمل بها ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿بَلْ﴾: أي وما هم

www.alukah.net

بصادقين في ذلك القول، وإنما هي تمنيات تمنوها بسبب الخوف من نار جهنم، وبسبب فضيحتهم أمام أتباعهم حينَ ﴿بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾: يعني حين ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يَعلمونه مِن صِدق ما جاءت به الرسل في الدنيا (رغم أنهم كانوا يُظهرون لأتباعِهم خلاف ذلك)، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: يعني ولو فُرِضَ أنهم أُعيدوا إلى الدنيا فأمْهِلوا ليتوبوا من الشرك والمعاصي والعِناد: لَرَجَعوا إلى ما كانوا عليه، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم: (لو رُدِدْنا إلى الدنيا: لم نُكذبْ بآيات ربنا، وكنا من المؤمنين).

♦ وَمِن لطيف ما يُذكَرُ في قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾، أنني - شخصياً - قد رأيتُ في مَنامي بأنَّ القيامة قد قامت، وأنَّ الخلقَ واقفونَ في الظلام، ينتظرون العرضَ على اللهِ جَلَّ وَعَلا، فقلتُ - ما مَضمونه -: (هل سأُعْرَضُ الآنَ حقاً على اللهِ تعالى، ليحاسبني على كل صغيرةٍ وكبيرة، على كل نعمةٍ وكل ذنب، لا، أنا لستُ مستعداً الآن للقاء اللهِ جَلَّ وَعَلا، ياربِّ، أرْجِعْنِي إلى الدنيا مرة أخرى حتى أستقيمَ على طاعتِك، وأتوبَ من كل الذنوب، وأستعد للقائك)، وأخذتُ أتضرعُ إلى اللهِ تعالى حتى استيقظتُ من النوم، هنا فقط - بعد أن رَدَّ اللهُ عليَّ روحي - أدركتُ معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم - عندما كانَ يستيقظ مِن نومِه: (الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحي، وأذِنَ لي بذِكْره)، أدركتُ أنَّ كل يومٍ من عمري هو - ببساطة - فرصة عظيمة لاستدراك ما فات من الذنوب والعمل الصالح، وأنَّ المَوْتَى يَتمنونَ يوماً واحداً من أيامي، ولو يشترونه بالدنيا وما عليها، فأنتَ الآنَ في أمنيتهم، فاعملْ يا عبدَ اللهِ قبل أن تنامَ فلا تقوم.

الآية 29: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ﴾ أي ما الحياةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ التي نحن فيها، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد موتنا.

الآية 30: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ حال مُنكِري البعث يوم القيامة لرأيتَ منظراً هائلاً ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾: أي حين يُحْبَسون بين يدي الله تعالى لقضائه فيهم، ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ يعني: أليس هذا البعث - الذي كنتم تنكرونه في الدنيا - حقًّا؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ إنه لَحَقّ، ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: أي فذوقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا، بسبب جحودكم بعبادة الله تعالى وحده، وبسبب تكبركم عن الإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

الآية 31: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: أي أهْلَكوا أنفسهم في جهنم، حيث باعوا الإيمان بالكفر، والتوحيد بالشرك، والطاعة بالمعاصي، واستمر تكذيبهم ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: أي حتى إذا قامت القيامة فجأة وهم على أقبح حال، وفوجئوا بسوء المصير: أظهَروا غاية الندم، فـ ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾: يعني يا حسرتنا على ما ضيَّعناه في حياتنا الدنيا (فينادون حسرتهم زيادة في التألُّم والحزن)، وقد قالوا ذلك ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: أي أحمال ذنوبهم ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ (إذِ الوزر هو الحِمل الثقيل)، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: يعني فما أسوأ هذه الأحمال الثقيلة السيئة التي يحملونها!!

الآية 32: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ في غالب أحوالها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (واللعب: هو العمل الذي لا يَجلبُ دِرهماً للمعاش، ولا حسنة للمَعاد، وأما اللهو: فهو ما يُشغِلُ الإنسانَ عمَّا يُكسِبُهُ خيراً أو يَدفع عنه ضرراً)، ﴿وَلَلدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: أي والعمل الصالح لِلدار الآخرة خيرٌ للذين يَخشون اللهَ تعالى، فيتقون عذابه بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أيها المُغترون بزينة الحياة الدنيا، فتقدِّموا ما يَبقى على ما يَفنى؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 33: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾: أي إنا لَنعلم إنه ليُدْخِلُ الحزنَ إلى قلبك تكذيبُ قومك لك في الظاهر، فاصبر واطمئن ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في قرارة أنفسهم، بل يعتقدون صِدقك ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: أي ولكنهم - لِظلمهم وعِنادِهم - يَجحدون البراهين الواضحة على صدقك، فيكذبونك فيما جئتَ به.

♦ وقد ثبتَ أنّ الأخنَس بن شريق - قبل إسلامه - أتى أبا جَهلٍ، فقال له: (يا أبا الحَكَم، ما رأيك فيما سمعتَ مِن محمد؟)، فقال أبو جهل: (تنازعنا نحن وبنو عبد مَناف الشرف) - وبنو عبد مَناف هم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم مِن نَسْلِهِم - ، ثم قال أبو جهل موضحاً له التنافس الذي كان بينهم وبين بنو عبد مَناف: (أطعَموا فأطعَمنا، وحَمَلوا فحمَلنا، وأعطَوا فأعطينا، حتى إذا تجاثَيْنا على الرُكَب - (يعني حتى إذا اشتد السباق بيننا) - وكُنّا كَفرَسَي رَهَان، قالوا: مِنّا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى نُدرِك نحن هذه؟!، والله لا نؤمن أبداً ولا نصدقه)، فقام الأخنس وتركه.

الآية 34: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا﴾ ﴿وَأُوذُوا﴾ في سبيل الله، فصبروا على ذلك، واستمروا في دَعْوَتِهِم وجهادهم ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: والمقصود بكلمات الله هنا: ما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مِن وَعْدِهِ إياه بالنصر على مَن عاداه، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾: يعني ولقد جاءك أيها الرسول مِن خبر مَن كان قبلك من الرسل، وما تحقق لهم من نصر الله، وما جرى على مُكَذبيهم من انتقام الله منهم وغضبه عليهم، فليَكُن لك فيهم القدوة في الصبر، حتى يأتيك نصرنا على أعدائك، (وفي هذا تسلية وتصبير للرسول صلى الله عليه وسلم).

الآية 35: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ أي شَقَّ ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الاستجابة لدعوتك - وذلك مِن شدة حرصك عليهم - فأردتَ أن تأتيهم بآيةٍ تُرغِمهم على الإيمان برسالتك، كما يطلبون منك ويُلِحُّون عليك، وهم كاذبون، لأنهم لا يريدون إلا العِناد : ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾: يعني فإن استطعتَ أن تتخذ نفقاً في الأرض، أو مصعدًا تصعد فيه إلى السماء، فتأتيهم بعلامة وبُرهان على صحة قولك غير الذي جئناهم به حتى ترضيهم فافعل، فإنه لا يفيدهم ذلك شيئاً، وهذا ما لا تستطيعه لأنه فوق طاقتك فلا تُكَلَّف به، وليس في مقدورك أن تهدي مَن لم يُرد الله هدايته، وإذاً فما عليك إلا الصبر، وفي هذا قطعٌ لطمعه صلى الله عليه وسلم في هداية هؤلاء المعاندين.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ الذي أنت وأصحابك عليه، ولَوَفّقهم للإيمان، ولكنه لم يشأ ذلك لِحكمةٍ يعلمها سبحانه، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: أي فلا تقف موقف الجاهلين الذين لا يعرفون حقائق الأمور فاشتد بذلك حزنهم وحسرتهم، فلا تطلب ما لا يريده ربك ، فإنك إذا فعلتَ ذلك كنتَ من الجاهلين، ولا نريد لك ذلك، ولا يليق هذا بمثلك ، وهذا كلّه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وحَمْلٌ له على الصبر ، وهو لكلّ داعٍ إلى الله تعالى يُواجه التكذيب والعِناد إلى يوم الدين.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

3. تفسير الربع الثالث من سورة الأنعام

الآية 36: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ لِدَعْوَتِك أيها الرسول: ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ الكلام سماعَ القَبول، أما الكفار فهم كالموتى ، لأن الحياة الحقيقية إنما تكونُ بالإسلام، ﴿وَالْمَوْتَى﴾ جميعاً (مؤمنُهم وكافرهم، مَن استجابَ لدعوة الحق ومَن لم يَستجب) هؤلاء جميعاً ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ من قبورهم أحياء، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة لِيُوَفيهم حسابهم وجزاءهم.

الآية 37: ﴿وَقَالُوا﴾ – أي وقال المشركون استكبارًا وعِناداً - : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: يعني أفلا يُنَزِّلُ اللهُ علامة من العلامات الخارقة تدل على صِدق محمد؟، ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول - : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ﴾ عليهم ﴿آَيَةً﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ إنزالَ الآيات إنما يكون وَفْق حِكمتِهِ سبحانه وتعالى ، إذ إنه لو أنزلها ولم يؤمنوا بها، فقد يترتب على ذلك هَلاكهم ودَمارهم، ولكنّه سبحانه أراد الإبقاء عليهم ليخرج من أصلابهم مَن يَعبده ويُوَحِّده.

الآية 38: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني وليس هناك حيوان يَدبُّ على الأرض، ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ في السماء: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: أي مثل الأمَّة الإنسانية، تفتقر إلى الله تعالى في خَلقها ورزقها وتدبير حياتها، والله وحده هو القائم عليها، فالكل خاضعٌ لتدبيره تعالى.

♦ واعلم أن هذه المِثلية بين الإنسان وبين دَواب الأرض وطائر السماء تستوجب ألا يَظلم الإنسانُ الحيوانَ والطير، فلا يؤذيهما، ولا يتجاوز حدود ما أمره اللهُ فيهما.

♦ وقد ذَكَرَ اللهُ لفظَ (بِجَنَاحَيْهِ) في الآية للتأكيد على أن المقصود: الطير الذي يطير في السماء، لأن العرب كانت تطلق لفظ الطيران على غير الطائر، فتقول للرجل: (طِر في حاجتي) أي: أسْرِع في قضائها.

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾: يعني ما تركنا في اللوح المحفوظ من شيئٍ إلا أثبتناه، ﴿ثُمَّ﴾ إن هؤلاء الأمم ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة، فيُحاسِب المُكَلَّفين من الجن والإنس بما عملوا.

♦ واعلم أن المقصود بحشر البهائم: هو بَعْثها حيّة يوم القيامة – وإنْ كانَ القلم لا يجري عليها في الأحكام – ولكنها تؤاخَذ بما ظلمتْ به بعضها البعض، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم -: "لَتُؤَدَنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد – (يعني حتى يُقتصّ) – للشاة الجَلحاء - (أي التي لا قَرْنَ لها) – من الشاة القرناء"، ثم ثَبَتَ في حديثٍ آخر أنه بعد هذا القِصاص: تصيرُ الشاتان تراباً (انظر السلسلة الصحيحة ج 606/4)، وذلك حتى يَتحقق العدل التام يوم القيامة.

الآية 39: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا﴾: أي بحُجَجِنا الواضحة هم ﴿صُمٌّ﴾ فلا يسمعون ما ينفعهم، ﴿وَبُكْمٌ﴾ فلا يتكلمون بالحق، ولذلك فهم حائرون ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾: أي في ظلمات الكفر والشرك والمعاصي، وما ينتج عن ذلك من القلق والحيرة، واضطراب النفس، والخوف، والهمّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ثم أخبر سبحانه عباده بأنه ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ ﴾ إضلاله بِعَدْلِهِ وحكمته: ﴿يُضْلِلْهُ﴾، ﴿وَمَنْ يَشَأْ ﴾ هدايته بإحسانه وفضله: ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾: أي يُوفقه إلى الاستمساك بدين الإسلام الواضح الذي لا اعوجاج فيه، والمؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة، (وعلى هذا فمَن أراد الهداية والتثبيت فليطلبهما مِنه سبحانه – وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ – بصِدقٍ وتذلُّل، فإنه ما مِن قلبٍ إلا وهو بين يديه سبحانه، فإن شاء أقامَه وإن شاء أزاغَه).

الآية 40، والآية 41: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾: يعني أخبروني إن جاءكم عذاب الله وبلاؤه في الدنيا، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ التي تُبعَثون فيها والتي فيها عذاب يوم القيامة وشِدَّتُه: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ حينها لِكَشْف ما نزل بكم من البلاء والعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زَعْمكم أن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله تنفع أو تضر؟!

♦ ثم يقول الله تعالى لهم: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾: يعني بل – حينها – تدعون ربكم الذي خلقكم لا غيره، وتستغيثون به ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: أي فيُفرِّج عنكم ذلك البلاء العظيم النازل بكم ﴿إِنْ شَاءَ﴾ سبحانه ذلك، لأنه وحده القادر على كل شيء، وحينئذٍ: ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾: أي وعندها تنسون شركائكم فلا تدعونهم، لِيَأسكم من إجابتهم لكم، وذلك لِضعفهم وحقارتهم.

♦ وقد كان مُشركوا العرب يعبدون الأصنام في حال الرفاهية، وأما في حال الشِدَّة فإنهم يدعون الله وحده لِيَصرف عنهم العذاب والبلاء، وهذا من غريب أحوال الإنسان المشرك، أنه في حال الشدة الحقيقية يدعو الله وحده ولا يدعو معه هذه الآلهة الباطلة التي كان يدعوها في حال الرخاء والعافية.

الآية 42، والآية 43: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ رُسُلنا ﴿إِلَى أُمَمٍ﴾: أي إلى جماعاتٍ من الناس ﴿مِنْ قَبْلِكَ ﴾، فكانوا يأمرونهم بالإيمان والتوحيد والعبادة، فكذَّبوهم وعصوا أمرنا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾: أي فابتليناهم في أموالهم بالفقر وضِيق المعيشة، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: أي وابتليناهم في أجسامهم بالأمراض والآلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾: يعني وذلك رجاء أن يتذللوا لربهم في الدعاء، ويخضعوا له وحده بالعبادة، ويرجعوا إلى التوحيد بعد الشرك، والطاعة بعد العصيان.

♦ ولَمَّا لم يفعلوا ذلك، وَبَّخهم اللهُ بقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾: يعني أفلا يَتذللون لنا حينما جاءهم بلاؤنا لنكشفه عنهم؟، ﴿وَلَكِنْ﴾ حصل العكس، فقد ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك والمعاصي.

الآية 44، والآية 45: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: أي فلَمَّا تركوا العمل بأوامر الله تعالى وأعرضوا عنها: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فأبدلناهم بالفقر: رخاءً في العيش، وبالمرض: صحة في الأجسام، وذلك استدراجاً مِنَّا لهم، ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾: يعني حتى إذا تكبَّروا، واغترُّوا بما أعطيناهم من الخير والنعمة: ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾: أي أخذناهم بالعذاب فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾: أي فإذا هم يائسون من النجاة، متحسرون نادمون حيثُ لا ينفع الندم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: يعني فاستُؤصِلَ هؤلاء القوم عن آخرهم، وأُهْلِكوا حينما كفروا بالله وكذَّبوا رسله، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نُصرة أوليائه، وإهلاك أعدائه، فاذكر هذا - أيها الرسول - لقومك لعلهم يرجعون إلى رُشدهم، ويعودون إلى الحق الذي تدعوهم إليه وهم مُعرضون.

♦ وفي هذا تحذير لكل مَن يَغتر بنعمة الله عليه وهو ما يزالُ مقيماً على معصيته، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيت الله تعالى يعطي العبدَ من الدنيا ما يحب وهو مُقيمٌ على معاصيه: فإنما ذلك منه استدراج) (انظر صحيح الجامع حديث: 561).

الآية 46: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾: يعني أخبِروني إن أذهَبَ اللهُ سَمْعَكم فأصمَّكم، وذهب بأبصاركم فأعماكم، ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: أي وطبع على قلوبكم فأصبحتم لا تفهمون قولاً، ف ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾: يعني فأيُّ إلهٍ غير الله جل وعلا يقدر على رَدِّ ذلك لكم؟! والجواب: لا أحد، إذاً فكيف تتركون عبادة مَن يَملك سمعكم وأبصاركم وقلوبكم ويَملكُ كل شيء، وتعبدون ما لا يملك لكم شيئاً من ذلك؟! أيُّ ضلالٍ أبْعد مِن هذا؟! ثم قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: يعني انظر كيف ننوِّع لهم الحُجَج والأساليب لزيادة البيان، ولإظهار الحُجَّة، ﴿ثُمَّ هُمْ﴾ بعد ذلك ﴿يَصْدِفُونَ﴾: أي يُعرضون عن التذكر والاعتبار.

الآية 47: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾: يعني أخبِروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: أي فجأة، بدون علامةٍ تَسبقه، وأنتم في غفلةٍ من ذلك، ﴿أَوْ﴾ أتاكم ﴿جَهْرَةً﴾: يعني بعد مَجيء علامة تسبقه، وكان ظاهرًا أمامكم تنظرون إليه: ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ حينئذٍ ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الذين تجاوزوا الحد، فصرفوا عبادة الله تعالى لِمَن لا يستحقها؟ (وهذا استفهام يفيد التقرير وحَصْر الهلاك في أهل الظلم).

الآية 48، والآية 49: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ لأهل طاعتنا بالنعيم المقيم، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ لأهل المعاصي والشِرك بالعذاب الأليم ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ - من القرآن والمعجزات - فأولئك ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي يُصيبهم العذابُ يوم القيامة جزاءً ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

الآية 50: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين الذين يُعاندونك ويطلبون منك أشياءً لا تُطيقها : ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: يعني إني لا أدَّعي أني أملك خزائن السماوات والأرض، فأتصرف فيها وأعطيكم منها ما تطلبون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: أي ولا أزعُمُ أني أعلم الغيب حتى أخبركم بموعد العذاب الذي ينتظركم، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾: يعني وإنما أنا رسول من عند الله، أتبع ما يُوحِيه إليَّ، وأبلِّغ وَحْيَهُ إلى الناس، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: يعني هل يستوي الكافر الذي عَمِيَ عن آيات الله تعالى فلم يؤمن بها مع المؤمن الذي أبْصَرَ آيات الله فآمَنَ بها؟ ! ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في آيات الله لِتُبصروا الحق فتؤمنوا به؟ (وفي الآية دليلٌ على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب - إلا ما أعْلَمَهُ الله تعالى منه -، وأنه لا يملك التصرف في شيءٍ من هذا الكون).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 51: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾: أي وخوِّف بالقرآن المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾: أي الذين يعلمون أنهم سيُحشَرون إلى ربهم يوم القيامة، فهم مصدِّقون بوعد الله تعالى ووعيده، ويخافون عذاب ربهم ، ويعلمون أنه ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ﴾_ينصرهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم عنده تعالى، فيُنقِذهم من عذابه إلا بإذنه، فهؤلاء ينفعهم إنذارك بالقرآن، لأنهم مُتيَقنون بالانتقال من هذه الدار إلى دار القرار، فلذلك يَستصحبون معهم ما ينفعهم، ويتركون ما يَضرهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآَنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾، فإنْ أنذرتَ هؤلاء الخائفون من عاقبة ذنوبهم، فإنه يُرجَى لهم أن يتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

الآية 52: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: أي ولا تُبْعِد أيها النبي عن مُجالَسَتِك فقراء المسلمين الذين يعبدون ربهم أول النهار وآخره، و ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿وَجْهَهُ﴾: أي يريدون بأعمالهم الصالحة رضا الله تعالى وَجَنَّتِه، والنظر إلى وجهه الكريم.

♦ ومُبالَغةً في النهي عن ذلك، فقد قال تعالى له: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: يعني ما أنت بمسؤول عن خطايا هؤلاء الفقراء – إن كانت لهم خطايا –، إنما حسابهم على الله تعالى، ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: يعني ولا هم بمسئولين عنك، فلماذا تطردهم إذاً؟

﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: يعني فإن طَرَدتَهم وأبعدتَهم عن مُجالستك: فإنك تكونُ من المتجاوزين لحدود الله تعالى، الذين يضعون الشيء في غير موضعه، فلم يُبعِدهم النبي صلى الله عليه وسلم – امتثالاً لأمر ربه.

♦ واعلم أن سبب نزول هذه الآية أن بعض المشركين في مكة اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُبعد من مَجلسه فقراء المؤمنين – مثل بلال وعَمّار وصُهَيْب – حتى يجلسوا إليه ويسمعوا عنه، فقالوا له: (اطرد هؤلاء عنك حتى لا يَجْترئوا علينا)، فهَمَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك (رجاء هداية أولئك المشركين)، فنهاه الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾.

الآية 53: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾: أي وكذلك ابتلى اللهُ بعضَ عبادِهِ ببعض، وذلك باختلاف حظوظهم من الرزق والصحة وغير ذلك، فجعل بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا، وبعضهم قويًّا وبعضهم ضعيفًا، فبذلك جعل بعضهم يحتاج إلى بعض، وذلك اختبارًا منه تعالى لهم ﴿لِيَقُولُوا﴾: أي ليقول الكافرون الأغنياء: ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ الضعفاء الفقراء ﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية إلى الإسلام ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ ونحن الرؤساء وهم العبيد؟!، فرَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ الذين يشكرون نعمته، فيوفقهم إلى الهداية لدينه؟ والجوابُ: بلى، فالشاكرون هم المستحقون لإنعام الله عليهم بكل خير.

الآية 54: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِنَا﴾ لِيسألوك عن قبول توبتهم من ذنوبهم السابقة ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ أي بجهلٍ منه لِسُوء عاقبة هذا الذنب ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ أي وداوَمَ على العمل الصالح: ﴿فَأَنَّهُ﴾ سبحانه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

www.alukah.net

الآية 55: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي وبِمثل هذا البيان الذي بيَّنّاه لك: ﴿نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ﴾: يعني نُبَيِّن الحجج الواضحة على كل حقٍ يُنكِرُه أهل الباطل، ونُبَيِّن طريق الهدى من طريق الضلال، وذلك ليظهر الحق الذي ينبغي سلوكه، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي ولِتتبيَّنَ أيها الرسول – أنت وأمتك – طريق أهل الباطل الموصلة إلى سخط الله وعذابه، فإنَّ سبيل المجرمين إذا ظهرتْ واتضحتْ: أمْكَنَ اجتنابها، والبُعد عنها.

الآية 56: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ و ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: أي قد ضللتُ عن الطريق المستقيم إن اتَّبعتُ أهواءَكم.

الآية 57: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾: يعني على حُجَّةٍ واضحةٍ، وبصيرةٍ ويقينٍ من شريعة ربي التي أوحاها إليَّ، وذلك بوجوب توحيده وطاعته، وإفراده وحده بالعبادة، ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾: يعني وقد كذَّبتم بذلك كله، وكذَّبتم بالعذاب الذي أنذرتُكم به، و ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: يعني وليس في قدرتي إنزال العذاب الذي تستعجلونني به، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: أي وما الحُكم في تأخُّر ذلك إلا إلى للهِ تعالى، فكما أنه هو الذي حَكَمَ بالحُكم الشرعي فأمَرَ ونهى، فإنه هو الذي يَحكُم بالحكم الجزائي فيُثِيب ويعاقب، وذلك بحسب ما تقتضيه حِكمته، وقد أوضح لكم طريق الحق والباطل، إذ هو سبحانه ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾: أي يُخبِرُ بالحق إخباراً تنقطع به معاذير الخلق وحُجَجهم، وقد قصَّ عليكم أخبار السابقين المطالبين رسلهم بالعذاب، ورأيتم كيف حَلَّ بهم عذابه، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾: أي وهو خير مَن يَفصل بين الحق والباطل بقضائه وحُكمه وآياته.

الآية 58: ﴿قُلْ﴾ للمستعجلين بالعذاب جهلاً وعِناداً: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾: يعني لو أنني أملك إنزال العذاب الذي تستعجلونه لأنزلتُهُ بكم، و ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ بتدمير الظالم مِنّا، ولا خيرَ لكم في ذلك، ولكنَّ الأمر عند الحليم الصبور، الذي يَعصيه العاصون، وهو يعافيهم، ويرزقهم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ الذين تجاوزوا حَدَّهم فأشركوا معه غيره، ولا يَهلَكُ غيرهم، لأنهم هم المستوجبون للعذاب بظلمهم، فلذلك يُمهلهم، ثم يأخذهم أخْذَ عزيزٍ مقتدر.

****

4. تفسير الربع الرابع من سورة الأنعام

الآية 59: ﴿وَعِنْدَهُ﴾ جَلّ وعلا ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾: أي خزائن الغيب ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ ومنها: عِلم الساعة، ونزول المطر، وما في الأرحام، والكَسْب في المستقبل، ومكان موت الإنسان، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: أي كل ذلك مُثبَت في كتابٍ واضح، وهو اللوح المحفوظ.

الآية 60: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾: أي يقبض أرواحكم بالليل (بما يُشبِهُ قبضَها عند الموت)، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾: يعني ويعلم ما كَسَبْتم بجوارحكم في النهار مِن خيرٍ وشر، ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: يعني ثم يُعيد أرواحكم إلى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أجسامكم في النهار (وذلك باليقظة من النوم، بما يُشبه الإحياءَ بعد الموت)، فيُوقظكم سبحانه فيه ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾: يعني لتواصلوا العمل إلى نهاية آجالكم المُحَدَّدة في الدنيا ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، ثم يُجازيكم على تلك الأعمال.

الآية 61، والآية 62: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بذاته وصفاته، وكل شيء خاضعٌ لِجلاله وعظمته، فهو سبحانه ذو القهر التام والسلطان الكامل على الخلق أجمعين، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: أي ويرسل على عباده ملائكة، يحفظون أعمالهم ويُحْصونها، وهم الكِرام الكاتبون، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: أي حتى إذا نزلَ الموتُ بأحدهم: قبضَ روحَه مَلكُ الموت وأعوانه ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: أي وهم لا يُقصرون فيما أمرهم الله به مِن قَبْض الأرواح والحِفاظ عليها، وكذلك لا يتأخرون عن الموعد المحدد لهم في قبضها.

♦ ثم يُخبِرُ تعالى عباده بالأمر العظيم ، وهو الوقوف بين يدي المَوْلَى الحق الذي يجب أن يُعبَدَ دونَ سواه، وقد كَفَرَ أكثر الناس بنعمه وعصوه، وفسقوا عن أمره وتركوا طاعته، وأدهَى مِن ذلك: عبدوا غيره من مخلوقاته، فكيف يكونُ حسابُهم والحُكم عليهم؟ فيقول تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾: يعني ثم أعيد هؤلاء المُتَوَفون ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ - والمَوْلى هو السيد المالك - ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾: يعني ألاَ له القضاء والفصل يوم القيامة بين عباده، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ وذلك لكمال عِلمه سبحانه وحِفظه لأعمالهم، فحِسابُهُ يكونُ في أسرع مِن لَمْح البصر ، كما أنه يُقسِّم الأرزاق في الدنيا في مِثل ذلك، فهو – جل وعلا – لا يُشغِلُهُ حسابٌ عن حساب، ولا شيءٌ عن شيء.

الآية 63، والآية 64، والآية 65: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ﴾ مَخاوف ﴿ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾؟ أليس هو الله تعالى الذي ﴿تَدْعُونَهُ﴾ في الشدائد ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: أي متذللين له عَلانيةً وسرًّا، وتقولون: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا﴾ ربنا ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ المخاوف ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المعترفين بفضله، الحامدين له على فِعله، وذلك بعبادته وحده لا شريك له، ﴿قُلِ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿اللَّهُ﴾ وحده هو الذي ﴿يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ بعد ذلك ﴿تُشْرِكُونَ﴾ معه في العبادة غيره، فتعبدون أصنامكم وتقربون إليها الذبائح.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾ وحده ﴿عَلَى أَنْ يَبْعَثَ﴾: أي يُرسلَ ﴿عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ كالرَّجْم والصواعق، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالزلازل والخسف، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: يعني أو يَفتنكم، فتختلفوا أحزاباً، وتكونوا فِرَقًا متقاتلة، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أي بالقتال، وذلك بأن يَقتل بعضكم بعضاً، فتذيقَ كُلُّ طائفةٍ منكم ألمَ الحرب للأخرى.

﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: يعني انظر كيف نُنوِّع حُجَجَنا الواضحة لهؤلاء المشركين ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: أي لعلهم يفهمون فيعتبروا.

الآية 66، والآية 67: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾: أي وَكَذَّبَ الكفارُ مِن قومك بهذا القرآن المشتمل على الوعد والوعيد، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: يعني وهو الكتاب الصادق في كل ما جاء به، الثابت الذي لا يَضره التكذيب به، ولا يُمكن زواله.

www.alukah.net

♦ ولَمَّا كان صلى الله عليه وسلم خائفاً أن يَحصل له اللومَ من ربه بسبب تكذيب قومه له، قال تعالى - مُعلمًا له أنه ليس عليه لومٌ من تكذيبهم - : ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: أي لستُ عليكم بحفيظ ولا رَقيب ، وإنما أنا رسولٌ من الله أبلغكم ما أرسِلتُ به إليكم، (واعلم أن الوكيل هو مَن يُوَكَّل إليه الأمر ليُدَبِّرَه).

♦ ولَمَّا كان قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾، يُثيرُ سؤالَهم: فمتى يَنزلُ العذابُ إذاً؟، أجابهم تعالى بقوله: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾: يعني لكل خبرٍ من الأخبار التي أخبر الله بها – والتي تتضمن عذابكم - : وقتُ استقرارٍ ووقوعٍ وحصول لابد منه، وميعادٌ لا يتقدم عنه ولا يتأخر، فيَتبين عندهُ الصادق من الكاذب، والحق من الباطل، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أيها الكفار عاقبة تكذيبكم عند حلول العذاب بكم في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معًا، قال مُقاتِل رحمه الله: (منه – أي مِن هذا العذاب – في الدنيا: يوم بدر، وفي الآخرة: جهنم).

الآية 68، والآية 69: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ المشركين ﴿الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: أي الذين يتكلمون في آيات القرآن بالطعن والاستهزاء، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: أي فابتعد عنهم، وقمْ مُحتجاً على صنيعهم الباطل حتى يتحدثوا في حديثٍ آخر، ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾: يعني وإن أنساك الشيطان هذا الأمر ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾: أي فلا تقعد بعد التذكُّر ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الذين تكلموا في آيات الله بالباطل.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي وليس على المؤمنين المتقين من حساب هؤلاء المستهزئين من شيء، ﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أي ولكنْ عليهم أن يَعظوهم، وأن يقوموا عن ذلك المجلس، ليكون ذلك ذِكرى للمستهزئين حتى يَكُفوا عن ذلك الكلام الباطل، ورجاء أن يتقوا الله تعالى فيجتنبوا معاصيه.

♦ وفي الآية دليل على حُرمة الجلوس في مجالس يُسخَرُ فيها من الإسلام وشرائعه وأحكامه وأهله، وأنّ مُجالسة أهل الكبائر لا تجوز – خاصةً في حال فِعلهم للكبيرة، وعلى وجوب القيام – احتجاجاً – من أيّ مجلس يُعصَى فيه الله ورسوله.

الآية 70: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: أي واترك أيها الرسول هؤلاء المشركين الذين جعلوا دين الإسلام لعبًا ولهوًا مستهزئين بآيات الله تعالى، ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بزينتها.

﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾: أي وذكّر الناسَ بالقرآن، قبلَ ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾: يعني قبل أن تُحبَس نفس في النار بسبب ذنوبها وشِركها، و ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: يعني وليس لها ناصرٌ غير الله يُخلصها مما هي فيه، ولا شافع يَشفع لها عنده تعالى إلا بإذنه، ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾: يعني وإن تَفتَدِ بكل فداءٍ لا يُقبَل منها، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾: أي أولئك الذين حُبِسُوا في النار بسبب ذنوبهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ - والحميم هو الماء الشديد الحرارة الذي لا يُطاق- ، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

الآية 71، والآية 72: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: يعني أنعبد من دون الله تعالى أوثانًا لا تنفع ولا تضر؟ ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾: أي ونرجع إلى الكفر بعد هداية الله لنا إلى

الإسلام، فيكون مَثَلُنا – في رجوعنا من التوحيد إلى الشرك - ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾: أي كالذي فسد عقله بسبب إضلال الشياطين له، وتزيينها له باتباع هواه، فَضَلَّ ﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: أي تائهاً لا يدري أين يذهب، ولا مَن يَتَّبع، و﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾: يعني وله أصحاب عقلاء مؤمنون يدعونه إلى الطريق الصحيح الذي هم عليه فيمتنع عن إجابة دعوتهم؟!

♦ ولَمَّا كانت الهداية لا تقع إلا لِمَن شاء الله له الهداية، قال بعدها: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ الذي بعثني به ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ الحق، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾: أي وقد أُمِرنا بأن نُسلِم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وذلك بعبادته وحده لا شريك له، فهو رَبُّ كل شيء ومالِكُه، ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا﴾: أي وأُمِرنا بأن أقيموا ﴿الصَّلَاةَ﴾ بأركانها وشروطها وواجباتها وسُننها خالصةً لوجهه تعالى ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ في ذلك، فلا تؤدوا الصلاة على وجه اللعب ومجرد الحركات، بل على وجه التقوى والمراقبة، لأن الصلاة إذا أقيمت بخشوع، فإنها تنهى العبد عن فِعل الفحشاء والمنكر، فيؤدي ذلك إلى تقوى الله تعالى، فاتقوه – أيها الناس – بتوحيده في عبادته، وفِعل أوامره، واجتناب نواهيه، فهو سبحانه الذي ابتدأ خلقكم من طين، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

♦ واعلم أن هذه الجملة: ﴿ وأمِرْنا لِنُسْلِم لرب العالمين ﴾ تقابل قوله تعالى في نفس السورة: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

♦ واعلم أيضاً أن العطف الموجود في قوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ﴾ هو ما يُسَمَّى بـ (العطف على مَعنَى اللفظ) – وليس على نفس صيغة اللفظ – يعني كأنه تعالى قال: (وَأُمِرْنَا بأن نُسلم لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَبأَنْ نقيم الصَّلَاةَ وبأن نتقيه سبحانه)، واعلم أنّ (العطف على معنى اللفظ) مشهور في لغة العرب، وهذا كقوله تعالى في سورة "المنافقون": ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، والمعنى: (إنْ تُؤخّرني إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ: أصّدّقْ وأكُنْ مِنَ الصّالِحِين).

الآية 73: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ فلم يَخلقهما سبحانه عبثاً وباطلاً، بل خلقهما لِيُذكَر فيهما ويُشكَر، وليُعلِمَ عباده أن الذي خلق السماوات والأرض قادرٌ على أن يُحيي الموتى، وأنّ ذلك أهْوَنُ عليه سبحانه مِن خَلق السماوات والأرض.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: أي واذكر يوم القيامة حين يأمر الله تعالى الأرواح أن تُرَدّ في الأجساد بكلمة: "كن"، فيكونُ ذلك في لمح البصر أو هو أسرع من ذلك، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: أي قوله سبحانه هو الحق الكامل، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: يعني يوم يَنفخ المَلَك في "القرن"، إذ إنّ الصور: هو بُوق يُشبِهُ القرن، يَنفخ فيه إسرافيل عليه السلام النفخة الثانية التي تكونُ بها عودة الأرواح إلى الأجسام.

♦ وهو سبحانه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي الذي يعلم ما غاب عن حَواسِّكم – أيها الناس – ويعلم ما تشاهدونه، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الأمور في مواضعها، ﴿الْخَبِيرُ﴾ بأمور خلقه، فبهذا كان هو المعبود الحق الذي لا يجوز أن يُعبَد سواه.

www.alukah.net

♦ فإذا قال قائل: (قوْلُ اللهِ حقٌ في كل وقت، وقدرته كاملة في كل وقت، وهو مالِكُ كل شيء في الدنيا والآخرة، فلماذا خَصَّ يوم القيامة بصفات العِلم والقدرة والمُلك؟

والجواب - والله أعلم – أن هذا اليوم هو يومٌ لا يَملِكُ فيه أحدٌ نفعاً ولا ضراً لأحد، كما قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾، فهو يومٌ تنقطع فيه الأملاك، فلا يَبقَى مَلِكٌ إلا اللهُ الواحد القهار، فخَصَّ سبحانه مُلكَهُ بهذا اليوم لأنه الذي سيَحكم فيه على الخلائق بجنةٍ أو بنار ، وذَكَرَ أنه سبحانه (عالم الغيب والشهادة، وأنه الحكيم الخبير، وأنّ قوْله الحق) لإظهار عَدْلِهِ التام، وقدرته الكاملة على حساب الخلائق أجمعين في هذا اليوم، لأنه تعالى العليمُ بِسِرِّهم وعَلانيتهم، الخبيرُ بما في صدورهم، وذَكَرَ كلمة (كُن فيكون) لإظهار قدرته تعالى على البعث بعد الموت، وأنّ ذلك يسيرٌ عليه سبحانه.

****

5. تفسير الربع الخامس من سورة الأنعام

الآية 74: ﴿وَإِذْ﴾: أي واذكر حينَ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾: يعني أتصنعُ آلهةً من الأصنام لتعبدها من دون الله تعالى؟! ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في ضلالٍ واضح عن طريق الحق.

الآية 75: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: يعني وكما هدينا إبراهيم عليه السلام إلى الحق في أمر العبادة : ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي نُريه ما تَحْويهِ السماواتُ والأرضُ من مُلك اللهِ العظيم، وقدرته الباهرة، ﴿وَلِيَكُونَ﴾ بذلك التفكر والاستدلال ﴿مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾: أي من الراسخين في إيمانهم بالله تعالى، وبأنه وحده المستحق للعبادة دونَ سواه، إذ إنه بقيام الأدلة: يَحصل اليقين، (واعلم أن اليقين هو أعلى مراتب الأيمان).

الآية 76: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: أي فلما أظلم الليلُ على إبراهيم عليه السلام: ناظَرَ قومه ليُثبت لهم أنَّ دينهم باطل، (وكانوا قوماً يعبدون النجوم والكواكب، ويصنعون لها أصناماً بأسمائها، ثم يعبدونها – اعتقاداً منهم – أنها تقربهم إلى الله تعالى)، فلمَّا ﴿رَأَى كَوْكَبًا قَالَ ﴾ - مُستدرجاً قومه لإلزامهم بالتوحيد - : ﴿هَذَا رَبِّي﴾، فهيا ننظر، هل يستحق العبادة أم لا؟ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: أي فلَمَّا غاب الكوكب: ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾: أي لا أحب الآلِهة التي تغيب.

الآية 77: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾: أي طالِعًا ﴿قَالَ﴾ لقومه: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: أي فلما غاب القمر: ﴿قَالَ﴾ - مُفتقِراً إلى هداية ربه - : ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾: يعني لئن لم يوفقني ربي إلى الصواب في توحيده: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ بعبادة غيره.

الآية 78، والآية 79: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ ﴾ لقومه ﴿هَذَا رَبِّي﴾ (هَذَا أَكْبَرُ ﴾ من الكوكب ومن القمر، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾: أي فلما غابت الشمس: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وبذلك واجَهَ إبراهيم قومه بالحقيقة التي أراد أن يوصلها لهم، وهي إبطال عبادة غير الله تعالى، فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: يعني إني أخلصتُ قصدي وتوجُّهي لله الذي خلق السماوات والأرض، وانقدتُ له بجميع جوارحي، ولستُ كما توجهون أنتم وجوهكم لأصنامٍ صنعتموها بأيديكم، وعبدتموها بأهوائكم، لا بأمر ربكم، (واعلم أنه قد خَصَّ الوجه لأنه أكرم وأشرف الجوارح، وبه يَحصل التوجُّه إلى كل شيء)، فإذا خضع وَجْهُهُ لله، خضعتْ له جميع جوارحه، فلا يُشرك بعبادته أحدًا، ﴿حَنِيفًا﴾: أي مائلاً عن الشرك إلى التوحيد، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ معَ اللهِ غيره.

الآية 80: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾: أي وجادله قومه في توحيد الله تعالى، فـ ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾: يعني أتجادلونني في توحيدي لله بالعبادة، وقد وفقني إلى معرفة وحدانيته، فكيف أتركه وأنا على بينةٍ منه سبحانه وتعالى؟، وكيف يَصِح منكم الجدال في ترْك عبادة الله وحده، وعبادة ما سواه من الآلهة المزعومة، التي لم تخلق شيئاً، والتي لم تنفع مَن عَبَدها، ولم تضر مَن ترَكَ عبادتها؟

♦ فلمَّا تبرأ مِن آلهتهم: خوَّفوه بها وذكروا له أنها قد تصيبه بمكروه، فرَدَّ عليهم قائلاً: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾: يعني وإن كنتم تخوِّفونني بأصنامكم أن تُوقِع بي ضررًا فإنني لا أخافها، ولن تضرني ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ واعلم أنه قد قال هذه الجملة احتياطاً منه للتوحيد، إذ إنه من الجائز أن يتعثر أمامهم في حجر، أو تشُوكه شوكة، أو يمرض بسببٍ أو بآخر، فيقولون له: (هذه آلهتنا قد أصابتك لأنك تَسُبُّها)، فيكون رَدُّهُ عليهم بأن الله هو الذي شاء ذلك الضرر وقدَّره، ويُحتمَل أن يكون المعنى: (إلا أن يشاء ربي أن يصيبني بشيءٍ أخافه مِن جهة تلك المخلوقات بسبب ذنبٍ فعلتُه، مِثل أن يرجمني بكوكب، أو بشيءٍ من الشمس أو القمر، أو غير ذلك مما لا أعلمه، ويَعلمه ربي)، فقد ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، ثم وبَّخهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ وتتفكرون بعقولكم، فتعلمون أنَّ ما أنتم عليه هو الباطل، وأنه تعالى هو وحده المستحق للعبودية؟!

الآية 81، والآية 82: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾: يعني وكيف أخاف أصنامكم، وهي حجارة جامدة، لا تنفع ولا تضر لِعجزها وحقارتها وضعفها؟!، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: يعني وأنتم لا تخافون ربكم الحق، المُحيي المُميت، الفعَّال لما يريد، الذي خلقكم، وخلق حجارتكم التي أشركتموها معه في العبادة، مِن غير حجةٍ لكم على ذلك إلا اتِّباع الهوى؟

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ من عذاب اللهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟ (فريق المشركين أم فريق الموحدين)؟، ثم حَكَمَ اللهُ تعالى بينهم فقال: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: أي الذين صدَّقوا بالله ورسله وعملوا بشرعه، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: يعني ولم يَخلِطوا إيمانهم بشِرك، (إذ المقصود بالظلم هنا هو الشرك، كما قال تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، طبعاً إلا مَن تاب من الشرك قبل موته، وقَبِلَ اللهُ توبته)، فـ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهو الإسلام، وذلك لانقيادهم للحق حيثُ كان، وأنتم ضالون عن ذلك لاتباعكم لأهوائكم.

الآية 83: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾: يعني وتلك الحُجَّة التي غَلَبَ بها إبراهيمُ قومَه هي حُجَّتنا التي وفقناه إليها حتى انقطعتْ حُجَّتهم، وكما رفعنا منزلة إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ من عبادنا،

www.alukah.net

فإن العلم يَرفع اللهُ به صاحبه فوق العِباد درجات ، خاصةً العالِم العامل المُعَلِّم، فإنه يجعله اللهُ إماماً للناس، وهذا تقريرٌ منه سبحانه بأنه فضَّل إبراهيم على غيره بالإيمان واليقين والعِلم المُبين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في تدبير خلقه واصطفائهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق ذلك الاصطفاء والاختيار.

♦ وقد قيلَ إن هذه الحُجَّة التي أعطاها الله لإبراهيم هي قولهم له: (أمَا تخافُ أن تُخْبِلَكَ آلهتنا - أي تصيبك بالجنون - لِسَبِّكَ إياها؟) فقال لهم: (أفلا تخافون أنتم منها إذ سَوَّيتم بين الصغير والكبير في العبادة، فَيَغضب الكبير فيُخبِلَكم؟).

الآية 84، والآية 85، والآية 86: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ابنًا ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ حفيدًا، ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾: أي ووفَّقنا كُلاً من إسحاق ويعقوب لسبيل الرشاد، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾: أي وكذلك وفَّقنا للحق نوحًا، وذلك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾: أي وكذلك وفّقنا للحق من ذرية نوح: ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ عليهم السلام، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: يعني وكما جزينا هؤلاء الأنبياء لإحسانهم: نجزي كل مُحسنٍ في عبادته لله.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾ هديناهم كذلك ، و ﴿كُلٌّ﴾: يعني وكُلّ هؤلاء الأنبياء جعلناهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ هديناهم كذلك، ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: يعني وكُلّ هؤلاء الرسل فضَّلناهم على أهل زمانهم.

الآية 87: ﴿وَمِنْ آَبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾: يعني وكذلك وفَّقنا للحق مَن شِئنا هدايته من آباء هؤلاء الرسل وأبنائهم وإخوانهم، ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: أي واخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى مَن أرسلناهم إليهم، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: يعني وأرشدناهم إلى طريقٍ صحيح، لا عِوَجَ فيه، وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك.

الآية 88: ﴿ذَلِكَ﴾ الهدى هو ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ الذي ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعني وإنَّ هؤلاء الأنبياء - على كمالهم وعُلُوّ درجاتهم - لو أشركوا بربهم، فعبدوا معه غيره: لَبَطَلَ عَمَلُهم كله، لأنَّ اللهَ لا يَقبلُ مع الشِرك عملاً، (وهذا على سبيل الفرْض، لأنّ الرُسل معصومون، ولكنْ ليكون هذا عِظة وعبرة للناس).

الآية 89: ﴿أُولَئِكَ﴾ الأنبياء الذين أنعمنا عليهم بالهداية والنبوة هم ﴿الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ كصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، ﴿وَالْحُكْمَ﴾: أي وآتيناهم فَهْمَ هذه الكتب، والإصابة وسداد الرأي، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: أي واخترناهم لإبلاغ وَحْينا، ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾: يعني فإن يجحد الكفارُ من قومك بآيات القرآن وما تَحمله من شرائع وأحكام وهداية: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: أي ألزَمْنا بالإيمان بها وبمراعاتها ﴿قَوْمًا﴾ آخرين - أي: المهاجرين والأنصار وأتْباعهم إلى يوم القيامة - وهؤلاء ﴿لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ بل مؤمنونَ بها، عاملونَ بها.

الآية 90: ﴿أُولَئِكَ﴾ الأنبياء المذكورون هم ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: أي وفقهم الله تعالى لدينه الحق، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾: يعني فاتبع هداهم أيها الرسول في نفي الشرك وإثبات التوحيد، واسلك سبيلهم في الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ واعلم أنّ الهاء التي في كلمة: (اقتدِهِ) تسمى هاء السَكْت، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾، ويكون تقدير هذه الهاء: (فبهداهم اقتدِ الاقتداء الكامل التام)، والله أعلم.

﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين المكذبين بنبوتك وكتابك: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: أي لا أطلب منكم مالاً مقابل تبليغ القرآن لكم، حتى لا يكون ذلك من أسباب امتناعكم، وإنما أمِرْتُ أن أقرأه عليكم لهدايتكم، و ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾: أي وما القرآن إلا موعظة للعالمين، يتعظون بها إن هم أنصتوا له وتدبروه، وتخلَّوا عن أهوائهم، وأرادوا الهداية إلى الحق، وطلبوها من الله بصدق.

الآية 91: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: أي وما عَظَّم هؤلاء المشركون اللهَ حق تعظيمه، وكذلك لم يعظمه اليهود ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأن هذا افتراءٌ عظيمٌ عليه سبحانه بأنه يترك عباده لا يأمرهم بما فيه صلاحهم، ولا ينهاهم عما فيه خُسرانهم، فمَن قال ذلك، لم يَعرف ربه حقَّ معرفته، ولم يعرف جلاله وعظمته، ولا رحمته وحِكمته، وبهذا ما قدروا الله حق قدره.

﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: إذا كان الله لم يُنزل شيئاً على عباده، فـ ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾؟ ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾: أي تجعلون هذا الكتاب في أوراق متفرقة، ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: يعني تظهرون بعضها، وتكتمون كثيرًا منها، وذلك بحسب أهوائكم وأطماعكم، (ومِن ذلك كِتمانكم لصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبُوّته الموجودة في التوراة)، ﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾: يعني وعَلَّمَكم اللهُ يا معشر العرب بالقرآنِ - الذي أنزله عليكم، والذي فيه خبر مَن قبلكم ومَن بعدكم، وما يكونُ بعد موتكم – ما لم تعلموه أنتم ولا آباؤكم، وكذلك عَلَّمَكم أيها اليهود بالتوراة مَا لَمْ تكونوا تعلمون أنتم وآباؤكم الأقدمون، ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ﴾ هو الذي أنزل التوراة على موسى، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾: أي ثم اتركهم في حديثهم الباطل يلعبون.

♦ واعلم أنه قد ثبت عن سعيد بن جُبير رحمه الله أن هذه الآية نزلت في أحد أحبار اليهود ويُدعَى (مالك بن الصَّيف)، حينما جاء يجادل النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: (أَنْشُدُك بالذي أنزل التوراة على موسى، أمَا تجد في التوراة أن الله يُبغض الحَبْر السّمين؟) – وكان هذا الحبرُ سميناً – فغضب من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: (واللهِ ما أنزلَ الله على بشرٍ مِن شيء)، فقال له أصحابه الذين معه: (وَيْحَك، ولا على موسى؟) فقال: (واللهِ ما أنزل الله على بَشَرٍ من شيء)؛ فنزلتْ هذه الآية، فلما عاد هذا الحبر إلى قومه قالوا له: (ويلك، ما هذا الذي بلغَنا عنك؟)، فقال: (إنه أغضبني)، فعزله اليهود بسبب هذا الكلام عن رياستهم، وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف.

الآية 92: ﴿وَهَذَا﴾ القرآن هو ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: أي عظيم النفع، و ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي وهو مُصدِّقٌ لما تقدَّمه من الكتب السماوية، ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: يعني وأنزلناه لِتُخوّفَ به أهل "مكة" من عذاب الله، وكذلك تخوِّف به مَن حول مكة من المدن والقرى القريبة والبعيدة، لِتنذرهم عاقبة الكفر والضلال، فإنها الخُسران التام والهلاك المبين، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: يعني وأمَّا الذين يُصدقون بالحياة الآخرة، فهم يُصدقون بأن القرآن كلام الله،

www.alukah.net

لأنّ مَن صَدَّقَ بالآخرة، وعَلِمَ أن الله لم يَخلق شيئاً عبثاً: خاف العاقبة ، ولا يزال الخوف يَحمله على النظر والتدبر حتى يُؤمن بالقرآن، وذلك لوضوحه، وقوة حُجَّته، وتوافقه مع الفطرة السليمة ، ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾: أي وهؤلاء المؤمنون يحافظون على إقامة الصلاة في أوقاتها المُحددة في جماعة المسلمين، (واعلم أن الله تعالى قد خَصَّ الصلاةَ بالذِكر، لأنه إذا صَحَّتْ الصلاة: صَحَّ سائر العمل).

الآية 93: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: أي ومَن أشدُّ ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ فزعَمَ أنه لم يَبعث رسولاً من البشر، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: يعني أو زعم كذبًا أن الله أوحى إليه، ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، وكذلك: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: أي زعم أنه قادرٌ على أن يُنزل مثل ما أنزل الله من القرآن، فمَن أشدُّ ظلماً من هؤلاء؟ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ ﴾: يعني ولو أنك أيها الرسول أبصرتَ هؤلاء الظالمين وهم ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾: أي في شدائد الموت التي غمرتهم لرأيت أمرًا عظيمًا، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ - الذين طلب الظالمون إنزال بعضهم على وجه الظهور لهم، وأخبرناهم أنهم لا ينزلون إلا لِفصل الأمور وإنجاز المقدور – يقبضون أرواحهم الآن، وهم ﴿بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ بالضرب ونزع الروح، قائلين للمحتضرين – تعجيزاً لهم، وتشديداً في الإزهاق من غير تنفيسٍ أو إمهال – : ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾: أي خَلِّصوها من هذا العذاب إن أمْكَنَكُم، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ يعني: اليوم تذوقون عذاب الذل والمَهانة، وذلك ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: أي وبما كنتم تستكبِرونَ عن الانقياد لآيات الله تعالى.

♦ واعلم أن في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ إثباتٌ لعذاب القبر، لأن هذا اليوم – المذكور في الآية – هو اليوم الذي تخرج فيه أرواحهم، فيُعذبون في قبورهم – عذاب الهُون – من هذا اليوم إلى قيام الساعة.

الآية 94: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للحساب والجزاء ﴿فُرَادَى﴾: أي بمفردكم، فليس معَ أحدِكم مالٌ ولا رجال ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي كما أوجدناكم في الدنيا أول مرة حُفاة عُراة، ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾: يعني وتركتم ما أعطيناكم – من مالٍ ومتاع – في دار الدنيا فلم تأخذوها معكم، ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾: يعني وما نرى معكم في الآخرة أصنامكم التي كنتم تعتقدون أنها تشفع لكم، وتَدَّعون كذباً أنها شركاء مع الله في استحقاقها لعبادتكم، ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: أي لقد تقطعتْ الصِلات التي كانت بينكم في الدنيا، فتقطَّع ما كنتم فيه من الشِركةِ بينكم، فلم يَدفع عنكم شركاؤكم شيئاً من عذاب الله ، ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾: أي وغاب عنكم ما كنتم تَدَّعون من أن آلهتكم سوف تشفع لكم عند الله، بل حصلَ لكم الضررُ منها، مِن حيثُ ظننتم نفْعَها، وظهر أنكم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

****

6. تفسير الربع السادس من سورة الأنعام

الآية 95: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ يعني: إن الله تعالى هو – وحده – الذي يَشُقّ الحَب فيَخرج منه الزرع، ويَشُق النَّوَى فيَخرج منه الشجر والنخل، وهو سبحانه الذي ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ كإخراج الزرع من الحَب، والمؤمن من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الكافر، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾: أي وهو سبحانه مُخرِجُ الميتِ من الحي، كإخراج البيض من الدجاج، والكافر من المؤمن، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: فاعلُ ذلك كله هو الله سبحانه تعالى، المستحق وحده للعبادة، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: يعني فكيف تُصْرَفون عن توحيد الله تعالى - الذي هذه قُدْرَته - إلى عبادة مَن لا يَخلق شيئاً؟

♦ واعلم أن الله تعالى قال: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ ولم يقل: ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، لأنّ اللفظ: ﴿مُخْرِجُ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿فَالِقُ﴾، ولذلك جاء بنفس صيغته (أي بصيغة المَصدر)، ولم يأتِ بصيغة الفِعل، وأما قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾، فهو كالبيان والتفسير لقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾، لأنّ فلْق الحب والنوى ﴿اليابِسَيْن﴾ وإخراج النبات والشجر منهما: هو صورة من صور إخراج الحي من الميت، ولذلك جاء بصيغة الفِعل للتفسير والبيان.

الآية 96: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ يعني: واللهُ تعالى هو - وحده - الذي يَشُقّ ضياء الصباح من داخل ظلام الليل، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾: أي وجعل الليلَ مُستقرّاً، ففيه يَسكن الناس ويَخلدون للراحة، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾: أي وجعل الشمس والقمر يَجريان في أفلاكهما بحسابٍ مُتقنٍ مُقدَّر، لا يتغير ولا يضطرب، حتى يَعرفَ الناسُ أوقات الأيام والليالي والشهور والسنين، وما يتوقف على ذلك مِن عباداتٍ وأعمالٍ وآجالٍ وحقوق، (واعلم أن الحُسبان: جمع حساب، مثل: شِهاب وشُهبان)، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: أي ذلك إيجاد وتنظيم العزيز الغالب على أمره، العليم بأحوال عباده وحاجاتهم، وقد فعل ذلك مِن أجْلِهِم، فكيفَ إذاً لا يستحق عبادتهم له؟!

الآية 97: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ علاماتٍ ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: أي لتعرفوا بها الطرق ليلاً إذا ضللتم بسبب الظلمة الشديدة في البر والبحر حتى لا تهلكوا، فهي نعمةٌ لا يَقدرُ على الإنعامِ بها إلا اللهُ تعالى، فلماذا إذاً يُعبَدُ غيرُه؟! ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾: أي قد بَيَّنَّا الحُجَج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، فبذلك أخبر تعالى عن نعمةٍ أخرى، وهي تفصيله للآيات وإظهارها، لينتفع بها العلماء الذين يميزون - بنور العلم - بين الحق والباطل، ولِيُعلموها للناس.

الآية 98: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾: أي ابتدأ خَلْقكم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهي نفس آدم عليه السلام (أبو البشر)، إذ خَلَقه من طين، ثم كنتم أنتم سُلالةً منه، وذلك بأنْ خَلَقكم من آدم وحواء بالتناسل، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: أي فجعل لكم مُستَقَرّاً تستقرون فيه، وهو أرحام النساء، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: أي وجعل لكم مُستودَعًا تُحفظُون فيه، وهو أصلاب الرجال (أي ظهورهم)، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾: أي قد بَيَّنَّا الحجج والأدلة، وأظهرناها ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾: أي لقومٍ يفهمون مواقع الحُجَج، ومواضع العِبَر، وأسرار الأشياء، فيهتدون بذلك لِمَا هو حَقّ وخير، ولِتقوم لهم الحُجَّة على أنه تعالى هو الإله الحق، دونَ غيره مِن سائر مخلوقاته.

الآية 99: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو ماء المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِمَّا يأكل الناس والأنعام، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾: أي فأخرجنا من ذلك النبات زرعًا وشجرًا أخضر، ثم ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾: أي ثم نُخرِجُ مِن هذا النبات الأخضر: حَبًّا يَركب بعضه بعضاً، كَسَنابل القمح والأرز والذرة، وغير ذلك.

www.alukah.net

♦ واعلم أن الله تعالى قال : ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ بضمير الْمُتكَلِّم الْجَمْعِي، بعد أن قال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ بضمير الْواحد الْمُفْرَد – وهو ما يُعرَف في اللغة بأسلوب الالتفات - لِيجعل الأذهان تلتفت إلَى أهمية ما هو آتٍ، فَتَتنبَّه إلى أنّ هذَا الإخراج البديع والصُنع المُتقَن: هو مِن فِعل البديع الْخَلاَّق جَلَّ وعَلا، ولَمَّا كان الماءُ واحداً، والنباتُ جَمعاً كثيراً: ناسَبَ ذلك إفراد الفِعل: ﴿أَنْزَلَ﴾، وجَمْع الفِعل: ﴿أَخْرَجْنَا﴾، ومعلومٌ أن الواحد إذا قال: ﴿ فَعَلْنَا﴾ أَرادَ الإفادَة بتعظيم نَفسِهِ (إذا كانَ مقامُهُ أهلاً لذلك)، كما يقول الملك أو الأمير في خطابه: (قرَّرْنا نحن، أو أمَرْنا نحن بكذا وكذا)، واعلم أنه قد أتى بالفعل المضارع : ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ بعد أن كان سياق الآية بصيغة الماضي، لاستحضار صورته العجيبة في حُسنها وانتظامها.

♦ واعلم أن الله تعالى قد وصف الحبوب بأنها متراكبة، إشارةً إلى أنها لا تختلط (بل هي متفرقة، مع أنها تخرج من أصلٍ واحد)، وإشارةً أيضاً إلى كثرتها – وذلك لينتفع بها العباد بالأكل والبيع والادِّخار – رغم أن البذرة واحدة، فلله الحمدُ والمِنَّة.

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا ﴾: أي وأخرج سبحانه مِن طَلْع النخل (وهو الوعاء الذي يخرج منه البلح)، وهو الذي يُطلِق عليه المُزارعون لفظ: (الطَرْح)، وهذا خطأ والصحيح أن اسمه: (الطَلْع)، فيَخرج من هذا الطلع ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾: أي ثمراً قريبَ التناول، (هذا في النخلة القصيرة، إذ يتناول المرءُ ثِمارها لمدة عشر سنوات بيديه وهو واقفٌ عندها، فإن طالت النخلة وارتفعت، فإنه يجد فيها أماكن بارزة يَسهُل الصعود عليها).

﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾: أي وأخرَجَ سبحانه بهذا المطر بساتين من أعناب، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾: أي وأخرج شجر الزيتون والرمان الذي يتشابه في ورقه وشجره، ويختلف في ثَمَرِهِ (شكلاً ولوناً وطعمًا)، واعلم أن الله تعالى قد خَصَّ هذه الأشجار بالذكر (العنب والزيتون والرمان) دونَ سائر الأشجار، لكثرةِ منافعها وعظيمِ فوائدها.

♦ ثم أمَرَ سبحانه عباده بالتفكر في ذلك الزرع، فقال: ﴿انْظُرُوا﴾ نظر تفكُّر واعتبار ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾: أي إلى ثمر الأشجار كلها، وخصوصاً النخل ﴿إِذَا أَثْمَرَ ﴾، ﴿وَيَنْعِهِ﴾: أي وانظروا إلى نُضجه واستوائه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ﴾: أي إنَّ في ذلك المذكور كله ﴿لَآيَاتٍ﴾: يعني لَدَلالاتٍ على كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى وحكمته ورحمته، وعنايته بعباده، ووجوب عبادته وحده.

♦ ولكنْ ليس كل الناس يَعتبرون ويتفكرونَ في آيات الله تعالى، ويُدركون المقصود منها، ولهذا قيَّدَ تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقط، فقال: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وذلك لأنهم أحياء، يَعقلون ويَفهمون، أما غيرهم من الجاحدين فإنهم أموات، وذلك لِمَا تراكَمَ على قلوبهم من الشرك والمعاصي، فهم لا يعقلون ولا يفهمون، فكيف لهم أن يجدوا في تلك الآيات ما يَدُلُّهم على توحيد ربهم عز وجل؟!

الآية 100: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: أي ورغم كل هذه الأدلة التي تستوجبُ توحيدَ الله تعالى والانقياد لأوامره، فقد جعل هؤلاء المشركون الجنَّ شركاءَ لله تعالى في العبادة، اعتقادًا منهم أنهم ينفعون أو يضرون، ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: أي وقد خلقهم الله تعالى من العدم، هُم والجن الذين يعبدونهم، فهو سبحانه المُتفرِّد بالخَلق وحده، فيجب إفرادُهُ أيضاً بالعبادة، ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي ولقد نسب هؤلاء المشركون البنين والبنات إليه تعالى، كَذِباً وجَهلاً منهم بما له مِن صفات الكمال
﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي تَنزَّه اللهُ وتَبَرّأ عما نسبه إليه المشركون من ذلك الافتراء.

الآية 101، والآية 102: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعني واللهُ تعالى هو الذي أوجَدَ السماوات والأرض وما فيهنّ على غير مثالٍ سابق، ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾: يعني كيف يكونُ للهِ ولدٌ وهو ليس له زوجةٌ أصلاً، إذِ الولد لا يكون إلاّ من زوجة، والتوالُد لا يكونُ إلا بين ذكر وأنثى، وذلك لِحفظ النوع وعمارة الأرض، بل ولعبادة اللهِ تعالى بذِكْرِهِ وشُكرِه، أما اللهُ تعالى فهو خالق كل شيء، ولذلك قال بعدها: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فكل ما في السماوات والأرض مِلْكُه وعبيده، فكيف يكونُ له منهم زوجة أو ولد؟!

♦ فهذا أكبر دليل على بُطلان نسبة الولد لله تعالى، إذ هو خالقُ كل شيء، فهل يُقالُ لِمَن خَلَقَ شيئاً أنه وَلَدُهُ؟! لو صَحَّ هذا لقالوا لِكُلّ مَن صَنَعَ شيئاً إنه أبو المصنوع، ولا يوجد قائلٌ بهذا أبداً، إذَن فأيُّ معنى لِنسبة الولد إليه سبحانه، إلا تزيين الشياطين للباطل حتى يقبله أولياؤهم من الإنس؟!، فسبحان مَن لا يحتاجُ إلى ولدٍ أو زوجةٍ كما يحتاج البشر، وسبحان الغني القوي، الذي ليس كمثله شيءٌ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكُمُ﴾ - أيها المشركون – هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي لا معبودَ بحقٍ سواه، فهو سبحانه ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾: أي فاخضعوا له وحده بالطاعة والعبادة، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ والوكيل هو مَن يُوَكَّل إليه الأمر لِيُدَبِّرَه.

الآية 103، والآية 104: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾: أي لا تُحيطُ الأبصارُ به سبحانه، إذ رؤيته تعالى مُتعذِّرةٌ في الدنيا، وقد طلبها موسى عليه السلام ولم يُدرِكْها، وذلك لِعَجْزِ الإنسان عن رؤية اللهِ تعالى بهذه الأبصار المحدودة في الدنيا، ولِذا يراه المؤمنون في الجنة رؤية بَصَرية حقيقية، ويتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم -: (إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، يقول اللهُ تعالى: ﴿ تريدون شيئاً أَزِيدُكُم﴾؟، فيقولون: (ألم تُبَيِّضْ وجوهنا؟ ألم تُدخِلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار؟)، فيُكشَفُ الحجاب، فما أُعْطوا شيئاً أحَبّ إليهم من النظر إلى ربهم)، وقال صلى الله عليه وسلم – كما في الصحيحيْن -: (إنكم سَتَرَوْنَ ربكم كما ترون القمر، لا تُضامُون في رؤيته – (أي لا يَصعُب عليكم رؤيته) – ، فإن استطعتم ألاَّ تُغلَبوا على صلاةٍ قبلَ طلوع الشمس – (وهي الفجر) – وصلاةٍ قبلَ غروب الشمس – (وهي العصر) – فافعلوا)، وفي هذا الحديث تحذيرٌ لكل مَن يُضَيِّع صلاة الفجر والعصر – فيُصلي الفجر بعد شروق الشمس، أو يصلي العصر بعد أذان المغرب – مِن أن يُحرَم مِن لذة النظر إلى وجه الله الكريم.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ويُحيط بها، ويَعلمها على ما هي عليه، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: أي الرفيق بأوليائه، ومِن لُطفِه تعالى أنه يسوقُ إلى عبده ما فيه صلاح دينه بالطرق التي لا يعرفها، ويُوصله إلى السعادة الأبدية مِن حيثُ لا يحتسب، حتى إنه تعالى يُقَدِّر عليه الأمور التي يَكرهها العبد ويتألم منها، وذلك لِعلمه سبحانه أنّ كمالَ عَبْدِهِ متوقف على تلك الأمور ، فسبحان اللطيف لِمَا يشاء، الرحيم بالمؤمنين، ﴿الْخَبِيرُ﴾ الذي يعلم دقائق الأشياء، ظاهرها وباطنها.

www.alukah.net

♦ ثم قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي قد جاءتكم براهين ظاهرة تُبصِرونَ بها الهدى من الضلال، مِمَّا اشتملتْ عليه آيات القرآن مِن بلاغةٍ وتحَدٍّ وإخبارٍ بالغيب، ومِمَّا جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من المعجزات، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾: يعني فمَن تبيَّن هذه البراهين وآمَنَ بما دَلَّتْ عليه، فإنه بذلك ينفع نفسه لأنه هو الذي ينجو ويَسعد، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾: يعني ومَن لم يُبصِر الهدى بعدَ ظهور الحُجَّة، فإنه بذلك يضر نفسه، ويُعرضها للهلاك والشقاء، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾: أي وما أنا بمسئولٍ عن أعمالكم، إنما أنا مُبلغ، واللهُ يَهدي مَن يشاء ويُضل مَن يشاء وَفقَ عدله وحكمته.

الآية 105: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: يعني وكما بيَّنَّا في هذا القرآن البراهين الظاهرة في أمر التوحيد: ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: أي نبيِّن لهم البراهين في كل ما جَهلوه، لتقوم عليهم الحُجَّة، ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ - افتراءً – عند وضوح هذه البراهين والحجج، وظهور عَجْزهم: ﴿دَرَسْتَ﴾: أي تعلمتَ من أهل الكتاب، وهذا باطل، فإنه إذا كان قد تعلَّم من أهل الكتاب شيئاً، لَعَلِمَهُ اليهود حين قَدِمَ إليهم في المدينة، وخاصَّةً عبد الله بن سلام (الذي شهد له اليهود أنه من علمائهم)، ولكنه آمَنَ به بعد ثبوت صفاته لديه في التوراة، وقد رَدَّ اللهُ على ذلك الافتراء في سورة العنكبوت بقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾، فهذا يدل على أنهم لم يرتابوا، وإنما هو الكِبر والعناد واتِّباع الهوى.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾: أي ولِنُبين الحقَّ – بتنويعنا للآيات - ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الحق – لوضوحه وظهور علاماته – فيقبلونه ويتبعونه، ولا يتبعون أهوائهم.

الآية 106، والآية 107: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من الأوامر والنواهي التي أعظمُها توحيد الله تعالى بأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ فلا تهتم بعنادهم، وامضِ في طريق دعوتك، ثم يُصَبِّرُ اللهُ تعالى رسوله، ويُخَفف عنه آلام إعراض المشركين عن دعوته، فيقول له: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ألاَّ يُشرِكَ هؤلاء المشركون: ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾، لكنه تعالى عليمٌ بما سيكون من سوء اختيارهم واتباعهم لأهواءهم المنحرفة، ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ﴾ أيها الرسول ﴿عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: أي رقيبًا تحفظ عليهم أعمالهم، وتحاسبهم عليها، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: أي وما أنت بقائمٍ على أمورهم لِتُدَبِّرَ مصالحهم، إن عليك إلا البلاغ، وقد أبلغتَهم، فلا تحزن إذاً على إعراضهم.

الآية 108: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾: أي ولا تَسُبُّوا الأصنام التي يعبدها المشركون، حتى لا يتسبب ذلك في سَبِّهم للهِ تعالى ظلماً واعتداءً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إذ لو علموا جلال الله وكماله: ما فعلوا ذلك، ﴿كَذَلِكَ﴾: يعني وكما زَيَّنَّا لهؤلاء المشركين عملهم السيئ بالدفاع عن آلهتهم الباطلة: ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ السيئ فرأوه حسناً، عقوبة لهم على سوء اختيارهم، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ثم يجازيهم بأعمالهم، (وفي الآية دليل على حُرمة كل فِعل أو قول يكونُ سبباً في سَبِّ الله تعالى أو رسوله أو دينه أو الاستهزاء بشرعه، ومِن ذلك قول المسلم للنصراني: يا كافر).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 109: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أي وأقسم رؤساء المشركين بأيمانٍ مؤكَّدة بأنهم: ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: أي علامة خارقة تدل على صِدق محمد، كتحويل جبل الصفا إلى ذهب: ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ وهذا الكلام الذي صدر منهم، لم يكن قصْدُهُم فيه الرشاد، وإنما قصْدُهُم فيه الكبر والعناد، فإن الله قد أيَّدَ رسوله بالآيات البينات، والأدلة الواضحات، التي – عند الالتفات إليها – لا تبقي أدنَى شُبهة ولا إشكال في صحة ما جاء به.

♦ فطلَبُهُم بعد ذلك للآيات، هو من باب العند والاستكبار الذي لا يَلزَم إجابته، بل قد يكونُ المَنْعُ من إجابتهم أصْلَح لهم، إذ إنه لو جاءتهم الآيات ولم يؤمنوا بها، فقد يترتب على ذلك هَلاكهم ودَمارهم، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني إنما مجيء المعجزات الخارقة إنما يكونُ مِن عند الله تعالى، فهو القادر على المجيء بها إذا شاء، أما أنا فلا أملك ذلك، إلا أن الصحابة رغبوا في مجيء الآيات، حتى يؤمن بها المشركون، فقال تعالى لهم: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي وما أعلمكم أيها المؤمنون أن هذه المعجزات إذا جاءت سوف يُصَدِّقُ بها هؤلاء المشركون؟ بل إنّ الغالب – مِمَّن حالُهُ اتباع الهوى – أنه لا يؤمن.

الآية 110: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾: يعني ونَحجب قلوبهم وأبصارهم عن الانتفاع بآيات الله، فلا يؤمنون بها ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي وذلك عقوبةً لهم، لأنهم لم يؤمنوا بآيات القرآن عند نزولها أول مرة، ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي ونتركهم في شِركهم وظُلمهم حَيارَى مترددين، لا يعرفون الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال، وهذا مِن عَدْل الله تعالى، فقد فتح لهم الباب فلم يدخلوه، وبَيَّنَ لهم الطريق فلم يَسلكوه، فبَعدَ ذلك إذا حُرِمُوا التوفيق، فلا يلوموا إلا أنفسهم.

****

7. تفسير الربع السابع من سورة الأنعام

الآية 111: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا﴾ أجَبْنا طلب هؤلاء المشركين، فـ ﴿نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ من السماء، ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾: يعني وأحيينا لهم الموتى، فكلموهم وشَهِدوا لهم بصِدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾: أي ولو جمعنا لهم كل شيءٍ طلبوه، فرأوه بأعينهم: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ بما دعوتَهم إليه أيها الرسول ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أن التوفيق للإيمان وقَبول الحق، إنما هو بيد الله تعالى وحده، وليس بأيديهم (كما يزعمون أنهم سيؤمنون لو رأوا الآيات).

الآية 112، والآية 113، والآية 114: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: يعني وكما ابتليناك أيها الرسول بأعدائك من المشركين: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾: أي ابتلينا كل نبي بأعداء متمردين من قومه، وبأعداء متمردين من الجن، وهؤلاء المتمردون من الجن والإنس ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾: أي يُلقي بعضهم إلى بعضٍ القولَ الباطل الذي زيَّنوه وحَسَّنوه وانتقَوا له أحسن العبارات، لِيَغترَّ به سامِعُه، فيَضِل عن سبيل الله، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: يعني ولو أراد ربك

www.alukah.net

لَحالَ بينهم وبين تلك العداوة، ولكنه ابتلاءٌ من الله لأنبيائه لِيَرفع درجتهم، فما شاءَهُ اللهُ تعالى كان، وما لم يشأهُ لم يكن، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: أي فاتركهم وكَذِبهم وتزيينهم للباطل، (وفي هذا تصبيرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم).

♦ وقد كان إيحاء شياطين الجن والإنس وتزيينهم للباطل: لِيَغترَّ به المشركون ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ﴾: أي ولتميل إليه ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ﴾، ولا يعملون لها، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾: يعني ولِتحبَّه أنفسهم، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾: أي ولِيكتسبوا ما هم مكتسبون من الشرك والمعاصي، وذلك نتيجةً لاقتناعهم بهذا الباطل المُمَوَّه المُزَيَّن ، ففعلوا ما تشتهيه أنفسهم، وما كانت تأمرهم به أهواؤهم، (وفي هذا تهديدٌ عظيم لهم).

♦ ثم قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾: يعني أغيرَ اللهِ أطلبُ حَكَمًا بيني وبينكم في أني رسولٌ من عنده، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾: يعني وهو سبحانه الذي أنزل إليكم القرآن مُبَيَّناً واضحاً، فأيُّ شيءٍ يَغلب آيات القرآن في قوة الحُجَّة والبيان، هذا أولاً، وثانياً: ﴿وَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: يعني وعلماء بني إسرائيل الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾: يعني يعلمون عِلمًا يقينيّاً أن هذا القرآن مُنَزَّلٌ عليك أيها الرسول ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ فهم مُقِرُّون ومعترفون بأنَّ ما يَنفيهِ المشركون هو حَقٌّ لا شك فيه، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي فلا تكونَنَّ من الشاكّين في هذا الحق، بل تفكَّرْ فيهِ وتأمّلْ، حتى تصِل بذلك إلى اليقين، لأن التفكُر فيه - لا مَحالة - دافعٌ للشكّ، مُوصِلٌ لليقين، (وهذا - وإن كانَ خِطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم - فهو مُوَجَّهٌ للأمّةِ عموماً).

الآية 115: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ - وهي القرآن - ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار والأقوال، ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأحكام، ف ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: أي فلا يستطيع أحد أن يبدِّل كلماته الكاملة، لا بالزيادة ولا بالنقصان ، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ونظير قوله تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿السَّمِيعُ﴾ لِمَا يقول عباده، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بظواهر أمورهم وبواطنها، والكل تحت قهره وسلطانه، فلا يتحركون إلا بمشيئته وإرادته، فلِذا لن يكون إلا ما يريدُ سبحانه.

♦ واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: أي وقضى ربك أنها ستكون تامة، والمعنى: أي تَمَّ القرآن في كَوْنِهِ مُعجِزًا دالًّاً على صِدق محمد عليه الصلاة والسلام، وأنَّ كلماته كافية في بيان ما يحتاج إليه المُكَلَّفون - عِلمًا وعَملاً - إلى يوم القيامة.

الآية 116: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: يعني ولو فُرِضَ أيها الرسول أنك أطعتَ أكثرَ أهل الأرض، فأخذتَ بآرائهم واستجبتَ لاقتراحاتهم: لأضلُّوك عن دين الله، والسبب في ذلك أنَّ أكثرهم لا بصيرةَ له، ولا علم يَهتدي به، وكل ما يقولونه هو هَوَى النفس، ووسوسة الشيطان، و ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: أي وما يسيرون إلا على ما ظنوه حقًّا بتقليدهم لآباءهم ، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يعني وما هم إلا يَكذبون في هذا الظن الناتج عن التخمين، وتقليد الآباء بدون علم أو دليل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 117: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي هو سبحانه أعلم بالضالين عن سبيل الرشاد ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي بمن كان على الاستقامةِ والسَداد.

الآية 118: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أي فكلوا أيها المسلمون من الذبائح التي ذُكِرَ اسمُ الله عليها عندَ ذَبْحها ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ حَقَّ الإيمان.

الآية 119: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾: يعني وأيُّ شيء يمنعكم مِن أن تأكلوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: يعني وقد بَيَّن سبحانه لكم جميع ما حَرَّمَ عليكم ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: أي إلا ما دَعَتْ إليه الضرورة مِن أكْل شيءٍ من المُحَرّمات فإنه مباحٌ لكم، كَمَن خاف على نفسه الهلاك بسبب شدة الجوع (بشرط أن يكون غيرَ طالبٍ للمُحَرّم – لِلذّةٍ أو غير ذلك، ولا مُتجاوز – في أكلِهِ – ما يَسُدّ حاجته ويرفع اضطراره)، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا ﴾ من الضالين ﴿لَيُضِلُّونَ﴾ أتباعهم عن سبيل الله في تحليل الحرام وتحريم الحلال، فيُفتونهم ﴿بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ الذين يتجاوزون حدوده، وهو الذي يتولى حسابهم وجزاءهم.

الآية 120: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: يعني واتركوا جميع المعاصي، ما كان منها عَلانيةً أمامَ الناس، وما كان سرًّا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾: يعني إن الذين يفعلون المعاصي سيُعاقِبهم ربهم يوم القيامة، بسبب ما كانوا يعملونه من السيئات، ولا ينجو منهم إلا من تاب، وقَبِلَ الله توبته، (فلذلك ينبغي للعبد أن يَبذل غاية جهده لِتَصِحّ توبته، حتى يقبلها الله تعالى).

الآية 121: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾: يعني ولا تأكلوا من الذبائح التي لم يُذكَر اسمُ الله عليها عند الذبح، (كَالمَيْتة، وما ذُبِحَ للأصنام والأولياء والجن، وغير ذلك)، ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾: يعني وإنّ الأكل من تلك الذبائح لَخُروجٍ عن طاعة الله تعالى، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يعني وإنّ شياطين الجن لَيُلْقون بالشُبُهات حول تحريم أكْل الميتة ﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ من شياطين الإنس ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ بهذه الشبهات، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في تحليل المَيْتة فـ ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾: أي فأنتم وَهُم في الشرك سواء، لأنهم أحَلُّوا لكم ما حَرَّمَ اللهُ عليكم فاعتقدتم حِلَّه، فكنتم بذلك عابديهم، إذِ التحريم والتحليل مِن حق الرب وحده، لا مِن حق غيره، (وفي الآية دليل على أنّ مَن استحلّ شيئاً مما حَرَّمَ اللهُ تعالى: صارَ به مشركاً).

الآية 122: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا ﴾ في الضلالةِ هالكاً حائراً ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: أي فأحيينا قلبه بالإيمان، ووفقناه لاتباع الرسل، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: يعني فأصبح يعيش بين الناس في أنوار الهداية، فهل هذا ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾: أي هل يتساوى هذا مع مَن يعيش في الجهالات والأهواء والضلالات، وهو ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾: أي وهو لا يهتدي إلى مَخرج من هذه الظلمات، ولا مُخلِّصَ له مما هو فيه؟ لا يستويان أبداً، ﴿كَذَلِكَ﴾: يعني وكما خُذِلَ هذا الكافر الذي يجادلكم، فزُيِّنَ له سُوءُ عمله فرآه حَسنًا: ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي زُيِّنَ للجاحدين أعمالهم السيئة، لِيستوجبوا بذلك العذاب.

www.alukah.net

الآية 123: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: يعني ومِثلُ هذا الذي حصل مِن زعماء الكفار - في "مكة"- مِن الصدِّ عن دين الله تعالى: ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾: أي جعلنا في كل قرية مجرمين، يتزعمهم أكابرهم ، (واعلم أن الأكابر هم الرؤساء والعظماء، وقد خُصُّوا بالذكر لأنهم أقدر - على الفساد والإفساد - من عامة الناس)، ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾: أي ليمكروا في هذه القرية بفِعل المنكرات والدعوة إلى ارتكابها، وبإفساد عقائد الناس وأخلاقهم، وصَرْفِهِم عن الهدى بتزيين الباطل لهم، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، لأن عاقبة المكر تعودُ على الماكر بالعقوبة في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

الآية 124: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ﴾: يعني وإذا جاءت حُجَّة ظاهرة - لهؤلاء المشركين من أهل مكة - تدل على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالُوا﴾: أي قال بعض كُبَرائهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾: يعني لن نُصدِّق بنبوّته حتى يُعطينا اللهُ من النبوّة والمعجزات مثل ما أعطى رسله السابقين، كَعَصا موسى وغيرها، قال الوليد بن المُغيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كانت النُبُوَّة حقاً، لَكُنتُ أوْلَى بها منك، لأني أكبرُ سناً وأكثر منك مالاً)، وقال أبو جهل: (واللهِ لا نرضى به أبداً، ولا نتبعه إلاَّ أن يأتينا وحيٌ كما يأتيه).

♦ فردَّ الله تعالى عليهم هذا العُلُوّ والتكبر بقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾: يعني اللهُ أعلم بالذين يستحقون حَمْلَ رسالته وتبليغها إلى الناس، فإنه سبحانه يجعلها في القلوب المشرقة والنفوس الزكية، لا في القلوب المظلمة والنفوس الخبيثة، و ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾: يعني وإنَّ هؤلاء المجرمين - الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي، وأجرموا على غيرهم حيث أفسدوا قلوبهم وعقولهم - فأولئك سوف يصيبهم ﴿صَغَارٌ﴾ أي ذل ومَهانة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يوم يلقونه، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾: يعني ولهم عذابٌ قاسٍ لا يُطاقُ في نار جهنم بسبب كَيدهم للإسلام وأهله، وبسبب تضليلهم للناس.

♦ وبمناسبة ذِكر النار، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحياناً توقَدُ له النار، فيُقرِّب منها يديه، ثم يُبعِدهما إذا (لَسَعَتْهُ) ويقول: (ألَكَ على هذا صبرٌ يا بنَ الخطاب؟)، وذلك بمثابة التطبيق العملي لقوله تعالى - وهو يتحدث عن النار - : ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ - أي تُذَكِّرُ المؤمن بنار الآخرة، التي تعادل سبعين ضعفاً من نار الدنيا - ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ أي ويتمتع بها المسافرون بالدفء والنور وطهي الطعام.

♦ ومِن لطيف ما يُذكَر أن أحد الأخوة كان يتعمد أن يستغفر وهو يُمسِك بكوب (الشاي) الساخن، حتى يَحمَرّ وجهه من سخونة الكوب، فيتركه، ثم يُمسكه مرة أخرى ويستغفر، وعندما سُئِلَ عن ذلك قال: (إنني عندما أشعر بِحَرّ النار: يَخرج الاستغفار من قلبي - بندمٍ شديد - على كل ذنبٍ فعلتُهُ في حق اللهِ تعالى، لأنني لا أتحمل عذابه).

الآية 125: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾: يعني فمَن يَشأ الله أن يوفقه لقبول الحق: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: أي يُوَسِّع صدره لقبول الإسلام، ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾: أي يجعل صدره في حالة شديدة من

الانقباض عن قَبول الهدى، كحال مَن يصعد في طبقات الجو العليا، فيُصاب بضيق شديد في التنفس، ﴿كَذَلِكَ﴾: يعني وكما يجعل الله صدور الكافرين شديدة الضيق والانقباض: ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ أي العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بآياته.

الآية 126، الآية 127: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾: يعني وهذا الذي بيَّنَّاه لك أيها الرسول هو الطريق الموصل إلى رضا ربك وجنته، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: أي قد بينَّا البراهين لمن يتذكر من أهل العقول الراجحة، وهؤلاء ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أي لهم يوم القيامة عند ربهم دار السلامة والأمان من كل مكروه وهي الجنة، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي وهو سبحانه مُتوليهم بالنصر والتأييد في الدنيا ، وبالإنعام والتكريم في الآخرة ، جزاءً لهم بسبب أعمالهم الصالحة .

****

8. تفسير الربع الثامن من سورة الأنعام

الآية 128: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: يعني واذكر أيها الرسول يوم يحشر اللهُ الكفار مع أوليائهم من شياطين الجن فيقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: أي قد أضللتم كثيرًا من الإنس، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ﴾ كفار ﴿الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: أي قد انتفع بعضنا من بعض ، ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾: أي وبَلَغْنا الأجل الذي أجَّلتَه لنا بانتهاء حياتنا في الدنيا، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لهم: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: أي مكان إقامتكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: يعني إلا مَن شاء اللهُ عدم خلوده فيها من عُصاة الموحدين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

الآية 129، الآية 130: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: يعني وكما سَلَّطْنا شياطين الجن على كفار الإنس، فكانوا أولياء لهم: ﴿نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾: أي نُسلِّط الظالمين – من الإنس – بعضهم على بعضٍ في الدنيا، لِيَصيروا أولياءَ لبعض، فيكون مأواهم النارُ جزاءً ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

♦ ثم يخاطب اللهُ مُشركِي الجن والإنس قائلاً: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ – واعلم أن النصوص الواردة في القرآن والسُنَّة تدلُّ على أنّ الرسل كانت من الإنس فقط، وأما الجن فكانَ منهم دُعاةٌ لقومهم، كما قال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أتاني داعِيَ الجن فأتيتُهم فقرأتُ عليهم ....) (انظر صحيح الترمذي: ج5 /382).

♦ وهؤلاء الرسل كانوا ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: يعني كانوا يُخبرونكم بآياتي الواضحة المشتملة على الأمر والنهي وبيان الخير والشر، ويحذرونكم لقاءَ عذابي يوم القيامة ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ بأنّ رُسلك قد بلّغونا آياتك، وأنذرونا لقاء يومنا هذا، فكذبناهم، ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾: أي وخدعَتْهم ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بزينتها ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

www.alukah.net

الآية 131: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾: أي ذلك الإنذار إلى الجن والإنس بإرسال الرسل وإنزال الكتب، كانَ لأجْل أنه تعالى لم يكن – مِن شأنه ولا مِن حِكمته – أن يكون ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ منه سبحانه ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم يُؤمَروا ولم يُنهَوا، ولم يَعلموا بعاقبة الظلم وما يَحِلّ بأهله من عذاب، ولكنه سبحانه أنذر الأمم من أجل إقامة الحُجَّة عليهم، وما عَذَّبَ أحدًا إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

♦ واعلم أنَّ كلمة: ﴿أنْ﴾ المذكورة في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ ﴾ تُسَمَّى: (أنْ المُخَفَّفة من الثقيلة)، يعني كأنها كانت: ﴿أنّ﴾ التي عليها شَدَّة، ولكنها خُفِّفَتْ فصارت: ﴿أنْ﴾ التي عليها سكون، وعلى هذا يكون المعنى: ﴿ ذلك لأنَّه لم يكن رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ﴾، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا ﴾، والمعنى: (وَنُودُوا أَنَّ هذه الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا).

الآية 132: ﴿وَلِكُلٍّ﴾: يعني ولِكُلّ عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته: ﴿دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾: أي مراتب يُبَلِّغه الله إياها – بسبب عمله - ، ويُجازيه عليها، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

الآية 133: ﴿وَرَبُّكَ﴾ هو ﴿الْغَنِيُّ﴾ عن خَلقه، وكل خَلقه محتاجون إليه، وهو سبحانه ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ الواسعة، ومع ذلك ف ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ سبحانه إهلاكَكُم بسبب عِصيانكم وتمَرُّدِكم: ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾: يعني ويُوجِدُ قومًا غيركم يَخلفونكم من بعد فنائكم، ويعملون بطاعته تعالى ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آَخَرِينَ﴾: يعني وذلك كما أوجدكم أنتم مِن نَسل قومٍ آخرينَ كانوا قبلكم.

الآية 134: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآَتٍ﴾: يعني إنَّ الذي يَعِدُكُم به ربكم أيها المشركون – مِن مَجِيء السَّاعة، ومن العذاب الذي ينتظركم – لَوَاقِعٌ بكم لا مَحالة، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: يعني ولن تُعجِزوا ربكم إذا ظننتم أنكم ستهربون عند مجيء ذلك الوعد، فهو قادرٌ سبحانه على إعادتكم وإن صِرتم ترابًا وعظامًا.

♦ فالوعدُ آتٍ وأنتم لا تستطيعون الهرب، ولا يَقدر أحدٌ أن يمنعَ اللهَ تعالى مِن تحقيق ما وعد، فاللهُ غالبٌ على أمره، يفعل ما يريد، لأنه لا إله إلا هو، وأما الذي يُخلِفُ الوعدَ من الخَلق، فهذا أمرٌ مُتوَقَّع منه، لأنه ربما يكون قد وَعَدَ بشيء – كانَ يَظنُّ أنّ في إمكانِهِ فِعله – وبعد ذلك خرج هذا الشيء عن حدود إمكانياته، فهو ليس له سيطرة على الأشياء، أما إذا كانَ مَن وَعَدَ قادرًا، ولا يوجد إلهٌ آخر يُناقضه فيما وَعَدَ به، فلابد أن يتحقق وعده.

♦ ولذلك حينما يَحكم اللهُ حُكمًا ما، فالمؤمن يأخذ هذا الحكم قضية مُسَلَّمة؛ لأنه لا إلهَ مع اللهِ سيُغَيِّر هذا الحكم، ومثالُ ذلك أنّ اللَه تعالى قال عن أَبِي لَهَبٍ: ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾، وهذا وَعيدٌ من الله تعالى في أمرٍ – لهم فيه اختيار –، ومع ذلك فإنهم لم يُسلموا، لأنه لا يوجد إلهٌ سواه لِيُغير ما أخبرَ به.

الآية 135: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: أي اعملوا على طريقتكم – التي أنتم عليها من مخالفتي وعداوتي – ف ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على طريقتي التي شرعها لي ربي جَلّ وعَلا، ولن أتركها مهما فعلتم، ثم هَدَّدَهُم تعالى بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

-عند حلول العذاب بكم - ﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: أي مَن الذي ستكون له العاقبة الحسنة؟ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: إنه لا يفوز برضوان اللهِ وجَنَّتِه مَن تجاوزَ حَدَّهُ وظَلم، فأشركَ مع اللهِ غيره.

الآية 136: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾: يعني وجعل المشركون للهِ تعالى جُزءًا مما خلق من الزروع والثمار والأنعام، يقدمونه للضيوف والمساكين ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾، ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾: أي وجعلوا جُزءًا آخر من من الزروع والثمار والأنعام، يتقربون به إلى شركائهم من الأصنام، ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾: يعني فما كان مُخَصَّصًا لشركائهم فإنه يَصِل إليها وحدها، ولا يُعطون منها للضيوف والمساكين، ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ﴾: يعني وما كانَ مُخَصَّصًا للهِ تعالى ﴿فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ : أي فإنهم يذبحون منه للأصنام، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: أي بئس حُكم القوم وقِسمتهم، وذلك لعدم وجود عَدلٍ عندهم – في عقيدتهم الفاسدة – بينَ اللهِ تعالى وبين شركائهم.

الآية 137: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: يعني وكما زَيَّنَ الشيطانُ للمشركين أن يجعلوا للهِ تعالى من الحرث والأنعام نصيبًا، ولشركائهم نصيبًا: ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾: أي زيَّن لهم شركاؤهم – من شياطين الإنس والجن – أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: أي ليوقعوا هؤلاء الآباء في الهلاك بقتل النفس التي حَرَّمَ اللهُ قتلها، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: يعني وليَفتنوهم عن دينهم الحق الذي جاءهم به إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فيَخلِطونه لهم بالشِرك فيَضلوا ويَهلكوا ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ألاَّ يفعلوا ذلك: ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ ولكنه شاءَ ذلك لِعلمِهِ بسوء حالهم ومقاصدهم ، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: أي فاتركهم وشأنهم فيما يفترونه مِن كذب، فسيحكم اللهُ بينك وبينهم.

الآية 138: ﴿وَقَالُوا﴾: أي وقال المشركون: ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: أي إنّ بعضَ هذه الإبل والزروع حرام ، فـ ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾: يعني لا يأكلها إلا مَن يأذنون له، وذلك حسب ادِّعائهم الكاذب، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: أي وزعموا أنّ بعض الإبل لا يَحِلّ ركوبها والحَمْلُ عليها بحالٍ من الأحوال، ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: أي وزعموا أنّ بعض الإبل لا يَذكرون اسمَ الله عليها في أي شأنٍ من شئونها، وقد فعلوا ذلك ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾: أي كذبًا منهم عليه سبحانه، لأنه سبحانه ما حَرَّمَ ذلك عليهم، وإنما حَرَّموه هُم بأنفسهم، ثم قالوا: (حَرَّمَه الله علينا)، ولِذا تَوَعَّدهم اللهُ تعالى على هذا الكذب بقوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

الآية 139: ﴿وَقَالُوا﴾: أي وقال المشركون: إنّ ﴿مَا فِي بُطُونِ﴾ بعض ﴿هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ من الأجِنَّة ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾: أي مُباحةٌ لرجالنا، ومُحَرَّمة على نسائنا (هذا إذا وُلِدَ الجنين حَيًّا)، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾: يعني وإذا وُلِدَ الجنين مَيِّتًا: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾: أي فإنه يكونُ مُباحاً لرجالهم ولنسائهم معاً، (وقد كانوا يَستحلون أكل المَيْتة)، ثم تَوَعَّدهم اللهُ تعالى بقوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: أي سيعاقبهم اللهُ على هذا الكذب بما يستحقون من العذاب، لأنهم شرَّعوا لأنفسهم من التحليل والتحريم ما لم يَأذن به الله، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في قضائه وشرعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بما نسبوه إليه كذباً.

♦ وقد سَمَّى الله تعالى الكذب بـ (الوصف) في قوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾، لأنهم وصفوا بعض الأجِنَّة بأنها حرام، ووصفوا بعضها بأنها حلال، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾.

www.alukah.net

الآية 140: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾: أي قد هَلَكَ الذين قتلوا أولادهم، لأنهم أطاعوا شياطينهم فيما زَيَّنَتْ لهم، وذلك ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي لِضِعف عقولهم وجهلهم ، ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾: أي وقد خسروا أيضاً لأنهم حَرَّموا ما أحَلَّهُ اللهُ لهم، كذباً عليه سبحانه، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: أي قد بَعُدوا عن الحق، وما كانوا من أهل الهدى والرشاد، (إذِ التحليل والتحريم من خصائص اللهِ تعالى وحده، فالحلال ما أحَلَّهُ الله، والحرام ما حَرَّمه الله).

****

9. تفسير الربع التاسع من سورة الأنعام

الآية 141: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾: يعني واللهُ سبحانه وتعالى هو الذي أوجَدَ لكم بساتين، منها ما هو مرفوع عن الأرض كالأعناب، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾: يعني ومنها ما هو غير مرفوع، ولكنه قائمٌ على ساقِهِ كالنخل والزرع، ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾: أي متنوعًا في طعمه، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ في ورقه وشجره، ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ في لونه وطعمه، ﴿كُلُوا﴾ أيها الناس ﴿مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: يعني وأعطوا زكاته – المفروضة عليكم – يوم حصاده، ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: أي ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين حدوده، بإنفاق المال في غير موضعه.

الآية 142: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾: يعني واللهُ سبحانه هو الذي أوجَدَ لكم من الأنعام ما هو مُهيَّأ للحمْل عليه، لارتفاعه عن الأرض كالإبل، ﴿وَفَرْشًا﴾: يعني ومنها ما هو غير مُهيَّأ للحمل عليه، لِصِغَره وقُرْبه من الأرض كالبقر والغنم، ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: أي كلوا مما أباحه اللهُ لكم وأعطاكُموه من هذه الأنعام، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ في تحريم ما أحَلَّه الله من هذه الأنعام كما فعل المشركون، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: أي إن الشيطان لكم عدوٌ ظاهر العداوة.

الآية 143، والآية 144: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: يعني وهذه الأنعام التي رزقكم الله بها هي ثمانية أصناف، فأما الأربعة أصناف الأولى فهي: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾: أي صِنفين من الضأن (وهم الذكور والإناث)، ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: أي وصنفين من المعز (وهم الذكور والإناث)، ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لأولئك المشركين: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾؟: يعني هل حَرَّمَ الله أكل الذَكَرَين من الغنم (ذَكَر الضأن وذكر الماعز)؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا في ذلك، لأنهم لا يُحرمون كُلَّ ذكر من الضأن والماعز، وقل لهم: هل حَرَّمَ الله أكل الأنثيَيْن من الغنم (أنثى الضأن وأنثى الماعز)؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضًا، لأنهم لا يُحرمون كُلَّ أنثى مِن الضأن والماعز، ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾؟: يعني وقل لهم: هل حَرَّمَ الله الأجِنة التي بداخل أرحام الأنثيَيْن (من الضأن والماعز)؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضًا، لأنهم لا يُحرمون كُلَّ هذه الأجِنّة، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾: يعني أخبروني بعلمٍ يدل على صحة ما ذهبتم إليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تنسبونه إلى ربكم.

♦ وأما الأربعة أصناف الأخرى فهي: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾: أي صنفين من الإبل (وهم الذكور والإناث)، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾: أي وصنفين من البقر (وهم الذكور والإناث) ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾؟:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يعني هل حَرَّم اللهُ الذكرين من الإبل والبقر أم الأنثيَيْن منهما؟ أم حَرَّم الأجِنّة التي بداخل أرحام الأنثيَيْن؟ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾؟: يعني أم كنتم أيها المشركون حاضرين حينَ وَصَّاكم الله بهذا التحريم للأنعام؟ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي فلا أحد أشد ظلمًا مِمّن اختلق على الله الكذب ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي لِيَصرف الناس بجهله عن طريق الهدى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: يعني إن الله لا يوفق للرشد مَن تجاوز حدَّه، فكذب على ربه وأضلَّ الناس.

الآية 145: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول: ﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾: يعني إني لا أجد فيما أوْحَى اللهُ إليَّ شيئًا مُحرَّمًا على مَن يأكل من هذه الأنعام التي حَرّمتموها ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾: يعني إلا أن يكون قد مات بغير ذبح شرعي، (باستثناء مَيْتة السمك ومَيْتة الجَرَاد، فإنه يَحِلّ أكْلُهما، كما ثبت ذلك في السُنَّة)، وقد ثبت في السُنَّة أيضاً - بعد نزول هذه الآية – تحريم الكلاب والحِمار الأهلي (وهو الحمار المُستأنَس الذي يعيش بين الناس ويَحمل أثقالهم)، وكل ما له أنياب من السِباع (كالأسد والذئب)، وكل ذي مخلَب من الطير (كالصقر والنسر).

﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾: يعني أو أن يكون دمًا سائلاً مُراقاً فإنه يَحْرُمُ شُرْبه، (أما الدم غير المُراق، كالذي يختلط باللحم، أو الذي يكون في المخ والعروق وما شابَهَ ذلك: فإنه لا شيء فيه)، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾: يعني أو أن يكون لحم خنزير فإنه نجس، يَحْرُمُ أكله، ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: يعني أو الذي ذُبِحَ – خروجًا عن طاعة الله تعالى – كالمذبوح الذي قد ذُكِرَ عليه – عند ذبحه – اسمُ غير الله تعالى، فإنه يَحْرُمُ أكله أيضاً، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾: أي فمَن ألجأتْه الضرورة إلى الأكل من هذه المُحرمات بسبب الجوع الشديد، بشرط أن يكون غيرَ طالبٍ للمُحَرّم لِلتلذذ به، ولا مُتجاوز – في أكلِهِ - ما يَسُدّ حاجته ويرفع اضطراره: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له، ﴿رَحِيمٌ﴾ به، حيث رَخَّصَ له في أكل تلك المُحرمات عند الضرورة حتى لا يموت.

الآية 146: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾: يعني وقد حَرَّمنا على اليهود: كل ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير (كالإبل والنَّعام)، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾: يعني وكذلك حَرَّمنا عليهم شحوم البقر والغنم ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: يعني إلا الشحم الذي عَلِق بظهورها فإنه حلالٌ لهم ، ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: يعني وكذلك الشحم الذي عَلِق بأمعائها، ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: يعني وكذلك الشحم الذي اختلط بعظم الجنب ونحو ذلك، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾: يعني ذلك التحريم – المذكور على اليهود – كان عقوبةً مِنّا لهم بسبب أعمالهم السيئة، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرنا به عنهم.

الآية 147: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: يعني فإن كَذّبك أيها الرسول مُخالِفوك من المشركين واليهود وغيرهم: ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ بعباده المتقين التائبين، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: يعني ولا يُدْفع عقابه عن القوم الذين أجْرَموا بالشرك والمعاصي ولم يتوبوا من ذلك، (وفي هذا تهديدٌ لهم لمخالفتهم للرسول صلى الله عليه وسلم).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 148: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ - جهلاً منهم بحكمة ربهم وسُنَّتِهِ في كَوْنه ، مِن هداية مَن اتَّبع أسباب الهدى، وإضلال مَن اتَّبع أسباب الضلال -: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ألاَّ نُشرك به، وألاَّ نُحَرِّم شيئاً من عند أنفسنا: ﴿مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾، فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: أي بمِثل هذه الشُبهة، قد أثارها الكفار مِن قبلهم، وكذَّبوا بها دعوة رسلهم، واستمَرُّوا على ذلك، حتى نزل بهم عذاب الله ، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾؟: يعني هل عندكم مِن عِلمٍ صحيح – فيما حَرَّمتم من الأنعام والزروع، وفيما زعمتم مِن أنّ الله قد شاءَ لكم الشِرك، ورَضِيَه منكم وأحَبَّهُ لكم – فتُظهِروهُ لنا؟ ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ في أمور هذا الدين ﴿إِلَّا﴾ مُجَرَّد ﴿الظَّنَّ﴾ وما عندكم مِن علمٍ أو دليل على قولكم، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي: ما أنتم إلا تَكذبون في هذا الظنّ، الناتج عن التخمين واتّباع الآباء بغير دليل.

♦ وعلى هذا نقولُ لِكُلّ مَن يُصِرّ على معصية اللهِ تعالى – ويَحتجّ بأن الله هو الذي قدَّرَ عليه ذلك –: (أخي الحبيب، أنت لا تعلم ما الذي كتبه الله لك، فأنت مأمورٌ فقط باتباع طريق الصالِحين، واجتناب طريق المفسدين، كما قال تعالى في سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، فاللهُ تعالى قد أعطى كُلَّ مخلوقٍ قدرة وإرادة، يتمكن بها مِن فِعل ما كُلِّفَ به، فاتقِ اللهَ – أخي الحبيب – قدرَ استطاعتك، وإن وقعتَ في معصيةٍ ما، فأسرِع بالتوبة الصادقة الجازمة، ولا تحتجّ بالقدر).

الآية 149: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد – بعد أن أبطلتَ شُبهتهم –: إن لم تكن لكم حُجَّة إلا مجرد إتباع الظن والهوى، ولا عِلم لكم ولا دليل: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: أي فلِلَّهِ تعالى الحُجّةُ التامة على خلقه، بإرسال الرسل وتأييدهم بالمعجزات، وتبيينِهِ للتوحيد بالنظر في المخلوقات، وإنزال الكتب السماوية، التي خَتَمَها بالقرآن الكريم (المعجزة الخالدة إلى قيام الساعة).

♦ واعلموا أنّ الهداية للإيمان وقَبول الحق هي بيد الله وحده ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ سبحانه هدايتكم: ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى طريق الاستقامة، وهو على ذلك قدير، وإنما سُنَّتَه في خلقه أن يُكلفهم - اختباراً لهم –، وأن يوضحَ الطريقَ لهم، وأن يقيم الحجة عليهم، فمَن اهتدى فلنفسه، ومَن ضَلّ فعليها.

الآية 150: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾: أي هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله تعالى هو الذي حرَّم ما حرَّمتم من الزروع والأنعام، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ -_كذبًا وزورًا - : ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: يعني فلا تصدقهم أيها الرسول، ولا تُقِرّهُم على باطلهم، بل بَيِّنْ لهم بُطلانه، فإنهم شهداء زُور لا غير، ولا يَتَّبِعون في دَعاويهم إلا الأهواء، ولهذا قال تعالى له: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي ولا توافق الذين حَكَّموا أهواءهم، فكذّبوا بآيات الله، وذلك بتحريم ما أحَلَّهُ الله، وتحليل ما حَرَّمَهُ الله ، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: أي ولا تتبع الذين لا يُصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، والذين هم بربهم يشركون، ويُساوونه بغيره في العبادة والتعظيم والمحبة والخوف.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

10. تفسير الربع الأخير من سورة الأنعام

الآية 151: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ وهو ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ مِن مخلوقاته في عبادته، بل اصرفوا جميع أنواع العبادة له وحده، كالخوف والرجاء والدعاء، وغير ذلك، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يعني: وعليكم بتأدية حقوق الوالدين (وذلك بالقول الكريم اللّيِّن، وبطاعة أمْرهما – في غير معصية الله – وبالإنفاق عليهما، وإكرام صديقهما ومَن له تعلُّق بهما، وصِلة رَحِمِهما، والدعاء لهما، وطلب رِضاهما)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 3507)، فاعلم أنه لن يَرضى عنك الله سبحانه وتعالى حتى يَرضى عنك والداك ولو كنتَ أعبَدَ أهل الأرض، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: أي مِن أجل فقرٍ نزل بكم، فـ ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: أي ولا تقربوا كبائرَ الآثام، ولا تَجهَروا بفِعلها أمام الناس، ولا تفعلوها سِرَّاً، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلَها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو قتل القاتل، أو رَجْم الزاني المتزوج حتى يموت، أو قتل المُرْتَدّ عن الإسلام، (ويكون تنفيذ ذلك القتل عن طريق وَلِيِّ الأمر، وهو حاكِمُ البلد)، ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور من الأوامر والنواهي هو ما ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ ربكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي لتكونوا من العقلاء الراشدين، لأنَّ مَن يُشرِك بربه صَنَماً، أو يُسيء إلى أبويه، أو يَقتل أولاده، أو يَفجُر بنساء الناس، أو يقتلهم: لا يُعتبر عاقلاً أبداً، إذ لو كان له عقل: ما أقدَمَ على هذه العظائم من الذنوب والآثام.

الآية 152: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني إلا بما يُصلِح أمواله لِيَنتفع بها، وذلك باستثمارها له ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: أي حتى يصل إلى سن البلوغ ويكون راشدًا، فإذا بلغ ذلك فسَلِّموا إليه ماله، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل الذي يكونُ به تمامَ الوفاء، وإذا بذلتم جهدكم في ذلك، فلا حرجَ عليكم فيما قد يكونُ مِن نَقص، فإننا ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾: أي وإذا تكلمتم فتَحرَّوا العدلَ في قولكم، سواء كان الأمر يتعلق بخبر أو شهادة أو حُكم أو شفاعة، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: يعني ولو كان الذي تعلَّقَ به القول ذا قرابةٍ منكم، فلا تميلوا معه بغير الحق، ولا يَحمِلَنَّكم الهوى والتعُّصب للغير على ترْك العدل، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: يعني وأوفوا بما عَهِدَ الله به إليكم من الالتزام بشريعته، ﴿ذَلِكُمْ﴾ المتلوُّ عليكم من الأحكام هو ما ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ ربكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي لعلكم تتذكرون، وتجتنبون ما حُرِّمَ عليكم.

الآية 153: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾: يعني ومِمَّا وَصّاكم اللهُ به أن هذا الإسلام هو طريق الله تعالى المستقيم ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أي ولا تسلكوا سُبُلَ الضلال فتُفرِّقكم، وتُبعِدكم عن سبيل الله المستقيم، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي التوَجُّه نحو الطريق المستقيم، وعدم اتباع سُبُلَ الضلال، هو ما ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ ربكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ عذابه بفِعل أوامره، واجتناب نواهيه.

www.alukah.net

الآية 154: ﴿ثُمَّ﴾ أخبِرْهم أيها الرسول أننا ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وهو التوراة ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: أي تمامًا لِنعمتنا على المحسنين من بني إسرائيل، ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ من أمور دينهم، ﴿وَهُدًى﴾ لهم من الضلالة، وبيان للطريق المستقيم، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لهم ﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾: أي رجاء أن يُصدِّقوا بالبعث بعد الموت، وبالحساب والجزاء، ويعملوا لذلك.

الآية 155، والآية 156، والآية 157: ﴿وَهَذَا﴾ القرآن هو ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ على نَبِيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مُبَارَكٌ﴾: يعني كثير الخير والنفع ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ فيما يأمر به وينهى عنه، ﴿وَاتَّقُوا﴾ اللهَ، فلا تخالِفوا له أمرًا ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي لِيَرحمكم سبحانه وتعالى، فتنجوا من عذابه، وتفوزوا بجنته.

♦ وقد أنزلنا إليكم هذا القرآن ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: يعني لِئَلاَّ تقولوا – يا كفار العرب - : ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ﴾ من السماء ﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ وهم اليهود والنصارى، ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾: يعني وقد كنا عن قراءة كتبهم في شُغل، وليس لنا بها علم ولا معرفة.

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾: يعني ولِئَلاَّ تقولوا – أيها المشركون - : ﴿لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾: يعني لو أنَّا أُنزِلَ علينا كتابٌ من السماء كما أُنزل على اليهود والنصارى: ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾: أي لكنَّا أشدَّ استقامةً على طريق الحق منهم، فإنه لا عُذرَ لكم الآن ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: يعني فقد جاءكم كتابٌ بلسانٍ عربيٍ مبين، وتلك حُجَّةٌ عليكم مِن ربكم، لأنه نزل بلسانكم، ﴿وَهُدًى﴾: أي وإرشاد إلى طريق الحق، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لهذه الأمَّة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآَيَاتِ اللَّهِ﴾: يعني فلا أحد أشدّ ظلمًا مِمَّن كذَّب بحُجج الله تعالى الواضحة، ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أي وأعرض عنها، ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾: يعني سنعاقب هؤلاء المعرضين عقابًا شديدًا في نار جهنم بسبب إعراضهم عن آياتنا، وصَدِّهم عن سبيلنا.

الآية 158: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: يعني هل ينتظر هؤلاء المُعرضون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ - وهم مَلَكُ الموت وأعوانه لقبض أرواحهم -، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ عَزّ وَجَلّ يومَ القيامةِ لِيَفصِلَ بينهم بالقضاءِ العادل – إتيَاناً حقيقيّاً بذاتِهِ – على الوجهِ اللائق بِهِ سُبحانه.

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾: يعني أو هل ينتظرون أن تأتي بعض أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على مجيئها، وهي طلوع الشمس من مغربها؟ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: يعني فحين تطلع الشمس من مغربها: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾: أي لا يَنفعُ نفساً أن تؤمن بعد ظهور هذه العلامة، طالما أنها لم تكن آمنتْ قبل ذلك، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾: يعني وإن كانت مؤمنة: فلا يُقبل منها كَسْب عمل صالح في تلك اللحظة ، طالما أنها لم تكن عاملة به قبل ظهور هذه العلامة، لأن باب التوبة يكونُ مفتوحاً إلى هذا اليوم (وهو يوم طلوع الشمس من مغربها)، ثم بعد ذلك يُغلَق، قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري – : (لا تقومُ الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس: آمَنَ مَن عليها، فذلك حين لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبل).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وذلك لأنه إذا وُجِدَت تلك العلامات: صار الأمرُ يَقينيّاً، ولم يَبق للإيمان فائدة، لأنه أصبح إيماناً اضطرارياً لا اختيارياً، كإيمان الغريق والحريق ونحوهما، مِمَّن إذا رأى الموت، أقلَعَ عما هو فيه.

﴿قُلِ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿انْتَظِرُوا﴾ مَجيء ذلك اليوم، لتعلموا مَن مِنَّا على الحق ومَن على الباطل، فـ ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك اليوم، وعلى يقينٍ بمجيئه.

الآية 159: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: أي جعلوا دينهم مَذاهب تُعادي بعضها بعضاً، وذلك بعد أن كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: أي فأصبحوا فرقاً وأحزاباً، إنك أيها الرسول ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، بل أنت بريءٌ منهم، و ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، ثم يُجازي كُلاًّ بما عمل.

الآية 160: ﴿مَنْ جَاءَ﴾ رَبَّهُ يومَ القيامةِ ﴿بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ مِثقالَ ذَرَّة.

الآية 161: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أي إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم المُوصِل إلى جنته، وهو دين الإسلام، فهداني ﴿دِينًا قِيَمًا﴾: أي ديناً معتدلاً لا عِوَجَ فيه، قائماً بأمر الدنيا والآخرة، ثم زادَهُ مَدحًا بقوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ مُذَكِّرًا لهم – لِتقليدهم الآباء– بأنه دين أبيهم الأعظم إبراهيم الذي كان ﴿حَنِيفًا﴾: أي مائلاً عن الباطل إلى الحق، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مع الله غيره.

الآية 162، والآية 163: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي وما أذبحه تقرُّباً إلى ربي، ﴿وَمَحْيَايَ﴾: أي وما أفعله في حياتي من طاعات، ﴿وَمَمَاتِي﴾: أي وما أُوصِي به لِيُفعَل بعد وفاتي، كل ذلك أجعله خالصاً ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾: أي وبذلك التوحيد الخالص أمَرَني ربي جَلّ وعَلا، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: يعني وأنا أول مَن أسلَمَ وخضع وانقادَ لأوامر اللهِ تعالى مِن هذه الأمة.

♦ واعلم أن الله تعالى قد اختص الصلاة والذبح بالذِكر دونَ سائر العبادات، لِشَرَف هاتين العبادتين وفَضلِهما، ودَلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذي هو بَذْل ما تحبه النفس من المال، لِمَن هو أحَبّ إليها وهو الله تعالى.

الآية 164: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يعني أغيرَ الله أطلب رَبّاً وإلهاً أعبده، وهو خالقُ كل شيء ومالكُه ومُدَبِّره؟، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾: يعني واعلموا أنه لا تكسب نفسٌ مِن خيرٍ إلا وهو لها، ولا تكسب مِن شَرّ إلا وهو عليها، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: أي ولا تحمل نفسٌ إثمَ نفسٍ أخرى، إلا إذا كانت سبباً في إضلالها (ولم تَتُب عن ذلك الإضلال)، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

www.alukah.net

الآية 165: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾: يعني واللهُ سبحانه هو الذي جعلكم تَخْلُفون مَن سَبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم، وذلك لتعمروها بطاعة ربكم، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾ في الرزق والقوة ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ﴾: أي لِيَبْلُوَكُمْ فيما أعطاكم مِن نِعَمِه، فيَظهر للناس الشاكرُ مِن غيره، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لِمَن كَفر به وعصاه ولم يَتُب، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لِمَن شَكَره، وعمل صالحا وتاب من المعاصي، ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الأعراف كاملة

1. تفسير الربع الأول من سورة الأعراف

الآية 1: ﴿المص﴾: سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، (واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: ألف لام ميم صاد).

الآية 2، والآية 3: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: يعني إنّ هذا القرآن هو كتابٌ عظيمٌ أَنزله اللهُ عليك أيها الرسول ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾: يعني فلا يكن في صَدرك ضِيقٌ منه بسبب إبلاغه للمشركين، ولا تَخشَ بسببه لائماً أو مُعارِضاً، فإنما أنزلناه إليك ـ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾: أي لِتُخَوِّف به الكافرينَ مِن عاقبة شِركهم وضَلالهم ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولِتُذَكِّر به المؤمنينَ، وتقولَ لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من الكتاب والسُنَّة (وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي)، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾: أي ولا تتّبعوا مِن غير اللهِ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ كالشياطين والأحبار والرُهبان ورؤساء الشرك والضَلال، إنكم أيها الناس ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾: يعني قليلاً ما تتعظون، وتَرجعون إلى الحق.

الآية 4: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: وكثيرٍ مِن القرى أرَدْنا إهلاك أهلها – بسبب تكذيبهم وعِصيانهم – ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾: أي فجاءهم عذابنا مَرة وهم نائمون ليلاً، ومَرة وهم نائمون نهارًا (وقت القَيْلُولة) – وهو الوقت الذي يَستريح فيه الإنسان بعد صلاة الظهر – (وذلك على الراجح من أقوال العلماء)، وقد خَصَّ اللهُ هذين الوقتين بنزول العذاب : لأنهما وقتان للسكون والراحة، فمَجِيء العذاب فيهما يكونُ أفظع وأشد.

الآية 5: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾: يعني فما كانَ قولهم عند مَجيء العذاب ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: أي اعترفوا أنهم كانوا مستحقين لهذا العذاب بذنوبهم، ولكنْ لم تنفعهم التوبة عند مُعايَنة الموت والعذاب، (ولذلك ينبغي للعبد المؤمن أن يُجَدِّد التوبة في كل وقت، حتى يأتيه الموت وهو تائب، إذِ النجاةُ كلها في لقاء اللهِ تعالى بتوبةٍ نصوح).

الآية 6: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ - وهم الأُمَم والأقوام – فنقول لهم يوم القيامة: (ماذا أجبتم رُسُلنا ؟)، ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعَمَّا أجابتهم به أُمَمُهم.

الآية 7: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾: أي فلَنُخبرنَّ الخَلقَ بكل ما عملوا، وذلك ﴿بِعِلْمٍ﴾ مِنَّا لأعمالهم (ظاهرها وباطنها)، لا يَستطيعونَ إخفاء شيءٍ منها، ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عنهم حينَ كانوا في الدنيا، بل كانت أعمالهم مكشوفةً ظاهرةً لدينا.

♦ ورغم أنه سبحانه أعلمُ بما عملوا، ولا يَحتاجُ إلى أن يَسألهم عمَّا فعلوه، إلاَّ إنّ سؤالَهُ تعالى لهم كانَ مِن باب إقامة الحُجَّة عليهم، ولإظهار عَدالته فيهم.

www.alukah.net

الآية 8، والآية 9: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ يعني: إنّ وَزنَ الأعمال يوم القيامة يكونُ بميزان حقيقي بالعدل، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ لكَثرة حسناته: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزونَ بالنجاةِ من النار ودخول الجنة، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ يعني: وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت موازين سيئاته: ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: أي فأولئك هم الذين أضاعوا حظَّهم من رضوان اللهِ تعالى وجَنَّتِه، وذلك ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أي بسبب تجاوزهم الحَدّ في آياتنا (وذلك بِجحودهِم لها وعدم الانقياد لها).

الآية 10: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي جعلناكم متمكنين فيها (وذلك بأنْ جعلناها لكم مستقرة مُمَهَّدَة لا تضطرب، حتى لا يَفسد ما عليها)، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾: أي جعلنا لكم فيها ما تعيشون به من مَطاعم ومَشارب، ومع ذلك فـ ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَ اللهِ عليكم، (واعلم أنَّ الشُكر يكونُ حَمداً باللسان واعترافاً بالقلب، وبأن يَستخدمَ العبدُ هذه النِعَم في طاعة اللهِ تعالى، وألاّ يَستخدمها في مَعْصِيَتِه، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾، وقال أيضاً: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾).

الآية 11: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: ولقد أنعمنا عليكم بخَلْق أصلكم - وهو أبيكم آدم من العدم -، ثم صوَّرناه على هيئته البشرية الكريمة، المُفضَّلة على كثيرٍ من الخَلق، ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (سجود تحيةٍ وتكريم، وليس سجود عبادةٍ وخضوع)، ﴿فَسَجَدُوا﴾ جميعًا ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الذي كان معهم (يَعبد اللهَ تعالى)، فإنه ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ حسدًا لآدم على هذا التكريم العظيم.

الآية 12: ﴿قَالَ﴾ تعالى مُنكِرًا على إبليس تَرْك السجود: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾؟ ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ فقد ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، فرأى أن النار أشرف من الطين، وفضَّلَ ما يراه عقله على الانقياد لأمْر ربه.

الآية 13: ﴿قَالَ﴾ اللهُ لإبليس: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي مِن الجنة، ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: يعني فمَا يَصِحّ لك أن تعيش فيها وأنت من المتكبرين، ﴿فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ أي من الذليلين الحقيرين.

الآية 14: ﴿قَالَ﴾ إبليسُ لِلهِ تعالى - عندما يئس من رحمته -: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أي أمْهِلني إلى يوم البعث، وذلك لأتمكن من إضلال مَن أقدر عليه من بني آدم.

الآية 15: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى لبليس: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾: يعني إنك مِمَّن كتبتُ عليهم تأخير الأجل إلى النفخة الأولى (التي ينفخها إسرافيل في القرن)، وذلك حين يموت جميع الخلق.

الآية 16 والآية 17: ﴿قَالَ﴾ إبليسُ لِلهِ تعالى: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بسبب إضلالك لي: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: يعني لأجتهدنَّ في إضلال بني آدم عن طريقك المستقيم، ولأصدَّنَّهم عن الإسلام الذي فطرْتَهم عليه، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: يعني ثم لآتينَّهم من جميع الجهات والجوانب، فأصُدّهم عن الحق، وأُحَسِّن لهم الباطل، وأُرَغِّبهم في الدنيا، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ لِنِعَمِك.

الآية 18: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى لإبليس: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾: أي اخرج من الجنة مَكْروهًا ﴿مَدْحُورًا﴾: أي مطرودًا مُبعَداً، ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي لأملأنَّ جهنم منك ومِمّن اتَّبعك من بني آدم.

الآية 19: ﴿وَ﴾ قال اللهُ تعالى: ﴿يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ﴿فَكُلَا مِنْ﴾ ثِمارها ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي المتجاوزين حدودَ اللهِ تعالى.

الآية 20: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ لإيقاعهما في معصية اللهِ تعالى بالأكل من الشجرة التي نهاهما عنها ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا﴾: أي لتكون عاقبتهما: انكشاف ما سُتِرَ من عوراتهما، ﴿وَقَالَ﴾ لهما في محاولة المَكر بهما: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي مِن الملائكة ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الذين لا يموتون.

♦ وهنا قد يقول قائل: كيف استطاع إبليس أن يوسوس لهما وهما داخل الجنة، عِلماً بأنه مطرود من الجنة؟

والجواب - واللهُ أعلم – أنه ربما يكون المقصود مِن طَرْدِهِ من الجنة: عدم الاستقرار فيها، (وربما يكون قد وسوس لهما من خارج الجنة، فوصلتْ وسوسته إليهما وهما داخل الجنة)، ولا نستبعد ذلك أبداً، فقد رأينا في عصرنا هذا أنّ الشخص يستطيع التحدث مع شخصٍ آخر وهو على بُعدٍ سحيقٍ منه، وذلك باستخدام العديد من وسائل الاتصال الحديثة، (وأيّاً كانت الوسيلة، المُهِمّ أن هذه الوسوسة قد وصلتْ إليهما بقدر اللهِ تعالى).

الآية 21: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾: يعني وأقسم الشيطان لآدم وحواء باللهِ ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في مَشورتي عليكما بالأكل من الشجرة (وهو كاذبٌ في ذلك).

الآية 22: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾: أي فجرَّأهما بخداعٍ منه، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا ﴾ أي انكشفت لهما عوراتهما، وزالَ السِّتر الذي سَترهما اللهُ به قبل المعصية، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: أي وأخذا يَلزقان بعض ورق الجنة على عوراتهما، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ قائلاً: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؟، (وفي هذا دليل على أنّ كَشْف العورة من عظائم الأمور، وأنه كان – ولم يَزَل - مُستنكَراً في الطباع، مُستقبَحًا في العقول).

♦ ونلاحظ أنّ اللهَ تعالى قال لهما: (تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ) ولم يقل: (تلك الشجرة)، وذلك لأنّ لغة العرب تقول: (تلكَ الشجرة يا زيد)، (تلكِ الشجرة يا هند)، (تلكما الشجرة يا زَيدان، أو يا هِندان، أو يا زَيد وهِند)، (تِلكُم الشجرة يا رجال)، (تلكنَّ الشجرة يا فتيات)، فهي تأتي حسب المُخاطَب.

الآية 23: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ أي عَرَّضنا أنفسنا للعقاب والهلاك بالأكل من الشجرة، ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا ﴾ ذنبنا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ بقبول توبتنا وعِصمتنا من الذنوب: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الذين أضاعوا حظَّهم من نعيم الجنة، (وهذه الكلمات هي التي تَلَقَّاها آدمُ مِن ربه، فدعا بها، فَقَبِلَ اللهُ توبته).

www.alukah.net

الآية 24 الآية 25: ﴿قَالَ﴾ تعالى مُخاطبًا آدم وحواء وإبليس: ﴿اهْبِطُوا﴾ أي من السماء إلى الأرض، وسيكون ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني: (آدم وحواء) يُعادون الشيطان، والشيطان يُعادِيهما، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي مكانٌ تستقرون فيه، ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾: أي وانتفاعٌ بما في الأرض إلى وقت انتهاء آجالكم، ثم ﴿قَالَ﴾ تعالى لآدم وحوَّاء وذريتهما: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي: في الأرض تقضونَ أيام حياتكم الدنيا ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾: أي ومنها يُخْرجكم ربكم أحياءً يوم البعث للحساب والجزاء.

الآية 26: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ أي يَستر عوراتكم (وهو لباس الضرورة)، ﴿وَرِيشًا﴾: أي وجعلنا لكم لباسًا للزينة والتجمل، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يعني: ولباسُ تقوى اللهِ تعالى - بفعل الأوامر واجتناب النواهي - هو خيرُ لباسٍ للمؤمن في حِفظ العورات والأجسام والعقول والأخلاق، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي مَنَّ اللهُ به عليكم هو ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على قدرته وفضله ورحمته بعبادهِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي لعلهم يَتذكرونَ ويَتَّعظون، فيشكروا اللهَ تعالى على هذه النعم بتوحيده وطاعته.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ يُفهَم منه أنّ إنزال اللّباس كان من السماء، ولعل ذلك يعود إلى أمور، منها: أنّ آدم عليه السلام هو أوّل مَن سَتَرَ عورته بورق التين من شجر الجنة، ومنها: أنّ آدم نزل من السماء مَكْسُوّاً وورث عنه أولاده ذلك، ومنها: أنّ الماء الذي يَخرج بسببه القطن والكِتَّان قد نزل من السماء، (وحتى الأنعام ذَوات الصوف والوَبَر والريش (كالغنم والإبل والنعام) حياتها متوقفة على ماء السماء)، واللهُ أعلم.

الآية 27: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي لا يَخدعنَّكم الشيطان، فيُزَيِّن لكم المعصية، ويدعوكم إليها ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾: أي كما زيَّنها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، ﴿يَنْزِعُ﴾: أي وقد تسبَّب في أن نُزِعَ ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ الذي سَترَهما اللهُ به، وقد فعل الشيطان ذلك ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾: أي لتنكشف لهما عوراتهما.

♦ واعلمْ أنّ اللهَ تعالى قد ذَكَرَ الفِعل: ﴿يَنْزِعُ﴾ بصيغة المضارع، بعد أن كانَ سِياق الآية بصيغة الماضي، لِيُوَضِّحَ أنّ الشيطان قد بذل جهده في وسوسته لهما وتزيينه للمعصية، وأنه استمر في المكر والخَديعة حتى أوقعهما في الخطيئة، (لأنّ الفِعلَ المضارع يدل على الاستمرارية)، وفي هذه الآية دليل على حِرص الشيطان على أن يكشف الآدَمِيُّ عورته، لِمَا يَتبع ذلك من الفِسق والفجور.

♦ وقال تعالى - مُنَبِّهاً بني آدم على خطورة عدوهم -: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: يعني إنّ الشيطان يُراقبكم على الدَّوام، ويراكم هو وذريته وجنوده من الجن، وأنتم لا ترونهم فاحذروهم - بالاستعاذة الفورية مِن وسوستهم -، ولا تغفُلوا عن المواضع التي يَدخلون إليكم منها، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أي نُصَراء وأحِبَّاء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنّ قلوب الكافرين متهيئة لقبول ما توسوس به الشياطين من أنواع الشِرك والمعاصي وإضلال الناس، فلذلك كانوا أولياءَ لهم.

الآية 28: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ يعني: وإذا فَعَلَ الكفارُ فِعلاً قبيحًا – كالطواف بالبيت وهم عُراة – اعتذروا عن ذلك، بأنْ ﴿قَالُوا﴾: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا﴾: أي وَرِثنا تلك الأمور عن آبائنا ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول –: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ﴾ عباده ﴿بِالْفَحْشَاءِ﴾ ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كَذِبًا وافتراءً؟

الآية 29، والآية30: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أي أمَرَ سبحانه بالعدل (وقمة العدل: توحيدُ اللهِ تعالى، لأنه سبحانه الخالق المُنعِم، وأما غيره فلم يَخلُق شيئاً ولم يُنعِم بشيء)، ﴿وَأَقِيمُوا﴾: أي وأمَرَكم سبحانه أن تقيموا ﴿وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي أمَرَكم أن تُخلِصوا له العبادة في كل مَوضع من مواضعها، وخاصَّةً في المساجد، (وقد خَصَّ سبحانه الوجه بالعبادة لأنه إذا خضع وَجْهُ العبد لله: خضعتْ له جميع جوارحِه، فلا يُشركُ بعبادته أحدًا)، ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: وأمَرَكم سبحانه أن تدعوه وحده ولا تدعوا معه أحداً، وأنْ تؤمنوا بالبعث بعد الموت، لأنه سبحانه ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي: كما أوجَدَكم من العدم، فإنه قادرٌ على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى.

♦ ثم أخبر تعالى أنه جعل عباده فريقين: ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾: أي فريقًا وفَّقهم للهداية إلى الصراط المستقيم، ويَسَّرَ لهم أسبابها، وصَرَفَ عنهم ما يُشغِلُهم عنها (وذلك بسبب اتِّباعِهم لأسباب الهدى)، ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾: أي وَجَبَتْ عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم، ثم وَضَّحَ السبب في استحقاقهم لهذه الضَلالة فقال: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي أطاعوهم وأحَبُّوهم مِن دون اللهِ تعالى (فحِينَ تركوا ولاية الرحمن، وأحَبُّوا ولاية الشيطان، حصل لهم النصيب الوافر من الخُذلان، وَوُكِلوا إلى أنفسهم فخَسِروا أشد الخُسران)، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: أي وقد أطاعوا الشياطين ظنًا منهم بأنهم قد سلكوا سبيل الهداية، فانقلبتْ عليهم الحقائق، فظنوا الباطلَ حقاً والحقَّ باطلاً، ولذلك أضَلَّهم اللهُ بِعَدْلِه، كما قال تعالى في سورة الصف: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

****

2. تفسير الربع الثاني من سورة الأعراف

الآية 31، والآية 32: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ التي شرَعها اللهُ لكم – مِن لِبس الثياب الساترة للعورة، والنظافة والطهارة ونحو ذلك – ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: يعني عند أداء كل صلاة (فلا تُصَلّوا وأنتم مَكشوفوا العورات، ولا تطوفوا بالبيت عُراة كما فعل المشركون)، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ من طيبات ما رَزَقكم الله، ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: يعني ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك، ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ في الطعام والشراب وغير ذلك.

♦ واعلم أنّ هذه الآية أصلٌ من أصول الدواء، إذ حَرَّمَتْ الإسراف في الأكل والشرب، لأن ذلك سبب كافة الأمراض، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما ملأ آدَمِيٌّ وعاءً شراً مِن بطنه، بِحَسْب – يعني يكفي – ابن آدم أكَلات يُقِمْنَ صُلبَه، فإن كان لا مَحالة، فثُلُثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثُلثٌ لنَفَسِه) (انظرالسلسلةالصحيحة ج: 336/5).

www.alukah.net

♦ وَلَمَّا حَرَّمَ المشركون الطوافَ بالثياب - وطافوا بالبيت عُراة – بِدَعوَى أنهم لا يطوفون بثيابٍ عَصَوا اللهَ تعالى فيها، أنكَرَ اللهُ ذلك عليهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾: يعني مَن الذي حَرَّمَ عليكم الثياب التي جعلها اللهُ زينةً لكم؟ (واعلم أنّ معنى: ﴿ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾: أنه سبحانه أخرج النبات – الذي يُصنَع منه الثياب – من الأرض، كالقطن والكِتَّان وغيرهما).

﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾: يعني ومَن الذي حَرَّمَ عليكم التمتع بالحلال الطيب مِن رزق اللهِ تعالى؟ (والمقصود بذلك: اللحوم التي حَرَّمَها المشركون افتراءً على اللهِ تعالى، وهي المذكورة في سورة الأنعام)، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول : إن المَطاعم والمَشارب والملابس التي أحَلَّها اللهُ تعالى ﴿هِيَ﴾ حقٌ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يُشاركهم فيها غيرُهُم، ﴿خَالِصَةً﴾ لهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ دونَ أن يُشاركهم فيها أحد، ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي يَعلمونَ ما يُبَيِّنُ لهم فيَعملوا به، (فبذلك أخبر تعالى عن نعمةٍ عظيمة، وهي تفصيلِهِ للآيات وإظهارها، لِيَنتفع بها العلماء الذين يُمَيِّزونَ – بنور العلم – بين الحق والباطل، ولِيُعَلِّموها للناس).

♦ وفي الآية دليل على أنه يُشرَع التَجَمُّل بأحسن الثياب، وخاصةً في الأعياد والجُمَع وزيارة الناس ومقابلة الوفود، وليس مِن السُنّة لِبس المُرَقَّعات، وليس معنى: (لباس التقوى) أنها الثياب الخشنة والمُرَقَّعة، وإنما المقصود بذلك: تقوى اللهِ تعالى بامتثال الأمر واجتناب النَهي، وفي الحديث الصحيح: (إنّ اللهَ جميلٌ يحب الجَمال).

الآية 33: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾: يعني إنما حَرَّمَ اللهُ القبائح من الأعمال ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: أي ما كان منها ظاهرًا أمام الناس، وما كان خَفيًّا في السر، ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ يعني: وحَرَّم تعالى المعاصي كلها، ومِن أعظمها الاعتداء على الناس بغير حق (يعني بغير المُعاقَبة بالمِثل)، فقد قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾، ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ يعني: وحَرَّمَ سبحانه أنْ تعبدوا معه غيره من الآلهة المزعومة، التي لم يُنَزِّل اللهُ حُجَّةً تدل على أنها تستحق العبادة، أو أنها تقربكم إليه كما تزعمون (فهي مصنوعة بأيديكم، لا تَسمع ولا تُبصِر، ولا تنفع ولا تضر)، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: وحَرَّمَ سبحانه عليكم أن تنسبوا إليه ما لم يُشَرِّعْهُ (كذبًا وافتراءً)، كتحريم بعض الحلال من الملابس والطعام، (واعلم أنه يَدخل في ذلك أيضاً: الفتوى بغير علم).

الآية 34: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: يعني ولكل جماعةٍ اجتمعتْ على الكُفر: وقتٌ لحلول العقوبة بهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾: أي فإذا جاء الوقت المحدد لإهلاكهم، فإنهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: أي لا يتأخرون عن ذلك الوقت لحظة، ولا يتقدمون عليه.

الآية 35، والآية 36: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾: يعني إذا جاءكم رُسُلِي من أقوامكم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ أي يَتْلُونَ عليكم آياتي المُنَزَّلة عليهم، ويُبَيِّنون لكم البراهين على صِدق ما جاؤوكم به فأطيعوهم، ﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾ عذاب اللهِ تعالى (بفعل الأوامر وأوّلها التوحيد، واجتناب النواهي وأوّلها الشرك)، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله (بالإخلاص واتّباع السُنّة) ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يوم القيامة مِن عذاب اللهِ تعالى، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما فاتهم من حظوظ الدنيا، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: يعني وأمَّا الكفار الذين كذَّبوا بالدلائل الواضحة على توحيد اللهِ تعالى، وتكبَّروا عن اتّباعها فـ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ - أي أهْلُها - ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

♦ واعلم أنّ القَصَص: هو إتْباعُ الحديث بعضه بعضاً، وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾، أي يَتْلُونها عليكم آية بعد آية، مُوَضّحين لكم ما دَلَّتْ عليه مِن أحكامٍ وشرائع ووعدٍ ووعيد.

الآية 37: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يعني: فمَن أشدّ ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ - وذلك بأن زَعَمَ كَذِباً أنّ له شريكاً أو ولداً، أو أنه أمَرَ بالفواحش، أو أنه حَرَّمَ كذا - ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ المُنَزَّلة؟، فـ ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي يَصِلُ إليهم نصيبهم من الحياة الدنيا (مما قُدِّرَ لهم في اللوح المحفوظ) ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: أي حتى إذا جاءهم مَلَكُ الموت وأعوانه لِيَقبضوا أرواحهم: ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يعني أين الذين كنتم تعبدونهم من دون اللهِ من الأصنام والأولياء لِيُخلِّصوكم مما أنتم فيه؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾: أي ذهبوا وغابوا عنا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

الآية 38: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى لهؤلاء المشركين المُفترَين: ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي ادخلوا في جُملة جماعات من الكافرين الذين سبقوكم ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ فادخلوا جميعاً ﴿فِي النَّارِ﴾، ثم يُخبِرُ تعالى أنه ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: أي كلما دخلتْ النارَ جماعةٌ من أهل مِلَّة معينة: لعنتْ نظيرتها التي أضلَّتْها، فلَعَنَ المشركون بعضهم بعضاً، ولَعَنَ اليهود والنصارى بعضهم بعضاً، وهكذا، ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾: يعني حتى إذا لحق الأوَّلون من أهل المِلَل الكافرة بالآخرين منهم، فدخلوا جميعاً في النار وتقابلوا فيها: ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾: أي قال الآخرون – (وهم الأتباع المرؤوسون في الدنيا) – فقالوا للأوَّلين (وهم القادة والرؤساء في الضلال): ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾ هم الذين ﴿أَضَلُّونَا﴾ عن الحق، ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي مُضاعفاً ﴿مِنَ النَّارِ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾: أي لِكُلٍّ منكم ومنهم عذابٌ مُضاعَف من النار، ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أيها الأتباع ما لِكُلٍّ فريقٍ منكم من العذاب والآلام.

الآية 39: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ﴾: يعني وقال الرؤساء لأتباعهم: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾: أي لا أحد منكم أفضل مِنَّا حتى تزعموا أنكم لا تستحقون العذاب، فكُلُّنا نستحقه بما فعلنا من الشرك والمعاصي، فقال اللهُ لهم جميعًا: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي بما كنتم تفعلونَ من الظلم والشر والفساد.

الآية 40، والآية 41: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة – على التوحيد والبَعث والنُبُوَّة – ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: يعني ولم يعملوا بما شَرَعناه لهم تكبُّرًا واستعلاءً، أولئك ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي لا تُفتَّح لأعمالهم في حياتهم، ولا لأرواحهم عند مماتهم، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: يعني ولا يُمكن أن يدخل هؤلاء الكفار الجنة، إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا مستحيل، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين كَثُرَ إجرامهم، واشتدَّ طغيانهم، فهؤلاء ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: أي فِراشٌ مِن تحتهم مصنوعٌ من النار ينامون عليه، ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾: يعني ومِن فوقهم أغطية تَغشاهم – أي يَتغطون بها – مصنوعة من النار أيضاً، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الذين تجاوزوا حدودَ اللهِ تعالى فكفروا به وعصَوْه.

www.alukah.net

الآية 42، والآية 43: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - في حدود طاقاتهم - لأننا ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي لا نُكَلِّف أحداً إلا بما يطيق من الأعمال، فـ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ يعني: وقد أذهَبْنا ما في صدور أهل الجنة من حِقدٍ وضغائن وكراهية، فهم إخوة مُتحابون ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: أي تجري أنهارُ الماء والعسل واللبن والخمر مِن تحت قصورهم العالية، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ أي الحمدُ لله الذي وَفَّقنا للعمل الصالح الذي أكسَبَنا ما نحن فيه من النعيم، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾: يعني وما كُنَّا لِنُوَفَّق إلى سلوك الطريق المستقيم لولا أنْ هدانا اللهُ له، ووفَّقنا للثبات عليه، ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي بالأخبار الصادقة - مِن وعد أهل الطاعة بالنعيم، ووعيد أهل المعصية بالعذاب - ﴿وَنُودُوا﴾: يعني ونُودِيَ على أهل الجنة - تهنئةً لهم وإكرامًا - ﴿أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يعني إنَّ هـ ذه الجنة قد أورثكم اللهُ إياها برحمته، وقد مَنَحكم هذه الرحمة بسبب ما قدَّمتموه من الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، وقال أيضاً في سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

♦ واعلم أنه لا تناقض بين هذه الجملة: ﴿ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لن يَدخل أحدُ الجنةَ بعمله)، فالباء في كلمة: (بِعمله) تُسَمَّى باء المُقابَلة، كما يُقال: اشتريتُ هذا بهذا؛ أي: ليس العملُ وحده ثمنًا كافيًا لدخول الجنة، بل لا بد مِن رحمة اللهِ تعالى، أما الباء التي في قوله تعالى: ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، فتُسَمَّى باء السبب؛ أي: بسبب أعمالِكم.

♦ واعلم أنّ العبد إذا أصابه عُجب (يعني إعجاب وغرور بعمله)، فإنه ينبغي أن يقول هذه الجملة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾، وذلك حتى يَنسب الفضل للهِ تعالى صاحب النعمة والتوفيق، ولا يَنسب الفضل لنفسه الأمَّارة بالسوء، حتى لا يَخذله اللهُ تعالى، ويَرُدّ عليه عمله.

****

3. تفسير الربع الثالث من سورة الأعراف

الآية 44، والآية 45: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ - بعد دخولهم فيها - ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ من النعيم الذي أعَدَّه لأهل طاعته، ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ من العذاب الذي أعَدَّهُ لأهل معصيته؟ ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾: أي فنادَى مُنادٍ بأعلى صوته بين أهل الجنة وأهل النار: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي الذين كانوا يَصُدُّون الناس - ويَصُدُّون أنفسهم - عن اتِّباع طريق الله المستقيم، وهو الإسلام، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: يعني ويطلبون أن تكون سبيل الله - وهي الإسلام - مُعْوَجَّة حتى لا يَسلكها أحد، وحتى يَجعلوا الشريعة تميل مع شهواتهم وتخدم أغراضهم ﴿وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

الآية 46: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ يعني: وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يُقال له " الأعراف"، ﴿وَعَلَى﴾ هذا ﴿الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، يَنتظرون قضاء اللهِ فيهم، ويرجون رحمته تعالى بهم، وهؤلاء الرجال ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾: أي يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، كَبَيَاض وجوه أهل الجنة ، وسَواد وجوه أهل النار ، ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: يعني ونادى رجال الأعراف على أصحاب الجنة بالتحية ﴿أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ يعني: وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يَرجونَ دخولها.

الآية 47: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: يعني وإذا حُوِّلَتْ أبصار رجال الأعراف جهة أهل النار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية 48، والآية 49: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ يعني: ونادى أهل الأعراف على رجالٍ من قادة الكفار في النار، يعرفونهم بعلاماتٍ خاصة تُمَيِّزهم، فـ ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: أي ما نَفَعَكم ما كنتم تجمعون في الدنيا من الأموال والرجال (للحروب)، وما نَفَعَكم تكبُّركم عن الإيمان وقَبول الحق.

♦ ثم أشار أهل الأعراف إلى أُناسٍ من أهل الجنة كانوا في الدنيا فقراء ضعفاء يَستهزئ بهم أهل النار، فقالوا لأهل النار: ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ الذين أدخلهم اللّهُ الجنة هم ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ يا أهل النار في الدنيا بأنهم ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: أي لن يُكرمهم اللّهُ تعالى، ولن يَرفع لهم قدْراً لأنهم فقراء ضعفاء؟، فلمَّا قال أصحاب الأعراف ذلك، قيل لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ يا أصحاب الأعراف فقد غُفِرَ لكم، و ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ من عذاب اللهِ تعالى ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

♦ واعلم أنّ بعض المفسرين قد فسَّروا قوله تعالى: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ بأنَّ أصحاب الأعراف لَمَّا وَبَّخوا أهل النار بقولهم: ﴿ مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾، أقسَمَ أهل النار أن أصحاب الأعراف داخلونَ النار معهم، فقالت الملائكة لأهل النار: (أهؤلاء – وأشاروا إلى أصحاب الأعراف – هم الذين أقسمتم يا أهل النار أنّ الله لن يُدخلهم الجنة، وأنهم سيَدخلون النار معكم؟)، ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

الآية 50، والآية 51: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ - مُستغيثين بهم - ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا﴾: أي صُبّوا علينا وأعطونا ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ - وذلك لشدة عطشهم (بسبب حَرّ جهنم) - ، ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ من الطعام، فـ ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾: أي حَرَّم الشراب والطعام ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾: أي الذين استهزءوا بالدين – الذي أمَرَهم اللهُ باتّباعه – وشَغَلوا أنفسهم بما لا يَنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: يعني وخدعتهم الدنيا بزينتها، فشَغَلتهم عن العمل للآخرة، ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ﴾: يعني فيوم القيامة نتركهم في العذاب الأليم ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: يعني كما تركوا العمل في الدنيا، ولم يَستعدوا للقاء هذا اليوم، وبسبب إنكارهم لأدِلَّة اللهِ وبراهينه الواضحة.

www.alukah.net

♦ واعلم أننا قلنا بأنَّ معنى قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ ﴾ أي نتركهم في العذاب، لأنّ اللهَ تعالى قد أخبر عن نفسه فقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾، وقال تعالى: ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾، وعلى هذا فمِن الأخطاء الشائعة: قوْل بعض الناس – إذا ماتَ لهم مَيِّت –: (ربنا افتكره) أو (افتكاره رحمة)، وذلك على حَدّ قوْلهم.

♦ وقد ثبت أنَّ عبد الله ابن عمر شَرِبَ ماءً بارداً، فبَكى، فسُئِل: (ما يُبكيك؟)، فقال: (ذَكَرْتُ آيةً في كتاب الله: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾، فعرفتُ أنّ أهل النار لا يَشتهون إلا الماء البارد، وقد قال اللهُ عز وجل: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

الآية 52، والآية 53: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾: يعني ولقد جئنا الكفار بقرآنٍ أنزلناه عليك أيها الرسول، وهذا القرآن قد ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾: أي بَيَّنَّا فيه جميع الأشياء التي يَحتاج إليها الخلق، وذلك ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ مِنَّا بأحوال العباد في كل زمان ومكان، وبما يَصلح لهم وما لا يَصلح، (فهو تفصيلُ مَن أحاطَ عِلمُهُ بكل شيء، وَوَسِعَتْ رحمته كل شيء)، وقد جعلنا هذا القرآن ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

♦ ثم أنكرَ تعالى على أهل مكة عدم مُسارعتهم إلى الإيمان، بعد أن جاءهم هذا الكتاب المُفَصّل، فقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: يعني هل ينتظر الكفار إلا ما وُعِدوا به في القرآن من العقاب الذي يَؤول إليه أمْرهم يوم القيامة، وساعتها سيؤمنون؟! ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾: يعني يوم يأتي هذا العقاب الذي يؤول إليه أمْرهم: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾: أي يقول الكفار الذين تركوا القرآن، وكفروا به في الحياة الدنيا: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: أي قد تبيَّن لنا الآن أنَّ رُسُل ربنا قد جاؤوا بالحق ونَصَحوا لنا، ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ عند ربنا، ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا مرة أخرى ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾: أي أهلَكوا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها، (إذ معنى خُسران النفس: عدم الانتفاع بها في الدنيا، حينَ كانَ في إمكانهم أن يجعلوها تفعل الخير الذي يؤدي بهم إلى الجنة)، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي ذهب وغاب عنهم ما كانوا يَزعمونه كَذِباً من شفاعة آلهتهم لهم عند ربهم.

الآية 54: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾ – الذي يجب أن تعبدوه وحده – هو ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾: أي عَلا وارتفع على العرش (استواءً يليق بجلاله وعظمته)، ودَبَّرَ الممالك، وأجرَى عليها أحكامه الكونية، فهو سبحانه ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: أي يُدخِلُ الليلَ على النهار حتى يُذهِبَ نُوره، ويُدخِل النهار على الليل حتى يُذهِب ظلامه، ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ يعني: وكل واحد منهما يَطلب الآخر طلباً حَثيثاً – أي سريعا – (إذِ الحَثّ: هو الإعجال والسرعة)، فيَطلبه سريعاً حتى يُدركه، فكلما جاء الليل: ذهب النهار، وكلما جاء النهار: ذهب الليل، وهكذا أبداً على الدوام، حتى يَطوي اللّهُ هذا العالم، وينتقل العباد إلى دارٍ غير هذه الدار.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ خلقهنَّ سبحانه، وجعلهنَّ ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾: أي مُذلّلاتٍ له، يُسَخِرهنَّ سبحانه كما يشاءُ ﴿بِأَمْرِهِ﴾: أي بتدبيره الدالّ على ما له مِن أوصاف الكمال (إذ إنّ عظمة هذه المخلوقات تدلّ على عظمة خالقها وكمال قدرته)، (وما فيها من الانتظام والإتقان والإحكام يدلّ على كمال حِكمته)، (وما فيها من المنافع الضرورية لِخَلقه يدلّ على سِعَة رحمته

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بخَلقه، وعلى سِعَة عِلمه بمصالحهم، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبَد ولا يُعبَد غيره)، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾: أي له سبحانهُ صفة الخَلق التي صدرتْ عنها جميع المخلوقات، فجميع المخلوقات مِلكٌ له سبحانه، ﴿وَالْأَمْرُ﴾: أي وله الأمرُ وحده، يَحكم ما يشاء ويَفعل ما يريد، فلا خالقَ إلا هو، ولا آمرَ ولا ناهِيَ غيره (فالخَلق: يتضمن أحكام الله القدَريَّة، والأمر: يتضمن أحكامه الشرعية)، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي عَظُمَتْ قدرته، وكَثُرَ خيره وفضله، (فتبارك سبحانه في نفسه لِعظمة صفاته وكماله، وبارك في غيره بإنزال الخير الكثير).

الآية 55: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿تَضَرُّعًا﴾: أي تذلُّلاً وخشوعاً ﴿وَخُفْيَةً﴾: أي سرًّا، غيرَ رافعين أصواتكم بالدعاء، ولْيَكُن دعاؤكم بحضورِ قلبٍ وبُعْدٍ عن الرياء ، فـ ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين حدودَ شَرْعِه، (وأعظم التجاوُز: الشِرك بالله، كدعاء غير اللهِ من الأموات والأصنام، ونحو ذلك).

الآية 56: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي بعد إصلاح اللهِ لها بِبَعث الرُسُل، وبعد عُمْرانها بطاعة اللهِ تعالى، ﴿وَادْعُوهُ﴾ سبحانه ﴿خَوْفًا﴾ مِن عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه، (وفي هذا رَدٌّ على مَن يَزعمون أنهم لا يعبدون اللهَ طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره، فقد أمَرَ اللهُ تعالى عباده بدعائه خوفاً وطمعاً، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم – وهو خيرُ الخلق – يقولُ في دعائه: (اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّبَ إليها مِن قولٍ أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّبَ إليها مِن قولٍ أو عمل))، وقال صلى الله عليه وسلم: (ما سألَ رجلٌ مُسلِمٌ اللهَ الجنة ثلاثاً، إلا قالت الجنة: (اللهم أدْخِله الجنة)، ولا استجارَ رجلٌ مُسلِمٌ اللهَ من النار ثلاثاً، إلا قالت النار: (اللهم أجِرْهُ مِنِّي)) (انظر صحيح الجامع حديث رقم: 5630).

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يُحسنون أعمالهم ونيَّاتِهم، وذلك بمراقبتهم للهِ تعالى في كل أحوالهم، ومِن ذلك إحسان الدعاء بإخلاصه وإتقانه، (واعلم أنّ الإحسانُ – كما ذكَرَ النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مُسلِم – : "أنْ تعبُدَ اللهَ كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراهُ، فإنه يَراك"، والمقصود بذلك أن تتق اللهَ قدرَ ما تستطيع، قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)، فكلما كانَ العبدُ أكثرَ إحساناً وتقوى، كلما كانَ أقرب إلى رحمة ربه).

♦ وقد كان من المُتوقَّع أن يَذكر اللهُ تعالى كلمة (قريب) بصيغة المُؤنَّث، كأنْ يُقال مَثَلاً: ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، لأنها جاءت مع كلمة (رحمة) المؤنثة، إلا إنها جاءت بصيغة المُذكَّر، وأحسن ما قِيلَ في ذلك أنَّ كَلِمَتَي (قريب وبعيد) إذا جاءا مع النَسَب والقَرابة، فإنه يَجب تذكيرهما مع المُذكَّر وتأنيثهما مع المُؤنَّث، مِثل: (زيد قريب عمر، وعائشة قريبة بكر)، وأما إذا جاءا مع غير النسب والقرابة، فإنه يجوز أن يأتيا بصيغة المُذكَّر كما يجوز أن يأتيا بصيغة المُؤنَّث، كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، وقال تعالى في سورة هود: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾، فذكَرَ لفظَي (قريب وبعيد) بصيغة المُذكَّر مع أنّ الوصف كان لِمُؤنَّث، وذلك لأنهما جاءا مع غير النسب والقرابة.

الآية 57: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني: واللهُ تعالى هو الذي يُرسل الرياح الطيبة التي تُبَشِّر الخَلق بقُرب نزول رحمة الله (والمقصود برحمة الله هنا: المطر الذي تثيره الرياح بإذن اللهِ تعالى)، ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾: يعني حتى إذا حَمَلت الريحُ السحابَ المُحَمَّل بالمطر: ﴿سُقْنَاهُ﴾: أي سُقنا السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ قد جَفَّتْ أرضُهُ و أشجاره

www.alukah.net

وزرْعه، ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾، ﴿كَذَلِكَ﴾: يعني كما نُحيي هذا البلد الميت بالمطر: ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ مِن قبورهم أحياءً بعد موتهم، وقد أراكُمُ اللهُ تعالى هذا الفِعل – وهو إحياء الأرض بالماء – ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي لعلكم تتعظون، فتستدلوا على قدرة اللهِ تعالى على البَعث، فإنَّ القادر على إحياء مَوَات الأرض: قادرٌ على إحياء مَوَات الأجسام، فبذلك توقنون بلقاء ربكم، وتستعدون له بالاستغفار والعمل الصالح.

الآية 58: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: يعني والأرض الطيبة النقية إذا نَزَلَ عليها المطر: تُخْرِجُ نباتًا طيبًا عظيمَ النفع (وذلك بإذن اللهِ ومشيئته)، وكذلك المؤمن صاحب القلب الحي الطيب، إذا سمع ما يَنزل من الآيات: يَزداد إيمانه وتَكثر أعماله الصالحة، ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾: يعني وأمَّا الأرض الرديئة فإنها لا تُخرجُ النبات إلا رديئاً قليلاً لا نفعَ فيه، وكذلك الكافرُ لا ينتفعُ بآيات اللهِ تعالى، ﴿كَذَلِكَ﴾: يعني وبمِثل ذلك التنويع البديع في ضَرْب الأمثال: ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: أي نُنوِّع الحُجَج والبراهين لأُناسٍ يَشكرون نِعَمَ اللهِ تعالى ويطيعونه، إذِ الشاكرون هُمُ المنتفعون بهذه الآيات التي فصَّلها اللّهُ في كتابه ، لأنهم يَرونها مِن أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم، فيَتلقونها فرحينَ بها، فيتدبرونها ويتأملونها، فيُبَيِّن اللهُ لهم مِن مَعانيها، فيَزدادوا بها يَقيناً، وأما الكافرون الجاحدون فإنهم لا ينتفعون بها، لأنّ قلوبهم خبيثة غافلة مُعرِضة، ليستْ أهلاً لدخول آيات اللهِ فيها.

****

4. تفسير الربع الرابع من سورة الأعراف

الآية 59: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ ليدعوهم إلى التوحيد وترْك الشِرك، ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، فـ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ يستحق العبادة ﴿غَيْرُهُ﴾، إذِ الإلهُ الحق هو مَن يَخلقُ ويَرزق ويُدَبِّر، ويُحيي ويُميت، ويَضر ويَنفع، ويَسمع ويُبصِر، فأخلِصوا له العبادة ، فإن لم تفعلوا وبقيتم على عبادة أصنامكم، فـ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ وهو عذاب يوم القيامة.

الآية 60: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي قال له أشرافُ القوم وسادتهم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في ضلالٍ واضح عن طريق الصواب، بسبب عداوتك لآلهتنا، وبسبب إنكارك علينا لعبادتنا إيّاها.

من الآية 61 إلى الآية 64: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾: أي لستُ ضالاً بأيّ وجهٍ من الوجوه، ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾: أي أبلّغكم ما أُرسِلْتُ به مِن ربي (ببيان توحيده وإبلاغ أوامره ونواهيه)، ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ – مُحَذرًا من عذابه ومُبشرًا بثوابه – ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فاتَّبعوني وأطيعوا أمْري فيما أُبلِغُكم به عن ربي.

♦ وقال لهم نوح: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ أي تذكيرٌ لكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بما فيه الخير ﴿عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ تعرفون نَسَبَهُ وصِدقه ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ العذاب المترتب على الكفر والمعاصي، ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ عذابَ اللهِ تعالى بالإيمان به وتوحيده،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: يعني وبذلك تنزل عليكم رحمة اللهِ تعالى وتنالوا ثوابه العظيم إذا اتقيتموه (فأيُّ عَجَبٍ لكم في ذلك؟!) (واعلم أنّ كلمة: لَعَلَّ، وكلمة: عَسَى، إذا جاءت من اللهِ تعالى، فإنها تفيد التأكيد ووجوب الوقوع).

♦ فلم يؤثر فيهم ذلك الوعظ، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ - فوقع عليهم عذابُ الله (وهو الطوفان) -، ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾: يعني فأنجينا نوحاً ومَن آمَنَ معه في السفينة، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾: أي عُمْي القلوب عن رؤية الحق.

الآية 65، والآية 66: ﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ يعني: ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد: ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ حينَ عبدوا الأصنام مِن دون الله، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، فـ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ يستحق العبادة ﴿غَيْرُهُ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله وغضبه عليكم إنْ بقيتم على ما أنتم عليه؟، فـ ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ أي قال الكُبراء والسادة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾: يعني إنا لَنَعْلم أنك ناقص العقل، بسبب دَعْوَتكَ إيَّانا إلى ترْك عبادة آلهتنا وعبادة اللهِ وحده، ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ على اللهِ فيما تقول.

من الآية 67 إلى الآية 70: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ أي ليس بي نقصٌ في عقلي، ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾: أي أُبلِّغكم ما أُرْسِلْتُ به مِن ربي (ببيان توحيده وإبلاغ أوامره ونواهيه)، ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

♦ وقال لهم هود: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ أي تذكيرٌ لكم بما فيه الخير ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ﴿عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ تعرفون نَسَبَهُ وصِدقه ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ العذابَ المترتب على الكفر والمعاصي، ﴿وَاذْكُرُوا﴾ نعمة اللهِ عليكم ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ أي تَخْلُفون – في الأرض – مَن قبلكم، وذلك ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾: يعني وزادَ في أجسامكم قوةً وضخامة، ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾: أي فاذكروا نِعَمَ اللهِ عليكم، واشكروهُ تعالى بعبادتهِ وحده ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: يعني لكي تفوزوا في الدنيا والآخرة (وفي هذا دليلٌ على أنّ ذِكرَ النِعَم طريقُ الفلاح، ولذلك كانَ أحد الدُعاة ينصحُ تلاميذه بأن يكتبوا نِعَمَ اللهِ عليهم في ورقة، ثم يَشكروا اللهَ عليها).

﴿قَالُوا﴾ أي قالت عادٌ لِهود عليه السلام: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: يعني ونترك عبادة الأصنام التي وَرِثنا عبادتها عن آبائنا؟ ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

الآية 71، والآية 72: ﴿قَالَ﴾ لهم هود: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾: أي قد حَلَّ بكم غضبٌ من ربكم مُستوْجِبٌ لعذابكم، (واعلم أنّ قوله تعالى : (قد وقع) معناهُ هنا: قد وجب، أي: لابُدّ مِن وقوعه، فإنه قد اكتملت أسبابه، وحانَ وقت الهلاك).

♦ وقال لهم هود: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ﴾: يعني أتجادلونني في هذه الأصنام التي ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ آلهةً ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ و ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي ما نزّل اللهُ حُجَّةً تدل على أنها تستحق العبادة، أو أنها تقربكم إليه كما ترعمون، فهي مصنوعة بأيديكم لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر، ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ نزولَ العذاب عليكم، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾،

www.alukah.net

فوقع عذابُ اللهِ بإرسال الريح الشديدة عليهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾ أي برحمة خاصَّة، لا تكونُ إلا للمؤمنين، ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: يعني وأهلكنا كفار قومه جميعاً، ودمَّرناهم عن آخرهم، (واعلم أنّ دابر القوم: آخِرَهم، لأنه إذا هَلَكَ آخرُ القوم، فقد هَلَكَ أوَّلهم)، ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

الآية 73، والآية 74: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ يعني: ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود: ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ حينَ عبدوا الأصنام مِن دون الله، ف ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحده، ف ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ ﴾ يستحق العبادة ﴿غَيْرُهُ﴾_فأخلِصوا له العبادة، ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾: أي قد جئتكم ببُرهانٍ يدل على صِدق ما أدعوكم إليه، إذ دعوتُ اللهَ أمامكم، فأخرج لكم من الصخرةِ ناقةً عظيمة كما طلبتم، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ من المراعي، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - (واعلم أنّ إضافة الناقة إلى اللهِ تعالى في قوله: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾، إنما هو للتشريف والتخصيص، مثل: بيت الله).

♦ ثم أخذ يُذكِّرهم بنعم اللهِ عليهم، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ أي تَخلُفون – في الأرض – مَن قبلكم، وذلك ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ هلاك قبيلة ﴿عَادٍ﴾ ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني وأنزلكم في هذه الأرض الطيبة، ومَكَّنَكم فيها، فأصبحتم ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾: أي تبنون في سهولها بيوتاً ضخمة تسكنونها في الصيف (واعلم أنّ السهول هي الأراضي السهلة المستوية التي ليست بجبال)، ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾: أي وتنحتون مِن الجبال بيوتًا أخرى تسكنونها في الشتاء (لأنها أحصَن وأبقى وأدفأ)، ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾: أي فاذكروا نِعَمَ اللهِ عليكم، واشكروهُ تعالى بعبادتهِ وحده، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: يعني ولا تَسْعَوا في الأرض بالإفساد.

الآية 75، والآية 76: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ أي استكبروا عن الإيمان بنُبُوّة صالح، فقالوا ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ ﴾ حقيقةً ﴿أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ ﴾ إلينا ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾؟ ﴿قَالُوا﴾ أي قال الذين آمنوا: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ف ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آَمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي جاحدونَ بما صدقتموه واتَّبعتموه.

♦ واعلم أنّ المستضعفين يكونون غالباً أتباع الأنبياء: وذلك لعدم وجود ما يمنعهم من الإيمان، كالمحافظة على المنصب أو الجاه أو المال، أو الانغماس في المَلَذّات والشهوات.

الآية 77، والآية 78: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾: أي فذبحوا الناقة – استخفافاً منهم بوعيد صالح – ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ أي استكبروا عن الامتثال لأمر ربهم، ﴿وَقَالُوا﴾ – على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب –: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: يعني إن كنتَ مِن رسل اللهِ كما تقول، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: أي فأخذَتهم الزلزلةُ الشديدة التي خلعتْ قلوبهم، وذلك مِن شدة الصيحة التي صاحها المَلَك ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ أي فأصبحوا في بلدهم صَرْعَى ميتين، قد التصقتْ رُكَبهم بالأرض

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 79: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أي فانصرف صالح عن قومه – حينَ حَلَّ بهم الهلاك – ثم نظر إليهم وهم هَلكَى، ﴿وَقَالَ﴾ – مُتحسراً على حالهم –: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾ ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: يعني وبَذَلْت لكم كل جهدي في النُصح، ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ إذ رفضتم قولهم، وأطعتم كل شيطانٍ رجيم.

♦ ويُلاحَظ أنّ اللهَ تعالى ذكر جُملة: (رسالات ربي) في جميع القصص الماضية، إلا في قصة صالح عليه السلام، فإنه قال: (رسالة ربي)، ولَعَلّ الحكمة من ذلك – واللهُ أعلم – أنّ المقصود بكلمة (الرسالات) هي الأوامر والنواهي التي أَمَروا قومهم أن يفعلوها بعد التوحيد، لأنّ كل أمْر هو رسالة، إلا في قصة صالح، فإنه قد حَذَّرهم – في هذه السورة – مِن قتل الناقة فقط، فصارت كأنها رسالة واحدة.

الآية 80، والآية 81: ﴿وَلُوطًا﴾ أي: واذكر – أيها الرسول – لوطًا عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾: يعني أتفعلون هذه الفِعلة المُنكَرة التي بَلغتْ نهاية القبح، والتي ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾: أي ما فعلها أحدٌ قبلكم من المخلوقين؟ ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ تاركينَ ما أحَلَّه اللهُ لكم مِن نسائكم، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ في المعاصي، لِتجاوُزكم لحدود اللهِ تعالى، (إذ الإسرافُ لا يَقف صاحبه عند حَدّ).

الآية 82: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ يعني: وما كان جواب قوم لوط حين أنكرَ عليهم فِعلهم القبيح ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾: أي أخرجوا لوطًا ومَن اتَّبعه من بلادكم، فـ ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يعني إنهم أناسٌ يتنزهون عَمَّا نفعل.

الآية 83: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾: أي فأنجى اللهُ لوطًا وأهله من العذاب، حيثُ أمَرَه سبحانه بمغادرة ذلك البلد ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ فإنها ﴿كَانَتْ﴾ في حُكم اللهِ ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي الباقينَ في العذاب.

الآية 84: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾: أي أنزلنا على قوم لوط مطرًا من الحجارة، وقلَبْنا بلادهم، فجعلنا عاليَها سافِلَها، ﴿فَانْظُرْ﴾ أيها الرسول ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين اجترؤوا على معاصي اللهِ وكَذَّبوا رُسُله.

♦ ورغم أنه كان من المتوقع أن يقول تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَت عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني يذكر كلمة: (كانت) بصيغة المُؤنث، لأنّ كلمة (عاقبة) مؤنثة، إلا أنه قال: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، فجاءت كلمة: (كان) بصيغة المُذكر، فما السبب؟

والجواب أنّ كلمة (عاقبة) ليست مؤنثاً حقيقياً، بمعنى أنه يجوز أن تأتي مع فِعلٍ مُذكَّر، مِثل قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، كما يجوز أن تأتي مع فِعلٍ مُؤنَّث، مثل قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾، وكذلك كل ما كان تأنيثه غير حقيقي، فإنه يجوز أن يأتي بصيغة المُذكَّر، مِثل قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

www.alukah.net

♦ واعلم أنّ الفرق بين المُؤنَّث الحقيقي والمُؤنَّث المَجازي: أنّ المُؤنَّث الحقيقي هو كل ما يَبيض أو يَلد من الإنسان والحيوان والطيور، وأمَّا المُؤنَّث المَجازي فهي كلمات استُعمِلتْ بصيغة المُؤنَّث، رغم أنها مِمَّا لا يَبيض ولا يَلد، مثل: (شجرة، كلمة، شمس، يد، طريق، تفاحة، صيحة، وغير ذلك).

****

5. تفسير الربع الخامس من سورة الأعراف

الآية 85: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ يعني ولقد أرسلنا إلى قبيلة "مَديَن": ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، فـ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ يستحق العبادة ﴿غَيْرُهُ﴾ فأخلِصوا له العبادة ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي قد جاءكم برهانٌ من ربكم على صِدْق ما أدعوكم إليه، (ويُحتمَل أن يكونَ اللهُ تعالى قد أعطى شعيباً آية، ولكنه لم يَذكرها في القرآن لِحكمةٍ يَعلمها سبحانه، ويُحتمَل أيضاً أن تكونَ حُجَّة قوية قهَرهم بها ولم يتمكنوا مِن رَدّها).

♦ فبما أنكم أيْقنتم أنّ ما جئتكم به هو مِن عند اللهِ تعالى، إذاً ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾: يعني أدُّوا للناس حقوقهم بإيفاء الكَيْل والميزان بالعدل، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: يعني ولا تُنقِصوا الناسَ حقوقهم فتظلموهم، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ - بالظلم والشر والفساد – ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بشرائع الأنبياء، ﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي دعوتكم إليه هو ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في دُنياكم وأُخراكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: يعني إن كنتم مُصَدقِيّ فيما دعوتُكم إليه، عاملينَ بشرع اللهِ تعالى.

الآية 86: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ أي: ولا تقعدوا بكل طريقٍ – من الطرق التي يَمشي فيها الناس – لِتتوَعَّدوهم بالقتل (إن لم يعطوكم من أموالهم وأمتعتهم)، ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِهِ﴾: أي وتتوعدون المارَّة بالعذاب إنْ هُم ذهبوا إلى شعيب وجلسوا إليه، فتصدوهم بذلك عن الإيمان والاستقامة، ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: يعني وتطلبون أن تكون سبيل اللهِ مُعوَجَّة حتى لا يَسلكها أحد، وحتى تجعلوا الشريعة تميل مع شهواتكم فتخدم أغراضكم، ﴿وَاذْكُرُوا﴾ نعمة اللهِ عليكم ﴿إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ أي كَثَّرَ عددكم بما أنعم عليكم مِن كثرة النَسل، وإدرار الرزق، والعافية من الأوبئة والأمراض المُقلّلة لكم، والعافية من تسليط الأعداء عليكم، والعافية من الفُرقة في الأرض، بل أنعم عليكم باجتماعكم، فأصبحتم – بفضله - أقوياء أعِزَّاء، لكم مَكانة بين باقي الشعوب، ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، وما حَلَّ بهم من الهلاك والدمار، فاحذروا أن تكونوا مِثلهم.

الآية 87: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ﴾: أي جماعة ﴿مِنْكُمْ آَمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ ﴿وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾، وبهذا كنا نحتاجُ إلى مَن يَحكم بيننا، إذاً ﴿فَاصْبِرُوا﴾: أي فانتظروا أيها المكذبون ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بالقضاء الفاصل، حين يَنزل عليكم عذابه الذي أنذرتُكم به ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (إذ يُنجي مَن على الحق، ويُهلِك مَن على الباطل).

الآية 88، والآية 89: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ (وهُم السادة والكُبَراء الذين اتَّبعوا أهواءهم وشهواتهم)، فلما جاءهم الحق ورأوا أنه غير موافق لأهوائهم الرديئة، رفضوه عِناداً واستكباراً، وقالوا لشعيب عليه السلام: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾ ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾: يعني إلاّ إذا دخلتم في ديننا، فحينئذٍ لن نُخرجكم، – (ويُحتمَل أن تكون هذه الجملة: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ يُقصَد بها أتْباع شعيب، إذ كانوا قبل إيمانهم على دين قومهم) – ف ﴿قَالَ﴾ لهم شُعيب: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾: يعني أنتبَّعكم على دينكم ومِلَّتكم الباطلة، ولو كنا كارهينَ لها، عالمينَ بُطلانها؟!، ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾ الباطلة ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ﴾ أي بعد أن أنقذنا اللهُ من الوقوع فيها، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾: يعني وليس لنا أن نتحول إلى غير دين ربنا ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ - وقد قال شعيب هذا الاستثناء تأدُّبًا مع اللهِ تعالى بتفويض الأمر إلى مشيئته، ولأنَّ عودة غيره مِن أُمَّتِهِ إلى الشِرك مُمكِنة، وأمّا عودته هو فمستحيلة –، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فإذا كان سبحانه قد عَلِمَ أننا سَنرُدُّ على أعقابنا، فسوف يكونُ ما عَلِمَه، (وهذا غاية الأدب مع اللهِ تعالى).

♦ ثم بعد أنْ أخبرهم شعيب أن العودة إلى دينهم غير مُمكنة إلاّ في حال مشيئة اللهِ ذلك، وهذا مِمَّا لا يشاءُهُ اللهُ لأنبياءه، قال: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: يعني على اللهِ وحده اعتمدنا في الثبات على دينه الحق، وفي حمايتنا مِن كيدكم، ثم سأل ربه قائلاً: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ أي احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ أي خير الحاكمين (وذلك بإحقاق الحق وإبطال الباطل).

♦ واعلم أنّ المقصود ب (الكذب على الله) المذكور في قوله تعالى: ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾ هو أنّ شعيباً أخبرهم أنّ اللهَ تعالى قد أمَرَهم بعبادته وحده وترْك عبادة غيره، وأنه تعالى أرسله إليهم لينقذهم من الباطل الذي هم فيه، فإذا ارتدَّ شعيب ودخل في مِلَّة الشرك، كان مَوقفه مَوقف مَن كَذَبَ على اللهِ تعالى بأنْ زَعَمَ أنَّ اللهَ قال كذا وكذا، واللهُ عَزّ وجل لم يقل ذلك.

الآية 90، والآية 91: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ – مُحَذِّرينَ الناس مِن اتِّباع شعيب –: ﴿ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ أي الزلزلةُ الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾: أي فأصبحوا في بلدهم صَرْعَى ميتين، قد التصقتْ رُكَبهم بالأرض.

♦ وقد قال تعالى في سورة هود عن قوم مَدْيَن: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾، وقال في سورة الشعراء عن أصحاب الأيْكة: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾، ولِلجَمع بين أنواع العذاب السابقة، أنهم لمّا اجتمعوا تحت الظُلَّة (وهي سحابة أظَلَّتهم من شدّة الحر الذي أصابهم في هذا اليوم)، فلمّا استقروا تحتها زُلزلوا مِن تحتهم (وهي الرَجْفة)، ونزلتْ عليهم مِن الظُلَة صاعقة (وهي الصَيْحة) فأهلكتهم، هذا إن قلنا بأنّ مَدْيَن وأصحاب الأيْكة هما أمَّة واحدة، وإن لم يكونوا أمَّة واحدة، فإنّ أصحاب الأيْكة قد أصابهم عذاب الظُلَّة، وأصحاب مَدْيَن قد أُصيبوا بالرَجْفة مِن تحتهم، وبالصيحة مِن فوقهم، واللهُ أعلم.

الآية 92: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ يعني كأنهم لم يُقيموا في ديارهم ولم يتمتعوا فيها زمناً طويلاً، حيث هَلَكوا عن آخرهم فلم يبق لهم أثر، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ في الدنيا والآخرة.

www.alukah.net

الآية 93: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أي فانصرف شعيب عن قومه – حين حَلَّ بهم الهلاك – ثم نظر إليهم وهم هَلكَى، ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ أي أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه مِن توحيده وأمْره ونهْيه، ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ بالدخول في دين اللهِ والإقلاع عَمّا أنتم عليه، فلم تسمعوا ولم تطيعوا، ﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: يعني فكيف أحزن على قومٍ جحدوا وحدانية اللهِ وكَذّبوا رُسُله؟

الآية 94، والآية 95: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ يَدعوهم إلى عبادة اللهِ، وينهاهم عمَّا هُم فيه مِن الشِرك: ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا﴾ المكذبين ﴿بِالْبَأْسَاءِ﴾: يعني أصَبْناهم بالفقر، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: أي وأصَبْناهم بالأمراض وأنواع البَلايا، وذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: أي حتى يتذللوا لنا بالدعاء ويرجعوا إلى الحق، لنصرف عنهم ذلك الابتلاء، فلم يفعلوا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ﴾ الحالةِ ﴿السَّيِّئَةِ﴾ التي أصابتهم: الحالةَ ﴿الْحَسَنَةَ﴾ فجعلنا بدل الفقر: الغنى، وبدل الخوف: الأمن، وبدل المرض: الصحة، ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾: يعني حتى أصبحوا في عافيةٍ في أبدانهم، وسَعَةٍ في أموالهم، وذلك إمهالاً لهم لعلهم يشكرون، فلم ينفع كل ذلك معهم، ولم ينتهوا عمَّا هم فيه، ﴿وَقَالُوا﴾: ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ (فهذه إذاً هي عادة الزمن في أهله: يومٌ خير ويومٌ شر) ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أي فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم آمِنون، لا يَخطر لهم الهلاك على بال.

الآية 96: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ أي صدَّقوا رُسُلهم واتَّبعوهم واجتنبوا ما نهاهم اللهُ عنه: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي لَفَتَحنا عليهم أبواب الخير والرزق من كلِّ مكان، ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي فعاقبناهم بالعذاب المُهلِك بسبب كفرهم ومعاصيهم، (واعلم أنّ قوله تعالى: (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ) دليلٌ على جواز قول القائل لأخيه: (الله يفتح عليك) إذ لا حَرَجَ من ذلك).

الآية 97، والآية 98، والآية 99: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾: يعني أحَسِبَ أهل القرى أنهم في مَأمَن مِن أن يأتيهم عذابُ اللهِ ﴿بَيَاتًا﴾ أي ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾؟ ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ أي وقت الضحى ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: أي وهم غافلون متشاغلون بأمور دُنياهم؟ (وقد خَصَّ اللهُ هذين الوقتين بالذِكر، لأن الإنسان يكونُ فيهما أغْفَل ما يكونُ، فمَجيء العذاب فيهما أفظع وأشد).

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي استدراجه لهم (وذلك بإنزال النعم عليهم بكثرة)، حتى إذا أمِنوا مَكْرَهُ بهم، واستمروا في عِصيانهم، أخَذهم سبحانه بالعذاب، فخسروا الدنيا والآخرة، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

♦ وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد لا ينبغي أن يكون آمِناً على ما معه من الإيمان والعمل الصالح، بل يظل خائفاً أن يُبتلَى بفتنةٍ تهلكه في الدنيا والآخرة، وأن يظل دائماً يدعو بقوله: (يا مُقلِّب القلوب ثَبِّتْ قلبي على دينك)، حتى يكون من الآمنين يوم القيامة، فقد قال تعالى حِكايةً عن أصحاب الجنة: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿السَّمُومِ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: (يقول اللهُ عز وجل: وَعِزَّتي لا أجمعُ على عبدي خوفَيْن ولا أجمعُ له أمْنَيْن، إذا أمِنَني في الدنيا: أخَفتُهُ يومَ القيامة، وإذا خافني في الدنيا: أمَّنْتُهُ يومَ القيامة) (انظر السلسلة الصحيحة ج: 6/ 355).

الآية 100: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾: يعني أوَلم يَتبَيَّن ويَتضح للذين سكنوا الأرض من بعد إهلاك أهلها السابقين - فساروا على نَهْجِهم في الفسوق والعِصيان -، أولم يعلموا ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي لَعَذبناهم بسبب ذنوبهم كما فعلنا بأسلافهم؟، ﴿وَنَطْبَعُ﴾: يعني وأننا لو نشاءُ لَختَمنا ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلا يدخلها الحق؟ ﴿فَهُمْ﴾ حينئذٍ ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ ما يَنفعهم، وإنما يسمعون ما يكونُ سبباً في إقامة الحُجَّة عليهم، (وذلك لأنّ اللّه قد نَبَّهَهُم فلم يَنتبهوا، وذكَّرهم بالآيات والعِبَر فلم يهتدوا، فلذلك يعاقبهم بالطَّبْعِ على قلوبهم، فلا يصل إليها خير).

الآية 101: ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ التي تَقَدَّم ذِكْرُها (وهي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب) ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أيها الرسولُ ﴿مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ ما يَحصُلُ به عِبرة للمعتبرين، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالحُجَج الواضحة على صِدقهم، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾: يعني فما كان اللهُ ليهديهم للإيمان بسبب تكذيبهم بهذه الآيات الواضحة عندما جاءتهم أول مرة (جزاءً لهم على رَدِّهم الحق)، كما قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، و﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية 102: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾: يعني وما وَجَدْنا لأكثر الأمم الماضية مِن أمانةٍ ولا وفاء بالعهد الذي أخَذَه عليهم أنبيائهم بأن يعبدوا اللهَ وحده ويطيعوه، ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾: يعني وما وجدنا أكثرهم إلا خارجينَ عن طاعة اللهِ وامتثال أوامره.

الآية 103: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى﴾: يعني ثم أرسلنا موسى من بعد هؤلاء الرسل، ﴿بِآَيَاتِنَا﴾: أي بمعجزاتنا الواضحة ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي فجحدوا بها ظُلمًا وعِنادًا، ﴿فَانْظُرْ﴾ أيها الرسول ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: حيث أغرقناهم عن آخرهم، فلم نُبقِ منهم أحداً.

الآية 104، والآية 105: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي رسولٌ مِن خالق الخلق أجمعين، ومُدبِّر أحوالهم، وإني ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ﴾: أي جديرٌ بي ألاَّ أقول ﴿عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ و ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي قد جئتكم ببرهان وحُجَّة قاطعة مِن ربكم تدل على أني رسول اللهِ إليكم ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: يعني فأطلِق سَراح بني إسرائيل لأذهب بهم إلى أرض الشام – التي هي دار آبائهم – ليعبدوا اللهَ فيها.

الآية 106، والآية 107، والآية 108: ﴿قَالَ﴾ فرعونُ لموسى: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآَيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿فَأَلْقَى﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾ ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾: أي فتحولت حيَّة عظيمة ظاهرة أمام الناس، ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾: أي وجذب يده من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾: يعني فإذا هي بيضاء كاللبن مِن غير بَرَص، فإذا ردَّها إلى جيبه، عادت سمراء كَسائر جسده.

www.alukah.net

الآية 109، والآية 110: ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ وهم الأشراف والسادة ﴿مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾: يعني إنّ هذا لَساحرٌ (يَخدع أعْيُن الناس حتى يُخَيَّلُ إليهم أن العصا ثعبان)، وهو واسعُ العلم بالسِحرِ ماهرٌ به، و ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ جميعًا، فقال لهم فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: يعني فَبماذا تُشيرون عليَّ أيها الملأ في أمْر موسى؟ (وقد قال فرعون لفظ: (تأمروني) للملأ – مع أنه زعيمهم ورئيسهم – بسبب انهزامه معنوياً بعدما رأى وضوح آية موسى).

الآية 111، والآية 112: ﴿قَالُوا﴾ أي قال مَن حَضَرَ هذا الحوار مِن سادة قوم فرعون: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أي لا تَعْجَل عليهما، ولا تتخذ بشأنهما قراراً، ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ أي: وابعث في مدائن مصر وأقاليمها جنوداً لـ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾: أي ليجمعوا لك كل ساحر واسع العلم بالسحر، لِيُناظروا موسى.

الآية 113، والآية 114: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾: يعني هل ستعطينا مالاً إن غَلَبْنا موسى؟، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم فرعون: ﴿نَعَمْ﴾ لكم ذلك ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ مِنِّي مَنصباً إن غَلَبْتُموه.

الآية 115، والآية 116: ﴿قَالُوا﴾ أي قال سحرة فرعون لموسى – على سبيل التكَبُّر وعدم المُبالاة – : ﴿يَا مُوسَى﴾ اختر ما شئت: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك أولاً ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ أولاً، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿أَلْقُوا﴾ أنتم، ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ الحبال والعِصِيّ: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ فخُيِّل إلى الأبصار أنَّ ما فعلوه حقيقة، ولم يكن إلا مجرد خيال، ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: يعني وخوَّفوا الناسَ تخويفاً شديدًا، ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾: أي وجاءُوا بسحرٍ قوي كثير.

****

6. تفسير الربع السادس من سورة الأعراف

الآية 117: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ في ذلك الموقف العظيم – الذي فرَّقَ اللهُ فيه بين الحق والباطل - ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: يعني فإذا هي تبتلع الحبال والعِصِيّ التي ألقاها السَحَرة مِن أجل أن يُوهِموا الناس أنها حق وهي باطل.

الآية 118، والآية 119: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾: أي فظهر الحق واتضح لمن حضر المُناظَرة، وعُلِمَ حينها أنَّ موسى رسولٌ من اللهِ يدعو إلى الحق، ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعني وبطَلَ الكذب الذي كان يعمله السَحرة، ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ﴾: أي فغُلِبَ فرعون وقومه في أرض المُناظرة، ﴿وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾: أي صاروا أذِلاَّء مغلوبين.

الآية 120، والآية 121، والآية 122: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾ على الأرض ﴿سَاجِدِينَ﴾ للهِ جَلَّ وعَلا، لِمَا رأوْهُ مِن عظيمِ قدرتِهِ، و ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (واعلم أنهم قد قالوا هذه الجُملة حالَ سجودهم، إعلاماً منهم أنهم ما سجدوا لفرعون كما كانَ يفعل المصريون وَقْتَها، وإنّما سجدوا للهِ رب العالمين الذي يستحق العبادة وحده).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 123، والآية 124: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ للسَحرة: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أي صَدَّقتم موسى فيما دَعَا إليه ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ بالإيمان به؟ ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾: يعني إنَّ هذا الذي قمتم بهِ مِن ادَّعاء النصر لموسى – بعدما أظهرتم الحماس في بداية المُناظرة – ما هو إلا حِيلةٌ وتدبيرٌ خفيّ، قد تَمَّ بينكم وبين موسى في المدينة قبل الخروج إلى ساحة المُناظرة ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾: أي لِتُخرجوا المصريين من مصر، وتسكنوها أنتم وبنو إسرائيل لتستولوا على خيراتها (وقد قال هذا الكلام تمويهًا على الناس، حتى لا يَتَّبعوا السَحَرة في الإيمان بموسى).

♦ ويُحتمَل أن يكون المقصود بإخراج أهلها: هو إخراج بعض الناس المقيمين فيها – وهم بني إسرائيل – لأنّ موسى كانَ يُطالِب فرعونَ أن يُطلِق سراحهم ليَخرجوا معه إلى بيت المقدس، وبالتالي سوف يخرج معهم مَن آمَنَ بموسى مِن أهل مصر ليعبدوا اللهَ معهم في أرض القدس، واللهُ أعلم.

♦ ثم توَعَّدَ فرعونُ السَحرَة قائلاً: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أيها السَحرَة ما سَيَحِلُّ بكم من العذاب والذل، ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾: أي بِقَطْع اليد اليُمنَى والرجل اليُسرى، أو اليد اليُسرى والرجل اليُمنى، ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على جذوع النخل تعذيباً لكم وتخويفاً للناس.

الآية 125، والآية 126: ﴿قَالُوا﴾ أي قال السَحرَة لفرعون: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾: أي قد تيَقَّنَّا بأننا إلى اللهِ راجعون، وأنّ عذابه أشدّ من عذابك، فلنصبرنَّ اليوم على عذابك لِننجو من عذاب اللهِ يوم القيامة، ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾: يعني ولستَ تُنكِر علينا وتكرهنا إلا بسبب إيماننا ﴿بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ على يد موسى، والتي لا تقدر أنت على مِثلها ولا أحدٌ آخر غير اللهِ رب العالمين، ثم قالوا – مُتضرِّعين إلى ربهم لِيُصَبِّرهم – حتى يتحملوا عذاب فرعون: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أي أنزِل على قلوبنا صبرًا وثباتاً عظيمًا، حتى نتحمل ما توَعَّدَنا به فرعون من العذاب، ولا نَرتدّ بعد إيماننا، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: يعني وتوفّنا مُنقادينَ لأمرك، مُتَّبعينَ لرسولك موسى.

الآية 127: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون: ﴿أَتَذَرُ﴾: يعني أتترك ﴿مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ من بني إسرائيل ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾: أي لِيُفسدوا الناسَ في أرض "مصر" بتغيير دينهم بعبادة اللهِ وحده، وترْك عبادتك وعبادة آلهتك؟، (وقد قيل إنّ آلهة فرعون هي أصنام صِغار وضعها لِيَعبدها الناس، لِتقرّبهم إليه، وقال لهم: (أنا ربكم ورب هذه الآلهة)).

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ الذكور ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: يعني ونترك نساءهم وبناتهم أحياءً للخدمة والإهانة، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾: يعني وإنَّا عالونَ عليهم بقهر المُلْك والسلطان.

الآية 128، والآية 129: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ على فرعون وقومه، ﴿وَاصْبِرُوا﴾ على ما أصابكم من الأذى، ف ﴿إِنَّ الْأَرْضَ﴾ كلها ﴿لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: يعني والعاقبة المحمودة لِمَن اتقى اللهَ تعالى، ففعل أوامره واجتنب نواهيه، ﴿قَالُوا﴾ أي قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿أُوذِينَا﴾: أي ابتُلِينا بالإيذاء – في أنفسنا وأبنائنا ونسائنا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

– على يد فرعون وقومه، وذلك ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بعد هلاكهم ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ هل تشكرون أو تكفرون؟

الآية 130، والآية 131: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ أي ابتَلَيناهم بالقحط والجفاف ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ (بفسادها أو بقلة ناتجها)، وذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي لعلهم يتذكرونَ، فيَكُفّوا عن ضَلالاتهم، ويَرجعوا إلى ربهم بالتوبة والتضرُّع، فلم يفعلوا، ﴿فَإِذَا﴾ حَوَّلَ اللهُ تعالى حالهم، و ﴿ جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾: يعني وجاءهم الرزق الكثير والعافية من الأمراض: ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي نحن مُستحقونَ لهذه النعم (ولا يشكرونَ اللّهَ عليها)، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾: يعني وإن يُصِبْهم قحطٌ ومرض: يتشاءموا، ويقولوا: هذا بسبب موسى ومَن معه، ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني ألاَ إنَّ ما يُصيبهم من القحط والجفاف إنما هو بقضاء اللهِ وقدره، وبسبب ذنوبهم وكُفرهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وذلك لانغماسهم في الجهل والضلال.

الآية 132: ﴿وَقَالُوا﴾ أي وقال قوم فرعون لموسى: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آَيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ أي لتصرفنا عما نحن عليه من دين فرعون: ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (وهذا دليلٌ على عِنادهم وتكبرهم عن اتّباع الحق).

الآية 133: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو سَيْلٌ جارف أغرق الزروع والثمار، ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكَلَ زروعهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم، ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ (وقد قيل: إنّ القمل هو صِغار الجَراد، والظاهر أنه القمل المعروف الذي يُصِيبُ شَعر الرأس)، ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأتْ آنيتهم وأطْعِمَتهم ومَضاجعهم، ﴿وَالدَّمَ﴾: أي وأرسلنا عليهم الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دمًا، ولم يجدوا ماءً صالحًا للشرب، فكانوا لا يشربون إلا دَماً، ولا يطبخون إلا بِدَم.

♦ وقد كانت هذه الآيات الخمس ﴿آَيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾: يعني آيات واضحات – لا يقدر عليها إلا الله – تدل على أنهم كانوا كاذبينَ ظالمين، وعلى أنّ ما جاء به موسى هو الحق، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان والطاعة، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (لا خيرَ فيهم ولا عهدَ لهم).

الآية 134: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ يعني: ولمَّا نزل العذابُ على فرعون وقومه، (ويُحتمَلَ أن يكون هذا العذاب هو الطاعون، ويُحتمَل أن يكون المقصود به ما تقدم من الآيات الخمس: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم) ، فكانوا كلما أصابتهم آية من هذه الآيات: ذهبوا إلى موسى، فـ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أي بما عَلَّمَكَ اللهُ من وسائل إجابة الدعاء، وادْعُهُ بما أوحى به إليك مِن رَفْع العذاب بالتوبة، وقالوا له: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾: يعني لئن رفعتَ عنا العذاب الذي نحن فيه، لَنُصدِّقنَّ بما جئتَ به، ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾: يعني وسوف نطلق معك بني إسرائيل، فلا نمنعهم مِن أن يذهبوا حيث شاؤوا، (وهم في ذلك كَذَبَة، لا قصدَ لهم إلا زوال ما حَلَّ بهم من العذاب، وظنوا أن العذاب إذا رُفِعَ عنهم، فلن يُصيبهم غيره).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 135، والآية 136: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾: أي فلما رَفعنا عنهم العذاب الذى نزل بهم، وظلَّ مرفوعاً عنهم ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾: يعني إلى وقتٍ مُحدد سيَبلغونه لِيَهلكوا فيه بسبب إصرارهم على نقض عهودهم، ولن يُمهَلوا مرة أخرى إذا جاء ذلك الأجل، ولن ينفعهم إمهالهم السابق.

♦ وبالفعل، فعندما طالبهم موسى بالوفاء بما عاهدوه عليه – مِن الإيمان به وإطلاق سراح بني إسرائيل - : ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ أي يَنقضون عهودهم، ويُقيمون على كُفرهم وضلالهم، ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ حينَ جاء الأجل المحدد لإهلاكهم، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾: أي فأغرقناهم في البحر بسبب تكذيبهم بالمعجزات التي ظهرتْ على يد موسى ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: أي وكانوا عن هذه المعجزات غافلينَ لا يَلتفتونَ إليها.

♦ واعلم أنّ هذه الآيات السابقة تُظهِر ضعف الإنسان عند نزول البلاء به، حيثُ يَفزَع إلى اللهِ تعالى فيَدعوه ويتضرع إليه، وعِندَ رَفْع البلاء يَنسى ما نَزَلَ به، ويعودُ إلى ما كان عليه من المعاصي، إلا مَن آمن وعمل صالحاً، فإنه يَصبر عند البلاء، ويَشكر عند النَعماء.

الآية 137: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾: أي وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُستَذَلُّون للخدمة: ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ – (وقد اختلف العلماء في معنى مشارق الأرض ومغاربها، فبعضهم قال إنها أرض الشام، إذ لها مشارق ومغارب، وبعضهم قالَ إنها أرض مصر، لأنها هي التي كانت تحت تصرف فرعون في ذلك الوقت، وبعضهم قال: (هي مصر والشام معاً)، واللهُ أعلم).

♦ وهذه الأرض التي أورثناها لهم هي ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بإخراج الزروع والثمار والأنهار، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي وصَدَقَ وَعْدُ اللهِ لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم والتمكين في الأرض، وهذا الوعد هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، وهو نفس الوعد الذي أخبرهم به موسى حين قال لهم: ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، (وقد سَمَّى اللهُ هذا الوعد بـ ﴿الحُسنى﴾ لأنه وَعْدٌ بما يُحبون).

♦ وقد كان هذا التمكين لبني إسرائيل ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: أي بسبب صَبْرهم على أذى فرعون وقومه، ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من السلاح والحدائق والمَزارع، وغير ذلك، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾: أي وكذلك دَمّرنا ما كانوا يَبنون من الأبنية والقصور العالية، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم قوماً آخرينَ غيرهم.

الآية 138: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾ أي قطعنا بهم البحر فاجتازوه إلى شاطئه سالِمين، ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ ﴾: أي فمَرُّوا على قومٍ يُقيمون ﴿عَلَى﴾ عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾، فـ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾: أي اجعل لنا صَنَمًا نعبده كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أي تَجهلونَ عَظمةَ اللهِ تعالى، وأنّ العبادة لا تكونُ

www.alukah.net

إلا للهِ الواحد القهار، وأما غيره من الآلهة الباطلة، فإنهم لا يَملكون لأنفسهم - ولا لِمَن يَعبدهم – نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً (والنشور هو البعث بعد الموت).

الآية 139: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ المُقيمين على هذه الأصنام ﴿مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾: أي هالِكٌ ما هم فيه من الشِرك وخاسر، ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِن عادتهم لتلك الأصنام، التي لا تدفع عنهم عذابَ اللهِ إذا نزل بهم.

الآية 140: ﴿قَالَ﴾ موسى لقومه: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾: يعني أغيرَ اللهِ أطلبُ لكم معبودًا تعبدونه ﴿وَهُوَ﴾ الذي ﴿فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي فضَّلكُم على عالَمِي زمانكم بكثرة الأنبياء فيكم، وبإهلاك عدوكم، وبما خَصَّكم به من المعجزات؟!

الآية 141: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾: يعني واذكروا – يا بني إسرائيل – نِعَمنا عليكم حينَ أنقذناكم ﴿مِنْ﴾ بطش وذل ﴿آَلِ فِرْعَوْنَ﴾ لكم، إذ كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي يُذيقونكم أشد العذاب، فـ ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: أي يتركون بناتكم أحياءً للخِدمة والإهانة، ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ يعني: وفي ذلك اختبارٌ لكم من ربكم، وفي إنجائكم منه نعمة عظيمة، تستوجبُ شُكرَ اللهِ تعالى في كل عصوركم وأجيالكم.

****

7. تفسير الربع السابع من سورة الأعراف

الآية 142: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ لِمُناجاتنا بجبل الطور ولإنزال التوراة عليه، ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾: يعني ثم زدناهُ بعد ذلك عشرَ ليالٍ فوق هذه الثلاثين ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: أي فبذلك اكتمل الوقت الذي حَدَّدَهُ اللهُ لموسى أربعينَ ليلة، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ - حينَ أراد الذهاب لِمُناجاة ربه -: ﴿اخْلُفْنِي﴾: يعني كُن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي﴾ حتى أرجع، ﴿وَأَصْلِحْ﴾: يعني وأمُرْهم بعبادة اللهِ وحده، وبالأعمال الصالحة، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي ولا تَسلك طريق الذين يُفسدون في الأرض بالشرك والمعاصي.

الآية 143: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي في الموعد الذي واعدناهُ فيه والوقت الذي حدَّدناهُ له، ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة بينهما، طَمَعَ موسى في رؤية اللهِ تعالى شوقاً إليه وحُبّاً، فـ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ أي اجعلني ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ اللهُ له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾: أي لن تقدر على رؤيتي في الدنيا، لأنّ خِلقتك لن تَحتَمِل ذلك، ﴿وَلَكِنِ﴾ إذا أردتَ أن تتيَقن مِن أنك لن تقدر على ذلك في الدنيا: فـ ﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ – بعد أن أتجلَّى وأظهَر له – ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ لم يتحمل الجبل رؤية ذاتِ اللهِ تعالى، فـ ﴿جَعَلَهُ﴾ اللهُ ﴿دَكًّا﴾ أي مستويًا بالأرض، (فاندكاكُ الجبل – رغم قوة بِنيَتِه وعظيمِ جسمِه - كانَ لِعجزِهِ عن رؤية ربه تبارك وتعالى، فكيف بموسى عليه السلام لو رآه؟!)، ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾: أي سقط موسى مَغشيًّا عليه عند رؤية الجبل، ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ﴾ لربهِ تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي تنزيهاً لك يارب وتقديساً فأنتَ عظيم، وإني ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ فلن أسألك مِثل هذا السؤال بعد اليوم، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بك مِن قومي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 144: ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ أي اخترتك وفضّلتك ﴿عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي﴾ أي بتبليغ رسالاتي التي لا أخُصُّ بها إلا أفضل الخَلق، ﴿وَبِكَلَامِي﴾: أي وفضّلتك عَلَى النَّاسِ بكلامي لك مِن غير واسطة، ﴿فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ﴾: أي فخُذ ما أعطيتك مِن النعم، وخذ ما أعطيتك مِن الأمر والنهي بالقبول والانقياد والعمل به، ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ للهِ تعالى على نِعَمِه، وعلى ما خَصَّكَ به وفضّلك.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، فيهِ دعوةٌ إلى القناعة، فهي خير ما يُؤتَى المرءُ في حياته)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قد أفلحَ مَن أسلم، ورُزِقَ كفافاً – (أي أُعْطِيَ الرزق الذي يَكفيه عن سؤال الناس) - ، وقنَّعَهُ اللهُ بما آتاه) (انظر حديث رقم: 4368 في صحيح الجامع).

الآية 145 الآية 146: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ أي ألواح التوراة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس في دينهم، فكَتبنا فيها ﴿مَوْعِظَةً﴾ تُرَغِّب النفوس في فِعل الخير، وتخوِّفهم مِن فِعل الشر، ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مِن تكاليف الحلال والحرام، والأمر والنهي، والقصص والعقائد، وقال اللهُ تعالى لموسى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: أي خذ التوراة بجدّ واجتهاد، واعمل بما فيها، ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ﴾ أيضاً بأن ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾: أي يعملوا بما شَرَعَ اللهُ فيها من الأوامر الواجبة والمُستحَبة، وألاَّ يتساهلوا بأخْذ الرُخَص التي فيها، وإنما يأخذوا بالعَزائم، ليَعتادوا على تحمل العَظائم، وذلك بسبب الضعف والكسل الذي لازَمَهم زمناً طويلاً، (وحتى نفهم معنى الرخصة والعزيمة: فإنّ صيام رمضان عزيمة مُؤكَّدة في الشرع، وأمَّا الإفطار فيه فهو رُخصة للمسافر والمريض).

♦ وقال اللهُ لموسى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الجملة، فقال بعضهم: (إنّ هذه الجملة تتضمن النَهي لبني إسرائيل عن ترْك ما جاء في التوراة من الشرائع والأحكام، لأنهم إذا تركوا ذلك، كانوا من الفاسقين، وللفاسقين نار جهنم، وسَيُريهم اللهُ إيّاها يوم يَلقونه)، وعلى هذا يكون المعنى: (سأُرِيكُم في الآخرة دار الفاسقين، وهي ناري التي أعدَدتُها للخارجين عن طاعتي).

♦ وقال بعضهم إنّ المعنى: (سأُرِيكُم دار الفاسقين بعدما أهلكتُهُم، وأبقيتُ ديارَهم عِبرةً يَعتبر بها المؤمنون المتواضعون)، وأما غير المتواضعين فقال عنهم: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آَيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني سأصرف عن فَهْم الحُجج الدالَّة على توحيدي: قلوبَ المتكبرين عن طاعتي والانقياد لشريعتي، والمتكبرين على الناس ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فلا يَتَّبعون نبيًا ولا يَنصِتون إليه لِتكبُّرهم، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾، ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾: يعني وإن يَرَ هؤلاء المتكبرون طريق الحق القائم على الإيمان والتقوى: ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾، ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ - وهو طريق الضلال القائم على الشرك والمعاصي - ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: يعني يتخذوه طريقًا ودينًا، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾: أي وذلك الانحراف عن الحق، كان بسبب تكذيبهم ﴿بِآَيَاتِنَا﴾ الواضحة، ﴿وَكَانُوا﴾: أي وبسبب أنهم كانوا ﴿عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يلتفتونَ إليها، ولا يتفكّرون فيما تدل عليه وتهدي إليه، فصَرَفهم اللهُ عن فَهْمها.

www.alukah.net

الآية 147: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بسبب فَقْدِها لِشرط القَبول، وهو الإيمان باللهِ والتصديق بجزائه، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَّا﴾ جزاءَ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي، وهو الخلود في النار؟ (والجواب: نعم، وهذا ما يُسمَّى بالاستفهام التقريري).

الآية 148: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ - أي مِن بعد ما فارقهم لِيُناجي ربه -، فصنعوا ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾: أي مِن ذهبِ نسائهم ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ بلا روح، ولكنْ ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: أي له صوت مثل صوت البقر، فاتخذوه معبودًا مِن دون اللهِ تعالى.

♦ قال تعالى - مُبَيِّنًا أنه ليس فيه من الصفاتِ ما يجعله إلهاً -: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ فإنّ عدم الكلام نقصٌ عظيم، إذ هُم أكْملُ حالاً من هذا الجماد الذي لا يتكلم، ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾: يعني ولا يُرشدهم إلى خير؟! (فالرَبّ المعبود بحق لابد أن يكون متكلّماً، حتى يُشرِّع لعباده ما فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، فيَهديهم بذلك سُبُلَ كمالِهم وسعادتهم)، ومع ذلك فقد ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ لأنهم وضعوا العبادة لمن لا يستحقها.

الآية 149: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ والمعنى: ولمَّا نَدِموا على عبادة العِجل - (لأنه يُقال للنادم: (سَقَطَ الندم في يده)، وهذا تشبيه بمَن عَضَّ يده من الندم، فظهرتْ آثار العضّ في يده) -، فلمَّا ندموا هذا الندم الشديد ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ عن طريق الرشاد، استغفَروا ربهم، وأقرّوا بعبوديته وحده، وتضرَّعوا إليه سبحانه، فـ ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ بقَبول توبتنا، وعِصمتنا من الوقوع في الذنوب، ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ هذا الذنب العظيم، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين ذهبتْ أعمالهم هباءً (لأنهم يعلمون أنَّ الله تعالى - إن لم يَقبل توبتهم - فسَوف يُحبط أعمالهم بسبب شِركهم).

الآية 150: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ أي ممتلئاً غضباً وغيظاً عليهم، ﴿أَسِفًا﴾ أي حزينًا لأنّ اللهَ أخبره أنّ قومه قد فُتِنوا، وأن السامِريَّ قد أضلَّهم، (وهذا الغضب والحُزن كانَ لِتمام غيرتِهِ عليه الصلاة السلام أن يَعبد قومُهُ غيرَ ربه)، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾: أي بئسَ الحالة التي خلفتموني بها مِن بعد ذهابي عنكم، فإنها حالة تؤدي بكم إلى الهلاك والشقاء الأبدي، ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: يعني هل استعجلتم أمْرَ ربكم، حيثُ وَعَدَكم بإنزال الكتاب، فلم تتِمّوا ميعاده الذي حَدَّدَهُ لكم، وبدَّلتم دينه وعبدتم العجل؟!، ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾: يعني ألقى ألواح التوراة غضباً على قومه الذين عبدوا العجل، ﴿وَأَخَذَ﴾ يعني أمسكَ ﴿بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ ظناً منه أنه خالَفَ أمْرَهُ حين قال له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ هارون مُستعطفاً أخاه: يا ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي قاربوا أن يقتلوني حينَ قلتُ لهم: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: أي فلا تجعل الأعداء يَفرحون بما تفعل بي، ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي﴾ - في غضبك - ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الذين خالَفوا أمْرَك وعبدوا العجل، ولا تعاملني معاملتهم لأنني لم أقصِّر في نَهْيِهم عمَّا فعلوا.

♦ واعلم أنّ هارون عليه السلام قالَ لفظ: ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ - مع أنه شقيق موسى لأمِّهِ وأبيه - وذلك ترقيقاً لقلب أخيه، لأنّ ذِكر الأم وحدها يكونُ أكثر عطفاً وحناناً مِمَّا إذا ذُكِرَ الأب والأم معاً، أو الأب فقط.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 151: ﴿قَالَ﴾ موسى – لَمَّا تبيَّنَ له عُذر أخيه وعَلِمَ أنه لم يُفَرِّط في نَهْيِهِم -: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعتُ بأخي قبل أن أتبيّن براءته، واغفر لي إلقاء ألواح التوراة على الأرض، ﴿وَلِأَخِي﴾: أي واغفر لأخي إن كانَ قد وقع منه تقصير في الإنكار على عَبَدَة العجل، ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ الواسعة، ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: يعني فإنك أرحم بنا مِن آبائنا وأمّهاتنا، ومِن كل راحم.

الآية 152، والآية 153: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ أي سيُصيبهم ﴿غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (وقد نالهم غضبُ اللهِ في الدنيا، حيثُ أمَرَهم أن يقتلوا أنفسهم، وأخبَرَهم أنه لن يَرضى عنهم إلا بذلك، فقتل بعضهم بعضاً، وانتهت المعركة عن كثيرٍ من القتلَى)، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ أي الكاذبين على اللهِ تعالى (بزَعْمِهِم أنّ له شريكاً).

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾: يعني وأما الذين وقعوا في الكفر والمعاصي ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾: يعني ثم رجعوا مِن بعد فِعلها إلى الإيمان والعمل الصالح، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي مِن بعد هذه التوبة النَصوح: ﴿لَغَفُورٌ﴾ لذنوبهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم - وبكل التائبين – حيث مَكّنَهم من التوبة، وجعلها نجاةً لهم من عذابه.

الآية 154: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾: يعني ولمَّا هدأ موسى، وزالَ غضبه: ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ بعد أن ألقاها على الأرض، ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي فيما كَتبه اللهُ فيها ونَسَخه بيده: ﴿هُدًى﴾ أي إرشادٌ للحق، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي: وفيها رحمةٌ للذين يخافون اللهَ ويَخشون عقابه.

الآية 155، والآية 156، والآية 157: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي اختارَ موسى مِن قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ من خِيارِهم، وخرج بهم إلى جبل الطُور بـ "سيناء" ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ أي في الوقت الذي حدّده اللهُ لهم (ليعتذروا له عمَّا فعَلَهُ عَبَدَة العجل)، فلما وصلوا إلى طُور "سيناء"، قالوا لموسى: (لن نؤمن لك حتى نرى اللهَ بأعيننا، فإنك قد كلَّمتَهُ فاجعلنا نراه)، ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: أي فلما أخذتْهم الصاعقة، التي ارتجفتْ لها قلوبهم والأرض مِن تحتهم - بسبب جُرأتهم على ربهم – ماتوا جميعاً، فقام موسى يتضرع إلى اللهِ تعالى، فـ ﴿قَالَ رَبِّ﴾ ماذا أقولُ لبني إسرائيل إذا أتيتُهم، وقد أهْلكتَ خِيارهم؟ إنك سبحانك ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ﴾ جميعًا ﴿مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾: أي مِن قبل مجيئهم إليك وأنا معهم، فإنَّ ذلك أخفّ عليَّ، ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ أي بسبب فِعل ضعاف العقول (وهم مَن عبدوا العجل، وكذلك مَن طلبوا رؤيتك)؟ إنك سبحانك لا تفعلُ بنا ذلك.

♦ فبذلك اعتذر موسى لربه بأنّ المُتجرّئين على اللهِ تعالى ليس لهم عقول كاملة تَرْدَعُهُم عمَّا قالوا وفعلوا، وبأنهم قد حصل لهم فتنةٌ في دينهم، فقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: يعني ما هذه الفِعلة التي فعلها قومي إلا اختبارٌ وفتنة منك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ أي مُتولي أمْرنا وناصِرُنا، فليسَ لنا سواك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا ﴿وَارْحَمْنَا﴾ برفع العذاب عنا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: يعني وأنت خيرُ مَن صَفَحَ عن جُرْمٍ، وسَتَرَ عن ذنب، (فأجابَ اللّهُ دعائه، فأحياهم مِن بعد موتهم، وغفر لهم ذنوبهم).

www.alukah.net

♦ ثم قال موسى في ختام دعائه : ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ مِن عِلمٍ نافع، ورزقٍ واسع، وعملٍ صالح، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ - يعني: وفي الآخرةِ حسنة، وهي الجنة - ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ أي رجعنا تائبين إليك، (وبهذا اللفظ: ﴿هُدنا﴾ سُمُّوا يَهوداً، أي التائبين مِن عبادة العجل)، ﴿قَالَ﴾ اللهُ لموسى: إن الرَّجفة التي أنزلتُها بقومك هي ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ مِن خلقي، وهم الذين يَخرجون عن طاعتي، كما أصبتُ هؤلاء الذين أصَبْتُهم مِن قومك، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ أي وَسِعتْ خَلقي كلَّهم، ولكنْ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ لِمُستحقيها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وهم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ أي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا﴾: أي الذي يجدون صِفَته مكتوبة ﴿عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي يأمرهم بالتوحيد والطاعات وكل ما عُرِفَ حُسْنُهُ بين الناس، ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: أي وينهاهم عن الشرك والمعاصي وكل ما عُرِفَ قُبْحُهُ بين الناس، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ التي حُرِّمَتْ عليهم بسبب ظُلمهم، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ كالخَمر ولحم الخنزير والرِبا وسائر المُحَرَّمات في الإسلام، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: أي ويُذهِب عنهم ما كُلِّفوه من الأمور الشاقة، كقَطْع مَوْضع النجاسة من الثوب، وإحراق الغنائم، والقصاص حتمًا من القاتل (سواء كان القتلُ عمدًا أم خطأً)، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾: يعني فالذين صدَّقوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأقرُّوا بنبوَّته، ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: أي وَقَّروه وعظَّموه، ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ على أعدائه المشركين والمنافقين ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾: أي اتَّبعوا القرآن المُنَزَّل عليه، وعَمِلوا بسُنَّتِه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بدخول الجنة والنجاة من النار.

****

8. تفسير الربع الثامن من سورة الأعراف

الآية 158: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (لا إلى بعضِكم دونَ بعض)، واعلموا أنّ اللهَ تعالى الذي أرسلني هو ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي لا تكونُ العبادةُ إلا له سبحانه وتعالى، إذ هو وحده الذي ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

♦ ثم قال تعالى – مُخاطِباً جميع الناس - : ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ رَبّاً وإلهاً، ﴿وَكَلِمَاتِهِ﴾: يعني ويؤمن بكلمات اللهِ التي أنزلها عليه، وبكلماته التي أنزلها على النبيين مِن قبلِه، ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: يعني واتَّبعوا هذا الرسول والتزِموا العمل بسُنَّتِه، لِتُوَفَّقوا إلى الطريق المستقيم، الذي هو طريق سعادتكم في الدنيا والآخرة (وفي هذا دليل على أنَّ الهُدَى في اتِّباع سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم).

الآية 159، والآية 160: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ يعني: ومِن بني إسرائيل – على عهد موسى – جماعةٌ ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: أي يَستقيمون على الحق، ويَهدون الناسَ إليه، ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ في الحُكم في قضاياهم، فيَحكمون بالحق والعدل على أنفسهم وعلى غيرهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ أي: وفرّقنا بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة بنفس عدد الأسباط (وهم أبناء يعقوب عليه السلام)، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ أي حين طلب منه قومه السُقيا - عندما أصابهم العطش الشديد - فأوحينا إليه ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضرَبَهُ موسى ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ أي فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ من الماء بعدد قبائل بني إسرائيل الاثني عشر، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾: أي قد علِمَتْ كُلُّ قبيلةٍ مَوضع شُربها ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ وهو السحاب، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ﴾ وهو شيءٌ يُشبهُ الصَّمغ، طعمه كالعسل، ﴿وَالسَّلْوَى﴾ وهو طائرٌ يُشبهُ السُّمَّانى.

♦ وقلنا لهم: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، فكرهوا ذلك وملُّوا منه، وقالوا: (لن نصبر على طعامٍ واحد)، وطلبوا استبدال الأدنى بالأفضل، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ حينَ لم يَشكروا نِعَمَنا عليهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ إذ فوَّتوا عليها كل خير، وعرَّضوها لكل بلاءٍ وشَرّ.

الآية 161، والآية 162: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وهي مدينة بيت المَقدس، ﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾ أي مِن ثمارها وحبوبها ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: أي نسألك يارب أن تَحُطَّ عنا ذنوبنا، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾: أي كونوا في دخولكم خاضعينَ للهِ، ذليلينَ له، فإنْ تفعلوا ذلك: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ فلا نؤاخذكم عليها، ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ مِن خَيْرَي الدنيا والآخرة، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، واستهزءوا بدين اللهِ تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ أي عذابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ أي بسبب ظُلمهم وعِصيانهم.

الآية 163: ﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ أي اسأل أيها الرسول هؤلاء اليهود ﴿عَنِ﴾ خبر أهل ﴿الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ أي التي كانت قريبة من البحر - وكان أهلها من اليهود - ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: أي حينَ كانوا يَعتدون في يوم السبت على حُرُمات اللهِ تعالى، فقد أمَرَهم سبحانهُ أن يُعظموا يوم السبت ولا يَصطادوا فيه الأسماك، ثم امتحنهم سبحانهُ وتعالى ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾: أي كانت حِيتانُهُم تأتيهم يوم السبت ﴿شُرَّعًا﴾: أي ظاهرة على وجه البحر، ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ يعني: وإذا ذهب يوم السبت، تذهب الحِيتان في البحر، ولا يَرَون منها شيئًا، فكانوا يقومونَ بِحَبْسِها يوم السبت في الشِباك والبِرَك التي حفروها، ثم يصطادونها يوم الأحد كَحِيلةٍ للوصول إلى المُحرَّم، ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: أي وكذلك نَختبرهم ونَفتنهم، ونُشَدِّد عليهم فيما نُشَرِّعُ لهم (عقوبةً لهم) لِخروجهم عن طاعتنا.

الآية 164: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ أي قالت جماعةٌ منهم لجماعةٍ أخرى كانت تَعِظ المعتدين في يوم السبت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أي في الدنيا بِسبب مَعصيتهم له ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة؟ ﴿قَالُوا﴾ أي قال الذين كانوا يَنهَوْن عن معصية الله: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾: يعني نحن نَعِظهم وننهاهم ليكون ذلك عُذراً لنا أمام اللهِ تعالى، بأننا قد أدَّينا فرْضَ اللهِ علينا في النَهي عن ذلك المنكر، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: يعني ورجاءَ أن يتقوا اللهَ، فيخافوه وينتهوا عن معصيته.

الآية 165: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: أي فلما تركتْ الطائفة العاصية ما ذُكِّرَتْ به وأهمَلَتْهُ، واستمرتْ على اعتدائها: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾: يعني أنجينا الذين يَنهون الناس عن معصيتنا، ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ - وهم الذين اعتدَوْا في يوم السبت - ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي شديد البأس، وذلك ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: أي بسبب خروجهم عن طاعة اللهِ تعالى،

www.alukah.net

(وأما الطائفة التي لم تكن تنهى عن المنكر فقد اختلف المفسرون: (هل نَجَتْ من العذاب أو لا؟) فقد كان عبد الله ابن عباس يرى أنها لم تَنْجُ، وكان عِكرمة يرى أنها نجتْ مع الطائفة الواعظة، لأنّها تركتْ النَهي بسبب يأسِها من استجابة الظالمين، والله أعلم).

الآية 166: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ ﴾: يعني فلما تمرَّدتْ الطائفة العاصية، ولم تتعظ من ذلك العذاب الذي أصابها، واستمروا على اعتدائهم في يوم السبت: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: يعني إنّ الله تعالى مَسَخَهم قِرَدةً ذليلين.

الآية 167: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يعني واذكر أيها الرسول للناس إعلام ربك وإعلانه بأنه سوف يُسَلِّط على اليهود مَن يُذيقهم أسوأ العذاب والإذلال إلى يوم القيامة، (عقوبةً منه سبحانهُ على خُبث نواياهم وسُوء أفعالهم)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لِمَن استحق عقابه بسبب كُفره ومعصيته، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لِمَن تاب إليه مِن اليهود وغيرهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، حيثُ قَبِلَ توبتهم.

الآية 168: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ يعني: وفرَّقنا بني إسرائيل في الأرض جماعات، فـ ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾: أي منهم القائمونَ بحقوق اللهِ وحقوق عباده، ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾: أي ومنهم المُقصِّرون الظالمون لأنفسهم، ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾: يعني واختبرنا هؤلاء الظالمين المُقصرين بالرخاء في العيش والسَّعَة في الرزق، واختبرناهم أيضًا بالمصائب والشدة في العيش ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى طاعة ربهم وينتهونَ عن معصيته.

الآية 169: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: أي فجاء مِن بعد هؤلاء اليهود – الذين وَصَفهم اللهُ في الآية السابقة - : ﴿خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾: أي خَلَفُ سُوء، وَرِثوا التوراة عن أسلافهم، فقرؤوها ولكنهم لم يَلتزموا بما فيها، فكانوا يُفَضِّلونَ الدنيا على الآخرة، و ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾: أي يأخذون ما يَعْرِضُ لهم مِن دَنِيءِ المكاسب، كالرشوة وغيرها، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - مع هذا العِصيان والإصرار - : ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: يعني إنّ اللهَ سَيَغفر لنا ذنوبنا – وهمُ يَكذبون على اللهِ بهذه الأمنيات الباطلة –، فقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، طبعاً إلا لو تاب العبدُ وقبِلَ اللهُ توبته.

﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾: يعني وإن يأتِ هؤلاء اليهودَ متاعٌ زائلٌ من أنواع الحرام، يأخذوه ويَستحِلُّوه، فقال تعالى مُوَبِّخاً لهم: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ ﴾ وهي العهود التي أخذها اللهُ عليهم في التوراة بـ ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ - فقد زعموا بأنّ اللهَ سَيَغفر لهم، رغم إصرارهم واستحلالهم للذنب وعدم توبتهم منه - ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: أي وقد عَلِموا ما في الكتاب، ثم تركوا العمل به، وخالَفوا عَهْدَ اللهِ إليهم؟ ﴿وَالدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ فيَمتثلون أوامر ربهم، ويَجتنبون نَواهيه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أيها اليهود – يا مَن تُؤثِرون الحياة الدنيا على الآخرة – أنّ ما عند اللهِ خيرٌ وأبقى؟

الآية 170: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: والذين يَتمسَّكون بالكتاب ويعملون بما فيه من العقائد والأحكام والمواعظ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أي ويحافظون على الصلاة في أوقاتها، ويُؤَدُّونَ أركانها باطمئنان، فأولئك بَشَّرَهُم اللهُ تعالى بقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بل نُثيبهم على أعمالهم الصالحة أعظم الجزاء في جنات النعيم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 171: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾: يعني واذكر أيها الرسول حين رَفعْنا ﴿الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي فوق بني إسرائيل ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: يعني كأنه سحابة تُظِلُّهم، ﴿وَظَنُّوا﴾: يعني وأيْقَنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي ساقطٌ عليهم إن لم يَقبلوا أحكام التوراة، وقلنا لهم: ﴿خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: أي اعملوا بما أعطيناكم باجتهاد، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: أي ولا تنسوا التوراة قولاً وعملاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: يعني لِكَي تتقوا ربكم فتنجوا من عقابه.

****

9. تفسير الربع التاسع من سورة الأعراف

الآية 172، والآية 173: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: يعني واذكر – أيها الرسول – حين استخرجَ ربك أولاد آدم مِن ظهور آبائهم، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: يعني وقرَّرَهم تعالى بتوحيده – بما خَلَقَهُ في فِطْراتهم مِن أنه ربهم وخالقهم –، فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟، فأنطقهم سبحانه بقدرته التي لا يُعجزها شيء، فـ ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾: أي فأقرُّوا له بذلك، فقال اللهُ لهم: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: يعني قد أقرَرْتُكُم بذلك حتى لا تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ الإقرار ﴿غَافِلِينَ﴾، وتُنكِروا ذلك العهد الذي أخذتُهُ عليكم بالتوحيد، ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ أي: وحتى لا تقولوا أيضاً: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: يعني إنما أشرك آباؤنا مِن قبلنا ونقضوا هذا العهد، فاقتدينا بهم مِن بعدهم، ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾: يعني أفتعذبنا بما فعل الذين أبطلوا أعمالهم وأحبطوها (لاتّخاذهم شركاءَ معك في العبادة)؟

♦ فبهذا وَضَّح لهم سبحانه أنّ تقليدهم للآباء بغير عِلمٍ أو دليل ليسَ عُذراً مقبولاً عند اللهِ يوم القيامة (بعد أن كانَ في أصل فِطرَتهم: العِلم بوحدانية اللهِ تعالى)، لأنّ الشِرك بعد العِلم، صارَ إمّا عن تَعَمُّد وإمّا عن تقصير.

الآية 174: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: يعني ومِثل هذا التفصيل الوارد في هذه السورة: ﴿نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ﴾ ونُبَيِّنها، تذكيراً للناس وتعليماً لهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى التوحيد الخالص الذي فَطَرَهم اللهُ عليه.

♦ فإنّ اللّهَ تعالى قد فَطَرَ عباده على دين الإسلام الواضح الذي لا عِوَجَ فيه، ولكنّ الفِطرة قد تتغير وتتبدل بما يأتي عليها من العقائد الفاسدة، فقد قال صلى الله عليه وسلم – كما في الصحيحين – : (ما مِن مَوْلودٍ إلا يُولَدُ على الفِطرة، فأبَوَاهُ يُهَوِّدانِهِ – (أي يَجعلانه يهودياً) – أو يُنَصِّرانِهِ – (أي يَجعلانه نَصرانياً) – أو يُمَجِّسانِهِ) – (أي يَجعلانه مَجُوسِيّاً).

الآية 175، والآية 176: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا﴾: يعني واقصُص – أيها الرسول – على قومك خبرَ رَجُلٍ أعطيناه حُجَجَنا وأدِلَّتنا، وفهَّمناهُ أحكام ديننا ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾: يعني فتعَلَّمَها، ثم تركها وراءَ ظهره، ولم يعمل بها ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: أي فأدرَكَهُ الشيطان واستحوذَ عليه، ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: يعني فصارَ من الضالين الهالكين، بسبب مُخالفته لأمْر ربه وطاعته للشيطان.

www.alukah.net

♦ ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ أن نرفع قدْرَهُ – في الدنيا والآخرة – بما آتيناه من الآيات: ﴿لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: يعني ولكنه رَكَنَ إلى الدنيا، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ وشهواته، وفضلهما على الآخرة ﴿فَمَثَلُهُ﴾: أي فصارت صِفَتُهُ المُلائِمة له ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ يعني سواءٌ عليه أطرَدتَهُ أو تركتَهُ: تجدْهُ يتنفس بشدة – مُخرجاً لسانه – من التعب والإعياء، فتعَبُهُ لا ينقطع أبداً، فكذلك الذي انسلخ من آيات الله، يظل دائماً يَلهَث وراء شهواته، ويظل على حِرصِهِ وطَمَعِهِ وغفلته، سواءٌ عليه أأنذرتَهُ أو أهْمَلتَه، ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ إذ بعد أن أعطاهم اللّهُ آياته، كَذَّبوا بها ورَدُّوها، وفضَّلوا أهوائهم على الانقياد لها، ﴿فَاقْصُصِ﴾ أيها الرسول على قومك ﴿الْقَصَصَ﴾: أي أخبار الأمم الماضية ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيما جئتهم به فيؤمنوا بك، (وفي الآية تحذيرٌ لمن يترك تلاوة القرآن، وتدَبُّرِه، والعمل به).

الآية 177: ﴿سَاءَ﴾ أي قَبُحَ ﴿مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة ﴿وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بسبب جحودوهم بهذه الحُجَج والأدلة.

الآية 178: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ يعني: مَن يوفقه اللّهُ للإيمان به وطاعته ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾: يعني ومَن يَخذله اللهُ تعالى ولم يوفقه إلى ذلك: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الهالكون، (إذ الهداية والإضلال مِن اللهِ وحده، بحسب عدله وحكمته).

الآية 179: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾: يعني ولقد خلقنا للنار – التي يُعَذِّبُ اللهُ فيها مَن يَستحق العذاب في الآخرة - ﴿كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ وذلك لِعِلْمِهِ تعالى بأنهم يَرفضون هدايته، ويتكبرون عن عبادته، ويُحاربون أنبياءه، فهؤلاء ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي لا يَعقلون بها، فلا يَصِل إلى قلوبهم فِقهٌ ولا عِلم، إلا ما يكونُ سبباً في إقامة الحُجَّة عليهم، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: أي لا ينظرون بها إلى آيات اللهِ وأدِلَّتِهِ في الكون، ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ آيات القرآن سَماعَ تدَبُّرٍ وقبول، ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الانتفاع بقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ منها، لأن البهائم تعلم ما يَنفعها وما يَضرها وتتبع راعيها، وهم بخِلاف ذلك، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن آيات اللهِ تعالى، فلا يلتفتون إليها، ولا يتفكرون فيها، فلذلك صَرَفهم اللهُ عن فَهْمِها.

الآية 180: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الدالّة على كمال عظمتِهِ وجلالِه، لا يُشاركه فيها أحدٌ مِن خَلقِه، ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾: أي فاطلبوا منه بأسمائه ما تريدون، (والأفضل أن يكون الاسم الذي يدعو به العبد مناسباً للطلب، كأن يقول: (يا غفار اغفر لي، ويا رزاق ارزقني، وهكذا)، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: أي اتركوا الذين يُغَيِّرون في أسمائه، كأن يُسَمُّوا بها مَن لا يَستحقها (كَتَسمية المشركين بها لآلهتهم)، أو أن يَجعلوا لها معنى لم يُرِدْهُ اللهُ ورسوله لِيُفسروها بما يتناسب مع مَذهبهم الباطل، أولئك ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعني سوف يُجزَونَ في الآخرة جزاءَ هذا الإلحاد في أسماء اللهِ تعالى.

♦ واعلم أنّ الإلحاد في اللغة: هو المَيْل عن وَسط الشيء، وكانَ مِن إلحاد العرب في أسماء اللهِ تعالى أن اشتقوا اسم (العُزَّى مِن العزيز، واللات مِن الله، ومَناة من المَنَّان)، ومِن الإلحاد فيها أيضاً ما يَفعله بعض الناس مِن وَضْع أسماء للهِ تعالى لا توجد في الكتاب ولا في السُنَّة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 181: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾ يعني: ومِن الناس جماعةٌ فاضلة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: أي يَهتدون بالحق ويَدعونَ إليه، ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الحُكم في قضاياهم، فيَحكمون بالحق والعدل على أنفسهم وعلى غيرهم، وهؤلاء هم أئِمَّة الهُدى، مِمَّن أنعمَ اللهُ عليهم بالإيمان والعمل الصالح.

الآية 182: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي سنفتح لهم أبواب الرزق الكثير في الدنيا – استدراجًا لهم –، حتى يَغترُّوا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على الهدى، ثم نُعاقبهم – على غفلةٍ منهم – مِن حيثُ لا يعلمون.

♦ واعلم أنّ الاستدراج: هو الأخْذ بالتدريج، واستدراجُ اللهِ تعالى لأهل الضلال – الذين يُصِرُّون على المعاصي ولا يتوبون منها –: أنهم كلّما جَدَّدُوا للهِ معصيةً، جَدَّدَ اللهُ لهم نعمة، حتى يأخذهم بذنوبهم وهم لا يشعرون.

الآية 183: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: يعني وأُمْهِلُ هؤلاء المُكَذِّبين حتى يَظنوا أنهم لا يُعاقَبون، فيَزدادوا كُفرًا وطغياناً، وبذلك يَتضاعف لهم العذاب، وهذا هو مَكْري بهم، وكَيْدي لهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: أي قويٌّ شديد، لا يُدْفَعُ بقوةٍ ولا بحِيلة.

الآية 184: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾: يعني أولم يَتفكر هؤلاء المُكذِّبون، ويَعلموا أنه ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾: يعني ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم جنون، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: يعني ما هو إلا نذيرٌ لهم مِن عقاب اللهِ تعالى، مُبَيِّناً لهم الحق من الباطل، والهدى من الضلال

الآية 185: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: يعني أولم ينظر هؤلاء المُكذِّبون في مُلك اللهِ العظيم وسلطانه القاهر في السماوات والأرض، وإلى ما خَلَقه اللهُ تعالى فيهما؟، إذ لو نظروا إلى ما في ذلك مِن مَظاهر القدرة والعِلم والحكمة، لَعَلِموا أنّ المستحق للعبادة هو خالق هذا المَلَكُوت، ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: يعني أو لم ينظروا أيضاً في آجالهم التي عَسَتْ أن تكون قد اقتربتْ، فيُعَجِّلوا بالتوبة، حتى لا يَهلكوا على كُفرهم ومَعاصيهم، فيَصيروا إلى عذاب اللهِ وعقابه الأليم؟، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾: يعني فبأيّ تخويف وتحذير بعد تحذير القرآن سَيُصدقونه ويعملون به؟!

الآية 186: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾: يعني مَن يُضْلِلْهُ اللهُ عن طريق الرشاد: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي ويَتركهم في كُفرهم يتحيرون ويترددون، لا يعرفون مَخرجاً ولا سبيلاً للنجاة.

الآية 187: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾: أي يسألك كفار مكة عن الساعةِ التي فيها تقوم القِيامة: متى تأتي؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ أي عِلْمُ قيامها ﴿عِنْدَ رَبِّي﴾ وحده، فـ ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا﴾: أي لا يُظهرها في وقتها المحدد ﴿إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه وتعالى، ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي ثَقُلَ عِلمها، وخَفِيَ على أهل السماوات والأرض، ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: يعني لا تجيء الساعة إلا فجأة، بدون توقع أو انتظار، ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: أي يسألك هؤلاء القوم عن الساعة كأنك مُبالِغ في طلب معرفتها من اللهِ تعالى حتى عرفتَها، ولم يعلموا أنك – لكمال عِلمك بحكمة ربك – غير مهتم بالسؤال عن موعدها، ولا حريص على ذلك، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ألا فلْيَنشغلوا بالاستعداد لها.

www.alukah.net

الآية 188: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: أي لا أقدرُ على جَلْبِ خيرٍ لنفسي ولا دَفْعِ شرٍ يصيبها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يُعْلِمَني إياه ويُقدِرَني عليهِ مِن أسباب تحصيل النفع، ومِن أسباب اتِّقاء الضرر، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ أي لَفَعَلتُ الأسبابَ التي أعلم أنها تُكثِر لي المصالح والمنافع، ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾: يعني ولو كنتُ أعلم الغيبَ لاتَّقيتُ ما يكونُ مِن الشر قبل أن يَقع لي، ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يعني ما أنا إلا رسولٌ من اللهِ أرسلني إليكم، أخوِّفُ مِن عقابه، وأبَشِّرُ بثوابِهِ قومًا يُصَدِّقونَ بأني رسولُ الله، ويَعملون بشرعه.

****

10. تفسير الربع الأخير من سورة الأعراف

الآية 189، والآية 190: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهي نفس آدم عليه السلام، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حَوَّاء عليها السلام، إذ خَلقها مِن ضلع آدم ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ويأنس بها (والمقصود: عموم الزوجين مِن ذرية آدم)، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: أي فلما جامعها زوجها: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾: أي حملتْ ماءً خفيفًا، فقامت به وقعدتْ وأتمَّتْ الحَمْل، ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾: أي فلما ثَقُلَ حَمْلُها، وقارِبتْ على الولادة: ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾: أي دَعا الزوجان ربهما: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾: يعني لئن أعطيتنا بشرًا سويًا صالحًا: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على ما وهبتَ لنا من الولد الصالح، ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾: أي فلمَّا رَزَقَ اللهُ الزوجين ولدًا صالحًا: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾: أي جعلا للهِ شركاءَ في ذلك الولد (الذي انفرد اللهُ بخلقه)، فأمرَاهُ أن يَعبد غيرَ الله، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ وتقدَّسَ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

الآية 191، والآية 192: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾: يعني أيُشرِكُ – هؤلاء المشركون – مخلوقاتٍ مع اللهِ في عبادته، وهي لا تقدر على خَلْق شيء ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: يعني بل هي أصلاً مخلوقة؟، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾: يعني ولا تستطيع هذه المخلوقات أن تنصر عابِديها، ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾: أي ولا تستطيع أن تدفع المكروه عَمَّن يَعبدها ولا عن نفسها، فكيف تُتَّخَذ مع اللهِ آلهة؟!

الآية 193: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾: يعني وإن تدعوا – أيها المؤمنون – هؤلاء المشركين (الذين ذكَرَهُم اللهُ في قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ في الآية قبل السابقة) - فإن تدعوهم ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ لِعِنادهم واتِّباعهم لأهوائهم، ولِذا ف ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ لن يَستجيبوا لكم، لأنهم متكبرون، لا ينقادون إلى الحق.

الآية 194، والآية 195: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي: هم مملوكونَ لربهم كما أنكم مملوكون لربكم، فإن كنتم تزعمون أنهم يَستحقونَ مِن العبادةِ شيئًا: ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ثم قال تعالى – مُبطِلاً أيّ استحقاقٍ لهم للعبادة –: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ لِيقضوا حوائجكم؟ ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾: أي يَدفعون بها عنكم المكروه، وينصرونكم على مَن يُريدُ بكم شرًا؟ ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ فيُخبرونكم بما رأوه مِمَّا لم تروه؟ ﴿أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فيُخبرونكم بما لم تسمعوه؟! فإذا كانت آلهتكم التي تعبدونها خالية من هذه الأشياء التي بها يتم جَلْب النفع أو دَفْع الضرر، فما وَجْهُ عبادتكم إيَّاها؟!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿قُلِ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين – مُتحدياً لهم -: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: أي ادعوا آلهتكم التي جعلتموها شركاءَ للهِ في العبادة ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ أي: ثم اجتمعوا على إيقاع الأذى بي، ولا تؤخروني، بل عَجِّلوا بذلك، فإني لا أهتم بآلهتكم لاعتمادي على حِفظ اللهِ وحده.

الآية 196، والآية 197: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ﴾: يعني إنّ الذي يتولى حِفظي ونَصري هو اللهُ ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ عليَّ ﴿الْكِتَابَ﴾، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ مِن عباده، وينصرهم على أعدائهم ولا يَخذلهم، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أيها المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من الآلهة المزعومة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ من عذاب اللهِ إن نزل بكم، ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾: أي ولا يقدرون على نَصر أنفسهم من العذاب.

الآية 198: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾: يعني وإن تدعوا أيها المشركون آلهتكم إلى أن يَهدوكم إلى ما تُحَصّلون به مقاصدكم (كالنصر على الأعداء وغير ذلك): ﴿لَا يَسْمَعُوا﴾ دعاءكم، ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: وترى أيها الرسول هذه الأصنام يقابلونك كالناظر إليك، لأنهم صَوَّروها على صور الآدميين، فإذا رأيتها قلتَ: هذه حيَّة، ﴿وَهُمْ﴾ في حقيقة الأمر ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأنها جمادات لا حياةَ فيها، فكيف يَتخذها المشركون آلهةً مع الله؟!

♦ وقد قِيلَ إن المقصود بهذه الآية المشركون وليس الأصنام، وعلى هذا يكون المعنى: (وإن تدعوا أيها المؤمنون هؤلاء المشركين إلى الهدى، لا يَسمعوا دعاءكم سَماع تدبر وقبول، وتَحسبهم أيها الرسول ينظرون إليك نظر تأمل واعتبار لِيَتَبَيَّنَ لهم صِدقك، ولكنهم – في الواقع – لا يُبصِرون حقيقتك من الكمال والجمال والصدق).

الآية 199: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: أي اقْبَلْ الحَسَن من أخلاق الناس وأعمالهم، (فتتذكَّر جَميلهم لتتحمل أذاهم)، فإنّ الناس يحبون مَن يتغاضى عن أخطائهم، ويتحمل طِباعهم.

♦ فلا تتكبرْ على الجاهل لِجَهله، ولا على الفقير لِفقره، بل تَعامَلْ مع الجميع باللطف، وخاطِبْهم بما تفهمه عقولهم، وقابِلْهم بابتسامةٍ تنشرحُ لها صدورهم، وعامِلْهم بما تحب أن يُعاملوك به، ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ وهو كل ما عُرِفَ حُسنُهُ بين الناس، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فلا تؤاخذهم بسوء أقوالهم وأعمالهم، بل عَلِّمْهُم وكُن حليماً على جَهْلهم.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ فيهِ دليلٌ على أنه يُؤخَذ بما تَعارَفَ عليه الناس (كلٌ حسب بيئته)، كَوَضْع الكُحل للرجال وغير ذلك، بشرط ألا يُخالف ذلك العُرف شرعَ اللهِ تعالى، فعَلى سبيل المثال: (وجدتُ شاباً يضع (سلسلة) من الفضة حَوْلَ رقبته، فقلتُ له: (هذا حرام)، فقال لي: (الفضة ليست حراماً للرجال)، فقلتُ له: (ليست حُرمتها في أنها من الفضة، ولكن حُرمتها في أنّ العُرف المُتَّبَع بين الناس – في بلدك – يقولُ بأنّ هذا الفِعل تَشَبُّه بالنساء، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري – : (لَعَنَ اللهُ المتشبهين من الرجال بالنساء)).

www.alukah.net

الآية 200: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: يعني وإذا أصابك مِن الشيطان غضب، أو أحسستَ منه بوسوسة: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: أي فالجأ إلى اللهِ تعالى، مُحتمياً به بصِدق، مُتذللاً إليه أن يَعصمك مِن شره، قائلاً – بلسانك وبقلبك -: ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿سَمِيعٌ﴾ لِمَا تقول، ﴿عَلِيمٌ﴾ بضَعفك، قادرٌ على دَفْع وسوسته وأذاه.

الآية 201، والآية 202: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي خافوا عقاب ربهم (بأداء فرائضه واجتناب نواهيه)، هؤلاء ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: يعني إذا أصابتهم وسوسةٌ من الشيطان، فوَقعوا في ذنبٍ، أو تركوا واجباً: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما أوْجَبَهُ اللهُ عليهم مِن الإسراع بالتوبة إليه، وكثرة استغفاره، وصِدق الاستعاذة به، وتذكَّروا مِن أي بابٍ دَخَلَ عليهم الشيطان ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ أي يرون قُبْح المعصية وسُوء عاقبة فاعلها، (فبذلك قد أبْصَروا الطريق مرةً أخرى ، واستدركوا ما وقع منهم بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرَدُّوا شيطانهم ذليلاً، قد أفسدوا عليه كل ما أدركه منهم، وأغلقوا عليه كل باب) ، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ يعني: وشياطين الجن يُوقِعون إخوانهم – مِن شياطين الإنس – في الذنوب، ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: أي ثم – بعد هذه الذنوب – يَبذل شياطين الجن كل جهدهم في مَدّ هؤلاء الفُجَّار في الإضلال، حتى يُضِلُّوا الناس ويُزَيِّنوا لهم الباطل.

الآية 203: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ يعني: وإذا لم تَجِئ هؤلاء المشركين بآيةٍ من الآيات التي اقترحوها عليك وطلبوها منك: ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ يعني أفلا تُنشِئُها مِن عند نفسك ما دامَ ربك لم يُعطِها لك؟، ﴿قُلْ﴾ لهم: إنّ هذا ليسَ لي، فإنما أنا بشر، و ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ أي أتَّبع ما يأتيني به جبريلُ ﴿مِنْ رَبِّي﴾ فاللّهُ تعالى هو الذي يُنَزِّل الآيات ويُرسلها حَسب ما تقتضيه حِكمته البالغة، و ﴿هَذَا﴾ القرآن الذي أتلوه عليكم هو ﴿بَصَائِرُ﴾ أي حُجَجٌ وبراهين ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تدل على صِدق ما جئتُكم به – فهو أقوى حُجَّةً من الآية التي تطالبون بها – ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

♦ ويُحتمَل أن تكون الآية التي طلبوها من النبي صلى الله عليه وسلم هي آية قرآنية، وذلك حين سألوهُ شيئًا، فأبطَأَ عليه جبريل عليه السلام، فقالوا له: (أفلا تَختلِقها وتقولها مِن عند نفسك حتى تَرُدَّ بها على مَن سألك؟) .

الآية 204: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي تعَمَّدوا السَماعَ واطلبوه بقلبٍ حاضر، ﴿وَأَنْصِتُوا﴾ أي اسكتوا حتى تسمعوا سَماعاً ينفعكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي لِيَرحمكم ربكم (لأنّ كلمة: "لعل" إذا جاءت من اللهِ تعالى فإنها تفيد الوجوب وتأكيد الوقوع).

الآية 205: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾: أي اذكر ربك سِرّاً (يعني باللسان وبقلبٍ حاضر)، و ﴿تَضَرُّعًا﴾: يعني بتذللٍ وخشوع للهِ تعالى، ﴿وَخِيفَةً﴾: أي على خوفٍ منه سبحانه مِن ألاَّ يَقبل عملك، ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (وذلك بأن تُسمِعَ نفسك، أو مَن بجانبك فقط)، واذكُرْهُ تعالى – بصفةٍ خاصة – ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ﴾: أي في أول النهار وآخره، ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذِكر اللهِ تعالى، بل اجعل لسانك رَطباً مِن ذِكرِه، حتى تموتَ وأنتَ تَذكُر ربك.

الآية 206: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ بل يَنقادونَ لأوامره، ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ أي يُنَزِّهونه ويَنفونَ عنه ما لا يَليقُ به، ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.

تفسير سورة الأنفال كاملة

1. تفسير الربع الأول من سورة الأنفال

الآية 1: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾: أي يسألك أصحابك أيها النبي عن الغنائم - يوم بَدْر - كيف تقسمها بينهم؟ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: يعني إنَّ أمرَها إلى اللهِ ورسوله، فالرسولُ يَتولى قِسمتها بأمْر ربه، (وقد حَكَمَ اللهُ تعالى فيها بقولِهِ في هذه السورة: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...) وسيأتي تفسير الآية).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترْك العداوة والمخاصمة بسبب هذه الأموال، ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: يعني أصلِحوا العلاقات التي تربط بعضكم ببعض - من المَحبة والأخُوّة - وصَفُّوا قلوبكم مِن كل حِقدٍ أو غِلّ نشأ بينكم بسبب هذه الغنائم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الآية 2، والآية 3، والآية 4: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ - أي أصحاب الإيمان الكامل - هم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت قلوبهم، خاصةً عند ذِكر وعيدِ اللهِ تعالى ووعده (فإذا ذُكِرَ الوعيد بالعذاب: خافوا أن يُصيبهم العذاب بسبب ذنوبهم وتقصيرهم، وإذا ذُكِرَ الوعد بالجنة: خافوا أن يُحرَموا منها إذا لم تُقبَل توبتهم وأعمالهم)، فعندئذٍ يتوبون من المعاصي ويُكثِرونَ من الطاعات، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (بسبب تَدَبُّرِهِم لمعاني الآيات، وتطبيقها عملياً في حياتهم)، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: وعلى اللهِ وحده يعتمدون - هذا مع أخْذِهِم بالأسباب -، ولكنّ قلوبهم تتعلق بمُسَبب الأسباب سبحانه، الذي بيده كل شيء (فالجوارحُ تعمل والقلوبُ تتوكل) (والجوارح هي أعضاء الإنسان)، وهم ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي يُداومون على أداءها - في أوقاتها - باطمئنانٍ وخشوع.

♦ واعلم أنّ مِن أصْدَق الحِكَم التي قرأتُها: (إذا لم تكن تعيشُ سعيداً، فاعلم أنك لا تصلي جيداً)، فهناك فرقٌ بين مَن يُصلي لِيَرتاحَ بها، وبين مَن يُصلي لِيَرتاحَ منها).

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ - من أنواع الأموال - ﴿يُنْفِقُونَ﴾: أي يُخرِجون صَدَقة أموالهم الواجبة والمستحبة (وكذلك يُنفقون مِمَّا رزقهم اللهُ - مِن عِلمٍ أو صِحَّةٍ أو سُلطة - في خدمة المسلمين، فيُعَلِّمونَ الناس، ويَسعونَ في قضاء حوائجهم، وغير ذلك).

﴿أُولَئِكَ﴾ المُتصفون بهذه الصفات ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ظاهرًا وباطنًا، ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أي منازل عالية ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة.

الآية 5، والآية 6: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ﴾: يعني كما أنّ ربك سبحانه قد جَعَلَ أمْرَ تقسيم الغنائم إليه، فكذلك أمَرَكَ بالخروج من "المدينةِ" ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالوحي الذي أتاكَ به جبريل بالحق، وذلك للقاء قافلة قريش المُحَمَّلة بالخير الكثير (جزاءً للمشركين على إخراجهم للمؤمنين مِن ديارهم، وعلى أخْذِهِم أموالهم بغير حق)، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ يعني: وإنَّ بعض المؤمنين قد كَرِهوا الخروجَ معك، عندما علموا أنّ قريشاً قد خرجتْ لِقتالهم (دِفاعاً عن القافلة)، وهؤلاء

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المؤمنون ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أي في شأن القتال ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ أنّ القافلة قد نَجَتْ وأنه لابد من القتال، فتراهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه بأعينهم، وذلك مِن شدة كراهيتهم لقتالٍ لم يَستعِدُّوا له.

الآية 7، والآية 8: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾: يعني واذكروا – أيها المجادلون – وَعْدَ اللهِ لكم بالفوز بأحَد الأمرين: القافلة وما تحمله مِن أرزاق، أو قتال الأعداء والانتصار عليهم، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: يعني وأنتم تحبون الفوز بالقافلة مِن غير قتال، ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾: أي ولكنّ اللهَ يريدُ أن يُظهِرَ الحقَّ بنصْر أوليائه وهزيمة أعدائه.

♦ وقولُهُ تعالى: ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾: أي بأمْرِهِ لكم بقتال الكفار، وبأمْرِهِ للملائكة بالقتال معكم، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: أي ويريد سبحانه أن يَستأصل الكافرين بالهلاك، وذلك ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾: أي لِيَنصر الإسلامَ ويُعِزَّ أهله، ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾: أي ويُذهِب الشِركَ ويُذِلّ أهله، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: يعني ولو كَرِهَ المشركونَ ذلك.

الآية 9: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: أي اذكروا نعمة الله عليكم يوم بدر، حين طلبتم مِن ربكم – بتضرُّعٍ – أن يَنصركم على عدوكم، ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ قائلاً ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أي مُتتالين، يَتْبَعُ بعضهم بعضًا.

الآية 10: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: أي وما جعل اللهُ هذا الإمداد بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ ويَذهب منها القلق والاضطراب، وتوقنوا بنصر اللهِ لكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يَغلبه أحد ﴿حَكِيمٌ﴾ يَنصرُ مَن يَستحق النصر.

الآية 11: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾: أي اذكروا نعمة اللهِ عليكم يوم بدر، حين ألقى عليكم النُعاس ﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾: أي أمانًا منه سبحانه، واطمئناناً لكم من الخوف الذي أصابكم لِكثرة عدوكم، (فإنّ العبد إذا أصابه النُعاس: هدأ وثبت، فلا يخافُ ولا يَهرب).

♦ ثم ذَكَّرَهُم سبحانهُ بنعمةٍ أخرى يوم بدر، وهي أنه أنزل على مُعَسكرِهِم مطراً غزيراً شربوا منه وتطهروا، وذلك بعد أن كانوا عِطاشاً، مُحدِثين (أي ناقضِين لِوضوءهم)، فقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾، ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: ولِيُزيلَ عنكم وساوس الشيطان، لأنّ الشيطانَ وسوس لبعضهم قائلاً: (كيف تُنصَرون وأنتم مُحدِثين؟، وكيف تقاتلون وأنتم عِطاش؟)، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: يعني ولِيُطَمْئِنَ قلوبَكم بوجود الماء، لِكَوْنكم لا تخافونَ عطشاً أثناء القتال، ولِتزدادوا ثباتاً ويقيناً بأنّ اللهَ معكم (إذ أنزل المطر لِيُعِينَكم به على عدوكم)، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾: أي ويُثبِّتَ بالمطر أقدامكم، لأنّ المطر قد جَعَلَ الأرض الرملية – التي نزلتم بها – قويَّة متماسكة، حتى لا تغوص فيها الأقدام.

الآية 12: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ – الذين أمَدَّ اللهُ بهم المسلمين في بدر – ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بنَصْري وإعانتي، ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي فقوُّوا عزائم الذين آمنوا، ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ ﴿فَاضْرِبُوا﴾ المشركينَ ﴿فَوْقَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿الْأَعْنَاقِ﴾ - وهو المكان الذي تُذبَح منه البَهيمة - ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: واضربوا أطراف أيْديهم وأرجُلِهم، حتى لا يستطيعوا ضرباً بالسيف، ولا فِراراً بالأرجل.

الآية 13، والآية 14: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي حدث للكفار – مِن ضَرْب أعناقهم وأطرافهم – ﴿ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾: أي بسبب مخالفتهم لأمر اللهِ ورسوله، ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ يعني: ومَن يُخالف أوامر الله ورسوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له، إذ يَنتقم منه ويذيقه عقابه الشديد، ﴿ذَلِكُمْ﴾ – أي العذاب الذي عجَّله اللهُ لكم يوم بدر – ﴿ فَذُوقُوهُ﴾ في الحياة الدنيا، ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ جميعاً ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ يوم القيامة.

الآية 15: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا ﴾ أي زاحفينَ إليكم لِيُقاتلوكم ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾: أي فلا تُعطوهم ظهوركم فِراراً منهم، ولكن اثبُتوا لهم، فإنّ اللهَ معكم وناصركم عليهم.

الآية 16: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾: يعني والذي يَفِرّ منهم وقت المعركة لا يكونُ ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾: أي مُصطنِعاً لحيلةٍ وخِداع، ليتمكن مِن محاصرة الكفار وقتالهم، ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ﴾: يعني أو كانَ يريدُ بفراره الانضمام إلى جماعةٍ من المؤمنين وهي تقاتل، فيقاتل معها لِيُقوِّيها أو يَقوَى بها، (فمَن لم يكن كذلك، وفرَّ من المعركةِ جُبناً من القتال وخوفاً من المشركين) ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي رجع من المعركة مُستحقاً لغضبٍ من الله ﴿ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ في الآخرة ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

الآية 17: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾: أي فلم تقتلوا المشركين يوم بدر ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ لأنه هو الذي أمَرَكم بقتالهم وأعانكم على ذلك، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾: يعني ولستَ أنتَ الذي أصبتَ في رَمْيتِكَ – أيها النبي – حين رميتَ حِفنة التراب على المشركين أثناء المعركة ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾: أي ولكنَّ اللهَ هو الذي أصاب، حيثُ أَوْصَلَ تلك الرَّمْيَةَ إلى أغلب عيون المشركين، فعَوَّقتهم عن القتال وتسَبَّبتْ في هزيمتهم، (ولو أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم تُرِكَ لِقوَّته، لَمَا وصلتْ الرَّمْيَة إلى أعيُن الصف الأول من المشركين).

♦ وقد فعل اللهُ ذلك بالمشركين لِيُذِلَّهم ويَكسر شَوكتهم ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾: يعني وليَختبر صِدْق المؤمنين بالقتال، ويُنعِمَ عليهم بنَصْرهم رغم قلة عددهم، ويُوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لدعائكم عندما استغثتم به أثناء المعركة ﴿عَلِيمٌ﴾ بضَعْفِكم يومَها وحاجتكم إليه، فأعانكم ونَصَرَكم.

الآية 18: ﴿ذَلِكُمْ﴾ - أي هزيمة المشركين ونَصْر المؤمنين يومَ بدر – كانَ بقدرة اللهِ تعالى، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني إنه سبحانهُ سيُضعِفُ مَكْرَ الكافرين – في كل وقت – حتى ينقادوا للحق، أو يَهلكوا على شِركهم.

الآية 19، والآية 20، والآية 21: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾: يعني إنْ تطلبوا أيها المشركون أن يُوقعَ اللهُ عذابه على أهل الباطل – كما طلبتم ذلك يوم بدر : ﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾: أي فقد أجابَ اللهُ طلبكم، حينَ أوقعَ بكم مِن عقابه ما كانَ عبرةً للمؤمنين، ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الكُفر باللهِ ورسوله، وعن قِتال النبي وأصحابه، وتُسلِموا للهِ تعالى: ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في دُنياكم وأُخراكم،

www.alukah.net

﴿وَإِنْ تَعُودُوا﴾ إلى قتال المؤمنين، وإلى طلب النصر لِمَن على الحق: ﴿ نَعُدْ﴾ في نَصر المؤمنين عليكم، ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾: أي ولن يَدفع عنكم أعوانكم وأنصاركم شيئًا من العقاب، كما لم يَدفعوهُ عنكم يوم بدر، رغم كثرة عددكم وسلاحكم، ورغم قلة عدد المؤمنين وسلاحهم.

♦ هذا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بنصره وتأييده، فلن يتخلى عنهم ما داموا مستقيمينَ على طاعة اللهِ ورسوله، ولهذا قال تعالى بعدها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: أي ولا تُعرضوا عن هذا الأمر – وهو طاعة اللّه ورسوله - ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ما يُتلَى عليكم مِن الحُجَج والبراهين في القرآن.

♦ إذ كانَ نَصْرُكم – أيها المؤمنون في بدر – ثمرةً لإيمانكم وطاعتكم، فإنْ أعرضتم وعصيتم: أصبحتم كغيركم من أهل الإعراض والعِصيان، (ولذلك كانت هزيمة المسلمين في "أُحُد" – بعد أنْ كانَ النَصْر لهم في أول المعركة - عقوبةً مِن اللهِ تعالى لهم بسبب معصيتهم لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم).

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ في مخالفة أوامر اللهِ ورسوله ﴿ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (وهم المشركون والمنافقون الذين إذا سمعوا كتابَ اللهِ يُتلَى عليهم قالوا: (سَمِعنا بآذاننا)، وهم في الحقيقة لا يتدبرون ما سَمِعوا، ولا يَتفكَّرون فيه لِيعتبروا، لِذا فهُم في سَماعهم كمن لم يَسمع، إذ العِبرةُ من السَماع: التفكُّر والانتفاع).

****

2. تفسير الربع الثاني من سورة الأنفال

الآية 22، والآية 23: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ يعني: إنَّ شر ما دَبَّ على الأرض ﴿ عِنْدَ اللَّهِ﴾ - مَنزلةً – هم ﴿ الصُّمُّ﴾ الذين امتنعتْ آذانُهم عن سَماع الحق، ﴿ الْبُكْمُ﴾ الذين خَرُسَتْ ألسنتهم عن النُطق به، وهؤلاء هم الذين ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ عن اللهِ حُجَجه وبراهينه، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ مواعظ القرآن سَماعَ تدبُّرٍ وانتفاع، ولكنه سبحانه عَلِمَ أنه لا خيرَ فيهم، لأنهم توَغَّلوا في الظلم والفساد والكِبر والعِناد، فحُرِموا بذلك هِداية اللهِ تعالى، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ سبحانهُ – على سبيل الفرْض - ﴿لَتَوَلَّوْا﴾: أي لأعرضوا عن الإيمانِ بالقرآن – كِبراً وعِنادًا – مِن بعد فَهْمِهم لآياته، ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ دائماً عن الحق، فلا يَلتفتون إلاَّ لِما يُناسِبُ أهوائهم.

الآية 24: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ – بالطاعة والانقياد – ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: يعني إذا دعاكم للحق الذي فيه إصلاح حياتكم في الدنيا والآخرة (كالجهاد وغيره)، ثم حَذَّرَ سبحانه مِن عدم الاستجابة للّهِ وللرسول فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (والمقصود أنَّ اللهَ تعالى يَملِكُ قلبَ العبد، فإيّاكم أن ترُدُّوا أمْرَ اللهِ أوَّلَ ما يأتيكم، حتى لا يُضِلَّ قلوبكم، فيجعلكم تكرهون الطاعة وتحبون المعصية، وترونَ الحقَّ باطلاً والباطلَ حقاً).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ فلهذا يجب أن يُكثِرَ العبدُ مِن قوْله: (يا مُقَلِّبَ القلوب ثبِّت قلبي على دينك)، و (يا مُصَرِّفَ القلوب صَرِّف قلبي إلى طاعتك)، لأنّ القلوب بين يَدَي اللهِ تعالى، يُقَلِّبُها ويُصَرِّفها حيث يشاء، ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يومَ القيامة، لِيُجازِيَ كُلاًّ بما يَستحق (فالذي يَعلمُ أنه سيَرجِعُ إلى ربه، لابد أن يُسرعَ في تلبيةِ أمْرِه، حتى لا يُبتَلَى بفتنةٍ تُهلِكُهُ في دنياهُ وآخِرَتِه).

الآية 25: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾: أي واحذروا – أيها المؤمنون – عذاباً ومحنةً ﴿ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾: أي لا يُخَصُّ بها أهل المعاصي فقط، بل تُصيبُ الصالحين معهم إذا قدروا على إنكار الظلم ولم يُنكِروه، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، فعقابُهُ تعالى لا يُطاق ولا يُحتمَل.

الآية 26: ﴿وَاذْكُرُوا﴾ أيها المؤمنون نِعَمَ اللهِ عليكم ﴿ إِذْ أَنْتُمْ﴾ أي حينَ كنتم ﴿ قَلِيلٌ﴾ أي قليلوا العدد – في مكة – ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾: أي تخافون أن يَخطفكم الكفار بسرعةٍ وسهولة (يعني بدون أن تقاوموهم) وذلك لِضَعفكم وقِلّتِكم، ﴿ فَآَوَاكُمْ﴾: أي فجعل لكم مَأوىً تأوونَ إليه وهو " المدينة"، فكَثَّرَكم فيها وقوّاكم ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر، ﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ - التي مِن ضِمنها الغنائم - ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ربكم على ما أنعمَ به عليكم.

الآية 27، والآية 28: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ – بترْك ما أوجبَهُ اللهُ عليكم، وبفِعْل ما نهاكم عنه –، ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾: أي ولا تخونوا أماناتكم التي ائتمنكم الناسُ عليها ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عِظَم جريمة الخيانة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي اختبارٌ مِن اللهِ لعباده، لِيَعلم سبحانه: أيَشكرونه عليها، أم يَنشغلونَ بها عنه؟ ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ﴾: أي واعلموا أنّ اللهَ ﴿عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ - وهو نعيم الجنة، الذي أعدَّهُ اللهُ لِمَن اتقاه وأطاعه، ونَجَحَ في اختباره.

الآية 29: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ – بفِعل أوامره واجتناب نواهيه -: ﴿ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ أي عِلماً ونوراً تُفَرِّقونَ بِهِ بين الحق والباطل، ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾: أي يَمحُ عنكم صغائر ذنوبكم، ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ كبائرَ ذنوبكم، فيَسترها عليكم، ولا يؤاخذكم بها ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

الآية 30: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: يعني واذكر أيها الرسول نعمة ربك، حين كانَ المشركون بمكَّة يَكيدونَ لك ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: أي لِيَحبسوك ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ مِن بلدك، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ بهم، حيثُ أخرجك مِن بين أيديهم سالماً، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (وفي هذا إثباتُ صفةِ المَكْرِ للهِ تعالى على الوجه الذي يَليقُ بجلاله وكماله، لأنه مَكْرٌ بحق، وفي مقابلة مَكْر الماكرين، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: (وامكُر لي ولا تمكُر عليّ)، ومِمَّا يَجب أن يُعلَم أنَّ أفعالَ اللهِ تعالى لا تُشبه أفعالَ العباد، لأنّ ذاتَهُ سبحانه لا تُشبه ذَواتهم).

الآية 31: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا ﴾: يعني وإذا تُتلَى على هؤلاء المشركين آيات القرآن الكريم: ﴿ قَالُوا﴾ - جهلاً منهم وعِنادًا للحق - : ﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾ ما تقرأ علينا، ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ القرآن، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: يعني ما هذا القرآن الذي تتلوهُ علينا إلا أكاذيبُ الأوّلين، (وقد كذبوا في ذلك، فأين ما يَقُصُّهُ القرآن وما يُوسوسُ به الشيطان؟!).

www.alukah.net

الآية 32، والآية 33: ﴿وَإِذْ قَالُوا﴾ أي اذكر أيها الرسول حين قال المشركون مِن قومك: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وهذا دليلٌ على غباء أهل الباطل، إذ كان الأوْلَى بهم أن يقولوا: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فاهدِنا إليه وَوَفِّقنا لاتِّباعه)!

♦ ثم أخبر اللهُ رسوله بأنه قادرٌ على إنزال العذاب بهم، ولكنه أخبره أيضاً بأنه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ - أيها الرسول - لِمَكانَتِكَ عند ربك، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (وفي هذا دليلٌ على أن الاستغفار سببٌ للنجاة من عذاب اللهِ تعالى)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن أحَبَّ أنْ تَسُرَّهُ صَحِيفتَهُ: فليُكثِر فيها من الاستغفار) (انظر السلسلة الصحيحة: 2299)، وقال أيضاً: (طُوبَى لمن وُجِدَ في صَحِيفتِهِ استغفارٌ كثيرٌ) (انظر صحيح الترغيب والترهيب: جـ 2 رقم 1618)، وطوبَى هي: (شجرة في الجنة، مَسِيرة مائة عام، تخرجُ ثيابُ أهل الجنة من أكمامها) كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حديثٍ آخر (انظر صحيح الجامع حديث رقم: 3918).

الآية 34: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾: يعني وكيف لا يَستحقُّون عذابَ اللهِ ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي وهم يَمنعون المؤمنين عن الطواف بالكعبة والصلاة في المسجد الحرام؟، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾: يعني وما كان المشركون أولياءَ اللهِ تعالى كما زعموا، ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾: يعني إنما أولياءُ اللهِ حقاً هم الذين يتقونه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي أكثر الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فلهذا زعموا لأنفسهم أمرًا غيرهم أوْلَى به.

الآية 35: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾: يعني وما كان صلاة المشركين عند المسجد الحرام إلا صَفيرًا بالفم ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: أي تصفيقًا باليد ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي عذاب القتل والأسر يوم بدر، جزاءً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وبما كنتم تستهزئون بشعائر اللهِ تعالى.

الآية 36، والآية 37: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ فيُعطونها لأمثالهم من المشركين وأهل الضلال ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي لِيَمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام، ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ هذه الأموال ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ لأنها تذهب هباءً، ولا يفوزون بما يريدون، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: أي ثم يَهزمهم المؤمنون في آخر الأمر، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وماتوا على كُفرهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

♦ وقد أُدخِلَ هؤلاء الكفار جهنم ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾ وهم أهل الشرك والمعاصي ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ وهم أهل التوحيد والصلاح، فيَجعل سبحانه الطيبين يتميزون عن الخبيثين بدخولهم دار النعيم ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ متراكمًا متراكبًا، ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ كَوْماً واحداً ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة.

الآية 38: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول - ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِن قومك: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكُفر وعن قتالك وقتال المؤمنين، ويرجعوا إلى التوحيد الذي فطرهم اللهُ عليه: ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي يَغفر اللهُ لهم ما سبق من الشرك والذنوب بسبب إسلامهم، ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ للجحود بوحدانية الله ورسالتك، وإلى قتالك وقتال المؤمنين: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي فقد سبقتْ طريقة اللهِ في الأولين، وهي إهلاك الظالمين إذا استمروا على تكذيبهم وعِنادهم، كما حدث مع عادٍ وثمود، وكما حدث مع كفار مكة يوم بدر (وفي هذا تهديدٌ عظيمٌ لهم).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 39، والآية 40: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾: أي وقاتِلوا – أيها المؤمنون – المشركينَ المحاربين ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ هناك ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي صَدٌّ للمسلمين عن دينهم (بالتعذيب والاضطهاد)، وحتى لا يكونَ هناك شِركٌ باللهِ تعالى، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: أي ويَبقى الدينُ للهِ وحده، لا يُعبَدُ معه غيرُه، فيرتفع البلاء عن أهل الأرض جميعاً، ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن تعذيب المؤمنين وعن الشرك باللهِ تعالى، وصاروا إلى الدين الحق معكم: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ لا يَخفَى عليه ما يعملون، ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يعني وإن أعرضوا عن الإسلام، وأصَرُّوا على قتالكم: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ﴾: أي فأيقِنوا أنَّ الله ناصركم عليهم، إذ هو سبحانه ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾ أي نِعمَ المُعين والحافظ ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لكمْ على أعدائكم.

****

3. تفسير الربع الثالث من سورة الأنفال

الآية 41: ﴿وَاعْلَمُوا﴾ أيها المسلمون ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني إنكم إذا فزتم بشيءٍ من الغنائم وأنتم تجاهدون في سبيل الله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ : يعني فإنّ خُمس هذه الغنيمة يُقسَّم كالآتي: (الجزء الأول للهِ وللرسول، فيُجعَل في مصالح المسلمين العامة ويُنفَق منه أيضاً على الكعبة وباقي المساجد، والجزء الثاني لأقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم بني هاشم وبني عبد المُطَّلِب (فقد جُعِل لهم ذلك الجزء من الغنيمة مكان الصدقة لأن الصدقة لا تَحِلُّ لهم)، والجزء الثالث لليتامى، والرابع للمساكين، والخامس للمسافر الذي فَقَدَ ماله – أو نَفَدَ ماله – واحتاج للنفقة).

♦ وأما الأربعة أخماس الباقين من الغنيمة : فإنها توَزَّع على المقاتلين الذين حضروا المعركة، بحيثُ يُعطَى الفارس (وهو الذي كان يقاتل راكباً على فرسه) ضعف ما يأخذ الراجل (وهو الذي كان يقاتل واقفاً على رجليه)، وذلك لِمَا للفارس مِن تأثير في الحرب، ولأنّ فرسه يحتاج إلى نفقة علف.

♦ فارْضوا بهذه القسمة التي شَرَعها اللهُ لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ : يعني إن كنتم مُقرِّين بتوحيد الله، مُطيعينَ له، مؤمنين بما أنزَلَ على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والمَدَد والنصر ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي يوم بدر (الذي فَرَق اللهُ فيه بين الحق والباطل) ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي جَمْعُ المؤمنين وجَمْعُ المشركين، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فكما قدَرَ سبحانه على نَصْرِكم رغمَ قِلَّتِكم، فكذلك هو قادرٌ على كل شيءٍ يريده).

الآية 42: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ (هذا تذكيرٌ للمؤمنين بساحة المعركة ، التي ظهر فيها لُطف اللهِ تعالى بهم، حيثُ كان المشركون – في بادئ الأمر – يتميزون عنهم بحُسن الموقع، ثم قلَبَ اللهُ تعالى الكِفَّة لتكون في صالح المؤمنين، فقال لهم: اذكروا نعمة اللهِ عليكم حينما كنتم على حافة الوادي الأقرب إلى "المدينة" (وقد كانت أرضاً رملية تغوص فيها الأقدام)، ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ : يعني وكان عدوكم نازلاً بالحافة الأبعد عن "المدينة" (وكانت أرضاً صلبة)، فلمَّا سبقهم جيش المشركين إليها، اغتمَّ المسلمون، فلمَّا أرسل اللهُ المطر: أصبحت الأرض الرملية – التي نزل بها المسلمون – قويَّة متماسكة

www.alukah.net

(فلم تَعُقْ المسلمين عن المَسير)، وأصبحت الأرض الصلبة – التي نزلتْ بها قريش – زَلقة (فعَطَّلتْهم عن المَسير)، فلم يَصِلوا إلى بئر بدر إلا بعد أنْ وَصَلَ المسلمون إليه، فعندئذٍ اختار المسلمون أحسن موقع، واتخذوا حوضاً يكفيهم من الماء، فكان المسلمون يشربون، ولا يَجد المشركون ماءً.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أي: واذكروا حينما كانت قافلة قريش التجارية – التي خرجتم مِن أجلها – في مكانٍ أسفلَ منكم (ناحية شاطئ البحر الأحمر) بقيادة أبي سفيان، وبالتالي فقد كنتم مُحاصَرين بجماعتين من المشركين (جيش أبي جهل مِن ناحية، وأبي سفيان ومَن معه مِن ناحيةٍ أخرى)، فلو فَطِنَ العدو لهذا الوضع، لَطَوَّقَ جيش المسلمين من الناحيتين، ولكنَّ اللهَ صرفهم عن التَفَطُّن لذلك، وكذلك صَرَفَ المسلمين عن محاولة الهجوم على القافلة، حتى لا يقعوا بين جماعتين من العدو، فللهِ الحمدُ والمِنّة.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾: يعني ولو حاولتم أيها المسلمون أن تضعوا موعدًا لهذا اللقاء بهذه الصورة لَتأخرتم – بل ولَتخلفتم – عن الميعاد، لأسبابٍ تقتضي ذلك (منها أنكم قِلَّة وهم كثرة)، ﴿وَلَكِنْ﴾ اللهُ جَمَعَكم في وادٍ واحد على غير ميعادٍ ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ - أي لابد مِن وقوعه – وهو نَصْر أوليائه وخِذْلان أعدائه ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ﴾ من المشركين ﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾: أي عن حُجَّةٍ ظهرتْ له وقطعتْ عُذره أمامَ اللهِ تعالى، إذ اتضَّحَ له – بعدما رأى الآيات يوم بدر – أنّ المشركين على باطلٍ وضلال، ثم رَضِيَ بذلك الباطل واستمر عليه، ﴿وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ : يعني وليحيا مَن نجا مِن المشركين عن حُجَّةٍ ظهرتْ له، فعَلِمَ ساعتَهَا أن الإسلامَ حق، وأن الرسولَ حق، وذلك بما أرى اللّهُ الطائفتين من الأدلة والبراهين، ما يَتعظُ به المشركون، ويَزدادُ به الذين آمنوا إيماناً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لأقوال الفريقين، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

الآية 43: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ : أي اذكر – أيها الرسول – حينما أراكَ اللهُ قِلَّة عدد عدوك في منامك، فأخبرتَ المؤمنين بذلك، فقَوِيَتْ قلوبُهم، واجترأتْ على حَرْبهم، ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾ أي لَتردد أصحابك في مُلاقاتهم، ولَخافوا مِن لقائهم، ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أي ولَاختلفتم في أمر القتال، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ من الفشل، ونجَّاكم مِن عاقبةِ ذلك، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: يعني إنه سبحانه عليمٌ بخفايا القلوب وطبائع النفوس.

الآية 44: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ : يعني واذكروا أيضًا حينما ظهر أعداؤكم في أرض المعركة، فرأيتموهم قليلين فاجترأتم عليهم، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾: يعني وقلَّلكم ربكم – أيها المؤمنون – في أعين المشركين، ليتركوا الاستعداد لِحَربكم (هذا قبل الالتحام، أما بعد الالتحام فقد رأى المشركونَ المؤمنين مِثلَيْهم – أي يَزيدون عليهم في العدد زيادة كبيرة تبلغ الضِعف –، وذلك حتى تتم هزيمتهم).

♦ وقد كان ذلك التدبير الإلهي ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: أي ليتحقق وَعْدُ اللهِ لكم بالنصر، فإنه سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: يعني وإلى اللهِ وحده تصير الأمور كلها، فما شاءَ منها كان، وما لم يَشَأهُ لم يكن، فليس لأحدٍ فيها تأثير إلا بإذنهِ سبحانه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 45: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ يعني إذا لقيتم جماعةً مِن أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم ﴿فَاثْبُتُوا﴾ ولا تفرُّوا منهم، وكونوا في صمودكم كالجبال الشامخة ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ مُكَبِّرينَ داعينَ مُتضرِّعينَ لإنزال النصر عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي لكي تفوزوا بالنصر في الدنيا وبالجنة في الآخرة.

الآية 46: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ – والتزموا هذه الطاعة في جميع أحوالكم –، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: أي ولا تختلفوا – وأنتم في مواجهة العدو – فتتفرق كلمتكم وتختلف قلوبكم، وتذهب قوتكم، ﴿وَاصْبِرُوا﴾ عند لقاء العدو ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والعَوْن والتأييد.

الآية 47: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا﴾ أي: ولا تكونوا مِثل المشركين الذين خرجوا ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي مِن بلدهم، وقد خرجوا ﴿بَطَرًا﴾: أي كِبرًا، مِن أجل العُلُوّ في الأرض، ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾: يعني ولِيَراهم الناس ويَفتخِروا بقوّتهم.

♦ ثم ذكر تعالى مقصودهم الأعظم من هذا الخروج فقال: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني إنهم خرجوا لإظهار قوتهم أمام الناس لِيُخَوّفوهم من الدخول في دين الله، ولِيُرغِموهم على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويُعذبوا مَن أجابَ دَعْوَته، ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ لا يَغيبُ عنه شيءٌ مِن أفعالهم وأقوالهم، وسيُعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

الآية 48: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ : يعني واذكروا حين حَسَّن الشيطانُ للمشركين أمْرَ إنقاذ القافلة وقتال المسلمين، ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾: يعني لن يَغلبكم اليوم أحَد، فإني ناصركم عليهم، (وكان الشيطان في هذه الساعة في صورة رجل من أشراف القوم)، ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ : يعني فلما تقابل الفريقان – المشركون ومعهم الشيطان، والمسلمون ومعهم الملائكة -: ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ : أي رجع الشيطان إلى الوراءِ هارباً من المعركة، ﴿وَقَالَ﴾ للمشركين: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة الذين جاؤوا مَددًا للمسلمين ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾: يعني أخافُ أن يُعاجلني بالعقوبة في الدنيا ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، فكانَ خِذلانُ الشيطان للمشركين: تقديراً من اللهِ تعالى لِيُتِمّ النصرَ للمسلمين.

الآية 49: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ - وهم ضِعاف الإيمان – عندما رأوا خروجَ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى بدر، فقالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ فعَرَّضهم للمَهالك، وجَرَّأهم على الخروج لقتال قريش وهي تفوقهم عدداً وسلاحاً، ولم يُدرك هؤلاء المنافقون أنه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ويَثِقْ بنصْره، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ لن يَخذله، إنه سبحانه ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يَغلبه أحد، ولا يمنعه أحد عن فِعل ما يريد ﴿حَكِيمٌ﴾ يَضع النصر لِمَن يَستحقه.

الآية 50، والآية 51: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ : يعني ولو أنك – أيها الرسول – أبْصَرتَ هؤلاء الكفار يوم بدر – وقتَ انتزاع الملائكةِ لأرواحهم – لَرأيتَ أمرًا فظيعاً، إذ ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي يَضربونهم مِن أمامهم ومِن خلفِهم، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: أي ويقولون لهم: ذوقوا العذاب الشديد المُحرِق.

www.alukah.net

♦ وقد اختلف المفسرون في المقصود مِن قوْل الملائكة لهم – وهم في السَكَرات –: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ فمنهم مَن قال: (كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد، كلما ضربوا المشركين بها، التهبتْ النار في جراحاتهم فتحرق أجسادهم)، ومنهم مَن قال بأنّ المقصود هو إخبارُهُم بأنهم سيذوقون عذاب الحريق عندما يدخلون جهنم في الآخرة، وهذا كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾، فهو بِشارةٌ لهم من الملائكة بعذابٍ أدهَى وأمَرّ مما هم فيهِ لِيَزدادوا حسرةً، (واعلم أن هذا السِياق، وإن كان قد حدث في غزوة" بدر"، إلاَّ إنه عامٌّ في حق كلِّ كافر وقت السَكَرات).

♦ ثم تقول الملائكة لهم: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك التعذيب هو ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أي بسبب كُفركم وأعمالكم السيئة في حياتكم الدنيا، وليس بظلمٍ مِن اللهِ لكم، لأنّ اللهَ تعالى هو الحَكَمُ العدل، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فلا يَظلم سبحانه أحدًا مِن خَلْقه مثقال ذرة، قال تعالى في الحديث القدسي – كما في صحيح مسلم –: "يا عبادي إني حرّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُهُ بينكم مُحَرَّماً فلا تَظَالَموا".

الآية 52: ﴿كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: إنّ شأنَ كفار قريش في تكذيبهم وما نزل بهم من العذاب، هي سُنَّة الله في عقاب الطغاة من الأمم السابقة، كما حدث لآل فرعون ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فقد ﴿كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ﴾ الواضحة ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي فعاجَلهم اللهُ بالعقوبة بسبب تكذيبهم وعِنادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

الآية 53، والآية 54: ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الذي أصابَ الأمم الكافرة الظالمة ﴿بِأَنَّ﴾ أي بسبب أنّ ﴿اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً﴾ أي لم يَكُنْ مِن سُنَّتِهِ تعالى في خَلقه أن يكونَ مُغيِّراً نعمةً ﴿أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ ولا أن يَسلبها منهم ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا﴾ هم ﴿مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ويكونوا هم البادئين بالتكذيب والظلم، أو الفسوق والفجور، ﴿وَأَنَّ﴾ أي: وذلك العذاب كانَ أيضاً بسبب أنّ ﴿اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم، فلذلك كان الجزاءُ عادلاً لا ظلمَ فيه.

♦ ثم يُخبرُ تعالى بأنّ شأنَ الظالمين في تغيير نعمة اللهِ عليهم واستحقاقهم للعذاب، هو ﴿كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فقد ﴿كَذَّبُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ – بعدما تيَقنوا أنها من عند الله – وتكبَّروا عن الانقياد لها ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿وَكُلٌّ﴾ مِن المُهلَكين المُعذَّبين ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ لعباد اللهِ تعالى، وظالمينَ لأنفسهم بتعريضها لِغضب اللهِ وعذابه.

الآية 55، والآية 56: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾: يعني إنَّ شر ما دَبَّ على الأرض ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ - مَنزلةً – هم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والسبب في ذلك: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي فهم لا يصَدِّقون رُسُلَ اللهِ تعالى، ولا يُقِرُّون بوحدانيته، بسبب عِنادهم واتّباعهم لأهوائهم مِن بعد ما تبيَّن لهم الحق، فبذلك صاروا شرَّ الدواب.

♦ ومِن هؤلاء الكفار: اليهود ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾: أي الذين أخذتَ منهم عهداً بألاَّ يُحاربوك وألاَّ يُعينوا عليك أعدائك، ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ أي لا يَخافونَ عاقبة نقض المعاهدات والتلاعُب بها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 57: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ : يعني فإن واجهتَ – أيها الرسول – هؤلاء الناقضين للعهود في المعركة، وتمكنتَ منهم: ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ : أي فأنزِلْ بهم مِن العذاب ما يُدْخِلُ الرعب في قلوب الآخرين ويُشتت جُموعهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: أي لعلهم يتعظون، فلا يُفَكِّروا في حَربك وقتالك بعد ذلك.

الآية 58: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾: يعني وإن خِفتَ – أيها الرسول – ﴿مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ ظهرتْ علاماتها واضحةً أمامك: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ : أي فاطرح تلك المعاهدة، مُلغياً لها، مُعلِناً ذلك لهم، لِيَكون الطرفان – أنتم وهم – مُسْتوِيَيْن في العِلم بإلغاء المعاهدة، وذلك حتى لا يتهموك بالغدر والخيانة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.

****

4. تفسير الربع الأخير من سورة الأنفال

الآية 59، والآية 60: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ - وهم الذين نَجَوا من القتل في غزوة بدر – أنهم ﴿سَبَقُوا﴾: أي نجَوْا مِن عذاب الله، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي لا يُعجِزونَ اللهَ بحال، وإنهم لن يُفْلِتوا مِن عذابِهِ أبداً.

♦ وبعد انتهاء معركة بدر وهزيمة المشركين فيها ، عادَ أبو سُفيان ومَن معه إلى مكة وكلهم غيظٌ على المؤمنين، فأخذوا يستعدون للانتقام، ولذلك أمَرَ اللهُ رسوله والمؤمنين بإعداد القوة وبَذل ما في الوسع والطاقة، فقال لهم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ في العدد والسلاح والتدريب، وغير ذلك مما فيه زيادة للقوة البدنية والعِلمية للمجاهدين، ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ - هذا أمرٌ مِن اللهِ لهم بأن يَربطوا خيولهم ويَحبسوها أمام بيوتهم، لتكون مُعَدّة للجهاد عليها (ومِن ذلك أيضاً: الاستعداد بكل ما يُركَب أثناء القتال من المُعِدَّات الحديثة (البرية والهوائية))، ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: أي واعلموا أن هذا الاستعداد تُدْخِلون به الخوف في قلوب أعداء اللهِ وأعدائكم، حتى لا يُفكِّروا في غزو المسلمين وقتالهم، ﴿وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: أي ولِتخيفوا أيضاً آخرين لا تظهر لكم عداوتهم الآن، ولكنْ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ ويعلم ما يُخفونه لكم في صدورهم.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لتقوية المسلمين على جهاد الكفار: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: أي يُخلِفه اللهُ عليكم في الدنيا، ويَدَّخِر لكم ثوابه إلى يوم القيامة، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: يعني وأنتم لا تُنْقَصون مِن أجر ذلك شيئًا.

الآية 61، والآية 62، والآية 63: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ : يعني وإنْ مالَ أعدائكم إلى تَرْك الحرب ورَغِبوا في مُسالَمَتِكم والصُلح معكم: ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾: أي فمِلْ – أيها الرسول - إلى تلك المُسالَمة، طالما أنهم رَغِبوا فيها بصِدق، لأنك رسولُ رحمة، ولستَ رسولَ عذاب، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي فَوِّض أمْرَك إليه وثِق به وحده، لِيَكفيك شرَّهم ويَنصرك عليهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيَّاتهم.

www.alukah.net

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بإظهار المَيْل إلى السلم - وهم في نيَّتهم الغدر بك - فامضِ في صُلحِك ولا تَخف منهم ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾: يعني فإنّ الله سيَكفيك خِداعهم ومَكرهم ؛ إنه ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أنزَلَ عليك نصْره، وقوّاك بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: أي جَمَعَ بين قلوب الأنصار بعدما كانت متنافرة يُعادي بعضهم بعضاً، وتقوم بينهم الحروب لأتفه الأسباب، ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: يعني لو أنفقت - أيها الرسول - مالَ الدنيا لِتجمع قلوبهم، ما استطعتَ إلى ذلك سبيلاً، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بأنْ جَمعهم على الإيمان فأصبحوا إخوةً مُتحابين، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿عَزِيزٌ﴾ أي غالبٌ على أمره، إذا أراد شيئاً، قال له: (كن فيكون)، ﴿حَكِيمٌ﴾ في فِعله وتدبير أمور خلقه.

الآية 64: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: يعني إنّ اللهَ كافيك - وكافي الذين معك من المؤمنين - شرَّ أعدائكم.

الآية 65، والآية 66، والآية 67: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ﴾ أي حُثَّ ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾، وأخبِرْهم بأنه: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ عند لقاء العدو (لا يَضعُفون ولا يَجبُنون، بل يَثبُتون ويُقاتلون)، فإنهم ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ منهم، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ﴾ مجاهدة صابرة: ﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: أي لأن الكافرين قومٌ لا عِلْمَ لهم - ولا فَهْمَ عندهم - لِمَا أعدَّهُ اللهُ في الجنةِ للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون فقط من أجل العُلُوّ في الأرض والفساد فيها، فلذلك هم لا يَصبرون على القتال، لأنهم إذا خافوا على حياتهم: تركوا القتال طلباً للحياة، أما أنتم فتفهمون المقصود من القتال، وهو إعلاء كلمة اللّهِ تعالى وإظهار دينه، وحصول الفوز الأكبر عند اللّه، فلذلك يجب أن تصبروا.

♦ ولَمَّا شَقَّ على المؤمنين ثبات العشرة أمام المائة ، والعشرين أمام المائتين، والمائة أمام الألف، خفّف اللهُ عنهم ذلك الحُكم بقوله: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ أي: وذلك التخفيف بسبب ما يَعلمه سبحانه فيكم مِن الضَعف، ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ من الكافرين، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ منهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بمعونته، إذ لا نَصْرَ إلاَّ بعَوْنٍ مِن اللهِ تعالى، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بتأييده ونصره.

♦ واعلم أنّ هذه الآية تحمل وعداً مِن اللهِ تعالى للمؤمنين بأنهم إذا بلغوا هذا العدد المُحَدَّد في الآية، فإنهم سيَغلبون ذلك العدد المُحَدَّد من الكفار (وهو أنّ الواحد من المؤمنين يَغلب اثنين من الكفار)، بشرط أن يَصبروا ويَثبُتوا أمام الأعداء، وفي هذا تقويةٌ لقلوب المؤمنين، وبشارةٌ لهم بالنصر، إذا حققوا الشروط الإيمانية والمادية.

♦ ثم عاتَبَ اللهُ نبيَّه والمسلمين عندما أخذوا الفِداءمن أسْرَى بدر مقابل إطلاق سَراحهم، فقال لهم: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ مِن أعدائه الكفار ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي حتى يَقتل جميع الأسْرَى، ولا يُبقي مُشركاً في ساحة المعركة، لِيُدخل بذلك الرعب في قلوب المشركين في أنحاء الأرض، لِيَكُفوا عن شَرِّهم وتَضعُف قوّتهم.

◆ فما دامَ للمشركين شَرٌّ وقوّة، فالأَوْلَى ألاَّ يُؤسَروا، فإذا بَطُلَ شرُّهم وضَعُفتْ قوّتهم : جازَ للمسلمين الإبقاء على الأسرى أحياءً، لِيَمُنُّوا عليهم بلا مقابل أو لِيُفادوهم بالمال، ﴿تُرِيدُونَ﴾ يا معشر المسلمين – بأخْذكم الفداء من أسرى بدر - ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ أي المال (لأنه عارِض ويزول فلا يَبقى)، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ﴾: يعني واللهُ يريد لكم النعيم الباقي في الآخرة إذا أظهرتم دينه، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يَنصر مَن توكل عليه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في شرعه وتدبيره، فاطلبوا أيها المؤمنون رضاهُ بتَرْكَ ما تريده أنفسكم لِمَا يريده سبحانه.

◆ واعلم أنّ هذا العتاب لم يَشمل عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ رضي الله عنهما، لأنهما كانا يريدان قتل الأسرَى وعدم أخْذ الفداء منهم.

الآية 68، والآية 69: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ : يعني لولا ما كَتبه اللهُ وقدَّره بإباحة الغنائم وفِداء الأسرى لهذه الأُمَّة: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: أي لَأصابكم عذابٌ عظيم بسبب أخْذِكم الفداء قبل أن ينزل بشأنِهِ تشريع.

◆ ثم أذِنَ اللهُ تعالى لأهل بدر أن يأكلوا من الغنائم وفداء الأسرى، فقال لهم: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالمحافظة على أحكام دينه وتشريعاته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ حيثُ غفر لكم ما وقع منكم، ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم، حيثُ أباحَ لكم الغنائم وجعلها حلالاً طيباً، وفي الحديث الصحيح: (لعلَّ اللهَ قد اطَّلعَ على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غُفِرَ لكم).

الآية 70: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ – الذين دفعوا المال فِداءً لهم من الأسر –: لا تحزنوا على الفداء الذي أُخِذَ منكم، لأنه ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي إيماناً صادقاً وإسلاماً حقيقياً: ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من المال، بأن يُيَسِّر لكم من فضله خيرًا كثيرًا ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم حيثُ قَبِلَ توبتهم وأعانهم على الثبات عليها.

◆ واعلم أنّ هذه الآية قد نزلتْ في العباس – عم رسول الله صلى الله عليه وسلم –، وذلك لأنه بعد أنْ وقع في الأسْر، أسلَمَ وأظهَر إسلامه، ثم طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يَرُدَّ عليه ما أُخِذَ منه مِن فدية، فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، فأنزَلَ اللهُ هذه الآية، وأوْفَى بوعده للعباس رضي الله عنه، ففي صحيح مسلم أنه لَمَّا قَدِمَ على النبي صلى الله عليه وسلم مالٌ من البحرين، قال له العباس: (إني فادَيْتُ نفسي – أي مِن الأسر – وفادَيْتُ عُقَيْلاً)، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (خُذ)، فبَسَطَ العباس ثوبه وأخذ ما استطاع أن يَحمله، وقال: (هذا خيرٌ مما أُخِذَ مِنِّي، وأنا أرجو أن يَغفر اللهُ لي).

الآية 71: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾: يعني وإن يُرِدْ هؤلاء – الذين أَطْلَقْتَ سَراحهم – أن يَخونوك، بأن يُظهروا إسلامهم لك، ثم إذا عادوا إلى ديارهم، عادوا إلى كُفرهم، فلا تهتم بهم ولا تخف مِن كَيدهم ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي مِن قبل وقوعهم في الأسر، وذلك بكُفرهم في مكة ومحاربتك ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ المؤمنين، وجعلهم في قبضتهم، فقتلوهم وأسَرُوهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنِيَّات هؤلاء الأسرى، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يَحكمُ به عليهم، ألاَ فلْيَتقوه سبحانه، ولْيَصدقوا في إسلامهم، فإنّ ذلك خيرٌ لهم.

www.alukah.net

الآية 72: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ من دار الكُفر إلى دار الإسلام – أو إلى بلدٍ يتمكنون فيه من عبادة ربهم – ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي مِن أجل أن يُعبَدَ اللهُ وحده ولا يُعبَد معه غيره، ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾: يعني وكذلك الأنصار الذين أنزَلوا الرسول والمهاجرين في ديارهم، وأعطوهم مِن أموالهم، ﴿وَنَصَرُوا﴾ دينَ اللهِ تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ - أي المهاجرون والأنصار - ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: أي بعضهم نُصَراءُ بعض.

♦ فهذا هو الصِنف الأول من المؤمنين – وهم المهاجرون والأنصار – أكْمَلُ المؤمنينَ وأعلاهم درجة، وأما الصِنف الثاني من المؤمنين فهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي باللهِ ورسوله والدار الآخرة، ولكنهم رَضُوا بالبقاء بين الكافرين ﴿وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ من دار الكُفر ويَلتحقوا بالمسلمين في "المدينة"، فهؤلاء ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: يعني لستم مُكلَّفين بحمايتهم ونُصرَتهم ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾، ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾: يعني وإن قوتِلوا وظُلِموا مِن أجل دينهم فطلبوا نُصْرَتكم: ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾: أي فعليكم نَصْرَهم والقتال معهم، (أمّا إن قوتِلوا بسبب أمْرٍ من الأمور الدُنيوية، فليس عليكم نَصْرهم طالما أنهم لم يهاجروا)، ثم اشترط تعالى شرطاً لِنُصْرتهم، وهو: ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ يعني: وإن كان المؤمنون – الذين لم يهاجرو – يقاتلون قوماً بينكم وبينهم مُعاهدة سِلم، ولم يَنقضوا عهدهم معكم، فعليكم أن توفوا بعهدكم ولا تقاتلوهم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هذه الجملة تحمل تحذيراً للمسلمين حتى لا يَحملهم التعاطف مع المسلمين على أن يقاتلوا قوماً بينهم وبينهم عهدٌ وميثاق).

الآية 73: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي بعضهم نُصَراءُ بعض، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: يعني وإن لم تكونوا – أيها المؤمنون – نُصراءَ بعض: ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ أي صدٌ للمسلمين عن دينهم، ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بانتشار الشرك والفساد في الأرض، وتقوية ركائز الكفر.

الآية 74، والآية 75: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (هذا هو الصِنف الأول من المؤمنين، أعادَ اللهُ ذِكْرَهُ لِيَذكُر له جزاءه)، فقال: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم بسِترها وعدم المؤاخذة عليها، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو نعيم الجنة، في جوار ربهم سبحانه وتعالى.

♦ ثم ذكَرَ تعالى الصِنف الثالث من أصناف المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ أي مِن بعد الهجرة، ﴿وَهَاجَرُوا﴾ إلى المدينة بعد صُلْح الحُدَيْبِيَة، ﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ في سبيل الله، ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم.

♦ فهذه النُصرة الإيمانية كانَ لها شأنٌ عظيم، حتى إنّ النبي صلى الله عليه وسلم آخَى بين المهاجرين والأنصار أُخُوَّةً خاصة – غير الأُخُوّة الإيمانية العامَّة – حتى كانوا يتوارثون بها، فنسَخَ اللّهُ ذلك بقوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ أي وأصحابُ القرابة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في التوارث مِن عامَّة المسلمين، وذلك ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في حُكمِ اللهِ تعالى وشَرْعِه، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذ يَعلمُ سبحانه ما يُصلِحُ عبادهُ مِن توريث بعضهم مِن بعضٍ في القرابة والنسب، دونَ التوارث بالحِلف والنُصرة، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة التوبة كاملة

1. تفسير الربع الأول من سورة التوبة

الآية 1، والآية 2: ﴿بَرَاءَةٌ﴾: يعني هذه براءةٌ ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لِتُبَلِّغوها أيها المسلمون ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فهي قد نزلتْ للتبرُّؤ من العهود التي كانت بين المسلمين والمشركين.

♦ ثم أعطى اللهُ المشركين إمهالاً بقوله: ﴿فَسِيحُوا﴾: أي فسيروا أيها المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ (تبدأ هذه الأشهر من يوم الإعلان عن ذلك التبرُّؤ)، تذهبون فيها حيث شئتم آمِنين من المؤمنين، فإنْ أسلمتم فهو خيرٌ لكم، وإن خَرجتم من أرض الجزيرة العربية: فإنّ ذلك مُباحٌ لكم، وإن أصْررتم على شِركِكم: فسوف تؤخَذون وتُقتَلون حيثما وُجِدتم في أرض الجزيرة العربية، التي أصبحت دارَ إسلامٍ بعد فَتح مكة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي لن تُعجِزوا ربكم إذا حاولتم الفرار منه، ولن تُفلِتوا من عذابه أبداً، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾: أي واعلموا أنَّ اللهَ سوف يُذِلُّ الكافرين ويُهينهم في الدنيا والآخرة.

♦ واعلم أنّ هذه الآيات تَخُصّ المشركين أصحاب العهود الأبدية (أي التي ليست مُحَدَّدة بِمُدَّة)، أو مَن كان له عهد مُحَدَّد بِمُدَّة ولكنه نَقَضه، (وأمّا مَن كان له عهد مُحَدَّد بِمُدَّة ولم يَنقضه: فسيأتي حُكمه في الآية الرابعة من هذه السورة).

♦ واعلم أيضاً أنّ هذه هي السورة الوحيدة التي لم تبدأ بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)، لأنها مُفتتَحة بآيات عذاب للمشركين، وبالتالي يَتعارض معها ذِكْر الرحمة، (وهي مِن آخِر السور التي نزلتْ من القرآن الكريم).

الآية 3، والآية 4: ﴿وَأَذَانٌ﴾ يعني: وهذا إعلامٌ ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وإعلانٌ ﴿إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ (وهو يوم النحر، الذي هو أول أيام عيد الأضحى)، حين أمَرَ النبي صلى الله عليه وسلم مُؤَذِّنَهُ – وقتَ اجتماع الناس في الحج – أن يُؤَذِّنَ بـ ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فليس لهم عنده عهدٌ وميثاق، ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بريءٌ منهم كذلك، ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾ أيها المشركون مِن شِرككم ورجعتم إلى الحق: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: يعني وإن أعرضتم عن قَبول الحق ورفضتم الدخول في دين اللهِ تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي لن تُعجِزوا ربكم إذا حاولتم الفرار منه، ولن تُفلِتوا من عذابه أبداً، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

♦ ثم استثنى سبحانه - من الحُكم السابق – المشركين الذين دخلوا مع المسلمين في عهد مُحَدَّد بِمُدَّة، ولم يَنقضوا ذلك العهد، ولم يُعاوِنوا عليهم أحداً من الأعداء، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ – مِن شروط هذه المُعاهَدة – ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ يعني لم يُعاونوا عليكم أحداً من الأعداء (لا برجال ولا بسلاح ولا حتى بمَشورةٍ ورأي)، فهؤلاء لم يَبرأ اللهُ ورسوله مِن عهودهم، ولهذا ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾: أي فعليكم أن تُكمِلوا لهؤلاء المشركين عَهْدهم إلى نهايته المحددة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين يُوفون بعهودهم، (وفي الآيات دليلٌ على تحريم الغدر والخيانة، ولِذا كان إلغاء المُعاهَدات عَلَنِيّاً، وكانَ إمدادُ أصحابها بِمُدَّة ثُلث سَنة لِيُفَكِّروا في أمرهم، وليَطلبوا الأصلح لهم).

www.alukah.net

♦ وقد اختلف العلماء في سبب تسمية هذا الحج بـ (الأكبر)، وأحْسن الأقوال في ذلك: (أنه حَجٌّ حَضَره الرسول صلى الله عليه وسلم، وحَضَرَه أكبر عدد من المسلمين في ذلك العام).

الآية 5: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾: يعني فإذا انتهتْ الأشهر الأربعة التي أمَّنتم فيها المشركين، ولم يَرجِعوا عن شِركهم: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: أي فأعلِنوا الحرب على أعداءِ اللهِ حيثُ كانوا، وذلك تطهيراً لأرض الجزيرة العربية مِن بقايا الشِرك والمشركين، قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أسْرَى، ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾: أي حاصِروهم في حصونهم، ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: أي سدُّوا عليهم الطرق، وارصدوا تحركاتهم حتى يُقَدِّموا لكم أنفسهم مُسلمين أو مُستسلمين، ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ من الشِرك ومِن حَربكم، ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ أي فاتركوهم، فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَن تاب إليه، ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

♦ واعلم أنّ قَتْل المشركين مَخصوص بالمشركين المُحاربين المعتدين، أمَّا المُسالِمون فلا يُقتَلون؛ لِقَوْلِ اللهِ تعالى في سورة النساء: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾، وكما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، وكذلك المُشرِك المُعاهَد والمُستأمَن في أوطاننا فلا يُقتَل؛ لِقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن قتلَ مُعاهَداً لم يرِحْ رائحة الجنة، وإنَّ ريحها لَيُوجَد مِن مَسيرة أربعين عاماً) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 6457)، واعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد نَهَى عن قتل المرأة والصبي والراهب والمريض والشيخ الكبير.

الآية 6: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ أي أراد الدخول في جوارك (يعني في حمايتك) ورَغَبَ في الأمان: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾: أي فأجِبْهُ إلى طَلَبِه حتى يَسمع القرآن الكريم ويطَّلِع على هدايته، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾: يعني ثم أَعِدْه مِن حيثُ أتى آمِنًا؛ وذلك لإقامة الحُجَّة عليه ، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾: أي وقد أمَرَكَ اللهُ بتلك الحماية بسبب أنَّ الكفار ﴿قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يَعلمون ما يَحتوي عليه القرآن من الإرشاد والهُدَى، فربما اختاروا الإسلام إذا زالَ عنهم ذلك الجهل، فإنهم لو عَلِموا حقيقة الإسلام، ما انصرفوا عن التوحيد إلى الشرك (فإذا كانَ ذلك في حق المشركين، فإنه مِن بابِ أوْلَى: تعليم المسلمين وعُذرهم بِجَهْلهم وعدم تكفيرهم) (وفي الآية دليل على وجوب تأمين مَن طَلَبَ حماية المسلمين، ويَدخل في ذلك: تأمين (السُيَّاح)، والسُفَراء، والمُمَثلين للدول الكافرة).

الآية 7: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ (هذا الاستفهام للنفي مع التعجب)، أي لا ينبغي أن يكون للمشركين عهدٌ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ – وهُم يُخفُون في أنفسهم نيَّة الغدر بكم - ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ في صُلح الحُدَيْبِيَة ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾: يعني فهؤلاء ما داموا مُقيمين على الوفاء بعهدكم: ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على عهدهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ المُوفِّين بالعهود.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 8: ﴿كَيْفَ﴾ يكونُ للمشركين عهدٌ يُوفونَ به لكم وهم – مِن شأنهم – أنهم يَلتزمون بالعهود ما دامت الغَلَبَة لغيرهم، ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يعني وأمَّا إن شعَروا بالقوةِ عليكم: لا يَرحموكم، و ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا﴾: يعني لا يُراعوا فيكم قَرابةً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: أي ولا يُراعوا العهد الذي بينكم وبينهم، بل يُذيقونكم أشد العذاب، فلا تخدعكم حُسنُ معاملتهم لكم وقت الخوف منكم، فإنهم ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي يقولون لكم كلامًا لطيفاً بألسنتهم؛ لِترضوا عنهم، ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾: يعني ولكنّ قلوبهم ترفض الإقرار بذلك الكلام الذي يقولونه لكم بألسنتهم، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي متمردون على الإسلام، ناقضونَ للعهد.

الآية 9، والآية 10: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: يعني إنَّ هؤلاء المشركون قد استبدلوا بآيات اللهِ تعالى متاعَ الدنيا الزائل، فاختاروا الحظ العاجل الخَسيس على الانقياد لآيات ربهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أي فلذلك أعرضوا عن الحق، ومنعوا الراغبين في الإسلام عن الدخول فيه، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ أي قَبُحَ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فإنهم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾: أي لا يُراعون في مؤمنٍ قَرابةً ولا عهداً ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

الآية 11: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن عبادة غير اللهِ تعالى، ونطقوا بكلمة التوحيد ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام، ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: أي وكذلك نُبيِّن الآيات ونُوَضِّحُها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون الحق – لِوُضوحه وظهور علاماته – فيَقبلونه ويَتَّبِعونه، ولا يَتَّبِعون أهوائهم.

الآية 12: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾: يعني وإنْ نَقَضَ – هؤلاء المشركون – العهود التي بينكم وبينهم، ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾: أي وأظهروا الطعن في دين الإسلام، فهم إذاً أئِمَّة الكُفر ورؤساء الضلال ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ ولا تُراعوا لهم أيْماناً حَلَفوها لكم فـ ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ أي لا عهد لهم –، فقاتِلوهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عن كُفرهم وعداوتهم للإسلام.

الآية 13: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا﴾: يعني لِماذا تترددون في قتال هؤلاء الكفار الذين ﴿نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ أي نقضوا عهودهم معكم، ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ أي وأرادوا إخراج الرسول من مكة، ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: يعني وهم الذين بدؤوا بإيذائكم أوّل الأمر (عند بداية الدعوة إلى الإسلام)، وهم الذين بدؤوا بنقض العهد معكم عندما تقاتلت خُزاعة (وهم حُلفاء النبي صلى الله عليه وسلم) مع بني بكر (وهم حُلفاء قريش)، فأعانت قريش حُلفاءها، فبهذا نقضتْ عَهْدَها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلِمَ لا تقاتلونهم إذاً؟ إذا كان هذا هو السبب ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: يعني أتخافون ملاقاتهم في الحرب؟ ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لأنَّ ما عِندَ اللهِ تعالى من العذاب ليس عند المشركين، فهو سبحانه لا يُعَذِّبُ عذابَهُ أحد.

الآية 14، والآية 15: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾: أي يُذِلُّهم بالهزيمة ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: يعني ويَشفِ – بهزيمتهم – صدوركم التي طالما أصابها الحزن والغم مِن كيد هؤلاء المشركين، ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام (بسبب انتصاركم عليهم)، لأنّ الناس إذا رأوا انتصار أعدائهم عليهم في

www.alukah.net

كل معركة: فإنهم يَميلون إليهم، ويَقبلون دِينهم وما هم عليه مِن صفاتٍ حميدة، (فقِتال المؤمنين للكافرين وانتصارهم عليهم يُتيح الفرصة لكثير من الكافرين أن يُسلموا)، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بصِدق توبة التائب، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وصُنعِه ووَضْع تشريعاته لعباده.

الآية 16: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ﴾ - أيها المسلمونَ – دونَ أن تُبْتَلُوا بالتكاليف الشاقة كالجهاد، وقد اختلط المؤمن الصادق منكم بالمنافق الكاذب؟ (وهذا الاستفهام للاستنكار) يعني ولابُدَّ أن تُبتَلوا بذلك ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾: يعني وذلك حتى يَعلم اللهُ - عِلماً ظاهراً للخلق - الذين جاهدوا منكم في سبيله ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ أي: ولم يَتخذوا أولياء – يُطلِعونهم على أسراركم – غير الله ورسوله والمؤمنين، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ومُجازيكم على أعمالكم.

****

2. تفسير الربع الثاني من سورة التوبة

الآية 17: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾: يعني ليس مِن شأن المشركين – ولا يَصِحّ منهم – إعمار بيوت اللهِ تعالى ببنائها وصيانتها وتنظيفها، وهم يُعلنون كُفرهم باللهِ ويجعلون له شركاء، (قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: شهادتهم بالكُفر هي سجودهم للأصنام، مع إقرارهم بأنها مخلوقة واللهُ خالقها)، ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي بَطُلَتْ وضاعت يوم القيامة، لِفَقْدِها شَرط الإخلاص للهِ تعالى، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

♦ واعلم أنّ سبب نزول هذه الآية أنّ أحد المشركين قد ادَّعَى أنه يَعمُرُ المسجد الحرام بسِقاية الحَجيج وغير ذلك، فأبطَلَ اللهُ تعالى هذا الادِّعاء بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾.

الآية 18: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ حقاً: ﴿مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ يعني: وهؤلاء العُمَّار هم المهتدون إلى طريق النجاة من النار والفوز بالجنة (لأنّ كلمة: (عسى) إذا جاءت من اللهِ تعالى، فإنها تفيد التأكيد ووجوب الوقوع).

♦ فإذا قال قائل: (قوْلُهُ تعالى: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ يَدل على أنّ المؤمن – الكامل الإيمان – لا يَخشى إلا الله، فكيف ذلك والأنبياء كانوا يَخشون أعداءهم وهم أكْمَلُ الناس إيماناً؟).

♦ والجواب الصحيح أنّ الأنبياء والمؤمنين العاملين لا يَخشون إلا اللهَ تعالى، فإذا خافوا عَدُوّاً، ليس معناه أنهم خافوهُ لِذاته، وإنما خافوا مِن أن يكون اللهُ تعالى قد سَلَطَهُ عليهم، فخَوْفهم في الحقيقة عائدٌ إلى اللهِ تعالى، إذ هو الذي بيده الأمر، وكذلك فإنّ الخوف من العدو هو ما يُسَمّى بالخوف الفِطري (كخوف موسى عليه السلام عندما تحولت العصا إلى ثعبان وغير ذلك).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 19: ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾ - أيها المشركون - ﴿سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ – وهو مكانٌ يُوضَع فيه الماء في المسجد الحرام، ويُسقى منه الحَجيج مجاناً –، ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي بنائه وصيانته وتطهيره، أجعلتم مَن يَقومُ بذلك ﴿كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟ ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (لأنّ اللهَ لا يَقبل عملاً بغير إيمان)، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين، فلا يَهديهم إلى طريق كمالهم وسعادتهم وهو الإسلام.

الآية 20، والآية 21، والآية 22: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام، ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ لإعلاء كَلِمَتِهِ سبحانه، أولئك ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِمَّن آمنوا ولم يهاجروا ولم يجاهدوا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (هذا اللفظ للمبالغة في عِظَم فوزهم، حتى إنّ فوزَ غيرهم – من المؤمنين الذين لم يهاجروا – بالنسبة إلى فوزهم يُعَدّ كالمعدوم)، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ لا سخطَ بعده أبداً، ﴿وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لِمَن آمَنَ وعمل صالحاً وامتثل أوامره واجتنب نواهيه.

الآية 23: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ – بالمَحبة والنُصرة وبإفشاء أسرار المسلمين إليهم، وباستشارتهم في أموركم – ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ﴾ واختاروه ﴿عَلَى الْإِيمَانِ﴾، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الذين يَضعون الشيء في غير مَوضعه، لأن المَحبة والنُصرة لا تكونُ إلا للمؤمنين.

الآية 24: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول – للمؤمنين: ﴿إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ - والعشيرة هم الأقرباء من النَسَب، كالأعمام وأبنائهم - ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي جمعتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي تخافون قلة بَيْعها في الأسواق (بسبب مقاطعة كثير من التجار المشركين لكم، وبانقطاعكم عن التجارة أيام الجهاد)، ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ وهي البيوت الفاخرة التي أقمتم فيها، إنْ كان ذلك كله ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فتركتم الهجرة والجهاد من أجل تلك الأشياء: فأنتم فاسقونَ ظالمون ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: أي فانتظروا عقوبة هذه المعصية – إن لم تتوبوا عن ذلك فتهاجروا وتجاهدوا - ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

♦ وعلى هذا فإذا حصل التعارض بين ما أراده اللهُ تعالى وبين ما تحبه نفس المؤمن: وَجَبَ على المؤمن التخلص منها وإرضاء ربه.

الآية 25، والآية 26، والآية 27: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ أي في مواقع كثيرة (عندما أخذتم بالأسباب واعتمدتم على اللهِ تعالى)، ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: يعني وخاصةً في غزوة حُنَيْن ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ (لأنّ جيش المسلمين كان اثني عشر ألفاً، وكان عَدُوُّهم أربعة آلاف فقط)، ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾: أي فلم تنفعكم هذه الكثرة، بسبب غروركم واعتمادكم على الأسباب دونَ الاعتماد على نَصْر ربكم، فظَهَرَ عليكم العدو، وانهزمتم في أول اللقاء، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: أي لم تجدوا مكاناً تهربون إليه في الأرض الواسعة، كأنكم مَحصورون في مكان ضيق، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾: يعني ثم فرَرْتم مُنهزمين، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ أي أنزل الطمأنينة والثبات ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فثبَتوا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أنا النبي لا كَذِب، أنا ابن عبد المُطَّلِب، اللهم نَزِّل نَصْرك". فاستجابَ اللهُ دعائه ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة، فنَصَرَكم على عدوكم، ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأيديكم وأيدي الملائكة ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

www.alukah.net

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ من المشركين الذين بَقوا أحياء بعد الحرب، فيُدخِلهم في الإسلام ويَغفر ذنوبهم، ويَرحمهم بدخول الجنة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية 28: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ أي أصحابُ نجاسة معنوية (وذلك لِخُبث أرواحهم بالشِرك)، ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾: أي فلا تُمَكِّنُوهم من الاقتراب من الحَرَم بعد هذا العام (وهو العام التاسع من الهجرة، أو عام حجة الوداع – على خِلافٍ بين المفسرين)، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾: يعني وإن خِفتم فقرًا لانقطاع تجارتهم عنكم: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ويُعَوِّضكم عن هذه التجارة ﴿إِنْ شَاءَ ﴾ سبحانه ذلك (واعلم أنّ هذا الاستثناء منه سبحانه حتى تَبقى قلوب المؤمنين متعلقةً بربها، راجيةً فضله، خائفةً مِن زَوال نعمته وتَحَوُّل عافيته، غيرَ غافلةٍ عن طاعته وتقواه)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بحالكم، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبير شؤونكم، فلا يَضع سبحانه شيئاً إلا في مَوضعه (وفي ذلك إرشادٌ لمن أراد فَضْلَ اللهِ تعالى ورحمته: أن يجتهد في أن يكون أهْلاً لذلك بالإيمان والطاعة).

الآية 29: ﴿قَاتِلُوا﴾ الكفار المُحاربين ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ ﴾ إيماناً صحيحاً يَرضاهُ اللهُ تعالى، ويُنجي صاحبه من عذاب الله (كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم) ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ كالخمر والربا وسائر المُحَرَّمات ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾: أي والذين لا يَلتزمون بأحكام الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾: أي حتى يَدفعوا الجِزْيَةَ التي تفرضونها عليهم (واعلم أنّ الجِزْيَةَ هي قَدْر مالي مُحَدَّد يَدفعه أهل الكتاب لِوُلاة أمور المسلمين في كل سَنَة مقابل حمايتهم)، فإنّ الإسلام يُعرَضُ أولاً على أهل الكتاب، فإنْ قَبلوه: فهو خيرٌ لهم في دُنياهم وأُخراهم، وإن رفضوه: يُطلَبُ منهم الدخول في حماية المسلمين تحت شعار: الجِزْيَة، وهي رَمزٌ دالّ على قبولهم لحماية المسلمين، فإذا دفعوها: حَقَنوا دماءهم، وحَفظوا أموالهم، وأمِنوا في حياتهم وكنائسهم.

♦ وقوله تعالى: ﴿عَنْ يَدٍ﴾: أي يُقدمونها بأيديهم، لا يُنيبون فيها غيرهم ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: أي وهم خاضعون لِحُكم الإسلام، (وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: (عَنْ يَدٍ) أي يكون قادراً على دفع الجزية (لِغِناهُ وعدم فقره)، لأنّ الفقير منهم لا يُطالَب بالجِزْيَة، واللهُ أعلم).

الآية 30: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ - واعلم أنّ عُزَيْر: هو الذي أماته اللهُ مائة عامٍ ثم بَعَثه –، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (فقد أشْرَكَ مَن قال هذا القول منهم، لأنهم اتخذوا إلهاً يَعبدونه مع الله)، وقد كَذَبوا على اللهِ تعالى فيما نسبوه إليه، لأنّ ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: يعني لأنّ هذا القول قد اختلقوه مِن عند أنفسهم وما أنزل اللهُ به مِن دليل، وهم بذلك ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾: أي يُشابهون قول المشركين مِن قبلهم، وهم العرب الذين قالوا: (الملائكة بنات الله)، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً ، و﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾: أي لَعَنَ اللهُ المشركين جميعًا، كيف يَنصرفون عن الحق إلى الباطل، رغم وضوح الحق وقوّة أدلّته؟!

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾، المقصود به: بعض اليهود الذين قالوا هذا القول وليس كل اليهود، وهذا كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ (فهو لفظ عام، والمقصود به بعض الناس).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 31: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ أي اتخذ اليهودُ والنصارى علماءَهم وعُبَّادَهم آلهةً ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يُشَرِّعون لهم الأحكام، فيَلتزمون بها ويتركون شرائع اللهِ تعالى، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾: أي واتخذ النصارى المسيح عيسى ابن مريم إلهًا فعَبَدوه، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾: أي وقد أمَرَهم اللهُ بعبادته وحده دونَ غيره، فهو الإله الحق الذي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي لا يَستحق العبادة إلا هو ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي تَنَزَّه وتَبَرّأ عَمَّا يَفتريه أهل الشِرك والضَلال.

الآية 32: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي يريد هؤلاء الكفار – بتكذيبهم – أن يُبطِلوا دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾: يعني ولن يَقبلَ اللهُ تعالى إلا أن يُتِمَّ دينه ويُعلِيَ كلمته ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

الآية 33: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾: أي بالقرآن ودين الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: أي لِيُعلِيَهُ على الأديان كلها ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

♦ وقد حَقَّقَ سبحانه وعده ، فالإسلامُ ظاهرٌ في الأرض كلها، سَمِعَ به أهل الشرق والغرب، واعتنقه كثيرٌ منهم، وخَضَعَ له العالم أجْمَع على عهد الصحابة والتابعين، وسيأتي اليوم الذي يَسُودُ فيه الإسلامُ أهلَ الدنيا جميعاً.

****

3. تفسير الربع الثالث من سورة التوبة

الآية 34، والآية 35: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ﴾ – وهم علماء أهل الكتاب– ﴿وَالرُّهْبَانِ﴾ – وهم عُبَّاد أهل الكتاب –: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾: أي لَيَأخذون أموال الناس بغير حق (كالرِّشوة وغيرها)، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي يَمنعون الناس عن الدخول في الإسلام، وذلك للإبقاء على مَناصبهم الدينية التي يَترَأّسُونَ بها على العَوَام من اليهود والنصارى، ويأكلون أموالهم باسم الدين.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ أي: والذين يَجمعون الذهب والفضة وغير ذلك من الأموال ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يعني ولا يُؤدون زكاة أموالهم، وكذلك يَبخلون بإخراج الحقوق الواجبة منها: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يوم القيامة ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: يعني يوم تُوضَع قطع الذهب والفضة في النار، حتى تشتد حرارتها ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾: أي فتُحرَق بها جِباه أصحابها ﴿وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾، ويُقالُ لهم توبيخًا – وهم يُعَذَّبون –: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾: أي هذا مالُكم الذي أمسكتموه ومنعتم منه حقوقَ اللهِ تعالى ﴿فَذُوقُوا﴾ العذابَ الشديدَ جزاءً بـ ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (واعلم أنّ هذا التوبيخ أثناء العذاب: يكون أشد على النفس من عذاب الجسد).

♦ واعلم أنّ هذا الحُكم (وهو إمساك الأموال وعدم إنفاقها في سبيل الله) هو حُكمٌ عام يشمل الأحبار والرُّهبان وغيرهم، إلا إنه تعالى ذَكَرَ هذا الحُكم بعد أن ذَكَرَ الأحبار والرُّهبان، لأنّ مَن يأكل أموال الناس بالباطل هو أقرب الناس إلى أن يَكنِز الذهب والفضة ولا يُنفقها في سبيل الله.

www.alukah.net

الآية 36: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني إنّ عدد الشهور في حُكم اللهِ تعالى: ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ وذلك ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي فيما كَتَبَهُ اللهُ في اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، ﴿مِنْهَا﴾ أي مِن هذه الأشهر: ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (أي حَرَّمَ اللهُ فيهنَّ القتال، لتكون هُدنة للعرب، يَتمكنون معها من السفر للتجارة والحج ولا يخافون أحداً) (وهذه الأشهر هي: ذو القعدة وذو الحِجَّة والمُحَرَّم ورجب)، ﴿ذَلِكَ﴾ - أي عدد الشهور، وتقسيمها إلى حُرُمٍ وغير ذلك – هو ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: أي ذلك هو الشرع المستقيم الذي لا اعوجاجَ فيه، ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي فلا تعصوا اللهَ في هذه الأشهر (بسبب حُرْمَتِها عند اللهِ تعالى، ولِكَوْن المعصية في هذه الأشهر أشد منها في غيرها)، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾: أي وقاتِلوا المشركين جميعًا لا يَتخلف منكم أحد (فكما هم يقاتلونكم مجتمعين: فاجتمِعوا أنتم على قتالهم)، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقَوا الشِرك والمعاصي، فيَنصرهم سبحانه على المشركين العُصاة.

الآية 37: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ وهو ما كانت تفعله العرب في الجاهلية – إذا أرادوا القتال في أحد الأشهر الحُرُم –، فإنهم كانوا يَختارون شهراً آخر من السنة، فيُحَرِّمون القتالَ فيه، ثم يُقاتلون في الشهر الذي حَرَّمَه الله، إنّ ذلك ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾: أي يُضِلّ الشيطانُ بِهِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾: أي يَستحلون الشهر المُحَرَّم عامًا (فيجعلونه حلالًا ليتمكنوا من القتال فيه)، ثم يعودون فيُحَرِّمونه في العام الذي يَليه (فلا يُقاتلون فيه).

♦ واعلم أنهم كانوا إذا أحَلُّوا شهرًا من الأشهر الحُرُم: حَرَّموا شهرًا مكانه من الحلال (حتى يجعلوا عدد الأشهر الحُرُم أربعة كما حَرَّمَ الله)، وذلك ﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: أي حتى يُوافقوا الأشهر الحُرُم في العدد لا في الحُكم ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: أي فبذلك قد استحَلُّوا القتال في شهرٍ حَرَّمَهُ الله، ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾: أي زَيَّن لهم الشيطان أعمالهم السيئة، فجعلهم يَظنون أنهم بذلك ما عَصَوا اللهَ تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى الحق والصواب.

♦ وفي هذا تحذيرٌ لِمَن يأخذ الحرام والحلال تَبَعاً هَوَاه، كمن يحافظ على الصلوات الأربع (الظهر والعصر والمغرب والعشاء) في أوقاتها، ثم يتعمد أن يصلي الفجر بعد الشروق، فهذا يصلي الفجر قضاءً، لأن وقت الفجر ينتهي بشروق الشمس، وليس بأذان الظهر كما يظن البعض.

♦ وكذلك مَن تضعُ (حِجاباً) على رأسها وفي نفس الوقت ترتدي ملابس غير واسعة، أو تتعطر وتضع زينةً على وجهها.

الآية 38: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي اخرجوا في سبيل اللهِ لقتال أعدائكم: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾: أي تكاسلتم ولَزِمتم مساكنكم، وتباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً؟ ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ﴾: يعني هل فضَّلتم حظوظكم الدنيوية على السعادة الأبدية في الجنة (التي فيها كل نعيم)؟! فما حالكم إلا حال مَن رَضِيَ بالدنيا ولم يعمل للآخرة، ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: أي فما تستمتعون به في الدنيا قليلٌ زائل، أما نعيم الآخرة – الذي أعَدَّهُ اللهُ للمجاهدين – فهو كثيرٌ دائم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 39: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾: يعني إن لم تخرجوا لقتال عدوكم: ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ سبحانه ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أي يأتِ بقومٍ آخرين يطيعون اللهَ ورسوله ويجاهدون في سبيله ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾: يعني ولن تضروا اللهَ شيئًا بإعراضكم عن الجهاد، فهو سبحانه الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه، وما يريده سبحانه سيكونُ لا مَحالة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مِن نَصْر دينه ونَبِيِّه مِن غيركم.

الآية 40: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾: يعني إن لم تنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتَخرجوا معه في هذا الظرف الصعب: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: أي فقد أيَّدَهُ اللهُ بنَصْره في ظرفٍ أصعب منه، وذلك ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾ أي حين أخرجه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِن بلده (مكة)، وكانَ ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ (أي هو وأبو بكر الصِدِّيق رضي الله عنه)، فألجأهما الكفار إلى غار ثَوْر "بمكة"، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ ماكثينَ فيه ثلاث ليالٍ، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ (أبي بكر) – لَمَّا كان خائفاً على رسول الله من اعتداء المشركين -: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بعَوْنِهِ ونَصْرِه ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ﴾ - مِن عَليائه - ﴿سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أي أنزل الطمأنينة والثبات على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾: أي أعانه بجنودٍ لم يَرَها أحد من البشر (وهم الملائكة الذين جعلهم اللّهُ حَرَساً له)، فبذلك نَجَّاهُ سبحانه من أعداءه ونَصَرَه عليهم، (ويُحتمَل أن يكون معنى قوله تعالى: (وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) أي نَصَرَهُ اللهُ على المشركين بالملائكة يوم بدر ويوم الخَندق ويوم حُنَيْن، واللهُ أعلم)(واعلم أنّ هذه الآية قد تَضَمَّنَتْ إظهار شرف وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لأنّ اللهَ تعالى نَصَّ على صُحبته لرسوله في قرآنٍ يُتلى إلى يوم القيامة).

﴿وَجَعَلَ﴾ سبحانه ﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ - وهي الدعوة إلى الشِرك – فجعلها ﴿السُّفْلَى﴾ أي المغلوبة التي لا يُسمَعُ لها صوت، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ - وهي دعوة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله " - ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾ أي الغالبة الظاهرة (وذلك بإعلاء اللهِ تعالى لشأن الإسلام)، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يَغلبه أحد، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبير شؤون عباده.

الآية 41، والآية 42، والآية 43: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: أي اخرجوا للجهاد في سبيل الله شَبابًا وشيوخًا، في العُسر واليُسر (وعلى أي حالٍ كنتم)، ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي وأنفِقوا مِن أموالكم في سبيل الله، وقاتِلوا بأيديكم لإعلاء كلمة الله، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الجهاد بالنفس والمال هو ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

♦ واعلم أنّ هذه الآيات قد نزلتْ في غزوة "تَبُوك"، حين بَلَغَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن هِرَقل (مَلِك الروم) قد جمع جُموعه لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم، فأعلن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد، وكان الجو حينها شديد الحرارة، وكان في البلاد مَجاعةٌ وجفاف، فاستحثَّ اللهُ تبارك وتعالى المؤمنين بهذه الآيات، لِيَخرجوا مع نبيهم لقتال أعدائه.

♦ ثم وبَّخ اللهُ تعالى جماعةً من المنافقين، استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف عن غزوة "تَبُوك"، فقال لِنَبِيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾: أي لو كان خروجهم إلى غنيمة قريبة سهلة الحصول: لَخَرجوا معك، ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ يعني: ولكنهم لَمَّا دُعُوا إلى قتال الروم في أطراف بلاد الشام، وفي وقت الحر: تخاذلوا وتخلفوا، (واعلم أنّ الشُقَّة هي الطريق الطويل الذي لا يُقطَع إلا بمَشقةٍ وعَناء)، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾: يعني وسيعتذرون لك بسبب تَخلُّفهم عن الخروج، حالفينَ باللهِ بأنهم لم يستطيعوا ذلك، ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (حيث

www.alukah.net

يَجلِبون لها غضبَ اللهِ وعقابه بسبب نفاقهم وحَلفهم كذباً أثناء الاعتذار)، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في كل ما يُظهرونه لك من أعذار.

♦ ثم عاتَبَ اللهُ نَبيَّهُ صلى الله عليه وسلم عندما أَذِنَ لهؤلاء المنافقين بالتخلف عن الجهاد، فقال له: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ فلم يُؤاخذك بما وقع منك عندما أَذِنتَ للمنافقين في القعود عن الجهاد، ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾: يعني لأيِّ سببٍ أَذِنتَ لهؤلاء بالتخلف عن الغزوة؟، هل أذِنْتَ لهم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي حتى يَظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم وتعلم الكاذبين منهم في ذلك؟ لقد كان الأوْلَى والأكمل: عدم الإذن لأحد، لأنّ هؤلاء قومٌ منافقون، وكانوا عازمين على عدم الخروج (ولو لم تأذَن لهم بالتخلف)، فإذا لم تأذن لهم وقعدوا: لَظَهَرَ للناس حقيقتهم.

♦ واعلم أنَّ الله تعالى قد أخبر نَبيَّهُ بأنه قد عفا عنه قبل أن يُعاتبه: رحمةً به وإكراماً له، إذ لو قال له أوّلاً (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ)، لَطارَ قلبُهُ صلى الله عليه وسلم من الخوف والحُزن.

♦ وهذا من آداب النصيحة: (أن تبدأ باللُّطف مع المنصوح حتى يَستجيبَ لك)، فعلى سبيل المثال: (كانَ يُصَلِّي بجواري رجلٌ قد نَسِيَ أن يُغلِق هاتفه (المحمول) قبل الصلاة، فاتَّصَل عليه أحد الناس، وارتفع صوت الهاتف في المسجد، فأَغلق الرجل على المُتَّصِل، ثم أعاد الآخر الاتصال عليه، وظلاَّ هكذا إلى انتهاء صلاة الجماعة، فقام كثير من الناس يَنهَرون الرجل وهو يعتذر لهم، فانتظرتُ قليلاً حتى هدأ الناس، ثم قلتُ له: (أنا متأكد أنك قد نَسِيتَ أن تُغلِقه قبل الصلاة وأنك لم تتعمد ذلك)، فقال لي: (نعم واللهِ لقد نَسِيت)، فقلتُ له: (ولكنْ كان من الأفضل أن تُغلِقَ الهاتف غَلقاً نهائياً عند أول اتصال جاءَك)، فقال لي: (أليس هذا الفِعل يُبطِل الصلاة، لأنني سأقوم بحركاتٍ كثيرة؟)، فقلتُ له: (أليس ما فعلتَهُ أنت – مِن حركات -لِتُغلق عليه في كل مرة أكثر مِمَّا لو أغلقتَهُ غَلقاً نهائياً من أول مرة؟)، فاستجاب الرجل وتَعَلَّم بسبب اللُّطف معه في بداية النصيحة.

الآية 44: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾: يعني ليس مِن شأن المؤمنين أن يستأذنوك أيها الرسول في ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ طالما أنك لم تأمرهم بذلك، فهم لا يستأذنوك في الخروج ولا في القعود، وإنما هم مع ما يريده الله ورسوله.

♦ فإذا كانوا لا يستأذنونك في الجهاد إلا إذا أمَرْتَهم بذلك، فمِن باب أوْلَى أنهم لا يستأذنونك في القعود عنه، وذلك بسبب رغبتهم في الجهاد وفي كل ما يُرضِي اللهَ ورسوله، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ الذين يخافونه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

الآية 45: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ – في التخلف عن الجهاد –: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾ ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي وشَكَّتْ قلوبهم فيما جئتَ به – أيها الرسول – من الإسلام وشرائعه، رغم عِلْمِهم بصِدقك، ورغم وضوح الحُجَج والبراهين على صحة رسالتك، ومع ذلك ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: أي فَهُم في شَكِّهم يَتحيَّرون.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

4. تفسير الربع الرابع من سورة التوبة

الآية 46: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾: يعني ولو أراد هؤلاء المنافقون أن يَخرجوا معك – أيها الرسول – إلى الجهاد بصِدقٍ: ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: أي لاَستعَدُّوا له بالزاد والراحلة وبكل ما يَلزم له، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾: أي ولكنّ اللهَ تعالى كَرِهَ خروجهم معكم (لِمَا فيه من الضرر والخطر عليكم) ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: أي فألقى في نفوسهم الرغبة في التخلف – عقوبةً لهم على عدم صِدقهم في الجهاد – فثَقُلَ عليهم الخروج، ﴿وَقِيلَ﴾ لهم: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ مِن المَرضى والنساء والصِبيان.

الآية 47: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾: يعني لو خرج المنافقون معكم (مُندَسِّينَ بينكم): ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: أي لَنشروا الفساد والاضطراب في صفوفكم ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾: يعني وسَيَسْعَوْنَ في أن يُوقِعوا بينكم العداوة والبغضاء، وذلك لأنهم ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: أي يريدون فِتنتكم (وذلك بتفريق جَمْعكم وبترغيبكم في التخلف عن الجهاد)، ﴿وَفِيكُمْ﴾ - أيها المؤمنون - ﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾: أي عيون لهم (يَسمعون أخباركم ويَنقلونها إليهم)، وفيكم أيضاً مَن يُكثِرُ السماعَ لهم ويتأثر بأقوالهم الفاسدة، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ المنافقين، وسَيُجازيهم على أفعالهم.

الآية 48: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ أي لقد أراد المنافقون فتنة المؤمنين عن دينهم والإيقاع بينهم، وذلك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي مِن قبل غزوة "تَبوك"– عندما جاء النبي إلى المدينة مُهاجراً – فكشف اللهُ أمْرهم، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: أي ودبَّروا لك – أيها الرسول – المَكائد، وكانوا يتعاونون مع اليهود والمشركين عليك (بقصد القضاء على دَعْوَتك)، وظلوا على ذلك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: أي حتى جاء النصر من عند الله، فَفُتِحَتْ مكة ودخل الناس في دين اللهِ أفواجاً ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ لذلك كله، إذاً فلا تحزنوا على عدم خروجهم معكم، فإنّ الله – رحمةً بكم ونصراً لكم – صَرَفهم عن الخروج معكم.

♦ وفي هذا دليلٌ على أن تدبير اللهِ تعالى لأوليائه هو خيرُ تدبير، فلِذا وَجَبَ الرضا بقضاءه والتسليم به، حتى وإن لم يُوافق ما تريده النفس، لأنّ النفس لا تعلمُ أين الخير والأصلح لها.

الآية 49: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: ومِن هؤلاء المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لك: ﴿ائْذَنْ لِي﴾ في القعود عن الجهاد ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾: أي لا تجعلني أُفتَن بنساء جنود الروم (إذا خرجتُ معك)، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾: أي لقد سقط هؤلاء المنافقون في فتنة النفاق الكُبرى، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ إذ تَضيقُ عليهم ضِيقاً شديداً، ويُغَطِّيهم عذابها من فوق رؤوسهم ومِن تحت أرجلهم، قال تعالى: (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) (أي: دعوا على أنفسهم بالهلاك)، وقال تعالى: (يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (أعاذنا اللهُ وإخواننا المؤمنين من جهنم).

الآية 50، والآية 51: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾: يعني إنْ يُصِبْك – أيها الرسول – سرورٌ أو غنيمة: يَحزن المنافقون، ﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: يعني وإن يُصِبْكَ مَكروه أو هزيمة: ﴿يَقُولُوا﴾: ﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي نحن أصحابُ رَأْيٍ وتدبير، فقد احتطنا لأنفسنا بتخَلُّفنا عن محمد، حتى لا يُصيبنا ذلك المكروه الذي أصابه، ﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾: أي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وينصرفوا وهم مسرورون بتخلفهم وبما أصابك من السوء، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (وما يكتبه لنا ربنا لن يكونَ إلا خيراً)، إذ ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي ناصِرُنا ومُتوَلِّي أمْرَنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

♦ واعلم أنّ مِن صفات المنافقين: أن يَحزنوا بمَا يُفرح المسلمين، وأن يَفرحوا بما يُحزِن المسلمين، (ومِن ذلك فَرَحهم بوقوع العداوة والخصومة بين المسلمين)، فإذا وَجَدَ أحدٌ ذلك في قلبه: فليستعذ باللهِ تعالى ولْيُطَهِّر قلبه من هذه الصفة.

الآية 52: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول – لهؤلاء المنافقين: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾: يعني هل تنتظرون بنا إلا النصر على أهل الشِرك والنفاق أو الاستشهاد في سبيل الله، ثم النعيم المقيم في جوار رب العالمين، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾: أي ونحن ننتظر بكم أن يُصيبكم اللهُ بعقوبةٍ عاجلةٍ مِن عنده تُهْلِكُكم، ﴿أَوْ﴾ يُعَذبكم ﴿بِأَيْدِينَا﴾ فنقتلكم، ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾: أي فانتظروا إنا معكم منتظرون، ولن نُشاهد إلا ما يَسُرُّنا ويُحزِنكم.

الآية 53، والآية 54، والآية 55: ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول –: ﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾: يعني أنفِقوا أموالكم في هذا الخروج إلى "تَبوك" أو في غيره، وسواءٌ أكانَ ذلك الإنفاق باختياركم أو كنتم مُكرَهين عليه: فإنه ﴿لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: أي لن يَقبلَ اللهُ منكم نفقاتكم لأنكم قومٌ خارجون عن دين اللهِ وطاعته، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ يعني: وسبب عدم قَبول نفقاتهم أنهم أخْفوا الكُفرَ ﴿بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى ﴾ أي مُتثاقِلون، لأنهم يُراءونَ الناس ولا يَطلبون الأجر من الله، ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ ﴾ الأموال ﴿إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (لأنهم لا يَرجون ثواباً على هذه الفرائض، ولا يَخشون عقابًا على تَرْكِها)، ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ ﴾ أيها الرسول ﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾ مهما بَلَغتْ في الكثرة والحُسن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (وذلك بالمَشَقة الشديدة في تحصيلها، وبالمصائب التي تقع فيها، مع عدم صَبْرِهم على تلك المصائب، لأنهم لا يَحتسبونَ الأجرَ عند الله).

♦ فأمَّا تعذيبهم في أموالهم فلأنّ ما يُنفقونه من المال – في الزكاة والجهاد – يَعتبرونه ضِدَّهُم وليس في صالحهم، لأنهم لا يريدون نَصْرَ الإسلام، فلذلك يَشعرون بألمٍ لا مَثيلَ له وهم يُنفقون ، وأما تعذيبهم في أولادهم فلأنهم يُشاهدونهم يَدخلون في الإسلام ولا يستطيعون أن يَرُدُّوهم عن ذلك.

﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾: أي ويريد سبحانه أن تخرج أرواحهم فيموتوا على كُفرهم، لِيَنتقلوا من عذاب الدنيا إلى عذابٍ أشد (وذلك لأنّ أموالهم وأولادهم قد ألْهَتهُم عن اللهِ تعالى، فتعلقتْ بها قلوبهم وأصبحتْ هي كل هَمُّهُم، ولم يَبقَ للآخرةِ نصيبٌ في قلوبهم).

الآية 56، والآية 57: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ ﴾ أي يَحلف لكم هؤلاء المنافقون – كَذِبًا وباطلاً – بأنهم على دينكم ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ أي يَخافون خوفاً شديداً منكم، فيَحلفون لكم لِيَأمَنوا بأسَكم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ومن شدة خوفهم منكم أنهم ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ أي مَأمَناً وحِصناً يَحفظهم ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ يعني أو كُهُوفاً في جبلٍ تُؤويهم ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ يعني أو نَفقًا في الأرض يُنَجيهم منكم: ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: أي لاَنصرفوا إليه وهم يُسرعون، وذلك مِن شدة جُبنهم.

الآية 58، والآية 59: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يعني: ومن المنافقين مَن يَعِيبُ عليك – أيها الرسول – في تقسيم الصَدقات، فيَتَّهِمُكَ بأنك لا تَعدِل في القِسمة، وغَرَضُهم الوحيد من هذا الانتقاد هو أن تُعطيهم من الصدقات ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾ عن قِسمة الرسول وسَكَتوا، ﴿وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ أي صاروا غيرَ راضين.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الصدقات، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي سيَكفينا اللهُ ما أهَمَّنا من أمْر الرزق، و﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿وَرَسُولُهُ﴾ – أي سيُعطينا الرسول مِمَّا آتاهُ الله –، ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أي طامعونَ راجونَ في أن يُوَسِّعَ علينا، فيُغنِينا عن صدقات الناس، (لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم وأنفع).

♦ واعلم أنّ إظهار عيوب المنافقين وكَشْف عوراتهم هو مِن مظاهر الرحمة الإلهية، وذلك لِيَتوبَ مَن أكْرَمَهُ اللهُ منهم بالتوبة، حتى يَسعدوا في الدنيا والآخرة.

****

5. تفسير الربع الخامس من سورة التوبة

الآية 60: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ : يعني إنما تُعطَى الزَكَوات الواجبة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ وهم الذين لا يَملكون شيئًا من الدنيا، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ وهم الذين لا يَملكون كفايتهم وكفاية مَن يَعُولونهم، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وهم الذين يُرسلهم الحاكم لِجَمْع الزكاة، (وكذلك الذين يقومون على حراسة أموال الزكاة، وكذلك الذين يقومون بتقسيمها وتوزيعها على مُستحِقيها)، ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم الذين تُؤَلِّفون قلوبهم بالزكاة، مِمَّن يُرْجَى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفْعُهُ للمسلمين، أو دفْعُ شَرِّهِ عن المسلمين، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: أي وتُعطَى الزكاة لِعِتق رقاب العبيد والإماء من الأَسْر.

﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ أي: وتُعطَى الزكاة لمن اقترض – في غير معصيةٍ أو تبذير – ثم أثقلَتْه الديون فلم يَستطع سَدادها، (وكذلك تُعطَى الزكاة لمن يُلزِم نفسه بمالٍ معين من أجل الإصلاح بين القبائل والعائلات المتشاجرة، كأنْ يَدفع – مثلاً - مَبلغاً من المال لإرضاء إحداهما مقابل الإصلاح بينهما، أو يَدفع نقوداً مِن أجل إعداد طعام لِجَمْع القبيلتين عليه حتى يَصطلحا، فهؤلاء يُعْطَوْنَ مِن الزكاة – مِن أجل هذا الإصلاح – ولو كانوا أغنياء).

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: وتُعطَى الزكاة للمجاهدين في سبيل الله، واعلم أنّ بعض العلماء قد ذهبوا إلى أنَّ الحج يَدخل في هذا الباب أيضاً، لأنّ الحج يُعتبَر نوعٌ من أنواع الجهاد في سبيل الله، كما ثبتَ في الحديث: (أفضلَ الجهاد حَجٌّ مبرور)

www.alukah.net

)البخاري: 1520)، قالَ ابن تَيْمِيَة رحمه الله: (وَمَن لم يَحُجّ حَجَّة الإسلام وهو فقير، أعْطِيَ ما يَحُجّ به)، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: أي وتُعطَى للمسافر الذي فَقَدَ ماله – أو نَفَذ ماله – واحتاجَ للنفقة.

♦ وقد كانت هذه القِسمة ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ فرَضَها عليكم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وشرعه.

الآية 61، والآية 62: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ يعني: ومِن المنافقين قومٌ يُؤذون النبي صلى الله عليه وسلم بالكلام ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: أي ويقولون عنه: (إنه يستمع لكل ما يُقالُ له فيُصَدِّقه)، ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول -: ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾: يعني إنَّ محمدًا يَسمعُ مِن كل مَن يُكَلِّمه، فلا يَتكبر على أحد، (ولكن لا يُقِرّ إلا بالحق ولا يَقبل إلا الخير والمعروف)، وهو ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي يُصَدِّقُ المؤمنين فيما يُخبرونه، ويُحسِنُ الظنّ بمَن يُحَدِّثه (ما لم يَصدُر مِن أحدهم خِلافُ ذلك)، فإذا عَلِمَ أنّ مَن يُحَدِّثُه كاذب، فإنه يَسمع منه ولا يُصَدِّقه، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾: أي وهو رحمةٌ لمن اتَّبَعه واهتدى بهُداه، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ - بأي نوع من أنواع الإيذاء - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

♦ واعلموا أنّ هؤلاء المنافقين ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ – كَذِباً – بأنهم ما طَعَنوا في الرسول ولا قالوا فيه شيئاً، وذلك ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ أيها المؤمنون، حتى لا تَبْطِشوا بهم انتقاماً لِكَرامة نَبِيِّكم، ﴿وَاللَّهُ﴾ ﴿وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ أحق أن يُرضوه بالتوبة إليه والاستغفار، بطاعته واتِّباعه ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً كما يَزعمون.

الآية 63: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ يعني: ألم يَعلم هؤلاء المنافقون ﴿أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ﴾ أي مَن يُحارِبُ ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (وذلك بأن يَسُبَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أو يَذمّ فيه): ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ ﴿ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾: أي ذلك المصير هو الذل العظيم.

الآية 64: ﴿يَحْذَرُ﴾ أي يَخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي تُنَزَّلَ في شأنهم ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا﴾ يُخفونه ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الكُفر، ﴿قُلِ﴾ لهم – أيها الرسول -: ﴿اسْتَهْزِئُوا﴾: أي استمِروا على ما أنتم عليه من السخرية والطعن في الإسلام وأهله، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ أي مُخرِجُهُ من نفوسكم ومُظهِرُهُ للناس أجمعين (وبالفِعل، فقد أخرج سبحانه ما في قلوبهم وفضحهم في هذه السورة، التي سُمِّيَتْ بـ "الفاضحة").

الآية 65، والآية 66: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ - أيها الرسول – عما قالوا في حقك وحق أصحابك: ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾: يعني إنما كنا نتحدث بكلامٍ لا قصدَ لنا به، ونلعب تقصيراً للوقت ودفعاً للملل.

♦ واعلم أنّ سبب نزول هذه الآية أنّ بعض المنافقين – في غزوة "تَبُوك"– قالوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَظن هذا أنه يَفتح قصور الشام وحصونها)، واتَّهموا أصحابه بالجُبن ومِلْءِ البطون، فأطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ عليهم، فدعاهم، فجاءوا واعتذروا له، فأنزل تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ؟ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾: أي لا فائدة مِن اعتذاركم، فـ ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بسبب هذه المَقولة التي استهزأتم بها، ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ طلبتْ العفو وصَدَقَتْ في توبتها: ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ أخرى ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: أي بسبب إجرامهم بهذه المَقالة الفاجرة وعدم توبتهم من النفاق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 67: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ يعني إنهم صِنفٌ واحد في إظهارهم للإيمان وإخفائهم للكفر، ومتشابهون في أقوالهم وأعمالهم، فمِن صفاتهم أنهم ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: أي يأمرون الناس بالكُفر ومعصية الرسول، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: أي وينهونهم عن الإيمان والطاعة، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: أي يُمسكون أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله.

♦ وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ : أي تركوا اللهَ فلم يؤمنوا به ولم يؤمنوا برسوله، فتَرَكهم تعالى محرومين من هدايته ورحمته ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الآية 68، والآية 69: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾: أي يَكفيهم عذابُ جهنم، عقابًا لهم على كُفرهم، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي طَرَدهم مِن رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ لا يُفارقهم لحظة.

♦ ثم وَضَّحَ سبحانه بعض الصفات والأفعال التي استحقوا بها هذا العذاب، فقال لهم: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني إنَّ أفعالكم – أيها المنافقون – هي نفس أفعال المُكَذِّبين من الأمم السابقة (كالاستهزاء والكُفر والاغترار بالمال والأولاد)، فقد ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ فرَضُوا بحياتهم الدنيا عِوَضاً عن الآخرة ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾ : أي فتمتَّعوا بنصيبهم من المَلَذّات الرخيصة، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَاقِكُمْ﴾ أي بنصيبكم من الشهوات الفانية ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾، وتركتم العمل للآخرة، ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾: أي خُضتم في الباطل والشر والفساد كَخَوْض تلك الأمم قبلكم، ﴿أُولَئِكَ﴾ المتصفون بهذه الصفات هم الذين ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي ذهبتْ حسناتهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ﴾ لأنها لم تكن خالصة لِوَجه اللهِ تعالى، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ بِبَيْعِهم نعيم الآخرة الأبدي مقابل حظوظهم العاجلة.

الآية 70: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين خبرُ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كـ ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ - وهم الذين أرسل اللهُ إليهم شعيباً - ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ - وهي قرى قوم لوط (وهي ثلاث مدن، ومعنى المُؤتَفِكات أي المُنقلبات، حيثُ صارَ عاليها سافلها) – فهؤلاء الأمم قد ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالآيات الدالَّة على صِدقهم في رسالاتهم فكذَّبوهم، فأنزل اللهُ بهم عذابه انتقامًا منهم لِسُوء أعمالهم ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، (وقد كَذَّبتم أيها المنافقون رَسولنا عندما جاءكم بالبينات – كما كَذَّبَ الذين من قبلكم رُسُلَهم –، فتوبوا حتى لا يُصيبكم ما أصابهم).

الآية 71: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي بعضهم أنصارُ بعض، ومِن صفاتهم أنهم ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: أي يَنهونهم عن الكُفر والمعاصي، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: أي يُؤَدُّونها – بشروطها وأركانها – في خشوعٍ واطمئنان ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ فيُنقِذهم من عذابه ويُدخلهم جنته، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي غالبٌ على أمْره ﴿حَكِيمٌ﴾ يَضع كل شيء في مَوضعه اللائق به، فيُعذب المنافقين ويُنَعِّم المؤمنين.

www.alukah.net

الآية 72: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري الأنهار مِن خِلال قصورها وأشجارها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ أي: ووَعَدَهم سبحانه مساكنَ حَسَنَة البناء، طَيِّبة الرائحة (كالقصور والخِيام المصنوعة من اللؤلؤ)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: "إنّ للمؤمن في الجنة لَخَيْمَةً مِن لؤلؤة واحدة مُجَوَّفة، طُولها سِتُّون مِيلاً، للمؤمن فيها أهْلُون، يطوفُ عليهم المؤمن فلا يَرى بعضهم بعضاً"، ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: أي في جنات الخلود، ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ يُحِلُّه عليهم: ﴿أَكْبَرُ﴾ - أي أعظم مِمَّا هم فيه من النعيم - ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

الآية 73: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ المُحاربين بالقتال، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: وجاهِد المنافقين باللسان والحُجَّة، ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: أي اشدُد على كِلا الفريقين في القول والفعل، ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ - أي مَقرُّهم - ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

الآية 74: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾: أي يَحلف المنافقون باللهِ إنهم ما قالوا شيئًا يُسِيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنهم لَكاذبون في ذلك، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾: أي قالوا كلمةً يَكفُرُ بها مَن قالها، وهي قول أحدهم: (إنْ كانَ ما جاء به محمدٌ حقاً: لَنحن شَرٌّ مِن الحَمير)، ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾: أي وارتَدُّوا بهذه الكلمة عن الإسلام، ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾: أي وحاولوا قتْل الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يُمَكِّنهم اللهُ من ذلك.

﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ يعني: وما وجد المنافقون شيئًا يَعيبونه ويَنتقدونه في الإسلام ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: يعني إلا أن كانوا فقراء، فأغناهم اللهُ بما فتح على نَبِيِّهِ من الخير والغنائم! (وهذا على سبيل السُخرية منهم)، وإلاَّ، فهل الغِنَى بعد الفقر مما يَكرهه المَرء؟!، والجواب لا، ولكنّ الكُفر والنفاق يُفسدان العقل والفِطرة.

♦ ورغم كل ما قاموا بِهِ من كُفرٍ وفساد، فإنّ الربَّ الرحيم قد فتح لهم باب التوبة، فقال: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾: يعني وإن يُعرضوا عن التوبة ويستمروا على حالهم: ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أي وليس لهم - في الأرض جميعاً - مِن مُنقذ يُنقذهم، ولا ناصر يَدفع عنهم عذابَ الله.

****

6. تفسير الربع السادس من سورة التوبة

الآية 75، والآية 76، والآية 77: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي ومِن فقراء المنافقين ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ فقال: ﴿لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾: أي لئن أعطانا اللهُ مالاً كثيراً لَنتصدَّقنَّ منه ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي ولَنعمَلنَّ مِثل ما يَعمل الصالحون في أموالهم، ولَنَسيرَنَّ في طريق الصلاح، ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ﴾: أي فلَمَّا أعطاهم اللهُ ﴿مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾_أي لم يُؤدوا زكاة هذا المال، وبَخِلوا بإنفاقه في الخير، ﴿وَتَوَلَّوْا﴾: أي أعرَضوا عن الإسلام، ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: يعني وهُم دائمًا مُعرضون عن الحق، غير مُلتفتين إلى ما يَنفعهم.

♦ فلَمَّا لم يَفوا بما عاهَدوا اللهَ عليه ، عاقبهم سبحانه ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ : أي فجعل عاقبة فِعلهم أنْ زادهم نفاقًا على نفاقهم، وجعل النفاق مُلازماً لقلوبهم لا يُفارقها ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ سبحانه، وذلك ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: أي بسبب إخلافهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم، وبسبب نفاقهم وكَذِبهم.

♦ فليَحذر المؤمن من هذه الصفة القبيحة، وهي أن يُعاهد ربه بأنه إنْ حَصَلَ شيئاً يَتمناه: لَيَفعلنَّ كذا وكذا، ثم لا يَفي بذلك (وعلى مَن وقع في ذلك أن يُسارِع إلى التوبة، حتى لا يُعاقِبَهُ اللهُ كما عاقب هؤلاء، اللهم عفوك وغفرانك لنا).

الآية 78، والآية 79، والآية 80: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ يعني ألم يَعلم هؤلاء المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾_أي يَعلم ما يُخفونه في أنفسهم وما يَتحدثون به في مجالسهم من الكيد للمسلمين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾؟ أي يَعلم كل ما غابَ عن حَواسّ الناس، وأنه سبحانه سوف يُجازي المنافقين على أعمالهم الخبيثة؟

♦ ورغم بُخل المنافقين: فإنّ المُتصدقين لا يَسلَمون مِن أذاهم، ولذلك أخبر سبحانه بأن هؤلاء المنافقين هم ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ : أي يَعيبون على الأغنياء إذا تصدقوا بالمال الكثير ويَتهمونهم بالرياء، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يعني: وكذلك إذا تَصَدَّقَ الفقراء بما يقدرون عليه: سَخِروا منهم، وقالوا: (ماذا تنفع صدقتهم هذه؟)، ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي مِن هؤلاء المنافقين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

♦ وفي الآية إثبات لصفة السُخرية للهِ عَزَّ وجَلَّ على النحو الذي يَليقُ بجلاله وكماله، فلا نُشَبِّهها بسُخرية المخلوق؛ لأنّ اللهَ تعالى ليس كَمِثله شيء، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، إذ أفعاله تعالى لا تُشبه أفعال عباده، لأنّ ذاتَهُ لا تُشبه ذَواتِهم.

♦ واعلم أنّ كلمة (الْمُطَّوِّعِينَ) أصلها: (المُتطوعين)، ولكنْ أُدْغِمَتْ التاء في الطاء لِقُرْب مَخرَجَيْهِما، (واعلم أيضاً أنّ المُتطوعين: هم الذين يفعلون الشيء تبرُّعاً منهم مِن غير أن يَجب عليهم).

♦ ولَمَّا نزلت هذه الآيات الفاضحة للمنافقين ، جاءَ بعضهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يَطلبون منه أن يَستغفر لهم، فاستغفر لهم الرسول رحمةً بهم، فأعْلَمَهُ ربّه أنّ استغفاره لهؤلاء المنافقين لا يَنفعهم، وذلك لإصرارهم على الكُفر والنفاق، قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ : يعني مَهما كَثُرَ استغفارك لهم وتَكَرَّرَ: ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (وهذا السبب يكفي، لأنهم كفروا ولم يتوبوا مِن كُفرهم، والكافر مُخَلَّد في النار عِياذاً باللهِ تعالى)، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

الآية 81، والآية 82: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلفوا عن الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم في "المدينة" ﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: أي فرحوا بمخالفتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ معه ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ - وذلك في غزوة "تَبوك" التي كانت في شدة الحرِّ، ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ أي

www.alukah.net

قال بعضهم لبعض: (لا تخرجوا للجهاد في هذا الحرِّ الشديد) ﴿قُلْ﴾ لهم - أيها الرسول -: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ أي لو كانوا يَفهمون (فإذا كانوا يخافون من الحر، فلماذا لا يَخرجون في سبيل الله حتى يَتَّقوا حر جهنم؟!).

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في حياتهم الدنيا بما يَحصل لهم من المَسَرّات، ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ في نار جهنم (لِمَا يُصيبهم من العذاب، وتَحَسُّراً على حِرمانهم من النعيم)، وذلك ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في الدنيا من الشر والفساد.

♦ واعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (واللهِ لو تعلمون ما أعلم لضَحِكتم قليلاً ولَبَكَيْتم كثيراً، ولَخَرَجتم إلى الصُّعُدات – أي إلى الطُرُقات - تَجأرون إلى اللهِ تعالى) (أي تتضرعون إليه بالدعاء ليَدفع عنكم العذاب) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 5262).

الآية 83: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ - أيها الرسول – مِن غَزْوَتك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي إلى جماعةٍ من المنافقين المُصِرّين على نفاقهم ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوةٍ أخرى بعد غزوة "تَبوك" ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ في غزوةٍ من الغزوات ﴿وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ من الأعداء ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ من النساء والأطفال (فهذا القول يُعَظِّم حَسْرتهم، ويَحمل لهم سَبَّاً وعَيباً جزاءَ تَخَلُّفِهم عن الجهاد).

♦ وفي الآيات السابقة دليل على أنّ الفرح بترك طاعة اللهِ ورسوله علامة من علامات النفاق، وأنّ تعمُّد تَرْك الطاعة قد يسبب الحرمان منها.

الآية 84، والآية 85: ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ - أيها الرسول - ﴿عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ أي مِن المنافقين ﴿مَاتَ أَبَدًا﴾ ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ لِتَتَوَلّى دَفْنَهُ وتدعو له بالرحمة والمغفرة وبالتثبيت عند السؤال كما تفعل مع المؤمنين، والسبب في ذلك: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ أي لا تظن أنّ اللهَ قد أعطاهم ذلك كرامةً لهم، فيكون ذلك سبباً في أن تُصَلِّي عليهم، و ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ (وذلك بالهَمّ في تحصيلها، وبالمصائب التي تقع فيها، مع عدم صَبْرِهِم على تلك المصائب، لأنهم لا يَحتسبونَ الأجرَ عند الله).

﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: ويريد سبحانه أن تخرج أرواحهم فيموتوا على كُفرهم، لِيَنتقلوا إلى عذابٍ أبدي لا يخرجون منه، عقوبةً لهم على إصرارهم وعِنادهم مِن بعد ما تَبَيَّنَ لهم الحق.

الآية 86، والآية 87: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ على محمد صلى الله عليه وسلم تأمُر الناس بـ ﴿أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ وأخلِصوا له العبادة ﴿وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾ فإنك تَجدُ المنافقين وقد ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: أي استأذنك الأغنياء منهم في التخلف عن الجهاد ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ أي اتركنا مع القاعدين العاجزين عن الخروج، ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: أي لقد رَضِيَ هؤلاء الجُبَناء لأنفسهم بالعار، وهو أن يَقعدوا في البيوت مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار، ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: أي ختم اللهُ على قلوبهم بسبب نفاقهم وتخلفهم عن الجهادِ ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما فيه رُشدهم وصَلاحهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 88، والآية 89: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ أي لهم النصر والغنيمة في الدنيا، ولهم الجنة في الآخرة، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ _أي الفائزون برضا الله تعالى، وقد ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ أي حدائق وبساتين عجيبة المَنظر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

الآية 90: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ : أي وجاء جماعة من سُكّان البادية (وهم البَدْو الذين كانوا يعيشون حول "المدينة")، فجاءوا يعتذرون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويُبَيِّنونَ له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج للجهاد ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود (وقد يكونون معذورين حقاً، وقد لا يكونون كذلك).

﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ : أي وقعد قومٌ آخرون بغير عُذرٍ (وهؤلاء هم مُنافقوا الأعراب الذين ادّعَوا الإيمان بالله ورسوله، وما هم بمؤمنين، بل هم كافرون منافقون)، ولذلك قال تعالى فيهم: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

♦ واعلم أنّ لفظ: (المُعَذِّرون) معناه المُعتذرون، فأُدغِمَتْ التاء في الذال فصارت: (المُعَذِّرون)، وهذا اللفظ يَصِحّ أن يكون المقصود به: (المعتذرون لأسبابٍ صحيحة)، ويَصِحّ أن يكون المقصود به: (الذين لا عُذرَ لهم، ولكنهم يعتذرون بأعذارٍ كاذبة)، وهذا من بلاغة القرآن الكريم، أنّ اللفظ الواحد منه يَحتمل أكثر مِن معنى.

الآية 91: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى﴾ الفقراء ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ : أي الذين لا يَملكون المال الذي يَتجهزون به للخروج، فليس على هؤلاء _﴿حَرَجٌ﴾ أي ليس عليهم إثم في التخلف ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ : يعني إذا صَدَقوا في إيمانهم بالله ورسوله، وأخلَصوا النيّة للهِ تعالى بأنهم لو قَدَروا لَجَاهَدوا (إذ النُصح: هو إخلاص العمل من الغِش)، وكذلك إذا نَصَحوا المسلمين القادرين (بترغيبهم في الجهاد وتشجيعهم عليه).

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ : أي ليس على المحسنين - الذين مَنَعَهم العذر - مِن طريقٍ إلى مؤاخذتهم وعقابهم، (لأنهم صَدَقوا في اعتذارهم، وسَعَوا فيما يُرضِي اللهَ ورسوله وفيما يَنفع المسلمين)، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (ومِن مَغفرتِهِ سبحانه ورحمته أنه عفا عن العاجزين، ولم يُكلِّفهم فوق طاقتهم، بل إنه أثابهم بنيّتهم ثوابَ القادرينَ الفاعلين)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم في غزوة "تَبُوك": (لقد تَرَكتم بالمدينةِ أقواماً ما سِرتم مَسيراً، ولا أنفقتم مِن نفقةٍ، ولا قطعتم مِن وادٍ إلاّ وهُم معكم فيه، قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟! قال: حَبَسهم العُذر" (انظر صحيح سنن أبي داوود: ج 3 /12).

♦ وفي هذا دليلٌ على ما كانَ عليه الصحابة مِن الإيمان واليقين والسمع والطاعة والمحبة والولاء ورقة القلوب وصفاء الأرواح، فاللهم إنا نحبهم بِحُبِّكَ لهم، فاجمعنا معهم في جنتك ودار كرامتك.

الآية 92: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ يعني: وكذلك لا إثمَ على الذين جاؤوك يَطلبونَ منك أن تَحمِلهم إلى الجهاد ، ف ﴿قُلْتَ﴾ لهم: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ من الدَوَابِّ، فعندئذٍ ﴿تَوَلَّوْا﴾ أي انصرفوا إلى بيوتهم ﴿وَأَعْيُنُهُمْ

www.alukah.net

﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ أي تسيل دموعهم أسفًا على ما فاتهم من شرف الجهاد وثوابه ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي لأنهم لم يجدوا ما يُنفِقون، ولم يَجدوا ما يَحملهم للخروج في سبيل الله.

****

7. تفسير الربع السابع من سورة التوبة

الآية 93: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾: يعني إنما الطريق إلى المعاقبة، (والمعنى: إنما الإثم والعقاب) ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف عن الجهاد ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ أي قادرون على الجهاد بأموالهم وأنفسهم، ومع ذلك فقد ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ من النساء وأهل الأعذار، ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالنفاق فلا يَدخلها إيمان، لذلك ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سُوءَ عاقبة تخلفهم عن الجهاد.

الآية 94: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ أي يعتذر لكم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد بالأعذار الكاذبة ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ مِن غزوة "تَبُوك"، ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول -: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ فإننا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ أي لن نُصَدِّقكم فيما تقولون، فـ ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: أي قد أخبَرَنا اللهُ مِن أمْركم ما أكَّدَ لنا كَذِبكم، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ إن كنتم تتوبون مِن نفاقكم، أو تُصِرُّون عليه، وسيُظهِرُ سبحانه للناس أعمالكم في الدنيا ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بعد مماتكم ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي إلى الذي لا تَخفى عليه بَواطن أموركم وظَواهرها ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثم يُجازيكم على أعمالكم.

الآية 95: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ كاذبين مُعتذرين ﴿إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: أي إذا رجعتم إليهم مِن جهادكم، وسبب هذا الحَلِف الكاذب: ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: أي لِتتركوهم ولا تعاقبوهم، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ احتقارًا لهم، ولا تهتموا بشأنهم، ولا تُعاتبوهم على تَخلفهم، فـ ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي خُبَثاء البَواطن ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكُفر والنفاق.

الآية 96، والآية 97: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ كَذِبًا ﴿لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ - لأنكم لا تعلمون كَذِبَهم - ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: أي فإنّ الله لا يَرضى عن هؤلاء – ولا عن غيرهم – مِمّن استمروا على الخروج عن طاعة الله.

♦ ولَمَّا ذَكَرَ تعالى حال مُنافِقي المدينة، ذَكَرَ هنا حال مُنافِقي البادية (الصحراء) وذلك ليُعرَفَ المنافقون جميعاً، فقال سبحانه: ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أي مُنافِقوا الأعراب هم ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ مِن مُنافِقي أهل المُدُن، وذلك لِجَفاء الأعراب وغِلظتهم، ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أي: وهم أحَقّ وأقرَب ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع، فقد استحقوا ذلك الجَهل لِبُعدهم عن العلم والعلماء وعن مجالس الوعظ والذِكر (عِلماً بأنهم لا يُعذَرونَ بِجَهْلِهم في ذلك، لأنّ عليهم أن يَتركوا البادية ويَنتقلوا إلى الحَضَر)، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحال المنافقين جميعًا، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تشريعه وفي تدبير أمور عباده.

الآية 98: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ يعني: مِن الأعراب مَن يَرى أنّ ما يَتصدق به أمام الناس يَعودُ عليه بالغَرامة والخُسارة (لأنه لا يرجو بصدقته ثوابًا، ولا يَدفع بها عن نفسه عقابًا) ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾: أي يَنتظر نزول

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المَصائب والبَلايا بالمسلمين لِيَتخلص منهم ومن الإنفاق لهم، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ يعني: ولكنّ الهلاك والشقاء دائرٌ عليهم لا على المسلمين، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بنِيَّاتهم الفاسدة.

الآية 99: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وما فيه من الثواب والعقاب ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾: أي يَنوي بنفقته الوصول إلى رضا اللهِ تعالى، ويَجعل صدقته وسيلة للحصول على دعاء الرسول له، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه المؤمن بزكاته أو صدقته: يَدعو له بخير (واعلم أنّ القُرُبات: جمع قُرْبة، وهي المَنزلة المحمودة)، ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾: يعني ألاَ إنّ هذه الصدقات تُقرّبهم إلى اللهِ تعالى، و ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي في جنته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَا فعلوا من السيئات، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

الآية 100: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ يعني: والذين سَبَقوا الناسَ أولاً إلى الإيمان والنُصرة والجهاد ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الذين هجروا قومهم الكُفار، وانتقلوا إلى دار الإسلام، ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ الذين نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم على أعدائه، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ - في العقيدة والأقوال والأعمال وفَهم الدين -، أولئك ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بسبب طاعتهم للهِ ورسوله، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سبحانه لِمَا أعطاهم من الثواب العظيم، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (ولعل نَزْع حرف الجر: (مِن) – وذلك في قوله تعالى: ﴿ تجري تَحْتَهَا ﴾ - خِلافاً لباقي مواضع القرآن الكريم: للدلالة على كثرة ماء هذه الأنهار، ولأنه سبحانه خَصَّ هذه الطائفة المذكورة في الآية بجنةٍ هي أعظم الجَنَّات رِيًّا وحُسنًا، واللهُ أعلم)، (وفي هذه الآية ثناءٌ على الصحابة رضي الله عنهم، وتَزكيةٌ لهم، ولهذا فإنّ توقيرهم من أصول الإيمان).

♦ فَيَا مَن تسُبُّون أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باللهِ عليكم أخبرونا: (هل تزعمون كَذِباً أن الله تعالى لم يُحسِن اختيار أصحاب نَبِيِّهِ الخاتم صلى الله عليه وسلم ، مع عِلمِهِ سبحانه أنّ هؤلاء الصحابة هم الذين سيَحملون دينه – الذي ارتضاهُ للناس – ويُوصلونه لجميع الخلق إلى قيام الساعة؟!)، وقد خالفتم إجماع المسلمين – واخترعتم ديناً جديداً ما أنزل اللهُ به من دليل – وكل ذلك بسبب اتِّباعكم لأهوائكم، وبسبب إضلال اليهود لكم، كما أضلوا النَصارَى.

♦ ومِن لطيف ما يُذكَر أنّ أحد علماء المسلمين كان على مَوعد مع علماء الشيعة لِيُناظرهم، فجاء إلى المُناظرة وهو يضع حذائه تحت إبطِه، فسألوه: (لماذا تدخل المُناظرة وأنت تحمل حذائك؟!)، فقال لهم: (لقد سمعتُ أنّ الشيعة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يَسرقون الأحذية)، فقالوا له: (لم يكن هناك شيعة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم)، فقال لهم: (إذاً انتهت المُناظرة، مِن أين أتيتم بدينكم ومَذهبكم؟!)، فهَدَمَ دينهم – الذي اخترعوه – بهذه الكلمة.

الآية 101: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ أيضاً منافقون ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾: أي اعتادوا على النفاق، وتدرَّبوا عليه.

www.alukah.net

♦ وأنت أيها الرسول ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ لأنهم تَفَنَّنوا في إخفاء نفاقهم حتى صَعُبَ عليك تمييزهم مِن بين المسلمين، ولكننا ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾_و﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ مَرّة بالقتل والأسر والفضيحة في الدنيا، ومَرّة بعذاب القبر بعد الموت، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في نار جهنم يوم القيامة.

الآية 102، والآية 103: ﴿وَآَخَرُونَ﴾ يعني: وهناك أُناسٌ آخرونَ ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ ونَدِموا عليها، وهؤلاء قد ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ - وهو توبتهم واعترافهم بالذنب، وغير ذلك من الأعمال الصالحة - ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ - وهو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك من الأعمال السيئة - ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ (هذا إعلامٌ من الله تعالى بقبول توبتهم، لأنّ كلمة (عسى) إذا جاءت من اللهِ تعالى، فإنها تفيد التأكيد ووجوب الوقوع)، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، حيث وفقهم للتوبة وقَبِلَها منهم.

♦ ثم جاء هؤلاء التائبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأموالهم وقالوا له: (هذه أموالنا التي تَخَلَّفنا بسببها صدقةً، فخُذها يا رسول الله)، فقال لهم: (إني لم أُؤْمَر بذلك)، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ مِن ذنوبهم ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾: أي تَرفعهم عن درجة المنافقين إلى درجة المُخلِصين، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: أي ادعُ اللهَ أن يَغفر ذنوبهم ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾: يعني إنّ دعاءك واستغفارك رحمةٌ وطمأنينةً لهم، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لكل دعاءٍ وقول، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوال العباد ونيَّاتهم، وسيُجازي كلَّ عاملٍ بعمله.

الآية 104: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾: يعني ألم يعلم هؤلاء التائبون ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ وحده الذي ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ إذا صَدَقوا في توبتهم ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ منهم، فيَقبلها ويُضاعِف ثوابها لهم حتى تكون أعظم من الجبل (كما ثبت ذلك في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم)، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ أي كثير قَبول التوبة من التائبين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

الآية 105: ﴿وَقُلِ﴾ - أيها الرسول – لهؤلاء التائبين: ﴿اعْمَلُوا﴾ الأعمال التي تُرضِي اللهَ تعالى من أداء الفرائض واجتناب المعاصي، تطهيراً لكم وتزكيةً لنفوسكم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (وسوف يُثنون عليكم بعملكم في الدنيا) ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي وستُرجَعون يوم القيامة إلى مَن يَعلمُ سِرَّكُم وعَلانيَّتكم ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ويُجازيكم على أعمالكم الصالحة أحسنَ الجزاء.

الآية 106: ﴿وَآخَرُونَ﴾ يعني: ومِن هؤلاء المتخلفين عن غزوة "تَبُوك" آخرونَ ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: أي مُؤَخَّرون لِحُكم اللهِ وقضائه فيهم: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ ويَعفو عنهم.

♦ وهؤلاء هم الذين ندموا على ما فعلوا، وهم: (مُرارة بن الربيع، وكَعْب بن مالك، وهلال بن أُميَّة)، فهؤلاء الثلاثة قد تأخروا في توبتهم واعتذارهم، فأمَرَ الرسول صلى الله عليه وسلم بهَجْرهم (أي بمقاطعتهم) حتى يَحكم اللهُ فيهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن يَستحق العقوبة أو العفو، ﴿حَكِيمٌ﴾ في قضائه وشرعه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 107: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: يعني وهناك منافقون قد بَنوا مَسجدًا مِن أجل الإضرار بالمسلمين وإيجاد عداوات بينهم، وتشكيكاً لهم في دينهم، ﴿وَكُفْرًا﴾ باللهِ ورسوله ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لِيُصلي فيه بعضهم ويَترك مسجد "قِباء" الذي يصلي فيه النبي والمسلمون، فحينئذٍ يَختلف المسلمون ويَتفرقوا، ﴿وَإِرْصَادًا﴾ أي وانتظاراً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ - وهو أبو عامر - ذلك الراهب الفاسق الذي ذهب إلى الروم لِيُحَرِّضهم على قتال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فانتظره المنافقون ليأتي إليهم في ذلك المسجد، ليكون مكانًا للكيد للمسلمين، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ هؤلاء المنافقون كذباً ويقولون: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ أي ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخير للمسلمين، والرِّفق بالعاجزين عن السير إلى مسجد "قِباء"، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يَحلفون عليه.

الآية 108: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ﴾: أي لا تقم – أيها الرسول – للصلاة في ذلك المسجد ﴿أَبَدًا﴾، إذ إنّه ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ - وهو مسجد "قِباء" - ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ للصلاة، فإنّ مسجد "قباء" ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ بالماء من النجاسات والأقذار، كما يتطهرون من ذنوبهم بالتوبة والاستغفار، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي المتطهرين، (وقد أُدغِمَت التاء في الطاء فصارت: (الْمُطَّهِّرِينَ))، (واعلم أنّ هذا المسجد الذي بناه المنافقون قد هَدَمَهُ المسلمون وأحرقوه، بأمْرٍ من النبي صلى الله عليه وسلم).

الآية 109: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ أي مَسجده ﴿عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ أي على خوفٍ من اللهِ وطلباً لرضاه ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ أي مسجده ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ أي على طرف حفرة قاربتْ على السقوط ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ ذلك البُنيان الخبيث ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ لِيُعَذَبَ فيها؟ لا يستويان أبداً، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المتجاوزينَ لحدوده.

الآية 110: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ والمعنى: أنّ المنافقين عندما بَنوا ذلك المسجد لغرضٍ فاسد، جعل اللهُ ذلك المسجد سبباً لبقاء النفاق في قلوبهم ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني إلا أن تتقطع قلوبهم، وذلك بقتلهم أو موتهم، أو بندمهم غاية الندم، وخوفهم من ربهم غاية الخوف، حتىَ يقبل اللهُ توبتهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في صدور هؤلاء المنافقين، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وقضائه، وفي فتح باب التوبة لعباده.

****

8. تفسير الربع الأخير من سورة التوبة

الآية 111، والآية 112: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ﴾ – في مُقابل ذلك – ﴿الْجَنَّةَ﴾ وما أعَدَّ اللهُ لهم فيها من النعيم، فهُم ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ويُقَدِّمون أرواحهم وأموالهم قرباناً إلى ربهم لإعلاء كلمته، بأنْ يُعبَدَ وحده ولا يُعبَد غيره، ﴿فَيَقْتُلُونَ﴾ الكفار والمشركين ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ أي يَموتون شهداء في سبيل الله.

♦ فبهذا وَعَدَهم ربهم بالجنة: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾: أي وعداً حقاً، عليه الوفاء به، ثم أخبر تعالى بأنّ هذا الوعد موجودٌ في أشرف كُتُبِهِ المُنَزَّلة، إذ هو مَذكورٌ ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ التي جاء بها أكْمَل الرسل (أولو العَزم)، وكلها اتفقتْ على

www.alukah.net

هذا الوعد الصادق، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾: يعني ولا أحد أصْدَق – ولا أقدَر – مِن اللهِ تعالى في الوفاء بما وَعَدَ به، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ أي فافرَحوا – أيها المؤمنون - ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ﴾ اللهَ ﴿بِهِ﴾، وبما وَعَدكم به تعالى من النعيم الأبدي، ﴿وَذَلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

♦ ومِن صفات هؤلاء المؤمنين – الذين بَشَّرَهم اللهُ بالجنة – أنهم هم ﴿التَّائِبُونَ﴾ الذين رجعوا عَمَّا كَرِهَهُ الله إلى ما يحبه ويرضاه، ﴿الْعَابِدُونَ﴾ الذين أخلصوا العبادة للهِ وحده، واجتهدوا في طاعته (بِحُبٍّ كامل مع ذلٍ تام، وذلك باستشعار نِعَمِهِ وذنوبهم)، ﴿الْحَامِدُونَ﴾ الذين يَحمدون اللهَ على كل ما امتحنهم به، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم -: (عَجَباً لأمْر المؤمن، إنّ أمْرَهُ كله خير، وليس ذاكَ لأحدٍ إلا للمؤمن، إنْ أصابتْهُ سَرَّاءُ شَكَر، فكان خيراً له، وإنْ أصابتْهُ ضَرَّاءُ صَبَر، فكان خيراً له).

♦ وهم ﴿السَّائِحُونَ﴾ أي الصائمون، ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي المقيمون الصلاة، المُكثِرون من نوافلها (فكأنهم دائماً في ركوعٍ وسجود)، وهم ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ – بالحكمة والموعظة الحسنة – ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (بشرط ألاَّ يتسبب إنكارهم للمُنكَر في مُنكرٍ أكبر منه)، ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ أي القائمون على طاعة الله، الواقفون عند حدوده، ﴿وَبَشِّرِ﴾ أيها الرسول هؤلاء ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المتصفين بهذه الصفات بالنصر والتأييد في الدنيا، وبدخول الجنة في الآخرة.

الآية 113: ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِلنَّبِيِّ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾ معه ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ أي ولو كانوا أصحابَ قرابةٍ لهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا﴾ ماتوا على الشِرك، و ﴿تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾.

الآية 114: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ المُشرك ﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ وهي قوله له: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾: أي فلما تبيَّن لإبراهيم أنَّ أباه يُعادِي اللهَ تعالى، وأنه لن ينفع معه الوعظ والتذكير، وأنه سيموتُ كافرًا: ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وتَرَك الاستغفار له، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ أي كثير التضرع إلى اللهِ تعالى، فلذلك وَعَدَ أباه بالاستغفار له، ﴿حَلِيمٌ﴾ أي كثير العفو عن أذى الناس وأخطائهم.

الآية 115: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ ولا يُعذبهم بأفعالهم ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ أي حتى يُبيِّن لهم الحلال والحرام لكي يتقوه، فإذا لم يتقوه – بعد أن عَلَّمَهم وأقامَ الحُجَّة عليهم - أضَلَّهم سبحانه بعَدْلِهِ وحِكمته، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (فلا يُضِلُّ سبحانه إلا مَن عَلِمَ أنه يَستحق الضلال، كما أنه لا يَهدي إلا مَن عَلِمَ أنه يَستحق الهداية).

الآية 116: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهنّ، لا شريك له في الخلق والتدبير والعبادة والتشريع، ﴿يُحْيِي﴾ مَن يشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ مَن يشاء، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَنصركم على عَدُوِّكم، (فلِذا وَجَبَتْ طاعته والتوكل عليه وحده، وحَرُمَ تَعَلُّق القلب بغيرهِ مِن سائر خَلقه).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 117: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي الذين خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة " تَبُوك" في شدة الحر والجوع والعطش، فلقد تاب سبحانه على هؤلاء المؤمنين ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ : أي مِن بعد ما كاد يَميل قلوب بعضهم إلى التكاسل عن الجهاد والتخلف عنه (وذلك لشدة الحال وصعوبة الموقف)، ولكنّ اللهَ ثبَّتهم وقوّاهم، ووفقهم للتوبة والرجوع عن ذلك.

♦ قال ابن عباس رضي الله عنهما – ما مُختصَره –: (كانت التوبة على النبي صلى الله عليه وسلم بسبب إذنه للمنافقين في القعود، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ ؟، وكانت التوبة على المؤمنين مِن مَيل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه)، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي قَبِلَ سبحانه توبتهم بعد أن وفقهم إليها وأعانهم على الثبات عليها ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية 118، والآية 119: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾: يعني وكذلك تاب سبحانه على الثلاثة ﴿الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾: أي الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عُذر – وهم كعب بن مالك وهلال بن أُميَّة ومُرَارة بن الربيع – فقد تأخر هؤلاء الثلاثة في توبتهم ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ : أي حتى إذا ضاقت عليهم الأرض رغم اتِّساعها، وذلك بسبب هَجْر الناس لهم (حتى زوجاتهم)، وذلك بأمْرٍ من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يَحكم اللهُ فيهم، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: أي وضاقت صدورهم لِمَا أصابها من الحُزن والغمِّ بسبب تخلفهم عن الجهاد، ﴿وَظَنُّوا﴾ يعني وأيْقنوا ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ (فحينئذٍ تعلقتْ قلوبهم بخالقهم وحده، وظلوا على هذه الشِدَّة نَحْوَ خمسين ليلة)، ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ سبحانه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي أَذِنَ لهم بالتوبة ووفقهم لها ﴿لِيَتُوبُوا﴾ أي لِتَقَع منهم فيَقبلها ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

♦ إذ التوبة مِن اللهِ على العبد تتضمن إذنَهُ له بالتوبة، وأن يُوَفقه إلى فِعلها على الوجه الذي يحبه سبحانه، وأن يُعينه عليها ويُثبته، وأن يُكَرِّهَ إليه المعاصي ويُحَبِّبَ إليه الطاعات، ثم يَقبلها منه (فاللهم تُب علينا توبةً نصوحاً تُرضيك عنا).

♦ واعلم أنّ هؤلاء الثلاثة لم يَعتذروا للنبي صلى الله عليه وسلم عن تخلفهم خوفاً من الكذب، فلَمَّا تابَ اللهُ عليهم: جعلهم مثلاً للصِدق، ودعا المؤمنين أن يكونوا مِثلهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في توبتهم ونيَّاتهم وأقوالهم وأعمالهم، لتكونوا معهم في جنات النعيم.

الآية 120: ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا﴾ في أهلهم وديارهم ﴿عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ : أي ولا ينبغي أن يَرضوا لأنفسهم بالراحة والرسول في تعبٍ ومَشَقة؛ ﴿ذَلِكَ﴾ - أي نَهْي المؤمنين عن التخلف والراحة - ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ﴾ في سَفرهم وجهادهم ﴿ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي عطش ولا تعب ولا جُوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ : أي ولا يَنزلون أرضاً من أرض العدو يَغتاظ الكفارُ لنزولهم فيها، ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾: أي ولا يُصيبون مِن عَدُوّ اللهِ قتلاً أو أسْراً أو هزيمةً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (فلهذا لا ينبغي لهم أن يَتخلفوا حتى لا يَفوتهم هذا الأجر العظيم) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

www.alukah.net

الآية 121: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ في سبيل الله، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في سَيْرِهِم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده (ذاهبين إلى العدو أو راجعين): ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أجْرُ عملهم ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة - على نفقتهم وتعبهم في جهادهم - ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بِمِثل جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه قبل خروجهم في سبيل الله.

الآية 122: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾: أي ما ينبغي للمؤمنين أن يَخرجوا جميعًا لقتال عدوِّهم، كما لا يَصِحّ لهم أن يقعدوا جميعًا، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾: يعني هَلاّ خَرَجَ مِن كل قبيلةٍ منهم جماعة واحدة تحصل بها الكفاية والمقصود، و﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أي: وليَتعلم هؤلاء المجاهدون أحكام الدين من رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء جهادهم معه، ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ عَواقب الشِرك والمعاصي ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الجهاد ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عذابَ الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (فهذا خيرٌ للمسلمين مِن أن يَخرجوا جميعاً).

♦ واعلم أنّ هذه الآية قد نزلتْ عندما عَلِمَ المسلمون نتائج التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: (لن نتخلف بعد اليوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً)، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية يُرشدهم إلى ما هو خيرٌ لهم في دينهم ودُنياهم.

الآية 123: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أي ابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى دار الإسلام من الكفار، ﴿وَلْيَجِدُوا﴾ يعني: وليَجِد الكفار ﴿فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ وشدة، حتى تُدخِلوا بذلك الرعب في قلوب المشركين في أنحاء الأرض، لِيَكُفوا عن شَرِّهم وفسادهم وتضعف قوتهم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بنصره وتأييده، (ألاَ فاتقوهُ سبحانه لِيَنصركم على أعدائكم).

الآية 124، والآية 125: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ على الرسول صلى الله عليه وسلم، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: فمِن هؤلاء المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ - إنكارًا واستهزاءً -: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ السورة ﴿إِيمَانًا﴾ باللهِ وآياته؟ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ بتعَلُّمِها وتَدَبُّرها وتلاوتها والعمل بها، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي وهم يَفرحون بما أعطاهم اللهُ من الإيمان واليقين، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي نفاق وشك في دين الله ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ هذه السورة ﴿رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ أي نفاقًا وشَكّاً إلى ما هم عليه من النفاق والشك، ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ أي طبع اللهُ على قلوبهم حتى ماتوا على الكُفر عِياذاً باللهِ تعالى (اللهم ارزقنا حُسنَ الخاتمة).

الآية 126: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يعني: ألاَ يرى هؤلاء المنافقون أنّ اللهَ يَمتحنهم بالجهاد، ويَبتليهم بالفتن، ويَفضح نفاقهم ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾؟ ﴿ثُمَّ﴾ هُم مع ذلك ﴿لَا يَتُوبُونَ﴾ مِن كُفرهم ونفاقهم، ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: أي ولا هم يَتعظون بما يُشاهدونه من آيات اللهِ تعالى، وبما يَرونه من تحقيق وَعْدِ اللهِ بالنصر للمسلمين على أعدائهم.

الآية 127: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي تغامَزَ المنافقون بالعيون (سُخريةً بنزولها، وغيظاً مِمَا نزل فيها مِن ذِكر عيوبهم وأفعالهم)، ثم يقولون لبعضهم: ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ إنْ قمتم مِن عند محمد؟ فإنْ لم يَرَهم أحد: قاموا ﴿ثُمَّ

﴿انْصَرَفُوا﴾ مِن عِنده عليه الصلاة والسلام (خوفاً من الفضيحة)، فكانَ جزاؤهم أنْ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الهدى، وذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: أي بسبب أنهم لا يريدون أن يَفهموا آيات القرآن ودلائله.

الآية 128: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي عَرَبيٌ مِن جنسِكُم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ : أي يَشُقّ عليه ما تَلقوْنَ مِن المَكروه والمَشقة، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي حريصٌ على هِدايتكم وصَلاح شأنكم في الدنيا والآخرة، وهو ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية 129: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يعني فإن أعرض المشركون والمنافقون عن الإيمان بك – أيها الرسول - ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: أي يَكفيني سبحانه جميع ما أهمَّني، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ : أي لا معبودَ بحقٍ إلا هو، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ يعني عليه وحده اعتمدت، وإليه فَوَّضْتُ جميع أموري، فإنه ناصري ومُعيني ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة يونس كاملة

1. الربع الأول من سورة يونس

الآية 1: ﴿الر﴾: سبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، (واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: أَلِف لام را).

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يعني: هذه هي آيات الكتاب المُشتمِل على الحِكَم العظيمة، المُحكَم الذي لا يَأتيه الباطل.

الآية 2: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾_أمْرًا_﴿عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾_وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي أوحينا إليه ﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾_عقابَ اللهِ تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾_يعني إنّ لهم أجرًا حسنًا – بما قدَّموه من الإيمان والعمل الصالح –، يَلقونه_﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾_في الدار الآخرة؟

♦ فلَمَّا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الوَحْي وتَلاهُ عليهم: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ : أي قال المُنكِرون: إنَّ محمدًا ساحر، وما جاءَ به سِحرٌ واضح، وقد كَذَبوا في ذلك، فإنه لو كانَ ساحراً، لَسَحَرَهم ليؤمنوا به، حتى يستريحَ هو وأصحابه من ذلك الإيذاء والتعذيب الذي يَلقونه منهم، وحتى لا يُخرجوهم مِن بلدهم وديارهم وأموالهم كما فعلوا.

♦ وكذلك فإنه لو كانَ ساحراً ، لَعَلِمَ السَحَرة على عهده أنه ساحر (كَلَبِيد بن الأعصم اليهودي وغيره)، ولَفَضَحوا حقيقته أمام الناس، فلَمَّا لم يفعلوا – رغم ما يَحدث للنبي من معجزاتٍ عظيمة (كانشقاق القمر وغيرها)، ورغم ما للقرآن من بلاغةٍ وقوةٍ في البيان، ورغم عَجْز السَحَرة والمشركين في أن يَأتوا بمِثل ما أتى به - عُلِمَ أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسولٌ من عند اللهِ يُوحَى إليه.

الآية 3: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾_أيها الناس هو ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ - أي عَلا وارتفع - ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾_استواءً يَليقُ بجلاله وعظمته، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: أي يُدَبِّر أمورَ خلقه، ولا يُعارضه في قضائه أحد، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾: أي لا يَشفع عنده شافعٌ يوم القيامة إلا مِن بعد أن يَأذن له بالشفاعة (وذلك لِعَظَمته وعزة سلطانه)، فكيف إذاً تعبدونَ – أيها المشركون – هذه الأصنام وتنتظرون شفاعتها لكم؟ !

﴿ذَلِكُمُ﴾_أي المُتصِّف بهذه الصفات – الخَلق والتدبير والعُلُوّ والعظمة – هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾_المستحق وحده للعبادة ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾_ولا تُشركوا به شيئاً من مخلوقاته، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: يعني أفلا تتعظون وتتفكَّرونَ فيما ينفعكم؟

الآية 4: ﴿إِلَيْهِ﴾_سبحانه_﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾_يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وبهذا وَعَدَكُم اللهُ وعداً حقاً، لابد مِن إتمامه، إذ ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ : أي هو وحده الذي يستطيعُ أن يَبدأ إيجاد الخلق من العدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ - كهيئته الأولى – وذلك بعد الموت، (فالقادرُ على ابتداء الخلق: قادرٌ على إعادته).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ثم وَضَّحَ سبحانه الحِكمة من البَعث يوم القيامة، فقال: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾_أي لِيَجزيهم – على إيمانهم وأعمالهم الصالحة – جزاءً قد بَيَّنَهُ سبحانه لعباده، وأخبَرَهم أنه قد أَخفَى لهم من النعيم ما بِهِ تقِرُّ أعينهم وتَسعَدُ قلوبهم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾_أي شرابٌ مِن ماءٍ شديد الحرارة، يَشوي الوجوه ويُقطِّع الأمعاء، _﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾_مِن مُختلَف أصناف العذاب، جزاءً ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾_(وهذا من تمام عَدْلِهِ سبحانه، إذ إنه لو تَرَكَ الناسَ بغير جزاء، لاَستوى العاصي والمُطيع، وربما كان بعضُ العاصين - في هذه الدنيا – أحسنَ حالاً من المُطيعين، فكانَ من الحِكمة أن يَلقى كُلُّ عاملٍ جزاءَ عمله).

♦ وقد خَصَّ سبحانه جزاءَ المؤمنين بقوله: ﴿بالقِسط﴾ أي بالعدل، مع أنّ الجزاء كله عدل – بل ربما كانت الزيادة في ثواب المؤمنين فضلاً زائداً على العدل – وذلك لإشعار المؤمنين بأنّ جزاءهم قد استحقوه بما عملوا، وليس تفَضُّلاً منه سبحانه عليهم، وهذا مِن أعظم الكرم.

♦ واعلم أنه سبحانه قد خَصَّ شراب الحميم بالذِكر – من بين أنواع العذاب – لأنه أكْرَه أنواع العذاب على النفوس، ولأنهم سيكونون – لِشِدَّة عطشهم – في أشد الحاجة إلى الماء، فيَضطروا إلى شُربه رغم سخونته وغليانه، فيكونُ ذلك ذلاً وإهانةً لهم، واللهُ أعلم.

الآية 5: ﴿هُوَ﴾_سبحانه_﴿الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾_(والفرق بين الضياء والنور: أن الضياء هو الضوء الصادر مِن مصدره مُباشرَةً، فيكون الجسم مُضِيئاً بذاته، وأما النور: فهو الضوء المنعكس عن مصدر معين، فالقمر ليس مُنيراً بذاته، بل بانعكاس ضوء الشمس عليه، ولعل هذا يُفسر قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آَيَةَ اللَّيْلِ_وَجَعَلْنَا آَيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، فآية الليل هي القمر، فجعله اللهُ تعالى مُظلماً، وجعل آية النهار – وهي الشمس – مضيئة، فاستفاد القمر من ضيائها فأصبح مُنيراً، واللهُ أعلم.

﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾: أي جعل للقمر منازل يَسيرُ فيها، (والمقصود بالمنازل هنا: المواقع التي يَظهر فيها القمر في كل ليلة من الشهر، وهي ثمانية وعشرون مَنزلة، يَنتقل فيها القمر مِن هلال إلى بدر، ثم يعودُ إلى هلال مرة أخرى، وهكذا).

♦ وقد فَعَلَ سبحانه ذلك ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾_إذ إنه بالقمر تُعرَفُ الأيام والشهور، وبالتالي يتم حساب السنين، ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ : أي ما خَلَقَ اللهُ تعالى الشمس والقمر إلا لِحِكمةٍ عظيمة (لأنّ عظمة هذه المخلوقات تدل على عظمة خالقها وكمال قدرته)، (وما فيها من الانتظام والإتقان والإحكام يدل على كمال حِكمته)، (وما فيها من المنافع الضرورية لِخَلقه يدل على سِعَة رحمته بالخلق، وعلى سِعَة عِلمه بمصالحهم، وأنه الإله الحق الذي يَجب أن يُعبَد ولا يُعبَد غيره)، ﴿يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ﴾_أي يُبيِّن سبحانه الحُجَج والأدلة _﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾_أي يَعلمونَ الحِكمة من إبداع الخلق، فلذلك يَتّبعون الحق – بمجرد ظهوره – ولا يَتّبِعونَ أهوائهم.

www.alukah.net

الآية 6: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾_مِن الطُول والقِصَر، والظلمة والنور، وتعاقبهما بأن يَخلُف كلٌّ منهما الآخر، ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من عجائب المخلوقات، وما فيهما أيضاً من إبداعٍ ونظام: ﴿لَآيَاتٍ﴾_أي علامات واضحة تدل على عظمة الخالق سبحانه، وعلى كماله وجماله وقوة سلطانه، فلذلك يَجب أن يُعبَدَ سبحانه بِحُبِّه غاية الحب، وبالخوف منه غاية الخوف، وبالرجاء – في رحمته – غاية الرجاء، وأن يُذكَرَ فلا يُنسَى، وأن يُشكَرَ فلا يُكفَر، وأن يُطاعَ فلا يُعصَى، ولذلك قال بعدها: ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾_يعني إنَّ الذين يَنتفعونَ بهذه الآيات هم الذين يَتقون عذابَ اللهِ وسخطه، فيفعلون أوامره ويَجتنبونَ مَعاصيه.

الآية 7، والآية 8: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: أي لا يَنتظرون لقائنا في الآخرة للحساب والجزاء (لأنهم لا يؤمنون بذلك)، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾_عِوَضًا عن الآخرة ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾_وأحَبُّوها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾_أي لا يَلتفتون إلى آيات القرآن وحُجَجه، ولا يَتفكرون في آيات اللهِ الكونية _﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾_أي مَقرُّهم نارُ جهنم، جزاءً_﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾_ في حياتهم من الشرك والمعاصي.

الآية 9، والآية 10: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ _أي يُوفقهم ربهم إلى العمل المُوصِل إلى جَنَّته – بسبب إيمانهم – ثم يُثيبهم بدخول الجنة، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ _أي تجري الأنهار مِن تحت بَساتينهم وقصورهم ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ أي يَطلبون ما يَشاءونه فيها بكلمة: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾_وهو ثناءٌ على اللهِ تعالى، والغرض منه: طلب إفاضة النعيم من الطعام والشراب وغيره، ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾_أي وتحية اللهِ وملائكته لهم – وكذلك تحية بعضهم لبعضٍ في الجنة – هي قولهم: ﴿سَلَامٌ﴾، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ﴾_يعني: وآخر دعائهم – بعد انتهائهم من الطعام والشراب الذي طلبوه – هو قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾_أي الشُكر والثناء للهِ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

****

2. الربع الثاني من سورة يونس

الآية 11: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾: يعني ولو يُعَجِّلُ اللهُ للناس إجابة دعائهم على أنفسهم بالشر كتعجيله لهم في إجابة دعائهم بالخير: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾_أي لَهَلَكوا وماتوا، ولكنه سبحانه رؤوفٌ حليم، (واعلم أنه يَدخل في ذلك أيضاً: أفعال العباد التي تقتضي تعجيل العقوبة لهم في الدنيا قبل الآخرة، ولكنه سبحانه يُمهلهم ولا يُهملهم، ويَعفو عن كثيرٍ من حقوقه، فلو يُؤاخذهم سبحانه بما كسبوا، ما ترَكَ على الأرض مِن دابَّة).

♦ ومِن ذلك أيضاً: استعجالُ بعض المشركين بالعذاب في الدنيا، كما قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾، فهو سبحانه لم يُعَجِّل للمشركين العذاب والشر في الدنيا استدراجاً لهم، لِيَزدادوا ضلالاً، فيَستحقوا بذلك عذاب الآخرة، ولذلك قال بعدها: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: أي فنترك الذين لا يؤمنون بلقائنا في تمرُّدهم وظلمهم وكُفرهم_﴿يَعْمَهُونَ﴾_أي يَترددون حائرين كالعُميان، لا يَجدون مَخرجاً مما هم فيه من الضلال والعَمَى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ واعلم أنّ لفظ (الناس) الموجود في الآية هو اسمٌ عام لجميع الناس، ولكنْ لَمّا كان الكلام على المشركين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾، ولَمّا كانوا هم أول المستحقين للشر من الناس: قال تعالى بعدها: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

الآية 12: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾_أي استغاث بنا – لِنكشف عنه شِدَّته – سواء كانَ مُضطجعًا على جنبه _﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾_وذلك على حسب الحال التي يكونُ عليها عند نزول البلاء به، _﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾_أي استمرَّ على ما كانَ عليه من الغفلة والجحود قبل أن يُصيبه الضر، وترَكَ الشُكر لربه الذي فرَّج عنه كَرْبَه، كأنه لم يَكن هو ذاكَ الذي دعا بكَشْف ضُرِّه، ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعني وكما زُيِّن لهذا الإنسان استمراره على جُحوده وعِناده بعد أن كَشَفَ اللهُ الضُرَّ عنه، فكذلك زُيِّنَتْ أعمال المُسرِفينَ على أنفسهم بالشِرك والمعاصي، فرأوها حسنة (إذ إنهم يَدعون اللهَ وحده وقت الشدة، ويُشركون به وقت الرخاء).

الآية 13: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾_أي الأمم التي كانت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ - أيها المشركون - ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾_يعني لمَّا أشركوا، ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾_أي بالمعجزات الواضحات من عند اللهِ تعالى، وبالحُجَج التي تبَيِّن صِدق مَن جاء بها ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: أي فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها لِتُصَدِّقَ رُسلها وتنقاد لها، فاستحقوا الهلاك، و ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: وبِمِثل ذلك الإهلاك نَجزي كل مُجرم مُتجاوز لحدود اللهِ تعالى.

الآية 14: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ - أيها الناس - ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾_أي تَخلُفون هؤلاء الظالمينَ بعد هَلاكهم ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾_ثم نُجازيكم على أعمالكم.

الآية 15: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾_القرآنية_﴿بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحات: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي قال المُنكِرون للبعث للنبي محمد: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾_بأنْ تجعل الحلال حرامًا، والحرام حلالاً، وألاّ تَذكُر ما في القرآن مِن عيبٍ لآلهتنا واتِّهامٍ لنا بضَعف العقول، ﴿قُلْ﴾_لهم – أيها الرسول -: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾_أي مِن عند نفسي_﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾_يعني: وما أتَّبع في كل ما آمُرُكم به وأنهاكم عنه_﴿إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾_من ربي،_﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾_بتبديل كلامه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾_وهو عذابُ يوم القيامة.

الآية 16: ﴿قُلْ﴾_لهم – أيها الرسول -: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾_أي لو شاء اللهُ ألاَّ أتلو عليكم هذا القرآن، لَمَا أرسلني به إليكم، ولَبَقِيتُ على الحالة التي كنتُ عليها مِن أول عمري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ﴾: أي فإنكم تعلمون أنني مَكثتُ فيكم مدة طويلة – وهي أربعين سنة – قبل أن يُوحيه إليَّ ربي، ويأمرني بإبلاغه.

♦ وأنتم تعلمونَ أيضاً أنني عِشتُ بينكم أُمِّياً، لا أقرأ ولا أكتب، ولم أشتهر يوماً ما بالبلاغة أو الخطابة أو الحِكمة أو قوة البيان، فدَلّ ذلك على أنّ هذا القرآن الذي تلوتُهُ عليكم، والذي أعْجَزَ أهل اللغة كلهم – رغم براعتهم في الفصاحة والبلاغة – هو وَحْيٌ من عند الله.

www.alukah.net

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: يعني أفلا تستعملون عقولكم لِتعلموا أنّ تلاوته صلى الله عليه وسلم للقرآن هي دليل رسالته؟، إذ لو كان قد اشتهر قبل الوحي بالعِلم والبلاغة، لكانت حالته بعد الوحي معتادة، ولم يكن فيها إعجاز، فدَلَّ عدم تشابه الحالين على أنّ هذا الحال الأخير هو حال رباني خالِص، وأنّ هذا القرآن هو كلامُ اللهِ تعالى.

الآية 17: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: يعني فلا أحد أشد ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ - بأنْ زَعَمَ أنّ له ولداً أو شركاء - ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ﴾ الواضحة، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾: يعني إنّ الذين أجرموا على أنفسهم بالشِرك والمعاصي لا يَنالون الفوز والفلاح في الدنيا ولا في الآخرة.

الآية 18: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يَعبدوه، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إنْ عَبَدوه، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني إنما نَعبدهم لِيَشفعوا لنا عند الله، ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: يعني أتُخبِرون اللهَ تعالى – مِن أمر هؤلاء الشفعاء – بشيءٍ لا يَعلمه في السماوات أو في الأرض؟ فإنه لو كان فيهما شفعاء يَشفعون لكم عنده، لَكانَ أعلم بهم منكم، ولأمَرَكم بعبادتهم لِيُقرِّبوكم إليه، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

الآية 19: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي جماعة واحدة مُتفقين على التوحيد الذي فَطَرَهم اللهُ عليه، ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: أي تفرَّقوا (وذلك بأنْ ثَبَتَ بعضهم على التوحيد، وأصَرّ بعضهم على الشِرك)، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بإمهال العاصين وعدم معاجلتهم بالعقوبة: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي لَقَضى اللهُ بين الناس ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بأن يُهْلك أهل الباطل في الدنيا، ويُنَجِّي أهل الحق.

الآية 20: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: يعني هَلاَّ أنزل اللهُ على محمد معجزة محسوسة – كعصا موسى أو ناقة صالح – لِنَعلم بها صِدقه فيما يقول، ﴿فَقُلْ﴾ لهم – أيها الرسول -: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: أي لا يَعلم الغيب إلا الله، فلو شاء سبحانه أن يَفعل ما طلبتم لَفعَلَ، وإن لم يَشأ لم يَفعل، ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ - أيها المُعانِدون – قضاءَ اللهِ تعالى بنَصْر مَن على الحق مِنّا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (وعلى يقينٍ مِن أنّ اللهَ سينصرني عليكم).

الآية 21: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾: يعني وإذا أذقنا المشركين فرجًا ورخاءً بعد كربٍ وشدةٍ أصابتهم: ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آَيَاتِنَا﴾: يعني إذا هم يُكذِّبون، ويَستهزئون بآياتنا، ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ بكم وأسرع استدراجًا لكم، فـ ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ أي ملائكتنا الحافظين ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ أي يَكتبون عليكم تكذيبكم واستهزائكم وأنتم لا تشعرون (فكتابة الملائكة لِمَكْرِهم: دليلٌ على مَكْر اللهِ تعالى بهم، إذ يُبَيِّتُ لهم المَكْر الذي سيُجازيهم به على مَكْرِهم).

الآية 22: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ - أيها الناس - ﴿فِي الْبَرِّ﴾ على الدَوَابّ وغيرها، ﴿وَالْبَحْرِ﴾ يعني: ويُسَيِّرُكم في البحر في السُّفُن، ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ أي في السُفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ : أي وجَرَتْ السُفن بريح طيبة، وفرح رُكّابها بهذه الريح الطيبة: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي جاءت هذه السُفن ريحٌ شديدة ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أي وأيقنوا أنّ الهلاك قد أحاط بهم: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أي أخلصوا الدعاء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

للهِ وحده، ونَسوا ما كانوا يَعبدون من دونه، فقالوا: ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا﴾_ياربـ﴿مِنْ هَذِهِ﴾_الشدة التي نحن فيها _﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: أي سنكونُ مِن الشاكرينَ لك على نِعَمك، فلا نُشرك بك ولا نَعصيك.

الآية 23: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾_اللهُ من الأهوال والشدائد: ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾_يعني إذا هم يُفسدون في الأرض بالظلم وبالمعاصي،_﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾_يعني إنما عاقبة ظُلمكم ومَعاصيكم راجعةٌ على أنفسكم، فإنكم تُمَتَّعون_﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾_الزائلة_﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ثم نحاسبكم على أعمالكم.

♦ فالعبدُ لابد أن يَعلم أنه مهما طالَ عُمره، فإنه سيَرجع يوماً إلى ربه، ليَسأله على الصغير والكبير، على كل نعمةٍ وكل ذنب، ألاَ فليُعِدّ جواباً لسؤال المَلِك القهار، وذلك بكثرة الحمد والاستغفار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

الآية 24: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾_وما فيها مِن زينةٍ وأموال وغير ذلك: ﴿كَمَاءٍ﴾_أي كَمَثَل مطر _﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾_أي فنَبتتْ بهذا المطر أنواع كثيرة من النباتات التي نَمَتْ وازدهرتْ حتى اشتبك بعضها ببعض، وأثمرتْ الكثير مِن مُختلَف الحبوب والثمار_﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾: أي حتى إذا ظهر حُسْنُ وبهاء هذه الأرض (المزروعة)، ونضجتْ ثمارها ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾: أي ظن أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾: أي جاءها قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات والثمار ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾: أي جعلنا هذه النباتات والأشجار محصودة مقطوعة لا شيءَ فيها_﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾: يعني كأنها لم تكن قائمة على وجه الأرض بالأمس ﴿فكذلك يأتي الفناء على دُنياكم، فيُهلِكها اللهُ تعالى في لحظةٍ خاطفةٍ من ليلٍ أو نهار﴾.

﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ﴾: يعني وَكما بَيَّنا لكم – أيها الناس – مَثَل هذه الدنيا وعرَّفناكم بحقيقتها، فكذلك نُبيِّن أدلتنا ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾_في آيات اللهِ تعالى، فيَجتهدوا في فِعل ما يَنفعهم في الدنيا والآخرة.

الآية 25: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾: يعني واللهُ يَدعوكم إلى جناته التي أعَدَّها لأوليائه، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾_مِن خَلْقه فيُوفقه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾_أي إلى الطريق الواضح الذي لا عِوَجَ فيه، وهو الإسلام.

****

www.alukah.net

3. الربع الثالث من سورة يونس

الآية 26: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: يعني إنّ للمحسنين – الذين اتقوا ربهم، وعَبَدوه بما شَرَع، وأحسَنوا معاملة خَلقِه – أولئك لهم ﴿الْحُسْنَى﴾ أي الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ عليها (وهي النظر إلى وجه اللهِ تعالى في الجنة)، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال – كما في صحيح مسلم -: (إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، يقول اللهُ تعالى: تريدون شيئاً أَزِيدُكُم؟، فيقولون: ألم تُبَيِّض وجوهنا؟ ألم تُدخِلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار؟، قال: فيُرفَعُ الحجاب، فيَنظرون إلى وجه الله، فما أُعْطُوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم)، ثم تَلا صلى الله عليه وسلم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: أي لا يُغطي وجوههم حُزنٌ ولا كآبة ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾، بل يَملأها الفرح والسرور، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 27: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ - مِن ذنوب الشِرك والمعاصي – ف ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ أي لهم جزاءٌ يَسُوؤهم في جهنم بحسب السيئات التي عملوها، ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: أي يُغطي وجوههم ذلٌ ومَهانة، ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: أي ليس لهم مِن مانعٍ يَمنعهم مِن عذاب اللهِ تعالى، ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾: أي كأنَّ وجوههم قد أُلْبِسَتْ قِطَعاً مِن سَواد الليل المُظلِم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ بسبب شِركهم وكُفرهم.

الآية 28، والآية 29: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: أي اذكُر لقومك – أيها الرسول – يومَ نَحشر الخلق جميعاً للحساب والجزاء، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ أي الزَموا مكانكم ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ الذين كنتم تعبدونهم من دون اللهِ لِترَوا ما يُفعَلُ بكم، ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: أي فرَّقْنا بين المشركين ومَعبوديهم، حيثُ يقول المشركون: (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ)، ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ﴾: ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ يعني: فاللهُ وحده يَشهد بأننا لم نكن نعلم ما كنتم تقولونه وتفعلونه، و ﴿إِنْ كُنَّا﴾ أي: ولقد كنَّا ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ لا نشعر بها (وبهذا تبرَّأ شركاؤهم منهم، فلم يَدفعوا عنهم شيئًا من عذاب اللهِ تعالى، بل حصلَ لهم الضررُ منهم، بعدَ ما ظنوا أنهم سيَشفعون لهم عند ربهم).

الآية 30: ﴿هُنَالِكَ﴾ أي في موقف الحساب: ﴿تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾: أي تتذكر كل نفس أعمالها السابقة، وتَختبرها: هل هي ضارةٌ بها أو نافعةٌ لها؟، ثم تُجازَى بحَسبها، ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾: أي ورَجَعَ الجميع إلى اللهِ سَيِّدُهُم الحق لِيَحكم بينهم، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي وغابَ عن المشركين ما كانوا يَعبدون مِن دون اللهِ افتراءً عليه.

الآية 31، والآية 32: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول – لهؤلاء المشركين: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ أي: ومَن يَرزقكم من الأرض بما يُنبته فيها من أنواع النبات والشجر الذي تأكلون منه أنتم وأنعامكم؟، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ يعني ومَن يَملك أسماعكم وأبصاركم، إنْ شاءَ أبقاها لكم وإنْ شاءَ سَلَبَها منكم؟، ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: يعني ومَن الذي يَملك الحياة والموت في الكون كلِّه؟، فيُخرِجُ الجسمَ الحي من الجسم ميت، كإخراج الأشجار والنباتات من الحبوب والنَوى، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كإخراج البيضة من الطائر، ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يعني ومَن الذي يُدبِّر أمْر السماء والأرض وما فيهما من المخلوقات؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾: يعني فسوف يُجيبونك بأنّ الذي يَفعل ذلك كله هو اللهُ وحده، لأنهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَعترفون بأنّ اللهَ تعالى ليس له شريكٌ في تلك الأفعال، ﴿فَقُلْ﴾ لهم – إلزامًا بالحُجَّة –: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: يعني أفلا تخافون عقاب اللهِ إن عبدتم معه غيره؟!

♦ ثم قل لهم: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي المستَحِق وحده للعبادة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾: يعني فأيّ شيء غير الحق إلا الضلال؟، ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾: يعني فكيف تَنصَرِفون عن عبادته إلى عبادة غيره من المخلوقين؟!

الآية 33: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ يعني: وَكَما صَرَفَ اللهُ قلوب هؤلاء المشركين عن الحق إلى الضلال، فكذلك وَجَبَ حُكم اللهِ وقضاؤه ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ – وهم الذين خرجوا عن طاعة ربهم إلى مَعصيته والكفر به واستمروا على ذلك – ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بوحدانية اللهِ تعالى، ولا بنُبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك بسبب إصرارهم وعِنادهم من بعد ما تَبَيَّن لهم الحق.

الآية 34: ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول -: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يعني: هل مِن مَعبوداتكم مَن يَبدأ خَلْق أيّ شيءٍ من العدم، ثم يُميته، ثم يُعيده كهيئته قبل أن يُميته؟، ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ﴾ وحده الذي ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: يعني فكيف تنحرفون عن عبادة المُتَفرِّد بالخَلق إلى عبادة مَن لا يَخلق شيئًا؟!

الآية 35: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي﴾ الناسَ ﴿إِلَى الْحَقِّ﴾ بالبيان والحُجَّة؟، ﴿قُلِ﴾: ﴿اللَّهُ﴾ وحده الذي ﴿يَهْدِي﴾ الضالَّ ﴿لِلْحَقِّ﴾ بالأدلة والبراهين، والإلهام والتوفيق، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو اللهُ سبحانه وتعالى ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ أي يُعبَد ويُطاع ﴿أَمَّنْ لَا يَهِدِّي﴾: يعني: أم تُتَّبَع هذه الأصنام التي لا تهتدي إلى شيءٍ لِعَجْزها، كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، وبالطبع لا تستطيع أن تهدي عابديها إلى ما فيه تحصيل مقاصدهم، كالنصر على الأعداء وغير ذلك.

♦ وأما الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ فهو استهزاءٌ بهذه الآلهة التي لا تهتدي إلى الوصول إلى مكان، إلا إذا نقلها الناس ووضعوها في المكان الذي يُريدونه لها، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بهذا الحُكم الباطل فتُسَوُّونَ بين اللهِ وخلقه؟

♦ ويُذَكِّرُني قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ بقصة فتاة – كانت على النصرانية – وكان عندهم نشيد في الإنجيل يحتوي على كثير من الألفاظ الخارجة عن الأدب والحياء، فكانت هذه الفتاة تستنكر أن يكون هذا كلام الله، وكانت تتألم كثيراً عندما تجد فتاة مُسلِمة تتلو القرآن في المواصلات بصوتٍ مرتفع، ولا تستحي من ذلك، بل تجد ثناءً من الناس عليها، أمَّا هي فكانت تستحي أن تقرأ هذا النشيد أمام الناس حتى لا يُظَنّ بها سُوء.

♦ وفي أحد المرات دخلتْ حُجرتها ليلاً، وأخذتْ تُحَدِّث الصور (التي يَرسمونها ويَظنون أنها للمسيح عليه السلام وأمه)، فقالت لهم: (هل هذا النشيد هو كلام الله؟) – وبالطبع لم ترُدّ عليها الصور – ثم صعدتْ إلى سطح العَقار الذي تسكن فيه، ثم نظرتْ إلى السماء وقالت: (يا ربّ يا حقيقي، هل هذا النشيد هو كلامك؟)، فلما قالت ذلك، سمعتْ أذان الفجر يقول:

www.alukah.net

(اللهُ أكبر اللهُ أكبر)، فكَرَّرتْ السؤال: (يا ربّ يا حقيقي، هل هذا النشيد هو كلامك؟)، فارتفع النداء من مسجد آخر: (اللهُ أكبر اللهُ أكبر)، فبَكَتْ وقالت: (نعم يارب، أنت أكبر وأعظم مِن أن تقول هذا الكلام).

♦ ثم نزلتْ بعد ذلك إلى حُجرتها لتنام، فسمعتْ إقامة الصلاة، وكانَ المسجد الذي بجوارهم يصلي فيه رجل كبير في السن، وكانَ دائماً يقرأ في صلاة الفجر بسورتَي الأعلى والإخلاص، أمَّا في هذا اليوم، فوجدتْ شاباً يُصلي بقوْل اللهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ إلى آخر سورة المائدة.

♦ فعندئذٍ علمتْ أنّ اللهَ تعالى هو الذي أرسل لها هذا الشاب لِيُجيبها على سؤالها، وليُبطِلَ لها ألوهية عيسى عليه السلام، فبهذا هَداها اللهُ تعالى إلى الإسلام عندما لجأتْ إليه سبحانه بصِدق.

الآية 36: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾: أي وما يَتَّبع أكثر هؤلاء المشركين – في تَسمِيَتِهم للأصنام بالآلهة واعتقادهم بأنها تقرِّبهم إلى اللهِ تعالى – إلا تخميناً وتقليداً لآبائهم بغير دليل، حتى اعتادوا على ذلك وظنوه حقّاً وهو لا شيء، فـ ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي لا يُغني عن العِلم شيئاً، والمطلوب في العقيدة: العِلم لا الظن، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، وسيُعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

♦ واعلم أنّ الظن يأتي في القرآن بأكثر من معنى، فيأتي أحياناً بمعنى الاعتقاد الجازم الذي لا شك فيه، كقوله تعالى: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ)، ويأتي أحياناً بمعنى الاعتقاد المشكوك فيه، كقول قوم نوح عليه السلام: (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)، ويأتي أحياناً بمعنى الاعتقاد الخاطىء، كقوله تعالى: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ).

الآية 37: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: وما كان لأحدٍ أن يأتي بهذا القرآن غير اللهِ تعالى، لأنه لا يَقدِرُ على ذلك أحدٌ من الخَلق، ﴿وَلَكِنْ﴾ أنزله اللهُ رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على العباد أجمعين، فكانَ هذا القرآنُ ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي موافقاً للكتب السماوية السابقة (مُصدقًا لما فيها مِن صِحَّة، ومبيِّنًا لِما فيها من تحريف)، ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ – لأحكام الحلال والحرام وجميع الإخبارات الصادقة – ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾_أي لا شك في أنه تنزيلٌ ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الآية 38: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: يعني بل يقولون: (إنّ هذا القرآن قد افتراه محمد مِن عند نفسه)، مع أنهم يعلمون أنه بشر مِثلهم!! إذاً ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول –: إذا كانَ هذا من كلام البشر ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي مِثل هذا القرآن في أسلوبه وهدايته، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي واستعينوا على ذلك بكل مَن قَدَرْتم عليه مِن إنسٍ وجن ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم (ولو كان ذلك مُمكِنًا: لادَّعَوا قدرتهم على فِعله، ولأتَوْا بمِثله، ولكنْ لَمَّا ظَهَرَ عَجزُهُم: تبيَّنَ أنَّ ما زعموه باطل).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 39: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي سارَعوا إلى التكذيب بالقرآن وما فيه من الوعد والوعيد قبل أن يَتدبروا آياته، وقبل أن يفهموه حق فهمه، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: أي وسوف يأتيهم ما وُعِدوا به في القرآن (من العذاب الذي يَؤول إليه أمْرهم يوم القيامة)، وسيَعلمون حينها مَن على الحق ومن على الباطل، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ بعذاب اللهِ حتى ذاقوا بأسَه، ﴿فَانْظُرْ﴾ أيها الرسول ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، (وفي هذا إرشادٌ إلى التثبت في الأمور، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يُسارع بقبول شيءٍ أو رَدِّه، قبل أن يُحيطَ به عِلمًا).

الآية 40، والآية 41: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني: ومِن قومك - أيها الرسول - ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي يُصَدِّق بالقرآن، ولكنه يُخفِي إيمانه خوفاً مِن أذى المشركين، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ كِبراً وعِناداً.

♦ ويُحتمَل أن يكون المعنى: أنّ اللهَ تعالى أرادَ أن يُصَبِّر رسوله على عدم إيمان قومه - رغم ظهور الأدلة وقوة البراهين - فقال له: (وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) أي: مِن المشركين مَن سيُؤمن بالقرآن في المستقبل، (وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ) فيَموت على كُفره، (وبالفِعل، فقد آمَنَ عددٌ كبير من المشركين ولم يُؤمن عددٌ آخر).

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ الذين لا يؤمنونَ - بسبب اتِّباعهم لأهوائهم - فسيُجازيهم ربهم على ذلك بأشد العذاب، (وقد سَمّاهم اللهُ تعالى: (مفسدين) لأنهم يُفسدون عقول الناس ويَصدونهم عن الإيمان والتوحيد)، ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ أي استمَرُّوا على تكذيبك ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ يعني: لي ثواب عملي (على تبليغي وطاعتي للهِ تعالى)، ولكم جزاء عملكم (على شِرككم وتكذيبكم)، ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾: يعني فأنتم لا تُسألون عن عملي، وأنا لا أُسأل عن عملكم.

الآية 42، والآية 43، والآية 44: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني: ومِنَ هؤلاء المشركين ﴿مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أي يَسمعون تلاوتك للقرآن ولكنهم لا يَهتدون، ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: يعني أفأنت - أيها الرسول - تَقْدر على إسماع الصُمّ؟ والجواب: لا، فكذلك أنت لا تقدر على هداية هؤلاء المشركين، لأنهم كالصُمّ، حيثُ لا يَسمعونك سماع تدبُّر وانتفاع، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني: وخصوصًا إذا كان عقلهم مَعدومًا، لأنهم قد سمعوا ما بِهِ تقومُ الحُجَّة عليهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ أي يَنظر إلى هَدْيِكَ وأخلاقك وإلى أدلة نُبُوَّتك الصادقة، ومع هذا فهم لا يَهتدون، بسبب تكَبُّرهم عن الانقياد للحق، ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾: يعني أفأنت تقدر على أن تَخلق للعُمْي أبصارًا يَهتدون بها؟! فكذلك أنت لا تقدر على هدايتهم، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ يعني: وخصوصًا إذا كانوا فاقدي البَصيرة - وإنما هدايتهم بإذن اللهِ وحده - إذاً فلا تحزن عليهم.

♦ وفي هذا إشارة إلى أنّ عدم هدايتهم كان بسبب استحبابهم العَمَى على الهُدَى وإيثارهم للدنيا على الآخرة، ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي يُعَرِّضونها لغضب اللهِ وعقابه (إذ يأتيهم الحق فلا يَقبلونه، فيُعاقبهم اللهُ بالطبع على قلوبهم، والخَتم على أسماعهم وأبصارهم).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 45: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: واذكر أيها الرسول يومَ يَجمعهم اللهُ تعالى للبعث والحساب، فيَكونون ﴿كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا﴾ أي كأنهم لم يَمكثوا في الدنيا (وهم أحياء) ولا في قبورهم (وهم أموات) ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾، فكأنهم قد نسوا في تلك اللحظة كل ما مَرَّ بهم في الدنيا وكل ما مَرَّ بهم في القبر، وذلك لِمَا شاهَدوه من أهوال القيامة، ولِطُولِ وقوفهم في حر الشمس، ولِتَغطية العرق لجميع جسدهم، وبسبب رؤيتهم لجهنم التي سيُعذبون فيها (والإنسان إذا عَظُمَ خوفه: نَسِيَ كل ما مَرَّ به مِن نعيمٍ أو عذاب، خاصةً إذا قارَنَ ذلك بعذاب الآخرة الأبدي).

♦ وهم في هذا الموقف ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: أي يَعرف بعضهم بعضًا كحالهم في الدنيا (واعلم أنّ هذا التعارف هو تعارف توبيخ، حيث يقول بعضهم لبعض: (أنت أضللتني وأنت أغَنتَني على الكفر والشرك)، وغير ذلك)، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ حيث استبدلوا النعيم المقيم بالعذاب الأليم، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي وما كانوا مُوَفَّقين لإصابة الرشد فيما فعلوا في الدنيا.

الآية 46: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يعني: وإمّا أن نُريَكَ - أيها الرسول - في حياتك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العقاب - كما حدث في بدر - ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نُريَكَ ذلك فيهم: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الحالتين بعد موتهم ﴿ثُمَّ﴾ نُصيبهم بالعذاب الذي نَعِدهم، والذي استحقوه بأفعالهم، فقد كانَ ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾، ولم يَخفَ عليه شيءٌ من أفعالهم.

الآية 47: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ أي: وقد كانَ لكل أمّةٍ - مَضَتْ - رسولٌ أرسله اللهُ إليهم لِيُوَحِّدوا ربهم ويُطيعوه، ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ في الآخرة لِيَشهد عليهم: ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

الآية 48، والآية 49: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي ويقول لك المشركون - أيها الرسول- : ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي متى تقوم هذه القيامة التي تَعِدوننا بها أنت ومَن اتَّبعك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: أي لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضَرًا، ولا أجلب لها نفعًا ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يَدفع عني مِن ضرٍّ أو يَجلب لي مِن نفع، إذاً فكيف لي أن أُعَجِّلَ لكم العذاب، إذا كانَ اللهُ يريدُ تأجيله؟! وكيف لي أن أحدِّدَ لكم موعده؟! ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: أي لكل قومٍ وقتٌ لانتهاء أجلهم، فـ ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً﴾ لِيَعتذروا ويتوبوا، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي ولا يَتقدم أجلهم عن الوقت المعلوم.

الآية 50، والآية 51: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول - لهؤلاء الذين يَستعجلونك بعذاب الله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ يعني أخبِروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا﴾ أي وقت نومكم بالليل ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ في وقت غفلتكم: أتطيقونه وتقدرون تحَمُّلَه؟! إذاً فـ ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾: يعني فما الذي يَدفعكم أيها المشركون حتى تستعجلوا بنزول العذاب؟!، فإنه لا يَعودُ عليكم إلا بالهلاك.

♦ وقد كان المتوقَّع أن يقول لهم سبحانه: (ماذا تستعجلون منه؟)، أي بصيغة المُخاطَب، لأنّ الخطاب كانَ موجهاً إليهم في قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾، ولكنه قال لهم: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾، أي بضمير الغائب، وذلك تهميشاً لهم واحتقاراً لشأنهم، والله أعلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آَمَنْتُمْ بِهِ﴾: يعني أبَعدَما وقع العذاب بكم: آمنتم به في وقتٍ لا يَنفعكم فيه الإيمان؟، وقيل لكم حينئذ: ﴿آَلْآَنَ﴾ تؤمنون به ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ إنكاراً له واستخفافاً به؟!

الآية 52: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي العذاب الدائم، فـ ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ في حياتكم من الشرك والمعاصي؟ (والسؤال للتقرير والتوبيخ، وجوابه: نعم).

****

4. الربع الرابع من سورة يونس

الآية 53: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾: يعني ويَسألك مُشركو قومك – أيها الرسول – عن العذاب يوم القيامة: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ يعني: نعم وربي إنه لَحَقٌّ لا شك فيه، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لن تُعجِزوا اللهَ تعالى في أن يَبعثكم ويُجازيكم، فأنتم في قبضته وسلطانه.

الآية 54: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ - أي أشركَتْ باللهِ تعالى - ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني لو أنها امتلكتْ جميع ما في الأرض وكانَ في إمكانها أن تجعله فداءً لها من عذاب يوم القيامة: ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾، وإنْ فعلتْ ذلك، فلن يُقبَلَ منها، لأنه يومٌ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، إلا مَن أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾: يعني وأخفى الذين ظلموا حسرتهم ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ واقعٌ بهم يوم القيامة، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ أي قضى اللهُ بينهم بالعدل، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ لأن اللهَ تعالى لا يُعاقِب أحداً بذنب أحد (إلا مَن كانَ سبباً في إضلال الناس ولم يَتُب عن ذلك الإضلال).

الآية 55، والآية 56: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ﴾ وحده جميع ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو سبحانه المُتفرِّد بالمُلك والإحاطة والتدبير، فيَفعل سبحانه ما يشاء في الوقت الذي يشاء، لا يَمنعه من ذلك مانع، ولهذا قال بعدها: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: يعني ألاَ إنّ لقاءَ اللهِ تعالى وعذابه للمشركين كائنٌ يوم القيامة لا مَحالة، لأنه سبحانه لا يُعارضه أحد في تحقيق ما يريد، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (واعلم أنّ كلمة: (ألاَ) هي كلمة تأتي في أوّل الكلام للتنبيه، ومعناها: (انتبهوا لِما أقوله لكم)).

♦ ثم ذكَرَ سبحانه الدليل على قدرته على البعث والإحياء، فقال: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي هو وحده المُتفرِّد بالإحياء والإماتة، وأنتم تعلمون ذلك أيها المشركون، فلقد كنتم أمواتًا – وأنتم في العَدم – فأوجدكم سبحانه ونَفَخَ فيكم الحياة، فكذلك لا يُعجزه إحياء الناس بعد موتهم، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم للحساب والجزاء.

الآية 57: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تُذكِّركم عقابَ اللهِ وتُخوِّفكم وعيده، وهي هذا القرآن وما اشتمل عليه من الآيات والعِظات لإصلاح أخلاقكم وأعمالكم، ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: وهذا القرآنُ دواءٌ لِمَا في القلوب من

www.alukah.net

الجهل والشرك وسائر الأمراض، ﴿وَهُدًى﴾ أي: وهو رُشدٌ لِمَن اتَّبعه مِن الخَلق، فيُنَجيه من الهلاك، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي وجعله سبحانه رحمةً للمؤمنين – وخَصَّهم بتلك الرحمة لأنهم المنتفعون به، وأما الكافرون فلا يَزيدهم القرآن إلا هلاكاً، لأنه قد أقام الحُجَّة عليهم –، فآمِنوا أيها الناس بهذا القرآن وتداووا به، وتعَلَّموه واعملوا به: تَشْفوا وتَسعَدوا في الدنيا والآخرة.

الآية 58: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ أي بَلِّغْ أيها الرسول جميع الناس أنْ يَفرحوا بالقرآن وعلومه وبالإسلام وشرائعه، فـ ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مِن متاع الدنيا الزائل (قال أبو سعيد الخُدري وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهم: (فضْلُ الله: القرآن، ورحمته: الإسلام).

♦ فالقرآن هو أعظم فضل تفضَّلَ اللهُ به على عباده، والإسلام – وما يَحتوي عليه من عبادة اللهِ تعالى ومَعرفته ومَحَبَّته – هو أعظم رحمة للناس، لأنه المُنَجِّي لهم من عذاب جهنم، المؤَدِّي بهم إلى السعادة والسرور في جنات النعيم.

الآية 59: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول – لهؤلاء المُعاندين: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾: يعني أخبِروني عن هذا الرزق الذي خلقه اللهُ لكم من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ أي فحَلَّلتم بعضه لأنفسكم وحَرَّمتم بعضه، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ بذلك التحليل والتحريم؟! ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: يعني أم تَكذبونَ على اللهِ تعالى فيما تقولون؟ (والغرض من هذا الاستفهام: هو تقريرهم بذلك الإثم العظيم وتوبيخهم عليه).

الآية 60: ﴿وَمَا ظَنُّ﴾ هؤلاء ﴿الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ - بتحريم ما أحَلَّهُ الله وتحليل ما حَرَّمَه الله – فما ظنهم أنّ اللهَ فاعلٌ بهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؟ أيَحسبون أنه يَصفح عنهم ويَغفر لهم؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بتركِهِ مُعاجلة مَن افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وإمهاله إياه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي لا يشكرونَ اللهَ على ذلك الإمهال – بأن يتوبوا ويَنتهوا عَمّا هم فيه –، بل يَزيدهم هذا الإمهال طغياناً.

الآية 61: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ - أيها الرسول - ﴿فِي شَأْنٍ﴾ مِن شئونك ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ أي: وما تتلو مِن كتاب اللهِ مِن آيات ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ يا أمّة محمد ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ خيراً كانَ أو شراً: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي حُضوراً مُطَّلِعين عليكم ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي وقت ابتدائكم في ذلك العمل واستمراركم عليه، فنحفظه عليكم ونَجزيكم به.

♦ فراقِبوا الله في أعمالكم ، وأدُّوها بإخلاصٍ وإتقان، وجدٍّ واجتهاد، وإياكم وما يُغضِبُ اللهَ تعالى، فإنه مُطَّلِعٌ عليكم، عالِمٌ بظَواهركم وبَواطنكم، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ أي ما يَغيبُ عن عِلم ربك ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أي ما يُعادل وزن ذرةٍ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا﴾ مُثبَتٌ ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي في كتابٍ عند اللهِ واضح، أحاطَ به عِلمه وكَتبه قلمه (وهو اللوح المحفوظ).

الآية 62، والآية 63، والآية 64: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة مِن عقاب اللهِ تعالى، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

♦ ثم وضَّح سبحانه صفات هؤلاء الأولياء ، فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي باللهِ ورسوله وعملوا بشرعه ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ اللهَ بامتثال أوامره، واجتناب معاصيه، فأولئك ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ مِن الله تعالى ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يَسُرُّهم، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالجنة، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ : أي لا يُخلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ولا يُغيِّرُه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لأنه اشتمل على النجاة مِن كل مَحذور، والفوز بكل مطلوبٍ ومحبوب (وعلى هذا فكُلُّ مؤمنٍ تقيٍّ هو وليٌّ للهِ تعالى، ولكنْ تختلف درجة ولايته بحسب إيمانه وتقواه).

الآية 65: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ : أي ولا يَحزنك – أيها الرسول – قول المشركين في ربهم بأنّ له شركاء؛ ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: يعني فإنّ اللهَ تعالى هو المُتفرِّد بالقوة الكاملة والقدرة التامة في الدنيا والآخرة، فلن يَضُرَّه سبحانه قولهم وافتراؤهم، و ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم ونيّاتهم، وسيُجازيهم عليها.

♦ ويُحتمَل أن يكون المعنى : (ولا يَحزُنك أيها الرسول قول المُكَذِّبين فيك بأنك تفتري الكذب على ربك، فإنَّ أقوالهم لا تضرك شيئًا، وإذا كنتَ تظن أنهم أهْلُ عزة، فاعلم أنّ عِزَّتهم محدودة وزائلة، والْعِزَّةَ الحق للهِ تعالى وحده، يُعطيها مَن يشاء، ويَمنعها عَمَّن يشاء، وسوف يُعطيها لك وللمؤمنين ويَنصركم عليهم، وهو سبحانه السميع العليم، فاكتَفِ بعِلم اللهِ وكفايته، فإنّ مَن يتوكل على اللهِ فهو حَسْبُه).

الآية 66: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ﴾ وحده جميع ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الملائكة والإنس والجن وغير ذلك من المخلوقات، فليس لأحدٍ غيره في هذا الكون شيئاً، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ يعني: وما يَتَّبع المشركون في الحقيقة شركاءَ للهِ تعالى، فإنه ليس له شريكٌ أصلاً، و ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ يعني: وما يَتَّبعون _﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ الناتج عن التخمين واتِّباع الآباء بغير دليل، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يعني: وما هم إلا يَكذبون فيما يَنسبونه إليه سبحانه.

الآية 67: ﴿هُوَ﴾ سبحانه_﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أيها الناس، وتستريحوا من التعب في طلب الرزق، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: أي وجعل سبحانه النهار؛ لِتُبصِروا فيه، ولِتسعَوْا في طلب رزقكم، _﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: يعني إنَّ في اختلاف حال الناس في الليل والنهار، وفي عناية اللهِ تعالى بمصالح خلقه: ﴿لَآيَاتٍ﴾ على أنّ اللهَ وحده هو المستحق للعبادة.

♦ ثم خَصَّ سبحانه الذين يَنتفعون بهذه الآيات بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي يَسمعون هذه الحجج، ويَتفكرون فيها.

♦ ومِن لطيف ما يُذكَر أنّ اللهَ تعالى شاءَ أن يأتي بالأسلوب القرآني المُعجِز في قوله: ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، فقد أثبت العلم الحديث أنّ العين لا تُبصِرُ بذاتها، وإنما تُبصِرُ بعد انعكاس الضوء عليها (بدليل أنه إذا كانَ هناك شخصٌ يقف في حجرةٍ بها مصباح مُضيء، وأنت تقف في الظلام فإنك تراه، وإذا كان نفس الشخص يقف في الظلام فأنت لا تراه، إذاً: فإنّ ضوء المصباح هو الذي عَكَسَ الرؤية إلى عينك فأبْصَرَتْ)، وكذلك فإنّ النهار هو المُبصِر؛ لأنه جاء بالضوء اللازم لِيَنعكس إلى العيون حتى تستطيع الإبصار، فسبحان مَن عَلَّمَ محمداً صلى الله عليه وسلم – النبي الأُمِّي – هذه الحقيقة.

www.alukah.net

الآية 68: ﴿قَالُوا﴾ أي قال المشركون: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ - وذلك كقولهم: الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله، أو عزيرٌ ابن الله - ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي تَنَزَّهَ اللهُ عن ذلك كله وتبرّأ، فـ ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كل ما سواه، لأنه سبحانه ليس مُحتاجًا إلى ولدٍ كما يحتاجُ البشر، (فإنَّ البشر يحتاجون إلى ولدٍ يَخدمهم ويَرعاهم في كِبَرهم، وعند مَرَضهم، وحالَ ضَعفِهم)، أما اللهُ تعالى فهو القوي الغني الذي لا يحتاجُ إلى شيءٍ مما يحتاجُه البشر، ولأنه سبحانه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فكل ما في السماوات والأرض مِلْكه وعبيده، فكيف يكونُ له ولدٌ مِمَّن خَلَق، وكُلُّ شيءٍ مملوكٌ له؟!

♦ فهذا أكبر دليل على بُطلان نسبة الولد للهِ تعالى، إذ هو خالقُ كل شيء، فهل يُقالُ لِمَن خَلَقَ شيئاً أنه وَلَدُهُ؟! لو صَحَّ هذا لقالوا لِكُلّ مَن صَنَعَ شيئاً إنه أبو المصنوع، ولا يوجد قائلٌ بهذا أبداً، إذاً فأيُّ معنى لِنسبة الولد إليه سبحانه، إلا تزيين الشياطين للباطل حتى يَقبله أولياؤهم من الإنس ؟!، ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾: أي ليس عندكم دليلٌ على ما تفترونه من الكذب، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؟!

الآية 69، والآية 70: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول – لقومك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ - بأن يَنسبوا له الولد أو الشريك - ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي لا ينالون الفوز والفلاح في الدنيا ولا في الآخرة، إنما هو ﴿مَتَاعٌ﴾ قصير يُمَتَّعونه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بعد انتهاء آجالهم ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ في جهنم، جزاءً ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

****

5. الربع الخامس من سورة يونس

الآية 71: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾: أي اقصُص – أيها الرسول – على كفار "مكة" خبر نوح عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ يعني إنْ كانَ ثَقُلَ عليكم وجودي بينكم، وضاقت أنفسكم من دَعْوَتي لكم ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ لكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ وحُجَجه: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي فعلى اللهِ وحده اعتمادي، وبه ثقتي في أن يَحفظني مِن شَرِّكم، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾: أي فأعِدُّوا لي ما استطعتم مِن مَكرٍ وقوة حتى تؤذوني، وادعوا أيضاً شركاءكم المزعومين ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي لا تجعلوا كيدكم لي في الخفاء، بل اجعلوه ظاهرًا منكشفًا، ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾: أي اقضوا عليَّ بالعقوبة وأَصيبوني بالسُوء الذي في إمكانكم ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: أي لا تُمهِلوني، بل عَجِّلوا بعقوبتي، فإني لا أهتم بآلهتكم، لاعتمادي على حِفظ اللهِ وحده.

الآية 72، والآية 73: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي فإنْ أعرضتم عن دَعْوَتي: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾: يعني فإنني لم أطلب منكم أجرًا على دَعْوَتي لكم حتى تُعرِضوا؛ ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: أي فثَوَابي عند ربي وأجري عليه سبحانه، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي المُنقادين لِحُكم اللهِ تعالى وأوامره.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي استمَرُّوا على تكذيبه، فدَعانا لِنُصرَته ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ أي في السفينة، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ أي يَخلُفون هؤلاء المُكذِّبين، ويَسكنون الأرض بعدهم – جيلاً بعدَ جيل –، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿بِآيَاتِنَا﴾ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾: أي فتأمل - أيها الرسول – كيف كان عاقبة القوم الذين أنذَرَهم رسولهم بعذاب اللهِ فكذَّبوه.

♦ واعلم أنّ في تلاوة هذا القَصَص فائدتان: (الأولى: تصبير الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاه مِن أذى قومه، والثانية: تنبيه المشركين وتحذيرهم من الاستمرار على الشِرك والعصيان حتى لا يَحِلّ بهم مِن العذاب ما حَلّ بغيرهم).

الآية 74: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي أرسلنا مِن بعد نوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ (كصالح وهود وإبراهيم ولوط وشعيب وغيرهم) ﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي فجاء كُلُّ رسولٍ قومه بالمعجزات الدالَّة على صِدق رسالته، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ ﴾: يعني فلم يُقِرّ أقوامهم بالتوحيد، كما لم يُقِرّ به قومُ نوح ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾: يعني وكما ختمنا على قلوب هؤلاء الأقوام – لإصرارهم على الشرك وعدم توبتهم منه –، فكذلك نَختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ الذين تجاوزوا حدود اللهِ تعالى في كل زمان (عقوبةً لهم على شِركهم وعلى مخالفتهم لرسلهم).

♦ ويُحتمَل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي: فما كان اللهُ لِيَهديهم للإيمانِ ﴿ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي بسبب تكذيبهم بهذه الآيات الواضحة عندما جاءتهم أول مرة (جزاءً لهم على رَدِّهم الحق)، كما قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، واللهُ أعلم.

الآية 75، والآية 76: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ - أي مِن بعد هؤلاء الرسل – أرسلنا ﴿مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ - وهم أشراف قومه - ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي بالمعجزات الدالّة على صِدقهما، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: أي فاستكبر فرعون وأشراف قومه عن قَبول الحق ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ حيث أفسدوا القلوب والعقول، وسفكوا الدماء وعذَّبوا الضعفاء، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ وهي الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام (وعددها تسع)، ﴿قَالُوا﴾ أي قال فرعونَ وقومَه – ليتخلصوا من الهزيمة التي أصابتهم أمام قومهم - : ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي إنَّ هذا لَسِحرٌ ظاهر.

الآية 77: ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَى﴾ مُتعجباً: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه سِحر؟! ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾؟! أي انظروا إلى وَصْف ما جئتكم به، تجدوه الحق، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ يعني: واعلموا أنّ الساحرين لا يُفلحون ولا يَنتصرون، لأنّ صَنيعهم ما هو إلا تخييل وتمويه لعيون الناس، (وقد عَلِموا بعد ذلك – وظَهَرَ لكل أحد - مَن الذي سَحَرَ أعين الناس، ومَن الذي أبْطَلَ السِحر بما معه من الحق فأفلح وانتصر).

الآية 78: ﴿قَالُوا﴾ أي قال فرعون ومَلؤه لموسى عليه السلام: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ أي لِتَصْرِفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾؟، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي وحتى يَكونُ لكما – أنت وهارون – العظمة والسلطان في أرض "مصر"؟، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: يعني وما نحن بمقرِّين لكما بأنكما رسولان أرسلكما اللهُ إلينا لنعبده وحده ولا نُشرك به.

الآية 79: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لجنوده: ﴿ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ أي مُتقِن للسحر.

www.alukah.net

الآية 80، والآية 81، والآية 82: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾: ﴿أَلْقُوا﴾ على الأرض ﴿مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ مِن الحبال والعِصِيِّ التي معكم، ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى ﴾ لهم: إنَّ ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ ﴾ وألقيتموه هو ﴿السِّحْرُ﴾، و ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ ويَفضحكم أمام الناس ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ الذين أفسدوا في الأرض بالشِرك والمعاصي، ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾: أي وسوف يُظهِرُ اللهُ الحقَّ الذي جئتُكُم به، وسَيُعلِيهِ على باطلكم ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي بأمره، إذ يقولُ سبحانه للشيء كُن فيكون ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الآية 83: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي بعض الشباب من بني إسرائيل، آمَنوا بموسى عندما انتصر على السَحَرة، وكذلك آمَنَ عدد قليل من آل فرعون (كامرأة فرعون ومُؤمن آل فرعون)، ولكنهم كتموا إيمانهم، وهم ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ أي وهم خائفون من فرعون أن يَفتنهم بالعذاب، وخائفونَ أيضاً من سادة قومهم أن يُحَرِّضوا فرعون عليهم لِيُعَذبهم، وهذا التحريض كقول الملأ لفرعون: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾، فقال لهم فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾، إذ كانَ أمْرُ العذاب بيد فرعون لا بيد الملأ، ولعل هذا هو السبب في أنّ اللهَ تعالى قال: ﴿ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ بضمير المُفرَد، ولم يقل: ﴿ أَنْ يَفْتِنوهُمْ﴾، ولأنّ إنكار الملأ عليهم إنما هو لِخَوفهم من فرعون أن يَسلبهم رئاستهم، فلذلك انحصر الخوف في فرعون، واللهُ أعلم).

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ أي ظالمٌ مستكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي في أرض مصر المليئة بالخيرات والنعم، ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد في الكفر والفساد.

الآية 84، والآية 85، والآية 86: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ﴾ أي فثِقوا بنصره، وسَلِّموا لأمْره ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ يعني إن كنتم خاضعينَ له بالطاعة والانقياد، ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي عليه اعتمدنا وإليه فوّضنا أمْرَنا، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تنصر الكافرين علينا، فيكون ذلك فتنةً لنا عن الدين، أو يُفتَن الكفارُ بنَصْرِهم، فيقولوا: (لو كان هؤلاء على الحق، ما غُلِبوا)، ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ وهم فرعون ومَلَئِه؛ لأنهم كانوا يُكَلِّفون بني إسرائيل بالأعمال الشاقة.

الآية 87: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ ﴾ هارون ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ أي اتَّخِذا لقومكما بيوتًا في "مصر" تكونُ مَساكن ومَلاجئ لتحتموا بها مِن بطش فرعون وقومه، ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ أي أماكن تُصَلُّون فيها عند الخوف ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي أدُّوها في أوقاتها على الوجه الذي شرَعَه اللهُ لكم ، ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا موسى ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر في الدنيا وبالجنة في الآخرة.

الآية 88: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ - وهو يدعو ربه - : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فلم يَشكروا نِعمَكَ ﴿رَبَّنَا﴾، وإنما استعانوا بهذه الأموال ﴿لِيُضِلُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾، ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أتلِفها عليهم (إمَّا بالهلاك، وإمَّا بجَعْلها حجارة)، حتى لا يَنتفعوا بها، ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي اختم على قلوبهم حتى لا تنشرح للإيمان ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

الآية 89: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى لهما: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ في فرعون وملئه وأموالهم (وقد كان موسى يدعو، وهارون يُؤَمِّن على دعائه، ومِن هنا نُسِبَتْ الدعوة إلى الاثنين في قوله تعالى: ﴿دَعْوَتُكُمَا﴾).

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على دينكما، واستمِرَّا على دعوة فرعون وقومه إلى توحيد اللهِ وطاعته ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي لا تسلكا طريق مَن لا يَعلم حقيقة وعدي ووعيدي، (واعلم أن النون التي في قوله: ﴿ولا تَتَّبِعَانِّ﴾ تُسَمَّى نون التوكيد).

****

6. الربع الأخير من سورة يونس

الآية 90، والآية 91، والآية 92: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾: أي قطعنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوَزوه إلى شاطئه سالِمين، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ أي مَشوا في البحر وراءهم ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ أي ظلمًا واعتداءً بغير حق، (لأنه ليس له أيّ حق في أن يَمنعهم من الخروج مِن بلده إلى بلدهم).

﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾: أي حتى إذا أحاط الغرق بفرعون: ﴿قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني: وأنا من المستسلمين لهذا الإله بالانقياد والطاعة، ﴿آَلْآَنَ﴾ يا فرعون عندما نزل بك الموت تقرُّ للهِ بالعبودية ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: أي وقد عصيته قبل نزول عذابه بك ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الصادِّين عن سبيله! فلا تنفعك التوبة ساعة الاحتضار، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي سنُنَجِّي جسدك من الغرق، لِيَنظر إليك مَن كَذَّبَ بهلاكك، و ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً﴾: أي لتكون لِمن بعدك من الناس عِبرةً يَعتبرون بك، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (فلا يتفكرون فيها ولا يَعتبرون).

الآية 93: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: أي أنزلنا بني إسرائيل منزلاً صالحًا طيباً في أرض فلسطين وبلاد الشام، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: أي رزقناهم الرزق الحلال الطيب من خيرات هذه الأراضي المباركة، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: أي فما اختلف اليهود في أمْر دينهم إلا مِن بعد ما جاءهم العلم المُوجِب لاجتماعهم (ومِن ذلك ما اشتملت عليه التوراة من الإخبار بنُبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ - أيها الرسول - سوف ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمْرك، فيُدخِل المُكذبين بك النار، ويُدخِل المؤمنين بك الجنة (كعبد الله بن سلام وغيره).

الآية 94، والآية 95: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ أي في شأن بني إسرائيل مِن أنهم يَعلمون أنك رسول الله: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ مِمَّن آمَنَ بك من علماء التوراة والإنجيل المُنصِفين – كعبد الله بن سَلام وغيره – فإنّ ذلك ثابتٌ في كُتبهم، ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ بأنك رسول الله، وأنّ هؤلاء اليهود والنصارى يَعلمون صحة ذلك، ويَجدون صفتك في كُتبهم، ولكنهم يُنكرون ذلك كِبراً وحسداً، لأنهم كانوا يرجونَ أن يكون الرسول الخاتَم مِن بني إسرائيل وليس من العرب.

www.alukah.net

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي فلا تكونن من الشاكّين في صحة ذلك، (واعلم أنّ هذا الخطاب من باب الفرض، فقد ثبت عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال – في هذه الآية –: (لم يَشُكّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسأل)، وكذلك فإنّ هذه الجملة: (فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) تُعَدُّ دافعاً لأهل الكتاب أن يَسألوا علمائهم الصادقين ويؤمنوا.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾_(فهذه الآيات – وإن كانت خطابًا للرسول صلى الله عليه وسلَّم - فإنها موجَّهة للأمَّة عموماً، وإلاَّ، فكيف يَشُكّ الرسول صلى الله عليه وسلم وقد صعد به جبريل عليه السلام إلى سِدرة المنتهى – بعد السماء السابعة – وكَلَّمَ ربه سبحانه وتعالى ورأى الجنة والنار بعينيه؟!).

♦ واعلم أنّ كل خطاب من اللهِ تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، هو خطاب لجميع الأمّة، إلا ما كان خاصّاً بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، كقول اللهِ تعالى له: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ).

الآية 96، والآية 97: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ بطَرْدهم مِن رحمته – بسبب إصرارهم وعِنادهم –: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بحُجَج اللهِ تعالى، ولا يُقِرُّون بوحدانيته، ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴾، إذ لا تزيدهم الآيات إلا طغياناً، ثم يَستمرون على ذلك ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ واقعاً بهم، فحينئذٍ يؤمنون، ولكنْ لا يَنفعهم إيمانهم.

الآية 98: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ﴾: يعني إنه لم ينفع أهلَ قريةٍ إيمانُهُم عند نزول العذاب بهم ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ عليه السلام، فإنهم ﴿لَمَّا آَمَنُوا﴾ وصَدَقوا في توبتهم – عندما أيقنوا أن العذاب نازلٌ بهم ورأوا علاماته - : ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ - أي عذابَ الذل والمَهانة - ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وذلك بعد أن كانَ العذابُ قريباً منهم، ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾: أي وتركناهم في الدنيا يتمتعون بالحلال الطيب إلى وقت انتهاء آجالهم، (فلماذا لا يَتوبُ أهل مكة كما تاب قوم يونس؟!).

♦ ولعل الحِكمة مِن رفع العذاب عن قوم يونس دونَ باقي الأمم: أنّ اللهَ تعالى عَلِمَ أنَّ غيرهم من المُهلَكين لو رُفِعَ عنهم العذاب: لَعَادوا لِمَا نُهُوا عنه، وأما قوم يونس، فإنه سبحانه عَلِمَ أنّ إيمانهم سيَستمر، وقد استمر فعلاً وثَبَتوا عليه.

الآية 99، والآية 100: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ بما جئتَهم به – أيها الرسول –، فهو قادرٌ على ذلك، ولكنه سبحانه يَهدي مَن يشاء ويُضِلّ مَن يشاء وَفْق عدله وحِكمته، ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي ليس في استطاعتك أن تفعل ذلك، ولم يُكَلِّفك اللهُ به، (واعلم أنّ هذا الاستفهام : (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ)؟ يُسَمَّى استفهام إنكاري، أي يُنكِرُ اللهُ تعالى على رسوله شدّة حِرصه على إيمان قومه، حتى كأنه يريد إكراههم على الإيمان بما جاء به من التوحيد).

♦ وقال تعالى له: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وتوفيقه، إذاً فلا تُهلِكْ نفسك حُزناً عليهم (فما عليك إلا البلاغ الواضح، وأنْ تَعرِض الإيمان على الناس عَرْضاً لا إجبارَ معه)، فمَن آمَن: نجا، ومَن لم يؤمن: هَلَك، ﴿وَيَجْعَلُ﴾ سبحانه

﴿الرِّجْسَ﴾ أي العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ إذ لو عَقِلوا لَمَا كفروا بربهم وعصوه وهو خالقهم ورازقهم ومالِكُ أمْرِهم، (ولأنَّ مَن يُشرِك بربه صَنَماً في عبادته: لا يُعَدُّ من العاقلين).

الآية 101:، والآية 102: ﴿قُلِ﴾ - أيها الرسول – لقومك: ﴿انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي تفكَّروا واعتبِروا بما في السماوات والأرض من آيات اللهِ الدالّة على وحدانيته، ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني: ولكنّ الآيات المُنذِرة بعقاب اللهِ لا تنفع قومًا يُصِرُّونَ على الكفر بها؛ وذلك لِعِنادهم واتّباعهم لأهوائهم، ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا﴾ يَومًا يَرون فيه العذاب ﴿مِثْلَ أَيَّامِ ﴾ المكذبين ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي الذين مَضَوا قبلهم؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ ما كَتَبَ اللهُ عليكم من العذاب إن لم تتوبوا إليه وتُسلِموا، فـ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ وعلى يقينٍ بمجيئ ذلك العذاب في الدنيا أو في الآخرة، وذلك بحسب إرادة اللهِ بكم.

الآية 103: ﴿ثُمَّ﴾ إذا جاءهم ذلك العذاب في الدنيا: ﴿نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بهم، ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وكما نَجَّينا المؤمنين السابقين من العذاب، فكذلك نُنَجّيك – أيها الرسول - ومَن آمَنَ بك، إذا أراد اللهُ إنزال العذاب بقومك.

الآية 104، والآية 105: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول – لقومك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ الذي دَعوتُكم إليه – وهو الإسلام – وترجون تحويلي عنه: ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ﴾: أي فاعلموا أنني لن أعبد الأصنام التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ أي أعبد اللهَ الذي خلقكم، وهو الذي يُميتكم ويَقبض أرواحكم (فهو المستحق وحده للعبادة، إذ هو الذي بيده الإحياء والإماتة)، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي مِن المُقِرّين بوحدانيته، العاملينَ بشَرعه، ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ أي: وأُمِرْتُ أن أستقيمَ على دين الإسلام وألاَّ أميلَ عنه أبداً، وقيل لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

♦ وإنما خَصَّ تعالى الوجه بالاستقامة في قوله: (وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) لأنه أكرم الجوارح وأشرفها، وبه يَحصُل التوجُّه إلى كل شيء، فإذا خضع وجه العبد لله: خضعتْ له جميع جوارحِه، فلا يُشرك بعبادته أحدًا.

الآية 106: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ذلك ﴿فَإِنَّكَ إِذًا﴾ تكونُ ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بتعريضها لغضب اللهِ وعذابه.

الآية 107: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: يعني وإن يُصِبْكَ اللهُ بشدةٍ أو بلاء: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ جلَّ وعلا، ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾: يعني وإن يُرِدْ أن يُنزلَ عليك نعمةً – مِن رزقٍ أو رخاء أو نصرٍ أو صحة – فلن يَمنعها أحدٌ عنك، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾: أي يُصِيبُ سبحانه بالخير والضُرّ ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

www.alukah.net

♦ وقد كانَ المُتوقَّع بعد أنْ ذَكَرَاللهُ تعالى قدرته على الإصابة بالخير والضُرّ، أن يقول بعدها: (وهو على كل شيءٍ قدير)، ولكنه تعالى قال: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾، وذلك لأنّ إعطاءه للخير هو فضلٌ منه سبحانه ورحمة لعباده، إذ لولا غُفرانه لسيئاتهم وتقصيرهم وغفلاتهم، لَمَا كانوا أهلاً لهذا الخير، ولَمَسَّهم اللهُ بضرٍ شديد في الدنيا والآخرة.

الآية 108: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي قد جاءكم الرسول بالقرآن الذي فيه هِدايتكم، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ أي استمسك بهُدى اللهِ تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ يعني فإنما ثمرة عمله ترجع إليه، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: يعني ومَن انحرف عن الحق وأصرَّ على الضلال، فإنما ضلاله وضرره يعود على نفسه، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: أي وما أنا عليكم بحفيظ ولا رَقيب حتى تكونوا مؤمنين، وإنما أنا رسولٌ أبلِّغكم ما أُرْسِلْتُ به إليكم (واعلم أنّ الوكيل هو مَن يُوَكَّل إليه الأمر لِيُدَبِّرَه).

الآية 109: ﴿وَاتَّبِعْ﴾ أيها الرسول ﴿مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ من ربك، فاعمل بِهِ ﴿وَاصْبِرْ﴾ على طاعة اللهِ تعالى، واصبر على أذى من آذاك في تبليغ رسالته ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ أي حتى يَقضي اللهُ أمْرَهُ فيهم وفيك، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾؛ لأنّ حُكمه سبحانه مُشتمِلٌ على العدل التام، أمّا غيره تعالى فقد يُصِيبُ في قوله ويُخطئ، وقد يَعدِلُ في حُكْمِهِ ويَظلم.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة هود كاملة

1. الربع الأول من سورة هود

الآية 1، والآية 2: ﴿الر﴾ سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (ألِف لام را).

♦ إنَّ هذا القرآنَ هو ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ أي أُتقِنَت آياته، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ أي: ثم بُيِّنَتْ آياته للناس – بَياناً في أعلى أنواع البَيان – وذلك بتوضيح الحلال والحرام، والقصص والمواعظ، والآداب والأخلاق، والعقائد والبراهين، بما لا مَثِيل له في أيّ كتابٍ سابق.

♦ وقد كان ذلك التفصيل ﴿مِنْ لَدُنْ﴾ أي مِن عند ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ وهو اللهُ سبحانه وتعالى، الحكيمُ في تدبيره وتصَرُّفه وشَرْعه وقضائه، الذي يَضع الأمور في مَواضعها، الخبيرُ بأحوال عباده وما يُصلح خَلقه (فلذلك لا يكونُ كتابه إلا المَثَل الأعلى في كل شيء)، وقد أنزله اللهُ تعالى وبَيَّنَ أحكامه لأجْل ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ إذ لا مَعبودَ بحقٍّ إلا هو، ولا عبادة تنفع إلا عبادته.

♦ وقل أيها النبي للناس: ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ﴾ يعني: إنني رسولٌ لكم مِن عند اللهِ تعالى ﴿نَذِيرٌ﴾ أُنذِرُكم عقابهُ إنْ أشركتم به وعصيتموه ﴿وَبَشِيرٌ﴾ أُبَشِّركم بثوابه إنْ وَحَّدتموهُ وأطعمتموه.

الآية 3، والآية 4: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي اطلبوا منه أن يَغفر لكم ما صَدَرَ منكم من الشرك والذنوب، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: ثم ارجِعوا إليه بالإيمان والعمل الصالح: ﴿يُمَتِّعْكُمْ﴾ في دُنياكم ﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾ بطِيب العَيش وسعة الرزق ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: يعني إلى وقت انتهاء آجالكم، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ يعني: ويُعطِ سبحانه أهلَ الإحسان والبِرّ مِن فضله ونعيمه في الجنة، ما تقِرّ به أعْيُنُهم، (فالفضل المذكور أوّلاً: هو العمل الصالح، والفضل المذكور ثانياً: هو دخول الجنة)، وهذا كقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يعني وإن تتولوا (والمعنى: وإن تُعرِضوا عمَّا أدعوكم إليه) ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (وهو يوم القيامة) الذي يَجمع اللهُ فيه الأولين والآخِرين.

♦ واعلموا أنّما ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ جميعًا بعد موتكم فاحذروا عقابه، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: وهو سبحانه قادرٌ على بَعثكم وحَشْركم وجَزائكم.

الآية 5: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ - أي المشركين - ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: أي يُخفونَ الكُفر في صدورهم ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ يعني: وذلك ظناً منهم أنه يَخفَى على اللهِ تعالى ما تُخفيه نفوسهم.

www.alukah.net

♦ فرَدَّ اللهُ على ذلك الظن الفاسد بقوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ : يعني ألاَ يَعلمون أنَّهم – حين يُغطُّون أجسادهم بثيابهم – فإنه تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي لا يَخفَى عليه سِرُّهم وعَلانيتهم، بل ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي عليمٌ بكل ما تُخفيهِ صدورهم من النِيّات والخواطر، فإن السر عنده كالعَلانية.

الآية 6: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ – أي تدبّ على وجه الأرض - ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، ﴿وَيَعْلَمُ﴾ سبحانه ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي مكان استقرارها في حياتها وبعد موتها، ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: ويَعلم الموضع الذي تموت فيه (واعلم أنّ اللفظ "مُستودَعَها": يُوحِي بأنها تُوَدِّع الدنيا في هذا المكان)، ﴿ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ : أي كل ذلك مكتوبٌ في كتابٍ واضح عند اللهِ تعالى، وهو اللوح المحفوظ.

♦ ومِن لطيفِ ما يُذكَر أنّ حاتم الأصَمّ سُئِلَ يوماً: (مِن أين تأكل يا حاتم؟)، فقال: (مِن عند الله)، فقيل له: (اللهُ يُنزلُ لك دنانير ودَراهِم من السماء؟)، فقال: (كأنّ ما لَهُ إلاّ السماء! يا هذا: الأرض له، والسماء له، فإن لم يُؤتني رزقي من السماء، ساقهُ لي من الأرض).

الآية 7: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ - قبل أن يَخلق السماوات والأرض –، فلمَّا خلق سبحانه السماوات والأرض: استوى على عرشه فوق السماء السابعة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وقد كانت أمُّ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها تقول: (زَوّجَني اللهُ تعالى من فوق سبع سماوات)، تَقصد بذلك قوله تعالى لنَبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾، (ولك أن تُراجِع – في إثبات استواء اللهِ تعالى على عرشه فوق السماء السابعة – تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ ، في الآية الثالثة من سورة الأنعام مِن هذا التفسير، فإنّ فيه بَياناً شافياً، ولله الحمدُ والمِنَّة).

♦ وقد خلَقَ سبحانه كلَّ شيءٍ لأجْلِكم، ثم خلَقكم ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أي لِيَختبركم أيُّكم أتقنُ في الطاعةِ وأحسنُ في العمل الصالح (وهو كلّ ما كانَ خالصًا للهِ تعالى، وموافقًا لِمَا كان عليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم).

﴿وَلَئِنْ قُلْتَ﴾ - أيها الرسول – لهؤلاء المشركين: ﴿ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ يعني إنكم ستُبعَثون أحياءً بعد موتكم: ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ - مُسارِعينَ إلى التكذيب مِن غير تدَبُّرٍ وتثبُّت -: ﴿ إِنْ هَذَا﴾ أي: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي سحرٌ واضح، وهم يَعلمون أنهم كاذبونَ في ذلك، فلقد اعترف لهم أحد رؤسائهم – وهو الوليدُ بن المُغيرة – أنّ ما يَقوله السَحرةُ شيء، وأنَّ هذا القرآن شيءٌ آخر، وأنه ليس بكلامِ بَشَر (وذلك عندما سمع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أجْبرَه المشركون بعد ذلك أن يقولَ للناس إنه سِحر).

♦ واعلم أنهم عندما يقولون عن القرآن إنه سِحر، فإنهم في حقيقة الأمر يَعترفون بهزيمتهم في أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، فيَضطروا إلى اللجوء إلى هذا القول الباطل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 8: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ يعني إلى أجَلٍ معلوم، فاستبطئوا نزوله: ﴿ لَيَقُولُنَّ﴾ - يعني فحينئذٍ سيقول المشركون – استهزاءً وتكذيبًا: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾: يعني أيّ شيء يَمنع نزول هذا العذاب إن كانَ حقًّا؟ ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ ذلك العذاب، فإنه ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾: أي لا يستطيعُ أحدٌ أن يَدفعه عنهم، ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعني: وحينئذٍ سيُحِيطُ بهم العذاب الذي كانوا به يَستهزئون.

♦ واعلم أنّ لفظ "أمَّة" يأتي أحياناً بمعنى: (جماعة من الناس)، ويأتي أحياناً بمعنى: (فترة من الزمن)، واعلم أيضاً أنّ اللهَ تعالى ذكَرَ لفظ: (حاقَ) بصيغة الماضي – مع أنّ العذاب لم يأتِ بعد – وذلك لتأكيد وقوعه في عِلم اللهِ تعالى.

الآية 9، والآية 10، والآية 11: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ يعني: ولئن أعطينا الإنسان نعمةً مُعَيَّنة – مِن صحةٍ أو رزقٍ أو أمْنٍ أو غير ذلك - ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ بسبب عِصيانه وغفلته واغتراره بتلك النعمة وعدم شُكره عليها: ﴿إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾: يعني إنه – حينما تُسلَب منه تلك النعمة – لَشديد اليأس مِن رحمة اللهِ تعالى، ساخطٌ على قضائه، و ﴿ كَفُورٌ﴾ أي جَحود بالنعم التي أنعمَ اللهُ بها عليه قبل ذلك السَّلب.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ - كأنْ يُوَسِّعَ اللهُ عليه في رزقِهِ بعد أن كانَ في ضِيقٍ من العَيش – ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ عند ذلك: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾: أي ذهب عني الضِيقُ وزالت الشدائد، ﴿ إِنَّهُ﴾ حينئذٍ ﴿لَفَرِحٌ﴾ أي مُتكبر بالنعم، ﴿فَخُورٌ﴾ أي مُبالغ في الفخر والتعالي على الناس بما أعطاهُ اللهُ له.

♦ ثم استثنى اللهُ الصابرينَ الشاكرين – مِمَّن سبق - فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على ما أصابهم من البلاء (احتسابًا للأجر عند اللهِ تعالى) ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ شُكراً للهِ على نِعَمِه ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ في الآخرة.

الآية 12 : ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ - أيها الرسول لِعِظَم ما تراه من تكذيب قومك - ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ مِمّا أنزله اللهُ عليك وأمَرك بتبليغه، (واعلم أنّ الغرض من هذا الكلام: النهي والاستنكار، يعني: (لا تترك تبليغ ما فيهِ سَبٌّ لآلهتهم كما طلبوا منك)، وذلك لأنهم قالوا له: لو أتَيْتنا بكتابٍ ليس فيه سَبُّ آلهتنا لاتَّبعناك).

♦ وقد بَلَّغَ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة، تقول السيدة عائشة رضي اللهُ عنها: (لو كانَ النبي صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي، لَكَتَمَ هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ أي مِن تلاوة القرآن عليهم، خوفاً مِن أن يَطلبوا منك بعض المَطالب على وجه العِناد، كـ ﴿ أَنْ يَقُولُوا﴾: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ﴾ أي: هَلاَّ أُنزِلَ ﴿عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾ أي مالٌ كثير يَعيشُ عليه فيَدُلّ ذلك على إرسال اللهِ له وعنايته به، ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ لِيَشهد له بصِدق رسالته.

www.alukah.net

♦ فلا يَضرك قولهم أيها الرسول، ولا يَضِق صدرك بمَطالبهم، فـ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ أي ليس عليك إلا الإنذار بما أوحاه اللهُ إليك، وقد أنذرتَهم، فلا تحزن إذاً على إعراضهم، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ إذ يَحفظ سبحانه أعمالهم ويُحاسبهم عليها.

الآية 13، والآية 14: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾؟! يعني: بل يقول الكفار: (إنّ هذا القرآن قد افتراه محمد مِن عند نفسه)، مع أنهم يَعلمون أنه بَشَرٌ مِثلهم!! إذاً ﴿قُلْ﴾ لهم - أيها الرسول -: إذا كانَ هذا مِن كلام البشر ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ مِن عندكم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: واستعينوا على ذلك بكل مَن تقدرون عليه مِن إنسٍ وجن، ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعواكم، (ولو كانَ ذلك مُمْكِنًا: لادَّعَوا قدرتهم على فِعله، ولكنْ لَمَّا ظهر عَجْزُهُم: تبيَّنَ أنَّ ما زعموه باطل)، ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: فإن لم يَستجب لكم أعوانكم في الإتيان بمِثله - لِعَجْز جميع الخلق عن ذلك - ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: أي فاعلموا أيها المشركون أنّ هذا القرآن قد أنزله اللهُ على رسوله محمد، بعلمٍ منه سبحانه بأحوال عباده في كل زمان ومكان، وبما يَصلح لهم وما لا يَصلح (فهو تنزيلُ مَن أحاطَ عِلمُهُ بكل شيء، وَوَسِعَتْ رحمته كل شيء)، ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: واعلموا أنه لا معبود بحقٍ إلا الله، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: أي فهل أنتم - بعد عَجْزِكم وقيام الحُجَّةِ عليكم - مُسلمونَ مُنقادونَ للهِ تعالى؟

الآية 15، والآية 16: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ - مُقابل أعمالِهِ الحَسَنة -: ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ - كالمُرائين الذين يريدون بأعمالهم الثناء من الناس -: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾: أي نُعطِهم - مُقابل ثواب أعمالهم - مِن متاع الدنيا وزينتها ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾_أي لا يُنقَصون من أعمالهم شيئاً في الدنيا، لأنّ اللهَ لا يريد أن يَجعل لهم نصيباً في الجنة، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ أي: وذهب عنهم ثوابُ ما عملوه في الدنيا، ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: وكانَ عملهم باطلاً، لأنه لم يكن خالصاً لوجه اللهِ تعالى.

الآية 17: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي على حُجَّةٍ مِن ربه، (والمقصود بهذه الحُجَّة: القرآن الكريم، الذي أنزل اللهُ فيه البراهين، وتَحدَّى به المشركين)، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أي: ويَتْبَعُ هذا القرآن دليلٌ آخر يَنطق به ويَشهد بصِدقه، وهو محمد عليه الصلاة والسلام (لسانُ الصِدق، وصاحبُ الخُلُق العظيم)، حيثُ نَظَرَ إليه أعرابي يوماً فقال: (واللهِ ما هو بوجه كذّاب)، ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني: ويَشهد بصِدق القرآن دليلٌ ثالث نَزَلَ قبله، وهو التوراة ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ الذي أنزله اللهُ عليه ليكونَ ﴿إِمَامًا﴾ يُهتدَى به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمَنَ به (وذلك قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام)، فهذا الكتاب يَشهد بصدقه صلى الله عليه وسلم، حيثُ ذَكَرَ صفاته وصِفات أُمَّته في أكثر مِن مَوضع.

♦ أفمَن هو على هذه البينات والبراهين مِن صِحَّة دينه - والمقصود به النبي صلى الله عليه وسلم - كمن لا دليلَ له إلا التقليد الأعمى؟! لا يَستويان أبداً، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي الذين جاءتهم تلك البيّنات والحُجَج ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي يُصدِّقون بهذا القرآن ويَعملون بأحكامه، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ (وهم الذين تَحَزَّبوا - أي اجتمعوا - على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم مِن جميع الأمم، وأوّلهم: المشركون واليهود، والنصارى والمَجوس) ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ أي قد جعلها اللهُ جزاءً لمن كَفر بالقرآن الكريم، على الرغم مِن وضوحه وقوة حُجَّته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ : أي فلا تكن – أيها الرسول – في شَكٍّ من القرآن، بعد ما شَهِدَتْ الأدلة على أنه مِن عند اللهِ تعالى، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (واعلم أنَّ هذا الكلام – وإنْ كان خطابًا للرسول صلى الله عليه وسلَّم – فإنه مُوَجَّه للأمَّةِ عموماً)، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (لِعِنادهم واتّباعهم لأهوائهم).

الآية 18، والآية 19: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يعني: ولا أحد أشد ظلماً ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ – فزَعَمَ أنّ له شريكاً أو ولداً – ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ﴾ أي سيُعرَضون ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة لِيُحاسبهم على أعمالهم، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ (والأشهاد: جَمْع شاهد، وهم: الملائكة والنبيون وأعضاء الإنسان، والأرض – التي فُعِلَتْ عليها الطاعات والمعاصي –، وغير ذلك).

♦ فهؤلاء يَشهدون على الكاذبينَ يوم القيامة، ويقولون: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ فغضِبَ عليهم، وطَرَدَهم من رحمته ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (أي بُعداً لهم مِن رحمة اللهِ تعالى)، وهؤلاء الظالمون هم ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي يَمنعون الناس عن الدخول في سبيل اللهِ المُوَصِّلة إلى جَنَّته (وهي الإسلام) ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي يريدون أن تكون هذه السبيل عَوجاء لِتُوافِق أهوائهم، ﴿وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ فلا يُؤمنون ببَعثٍ ولا جزاء.

الآية 20، والآية 21، والآية 22: ﴿أُولَئِكَ﴾ الكافرون ﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي لم يكونوا لِيَهربوا من عذاب اللهِ في الدنيا، بل هو قادرٌ على أنْ يُنزل بهم عذابه مَتَى أرادَ ذلك، ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي ليس لهم مِن أنصارٍ يَمنعونهم مِن عقابه سبحانه، و ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ في جهنم، لأنهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ : أي كانوا لا يَستطيعون أن يَسمعوا القرآن سَماعَ تَدَبُّر وانتفاع ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي: وما استطاعوا أن يُبصروا آيات اللهِ – في هذا الكون – إبصارَ تَفَكُّر واهتداء (وذلك لانشغالهم بالباطل الذي كانوا مُقيمين عليه)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي أهلكوا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها، (إذ معنى خُسران النفس: عدم الانتفاع بها في الدنيا، حين كان في إمكانهم أن يَجعلوها تفعل الخير الذي يُؤدي بهم إلى الجنة)، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ : أي ذهب وغاب عنهم ما كانوا يَزعمونه كَذِباً مِن شفاعة آلهتهم لهم عند ربهم، ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي حَقًّا، ولا شَكَّ ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ أي أخسَرُ الناسِ صَفقةً، لأنهم استبدلوا النعيم المُقيم بالعذاب الأليم.

الآية 23: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ أي انقادوا للهِ تعالى وخَشَعوا له: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، (واعلم أنّ الخُشوع هو الذل والخوف من اللهِ تبارك وتعالى، فالخاشعون ذليلون مِن كثرة النِعَم، وذليلون أيضاً من كثرة الذنوب، وهم الخائفون من المَلِك الجبار، الذي سَيحكم عليهم بجنةٍ أو بنار).

الآية 24: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني: مَثَل فريقَي الكفر والإيمان: ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ﴾ ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ ففريق الكفر لا يُبصِر الحق ولا يَسمع داعيَ الله، أمّا فريق الإيمان فقد أبصر حُجَجَ اللهِ فآمَنَ بها، وسَمِعَ داعيَ اللهِ فأجابه، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: هل يَستوي هذان الفريقان؟ والجواب: لا، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: يعني أفلا تتفكرون أيها المشركون بعقولكم، فتعلموا أنَّ ما أنتم عليه هو الباطل، وأنّ اللهَ تعالى هو وحده المُستحق للعبودية؟!

www.alukah.net

2. الربع الثاني من سورة هود

الآية 25، والآية 26: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ مِن عذاب اللهِ تعالى، ﴿مُبِينٌ﴾: أي أُوَضِّح لكم ما أُرْسِلتُ به إليكم (توضيحاً يَزولُ به الإشكال)، ولآمُرُكُم ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ - إنْ أشرَكتم به - ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

الآية 27: ﴿فَقَالَ﴾ له ﴿الْمَلَأُ﴾ وهم السادة والرؤساءُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾: يعني إنك لستَ مَلَكاً، ولكنك بَشَرٌ مِثلنا، فكيف أُوحِيَ إليك مِن دُوننا؟ (فجعلوا ذلك مانعاً لهم عن اتِّباعه ، مع أنّ هذا هو الصواب الذي لا يَنبغي غيره، وذلك حتى يَستطيعوا السَماعَ منه ومُخاطبته)، وكذلك فإنّ المَلَك ليس له شهوة، فإذا جاءهم يوماً وأمَرَهم بالانتهاء عن الشهوات المُحَرَّمة، فإنهم سيَحتجون عليه بقولهم: (نحن لنا شهوة وأنت لستَ مِثلنا، فاتركنا وشأننا)، بخِلاف ما لو كانَ الرسولُ بَشَراً مِثلهم، فإنهم لن يَستطيعوا الاحتجاج عليه بذلك.

♦ ثم قالوا له – عندما رأوا أنّ أتْباعه من الفقراء وأصحاب المِهَن الحِرَفيّة البسيطة –: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أي سَفَلَة القوم وضُعفائهم (وهذا بِزَعْمهم الباطل، وإلاَّ، فإنهم في الحقيقة هم الأشراف وأهل العقول، الذين انقادوا للحق بمجرد ظهوره، ولم يكونوا كالسَفَلَة – الذين يُقال لهم المَلأ – الذين اتَّبعوا شهواتهم ومَلَذّاتهم، وعانَدوا مِن أجل الحفاظ على مَناصبهم الفانية، ورضوا بأن يَتَّخذوا آلهةً من الحَجَر والشجر، يَتقربونَ إليها ويَسجدونَ لها).

♦ ثم وَصَفوا أتْباعه بقولهم: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾: أي ظاهرَ الرأي، يعني: الذين ليس عندهم عُمق في التفكير وتَصَوُّر الأمور، فقد اتَّبعوك مِن غير تَفَكُّر ولا تَمَهُّل، بل بمجرد ما دَعَوْتَهم اتَّبعوك، (ولم يَعلم هؤلاء أنّ الحق الواضح تدعو إليه العقول الصحيحة والفِطَر السليمة، وتَعرِفُه بمجرد ظهوره، لا كالأمور الخَفيّة، التي تحتاجُ إلى تأمُّل وفِكرٍ طويل)، ثم قالوا له: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ يعني: وما نَراكم أفضل مِنَّا في رِزقٍ أو مال (بعدما دخلتم في دينكم هذا)، ولستم أفضل مِنّا لِنَنقادَ لكم ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ فيما تَدْعوننا إليه.

الآية 28: ﴿قَالَ﴾ لهم نوح: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ يعني أخبِروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أي على عِلمٍ يَقينيٍ أَوحاه إليَّ ربي وأمَرَني أن أدعو الناس إليه (وهو عبادته وحده لا شريك له) لأنه سبحانه الخالق الرازق المُستحِق وحده للعبادة، (واعلم أن البَيِّنة: هي الحُجَّة الواضحة، وتُطلَق أيضاً على المُعجزة، فيَجوز أن تكون له مُعجزة لم يَذكرها اللهُ تعالى، فإنّ بعثة الرُسُل عليهم السلام لا تَخلو من المعجزات الدالّة على صِدقهم)، ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ - وهي النُبُوّة والرسالة – ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: أي فأخفاها سبحانه عليكم، وصَرَفكم عن فَهْمها وقبولها، بسبب غروركم واتّباعكم لأهوائكم، فأخبِروني إذاً: ماذا أصنع معكم أنا والمؤمنون بي؟ ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ يعني:فهل يَصِحّ أن نُلزمكم باتِّباع هذه الرسالة بالإكراه؟ لا نفعل ذلك أبداً، ولكننا نُفوض أمْركم إلى اللهِ تعالى، حتى يَقضي فيكم – بعدله وحِكمته - ما يَشاء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 29، والآية 30: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ أي لا أطلب منكم مالاً تؤدونه إليَّ بعد إيمانكم (حتى لا يكون ذلك مانعاً لكم عن اتِّباعي)، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ يعني: ولكنّ ثوابَ دَعْوَتي لكم على اللهِ وحده، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: وليس لي أن أطرد المؤمنين مِن حَولي – كما اقترحتم عليّ – بحُجَّة أنهم فقراء ضعفاء، حتى أُرضِيكم فتَقبلوا الاستماعَ مِنِّي، فـ ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة، وسيَشهدون على مَن ظَلمهم، فكيف يَصِحّ مِنِّي إبعادهم عن سَماع الهُدى وتَعَلُّم الخير؟! ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أي تَجهلونَ أنّ العِبرة بزكاة النفوس وطهارة الأرواح، لا بالمال والجاه كما تتصورون، ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ يعني: مَن يَمنع عني عقابَ اللهِ إنْ طردتُ عباده المؤمنين (الذين تحتقرهم عيونكم المريضة، التي لا تَقدر على رؤية الحق وأهله)؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: يعني أفلا تتدبرون الأمور، فتعلموا ما هو الأنفع لكم والأصلح؟!

♦ واعلم أنّ هذا قد حدث أيضاً مع بعض المشركين في مكة، حيثُ اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يُبعِد عن مَجلسه فقراء المؤمنين – مثل بلال وعَمّار وصُهَيْب – حتى يَجلسوا إليه ويَسمعوا عنه، فقالوا له: (اطرد هؤلاء عنك حتى لا يَجْترئوا علينا)، فهَمَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يَفعل ذلك (رجاء هِداية أولئك المشركين)، فنَهاه اللهُ تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

الآية 31: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ يعني: ولا أزعُم أنني أملك التصرف في خزائن اللهِ تعالى، (وقد قال هذا رَدًّا على قولهم: وما نَرَى لكم علينا مِن فضل)، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ فأعرف ما تُخفيه صدور الناس فأطرد هذا وأُبقي هذا، ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ (وذلك رَدًّا على قولهم: ما نَراك إلا بشراً مِثلنا)، ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ يعني: ولن أقول لهؤلاء الذين تحتقرونهم من المؤمنين أنهم ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ لأنهم فقراء ضعفاء، فـ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الخير الذي كان سبباً في هِداية اللهِ لهم – كما قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ - فإنْ كانوا صادقين في إيمانهم، فلهم الخير الكثير، وإنْ كانوا غير ذلك، فحسابهم على اللهِ تعالى، ولئن حَكَمتُ عليهم بغير عِلم ﴿إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية 32، والآية 33، والآية 34: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾: يعني إنّ اللهَ وحده هو الذي يأتيكم بالعذاب إذا شاء ذلك، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: واعلموا أنكم لن تُعجِزوا اللهَ تعالى إذا أرادَ أن يُعَذِّبكم، ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ يعني: وإنّ نصيحتي لكم لن تَنفعكم شيئاً، مَهما أرَدْتُ ذلك واجتهدتُ فيه ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي يُبقِيكم في الضلال بسبب عِنادكم وتكَبُّركم عن الانقياد للحق، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: أي هو مالِكُكُم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة للحساب والجزاء (وحِكمَتُهُ سبحانه تَقتضي أن يَرحم الصالحين ويُعَذب الظالمين).

الآية 35: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ -هذه الجُملة يُحتمَل أنها تتحدث عن نوح عليه السلام (كما كانَ السِيَاقُ في قصته مع قومه)، فيكون المعنى: بل يقول هؤلاء المشركونَ مِن قوم نوح: (لقد افترى نوحٌ هذا القول مِن عند نفسه، وزعم أنه مِن عند

www.alukah.net

الله)، فقال اللهُ له: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ : يعني إنْ كنتُ قد افتريتُ ذلك على الله: فعليَّ وحدي إثمُ ذلك، وإذا كنتُ صادقاً: فأنتم المُجرمون الآثِمون ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ يعني: وأنا بريءٌ مِن كُفركم وتكذيبكم وإجرامكم.

♦ ويُحتمَل أنها تتحدث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحينئذٍ تكون هذه الآية مُعترضة في أثناء قصة نوح وقومه، لأنّ هذه القصص لا يَعلمها إلا الأنبياء (وذلك لِبُعد تاريخها)، فلما قصَّها اللهُ على رسوله – وكانت من الآيات الدالة على صِدقه – ذَكَرَ تعالى تكذيبَ قومه له، فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي اختلق هذا القرآن مِن عند نفسه، (وهذا مِن أعْجَب الأقوال وأبطَلها، فإنهم يَعلمون أنه لم يَقرأ ولم يَكتب، ولم يَرحل عنهم لِيَدرس على أهل الكتاب).

♦ فلمَّا جاءهم صلى الله عليه وسلم بهذا الكتاب، تَحَدَّاهم بأن يأتوا بسورةٍ مِن مِثله فلم يستطيعوا، فإذا زعموا بعد ذلك أنه افتراه، عُلِمَ أنهم مُعانِدون، ولم يَبقَ فائدة في جدالهم، بل اللائق في هذه الحال: (الإعراض عنهم)، ولهذا قال تعالى له: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ كما زعمتم ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ أي ذنبي وكذبي، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾، إذ لا فائدة مِن جدالكم.

♦ وفي هذا دليل على جَواز الاعتراض أثناء الكلام إذا حَسُنَ مَوقعه (كإقامة حُجَّة، أو إبطال باطل، أو تنبيه على أمْرٍ مُهِمّ).

الآية 36، والآية 37: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ﴾ - لمَّا وَجَبَ العذابُ على قومه - ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آَمَنَ﴾ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: أي فلا تَحزن يا نوح ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من التكذيب والفساد، فإني مُنَجِّيك ومَن معك من المؤمنين، ومُهلِكُ المُكَذِبين بالغَرَق، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ : أي اصنع السفينة تحت بَصَرِنا وتحت رعايتنا، ﴿وَوَحْيِنَا﴾ يعني: وبتوجيهنا وتعليمنا (إذ لم يكن يَعرف السُفُن ولا كيفية صُنعها)، ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي لا تطلب مِنِّي صَرْفَ العذاب عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، ولا تَشفع لهم في تخفيفه عنهم، فـ ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ بالطوفان لا مَحالة.

الآية 38، والآية 39، والآية 40: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أي: ويَصنع نوحٌ السفينة ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ لأنه كان يَصنع السفينة على الرمال، وليس هناك بَحْرٌ تمشي عليه، فقالوا له: (تَحمل هذا الفُلك إلى البحر، أو تَحمل البحر إليه)، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ اليوم لِجَهلكم بصِدق وَعْد الله: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ غدًا عند غَرَقكم ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ - إذا جاء أمْرُ اللهِ تعالى –: ﴿مَنْ﴾ مِنَّا الذي ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي يُذِلُّه ويُهينه ويَكسر كبريائه (هذا في الدنيا)، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أي: ويَنزل به في الآخرة عذابٌ دائم، لا يَنتهي أبداً، ولا يفارقه لحظة.

♦ ثم واصل نوح صُنع السفينة ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ أي: ونبع الماء بقوة من الفرن – الذي يُخبز فيه – (وكانَ هذا علامة على مَجيء العذاب، لأنّ الله تعالى قد فجَّرَ الأرض عُيوناً من الماء، حتى نبع الماء من الفرن)، وحينئذٍ ﴿قُلْنَا﴾ لنوح: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ : أي احمل في السفينة مِن كل نوعٍ من أنواع الحيوانات (ذكر وأنثى) للحفاظ على النَسل، واحمل فيها أهل بيتك ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ يعني إلا مَنِ استحق العذاب لكُفره (كامرأتك وابنك)، ﴿وَمَنْ آَمَنَ﴾ أي: واحمل فيها مَن آمَنَ معك مِن قومك، ﴿وَمَا آَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ على الرغم مِن طول مُدّة رسالته.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

3. الربع الثالث من سورة هود

الآية 41: ﴿وَقَالَ﴾_نوحٌ لمن آمَنَ معه: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾_أي اركبوا في السفينة، قائلين ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾_أي: ببركة اسم اللهِ تعالى يكونُ جَرْيُها على الماء (حتى يَحفظها من الغَرَق)، وببركة اسمهِ تعالى تَرسو وتَقف (حتى يَحفظها من التَحطُّم)، ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾_حيثُ غَفَرَ لنا ورَحِمَنا، فلم يُهلكنا بذنوبنا، ونَجّانا من القوم الظالمين.

الآية 42: ﴿وَهِيَ﴾ - أي السفينة - ﴿تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾_في عُلُوِّها،_﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾_أي في مكانٍ بعيد عن المؤمنين حينَ ركبوا، فقال له نوح: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾_حتى لا تغرق كما يَغرقون.

الآية 43: ﴿قَالَ﴾_ابن نوح: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾: أي سألجأ إلى جبلٍ أتحصَّن به _﴿مِنَ الْمَاءِ﴾، فـ_﴿قَالَ﴾_له نوح: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾_أي مِن قضائه بالغرق والهَلاك _﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾_يعني إلا مَن رحمه اللهُ ونَجّاه معنا في السفينة، فلم يَستجب ابنه له ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾_أي منعه الموج المرتفع أن يَصل إلى ابنه أو يُكلمه ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

الآية 44: ﴿وَقِيلَ﴾_أي: وقال اللهُ تعالى – بعد هلاك قوم نوح -: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾_أي لا تُمطِري ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾_أي نقص وجَفّ، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾_بهلاك المُكذبين ونجاة المؤمنين، ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾_أي: ورَسَت السفينة على جبل الجوديِّ، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾_أي هَلاكًا_﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾_الذين تجاوزوا حدود اللهِ ولم يُوَحِّدوه.

♦ واعلم أنّ اللهَ تعالى قد أمَرَ الأرض أن تَبلع ماءها أولاً ، لأنها تحمل الماء الذي خرج منها، وكذلك تحمل الماء الذي نزل إليها (فكانَ عليها أكثر الماء)، وكذلك يَستشعر الإنسان عظمة ربه تعالى في نداءه للأرض والسماء، وكأنهما جُندِيّان في معركة، ثم أُمِرا بالانسحاب بعد أن أَتَمَّ كُلٌّ منهما مُهِمَّته.

الآية 45: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾_الذي غرق_﴿مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾_وقد وعَدْتني أن تُنجيني وأهلي من الغرق والهلاك، ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾_وأعْدَلُهم.

الآية 46، والآية 47: ﴿قَالَ﴾_اللهُ تعالى: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾_يعني إنّ ابنك هذا ليس مِن أهلِك الذين وعدتُك أنْ أُنجيهم، فـ ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾_أي لأنه كافر، وعَمَلُهُ عملٌ غيرُ صالح، ففي قراءةٍ أخرى: ﴿إنه عَمِلَ غيرَ صالح﴾،_﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾_يا نوح_﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، وفوّضْ الأمرَ إليَّ، ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: يعني أعِظُكَ وَعْظاً تنجو به من صفات الجاهلين.

♦ فحينئذٍ نَدِمَ نوحٌ على ما صَدَرَ منه ، و_﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾_أي أعتصم بك مِن _﴿أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾_يعني: وإنْ لم تغفر لي ذنبي ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾_برحمتك: ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾_أي الهالكينَ في الدنيا والآخرة.

www.alukah.net

الآية 48: ﴿قِيلَ﴾_أي قال اللهُ تعالى: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾_من السفينة إلى الأرض_﴿بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾_مِن الآدميين وغيرهم (من الأزواج التي حملتَها معك)، وبالفِعل، فقد بارَكَ اللهُ في الجميع، حتى ملأتْ ذرياتهم جميع أنحاء الأرض،_﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾_يعني: وهناك أُمَمٌ - مِن أهل الشَقاء - سنُمَتِّعهم في الدنيا إلى أن يَبلغوا آجالهم ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾_يوم القيامة.

الآية 49: ﴿تِلْكَ﴾_القصة التي قصصناها عليك - أيها الرسول - هي_﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾_البَيان، ﴿فَاصْبِرْ﴾_على تكذيب قومك وإيذائهم لك، كما صَبَرَ نوح على أذى قومه فكانت العاقبة له، ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾_الطيبة في الدنيا والآخرة_﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾_الذين يَخشونَ اللهَ تعالى فيَجتنبوا مَعاصيه.

الآية 50: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾_أي: ولقد أرسلنا إلى قبيلة عادٍ أخاهم هوداً حينَ عبدوا الأصنام مِن دون اللهِ تعالى، فـ_﴿قَالَ﴾_لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾_وحده، فـ_﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾_يَستحق العبادة_﴿غَيْرُهُ﴾_فأخلِصوا له العبادة، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾_يعني: ما أنتم إلا كاذبونَ على اللهِ تعالى بزَعْمِكم أنّ له شُرَكاء.

الآية 51: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾_أي لا أطلب منكم أجراً على ما أدعوكم إليه من التوحيد، _﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾_يعني: ما أجري إلا على اللهِ الذي خلقني، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾_فتُمَيِّزوا بين الحق والباطل؟!

الآية 52: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾_نادمينَ على ما فعلتم، مُعترفينَ بخطئكم_﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾_مِن شِرككم وذنوبكم، فإنكم إنْ فعلتم ذلك_﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ : أي يُرسل المطر عليكم متتابعًا كثيرًا فتَكثُر خيراتكم ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ (فإنهم كانوا مِن أقوى الناس)، ولهذا قالوا: (مَن أشَدّ مِنّا قوة)؟، فوعدهم هُود عليه السلام أنهم إن آمَنوا، زادهم اللهُ قوةً إلى قوتهم، ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾_أي: ولا تُعرِضوا عَمَّا دعوتُكم إليه، مُصِرِّينَ على إجرامكم.

الآية 53، والآية 54، والآية 55: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾_أي ما جئتنا بحُجَّةٍ واضحةٍ على صحة ما تدعونا إليه، وقد كَذَبوا في ذلك، فإنه ما جاءَ نبيٌّ لقومه، إلاَّ وبَعَثَ اللهُ على يديه مُعجِزَةً تَشهَد له بصِدق رسالته، وأمّا إنْ كانَ قَصْدهم بالبَيِّنة: المُعجزة التي يَقترحونها عليه، فهذه غير لازمة، بل اللازم أن يأتي النبي بآيةٍ تدل على صحة ما جاء به.

♦ ثم قالوا له: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾_أي مِن أجْل قولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾_يعني: وما نقول إلا أنّ بعض آلهتنا قد أصابتك بجنون بسبب نَهْيِك عن عبادتها، فـ ﴿قَالَ﴾_لهم هود: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾_على ما أقول، ﴿وَاشْهَدُوا﴾_أنتم أيضاً على_﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾_من الأصنام التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِهِ﴾_سبحانه، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ : أي فاجتمعوا - أنتم وآلهتكم - على إيذائي_﴿ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾_أي لا تؤخروني، بل عَجِّلوا بذلك، فإني لا أهتم بآلهتكم لاعتمادي على حِفظ اللهِ وحده.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 56: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ _أي مالكُ كُلِّ شيءٍ والمتصرف فيه، فلا يُصيبني شيءٌ إلا بأمْره، و ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ﴾_تدِبُّ على هذه الأرض_﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾_يعني إلا واللهُ تعالى مالكها، وهي في سُلطانه وتصرفه _﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ_مُسْتَقِيمٍ﴾_يعني: إنه سبحانه عَدلٌ في شَرعه وقضائه، **فيُجازي المُحسِن بإحسانه والمُسِيء بإساءته.**

الآية 57: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي فإن تتولوا، والمعنى: (فإن تُعرضوا عمَّا أدعوكم إليه من توحيد اللهِ وإخلاص العبادة له) ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾_من ربي، وأقمتُ عليكم الحُجَّة، **فإن لم تؤمنوا**: فستكونوا من الهالكين ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾_أي: وسيأتي ربي بقومٍ آخرينَ يَخلُفونكم، ويُخلصونَ له العبادة، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾_لأنّ إعراضكم يَضُرَّكم أنتم، أمّا اللهُ تعالى فهو غنيٌ عن عبادتكم، لا تضره مَعصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطائعين، وإنما مَن عمل صالحاً فلنفسه، ومَن أساءَ فعليها،_﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾_(فهو سبحانه الذي يَحفظني مِن أن تُصِيبوني بسوء).

الآية 58: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾_بعذابهم: ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾_أي: ونجَّيناهم مِن عذابٍ شديد أنزلناه بقوم عاد.

الآية 59، والآية 60: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ - ولهذا قالوا لهود: (مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ)، فتبَيَّنَ بهذا أنهم كانوا مُتَيَقنون بدعوته، وإنما عانَدوا، ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ (لأنّ مَن عَصَى رسولاً فقد عَصَى جميع الرسل، إذ دعوتهم واحدة وهي التوحيد)، ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: وأطاعت عادٌ أمْرَ كل متكبرٍ عنيد، لا يَقبل الحق ولا يَخضع له، ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾_مِن اللهِ تعالى، **فأخبارهم القبيحة قد وصلتْ إلى كل وقتٍ وجيل** ، فيَلعنهم المؤمنون ويَذمُّونهم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾_لهم أيضاً لعنة، بطَردهم من الجنة وإدخالهم النار، ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾_أي جحدوا ربهم الذي خَلقهم ورزقهم فعبدوا معه غيره،_﴿أَلَا بُعْدًا﴾_وهلاكًا_﴿لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾_بسبب شِركهم وكُفرهم بنعمة ربهم.

****

4. الربع الرابع من سورة هود

الآية 61: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ أي: ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً حينَ عبدوا الأصنام مِن دون اللهِ تعالى، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، فـ_﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ يَستحق العبادة_﴿غَيْرُهُ﴾ **فأخلِصوا له العبادة**، إذ ﴿هُوَ﴾ سبحانه الذي ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي بدأ خَلْقكم من الأرض (**بخَلق أبيكم آدم منها**)، ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي جَعَلكم عُمَّارا لها، وجعلكم تنتفعون بما فيها، فكما أنه لا شريك له في ذلك، إذاً فلا تُشركوا به في عبادته، (**واعلم أنّ في قوله تعالى**: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ دليلٌ على النَهي عن (تلوث البيئة) وأنه من المُحرَّمات).

♦ **ثم قال لهم**: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي اطلبوا منه أن يَغفر لكم ما صَدَرَ منكم من الشرك والذنوب، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: ثم ارجعوا إليه بالإيمان والعمل الصالح، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ مِمَّن أخلصَ له العبادة، ورَغِبَ في التوبة إليه، ﴿مُجِيبٌ﴾_لمن دعاه وحده، ولم يَدعُ غيره.

www.alukah.net

♦ واعلم أنَّ القُربَ نوعان: (قربٌ بعِلمِهِ سبحانه وإحاطته مِن جميع خَلقه)، (وقربٌ مِن عابدِيهِ وداعِيهِ، بالإجابة والمَعُونة والرحمة والتوفيق)، وهذا مِثلما يقول أحدهم: (هذا الرجل مِن المُقرَّبين لَدَيّ) – أي مُقَرَّبٌ منه في المَنزلة والعطاء، وقريبٌ إلى رضاه عنه، وليس مُقَرَّباً منه بجسده.

♦ وهذا النوع من القُرب يَقتضي لُطفه تعالى بسائليه وإجابته لدعواتهم، ولهذا يَقرن سبحانه دائماً اسمه "القريب" باسمه "المُجيب".

الآية 62: ﴿قَالُوا﴾ أي قالت ثمود لنبيِّهم صالح: ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ أي: لقد كنا نرجو أن تكون فِينا سيدًا مُطاعًا ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ أي قبل هذا القول الذي قلته لنا، (وهذه شهادة منهم لنبيِّهم صالح بأنه كانَ معروفاً بينهم بمَكارم الأخلاق ومَحاسن الصفات، وأنه مِن خِيار القوم)، ولكنه لَمَّا جاءهم بهذا الأمر – الذي لا يُوافق أهواءهم الفاسدة - قالوا له: ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا﴾؟ ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ أي مُوقع في الحيرة والقلق والتردد.

الآية 63، والآية 64: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أي على عِلمٍ يَقيني أوحاه إليَّ ربي، وأمَرني أن أدعو الناس إليه، وهو عبادته وحده لا شريك له، لأنه الخالق الرازق المُستحق وحده للعبادة، ﴿وَآَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ وهي النُبُوَّة والرسالة، ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ أي: فمن الذي يَدفع عني عقابَ اللهِ إن عصيتُه ولم أُبَلِّغ رسالته لكم (بسبب توبيخكم لي)؟! ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: أي فما تَزيدونني – إن أطعتكم وعصيتُ الله – إلاّ الخُسران والعذاب.

﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ قد جعلها ﴿لَكُمْ آَيَةً﴾ تدلُّ على صِدقي فيما أدعوكم إليه (لأنها خرجتْ من الصخرة)، ﴿فَذَرُوهَا﴾ أي اتركوها ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ (فليس عليكم رِزقها)، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ أي لا تذبحوها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ أي قريبٌ مِن وَقت ذَبْحها.

الآية 65: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي ذبَحوا الناقة تكذيباً بوعيده، ﴿فَقَالَ﴾ لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا﴾ أي استمتعوا بحياتكم ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي في بلدكم ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ فإنّ العذاب نازلٌ بكم بعدها، ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ أي لابد مِن وقوعه.

الآية 66: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بهلاك ثمود: ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: ونَجّيناهم مِن ذُلّ ذلك اليوم وإهانته، ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (ومِن قوته وعِزَّته أنْ أهلَكَ الأمم الطاغية، ونَجَّى الرُسُل وأتْباعهم).

الآية 67، والآية 68: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ يعني: وأخذتْ الصيحة القوية ثمود الظالمين ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ أي مَوتى هامدين، ساقطينَ على وجوههم لا حِراكَ لهم ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: يعني كأنهم – في سُرعة زوالهم – لم يَعيشوا في هذه الديار الخاوية، ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي جحدوا ربهم الذي خَلقهم ورزقهم فعبدوا معه غيره، وكذلك جحدوا بآيته الواضحة (وهي الناقة)، ﴿أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ من رحمة اللهِ تعالى.

الآية 69، والآية 70: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ يعني: ولقد جاءت الملائكة - في صورة بَشَر - إلى إبراهيم عليه السلام، لِيُبَشِّروه بإنجاب الولد - ولم يكن يعلم أنهم ملائكة -، فلمَّا رأوه ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿سَلَامًا﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ رَدًّا على تحيتهم: ﴿سَلَامٌ﴾ ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: أي فذهب سريعًا وجاءهم بعِجلٍ سمين مَشويٍّ ليأكلوا منه، ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ أي لا تَصِل إلى العِجل الذي جاءهم به، ولا يأكلون منه: ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي أنكرَ ذلك منهم، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ يعني أحَسَّ في نفسه بخوفٍ منهم (لأنه ظن أنهم أرادوا به شراً عندما لم يأكلوا)، فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ يعني إننا ملائكة ربك، وقد أُرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم.

الآية 71: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ يعني: وامرأة إبراهيم - سارة - كانت قائمة مِن وراء الستر تَسمع الكلام، ﴿فَضَحِكَتْ﴾ تعجبًا مِمَّا سمعتْ ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾: أي فبَشَّرها اللهُ تعالى - على ألسِنة الملائكة - بأنها ستَلِد ولدًا يُسَمَّى "إسحاق" ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: وسيكونُ لها حفيدٌ من إسحاق يُسَمَّى "يعقوب".

الآية 72: ﴿قَالَتْ﴾ سارة مُتعجبة: ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ يعني: وهذا زوجي في حال الشيخوخة والكِبَر؟! ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

الآية 73، والآية 74، والآية 75: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وقُدرته؟، فما زالت ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يعني يا أهل بيت النُبوّة، ومعنى الآية: (لا تتعجبي مِن أمْر اللهِ تعالى، لأنّ إعطاءكم الولد هو رحمةٌ من الله وبركة، وأنتم أهلٌ لتلك الرحمة والبَركة، فلا عَجَبَ إذاً في وقوعها عندكم)، (واعلم أنّ البَرَكة هي الزيادة مِن الخير والإحسان) ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿حَمِيدٌ﴾ أي مُستحق للثناء في كل حال، ﴿مَجِيدٌ﴾: أي ذو مَجْدٍ وعَظَمة.

♦ واعلم أنّ في قول الملائكة لامرأة ابراهيم: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ دليلٌ على أنّ امرأة الرجل تُعتبَر مِن أهل بيته، وفي هذا رَدٌّ واضح على مَن يَزعمون أنهم يُحبون أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يُعادونَ زوجاته.

الآية 76: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أي: فلمَّا زالَ عن إبراهيم الخوف الذي أصابه لعدم أكل الضيوف من الطعام ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ بإسحاق ويعقوب: إذا بِهِ ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: أي يجادل رُسُلنا - فيما أرسلناهم به - من إهلاك قوم لوط، ثم ذَكَرَ تعالى سبب مجادلة إبراهيم عليه السلام للملائكة بشأن قوم لوط، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ أي كثير العفو وتَحَمُّل الأذى، لا يُحب المُعاجَلة بالعقاب، ﴿أَوَّاهٌ﴾ أي كثير الدعاء والتضرع إلى اللهِ تعالى، ﴿مُنِيبٌ﴾: أي يُكثِرُ التوبةَ مِن التقصير، ويُحاسب نفسه على كل ما يَصدر منها.

♦ فبذلك وَضَّحَ سبحانه أنّ إبراهيم عليه السلام كان حليماً رقيق القلب، وكان أوَّاهاً (أي يُكثر مِن قول كلمة (آه) إذا رأى أو سَمِعَ ما يَسُوءه)، وكانَ كثير التوبة والرجوع إلى اللهِ في أموره كلها، فلذلك أراد تأخير العذاب عنهم لعلهم يَتوبون، ولكنّ اللهَ تعالى عَلِمَ أنهم لن يَتوبوا، فلذلك قالت له الملائكة: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي أعرِض عن هذا الجدال في أمْر قوم لوط وطلب الرحمة لهم، فـ ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم، ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ أي غير مَدفوعٍ عنهم.

www.alukah.net

الآية 77: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ لإخباره بأمر إهلاك قومه، إذا بِهِ قد ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾: أي أصابه الغَمّ لمَجيئهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي عَجَزَ عن تدبير خَلاصهم (لأنهم جاءوا له في صورة شباب في غاية الجمال، فخاف عليهم مِن قومه أن يُريدوا بهم الفاحشة، ولم يكن يعلم أنهم ملائكة)، ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي: هذا يومُ بلاءٍ وشدة.

الآية 78: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي جاء قومُ لوط يُسرعونَ إليه، ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: وكانوا مِن قبل مَجيئهم يأتون الرجال شهوةً مِن دون النساء، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم لوط: ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ﴾ - أي بنات القرية جميعاً - ﴿بَنَاتِي﴾، تزَوَّجوهنَّ فـ ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ مِمّا تريدون (وقد سَمَّاهُنّ بناته، لأنّ نَبِيّ الأُمّة بمَنزلة الأب لهم، ويدل على ذلك قراءة ابن مسعود رضي اللهُ عنه في سورة الأحزاب: (وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم)).

♦ ثم قال لهم لوط: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واحذروا عقابه، ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ أي لا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي، ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾: يعني أليس منكم رجل عاقلٌ حكيم، يَنهى مَن أرادَ الفاحشة، ويَمنعه عمَّا يريد؟!

الآية 79، والآية 80: ﴿قَالُوا﴾ أي قال له قومه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: أي لقد علمتَ مِن قبلُ أنه ليس لنا رغبة في نكاح النساء، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي لا نريد إلا الرجال الذين عندك، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم حين رفضوا الاستجابة له: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: يعني يا لَيْتَ لي قوة أدفعكم بها، ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ يعني: ولو أستطيع الركون إلى عشيرةٍ قوية تمنعني منكم، لاستطعتُ أن أمنعكم عمّا تريدون،) وقد أرادَ بذلك أنه ليس له أنصارٌ، لأنّه كان غريباً بينهم)، (ويُحتمَل أن يكون معنى هذه الجملة: ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي: بل سألجأ إلى اللهِ سبحانه وتعالى ليَعصمني منكم).

الآية 81: ﴿قَالُوا﴾ أي قالت له الملائكة - لمَّا رأوا شدة خوفه ونَفاد حيلته -: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ وقد أرْسَلَنا سبحانه لإهلاك قومك، وإنهم ﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسُوء بعد أن نَنصرف عنك، (كما قال تعالى في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أي فأعميناهم حتى لا يَصِلوا إلى الملائكة).

♦ ثم قالت له الملائكة: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾: أي اخرج مِن قريتك أنت وأهلك المؤمنون ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾: أي بعد مرور جزء من الليل (يعني قبل الفجر بكثير)، لتتمكنوا من البُعد عن قريتكم، وأسرِعوا بالخروج، وليَكُن هَمُّكم النجاة، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ وراءه، حتى لا يَرى العذاب فيُصيبه ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ فاتركها، فـ ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا﴾ من العذاب ﴿مَا أَصَابَهُمْ﴾_(لأنها كانت تَدُلّ قومها على ضيوف لوط)، ثم قالت له الملائكة: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، فكأنّ لوطاً استعجل ذلك العذاب، فقالوا له: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟، والجواب: بلى إنه قريب.

الآية 82، والآية 83: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بنزول العذاب بهم: قَلَبْنا قريتهم التي كانوا يَعيشون فيها، فـ ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (وهي حجارة صَلبة شديدة الحرارة)، ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي متتابعة في نزولها، وتَتْبَعُ مَن يُحاول الهرب منها،_﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾: أي مُعَلَّمَة عند اللهِ تعالى بعلامةٍ معروفة لا تُشبه حجارة الأرض، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿بَعِيدٍ﴾ أي: وما هذه الحجارة التي أمطرها اللهُ على قوم لوط ببعيدةٍ مِن كفار قريش أن يُمْطَروا بمِثلها (وفي هذا تهديدٌ لكل عاصٍ متمرِّد على الله).

****

5. الربع الخامس من سورة هود

الآية 84: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي: ولقد أرسلنا إلى قبيلة مَدْيَن أخاهم شُعيباً، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، فـ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ يَستحق العبادة ﴿غَيْرُهُ﴾ فأخلِصوا له العبادة، ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أي: ولا تنقصوا الناسَ حقوقهم في مَكاييلهم ومَوازينهم، ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾: يعني إني أراكم في سَعَةٍ من العيش، لا تحتاجون معها إلى هذا الغش، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ - بسبب الشِرك وإنقاص الكَيل والميزان - ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ أي يُحيطُ بكم، ولا يُبقي منكم أحداً.

♦ واعلم أنّ هذا مِن آداب النصيحة: أن تبدأ بالثناء على مَن تنصحه – فإنّ الناسَ قد فَطَرَهم اللهُ على حُبّ مَن يَمدحهم –، وذلك بأنْ تَذكُر له أيَّ صفةٍ جيدة فيه، كأنْ تقول له: (واللهِ أنا سعيد جداً لأنك حريص على صلاة الجماعة، ولكني – واللهِ – أخافُ عليك مِن فِعل كذا، لأني أحبك)، فبهذا يَقبل منك النصيحة.

الآية 85، والآية 86: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ يعني أتِمُّوا الكَيل والميزان بالعدل، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي لا تُنقِصوا الناس حقهم في عموم أشيائهم.

♦ واعلم أنه قد أعاد النداء عليهم في قوله: ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ بعد أن نَهاهم عن ذلك في قوله: ﴿ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ لزيادة التأكيد والتنبيه على إيفاء الكَيل والميزان.

﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي لا تسعوا في الأرض بأنواع الفساد، كالشرك والمعاصي وأكْلُكُم أموال الناس بالباطل، فـ ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ يعني: ما يَتبقى لكم من الربح الحلال – بعد إتمام الكَيل والميزان – هو ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ممَّا تأخذونه بالغش وغير ذلك من الكسب الحرام، فإنّ اللهَ يُبارك لكم في الحلال – ولو كان قليلاً – بشرط: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (فإنّ البَقية الحلال لا تكونُ خيراً إلاّ للمؤمنين)، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ يعني: وما أنا عليكم برقيب أحفظ عليكم أعمالكم وأحاسبكم عليها، وإنما أُبَلِّغكم ما أُرسِلتُ به إليكم.

الآية 87: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ﴾ التي تُداوم عليها ﴿تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام، ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾: يعني وتأمرك أيضاً أن نَمتنع عن التصرف في كَسْب أموالنا بما نشاءُ مِن احتيالٍ ومكر؟!، ثم قالوا – استهزاءً به –: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (ومعنى كلامهم: كيف تكون أنت الحليم الرشيد، ويكونُ آباؤنا هم السُفهاء الضالون؟ !)، وهذا كقول الملائكة لأبي جهل – وهو في النار - : ﴿ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم﴾.

www.alukah.net

♦ واعلم أنهم قالوا له: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾، ولم يقولوا له: ﴿أَدِينُكَ يَأْمُرُكَ﴾، لأنّ الصلاة كانت مِن عِماد الشرائع كلّها، وكان المُكذبون في كل أُمَّةٍ يُنكرونها ويَستهزئون بفاعلها، فلَمَّا كانت الصلاة هي الأمر الظاهر مِن دينه، ورأوه يُداوم على فِعلها، جعلوها هي التي تأمره بالإنكار عليهم.

الآية 88: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أي على يَقينٍ وطُمأنينة مِمّا أوحاه إليَّ ربي وأمَرني أن أدعوكم إليه، وهو أن تعبدوه وحده لا شريك له – لأنه الخالق الرازق المُستحق وحده للعبادة - وأن تنتهوا عن الغش في الميزان، ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي رزقاً حلالاً طيبًا، فأخبِروني إذاً: هل يَليقُ بي أنْ أُنكِر هذا الحق والخير وأتّبعكم على باطلكم؟! لا يكونُ ذلك أبداً.

♦ وقد قيل: إنّ المقصود بالرزق الحَسَن هنا هو نعمة النُبُوّة والرسالة، وإنّما عَبّرَ عنها بالرزق ليُشابه قولهم: (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء)، لأنّ الأموال رِزق، والنُبوة والهداية أيضاً رِزق، واللهُ أعلم.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ يعني: وما أريد أن أرتكب أمرًا نَهيتكم عنه، بل إنني سأكونُ أوّل مَن يَتركه، لأكون قدوةً لكم، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ يعني: وما أريد بدعوتي لكم إلا إصلاحكم قَدْر استطاعتي، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ - في محاولة إصلاحكم - ﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (لا بِحَولي وقوتي)، فإني ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي عليه وحده اعتمدتُ في الثبات على دينه الحق، وفي حمايتي مِن كيدكم، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ يعني: وإليه أرجع في كل أموري.

الآية 89: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾: أي لا تَحمِلنّكم عداوتكم لي على العناد والإصرار على ما أنتم عليه ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ أي حتى لا يُصيبكم ﴿مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من الهلاك، ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾: يعني وما قومُ لوطٍ – وما نَزَلَ بهم من العذاب – ببَعِيدِين عنكم لا في المكان ولا في الزمان.

الآية 90، والآية 91: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ نادمينَ على ما فعلتم، مُعترفين بخطئكم، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ من الشرك والمعاصي وارجعوا إليه بالإيمان والطاعة، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي كثير المَوَدّة والمَحبة لمن تاب إليه، فيَرحمه ويَقبل توبته، (واعلم أنّ معنى اسم الله تعالى "الودود": أنه سبحانه يُحب عباده المؤمنين ويُحبونه).

♦ فلَمَّا تضايقوا من نصائحه ومَواعظه لهم ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ أي لا نفهم ﴿كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ (وذلك لأنهم كرهوا مَا جاءهم به، لأنه يُخالف أهوائهم)، ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي لستَ من الكُبَراء ولا من الرؤساء، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾: يعني ولولا مُراعاة عشيرتك لقتلناك رَجْماً بالحجارة – وكانت عشيرته مِن أهل مِلّتِهم - ، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: يعني وليس لك قَدْرٌ واحترامٌ في نفوسنا.

الآية 92: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي﴾ يعني: هل عَشيرتي ﴿أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾؟ ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ أي: وتركتم أمْرَه سبحانه فجعلتموه وراء ظهوركم، ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالكم، وسيُجازيكم عليها عاجلاً أو آجلاً.

الآية 93: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي اعملوا على طريقتكم – التي أنتم عليها من مُخالفتي وعداوتي –، ف ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على طريقتي التي شرعها لي ربي، ولن أتركها مهما فعلتم، ثم هَدَّدَهُم بقوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ - عند حلول العذاب بكم - ﴿مَنْ﴾ مِنّا الذي ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي يُذِلُّه، ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ في قوله، أنا أم أنتم؟ ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ أي: وانتظروا ما سيَحِلّ بكم، فإني معكم من المنتظرين (وفي هذا تهديدٌ شديدٌ لهم).

الآية 94، والآية 95: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاك قوم شعيب ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ من السماء فأهلكتهم، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ أي باركين على رُكَبهم، مَيّتين لا حِراكَ لهم ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: يعني كأنهم لم يُقيموا في ديارهم وقتًا من الأوقات، ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ﴾ إذ أهلكها اللهُ وأذلَّها ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (ولعل وَجْه الشَبَه بين هاتين القبيلتين (مَدين وثمود) هو نوع العقاب المُشترَك بينهما، وهو عذاب الصيحة، واللهُ أعلم).

♦ ويُلاحَظ أنّ اللهَ تعالى قال في قصة صالح: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾، وقال في قصة شعيب: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾، فجاء الفعل: ﴿أخَذَ﴾ مَرّة مُذكراً ومَرّة مُؤنثاً، فما السبب؟

والجواب: أنّ كلمة ﴿الصيحة﴾ ليست مُؤنّثاً حقيقياً، بمعنى أنه يجوز أن تأتي مع الفِعل المُذَكَّر: ﴿ أخذ﴾، كما يجوز أن تأتي مع الفِعل المُؤنَّث: ﴿أخذتْ﴾.

♦ والفرق بين المؤنث الحقيقي والمؤنث المَجازي: أنّ المؤنث الحقيقي هو كل ما يَلد أو يَبيض، وأما المؤنث المَجازي فهي كلمات استُعمِلتْ بصيغة المؤنث، مع أنها مما لا يَبيض ولا يَلد، مثل: (شجرة، كلمة، يد، شمس، طريق، تفاحة، صيحة، وغير ذلك).

♦ ففي قصة قوم صالح جاء الفعل ﴿أخذ﴾ مُذكراً، لأنه تعالى ذَكَرَ قبلها كلمة ﴿ الخزي﴾ وهي كلمة مُذَكَّرة، وذلك في قوله: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾، ثم قال بعدها: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ فكان هذا أنسب لتذكير الفعل ﴿أخذ﴾.

♦ وأما في قصة قوم شعيب فلم يَذكر تعالى كلمة ﴿ الخزي﴾، ولكنه ذَكَرَ في سور أخرى عذاب قوم شعيب بلفظ: (الرجفة والظلة)، فكان هذا أنسب لتأنيث الفعل ﴿أخذت﴾، واللهُ أعلم.

الآية 96، والآية 97، والآية 98: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ الدالّة على أنه رسولٌ من عند اللهِ تعالى، وهي الآيات التسع التي هَزَمَ بها فرعون: (العصا واليد والطوفان، والجَراد والقُمَّل والضفادع، والدم ونقص من الثمرات والأنفس)، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: وأرسلناه بحُجَّةٍ قوية واضحة، تُبَيِّن لمن تأمَّلها وجوب توحيد اللهِ تعالى وبُطلان ألوهية مَن سواه، (واعلم أنه يُحتمَل أن يكون المقصود بالسُلطان المُبين: (العصا)، وإنما أعاد سبحانه ذِكرها بعد أن ذَكَرَ الآيات عموماً، لأنّ العصا كانت أشهر الآيات وأقواها، وبها هُزِمَ السَحَرة، واللهُ أعلم).

www.alukah.net

♦ فأرسلناه بهذه الآيات ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ وهم أكابر أتْباعه وأشراف قومه، فكفر فرعون وأمَرَ قومه أن يَتَّبعوه على الكفر ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ وأطاعوه، وخالفوا أمْرَ موسى، ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: ليس في أمْر فرعون رُشْدٌ ولا هُدى، وإنما هو جَهْلٌ وضَلال وكُفرٌ وعِناد، وإنه ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أي يَتقدم قومه حتى يُدخلهم النار يوم القيامة، ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾أي: قُبحَ هذا المُدخَل الذي يَدخلونه، وهو جهنم.

الآية 99: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً﴾ أي: وأتْبعهم اللهُ في هذه الدنيا لعنةً (فأخبارهم القبيحة قد وصلتْ إلى كل وقتٍ وجيل ، فيَلعنهم المؤمنون ويَذمُّونهم)، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لهم أيضاً لعنة، بطَردهم من الجنة وإدخالهم النار، ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾: أي قَبُحَ ذلك العطاء المُعطَى (وهو الغرق في الدنيا، مع لعنة الدنيا والآخرة).

الآية 100، والآية 101: ﴿ذَلِكَ﴾ القصص الذي ذكرناه لك - أيها الرسول - هو ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ التي أهلكنا أهلها، ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ أي نُخبرك به لتُنذر به قومك، ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾_يعني: فمِن تلك القرى ما له آثارٌ باقية، ﴿وَحَصِيدٌ﴾ أي: ومنها ما قد مُحِيَتْ آثاره، فلم يَبْقَ منه شيء، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بشِركهم ومعاصيهم، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي فما نَفعتهم آلهتهم التي كانوا يَدعونها ويَطلبون منها أن تدفع عنهم الضر ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذابهم، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ أي: وما زادتهم آلهتهم إلا تدمير وإهلاك وخُسران.

الآية 102: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ يعني: وكما أخَذَ ربك أهل هذه القرى الظالمة بالعذاب، فكذلك يأخذ غيرهم إذا ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، ﴿إِنَّ أَخْذَهُ﴾ بالعقوبة ﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ لا يُطاق ولا يُحتمَل.

الآية 103، والآية 104: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: يعني إنّ في أخْذنا لأهل هذه القرى الظالمة لَعِبرةً وعِظة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ جميعًا للحساب والجزاء، ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ أي يَشهده الخلائق كلهم، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ أي حتى تنتهي مُدَّة معدودة في عِلمنا، لا تزيد ولا تنقص.

الآية 105: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يعني: يوم يأتي يوم القيامة، لا تتكلم نفسٌ إلا بإذن ربها، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾ مُستحِقّ للعذاب، ﴿وَسَعِيدٌ﴾ قد تفضَّلَ اللهُ عليه بالنعيم، بسبب ما قدَّم من الإيمان والعمل الصالح.

الآية 106، والآية 107: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾ يعني: فأمّا الذين أصابهم الشقاء - لفساد عقيدتهم وسُوء أعمالهم - فالنار مُستقرُّهم، ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (فإذا رأوا أحد أصناف العذاب مُقبلٌ عليهم، شَهقوا من الخوف ، فإذا أصاب أجسادهم، صرخوا من شدة الألم)، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فلا يَنقطع عذابهم ولا يَنتهي ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ يعني إلا مَن شاء ربك عدم خلودهم في النار (وهُم عُصاة المُوَحِّدين) ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

الآية 108: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ﴾ يعني: وأما الذين رزقهم اللهُ السعادةَ الأبدية، فهؤلاء يَدخلون الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: يعني إلا الفريق الذي شاء اللهُ تأخيره (وهم عُصاة المُوَحِّدين)، فهؤلاء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَبقون في النار فترة من الزمن حتى يُنَقّوا مِن ذنوبهم، ثم يُخرجهم اللهُ منها إلى الجنة، ويُعطي ربك هؤلاء السُعداء – مِن أصناف النعيم – ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غيرَ مقطوعٍ عنهم.

الآية 109: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾: أي فلا تكن – أيها الرسول – في شَكٍّ مِن بُطلان هذه الأصنام التي يَعبدها مُشركوا قومك، فـ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آَبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: فإنما هم مُقلدون لآبائهم بغير علمٍ أو دليل، ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أي مُعطُوهم ما وعدناهم به من العذاب تاماً ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

****

6. الربع لأخير من سورة هود

الآية 110: ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ - وهو التوراة - ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: أي فاختَلَفَ فيه قومه، فآمَنَ به جماعة وكَفَرَ به آخرون (كما فَعَلَ قومك بالقرآن أيها الرسول)، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بأنه لا يُعَجِّل لخَلقه العذاب في الدنيا: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: أي لَنَزَلَ بهم قضاءؤهُ في الدنيا بإهلاك المُكَذِّبين ونجاة المؤمنين، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ يعني: وإنّ الكفار لَفي شَكٍّ مِن هذا القرآن مُوقع في الحيرة والقلق (وذلك بسبب فساد قلوبهم واتّباعهم لأهوائهم).

الآية 111: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني: وإنّ كل العباد – مُؤمنهم وكافرهم – لَيُعطِيَنَّهم ربك جزاءَ عملهم كاملاً يوم القيامة، ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالهم، **فلذلك لن يكونَ جزاءه إلا عادلاً.**

الآية 112: ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ - أيها النبي - ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي كما أمَرَك ربك، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾: أي استقم أنت ومَن تابَ مِن المؤمنين الذين معك (لأنّ الإيمان توبة من الشّرك)، ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ أي لا تتجاوزوا حدود اللهِ تعالى، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وسيُجازيكم على أعمالكم.

♦ وقد قال عبد الله ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾: (ما نَزَلَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشدّ ولا أشَقّ مِن هذه الآية عليه)، ولذلك حين قال له أبو بكر رضي الله عنه: (يا رسول الله، قد شِبتَ)، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (شَيَّبَتني هود والواقعة والمُرسَلات وعَمّ يتساءلون وإذا الشمس كُوِّرَت) (انظر السلسلة الصحيحة ج:639/2)، وقد سُئِلَ صلى الله عليه وسلم عمّا شَيَّبَه في هود فقال: (قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾).

♦ فعليك أخي الحبيب أن تُسارع بالتوبة، فالموتُ يأتي فجأة، فلا يَخدعك طُول الأمل، وذلك بأن تقول في نفسك: (أنا أعلم أني سأموت، ولكنْ ليس الآن)، فلعل آخر فرصة للتوبة هي التي أنت فيها الآن، ثم تجد نفسك بين يَدَي المَلك الجبار، في لحظةٍ خاطفةٍ مِن ليلٍ أو نهار، وحينها لن يَنفعك الندم، ولن يَرحم بكائك أحد، فأسرِع ولا تتردد، وقِف مع نفسك وقفة العُمر، اللهم إنا نعوذ بك من طُول الأمل وتأخير التوبة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 113: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي لا تَميلوا إليهم بمَحبتهم أو بالرضا عن أعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾: أي حتى لا تصيبكم النار (لأنكم إذا رضيتم عن أعمالهم ، أصبحتم مِثلهم، ودخلتم النار معهم)، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يَنفعونكم ويَتولون أموركم في الدنيا، ﴿ثُمَّ﴾ إذا مَسَّتكم النار في الآخرة ﴿لَا تُنْصَرُونَ﴾ أي لا تجدون مَن يَنصركم ليُخفّف عنكم عذاب النّار أو يُخرجكم منها.

الآية 114، والآية 115: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ يعني: وأدِّ الصلاةَ على أتمِّ وجه، ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ أي في الصباح والمساء، ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ يعني: وفي ساعاتٍ من الليل، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر بإقامة الصلاة وبيان أنّ الحسنات تمحو السيئات، هو ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾: أي موعظة لمن اتعظ بها وتذكر.

﴿وَاصْبِرْ﴾ - أيها النبي – على الصلاة، وعلى ما تَلْقاه مِن أذى المشركين، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي لا يُضيع جزاءهم يوم القيامة (والمُحسنون هم الذين يُخلصون أعمالهم لله تعالى ويؤدونها على الوجه الأكمل، فتنتج لهم الحسنات التي يُذهِب اللهُ بها السيئات).

الآية 116: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي فهَلاّ وُجِدَ من القرون الماضية ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾_أي أصحابُ بقيّة (يعني أصحاب دين وفَهم وعقل) ﴿يَنْهَوْنَ﴾ المشركين الظالمين ﴿عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾؟، والجواب: لم يكن بينهم أحدٌ من أهل الخير والصلاح ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: يعني إلا قليلاً مِمَّن آمَن، فنَجَّاهم اللهُ من عذابه، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ (والتَرَف هو النعيم والسعة في العَيش)، ومعنى أنهم اتَّبعوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ: أي أقبلوا على مَتاع الدنيا الفاني - إقبال المُتّبِع على مَتبوعه - ورفضوا الانقياد لدين اللهِ تعالى واتّباع رُسله ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ لأنّ اللهَ هو الذي أعطاهم هذا النعيم فلم يَشكروه، ولم يَمتثلوا أوامره فأهلكهم.

الآية 117: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، وإنما يُهلكهم سبحانه بسبب ظُلمهم وفسادهم.

الآية 118، والآية 119: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي لَجَعَلَ الناس كلهم جماعةً واحدة، على دينٍ واحد وهو الإسلام، ولكنه سبحانه لم يَشأ ذلك لحكمةٍ يَعلمها، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في أديانهم ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ فآمنوا به واتَّبعوا رسله (فهؤلاء لا يَختلفون في توحيد الله تعالى)، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: وقد شاء سبحانه أن يَخلقهم مُختلفين، ليُظهِر للخلق قدرته ورحمته وعدله ومغفرته، ولكنه أيضاً أرسل لهم الرسل، وأوضح لهم طريق الخير وطريق الشر.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: وبهذا يَتحقق وَعْد ربك في قضائه بأنه سيَملأ جهنم من الجن والإنس الذين اتَّبعوا إبليس وجنوده ولم يَهتدوا للإيمان كِبراً وعِناداً.

الآية 120: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ - أيها النبي - ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (والمعنى: ونقص عليك كل ما تحتاج إليه من أخبار الرسل مع أقوامها، مما يكونُ فيه تثبيتاً لقلبك وقوةً لعزيمتك، حتى تُواصِل دعوتك وتُبَلِّغ رسالتك).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ﴾ أي: وقد جاءك في هذه السورةِ بيانٌ للحق الذي أنت عليه ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: وجاءك فيها موعظةً يَنتهي بها الكافرون عن كُفرهم وفسادهم، وذِكرى يَتذكر بها المؤمنون فيَتَّقوا ربهم.

الآية 121، والآية 122: ﴿وَقُلْ﴾ - أيها الرسول - ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ مِن قومك: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: أي اعملوا على طريقتكم – التي أنتم عليها – في مقاومة الدعوة وإيذاء الرسول والمُستجيبينَ له، فـ ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على طريقتنا من الثبات على ديننا وتنفيذ أوامر ربنا، ﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ أي: وانتظروا ما سيَحِلّ بكم، فإننا معكم مُنتظرون (وفي هذا تهديدٌ شديدٌ لهم).

الآية 123: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يعني: ولله سبحانه وتعالى عِلمُ كل ما غابَ في السماوات والأرض ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ يوم القيامة، ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ - أيها النبي - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ أي اعتمد عليه وحده، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر، وسيجُازي كلاً بعمله.

****

www.alukah.net

تفسير سورة يوسف كاملة

الآية 1، والآية 2: ﴿الر﴾: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، (واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: ألف لام را)، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني: هذه هي آياتُ الكتاب الواضح في مَعانيه وهُداه وحلاله وحرامه، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ - أيها العرَب - ﴿تَعْقِلُونَ﴾ أي تَعقلونَ آياته وتَفهمونها، فتَعملوا بها.

الآية 3: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني أصَحّ القصص وأصْدَقه، وأنْفَعَهُ وأجْمَلَه، وذلك ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي بواسطة وَحْينا إليك ﴿هَذَا الْقُرْآنَ﴾ - لأنّ هذه القصص تكونُ عن طريق الوحي - ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يعني: وقد كنتَ – قبلَ إنزال القرآن عليك – من الغافلين عن هذه الأخبار، لا تَدري عنها شيئًا.

الآية 4، والآية 5: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ أي اذكر أيها الرسول لقومك قَوْلَ يوسف لأبيه يعقوب: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ أي في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (فكانت هذه الرؤيا بُشرى لِمَا وَصَلَ إليه يوسف عليه السلام مِن عُلُوِّ المَنزلة في الدنيا والآخرة)، ف﴿قَالَ﴾ يَعقوب لابنه يوسف: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ -وقد كانوا إخوته مِن أبيه، ولَيسوا أشِقَّاء له - ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي فيَحسدوك ويُعادوك، ويَسعوا في إهلاكك، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي عداوته ظاهرة للإنسان.

الآية 6: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يعني: وكما أراكَ ربك هذه الرؤيا، فكذلك يَصطفيك ويَختارك ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي يُعَلِّمك تفسير ما يَراهُ الناسُ في مَنامهم، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ بالنُبُوَّة والرسالة ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمَن يَستحق الاصطفاء والاختيار من عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبير أمور خَلقه.

الآية 7: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾ أي في قصة يوسفَ ﴿وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾ يعني أدلة تدل على قدرة اللهِ وحِكمته، وفيها عِبَرٌ ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ الذين يَسألون عن أخبارهم، ويَرغبون في مَعرفتها.

الآية 8، والآية 9: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي اذكر حين قال إخوة يوسف فيما بينهم: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: يعني إنّ يوسف وأخاه الشقيق "بِنيامين" ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ (لأنه يُفضِّلهما علينا) ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: ونحن جماعة (وكان عددهم عَشَرة) فكيف يُفضِّل الاثنين على العَشَرة؟! ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: يعني إنّ أبانا لَفي خطأٍ واضح، حيثُ فضَّلهما علينا من غير سبب، إذاً ف﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ يعني: أو ألقوا به في أرضٍ مجهولة بعيدة عن العُمران، وبذلك ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: أي يَخلُص لكم حُبّ أبيكم وإقباله عليكم، ولا يَلتفت عنكم إلى غيركم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ - أي مِن بعد قَتْل يوسف أو إبعاده - ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ تائبينَ إلى الله، مُستغفرينَ من ذنبكم، (وفي هذا دليل على أنّ إظهار المَيل إلى أحد الأبناء بالحب، يُورث العداوة بين الإخوة).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 10: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنهُمْ﴾: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ - لأنّ القتل جريمة فظيعة - ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ يعني: ألقوه في جَوف البئر: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أي يَلتقطه بعض المارَّة مِن المُسافرين فتستريحوا منه، هذا ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: يعني إن كنتم فاعلينَ شيئاً تجاه أخيكم، فهذه هي أفضل الطُرُق.

الآية 11، والآية 12: ﴿قَالُوا﴾ لأبيهم – بعد اتفاقهم على إلقاء يوسف في البئر –: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ – مع أنه أخونا، ونحن نريد له الخير، ونخاف عليه ونَرعاه – ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ أي نَخُصُّهُ بخالص النصيحة؟، ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ – عندما نخرج إلى مَراعِينا – ﴿يَرْتَعْ﴾: أي يَنشط ويفرح، ﴿وَيَلْعَبْ﴾ بالتسابق معنا، وبغير ذلك من اللعب المُباح، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ مِن كل ما تخافُ عليه.

الآية 13: ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: أي تُؤلمني مُفارقته إذا ذهبتم به إلى المَراعي ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ يعني وأنتم مُنشغلون عنه في مَراعيكم.

الآية 14، والآية 15: ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي جماعة قوية: ﴿إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ أي لا خيرَ فينا.

♦ فأرسَلَهُ أبوهم معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ يعني أجمَعوا على إلقائه في جَوف البئر، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي أعْلَمَ اللهُ يوسفَ بطريقٍ خَفِيٍّ سريع: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾: أي سوف تُخبر إخوتك في المستقبل بما فعلوه بك، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أننا أوحينا إليه بذلك (وفي هذا بِشارةٌ له بأنه سيَنجو مِمّا وقع فيه).

♦ وقد قال بعض المُفسرين في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لن يَعرفوا – عندما تُعاتبهم – أنك أخوهم، (وهذا إخبارٌ من الله تعالى بما وقع بعد سنين)، والمقصود بذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾؟.

الآية 16، والآية 17: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ أي في وقت العِشاء – مِن أول الليل - ﴿يَبْكُونَ﴾ ويُظهِرون الأسف والخوف، فـ ﴿قَالُوا﴾: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي نتسابق في الجَرْي والرمْي بالسهام، ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ أي عند طعامنا وثيابنا، وما فارقناه إلا وقتًا قليلاً ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ يعني: وما أنت بمُصَدِّقٍ لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي: ولو كنا مَوصوفين بالصدق (وذلك لشدة حُبِّك ليوسف).

الآية 18: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي جاؤوا بقميصه مُلَطَّخًا بِدَمٍ غير دَم يوسف، (وقد قيل إنهم بعد أنْ ألقوه في البئر، ذبحوا حيواناً صغيراً يُشبه الماعز ولَطَّخوا بِدَمِه قميص يوسف)، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب عليه السلام: ﴿بَلْ﴾ أي: ليس الأمر كما تقولون، ولكنْ ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي زيَّنت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسُوء أمرًا قبيحًا في يوسف،

www.alukah.net

فرأيتموه حَسَنًا وفعلتموه، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فصَبْري صَبْرٌ جميل (لا سَخَطَ فيه، ولا شكوى معه لأحدٍ من الخَلق) ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي: وأستعينُ باللهِ لِيُصَبِّرَني على تَحمُّل هذا الوصف الكاذب الذي تَحكونه لي.

♦ وإنما فَوَّضَ يعقوب عليه السّلام الأمْرَ إلى اللهِ تعالى ، ولم يَسْعَ للكشف عن مَصير ابنه يوسف عليه السلام، لأنه عَلِمَ بصعوبة ذلك لِكِبَر سِنِّه، ولأنه لم يكن له أحد يَستعين به على أبنائه، وقد صاروا هم الساعينَ في البُعد بينه وبين يوسف، فيَئِسَ مِن ذلك، وفضَّلَ الصبر الجميل.

الآية 19، والآية 20، والآية 21: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي جاءت جماعة من المسافرين (وكانوا ذاهبين إلى مصر)، ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾: أي أرسلوا مَن يأتي إليهم ببعض الماء، ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ يعني: فلمَّا أرسلَ الوارد دَلْوَهُ في البئر: تَعَلَّقَ بها يوسف، فـ ﴿قَالَ﴾ الوارد: ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ يعني: يا بُشرايَ هذا غلامٌ عظيمُ القيمة، ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ يعني: إنّ الوارد وأصحابه قد أخفوا يوسفَ عن بقية المسافرين، حتى لا يُطالبوهم بالاشتراك معهم في ثَمَنه بعد أن يَبيعوه، وأمّا قوله تعالى: ﴿بِضَاعَةً﴾ يعني إنهم قالوا لهم: (هذه بضاعة، وقد طلب مِنّا أصحاب الماء أن نوصلها إلى صاحبها بمصر) ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بيوسف.

♦ والظاهر أن إخوة يوسف كانوا يَترددون على البئر لِيَعرفوا مَصير أخيهم، فلمَّا رأوه بأيدي الوارد و أصحابه، قالوا لهم: (هذا عَبدٌ لنا كثير الهرب، وإن أردتم شراءَهُ بِعْناه لكم) ، فقالوا لهم: (ذاكَ الذي نريد)، فَبَاعوه لهم بثَمَنٍ قليل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي باعه إخوته لهؤلاء المسافرين بثَمَنٍ قليل ، وهو : ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾، ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي كان إخوته زاهدينَ فيه، راغبينَ في التخلص منه، لأنهم لا يَعلمون مَنزلته عند اللهِ تعالى.

♦ ولمَّا ذهب المسافرون بيوسف إلى "مصر" اشتراه منهم أحد وزرائها، ﴿وَقَالَ﴾ هذا الوزير ﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾ : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ يعني أحسِني معاملته، وأكرمي إقامته عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾: أي لعلنا نستفيدُ مِن خِدمته ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: يعني أو نُقيمه عندنا مقام الولد (وقد قال ذلك لأنه لم يكن له ولد).

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: وكما أنجينا يوسف من البئر، وكما يَسَّرْنا له أن يَشتريه عزيز "مصر" – وهو الوزير – وجعلناهُ يَعْطِف عليه، فكذلك جعلنا هذا مُقدِّمَةً لتمكينه في أرض "مصر" مِن هذا الطريق (لِيَكون على خزائنها فيما بعد، يَحكمها بالعدل والرحمة)، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تفسير الرؤى، فيَعرف ما سيَقع منها في المستقبل، (ولَعَلَّ اللهَ تعالى رَبَطَ عِلم التأويل ببيت العزيز، لأنّ يوسف عليه السلام سيَبقى في هذا المكان مُتفرغاً للتفكر والتعمق في هذا العِلم (الذي وهبه اللهُ له)، لِيَزداد بذلك عِلماً، مِمّا سيَكونُ سبباً لتمكينه في الأرض عندما يُفَسِّر رؤيا المَلِك)، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ (فإذا أرادَ سبحانه شيئاً، قال له كُن فيكون، ولا أحد يَستطيع أن يَمنع حدوث ما يُريده اللهُ تعالى)، فإنّ الإنسانَ لو تأمَّلَ الأمرَ لَتَعَجَّبَ: (كيف لِغُلامٍ صغير مُلقَى في بئر، أن يَجعله اللهُ فيما بعد على خزائن الأرض؟!)، ولكنّ اللهَ يَفعل ما يريد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ الأمرَ كله بيد اللهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وفي هذا تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يَجد مِن أذى أقربائه له، إذ يوسف عليه السلام قد أصابه الأذى مِن أخوته الذين هم أقرب الناس إليه بعد والديه.

الآية 22: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني لمَّا وَصَلَ يوسف إلى مُنتهى قوته في شبابه: ﴿آَتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي عَلَّمناهُ كيف يَحكم بين الناس، ﴿وَعِلْمًا﴾ وهو الفقه في دين إبراهيم عليه السلام (وهو الإسلام)، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: وكما أعطينا يوسف هذا العطاء (جزاءً له على إحسانه)، فكذلك نُعطي المحسنين عِلماً نافعاً جزاءً لهم على إحسانهم، كما قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي عِلماً ونوراً تُفرِّقون بِهِ بين الحق والباطل والحلال والحرام والسُنّة والبِدعة.

الآية 23: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي حاولتْ امرأة العزيز فتنة يوسف (لِحُبِّها الشديد له وحُسن بَهائه)، ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ - يعني إنها دَعَتهُ إلى فاحشة الزنا والعِياذُ بالله –، فـ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي أعتصم باللهِ تعالى مِن فِعل الفاحشة، وأستجيرُ به مِن خيانة سيدي ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: يعني إنه سيدي الذي أحْسَنَ إقامتي في بيته، فلا أخونه في أهله، (وفي نفس الوقت فإنَّ سيده الحق (اللهُ جَلَّ جلاله) قد أكرمه بما سَخّر له من الأمور، فكيف يَخونه فيما حَرَّمَ عليه؟)، (واعلم أنهم كانوا يقولون للسيد المالك لفظ: (الرب)، كما نقول: رب البيت)، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: يعني إنّ مَن تجاوز حدَّهُ لا يُفلِحُ أبداً.

الآية 24: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ أي مالت نفسها لِفعل الفاحشة، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي حدَّثتْ يوسفَ نفسُه للاستجابة (لأنه بَشَرٌ وليس مَلَكاً)، واعلم أنّ الهَمّ هو خَطرات النفس وليس العمل، والدليل على ذلك قول اللهِ تعالى في الحديث القدسي – كما في الصحيحَين (البخاري ومسلم) –: (مَن هَمَّ بحَسنةٍ فلم يَعملها، كُتِبَتْ له حَسنة).

♦ وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾: يعني لولا أنه رأى آية من آيات ربه تنهاه عمَّا حَدَّثَتْهُ به نفسه، (وذلك لأنه اعتصم بربه – في بداية الأمر – قائلاً: (مَعاذَ الله)، فنَجّاه الله) ، ﴿كَذَلِكَ﴾ يعني: إنما أريناه ذلك البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ وهو كل ما يَسُوء الإنسان، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ وهي الوقوع في جريمة الزنا ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ أي المُختارين للرسالة، الذين استخلصناهم لطاعتنا ومَحبتنا، فلا نَرضى لهم أن يَتلوثوا بالذنوب والمعاصي، (واعلم أنّ ذلك يَتضمن أيضاً أنّ يوسف عليه السلام كان يُخلِص عمله لله تعالى، فلذلك خَلَّصَهُ اللهُ من السُوء والفحشاء).

♦ وقد قال بعض المُفسرين في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ أي أرادت أن تضربه عندما امتنع، ﴿ وَهَمَّ بِهَا﴾ لِيُدافع عن نفسه ويَضربها، ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أي لولا أنّ اللهَ ألْهَمَهُ أنّ الخير في عدم ضَرْبها، ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ وهو ضَرْبها، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ وهي الزنا.

www.alukah.net

الآية 25، والآية 26، والآية 27: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ يعني أسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرعتْ وراءه تحاول الإمساك به، ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ أي جَذبتْ قميصه مِن خلفه – لتمنعه عن الخروج – فقطعتْ القميص.

♦ وفتح يوسف الباب لِيَهرب منها ، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ أي وجدا زوجها عند الباب، (وقد كانوا يُطلِقون على الزوج لفظ (السيد) لأنه كانَ يَملك المرأة)، فـ ﴿قَالَتْ﴾ لزوجها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ - أي الفاحشة – ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني أو يُعَذَّب عذاباً شديداً؟، فـ ﴿قَالَ﴾ له يوسف: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾: يعني هي التي طلبتْ مِنّي ذلك.

♦ والظاهر أنّ العزيز كان معه رجل من أهل امرأته (أو أنه استدعاه لِيَحكم بينهما)، كما قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾: يعني إن كان قميصه قُطِعَ من الأمام: ﴿فَصَدَقَتْ﴾ في اتِّهامها له ﴿وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما دافَع به عن نفسه، ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾: يعني إن كان قميصه قُطِعَ من الخلف: ﴿فَكَذَبَتْ﴾ في قولها ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

الآية 28، والآية 29: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾: يعني عندما رأى الزوجُ قميصَ يوسف قد قُطِعَ مِن خلفه: عَلِمَ براءة يوسف، و ﴿قَالَ﴾ لزوجته: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾: يعني إنّ هذا الكذب الذي اتَّهمتِ به هذا الشاب هو مِن جُملة مَكْرِكُنّ – أيتها النساء - ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ثم قال ليوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي اترك ذِكْرَ ما كان منها فلا تَذكره لأحد، ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: أي اطلبي – أيتها المرأة – مِن زوجك العفو عن ذنبك؛ حتى لا يُؤاخِذَكِ به ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ فيما فَعَلتي، وفي افترائك على يوسف.

الآية 30: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ - بعد أن وصل إليهنَّ خبر امرأة العزيز ويوسف – فتحدثنَ به، وقُلنَ: ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي تحاول فِتنة خادمها، إنه ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: أي قد وصل حُبّها لَهُ إلى شَغافِ قلبها (أي غلافه)، ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا﴾ - بهذا الفعل - ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في خطأ واضح، إذ كيف تُحِبُّ عبداً لها، على الرغم مِن شَرَفِها وعُلُوّ مَكانتها؟!

الآية 31: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: يعني عندما بَلَغَ امرأةَ العزيز ذمُّ هؤلاء النسوة لها: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ تدعوهنّ لزيارتها ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾: يعني أعَدَّتْ لهنّ ما يَتَّكِئنَ عليه من الوسائد، وما يأكُلْنَهُ من الطعام ﴿وَآَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ (لأنها أعطتهنّ طعاماً يَحتاج إلى تقطيع)، ﴿وَقَالَتِ﴾ ليوسف: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أي أعظَمْنَهُ في نفوسهنّ، وشَغَلَهُنّ حُسنه وجماله ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: أي جَرَحْنَ أيديهنّ وهُنَّ يُقَطِّعنَ الطعام (بسبب الدهشة والذهول الذي أصابهنّ)، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً للهِ تعالى – يعني تَبرِئَةً له سبحانه ونَفياً – عن العَجز بأنْ يَخلق مِثل هذا الجمال، بل هو قادرٌ على كل شيئ، ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ لأنّ جماله غير مَعهود في البشر، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ما هذا إلا مَلَكٌ كريم من الملائكة، (وظاهر هذه الجملة أنّ المَصريين كانوا يَعتقدون حِينئذٍ في وجود الملائكة).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وقد قال بعض المُفسرين في وَصْف اللهِ تعالى لكلامهنّ بالمَكر: أنَّهنَّ أرَدْنَ بإنكارهنّ على امرأة العزيز أن يَصل قولهنّ إليها، فيكون ذلك سبباً في أن تدعوهنَّ لرؤية جمال يوسف عليه السّلام، وهذا هو ما فعلتْه.

الآية 32: ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز للنسوة: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾: أي فهذا هو الفتى الذي لُمتُنَّني في الافتتان به، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي حاولتُ فِتنته ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾: أي امتنع (وهذه شهادةٌ منها لِيوسف عليه السلام، في صِدق اعتصامه باللهِ تعالى)، ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آَمُرُهُ﴾ به في المستقبل: ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ ﴿وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ أي الذليلين المُهانين.

الآية 33: ﴿قَالَ﴾ يوسف عليه السلام – مُستعيذاً باللهِ مِن شرِّهنَّ ومَكرِهنّ -: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من الوقوع في الفاحشة، ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ يعني: إنْ لم تَصرف عني مَكرهنّ أَمِلْ إليهنّ، (فإنني ضعيفٌ عاجز إن لم تَدفع عني السُوء)، ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الذين يَرتكبون الذنوبَ لِجَهلهم بقدرة اللهِ تعالى وعَظَمته واطِّلاعِهِ عليهم، (فالجاهلُ حقاً هو الذي يُفَضِّلُ لَذّة رخيصة عاجلة، على لَذّات مُتتابعات وشهوات مُتنوعات في جنات النعيم).

الآية 34: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ (لأنّ امرأة العزيز ظَلَّت تُحاولُ فِتنته وهو يَمتنع، حتى يَئِسَتْ مِن ذلك، وصَرَفَ اللهُ عنه كيدها) ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعاء يوسف، ودعاء كل مَن دَعاه، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحاجة يوسف إليه، ونِيَّته الصادقة في الاعتصام به من المعاصي.

الآية 35: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ﴾ أي ظَهَرَ للعزيز وأصحابه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآَيَاتِ﴾ أي مِن بعد ما رأوا الأدلة على براءة يوسف وعِفَّته: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾: يعني إنهم عَزَموا على أن يَسجنوه فترة من الزمن، حتى يَنسى الناس الحادثة، ولا يَبقى لها ذِكرٌ بينهم (وذلك مَنعًا للفضيحة).

الآية 36: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ أي خادمان (كانا يَخدمان المَلك)، وقد حُبِسُوا بسبب تهمةٍ وُجِّهَتْ إليهما، فـ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾: يعني إنني رأيتُ في المنام أني أعصر عنبًا لِيكونَ خمرًا، ﴿وَقَالَ الْآَخَرُ﴾: ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾: يعني إنني رأيتُ في المنام أني ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾، ثم قالا ليوسف عليه السلام: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾: أي أخبِرنا بتفسير ما رأيناه، فـ ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يُحسنون مُعاملة الناس.

الآية 37، والآية 38: ﴿قَالَ﴾ لهما يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ يعني إلاَّ أخبرتُكما بخَبَره (أو بِوَصْفِهِ) ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾، (ونلاحظ أنه لم يُفَسِّر لهما رؤيتهما إلا بعد أن أثبتَ لهما كفائته أولاً، وذلك حتى يَثِقا فيه، فبالتالي يُصَدِّقا كلامه عندما يُحَدِّثهما عن التوحيد).

www.alukah.net

﴿ذَلِكُمَا﴾ أي التفسير الذي سأقوله لكما هو _﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾، وليس مِن عند نفسي (وذلك حتى يَربط قلوبهما باللهِ تعالى وليس بالبشر)، ثم قال لهما: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ أي ابتعدتُ عن دين قومٍ _﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إذ كانوا مُشركين يَعبدونَ مع اللهِ غيره، _﴿وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ لا يُؤمنونَ ببَعثٍ ولا حساب، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آَبَائِي﴾ : أي اتَّبعتُ دين آبائي: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فعَبَدْنا اللهَ وحده، و﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ في عبادته.

♦ واعلم أنه يُستفاد من هذه الجملة : ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، أنّ الإنسان يَجب أن يَترفع عن فِعل الشِرك والمعاصي، فيقول: (ما كان لنا أن نَعصي اللهَ تعالى وهو مُطَّلِعٌ علينا)، وكذلك يُرَبِّي أولاده على ذلك، فيقول لهم: (لَسْنا نحنُ الذين نَفعل الخطأ، مِن المُمكن أن يَفعله غيرنا، أمّا نحن فلا يُمكن أن نَفعله أبداً)، فبهذا يَنشأ الأولاد في بيئةٍ تَكره المعاصي وتحتقرها، فإذا راودَتْ أحدهم نفسه على فِعل شيءٍ خطأ، قال لها: (إنّ ديني وأخلاقي لا يَسمحان لي أن أفعل ذلك).

﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي ذلك التوحيد – وهو إفراد اللهِ وحده بالعبادة – هو مِمّا تَفضَّلَ اللهُ به ﴿عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ إذ أرسلَ اللهُ إليهم الرسل لهدايتهم، ولكنهم لم يَشكروهُ على نعمته، ورفضوا اتّباع الرُسُل.

الآية 39، والآية 40: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ : يعني يا صاحبيَّ في السجن: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾: يعني هل عِبادةُ آلهةٍ مخلوقة، مُتفرقة هنا وهناك (هذا صنم وهذا كوكب، هذا إنسان وهذا حيوان، هذا شَكله كذا وهذا صِفَته كذا) هل هذا ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ في ذاته وصفاته، ﴿الْقَهَّارُ﴾ لجميع مخلوقاته؟ (إذ الكُل خَلقه وعَبيده، وهم تحت قَهْره وسلطانه، لا يَتحركون إلا بمشيئته وإرادته).

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً﴾ لا مَعاني لها (وهي الأصنام) التي ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ آلهةً ﴿أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ﴾ جهلاً منكم وضَلالاً، (إذ إطلاقكم لفظ (إله) على صنم – أو على صورة مَرسومة لكوكب – لا يَجعلها آلهة)، و ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أي ما أنزل اللهُ حُجَّةً بشأنها تدل على أنها تستحق العبادة، أو أنها تقربكم إلى ربكم كما تزعمون، (فهي مصنوعة بأيديكم لا تَسمع ولا تُبصِر، ولا تنفع ولا تضر)، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: يعني ما الحُكم الحق إلا للهِ تعالى وحده، وقد ﴿أَمَرَ﴾ أي حَكَمَ ﴿أَلَّاتَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾ هو ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي الدين المستقيم الذي لا عِوَجَ فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (إذ جَهْلهم بمَعرفة ربهم الحق – الذي خَلقهم ورزقهم ويُدَبِّر حياتهم – هو الذي جعلهم يَعبدونَ ما يَصنعون).

الآية 41: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ : ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ : يعني أمّا الذي رأى أنه يَعصر العنب، فإنه سيَخرج من السجن ويكون ساقي الخمر للمَلك، ﴿وَأَمَّا الْآَخَرُ﴾ الذي رأى أنه يَحمل على رأسه خبزًا: ﴿فَيُصْلَبُ﴾ أي سيُقتَل وهو مَصلوبٌ على خشبة، ثم يُترك ﴿فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي حُكِمَ في الأمر_﴿الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ويُستفاد من الآيات السابقة أنّ يوسف عليه السلام قد اغتنم فرصة سؤال الرَّجُلَين له، في أن يَدعوهما أولاً إلى اللهِ تعالى، ثم بعد ذلك أجابَ طلبهما، ولهذا يَنبغي للإنسان أن يَغتنم هذه الفرص، بحيثُ إذا جاءه شخصٌ ما، وحكى له مُشكِلة تُواجهه، فعليه أن يسأله أولاً: (هل أنت تصلي أو لا؟)، فإذا كان لا يصلي، فعليه أن يقول له: (إذاً هذا هو سبب المشكلة، لأنك لو كنتَ قريباً من اللهِ تعالى، ما خَذَلَكَ أبداً، فعليك أن تُصلِح حالك مع اللهِ أولاً)، ثم بعد ذلك يُعِينه على حل مشكلته، فبذلك يَستجيب.

♦ وكذلك يُستفاد من قولهما له: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أنه يَنبغي للإنسان أن يكون قدوةً للناس قبل أن يَدعوهم إلى اللهِ تعالى، وكذلك يُستفاد أن الإنسان الصالح يؤثر فيمَن حوله ولا يتأثر بهم.

الآية 42: ﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ - وهو الفتى الذي عَلِمَ يوسفُ أنه سيَخرج من السجن -: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: أي اذكرني عند سيدك المَلك وأخبِره بأنني مَظلوم، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: يعني أنسَى الشيطانُ ذلك الرجل أن يَذكر للمَلك حالَ يوسف، ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: أي مَكَث يوسف في السجن عدة سنوات (واعلم أنّ البِضْع: مِن ثَلاث إلى تِسع، وقيل: مِن ثَلاث إلى عَشر، واللهُ أعلم).

♦ وقد قال بعض المُفسرين في قوله تعالى: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ يعني (إنّ الشيطان أَنسَى يوسفَ عليه السلام ذِكْرَ ربّه تعالى، حيث التفتَ بقلبه إلى الخادم والمَلك، فعاقبه اللهُ بالبقاء في السجن بضع سنين)، ثم استدَلُّوا بهذا الحديث: (لو لم يقل – يعني يوسف - الكلمة التي قال، ما لَبِث في السجن طول ما لَبِث، حيثُ يَبتغي الفرج مِن عند غير الله)، واعلم أنني قد ذكرتُ هذا القول مِن باب الأمانة العلمية فقط، وإلاَّ، فإنّ الحديث المذكور ضعيف جداً، وكذلك فإنّ يوسف عليه السلام لم يَرتكب خطأً، ولكنه أخذَ بأسباب النجاة، وهذا لا يَتعارض أبداً مع التوكل على اللهِ تعالى، ولا يَتعارض مع أنّ يوسف عليه السلام كان يدعو ربه قبل أن يقول هذه الجملة، ولكنه اغتنم فرصةً قد لا تتكرر، واللهُ أعلم.

الآية 43: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى﴾ أي رأيتُ في منامي ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ أي سَمينات ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ أي يأكلهنّ سبع بقرات نَحيلات هَزيلات (وهذا مِن العَجَب: أنّ الضعيف يأكل القوي)، ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ يعني: ورأيتُ سبع سُنبلات خُضر يأكلهنّ سبع سُنبلات يابسات، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: يعني يا أيها السادة والكُبَراء ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾: يعني إن كنتم للرؤيا تُفَسِّرون.

الآية 44: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ يعني إنّ رؤياكَ هذه أحلامٌ مُختلَطة لا تفسيرَ لها، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ أي لا عِلمَ لنا بتفسير الأحلام.

الآية 45، والآية 46: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي الذي نَجا من السجن – مِن صاحبَي يوسف – وعاد إلى خدمة المَلك، ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: أي تذكَّر بعد مُدّة – وهي البِضع سنين التي مَكَثها يوسف في السجن – فتذكّر أنّ يوسف

www.alukah.net

يُفسِّر الرؤى، فقال لهم: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ : يعني أنا أخبركم بتفسير هذه الرؤيا، فابعثوني إلى يوسف لآتيكم بتفسيرها.

♦ واعلم أنّ لفظ "أمَّة" يأتي أحياناً بمعنى: (جماعة من الناس)، ويأتي أحياناً بمعنى: (فترة من الزمن)، واعلم أيضاً أنّ كلمة (ادّكَر) أصلها: (تذكَّر) ولكنْ أُدغِمَت التاء في الذال فصارت: (ادّكَر).

♦ وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي كثير الصِدق – وقد رأى ذلك منه في السجن – فقال له: ﴿أَفْتِنَا فِي﴾ تفسير رؤيا لـ ﴿سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ أي يأكلهنّ سبع بقرات نَحيلات هَزيلات، ﴿وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ﴾ يعني لِكَي أرجع ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ أي إلى المَلك وأصحابه فأُخبرهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي ليَعلموا تفسير ما سألتُكَ عنه، فيَنتفعوا به ويَعلموا مَكانتك وفضلك.

الآية 47، والآية 48: ﴿قَالَ﴾ له يوسف: تفسير هذه الرؤيا أنكم ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ : أي تزرعون سبع سنين مُتتابعة جادِّينَ ليَكثُر العطاء، ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾ مِن تلك الزروع في كل سَنة: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾: أي اتركوه في سنابله (في الصوامع) ليَتمَّ حِفظه من التسوُّس، حتى تدَّخِروه للسنين القادمة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ : يعني إلا قليلاً مِمّا تأكلونه من الحبوب في كل حَصاد، فهذه لا تَدَّخروها، بل اعطوها للناس حتى يأكلوها (ولتكن قليلة، ليَكثُر ما تَدَّخرونه ويَعظُم نَفعه)، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي سيأتي مِن بعد هذه السنين ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: أي سبع سنين شديدة الجفاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: أي يأكل أهلها كل ما ادَّخَرتموه لهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ : يعني إلا قليلاً مما تحفظونه وتَدَّخِرونه ليَكون بذورًا للزراعة فيما بعد (فهذه لا تُعطوها للناس ليأكلوها، بل ادَّخِروها للبَذر والحاجة).

الآية 49، والآية 50: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ أي: ثم سيأتي من بعد سنوات الجفاف: عامٌ يُغيثهما اللهُ فيه بالمطر والسيول وجَرَيان النيل، فيَرفع عنهم تلك الشدة، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يعني: وفي هذا العام يَعصرون الثمار التي يُمكِن عصرها – كقصب السكر وغيره – وذلك مِن كثرة الثمار والحبوب، وزيادتها على أكْلهم.

♦ فبذلك عَبَّر يوسف عليه السلام عن البقرات السَمينات والسُنبلات الخُضر (بأنهنّ سنواتٌ خِصبة)، وعَبَّرَ عن البقرات الهَزيلات والسُنبلات اليابسات (بأنهنّ سنواتٌ قحطٍ وجفاف).

♦ فلَمَّا ذهب الرجل إلى المَلك : أعجبه تفسير الرؤيا، وعرف ما تدل عليه، فأرادَ إكرام يوسف عليه السلام، لِمَا ظَهَرَ له من العلم والكمال والفضل على أهل مصر (في سنوات المجاعة التي ستأتي عليهم)، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لأعوانه: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾: أي أخرِجوا الرجل الذي فسَّرَ الرؤيا من السجن وأحضِروهُ لي، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ أي فلمَّا جاءه رسولُ المَلك يدعوه لمقابلة المَلك: ﴿قَالَ﴾ له يوسف: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾: أي ارجع إلى سيدك المَلك ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: أي اطلب منه أن يَسأل النسوة اللاتي جَرَحْنَ أيديهنّ عن حقيقة أمْرِهِنّ معي، حتى تَظهر الحقيقة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

للجميع، وتتضح براءتي، ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: يعني إنّ ربي – سبحانه وتعالى – عليمٌ بصَنيعهنّ وأفعالهنّ، لا يَخفى عليه شيءٌ من ذلك.

الآية 51، والآية 52، والآية 53: ﴿قَالَ﴾ المَلك للنسوة اللاتي جَرَحْنَ أيديهنّ: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾؟ يعني ما شأنكنّ حين حاولتنّ فتنة يوسف؟ هل رأيتنّ منه سُوءاً؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً للهِ تعالى عن العجز بأن يَخلق بشراً عفيفاً مِثل هذا (بل هو سبحانه على كل شيءٍ قدير)، ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، فعندئذٍ ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي ظهر الحق بعد خَفائه، فـ ﴿أَنَا﴾ التي ﴿رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي حاولتُ فِتنته فامتنع، ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في كل ما قاله، ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك القول الذي قلتُهُ في براءة يوسف والإقرار على نفسي ﴿لِيَعْلَمَ﴾ زوجي ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي لم أخنه بالكذب عليه، ولم تقع مِنِّي الفاحشة أثناء غيابه، واعترفتُ بذلك لإظهار براءة يوسف وبراءتي، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: ولِيَعلم زوجي أنّ الله ﴿لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: أي لا يُوَفِّق أهل الخيانة لِمَا فيه الرُّشد والصواب، فإنّ كُلَّ خائنٍ لا بد أن يَفضح اللهُ أمْره، فلو كنتُ خائنةً لزوجي، ما هداني اللهُ لِمثل هذا المَوقف المُشَرِّف، الذي أصبحتُ بِهِ مُبَرَّأةً طاهرة.

♦ ولمَّا كان هذا الكلام فيه نوع من تزكية النفس، فإنها عادت تقول: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من المُحاولة والكَيد، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾: يعني إنّ النفس لَكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي ﴿إِلَّا مَارَحِمَ رَبِّي﴾: يعني إلا مَن عصمه الله، فأعانه على مُخالفة نفسه وهَواه، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ لذنوب مَن تاب مِن عباده، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، حيث جَعَلَ التوبة نجاةً لهم.

الآية 54: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ (الحاكم لمصر) – عندما عَرف براءة يوسف وأمانته وحُسن خُلقه -: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ يعني أحضِروه لي ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي أجعله مِن المُقرّبين لي، ومِن أهل مَشورتي، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ يعني: فلمَّا جاء يوسف وكَلَّمه المَلك: ﴿قَالَ﴾ له المَلك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: يعني إنك اليوم عندنا عظيم المَكانة، ومؤتمَن على كل شيء.

الآية 55: ﴿قَالَ﴾ يوسف للمَلك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: أي اجعلني أتولى شؤون خزائن "مصر" (وهو ما يُعرَف في عصرنا بـ (وزير المالية))، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ أي أمين، ﴿عَلِيمٌ﴾ أي ذو عِلمٍ وبصيرة بما أتولاه، (وقد طلب يوسف عليه السلام ذلك لأنه أراد أن يَنفع العباد، وأن يُقيم العدل بينهم).

الآية 56، والآية 57: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: وكما أنعمنا على يوسف بالنجاة من السجن، فكذلك مَكَّنّا له في أرض "مصر" ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: أي يَنزل ويَسكن في أيّ مكانٍ شاءه منها (وذلك بعد أن كان في ظلام البئر وضيق السجن)، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ - وقد قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، وقال أيضاً في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولهذا قال سبحانه:

www.alukah.net

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ﴾ أي ثوابها ونعيمها ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي خيرٌ لهم من متاع الدنيا القليل الزائل.

الآية 58، والآية 59، والآية 60: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلى "مصر" لِيُحضِروا منها الطعام – وذلك بعد أن نزل القحط والجفاف في أرضهم – ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ أي على يوسف ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ أي: ولكنهم لم يَعرفوه لطُول المُدَّة ولِتغيُّر هيئته، (وقد أمَرَ يوسف عليه السلام فِتيانه بإكرام إخوته وحُسن ضيافتهم).

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾: يعني عندما أعطاهم الطعام الذي طلبوه – والظاهر أنهم أخبروه أنّ لهم أخاً مِن أبيهم لم يُحضروه معهم (وهو شقيقه "بِنيامين") – فـ ﴿قَالَ﴾ لهم يوسف: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾: أي ائتوني بأخيكم الذي مِن أبيكم، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾؟ يعني ألم تروا أني أوفيتُ لكم الكَيل وأكرمتكم ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ يعني: وأنا خير المُضيفين لكم؟، ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ أي فليس لكم عندي طعامٌ أعطيه لكم بعد ذلك، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: أي لا تأتوا إليَّ مرة أخرى إن لم تأتوني بأخيكم.

الآية 61: ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي سنَبذل جهدنا لإقناع أبيه أن يُرسله معنا ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ يعني: ولن نُقصِّر في ذلك.

الآية 62: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ أي قال يوسف لعُمّاله: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾: أي ضعوا ثَمَن بضاعتهم – وهي الدراهم التي اشتروا بها الطعام مِنّا - ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: أي ضعوها في أمتعتهم سِرّاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا﴾ أي إذا رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ ليَعلموا أننا لم نأخذ منهم ثَمَن الطعام فيُقدِّروا إكرامنا لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي ليَرجعوا لنا مرة أخرى طمعًا في عطائنا.

♦ واعلم أنّ كلمة (بضاعتهم) – المذكورة في قوله: ﴿ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ - يُحتمَل أن يكون مَعناها: (ثَمَن بضاعتهم، وهي الدراهم التي اشتروا بها الطعام من يوسف عليه السلام)، كما يُحتمَل أن يكون مَعناها: (البضاعة التي جاءوا بها مِن بلدهم – كالتمر ونحوه – ليأخذوا مكانها سائر الطعام من مصر)، وهو ما كانَ يُعرَف بنظام (المُبادَلة)، والله أعلم.

الآية 63: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ﴾، حَكوا له ما كانَ من إكرام العزيز لهم، و ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: يعني إنه لن يُعطينا في المستقبل إلا إذا كان معنا أخونا الذي أخبرناه به، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ - "بنيامين" - ﴿نَكْتَلْ﴾: أي نُحضر لكم طعاماً كثيراً (لأنه سيَزيد لنا الكَيل بسبب وجود "بنيامين")، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: ونحن نَتعهد لك بحفظه.

الآية 64، والآية 65: ﴿قَالَ﴾ لهم أبوهم: ﴿هَلْ آَمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾؟ يعني: كيف أستأمنكم على "بنيامين" وقد استأمنتكم على أخيه يوسف من قبل، والتزمتم بحفظه فلم تَفوا بذلك؟ فلا أثق بوعدكم وحِفظكم،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولكني أثق بحفظ اللهِ تعالى ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾: أي هو سبحانه خير الحافظين ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فأرجو منه أن يَرحمني (بأن يَحفظ يوسف ويَرُدّه عليّ).

♦ وقد كان هذا الحديث – الذي دارَ بينهم وبين أبيهم – قبل أن يَفتحوا أمتعتهم التي أحضروا بها الطعام من مصر، ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾: يعني عندما فتحوا أوعِيَتهم: ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾: أي وجدوا دَراهمهم التي دفعوها قد رجعتْ إليهم، ف ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾؟ يعني ماذا نطلب أكثر من هذا الكرم؟ ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: أي هذا ثَمَن بضاعتنا رَدَّه العزيز إلينا لننتفع به في معاشنا، فكُن مطمئناً على " بنيامين" وأرسِله معنا نَذهب به إلى مصر ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: أي نُحضِر طعامًا وفيرًا لأهلنا ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ - أثناء سفره معنا – مِن كل مكروه ﴿وَنَزْدَادُ﴾ - بوجوده معنا – طعاماً مِقداره: ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ (وهو ما يَستطيع أحد الإبل أن يَحمله)، فإنّ العزيز يَكيل للفرد الواحد: (حِمْل أحد الإبل)، و ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ عليه، لِغِناهُ وسعة مُلكه.

الآية 66: ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب عليه السلام: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي حتى تُعاهِدوني وتحلفوا لي باللهِ أنكم ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ أي احلفوا أنكم سَترُدُّونه إليَّ ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: يعني إلا أن تهلكوا جميعاً، ﴿فَلَمَّا آَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ يعني: فلمَّا عاهَدوهُ على ما طلب، ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي تكفينا شهادته سبحانه علينا.

الآية 67: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ يعني إذا دخلتم أرض "مصر" فلا تدخلوا كلكم مِن بابٍ واحد، ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ (حتى لا تصيبكم العَين لِكثرتكم)، ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: وإنني – بهذا الذي أوصيكم به – لا أدفع عنكم شيئًا قضاهُ اللهُ عليكم، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: يعني فما الحُكم إلا للهِ وحده، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: أي عليه اعتمدتُ ووَثِقتُ ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: وعليه وحده فليَعتمد المؤمنون في كل أمورهم، (وإنما أمَرَهم أبوهم أن يأخذوا بالأسباب التي يَحفظهم اللهُ بها – وهي الدخول من أبواب متفرقة - حتى لا يكون مُقصِّرًا في الأخذ بالأسباب، وهذا من تمام التوكل: الأخذ بالأسباب – امتثالاً لأمر اللهِ تعالى – ثم الاعتماد على اللهِ وحده وليس على السبب، لأنّ كل شيءٍ بيد الله).

♦ وهنا قد يقول قائل: كيف يَصفهم سبحانه بأنهم مُتوكلون، ثم يأمرهم بالتوكل عندما قال: ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾؟

والجواب: أنّ هذا كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا ﴾، أي استمِرُّوا على إيمانكم واعملوا على زيادته (وذلك بالإكثار من فِعل الطاعات)، فكما أنّ الإيمان يَزيد ويَنقص، فكذلك التوكل يَزيد ويَنقص (بحسب الحالة الإيمانية للشخص)، ويُحتمَل أيضاً أن يكون المعنى: (مَن كان مُتوكلاً – أي معتمداً – على غير اللهِ تعالى: فليتوكل على اللهِ وحده).

الآية 68: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ - أي مِن أبوابٍ متفرقة -: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي ما كان ذلك لِيَدفع قضاءَ اللهِ عنهم، ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ أي: ولكنه كانَ خوفاً في نفس يعقوب عليهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِن أن تصيبهم العين، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: يعني إنّ يعقوب لَصاحب عِلمٍ عظيم – بأمْر دينه – عَلَّمَهُ اللهُ له بالوحي، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يَعلمونَ عواقب الأمور ودقائق الأشياء، وكذلك لا يَعلمونَ ما يَعلمه يعقوب مِن صفات اللهِ تعالى.

♦ واعلم أنه مِن الخطأ الذي يقع فيه بعض الناس، أنه إذا فَعَلَ أحدهم شيئاً، وقال له الناس: (لماذا فعلتَ هذا؟)، فإنه يقول لهم: (حاجةً في نفس يعقوب قضاها)، فهذا خطأ، لأنه ليس يعقوب، ويعقوب عليه السلام نبي، وهذا الشخص ليس نبياً، وإنما الصواب أن يقول: (حاجةً في نفس "فُلان" قضاها) – ويقول اسمه.

الآية 69: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ في مَنزل ضيافته ومعهم شقيقه: ﴿آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: أي ضَمَّ إليه شقيقه بنيامين، و﴿قَالَ﴾ له سِرّاً: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ (وأمَرَهُ بكِتمان ذلك عن إخوته)، وقال له: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي لا تحزن بما صنعوه بي فيما مَضَى.

الآية 70: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾: يعني عندما حَمَّل يوسف إبلَهم بالطعام الذي يحتاجونه: ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: أي وَضعَ الإناء – الذي كان يَكيل به للناس – في متاع بنيامين (دونَ أن يَشعر أحد)، ﴿ثُمَّ﴾ - عندما ركبوا ليسيروا –: ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: أي نادى مُنادٍ: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾: يعني يا أصحاب هذه القافلة المُحمَّلة بالطعام ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

الآية 71: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي قال أولاد يعقوب – مُقبلين على المُنادِي -: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾؟

الآية 72: ﴿قَالُوا﴾ أي قال المُنادِي ومَن معه: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾: أي نفقد المكيال الذي يَكيل المَلك به للناس، ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ﴾: يعني هناك مكافأة لمن يُحضِره، مقدارها ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: أي يأخذ من الطعام ما يستطيع أحد الإبل أن يَحمله، ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ يعني: وقال المُنادي: (وأنا الضامن والمتولي لإعطاء هذه المكافأة لمن يجد المكيال).

الآية 73: ﴿قَالُوا﴾ أي قال إخوة يوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ يعني: واللهِ لقد تأكدتم – مِمّا رأيتموه مِنَّا في المرة السابقة – أننا ﴿مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ما جئنا أرض "مصر" من أجل الإفساد فيها وارتكاب المعاصي ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ أي لم نَسرق المكيال كما أننا لم نَسرق متاع أحد مِن قبل.

الآية 74: ﴿قَالُوا﴾ أي قال المُكلَّفون بالبحث عن المكيال – لإخوة يوسف –: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: يعني ما هي عقوبة السارق عندكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: (لسنا بسارقين؟).

الآية 75، والآية 76: ﴿قَالُوا﴾ أي قال إخوة يوسف: ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي جزاء السارق في شريعتنا: أنه ﴿مَنْ وُجِدَ﴾ المكيال ﴿فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي يُسَلَّم السارق إلى مَن سَرَق منه، حتى يكونَ عبدًا عنده، و ﴿كَذَلِكَ﴾: أي بمِثل هذا الجزاء –

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهو أن يُعامَل السارق معاملة العبيد - ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي السارقين، (واعلم أنّ معنى قوله تعالى : ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي فنَفسه هي جزاء سرقته، بأن تُستعبَد).

♦ فرجع المُنادِي ومعه إخوة يوسف، فقام يوسف بتفتيش أمتعتهم بنفسه ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾؛ وذلك إحكامًا لِمَا دَبَّره، حتى يَستبقي أخيه معه ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾، ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: أي كذلك يَسَّرنا ليوسف هذا التدبير الذي توصَّل به لأخذ أخيه، و ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: أي ما كان يستطيع أن يأخذ أخاه عن طريق الاحتكام إلى مَلِك مصر – لأنه ليس من شريعة المَلك أن يَتملَّك السارق، ولكنه كان يَضرب السارق ويُغَرِّمه بِمثل ما سَرَق - ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: يعني إلا أنّ مَشيئةَ اللهِ قد اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف، فحَكَموا بأخْذ السارق ومعاملته كَعَبد.

♦ وكما رفعنا مَنزلة يوسف: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾: أي نرفع مَنازل مَن نشاءُ مِن عبادنا، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يعني: وفوقَ كل صاحب عِلمٍ مَن هو أعلم منه، حتى يَنتهي العِلم إلى اللهِ تعالى عالم الغيب والشهادة.

الآية 77: ﴿قَالُوا﴾ أي قال إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾: يعني إنْ كانَ "بنيامين" قد سرق مكيال المَلك، فلا عَجَب في ذلك ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (يقصدون بذلك يوسف عليه السلام أيامَ صِغَرِه، فقد قيل – واللهُ أعلم - إنه سَرَقَ صنماً لأبي أمِّه فكسره حتى لا يَعبده)، فإنْ كانَ ذلك قد حدث، فهذه ليست سرقة، بل هو نهيٌ عن شِركٍ باللهِ تعالى، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: أي كَتَمَ يوسف في نفسه هذه التهمة وكظم غيظه، و ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾: يعني أنتم أسوأ مَنزلةً مِمّن اتهمتموه – كذباً – بالسرقة، حيثُ دَبَّرتم لي ما كانَ منكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي بحقيقة ما تَذكرون.

الآية 78: ﴿قَالُوا﴾ - مُستعطِفينَ يوسف لِيُوفوا بعهد أبيهم –: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ : يعني إنّ له والدًا كبيرًا في السن، يُحبه ولا يطيق بُعده ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في معاملتك لنا ولغيرنا.

الآية 79: ﴿قَالَ﴾ لهم يوسف: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ : أي نعوذ باللهِ أن نأخذ أحدًا غير الذي وجدنا المكيال عنده، ﴿إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ إنْ فَعَلنا لكم ما تطلبون.

الآية 80: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ﴾ : يعني عندما يَئسوا من إجابة يوسف لِطَلَبهم: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ : أي انفرَدوا عن الناس، وأخذوا يَتشاورونَ فيما بينهم، فـ ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾؟ أي أخذ عليكم العهد المؤكد بأنكم لَتَرُدُّنَّ إليه أخاكم إلا أن تَهلكوا جميعاً، ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ يعني: ومِن قبل هذا كان تقصيركم في يوسف وغَدْركم به؛ لذلك ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: أي لن أفارق أرض "مصر" ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في

www.alukah.net

مُفارقتها، ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ : يعني أو يَقضي لي ربي بالخروج منها، وأتمَكَّن مِن أَخْذِ أخي، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أي: واللهُ تعالى هو أعدل مَن حَكَمَ بين الناس.

الآية 81، والآية 82، والآية 83: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا ﴾ له: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ﴾ "بنيامين" قد ﴿سَرَقَ﴾ ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي: ما شَهِدْنا بذلك إلا بَعد أن تأكدنا، فقد رأينا المكيال في مَتاعه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: لم يكن عندنا عِلمٌ مِن الغيب بأنه سيَسرق حينَ عاهدناكَ على رَدِّهِ إليك، ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ أي اسأل أهل "مصر" ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: واسأل أيضاً مَن كان معنا في القافلة التي كنا فيها ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرناك به.

♦ ولمّا رجعوا إلى بلدهم، وأخبروا أباهم بما حدث: ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ يعني: بل زَيَّنَت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء مَكيدة دَبَّرتموها، كما فعلتم مِن قبل مع يوسف، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فصَبْري صَبْرٌ جميل لا تَسَخُّطَ فيه ولا شكوى معه لأحدٍ من الخَلق، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ : أي عسى اللهُ أن يَرُدَّ إليَّ أبنائي الثلاثة – يوسف وبنيامين وأخوهم الكبير (المتخلف من أجل أخيه) - ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وقضائه.

الآية 84: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أي أعرض يعقوب عنهم، وقد ضاقَ صَدْرُهُ بما قالوه، ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى﴾ أي ياحزني ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ أي ذَهَبَ سَوادهما، (وهو دليلٌ على ذهاب بَصَرِهِ بما أصابَ عينيه من البياض) ﴿مِنَ﴾ شدة ﴿الْحُزْنِ﴾ ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مملوء بالغَمّ والكَرب، ولكنه لا يُظهِر كَربه لأحدٍ إلا لله.

الآية 85: ﴿قَالُوا﴾ أي قال له أبناؤه: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي: واللهِ ما تزال تتذكر يوسف، ويَشتدُّ حزنك عليه ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: أي حتى تُشْرِف على الهلاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: يعني أو تَهلَكَ فِعلاً، فخَفِف عن نفسك.

الآية 86، والآية 87: ﴿قَالَ﴾ يعقوب مُجيبًا لهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ أي هَمِّي ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحده، فهو كاشف الضرِّ والبلاء، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي أعلم مِن رحمة اللهِ وفرجه ما لا تعلمونه.

♦ واعلم أنّ الشكوى إلى اللهِ تعالى لا تُعارِض الصبر الجميل الذي وَعَدَ به يعقوب عليه السلام، لأنه لم يَشتكِ لأحدٍ من الخَلق.

♦ ثم قال يعقوب لأبنائه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا﴾ أي عودوا إلى "مصر" ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: أي التمسوا وتَتَبّعوا أخبار يوسف وأخيه، ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: أي لا تقطعوا رجاءكم مِن رحمة الله، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾: يعني إنه لا يَقطع الرجاء من رحمة اللهِ إلا الجاحدونَ لقدرته وسعة رحمته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 88، والآية 89: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ أي على يوسف، ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ أي أصابنا وأهلنا القحط والجفاف، ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾: أي جئناك بثَمَنٍ قليل (وهي دراهم معدودة)، ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾: يعني أعطِنا بها ما كنتَ تعطينا مِن قبل بالثمن الجيد، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بالتغاضي عن قلة هذه الدراهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أي يَجزي المتفضِّلين بأموالهم على أهل الفقر خير الجزاء.

♦ فلمَّا سمع قولهم، رَقَّ لهم، وعَرَّفهم بنفسه، فـ ﴿قَالَ﴾: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ؟ يعني هل تَذكُرون ما فعلتموه بيوسف وأخيه من الأذى، في حال جَهْلكم بعاقبة ما تفعلون؟

الآية 90: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾؟! ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾، ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: أي قد تفضَّل اللهُ علينا، فجَمَعَ بيننا بعد الفُرقة، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ اللهَ تعالى، ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على المِحَن: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي لا يُذهِب ثوابَ إحسانه وصَبره، وإنما يَجزيه أحسن الجزاء.

الآية 91: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: واللهِ لقد فَضَّلك اللهُ علينا وأعزَّك بالعِلم والحِلم والفضل، ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ أي: ولقد كنا خاطئينَ بما فعلناه – عَمدًا – بك وبأخيك.

الآية 92، والآية 93: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي لا تأنيبَ عليكم اليوم ولا لَومَ ولا عتاب، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ لمن تابَ مِن ذنبه وندم على ما فعل.

♦ وهذا يُعَلِّمُنا العفو عَمّن أساءَ إلينا بمجرد أن يَعتذر، فعلى الرغم مِمّا فَعَله إخوته به إلا إنهم بمجرد أن اعتذروا إليه – واعترفوا بخطئهم، وكَسَروا كبريائهم – عَفا عنهم ولم يُعاتبهم، (فالسعيدُ حقاً هو مَن يُسامح عن كل ما كانَ في حَقِّهِ من أجل الجنة).

♦ ولمّا سألهم عن أبيه، أخبَروه بذهاب بصره من البكاء عليه، فقال لهم: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾: أي عودوا إلى أبيكم ومعكم قميصي هذا ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ أي يَعُدْ إليه بصره، ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: ثم أحضِروا إليَّ جميع أهلكم.

الآية 94: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ يعني: ولمَّا خرجتْ القافلة من أرض "مصر" ومعهم قميص يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ للحاضرين عنده: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أي أشم رائحته (لأنّ الريح حَمَلَتها إليه بأمر اللهِ تعالى لها)، ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ يعني: ولولا أنكم ستَسخرون مِنّي وتزعمون أنّ هذا الكلام قد صَدَرَ مِنِّي مِن غير شعور، لَصَدَّقتموني فيما أقول، فإني أَجِدُ رائحته.

www.alukah.net

الآية 95: ﴿قَالُوا﴾ أي قال الحاضرونَ عنده: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ يعني إنك لا تزال في خطئك القديم مِن الإفراط في حُبّ يوسف وعدم نسيانه.

الآية 96: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾: يعني عندما جاءَ مَن يُبَشِّره بأنّ يوسف حيٌّ، ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ أي عادَ مُبصرًا، وعَمَّهُ السرور، ف ﴿قَالَ﴾ لمن عنده: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؟ أي أعلم مِن لُطف اللهِ وحُسن تدبيره ورحمته وكرمه ما لا تعلمونه أنتم؟

الآية 97: ﴿قَالُوا﴾ أي قال أبناؤه: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي اسأل اللهَ أن يعفو عنا ويَستر علينا ذنوبنا، ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ فيما فعلناه بيوسف وشقيقه، وفي الضرر والحزن الذي حدث لك طوال هذه المدة.

الآية 98، والآية 99: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: أي سوف أسأل ربي أن يَغفر لكم ذنوبكم ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوب عباده التائبين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، حيثُ وَفقهم للتوبة وقَبِلها منهم.

♦ وقد قيلَ إنّ يعقوب عليه السلام قد أجَّلَ الاستغفار لأبنائه – عندما قال لهم: (سوف أستغفر لكم ربي) – إلى ساعةٍ من ساعات إجابة الدعاء، كآخر الليل (وهو وقت السَحَر) أو يوم الجمعة، واللهُ أعلم.

♦ ثم خرج يعقوب وأهله إلى "مصر" ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي ضَمَّ يوسف إليه أباه وأُمَّه، ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي بمشيئة اللهِ وتقديره وإذنه، ﴿آمِنِينَ﴾ من التعب والجوع، ومِن كل مكروه.

الآية 100، والآية 101: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾: أي أجْلَسَ أباه وأُمَّه على عرش مُلكه بجانبه (إكرامًا لهما)، ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾: أي حَيَّاهُ أبواه وإخوته – الأحد عشر – بالسجود له (سجود تحيةٍ وتكريم، وليس سجود عبادةٍ وخضوع)، وقد كان ذلك جائزًا في شريعتهم، ولكنه حُرِّمَ في شريعتنا؛ إغلاقاً لباب الشرك باللهِ تعالى.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هذا السجود هو تفسير رؤياي التي قَصَصْتُها عليك مِن قبل في صِغري، ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ أي صدقًا، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: أي قد تفضَّلَ اللهُ عليَّ حين أخرجني من السجن ﴿وَجَاءَ بِكُمْ﴾ إليَّ ﴿مِنَ الْبَدْوِ﴾ أي من البادية (وهي هنا: صحراء الشام)، وذلك ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: أي مِن بعد أن أفسد الشيطان رابطة الأخُوّة بيني وبين إخوتي، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ في تدبيره ﴿لِمَا يَشَاءُ﴾ أي لمن يشاءُ من عباده (كما لَطَفَ بي)، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بمصالح عباده، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله.

♦ ويُلاحَظ أنّ يوسف عليه السلام قد جعل نفسه طَرَفاً في القضية عندما قال: (نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي)، وذلك حتى لا يُحرج إخوته أمام الناس، فما أروع هذا الأدب الراقي!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ثم دعا يوسف ربه قائلاً: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾: أي أعطيتَني مِن مُلك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: أي علَّمتني من تفسير الرؤى وغير ذلك من العلم، ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ﴾ أي يا خالق السماوات ﴿وَالْأَرْضِ﴾ ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾: يعني أنت مُتولي جميع شؤوني ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: فكذلك كُن مُتولي أمْري في الآخرة بإنجائي من النار وإدخالي الجنة، ﴿تَوَفَّنِي﴾ إليك ﴿مُسْلِمًا﴾ (وفي هذا دليل على أنّ دينَ اللهِ واحد – في كل زمان – وهو الإسلام، الذي هو الاستسلام والانقياد والخضوع التام لأوامر اللهِ تعالى، ولكنّ الشرائع هي التي تختلف)، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ -من الأنبياء والأبرار – في أعلى درجات الجنة.

الآية 102: ﴿ذَلِكَ﴾ أي المذكور من قصة يوسف عليه السلام هو ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: أي ما كنتَ حاضرًا مع إخوة يوسف حين دَبَّروا أمْرَ إلقاءه في البئر، وحينَ كذبوا على أبيهم (وهذا يَدُلّ على صِدقك، وعلى أنّ اللهَ يُوحِي إليك).

الآية 103، والآية 104: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما أكثرُ الناس بمُصدِّقيك – أيها الرسول – ولو حَرَصْتَ على إيمانهم، وذلك لأنّ الانقياد للحق يَتعارض مع انقيادهم لشهواتهم وأغراضهم الدنيوية الرخيصة (إذاً فلا تحزن عليهم، لأنه ما عليك إلا البلاغ)، ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعني: إنك لم تَطلب منهم أجراً على إرشادهم للإيمان – حتى لا يكون ذلك سبباً في إعراضهم عن دَعْوَتك - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني: ما الذي أُرسِلتَ به – مِن القرآن والهُدى – إلا مَوعظة وذِكرَى للناس أجمعين، فبالتفكر فيه يَهتدون إلى الحق، وباتِّباعه يَسعدون في الدنيا والآخرة.

الآية 105: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ﴾ يعني: وكثير من الدلائل – على وحدانية اللهِ وقدرته – مُنتشرة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كالشمس والقمر والجبال والأشجار، ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ أي يُشاهدها المشركون ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يَتفكرون فيها، ولا يَعتبرون بأنّ المُتفرِّد بالخَلق – سبحانه وتعالى – يَجب إفرادُهُ أيضاً بالعبادة ، وأنّ الذي خلق كل ذلك قادرٌ أن يبعثهم بعد موتهم.

الآية 106، والآية 107: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ أي: ما يُقِرُّ هؤلاء المشركون بأنّ الله تعالى هو خالقهم ورازقهم وخالق كل شيء ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به في عبادتهم للأصنام وغيرها، وكذلك يُشركون به في ذَبْحهم ونَذْرهم وغير ذلك من أنواع العبادات، ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾؟! يعني: فهل عند هؤلاء المشركين ما يَجعلهم مطمئنين مِن أنّ الله تعالى لن يُنزِّل عليهم عذاباً مِن عنده يُهلكهم جميعاً؟، ﴿أَوْ﴾ هل أمِنوا – أيضاً – أن ﴿تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ يعني أن تأتيهم القيامة فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؟!

الآية 108: ﴿قُلْ﴾ – أيها الرسول لهؤلاء المشركين -: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾: أي هذه طريقتي، وهي أنني ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: أي أدعو إلى عبادة اللهِ وحده ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: أي على حُجَّةٍ واضحةٍ من اللهِ تعالى – وهو هذا القرآن الذي أنزل اللهُ فيه الأدلة والبراهين وتحدَّى به المشركين – وعلى عِلمٍ ويقين من شريعة ربي ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ من المؤمنين، كُلُّنا ندعو إلى

www.alukah.net

اللهِ على بصيرة، ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: وأُنَزِّهُ اللهَ تعالى عن الشركاء، وأنفي عنه كل ما لا يليق به وأقول لكم – مُعلِناً براءتي من الشِرك - : ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

الآية 109، والآية 110: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ - إلى الناس - ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ أي بَشراً مِن جِنسهم (وهذا إبطالٌ لإنكارهم أن يكون الرسول رجلاً من الناس)، وهؤلاء الرُسُل ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾: أي نُنَزِّل عليهم وَحْيَنا، ونَختارهم ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: أي مِن أهل المُدُن – وليس من أهل البادية (الصحراء) – وذلك لأنّ أهل المُدُن هم أقدَرُ الناس على فَهم الرسالة وتبليغها، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ - أي هؤلاء المُكذبون بالعذاب –، ألم يَمشوا ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من المُكذبين وما نَزَلَ بهم من الهلاك؟، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: ولَنعيم الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ربهم، ففعلوا أوامره واجتنبوا معاصيه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟! يعني أفلا تتفكرون بعقولكم – أيها المشركون – في هذا القرآن الذي يُتلى عليكم – وفيما تشاهدونه من الآيات الكونية – فتؤمنوا بقدرة اللهِ على البعث وتُوَحِّدُوه في عبادته؟

♦ ولا تستعجل أيها الرسول النصر على المُكذبين ، فإنّ الرُسُل الذين مِن قبلك كان يَتأخر عليهم النصر – اختباراً لإيمان أتْباعهم وتَخليصاً لهم من المنافقين - ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ﴾: أي حتى إذا يَئِسَ الرُسُل من إجابة قومهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ أي: وأيقنوا أنّ قومهم قد كَذَّبوهم وأنه لا أمَلَ في إيمانهم: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ عند شدة الكرب، ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾: أي فنُنجي الرُسُل وأتْباعهم – كما قال تعالى في سورة يونس : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ - ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ أي عذابنا الشديد ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين تجرَّأوا على اللهِ تعالى وكذَّبوا رسله (وفي هذا تصبير للنبي صلى الله عليه وسلم على إيذاء قومه له).

الآية 111: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾: أي لقد كان في قصص المُرسَلين – والعذاب الذي نزل بالمُكذبين - ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي لأهل العقول السليمة، ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾: أي ما كان هذا القرآن حديثًا مَكذوبًا (لأنه لا يَقدِرُ أحدٌ من الخَلق أن يأتي بمِثله، فهو الكتاب العظيم الخالد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)، ﴿وَلَكِنْ﴾ اللهُ تعالى أنزله رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على العباد أجمعين، وجعَله ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي جَعَله مُوافقاً للكتب التي أنزلها على أنبيائه (مُصَدِّقًا لِمَا فيها مِن صِحَّة، ومُبَيِّنًا لِمَا فيها من تحريف) ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: وبَيانًا لكل ما يَحتاج إليه العباد مِن تحليلٍ وتحريم، وغير ذلك من الإخبارات الصادقة، ﴿وَهُدًى﴾: أي إرشادًا من الضلال ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي ورحمة لأهل الإيمان به، فتَهتدي به قلوبهم، ويَسعدون – بتلاوته والعمل به – في الدنيا والآخرة.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الرعد كاملة

1. الربع الأول من سورة الرعد

الآية 1: ﴿المر﴾: سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، (واعلم أن هذه الحروف تُقرأ هكذا: ألِف لام ميم را)، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ يعني: تلك الآيات – التي نتلوها عليك يا محمد في هذه السورة – هي آيات الكتاب العظيم، ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ - أي القرآن والسُنَّة – هو ﴿الْحَقُّ﴾ الواضح ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية 2: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ كما ﴿تَرَوْنَهَا﴾ يعني كما تشاهدونها (مرفوعةً بقدرتِهِ مِن غير أعمدة)، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ أي عَلا وارتفعَ سبحانهُ ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يَليقُ بجلاله وعظَمته، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي ذَلَّلَهما لمنافع العباد، ﴿كُلٌّ﴾ من الشمس والقمر ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي يَدورُ في فَلَكِهِ إلى يوم القيامة، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: أي يُدَبِّر سبحانه أمورَ خَلقه، ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: أي يوضّح لهم الآيات الدالة على استحقاقه وحده للعبادة، وعلى قدرته على بَعْث الخلائق بعد موتها – إذ هو سبحانه الذي ابتدأ خَلْقها من العدم - ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: أي لتكونوا على يَقين بلقاء ربكم يوم القيامة للحساب والجزاء، فحينئذٍ تُخلِصوا عبادتكم له وحده، وتتوبوا إليه وتستغفروه.

الآية 3: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ أي جَعَلها مُمتدة، وبَسَطَها لتستقروا فوقها، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً راسية لتُثبِّتُ الأرض ﴿وَأَنْهَارًا﴾ لِشُربكم ومَنافعكم، ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: أي جعل سبحانه في الأرض – من كل أنواع الثمرات – صِنفين اثنين، فجعل منها الأبيض والأسود والحلو والحامض وغير ذلك، ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: أي يُدخِلُ سبحانهُ الليلَ على النهار حتى يُذهِبَ نُوره، ويُدخِل النهار على الليل حتى يُذهِب ظلامه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ تدل على قدرته ووحدانيته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يتفكرونَ بعقولهم، فيَتَّعظوا ويَجتهدوا في فِعل ما يَنفعهم في الدنيا والآخرة.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ لا يُفهَم منه أنّ الأرض مُسَطَّحة، بل إنه يَدُلّ على أنك أينما ذهبتَ فوق الأرض، تراها مَمدودة أمامك، وهذا لا يُمكِن هَندسيّاً إلا إذا كانَ الشكل دائريّاً (إمّا كُرة أو بيضة أو دائرة)، إذ إنها لو كانت مُسَطَّحة: لاَختفى هذا المَدّ عند الوصول لحدودها، فسُبحانَ مَن عَلَّمَ محمداً صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة.

الآية 4: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ يعني: ومِن آياته سبحانه أنه جَعَلَ في الأرض قِطَعاً – من الأراضي الزراعية – يَلتصق بعضها ببعض، فمنها ما يُخْرِجُ نباتًا طيبًا يَنفعُ الناس، ومنها ما لا يُخرِجُ النباتَ إلا رَديئاً قليلاً لا نَفْعَ فيه (مع أنها نفس الأرض)، ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ﴾ يعني: وجعل سبحانه – في الأرض الواحدة – بساتينَ من أعناب، وكذلك جعل فيها أنواعاً مختلفة من الخُضروات والحبوب والفاكهة، ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ أي عدة نَخلات مُشترِكة في مَنبت واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ يعني: وهناك نَخلات غير مُجتمِعة في نفس المَنبت، وإنما كل نخلة قائمة على أصلها.

♦ كُلُّ ذلك في تربة واحدة، و﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ ولكنه يَختلف في شكله وحجمه وطعمه، ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ يعني: وبَعضها أفضل من بعض في الأكل (فسبحانَ مَن خَلَقَ الثمرات، وخلق لكل ثمرةٍ مَذاقاً وطَعماً) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾

www.alukah.net

﴿لَآيَاتٍ﴾ أي علاماتٍ على قدرته ووحدانيته، وقد جعل سبحانه هذه الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي يَتفكرون بعقولهم، فيَعلموا أنه سبحانه الخالق الرازق المُستحِق وحده للعبادة، إذ لا يُعقَل أبدًا أن يَخلُق سبحانه ثم يُعبَد غيرُه، وأن يَرزُق ثم يُشكَر غيرُه!

الآية 5: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾ - أيها الرسول – من عدم إيمان قومك بعد هذه الأدلة: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي فالعَجَب الأشدُّ مِن قول الكفار: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ – بعد موتنا – ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي نُبعَث أحياءً من جديد؟، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ الذي أَوْجَدَهم من العدم ﴿وَأُولَئِكَ﴾ تكونُ ﴿الْأَغْلَالُ﴾ - وهي سلاسل من نار – تُوضَعُ ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

♦ ويُحتمَل أن يكون المقصود بالأغلال التي في أعناقهم: أنها مَوانع الهداية في الدنيا، كالتقليد الأعمى، واتّباع الهوى، والكِبر والعناد، والانقياد وراء الشهوات، وغير ذلك.

الآية 6: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي يَستعجلك المشركون بإنزال العذاب – الذي أنذرتَهم به – ليكون دليلاً لهم على نُبُوَّتك، بدلاً مِن أن يَطلبوا إنزال الرحمات والبركات وسعة الرزق والرخاء (وذلك لِجَهلهم وعِنادهم)، لأنّ إنزال الرخاء والبركات – بعد أن تطلبها لهم مِن اللهِ تعالى – سيَكون دليلاً أيضاً على نُبُوَّتك، وأفضل لهم مِن طلب العذاب والهلاك.

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ يعني: وقد مَضَتْ عقوبات المُكذبين أمثالهم (كعادٍ وثمود)، ورأوا ديارهم، فكيف لا يَعتبرون بهم؟! ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ﴾ يعني إنه سبحانه غفورٌ لِمَن تابَ إليه من الناس ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ أي على الرغم مِن ظُلمهم لأنفسهم بالمعاصي، إذ لو كانَ سبحانه يؤاخذ بالذنب لمجرد وقوعه: ما تَرَكَ على الأرض من دابة، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَن أصَرَّ على الشِرك والمعاصي ولم يَتُب منها.

الآية 7: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يعني: هَلاَّ أنزلَ اللهُ مُعجزة مَحسوسة على محمد (كَعَصا موسى وناقة صالح)، وليس ذلك بِيَدِك أيها الرسول، فـ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ أي مُبَلِّغٌ لهم، ومُخَوِّفهم مِن عذاب ربهم إن أشركوا به وعصوه، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يعني: ولكل أُمَّةٍ رسولٌ يُرشدهم إلى التوحيد، وإلى فِعل الطاعات كما شَرَعها اللهُ لهم.

الآية 8، والآية 9: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ في بطنها (هل هو ذكر أو أنثى؟ أبيض أو أسمر؟ كم سَيَعيش؟ وغير ذلك)، ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ يعني: ويَعلم سبحانه ما تُنقِصه الأرحام (فيَسقط ميتاً، أو يُولَد قبل تسعة أشهر)، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ يعني: وكذلك يَعلم سبحانه ما يَزيد حَمْله على التسعة أشهر، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ﴾ مُقَدَّرٌ ﴿بِمِقْدَارٍ﴾ مُحَدّد لا يَتجاوزه، وهو سبحانه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي يَعلم ما غابَ عن حَواسِّكم – أيها الناس – ويَعلم ما تشاهدونه، وهو ﴿الْكَبِيرُ﴾ في ذاته، العظيم في قدْره وصفاته، ﴿الْمُتَعَالِ﴾ الذي يَعلو جميعَ خَلْقه بذاته وقَهْره، والذي تعالى وتنَزَّهَ عن الشَريك والشَبيه والزوجة والولد.

الآية 10: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾ : يعني يَتساوَى – في عِلمه سبحانه – مَن أخفى القولَ منكم (فتحدَّثَ به بصوتٍ منخفض) ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ يعني: وَمَن تَكَلَّمَ به بصوت مُرتفع، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ يعني: ويتساوَى عنده أيضاً مَن استتر (أي تخفّى) بأعماله في ظُلمة الليل، ومَن جَهَرَ بها (أي أعلنها) في وَضَح النهار.

الآية 11: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ أي: للهِ تعالى ملائكةٌ يَتعاقبون ويَتوالون على الإنسان بالليل والنهار ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي مِن أمامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ : أي يَحفظونه بأمْر الله تعالى مِن شر الجن وغيرهم، (ويُلاحَظ أنّ الله تعالى لم يقل : (يَحفظونه بأمْر الله) وإنما قال: ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، لأنّ ذلك الحِفظ هو مِن قَدَر اللهِ تعالى، إذ إنه سبحانه يُقَدِّرُ البلاء ويُقَدِّر أيضاً ما يَمنع البلاء).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي لا يُغيِّرُ سبحانه نعمةً أنعَمَها على قومٍ إلا إذا غَيَّروا ما أمَرَهم به فعَصَوه، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ أي بَلاءً أو عذاباً: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾: أي فلا مَفرَّ منه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ : أي ليس لهم مِن دون اللهِ وَليٌّ يَتولى أمورهم، فيَجلب لهم المحبوب، أو يَدفع عنهم المكروه.

الآية 12: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من الصواعق التي فيه (لتخافوا عذابه وتتقوه)، ﴿وَطَمَعًا﴾ في نزول المطر (لترجوا رحمته وتدعوه)، ﴿وَيُنْشِئُ﴾ سبحانه ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ أي السحاب المُحَمَّل بالماء الكثير لمنافعكم، فيكونُ مَرفوعاً بقدرته تعالى، رغم ما فيه مِن ماءٍ كثير.

الآية 13: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ (والرعد هو الصوت الذي يُسمَع من السحاب ويُزعِج العباد، فهو خاضعٌ لربه، مُسَبِّحٌ بحمده) ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ يعني: وتُسَبِّحه الملائكة مِن أجْل خوفها منه سبحانه، ﴿وَيُرْسِلُ﴾ سبحانه ﴿الصَّوَاعِقَ﴾ المُهلِكة ﴿فَيُصِيبُ بِهَا﴾ أي يُهلِكُ بها ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الظالمين والكافرين ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ يعني: والكفار يُجادلون في وحدانية اللهِ وقدرته على البعث ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي شديد الحَوْل والقوة، وشديدُ البطش بمن عصاه وجَحَدَ قدرته، (واعلم أنّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما كان يقول – إذا سمع صوت الرعد –: (سبحان الذي يُسبح الرعد بحمده والملائكة مِن خِيفته))، واعلم أيضاً أنّ (سبحان الله وبحمده) تُعادِلُ في المعنى (سبحان الله والحمد لله).

الآية 14: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي: للهِ تعالى دعوة التوحيد (لا إله إلا الله) التي يَدعو إليها جميع الرُسُل، فهو الإله الحق الذي يَستجيبُ لمن دَعاه، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ - من الآلهة المزعومة - ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مِن دعائهم ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ يعني إلا كَحالِ رجلٍ عطشان، يَمُدّ يَديه إلى الماء لَيشرب منه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾: أي وهو لا يستطيع أن يَصل إلى الماء، ويَظل هكذا حتى يَهلك عطشاً، (فهذا مَثَلُ مَن يَعبد غيرَ اللهِ تعالى بدعاءٍ أو ذبحٍ أو نذرٍ أو غير ذلك، فهو محرومٌ من الإجابة، خائبٌ في مَسعاه، عاقبته النار والخُسران)، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ لآلهتهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي في ضَياع، لأنها لا تَسمع دعائهم، ولا تَعلم شيئاً عن حالهم.

www.alukah.net

الآية 15: ﴿وَلِلَّهِ﴾ وحده ﴿يَسْجُدُ﴾ جميع ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خاضعًا مُنقادًا ﴿طَوْعًا﴾ أي طاعةً لأمْره (كالمؤمنين) ﴿وَكَرْهًا﴾ أي رغمًا عنهم (كالمنافقين)، وكالكُفار عند الشدائد (حِينَ لا يَنفعهم ذلك)، (واعلم أنّ الكافر – وإن لم يَسجد للهِ تعالى عبادةً – فإنه يَسجد له بخضوعه لأحكامه الجارية عليه – مِن غِنىً وفقر، وصحةٍ ومرض، وسعادةٍ وشقاء - ولا يَقدر أن يَرُدّها)، ﴿وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ﴾ يعني: وتَنقادُ لعَظَمته ظلال المخلوقات، فتتحرك بإرادته أول النهار وآخره.

الآية 16، والآية 17: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؟ ﴿قُلِ﴾: ﴿اللَّهُ﴾ هو الخالق المُدَبِّر لهما، وأنتم تُقِرُّونَ بذلك، ثم ﴿قُلْ﴾ - مُلزِمًا لهم بالحُجَّة -: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي مَعبودينَ ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾؟! فكيف لها أن تَنفع عابدِيها أو أن تَضُرّ مَن لم يَعبدها؟!

♦ ثم ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ يعني هل يَتساوَى عندكم ﴿الْأَعْمَى﴾ وهو الكافر الذي عَمِيَ عن آيات اللهِ تعالى رغم وضوحها ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ الذي أبْصَرَ آيات اللهِ فآمَنَ بها، ولم يَتكبر عن الانقياد للحق؟! لا يَستويانِ أبداً، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ وهي ظُلُمات الجهل والكفر والمعاصي (وما يَنتج عن ذلك من القلق والحيرة واضطراب النفس) – فهل يَتساوى ذلك ﴿وَالنُّورُ﴾ أي نور العلم والإيمان والاطمئنان بذِكر الله تعالى وتوحيده؟!

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ﴾ سبحانه ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾؟! تعالى اللهُ عن ذلك عُلوّاً كبيراً، ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وأنتم تعترفون بذلك أيها المشركون، إذاً فهو وحده المُستحِق للعبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

♦ ثم ضَرَبَ سبحانه مَثَلاً للحق والباطل بماءٍ أنزَلَهُ من السماء، فقال: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي مَطَراً كثيراً، حتى أصبح سَيلاً من الماء، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾: أي فجرَى سَيْلُ الماء في أوْدِية الأرض (بقدْرِ صِغرها وكِبرها)، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ يعني: فحَمَلَ السَيلُ غُثاءً (أي رَغوةً طافية فوقه) لا نَفْعَ فيها.

♦ وضَرَبَ سبحانه مَثَلا آخر، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ وهي المعادن التي تُوقَدُ عليها النار لِصَهرها، وذلك ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ أي طلبًا للزينة (كما في الذهب والفضة)، ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾: يعني أو يُصهِرونها طلبًا لمنافع يَنتفعونَ بها (كما في النحاس)، فَيخرج من هذه المعادن: ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾: أي خَبَث لا فائدةَ فيه (كالذي كانَ مع الماء)، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾: أي بمِثل هذا يَضرب اللهُ الأمثالَ للحق والباطل: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ يعني: فأمّا الباطل فهو كغُثاء الماء (وهي الرَغوة التي تتلاشى أو تُرْمَى)، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: وأمّا الحق فهو كالماء الصافي والمعادن النقية (إذ تَبقى في الأرض للانتفاع بها) ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ لِيَتَّضِح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

الآية 18: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ يعني إنّ المؤمنين الذين أطاعوا اللهَ ورسوله، أولئك لهم الحُسنَى (أي لهم الجنة)، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وكفروا برسوله: أولئك لهم النار، و ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ : يعني لو أنهم يَملكون كل ما في الأرض وضِعفه معه: ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾: أي لَجَعَلوه فِداءً لأنفسهم من عذاب اللهِ يوم القيامة (ولن يُقبَلَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

منهم)، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي يُحاسبهم اللهُ على كل ما قدّموُه مِن عَمَلٍ سيِّئ، فلا يَغفِرُ لهم منه شيئاً، ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾_ أي مَصيرهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ لتكونَ فِراشاً لهم ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: يعني وهي بِئسَ الفِراش والمُستقرُّ.

****

2. الربع الثاني من سورة الرعد

الآية 19، والآية 20، والآية 21: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾_ يعني: هل الذي يَعلم أنّ ما جاءكَ أيها الرسول من ربك هو الحق – وذلك لِوُضوح علاماته – فيُؤمن به بمجرد ظهوره ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ عن الحق لا يؤمن به؟! لا يستويانِ أبداً، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يعني: إنّ الذين يَتّعظون بالقرآن وأدِلّته هم أصحاب العقول السليمة، وهم ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وهو العهد الذي أمَرَهم به سبحانه – من السمع والطاعة لأوامره التي في كتابه - ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾_ أي لا يَنقضون العهود المؤكدة التي عاهَدوا اللهَ على الالتزام بها (ما لم تكن إثماً أو قطيعة رَحِم)، ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ كالأرحام والمحتاجين، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ بفِعل ما أمَر واجتناب ما نَهى ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ أي يَخافون أن يُحاسبهم اللهُ على كل ذنوبهم، ولا يَغفر لهم منها شيئًا، فحينئذٍ لا يَرجون إلا رحمته، ولا يُحسِنون الظنّ إلا به، حتى يَغفر لهم ذنوبهم ويَقبل منهم أعمالهم.

الآية 22، والآية 23، والآية 24: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ يعني: وهُم الذين صبروا على الأذى، وصبروا على الطاعة، وصبروا عن المعصية (طلبًا لرضا ربهم)، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني أدَّوها على أتمِّ وجوهها (بخشوعٍ واطمئنان)، ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يعني أخرَجوا من أموالهم: (الزكاة المفروضة والصدقات المُستحبّة) ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: أي في الخَفاء والعَلَن، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يَدفعون السيئةَ بالحسنة فتمحوها (والمعنى أنهم يَتوبون من المعاصي، ويَجتهدون في فِعل الطاعات لِيَمحو الله بها السيئات، وكذلك يكونون حَليمينَ على الجُهَلاء، وصابرينَ على مَن يؤذونهم، فيَدفعون إساءتهم بالكلام الحَسَن)، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي لهم العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، وهي ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي جنات الخلود، التي ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ويقيمون في نعيمها الدائم وهم سُعداء مُرتاحونَ البال، فلا تصيبهم الهموم، ولا يخططون لمستقبلهم، ولا يخافون منه (بل أصبح شُغلهم الشاغل هو التلذذ والتمتع بأنواع النعيم والشهوات)، ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي: ومعهم الصالحونَ ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ - والذرية هي الأبناء (ذكوراً كانوا أو إناثا) – ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ لِتَهنئتهم بدخول الجنة – قائلينَ لهم -: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: أي سَلِمْتم مِن كل سُوءٍ بسبب صَبْركم في الدنيا، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أي فنِعْمَ العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، وهي الجنة.

الآية 25: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ يعني: وأمّا الأشقياء الذين لا يُوفون بعهد الله ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي مِن بعد عَهْدِهِ الذي أخَذَهُ عليهم – بتوحيدِهِ – وَهُم في ظَهر أبيهم آدم (وقد أكَّدَ سبحانه هذا العهد بإرسال الرُسُل وإنزال الكُتب)، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ونَشْر الشِرك والفساد ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي لهم الطَرْد من رحمة اللهِ ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: أي لهم العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم.

www.alukah.net

الآية 26: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي يُوَسِّع سبحانه الرزق على مَن يشاءُ مِن عباده ﴿وَيَقْدِرُ﴾: أي ويُضَيِّقه على مَن يَشاءُ منهم (فالتصرّف كله بيديه سبحانه، وله الحِكمةُ البالغة في تضييق الرزق وتوسعته؛ لأنه سبحانه الأعلمُ بما يُصلِح عباده مِن الفقر والغنى)، ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: وفَرِحَ الكفار بالسَّعة في الحياة الدنيا (ولم يَعلموا أنّ التوسعة في الدنيا ليست دليلاً على حب الله للعبد ورضاه عنه، وليس التضييق دليلاً على كُره الله للعبد وغضبه عليه)، إذ الدنيا لا تساوي عنده جناح بَعوضة، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ يعني: وما هذه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا شيءٌ قليل (يُتمتَّعُ به قليلاً ثم يَزولُ سريعاً).

الآية 27، والآية 28: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يعني: هَلاَّ أنزَلَ اللهُ مُعجزة مَحسوسة على محمد، كمُعجِزة موسى وعيسى، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ من المُعاندين، فلا يَهتدون ولو رأوا جميع المُعجِزات، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي: ويَهدي سبحانه – إلى دينه – مَن رجع إليه بالإيمان والطاعات، وتابَ إليه من الشِرك والعِصيان، وهؤلاء هم ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ بالحق لَمَّا جاءهم ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ وتوحيده، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ يعني: ألاَ بطاعة الله وذِكره تطمئن القلوب المؤمنة وتأنس، وتَسعد بخالقها (واعلم أنّ أفضل الذِكر هو ما كان باللسان مع حضور القلب، ويَجوز الذِكر باللسان فقط – فالذي يَذكر خيرٌ من الذي لا يَذكر – ولكنه أقلّ درجةً مِمَّن يَذكر بلسانه وقلبه).

الآية 29: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ أي لهم حياةٌ طيبة في الدنيا، ﴿وَحُسْنُ مَآَبٍ﴾ أي: ولهم مَرجع حَسَن في الآخرة إلى جنة اللهِ ورضوانه، (واعلم أنّ طُوبَى هي شجرةٌ في الجنة، مَسيرة مائة عام، تَخرج ثياب أهل الجنة من أكمامها، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم) (انظر حديث رقم: 3918 في صحيح الجامع).

الآية 30، والآية 31: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ يعني: وكما أرسلنا المُرسَلين قبلك أيها الرسول ، فكذلك أرسلناك ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾ أي مَضَتْ ﴿مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ ﴿لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ : أي لتقرأ القرآنَ على هذه الأمَّة (تذكيراً وتعليماً، وإنذاراً وبِشارة)، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ أي: ولكنّ كفار قومك يَجحدون بوحدانية الرحمن واستحقاقه وحده للعبادة، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ رَبِّي﴾ الذي خلقني ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبودَ بحقٍ إلا هو، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: أي عليه اعتمدتُ وَوَثقتُ في حِفظي وفي نَصري وفي كل أموري ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ يعني: وإليه وحده رجوعي بالإيمان والطاعة، والدعاء عند الكرب والحاجة، وإليه توبتي فيما عاتبَني عليه.

♦ ثم رَدَّ اللهُ على الكافرين الذين طلبوا إنزال المُعجزات على النبي صلى الله عليه وسلم، قائلاً: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآَنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ يعني: ولو أننا أنزلنا قرآناً يُقرأ، فتزول به الجبال عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: يعني أو تتشقق به الأرض ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾: يعني أو يَحيا به الموتى وتُكَلَّم – كما طلبوا منك – ما آمَنوا به إلا أن يَشاء الله.

♦ وهذا يُشبه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ، ولذلك قال بعدها: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ يعني: بل للهِ وحده الأمر كله في إنزال المُعجزات وفي هداية مَن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَشاء، ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: أفلم يَعلم المؤمنونَ ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ من غير مُعجزة؟، إذاً فليَتركوا له الأمْرَ سبحانهُ يَفعل ما يشاء ويَحكم ما يريد، (واعلم أنّ اللفظ: "يَيْئَس" يأتي أحياناً بمعنى "يَعلم"، وهذا في إحدى لغات العرب، وقد نزل القرآن بلُغَة العرب).

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ أي تَنزل بهم مصيبةٌ - بسبب كُفرهم - فيُصيبهم عذابها، ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يعني أو تنزل تلك المصيبة ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ فيُصيبهم الخوف مِن تجاوُزها إليهم، ولا يزالون كذلك ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم (كما حدث في فتح مكة) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، (واعلم أنّ القارعة هي المصيبة التي تَقرع القلوب - أي تَطرِقها - بالخوف والفزع والهم والحزن، وقد سَمَّى اللهُ يوم القيامة بالقارعة لشدته وأهواله التي تَقرَع القلوب وتُخيفها).

الآية 32: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أيها الرسول - كما استهزأ هؤلاء الكفار بدَعْوَتك - ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني فقد أمهلتُ الكافرين المُستهزئين - من الأمم السابقة - حتى قامت عليهم الحُجّة ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بعقابي، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾؟! لقد كان عقابي شديدًا مُهلِكاً، (وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ لكفار قريش، وفيه أيضاً تصبيرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاهُ مِن أذى قومه).

الآية 33، والآية 34: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني: هل الذي خَلَقَ النفس البشرية ويَرزقها ويَعلم أعمالها ويُحاسبها عليها - وهو اللهُ سبحانه - أحَقّ أن يُعبَد، أم هذه المخلوقات العاجزة، التي لا تَعلم شيئاً عن عابِدِيها؟! ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ يَعبدونهم، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿سَمُّوهُمْ﴾: أي اذكروا صفاتهم - فإنكم لن تجدوا فيها شيئاً يَجعلهم يَستحقون العبادة - ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني أم تُخبِرونَ اللهَ بشركاء في أرضه لا يَعلمهم؟! ﴿أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾: يعني أم تُسَمُّونهم "شركاء" بمجرد إطلاق اللفظ عليهم من غير أن يكون لهم حقيقة؟! ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ يعني: بل حَسَّنَ الشيطانُ للكفار قولهم الباطل وصَدَّهم عن دين الله، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يعني فليس له أحدٌ يُوفقه إلى الحق والرشاد، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسْر والذل والفضيحة، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ يعني أثقل وأشد من عذاب الدنيا ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾: يعني وليس لهم مانع يَمنعهم من عذاب الله.

الآية 35: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ يعني: وَصْف الجنة - التي وَعَدَ اللهُ بها عباده المتقين - أنها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي أنهارُ الماء والعسل واللبن والخمر، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾: أي طعامها لا يَنقطع، وظِلُّها لا يَزول، ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: هذه الجنة هي عاقبة الذين خافوا عذابَ ربهم - ففعلوا ما يرضيه واجتنبوا ما يُغضبه -، ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ يعني: وعاقبة الكافرينَ هي نار جهنم (نسألُ اللهَ العافية لنا ولإخواننا المؤمنين مِن شرِّ جهنم).

الآية 36: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: والذين أعطيناهم الكتاب من اليهود والنصارى - من العلماء الصادقين - كعبد الله بن سَلام والنَّجاشي ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، لمُوافقته لِمَا عندهم، ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ يعني: ومن المُتَحَزِّبين - أي المجتمعين -على الكفر ضِدَّكَ يُنكِرون بعض المُنَزَّل عليك، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾، وهذا كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا

www.alukah.net

نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فإذا كنتم تُنكِرونَ بعض القرآن، فخُذوا منه ما لا تستطيعونَ إنكاره (وهو عدم الشرك باللهِ تعالى)، فقد كان النصارى يَتبرؤون من الشِرك، وفي نفس الوقت يَعبدون عيسى عليه السلام.

♦ وهذا مِن بلاغة القرآن الكريم: (إلزامُ الطرف الآخر بالحُجَّة)، فإنه قال لهم أولاً: (أُمِرْتُ أن أعبد الله)، لأنه لا يَختلف في ذلك أحدٌ من أهل الكتاب، ثم قال لهم بعد ذلك: (ولا أُشْرِكَ به)، وذلك لإبطال عبادتهم لعيسى عليه السلام.

♦ ثم أمَرَ الله رسوله أن يقول لهم: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾: يعني أدعو الناسَ إلى توحيد اللهِ وعبادته (كسائر الرُسُل مِن قبلي)، فأنا مأمورٌ بالدعوةِ إليه وحده بهذا القرآن، وليس لي أن أختار منه شيئاً وأترك الآخر، فليس معنى أنكم تنكرون بعضه، أنْ أتَّبع أهوائكم وأُبَلِّغكم ما يُرضِي أسماعكم، وإنما أُبَلِّغكم كل ما يُوحيه إليّ من ربي ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ يعني: وإليه وحده أَرجع في كل أموري، وإليه وحده مَرجعي بعد موتي فيُجازيني بما قمتُ به من الدعوة إلى دينه.

الآية 37: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ يعني: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسان أقوامهم، فكذلك أنزلنا إليك هذا القرآن بِلُغَة العرب لتَحكُمَ الناسَ به، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعني: ولئن اتَّبعتُ أهواء المشركين في عبادة غير اللهِ تعالى ﴿بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ - بأنك على الحق وهُم على الباطل - ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾: أي ليس لك حينئذٍ مِن ناصرٍ يُنقذك من عذاب اللهِ تعالى.

الآية 38: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ - هذا رَدٌّ مِن اللهِ تعالى على المشركين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: (ما لك تتزوج النساء؟)، فإنما هو بَشَرٌ كسائر الرُسُل مِن قبله - ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآَيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ - وهذا رَدٌّ عليهم أيضاً عندما قالوا: (لو كانَ رسولاً لأَتَى بما طَلَبْنا من المعجزات)، فليس في استطاعة رسولٍ أن يأتي بمعجزةٍ أرادها قومه إلا بإذن الله – فـ ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ يعني لكل أمرٍ مُحَدّد بوقت: ﴿كِتَابٌ﴾ كَتَبَ اللهُ فيه ذلك الأجل، لا يَتقدم عنه ولا يَتأخر.

الآية 39: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي يُبَدِّل اللهُ ما يشاء من الشرائع والأحكام بحسب حاجة عباده، ويُبْقِي ما هو صالحٌ لهم ونافع، فما مَحَاهُ تعالى فهو المنسوخ، وما أبقاهُ فهو المُحكَم، (وفي هذا رَدّ على إنكارهم لِنَسْخ بعض الأحكام وتبديلها، كاستقبال الرسول لبيت المَقدس ثم استقباله للكعبة)، فأخبرَهم سبحانه أنه ذو إرادة ومَشيئة لا تَخضعان لإرداة الناس ومَشيئاتهم، ﴿وَعِنْدَهُ﴾ تعالى ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وهو اللوح المحفوظ الذي جَمَعَ كل المقادير، فلا يَدخله تبديلٌ ولا تغيير، ففي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (رُفِعَتْ الأقلام وجَفَّت الصحف).

♦ وأمّا قوله صلى الله عليه وسلم: (مَن سَرّهُ أن يُبسَط له – أي يُوَسَّع له – في رزقه، ويُنسأ له – (أي يُؤَخَّر له) – في أجَله: فليَصِل رَحِمَه)، فهذا معناه أنّ اللهَ تعالى كتب في اللوح المحفوظ أنّ فلاناً يَصل رَحِمَه، ولذلك سأوَسِّع له في رزقه كذا، وأؤخِّر له أجَله إلى وقت كذا، (فصِلَة الرحم سببٌ في توسعة الرزق وطول العمر)، وكذلك الحال في قوله صلى الله عليه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وسلم: (لا يَرُدُّ القضاءَ إلا الدعاء)، فإنّ الدعاء سببٌ في رَدّ البلاء عن العبد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما مِن مُسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثم ولا قطيعة رَحِم، إلا أعطاهُ اللهُ بها إحدى ثلاث: إمّا أن يُعَجِّل له دَعْوَته، وإمّا أن يَدَّخِرها له في الآخرة، وإمّا أن يَصرف عنه من السُوء مِثلها) (انظر صحيح الترغيب والترهيب ج:2).

الآية 40، والآية 41: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ يعني: وإمَّا أن نُرِيَكَ – أيها الرسول – في حياتك بعض العقاب الذي توَعَّدْنا به أعداءك (كما حدث في بدر) ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نُرِيَكَ ذلك فيهم: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: أي ففي الحالتين ما عليك إلا تبليغ الدعوة، ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ والجزاء.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾؟ وذلك بفتح المسلمين لبلاد المشركين وإلحاقها ببلاد المسلمين، وبهذا تنقص أرض الكفر، وتزداد أرض الإيمان، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ (وذلك لأنّ حُكمه سبحانه مُشتمِلٌ على العدل التام، أمّا غيره فقد يُصِيبُ في قوله ويُخطئ، وقد يَعدِلُ في حُكْمِهِ ويَظلم)، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فلا يَشغله شيءٌ عن آخر، ولا يُتعِبُهُ إحصاءٌ ولا عدد.

الآية 42: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي دَبَّروا المَكايد لِرُسُلهم (كما فعَلَ هؤلاء معك)، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ إذ يُبطِل سبحانه مَكْرَهم ويُعيده عليهم مِن حيث لا يشعرون، لأنه سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ مِن خيرٍ أو شر (ومِن ذلك عِلمُهُ تعالى بمَكْرِهم)، فأين مَكْرُ مَن يَعلمُ كل شيء مِن مَكْرِ مَن لا يَعلم شيئاً؟! أفلا يَفهم كفار قريش هذا فيَكُفوا عن مَكْرهم برسول اللهِ ودَعْوَته؟! ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ - عند لقاء ربهم يوم القيامة - ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أي لمن تكون العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؟ إنها للرسل وأتْباعهم (وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ للكافرين).

الآية 43: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ للنبي محمد: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾: أي ما أرسلك اللهُ إلينا، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فشهادته سبحانه لي بالنُبُوَّة هي ما أعطاهُ لي من المُعجِزات الباهرات (كانشقاق القمر وغيرها)، وكذلك وَحْيُهُ إليَّ بهذا القرآن الذي أُنذِرُكُم به، والذي لا يستطيعُ أن يقوله بَشَر، وأنتم تعلمون ذلك لأنكم أبْلغ البَشَر، هذا أولاً، وثانياً: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: يعني وكذلك شهادة علماء اليهود والنصارى، مِمّن آمَنَ برسالتي، واتَّبعَ الحق فصَرَّحَ بتلك الشهادة ولم يَكتمها.

****

www.alukah.net

تفسير سورة إبراهيم كاملة

1. الربع الأول من سورة إبراهيم

الآية 1، والآية 2، والآية 3: ﴿الر﴾: سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، (واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: ألِف لام را).

♦ إنَّ هذا القرآن هو ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ أيها الرسول ﴿لِتُخْرِجَ﴾ به ﴿النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي من ظُلُمات الجهل والضلال إلى نور الهدى والإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ وتوفيقه لهم ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾: يعني إلى الإسلام، الذي هو طريقُ اللهِ العزيز (والعزيز هو الغالب الذي لا يَمنعه شيء مِن فِعل ما يريد)، ﴿الْحَمِيدِ﴾ الذي يَستحق الحمد والثناء في كل حال، لِكثرة نِعَمِه على مخلوقاته.

♦ فالإسلام هو طريقُ ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ - خلقًا وتصرُّفًا وإحاطة – ولذلك فهو الذي يجب أن تكون العبادة له وحده، ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يوم القيامة، (واعلم أنّ كلمة: "وَيْل" هي كلمة تهديد ووعيد، وتأتي أيضاً بمعنى "هلاك").

♦ وهؤلاء الكافرون هم ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ﴾: أي يَختارون الحياة الدنيا الفانية، ويَتركون الآخرة الباقية، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي يَمنعون الناس عن اتّباع دين الله ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: ويريدون هذه السبيل (وهي الإسلام) أن تكونَ معوجّة لِتُوافِق أهواءهم، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي بعيد عن الحق وعن أسباب الهداية.

الآية 4: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ﴾ مِن قبلك أيها النبي ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ يعني إلا بلُغَة قومه ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: أي لِيُوَضِّح لهم شريعة اللهِ تعالى، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بعدله وحِكمته ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بفضله ورحمته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي – مِن عِزَّته سبحانه – أنه انفرَدَ بالهداية والإضلال، ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يَضع الأمور في مَواضعها، فلذلك يَهدي مَن طلب الهداية بصِدق وسَعَى في تحصيل أسبابها، ويُضِلّ مَن رغب في الضلال، وسعى إليه وفَضَّلَهُ على الهدى.

♦ واعلم أنه لا حُجَّة لغير العرب في هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾، لأنّ كُلّ مَن تُرجِمَ له الإسلام بلُغته، وَجبَ عليه الدخول فيه والعمل بشرائعه، لِيَسعد في الدنيا والآخرة.

الآية 5: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ إلى بني إسرائيل ﴿بِآَيَاتِنَا﴾ أي بالمُعجزات الدالة على صِدقه، وأمَرناه ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي من الضلال إلى الهدى، ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ العظيمة، التي نَجَّى اللهُ فيها عباده المؤمنين، وأهلَكَ فيها العُصاة والطاغين (كيَوْم عاشوراء الذي نَجَّاكم اللهُ فيه من الغرق، وأغرق فرعون وجنوده) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ﴾: يعني إنّ في هذا التذكير لَدلالاتٍ يُستدَلّ بها على فضل اللهِ تعالى على عباده المحسنين، وانتقامه من أعدائه الجاحدين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وقولُهُ تعالى: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي كثير الصبر على طاعة الله، وكثير الصبر عن مَعاصِيه، وكثير الصبر على أقداره، ﴿شَكُورٍ﴾ أي كثير الشُكر لِنِعَمِ الله عليه، إذ كلما تتجدد له نعمةٌ من الله تعالى، يُقابلها بالشُكر (قائلاً بلسانه: الحمد لله)، ثم يستخدمها في طاعته، (وقد خَصَّ اللهُ الصابرينَ الشاكرينَ بالذِكر؛ لأنهم هم الذين يَعتبرون بآياته ولا يَغْفُلون عنها).

الآية 6، والآية 7: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي اذكر – أيها الرسول – حين قال موسى لبني إسرائيل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ﴾ : أي اذكروا حين أنقذكم اللهُ مِن بَطش فرعون وأتْباعه، فقد كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي يُذيقونكم أشدَّ العذاب ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الذكور (حتى لا يأتي منهم مَن يَستولي على مُلك فرعون) ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: أي يَتركون بناتكم أحياءً ذليلات للخِدمة والإهانة، ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ يعني: وفي ذلك اختبارٌ لكم من ربكم، وفي إنجائكم مِنْهُ نعمة عظيمة، تستوجبُ شُكرَ اللهِ تعالى في كل عصوركم وأجيالكم.

♦ وقال لهم موسى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي اذكروا حين أَعْلَمَكم ربكم أنكم ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ يعني لئن شَكرتموني على نِعَمي لأزيدنَّكم مِن فضلي، ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ يعني: ولئن جحدتم نِعَمي عليكم لأَعذبنَّكم عذابًا شديدًا.

الآية 8: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لهم: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فلن تَضُرُّوا اللهَ شيئًا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن عبادة خَلْقه، ﴿حَمِيدٌ﴾: أي مُستحِق للحمد والثناء في كل حال.

الآية 9: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ - يا أُمَّة محمد - ﴿نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي خبر الأمم التي كانت قبلكم، كـ ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: أي لا يُحصِي عددهم إلا اللهُ تعالى، وقد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالأدلة الواضحة على صِدقهم، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي فوضَعَ الأقوامُ أيديهم على أفواه رُسُلهم (يَطلبون منهم السكوت) ﴿وَقَالُوا﴾ لِرُسُلهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ أي مُوقِع في الحيرة والقلق والتردد.

الآية 10: ﴿قَالَتْ﴾ لهم ﴿رُسُلُهُمْ﴾: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي خالق السماوات والأرض، ومُنشِئهما من العدم على غير مِثالٍ سابق؟، وهو سبحانه ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى توحيده وطاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ (وهي كل الذنوب التي بينكم وبين ربكم، أمّا مَظالم الناس: فرُدُّوها إليهم تُغفَر لكم)، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني آمِنوا حتى لا يُعَجِّل سبحانه بهلاككم – عقوبةً لكم على كُفركم – بل يؤَخّر بقاءكم في الدنيا إلى نهاية آجالكم.

♦ وهنا ينبغي أن نقولُ لمن أصابته وسوسة في إيمانه باللهِ تعالى – حتى يَزداد إيمانه ويَتخلص من هذا الوسواس -: (أخي الحبيب: إنَّ مُؤَسّسي فِكرة الإلحاد قديماً قد اعترفوا بأنَّ العِلم الحديث قد أثبت أنه لابد مِن وجود خالق لهذا الكون الذي يَسير بهذا النظام المُتزن، فإنّ الشمس لو ارتفعَتْ عن الأرض (سَنتِيمتراً واحداً): فإنّ الأرض سوف تتجمد، وإذا اقترَبَتْ من الأرض (سَنتِيمتراً واحداً): فإنّ الأرض سوف تحترق، وإنه لا يمكن للصُدفة أبداً أن تُنشِئَ هذا النِظام الدَقيق، فلا يُمكن لها أن تأتي بالشمس – كل يوم – في موعدٍ مُحدد لا تتأخر عنه لحظة، وإلاَّ، فلو كان الأمرُ بالصُدفة: فإنّ الشمس كانت ستأتي في هذا الموعد مرة وتتأخر عنه مرات، ولا يمكن للصدفة أيضاً أن تأتي بقطعٍ مُبَعثَرَة من الحديد لِتُكَوِّنَ منها سيارة أو طائرة أو

www.alukah.net

قطار، ولا يُمكن لها أن تُسَيِّرَ السفن في البحار والمُحيطات وحدها بدون قائدٍ يقودها، ولا يُمكن لها أن تأتي بكمية من الطوب المُبعثَر لِتَبنِي بها مباني سكنية ذات طوابق عديدة، في كل طابق منها: أربعة منازل (مُجَهَّزَة) ومفروشة ومَدهونة بألوان مختلفة).

♦ وقالوا أيضاً: (إنه بعد تراكُم الأدلة نستطيع أن نقول: (إنَّ هناك قوة خَفِيَّة وراء هذا الكون تُسَيِّرُهُ بهذا النظام المُحكَم الذي لا يَختل ولا يَضطرب لحظة واحدة)، (وإنَّ هذه القوة قد سَخَّرَتْ جميع المخلوقات لِخِدمة الإنسان، بدليل أنَّ هذا (الجَمَل) الضخم يقوده طفلٌ صغير، ولا يؤذيه ولا يَضُرُّه، بل يتحرك ويَنْقادُ بأمره، وإنه لابد لهذه القوة أن تُعلِنَ عن نفسها حتى تُخبِرَنا لماذا خَلَقَتْنا، وما الذي تُحِبُّ أن نفعله، وما الذي يُغضِبُها، وإنه لا يُعقَلُ أبداً أن تكون قد خَلَقَتْ كل هذا الخَلق العظيم عَبَثاً ولعباً دونَ أن تأمرهم وتنهاهم).

♦ وأمّا عدم الاعتراف بهذه القوة بحُجَّة أننا لا نراها: فهذه حُجَّة باطلة، لأنَّ العِلم الحديث قد اكتشف أشياءً عديدة لم يكن يراها الإنسان القديم، (كالكهرباء، ومَوْجَات "الراديو" "والتِلفاز"، والفيروسات، والكائنات الدقيقة التي لا تُرَى بالعين المُجَرَّدة)، ورغم أننا لا نرى هذه الأشياء: إلا إننا نَتيَقنُ أنها موجودة، إذاً فليس معنى أننا لا نرى الشيئ أنه ليس موجوداً، وإلاَّ، فإنك لا ترى عقلك، ومع ذلك فأنت على يقين بأنَّ لك عقل.

♦ فلا تَتَّبع هَواك أخي الكريم حتى لا تَضِلّ، ولكنْ تدبَّر القرآن، هذا الكتاب المُعجِز الخالد، الذي إذا رآه أيّ أحدٍ يَحترم عقله، فإنه حَتماً سيقول: (محمدٌ رسول الله، وهذه هي مُعجزته: القرآن الكريم).

﴿قَالُوا﴾ أي قال الذين كفروا لِرُسُلهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: أي ما نَراكم إلا بشرًا – صفاتكم كصفاتنا – ولا فضلَ لكم علينا يُؤَهِّلكم أن تكونوا رُسُلاً، وإنكم ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا﴾ أي تمنعونا ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا﴾ من الأصنام، ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أي فأتونا بحُجَّة ظاهرة تَشهد على صحة ما تقولون.

الآية 11، والآية 12: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ : ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يعني: حقاً ما نحن إلا بَشَرٌ مِثلكم كما قلتم، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ﴾ أي يَتفضل بإنعامه ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيَختارهم لرسالته، فانظروا إلى ما جئناكم به، فإن كانَ حقاً فاقبلوه، وإن كانَ غير ذلك فرُدُّوه، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ أي مُعجِزة – كما طلبتم - ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فالأمر أمْره، وهو على كل شيءٍ قدير، ولِذا فوَّضنا أمورنا إليه، واعتمدنا عليه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (هذا أمْرٌ من الرُسُل – للمؤمنين مِن قومهم – بالاعتماد على اللهِ وحده في نَصْرهم وهزيمة أعدائهم)، وقد قصَدوا به أنفسهم أيضاً لأنهم أول المؤمنين، ولذلك قالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾؟ يعني: وكيف لا نعتمد على اللهِ تعالى ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ أي: وهو الذي أرشد كل واحد مِنّا إلى طريق النجاة من عذابه (وهو توحيده واتِّباع أحكام دينه)، وعرَّفَنا سبحانه عظمته وقدرته وعزة سلطانه، فأيُّ شيءٍ يَجعلنا لا نتوكل عليه وهو القوي العزيز؟! ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آَذَيْتُمُونَا﴾ بالكلام السيئ وغيره (مُتوكلين على اللهِ تعالى حتى يَنتقم لنا منكم) ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ والمعنى: مَن كان مُتوكِّلاً – أي مُعتمداً – في أمْرٍ على غير اللهِ تعالى: فليتوكل على الله وحده.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 13، والآية 14: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ﴾ : ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ : يعني إلاّ إذا دخلتم في ديننا، فحينئذٍ لن نُخرجكم، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾: يعني فأوحى اللهُ إلى رُسُله أنه سيُهلك الجاحدين، ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ﴾ - أنتم وأتْباعكم – ﴿الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي مِن بعد إهلاكهم، ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الإهلاك للكفار، وإسكان المؤمنين أرضهم هو أمْرٌ مؤكد ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي خافَ مِن وقوفه بين يديَّ يوم القيامة ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: أي خافَ وعيدي وعذابي.

الآية 15، والآية 16، والآية 17: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ يعني: ولجأ الرُسُل إلى ربهم وسألوهُ النصرَ على أعدائهم والحُكمَ بينهم، فاستجابَ سبحانه لهم وأهلَكَ أعدائهم، ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي هَلَكَ كل مُتكبر لا يَقبل الحق ولا يَنقاد له، ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾: أي سيَلقى مِن بعد هَلاكه: جهنم تنتظره ليُعذَّب فيها، فسيَدخلها ويَعطش فيها، ويَطلب الماء ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾: أي يُسقى فيها مِن الصديد الذي يَخرج من أجسام أهل النار، ف ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: أي يحاول ابتلاع هذا الصديد مرة بعد مرة، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ : أي لا يَستطيع أن يَبتلعه، لقذارته ومَرارته، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي يأتيه العذاب الشديد من كل نوع، وفي كل عضو مِن جسده، فحينئذٍ يتمنى الموت ليستريح من هذا العذاب ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ يعني: وله مِن بعد هذا العذاب: نوعٌ آخر من العذاب الشديد، الذي لا يُطاق ولا يُحتمَل، (واعلم أنّ لفظ "وراء" يُطلق على ما كان خلفاً وما كان أماماً، لأنّ كل ما وُورِيَ – أي: استُتِر – فهو وراء).

****

2. الربع الثاني من سورة إبراهيم

الآية 18: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ يعني إنّ مَثَل الأعمال الحَسَنة التي يفعلها الكفار في الدنيا – كَصِلة الأرحام وإكرام الضيف وفك الأسير – كحال الرماد (الذي يَتبقى بعد احتراق الفحم)، وهذا الرماد قد ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ أي أصابته ريحٌ شديدة ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ فلم تترك للرماد أثرًا، فكذلك الكفار ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾: أي لا يَجدون مِن أعمالهم ما يَنفعهم عند اللهِ تعالى (فقد أذهَبَها الكفر كما أذهَبَت الريحُ الرماد)، ﴿ذَلِكَ﴾ أي السعي والعمل على غير إيمان ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الطريق المستقيم.

الآية 19، والآية 20: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: يعني ألم تعلم أيها الرسول ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾؟ أي لم يَخلقهما سبحانه عَبَثًا وباطلاً، بل خلقهما للاستدلال بهما على وحدانيته وكمال قدرته، وليُعلِمَ عباده أنّ الذي خلق السماوات والأرض قادرٌ على أن يُحيي الموتى، وأنّ ذلك أهْوَنُ عليه مِن خَلق السماوات والأرض، ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ سبحانه ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ أي يُهلككم أيها المشركون ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يُطيعونه ولا يُشركون به شيئاً، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ يعني: وما إهلاككم والإتيان بغيركم بصَعبٍ على اللهِ تعالى أو مُمتنع، بل هو سهلٌ عليه يسير، فإنه سبحانه يقول للشيئ كُن فيكون.

www.alukah.net

الآية 21: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يعني: وخرجتْ الخلائق من قبورها يوم القيامة، وظهروا كلهم للهِ تعالى ليَحكم بينهم، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي فحينئذٍ يقول الأتباعُ لرؤسائهم المشركين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: يعني إنَّا كنَّا لكم أتباعًا في الدنيا نأتمر بأمْركم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: فهل أنتم – اليوم – دافعونَ عنا من عذاب اللهِ شيئًا كما كنتم تَعِدونَنا؟، ﴿قَالُوا﴾ أي فيقول لهم الرؤساء: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ يعني: لو كان اللهُ هَدانا في الدنيا إلى الإيمان، لأَرشدناكم إليه، ولكنه لم يُوفقنا، فضَلَلْنا وأضللناكم، و﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا﴾ أي أصابنا السخط واليأس من العذاب ﴿أَمْ صَبَرْنَا﴾ على تَحَمُّله، ففي الحالتين ﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾: يعني ليس لنا مَهرب ولا مَنجى من العذاب، (فليس لهم حينئذٍ إلا الندم والصراخ، نسألُ اللهَ العفو والعافية).

الآية 22: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ - أي بعد أن حَكَمَ اللهُ بين الخلائق، ودخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ – فحينئذٍ يقول الشيطان لأهل النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي وَعَدكم وعدًا حقًا بالبعث والجزاء، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ وعدًا باطلاً بأنه لا بَعْثَ ولا جزاء ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وعدي، ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي لم يكُن لي عليكم قوة أقهركم بها على اتِّباعي، ولا كانت معي حُجة، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ أي: ولكني دَعوتُكم إلى الكفر والضلال فاتَّبعتموني، ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فالذنبُ ذنبكم، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ يعني: ما أنا بمُنقذكم مِمّا أنتم فيه من العذاب والكَرب ولا أنتم بمُنقذيَّ، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾: يعني إني تبرَّأتُ مِمّا فعلتموه في الدنيا بأنْ جعلتموني شريكًا مع اللهِ في طاعته، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بسبب إعراضهم عن الحق واتِّباعهم الباطل.

الآية 23: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي حدائق عجيبة، تجري أنهارُ الماء والعسل واللبن والخمر مِن تحت قصورها العالية، وأشجارها الظليلة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ إذ هو سبحانه الذي أَذِنَ لهم بدخولها والخلود فيها، ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ أي تحية اللهِ وملائكته لهم – وكذلك تحية بعضهم لبعضٍ في الجنة – هي قولهم: ﴿سَلَامٌ﴾ (أي سَلِمْتم من الخوف والحزن والتعب، ومن كل سُوء).

الآية 24، والآية 25: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعني ألم تعلم أيها الرسول ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ - وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) - فشَبَّهَهَا سبحانه ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: أي شجرةٍ عظيمة، وهي النخلة التي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: أي جذورها مُتمكنة في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يعني: وأعلاها مرتفع نحو السماء ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾: أي تُعطِي ثمارها كل وقتٍ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ ومَشيئته (وكذلك شجرة الإيمان: أصلها ثابت في قلب المؤمن (عِلمًا واعتقادًا)، وفَرْعُها – من الأعمال الصالحة والأخلاق الحَسَنة – يُرفَعُ إلى اللهِ تعالى ويُنال ثوابه في كل وقت)، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي لِيَتَّعظوا ويَعتبروا فيَجتهدوا في فِعل ما يَنفعهم.

الآية 26: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ - وهي كلمة الكفر – ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ أي خبيثة الطعم، وهي شجرة الحَنظل المُرَّة، التي ﴿اجْتُثَّتْ﴾ أي اقتُلِعت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾؛ لأنّ جذورها قريبة من سطح الأرض، و ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي ليس لها أصلٌ ثابت، ولا فرعٌ صاعد)، وكذلك الكافر: لا ثباتَ له ولا خيرَ فيه، ولا يُرْفَع له عملٌ صالح إلى اللهِ تعالى).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 27: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ - وهم المؤمنون الصادقون العاملون – فهؤلاء قد وَعَدَهم اللهُ تعالى أن يُثبّتهم ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ أي بالحق الراسخ (وهو شهادة ألاّ إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله)، فيُثبّتهم اللهُ بها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مَهما كانت الفِتَن والمِحَن، حتى يُوَفّقهم لنُطقها وهُم في سَكَرات الموت، ﴿وَفِي الْآَخِرَةِ﴾ أي يُثبّتهم عليها في القبر (إذ هو عَتَبة الدار الآخرة)، وذلك عند سؤال المَلَكين، فيَهديهم سبحانه إلى الجواب الصحيح ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ عن الصواب في الدنيا والآخرة، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من توفيق أهل الإيمان وخِذْلان أهل الكفر والطُغيان.

الآية 28، والآية 29: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ - وهم كفار قريش، الذين اختاروا الكفر على توحيد اللهِ تعالى، بدلاً من أن يشكروه على نعمة الأمن بالحرم وبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيهم؟! - ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ يعني: وقد أنزلوا أتْباعهم دارَ الهلاك – حين أخرجوهم إلى "بدر" – فقُتِلوا وصارَ مَصيرهم إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾ التي ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أي يَدخلونها ويُعانونَ من شدة حَرّها ، ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي: وبئس المُستقَرّ جهنم.

الآية 30: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يعني: وقد جعل هؤلاء الكفار شركاءَ للهِ تعالى فعَبدوهم معه ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أي ليُبْعِدوا الناسَ عن دين الله، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾: أي استمتِعوا في الحياة الدنيا فإنها سريعة الزوال، وإنّ مَصيركم بعدها إلى عذاب جهنم.

الآية 31: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول ﴿لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي يُؤدّوا الصلاة في أوقاتها، بشروطها وأركانها (في خشوعٍ واطمئنان)، ﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ - من أنواع المال - ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي في الخَفاء والعَلَن ـ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ وهو يوم القيامة، الذي ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ أي ليس فيه بيعٌ ولا ربحٌ ولامالٌ تفتدونَ به مِن عذاب اللهِ تعالى، ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ يعني: ولا صداقة صديق تنفعكم في ذلك اليوم (إلا مِن بعد أن يَأذَن اللهُ – بالشفاعةِ – لمن يَشاءُ ويَرضى).

الآية 32، والآية 33، والآية 34: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ على هذا النظام البديع المتقن، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فأحيا به الأرض بعد موتها، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ من جميع أنواع الفاكهة والخضروات والحُبوب، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ أي ذلّل لكم السُفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ أي بتدبيره سبحانه، وبأمْرِهِ للبحر أن يَحملها رغم ثِقَلها (وذلك لقضاء مَصالحكم)، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ لسُقياكم وسُقيا مَواشيكم وزروعكم وغير ذلك من منافعكم، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ أي مُستمِرّان في حركتهما لا يَتعبان، حتى تتحقق بهما مصالح العباد، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه وتستريحوا، ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لِتسعَوْا فيه في طلب رِزقكم ﴿وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ يعني: وأعطاكم سبحانه من كل ما طلبتموه، وكذلك أعطاكم مِمّا لم تطلبوه، فإنّ هناك أشياء لم يَطلبها الإنسان، وأعطاها اللهُ له.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ يعني: وإن تعُدُّوا نِعَم اللهِ عليكم لا تستطيعوا حَصْرَها، وذلك لكثرتها وتنوُّعها (لِذا فتذكَّروا نِعَمه سبحانه، واشكروه عليها، مع استشعاركم – أثناء الشكر – بعَجْزكم عن القيام بشُكره عليها كما يَجب)، واستخدموا نِعَمه في طاعته، ولا تُشركوا به شيئاً، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ - الذي حُرِمَ الهداية – ﴿لَظَلُومٌ﴾ أي كثير الظلم لنفسه لمُقابلته لِنعَم اللهِ بالمعاصي، ﴿كَفَّارٌ﴾ أي كثير الجُحود لِنعَم ربه.

www.alukah.net

3. الربع الأخير من سورة إبراهيم

الآية 35، والآية 36: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي اذكر أيها الرسول حين قال إبراهيمُ - داعيًا ربه، بعد أن أسْكَنَ ابنه وزوجته وادي "مكة" -: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ - أي مكة - ﴿آمِنًا﴾ مِن كل خوف، ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ يعني: وأبعِدني وأبنائي عن ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ - أي الأصنام - قد ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾: أي تسبَّبتْ في إبعاد كثير من الناس عن طريق الحق ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ أي اقتدى بي في التوحيد: ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي على ديني، ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ أي خالفني في شيءٍ أقل من الشرك: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ لذنوب المذنبين - بفضلك - ﴿رَحِيمٌ﴾ تعفو عمَّن تشاءُ منهم.

الآية 37: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي مِن بعض ذريتي - وهو "إسماعيل" وأمّه "هاجَر" - ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ أي: وادي ليس فيه زرعٌ ولا ماء ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ﴿رَبَّنَا﴾ إنني فعلتُ ذلك بأمْرك ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في مكة، (ولَعَلَّه خَصّ الصلاة بالذِكر لأنها العبادة التي تشتمل على الذِكر والشُكر) ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾: أي اجعل قلوب بعض خَلقك تَحِنّ إليهم وتَميل (رغبةً في الحج والعمرة) ﴿وَارْزُقْهُمْ﴾ في هذا المكان ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ أي لكي يَشكروا نِعَمَك العظيمة عليهم (فاستجاب اللهُ دعاءه).

الآية 38، والآية 39: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ أي تَعلم سبحانك كل ما نُخفيه وما نُظهره (ومِن ذلك عِلمك بحزني على ترْك إسماعيل وأُمّه في هذا المكان، فاحفظهم)، ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

♦ ثم أثْنَى إبراهيم على اللهِ تعالى قائلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ أي رَزقني - رغم كِبَر سِنِّي - وَلديَّ ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ بعد أن دعوتُه أن يَهَب لي من الصالحين ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ مِمَّن دعاه، وقد دعوتُه ولم يُخيِّب رجائي.

الآية 40: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ أي اجعلني مُداومًا على أداء الصلاة على أتمّ وجوهها، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ يعني: واجعل مِن ذريتي مَن يُحافظ عليها، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾: أي استجب دعائي وتقبَّل عبادتي.

الآية 41: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي﴾ ما وقع مِنّي مِمَّا لا يَسلم منه البشر ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ أي: واغفر لوالديَّ - وهذا قبل أن يَعرف أنّ والده سوف يموت على الشِرك -، فلمَّا تبيَّنَ له أنه عدوٌ للهِ تبرَّأَ منه (كما جاء في سورة التوبة)، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي: واغفر للمؤمنين يوم يقوم الناس للحساب والجزاء، (واعلم أنّ استخدام لفظ "يقوم" مع "الحساب" هو كقول العرب: (قامت الحرب على ساق)، يقصدون بذلك: اشتداد الأمر، وصعوبة الحال).

الآية 42، والآية 43: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ - أيها الرسول - أنّ ﴿اللَّهَ﴾ تعالى ﴿غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ مِن تكذيبك وإيذاء المؤمنين، وغير ذلك من المعاصي، بل هو عليمٌ بأفعالهم، و ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي يؤخِّرُ عقابهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ شديد - وهو يوم القيامة - الذي ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي تتفتح فيه العيون على آخرها (وذلك مِن هَول ما تراه)، وتراهم يقومون من قبورهم ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي مُسرعين لإجابة الداعي (الذي دعاهم للقاء اللهِ تعالى للحساب)، ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: أي رافعي رؤوسهم ﴿لَا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ : أي لا تستطيع عيونهم الإغماض ولو لحظة، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ يعني: وقلوبهم خالية (لا تستطيع التفكير في شيء)، وذلك من شدة الخوف والفزع.

الآية 44، والآية 45: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ عذابَ يوم القيامة_﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يعني أَمْهِلنا إلى وقتٍ قريب: ﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾، فيُقالُ لهم توبيخًا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ في حياتكم أنكم ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ أي لا زوالَ ولا ارتحالَ لكم من الدنيا إلى الآخرة، ولم تصدِّقوا بهذا البعث؟ ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ وهم الكافرونَ السابقون لكم، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من الهلاك ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ في القرآن فلم تعتبروا؟

♦ واعلم أنّ المقصود بالسَكَن – في قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ – هو النزول في أماكن الظالمين لوقتٍ يكفي للاتّعاظ والاعتبار)، وقد كان كفار قريش يَمُرُّونَ على ديار ثمود أثناء رحلتهم إلى الشام، وكانوا يَنزلون على ديار قوم عاد (للاستراحة) أثناء رحلتهم إلى اليمن.

الآية 46: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ أي دَبَّرَ المشركون الشرَّ للرسول صلى الله عليه وسلم ، ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ لأنه سبحانه مُحيطٌ بما يقولونَ ويفعلون، ولذلك أعادَ مَكْرَهم عليهم، ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ يعني: وما كانَ مَكْرُهم بالذي تزول منه الجبال ولا غيرها، فإنه تافهٌ لا قيمةَ له، فلا تهتم بمَكْرِهم أيها الرسول ولا تلتفت إليه.

الآية 47، والآية 48: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ أي لا تحسبْ أنّ اللهَ تعالى يُخلِف رُسُله ما وَعَدَهم به (مِن النصر وإهلاك المُكذبين)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يَمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ : أي صاحب انتقام شديد مِمّن عَصاه وعَصى رُسُلَه وحارَبَ أولياءه.

♦ واذكر أيها الرسول يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾ فتصير ﴿غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ التي يَعيشون عليها ﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ أي: وكذلك تُبَدَّلُ السماوات بغيرها، ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾: أي خرجتْ الخلائق يومئذٍ من قبورها للقاء اللهِ ﴿الْوَاحِدِ﴾ - في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله - ﴿الْقَهَّارِ﴾ لكل شيء.

♦ واعلم أنّه قد ثبت في صحيح مُسلم أنّ رجلاً يهودياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم : (أين يكون الناس يوم تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض والسماوات؟)، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (في الظُلمة دونَ الجِسر) – أي في الظلام على الصراط الممدود فوق جهنم (وهو الطريق الذي سَيَعبُر عليه الناس) – فقال اليهودي: (فمَن أول الناس إجازة؟) – أي مروراً على الصراط – فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فقراء المهاجرين)، فقال اليهودي: (فما تُحفتهم – يعني ما هي أول ضيافتهم - حين يدخلون الجنة؟)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (زيادة كبد النون) – والنون هو الحوت، وزيادة كبد الحوت: هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أطيَبها وألَذّها – فقال اليهودي: (فما غذاؤهم على إثره؟) – أي بعد أن يأكلوا زيادة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كبد الحوت – فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (يُنحَر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها)، فقال اليهودي: (فما شرابهم عليه؟) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مِن عينٍ فيها تُسَمَّى سلسبيلاً) فقال له اليهودي: (صدقتَ).

الآية 49، والآية 50، والآية 51: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾ - أي يوم القيامة – ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ : أي مُقيَّدين بالقيود، وتكونُ ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ أي: ثيابهم مِن قَطِران (وهي مادة سوداء شديدة الحرارة، سريعة الاشتعال)، ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ أي تحيط النار بوجوههم فتَشويها وتُلهِبها من كل جانب، وليس هذا ظلماً مِن اللهِ لهم، وإنما هو جزاءٌ لِمَا قدَّموه في الدنيا، ولهذا قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ مِن الخير والشر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يُعجزُهُ إحصاءُ أعمالِهم، ومُحاسبتهم عليها.

الآية 52: ﴿هَذَا﴾ القرآن – الذي أنزلناه إليك أيها الرسول – هو ﴿بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ يعني أمَرَكَ اللهُ بتبليغه للناس لهدايتهم ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ يعني: ولِيُخَوِّفهم من عذاب اللهِ تعالى ﴿وَلِيَعْلَمُوا﴾ - بما فيه من الدلائل والبراهين - ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وهو اللهُ الواحد الأحد، فيَعبدوه وحده ولا يُشركوا به ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يعني: ولِيَتَّعظ به أصحاب العقول السليمة، فيَعملوا على إنجاء أنفسهم من غضب اللهِ وعذابه، ليَفوزوا برحمته ورضوانه.

****

تفسير سورة الحِجر كاملة

1. الربع الأول من سورة الحِجر

الآية 1: ﴿الر﴾: سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، (واعلم أنَّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: ألِف لام را)، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾_يعني هذه هي آيات الكتاب المُنَزَّل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي آيات قرآنٍ مُوَضِّح للحقائق والأحكام.

♦ واعلم أنّ الواو التي بين كلمة (الْكِتَاب)، وبين كلمة (قُرْآن)، تُسَمَّى (عَطْف بَيان)، يعني عَطْف توضيح، لِتُبَيِّن أنّ القرآن هو نفسه الكتاب، وليس معناها أنّ (الْكِتَاب) شيءٌ، وأنّ (القرآن) شيءٌ آخر، فكأنّ المعنى: (تلك آيات الكتاب الذي هو هذا القرآن المُبين)، وهذا مِثل قول أحدهم: (هذا هو اللقاء الثالث والأخير)، يعني هذا هو اللقاء الثالث، وهو نفسه اللقاء الأخير.

الآية 2: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: سيَتمنى الكفار - حينَ يَرون خروج عُصاة المُوَحِّدين من النار - أنْ ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ مِثلهم، لِيَخرجوا من النار كما خرجوا.

الآية 3، والآية 4، والآية 5: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا﴾: أي اترك - أيها الرسول - هؤلاء الكفار يأكلوا ﴿وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدُنياهم الزائلة ﴿وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ أي: ويُشغلهم طول العُمر - وبلوغ الشهوات الرخيصة العاجلة - عن طاعة ربهم، وعن التفكير في عاقبة أمْرهم، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾_أنهم هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

♦ وإذا طلبوا إنزال العذاب بهم (تكذيبًا لك أيها الرسول)، فأخبِرهم أننا ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾: يعني إننا لا نُهْلِك قريةً ظالمة إلا عندما يَبلغوا أجَلَهم المُقدَّر (مِثل مَن سَبَقهم)، فإذا حانَ وقت العقوبة: فـ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: أي لا تتجاوزُ أُمَّةٌ أجَلَها فتزيد عليه ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: أي لا يَتأخرون عن ذلك الوقت لحظة.

الآية 6، والآية 7، والآية 8: ﴿وَقَالُوا﴾ أي قال المُكَذِّبونَ لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ - أي القرآن - ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ أي ذاهب العقل، وهم يَعلمونَ أنهم كاذبونَ في ذلك، فقد كانوا يَشهدونَ له بالصدق والأمانة، ورَضوا بحُكمه عندما أرادوا إعادة بناء الكعبة (وذلك قبل بِعْثتِهِ صلى الله عليه وسلم)، فكيف إذاً يَقبلونَ حُكمَه ثم يَتهمونه - كَذِباً - بالجُنون؟!، فعُلِمَ مِن ذلك أنهم يقولون ذلك على سبيل العِناد، وحتى يَصُدّوا الناسَ عن دِينه.

♦ ثم قالوا له: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ أي هَلاَّ جِئتنا بالملائكة لِتَشهد لك بأنّ الله قد أرسلك إلينا ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يعني ما نُنَزّلهم إلا بالعذاب على المُكذبين، لأنه - عند نزول الملائكة بالعذاب - سيُصبح الأمْرُ يَقينيًّا، وليس قضية إيمان بالغيب، وهذا ما لا يُريده اللهُ لهم، ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾ يعني: وحينئذٍ لن يُمهَلوا ليتوبوا أو يعتذروا.

www.alukah.net

الآية 9: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: أي نتعهد بحِفظه مِن أن يُزادَ فيه، أو يُنْقَصَ منه، أو يَضِيعَ منه شيء، لأنه حُجَّتنا على خَلْقنا إلى يوم القيامة.

♦ فسُبحانَ اللهِ العظيم، مَن يَجرؤ مِن البشر أن يقول هذا الكلام، ثم يَفِي بما وَعَدَ – بالحرف الواحد – غير المَلِك القدير جَلَّ وَعَلا؟، هل هناك أحَدٌ مِن الخَلق يَضمن ماذا سيحدث له بعد ساعة مِن الآن؟! إنَّ الذي يستطيع أن يقول هذا الكلام بهذا اليقين هو الذي يَملِكُ القدرة سبحانه وتعالى، إننا نقول – وبمنتهى البَسَاطة –: (إنَّ الذي قالَهُ هو الذي حَفِظَه).

♦ واعلم أنّ اللهَ تعالى قد حَفظ السُنَّة الصحيحة كما حَفظ القرآن، لأنّ لفظ (الذِكر) يَشمل جميع الشريعة: (القرآن والسُنَّة)، كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقال تعالى في سورة النساء: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والسُنَّة، والدليل على أنَّ الحِكمة هي السُنَّة هو قولُ اللهِ تعالى لنساء النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، وإلاَّ، فماذا كانَ يُتلَى في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن والسُنَّة؟!

♦ ولقد رأينا كيف قيَّضَ اللهُ للسُنَّةِ رِجالاً، وسَخَّرَ لها علماءً، لِيَتتبَّعوا الأسانيد، وليُظهِروا للناس الأحاديث الصحيحة مِن غيرها، أليس هذا التوفيقُ دليلاً على أنّ اللهَ تعالى قد حَفظ السُنَّة الصحيحة كما حَفظ القرآن؟

الآية 10، والآية 11: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ - أيها الرسول – رُسُلاً ﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي في فِرَق السابقين وأُمَمِهم، ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي كانوا يَسخرونَ منه ومِن دَعْوته (وفي هذا تصبيرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم، إذ كما فَعَل مُشركو قومه به، فكذلك فَعَلَ الذين مِن قبلهم برُسُلهم، حتى أَهْلَكهم اللهُ تعالى).

الآية 12، والآية 13: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: كما أدْخَلنا الجحود في قلوب الأمم السابقة (عقوبةً لهم على استهزاءهم برسلهم)، فكذلك نَفعل بمُشركي قومك، بسبب استهزائهم بك وتكذيبهم بالقرآن، إذ هم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: أي لا يُصَدِّقون بالقرآن (رغم وضوح حُجَّته وقوة بَيانه) ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾_أي مَضت طريقة اللهِ في الأوَّلين، وهي إهلاكُ الظالمين إذا استمروا على تكذيبهم وعِنادهم، كما حدث مع عادٍ وثمود (وفي هذا تهديدٌ عظيمٌ لهم).

الآية 14، والآية 15: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي على كفار "مكة" ﴿بَابًا مِنَ﴾ أبواب ﴿السَّمَاءِ﴾ ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ أي فاستمَرّوا صاعدينَ فيه حتى يُشاهدوا ما في السماء مِن عجائب مَلَكوتِ اللهِ تعالى، لَمَا صَدَّقوا، و﴿لَقَالُوا﴾_تكبُّراً وعِناداً: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ أي مُنِعَتْ أبصارُنا من النظر الحقيقي فلم نُشاهد الملائكة، ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ لأننا أصبحنا نرى أشياء لا حقيقةَ لها، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ أي مِن السماء ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ أي في أوراقٍ ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ وتيقنوا أنه حق: ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

الآية 16، والآية 17، والآية 18: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ أي مَنازل تسير فيها الكواكب والنجوم والشمس والقمر، لِيُستَدَلّ بها على الطُرُقات والأوقات، وغير ذلك مِن مَصالح العباد، ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ أي زَيَّنَّا السماءَ بالنجوم لمن يَنظرون إليها، لِيَتأملوا في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قدرة اللهِ ويَعتبروا، ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ أي السماء ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي مَطرودٌ مِن رحمة اللهِ تعالى، مَرجومٌ بالشُهُب، حتى لا يَسمع كلامَ الملائكة في المَلأ الأعلى ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾: يعني إلا مَن استطاعَ أن يَختلس السمع من كلام الملائكة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾: يعني فهذا يَلحقه شهابٌ مُضيئ يَحرقه، (واعلم أنّ الشيطان قد يُلْقي إلى الساحر بعضَ ما سَمِعَه قبل أن يَحرقه الشهاب).

الآية 19، والآية 20: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: أي جعلناها مُمتدة مُتسعة، وبَسَطناها لتستطيعوا العَيش فوقها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي وَضَعْنا في الأرض جبالاً راسيةً لتُثبِّتها، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ يعني: وأَنْبَتنا في الأرض من أنواع النباتات والمعادن ما هو مُقدَّرٌ بمقدارٍ معلوم (بحسب حاجة العباد وما يُصلحهم)، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ أي جعلنا لكم في الأرض ما تعيشونَ به من المَطاعم والمَشارب والملابس والمراكب (وغير ذلك من أنواع الرزق)، ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾_ أي: وخَلَقنا لكم من الأولاد والخَدَم والبَهائم ما تَنتفعونَ به، وليس رِزقهم عليكم، وإنما هو على اللهِ رب العالمين.

الآية 21: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: وما مِن شيئٍ مِن مَنافع العباد ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ من جميع الأصناف، وقد كانَ النبي صلى الله عليه وسلم يقولُ في دعائه: (اللهم إني أسألك مِن كل خيرٍ خزائنه بيَدك، وأعوذُ بك مِن كل شَرٍّ خزائنه بيَدك)، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ أي هذا الشيئ ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ يعني إلا بمِقدار مُحَدَّد كما نَشاء، في الوقت الذي نُريد، بحسب حاجة العباد، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، (فخزائنُ الأشياء كلها بيَد اللهِ وحده، يُعطي منها مَن يشاء، ويَمنعها عَمَّن يَشاء، وذلك بحسب حِكمته البالغة ورحمته الواسعة، وهذا يَجعل القلب لا يَتعلق إلا به سبحانه، لأنّ كل شيئٍ بيَده).

الآية 22: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ يعني أرسلنا الرياح لتُلَقِّح السحاب فيَمتلىء بالماء (مِثلما يَحدث عندما تُنقَل مادة اللقاح مِن ذكَر الشجر إلى أُنثاه)، ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أعْدَدناهُ ليكونَ صالحاً للشُرب، كما قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ أي مالحاً ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾؟، ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾: أي فأسقيناكم هذا الماء العذب (أنتم ومَواشيكم وأرضكم) ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾_ يعني: وما أنتم بقادرينَ على تخزين هذا الماء وادِّخاره، ولا بمُنشئينَ له عندما تريدونه، ولكننا نُنشِئه لكم، ونُخَزِّنه لكم (في يَنابيع الأرض وغيرها)، رحمةً بكم وإحسانًا، (ومِن رحمة الله بكم أنْ جَعَلَ خزائن الماء بِيَدِهِ وحده، إذ لو كان الأمرُ بأيديكم، لأَعطيتموه لمَن شِئتم، ولَمَنعتموه عَمَّن شِئتم بحسب أهوائكم، فللهِ الحمدُ والمِنَّة).

♦ فكُلّ هذه المنافع الضرورية لِلخَلق تدلّ على عناية اللهِ تعالى بمَصالح خلقه، وأنّه الإلهُ الحق الذي يَجب أن يُعبَد ولا يُعبَد غيره.

الآية 23: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾_مَن كانَ مَيّتاً (وذلك بخَلقه من العدم، ونفخ الروح فيه)، ﴿وَنُمِيتُ﴾ مَن كانَ حَيّاً (بعد انتهاء أَجَله)، ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ للأرض وما عليها.

الآية 24، والآية 25: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ (وهُم جميع مَن ماتَ مِن البشر منذ آدم عليه السلام)، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (وهُم الأحياء الآن، وكذلك الذين سيأتون إلى يوم القيامة)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ جميعاً للحساب

www.alukah.net

والجزاء، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وقضاءه، (ومِن حِكمته أن يأمر عباده ويَنهاهم، ثم يُحاسبهم ويُجازيهم)، ﴿عَلِيمٌ﴾ لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالهم.

الآية 26، والآية 27: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ – والمقصود به هنا: آدم عليه السلام (أبو البشر) – إذ خَلَقه اللهُ تعالى ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ أي مِن طين يابس (إذا نُقِرَ عليه: سُمِعَ له صوت)، وهذا الطين اليابس خَلَقه اللهُ ﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ أي مِن طين أسود ﴿مَسْنُونٍ﴾: أي مُتغيرٌ لونه ورائحته بسبب مرور السنين عليه.

♦ وعلى هذا فإنّ الطِينة التي خَلَقَ اللهُ منها آدم عليه السلام يكونُ ترتيبها كالآتي: (تراب – كما قال تعالى في سورة آل عمران - : ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ - ثم وُضِعَ على هذا الترابِ ماءٌ فأصبح طِيناً، ثمّ تُرِكَ هذا الطين حتى تَغيّرَ لونه ورائحته فأصبح (حمأً)، ثمّ تيَبّسَ فأصبح صلصالا، ثم نفخ الله فيه من روحهً)، ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ - أي مِن قَبْل خَلْق آدم - ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ أي مِن نارٍ شديدة الحرارة لا دخانَ لها.

الآية 28، والآية 29: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي اذكُر أيها النبي حينَ قال ربك لملائكته: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أي أكْمَلتُ صورته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فأصبح حَيّاً: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ أي فخِرُّوا له ساجدين (سجود تحيةٍ وتكريم، وليس سجود عبادةٍ وخضوع).

الآية 30، والآية 31: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ كما أمَرهم ربهم، فلم يَمتنع منهم أحد ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الذي كان معهم (يَعبد اللهَ تعالى)، فإنه ﴿أَبَى﴾ أي امتنع ﴿أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (حَسَدًا لآدم على هذا التكريم العظيم).

الآية 32: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى – مُنكِرًا على إبليس تَرْكَ السجود -: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾؟

الآية 33: ﴿قَالَ﴾ إبليس مُظهِرًا كِبْره وحسده: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾: أي لا يَليقُ بي أن أسجد لإنسانٍ ﴿خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ أي مِن طين يابس، وهذا الطين اليابس خلقته _﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ أي مِن طين أسود _﴿مَسْنُونٍ﴾: أي متغيرٌ لونه ورائحته بسبب مرور السنين عليه.

الآية 34، والآية 35: ﴿قَالَ﴾ اللهُ لإبليس: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي اخرج من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي مَطرودٌ من كل خير، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ أي البُعد مِن رحمتي ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: يعني إلى يوم الجزاء، كما قال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي جزاءهم الحق.

الآية 36، والآية 37، والآية 38: ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي أخِّرني في الدنيا إلى اليوم الذي تَبْعَث فيه عبادك (وهو يوم القيامة)، فـ ﴿قَالَ﴾_اللهُ له: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ يعني فإنك مِمَّن أخَّرْتُ هَلاكهم ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وهو اليوم الذي يموت فيه جميع الخَلق بعد النفخة الأولى – لا إلى يوم البعث -، (وقد أجابَ اللهُ طلبه اختباراً لعباده).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 39، والآية 40: ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ يعني بسبب إضلالك لي: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي سوف أُحَسِّنُ لذرية آدم مَعاصيك في الأرض ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: وسوف أُضِلُّهم جميعاً عن طريق الهُدى (انتقامًا لنفسي مِن آدم) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ﴾ أي مِن بني آدم، ثم خصَّهم بقوله: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾: يعني إلا عبادك الذين أخلصوا لك العبادة، فخَلَّصتَهم من السُوء والفَحشاء، فهؤلاء لن أستطيع إضلالهم.

من الآية 41 إلى الآية 44: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى لإبليس: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: هذا طريقٌ مستقيم مُوَصِّل إلى جنَّتي، وعَليَّ الوفاءُ به، وهو: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الذين أخلصوا عبادتهم لي ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: أي ليس لك تَحَكُّم وتَسَلُّط على قلوبهم (لِتُضِلُّهم عن الطريق المستقيم) ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ يعني: لكنّ تسلُّطَك سيكون على الذين اتبعوك مِن الضالينَ المشركين (الذين رضوا بطاعتك بدلاً من طاعتي) ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أي لها سبع طبقات (لكل طبقةٍ منهم باب)، و ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ أي: لِكُلّ بابٍ مِن أبواب جهنم: فريقٌ من أتْباع إبليس يَدخلون منه، ولِكُلّ طبقة من طبقات جهنم: قِسمٌ ونصيبٌ من العذاب (وذلك بحسب أعمال العباد) (نسألُ اللهَ أن يُحَرِّم أجسادنا على النار).

من الآية 45 إلى الآية 48: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين خافوا عذابَ ربهم - فامتثلوا أمْره واجتنبوا نَهْيَه - أولئك ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي في بساتين عجيبة المَنظر، ﴿وَعُيُونٍ﴾ أي أنهارٌ جارية.

♦ وتقول لهم الملائكة: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي ادخلوا هذه الجنات سالمينَ مِن كل سُوء، ﴿آمِنِينَ﴾ مِن كل خوف، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾: أي لم يُبقِ اللهُ في صدور أهل الجنة ما يُنَغِّصُ نعيمهم، أو يُكَدِّرُ صَفْوَهم وسعادتهم (كحِقدٍ أو حسدٍ أو عداوةٍ أو غضب)، فهم يَعيشونَ في الجنة ﴿إِخْوَانًا﴾ مُتحابِّين، يَجلسونَ ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ عظيمة (والسُرُر جمع سرير) ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾: أي تتقابل وجوههم في حُبّ، يَجمعهم مَجلس واحد يَتسامرونَ فيه على السُرُر، فإذا أرادوا الانصراف: تدورُ بهم السُرُر إلى قصورهم (اللهم إنا نسألك الجنة يارب)، وهُم ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: أي لا يُصيبهم فيها تعبٌ ولا إعياء (وهذا هو نعيم الراحة الأبدية في الجنة)، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾_يعني: وهُم باقونَ في هذا النعيم لا يَخرجون منه أبدًا.

****

2. الربع الثاني من سورة الحِجر

الآية 49، والآية 50: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾: يعني أخبِر عبادي– أيها الرسول – ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾_للمؤمنين التائبين، ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ لغير التائبين.

الآية 51، والآية 52: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾: يعني أخبِرهم عن ضيوف إبراهيم من الملائكة (الذين جاؤوا له على هيئة بَشَر) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا﴾ له: ﴿سَلَامًا﴾، فرَدَّ عليهم السلام، ثم قدَّم لهم الطعامَ فلم يأكلوا منه، ف ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾: يعني إنَّا منكم خائفون (وذلك لأنه ظنَّ أنهم أرادوا به شراً عندما لم يأكلوا).

www.alukah.net

الآية 53: ﴿قَالُوا﴾ أي قالت له الملائكة: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾: أي لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾: يعني إنَّا جئنا نُبَشِّرك بوَلَدٍ كثير العلم بالدين (وهو إسحاق عليه السلام).

الآية 54: ﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ مُتعجبًا: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾: يعني أبَشَّرتموني بالولد، وأنا كبيرٌ في السن، وزوجتي كذلك؟! ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾: يعني فبأيّ أُعجوبةٍ تُبَشِّرونني؟!

الآية 55: ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الذي أخبَرَنا اللهُ به ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾: يعني فلا تكن من اليائسينَ مِن أن تُرزَق بولد.

الآية 56، والآية 57: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم – نافياً القنوط عن نفسه –: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ﴾ يعني إنه لا يَيْئَسُ ﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ عن طريق الحق، الذين لا عِلمَ لهم بربِّهم، وكمال قدرته وسعة رحمته، ثم ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يعني: فما الأمر الخطير الذي جئتم مِن أجْله أيها المُرسَلونَ مِن عند الله؟

الآية 58، والآية 59، والآية 60: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾: يعني إنّ اللهَ قد أرْسَلَنا لإهلاك قوم لوط المجرمين، ﴿إِلَّا آَلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: يعني إلا لوطًا وأهله المؤمنين به، فإننا لن نُهلكهم، بل سَنُنَجِّيهم جميعاً ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ يعني: إلا زوجته الكافرة، فقد قضينا – بأمْر اللهِ لنا - بإهلاكها مع الباقينَ في العذاب.

من الآية 61 إلى الآية 66: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آَلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾: يعني فلمّا وصل الملائكة المُرسَلونَ إلى دار لوطٍ عليه السلام: ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾: يعني إنكم قوم غير معروفين، (وكأنه خافَ منهم، وظنّ أنهم أرادوا به سُوءاً)، ف ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿بَلْ﴾ أي لا تَخفْ، فقد ﴿جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: أي جئنا نُخبرك بالعذاب الذي كان يَشُكُّ فيه قومك (حينَ كنتَ تَعِدُهم به)، ثم قالوا له – لِيَزيدوا مِن اطمئنانه -: ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: أي جئناك بالحق مِن عند اللهِ ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرناك به.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾: أي اخرج مِن قريتك أنت وأهلك المؤمنون ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾: أي بعد مرور جُزء من الليل (يعني قبل الفجر بكثير)، لتتمكنوا مِن البُعد عن قريتكم، ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ أي: امشِ أنت وراءهم، حتى لا يَتخلف منهم أحد ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ وراءه، حتى لا يرى العذاب فيُصيبه ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ يعني: وأسرِعوا إلى حيثُ أمَرَكم الله (وقد قيل إنهم أُمِرُوا بالذهاب إلى الشام، وقيل إنه كان معهم دليلٌ يَدُلُّهم إلى أين يَتوجهون، واللهُ أعلم).

♦ ثم قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ يعني: وأوحى اللهُ إلى لوطٍ ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ وهو: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ يعني: إنّ قومك مُهلَكونَ جميعاً ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي عند طلوع الصبح، (واعلم أنّ دابر القوم: آخِرَهم، لأنه إذا هَلَكَ آخرُ القوم، فقد هَلَكَ أوّلهم).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 67: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ إلى لوط – حين عَلِموا بمن عنده من الضيوف – وهم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي فَرِحُونَ بضيوفه، ليَفعلوا بهم الفاحشة.

الآية 68، والآية 69: ﴿قَالَ﴾ لهم لوط: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾ وهُم في حمايتي_﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾: يعني فلا تفضحوني أمام أهل القرية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي خافوا عقابه ولا تتعرضوا لهم، ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: يعني ولا تهينوني وتذلوني بإيذائكم لضيوفي (لأنهم كانوا يَعتبرون أنّ إهانة الضيّف هي مَذَلّة وعار في حق مُضِيفه).

الآية 70: ﴿قَالُوا﴾ أي قال له قومه: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾_يعني ألم نَنْهَكَ عن استضافة أحد من الرجال أو حمايتهم مِنّا، لأنّنا نريد بهم الفاحشة؟

الآية 71: ﴿قَالَ﴾ لهم لوط: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ - أي بنات القرية جميعاً – ﴿بَنَاتِي﴾ فتزوَّجوهنّ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ يعني إن كنتم تريدون قضاء شهوتكم،) وسَمَّاهُنّ بناته، لأنّ نَبِيّ الأُمّة بمَنزلة الأب لهم، ويدل على ذلك قراءة عبد الله ابن مسعود – رضي اللّهُ عنه – في سورة الأحزاب: (وأزواجه أُمَّهاتهم وهو أبٌ لهم)).

الآية 72، والآية 73، والآية 74: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ (هذا قَسَمٌ مِن اللهِ تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفًا له)، فكأنه تعالى يقول له: وحَياتك يا محمد _﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يعني إنّ قوم لوط في ضلالٍ أزالَ عقولهم ورُشدهم، فهم يَترددون كالسُكارَى لا يريدون إلا الفاحشة، (واعلم أنّ الخالق سبحانه يُقسم بمَن يشاء وبما يشاء، أمّا المخلوق فلا يجوز له القَسَم إلا بالله)،_﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: أي فصاحَ بهم مَلَكٌ من الملائكة (قيل إنه جبريل عليه السلام)، ﴿مُشْرِقِينَ﴾ أي (وقت شروق الشمس)، ثم أخبَرَ اللهُ بما حدث لهم بعد صيحة المَلَك قائلاً: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي قلَبْنا قريتهم التي كانوا يَعيشون فيها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ وهي حجارة صَلبة شديدة الحرارة.

الآية 75، والآية 76، والآية 77: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يعني إنّ في قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام (مِن إنجاب إبراهيم للولد رغم كِبَر سِنِّه وعُقم امرأته، ومن إهلاك قوم لوط وإنجاء المؤمنين) ﴿لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: أي لَعِظاتٍ للمُتأمِّلين المُعتبِرين، ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ يعني: وإنّ قريتهم في طريقٍ ثابت يراها المسافرون المارُّونَ بها، (وكانت قريش تَمُرّ بها أثناء رحلتها إلى الشام)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي كَوْن قرية لوط واضحةٌ للمسافرين وفيها آثار الهلاك ﴿لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى لا يَتجرأوا على مَعصية رب العالمين.

♦ واعلم أنّ المُتوسِّمين هم الناظرون نظر تفكُّر وتأمُّل لمعرفة الأشياء بسِماتها وعلاماتها، ولَعَلَّ اللهَ سبحانه قد خَتَمَ الآيات بلفظ "المؤمنين" للتنبيه على أنّ المتوسّمين هم المؤمنون، واللهُ أعلم.

الآية 78، والآية 79: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ يعني: ولقد كان أصحابُ المدينةِ المُلتفَّةِ الشجر – وهم قوم شعيب – ﴿لَظَالِمِينَ﴾ لأنفسهم بالكفر والغش في الميزان ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني: وإنّ مَساكن قوم لوط وقوم شعيب : ﴿لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي في طريقٍ واضح يَمُرُّ بهما الناس في أسفارهم فيَعتبروا بهم.

www.alukah.net

من الآية 80 إلى الآية 84: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: ولقد كذَّبَ سكان "وادي الحِجْر" - وهم ثمود - الذين كذبوا صالحًا عليه السلام، فكانوا بذلك مُكَذِّبينَ لجميع المُرسَلين (لأنّ مَن كَذَّبَ نبيًا من الأنبياء، فقد كذّبهم كلهم، إذ دَعْوتهم واحدة، وهي التوحيد)، ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ يعني: وأعطينا ثمود آياتنا الدالة على صحة ما جاءهم به صالح عليه السلام (ومِن ضِمنها الناقة)، (وقد يكون المقصود بالآيات هنا: أنها الآيات المُرتبطة بالناقة، لأنها خرجتْ من صخرة، ولأنها كانت تقف أمام كل بيت ليَحلب أهله منها ما شاءوا وغير ذلك، ويُحتمَل أن يكون هناك آيات أخرى أعطاها اللهُ لصالح غير الناقة، واللهُ أعلم)، ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾_لا يَتفكرون فيها، ولا يَعتبرون بها، ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ يَسكنون فيها_﴿آَمِنِينَ﴾ مِن أن تَسقط عليهم أو تُخرَّب، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾: أي وقت الصباح مُبكِّرين ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: يعني فلم تنفعهم أموالهم وحصونهم في الجبال، ولم تدفع عنهم مِن عذابَ اللهِ شيئاً حينَ نَزَلَ بهم.

الآية 85، والآية 86: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي لم يَخلقهما سبحانه عَبَثًا، بل خَلَقهما للاستدلال بهما على كمال قدرته، وعلى أنه وحده الخالق الرازق الذي لا تجب العبادة إلا له، وليُعلِمَ عباده أنّ الذي خلق السماوات والأرض قادرٌ على أن يُحيي الموتى، وأنّ ذلك أهْوَنُ عليه مِن خَلْق السماوات والأرض، ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾ التي تقوم فيها القيامة_﴿لَآتِيَةٌ﴾ لا مَحالة، لِتُوَفَّى كل نفسٍ بما عملتْ، ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾: أي فتجاوَز - أيها الرسول - عَمَّا يقوله المُشركون في حقك، واعفُ عنهم عفواً ليسَ بعده انتقام، (عفواً لا يَترك بعده أثراً في القلب من الحقد والغيظ على مَن أساء إليك)، فـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الذي أمَرَكَ بهذا الصفح ﴿هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لكل شيء، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأعمال خَلْقه، وسيُعيدُهم كما بدأهم، ليُحاسب المُكَلَّفين منهم ويَجزيهم بما عملوا، ويَجزيك على عفوك بما تَقَرّ به عَيْنك، ويَسعَد به قلبك، فاصبر واحتسب الأجر عند ربك.

من الآية 87 إلى الآية 91: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ يعني: ولقد أعطيناك أيها النبي ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ وهي الفاتحة (إذ هي سَبع آيات تُكَرَّر في كل ركعة)، ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني: وأعطيناك القرآنَ العظيم (وإنما ذَكَرَ الفاتحة أولاً - مع أنها من القرآن العظيم - لإظهار فضلها وشرفها، إذ هي أعظم سورة في كتاب الله، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم) (انظر صحيح سنن أبي داوود ج: 2/71).

♦ فالقرآن - الذي أعطاهُ اللهُ لك أيها النبي - هو خيرٌ لك مِمَّا هُم فيه من المال والجاه، ولذلك فـ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: أي لا تنظر بعينيك مُتطلّعاً ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: يعني إلى ما مَتَّعْنا به أصنافًا من كفار قريش مِن مُتَع الدنيا، فلا يَخدعْكَ ذلك، فإنَّ هذا كلُّه متاعٌ قليل، وسوف يَزولُ عنهم عن قريب، ثم يُعَذَّبونَ في جهنم وبئس المصير، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: أي لا تحزن على كُفرهم وتكذيبهم لك، ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي تواضعْ للمؤمنين واعطِف عليهم (ولو كانوا فقراء)، فإنّ الخير فيهم وليس في أولئك الكفرة الأغنياء، ﴿وَقُلْ﴾ لقومك ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾: يعني إني أنا المُنذِر المُوَضِّح لِمَا فيه هداية الناس أجمعين، ومُنذِركم أيها المُعانِدون أن يُنزِلَ اللهُ بكم العذابَ الأليم ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ أي كما أنزل سبحانه العذابَ ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ وهم طائفةٌ من اليهود والنصارى، قسَّموا التوراة والإنجيل، فآمنوا ببعضها وكَفروا ببعضها، وأظهروا بعضها للناس، وأخفوا عنهم بعضها، فعاقبهم اللهُ تعالى، وهُم ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أي جعلوا القرآن أجزاءً،

فآمَنوا ببعضه، وكفروا بما لا يُناسب أهوائهم منه، (وكذلك المشركين الذين قسَّموا القرآن، فقالوا إنه شِعر وسِحر وغير ذلك، وصَرَّفوه بحسب أهوائهم، ليَصُدُّوا الناسَ عن الهُدى).

الآية 92، والآية 93: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي سيَسألهم ربهم يوم القيامة عن تقسيمهم للقرآن بافتراءاتهم، وعن عبادتهم للأصنام، وغير ذلك من المعاصي والآثام.

الآية 94: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ يعني: فاجهَر أيها النبي بدعوة الحق - التي أمَرك اللهُ بها - وأعلِنها للناس، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ فلا تَهتم بعِنادهم، وامضِ في طريق دَعْوتك، فقد برَّأكَ اللهُ مِمَّا يقولون.

♦ واعلم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قضى فترةً من الزمن مُستخفياً بدعوته هو وأصحابه في دار "الأَرْقَم ابن أبي الأَرْقَم" حتى نَزَلَ قول اللهِ تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ، فخرج صلى الله عليه وسلم وأعْلَنَ الإسلامَ ودعا إليه.

الآية 95، والآية 96: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ﴾ أي حفظناك مِن شر _﴿الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ أي الساخرينَ من زعماء قريش، وهم _﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ في عبادتهم (كالأصنام وغيرها)، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة عملهم في الدنيا والآخرة.

الآية 97، والآية 98، والآية 99: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ مِن الاستهزاء والسُخرية، ومِن المُبالغة في الكفر والعناد، ثم أرشده سبحانه إلى ما يُخَفف عنه ذلك الألم النفسي قائلاً: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: يعني فالجأ إلى ربك عندما يَضِيق صدرك، وسَبِّح بحمده (يعني أكثِر مِن قول: سبحان الله وبحمده)، (وهي تعادل في المعنى: (سبحان الله والحمد لله)، فأمّا كلمة (سبحان الله): فمَعناها أنك تَنفي عن اللهِ تعالى كل ما لا يَليقُ به، وأمَّا معنى (الحمد لله): أنك تشكرُ اللهَ تعالى على نِعَمه، وتُثنِي على جلاله وكماله)، واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - كما في صحيح البخاري -: (مَن قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرة: غُفِرَتْ ذنوبه ولو كانت مِثل زَبَد البحر) (وزَبَد البحر هي الرَغوةً الطافية فوق سطح البحر)، ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ أي المُصَلِّين المُتذللين للهِ تعالى، فإنّ الصلاة الخاشعة تكفيك ما أهَمَّك وتوَسِّع صدرك، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي استمِرَّ في عبادة ربك حتى يأتيك اليقين (وهو الموت)، فإنّ القبر أول منازل الآخرة، وبمَوت الإنسان ودخوله في الدار الآخرة: يُصبح إيمانه يَقيناً خالصاً، (وقد امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمْرَ ربه، فاستمَرّ في عبادته تعالى حتى توفاه الله)، واعلم أنّ العبادة لها تعريفات كثيرة، ولكننا نَذكر منها أنها هي (أداء الطاعة بِذُلّ وحُبّ للهِ تعالى).

****

www.alukah.net

تفسير سورة النحل كاملة

1. الربع الأول من سورة النحل

الآية 1، والآية 2: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾: أي اقترب أمْرُ اللهِ بعذابكم أيها المُشركونَ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: أي فلا تستعجلوا العذابَ استهزاءً بوعيدِ اللهِ لكم ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي تَنَزَّهَ اللهُ وتبَرأ عن شِرك المُشركين الذي جَرَّأهم على الاستهزاء بالعذاب، (واعلم أنه سبحانه لم يقل لهم – بضمير المُخاطَب –: (عما تُشركون)، بعد أن كانَ الخطاب مُوَجَّهاً إليهم في قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وذلك تهميشاً لهم، واحتقاراً لأفعالهم التي لا يَرضى عنها العقلاء).

♦ هذا، وقد أنزل اللهُ بهم بعضَ العذاب الذي استعجلوه (فقد قَتَلَ زعمائهم المُستهزئين في بدر، وأصابهم القحط سبع سنين، وعَذَابُ يوم القيامة قد اقترب لمن استعجله)، ولذلك عَبَّرَ عنه سبحانه بصيغة الماضي - في قوله: ﴿أَتَى﴾ – وذلك لتأكيد وقوعه في عِلم اللهِ تعالى واقتراب مَجيئه، فإنه آتٍ لا مَحالة، وكلُّ آتٍ قريب.

♦ ولَمَّا بَرَّأَ اللهُ نفسه عَمَّا وَصفه به أعداؤه ، ذَكَرَ الوحي الذي يَجب اتّباعه، فقال: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ أي بالوحي الذي به حياة الأرواح والقلوب، وهذا يُشبه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾، (والمقصود بالملائكة هنا: "جبريل" عليه السلام ومَن معه مِن حَفَظَة الوحي)، إذ يَنزلون بالوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: أي بأمْر ربهم سبحانه ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ المُرسَلين، بـ ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي خَوِّفوا الناس مِن عاقبة الشِرك، لأنه لا معبودَ بحقٍ إلا أنا ﴿فَاتَّقُونِ﴾: أي فاتقوني أيها الناس بأداء فرائضي وإفرادي وحدي بالعبادة.

♦ ولَعَلَّ اللهَ تعالى قال: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾، ولم يقل (بأمْره)، لأنّ الوحي من الأمور التي اختَصَّ اللهُ بها نفسه، وهذا كقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، واللهُ أعلم.

الآية 3: ﴿خَلَقَ﴾ سبحانه ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي لِيَستدِل بهما العباد على عَظَمة خالقهما، وعلى قدرته على إحياء الموتى (لأنّ ذلك أهْوَن عليه سبحانه مِن خَلْق السماوات والأرض)، وبأنه وحده الخالق القادر المُستحِق للعبادة، ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي تنزَّه – سبحانه – وتَبَرَّأ عن شِركهم وافترائهم.

الآية 4: ﴿خَلَقَ﴾ سبحانه ﴿الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي مِن ماءٍ حقير مُستَقذَر، ثم أخرجه تعالى مِن بطن أُمِّهِ لا يَعلم شيئاً، حتى إذا رَبَّاهُ وأصبح رَجُلاً: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ : أي فإذا به يَقْوى ويَغترُّ، ويُصبح شديد الجدال لربه في إنكار البعث وغير ذلك، كقوله: "مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟" ، ونَسِيَ قدرة ربه الذي خَلَقَه من العدم.

الآية 5، والآية 6، والآية 7: ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ - مِن الإبل والبقر والغنم - ﴿خَلَقَهَا﴾ سبحانه ﴿لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: أي جَعَلَ في أصوافها وأوبارها الدفء، ﴿وَمَنَافِعُ﴾ أُخرى في جلودها وألبانها وما يَنتج من اللبن (كالزُبد والسَمن والجُبن)، وكذلك تنتفعون بأولادها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أنواعاً مختلفة من اللحوم، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي: ولكم فيها زينة تُدْخل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السرور عليكم، وذلك ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: أي عندما تَرُدُّونها إلى البيوت في المساء، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: أي عندما تُخْرِجونها للمَرعى في الصباح، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أي تحمل ما ثَقُلَ مِن أمتعتكم وأحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ﴾ بعيدٍ ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾: أي لن تستطيعوا الوصول إليه إلا بجهدٍ شديد ومَشَقَّة عظيمة، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيثُ سَخَّرَ لكم كل ما تحتاجون إليه، إذاً فاعبدوه وحده ولا تُشركوا به.

الآية 8: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ خَلَقَها سبحانه لكم ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ ﴿وَزِينَةً﴾ أي: ولتكون جمَالاً لكم ومَنظرًا حسناً، ﴿وَيَخْلُقُ﴾ سبحانه ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن وسائل الركوب وغيرها (ويَدخل في ذلك: السيارات والقطارات والطائرات والغواصات، إذ هو سبحانه الذي خَلَقَ مَصدر صُنعها، وهو الحديد، ثم عَلَّمَ الإنسانَ كيف يَصنعها)، وذلك لتزدادوا إيماناً به وشُكراً له.

♦ واعلم أنّ هناك خلافٌ بين العلماء في جواز أكْل لحوم الخيل، والراجح: جواز أكْلها (وهو رأي الجمهور)، لحديث أسماء رضي الله عنها – كما في صحيح مسلم – أنها قالت: (فجَزَرنا – أي ذَبَحنا – فرَسَاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة وأكلناه).

الآية 9: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ يعني: وعلى اللهِ إيضاحُ الطريق المستقيم لِهدايتكم، وهو الإسلام، ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أي: ومِن الطُرُق ما هو مائل لا يُوصل إلى الهداية (وهو كل ما خالفَ الإسلام)، ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ سبحانه ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للإسلام، ولكنه لم يَشأ ذلك لحكمةٍ يَعلمها، ولذلك هَدَى سبحانه مَن رَغِبَ في الهداية واتَّبع أسبابها، وأضَلَّ مَن رَغِبَ في الضَلال واتَّبع أسبابه.

الآية 10، والآية 11: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ أي ماءٌ تشربونه وتتطهرون به، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ أي: وأخرَجَ لكم بهذا الماء شجرًا (والمقصود بالشجر هنا: جميع النباتات، حيثُ يَتوقف وجودها على الماء)، ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: أي ترعون مَوَاشيكم في هذا النبات، ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾ أي بهذا الماء الواحد: ﴿الزَّرْعَ﴾ أي الزروع المختلفة ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ﴾ أنواع ﴿الثَّمَرَاتِ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإنبات ﴿لَآيَةً﴾ أي دلالة واضحة على قدرته تعالى، وقد جعل سبحانه هذه الدلالة ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يَتأملون، فيَعلموا أنه سبحانه الخالق الرازق المُستحِق وحده للعبادة.

♦ ورغم أنّ الزيتون والتمر والعنب مِن ضِمن الثمرات، إلا أنه سبحانه قد ذَكَرها منفصلة، لإظهار فوائدها ومنافعها (وهذا مِن باب ذِكر العام على الخاص لإظهار فضل الشيء وشَرَفه)، واللهُ أعلم.

الآية 12: ﴿وَسَخَّرَ﴾ سبحانه ﴿لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لراحتكم، ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لمَعاشكم، (والمقصود مِن تسخيرهما: كَونهما مَوجودين باستمرار لا يَفترقان أبداً إلى أن يَأذن اللهُ بانتهائهما)، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ سَخّرَهما سبحانه لكم لمعرفة الأيام والشهور، وإضاءة الأرض، وغير ذلك من المنافع الضرورية للخَلق، ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ أي مُذلَّلاتٌ لكم بأمر اللهِ وقدرته،

www.alukah.net

وذلك لمعرفة الأوقات، ونُضج الثمرات، والاهتداء بها في الظلمات، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التسخير ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي يَعقلون عن اللهِ أدلته وبراهينه، إذ لا يُعقَلُ أبدًا أن يَخلُقَ سبحانه ويُعبَد غيرُه، وأن يَرزُقَ ويُشكَر غيرُه!

♦ واعلم أنّ الواو التي قبل كلمة (النجوم) تُسمَّى: (واو الابتداء)، يعني كأنها تبدأ جُملة جديدة، فلذلك جاءت كلمة (النجوم) مرفوعة (لأنها مبتدأ)، ولم تأت مَنصوبة مِثل ما قبلها (لأنها لم تُعطَف عليهم).

الآية 13: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: وَسَخَّرَ لكم ما خَلَقَه في الأرض - من المَواشي والثمار والمَعادن - وغير ذلك مما تختلف ألوانه ومنافعه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الخَلق واختلاف الألوان والمنافع ﴿لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي لقومٍ يَتعظون، ويَعلمون أنَّ في تسخير هذه الأشياء علاماتٍ على وحدانية اللهِ وقدرته، فيَعبدوه وحده ولا يُشركوا به.

الآية 14: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي سَخَّرَ﴾ لكم ﴿الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (من الأسماك وغيرها) ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ أي زينةً ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ أي تلبسها نساؤكم (كاللؤلؤ وغيره)، (واعلم أنّ المقصود مِن تسخير البحر: هو تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله لهم بالركوب، وتيسير الغوص - لاستخراج اللآلئ - وصيد الأسماك وغير ذلك، فهي نعمة عظيمة، وإلاّ، فلو شاءَ سبحانه لَسلّطَ البحر عليهم فأغرقهم)، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ أي ترى السفن العظيمة - رغم ثِقَلها - ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: أي تَشُقّ الماء ذهاباً ومَجيئاً، لتحملكم وتحمل أثقالكم ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: وتركبونها لتطلبوا رِزقَ اللهِ بالتجارة والربح فيها (وذلك بنقل البضائع والسِلَع من بلدٍ إلى آخر) ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ربكم على هذه النعم العظيمة، ولا تعبدون معه غيره.

الآية 15، والآية 16: ﴿وَأَلْقَى﴾ أي وَضَعَ سبحانه ﴿فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً راسية لتُثبِّت الأرض ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: أي حتى لا تميل بكم وتتحرك (إذ لو تَحَرَّكَتْ بكم: ما استقامَ العيشُ عليها، ولَتَهَدَّمَ ما عليها وتَساقط)، ﴿وَأَنْهَارًا﴾ أي: وجعل في الأرض أنهارًا لسُقياكم وسُقيا دَوَابِّكم وزروعكم وغير ذلك مِن منافعكم، ﴿وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: وجعل في الأرض طُرُقاً لتهتدوا بها في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها، ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾: أي وجعل في الأرض علاماتٍ تَستدلُّون بها على الطُرُق نهارًا (كالهِضاب والأوْدِية والأشجار وغير ذلك)، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: كما جعل النجوم ليَهتدي بها المسافرون ليلاً، (فرُكّاب البحر لا يَعرفون اتجاه سَيْرهم في الليل إلا بالنجوم، وكذلك المسافرون في الصحراء، وذلك قبل وجود آلة (البُوصلة)، والتي لم توجد إلا على ضوء النجم).

الآية 17: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾: يعني أتجعلون اللهَ تعالى - الذي يَخلق هذه الأشياء وغيرها - كالآلهة المزعومة التي لا تخلق شيئًا، وتعبدونها معه؟! ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؟! يعني أفلا تتذكرون عَظَمَة اللهِ تعالى، فتتوبوا إليه وتُسلِموا له؟!

الآية 18: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ يعني: وإن تعُدُّوا نِعَم اللهِ عليكم لا تستطيعوا حَصْرَها ولا القيام بشُكرها، وذلك لكثرتها وتنوُّعها (لِذا فتذكَّروا نِعَمَهُ سبحانه، واشكروه عليها، مع استشعاركم - أثناء الشكر - بعَجْزكم عن القيام بشُكره كما يَجب)، واستخدِموا نِعَمَهُ في طاعته ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذ يَتجاوز عن تقصيركم في شُكر النعم، ولا يَقطعها عنكم لتفريطكم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 19: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ أي يَعلم سبحانه ما تتحدثون به سِرَّاً و ما تُخفونه في نفوسكم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: ويَعلم سبحانه ما تُظهِرونه لغيركم، (وِمن ذلك: أنّ اللهَ عليمٌ بما يُدَبِّرُه المُشرِكون مِن الشر والأذى لرسوله صلى الله عليه وسلم، فالآية تَحمل أيضاً تهديداً ووعيداً لكفار مكة).

الآية 20، والآية 21: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ يعني: والآلهة المزعومة التي يَعبدها المُشرِكون لا تَخلق شيئًا (وإنْ صغُر)، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني: بل هي مخلوقات صَنَعَها الكفار بأيديهم، فكيف إذاً يَعبدونهم وهم يَعلمون أنهم ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي جمادات لا حياةَ فيها؟! ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: ولا تَشعر هذه الأصنام بالوقت الذي يَبعثها اللهُ فيه هي وعابديها، ليُلقَى بهم جميعاً في النار يوم القيامة.

الآية 22، والآية 23: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يعني: إلهكم المُستحِق وحده للعبادة هو اللهُ الواحد الأحد، (والعبادُ قسمان: قِسمٌ مؤمن بهذه الوحدانية، وقِسمٌ جاحد بها رغم وضوح الأدلة وقوّتها) ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ﴾ هم الذين ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾ لهذه الوحدانية، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أي يتكبرون عن قبول الحق، وعبادة اللهِ وحده، و ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي حَقًّا ولا شك ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي يَعلم ما يُخفونه مِن عقائد وأقوال وأفعال وما يُظهرونه منها، وسيُجازيهم على ذلك كله ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

♦ واعلم أنّ اللهَ تعالى قد خَصَّ الذين لا يؤمنون بالآخرة بأنهم هم المُنكِرون للوحدانية – عندما قال: ﴿ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾ - وذلك لعدم خوفهم من العقاب في الآخرة، إذ لو آمنوا باليوم الآخر (الذي هو يوم الجزاء على أعمالهم)، ولو تَخلَّوا عن أهوائهم وشهواتهم، وخافوا عقابَ اللهِ تعالى: لاَستقاموا على الحق والخير.

الآية 24، والآية 25: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ يعني: وإذا جاءَ أُناسٌ من بلادٍ أخرى ليَسألوا عن الإسلام، فقابلوا هؤلاء المُشرِكين وسألوهم عن القرآن: ﴿قَالُوا﴾ لهم: إنه ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي قصص السابقين وأباطيلهم، (وهذا مِن جَهلهم وعِنادهم، وإلاَّ، فكيف يكون هذا الكتاب المُشتمل على الحق والعدل التام، أساطيرَ الأولين؟!)، فكانوا بذلك يَصرفون الناس عن الإسلام ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي لتكون عاقبة افترائهم أن يَحملوا ذنوبهم كاملةً يوم القيامة – لا يُغفَرُ لهم منها شيء - ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ أي: وكذلك سيَحملون مِن ذنوب الذين كَذَبوا عليهم وأضَلُّوهم، ليُبعدوهم عن الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: وهم لا يَعلمون أنّ مَن دَعا إلى ضَلالة، كان عليه ذنب مَن عَمِلَ بها إلى يوم القيامة، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: أي قَبُحَ ما يَحملون من الذنوب، لأنها ستقودهم إلى نار جهنم ليُعَذَّبوا فيها.

♦ واعلم أنّ اللام التي في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ تُسَمَّى: (لام العاقبة)، أي: لتكون عاقبتهم أن يَحملوا ذنوبهم، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ أي ليَصير لهم عَدُوّاً وحَزَناً.

الآية 26: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: لقد دَبَّرَ الكفار السابقين المَكايد لرُسُلهم ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾: أي فهَدَمَ اللهُ تعالى بُنيانهم مِن أُسُسِه وقواعده، (وهذا كقول العرب: (أتَى عليه الدهر) أى: أهلكه وأفناه، وكما تقول أيضاً: (لقد

www.alukah.net

أُتِيَ فلانٌ مِن مَأمنه) أى نَزَلَ به الهلاك)، أمّا إتيانُ اللهِ تعالى يوم القيامة فيكونُ إتيَانًا حقيقيًّا بذاتِهِ على الوَجْهِ اللائق بِهِ سُبحانه، ففي صحيح مُسلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال - وهو يتحدث عن يوم القيامة -: (حتى إذا لم يَبْقَ إلاَّ مَن كان يَعْبُدُ اللَّهَ تعالى مِن بَرٍّ وفاجر: أتاهم رَبُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنَى صورةٍ مِن التي رأوهُ فيه) إلى آخر الحديث.

﴿فَخَرَّ﴾ أي سَقطَ ﴿عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وبذلك قد جاءهم الهلاك – وهم في مَأمنهم – مِن حيثُ لا يتوقعون، فذَهَبَ باطلهم وزالَ مَكْرُهم، (أفلا يَتعظ كفار قريش بهذا، فَينتهوا عن تدبير السُّوءَ لنبيِّهم؟!).

الآية 27، والآية 28، والآية 29: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ أي يُذِلُّهم اللهُ بالعذاب يوم القيامة ﴿وَيَقُولُ﴾ لهم – توبيخاً –: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ الذين عبدتموهم مِن دُوني، و ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: أي كنتم تُحارِبون الأنبياء والمؤمنين مِن أجْلهم، فأين هم الآن ليَدفعوا عنكم العذاب؟!، وحينئذٍ ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي قال الأنبياء والعلماء: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: يعني إنّ الذل في هذا اليوم والعذاب سيَكونُ على الكافرين ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي تقبض الملائكة أرواحهم وهم ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكفر والمَعاصي، ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾: أي فاستسْلَموا لأمْر اللهِ حينَ رأوا الموت، وأنكروا ما كانوا يَعبدونَ مِن دون الله، فقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾: أي ما كنا نعمل شيئًا من الشِرك والمعاصي، فيُقال لهم: ﴿بَلَى﴾ أي كَذَبْتم، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (وسيُجازيكم على أعمالكم)، ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ يعني: فإنّ جهنم هي بئس المُستقَرّ للذين تكبَّروا عن عبادة اللهِ وحده.

****

2. الربع الثاني من سورة النحل

الآية 30، والآية 31، والآية 32: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: وإذا سُئِلَ المؤمنون المُتَّقون: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد صلى الله عليه وسلم؟ ﴿قَالُوا﴾: ﴿خَيْرًا﴾ أي أنزلَ عليه الخير والهدى، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾: يعني إنَّ للمحسنين – الذين اتقوا ربهم وعبدوه بما شَرَعَ، ودَعوا الناس إلى توحيده –، هؤلاء لهم في الدنيا ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي حياةً طيبة في الدنيا، ﴿وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ﴾ يعني: ولَنعيم الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ لهم وأعظم من الدنيا وما فيها ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾، وهي ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي جنات الخلود، التي ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ فلا يَخرجون منها أبدًا، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري الأنهار مِن تحت أشجارها وقصورها، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي يَطلبونَ فيها كل ما تشتهيه أنفسهم، مِمَّا لَذَّ وطابَ من المطاعم والمشارب والملابس والمراكب وغير ذلك، مِمَّا لم يَخطر على قلب بَشَر من النعيم، (وهذا هو مُنتهَى الإكرام، إذ كَون العبد يَجد كل ما يَشتهي: هو نعيمٌ ليس بعده نعيم) ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾، وهم ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: أي تَقبض الملائكة أرواحهم وقلوبُهم طاهرة من الكفر والشِرك، ﴿يَقُولُونَ﴾ أي تقول لهم الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾ مِن كل خوف وحزن وتعب ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الإيمان والعمل الصالح والتوبة (لأنّ المتقين كانوا إذا وقعوا في ذنبٍ: سارَعوا بالتوبة، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ، فلذلك ماتوا وهم مغفورٌ لهم، (واعلم أنّ اللهَ تعالى وَصَفَ الجنة بأنها: (دار المتقين) باعتبار أنهم أهلها والجَديرونَ بها).

الآية 33، والآية 34: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ يعني هل يَنتظر هؤلاء المُشرِكون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لتقبض أرواحهم وهم على الكفر، ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذابٍ عاجل يُهلكهم – أو بقيام الساعة – وساعتها سيُؤمنون؟ !، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: يعني كما كَذَّبَ هؤلاء المُشرِكون مِن قومك، فكذلك كَذَّبَ الكفار مِن قبلهم، فنزل بهم العذاب، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والمعاصي، فبذلك استحَقوا العذاب، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: أي فنزلتْ بهم عقوبة ذنوبهم التي عملوها ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾_أي: وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يَسخرون منه، فلم يستطيعوا الفرار.

♦ واعلم أنّ مناسبة هذه الآية لِمَا قبلها: أنّه سبحانه لَمَّا أخبر عن العذاب الذي نَزَلَ بالمُكَذِّبين السابقين، وأخبر عن حال تَوَفِّي الملائكة لهم وللمؤمنين، قال – مُنكِراً على كفار مكة عدم مُسارعتهم إلى الإيمان -: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾؟!.

الآية 35: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ألاَّ نُشرك به، وألاَّ نُحَرِّم شيئاً مِن عند أنفسنا: ﴿مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (وهذا جهلٌ منهم بحكمة ربهم وبسُنَّتِهِ في كَوْنِه، مِن هداية مَن اتَّبع أسباب الهدى وإضلال مَن اتَّبع أسباب الضلال).

♦ وقد رَدَّ سبحانه عليهم - في سورة الأنعام – بقوله: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾؟ يعني هل عندكم عِلمٌ صحيح -فيما حَرَّمتم من الأنعام والزروع، وفيما زعمتم مِن أنّ اللهَ قد شاءَ لكم الشِرك ورَضِيَهُ منكم – فتُظهِروهُ لنا؟! ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي: ما أنتم إلا تَكذبون في هذا الظنّ، الناتج عن التخمين واتّباع الآباء بغير دليل.

﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كذلك احتَجَّ الكفار السابقون بمِثل هذا الاحتجاج الباطل – وهم يَعلمون أنهم كاذبون -فإنّ الله تعالى قد أمَرَهم ونهاهم، ومَكَّنَهم من القيام بما كَلَّفهم به، وجعل لهم قوة ومَشيئة تصدر عنها أفعالهم، فلذلك بَطَلَ احتجاجهم بالقضاء والقدر مِن بعد إنذار الرُسُل لهم ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾؟ (والاستفهام للنفي) أي ليس على الرُسُل إلا التبليغ الواضح لِمَا كَلَّفهم اللهُ به.

الآية 36: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ آمِرًا إياهم ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: أي اتركوا عبادة غير اللهِ تعالى (مِن الشياطين والأصنام والأموات وغير ذلك)، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي مِن هذه الأمم ﴿مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ أي هداهُ اللهُ تعالى فاتَّبَعَ المُرسَلين، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي: ومنهم المُعانِد الذي اتَّبع طريق الضَلال، فوجبتْ عليه الضَلالة، فلم يُوَفِّقه الله تعالى، فإنْ كنتم أيها المُشرِكون في شَكٍّ مِن ذلك: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي كيف كانت نهايتهم، لِتعتبروا.

www.alukah.net

♦ واعلم أنّ الطاغوت هو كل ما يَعبُدُه الناس مِن دون اللهِ تعالى، بشرط أن يكون هذا الطاغوت راضياً عن عبادة الناس له، لأنّ عيسى عليه السلام لم يكن راضياً عن عبادة النصارى له.

الآية 37: ﴿إِنْ تَحْرِصْ﴾ - أيها الرسول - ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ أي على هداية هؤلاء المُشركين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ أي فاعلم أنّ الله ﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ أي لا يَقدر أحَدٌ أن يَهدي مَن أضله الله، لأنّ إضلال اللهِ تعالى يكونُ على سُنَن ثابتة، لا تَقبل التبديل والتغيير، (ومِن هذه السنن: تفضيلهم الدنيا على الآخرة، والضلال على الهدى، والانقياد للشهوات على الانقياد للحق)، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يَمنعون عنهم عذابَ اللهِ تعالى (إذاً فلا تُهلِكْ نفسك حُزناً عليهم، فما عليك إلا البلاغ).

الآية 38، والآية 39، والآية 40: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ يعني: وأقسَمَ هؤلاء المُشرِكون – بأغلظ الأيمان – أنّ الله لن يَبعث مَن يَموت بعدما صارَ تراباً، فرَدَّ سبحانه عليهم بقوله: ﴿بَلَى﴾ أي سيَبعثهم اللهُ تعالى، وبهذا وَعَدَ ربكم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ الوفاء به، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يَعلمون قدرة اللهِ على إحياء مَن بدأ خَلْقهم أول مرة.

♦ واعلم أنّ المُشرِكين كانوا يَحلفون بآلهتهم وآبائهم في الأمور التافهة، وأما إذا كان الأمر عظيماً: أقسَموا باللهِ تعالى.

♦ وسوف يَبعث اللهُ جميع العباد يوم القيامة ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ حقيقة البعثِ ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ حينما حَلفوا أنه لا بَعْثَ ولا جزاء، بل، إنّ أمْرَ البَعث يَسيرٌ علينا، فـ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي فإذا هو كائنٌ موجود.

الآية 41، والآية 42: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ أي هاجَروا في سبيل اللهِ – طَلَباً لرضاه – وتركوا ديارهم وأموالهم مِن أجْله سبحانه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ وعُذّبوا: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: أي لَنُسكِننَّهم في الدنيا دارًا حسنة (والمقصود بها هنا: المدينة المنورة)، وكذلك فإنّ كل مَن هاجر في سبيل الله، فإنّ اللهَ تعالى يُوفي له بهذا الوعد، كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ أي سعةً في العيش والرزق، ﴿وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ - لأنّ ثوابهم فيها هو الجنة - ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: (هذه الجُملة لتشجيع المُتباطئين عن الهجرة) أي لو كانَ المُتخلفونَ عن الهجرة يَعلمون – يَقيناً – ما أعَدَّهُ اللهُ في الجنة للمُهاجرينَ في سبيله، ما تخلَّفَ أحدٌ منهم.

♦ ومِن صفات هؤلاء المهاجرين أنهم هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أوامر اللهِ تعالى – وإن كانت مُخالِفةً لِهَواهم - ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: وعلى ربهم وحده يَعتمدون، فبذلك استحقوا هذه المَنزلة العظيمة.

الآية 43، والآية 44: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ أيها الرسول ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ أي رُسُلاً من الرجال (لا من الملائكة)، وكنا ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لِيُبَلِّغوا رسالات ربهم للناس، وإن كنتم - يا مُشركي قريش - لا تُصَدِّقونَ بذلك ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أي اسألوا أهل الكتب السابقة، لِيُخبروكم أنّ الأنبياء كانوا بَشرًا وليسوا ملائكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، واعلم أنّ هذه الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين – إذا لم يكن عند الإنسان عِلمٌ منها – أن يَسأل مَن يَعلمها مِن العلماء المُتمكنين في العلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ولقد أَرْسَلْنا الرُسل السابقينَ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالدلائل الواضحة على وجوب عبادة اللهِ وحده، ﴿وَالزُّبُرِ﴾ أي: وأرسلناهم بالكتب السماوية لهداية الناس، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: وأنزلنا إليك القرآنَ أيها الرسول، لتُوَضِّح للناس ما خَفِيَ مِن مَعانيه وأحكامه، (ويُحتمَل أن يكون المقصود بالذِّكر هنا: السُنّة، لأنها هي المُوَضِّحة لمعاني القرآن)، ولِذا فالراجح أنَّ المقصود بالذِكر هنا: (جميع الشريعة) أي القرآن والسُنَّة، لأنّ القرآن لن يتم إيضاح مَعانيه إلا بالسُنَّة، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: ولِكَي يَتدبروا القرآن – بعد أن بَيَّنتَ لهم مَعانيه – فيَهتدوا به.

الآية 45، والآية 46، والآية 47: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يعني هل أَمِنَ الذين مَكَروا المَكرات السيئات، (إذ السيئات هنا: وَصْف للأفعال الماكرة التي مَكروها، مِن محاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم، ومِن الشرك والتكذيب وتعذيب المؤمنين)، (واعلم أنّ هذا يَشمل أيضاً كل مَن يُصِرّ على المعاصي ولا يتوب منها)، أفأمِنَ هؤلاء ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كما فعل بقارون؟، ﴿أَوْ﴾ هل أَمِنوا أن ﴿يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي مِن مكانٍ لا يتوقعونه؟، ﴿أَوْ﴾ هل أَمِنوا أن ﴿يَأْخُذَهُمْ﴾ العذاب ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ أي: وهم يَتقلبون في أسفارهم وأشغالهم؟، ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: أي فلن يُعجِزوا اللهَ تعالى إذا أرادَ أخْذَهم وإهلاكهم، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ يعني: وهل أَمِنوا أن يأخذهم اللهُ ﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي في حال خوفهم مِن أخْذِهِ لهم (وذلك في حال توَقُّعِهم بنزول العذاب لوجود علاماته)، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ إذ لولا رأفته ورحمته: لأَذاقهم عذابه دونَ أن يُمهلهم للتوبة.

♦ واعلم أنّ التقلب هو الحركة (ذهاباً وعودة) مِن أجل السعي في شؤون الحياة (مِن تجارةٍ وعمل وسفر وغير ذلك).

الآية 48: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعني ألم يَنظر هؤلاء الكفار ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظِلّ – كالشَجَر وغيره – إذ ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾: أي تميلُ ظلالها يَميناً وشمالاً (تبعًا لحركة الشمس نهارًا والقمر ليلاً)، فتكون ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ بظلالها، ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾_أي: وهي تحت تسخيره وتدبيره وقهره.

الآية 49، والآية 50: ﴿وَلِلَّهِ﴾ وحده ﴿يَسْجُدُ﴾ كُلُّ ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدبّ على وجه الأرض (حتى الكافر، فإنه – وإنْ لم يَسجد للهِ تعالى عبادةً - فإنه يَسجد له بخضوعه لأحكامه الجارية عليه – مِن غِنىً وفقر، وصحةٍ ومرض وغير ذلك – ولا يقدر أن يَرُدّها).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ يَسجدون للهِ تعالى ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته، (وقد خصَّ سبحانه الملائكة بالذِّكر – من بين مخلوقاته – لشَرَفهم وكثرة عبادتهم)، فهُم ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي يَخافون ربهم الذي هو فوقهم بالذات والقهر وكمال الصفات ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فلا يَستطيعونَ أن يَعصوا ربهم، (وفي الآية إثباتٌ لصفة العُلُوّ والفوقية للهِ تعالى على جميع خلقه، كما يَليقُ بجلاله وكماله، إذ هو سبحانه فوق كل شيء، ذاتاً وسُلطاناً وقهراً).

****

www.alukah.net

3. الربع الثالث من سورة النحل

الآية 51: ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ لعباده: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي لا تعبدوا مَعبودَيْن اثنين، فـ ﴿إِنَّمَا﴾ مَعبودكم الحق ﴿هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وهو اللهُ الخالق الرازق المالك، ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾: أي فخافوني وحدي ولا تخافوا غيري، لأنني الإله الحق، والأمر كله بيَدِي.

الآية 52: ﴿وَلَهُ﴾ سبحانه جميع ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ – خَلقًا ومُلكًا وتصرفاً وإحاطة – (إذاً فكل ما تعبدونه مع الله: هو مِلكٌ لله تعالى، ولم يأذن بعبادته)، ﴿وَلَهُ﴾ سبحانه ﴿الدِّينُ﴾ أي له وحده العبادة والطاعة والإخلاص ﴿وَاصِبًا﴾ أي دائمًا، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾؟! يعني أتخافونَ مِن غير اللهِ تعالى، وهو الذي بيَدِهِ كل شيء؟!

الآية 53، والآية 54، والآية 55، والآية 56: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ﴾ - سواء كانت هداية، أو صحة، أو مال أو ولد، أو غير ذلك -: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ وحده، إذ هو سبحانه القادر على إعطاء النعم وسَلْبِها.

♦ ثم دَلَّلَ سبحانه على ذلك بشعورهم الفِطري قائلاً: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: يعني إذا أصابكم بلاءٌ وشدة: ﴿فَإِلَيْهِ﴾ وحده ﴿تَجْأَرُونَ﴾ أي ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة (طالبينَ منه كَشْف الضر)، ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يعني إذا جماعة منكم يُشركون بربهم المُنْعِم عليهم بالنجاة، فيَعبدونَ معه غيره، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: أي لتكون عاقبتهم أن يَجحدوا بما آتاهم اللهُ مِن نِعَم (ومنها كَشْف البلاء عنهم)، فيَستحقوا العذاب، ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾: أي استمتعوا أيها المُشرِكون بدُنياكم الزائلة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كُفركم وعِصيانكم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: أي يَجعلون للأصنام – التي لا تَعلم شيئًا – جُزءًا مِن أموالهم (التي رَزَقهم اللهُ بها، ليتقربوا بها إليهم)!، فتوَعَّدَهم سبحانه على ذلك بقوله: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ أي يوم القيامة ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ مِن الكذب على اللهِ تعالى في جَعْلكم معه شركاء في العبادة، وسيُعاقبكم على ذلك بأشد العقاب.

الآية 57، والآية 58، والآية 59: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ وذلك حين قالوا – كذباً وافتراءً –: (الملائكة بنات الله)، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي تَنَزَّهَ اللهُ وتبرأَ مِن أن يكون له ولد (ذكراً كان أو أنثى)، لأنه رَبُّ كل شيء ومَالكُه، فما الحاجةُ إذاً إلى الولد؟! ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: وفي نفس الوقت الذي يَنسبون فيه البنات إلى اللهِ تعالى، يَجعلون لأنفسهم ما يُحبون من البنين ويَكرهون البنات!، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى﴾: يعني وإذا جاء مَن يُخبِرَ أحدهم بأنه قد وُلِدَ له بنت: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي مُتغيِّراً بالسَواد مِن هذه البُشرَى ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مُمتلىء بالحزن والغم، ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾: أي يَتَخفَّى مِن قومه حتى لا يَلقاهم بالذل والعار؛ وذلك ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾: أي بسبب البنت التي وُلِدَت له، وتَجِده مُتحيِّرًا في أمْر هذا المولود: ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ﴾؟ يعني أيُبقيهِ حَيّاً على ذلٍّ وفضيحة؟، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾ يعني أم يَدفنه حَيّاً ﴿فِي التُّرَابِ﴾؟ – وهو ما كانَ يُعرَف بـ (وأد البنات) –، فقال تعالى مُنكِراً عليهم هذا الإجرام الفظيع: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: أي قَبُحَ هذا الحُكم الذي حَكَموه، مِن قتل البنات وإذلالهنّ (هذا مِن جهة)، ومِن جهةٍ أخرى: (أنهم يَنسبونَ البنات للهِ تعالى ثم يُبَرِّئون أنفسهم منها).

الآية 60: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي الصفة القبيحة من الجهل وظُلمة النفوس (لأنّ عدم إيمانهم بالحساب والجزاء، جَعَلهم لا يَتركون شراً ولا يَعملون خيراً)، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: وللهِ تعالى الصفات العُليا من الكمال والاستغناء عن جميع خَلقه، فلا يَحتاجُ سبحانه إلى زوجةٍ أو ولد، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي قهر جميع المخلوقات، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وقضاءه.

الآية 61، والآية 62: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ أي بكُفرهم وافترائهم وعِصيانهم : ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾: أي لأَهلَكَهم جميعاً، وما تَرَكَ على الأرض مِن أحدٍ يَتحرَّك، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ﴾ سبحانه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني إلى وقتٍ مُحَدّد (وهو نهاية آجالهم) ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً﴾ ليعتذروا ويتوبوا، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يعني: ولا يَتقدم أجَلُهم عن هذا الوقت المحدد (ثم يُجازيهم ربهم على أعمالهم السيئة).

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ أي يَجعلونَ للهِ ما يَكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء، ومع هذا: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ أي تقول ألسنتهم كذبًا: إنّ لهم حُسن العاقبة، كما قال بعضهم: ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾، فرَدَّ اللهُ على هذا الافتراء بقوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي حقًا، ولا شك ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ أي مَتروكون في النار لا يُنقِذهم أحد.

الآية 63: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ رُسُلاً ﴿إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي فحسَّنَ لهم الشيطان ما عملوه من الشِرك والتكذيب ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ أي: فهو مُتَوَلٍّ لإضلالهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

الآية 64: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ - أيها الرسول - ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: يعني إلا لتوَضِّح للناس ما اختلفوا فيه من التوحيد والشِرك والهدى والضلال (حتى تقوم عليهم الحُجّة ببَيانك)، ﴿وَهُدًى﴾ أي: وأنزلنا القرآنَ رُشدًا لمن اتَّبعه من الخلق، فيُنَجِّيهِ من الهلاك، ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي وجَعَلَه سبحانه رحمةً للمؤمنين (وقد خَصَّهم بذلك ، لأنهم المُنتفعون به، العاملونَ بهُداه)، وأما الكافرون فلا يَزيدهم القرآن إلا هَلاكاً وخُسراناً، لأنه قد أقام الحُجَّة عليهم.

الآية 65: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي فأخرَجَ به النباتَ من الأرض، بعد أن كانت يابسة لا خيرَ فيها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يعني إنّ في إنزال المطر وإنبات النبات ﴿لَآيَةً﴾ على قدرة اللهِ تعالى على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي يَسمعون هذه الآيات، سَمَاعَ تدَبُّر وانتفاع.

الآية 66: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ - وهي الإبل والبقر والغنم - ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي لكم فيها عِبرة عظيمة تدل على قدرة اللهِ تعالى، فقد شاهدتم كيف ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أي مِمّا يَخرج مِن ضُروعها (وهو مكان الإرضاع)، ف﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾: أي مِن بين الرَّوَث (وهي القاذورات الموجودة في الكِرْش)، ومِن بين الدم: يُخرِجُ اللهُ تعالى ﴿لَبَنًا خَالِصًا﴾ من كل الشوائب (ليس فيه شيء من الفرث أو الدم، لا في لونه ولا رائحته ولا طعمه)، ﴿سَائِغًا﴾ أي لذيذاً ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾.

www.alukah.net

♦ وهنا قد يقول قائل: لماذا ذكَرَ اللهُ تعالى كلمة (بطونه) في هذه الآية بصيغة المُذكَّر، رغم أنه سبحانه قد ذكَرَ نفس الكلمة بصيغة المؤنث في سورة "المؤمنون"، وذلك حين قال: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾؟

والجواب: أنّ العلماء قد اختلفوا في ذلك، فمنهم مَن قال بأنّ كلمة: (الأنعام) يَجوز تذكيرها كما يَجوز تأنيثها، ومنهم مَن قال بأنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أي نُسقيكم مِمَّا في بطون الذي له لبن (وهم الإناث)، فآية سورة "النحل" "تتحدث – بصفة خاصة – عن إسقاء اللبن من بطون الأنعام مِن بين فرثٍ ودم، واللبن لا يَخرج من جميع الأنعام بل يخرج من الإناث فقط، وأما آية سورة "المؤمنون" فهي تتحدث عن منافع عامة لجميع الأنعام (ذكورها وإناثها)، ومنهم مَن قال بأنّ كلمة: (بطونه) جاءت بصيغة المُذكَّر للإشارة إلى أنّ اللبن يتكون بأمْر مِن هرمونات الذكَر، وذلك لأنّ الأنثى لا تُفرِز اللبن إلا إذا تَسَبَّب ماء الذكَر في إخصاب البويضة وتكوّن الجنين، مِمَّا يَتسبب في إفراز هرمونات خاصة تعمل على تنشيط الغُدَد اللبَنية، حتى تكتمل قدرتها على إفراز اللبن بمجرد الولادة، واللهُ أعلم.

الآية 67: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ يعني: ومِن نِعَم الله عليكم أنه يُنبت لكم من النخيل والأعناب ثَمراً ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: أي تجعلون بعضه خمرًا مُسْكِرًا – وكانَ هذا قبل تحريم الخمر - ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ يعني: وباقي الثمر يكونُ لكم طعامًا طيبًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ على قدرة اللهِ تعالى واستحقاقه وحده للعبادة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي يَعقلون البراهين فيَعتبروا بها.

الآية 68، والآية 69: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾: أي ألْهَمَ ربك النحل بـ ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: أي اجعلي لكِ بيوتًا في الجبال، وفي الشجر، وفيما يَبني لكِ الناس من البيوت، ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي مِن كل ثمرةٍ تشتهينها، ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾: أي فاسلُكي طُرُق ربك مُذلَّلةً لكِ، سَهلةً عليكِ – لا تَضِلِّينَ عنها – عند طلب الرزق في الجبال وخلال الشجر، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾: أي يَخرج مِن بطون النحل عسل مختلف الألوان (مِن بَياضٍ وصُفرةٍ وحُمرة) ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (إذا شَربوه بِنِيّة الشفاء، أو إذا ضَمُّوهُ إلى دواءٍ آخر)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يعني إنّ فيما يَصنعه النحل ﴿لَآيَةً﴾ أي دلالةً قوية على قدرة خالقها ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيَعتبروا.

الآية 70: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ من العدم، ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بعد انتهاء آجالكم، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: ومنكم مَن يَصيرُ إلى أردأ العُمر (وهو الهِرَم)، حيث يَفقد الإنسان ما كانَ له مِن قوةٍ وعقل ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: أي حتى يَصير لا يَعلم شيئًا مِمَّا كانَ يَعلمه (كما كانَ في طفولته)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ إذ إنّه تعالى – كما رَدَّ الإنسان إلى هذه الحالة – فإنه أيضاً قادرٌ على أن يَبعثه بعد موته.

♦ واعلم أنّ اللهَ تعالى قدَّمَ اسمه (العليم) قبل اسمه (القدير) لأنّ القدرة تتعلّق بالعِلم، وبمقدار سعة العلم تكونُ عِظَم القدرة، واعلم أيضاً أنّ اللام التي في قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ﴾ تُسَمَّى: (لام العاقبة) أي ليَصير الإنسان إلى هذه الحالة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 71: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ (فمِنكم الغني ومنكم الفقير، ومنكم المالك ومنكم المملوك)، ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ أي: فلا يُعقَل أن يُعطِي المالِكونَ لِمَملوكيهم المالَ الذي يَصيرونَ به شركاءَ لهم، مُتساوينَ معهم في الرزق!، (فإذا لم يَرضوا بذلك لأنفسهم، فلماذا رضوا بأن يَجعلوا للهِ شُركاءَ مِن خَلقه وعبيده؟!) ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾؟! يَعني إنّ هذا مِن أعظم الظلم والجحود لِنعم اللهِ عَزَّ وجَلّ (وذلك لأنهم جحدوا نعمة العقل أولاً، فلم يُفكِّروا بعقولهم، ثم جحدوا نعمة اللهِ عليهم في خَلقهم ورِزقهم فعبدوا معه أصناماً لا تملك شيئاً ولا تنفع ولا تضر).

الآية 72: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي خَلَقَ لكم – مِن نفس نوعكم – زوجاتٍ لتستريح نفوسكم معهنّ، (ويُحتمَل أن يكون المقصود مِن قوله تعالى: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أنّ حواء خُلِقتْ مِن ضِلع آدم، وباقي النساء خُلِقنَ مِن ماء الرجال)، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أي أبناءً وأحفاداً من أبنائكم، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي رَزَقكم مِن الأطعمة الطيبة (من الثمار والحبوب واللحوم وغير ذلك)، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني أفَبَعْد هذا كله، يؤمنون بآلهتهم الباطلة التي لم تخلق شيئاً ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾؟! أي: ويَجحدون بنعم اللهِ التي لا تُحصَى، ولا يَشكرونه سبحانه بإفراده وحده بالعبادة؟!

الآية 73، والآية 74: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي: ويَعبد المُشرِكون أصنامًا لا تملك أن تعطيهم شيئًا من السماء (كالمطر)، ولا من الأرض (كالزرع)، لأنهم لا يَملكون شيئًا ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يَفعلوا شيئاً مِن ذلك لِعَجْزهم.

♦ فإذا عَلِمتم أنّ الأصنام لا تنفع ولا تضر: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ (وذلك بأن تُطلِقوا لفظ "إله" على صَنَمٍ أو غيره)، فبذلك تجعلون للهِ تعالى نُظَراء وشركاء في العبادة (لا يَملكون لأنفسهم ولا لعابدِيهم نفعاً ولا ضراً) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أنه تعالى له المَثَل الأعلى وأنّ ما يَضربونه له باطل، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فلهذا نَهاكم سبحانه عن أن تَضربوا له مَثَلاً فيه نقصٌ أو تشبيهٌ بخلقه.

♦ واعلم أنّ الأمثال جَمْع (مَثَل)، وهي هنا بمعنى (المُماثِل)، ومعنى أنهم يَضربونَ الأمثالَ للهِ تعالى: أنهم شَبَّهوا الأصنام بالخالق جَلَّ وعَلا (حيثُ عَبَدوها بالذبح والنَذر والدعاء، والحَلِف بها، والعكوف حولها، والاعتقاد بأنها تَشفع لهم عند اللهِ تعالى، وأنها تُقَرِّبُهم إليه، وأنها واسطةٌ لهم بمَثابة الوزير للأمير)، (ومِن ذلك أيضاً: مَن يَتوسطون بالأولياء والأنبياء فيَدعونهم ويَذبحون عندهم، زاعمينَ أنّ هؤلاء الأولياء مُقرَّبون إلى اللهِ تعالى، وأنه يَستجيب لهم ولا يَستجيب لغيرهم)!، فهؤلاء قد جعلوا اللهَ تعالى كَمُلوك الدنيا الذين يَحتاجون إلى واسِطةٍ بينهم وبين الناس ليقضوا مصالحهم، واللهُ تعالى لا يَحتاجُ إلى واسطةٍ بينه وبين خَلقه في العبادة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

****

www.alukah.net

4. الربع الرابع من سورة النحل

الآية 75: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ بَيَّنَ فيه فساد عقيدة أهل الشِرك، فقال: ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا يَملك شيئًا من الدنيا، ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ يعني: ورجل آخر حُرّ، قد رَزَقَه اللهُ بمالٍ حلال، يَملك التصرف فيه ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي يُعطي منه في الخفاء والعَلَن، ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾؟! يعني فهل يقول عاقل بالتساوي بين هذين الرجلين؟!، (فكذلك اللهُ الخالق المالك المتصرف، لا يَتساوى مع خَلقه وعبيده، فكيف إذاً تُسَوُّون بينهما في العبادة؟!) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحق وبُطلان الباطل، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمونَ عدم تساوي الرجلين المذكورين في المَثَل، وذلك لجهلهم وفساد عقولهم.

♦ ويُلاحَظ أنه تعالى قال: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ ولم يقل: (هل يستويان)، رغم أنّ المثل المضروب كانَ لرجلين فقط، وذلك لأنه سبحانه قال في الرجل الآخر: ﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾، فكلمة: (مَنْ) تصلح للواحد وللجماعة، فلذلك قالها بالجمع: ﴿يَسْتَوُونَ﴾ لتشملهم جميعاً.

الآية 76: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ آخر لبُطلان الشِرك بـ ﴿رَجُلَيْنِ﴾ ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ أي أخرس أصَمّ، لا يَفْهَم شيئاً ولا يُفْهَم منه شيئ، و﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: أي لا يقدر على نَفْع نفسه أو غيره ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ أي: وهو عِبءٌ ثقيل على مَن يتولى أمْره ويَعوله، فـ ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾: يعني إذا أرسله ليَقضي له أمْراً: لا يَنجح، ولا يعود عليه بخير، فـ ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؟! أي: فهل يَتساوى هذا الرجل الأخرس مع رجل آخر سليم الحَواس، يَنفع نفسه ويَنفع غيره، ويأمر الناس بالخير والمعروف؟ !، لا يستويانِ أبداً، إذاً فكيف إذاً تُسَوُّون بين الصنم الأخرس الأصمّ وبين اللهِ تعالى القادر، المُنعم بكل خير، الذي يأمر عباده بالتوحيد والاستقامة في كل شيء، القائم على مصالحهم وشؤونهم، وهو على طريقٍ مستقيم يدعو الناسَ إلى سلوكه، ليَنجوا ويَسعدوا في الدنيا والآخرة؟!

الآية 77: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: واللهُ تعالى يَعلمُ جميع ما خَفِيَ عن حَواس الناس في السماوات والأرض، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ يعني: وما شأن القيامة في سُرعة مَجيئها – حين يأمر اللهُ تعالى الأرواح أن ترجع في الأجساد بكلمة "كُن" - ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾: يعني إلا كنظرة سريعة بالبصر ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أي: بل هو أسرع من ذلك - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

♦ واعلم أنّ حرف: (أو) الذي في قوله تعالى: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾، قد أتى هنا بمعنى (بل)، يعني (بل هو أقرب)، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ يعني: بل يَزيدون على مئة ألف.

الآية 78: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ أي لا تُدرِكونَ شيئًا مِمَّا حولكم، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: أي جعل لكم وسائل الإدراك من السمع والبصر والقلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لتشكروا رَبَّكم على

تلك النعم (فتعترفوا بنِعَمِهِ عليكم، وتُفردوه وحده بالعبادة، وتُطيعوا أمْرَه وتجتنبوا نَهْيه)، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الآية 79: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني ألم يَنظر هؤلاء المُشركون ﴿إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ أي مُذلَّلاتٍ للطيران في الهواء بين السماء والأرض بأمْر اللهِ تعالى وقدرته؟ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى (بما خَلَقه لها وأقدَرَها عليه)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذليل والإمساك ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنونَ بما يَرونه من الأدلة على قدرة اللهِ تعالى، وعنايته بخَلقه، (واعلم أنّ التسخير هو التذليل للعمل).

الآية 80: ﴿وَاللَّهُ﴾ سبحانه ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ أي راحةً واستقرارًا مع أهلكم (هذا في حال إقامتكم في بلدكم)، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ في سَفَركم ﴿مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ أي خيامًا (تصنعونها من جلود الإبل والبقر والغنم)، فـ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي يَخِفُّ عليكم حمْلها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ أي وقت تَنَقُّلكم أثناء السفر، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: أي وكذلك يَخِفّ عليكم نَصْبُها وقت استراحتكم أثناء السفر، ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾: أي وجعل سبحانه لكم من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المَعز: ﴿أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾: أي أثاثًا لكم (مِن فُرُش وأغطية وملابس وزينة)، تتمتعون بها إلى أجلٍ معلوم (وهو الوقت الذي تتمزق فيه وتُرمَى).

الآية 81: ﴿وَاللَّهُ﴾ سبحانه ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾: أي جعل لكم ما تستظلُّون به من الأشجار وغيرها، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾: أي جعل لكم في الجبال مغاراتٍ وكهوفاً تلجؤون إليها عند الحاجة، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾: أي جعل لكم ثيابًا من القطن والصوف وغير ذلك، لتحفظكم من الحر والبرد، (وإنما اكتفى سبحانه بذِكر الحر، لِيَدُلّ على البرد، وهذا من الحذف البَلاغي في لغة القرآن)، ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾: أي وجعل لكم من الحديد دروعاً تحميكم من الطعن والأذى في حروبكم، ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: كما أنعم اللهُ عليكم بهذه النعم، فكذلك يُتِمُّ نعمته عليكم ببَيَان الدين الحق ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: أي لِتَستسلموا لأمْره، وتُسلِموا له بقلوبكم ووجوهكم، فتعبدوه وحده ولا تشركوا به.

الآية 82، والآية 83: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يعني فإنْ أعرَضوا عن دَعْوَتك – أيها الرسول – بعدما رأوا الآيات فلا تحزن عليهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي فما عليك إلا البلاغ الواضح لِمَا أُرسِلْتَ به، وأمّا الهداية: فأمْرُها إلينا، وقد بَلَّغتهم وبَيّنتَ لهم – بالحكمة والموعظة الحسنة - وليس عليك شيءٌ من المسؤولية بعد البلاغ.

♦ وهؤلاء المُعرِضون ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ عليهم (وهي التي ذَكَّرهم بها سبحانه في هذه السورة، ومنها إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم) ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ وذلك بعبادتهم لغير المُنعم بها، وكذلك بجحودهم لنُبُوّة رسوله محمد (رغم مَعرفتهم بصِدقه) ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: وأكثر قومه صلى الله عليه وسلم هم الجاحدون لنُبُوَّته، لا المُقِرّون بها.

www.alukah.net

♦ ويُحتمَل أن يكون المقصود مِن قوله تعالى: ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي رؤساء الكُفر الجاحدين المُعاندين، لأنّ هؤلاء مِن شأنهم التعقل والتأمل، ولكنهم بعد أن سَمِعوا دلائل القرآن، وعرفوا نعمة ربهم عليهم، وعرفوا صِدق النبي محمد، أصَرُّوا على الشِرك حِفاظاً على رئاستهم لباقي المُشرِكين.

♦ ويُحتمَل أيضاً أن يكون سبحانه قد ذكَرَ الأكثر وأرادَ الجميع، لأنّ أكثر الشيء يقوم أحياناً مَقام الكل، كقوله تعالى عن الكافرين: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾، واللهُ أعلم.

الآية 84: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: أي اذكر لهم – أيها الرسول – ما يَحدث يوم القيامة، حينَ نَبعث من كل أمّةٍ رسولها لِيَشهد على إيمان مَن آمن منها، وكُفر مَن كَفر، (واعلم أنّ المقصود مِن بَعْث اللهِ تعالى لهذا الشاهد: هو إحضاره أمامَ اللهِ تعالى لِيَشهد على أُمَّتِه)، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالاعتذار عَمَّا وقع منهم ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: ولا يُطلَب منهم إرضاءُ ربهم بالتوبة والعمل الصالح، فقد فاتَ أوانُ ذلك، (فاذكر هذا لقومك، لعلهم يتوبون فيَنجوا).

الآية 85: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ أي عذاب جهنم بعد دخولهم فيها: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ أي لا يُرفَع عنهم العذاب قليلاً ليستريحوا، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: ولا هم يُمهَلون بمَعذرةٍ يَعتذرون بها.

الآية 86، والآية 87: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾: يعني وإذا رأى المُشركونَ مَعبوديهم يوم القيامة: ﴿قَالُوا﴾: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾ هم ﴿شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ أي الذين كنا نَعبدهم ﴿مِنْ دُونِكَ﴾، ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أي فنَطَقَ المَعبودون بتكذيب مَن عَبَدوهم، وفاجئوهم بقولهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ حينَ جعلتمونا شركاء مع اللهِ في عبادته، فلم نأمركم بذلك، ولم نزعم أننا مُستحِقون للعبودية، ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: وأظهَرَ المُشركون – في هذا اليوم – الاستسلام والخضوع للهِ تعالى ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي ذهب وغاب عنهم ما كانوا يَزعمونه كَذِباً مِن شفاعة آلِهَتِهم لهم عند ربهم.

الآية 88: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بوحدانية اللهِ تعالى وبنُبُوّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي مَنَعوا غيرهم عن الدخول في سبيل الله (وهو الإسلام)، أولئك ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾: أي زدناهم عذاباً فوق عذابهم (فالعذاب الأول على كُفرهم، والعذاب الثاني على صَدِّهم للناس عن اتّباع الحق)، وذلك ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾: أي بسبب تعمُّدهم للإفساد وإضلال العباد.

الآية 89: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ أي اذكر لهم يوم نَبعث ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وهو رسولهم الذي أرسله اللهُ إليهم مِن قومهم وبلسانهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي على مَن أُرسِلتَ إليهم (وهم جميع المُكَلَّفين من الإنس والجن منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، (وإنما اقتصر سبحانه على ذِكر مُشرِكي مكة حين قال: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ لأنّ الكلام كانَ جارياً في تهديدهم وتحذيرهم، ولكثرة أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم، واللهُ أعلم)، (ولَعَلّ حرف الجر (في) المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ معناه أنّ اللهَ يُرسل النبي لِيَقف في قومه لِيَشهد عليهم، واللهُ أعلم).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ثم قال تعالى - مُقَرِّراً لِصِدق نُبُوّة رسوله محمد، ومُوَضّحاً أنه لا عُذرَ لأحد بعد إنزال القرآن -: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: ولقد نَزَّلْنا عليك القرآنَ توضيحًا لكل أمْرٍ يَحتاج الناس إلى معرفته (كأحكام الحلال والحرام، وإظهار أدلة الحق، وإظهار فساد الباطل، وغير ذلك)، ﴿وَهُدًى﴾ أي: وليكون هِدايةً من الضلال، ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾: أي ورحمة خاصة لمَن صَدَّق به وعمل بهُداه، وبُشرَى طيبة – لمَن أسلموا وخضعوا للهِ رب العالمين – بحُسن مصيرهم يوم القيامة.

****

5. الربع الخامس من سورة النحل

الآية 90: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ﴾ عباده في هذا القرآن ﴿بِالْعَدْلِ﴾ في حق تعالى (وذلك بأن يُعبَد وحده ولا يُعبَدُ غيره، لأنه هو الخالق المُنعِم، وأما غيره فلم يَخلّق شيئاً ولم يُنعِم بشيء)، وكذلك يأمر بالعدل في حق عباده (بإعطاء كل ذي حَقٍّ حقه)، ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ أي: ويأمر سبحانه بالإحسان في حقه (وذلك باجتناب المُحرَّمات، وأداء الفرائض كما شَرَع، مع مراقبة اللهِ تعالى في ذلك، حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقاناً وجَودة)، وكذلك يأمر سبحانه بالإحسان إلى الخَلق في الأقوال والمُعامَلات، ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾: أي ويأمر بإعطاء الأقرباء حقوقهم من الصلة والبِرّ، ﴿وَيَنْهَى﴾ سبحانه ﴿عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ وهو كل ما قَبُحَ قولاً وعملاً، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ وهو كل ما يُنكِره الشرع وتُنكِره الفِطَر السليمة والعقول الراجحة السديدة، ﴿وَالْبَغْيِ﴾: أي ويَنهى سبحانه عن ظُلم الناس والتعدي عليهم، واللهُ تعالى – بهذا الأمر وهذا النهي - ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي لكي تتذكروا أوامره وتنتفعوا بها.

♦ واعلم أنّ هذه الآية تُفَسِّر قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ أي أمَرناهم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ولكنهم فسقوا في القرية، ولم يَمتثلوا لأوامر اللهِ تعالى فأهلكهم.

الآية 91: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾: أي التزموا بالوفاء بكل عهدٍ أوْجبتموه على أنفسكم (بينكم وبين اللهِ تعالى، أو بينكم وبين الناس)، فيما لا يُخالف شرع الله تعالى، ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: أي ولا ترجعوا في الحَلف بعد أن أكّدْتموهُ بذِكر لفظ الجلالة (واللهِ) أثناء القَسَم ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي شاهداً وضامنًا ووكيلاً، عندما حلفتم به وأنتم تعاهدون الناس، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (هذه الجملة تحمل وعيداً شديداً لمن ينقض العهد).

♦ واعلم أنّ هذه الآية قد حَرَّمتْ نقض العهد وعدم الالتزام بالحَلف (إذا كان ذلك لمصالح مادية)، أمّا إذا حلف العبد على شيء، ثم رأى شيئاً خيراً منه، فإنه يَنقض يمينه ويُكَفِّر عنه كفّارة يمين، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (إني واللهِ لا أحلف على يمين، فأرى غيرها خيراً منها، إلا كَفَّرتُ عن يميني وأتيتُ الذي هو خير) (انظر صحيح سنن النسائي ج: 7/9).

الآية 92: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ - برُجوعكم في عهودكم وحَلفكم - ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: أي كامرأةٍ غزلتْ غَزْلاً وأحْكَمَته بقوة، ثم حَلّته وأفسَدَته، فجَعَلَتهُ ﴿أَنْكَاثًا﴾: أي مَنقوضاً (يعني أصبح خيوطاً عديدة، كما كان قبل الغزْل)، فلا

www.alukah.net

تتشبهوا بفِعل هذه المرأة حينَ ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾: أي حينَ تجعلونَ حَلِفكم – أثناء التعاهد – وسيلة إلى خِداع مَن عاهدتموه، كأنْ تُعاهِدوا جماعة مُعَيّنة، وتحلفوا لهم باللهِ فيُصَدِّقوكم، ثم تنقضوا عهدكم معهم بسبب: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾: يعني لأنّ هناك جماعة أخرى أكثر مالاً ومَنفعة من الذين عاهدتموهم، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾: يعني إنما يَختبركم اللهُ بهذه الأحوال، ويُهيئ هذه الأسباب، ليرى الصادق الوفي، من الخائن الذي يُفَضِّل الدنيا على الانقياد لأمْر ربه، ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ أي: وسوف يُبَيّنُ سبحانه لكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمْر الدين (ومن ذلك اختلاف أحوالكم في العهود)، فيُعطي الصادق الوفي ما يَستحقه من النعيم، ويُجازي الكاذب الخائن بما يَستحقه من العذاب.

الآية 93: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي على دينٍ واحد، وهو الإسلام، ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ﴾ سبحانه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مِمَّن عَلِمَ أنه يُفَضِّل الضلال على الهدى، والدنيا على الآخرة، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ مِمَّن عَلِمَ أنه يُفَضِّل الهدى على الضلال ، ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الآية 94: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي: ولا تجعلوا حَلِفكم خَديعةً لمن حلفتم له ليُصَدِّقكم، ثم تنقضوا عهدكم معه مِن أجْل غرض دُنيوي حقير، (واعلم أنّ الدَخَل هو الخديعة)، فإياكم والوقوع في هذه الكبيرة ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: أي حتى لا تَزِلّ قدمُ أحدكم عن الإسلام بعد أن رَسَخَتْ فيه، فتَهلَكوا بعد أن كنتم آمنين، ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾: أي وتذوقوا ما يَسُوؤكم من العذاب في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي بما تسببتم فيه مِن مَنْع الناس عن الدخول في الإسلام (عندما رأوا غَدْركم وخيانتكم)، ﴿وَلَكُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية 95: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: ولا تنقضوا عهد اللهِ لتأخذوا مكانه عَرَضًا قليلاً مِن متاع الدنيا، ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني إنّ ما عند اللهِ من الثواب على الوفاء بالعهد ﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من هذا الثمن القليل ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الفرق بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة.

الآية 96: ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ مِن حُطام الدنيا ﴿يَنْفَدُ﴾ أي يَذهب، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من النعيم ﴿بَاقٍ﴾ لا يزول ولا ينقص، فاذكروا هذا ولا تبيعوا الغالي بالرخيص والباقي بالفاني، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على التكاليف الشاقة – ومنها الوفاء بالعهد – فنُعطيهم ﴿أَجْرَهُمْ﴾ في الآخرة على عباداتهم ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بمِثل جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه في الدنيا (حتى يكون أجر النافلة كأجر الفريضة).

الآية 97: ﴿مَنْ عَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَالِحًا﴾ ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ (يعني سواء كان العاملُ ذكرًا أو أنثى)، ولكنْ بشرط: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ باللهِ ورسوله والدار الآخرة، ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ﴾ في الدنيا ﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ أي حياةً سعيدة مطمئنة (بالقناعة والرزق الحلال، والتوفيق إلى الطاعة المُوجبة لرضوان اللهِ تعالى)، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ في الجنة على عباداتهم ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بمِثل جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه في الدنيا، (واعلم أنّ الجزاء يكون بحسب أحسن عمل عملوه مِن كل نوع، ففي الصلاة يُعطَى جزاء أفضل صلاة صلاَّها، وفي الصدقات بأفضل صدقة أعطاها وهكذا).

الآية 98، والآية 99، والآية 100: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾: يعني فإذا أردتَ – أيها المؤمن – أن تقرأ شيئًا من القرآن: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي المطرود مِن رحمة الله، وذلك بأن تقول بلسانك وبقلبك: (أعوذ باللهِ من الشيطان الرجيم)، لِيَحميك اللهُ تعالى من وسوسته أثناء القراءة، ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشيطان ﴿لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي ليس له تَحَكُّم أو تسلُّطٌ على إضلال الذين آمنوا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي والذين هم يَعتمدون على اللهِ وحده في كل أمورهم، (وقد قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي لا يُوقِعهم في ذنبٍ لا يَتوبونَ منه).

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يعني إنما تَحَكُّمه وتَسَلُّطه يكون على الذين أطاعوه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾: أي والذين هم – بسبب طاعته – مُشرِكونَ باللهِ تعالى (فهؤلاء هم الذين يَتسلط الشيطان عليهم فيُضِلَّهم حتى يُهلِكَهم).

الآية 101، والآية 102: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾: يعني وإذا نَسَخَ اللهُ حُكماً في آيةٍ مُعيّنة من القرآن، واستبدله بحُكمٍ آخر في آيةٍ أخرى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ أي: وهو سبحانه الأعلم بمَا يُصلِحُ خَلْقه، فيُنَزِّل لهم الأحكام في أوقاتٍ مختلفة (تدريجاً لهم ورحمةً بهم): ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾: أي قال الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم: إنما أنت مُختلِق على اللهِ ما لم يَقُلْه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: بل هم الذين لا عِلمَ لهم بحِكمة ربهم سبحانه، ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول -: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي نَزَلَ جبريلُ بالقرآنَ مِن عند ربك ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي مُشتمِلاً على الحق الواضح، فلستَ أنت الذي تقولُ ما تشاء، وإنما هو وَحيِ اللهِ وكلامه ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ بِهِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على إيمانهم (إذ كلما نَزَلَ قرآنٌ: ازدادَ المؤمنون إيماناً، فقلوبهم تحيا بالقرآن، كما تحيا الأرضُ بالمطر)، ﴿وَهُدًى﴾ أي ونزَلَ القرآنُ هِدايةً مِن الضلال ﴿وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ بالفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة، (واعلم أنّ معنى روح القُدُس: أي الروح المُطهَّر، وهو جبريل عليه السلام، كما قال تعالى في سورة الشعراء: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)).

♦ ويُلاحَظ أنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ رغم أنه كان المتوقع مِن السياق أن يقول له: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ من ربي)، وذلك لأنّ في هذه الآية تصبير ومُواساة للنبي صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم وافترائهم، فخرج الكلام عن أسلوب التلقين إلى أسلوب التكريم والتشريف، واللهُ أعلم.

الآية 103: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ أي نَعلم أنّ المُشركين قد زعموا أنك تتلقى القرآن مِن بَشَر (يَعنُونَ بذلك (حَدّاداً) نَصرانياً في مكة)، وهم يَعلمون أنهم كاذبون في هذا الافتراء، فـ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾: أي لسان الذي نَسَبوا إليه تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أعجمي لا يُحسن التحدث باللغة العربية ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾: أي والقرآن عربي، في غاية الفصاحة والبلاغة والوضوح والبيان، فكيف يُعَلِّمه أعجمي؟!

الآية 104: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني إنّ الذين لا يؤمنون بآيات القرآن (التي هي نورٌ وهدى، وحُجَج قاطعة وبراهين ساطعة)، أولئك المُكَذِّبون ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ لأنهم أعرضوا عن طريق الهداية، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم.

www.alukah.net

الآية 105، والآية 106، والآية 107: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾_يعني: إنما يَصدر افتراء الكذب من_﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ كالمُعاندين الذين كَذَّبوا بما جاءهم من الآيات الواضحة، فهؤلاء لا يَسَعُهم إلا الافتراء لترويج كَذبهم وباطلهم ليَخدعوا به الناس، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي: الكذب مُنحَصِرٌ فيهم وهم أوْلَى به مِن غيرهم، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فقد وَصَفه أعداؤه قبل الرسالة بالصدق والأمانة، ولم يُجَرِّبوا عليه كذبة واحدة، فكيف يَترك الكذب عليهم ويَكذب على ربه؟!

(وهذا رَدٌّ مِن اللهِ تعالى على وَصْفِهم للنبي صلى الله عليه وسلم بالكذب، فأخبَرَهم تعالى أنّ الكاذب حقاً هو الكافر بآيات الله، لأنه لا يرجو ثوابَ اللهِ ولا يَخافُ عقابه، فلهذا لا يَمنعه شيءٌ عن الكذب).

♦ ثم يُخبر تعالى عن قُبح حال ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ وارتدَّ من بعد ما تبَيَّنَ له الحق، وفَضَّلَ الدنيا على الآخرة، واختار الانقياد للشهوات والمَلَذَّات على الانقياد لرب العباد، ولكنه سبحانه استثنى طائفةً منهم فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾: يعني إلا مَن أُجبِرَ على النُطق بالكفر، فنَطَقَ به خوفاً من الهلاك (وقلبه ثابتٌ على الإيمان)، فهذا لا لوم عليه، ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾: يعني ولكنْ مَن نَطَقَ بالكفر، وفتَحَ صدره له، ورَضِيَ به: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾ أي بسبب أنهم ﴿اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ واختاروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ﴾ لاعتقادهم الفاسد بأنهم سيَتحَرّرون من التقيُّد بالعبادات والحلال والحرام وغير ذلك، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي وبسبب أنّ الله ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا يُوَفقهم للحق والصواب (عقوبةً لهم على اختيارهم الكفر وإصرارهم عليه).

الآية 108، والآية 109: ﴿أُولَئِكَ﴾ هم ﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: أي خَتَمَ اللهُ على قلوبهم بالكفر واتّباع الأهواء والشهوات، فلا يَصل إليها نور الهداية، ﴿وَسَمْعِهِمْ﴾: أي وأصَمّ اللهُ سَمْعهم عن آياته فلا يَسمعونها سماعَ تدبُّر وانتفاع، ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾: أي وأعمَى اللهُ أبصارهم، فلا يرون البراهين الدالة على استحقاقه وحده للعبادة، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عمَّا أعدَّ اللهُ لهم من العذاب، ﴿لَا جَرَمَ﴾: أي حقًا ولا شك ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين استبدلوا النعيم المُقيم بالعذاب الأليم.

الآية 110: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ وهم المُستضعَفون الذين عَذَّبهم المُشركون في " مكة"، حتى وافقوهم على ما هم عليه ظاهرًا، ففتنوهم بالتلفظ بما يُرضيهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ولمَّا تمكنوا من الخَلاص منهم، هاجروا إلى "المدينة" ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾ في سبيل الله ﴿وَصَبَرُوا﴾ على التكاليف الشاقة (ومنها الجهاد): ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ -أي مِن بعد هِجرتهم وجهادهم وصَبرهم - ﴿لَغَفُورٌ﴾ لجميع ذنوبهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، فلا يخافوا ولا يحزنوا.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

6. الربع الأخير من سورة النحل

الآية 111: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ : أي ذَكِّرهم – أيها الرسول – بيوم القيامة حينَ تأتي كُلُّ نَفسٍ ﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ وتعتذر بكل المَعاذير، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾: أي ويُوَفي اللهُ كل نفسٍ جزاءَ ما عَمِلَته في الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

الآية 112، والآية 113: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ بعذابه في الدنيا – للمُنكِرين لنِعَم اللهِ عليهم – وهو: ﴿قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً﴾ وهي هنا "مكة" التي كانت في أمانٍ مِن أيّ اعتداء، ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ مِن أن يُصيبها ضِيقٌ في العيش، وكانَ ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أي هَنيئًا سهلاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي مِن أماكن كثيرة (لأنّ كلمة: (كل) تأتي أحياناً بمعنى الكثرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ ، فكانت مكة يأتيها الرزق من البرّ والبحر (وذلك أثناء رِحلتَيهما – صيفاً وشتاءً – إلى الشام واليمن)، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾: أي فجحد أهلُها بنِعَم اللهِ عليهم فلم يَشكروه، بل أشركوا به سبحانه، وكفروا برسوله وبكتابه ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾: أي عاقبهم اللهُ بالجوع (حيثُ أصابهم القحط سبع سنين حتى أكلوا الصوف)، ﴿وَالْخَوْفِ﴾ أي وأذاقهم اللهُ الخوفَ من جيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: أي بسبب كُفرهم وصَنيعهم الباطل.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يَعرفون نَسَبَه وصِدقه وأمانته وأخلاقه ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ولم يَقبلوا ما جاءهم به (لعدم موافقته لأهوائهم الفاسدة وشهواتهم الرخيصة) ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ من الشدائد والجوع والخوف، وقَتْل زعمائهم في "بدر" ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ لأنفسهم بشِركهم باللهِ تعالى، وصَدِّهم عن سبيله.

♦ ولَعَلَّ اللهَ تعالى عَبَّرَ عن الجوع والخوف باللباس، للإشارة إلى شدة ما أصابهم، فكأنه قد أحاطَ بهم كما تُحيطُ المَلابس بالجسد، واللهُ أعلم.

الآية 114، والآية 115: ﴿فَكُلُوا﴾ - أيها المؤمنون - ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ وجَعلَه لكم ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ عليكم بالاعتراف بها، وباستخدامها في طاعته سبحانه، ولا تكونوا كالذين كفروا بنعمته (كما في المثال السابق) حتى لا يُصيبكم ما أصابهم، هذا ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: يعني إن كنتم حقًّا مُطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

♦ إذاً فاشكروا نِعَمه عليكم، وذلك إغاظةً للشيطان الذي قال: ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾، وأكثِروا مِن قول (الحمد لله) بألسنتكم وقلوبكم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم –: (والحمد لله تملأ الميزان)، فهي كلمةٌ يُدفَعُ بها عنا العذاب، كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ سبحانه ﴿عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ وهو الحيوان الذي تُفارقه الحياة بدون ذبْح شرعي، (ويُستثنَى مِن ذلك مَيْتة الجَراد والسمك، فإنهما حلال، كما ثبتَ ذلك في السُنَّة)، ولَعَلَّ الحكمة من تحريم المَيْتة: هو احتقان الدم في جَوْفها ولَحْمها، مِمَّا يَتسبب في إضرار مَن يأكلُ منها.

www.alukah.net

﴿وَالدَّمَ﴾: يعني وحَرَّمَ سبحانه عليكم شُرب الدم، ويُستَثنى من الدم: (الكبد والطحال) فإنّ أكْلهما حلال، كما ثبت ذلك في السُنَّة (واعلم أنّ المقصود بالدم المُحَرَّم هنا هو الدم المَسفوح (أي السائل المُراق)، كما ذَكَرَ سبحانه ذلك في سورة الأنعام فقال: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، (وأما الدم غير المُراق، وهو الذي يَختلط باللحم أو يكون في المخ والعروق وما شابَه ذلك، فإنه لا شيءَ فيه).

﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾: يعني وكذلك حَرّمَ سبحانه عليكم لحم الخنزير، فلا تغتروا بمَن يَستحلونه (افتراءً على الله)، بل هو مُحَرَّم مِن جُملة الخبائث، ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: يعني وكذلك حَرَّمَ عليكم الذبائح التي ذُبِحَت لغير الله تعالى، وكذلك ما ذُكِرَ عند ذبْحِهِ اسمُ غيرِهِ سبحانه، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: يعني فمَن ألجأتْهُ الضرورة إلى أكْل شيءٍ من هذه المُحَرَّمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: أي غيرَ طالبٍ للمُحرَّم – لِلَذّةٍ أو غير ذلك، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: يعني ولا مُتجاوز - ما يَسُدُّ حاجتَه ويَرفع اضطراره - في أكْله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ له، ﴿رَحِيمٌ﴾ به، حيث رَخّصَ له في أكْل تلك المُحَرَّمات عند الضرورة حتى لا يموت.

الآية 116، والآية 117: ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ - أيها المُشركون - ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ أي لا تقولوا الكَذِبَ الذي تَصِفُهُ ألسنتكم، وذلك بأن تقولوا لِمَا حَرَّمه الله: ﴿هَذَا حَلَالٌ﴾ ﴿وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لِمَا أحَلَّه الله ﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي ليؤدي بكم هذا القول الكاذب إلى الافتراء على اللهِ تعالى (بنسبة التحليل والتحريم إليه) فتستحقوا العذاب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾: أي لا يفوزون في الدنيا ولا في الآخرة، فإنما هو ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا، وسوف يَزولُ عنهم عن قريب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم.

الآية 118: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾: أي ولقد حَرَّمنا على اليهود ما أخبرناك به أيها الرسول ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي مِن قبل هذه الآية، وهو كل ذي ظُفُر (يعني كل ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير، كالإبل والنَّعام)، وكذلك حرّمنا عليهم شحوم البقر والغنم (إلا الشحم الذي عَلِقَ بظهورها فإنه حلالٌ لهم، وكذلك الشحم الذي عَلِقَ بأمعائها، والشحم الذي اختلط بعظم الجنب ونحو ذلك، فإنه حلالٌ لهم)، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريم ذلك عليهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: أي ولكنهم كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي، فاستحقوا ذلك التحريم عقوبةً لهم.

الآية 119: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي فعلوا المعاصي بجهلٍ منهم لِسُوء عاقبة هذه الذنوب، (وبجهلهم بقدْر ربهم الذي عصوه)، ولكنْ بشرط: ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي مِن بعد ذلك العمل السيئ، وندموا عليه ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ نفوسهم وأعمالهم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي مِن بعد توبتهم وإصلاحهم ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

من الآية 120 إلى الآية 124: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي كان إمامًا في الخير، وكانَ ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ أي طائعا خاضعًا للهِ تعالى، وكان ﴿حَنِيفًا﴾: أي لا يَميل عن دين الإسلام، بل كانَ مُوَحِّدًا للهِ تعالى ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وإنما كانَ ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ أي شاكرًا لنعم اللهِ عليه، ولذلك ﴿اجْتَبَاهُ﴾ ربه (أي اختاره لرسالته ومَحَبَّته) ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: وأرشَدَه إلى الطريق المستقيم (وهو الإسلام)، ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: أي وأعطاه اللهُ نعمة حسنة في الدنيا (من الولد الصالح، والثناء عليه من كل أهل الشرائع السماوية واقتداءهم به، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا)، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العالية في الجنة، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي اتَّبع دينَ الإسلام كما اتَّبعه إبراهيم عليه السلام ، فإنه كانَ ﴿حَنِيفًا﴾ أي مائلاً عن أيّ دينٍ باطل ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (وهذه أعظم صفة لإبراهيم عليه السلام: التوحيد الخالص، ولذلك أعادَ سبحانه ذِكْر هذه الصفة للتأكيد على وجوب اتِّباعها).

♦ وعندما ادَّعَى اليهود أنهم على دين إبراهيم عليه السلام، أبطلَ اللهُ هذه الدعوى بأنْ ذَكَرَ تعظيمهم ليوم السبت، وتعظيم السبت لم يكن من دين إبراهيم، فقد كان دين إبراهيم سَمْحاً لا تغليظ فيه، وأما السبت فكان تغليظاً على اليهود بترْك الصيد فيه، بسبب عِصيانهم وتمَرُّدهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾: يعني إنما جَعَلَ اللهُ تعظيم يوم السبت ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وهم اليهود الذين اختلفوا فيه على نبيّهم، واختاروه بدلاً من يوم الجمعة (الذي أُمِروا بتعظيمه)، ففرض اللهُ عليهم تعظيم السبت، وشَدّدَ عليهم بعدم الصيد فيه (عقوبةً لهم)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي سوف يَحكم بين المختلفين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيُجازيهم بما يَستحقون بسبب تمَرُّدهم على أنبيائهم.

الآية 125: ﴿ادْعُ﴾ الناسَ – أيها الرسول – أنت ومَنِ اتَّبعك ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: يعني إلى دين ربك وطريقه المستقيم ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: أي بالطريقة الحكيمة التي أوحاها اللهُ إليك في الكتاب والسُنّة، وخاطِب الناسَ بالأسلوب المناسب لهم ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: أي وانصحهم نُصحًا حسنًا، يُرَغِّبهم في الخير، ويُنَفِّرهم من الشر.

♦ واعلم أنه من آداب النصيحة أنْ تُقَدِّمها بالأسلوب الطيب الذي تُحِبّ أن يَنصحك به الآخرون (كالابتسامة أثناء النصيحة، والدعاء للمنصوح وأنت تُحَدِّثه)، حتى وإن لم يَقبل نصيحتك، فإنك تنصحه لوجه اللهِ تعالى، وطالما أنّ النصيحة لوجه الله، فلا تغضب لنفسك إذا لم يَقبلها منك، حتى لا يَضيع أجرك، وكذلك على المنصوح أن يَستمع إلى النصيحة، حتى وإنْ لم يُعجبه أسلوب الناصح، لأنه – وإن لم يكن قد تَعَلّم أسلوب النصيحة الحسنة – فإنه بالتأكيد يَنصحك لمصلحتك، فلا تَرُدُّه، بل احمد اللهَ الذي عَلّمك الأسلوب الطيب ولم يُعَلّمه لغيرك، رغم كثرة ذنوبك.

♦ واحذر أن تنصح أحداً أمام الناس، أو أن تنصحه بغضب وشدة (بحُجّة أنك خائفٌ عليه)، فهذا لن يَقبل منك أبداً، وكذلك الحال إذا أردتَ أن تعاتب أحداً، فعليك ألاَّ تعاتبه بشدة وغِلظة حتى لا يَتكبر ويُعانِد، وإنما عليك أن تسأله برفق: (لماذا فعلتَ كذا؟) (هل ترضى أن أفعل ذلك معك؟)، فحينئذٍ سيَعتذر لك ويَعترف بخطئه، فإذا كَسَرَ كِبرياءه واعتذر: فاقبل عُذره فوراً.

﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي جادِلهم بأحسن طرق المُجادَلة (مِن الرفق واللين وتَجنُّب الغضب أثناء الجدال)، واعلم أنه ليس عليك إلا البلاغ، وقد بلَّغتَهم، وأمّا هدايتهم فعلى اللهِ وحده، فـ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

الآية 126: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾: يعني وإن أردتم – أيها المؤمنون – القصاص مِمّن اعتدى عليكم: ﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾، ولا تزيدوا عَمّا فعلوه بكم، ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ وتركتم المُعاقَبة: ﴿لَهُوَ﴾ أي الصبر ﴿خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ أي خيرٌ لهم من

www.alukah.net

الانتقام، فهو خيرٌ لهم في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالأجر العظيم، كما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الآية 127: ﴿وَاصْبِرْ﴾ - أيها الرسول - على ما أصابك مِن الأذى في سبيل اللهِ حتى يأتيك الفرج، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي استمِدّ الصبر منه سبحانه، وذلك بلزوم طاعته ودعائه، لأنه هو الذي يُعِينك على الصبر ويُثَبِّتك عليه.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ولا تحزن على مَن خالفك ولم يَستجب لدَعْوتك، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: ولا تحزن مِن كَيدهم لك، ولا تهتم به، فإنّ ذلك سيعود عليهم بالشر والهلاك.

الآية 128: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ بامتثال أوامر ربهم واجتناب نواهيه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ أي يُحسنون أداء فرائضه والقيام بحقوقه، وكذلك يُحسنون معاملة خَلْقه، فهو سبحانه معهم بالنصر والتأييد والعون والتوفيق.

♦ واعلم أنّ الإحسانَ قد قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مُسلِم -: "أنْ تعبُدَ اللهَ كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراهُ، فإنه يَراك"، فالإحسان يَتناول المعنيين: (التقوى وإتقان العمل) لأنّ مَن راقبَ اللهَ تعالى، أتقَنَ عمله وحَسَّنه.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الإسراء كاملة

1. الربع الأول من سورة الإسراء

الآية 1، والآية 2، والآية 3: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ (يُمَجِّد اللهُ تعالى نفسه ويُعَظِّم شأنه، لقدرته على ما لا يَقدر عليه غيره)، إذ هو الذي أسرَى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لَيْلًا﴾ أي جُزءاً مِن الليل – بروحه وجسده - ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بـ "مكة" ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أي الذي باركَ اللهُ حوله في الزروع والثمار وغير ذلك، وجعله مَحِلاً لكثير من الأنبياء.

♦ واعلم أنَّ الإسراء هو السير ليلاً بشَكلٍ خاص، وقد أُسرِيَ بالنبي صلى الله عليه وسلم بالبُراق، وهي دابة بيضاء، أطول من الحمار، وأقصر من البغل (انظر حديث رقم: 127 في صحيح الجامع).

♦ وقد كانت هذه الرحلة ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾: أي لِيُشاهد محمد صلى الله عليه وسلم قدرة اللهِ تعالى وعجائب صُنعِهِ في الملكوت الأعلى، وليَرى بعَينيه ما كانَ قد آمَنَ به عن طريق الوحي، فيُصبح الغيبُ عنده مُشاهَدة، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لجميع الأصوات، ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأعمال عباده وأحوالهم، ولذلك اقتضتْ حِكْمته حدوث هذا الإسراء العجيب، ليَرى ويَسمع ما سيَصدر مِن تكذيب الكفار وتصديق المؤمنين – وهو سبحانه أعلم بهم – ثم يَجزي كُلّاً بما يَستحق.

♦ والدليل على أنّ رحلة الإسراء والمعراج كانت رحلة حقيقية ولم تكن رؤيا: أنّ مُشركِي قريش كانوا يُجادلونَ النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة ويُكَذِّبونه فيها، فلو أنها كانت حُلماً: لَمَا كَذّبوه، لأنه ليس للنائم تَحَكُّم فيما يَحلم به، ولا يُعقَلُ أبداً أن يأتي إليك رجلٌ ويُخبِرك أنه قد ذهب إلى "الصين" وهو نائم وفَعَلَ كذا وكذا، ثم تُجادله أو تُكَذِبه، إنما تجادل فقط مَن يُخبرُك أنه فعل ذلك في ساعةٍ واحدةٍ مِن الليل، فدَلَّ ذلك على أنه صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم أنه أُسرِيَ به بالروح والجسد معاً.

♦ وحتى يُثبِتَ النبي صلى الله عليه وسلم صِدقه للمُشركِين، فإنه قد أخبرهم أنه – وهو ذاهبٌ إلى بيت المَقدس – رأى قافلة قادمة إلى مكة، وأنّه قد ضاعَ منهم أحد الإبل في هذه الليلة، وأنهم كانوا يَبحثون عنه، فلما وصلتْ القافلة إلى مكة، سألهم المُشرِكون عن ذلك، فأخبروهم أنه قد حدث ما أخبَرَ به النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك حينما طَلَبَ منه المُشركون أن يَصِفَ لهم بيت المقدس – وكانَ بعضهم قد زاره – فأخبَرَهم صلى الله عليه وسلم بوَصْفه، وهنا كانَ أبو بكر رضي الله عنه يقول له: (صدقتَ، صدقتَ)، وكانَ يقول: (إنْ كانَ قالَ فقد صَدَق)، فسُمِّيَ ساعتها بالصِدِّيق.

♦ وكما كَرَّم اللهُ محمدًا صلى الله عليه وسلم بالإسراء، فقد كَرَّم موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وهو التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ أي جعلنا التوراة بيانًا للحق وإرشادًا ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لِمَا فيه سعادتهم ونَجاتهم، وألزمناهم فيها ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾: أي نَهاهم اللهُ أن يَتخذوا نصيراً أو معبودًا يَعتمدون عليه ويُفوضون إليه أمورهم غيره سبحانه، وقال لهم: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: يعني يا سُلالة الذين حَمَلْناهم مع نوح في السفينة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أي كانَ كثير الشُكر لنعم اللهِ عليه، لِذا فاقتدوا به، وكونوا شاكرينَ لنعم ربكم (بعبادته وحده ودوام طاعته).

www.alukah.net

♦ واعلم أنَّ الشكر يكونُ حَمداً باللسان واعترافاً بالقلب، وبأنْ تُستخدَم هذه النِعَم في طاعة اللهِ وتعالى، وألاّ تُستخدَم في مَعْصِيَتِه، كما قال تعالى في سورة سبأ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾، وقال أيضاً في سورة آل عمران: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

من الآية 4 إلى الآية 8: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني أخبرناهم في التوراة بقضاءنا فيهم، وهو أنكم ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾: أي سوف يَقع منكم إفسادٌ مرتين في أرض "فلسطين" ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي لَتظلِمُنّ ظلماً عظيماً (بالمعاصي وقَتْل الأنبياء، والتكبر والطغيان)، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾: يعني فإذا وقع منكم الإفساد الأول: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ أي سَلَّطْنا عليكم ﴿عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي يَمتلكونَ شجاعة وقوة شديدة ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: أي فطافوا بين دياركم، يقتلونكم ويُشَرِّدونكم ويُفسدونَ أرضكم، ﴿وَكَانَ﴾ ذلك ﴿وَعْدًا مَفْعُولًا﴾: أي وعدًا لابدَّ مِن وقوعه (لوجود سببه منكم)، (وقد تحقق هذا الوعد عندما أعرض بنو إسرائيل عن طاعة ربهم، وانتهكوا حدود شَرْعهم، حتى قتلوا نبِيّهم" أرميا" عليه السلام، فسَلَّطَ اللهُ عليهم الطاغية "جالوت" الذي ذَكَرَ اللهُ قصته في سورة البقرة).

♦ واعلم أنّ الله تعالى قال: ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ ولم يقل: (عبادي) لأنهم كانوا أهلَ كُفرٍ وشِرك، فلم يُشَرِّفهم سبحانه بإضافتهم إليه، ولكنه وَصَفهم بأنهم مِن مُلكه، وأنه سَخرّهم لتأديب عباده الذين ظلموا الناسَ وخرجوا عن طاعته.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ثم أعَدْنا لكم الانتصار على أعدائكم – وذلك بعد سنين طويلة من الاضطهاد والتشريد – عندما طالبتْ جماعة مؤمنة مِن بني إسرائيل أن يُعَيِّنَ لهم نبيُّهم مَلِكاً يقودهم إلى الجهاد، فجاهَدوا أعداءهم حتى قتل داودُ جالوت (كما تقدم في سورة البقرة)، ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾: أي كَثَّرْنا أرزاقكم وأولادكم، وقَوَّيناكم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: أي جعلناكم أكثر عددًا من أعدائكم، حتى تَكَوَّنت لكم دولة عظيمة، سادت العالم على عهد داود وسليمان عليهما السلام (وذلك بسبب رجوعكم إلى اللهِ تعالى بالعمل بكتابه والتزام شريعته).

♦ وهنا قال تعالى لهم: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ يعني إن أدَّيتم الطاعة بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى الوجه الذي شَرَعه لكم، واجتنبتم ما نَهاكم عنه، وأحسنتم معاملة خَلقه: فقد ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ لأنّ ثواب ذلك عائدٌ إليكم، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالانغماس في المَلَذّات والشهوات، والإعراض عن طاعة رب الأرض والسماوات: ﴿فَلَهَا﴾: أي فعِقابُ ذلك سيَرجع إلى أنفسكم أيضاً.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: يعني فإذا حانَ موعد إفسادكم الثاني: سَلَّطْنا عليكم أعداءكم مرة أخرى – وهم هنا "بُختُنصُر" وجنوده (على الراجح من أقوال العلماء) - ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾: أي ليَغلبوكم ويُذِلُّوكم، فتظهر آثار الذل والإهانة على وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: يعني وليَدخلوا عليكم المسجد الأقصى، فيُخرِّبوه كما خرَّبه أعداؤكم أول مرة، (وفي هذا ذُلٌّ وإهانةٌ لهم، لأنه كانَ مكان عبادتهم، قبل أن يَنسخ الإسلام شريعتهم)، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾: يعني ولِيُدَمِّروا كل ما وقع تحت أيديهم تدميرًا كاملاً، (وقد حصل هذا عندما قتل اليهودُ زكريا ويحيى عليهما السلام، وبعد أن ظهر فيهم التبرج والفجور، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾ يا بني إسرائيل ﴿أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد انتقامه (إن تبتم وأصلحتم)، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الإفساد والظلم والفجور: ﴿عُدْنَا﴾ إلى عقابكم ومَذلَّتكم بتسليط مَن نشاء مِن عِبادنا (كما سَلَّطَ اللهُ عليهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فقتل بعضهم، وأسَرَ بعضهم وأخرج الباقين من "المدينة")، فهذا بعض عقابهم في الدنيا، لأنهم لم يَتعظوا من المرتين السابقتين، بل كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد أن عرفوا صفاته في التوراة، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ﴾ - في الآخرة - ﴿لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ أي سجناً يَحصرهم لا يَخرجونَ منه أبداً، (واعلم أنّ هذه الآيات تحمل تحذيراً لأُمّة محمد صلى الله عليه وسلم من المعاصي؛ حتى لا يُصيبها ما أصابَ بني إسرائيل، لأنّ سَنَن اللهِ ثابتة لا تتبدل ولا تتغير).

الآية 9، والآية 10: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي يُرشد الناس لأحسن الطرق وأصَحّها، وهي الإسلام (بما فيه من الدلائل والحُجَج والشرائع والمواعظ) ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي الذين يَعملون الأعمال الصالحة (بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شَرَعه اللهُ لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم)، فأولئك يُبَشِّرهم القرآن بـ ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ في جنات النعيم، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ أي أعْدَدنا لهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في نار جهنم.

الآية 11: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ يعني: وأحيانًا يُسارِع الإنسان – عند الغضب – بالدعاء على نفسه وأهله بالشر، مِثلما يُسارِع بالدعاء بالخير (وهذا مِن عَجَلة الإنسان وجَهْله بعواقب الأمور)، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ بطَبعه ﴿عَجُولًا﴾ أي كثير العَجَلة بما يَخطر على باله، فلا يَتمهل ولا يَتفكر (هذا ما لم يَتأدب بآداب القرآن ، وأما إذا استقام على منهج القرآن وتَخلّق بالأخلاق النبوية: تبَدَّلَ طَبْعُهُ وأصبح صابراً حليماً).

♦ واعلم أنّ كلمة (يَدْعُ) كانَ أصلها: (يَدعُ وْ)، ولكنْ حُذِفَتْ الواو الساكنة بسبب التقاءها بالألِف الساكنة (التي في بداية كلمة: الإنسان) وهو ما يُعرَف بـ (التقاء الساكنين)، فحُذِفَ الساكن الأول (وهو هنا الواو)، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ومِثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾.

الآية 12: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آَيَتَيْنِ﴾ أي علامتين دالَّتين على قدرتنا وتدبيرنا لمصالح العباد، ثم وَضَّحَ سبحانه ذلك بقوله: ﴿فَمَحَوْنَا آَيَةَ اللَّيْلِ﴾ : أي طَمَسْنا نور الليل بالظلام (لتستريحوا فيه مِن طَلَب الرزق بالنهار)، ﴿وَجَعَلْنَا آَيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي جعلنا النهار مُضيئاً، وذلك ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي لتُبصروا - في ضوء النهار – كيف تتصرفون في شئون مَعاشكم ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ من ساعات الليل والنهار ﴿عَدَدَ السِّنِينَ﴾ وذلك بحساب الأيام والشهور، ﴿وَالْحِسَابَ﴾ أي: ولتَعلموا أيضاً حساب الأوقات المتعلقة بمعاملاتكم الدينية والدنيوية، فتُرَتِّبوا على ذلك ما تشاؤون مِن مَصالحكم، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾: أي ولقد بَيَّنا كل شيءٍ – يَحتاجه العباد – تَبْييناً كافيًا.

♦ واعلم أنّ بعض العلماء قد فسَّروا قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آَيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آَيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي جعلنا القمر مُظلماً، وجعلنا الشمس مُضيئة، فاستفاد القمر مِن ضيائها فأصبح مُنيراً، واللهُ أعلم.

www.alukah.net

الآية 13، والآية 14، والآية 15: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ يعني: وكُلّ إنسان جعلنا عَمَلَه – الصادر عنه باختياره – مُلازمًا له (كأنه مربوط بعُنُقه) ليُحاسَب به، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ قد سُجِّلتْ فيه جميع أعماله ﴿يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ أي يَرى هذا الكتاب مفتوحًا أمامه، ويُقال له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾: أي اقرأ كتاب أعمالك، (فيَقرؤه وإنْ لم يكن يعرف القراءة في الدنيا)، ويُقال له: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي يَكفيك اليوم أنّ نفسك هي التي تُحصي عليك أعمالك، فتعرف ما عليها مِن جزاء (وهذا مِن أعظم العدل، أن يُقال للعبد: حاسِبْ نفسك، كفى بها حسيبًا عليك).

♦ ولَعَلّ اللهَ تعالى عَبَّرَ عن عمل الإنسان بكلمة (طائره)، لأنّ العرب كانوا يَتفاءلون بالطير، فإذا سافروا ومَرَّ بهم الطير من جهة الشمال إلى اليمين تفاءلوا، وإنْ مَرّ بهم من جهة اليمين الى الشمال تشاءموا، فلما نَسَبوا الخير والشر إلى الطائر، شَبَّهَ اللهُ لهم أعمالهم بالطائر (لأنّ العمل هو سبب الخير والشر).

♦ وبعد هذا الإنذار أخبَرَ اللهُ تعالى أنه ﴿مَنِ اهْتَدَى﴾ أي اتَّبع طريق الهداية: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأنّ ثواب ذلك سيعود عليه وحده، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن طريق الحق واتَّبع طريق الباطل: ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: يعني فإنما عقاب ذلك سيعود عليه وحده، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: ولا تَحمل نفسٌ ذنبَ نفسٍ أخرى، إلا إذا كانت سبباً في إضلالها (ولم تَتُب عن ذلك الإضلال)، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: أي لم يكن مِن شأن اللهِ تعالى – وهو العدل الرحيم – أن يُعَذِّبَ أحدًا أو يُهلك قريةً إلا بعد إقامة الحُجَّة عليهم (وذلك بأن يُرسِلَ إليهم رسولاً - ويؤيده بالمُعجِزات – ليُعَلِّمهم ما يُحبه اللهُ تعالى وما يُغضبه).

الآية 16: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ ظالمةً – بعد إرسال رُسُلنا إليها –: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ وهم المُنَعَّمون (من الأغنياء والرؤساء والأشراف)، فأمَرَهم سبحانه بتوحيده وطاعته وتصديق رُسُله، كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾، ولكنهم: ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ أي فعلوا الجرائم والمُنكَرات في هذه القرية، وكَذّبوا الرُسل ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾: أي فحَقَّ عليهم حُكمُ اللهِ تعالى بالعذاب الذي لا مَرَدَّ له (والمعنى أنهم استحقوا العذاب بتكذيبهم وعِصيانهم) ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أي فأهلكناها إهلاكاً كاملاً.

الآية 17: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي: ولقد أهلكنا الكثير من الأمم المُكَذِّبة ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ عهد ﴿نُوحٍ﴾ لأنّ قومه كانوا أول مَن أصابهم الهلاك الجماعي، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ أي: ويَكفيك أيها الرسول أنّ ربك عالمٌ بذنوب عباده، لا يَخفى عليه شيء منها، وهو قادرٌ على العقاب بها، ولكنه يُمهِل، ثم يأخذ أخْذَ عزيزٍ مُقتدِر، (وفي هذا تصبيرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاهُ مِن أذى قومه وتكذيبهم، وفي هذا أيضاً تهديدٌ عظيم لهم بالهلاك كما أهلك سبحانه هذه الأمم المُكَذِّبة).

الآية 18، والآية 19: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ يعني: مَن كانَ طَلَبُه الدنيا، وسَعَى لها وحدها، ولم يُصَدِّق بالآخرة: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾: أي عَجَّلَ اللهُ له في الدنيا – مِن الرزق – ما يَشاؤه سبحانه (ممّا كَتبه له في اللوح المحفوظ)، وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ أي يُعطي سبحانه للذي يريده (إذ الأمر كله راجعٌ إليه وحده)، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يَصْلَاهَا﴾ أي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَدخلها ليُعاني حَرَّها، ﴿مَذْمُومًا﴾ أي يَذمُّه الله وملائكته، ﴿مَدْحُورًا﴾ أي مطرودًا مِن رحمة اللهِ تعالى (وذلك لأنه أراد الدنيا وسعى لها دونَ الآخرة) (واعلم أنّ اللهَ تعالى سَمَّى الدنيا بـ (العاجلة) لسرعة انتهائها).

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ﴾ يعني: ومَن قَصَدَ بعمله الصالح: ثوابَ الدار الآخرة الباقية ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي سَعْيها المطلوب لدخولها (بطاعة اللهِ تعالى واجتناب مَعاصيه، والتوبة إليه في كل وقت) ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ باللهِ وبرسوله وبما أخبر به رسوله من الغيب: ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾: أي فأولئك كانَ عملهم مقبولاً مُدَّخرًا لهم عند ربهم، ليأخذوه يوم القيامة في جنات النعيم.

الآية 20، والآية 21: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾ : يعني كلُّ فريق – من العاملين للدنيا الفانية، والعاملين للآخرة الباقية – نَرزقه في الدنيا؛ فإنّ الرزق ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ تفضُّلاً منه سبحانه، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ أي: وما كان عطاء ربك ممنوعاً عن أحد (مؤمنًا كانَ أو كافرًا)، فالكل يأكل ويَشرب ويَلبس (بحسب ما قدَّرَ اللهُ له).

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ : أي تأمل – أيها الرسول – كيف فضَّلَ اللهُ بعض الناس على بعض في الدنيا في الرزق، فإذا علمتَ هذا، فاعلم أنّ الدنيا ليست مِقياساً عن رضا اللهِ عن العبد، فإنّ اللهَ يُعطي الدنيا لمن يُحبه سبحانه ولمن لا يُحبه؛ لأنها لا تساوي عنده جناح بَعوضة، ﴿وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من تفضيل الدنيا في العطاء والنعيم، وذلك عائدٌ إلى فضل اللهِ تعالى، ثم إلى عمل الإنسان (كثرةً وإتقاناً).

الآية 22: ﴿لَا تَجْعَلْ﴾ أيها الرسول ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ﴾ في عبادته ﴿فَتَقْعُدَ﴾ أي فتصير ﴿مَذْمُومًا﴾ من الملائكة والمؤمنين، ﴿مَخْذُولًا﴾ مِن اللهِ تعالى، لا ناصرَ لك مِن عذابه (وهذا – وإنْ كانَ خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم – فإنه مُوَجَّه لجميع الأُمَّة).

****

2. الربع الثاني من سورة الإسراء

الآية 23، والآية 24، والآية 25: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ يعني: ولقد أمَرَ ربك - أيها الرسول - ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فلا تُشركوا به أحداً مِن خَلقه في عبادته، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: أي وكذلك أمَرَكم سبحانه بالإحسان إلى الأب والأم (وذلك بتأدية حقوقهما، وبطاعة أمْرهما – في غير معصية الله – وبالإنفاق عليهما، وإكرام صديقهما، وصلة رَحِمِهما، والدعاء لهما، وطلب رِضاهما)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 3507)، وخُصوصاً: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ - أي حال الشيخوخة – وذلك حين يَبلغ ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ سن الكِبَر وهم عندك (أي في بيتك أو في حال وجودك بينهما) ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾: أي فلا تُسمِعهما قولاً سيئًا، حتى ولو كانَ كلمة (أف) (التي هي أقل مَراتب القول السيئ)، ولا يَضِق صدرك مِن أيّ شيءٍ تراه منهما في هذا السن، بل يَجب عليك أن تَخدمهما كما كانا يَخدمانك وأنت طفل (حِينما كانا يَغسلان ويُنَظِّفان ولا يَتضايقان أو يَتأففان)، ﴿وَلَا

www.alukah.net

﴿تَنْهَرْهُمَا﴾ أي لا ترفع صوتك عليهما، ولكن ارفق بهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي قولا لطيفًا ليِّنًا يُسعِدهما، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ يعني كُنْ لأمك وأبيك ذليلاً متواضعًا.

– وقوله تعالى: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي تواضُعاً ناشئاً مِن رحمتك بهما، ﴿وَقُلْ﴾ - داعياً ربك -: ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ أحياءً وأمواتًا ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: يعني كما صَبَرا على تربيتي وأنا صغير، ضعيف الحول والقوة.

♦ واعلم أنّ الفعل (قَضَى) يأتي بأكثر مِن مَعنى، فهنا قد أتى بمعنى (أمَرَ وَوَصَّى)، وأحياناً يأتي بمعنى: (انتهى)، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ ، وأحياناً يأتي بمعنى: (حَكَمَ وقدَّر)، كقوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾، وأحياناً يأتي بمعنى: (خَلَقَ)، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.

♦ واعلم أيضاً أنّ قوله تعالى: (إِمَّا يَبْلُغَنّ) مَعناه: إنْ يَبلغ، و(ما) تُسَمّى (ما الزائدة لتقوية الكلام) وتأكيده، والنون في كلمة ﴿يَبْلُغَنّ﴾ هي نون التوكيد.

♦ ثم أخبَرَ سبحانه أنه أعلم بما في نفوس العباد، فمَن كان يَكتم بداخله السخط على والديه والضِيق من خِدمتهما، فإنّ اللهَ يُعاقبه على ذلك، ومَن كان يَكتم حُبّهما واحترامهما ويَتذكر جَميلهما، فإنّ اللهَ يُجازيه بالإحسان، قال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ - سواء كانَ خيراً أو شراً – فـ ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ يعني إن تنووا بأعمالكم الصالحة: رضا اللهِ عنكم ودخول جَنّته ﴿فَإِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾: أي كتبَ تعالى على نفسِهِ أنه غفورٌ للتائبينَ إليه بصِدق، الراجعينَ إليه في كل وقت، (واعلم أنّ الأوّاب: هو الذي كلما أذنبَ تاب، وكلما ذَكَرَ ذنبه استغفر).

♦ ولَعَلّ اللهَ تعالى ذَكَرَ مَغفرته للتائبين بعد أنْ أمَرَ ببِرّ الوالدين، لأنه سبحانه يَعلم أنّ الإنسان قد يَضعف مَرّة ويَكتم بداخله الضِيق مِن خدمة والديه (وهما في هذا السن)، أو قد يَعلو صوته عليهما مَرّة – وهو في الأصل صالح، مُؤَدٍّ لحقوق اللهِ تعالى وحقوق والديه وحقوق الناس – فهذا العبد الصالح يَغفر اللهُ له متى رَجَعَ إليه مُستغفراً نادماً.

الآية 26: ﴿وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: يعني وأعطِ الأقرباء حقوقهم من الصلة والبِرّ، وكذلك أعطِ الفقير المُحتاج مِن مالك، وكذلك المسافر الذي فَقَدَ ماله – أو نَفَدَ ماله – واحتاجَ للنفقة، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ أي: ولا تُنفِق مالك في غير ما يُحبه الله، أو على وَجْه الإسراف والتبذير، (وقد ذَكَرَ سبحانه كلمة ﴿تَبْذِيرًا﴾ لتأكيد النهي، يعني كأنه قيل: (لا تبذر، لا تبذر)، وذلك لكثرة ما في التبذير من المفاسد).

الآية 27: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ أي هُم أشباه الشياطين في هذا الفعل القبيح (لأنهم بتبذيرهم للمال في المعاصي، كانوا خارجين عن أمر ربهم مِثل الشياطين)، وقد كان العرب يُسَمُّونَ المُواظب على الشيء : أخاً له، فيقولون مَثلاً: (فُلان أخو الكرم)، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ أي كثير الكُفران، شديدَ الجحود لنعمة ربه (فكذلك المُبَذِّر للمال في المعاصي: لم يَشكر نعمة ربه عليه، وضَيَّعَ المال).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ واعلم أنّ الفعل (كان) إذا جاء مع صفة معينة، فإنه يدل على أنّ هذه الصفة مُلازِمة لصاحبها، كقوله تعالى – واصفاً نفسه بالرحمة والمغفرة -: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي كانَ – دائماً وأبداً – غفوراً رحيماً.

الآية 28: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾: يعني وإنْ أعرضتَ عن إعطاء هؤلاء (الذين أمَرَكَ اللهُ بإعطائهم، لعدم وجود ما تعطيهم منه)، فتباعدتَ عن لقائهم حياءً منهم، و﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾: أي انتظاراً لرزقٍ ترجوه مِن اللهِ تعالى ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾ – وأنتَ تُعرِض عنهم –: ﴿قَوْلًا مَيْسُورًا﴾: أي قولاً ليِّنًا لطيفًا سهلاً (كالدعاء لهم بسعة الرزق، وبأنْ تَعِدهم أنّ اللهَ إذا يَسَّرَ مِن فضله رزقاً أن تعطيهم منه)، فيكون ذلك أشبه بالعطاء العاجل لهم (فيَفرحوا به ولا يَحزنوا).

الآية 29: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾: أي لا تُمسِك يدك عن الإنفاق في وجوه الخير – مُضَيِّقًا على نفسك وعلى أهلك وعلى المحتاجين – كأنّ يدك مربوطة إلى عنقك (لا تستطيع أن تعطي بها شيئاً)، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ أي: ولا تُنفِق كل ما في يدك ﴿فَتَقْعُدَ﴾ أي فتصير ﴿مَلُومًا﴾ أي يَلومك الناس على ما فعلتَ، ويَلومك مَن حَرَمتهم من الإنفاق، ﴿مَحْسُورًا﴾ أي نادمًا على ضياع مالك.

الآية 30، والآية 31: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي يُوَسِّع الرزق على مَن يشاءُ مِن عباده ويُضَيِّقه على مَن يَشاءُ منهم (وذلك بحسب حِكْمته البالغة ؛ إذ هو سبحانه الأعلمُ بما يُصلِح عباده مِن الفقر والغنى)، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: أي هوالمُطَّلِع على خَفايا عباده، لا يَغيب عن عِلمه شيءٌ من أحوالهم.

♦ فإذا علمتم أنّ الرزق بيَد اللهِ سبحانه، إذاً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾: أي لا تقتلوا أولادكم خوفًا من الفقر، ف﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾: يعني إنّ اللهَ سبحانه هو الرزاق لعباده، فيَرزق الأبناء كما يَرزق الآباء، ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾: يعني إنَّ قَتلَ الأولاد كانَ ذنباً عظيماً عند اللهِ تعالى.

الآية 32: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ أي ابتعدوا عن أسبابه وعن الطرق المُوصلة إليه حتى لا تقعوا فيه، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ يعني إنّ الزنا شيءٌ بالغ القبح ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: وبئس الطريق طريقه (لأنه يؤدي بصاحبه إلى النار).

الآية 33: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ قَتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: يعني إلا بالحق الشرعي (كالقِصاص، ورَجْم الزاني المتزوج، وقتل المُرتَدّ)، واعلم أنّ تنفيذ هذا القِصاص يكون عن طريق وَليِّ الأمر (وهو حاكِمُ البلد)، ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا ﴾ يعني: ومَن قُتِلَ بغير حقٍّ شرعي: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ أي جعلنا لِوَرَثَة المقتول ﴿سُلْطَانًا﴾ أي حُجَّة في أن يَطلبوا من الحاكم قَتْلَ القاتل أو يَطلبوا منه الدِيَة (وهي مائة من الإبل، أو ألف دينار ذهب، أو اثنا عشر ألف درهم فضة)، يَدفعها القاتل إلى أهل المقتول، ﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾: أي فلا يَصِحّ لِوَلِيّ المقتول أن يَتجاوز حَدَّ اللهِ في القِصاص (كأن يُشَوِّه جُثَّة القاتل، أو أن يَقتل – مقابل الواحد – اثنين أو جماعة، أو أن يَقتل غير القاتل)، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾: أي قد وَعَدَ اللهُ وليّ المقتول أن يُعِينه على القاتل حتى يَتمكن مِن قَتْله (بالقِصاص عن طريق الحاكم) أو بأخذ الدِيَة.

www.alukah.net

الآية 34: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ - الذي صارَ في أمانتكم وكَفالتكم - ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: يعني إلا بما يُصلح أمواله لِيَنتفع بها (وذلك باستثمارها له) والإنفاق عليه منها ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: أي حتى يصل إلى سنّ البلوغ وحُسن التصرف في المال، فعندئذٍ أعطوه ماله، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: يعني وأوفوا بكل عهدٍ عاهدتم الله عليه أو عاهدتم عليه العباد ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي مسئولاً عنه، بمعنى أنّ الله سيَسأل صاحب العهد يوم القيامة: (لماذا نقضتَ عهدك؟)، ثم يُعطيه ثوابه إذا أتَمَّهُ ووَفَّاه، ويعاقبه إذا غَدَرَ وخان.

الآية 35: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي لا تُنقِصوا الكَيلَ ﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾ للناس، ولو كانَ شيئاً يسيراً (ما دامَ في الإمكان عدم نَقصه)، أما ما يَصعب الاحتراس منه: فهو مَعفو عنه، لقوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: أي زِنوا بالميزان العادل، ﴿ذَلِكَ﴾ أي العدل في الكَيل والوزن، هو ﴿خَيْرٌ﴾ لكم في الدنيا (إذ يُبارك اللهُ في ذلك المال الحلال بأنواعٍ من البركات لا يَعلمها إلا هو سبحانه)، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: وذلك أحسنُ عاقبةً في الآخرة، (فإنّ مَن تَرَكَ المعصية وهو قادرٌ على فِعلها: أثابهُ اللهُ تعالى بأحسن الثواب في روضات الجنات).

الآية 36: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي لا تَتَّبِع الظن في أمورك – إذ هذا كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ - فلا تَحكم على شيءٍ بمجرد الظن، ولا تَشهد إلا بما رأيته بعينك وسَمِعْته بأذنك وفهِمْته بقلبك، فـ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾: يعني إنّ الإنسانَ مسؤولٌ عما استعمَل فيه سَمْعه وبصره وقلبه، فإذا استعمَلهم في الخير نالَ الثواب، وإذا استعملهم في الشر نالَ العقاب.

♦ واعلم أنّ مِن الأعمال القلبية التي يُعاقب اللهُ عليها: (سُوء الظن بغير دليل، ومَيْل القلب إلى الحُكم بالهوى (أي مِن غير بيِّنة)، وكِتمان الشهادة، وتَبْيِيت الشر للمسلمين، والفرح بما يَحدث لهم مِن مكروهٍ أو خِصام، وكذلك الغل، والحسد، والإعجاب والغرور بالعمل الصالح، والرياء، والكِبْر، والنية السيئة التي يَترتب عليها العمل الفاسد).

♦ واعلم أيضاً أنّ هذا النهي: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قد وَضَعَ حَدّاً لكثير مِن المَفاسد التي تقع بسبب القول بدون عِلم (كالكَذب، وشهادة الزور، واتّهام الناس بالفاحشة لمجرد الظن، وغير ذلك)، فللهِ الحمدُ على تشريعه الحكيم.

الآية 37: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي مُختالاً مُتكبراً، فـ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ بالمشي عليها (لأنّ المُتكبر يَضرب الأرض برجليه اعتزازاً واهتزازاً)، ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (مَهما تعاليتَ وتطاولتَ على الناس)، إذاً فلماذا التكبر عليهم وأنت بَشَرٌ مثلهم؟!، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم –: (لا يَدخل الجنة مَن كانَ في قلبه مِثقال ذرةٍ مِن كِبْر)، فقال رجل: (إنّ الرجل يُحب أن يكون ثوبه حَسَناً ونَعْله حسناً)، فقال صلى الله عليه وسلم: (إنّ اللهَ تعالى جميلٌ يُحب الجمال، الكِبْر: بَطَر الحق – (أي التكبر على الحق وعدم قبوله) – وغَمْط الناس – أي: احتقارهم).

الآية 38: ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ أي جميع ما تقدَّم ذِكرُه مِن أوامر ونَواهٍ: ﴿كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (واعلم أنّ المقصود بكلمة ﴿سَيِّئُهُ﴾ أي الأفعال القبيحة التي ذُكِرَتْ في الآيات السابقة (كالتبذير، والبُخل، وقتل الأولاد، والزنا، وقتل النفس، وأكل مال

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اليتيم، ونقص الكيل والميزان، والقول بغير عِلم، والتكبر على الخَلق)، فكل هذه الأشياء مَكروهة عند اللهِ تعالى، ويُعاقب عليها في نار جهنم)، وأمّا ما كانَ حَسَناً في الآيات السابقة (كعبادة اللهِ تعالى وحده، وبِرّ الوالدين، والإحسان إلى الأقرباء والمساكين وابن السبيل، والوعد الحَسَن بإعطائهم متى تيَسَّر)، فكل هذه الأشياء يُحبُّها اللهُ ويَرضاها، ويُعطي ثوابها في جنات النعيم.

الآية 39: ﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر بمَحاسن الأعمال، والنهي عن سَيّئ الأخلاق، هو ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ يعني: هو مِن الحِكَم التي وَصَّى اللهُ بها عباده ليَهتدوا بها، ويَسعَدوا في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (هذه هي أُمّ الحِكَم، حيثُ بدأ بها سبحانه الآيات السابقة عندما قال: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾، ثم خَتَمَها بها تأكيداً للتوحيد)، إذاً فلا تُشرك أيها الإنسان بعبادة ربك شيئاً ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا ﴾ أي تَلومك نفسك على شِرْكك بربك، وتَصير ﴿مَدْحُورًا﴾ أي مَطرودًا مُبعَدًا من الجنة.

الآية 40: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾: يعني أفخَصَّكم ربكم أيها المُشرِكون بإعطائكم البنين ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾؟! أي واتّخذ سبحانه الملائكة بناتٍ لنفسه؟! (والاستفهام غرضه التوبيخ والإنكار على الكفار الذين قالوا: الملائكة بنات الله) ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾: يعني إنّ قولكم هذا بالغ القُبح والبَشاعة، إذ تَكرهون لأنفسكم البنات وتَنسبونها كَذِباً وافتراءً للهِ تعالى.

الآية 41: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ أي وَضّحنا فيه الأحكام والحُجَج، ونَوَّعْنا فيه المَواعظ والأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي ليَتّعظ الناس ويَتدبروا (فيأخذوا ما يَنفعهم، ويَتركوا ما يَضُرّهم)، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾_أي: ولكنّ هذا البيان والتوضيح لا يَزيدُ الظالمين إلا تَباعُدًا عن الحق، وغفلةً عن التأمل والاعتبار (وذلك لِعِنادهم وحُبِّهم للتقليد الأعمى بغير دليل).

الآية 42، والآية 43، والآية 44: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُشرِكين: ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ﴾ سبحانه ﴿آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ - افتراءً وكذباً على اللهِ تعالى -: ﴿إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾: أي لَطَلَبَتْ تلك الآلهة طريقًا إلى مُغالَبة اللهِ ذي العرش العظيم ليُزيلوا مُلْكه (كما يَفعل ملوك الدنيا)، ثم بَرَّأَ تعالى نفسه مِن أن يكون معه آلهة فقال : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، (واعلم أنّ بعض المُفسرين قد قالوا في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ أي لَطَلَبوا طريقاً إلى اللهِ تعالى ليَلتمسوا رضاه، ويَطلبوا التقرب إليه، وذلك لجَلاله وكَماله، وغِناه عنهم وحاجتهم إليه، واللهُ أعلم).

♦ وهو سبحانه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ - مِن الملائكة والجنّ والإنس - ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: وما مِن شيءٍ مِن سائر المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي يُسَبِّحُ اللهَ تعالى تسبيحاً مَقرونًا بالثناء والحمد ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: أي ولكنكم أيها الناس لا تفهمونَ تسبيحهم.

♦ واعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما تَستقل الشمس – أي ما ترتفع الشمس في يومٍ ما – فيَبقى شيءٌ مِن خَلق اللهِ إلا سَبَّحَ اللهَ بحمده، إلا ما كانَ مِن الشياطين وأغبياء بني آدم) (أي قَليلِي الفِطنة، فهؤلاء لا يُسَبّحونَ ربهم) (انظر حديث

www.alukah.net

رقم: 5599 في صحيح الجامع)، (واعلم أنّ أتْباع إبليس - وإن لم يُسَبّحوا اللهَ بلسانهم - فإنهم يُسَبّحونه بحالهم (إذ يَشهدون بِفِطرتهم أنّ اللهَ سبحانه هو الخالق القادر)، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿كَانَ حَلِيمًا﴾ بعباده، فلا يُعاجل مَن عَصاهُ بالعقوبة، ﴿غَفُورًا﴾ لِمَن تابَ إليه منهم (إذ لو لم يَكن سبحانه حَليماً: لَعَجَّلَ عقوبة مُشرِكي مكة، ولكنه أَمْهَلهم حتى تابَ أكثرهم).

****

3. الربع الثالث من سورة الإسراء

الآية 45، والآية 46: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ يا محمد، فسَمِعَه هؤلاء المُشرِكون: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ حِجَابًا﴾ أي حاجزاً يَحجُب عقولهم عن فَهْم القرآن (عقابًا لهم على كُفرهم واستهزائهم)، وقد جعل اللهُ هذا الحجابَ ﴿مَسْتُورًا﴾_أي لا يُرى، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ يعني أغطيةً ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أي حتى لا يَفهموا القرآن، ﴿وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: أي وجعلنا في آذانهم ما يُشبه الصَّمَم، حتى لا يَسمعوا القرآن سماعَ تدبُّر وانتفاع، (وهذا كله عقوبةٌ لهم مِن اللهِ تعالى، بسبب إيذائهم للرسول صلى الله عليه وسلم وكَراهيتهم لِمَا جاءَ به من الحق).

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ يعني إذا ذَكَرْته سبحانه - داعيًا إلى توحيده، ناهيًا عن الشِرك به -: ﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾: أي رأيتهم يَجْرون نافرينَ مِن قولك، مُستكبرينَ أنْ يُوَحِّدوا اللهَ في عبادته (بسبب تَعلُّق قلوبهم بالشِرك).

الآية 47، والآية 48: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾: أي نحن أعلم بالغرض الحقيقي الذي بسببه يَستمع رؤساء قريش لقراءتك (وهو السُخرية منك ومِمّا تَتلوه) ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ومَقاصدهم سيئة (فليس استماعهم لأجل الاسترشاد وطلب الوصول إلى الحق)، ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾: أي وكذلك نَعلم ما يَقولونه سِرّاً فيما بينهم ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ أي يقول السادة لِمَتبُوعيهم: (ما تَتَّبعونَ إلا رَجُلاً قد أصابه السِحر فأصبح مَخدوعاً به، فلا تتأثروا بكلامه ولا تلتفتوا إليه).

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ : أي تأمَّل أيها الرسول، وتعجَّب مِن قولهم عنك بأنك ساحر شاعر مجنون!!، وذلك حتى يُلقوا الشُكوك حولك، باحثينَ بذلك عن طريقٍ يُخَلِّصهم مِن دعوة التوحيد، ولكنهم لم يستطيعوا، ولذلك قال تعالى: ﴿فَضَلُّوا﴾ أي ضَلُّوا عن طريق الحق والصواب بسبب هذه الأقوال الكاذبة ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي فلا يَجدونَ طريقاً يَرجعونَ به إلى الحق الذي تَركوه، أو يَتمكنوا به مِن صَرْف الناس عن دَعْوَتك (والذي أَوْقعهم في ذلك: تَكَبُّرهم وعِنادهم).

من الآية 49 إلى الآية 52: ﴿وَقَالُوا﴾ أي المُنكِرونَ للبعث: ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ مُتحللة ﴿وَرُفَاتًا﴾ أي تراباً وأجزاءً مُفتّتة: ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ بعد ذلك ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾_بعد الموت؟، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول - على سبيل التعجيز -: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾_أي كونوا كالحجارة في شِدَّتها، أو كالحديد في قوّته، فإنّ اللهَ سيُعيدكم كما بدأكم، وذلك يسيرٌ عليه سبحانه، ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ : يعني أو كونوا خلقًا تَستعظمه نفوسكم، وتَستبعده عقولكم أن يُبعَث مَرّة أخرى

(كالسماوات والأرض والجبال)، فإنّ اللهَ تعالى قادرٌ على إعادتكم وبَعْثكم، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ - مُنكِرين -: ﴿مَنْ يُعِيدُنَا﴾؟ يعني مَن يَرُدّنا إلى الحياة بعد الموت؟ ﴿قُلِ﴾ : ﴿الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي يُعيدكم اللهُ الذي أنشأكم مِن العدم أول مَرّة.

♦ فإذا سَمِعوا هذا الرد، وقامت عليهم الحُجّة: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ : أي فسوف يَهُزُّون رؤوسهم ساخرين ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - مُستبعِدين -: ﴿مَتَى هُوَ﴾ يعني متى يقع هذا البعث؟ ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾_أي هو قريب؛ فإنّ كل آتٍ قريب، ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ سبحانه للخروج من قبوركم – عن طريق نفخة البعث – ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾: أي فتستجيبونَ له مُنقادينَ لأمْره، قائلينَ: (سبحانك اللهم وبحمدك)، كما قال سعيد بن جبير رحمه الله: (يَخرج الكفار مِن قبورهم وهم يقولون: سبحانك وبحمدك) ﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ : أي وتظنون – لهَول يوم القيامة وطُوله – أنكم ما أقمتم في الدنيا (وأنتم أحياء)، ولا في قبوركم (وأنتم أموات) إلا زمنًا قليلاً.

♦ فكأنهم قد نَسوا في تلك اللحظة كل ما مَرّ بهم في الدنيا، وكُلّ ما مَرَّ بهم في القبر، وذلك لِمَا شاهَدوه من أهوال القيامة، ولطُول وقوفهم في حر الشمس، ولتغطية العَرَق لجميع جسدهم، وبسبب رؤيتهم لجهنم التي سيُعَذَّبونَ فيها (والإنسانُ إذا اشتدّ خَوْفه: نَسِيَ كل ما مَرَّ به مِن نعيمٍ أو عذاب، خاصةً إذا قارنَ ذلك بعذاب الآخرة الأبدي).

الآية 53: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ : أي يقولوا الكلمة التي هي أحسن مِن غيرها (وذلك أثناء حديثهم مع الناس)؛ فإنهم إنْ لم يَفعلوا ذلك، فـ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: يعني فإنّ الشيطان يُلقى بينهم العداوة والإفساد ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ أي عداوته ظاهرة للإنسان.

♦ والمقصود أن يَتفكَّروا في كلامهم قبل أن يقولوه للناس، وذلك حتى لا يُؤذوهم به، ولأنّ ذلك سوف يؤدي إلى دخول الشيطان في صَدر مَن تأذّى بكلامهم، فيَنشأ عنده الغِلّ والغضب والكَراهية لهم.

الآية 54، والآية 55: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾_يعني هو سبحانه أعلم بمَن يَستحق الرحمة منكم، ومَن يَستحق العذاب، فـ ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بفَضله، ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بعَدله، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾_يعني: وما أرسلناك أيها الرسول عليهم وكيلاً تُجبِرُهم على الإيمان أو تُجازيهم على أفعالهم، وإنما عليك فقط: (تبليغ ما أُرسلتَ به، وبيان الطريق المستقيم)، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾_فهو سبحانه أعلم بمَن يَستحق الهِداية ومَن يَستحق الضلال، فلذلك فَوِّض أمْرَ الهِداية إليه.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ (هذه الجملة لبَيان أنّ اللهَ تعالى أعلم بخَلقه، وأنه سبحانه يُعطي كل عبد منهم ما يَستحقه، حتى إنه فضَّلَ بعض أنبيائه على بعض، في الخصائص والفضائل والكتب وغير ذلك) ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ أي: وأعطينا داود كتاباً اسمه الزَبور، وهو كتابٌ لم يُذكَر فيه الحلال والحرام والفرائض والحدود (لعدم الحاجة إلى ذلك لوجود التوراة بين اليهود)، وإنما هو كتابُ دعاءٍ وأذكار ومَواعظ (وهذا نوع من أنواع التفضيل).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية 56: ﴿قُلِ﴾ أيها الرسول لمُشركي قومك: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾: أي ادعوا مَن تعبدونهم مِن دون اللهِ إذا مَسَّكم الضرّ: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾: أي فإنهم لا يستطيعونَ ﴿كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾ أي إزالته عنكم (بشفاء المريض مَثلاً) ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي ولا يَقدرون على تحويل هذا الضر مِن حالٍ إلى حال، أو مِن شخصٍ إلى شخص (كأن يُحَوِّلوا المرض مَثلاً مِن الشخص المريض إلى شخصٍ آخر – عدو له - ليَمرض به)، فالقادر على ذلك هو اللهُ وحده.

♦ واعلم أنّ هذه الآية عامة في كل ما يُدْعَى مِن دون اللهِ تعالى – من الأنبياء والصالحين وغيرهم - مِمّن يَتقرب الناس إليهم، أو يُنادونهم بلفظ الاستغاثة أو الدعاء (إذ لا يَكشف الضر إلا الله).

♦ وهنا يَنبغي أن نَعرف مَعنى كلمة: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها كنز من كنوز الجنة، وذلك حتى نقولها بخشوعٍ للهِ تعالى – ونحن نَستشعر معناها - فتكون أدعَى للقبول عند الله عَزَّ وجَلّ.

♦ فأمّا معنى (لا حَول): أي لا تَحوُّل عن مَعصية اللهِ إلى طاعته إلاّ بإعانته سبحانه، وأمّا معنى (لا قوة) أي لا قوة على أداء الطاعة – كما يُحب ربنا ويَرضى ويَقبل – إلا بإعانته سبحانه، (وبالجُملة، فإنه لا تحوُّل عن شيءٍ إلا بالله، ولا قوّةَ على شيءٍ إلا بالله، واللهُ أعلم).

الآية 57: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعني أولئك الذين يُناديهم المُشركون – مِن الصالحين وغيرهم – هم أنفسهم ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾: أي يَطلبون القُربَ من ربهم بالطاعات وأنواع القُرُبات، ويَتنافسون في الحصول على رضاه عنهم بما يَقدرون عليه، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ سبحانه ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.

♦ واعلم أنّ سبب نزول قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ - كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه – أنّ أُناساً من العرب كانوا يَعبدونَ بعض الجنّ، فأَسْلَمَ الجِنيّون، ولم يَشعر الذين يَعبدونهم بإسلامهم، فبَقوا يَعبدونهم.

♦ وفي الآية بيان حقيقة عقلية وهي أنّ دُعاء الأولياء والاستغاثة بهم والتقرب إليهم: هو أمْرٌ باطل، لأنّ الأولياء كانوا قبل مَوتهم يَطلبون القُرب مِن ربهم بأنواع الطاعات والقُرُبات، ومَن كان يَعبُد لا يُعبَد، ومَن كان يَتَقرّب لا يُتَقرَّب إليه، ومَن كان يَتَوَسَّل لا يُتوسَّل به، بل يُعبَد الذي كانَ يَعْبُدُه الأولياء، ويُتَقرَّب إلى الذي كانوا يَتَقرَّبونَ إليه، وهو اللهُ سبحانه وتعالى.

♦ واعلم أنّ هذه الآية قد جمعتْ بين الخوف والرجاء، إذ هُما – بالنسبة للإنسان – كَجِناحَي الطائر، فإذا انكسر أحدهما: لم يَطِر الآخر، ولذلك لابد للمؤمن منهما، فالخوف يَدفعه إلى أداء الفرائض واجتناب المُحَرَّمات، والرجاء يَدفعه إلى المسابقة في الخيرات، وبذلك تتم ولايته لربه ويأمَن عاقبة أمْره (وأمّا رأس هذا الطائر – كما يقول العلماء – فهو حُبّ العبد للهِ تعالى، إذ بدونه لا يستطيع العيش).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ : يعني إنّ عذابَ ربك هو الذي يَجب أن يَحذره العباد - بتَرك المعاصي - لأنّ عذابه لا يُطاق ولا يُحتمَل.

•الآية 58: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: يعني وما مِن قريةٍ - والمقصود هنا: القرى الظالمة المُكَذِّبة للرُسُل - ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ ببلاءٍ شديدٍ يُصيبُ أهلها الكفار، ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ : يعني وهذا قضاءٌ كَتَبَهُ اللهُ في اللوح المحفوظ، ولابد مِن وقوعه.

الآية 59: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ : يعني ولم يَمنعنا مِن إنزال المُعجزات التي طلبها كفار مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ يعني إلا تكذيب مَن سَبَقهم من الأمم (فقد أجابهم اللهُ إلى ما طلبوا، فكَذَّبوا، فأهلكهم الله)، فلو أعطى اللهُ كفارَ قريش تلك المعجزات التي طلبوها، ثم كَذَّبوا بها لأَهلكهم، وهو سبحانه لا يريد إهلاكهم، بل يريد هدايتهم، ليَهتدي على أيديهم خلقاً كثيراً من العرب وغيرهم كما حدث، ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ أي: ولقد أعطينا ثمود - وهم قوم صالح - مُعجزةً واضحة (وهي الناقة) ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي كَذَّبوا بها وذبحوها، فظلموا بذلك أنفسهم (واعلم أنّ ظُلم النفس هو تعريضها لعذاب اللهِ تعالى)، ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ : يعني وما نُرسِلُ الرُسُل بالمُعجزات إلا لنُخَوِّف العباد مِن التكذيب بها حتى يؤمنوا ويطيعوا.

الآية 60: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ ﴾ أي اذكر - أيها الرسول - حين قلنا لك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ يعني إنه سبحانه مُحيطٌ بعباده، قادرٌ عليهم، وهم تحت قهره وسلطانه، فلا تَخَف منهم أحداً، فإنّ اللهَ سيَنصرك على مَن استمر منهم في الظلم والعناد، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾: يعني وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها بعَينك - من عجائب المخلوقات - ليلة الإسراء والمعراج ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي اختبارًا لهم، ليَتميز الكافر مِن المُؤمن، (واعلم أنّ لفظ الرؤيا يُطلق على الرؤيا في المنام، وكذلك يُطلق على رؤية العين، وقد قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما - كما في صحيح البخاري -: (هي رؤيا عين - أي: رؤيا حقيقية بالعين - أُرِيهَا النبي صلى الله عليه وسلم ليلةَ أُسْرِيَ به إلى بيت المقدس).

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ أي: وكذلك شجرة الزقوم الملعونة، التي ذُكِرَتْ ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ جعلناها فتنةً لأهل مكة، إذ أخبَرَ سبحانه أنها شجرةٌ تخرج في أصل الجحيم، فقالوا: (كيف يَصِحّ وجود نخلة في وسط النار، والنار لا تحرقها؟)، (وقد قيل إنها (ملعونة) لأنّ العرب كانوا يقولون في كل طعامٍ مَكروه: (إنه ملعون)، ويُحتمَل أن يكون المقصود باللعن هنا: (لَعْن آكِلِها)، أي: الشجرةُ الملعون آكلها، واللهُ أعلم)، ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بهذه الشجرة، وأنها تغلي في البطون كغَلي الحميم (وهو الماء الساخن)، وكذلك نُخَوّفهم بمختلف أنواع العذاب ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ أي لا يَزيدهم إلا استمراراً في الكفر والتكبر عن قبول الحق.

الآية 61، والآية 62: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي اذكر أيها الرسول لهؤلاء المُشركين - الذين أطاعوا عَدُوّهم وعَدُوّ أبيهم، وعصوا ربهم مِن أجْله - فاذكر لهم حين قلنا للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (سجود تحية وتكريم، وليس سجود عبادة وخضوع)، ﴿فَسَجَدُوا﴾ جميعًا ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الذي كان معهم (يَعبد اللهَ تعالى)، فإنه ﴿قَالَ﴾ لِله تعالى - مُظهِراً كِبْرَه وحسده

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾؟ يعني أأسجد لهذا الضعيف، المخلوق من الطين؟، و ﴿قَالَ﴾ إبليس للهِ تعالى: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾: يعني أرأيتَ هذا المخلوق الذي فضَّلتَهُ عليَّ بالأمر بالسجود له: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ يعني لئن أبقيتَني حيًا ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ يعني لأستولينَّ على ذريته، فأقودهم إلى الضَلال والإفساد، (كالدابّة التي يقودها راكبها وهو يضع اللجام في حَنَكها، أي في فمها) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، وهم الذين أخلصوا عبادتهم لك (كما جاء ذلك في سورة الحِجر)، (واعلم أنّ قول إبليس: (إلا قليلاً) كانَ ظناً منه فقط، كما قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية 63، والآية 64، والآية 65: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى مُهَدِّدًا إبليس وأتْباعه: ﴿اذْهَبْ﴾ مَطروداً من الجنة، مُمهَلاً إلى وقت النفخة الأولى (وهي نفخة فَناء الكون)، ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ يعني: فمَن أطاعك مِن ذرية آدم: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾: يعني فإنّ عقابكم سيكون وافراً كاملاً في نار جهنم، ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾: أي اخدع كل مَن تستطيع خداعه منهم ﴿بِصَوْتِكَ﴾ أي بدعوتك لهم إلى المعاصي، ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: أي اجمع عليهم مَن استطعت مِن جنودك (مِن كل راكبٍ وماشي) لإضلالهم، (واعلم أنّ الإجلاب هو الصياح بصوت مسموع للتحريض على فِعل شيء)، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾: أي كُن شريكاً لهم في أموالهم (بتزيين الكسب الحرام لهم)، وشريكاً لهم في أولادهم (بتزيين الزنا لهم)، ﴿وَعِدْهُمْ﴾ بالوعود الكاذبة (بأنهم لن يُعذَّبوا، أو بأنه سيُغفَر لهم، حتى وإن استمروا على المعاصي ولم يتوبوا) ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي خِداعاً لا صِحَّة له، ولا دليلَ عليه.

♦ وقال تعالى له: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي المُخلَصين، الذين أطاعوني واعتصموا بي منك ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي ليس لك قدرةٌ على إضلالهم، وليس لك قوة تتسلط بها على قلوبهم ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: أي كفى بربك حافظاً للمؤمنين مِن كيدك وإضلالك.

الآية 66: ﴿رَبُّكُمُ﴾ - أيها الناس – هو ﴿الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾: أي يُسَيِّر لكم السفن في البحر بواسطة الرياح ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي لتطلبوا رزقَ اللهِ في أسفاركم وتجاراتكم، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي كتبَ على نفسهِ أنه رحيمٌ بكم (ومِن رحمته بكم أنْ سَخَّرَ لكم البحر ليَحمل السفن رغم ثِقَلها).

الآية 67: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾: يعني إذا أصابتكم شِدَّةٌ في البحر، حتى قاربتم على الغرق والهلاك، فحينئذٍ: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾: أي غابَ عن عقولكم كل مَن تعبدونهم مِن دون الله، وتذكَّرتم اللهَ وحده ليُنقذكم، فأخلصتم له الدعاء والاستغاثة، ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ سبحانه ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإيمان والعمل الصالح، وهذا مِن جَهْل الإنسان وكُفره ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ أي جَحودًا لنعم اللهِ تعالى، مُعرِضاً عن شُكره (إلا مَن عَصَمَه اللهُ تعالى، وعَلَّمَه أن الذي يُنَجِّي من الشدائد والأهوال، هو الذي يَستحق أن تُخلَص له سائر الأعمال، في الشدة والرخاء).

الآية 68، والآية 69: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾: يعني هل أَمِنتم – أيها الناس – إنْ كَفرتم بربكم وعَصيتموه ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾؟ أي يَخسف بكم الأرض كما فعل بقارون؟ ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾؟ يعني أو يُمْطركم بحجارةٍ من السماء فتقتلكم؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي: ثم لا تجدوا أحدًا يَحفظكم مِن عذابه؟_﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾؟ يعني أم أمِنتم أن يُعيدكم في البحر مَرَّةً أخرى؟ ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي يُرسل عليكم ريحًا شديدة تُكسِّر كل ما جاءت عليه ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي بسبب كُفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ أي: ثم لا تجدوا لكم أحداً يَنصركم علينا، أو يُطالبنا بحقٍ لكم علينا بسبب إغراقنا لكم، فإنّ الله لم يَظلمكم مِثقالَ ذرة.

****

4. الربع الرابع من سورة الإسراء

الآية 70: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (بالعقل والعِلم والنُطق واعتدال الخلق، وسَخَّرنا لهم جميع ما في الكون) ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: أي سَخَّرنا لهم الدَوَابَّ (في البر) والسفن (في البحر) لتحملهم، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي مِن طيّبات المَطاعم والمَشارب، (وفي هذا دليل على إبطال الزُهد في لذيد الطعام – كالعسل واللحوم والفواكه –، والاكتفاء بالخبز بالملح ونَحْوه (مع توفر طيِّب الطعام والشراب)، فهذا مُخالِفٌ لمَنهج السَلَف الصالح)، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي تفضيلاً كبيراً، (فالآدميون أفضل من الجن والحيوانات، وكذلك الصالحون المُتَّقون – مِن بني آدم – أفضل من الملائكة)، إذاً فلماذا لا يَشكر بنو آدم ربَّهم على ذلك التفضيل فيوَحّدوه ويُطيعوه، ولا يَنشغلوا بهذه النعم عن عبادته، ولا يَستعينوا بها على مَعاصيه؟!

الآية 71، والآية 72: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: أي اذكر أيها الرسول يوم القيامة، حين يَدعو اللهُ كل جماعة من الناس مع إمامهم الذي كانوا يَقتدون به (في الخير أو الشر)، فيَتقدم ذلك الإمام ووراءه أتْباعه وتُوَزَّع الكتب عليهم واحداً واحداً، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: أي فمَن كانَ منهم صالحًا، وأُعطِيَ كتاب أعماله بيمينه: ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ وهُم فَرِحون مُستبشِرون ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: أي لا يُنْقَصونَ مِن ثواب أعمالهم الصالحة شيئًا (ولو كان مقدارَ الخيط الذي في نواة التمرة).

♦ وأما الذين يأخذون كتابهم بشمالهم فقد قال سبحانه عنهم: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ يعني أعمى القلب عن آيات اللهِ تعالى، فلم يؤمن بها رغم وضوحها: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن سلوك طريق الجنة، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ مِن ضلال الدنيا (لأنّ ضَلال الآخرة ليس له مَخرج).

من الآية 73 إلى الآية 77: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني: ولقد قارَبَ المُشركون أن يَصرفوك – أيها الرسول – عن القرآن الذي أنزلناه إليك ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾: أي لتقول علينا غير الذي أوحيناه إليك، فتَجيء لهم بما يُوافق أهواءهم، وتترك ما أنزل اللهُ إليك (وذلك حين طلبوا منه أن يَترك تبليغ ما فيهِ سَبٌّ لآلهتهم، وأن يَتصالح معهم ولو مؤقتاً)، وهذا مَكرٌ منهم وخديعة، إذ لو وافقهم على شيءٍ لَطالَبوه بآخر، ولقالوا: (إنه لا يُوحَى إليه، بدليل قبوله مِنّا كذا، وتنازُله عن كذا)، ﴿وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ يعني ولو فعلتَ ما أرادوه: لاتَّخذوكَ حبيبًا خالصًا، ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ

www.alukah.net

﴿تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾: يعني ولولا أنْ ثبَّتناك على الحق، وعصمناك عن مُوافقتهم، لَقاربْتَ أن تميل إليهم مَيْلاً قليلاً (لِكثرة رغبتك في هدايتهم)، ﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ﴾: يعني ولو رَكَنت إليهم ركوناً قليلاً، ووافقتَهم على بعض اقتراحاتهم: لأذقناكَ ﴿ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ أي لَضاعَفنا عليك العذابَ في الدنيا والآخرة (وذلك لِعَظيم نعمة اللهِ عليك وكمال مَعرفتك)، (ويُحتمَل أن يكون المقصود بعذاب الدنيا: تراكم المصائب أثناء مُدّة الحياة)، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ أي: ثم لا تجد أحدًا ينصرك ويَدفع عنك عذابنا.

♦ وفي هذه الآيات دليلٌ على أنه بحَسَب عِلم العبد ومَكانته: يَتضاعف عقابه (إذا فعل ما يُلامُ عليه)، كما قال تعالى لنساء النبي في سورة الأحزاب: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾.

♦ وفي الآيات أيضاً دليلٌ على شدة افتقار العبد إلى تثبيت اللهِ له، وأنه يَنبغي أن يَظل مُتذللاً لربه أن يُثبته على الإيمان، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم - وهو أكمل الخلق -، قال اللهُ له: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ فكيف بغيره؟!

♦ ولمّا فشلوا في المحاولات السِلمية مع الرسول صلى الله عليه وسلم، أرادوا استعمال القوة، فقرروا إخراجه من مكة بالموت أو الطرد، فأخبره تعالى بذلك - إعلاماً له وإنذاراً لهم - فقال: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ أي: ولقد قارَبَ الكفار أن يُخرجوك من "مكة" بإزعاجهم لك، ﴿وَإِذًا﴾: يعني ولو أخرجوك منها كَرهاً: ﴿لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني ما أقاموا فيها خَلفك - أي بعدك - إلا زمنًا قليلاً حتى تَحِلّ بهم العقوبة العاجلة، ولكنَّ اللهَ صَرَفهم عنك حتى خرجتَ أنتَ باختيارك (عِلماً بأنّ اللهَ تعالى قد أوقع بهم يوم بدر، وقَتَلَ زعمائهم، وذلك بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، فللهِ الحمد)، ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾: أي تلك هي سُنَّة اللهِ تعالى في إهلاك الأُمّة التي تُخرِجُ رسولها مِن بلده، ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: يعني ولن تجد - أيها الرسول - لسُنَّتنا تغييرًا ولا تبديلاً، إذ وَعْدنا ثابتٌ لا يَتخلف.

من الآية 78 إلى الآية 81: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ (هذا أمْرٌ من اللهِ لرسوله بأداء الصلاة بشروطها وأركانها، في خشوعٍ واطمئنان، فإنها مَأمن الخائفين، ومَنار السالكين، ومِعراج الأرواح إلى ساحة الأفراح)، وكذلك أمَرَهُ سبحانه أن يؤديها ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي ابتداءً من وقت تَحَرُّك الشمس عن وسط السماء (وهو وقت الظهر) ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: يعني إلى وقت اشتداد ظلام الليل (ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء)، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ (والمقصود بقرآن الفجر هنا: أداء صلاة الفجر والقراءة فيها، لأنّ هذا عطفٌ على مواقيت صلاة الفريضة (من الظهر إلى العشاء))، (وقد يأتي لفظ "الصلاة" ويُراد به القراءة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي لا تجهر بقراءتك في الصلاة)، (واعلم أنّ اللام التي في كلمة (لِدُلُوكِ) تُسَمَّى (لام التوقيت)، وهي بمعنى: عِندَ).

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: يعني إنّ صلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين -: (يَتعاقبون فيكم - أي يَتناوبون فيكم - ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يَعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: (كيف تركتم عبادي؟)، فيقولون: (تركناهم وهم يُصَلّون، وأتيناهم وهم يُصَلّون).

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ يعني: وقُم مِن نومك – أيها النبي – بعض الليل، لتتجهد بالقرآن (والمَعنى أنْ تؤدي صلاة "قيام الليل" وتقرأ القرآن فيها)، حتى تكون صلاة الليل ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ أي زيادةً لك في عُلُوّ القدر ورَفع الدرجات.

♦ وبهذا قد جعل اللهُ قيام الليل واجباً على النبي صلى الله عليه وسلم – بصفة خاصة – زيادةً له في الثواب والتشريف، ولهذا وَعَدَهُ اللهُ بعدها أن يَبعثه مَقاماً محموداً، فقال: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ أي: وسوف يأتي اللهُ بك شافعًا للناس يوم القيامة؛ ليَرحمهم سبحانه مِمّا يكونون فيه، (واعلم أنّ كلمة (عسى) إذا جاءت من اللهِ تعالى، فإنها تفيد الوجوب وتأكيد الوقوع)، ولهذا فقد بَشَّرَ اللهُ رسوله في هذه الآية بأن يُقيمه يوم القيامة (مقاماً محموداً) يعني يَحمده عليه الأولون والآخرون (أي يُثنون عليه في ذلك الموقف)، فكما ثَبَتَ في الصحيحين أنّ آدم عليه السلام يَتخلى عن الشفاعة، وكذلك سائر الأنبياء، حتى تنتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: (أنا لها، أنا لها)، فيستأذن ربه في الشفاعة، فيأذن اللهُ له، فيَشفع للخلائق في فصل القضاء، حتى يَستريحوا مِن شدة الموقف وطُوله وحَرِّه.

﴿وَقُلْ﴾ أيها الرسولُ – في دعائك -: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: يعني أدخِلني المدينة – دارَ هِجرتي – إدخالاً مَرضياً لا أرى فيه مكروهاً، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ أي: وأخرجني من مكة إخراجاً يَجعلني لا ألتفت إليها بقلبي شوقاً وحَنيناً (وهذه بشارةٌ من اللهِ تعالى لرسوله بأنه قد أَذِنَ له بالهجرة)، ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ : أي اجعل لي مِن عندك حُجّة ثابتة، تنصرني بها على جميع مَن خالفني (وقد استجاب اللهُ دعائه فأيَّده بأعظم حُجّة، حيثُ حَفَظَ القرآن إلى قيام الساعة، وأوْصَلَ الإسلام إلى جميع الناس، ليكون ذلك شاهداً على نُبُوّته صلى الله عليه وسلم).

﴿وَقُلْ﴾ أيها الرسول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾: أي جاء الإسلام وذهب الشِّرك، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: يعني إنّ الباطل لا بقاءَ له ولا ثبات، والحق هو الثابت الباقي الذي لا يزول، (وهذه بشارةٌ أخرى بأنّ اللهَ تعالى سيَفتح له مكة، ويُدخِله فيها مُنتصراً).

الآية 82: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ أي: ونُنَزِّل من آيات القرآن ما يَشفي القلوبَ مِنَ الأمراض (كالشَكّ والنفاق والجهل)، وما يَشفي الأبدان (برُقْيتها به)، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول صلى الله عليه وسلم بَعَثهم - وكانوا ثلاثين راكباً – فنزلوا على قومٍ من العرب، فسألوهم أن يُضَيِّفوهم، فرفضوا، فلُدِغَ سيِّد الحَيّ (يعني إنّ سيد القوم قد لَدَغه عقرب)، فجاء رجلٌ إلى الصحابة وقال لهم: (فِيكم مَن يَرقي من العقرب؟)، قالوا: (نعم، لكنْ حتى تُعطونا)، فقال: (إنّا نعطيكم ثلاثين شاة)، فرَقاهُ أحد الصحابة بفاتحة الكتاب، قرأها عليه سبع مرات، فشفاه الله.

﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني إنّ هذا القرآن رحمة للمؤمنين بصفة خاصة، وذلك لأنهم يَعملون به، فيَرحمهم اللهُ تعالى بسببه، ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: أي ولكنّ الكفار لا يَزيدهم القرآن إلا هلاكاً، لأنه قد أقام الحُجّة عليهم.

الآية 83، والآية 84: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بمالٍ وصحةٍ وغير ذلك: ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر فلم يَشكر، ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾: أي تباعَدَ عن طاعة ربه، وتكَبَّرَ على الناس، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ : يعني وإذا أصابته شِدَّةٌ – مِن فقر أو

www.alukah.net

مرض أو غير ذلك – فإنه يكون شديد اليأس مِن رحمة اللهِ تعالى وفَرَجه، ساخطاً على قضائه (إلا مَن عَصَمه اللهُ في حالتَي الرخاء والشدة)، كما قال تعالى في سورة هود: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي على ما أصابهم من الضُرّ (احتسابًا للأجر عند اللهِ تعالى)، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ شُكراً للهِ على نِعَمِه ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُشركين: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ يعني: كُلٌّ واحدٍ منا ومنكم يَعمل على طريقته التي تليق بحاله من الهدى والضلال والشكر والكفر ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ : أي فرَبُّكم أعلم بمَن هو أهدى منا ومنكم إلى طريق الحق فيُعطيه الثواب، ومَن هو أضَلّ سبيلاً فيُنزل به العقاب.

الآية 85: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾: أي يَسألك الكفار عن حقيقة الروح التي يَحيا بها الجسد، ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾: يعني إنّ حقيقة الروح من الأمور التي اختصَّ اللهُ بها نفسه وانفرد بعِلمها، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ : يعني وما أُعطِيتم من العلم – أنتم وجميع الناس – إلا شيئًا قليلاً.

♦ واعلم أنّ سبب نزول هذه الآية أنّ المُشركين بَعَثوا النَضر بن الحارث وعُقبة بن أبي مُعَيْط إلى علماء اليهود في المدينة، لِيَسألاهم عن أمْر النبي صلى الله عليه وسلم ، فطلب اليهود منهما أن يسألوه عن ثلاثة أشياء (عن أهل الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح)، وقالوا لهم: (إنْ أخبَرَكم عن اثنين وأمْسَكَ – أي امتنع – عن واحدة فهو نبي)، فأنزل اللهُ سورة الكهف (وفيها الجواب عن أصحاب الكهف وذي القرنين)، وأنزل هذه الآية: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾، (ولمَّا كانَ سؤالهم هذا دالٌ على ادّعائهم العلم، أخبرهم سبحانه أنَّ ما عندهم من العلم قليلٌ بجانب عِلم اللهِ تعالى).

الآية 86، والآية 87: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (وهو القرآن الذي حاولوا فِتنتك عنه)، فإنْ شِئنا أنْ نمحوه من قلبك - أيها الرسول – لَفعَلنا ذلك (عقوبةً لهم على رَفْضهم للقرآن، وهو أعظم النعم)، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي: ثم لا تجد ناصرًا يَمنعنا مِن مَحو القرآن، أو يأتيك به مرة أخرى إذا مَحوناه ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني: لكنْ أبقيناه في قلبك (رحمةً من ربك)، إذ جعله سبحانه شاهداً على صِدق نُبوّتك إلى قيام الساعة ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾_فقد أعطاك هذا القرآن العظيم، والمقام المحمود، وجَعَلَ رسالتك عامة لجميع الإنس والجن، وعَرَجَ بك إلى الملكوت الأعلى، ونَصَرَكَ بقذف الرعب في قلوب أعدائك، وغير ذلك مما لم يُعطه أحدًا من العالمين.

الآية 88: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول للناس: ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ المُعجِز في الفصاحة والبلاغة، وما احتوى عليه من الغيوب والشرائع والأحكام: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ : أي لا يَستطيعون الإتيان به، لأنه وَحْي اللهِ وكتابه، وحُجّته على خَلقه إلى قيام الساعة، ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: يعني ولو تعاونوا جميعاً على ذلك.

من الآية 89 إلى الآية 93: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي بَيَّنَّا ونَوَّعنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ لِنُقيم عليهم الحُجّة، ولِيَعتبروا به ويؤمنوا ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: أي فلم يَقبل أكثر الناس إلا الجحود بحُجَجِ اللهِ رغم وضوحها.

♦ ولمّا أعجزَ القرآنُ مُشركي قريش وغلَبهم، أخذوا يَطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم مُعجزات بحسب أهوائهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ أي حتى تُفجِّر لنا من أرض "مكة" عَيْنًا جارية من الماء لا تَجِفّ، ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ أي حديقة ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ (وقد خصُّوا العنب والتمر لمكانتهما عند العرب وكثرة فوائدهما)، ﴿فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ : أي فتجعل الأنهار تجري في وسط هذه الحديقة بغزارة، ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ أي قِطعًا من العذاب كما زعمتَ (يقصدون بذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾)، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ يعني لنُشاهدهم مُقابَلةً وعياناً بالبصر، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ أي مِن ذهب، ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ : يعني أو تصعد بسُلَّم إلى السماء، ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ : يعني ولن نُصَدِّقك في صعودك ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾ أي حتى تعود ومعك كتابٌ من اللهِ نقرأ فيه أنك رسول الله حقا، ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول – مُتعَجبًا مِن عِنادهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾!! ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؟! يعني هل أنا إلا عبدٌ من عباد اللهِ مُبَلِّغٌ لرسالته؟! فكيف أقدر على فِعل ما تطلبون؟!

الآية 94، والآية 95: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ : يعني ولم يَمنع الكفارَ من الإيمان باللهِ ورسوله، حينَ جاءهم هذا البيان الكافي من عند اللهِ ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ - جهلا واستكبارًا -: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ؟ ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول- : ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ عليها ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي ساكنينَ في الأرض لا يُغادرونها: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ _مِن جِنسهم، ولكنَّ أهل الأرض بَشَر، ولذلك لابد أن يكون رسولهم بَشَر مِثلهم، حتى يَتمكنوا من مُخاطبته وفَهْم كلامه.

الآية 96: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صِدْق نُبوّتي، فشهادته تعالى لي بالنُبوّة هي ما أعطاه لي من المُعجزات الباهرات (كانشقاق القمر وغيرها)، وكذلك وَحْيُهُ إليّ بهذا القرآن الذي أنذركم به، والذي لا يستطيع أن يقوله بَشَر (وأنتم تعلمون ذلك لأنكم أبْلغ البشر)، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ لِذا فهو يَعلم الصادق من الكاذب، وسيَجزي كُلاً بما يَستحق.

****

5. الربع الأخير من سورة الإسراء

الآية 97، والآية 98، والآية 99: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: يعني ومَن يَهده اللهُ تعالى فهو المهتدي إلى الحق، ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾: يعني ومَن يُضلله اللهُ تعالى، فيَخذلْه ويَتركه لنفسه وهواه: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴾: أي فليس لهم أولياء يَهدونهم مِن دون اللهِ تعالى، (وفي هذا الكلام تصبيرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم على قومه المُصِرّين على الجحود برسالته)، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾: أي ونَحشر هؤلاء الضالينَ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فنَجعلهم يَمشونَ ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ (وذلك عند حَشْرهم إلى جهنم)، فإذا دخلوها: سُحِبُوا على وجوههم، كما قال تعالى في سورة القمر: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾، وقد

www.alukah.net

ثَبَتَ في صحيح البخاري أنّ رَجُلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم : (كيف يُحشَرُ الكافر على وجهه يوم القيامة؟)، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أليس الذي أمْشاهُ على الرِّجْلين في الدنيا قادراً على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة؟).

♦ وكذلك يكونون ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: أي لا يَرون ولا يَنطقون ولا يَسمعون (هذا في حال حَشْرهم إلى جهنم)، ثم إذا دخلوها: عادت إليهم حَواسّهم، وذلك للآيات القرآنية المُصَرّحة بهذا، فمِن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾، وقوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي مصيرهم إلى نار جهنم التي ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾: أي كلما سَكَنَ لَهيبها، وخَمَدَتْ نارها: ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: أي زِدناهم نارًا ملتهبة تشوي جلودهم، ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة ﴿وَقَالُوا﴾: ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ مُتَحللة ﴿وَرُفَاتًا﴾ أي تراباً وأجزاءً مُفتتة: ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ بعد ذلك ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ بعد الموت؟

♦ فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وما فيهنّ مِن المخلوقات، ألم يَعلموا أنه سبحانه ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؟ أي مِثل هؤلاء المُشركين بعد فنائهم؟، والجواب: بلى قد عَلِموا، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾: أي وقد جعل سبحانه لهؤلاء المُشركين وقتًا مُحددًا لبَعْثهم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك فيه، وذلك لوضوح الحق وظهور أدِلّته، ولكنْ رغم ذلك: ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي فلم يَقبل الكافرون إلا الجحود بدين اللهِ عزَّ وجلَّ.

الآية 100: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُشركين: ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ التي لا تنتهي - مِن المطر والأرزاق وغير ذلك - ﴿إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ﴾: أي لَبَخِلتم بها، ولم تُعطوا منها غيركم ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ أي خوفًا مِن إنفاقها كلها فتصبحوا فقراء، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ أي بخيلاً بما في يده (إلا مَن عَصَمَه اللهُ تعالى، وأعانه على علاج هذا البخل بالدواء النافع الذي جاء في سورة المعارج، بِدءاً من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾).

من الآية 101 إلى الآية 104: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: ولقد أعطينا موسى تسع مُعجزات واضحات، تدل على صِدْق نبوته (وهي العصا واليد، والسنوات الشديدة، ونقص الثمرات، والطوفان والجراد، والقمل والضفادع والدم)، فهل آمَنَ بها فرعون؟! لا، وكذلك لو أعطيناك ما طالَبَكَ به المُشركونَ: لم ليؤمنوا، إذاً فلا فائدة مِن إعطائك إياها، حتى لا يُكَذِّبوا بها، فيُهلكهم اللهُ تعالى كما أهلك فرعون وجنوده.

﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾: أي فاسأل اليهود - أيها الرسول - (سؤالَ تقرير)، حينَ جاءَ موسى لأسلافهم بمُعجزاته الواضحات ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ أي أظن أنك ساحرٌ مغلوبٌ على عقلك بما تأتيه من غرائب الأفعال، ف ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ أي لقد تَيَقّنتَ يا فرعون أنه ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾: أي ما أنزل هذه المعجزات التسع ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لتكون ﴿بَصَائِرَ﴾ أي لتكون دلالاتٍ يَستدِل بها أصحاب البصائر على وحدانية اللهِ تعالى، وعلى صِدق نُبُوَّتي ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: يعني وإني لَعَلَى يقين بأنك يا فرعون هالكٌ مغلوب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ فلمّا أعْجزَتْ فرعونَ هذه الحُجج والآيات: لَجَأَ إلى القوة ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أي فأراد أن يُخرج موسى مع بني إسرائيل مِن أرض " مصر " (بالقتل الجماعي، أو بالنفي والطرد والتشريد ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾، ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾: أي اسكنوا أرض الشام، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ﴾: يعني فإذا جاء يوم القيامةِ ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ مِن قبوركم إلى موقف الحساب ﴿لَفِيفًا﴾ أي جميعًا مِن مختلف البلاد والقبائل.

الآية 105: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾: يعني وأنزلنا هذا القرآن – على محمد صلى الله عليه وسلم – بالحق الثابت الذي لا شَكَّ فيه، ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾: أي ونزل مُشتملاً على الحق الواضح، ومحفوظاً من التغيير والتبديل، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة لمن أطاع الله، ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي مُخَوِّفًا بالنار لمن كَفَرَ به وعَصاه، (والمقصود أنّ اللهَ تعالى لم يُرسله لإجبار الناس على الإيمان والتوحيد، وإنما أرسله للدعوة والتبليغ، (وفي هذا تخفيفٌ له صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاه من تكذيب قومه).

من الآية 106 إلى الآية 109: ﴿وَقُرْآَنًا فَرَقْنَاهُ﴾: أي وأنزلنا إليك قرآنًا جعلناهُ فارقًا بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وقد أنزلناهُ ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ أي على مَهل، ليَفهمه المستمع إليه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾: أي ونَزَّلْناه شيئًا بعد شيء (بحسب الحوادث الأحوال)، (واعلم أنّ اللفظ ﴿تَنْزِيلًا﴾ للتأكيد على أنّ نزوله كان آية بعد آية، وسورة بعد سورة، حتى اكتمل نزوله).

﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول – لهؤلاء المُكذِّبين: ﴿آَمِنُوا بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ فإنّ إيمانكم لن يَزيده كمالاً، وتكذيبكم لن يُلْحِق به نَقصًا، و ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني إنّ العلماء الصادقين، الذين أعطاهم اللهُ الكتب السابقة مِن قبل القرآن (كعبد الله بن سلام وسَلمان الفارسي والنجاشي)، فهؤلاء ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ يعني إذا قُرِئَ عليهم القرآن، إذا هم ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ أي يَخشعون، فيَسجدوا على وجوههم لِلهِ سبحانه وتعالى، (ومَعلومٌ أن السجود على الجبهة والأنف، وإنما ذَكَرَ سبحانه الأذقان هنا، لأنّ اللحية إذا كانت طويلة (كما هي السُنَّة)، فإنها تصل إلى الأرض قبل الجبهة والأنف).

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ أي تنزيهاً لربنا وتَبرئَةً له مِن أن يُخلِفَ وعده، فقد أرسَلَ لنا النبي الأُمِيّ الذي وَعَدنا به في التوراة والإنجيل، و﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ أي: ولقد كانَ وَعْدُ ربنا واقعًا حقًّا لا يَتخلف (وهذا إقرارٌ منهم بنُبُوّة محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن العظيم)، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾: يعني ويَسجد هؤلاء العلماء على وجوههم، باكينَ تأثُّرًا بمواعظ القرآن ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سماعُ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ في قلوبهم، وخضوعًا لأمْر ربهم.

الآية 110، والآية 111: ﴿قُلِ﴾ أيها الرسول – للمُشركين الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك: (يا الله يا رحمن) –: ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أي سَمُّوهُ بأيِّ اسمٍ منهما (الله أو الرحمن)، ونادُوهُ بأيِّهما، فـ ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: يعني فبأيّ أسمائه دَعَوتموه فهو حَسَن، لأنه سبحانه له الأسماء الحُسنى، وهذان الاسمان منها.

www.alukah.net

♦ واعلم أنّ سبب نزول هذه الآية أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: (يا الله، يا رحمن)، فلمّا سمعه المُشرِكون، قالوا: (انظروا إليه، كيف يدعو إلهين ويَنهانا عن ذلك؟)، فنزلتْ الآية مُبَيّنة أنّ (الله والرحمن) هما اسمان لمُسَمَّى واحد، وهو اللهُ سبحانه وتعالى.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي لا ترفع صوتك بالقراءة في الصلاة، كَرَاهة أن يَسمعك المُشرِكون فيَسُبُّوك ويَسُبُّوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ أي: ولا تقرأ بصوتٍ غير مسموع، حتى يَنتفع بقراءتك مَن يُصَلّي وراءك، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾: أي وكُن وَسَطاً بين الجَهر والهَمْس، (وقد كانَ هذا في مكة خوفاً من المُشرِكين، ثم استقرتْ السُنَّة بالجَهر في صلاة الصبح والركعتين الأُولتين من المغرب والعشاء، وبالإسرار في صلاة الظهر والعصر وثالثة المغرب والأخيرتين من العشاء).

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾: يعني ولم يكن له ناصرٌ يَنصره مِن ذلٍ أصابه (تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً)، فهو سبحانه العزيز الجبار، القوي الغني، وجميع خَلقه فقراء محتاجونَ إليه، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾: أي وعَظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه، وبتنزيهه مِن كل ما لا يليق به، وبعبادته وحده لا شريك له.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الكهف كاملة

من الآية 1 إلى الآية 5: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الثناء على اللهِ تعالى بصفاته الكاملة، والشكر له على نِعَمِهِ الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية، فهو سبحانه ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ - محمد صلى الله عليه وسلم - ﴿الْكِتَابَ﴾ أي أنزل عليه القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾: أي لم يَجعل في القرآن شيئًا مائلاً عن الحق، بل جَعَله كتابًا ﴿قَيِّمًا﴾ أي مستقيمًا معتدلاً (لا اختلافَ فيه ولا تناقض، ولا تَشَدُّد ولا تفريط)، وقد أنزله سبحانه ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾: أي ليُنذر الكافرين مِن عذابٍ شديدٍ مِن عنده ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي الذين يَعملون الأعمال الصالحة (بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شرَعه اللهُ لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم)، فأولئك يُبَشِّرهم القرآن بـ ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (وهو الجنة) التي يُقيمون في نعيمها، ويَظلونَ ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي لا يُفارقونه أبدًا، ﴿وَيُنْذِرَ﴾ - بصفة خاصة – المُشركين ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (وكيف ذلك والكُلّ مِلكُهُ وعَبيدُه، وهم خاضعونَ له، مُسَخَّرونَ تحتَ تدبيره، وهو سبحانه الغني عنهم، فكيف يكونُ له منهم ولد؟!). ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآَبَائِهِمْ﴾: أي ليس عند هؤلاء المُشركين شيءٌ من العلم على ما يَنسبونه كذباً للهِ تعالى من اتِّخاذ الولد، وكذلك لم يكن عند آبائهم الذين قلَّدوهم عِلمٌ بذلك، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: أي عَظُمتْ هذه الكلمة القبيحة التي ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ (وهي إنساب الولد إلى اللهِ تعالى)، ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾: أي ما يقولونَ إلا قولاً كاذبًا (وَرِثوه عن آباءهم بغير دليل)، فهو سبحانه القوي الغني الذي لا يحتاج إلى ولدٍ كما يحتاج البشر.

الآية 6: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ﴾ أي مُهْلِك نفسك على أثَر إعراض قومك (يعني بسبب إعراضهم عن دعْوتك) ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ أي ستُهلِك نفسك غمًّا وحزنًا إنْ لم يُصَدِّقوا بهذا القرآن ويَعملوا به!

الآية 7، والآية 8: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من المخلوقات ﴿زِينَةً لَهَا﴾ أي جَمالاً لها، ومَنفعةً لأهلها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ أي لِنَختبر المُكَلَّفين من الإنس والجن: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: يعني أيُّهم أكثر اتّباعاً لأمْرنا واجتناباً لنَهْينا وإتقاناً لطاعتنا، وأيُّهم الذي يَعصي ربه من أجل الدنيا، ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾: أي سنجعل كل ما على الأرض ترابًا، ﴿جُرُزًا﴾ أي لا نباتَ فيه (وذلك عند انتهاء الدنيا)، إذاً فلا تَحزن أيها الرسول على ما تَلقاه مِن أذى قومك وتكذيبهم، فإنّ الدنيا – التي مِن أجلها يُعادونكَ – ستزولُ سريعاً، ثم يُجازيهم اللهُ يوم القيامة على تكذيبهم وعِصيانهم.

من الآية 9 إلى الآية 12: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آَيَاتِنَا عَجَبًا﴾؟! يعني أم ظننتَ أيها الرسول أنّ قصة أصحاب الكهف والرَّقيم – وهو اللوح الحَجَري الذي كُتِبَت فيه أسماؤهم – هل ظننتَ أنّ قصتهم شيئاً مُنفرداً بالعجب مِن بين الآيات الأخرى؟! (والاستفهام للنفي) أي لا تظن ذلك، فإنّ خَلْق السماوات والأرض وما فيهما من الآيات أعجب مِن هذا بكثير.

www.alukah.net

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾: أي اذكر أيها الرسول – للسائلينَ عن قصتهم – حين لجأ هؤلاء الشباب إلى الكهف (فِراراً بدينهم، وخوفاً من تعذيب قومهم لهم)، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي أعطنا مِن عندك رحمةً تُثَبِّتنا بها، وتحفظنا بها من الشر، ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي يَسِّر لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ الصعب الذي نحن فيه – مِن هِجرتنا لأهلنا وبيوتنا - ﴿رَشَدًا﴾: أي يَسِّر لنا ما يَصلُح به أمْر ديننا ودُنيانا.

♦ فاستجاب اللهُ دعاءهم ورَعَاهم، كما قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: أي فألقينا عليهم النوم العميق في الكهف سنين كثيرة، حتى تغيَّرتْ الأحوال وتبدَّلت الأجيال، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: ثم أيقظناهم مِن نومهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي لنُظهِر للناس ما عَلِمناه في قديم الأزل، فيَعلموا ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾؟ يعني أيُّ الطائفتين المختلفتين في مدة بقاءهم في الكهف أضبَط في حساب هذه المدة؟ (والراجح أنّ الذين اختلفوا فيهم: هم فريقان من الأُمّة التي اكتشفتهم بعد سنين عديدة، واللهُ أعلم).

من الآية 13 إلى الآية 17: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي نتلو عليك خبر أصحاب الكهف بالصِدق واليقين، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾: يعني إنهم شبابٌ صَدَّقوا بتوحيد ربهم وامتثلوا أمْره ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ أي زدناهم إيماناً وثباتًا (وذلك بسبب إيمانهم)، كما قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾: أي قوّينا قلوبهم بالإيمان حين قاموا بين يدي المَلِك الكافر، وهو يَلومُهم على تَرْك عبادة الأصنام، ﴿فَقَالُوا﴾ له: ﴿رَبُّنَا﴾ الذي نعبده هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، و﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾: أي لن نَعبد غيره من الآلهة المزعومة كذباً، ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾: يعني لو قلنا غير هذا، لكُنَّا قائلينَ قولاً ظالماً بعيدًا عن الحق، ثم قالوا له: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ يَعبدونهم، ف﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾؟! يعني أفلا يأتون بدليلٍ واضح يَدُلّ على استحقاقها للعبادة ؟!، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يعني فمَن أشد ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فنَسَبَ إليه شريكاً في عبادته كَذِباً وافتراءً؟!

♦ ثم بعد أن خرجوا مِن عند هذا المَلِك، قال بعضهم لبعض – وهم يَتناصحونَ ويَتشاورون -: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يعني: بما أنكم فارَقتم قومكم بدينكم، وتركتم ما يَعبدونَ من دون الله، لم يَبقَ لكم إلا النجاة مِن شَرِّهم، إذاً ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾: أي الجؤوا إلى الكهف الذي في الجبل لعبادة ربكم وحده، وهَرَباً من أعدائكم المُشركين، فحينئذٍ ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي يُنَزِّل عليكم ربكم مِن رحمته ما يُنَجِّيكم به مِمّا فررتم منه ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ أي: ويُيَسِّر لكم أموراً – من أسباب العيش – تنتفعونَ بها في مأواكم الجديد، (فلمَّا قالوا ذلك، وذهبوا إلى الكهف: ألقى اللهُ عليهم النوم وحَفِظهم).

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ يعني: وإذا نظرتَ إليهم – أيها الرسول – لَرأيتَ الشمسَ ﴿إِذَا طَلَعَتْ﴾ من المَشرق ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: أي تميل وتَتَنَحَّى عن مكانهم إلى جهة اليمين فلا تصيبهم، ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي تتجاوز عنهم إلى جهة اليسار، ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ يعني: وقد أنامهم اللهُ في مُتَّسَّع من الكهف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حتى لا يَنقطع عنهم الهواء، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعلناه بهؤلاء الشباب - مِن حِفظهم من حرارة الشمس، وعدم نفاد الهواء عنهم - هو ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي من دلائل قدرة اللهِ تعالى، ورحمته ولُطفه بأوليائه.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ يعني: مَن يُوَفِّقه اللهُ للاهتداء بآياته، فهو المُوَفَّق إلى الحق، ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ يعني: ومَن لم يُوَفِّقه لذلك، فلن تجد له مُعينًا يُرشده لإصابة الحق؛ لأنّ التوفيق والخِذْلان بيد اللهِ وحده، (إذاً فليَطلب العبد من ربه الهداية والثبات، وليَعتصم به من الفِتَن والضَلال).

الآية 18: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ يعني: وإذا نظرتَ إليهم - أيها الرسول - لَظننتَ أنهم مستيقظين (لأنّ أعْيُنهم كانت مُفَتَّحة) ﴿وَهُمْ﴾ في الحقيقة ﴿رُقُودٌ﴾ أي نائمونَ لا يشعرونَ بأحد، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي نُقَلِّبهم أثناء نومهم مَرّة للجَنب الأيمن ومَرَّة للجَنب الأيسر، حتى لا تأكلهم الأرض، ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾ - الذي أخذوه معهم لحِراستهم - ﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ أي قد مَدَّ ذراعيه بفناء الكهف (لأنه أصابه من النوم ما أصابهم وقت حِراسته)، ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ يعني: لو شاهدتهم وهم نائمونَ وأعينهم مُفَتَّحة: لَرجعتَ فاراً منهم ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (لأنّ اللهَ قد ألقى الخوف والفزع على مَن يَراهم، حتى لا يدخل عليهم).

الآية 19، والآية 20: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ يعني: وكما أنمناهم وحفظناهم هذه المدة الطويلة، فكذلك أيقظناهم مِن نومهم على هيئتهم دونَ تغيُّر، وذلك ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾: يعني لكي يَسأل بعضهم بعضًا، فيَزدادوا إيماناً باللهِ تعالى، ويَتيقنوا بحمايته لأوليائه، فـ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾؟ يعني كم من الوقت بقينا نائمين هنا؟ ﴿قَالُوا﴾ أي قال بعضهم: ﴿لَبِثْنَا﴾ أي مَكثنا ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ﴿قَالُوا﴾ أي قال آخرونَ قد اختلط عليهم الأمر: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: أي رَبُّكم أعلم بالوقت الذي مَكثتموه هنا، ففَوِّضوا ذلك الأمر إليه.

♦ وقد كانوا جائعينَ فقالوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: يعني أرسِلوا أحدكم بنقودكم الفضية هذه إلى مَدينتنا، ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾: ﴿أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾: يعني أيّ أهْل المدينة طعامه حلالاً طيباً ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ لتأكلوه سَدّاً لجُوعكم ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في ذهابه وعودته وشرائه مع البائع حتى لا يَنكشف أمْرنا، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ يعني: ولا يَفعل فِعلاً يُؤدى إلى مَعرفة أحدٍ من قومكم بوجودكم في الكهف، فـ ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يعني إن يَروكم: ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ بالحجارة فيقتلوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: يعني أو يُرجعوكم إلى دينهم، فتَصيروا مُشركِينَ مِثلهم ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ أي: ولن تفوزوا أبدًا بدخول الجنة والنجاة من النار، إن أطعتموهم فأشركتم بربكم.

الآية 21: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي جعلنا أهل ذلك الزمان يَعثرون عليهم (وذلك بعد أن كَشَفَ البائع نوع الدراهم القديمة التي جاء بها مَبعوثهم)، وقد جعلنا الناس يَعثرونَ عليهم ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ لأنّ الذي أنامهم كل هذه المدة ثم أيقظهم، قادرٌ سبحانه على أن يَبعثهم بعد موتهم، ليُحاسبهم ويُجازيهم بأعمالهم، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يعني: ولِيَعلم الناس أنّ الساعة التي تقوم فيها القيامة آتيةٌ لا شك فيها، ﴿إِذْ

www.alukah.net

﴿يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: يعني إنهم عَثَروا عليهم في وقتٍ كان أهل البلد يَختلفون في أمْر القيامة: (فمِنهم مَن كانَ مؤمناً بها، ومنهم مَن كانَ مُنْكِراً لها)، فلمَّا اطَّلعوا جميعاً على أصحاب الكهف، جَعَلَ اللهُ اطِّلاعهم حُجَّةً للمؤمنين على الكافرين في قدرة اللهِ على البَعث والإحياء، وعلى أنّ البعث يكونُ بالأجسام والأرواح معاً وليس بالأرواح فقط.

♦ وبعد أن انكشف أمْرهم: ماتوا ﴿فَقَالُوا﴾ أي فقال فريقٌ من المُطَّلِعينَ عليهم: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾: أي ابنوا على باب الكهف بناءً يَحجبهم عن الناس، واتركوهم وشأنهم، فـ ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: أي ربهم أعلم بحالهم، و﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ وهُم أصحاب الكلمة والنفوذ – الذين يُعرَفون بـ (الحكومة) -: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾: أي لَنَتّخِذنَّ على مكانهم مَسجدًا للعبادة، (وقد نَهَى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مَساجد، ولَعَنَ مَن فَعَلَ ذلك، لأنّ هذا قد يؤدي إلى عبادة مَن فيها).

الآية 22: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي سيقول بعض أهل الكتاب – الذين اختلفوا في عدد أصحاب الكهف –: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: ويقول فريقٌ آخر منهم: هم ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وكلامُ الفريقين كانَ ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي رَمْياً بالكلام من غير تثبّت، وظناً مِن غير دليل، (فدَلَّ ذلك على بُطلان القولين السابقين) ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: وتقول جماعة ثالثة: هم ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (وهذا هو الصواب – واللهُ أعلم – لأنّ اللهَ تعالى قد أبطل القولين السابقين، ولم يُبطِل القول الثالث، فدَلَّ ذلك على صحته).

♦ ولمّا كان هذا من الاختلاف الذي لا فائدة منه، وليس فيه مصلحة للناس (دينية أو دنيوية)، قال تعالى بعدها: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ أي ربي هو الأعلم بعددهم، و ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: أي ما يَعلم عددهم إلا قليلٌ من الناس ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾: أي فلا تُجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جدالاً ظاهرًا لا عُمقَ فيه (وذلك بأنْ تَذكر لهم ما أخبرك الوحي به، دونَ أن تُكَذِّبهم أو تُوافقهم)، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ أي لا تسأل في شأن أصحاب الكهف ﴿مِنْهُمْ﴾ أي مِن أهل الكتابِ ﴿أَحَدًا﴾ لأنهم لا يَعلمونَ ذلك وإنما يقولون بالظن والتخمين، لا بالعلم واليقين، (وفي هذا دليل على المنع مِن سؤال مَن لا يَصلح للفتوى).

الآية 23، والآية 24: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ تَعزم على فِعله: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾ الشيء ﴿غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يعني إلا أن تُعَلِّق قولك بالمشيئة، فتقول: (إن شاء الله)، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: يعني وإذا نسيتَ قوْل: (إن شاء الله)، فاذكُره – ولو بعد فترة – لتَخرج به من الحرج، (وكلما نسيتَ شيئاً فاذكر الله؛ فإنّ ذِكرَ اللهِ يُذهِب النسيان).

♦ واعلم أنّ سبب نزول هذه الآية، أنّ المُشركِينَ لمّا سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، قال لهم: (أُخبِركم بما سألتم عنه غداً)؛ ولم يقل (إن شاء الله)، فانقطع الوحي نصف شهر، ثم نزلتْ سورة الكهف وفيها جواب ما سألوا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَقُلْ﴾ لهم – بعد قوْل (إن شاء الله) -: ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾: أي لَعَلّ اللهَ أن يُنعِمَ عليّ بشيءٍ أكثر إثباتاً لنُبُوّتي – وأكثر هِدايةً للناس – من قصة أصحاب الكهف، التي سألتموني عنها اختباراً لنُبُوّتي.

الآية 25، والآية 26: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ يعني: ولقد بَقِي هؤلاء الشُّباب نائمين في كَهْفهم ثلاثمائة سَنَة (بالحساب الشمسي)، وثلاثمائة سَنَة وتسع سنين (بالحساب القمري)، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾: يعني وإذا سُئِلتَ أيها الرسول عن مدة بقائهم في الكهف – وليس عندك عِلمٌ مِن اللهِ في ذلك – فلا تجتهد فيه بشيء، بل قل: (اللهُ أعلم بمدة بقائهم)، فإنه سبحانه ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يَعلمُ سبحانه جميع ما خَفِيَ عن حَواسّ الناس في السماوات والأرض، ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾: أي تعجَّب مِن كمال بصر ربك وسَمْعه وإحاطته بكل شيء (أو بصيغةٍ أخرى: ما أعظم بَصَرَهُ بخَلقه، وما أعظم سَمْعه لأقوالهم، حيث لا يَخفى عليه شيءٌ من أحوالهم!)، و﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: أي ليس للخَلق أحدٌ غيره يَتولى أمورهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أي: وليس له شريكٌ في حُكمه وقضائه وتشريعه (لِغِناه سبحانه عَمّا سواه).

الآية 27: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾: أي اقرأ أيها الرسول ما أوحاه اللهُ إليك من القرآن (تَعَبُّداً به، وتعليماً للمؤمنين بما جاءَ فيه من الهدى، ودعوةً للناس إلى ربهم)، فإنه سبحانه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ أي لا مُغيِّر لكلماته، لا في ألفاظها ولا في مَعانيها ولا في أحكامها (ومِن ذلك ما وَعَدَكَ به من النصر على أعدائك)، ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي لن تجد مَلجأً تَميل إليه لِيُنَجّيك من عقاب ربك (إنْ وافقتهم على شيءٍ من اقتراحاتهم).

الآية 28: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي صَبِّر نفسك أيها النبي، واحبسها – حَبْسَ مُلازَمة - ﴿مَعَ﴾ أصحابك مِن فقراء المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: أي الذين يَعبدونَ ربهم وحده، ويدعونه في الصباح والمساء، ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿وَجْهَهُ﴾ أي يريدون بأعمالهم الصالحة رضا اللهِ تعالى وَجَنَّتِه، والنظر إلى وجهه الكريم، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار الأغنياء، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؟ يعني: هل تريد مُجالسة هؤلاء الكفار الأغنياء، للشرف والفخر، لأنهم أصحاب هيئة وزينة، وأصحابك ليس لهم ذلك؟ (وهذا استفهام غرضه النفي والإنكار) أي: لا تفعل هذا، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: ولا تُطِعْ مَن جعلنا قلبه غافلاً عن ذِكرنا وعبادتنا (عقوبةً له)، لأنه عانَدَ وتكبَّر ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ففضَّله على طاعة مَولاه ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾: أي وصارَ أمْرُهُ في جميع أعماله ضَياعاً وهَلاكًا.

♦ واعلم أنّ هذا التوجيه قد نَزَلَ للرسول صلى الله عليه وسلم عندما عَرَضَ عليه المُشرِكون إبعاد أصحابه الفقراء عنه (كَبِلال وصُهَيْب وغيرهما)، لِيَجلسوا إليه ويسمعوا منه، فنَهاه ربه عن ذلك، وأمَرَه بملازمة المؤمنين الفقراء، الذين لا يريدون بصلاتهم وتسبيحهم ودعائهم شيئاً من الدنيا، وإنما يريدون رضا اللهِ عنهم ومَحبته لهم.

www.alukah.net

♦ واعلم أنّ الفعل (كان) إذا جاء مع صفة معينة، فإنه يدل على أنّ هذه الصفة مُلازِمة لصاحبها، كقوله تعالى – واصفاً نفسه بالرحمة والمغفرة – : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ أي كانَ سبحانه – دائماً وأبداً – غفوراً رحيماً (للتائبينَ إليه في كل وقت، الخائفينَ من عاقبة ذنوبهم).

الآية 29: ﴿وَقُلِ﴾ أيها الرسول لهؤلاء الغافلين: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: ما جئتكم به – من التوحيد والعمل الصالح – هو الحق من ربكم، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾: أي فمَن أراد منكم أن يُصَدِّق بهذا الحق ويَعمل به، فليَفعل فهو خيرٌ له، ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ يعني: ومَن أراد أن يَجحد فليَفعل، فما ظَلَمَ إلا نفسه، ف﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي للمُشرِكين، لأنَّ اللهَ تعالى قال في سورة لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فأولئك قد أعَدَّ اللهُ لهم ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي أحاطت بهم جُدرانها المُحرِقة، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ – بطَلَب الماء مِن شدة العطش – فإنهم ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾: أي يُؤتَ لهم بماءٍ يُشبه الزيت العَكِر – شديد الحرارة – ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾: يعني إذا قرّبوه مِن وجوههم لِيَشربوا: شَوَى جلودهم ووجوههم، فإذا شربوه: قطَّع أمعاءهم، ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾: أي قَبُح هذا الشراب الذي لا يَروي ظمأهم، ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: وقَبُحَتْ النار مَنزلاً لهم ومُستقَرًّا، (وفي هذا وعيدٌ شديد لمن أعرض عن الحق، فلم يؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ الأمر في قوله تعالى: (فليَكفر) هو للتهديد والوعيد، بدليل ذِكر العذاب الذي سيُصيبه إنْ كَفَر).

الآية 30، والآية 31: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ لهم أعظم الثواب ، ف﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي لا نُضيع أجورهم على إيمانهم وإحسان أعمالهم، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ أي لهم جنات الخلود التي يُقيمونَ فيها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ أي تجري الأنهار مِن تحت قصورهم وغُرَفهم، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾: أي يَلبسونَ فيها أساور مِن ذهب ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ﴾ أي ثياباً ذات لون أخضر، قد نُسِجَت ﴿مِنْ سُنْدُسٍ﴾ وهو الحرير الرقيق ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (وهو الحرير الغليظ)، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ (واعلم أنّ الاتّكاء هو الاستناد على شيءٍ في حال النعيم والرفاهية، واعلم أيضاً أن الأرائك جمع أريكة، وهي السرير المُزيّن بالستائر الجميلة)، ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ ثوابهم، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: وحَسُنتِ الجنة مَنزلا ومكانًا لهم.

الآية 32، والآية 33: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ أي اجعل أيها الرسول مَثلاً – للمتكبرين الذين يُنكِرونَ البَعث – ب﴿رَجُلَيْنِ﴾ من الأمم السابقة، أحدهما مؤمن فقير، والآخر كافر غني، وقد ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ (وهو الكافر)، جَعَلنا له ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ أي حديقتين من أعناب، ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ : يعني وأحَطناهما بنخلٍ كثير، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: وأنبتنا بين العنب والنخل: ﴿زَرْعًا﴾ أي زروعًا مختلفة، و﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا﴾: يعني كل واحدة من الحديقتين قد أثمرتْ ثمارها ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾: أي لم تُنْقِص مِن ثمارها شيئًا – بسبب مرضٍ

أصاب الثمار أو غير ذلك – بل أثمَرَتْه كاملاً وافياً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾: أي شَققنا بين أشجار الحديقتين نهرًا جارياً لِيَسقيهما بسهولة.

الآية 34، والآية 35، والآية 36: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾: يعني وكانَ لصاحب الحديقتين ثَمَرٌ وأموالٌ أخرى (لأنّ كلمة ثَمَر جاءت في قراءة أخرى بضم الميم (ثُمُر) ومعناها أموال)، ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ في الحديث: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا﴾ ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي أعزُّ منك أنصارًا وأعوانًا، وأولاداً وعشيرة (وقد قال هذا فخراً وتعاظُماً)، ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ أي: ودخل الكافر حديقته ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ أي مُعَرِّضُها لسخط اللهِ وعذابه، بسبب غروره وتكبُّره.

♦ وعندما أعجبته ثمار حديقته: ﴿قَالَ﴾ لصاحبه المؤمن: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ : أي ما أعتقد أن تَهْلك هذه الحديقة أبداً، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ : يعني وما أعتقد أنّ القيامة واقعة، ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾: يعني وإنْ فرضنا وقوع القيامة – كما تزعم أيها المؤمن – ورُجِعتُ إلى ربي: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ أي لأَجدنَّ عنده مكاناً أفضل من هذه الحديقة، وذلك لكرامتي ومنزلتي عنده.

من الآية 37 إلى الآية 42: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ في الحديث: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾؟! يعني هل كفرتَ بقدرة اللهِ على البعث، وقد خَلَقَ أباكَ آدم مِن تراب ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: ثم خلقك أنت مِن مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ أي: ثم سَوَّاك بَشَرًا مُعتدل الخَلْق؟! (فالذي ابتدأ خَلْقك قادرٌ على إعادتك بعد موتك)، ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ : يعني لكنْ أنا أقول: المُنعِم هو اللهُ ربي وحده، (فلم تَحصل لك الدنيا بحَولك وقوتك، بل بفضل اللهِ تعالى ونعمته)، ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ في عبادتي له، ولا أجحد نعمته عليّ ، ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾: يعني وهَلاَّ حينَ دخَلْتَ حديقتك فأعجبتك: ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: أي هذا هو ما شاءَ اللهُ لي، لا قوّة لي على تحصيله إلا بالله، هذا ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ : يعني إنْ كُنتَ تراني أقل منك مالاً وأولادًا، (ولهذا ينبغي لكل مَن أعجبه شيءٍ يَخُصُّهُ - أو يَخُصُّ غيره – أن يقول: (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه)).

♦ وقال المؤمن: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ : يعني فأرجو مِن ربي أن يُعطيني أفضل من حديقتك ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ أي على حديقتك ﴿حُسْبَانًا﴾ أي عذابا ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ : أي فتصبح أرضًا مَلساء (لا تَثبُت عليها قدم، ولا يَنبُت فيها نبات) ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾: يعني أو يصير ماؤها (الذي تُسقَى منه) غائرًا في أعماق الأرض ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾: أي فحينئذٍ لن تقدر على إخراجه.

♦ واستجابَ اللهُ دعاءَ المؤمن على الكافر بسبب غروره وجحوده ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ : أي وَقع الدمار بحديقة الكافر، فهَلَكَ كل ما فيها، ﴿فَأَصْبَحَ﴾ الكافر ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ حسرةً وندامةً ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ مِن جهدٍ كبير ومالٍ كثير ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي فارغة مِمّا كانَ فيها، وقد تحطَّمتْ، وسقطتْ جُدرانها ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: أي على

www.alukah.net

سُقوفها ﴿وَيَقُولُ﴾: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (فعُلِمَ مِن هذه الجملة أنه كان مُشرِكاً باللهِ تعالى، ولذلك قال له المؤمن: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾).

الآية 43، والآية 44: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: ولم تكن له جماعة - مِمّن افتخر بهم - يَمنعونه مِن عقاب اللهِ حينَ نَزَلَ به ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾: يعني وما كانَ مُمتنعًا بنفسه وقوّته (لأنّ مَن خَذَله اللهُ فلا ناصرَ له).

♦ ثم قال تعالى في نهاية هذه القصة: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ أي في مِثل هذه الشدائد - حينَ نزل العذاب بصاحب الجَنّتين - تكون النُصرة للهِ المعبود الحق (لا لغيره من المعبودات الباطلة التي لم تدفع عن عابدِيها شيئاً من العذاب).

♦ فمَن كان مؤمناً تقيّاً، كان اللهُ له وَلِيّاً، فيَنصره ويَدفع عنه الشرور والبلاء، ويوم القيامة يُعطيه أحسن الجزاء، فـ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: أي خيرُ مَن يُثيب على الإيمان والعمل الصالح، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي خيرُ مَن يَجزي بحُسن العاقبة لمن رَجَاهُ وآمَنَ به.

الآية 45: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي اجعل أيها الرسول - للناس - مَثلاً لسرعة زوال الدنيا التي اغترُّوا بها ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾: أي فنَبَتَ بهذا المطر أنواعٌ كثيرة من النبات، الذي نَمَا وازدهر حتى اشتبك بعضه ببعض، وأثمَرَ الكثير من مُختلف الحبوب والثمار، وما هي إلا مُدّة يسيرة: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾: أي حتى صار هذا النبات يابسًا مُتكسِّراً تنسفه الرياح ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ أي قادراً كامل القدرة، لا يُعجِزه شيء.

الآية 46: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: الأموال والأولاد هم قوةٌ وجَمالٌ في هذه الدنيا الفانية، إذ يَتجمل بهما الإنسان فترة قصيرة، ثم يَذهبان ولا يَدخلان معه قبره (إذاً فلا يَجعلهما همَّه في هذه الحياة، ولا يُشغِلاهُ عن طاعة مَولاه)، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: يعني والأعمال الصالحة - وخاصةً التسبيحُ والتحميد والتكبير والتهليل (يعني قَول لا إله إلا الله) -: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ من الأموال والأولاد، ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: يعني وهذه الأعمال الصالحة هي أفضل ما يَرجو به الإنسانُ الثوابَ عند ربه، إذ يَحصل بها على ما كان يَأمله ويَتمناه في الدنيا (وزيادةٌ على ذلك مِمّا لم تَرَ عينه، ولم تَسمع أُذُنه، ولم يَخطر على قلبه).

الآية 47، والآية 48: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ أي: واذكر لهم يوم نَقتلع الجبال فنُزيلها عن أماكنها، ثم نَجعلها هباءً منثوراً (ما أعظمك يارب!)، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي ظاهرة، ليس عليها شيء من المخلوقات (وذلك بعد أنْ نُسِفَت الجبال)، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ أي جَمَعنا الأولين والآخِرين مِن قبورهم للحساب والجزاء ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: أي فلم نترك منهم أحدًا، ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ أي مُصطَفِّينَ لا يَخفى على اللهِ منهم أحد، ويقول اللهُ لمُنكِري البعث - تأنيباً لهم -: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾: أي لقد بَعثناكم، وجئتم إلينا بمُفردكم، فليس معَ أحدِكم مالٌ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا ولد، بل جئتم حُفاةً عُراةً ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في بطون أمهاتكم، ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ يا مُنكِري البعث والجزاء ﴿أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ نَبعثكم فيه ونُجازيكم.

الآية 49: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: أي وُضِعَ كتابُ أعمال كل واحدٍ في يمينه أو في شماله، ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ في ذلك الوقت ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أي خائفينَ مِمّا في الكتاب، بسبب ما قدَّموه مِن جرائمهم، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ – ندماً وتحسُّراً – حينَ يقرؤونه: ﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾ يعني يا هَلاكنا (والمقصود أنهم يَدعون على أنفسهم بالهلاك والموت، لمُشاهدتهم لعظائم الأهوال وما يَنتظرهم من أصناف العذاب)، ويقولونَ: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾؟! أي ما بالُ هذا الكتاب لم يَترك صغيرةً مِن أفعالنا ولا كبيرةً إلا أثبتَها؟! ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ أي مُثبتًا، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

الآية 50، والآية 51: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي اذكر أيها الرسول لهؤلاء المشركين – الذين أطاعوا عَدُوّهم وعَدُوّ أبيهم، وعَصَوا ربهم مِن أجْله – فاذكر لهم حين قلنا للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لِآَدَمَ﴾ (سجود تحية وتكريم، وليس سجود عبادة وخضوع)، ﴿فَسَجَدُوا﴾ جميعًا ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الذي ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ لم يَسجد لآدم كِبرًا وحسدًا ﴿فَفَسَقَ﴾ بذلك ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: أي خرج بذلك عن طاعة ربه، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾؟! يعني أفتجعلونه – أيها الناس – هو وذريته أعوانًا لكم تطيعونهم وتتركون طاعتي، وهم أشدّ أعدائكم؟! ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾: أي قَبُحَتْ طاعة الظالمينَ للشيطان، بدلاً عن طاعة الرحمن.

♦ ثم يُخبر سبحانه بأنه المنفرد بالخلق والتدبير، وبأنه وحده المُستحِق للعبادة، فيقول: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعني ما أحضرتُ إبليس وذريته – الذين أطعتموهم – لِيَشهدوا خَلْقَ السماوات والأرض، حتى أستعين بهم على خلقهما، ﴿وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾: يعني ولا أشهدتُ بعضهم على خَلْق بعض، بل تفرَّدتُ بخَلق جميع المخلوقات بغير مُعين، ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ يعني: وما كنتُ مُتَّخِذاً أحداً من شياطين الإنس والجن أعوانًا لي في الخلق والتدبير.

الآية 52، والآية 53: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أي اذكر أيها الرسول يوم يقول اللهُ للمُشرِكين يوم القيامة: نادوا مَن زعمتم أنهم شركاء لي في العبادة؛ لِيَنصروكم اليومَ مِنّي، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: أي فاستغاثَ المُشرِكون بهم فلم يُغيثوهم، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾: أي جعلنا بين المُشرِكين ومَعبوديهم حاجزاً في أرض المَحشر يَفصل بينهم، ثم لمَّا يَدخلوا النار: نَجعل لهم مكاناً في جهنم يَهلكون فيه جميعًا، ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ يوم القيامة ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾: أي فأيقنوا أنهم واقعونَ فيها، (إذ يُطلَق الظن ويُقصَد به اليقين، وهو كثيرٌ في القرآن الكريم)، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: أي لم يَجدوا مكاناً يَنصرفونَ إليه لِيَنجوا من عذاب جهنم.

الآية 54: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي وضّحنا ونوّعنا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآَنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يعني أنواعًا كثيرة من الأمثال والأدلة لِنُقيم عليهم الحُجّة، ولِيَتعظوا بها ويؤمنوا، ولكنّ المتكبرين قابَلوا ذلك بالجحود والجدال (مِن بعد ما تَبَيَّن

www.alukah.net

لهم الحق) ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أي هو أكثر المخلوقات جِدالاً (يعني أكثر من الجن)، وذلك حتى لا يَتخلى عن شهواته وأهوائه ويَنقاد للحق (إلا مَن عَصَمَه الله، وأعانه على مخالفة شيطانه وهَواه).

الآية 55: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ يعني: لم يَمنع الكفارَ من الإيمان والتوبة والاستغفار – حينَ جاءهم الرسول ومعه القرآن – ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: يعني إلا أنهم اشترطوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم لن يؤمنوا به حتى يُنَزِّل عليهم عذاباً مِثل عذاب السابقين – ليكون ذلك دليلاً لهم على نُبُوّته – ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾: يعني أو يأتيهم عذاب يوم القيامة مُقابلةً أمام أعْيُنهم، (وهذا مِن جَهْلِهم وعِنادهم)، لأنهم حينئذٍ لن يَنفعهم الإيمان.

الآية 56: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى الناس ﴿إِلَّا﴾ ليكونوا ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة (لأهل الإيمان والعمل الصالح)، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بالنار (لأهل الكُفر والعِصيان)، (فلم نُرسِلهم عَبَثاً، ولم نُكَلِّفهم بهداية الناس أجمعين)، ورغم وضوح الحق: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ رُسُلهم ﴿بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ أي ليُحاولوا إزالة الحق بباطلهم (ولن يَقبل اللهُ تعالى إلا أن يُتِمَّ نوره ولو كَرِهَ الكافرون)، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾: يعني إنهم استهزؤوا بدلائل توحيدي، وسَخِروا مِن تخويف الرُسُل لهم مِن عذابي.

الآية 57: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: أي لا أحد أشد ظلمًا ﴿مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ الواضحة ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ وانصرف إلى الباطل ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الذنوب (فلم يَتُب منها ولم يَستغفر).

♦ ثم ذَكَرَ سبحانه سبب ظُلمهم وإعراضهم ونِسيانهم، فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي جعلنا على قلوبهم أغطية، حتى لا يَفهموا القرآن، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي: وجعلنا في آذانهم ما يُشبِه الصَّمَم، حتى لا يَسمعوا القرآن سماعَ تدبر وانتفاع، (وهذا كله عقوبةٌ مِن الله تعالى لهم، بسبب إيذائهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وبسبب تَوَغُّلهم في الشر والفساد، فحَرَمَهم اللهُ من الهداية)، ولهذا قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (وذلك لأنهم عرفوا طريق الحق فتركوه، وعرفوا طريق الضَلال فسَلكوه، فاستحقوا بذلك العقاب والحِرمان، نسأل اللهَ العفو والعافية).

الآية 58: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾ – لذنوب عباده إذا تابوا –، وهو سبحانه ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بهم، إذ ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾: يعني لو يُعاقب هؤلاء المُعرضين بما كَسَبوا من الشرك والذنوب: ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ ولكنه تعالى حليمٌ لا يُعاجل بالعقوبة، ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ يُجازيهم فيه بأعمالهم، و ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ أي لن يَجدوا مَلجأً يَحميهم من اللهِ تعالى إذا جاءهم هذا المَوعد، (ويُحتمَل أن يكون المقصود بهذا المَوعد: يوم بدر، لأنّ الآيات السابقة كانت تتكلم عن الظَلَمة المُعاندين المحرومين من الهِداية، كأبي جهل وعُقبة ابن أبي مُعَيط والأخنَس بن شُريق، واللهُ أعلم).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية 59: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ القريبة منهم – مِثل قُرَى قوم هود وصالح ولوط وشعيب – ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾: يعني أهلكناها حينَ ظلم أهلها أنفسهم بالكفر والمعاصي، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾: أي جعلنا لهلاكهم وقتاً مُحدداً، فلمَّا بلغوه: جاءهم عذابنا فأهلكناهم به، (وكذلك الحال مع هؤلاء المجرمين من قريش، حيثُ أهلكهم الله ببدر ولعنهم إلى الأبد).

الآية 60، والآية 61، والآية 62: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ أي اذكر أيها الرسول حينَ قال موسى لخادمه "يُوشَع بن نون": ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: أي لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى مكان التقاء البحرين ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: يعني أو أسير زمنًا طويلاً حتى أصل إلى العبد الصالح – الذي أخبرني اللهُ تعالى به – لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم.

♦ واعلم أنَّ سبب هذه القصة - كما ثَبَتَ في الصحيحَين "البُخاري ومُسلم" عن النبي صلى الله عليه وسلم – أنَّ موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئِلَ: (أيّ الناس أعلم؟)، فقال: (أنا)، فعاتبه اللهُ على ذلك (لأنه أجابهم دونَ وَحْيٍ منه سبحانه)، فأوحى اللهُ إليه: (إنّ لي عبداً بمَجمع البحرين هو أعلم منك)، فقال موسى: (يا رب وكيف لي به)؟ – يعني كيف أصل إليه؟ – فقيل له: (احمل حوتاً في مِكتل – يعني احمل سمكة كبيرة في وعاء، (وفي رواية: أنه يُمَلِّحها، لتكون غذاءً له) – فإذا فَقَدته – (يعني في المكان الذي ستفقد فيه هذا الحوت) – فستجد هذا العبد هناك، فانطلَقَ هو وفتاه "يُوشَع بن نون" حتى وجدا هذا العبد الصالح واسمه "الخَضِر"، (وسوف يَتِمّ شرح باقي الحديث في مَوْضعه مع التفسير).

♦ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾: أي فلمّا اجتهدا في السَّير، ووصلا إلى مُلتَقى البحرين، جَلَسَا عند صخرةٍ وناما عندها، و ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ عند هذه الصخرة ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾: يعني فإذا بالحوت يُصبحُ حيًّا – بعد أن كانَ مَيّتاً – ويَنزل في البحر، ويَتخذ له فيه طريقًا (كالنفق في الجبل).

♦ واعلم أنّ موسى عليه السلام عندما نام، كانَ "يُوشَع" (شِبه نائم)، فرأى الحوت وهو يَخرج مِن وعاءه ويَشُق طريقه في البحر، ولكنّ "يُوشَع" غلبه النوم، فنام ونسي خروج الحوت من المِكتل ودخوله في البحر.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ يعني فلمّا تَجاوزا المكان الذي نسيا فيه الحوت، وشعر موسى بالجوع: ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ يعني أحضِر إلينا غداءنا، فـ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ أي تعبًا وإرهاقاً.

الآية 63: ﴿قَالَ﴾ له خادمه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾؟ يعني أتَذكُر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ يعني فإني نسيت أن أخبرك بما كانَ مِن أمْر الحوت، ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ يعني: وما أنساني أن أذكُر لك ذلك إلا الشيطان، فإنّ الحوت الميت قد دَبَّتْ فيه الحياة ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أي: وقفز في البحر، واتخذ له فيه طريقًا، وكان أمْرُه عجيباً.

www.alukah.net

من الآية 64 إلى الآية 70: ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ يعني: ذلك الذي حصل، هو ما كنا نطلبه، فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح، ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: أي فرجعا يَتتبعان آثار مَشْيهما حتى انتهيا إلى الصخرة، ﴿فَوَجَدَا﴾ هناك ﴿عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهو "الخَضِر" عليه السلام (وهو نبي من أنبياء الله تعالى، وذلك على الراجح من أقوال العلماء)، والدليل على ذلك أنّ اللهَ تعالى عَلَّمه أشياءً مِن عِلم الغيب – كما سيأتي في القصة – وقد قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾، والدليل على أنه ليس مَلَكاً أنه – كما سيأتي أيضاً في القصة – أرادَ مِن أهل القريةأن يُطعِموه، ومعلومٌ أن الملائكة لا تأكل.

♦ وقد ﴿آتَيْنَاهُ﴾ يعني أعطينا الخَضِر ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ - وهي النُبُوَّة - ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ أي مِن عندنا ﴿عِلْمًا﴾ عظيمًا (وهو بعض الأشياء مِن علم الغيب عن طريق الوحي)، فـ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ؟ يعني هل تَأذن لي أن أتَّبعك لتُعَلِّمني شيئاً – أسترشد به وأنتفع – من العلم الذي علَّمك اللهُ إياه؟، فـ ﴿قَالَ﴾ له الخَضِر: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أي لن تستطيع أن تصبر على اتِّباعي ومُلازمتي، (وقد أرادَ بذلك أنه سيَرى منه أموراً لا يُقِرّها موسى في شَريعته، والخَضِر لابد أن يَفعلها، فيَتضايق موسى بسببها ولا يطيق الصبر).

♦ وقال الخَضِر لموسى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ؟! يعني وكيف لك الصبر على ما سأفعله من أمورٍ يَخفى عليك عِلمها والحِكمة منها؟!، فـ﴿قَالَ﴾ له موسى – وقد أصَرَّ على طلب العِلم –: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ على ما أراه منك ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ، فوافق الخَضِر، و﴿قَالَ﴾ له: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾ يعني فإنْ صاحَبْتَني ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ تُنكِرُه مِنِّي ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي حتى أكون أنا الذي يُبَيِّن لك حقيقته، دونَ سؤالٍ منك.

الآية 71: ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يَمشيان على الساحل، فمَرَّتْ بهما سفينة، فطلبا مِن أهلها أن يَركبا معهم، فعرفوا الخَضِر، فحملوهما بغير أجر ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾: يعني فلمّا ركبا: قَلَعَ الخَضِر لوحًا من السفينة فخرقها، فـ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وقد حملونا بغير أجر؟! ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: يعني لقد فعلتَ أمرًا مُنكرًا.

الآية 72: ﴿قَالَ﴾ له الخَضِر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ على صُحبتي.

الآية 73: ﴿قَالَ﴾ موسى مُعتذرًا: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: أي لا تؤاخذني بنسياني لشرطك عليَّ (فإنّ الناسي لا حرج عليه)، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أي: ولا تشقّ عليّ في تعلُّمي منك، وعامِلني برفقٍ ويُسر (فقبل الخَضِر عُذره).

الآية 74: ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يَمشيان بعد أن نزلا من السفينة ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ يعني: فبَينما هما يمشيان على الساحل: لَقِيا غلامًا يَلعب مع الغِلمان، فقتله الخَضِر، فأنكر موسى ذلك عليه، و﴿قَالَ﴾ له: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿زَكِيَّةً﴾؟! يعني كيف قتلتَ نفسًا طاهرة لم تبلغ حدَّ التكليف ولم تتلوث بالذنوب؟!، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؟! يعني وكيف قتلته وهو لم يَقتل نفسًا يَستحق بسببها هذا القتل (قِصاصاً)؟! ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ : أي لقد فَعَلْتَ أمرًا تُنكِره الشرائع والعقول، (ولم تكن هذه نِسياناً من موسى كالتي قبلها، بل كان هذه المرة متعمداً، لأنه لم يُطِق فِعلاً مُنكَراً كهذا).

الآية 75، والآية 76: ﴿قَالَ﴾ الخَضِر لموسى – مُعاتِبًا ومُذكِّرًا –: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ على ما تراهُ من أفعالي؟، فـ ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فـ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾: أي قد بلغتَ العُذر في شأني ولم تقصِّر؛ حيثُ أخبرتَني أنني لن أستطيع معك صبرًا.

♦ واعلم أنّ العلماء قد اختلفوا في الفرق بين (شيئاً إمراً وشيئاً نُكراً)، ورجّح بعضهم أنّ الاثنان بمعنى واحد، وهو: (الأمر الفظيع المُنكَر)، ولكنّ النُكر أعظم من الإمر، لأنّ قتل النفس البريئة بغير ذنب هو أكبر مِن خَلع لوح من السفينة (فاللوح يُمكِن أن يَتِمّ إصلاحه أو يُؤتَى بغيره، لكنّ المقتول لا يُمكِن إعادته).

الآية 77: ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يَمشيان ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي طلبا من بعض أهلها طعامًا على سبيل الضيافة، ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ : أي فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ مائلاً ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ أي يُوشِك أن يَسقط ﴿فَأَقَامَهُ﴾: أي فعدَّله الخَضِر وأصلحه حتى لا يَسقط، فـ ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ : يعني لو شئتَ لأخذتَ أجرًا على هذا العمل – مِن صاحب الجدار – لتُحضِر لنا به طعامنا، (إذ كيف تَبنيه لهم (مَجّاناً)، وقد كانوا بخلاء معنا ولم يُضيِّفونا؟).

الآية 78، والآية 79: ﴿قَالَ﴾ الخَضِر لموسى: ﴿هَذَا فِرَاقُ﴾ أي هذا هو وقت الفراق ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، و﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي سأخبرك الآن بتفسير الأفعال التي أنكرتَها عليَّ ولم تستطع صبرًا على ترْك السؤال عنها، فـ ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ التي خرقتُها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ﴾ عليها ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ أي يؤجِّرونها للرُّكّاب طلباً للرزق، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ بذلك الخرق، والسبب في ذلك: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾: يعني لأنه كان أمامهم مَلِكٌ يأخذ كل سفينة من أصحابها قهراً (فأردتُ أن أجعل بها عيباً حتى لا يَرغب فيها).

♦ واعلم أنّ لفظ "وراء" يُطلق على ما كان خلفاً وما كان أماماً، لأنّ كل ما وُورِيَ – أي: استُتِر – فهو وراء، كما قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي مِن بعد موته.

الآية 80، والآية 81: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ الذي قتلتُه ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾: يعني كان أبوه وأمه مؤمنَيْن، وقد عَلِمَ اللهُ تعالى أنّ ذلك الولد إذا بَلَغَ وكَبر سوف يَعُقُّهما ولا يُطيعهما ﴿فَخَشِينَا﴾ أي فخِفتُ إن بَقِيَ حَيّاً وكَبُر ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يعني أن يُوصل والديه إلى الكفر والطغيان؛ بسبب مَحبتهما له أو شدة حاجتهما إليه، فيُطيعا أمْره، ويُقِرَّاه على ما يَفعله (حتى ولو كان طغياناً وكفراً)، فيكونا بذلك مِثله، ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ :

www.alukah.net

أي فأردتُ أن يكون قتلي له سبباً أرجو به من اللهِ تعالى أن يُبْدِلَ أبويه غلاماً خيراً منه صلاحًا ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ يعني أكثر بِرًا بهما.

♦ واعلم أنّ الخضر عليه السلام قد قال اللفظيْن: ﴿فَخَشِينَا﴾، و ﴿فَأَرَدْنَا﴾ بضمير الْمُتكلِّم الْجَمْعِي (تواضعاً لا تعاظماً)، لأنه هنا قد أخبر أنّ اللهَ تعالى هو الذي علَّمه ذلك، فناسَبَ ذلك التواضع، فقال اللفظيْن: ﴿فَخَشِينَا﴾، و ﴿فَأَرَدْنَا﴾ بإظهار أنه قد عاوَنَهُ أحد في هذا الفعل، وذلك مِثل قوله تعالى - حكايةً عن يوسف عليه السلام -: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾، وهذا أيضاً مِثل قول القائل: (لقد وفقنا اللهُ تعالى إلى فِعل كذا وكذا).

الآية 82: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ الذي عدَّلتُ مَيْلَه حتى اعتدل: ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (أي في القرية التي فيها الجدار) ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا﴾ رجلاً ﴿صَالِحًا﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي يَكبرا ويبلغا قوّتهما، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ بأيديهما، وقد كانَ ذلك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ بهما، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾: يعني وما كانت أفعالي هذه ناتجة عن إرادتي واختياري، وإنما فعلتُها بأمْر اللهِ تعالى وتعليمه، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي وَضَّحتُهُ لك هو ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: أي هو تفسير الأمور التي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها.

♦ واعلم أنّ الفعل (تَسْطِعْ) هو بمعنى (تَسْتَطِعْ)، ولكنْ حُذِفَتْ التاء هنا تخفيفاً لقُرْبها مِن مَخرج الطاء، وذلك تجنُّباً لإعادة نفس اللفظ المذكور في قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، حتى لا يَحدث ثِقَلٌ للسامع مِن تكراره، وهو ما يُسَمّى في اللغة بـ (أسلوب التفنُّن)، كما سيأتي في قوله تعالى - حكايةً عن ذي القرنين -: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾.

♦ واعلم أيضاً أنه يُستفاد من هذه القصة أنّ الإنسان ينبغي ألاَّ يَحكم على الأمور بالظاهر، لأنّ هناك أشياء لا يَعلمها ولا يَعلم الحكمة منها، ولذلك ينبغي أن يقول دائماً: (قدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعل)، ويُفَوِّض الأمر لربه العليم الحكيم، ويَتذكر هذه القصة.

الآية 83: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾: أي يَسألك مُشركو قومك - أيها الرسول - عن خبر المَلِك الصالح "ذي القرنين"، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: أي سأقرأ عليكم مِن حاله خبرًا يَحمل موعظةً وعِلمًا تتذكرونه وتعتبرونَ به.

الآية 84، والآية 85، والآية 86: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أعطيناه من المُلك والسلطان والعلم ما يُمَكِّنُه من التحكم في مَمالك الأرض ﴿وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: يعني أعطيناه من كل الأسباب والوسائل و"الإمكانيات" التي يتوصل بها إلى فَتْح البلاد لِيَنشر فيها العدل والخير وغير ذلك، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي فأخَذ بتلك الأسباب والطرق بجِدٍّ واجتهاد، وأَتْبَعَ السبَبَ سببًا آخر، حتى انتهى إلى ما يريد، (وهذا مِن سُنن اللهِ الكونية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في تكامُل الأشياء، فمَن صَنَعَ "العَرَبة" وتابَعَ الأسباب التي تَوَصَّلَ بها إلى صُنع "العَرَبة"، فإنه يَصنع " الطائرة"، وهكذا).

♦ واعلم أنّ كلمة "السبب" مَعناها الحقيقي: (الحَبل)، ولكنها أُطلِقَتْ على كل ما يُتَوَصَّل به إلى شيءٍ ما.

♦ فتابَعَ ذو القرنين بين أسباب الغَزو والفتح ، وسارَ بجنوده ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾: يعني حتى إذا وصل إلى المكان الذي تَغرب فيه الشمس (وهو على ساحل المحيط الأطلنطي): ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: أي وَجَدَها – في نظر العين – كأنها تغرب في ماءٍ ساخن أو أسود، (وكَوْنها تَغرب في هذا الماء: هو بحسب رؤية العين، وإلاّ فالشمس في السماء، والمحيط في الأرض).

﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أي عند تلك العين الحَمِئة – في ذلك الإقليم الغربي – ﴿قَوْمًا﴾ (كافرين أو فُسّاق)، لأنّ اللهَ تعالى رَخَّصَ له في تعذيبهم – فلو أنهم كانوا مؤمنين، ما رَخَّصَ له في تعذيبهم، كما سيأتي – فـ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، والمعنى أنّ اللهَ تعالى أَذِنَ له في التصرف فيهم (بعد أن يَسَّرَ له أسباب التغلب عليهم)، فخيَّره سبحانه بين أن يُعَذِّبهم بالقتل أو غيره، وبين أن يُعاملهم بالإحسان، فيُطلِقَ سَراحهم بدون فداء، أو أن يأخذ منهم الفداء.

♦ والظاهر مِن قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ أنّ ذا القرنين كان نَبيّاً مِن أنبياء الله تعالى يُوحَى إليه.

الآية 87، والآية 88: ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين لهؤلاء القوم: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: يعني أمَّا مَن استمَرَّ على شِركه وفجوره: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ في الدنيا، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ أي: ثم يَرجع إلى ربه بعد الموت، فيُعذبه عذابًا فظيعًا في نار جهنم ﴿وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ﴾ بربه (فصدَّقَ به ووحَّدَه) ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (على النحو الذي شَرَعه)، ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾: أي فله الحُسنى – وهي الجنة – ثوابًا من اللهِ تعالى، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ يعني: وسنُحسن إليه، ونُلَيِّن له القول ونُيَسِّر له المعاملة، فلا نُكَلِّفه ما يُرهقه.

الآية 89، والآية 90: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: ثم سارَ ذو القرنين بجنوده ليَفتح المَشرق، مُتَّبِعًا الأسباب التي أعطاها اللهُ له في فتح المَغرب ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: يعني حتى إذا وصل إلى المكان الذي تطلع منه الشمس – في نظر العين –: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ أي ليس لهم مساكن تسترهم من الشمس، ولا ثياب يَلبسونها (إذ كانوا قومًا (بِدائيين) لم تساعدهم الأرض التي يعيشون عليها على التحضّر، فلذلك كانوا يَسكنونَ الكهوف والمَغارات والسراديب، ويَسترون عوراتهم بأوراق الشجر وجلود الحيوانات وغير ذلك).

الآية 91: ﴿كَذَلِكَ﴾ - أي كذلك كانَ أمْرُهُم كما قصصنا عليك أيها الرسول - ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ أي: وقد أحاطَ عِلْمُنا بما عند "ذي القرنين" من الأسباب المادية والإيمانية، حيثما توجَّه وسار.

الآية 92، والآية 93، والآية 94: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: ثم واصَلَ طريقه في الغزو والفتح – آخِذًا بالأسباب التي أعطاها اللهُ له – ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وهما جَبَلان عظيمان يَحجزان ما وراءهما، فـ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾

www.alukah.net

يعني وجد أمام هذين الجبليْن ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يفهمون كلام مَن يخاطبهم إلاّ بشدة وبُطء (لأنهم لا يعرفون لهجةً أخرى غير لَهْجتهم)، فـ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ وهُما قبيلتان عظيمتان من بني آدم ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بإهلاك الزرع وقتْل البشر والتدمير والتخريب، ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: يعني فهل نجعل لك أجرًا ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾؟ يعني مُقابل أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا يَمنعهم من الوصول إلينا؟

الآية 95، والآية 96: ﴿قَالَ﴾ لهم ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ يعني: الذي أعطانيه ربي من المُلك والتمكين هو خيرٌ لي مِن مالكم، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ مِن أجسادكم: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي حاجزًا قويًّا – في المسافة التي بين الجبلين – ليَكون حائلًا بينكم وبينهم.

♦ وقال لهم ذو القرنين: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾: يعني أعطوني قطع الحديد (كل قطعة منهم على قدر الحَجَر الذي يُستخدَم في البناء)، فجاؤوا به إليه، فأخذ يضع الحديد ويَبني السد ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: يعني حتى إذا ارتفع البناء وأصبح مُساويًا لارتفاع الجبلين: ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين للعُمّال: ﴿انْفُخُوا﴾ أي أشعِلوا النار، وانفخوا على الحديد حتى يَنصهر (ليُصبح أكثر صلابةً وثباتًا)، ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾: يعني حتى إذا اشتعلت النار في جميع قطع الحديد، وصار الحديد كله مُنصهرًا: ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾: يعني أعطوني نحاسًا مُذابًا أُفرِغه عليه، فجاؤوا إليه بالنحاس المُذاب، فأفرغه على السد، (ولَعَلّ الحكمة من اتحاد الحديد المنصهر مع النحاس المُذاب أنْ تَنتج مادة ثالثة أكثر صلابة تجمع بين قوة الحديد وقوة النحاس).

الآية 97، والآية 98: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أي فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يصعدوا فوق السد (لارتفاعه ومَلاسته)، ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾: يعني وما استطاعوا أن يَخرقوه مِن أسفله لقوّته.

♦ فلمّا نظر ذو القرنين إلى السد - بعد أن أصبَحَ بناءً شامخًا وحِصنًا حصينًا -: ﴿قَالَ﴾: ﴿هَذَا﴾ السد هو ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ بالناس، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروج يأجوج ومأجوج عند قُرْب الساعة: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾: أي جعله اللهُ ترابًا مُساويًا للأرض، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

الآية 99: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: أي تركنا يأجوج ومأجوج – يوم يأتي وَعْدُنا – يَذهبون ويَجيئون في اضطرابٍ كمَوج البحر لِكَثرتهم، (ويُحتمَل أن يكون المقصود بمَن يَموج بعضهم في بعض: الإنس والجن، وذلك يوم القيامة، واللهُ أعلم)، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي نُفِخَ في "البُوق" نفخة البعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾: أي فجمعنا الخلق جميعًا للحساب والجزاء.

الآية 100، والآية 101: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ أي عَرْضًا حقيقيًّا يُشاهدونها فيه عن قُرْب، لنُرِيَهم سُوء عاقبتهم، إذ هُم ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي كانت أعينهم لا تستطيع أن ترى آياتي الكونية، وكانت بصائر قلوبهم لا تستطيع أن ترى أدلتي القرآنية، لِيَستدلوا بها على أنني وحدي المُستحِق

شبكة الألوكة - قسم الكتب

للعبادة، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: أي كانوا لا يطيقون سماع حُجَجي المُوَصّلة إلى الإيمان بي وبرسولي، والداعية إلى الهدى والخير.

الآية 102: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾؟! يعني هل ظن الكفار أن يتخذوا مِن مَخلوقاتي آلهةً يَعبدونهم، ليكونوا أولياءَ لهم يُنقذونهم من عذابي؟! (والاستفهام للإنكار والتوبيخ)، يعني: كلا، إنهم سوف يَتبرؤون منهم يوم القيامة، وسوف نُعاقِب المُشركين على شِركهم وكُفرهم، فـ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾: أي أعددنا نارَ جهنم للكافرين مَنزلًا، (وفي هذا تهديدٌ ووعيد لكل مَن يتخذ الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء آلهة، يَعبدونهم تحت شعار: التقرب إلى اللهِ تعالى بعبادتهم، وطلب شفاعتهم له عنده، مِن غير أن يكون لهم دليلٌ في ذلك إلا التقليد الأعمى واتّباع الهوى!!).

من الآية 103 إلى الآية 106: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول – مُحَذرًا للناس -: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾؟ يعني هل نُخبركم بأخسر الناس أعمالًا؟ إنهم هُم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي بَطُلَ عملهم وفَسَد، فلم يَنتفعوا به – لأنه لم يكن على هُدىً ولا صواب – فبذلك ضيَّعوه بعد أن تعبوا فيه ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ يعني: وهُم يظنون أنهم مُحسِنونَ في أعمالهم، (واعلم أنه يَدخل في ذلك: المُراؤونَ (وهم الذين يطلبون بأعمالهم ثناء الناس عليهم)، وكذلك العامِلونَ بالبِدَع المُكَفِّرة).

﴿أُولَئِكَ﴾ هم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ أي كفروا بالقرآن وبما فيه من دلائل التوحيد، والأحكام الشرعية التي شَرَعها اللهُ لعباده، وكفروا كذلك بالبعث والجزاء ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، أي بَطلت أعمالهم بسبب كُفرهم وريائهم، وعَمَلهم بغير ما شَرَعَه اللهُ لهم، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، أي لا نجعل لهم قدْرًا ولا قيمة، ولا نُوزِنُ لهم أعمالهم الباطلة، بل نَحتقرهم ونُذِلّهم، (عِلمًا بأنّ الكفار سيُحاسَبون وإنْ لم تُوزَن أعمالهم، لقوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾، فمُحاسبَتهم لإظهار العدالة الإلهية، لا لأنّ لهم أعمالًا صالحة يُجزَوْنَ بها)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخاري –: (إنه لَيُؤتَى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يَزِن عند اللهِ جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾).

﴿ذَلِكَ﴾ أي أولئك المُحتَقرون الذليلون ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ أي بسبب أنهم كفروا بوحدانية اللهِ تعالى ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ يعني: وبسبب أنهم سخروا واستهزؤوا بآيات الله وحُجَجه ورُسُله، فلذلك كان الحُكم عادلًا، والجزاء مُوافِقًا.

♦ ويُلاحَظ أنه تعالى أطلَقَ عليهم لفظ: (ذلك) بدلًا من: (أولئك)، لأنهم بكُفرهم وحبوط أعمالهم أصبحوا لا خيرَ فيهم، ولا وزنَ لهم، فحينئذٍ يُستحسَن أن يُشار إليهم بـ "ذلك"، (أي ذلك المذكور مِن سَفَلَة الخَلق)، واللهُ أعلم.

الآية 107، والآية 108: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ باللهِ ورسوله، وبكل ما أخبر به رسوله من الغيب ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ على النحو الذي شَرَعَه اللهُ تعالى، فأدَّوا الفرائض والواجبات، وسارَعوا في النوافل والخيرات، أولئك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ - في عِلم اللهِ وحُكمه -: ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ أي لهم أعلى درجات الجنة وأفضلها منزلًا (وهي الفردوس الأعلى)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري –: (فإذا سألتم اللهَ فسَلُوهُ الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عَرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة).

♦ وحتى نَفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة): فإننا سوف نتخيل أن الجنة عبارة عن صندوق ضخم، فبالتالي تكون الفردوس في منتصف هذا الصندوق ولكنْ في أعلى نقطة فيه، فبذلك تكون أعلى الجنة وأوسط الجنة)، (واعلم أنّ النُزُل هو ما يُعَدّ للضيف مِن إكرامٍ وإنعام).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ - أي في هذه الجنة - ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾، أي لا يريدون تحوُّلًا عنها؛ لأنّ نعيمها لا يُمَلّ منه، وصَفْوها لا يُكَدَّر، وسعادتها لا تنقص ولا تُنَغَّص بموتٍ ولا مرض ولا هَم ولا حزن ولا تعب (جعلنا اللهُ مِن أهلها ومَن قال آمين).

الآية 109: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول -: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾: يعني لو كان البحر حِبرًا يُكتَب به الكلمات الإلهية التي تحمل العلوم والمعارف: ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ أي انتهى ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ يعني: ولو جئنا بمِثل البحر بحارًا أخرى مَدَدًا له، (وفي الآية إثبات صفة الكلام للهِ تعالى حقيقةً كما يَليق بجلاله وكماله).

♦ وقد تضمنت هذه الآية ردًّا على اليهود الذين قالوا: (أوتينا التوراة، وفيها عِلم كل شيء)، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية ردًّا عليهم وإبطالًا لمَزاعمهم، وأخبَرهم أنّ عِلمه سبحانه لا يَنتهي، وأنهم لم يُعطَوا من العلم إلا قليلًا.

الآية 110: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول – لهؤلاء المُشركين الذين يَطلبون منك المُعجزات بحسب أهوائهم واقتراحاتهم: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ لا أقدر على تحقيق مَطالبكم مِن عند نفسي، والفرق بيني وبينكم هو أنني ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾ - مِن ربي - ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ﴾، أي مَعبودكم الحق هو ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (وهو اللهُ الواحد الأحد، المُستحِق وحده للعبادة).

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يعني: فمَن كانَ يرجو ثواب ربه، ويخاف عذابه يوم لقائه: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ - وهو كل ما كانَ خالصًا للهِ تعالى، مُوافِقًا لشَرْعه - ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، فبهذا يكون رجاؤه صادقًا، فإنّ حُسن الظن بدون العمل لا ينفع، وقد ضَرَبَ ابن القيّم رحمه اللهُ مَثَلًا لمن يَزعمونَ أنهم يُحسنون الظن بربهم ولا يَعملون، كمَثَل رجلٍ له أرض زراعية، لا يضع فيها البذور، ولا يَسقيها، ثم يقول: (أنا أُحسِن الظن بها أنها ستُنبِت)!

♦ وفي ختام تفسير سورة الكهف نُحبّ أن نَذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم –: "مَن حَفِظَ عشر آيات من أول سورة الكهف: عُصِمَ من الدَجّال".

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة مريم كاملة

1. الربع الأول من سورة مريم

- من الآية 1 إلى الآية 7: ﴿كهيعص﴾: سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، (واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: كاف ها يا عَيْن صاد).

♦ هذا الذي نتلوه عليك أيها الرسول هو ﴿ذِكْرُ﴾ أي خبر ﴿رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾، فقد رَحِمَ اللهُ نبيَّه زكريا عليه السلام ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾: أي حين دعا ربه سِرًّا (ليكون أكمل، وأتَمّ إخلاصًا للهِ تعالى، وأرجَى للإجابة)، فـ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ يعني إني كَبرتُ، وضَعُفَ عظمي ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾: أي انتشر الشيب في رأسي ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: يعني ولم أكن مِن قَبْل محرومًا من إجابتك لدعائي، فلا تحرمني اليوم مما أدعوك به.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾: يعني وإني خِفتُ من أقاربي أن يُضيِّعوا الدين ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ أي مِن بعد موتي (فلا يدعوا الناس إلى توحيدك وعبادتك)، ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ أي عقيماً لا تلد، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾: أي فارزقني مِن عندك ولدًا مُعِينًا يتولى أمْر هذه الدعوة مِن بعدي، و﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ﴾: أي يَرِث نُبُوَّتي ونُبوة آل جَدِّي يعقوب، (لأنّ الأنبياء لا يُوَرِّثون إلا النُبُوّة والعلم والحكمة، وما يَتركونه مِن متاع الدنيا فهو صدقة)، ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: أي اجعل هذا الولد عبداً صالحاً، ترضاه لِحَمل رسالتك والدعوة إليك.

♦ فاستجاب اللهُ دعائه، وقال له – بواسطة الملائكة –: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: لم نُسَمِّ أحدًا قبله بهذا الاسم.

- الآية 8: ﴿قَالَ﴾ زكريا فَرِحاً مُتعجبًا: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾؟! يعني كيف يكون لي غلام، وامرأتي عقيم لا تلد ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾؟! يعني وقد بلغتُ النهاية في الكِبَر وضَعف العظم؟!

- الآية 9: ﴿قَالَ﴾ المَلَك – مُجيبًا زكريا عمَّا تعجَّب منه –: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾: يعني هكذا الأمر كما تصف – مِن كَوْن امرأتك لا تلد، وبلوغك سن الشيخوخة – ولكنَّ ربك قال: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ يعني: خَلْقُ يحيى – على هذه الحالة – هو أمْرٌ يسيرٌ عليَّ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ﴾: أي وقد خلقتك أنت مِن قبل يحيى ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (فكما قدَرَ سبحانه على خَلْقك ولم تكن شيئاً، فهو قادر أيضاً على أن يرزقك الولد رغم ضَعفك وعُقم امرأتك).

- الآية 10: ﴿قَالَ﴾ زكريا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً﴾: أي اجعل لي علامةً، تدلني على وقت حَمْل امرأتي بالولد، لِيَحصل لي السرور والاستبشار، ﴿قَالَ آَيَتُكَ﴾ التي طلبتَها هي ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ يعني إنك لن تستطيع التحدث إلى الناس ثلاثة أيامٍ ولياليهنّ – إلا بالإشارة إليهم – مع أنك سَوِيٌّ مُعافَى، ليس بك خَرَس ولا مرض يَمنعك من الكلام.

- من الآية 11 إلى الآية 15: ﴿فَخَرَجَ﴾ زكريا ﴿عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ (وهو المكان الذي يصلي فيه، وهو أيضاً المكان الذي بُشِّرَ فيه بالولد)، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أي فأشار إلى قومه – أو كَتَبَ لهم –: أنْ سَبِّحوا اللهَ صباحًا ومساءً، (والظاهر أنه كان يأمرهم بالتسبيح – كل يومٍ – صباحًا ومساءً، أو أنه أمَرَهم بالتسبيح شكراً للهِ تعالى، لأنّ البشارة بيحيى – وبنُبُوَّته – هي مَصلحة دينية في حق الجميع)، وعندما لم يَقدر زكريا على الكلام: عَلِمَ بحَمل امرأته.

www.alukah.net

♦ فلمّا وُلِدَ يحيى وأصبح يَفهم الخطاب المُوَجَّه إليه، قال اللهُ له - بواسطة الوحي -: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ أي خذ التوراة بجد واجتهاد (وذلك بحفظ ألفاظها، وفَهم معانيها، والعمل بها)، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾: يعني وأعطيناه الحِكمة وفَهم التوراة (وهو صبي لم يبلغ سن الاحتلام)، ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ يعني وأعطيناه رحمةً مِنّا في قلبه، جعلته يَعطف على غيره، ﴿وَزَكَاةً﴾ أي: وجعلناه ولداً طاهراً - لا يَتلوث بذنبٍ قَطّ طُوالَ حياته - بل يَستعمل بَدَنه فيما يُرضي ربه، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ أي: وكانَ يَحيى خائفًا من اللهِ تعالى (فلم يَعصِهِ بتَرْك فريضة، ولا بِفعل حرام)، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: وكان بارًّا بوالديه مُطيعًا لهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾: أي لم يكن متكبرًا عن طاعتهما، ولا عاصيًا لأمْرهما، بل كانَ عليه السلام متواضعاً يَقبل الحق، وطائعاً لأمْر ربه وأمْر والديه.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾ أي أمانٌ مِن اللهِ تعالى ليحيى ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ - مِن أن يُصيبه الشيطان بسُوء - ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ أمانٌ له مِن فتنة القبر، ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أمانٌ له من الفزع الأكبر يوم القيامة (فيكون من الآمنين السعداء، في الجنةِ دار السلام).

- الآية 16، والآية 17: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ يعني: واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن قصة مريم ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي حين اعتزلتْ أهلها، فاتَّخذتْ ﴿مَكَانًا﴾ خاصاً، تَخلو فيه بنفسها لعبادة ربها، ﴿شَرْقِيًّا﴾ أي شرق الدار التي بها أهلها (أو شرق بيت المَقدس)، ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: أي فجعلتْ لها ساترًا يَسترها عن أهلها وعن الناس، ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: أي فأرسلنا إليها المَلَك جبريل (الذي قال اللهُ عنه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾) ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾: أي فتمثّل لها جبريل في صورة إنسان تامّ الخَلْق (حتى لا تَفزع منه إذا ظَهَرَ لها بصورةٍ أخرى).

- الآية 18: ﴿قَالَتْ﴾ له مريم: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾: يعني إني أحتمي بالرحمن - الذي يَرحم الضَعيفات مِثلي - مِن أن تصيبني بسوء ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾: يعني إن كنتَ مؤمناً تتقي اللهَ تعالى.

- الآية 19: ﴿قَالَ﴾ لها جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ وقد بَعَثني إليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ أي ولداً طاهراً، لا يَتلوث بذنبٍ قَطّ طُوالَ حياته.

- الآية 20: ﴿قَالَتْ﴾ له مريم: ﴿أَنَّى﴾ يعني كيفَ ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بنكاحٍ حلال، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ يعني ولم أكُن زانية؟!

- الآية 21، والآية 22، والآية 23: ﴿قَالَ﴾ لها جبريل عليه السلام: ﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾: أي هكذا الأمر كما تَصِفين - مِن أنه لم يَمْسَسكِ بشر، ولم تكوني زانية - ولكنّ ربك قال: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ يعني: خَلْقُ هذا الغلام مِن غير أب هو أمْرٌ يسيرٌ عليَّ، ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ يَستدِلُّوا بها على قدرة اللهِ تعالى، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ بمن آمَنَ به واتَّبَعَ ما جاءَ به من التوحيد والاستقامة، ﴿وَكَانَ﴾ وجود عيسى على هذه الحالة ﴿أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾: أي قضاءً مُقدَّرًا، لابد مِن نفوذه.

♦ فنفخ جبريل في جَيْب ثيابها - وهو المكان الذي عند الرقبة - فوصلتْ النفخة إلى رَحِمِها ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: أي فحملتْ مريم بالغلام ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾: أي فتباعدتْ به إلى مكان بعيد عن الناس (خوفاً من اتّهامها بالزنا)، ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾: أي فألجأها طَلْقُ الحمل، واضطرَّها ألم الولادة ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ لتعتمد عليه أثناء الولادة، فلمَّا وضعته: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ أي قبل هذا اليوم ﴿وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ أي شيئًا لا يُعْرَف ولا يُذْكَر، (وذلك لأنها خافت أن يَظُنّ الناسُ بها شرّاً).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 24، والآية 25، والآية 26: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ - وفي أحد القِراءات: (فناداها مَن تَحتَها) أي الذي تحتها (وهو عيسى عليه السلام)، حيثُ أنطقه اللهُ تعالى بعدما وضعته، ليُخَفِّف عنها حُزنها بسبب ولادتها وهي بِكْر، فناداها عليه السلام ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾، وكذلك بَشَّرها وأرشدها قائلاً: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي جَعَلَ اللهُ تحتك نهراً صغيراً من الماء، ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾: أي حَرِّكي جذع النخلة نَحْوَكِ: يَتساقطْ عليك رُطَب - أي "بلح" - قد طابَ وأصبح صالحاً للحصاد، ﴿فَكُلِي﴾ من الرُطَب، ﴿وَاشْرَبِي﴾ من الماء، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾: أي اطمئني وافرحي بولدك، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾: يعني فإنْ رأيتِ أحدًا من الناس فسألك عن ولدك: ﴿فَقُولِي﴾ له - بالإشارة -: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾: يعني إني أَوْجَبْتُ على نفسي إمساكاً عن الكلام وصمتاً للهِ تعالى ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (وقد كان السكوت عبادةً في شَرْعِهم، ولكنّ الإسلام نَسَخَ ذلك، فلم يَجعل الصمت عبادةً في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم).

- الآية 27، والآية 28، والآية 29: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾: يعني فجاءت مريم - من المكان البعيد - إلى قومها، وهي تَحمل ولدها في يدها، فلمَّا رأوها كذلك ﴿قَالُوا﴾ لها: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾: أي لقد جئتِ أمرًا عظيمًا (يقصدون بذلك: الزنا والعياذ بالله)، وقالوا لها: ﴿يَا أُخْتَ﴾ الرجل الصالح ﴿هَارُونَ﴾ ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾: يعني لم يكن أبوكِ رجلاً يأتي الفواحش، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: يعني وما كانت أمك زانية، بل كانت عفيفة طاهرة، فكيف حَصَلَ لك هذا؟، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: أي فأشارت مريم إلى ولدها الرضيع ليسألوه ويُكَلِّموه، (لأنها علمتْ أنه يَتكلم عندما ناداها مِن تحتها)، فـ﴿قَالُوا﴾ - مُنكِرينَ عليها -: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾؟! يعني كيف نُكَلِّم مَن لا يزال طفلاً رضيعًا في مَهده؟!

- من الآية 30 إلى الآية 33: ﴿قَالَ﴾ عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ (فألقى اللهُ سبحانه على لسان عيسى إقراره بعبوديته للهِ تعالى - رغم أنّه كان من المتوقع أنْ يُبرئ أُمَّه من الزنا أولاً - وذلك لأنّ اللهَ تعالى عَلِمَ أنّ قوماً سيَزعمونَ أنه ابن الله، وحتى لا يُفتَن أحدٌ بنُطقه وهو رضيع، فيَزعم أنه إله أو ابن إله)، تعالى اللهُ عن قول النصارى الذين يُخالفونَ عيسى عليه السلام في قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، ثم يَدَّعونَ اتّباعه.

♦ وقال عليه السلام: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾: أي قَضَى ربي بإعطائي الكتاب - وهو الإنجيل - ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، (وكذلك أخبرهم عليه السلام بما كتبه اللهُ له في المستقبل)، فقال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي جعلني عظيمَ الخير والنفع حيثما كنت، ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾: أي وجعلني بارًّا بوالدتي، مُطيعاً لها، لا ينالها مِنّي أذى، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾: أي لم يَجعلني متكبرًا عن طاعة والدتي، ولا عاصيًا لأمْر ربي، (واعلم أن الجبّار هو المتكبر على الناس، الغليظ في معاملتهم، واعلم أيضاً أنّ الشَقي هو الضال الخائب في مَسعاه)، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ يعني: والأمان عليَّ مِن اللهِ تعالى ﴿يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ - من أن يُصيبني الشيطان بسُوء -، ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ أمانٌ لي من فتنة القبر، ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أمانٌ لي من الفزع الأكبر يوم القيامة (فأكون من الآمنين السعداء، في الجنةِ دار السلام).

♦ وللرد على مَن أنكر نُطق عيسى عليه السلام في المهد: نقول لهم بأنّ شريعة اليهود كانت تقتضي رَجْم الزانية، فلمَّا اتَّهموا مريم عليها السلام بالزنا، ثم لم يَرجموها، تَبَيَّنَ أنّ هناك شيئاً عجيباً قد حدث، مَنَعهم مِن فِعل ذلك وأثبَتَ برائتها (وهو نُطق عيسى عليه السلام في المَهد).

- الآية 34: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قَصَصنا عليك خبرَه - أيها الرسول - هو ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وقد قالَ ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي قالَ عن نفسه قول الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى (حيثُ اعترف بأنه عبد الله ورسوله).

www.alukah.net

- الآية 35، والآية 36: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾: أي لا يَليق باللهِ تعالى أن يتخذ ولدًا مِن عباده وخَلْقه (وذلك لِغِناهُ تعالى عنهم)، ﴿سُبْحَانَهُ﴾: أي تنزَّه وتبَرّأ عن ذلك، فإنه ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾: يعني إذا قدَّر أمرًا، وأرادَ إيجاد شيء: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ ﴿فَيَكُونُ﴾ أي فيكونُ كما شاءه وأراده، (فكذلك كانَ وجود عيسى عليه السلام بكلمة: (كُن)، مِن غير أب).

♦ وقال عيسى لقومه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ - الذي أدعوكم إليه - هو ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ (فأنا وأنتم سواءٌ في العُبودية والخضوع للهِ تبارك وتعالى)، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يعني: هذا - أي عبادة اللهِ وحده - هو الطريق الصحيح المُوَصِّل إلى السعادة الأبدية في جنات النعيم.

- الآية 37، والآية 38، والآية 39: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: أي فاختلفتْ الفِرَق - مِن أهل الكتاب - في أمْر عيسى عليه السلام، فمنهم مَن جاوَزَهُ قدْرَهُ (كالنصارى)، حيث قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة - تعالى اللهُ عمَّا يقولونَ عُلُواً كبيراً -، ومنهم مَن كَفَرَ برسالته (كاليهود) حيث قالوا: ساحر، وقالوا: ابن يوسف النجار، واتَّهموا أمّه كذباً بالزنا، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي فهلاكٌ للذين كفروا - بسبب نسبَتِهم الولد والشريك للهِ تعالى - مِن شهود يومٍ عظيم الهَول (وهو يوم القيامة)، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: ما أشدَّ سمعَهم وبَصَرَهم يوم القيامة، يوم يأتونَ إلى اللهِ تعالى ويُعاينون عذابه (وذلك حين لا يَنفعهم السمع والبصر)، إذ كانوا في الدنيا لا يريدونَ أن يُبصِروا الحق، ولا يريدونَ أن يَسمعوا حُجَجَه وبراهينه، ولذلك قال تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ أي في هذه الدنيا: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في ضلالٍ واضح.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: أي خوِّفهم بما يقع يوم القيامة من الحسرة والندامة لأهل الشِرك والضَلال ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي عندما يُشاهدون أهل الجنة قد ورثوا منازلهم فيها، وهم قد ورثوا منازل أهل الجنة في النار، فحينئذٍ تَعظُم الحسرة ويَشتد الندم، ﴿وَهُمْ﴾ - في هذه الدنيا - ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عمَّا أُنذِروا به، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ باليوم الآخر، ولا يعملون العمل الصالح الذي يُنجيهم من عذاب جهنم.

- الآية 40: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ - وذلك بعد فناء الخلق، وبقاء الخالق سبحانه - ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يومَ القيامة، فنُجازيهم على أعمالهم، (إذاً فلا تَحزن أيها الرسول على ما تَلقاهُ من أذى قومك، وامْضِ في دعوتك إلى توحيد ربك، ولا يَضرك تكذيب المُكَذِّبين، ولا شِرك المشركين)، (واعلم أنّ كلمة (نحن) - المذكورة في الآية - للتأكيد).

****

2. الربع الثاني من سورة مريم

- من الآية 41 إلى الآية 45: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: واذكر أيها الرسول لقومك - في هذا القرآن - خبر إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ أي كثير الصدق، وكانَ ﴿نَبِيًّا﴾ مِن أرفع الأنبياء مَنزلةً عند اللهِ تعالى، (لِذا فهو جدير بالذِكر في القرآن الكريم، ليكون قدوة صالحة للمؤمنين) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ أي لا يَسمعك ولا يراك ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾؟! يعني: لا يَدفع عنك ضراً، ولا يَجلب لك نفعاً، فما الفائدة من عبادته؟!، ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: يعني إنّ اللهَ قد أعطاني من العلم ما لم يُعطِك، (كمعرفة صفاته سبحانه وتعالى، وما أعدَّهُ من النعيم لمن وَحَّده وأطاعه، وما أعدَّهُ من العذاب لمن عَبَدَ غيره وعَصاه)، ﴿فَاتَّبِعْنِي﴾ فيما أدعوك إليه: ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾: يعني أُرشِدك إلى الطريق المستقيم، الذي يُوَصِّلك إلى السعادة والنجاة، ﴿يَا أَبَتِ لَا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾: أي لا تُطِع الشيطان فيما يَأمرك به من عبادة الأصنام، فـ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ أي مُخالِفًا لأوامر اللهِ تعالى، مُستكبرًا عن طاعته، ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ﴾ أي يُصيبك ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ إذا مِتَّ على كُفرك ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي فتكون قريبًا من الشيطان في النار.

- الآية 46: ﴿قَالَ﴾ أبو إبراهيم: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾؟ يعني هل أنت مُعرِض عن عبادة آلهتي يا إبراهيم؟ ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ عن سَبِّها وإظهار عيوبها: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة، ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي اذهب عني، ولا تكلمني زمنًا طويلاً لكي تنجو مِن عقوبتي.

- من الآية 47 إلى الآية 50: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ أي أمانٌ لك مِن أن يَنالك مني ما تَكره، و﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾: أي سوف أدعو اللهَ لك بالهداية والمغفرة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ أي كانَ مُكرِماً لي، رؤوفاً بحالي، يُجيبني إذا دَعَوته (وهذا قبل أن يَعرف أنّ والده سوف يموت على الشِرك، فلمَّا تبيَّنَ له أنه عدوٌ للهِ تبرَّأَ منه (كما جاء ذلك في سورة التوبة)). ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ يعني: وسوف أُفارقك - يا أبي - أنت وقومك وأصنامكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾ مُخلِصًا له العبادة والدعاء، ﴿عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾: يعني أرجو ألاّ أكون محرومًا من إجابته لدعائي.

♦ ولَعَلّ المقصود من هذا الدعاء أنه سيدعو اللهَ أن يرزقه زوجةً وولداً يَستأنس بهم أثناء هِجرته لقومه، لأنّ اللهَ تعالى قال بعدها: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يعني فلمَّا فارقهم وفارَقَ آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وهاجَرَ إلى أرض القدس: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: أي رَزَقناه بولده إسحاق، ثم رزقناه من إسحاق بحفيده يعقوب ليأنَسَ بهما، ﴿وَكُلًّا﴾ - مِن إسحاق ويعقوب - ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾ أي وهبنا لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ خيراً كثيراً (من المال والولد، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا)، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: أي وجعلنا لهم ذِكرًا حسنًا، وثناءً جميلاً باقيًا في جميع أهل الشرائع السماوية (وهذا إكرامٌ من اللهِ تعالى لهم، جزاءً لصِدق إبراهيم وصَبره على هَجْر قومه).

- الآية 51، والآية 52، والآية 53: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾: أي واذكر أيها الرسول - في هذا القرآن - خبر موسى عليه السلام (تشريفا له وتكريماً) ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ أي مُختارًا لإبلاغ رسالة اللهِ تعالى إلى خَلْقه (وهي عبادته وحده وذِكره وشُكره)، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (ولَعَلّ اللهَ تعالى جَمَعَ لموسى هنا بين الرسالة والنُبُوّة إشارةً إلى أنّ رسالته قد بلغتْ مَبلغاً قوياً، واللهُ أعلم). ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ - وهو في طريقه من أرض "مَدْيَن" إلى أرض "مصر" - ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ أي من الناحية اليُمنَى لجبل الطور بـ "سيناء" (ولَعَلّ المقصود مِن وَصْف جانب الجبل بـ "الأيمن" أي الناحية اليُمنَى لموسى عليه السلام، لأنّ الجبل ليس له يمين وشمال، واللهُ أعلم).

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾: أي قرَّبنا موسى وشرَّفناه بمُناجاتنا له من غير وحي، فصارَ يُكَلِّمنا ويَسمع كلامنا (وفي هذا إثبات لصفة الكلام للهِ تعالى كما يليق بجلاله وكماله)، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ ليؤيِّده ويُعِينه على تبليغ رسالته، (وقد كان ذلك استجابةً لدعاء موسى عليه السلام، إذ سأل ربه أن يُنعِم على أخيه هارون بالرسالة حين قال: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ أي اجعله رسولاً كما جعلتني، فاستجاب اللهُ دعائه، وأرسَلَ معه هارون إلى فرعون، (واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ أي كانَ هذا برحمةٍ خاصة مِن اللهِ تعالى، إذ النُبُوّة لا يُتوصَّل إليها بكثرة العبادة، ولكنها هبة إلهية خاصة، يُنعِمُ اللهُ بها على مَن يشاء مِن عباده).

- الآية 54، والآية 55: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾: أي واذكر أيها الرسول - في هذا القرآن - خبر إسماعيل عليه السلام ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾: أي كانَ صادقًا في وعده، فلم يُخلف وعداً قط ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾

www.alukah.net

أي كانَ يأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (والمقصود بأهله: أُسرته وقومه مِن قبيلة "جُرهم" الذين عاشَ بينهم في مكة) ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ أي كان مَرضياً عنه مِن ربه، وذلك بسبب اجتهاده فيما يُرضي اللهَ تعالى من الأقوال والأفعال.

- الآية 56، والآية 57: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾: أي واذكر أيها الرسول - في هذا القرآن - خبر إدريس عليه السلام ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ أي كثير الصدق في أقواله وأعماله، وكان ﴿نَبِيًّا﴾ يُوحَى إليه، ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (فقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم في السماء الرابعة في رحلة الإسراء والمعراج، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم).

- الآية 58: ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين قصصنا عليك خبرهم أيها الرسول، هم ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بفضله وتوفيقه، فجَعَلهم ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ (كإدريس عليه السلام)، ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ أي: ومِن ذرية مَن حملناهم ﴿مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة (كإبراهيم عليه السلام) إذ كانَ إبراهيم مِن ذرية نوح، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (كإسحاق وإسماعيل عليهما السلام)، ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ (كموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام) (واعلم أنّ إسرائيل هو يعقوب عليه السلام)، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ أي: وهُم مِن جملة مَن هديناهم للإيمان واخترناهم للنبُوَّة والرسالة.

♦ وهؤلاء الأنبياء كانوا ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾ - المتضمنة للعظات والعِبَر والدلائل والحُجَج -: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾: أي خرُّوا ساجدين - ذُلاً وخضوعًا لربهم - وهم يَبكونَ مِن خشيته سبحانه وتعالى، ومِن أنهم لم يَعبدوه حقَّ عبادته، ولم يَشكروه حقَّ شُكره.

- من الآية 59 إلى الآية 62: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي فجاء مِن بعد هؤلاء الأنبياء ﴿خَلْفٌ﴾ يعني أتباعُ سَوْءٍ، حيثُ ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾: أي تركوا الصلاة كلها، أو فوَّتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها، ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾: أي اتَّبعوا ما يُوافق شهواتهم - وذلك بانغماسهم في الذنوب والمعاصي - ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: أي فسوف يَلقون عذاباً في جهنم جزاءَ غَيِّهم (أي جزاء ضلالهم)، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي جزاءَ آثامه وذنوبه، (وقد قيل إنّ الغيّ: هو وادٍ في جهنم شديد الحر، واللهُ أعلم).

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ مِن ذنوبه ﴿وَآمَنَ﴾ باللهِ ورُسُله، وبجميع ما أخبر به الرُسُل من الغيب ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ تصديقًا لتَوبته: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ مع المؤمنين ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أي لا يُنقَصون شيئًا من ثواب حسناتهم، بل يدخلونَ ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي جنات الخلود ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي وَعَدَهم بها وهي غائبة عن أعينهم - إذ هي في السماء وهم في الأرض - فآمَنوا بها ولم يروها ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾: يعني إنّ وَعْده سبحانه بهذه الجنة - لعباده المؤمنين - آتٍ لا مَحالة.

♦ وأهلُ الجنة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: أي لا يَسمعونَ فيها كلامًا باطلاً ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ أي: لكنهم يَسمعون الملائكة وهي تُسَلِّم عليهم وتُحَيِّيهم (وهذا من النعيم الروحاني في الجنة)، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾ - من الطعام والشراب الذي تشتهيه أنفسهم - ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي دائماً، إذ كلما طلبوا شيئاً وجدوه أمامهم (اللهم ارزقنا الجنة).

- الآية 63، والآية 64، والآية 65: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ - الموصوفة بتلك الصفات - هي ﴿الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ أي نُعطيها عبادنا الذين يتقونَ ربهم (بامتثال أوامره واجتناب نَواهيه).

♦ وقل - يا جبريل - لمحمد: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ لنا، فإنه تبارك وتعالى ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي له سبحانه عِلْمُ وتدبير ما يُستقبَل من أمْر آخرتنا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ أي وله أيضاً ما مَضَى من الدنيا (عِلماً وتدبيراً)، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: وله أيضاً ما بين الدنيا والآخرة (وهو الزمن المتبقي من الدنيا إلى يوم القيامة).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ فله سبحانه الأمر كله، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ يعني: وما كان ربك ناسيًا لشيءٍ من الأشياء، وما كان ناسياً لك أيها الرسول، إذاً فلا تحزن لتأخّر الوحي عنك، فإنّ ربك إذا شاء أن يُرسِلَ الوحي إليك لأرسَلَه، فهو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي خالقُ ذلك كله ومُدَبِّر أمْرِه، ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده – بما شَرَعه لك – ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾: أي اصبر على طاعته – أنت ومَن اتَّبعك – لأنه سبحانه الذي يستحق العبادة وحده، وهو الذي يستحق أن تتحمل مِن أجْله، ف﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾؟ يعني: هل تعلم له نظيراً أو مَثيلاً؟ (والجوابُ: لا، فهو سبحانه ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله)، إذاً فاعبده وحده، وتحمَّل في سبيل ذلك ما استطعت، حتى تصل إلى رضاه وجنته.

♦ واعلم أنّ سبب نزول هاتين الآيتين – كما في صحيح البخاري – أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: (ما يَمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟)، فنزلت الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

****

3. الربع الأخير من سورة مريم

- الآية 66، والآية 67: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ المُنكِر للبعث: ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ من قبري؟!، فرَدَّ اللهُ عليه قائلاً: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾؟! أي لم يكن له جسد ولا اسم ولا صفة؟ إذاً فليعلم أنّ الذي خَلَقه من العدم، قادرٌ سبحانه على أن يَبعثه بعد الموت (لأنّ إعادة الشيء كما كان، أسهل من إيجاده أول مرة).

- من الآية 68 إلى الآية 72: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ – أيها الرسول – ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾: أي لَنَجمعنَّ هؤلاء المُنكِرين للبعث يوم القيامة، مع الشياطين الذين كانوا يُضلونهم، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ أي باركين على رُكَبهم، لا يَقدرونَ على القيام، لشدة ما هم فيه من الخوف، ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ أي: ثم لَنأخذنَّ مِن كل طائفةٍ – تعاونتْ على الباطل – أشدَّهم تمردًا وعصيانًا للهِ تعالى وظلماً لعباده، فنبدأ بعذابهم، (ولَعَلّ اللهَ تعالى ذكَرَ هنا صفة "الرحمن" لتفظيع تَمَرُّدهم وظُلمهم، لأنّ شديد الرّحمة بالخلق جديرٌ بالشكر له والإحسان، لا بالكفر به والطغيان).

♦ وحتى لا يَزعم أحدٌ منهم أنّ غيره أشدّ عِصياناً منه، فقد أخبر سبحانه أنّه يَعلم ما يَستحقه كل واحد منهم من العذاب، فقال: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ أي نحن أعلم بالذين هم أَوْلى بالاحتراق بالنار ومُقاساة حَرّها (فأولئك يدخلون النار قبل غيرهم ثم يَدخل بَقيّتهم بعدهم)، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ يعني: وما منكم مِن أحدٍ – أيها الناس – إلا وسوف يَمُرّ مِن على الصراط الممدود فوق جهنم، كلٌ بحسب عمله – كما ثبت ذلك في صحيح مسلم –فمَن وقع: هَلَك، ومَن لم يَقع: نَجا، ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾: أي كانَ ذلك أمرًا قضاه اللهُ سبحانه، ولابد من وقوعه، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ – بامتثال أوامر ربهم والبعد عن مَعصيته – فنُنجيهم من النار (وذلك بمرورهم سالمينَ من على الصراط)، ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾: أي ونترك الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي – بعدما سقطوا من على الصراط – ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ أي باركينَ على رُكَبهم في النار، لا يستطيعون الحركة (وذلك من شدة ما يُصيبهم مِن هَولها وعذابها).

- الآية 73، والآية 74: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: يعني وإذا تُقرأ على الناس آياتنا الواضحة في حُجَجها ودلائلها – على التوحيد والنُبوّة والبعث –: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ – مِنّا ومنكم – ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ يعني أفضل مَسكناً ومَنزلةً، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾؟ يعني: وأحسن مَجلسًا ونادياً للاجتماع والتشاور فيه؟

www.alukah.net

♦ والمعنى أنهم عندما تُقرأ عليهم آيات القرآن، يَتعزّزون بالدنيا ويقولون: (إنْ كُنّا على الباطل، فلماذا نحن أكثر أموالاً وأكثر أعواناً منكم؟)، وذلك لأنهم كانوا يُقارنون بين دار "الأرقم بن أبي الأرقم" التي يجتمع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، وبين منازل أغنياء مكة ونادي قريش (الذي هو مَجلس مَشورتهم وتبادل آرائهم).

♦ فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: يعني ولقد أهلكنا - قبل هؤلاء الكفار - كثيرًا من الأمم الذين كانوا ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ أي كانوا أحسن منهم متاعًا وأجمل منظرًا، (إذاً فلا يَغُرَّهم هذا الذي يَتبجَّحون به، فإنه لن يدوم لهم إذا استمروا على العناد ومحاربة الحق).

- الآية 75: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء الكفار: ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾: يعني مَن كان مُصِرّاً على ضلاله، غير مُتّبِع لطريق الهدى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾: أي فاللهُ تعالى يَمُدّ له في ضلاله، (فإنّ مِن عقوبة الضَلالة: الضَلالة بعدها، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، فالإزاغة الثانية كانت عقوبة لهم على زَيغهم، وعلى العكس من ذلك، فإنّ مِن ثواب الهدى: الهدى بعده، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

♦ ويَظَلُّونَ على هذا الضلال ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾: يعني حتى إذا رأوا - يقيناً - ما توعَّدهم الله به: ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ العاجل في الدنيا، ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ التي تقوم فيها القيامة: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ - حينئذ - ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ أي شرٌ منزلةً ومَسكناً ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أي أقل أنصاراً (أهُم الكافرون أم المؤمنون؟)، وذلك حين لا يَنفعهم العِلم.

- الآية 76: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ﴾ عباده ﴿الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ إلى دينه ﴿هُدًى﴾ على هُداهم، وإيماناً على إيمانهم، وتوفيقاً للعلم النافع والعمل الصالح، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: يعني والأعمال الصالحة - وخاصةً قَوْل: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) - ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ في الآخرة مِمّا يَتفاخر به المشركون من متاع الدنيا الزائل، ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾: أي خيرٌ مَرجعًا وعاقبة (وهو نعيم الجنة).

♦ والمقصود من الآية أنه إذا كانت تلاوة القرآن تَزيد المشركين كِبراً وعِناداً، فإنّ المؤمنين المهتدين يَزدادونَ بها هِداية ورَشاداً، لأنهم يَرونَ ما تَحمله الآيات من الدلائل والحُجَج والعظات والهدى، فيَزداد إيمانهم، وتزداد هدايتهم بأداء الفرائض واجتناب النَواهي، (وفي هذه الآية تصبيرٌ للرسول والمؤمنين بأنّ ما يَتفاخر به المشركون من المال وأثاث المنازل لا يُساوي شيئاً أمام الإيمان والعمل الصالح، لأنّ المال يَفنى، وثواب الصالحات باقٍ في الجنة).

- من الآية 77 إلى الآية 80: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ - أيها الرسول - هذا الرجل ﴿الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ (وهو العاص بن وائل وأمثاله)؟ إذ كَفَرَ بآيات اللهِ وكذَّبَ بها ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ يعني وقال: سآخذ في الآخرة أموالا وأولادًا!، فرَدَّ اللهُ عليه بقوله: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾؟! يعني هل نَظَرَ في اللوح المحفوظ فرأى أنه سيُعطَى مالاً وولدًا يوم القيامة؟ ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بذلك؟! ﴿كَلَّا﴾: أي ليس الأمر كما يَزعم ذلك الكافر، فلا عِلمَ له من الغيب، ولا عهدَ له عندنا، بل ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ مِن الكذب والافتراء على اللهِ تعالى ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾: أي: وسنَزيده في الآخرة من أنواع العقوبات، ونُضاعف له العذاب، كما ازداد هو في الضلال ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾: أي وسوف نَسلب منه مالَه وولده - الذي يَفتخر به - ونَرثه بعد موته، ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ لا مالَ معه ولا ولد.

- الآية 81، والآية 82: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ من الأصنام، فعَبَدوها ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ﴾ - في نظرهم الفاسد - ﴿عِزًّا﴾ أي شفعاءَ لهم عند اللهِ تعالى، ليَعتزوا بهم ولا يُهانوا، ﴿كَلَّا﴾: أي ليس الأمر كما يَزعمون، فلن يكونوا لهم عِزًّا، بل ﴿سَيَكْفُرُونَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بِعِبَادَتِهِمْ﴾: أي ستكفر هذه المعبودات في الآخرة بعبادة مَن عبدهم (حيث يُنكِرون أنهم أمَروهم بعبادتهم)، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أي وسيكونون شُهداءَ ضِدّهم، بخلاف ما ظنوهُ مِن أنهم سيَشفعون لهم.

– الآية **83**، والآية **84**: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ – أيها الرسول – ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي سلَّطْناهم عليهم ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾؟ أي تُحَرِّكهم تحريكاً شديداً نحو الشهوات والمعاصي والجرائم والمَفاسد، إذاً فلا تَعجبْ مِن مُسارعتهم إلى الشر والفساد والكفر والضلال، وكذلك ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: أي لا تستعجل العذاب الفوري لهؤلاء الكافرين، فـ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾: أي نَعُدّ أعمارهم وأعمالهم ﴿عَدًّا﴾ لا تفريطَ فيه ولا تأخير، ثم نُحاسبهم على كل ذلك ونُجازيهم به، (فإنهم كلما ازدادوا ظلماً، ازدادَ عذابهم يوم القيامة).

♦ واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يَستعجل العذاب بقومه إلا في الظروف الخاصة الطارئة، كما حَدَثَ عندما قُتِلَ سبعون مِن حَفَظة القرآن، وأما في غير الظروف الخاصة، فكان يقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يَعلمون)، وكانَ يقول: (أرجو أن يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابهم مَن يَعبد اللهَ وحده لا يُشرِك به شيئاً).

– الآية **85**، والآية **86**، والآية **87**: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي اذكر – أيها الرسول – يوم القيامة، حينَ نَجمع المتقين ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ أي وفودًا مُكَرَّمين، تَحُوطُهم الملائكة حتى يَنتهوا إلى ربهم، فيكونوا في جواره في الجنة، ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: أي ونَسُوقُ الكافرينَ سَوقًا شديدًا إلى النار مُشاةً عِطاشًا ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ أي لا يَشفع بعضهم لبعضٍ كالمؤمنين، ولا يَشفع لهم أحدٌ أبداً، ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: يعني إنما يَملك الشفاعة مَنِ اتخذ عند الرحمن عهدًا بذلك، وهم المؤمنون بالله ورُسُله، حيثُ يُشَفِّعهم سبحانه في غيرهم، أو يَشفع لهم غيرهم (إنْ هم دخلوا النار بذنوبهم حتى يَخرجوا منها).

♦ ولَعَلّ المقصود بعَهد الشفاعة هنا: هو شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، ففي الحديث الصحيح أنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: (أخرِجوا من النار مَن قال لا إله إلا الله، وكانَ في قلبه مِن الخير ما يَزِن ذَرَّة) (انظر صحيح الترمذي ج **711/4**).

– من الآية **88** إلى الآية **95**: ﴿وَقَالُوا﴾ أي الكافرون: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (حيثُ قال مُشرِكو العرب: الملائكة بنات الله، وقالت النصارى: عيسى ابن الله، وقال بعض اليهود: عُزَيرٌ ابن الله)، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ – أيها القائلون – بهذه المَقولة ﴿شَيْئًا إِدًّا﴾ أي شيئاً عظيمًا مُنكَرًا ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أي يَتشقّقْنَ مِن فظاعة ذلكم القول، ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ لأنّ هذا القول مُغضِبٌ لربها عزّ وجلّ، ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي وتَسقط الجبال سقوطًا شديدًا – غضبًا للهِ تعالى – بسبب ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ونَسَبوهُ إليه كَذِباً، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: أي لا يَليق بعظمة الرحمن سبحانه أن يتَّخذ ولدًا، لأنّ اتّخاذ الولد يدل على النقص والحاجة، واللهُ تعالى هو المُبَرَّأ من كل النقائص، الغني عن كل خلقه، لأنه رب كل شيء ومالكه، و﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ أي: ما كل مَن في السماوات من الملائكة، ومَن في الأرض من الإنس والجن، إلا سيأتي ربه يوم القيامة عبدًا ذليلاً خاضعًا مُقِرّاً له بالعبودية، ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي عَلِمَهم واحداً واحداً، فلو كانَ بينهم إلهٌ معه، أو ولدٌ له لَعَلِمَه، (سبحانه وتعالى عَمّا يَصفون)، ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾: أي وسوف يأتي كل واحد من الخلق إلى ربه يوم القيامة بمفرده، لا مالَ له، ولا ولد معه.

www.alukah.net

- الآية 96: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شرَعه - أولئك ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي سيَجعل لهم مَحبّة ومَوَدَّة في قلوب عباده، فيَعيشونَ مُتحابِّينَ فيما بينهم، ويُحبهم ربهم تبارك وتعالى.

- الآية 97: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾: يعني فإنما يَسَّرنا هذا القرآن بلُغَتك العربية أيها الرسول، حيثُ أنزلناه بلسانك العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ بالجنة، ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾: أي وتخوِّف به المُكَذِّبين - المجادلينَ بالباطل - من النار.

- الآية 98: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: يعني ولقد أهلكنا كثيرًا من الأمم السابقة قبل قومك أيها الرسول، فـ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾؟ يعني هل ترى منهم أحدًا، أو هل تسمع لهم صوتًا خفياً؟ (والجوابُ لا)، فكذلك الكفار من قومك، نُهلكهم كما أهلكنا السابقين مِن قبلهم، (وفي هذا تهديدٌ ووعيد بإهلاك المُكَذِّبين المعاندين، كما حدث يوم بدر).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة طه كاملة

1. الربع الأول من سورة طه

- من الآية 1 إلى الآية 4: ﴿طه﴾: سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة.
﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ - أيها الرسول - ﴿لِتَشْقَى﴾ أي ما أنزلناه عليك لتُرهِق نفسك بما لا طاقة لك به من العمل، (وقد كان هذا رداً على النَضر بن الحارث الذي قال: إنّ محمداً شَقِيَ بهذا القرآن، لِمَا فيه من التكاليف).
﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾: يعني لكننا أنزلناه موعظة يَتذكر بها مَن يخاف عقاب اللهِ تعالى، فيؤدي فرائضه ويَجتنب معاصيه، (واعلم أنّ القرآن قد نزل تذكِرةً، لأنّ التوحيد مستقر في الفِطرة البشرية، وأما الشِرك فهو دَخيلٌ عليها، لِذا فالقرآن يُثير التوحيد الكامن في فِطرة الإنسان).
♦ وقد نُزِّل هذا القرآنُ ﴿تَنْزِيلًا﴾ - يعني آية بعد آية، بحسب الأحوال والأحداث - ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا﴾ وهو اللهُ تبارك وتعالى، خالقُ كل شيءٍ ومالكه ومُدَبِّر أمْره.
- الآية 5، والآية 6: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي عَلا وارتفع على العرش (استواءً يليقُ بجلاله وعظمته)، ﴿لَهُ﴾ سبحانه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ خَلْقًا ومُلْكًا وتدبيرًا وإحاطة، ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ أي: وكذلك له سبحانه ما تحت التراب (كالمعادن، وغير ذلك مِمّا في باطن الأرض).
- الآية 7: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ يعني: وإن تُعلِن قولك - أيها الرسول - للناس أو تُخفِهِ عنهم: ﴿فَإِنَّهُ﴾ سبحانه لا يَخفى عليه شيء، إذ ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي يَعلم سبحانه السر وما هو أخفى من السر (مِمّا تُحَدِّث به نفسك).
- الآية 8: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي لا معبودَ بحقٍ إلا هو، ﴿لَهُ﴾ وحده ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الدالَّة على كماله وجلالِه، لا يُشاركه فيها أحدٌ مِن خَلقه.
- من الآية 9 إلى الآية 17: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾؟ يعني: وهل جاءك - أيها الرسول - خبر موسى عليه السلام؟
﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ مُوقدة في الليل - وذلك عندما كان راجعاً بأهله مِن أرض "مَدْيَن" إلى أرض "مصر" - ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ أي قال لزوجته - ومَن معها مِن خادم أو ولد -: ﴿امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾: أي انتظروني هنا، فقد أبصرتُ نارًا مُوقدة، وسأذهب لأراها ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾: أي لَعَلّي أجيئكم منها بشُعلةٍ تَستدفئون بها وتوقدون بها نارًا أخرى ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ يعني أو أجد عندها هاديًا يَدُلّنا على الطريق (وكانَ قد ضَلّ الطريق إلى مصر بسبب ظُلمة الليل)، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾ يعني فلمّا وَصَلَ موسى إلى تلك النار، ناداه اللهُ تعالى: ﴿يَا مُوسَى﴾ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ أي خالقك ورازقك ومُدَبِّر أمْرك ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أي اخلع حذائك، فـ ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ يعني إنك الآن بوادي "طُوَى" المُبارك المُطَهَّر، (وقد أمَرَه سبحانه بخلع حذائه استعدادًا لمُناجاته).
♦ وقال اللهُ له: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ - لتُبَلِّغ رسالتي إلى فرعون وبني إسرائيل - ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ إليك مِنّي: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي لا معبودَ بحقٍ إلا أنا ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ وحدي، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ أي لتَذكرني فيها، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾ التي يُبعَثُ فيها الناس مِن قبورهم ﴿آتِيَةٌ﴾ لابد مِن وقوعها، ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أي أُبالغ في إخفائها حتى أكاد أُخفيها عن نفسي، حتى لا يَعلم أحدٌ وقت مجيئها، وذلك ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ أي بما عَمِلتْ في الدنيا مِن خيرٍ أو شر،

www.alukah.net

(فالحِكمة من إخفاء الساعة: أن يَعمل الناس وهم لا يدرون متى يموتون ولا متى يُبعَثون، فتكون أعمالهم بإراداتهم، لا إكراهَ عليهم فيها، فيكون الجزاء على أعمالهم عادلاً).

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: أي فلا يَصرفنَّك يا موسى عن الإيمان بالآخرة والاستعداد لها مَن لا يُصَدِّق بوقوعها واتَّبع ما يوافق أهوائه وشهواته ﴿فَتَرْدَى﴾ أي فتَهلك يا موسى إن أطعتَه.

♦ وقد سأله سبحانه - وهو أعلم -: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾؟ يعني: وما هذه التي تحملها في يمينك يا موسى؟، (واعلم أنّ اللهَ سبحانه قد سأله عن العصا ليُقرِّره بأنّ ما بيده عصاً مِن خشب، فإذا تحولت أمامه إلى حيةٍ تسعى: أيقنَ أنها آية أعطاها له ربه ذو القدرة الباهرة، ليُرسله بها إلى فرعون وملئه).

- من الآية 18 إلى الآية 24: ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ أي أعتمد عليها في المشي، ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾: يعني أخبط بها ورق الشجر ليَتساقط فتأكله غنمي، ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ﴾ أي منافع ﴿أُخْرَى﴾ (فقد يُعَلِّق بها الزاد والماء، وقد يَقتل بها الأشياء الضارة كالعقارب والحيّات)، (وقد أطال موسى عليه السلام في هذا الجواب طلباً لمَزيد الأُنس بمُناجاة ربّه تبارك وتعالى)، و﴿قَالَ﴾ اللهُ له: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ ﴿فَأَلْقَاهَا﴾ موسى على الأرض ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾: أي فانقلبت العصا - بإذن اللهِ تعالى - وأصبحت ثعباناً عظيماً يمشي على بطنه بسرعة، فخاف موسى وَوَلَّى هاربًا، فـ ﴿قَالَ﴾ اللهُ له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾: أي خذ الحية، ولا تَخَفْ منها، فإننا ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾: أي سوف نُعيدها عصًا كما كانت في حالتها الأولى، ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي ضع يدك اليمنى تحت إبطك الأيسر واضمم عليها بعَضُدك: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ - رغم اسمرار لون جسمك - ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: أي من غير بَرَص، لتكون ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ أي لتكون علامة أخرى مع العصا تدل على أنك رسولٌ من عند الله.

♦ وقد فعلنا ذلك ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ أي لكي نُريك مِن أدلتنا الكبرى ما يدلُّ على قدرتنا وصِدق رسالتك، فـ ﴿اذْهَبْ﴾ يا موسى - بهاتين الآيتين - ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أي تجاوزَ الحد في الكفر، وتجاوَزَ قدْره كبَشَر حتى ادَّعى الألوهية، فادعُهُ إلى توحيد اللهِ وعبادته، واطلب منه أن يُرسل معك بني إسرائيل لتَخرج بهم إلى أرض القدس.

- من الآية 25 إلى الآية 35: ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ أي وسِّع لي صدري لتحَمُّل أعباء الرسالة ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ أي سَهِّل مُهمتي عليَّ، وأعِنِّي على أدائها كما تحب وتَرضى، ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾: يعني وأطلِق لساني بفصيح الكلام حتى ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ أي ليفهموا كلامي، (وقد قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: كانَ في لسانه عُقدة - يعني صعوبة في النطق - تمنعه من كثير من الكلام)، ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ أي مُعيناً ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وهو ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾: أي شُدَّ به ظهري (والمعنى: قَوِّني به) ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾: يعني أشركه معي في النُبُوَّة وتبليغ الرسالة (والمعنى: اجعل هارون رسولاً كما جعلتني)، واجعله عَوناً لي على طاعتك والدعوةِ إليك ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ أي لنُنَزِّهك وننفي عنك كل ما لا يَليق بك ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ (في سِرِّنا، وأثناء دعوة الناس إلى توحيدك، وتعريفهم بصفاتك، وإبلاغهم بأمرك ونهيك، وتذكيرهم بنعمك)، (وفي هذا دليل على فضل التسبيح والذكر، إذ لولا عِلْم موسى بحب اللهِ لهما، لَمَا توَسَّلَ بهما لقضاء حاجته)، ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ لا يَخفى عليك شيءٌ مِن حالنا، (وهذا توسُّل من موسى إلى اللهِ تعالى بعلمه ليَقبل دعائه).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– من الآية 36 إلى الآية 44: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾: أي قد أعطيناك كل ما طلبتَ يا موسى، ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ أي: ولقد أنعمنا عليك نعمةً أخرى حين كنتَ رضيعًا – وكان فرعون يَذبح أبناء بني إسرائيل الذكور – ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ أي حين ألهَمْنا أمَّك هذا الإلهام: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾: أي ضعي ابنك موسى بعد ولادته في صندوق ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾: أي ثم ضعيه في النيل، ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أي: فأمَرَ اللهُ النيل أن يُلقي الصندوق على شاطئ قصر فرعون.

♦ ثم وَضَّحَ سبحانه الحكمة من هذا الأمر فقال: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ وهو فرعون، حيث تربيتَ يا موسى في بيته، فنجَّيتُك بذلك من القتل، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ ليُحبك الناس – وخاصةً امرأة فرعون التي مَنَعتْ فرعون وجنوده مِن قتلك – ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ يعني: ولِتُرَبَّى في بيت فرعون ﴿عَلَى عَيْنِي﴾ أي تحت بَصَرِي وتحت رعايتي، (وفي الآية إثبات صفة العين لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله).

♦ وأنعمنا عليك مرةً أخرى ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ أي حينَ كانت تمشي أختك تتبعك وأنت في الصندوق ﴿فَتَقُولُ﴾ لمن أخذوك: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ أي يُرضِعه لكم ويرعاه؟ ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ﴾ بعد ما صِرتَ في أيدي فرعون ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: أي حتى تفرح بنجاتك من الغرق والقتل ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقك.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: أي واذكر حين قتلتَ الرجل المصري خطأً ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ وهو غَمّ فِعْلك (حينَ استغفرتَنا فغفرنا لك)، وغَمّ خوفك مِن أن تُقتَل (حين تآمَروا ضدك ليقتلوك فنَجَّيناك منهم)، ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾: أي وبذلك ابتليناك ابتلاءً شديداً، فخرجتَ خائفًا إلى أهل "مَدْيَن" ﴿فَلَبِثْتَ﴾ أي فمَكَثتَ ﴿سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ تَرعى غنم الرجل الصالح عشر سنين، ﴿ثُمَّ جِئْتَ﴾ – مِن "مَدْيَن" إلى جبل الطور بسيناء – ﴿عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ أي في الموعد الذي قدَّرناه لإرسالك إلى فرعون، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: يعني وقد أنعمتُ عليك هذه النعم، وابتليتك هذه الابتلاءات اختيارًا مِنّي لك، لتكون قادراً على تحَمُّل تبليغ رسالتي، والقيام بأمري ونهيي.

♦ واعلم أن الفتنة هي اضطراب المرء في فترة حياته، وتُطلَق أيضاً على الشِّرك، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي حتى لا يكون هناك شِركٌ بالله تعالى.

♦ وقال اللهُ له: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ هارون ﴿بِآيَاتِي﴾ الدالة على توحيدي وكمال قدرتي وصِدق رسالتك (وهي العصا واليد)، ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ أي: ولا تَضْعُفا عن مُداومة ذكري (فإنّ فيه عَونكما على أداء رسالتكما)، ﴿اذْهَبَا﴾ معًا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ فـ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ أي تجاوزَ الحد في الكفر والظلم، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ أي قولا لطيفًا خالياً من الغِلظة والعنف ﴿لَعَلَّهُ﴾ بسبب القول اللين ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ما يَنفعه فيفعله ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ ما يَضُرُّه فيتركه، وبالتالي يَتوب ويُسلِم للهِ تعالى، ويُرسِل معكما بني إسرائيل، (فسبحانَ اللهِ العظيم، إذا كانَ اللهُ تعالى قد أمَرَهما أن يَدعُوا فرعون الكافر بالرفق واللِّين، فما بالنا بدعوة المسلمين إلى التوبة والاستقامة كيف ينبغي أن تكون؟).

– الآية 45: ﴿قَالَا﴾ أي قال موسى وهارون – بعد أنْ تقابلا –: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أي نخاف أن يُعاجلنا فرعون بالعقوبة قبل أن ندعوه ونُبيِّن له، ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾: يعني أو أن يَتمرد على الحق فلا يَقبله، ويزداد طغيانا وظلماً.

www.alukah.net

- الآية 46، والآية 47، والآية 48: ﴿قَالَ﴾ اللهُ لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا﴾ من فرعون، فـ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ بحِفظي ونصري ﴿أَسْمَعُ﴾ ما تقولانه لفرعون وما يقوله لكما ﴿وَأَرَى﴾ ما تفعلانه معه وما يفعله معكما، فلذلك سأحفظكما (بمَنع حدوث أيّ فِعل تخافان منه)، ﴿فَأْتِيَاهُ﴾ أي فاذهبا إليه إذاً ولا تخافا، ﴿فَقُولَا﴾ له: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾: يعني إننا رسولان إليك من ربك، وقد أرسَلَنا إليك لتؤمن به وتُوحِّده، وتُرسِل معنا بني إسرائيل لنَذهب بهم إلى حيث أمَرَنا اللهُ تعالى (إلى أرض أبيهم إبراهيم)، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أطلِق سَراحهم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: ولا تُكلِّفهم ما لا يَطيقون من الأعمال، فإننا ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ أي معجزة ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ تدل على صِدقنا في دَعْوتنا، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي: واعلم أنّ السلامةَ من عذاب الله لمن آمَنَ به واتَّبع هداه.

♦ فاتّبِع الهدى تَسلم، وإلاّ فأنت مُعرَّض للمَخاوف والهلاك والدمار، فـ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾: يعني إنّ ربك قد أوحى إلينا أنّ عذابه على مَن كَذَّبَ برسالته، وأعرَضَ عن قبول دَعْوته.

- الآية 49: ﴿قَالَ﴾ فرعون لهما: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾؟، (ولَعلّ فرعون ذكَرَ موسى فقط لِيُذَكِّره بنعمة تربيته في بيته، واللهُ أعلم).

- من الآية 50 إلى الآية 55: ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿رَبُّنَا﴾ هو ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي خَلْقه اللائق به على أحسن صُنعٍ ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أي: ثم أرشَدَ كل مخلوق إلى الانتفاع بما خلقه اللهُ له (وهنا قد أفحَمَ موسى فرعون وقطع حُجَّته، بما ألهَمَه اللهُ مِن عِلمٍ وبيان)، فـ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى - لِيَصرفه عن تلك الحُجَج خوفاً من الهزيمة أمام مَلَئه -: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾؟ يعني فما شأن الأمم الماضية التي سبقتْنا إلى الإنكار (كقوم نوح وعاد وثمود)؟

♦ فعرف موسى أنّ فرعون يريد أن يَصرفه عن الحقيقة، فـ﴿قَالَ﴾ له: ﴿عِلْمُهَا﴾: أي: عِلْمُ تلك الأمم - فيما فَعَلَت - ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ، وسيَجزيهم سبحانه بأعمالهم، فإنه ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي لا يُخطئ في أفعاله وأحكامه على عباده ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ شيئًا من أفعالهم، إذ أفعاله سبحانه تدور بين العدل والفضل والحكمة.

♦ ثم عادَ موسى يُذَكِّر فرعون بقضية الخَلق، لِيَستدل بها على توحيد اللهِ تعالى، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي جَعَلها مُيَسَّرةً لكم للانتفاع بها - في الزراعة وغير ذلك - وللانتفاع بما عليها من المخلوقات ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: أي وجَعَلَ لكم فيها طُرُقًا كثيرة، لتهتدوا بها في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها، ﴿وَأَنْزَلَ﴾ سبحانه ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ واحداً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ أي أنواعًا مختلفة من النباتات، (وقد كانت هذه الجملة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ هي مِن قول اللهِ تعالى تتميماً لكلام موسى عليه السلام، وتذكيراً لأهل مكة باستحقاق اللهِ وحده للعبادة).

♦ وفي الآية التفات من ضمير الغائب: ﴿أنزل﴾ إلى ضمير المتكلم الجمعي: ﴿أخرجنا﴾، لِيجعل الأذهان تنتبه إِلَى أَنّ هذَا النبات يُسقَى بماءٍ واحد ولكنه يَختلف في شكله ولونه وطعمه، وكذلك فإنه لَمّا كان الماءُ واحداً، والنباتُ جَمعاً كثيراً، ناسَبَ ذلك إفراد الفِعل: ﴿أَنْزَلَ﴾، وجَمْع الفِعل: ﴿أَخْرَجْنَا﴾.

﴿كُلُوا﴾ - أيها الناس - من طيِّبات ما أنبتنا لكم، ﴿وَارْعَوْا﴾ فيه ﴿أَنْعَامَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور - من إنزال المطر وإنبات النبات لِتغذية الإنسان والحيوان - ﴿لَآيَاتٍ﴾: أي علامات تدل على قدرة اللهِ تعالى واستحقاقه وحده

للعبادة ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ أي يَنتفع بهذه الآيات أصحاب العقول السليمة (إذ لا يُعقَلُ أبدًا أن يَخلُقَ سبحانه ثم يُعبَد غيرُه، وأن يَرزُقَ ثم يُشكَر غيرُه!).

﴿مِنْهَا﴾ أي مِن الأرض التي يَخرج منها النبات: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ أيها الناس (بخَلق أصلكم الأول – وهو أبيكم آدم – من تراب) ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بعد موتكم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ أي: ومنها نُخرجكم أحياءً مرة أخرى للحساب والجزاء.

****

2. الربع الثاني من سورة طه

– الآية 56، والآية 57، والآية 58: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ يعني أرَيْنا فرعونَ ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ الدالة على قدرتنا ووجوب توحيدنا وصِدْقِ رسالة موسى ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها، ﴿وَأَبَى﴾ أي امتنع عن قَبول الحق.

♦ ولمَّا رأى فرعون الآيات وشَعَرَ بالهزيمة، أراد أن يَدفعها بالتمويه على الناس، حتى لا يَتَّبعوا موسى في دَعْوته ويَتأثروا بأدلته، فـ ﴿قَالَ﴾ لموسى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾؟ يعني هل أردتَ أن تُخرج المصريين من مصر، وتسكنها أنت وبنو إسرائيل لتستولوا على خيراتها، (وقد قصد بالسحر هنا: العصا واليد)، وقال فرعون: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ مُحَدّدًا – لِيُبارزك فيه السَحَرة – ﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾، واجعل مكان المُناظَرة ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ أي مكاناً مستوياً صالحاً للمبارزة (كأنْ تكون ساحة كبرى مكشوفة لكل مَن يحضر المناظرة).

– الآية 59: ﴿قَالَ﴾ موسى لفرعون: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ أي يوم العيد، حين يَتزيَّن الناس ويقعدون عن العمل (وقد كان ذلك اليوم يوم عيد للمصريين)، ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ يعني: وأطلب منكم أن يَجتمع الناس من كل مكان – لحضور المناظرة – وقت الضحى، (وقد اختار موسى يوم العيد ووقت الضحى، لأنه عَلِمَ أنّ اللهَ تعالى سيَنصره على السَحَرة ويُظهِر الحق، فأحَبَّ أن يكون الوقت مناسباً لكثرة المشاهدين في وَضَح النهار وقبل اشتداد الحر).

– الآية 60: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾: أي فانصرف فرعون – مِن مجلس الحوار بينه وبين موسى وهارون – في كبرياءٍ وعناد ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي جَمَعَ سحرته ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ في الموعد المحدد للمناظرة.

– الآية 61: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ أي قال موسى للسَحَرة – واعظاً لهم -: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي احذروا الهلاك، و﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بسِحركم المُخادِع (وذلك بأن تقفوا في وجهي، وتزعموا أنّ معجزاتي هي نوع من السحر، وتنصروا ما أنتم عليه من الباطل) ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾: أي حتى لا يُهلككم سبحانه بعذابِ إبادةٍ واستئصال، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ أي: وقد خَسِرَ مَن كَذَبَ على اللهِ أو كَذَبَ على الناس.

– الآية 62، والآية 63، والآية 64: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي فاختلف السَحَرة فيما بينهم في شأن موسى عندما سمعوا كلامه: (هل صاحب هذا الكلام ساحر أو هو رسولٌ من عند اللهِ حقاً؟)، ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾: أي تحدّثوا سرًا فيما بينهم ليتفقوا على قولٍ واحد، فـ ﴿قَالُوا﴾: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾: يعني إنّ موسى وهارون ساحران ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾: أي يريدان أن يَنفردا بصناعة السحر العظيمة (المثالية) التي أنتم عليها، فبذلك تَخرجوا من أرضكم بإهمال الناس لكم وإقبالهم على سِحرهما، (وقد أرادوا بهذا الكلام إثارة الغيرة والتعصُّب لعاداتهم ومَذهبهم ومَصدر عَيشهم)، إذاً ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾: يعني أحكِموا كيدكم مِن غير اختلافٍ بينكم، ﴿ثُمَّ ائْتُوا

www.alukah.net

﴿صَفًّا﴾ يعني ألقوا ما في أيديكم مرة واحدة، لتَنبهر بكم الأبصار، وتغلبوا سِحر موسى وأخيه، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ أي قد فاز اليوم بحاجته مَن عَلا على خَصمه فغَلَبَه وقَهَرَه.

♦ ويُحتمَل أن تكون هذه الجملة: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ هي مِن قول فرعون وملئه، وقد أرادوا بها تشجيع السَحرة، عندما رأوا اختلافهم وتأثُّرهم بكلام موسى، واللهُ أعلم.

- الآية 65: ﴿قَالُوا﴾ أي قال السَحرة: ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاكَ أولاً ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾.

- من الآية 66 إلى الآية 70: ﴿قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ ما معكم أولاً، فألقوا ما في أيديهم ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾: أي فتخيَّل موسى - مِن قوة سِحرهم - أنّ حبالهم وعِصيَّهم أصبحتْ حياتٍ تمشي، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ أي فشعر موسى في نفسه بالخوف (مِن أن يُفتَن الناس بالسَحرة قبل أن يُلقِي العصا)، فـ ﴿قُلْنَا﴾ أي قال اللهُ لموسى: ﴿لَا تَخَفْ﴾ مِن سِحرهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ يعني أنت الغالب المنتصر عليهم وعلى فرعون وجنوده، ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني: وألقِ العصا التي في يمينك: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ أي تبتلع حبالهم وعِصيَّهم، فـ ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ يعني إنّ ما صنعوه أمامك هو ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ أي مَكر وتخييل ساحر، لا بقاءَ له ولا ثبات، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ أي: ولا يفوز الساحر بمطلوبه حيثُ كان.

♦ فألقى موسى عصاه فبلعتْ ما صنعوا، فلمّا شاهد السَحرة ابتلاع العَصا لكل حبالهم وعِصِيِّهم: عرفوا أنّ ما جاءَ به موسى ليس سِحراً وإنما هو معجزة سماوية، ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾ على الأرض ﴿سُجَّدًا﴾ للهِ رب العالمين، نتيجةً لانبهارهم مِن عَظَمة المعجزة، و﴿قَالُوا﴾: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (إذ لو كانَ هذا سِحرًا ما غُلِبْنا).

- الآية 71: ﴿قَالَ﴾ فرعون مُهَدِّداً السَحرة - لِيَدفع عن نفسه شر الهزيمة -: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ يعني هل صدَّقتم موسى وأقررتم له برسالته ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ بذلك؟ ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾: يعني إنّ موسى لَعَظيمُكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فلذلك اتَّبعتموه، واتفقتم معه على الهزيمة قبل الخروج إلى ساحة المُناظرة، (وقد أراد فرعون بهذا الكلام: التمويه على الناس حتى لا يتَّبعوا السَحرة ويؤمنوا كإيمانهم).

♦ وقال فرعون للسَحرة: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أي بِقَطع اليد اليُمنَى مع الرجل اليُسرى، أو اليد اليُسرى مع الرجل اليُمنى، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ - بربط أجسادكم - ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي على جذوع النخل، وأترككم مُعَلَّقين لتكونوا عِبرةً لغيركم، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيها السَحرة ﴿أَيُّنَا﴾: أنا أو رب موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا﴾ من الآخر ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: وأدوَمُ عقاباً.

- من الآية 72 إلى الآية 76: ﴿قَالُوا﴾ أي قال السَحرة لفرعون: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: يعني لن نُفَضِّلك ونختارك على ما جاءنا به موسى من الآيات الدالة على صِدقه، ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾: يعني ولن نُفَضِّل ألوهيتك المزعومة على ألوهية اللهِ الذي خلقنا، ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾: أي فافعل ما أنت فاعل بنا، فـ ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: يعني إنما سلطانك فقط في هذه الحياة الدنيا، وعذابك لنا سيَنتهي بانتهائها، وأما الآخرة: فسوف يَحكم اللهُ عليك فيها بالخلود في العذاب الأليم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وأكَّدوا إيمانهم في غير خوفٍ فقالوا: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ أي ذنوبنا الماضية ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ في مُعارضة موسى، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ لنا منك – في جزاءه لمن أطاعه – ﴿وَأَبْقَى﴾ عذابًا لمن عَصاه، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ أي كافرًا به: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ يُعَذَّب بها، ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح، ﴿وَلَا يَحْيَا﴾ حياةً يَهنأ بها، ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا﴾ أي لهم المنازل العالية، وهي ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي جنات الخلود التي ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري الأنهار من تحت أشجارها وقصورها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿وَذَلِكَ﴾ النعيم المقيم هو ﴿جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾: أي هو ثواب مَن طَهَّرَ نفسه من الشِرك والمعاصي (وذلك بالإيمان والتوبة والعمل الصالح)، (ولَعَلّ هذا الكلام الذي قاله السَحَرة قد تعلّموه عن طريق الاستماع إلى دعوة موسى وهارون، لأن موسى وهارون أقاما بين المصريين زمناً طويلاً يدعوانهم إلى توحيد اللهِ تعالى والإيمان باليوم الآخر، فلمَّا أيْقَنَ السَحَرة أنّ موسى رسولٌ من عند الله، قالوا هذا الكلام بيقينٍ تام).

– الآية 77، والآية 78: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أي اخرُج ليلاً ببني إسرائيل من "مصر"، ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾: أي فاتّخِذْ لهم في البحر طريقًا يابسًا، (وذلك بعد أن أمَرَه سبحانه بضرب البحر بعصاه، فانفلق البحر فرقتين، وأصبح هناك طريقاً يابساً في وسط البحر)، وقال اللهُ له: ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ – هذا وعدٌ لموسى بأنه لن يكون خائفاً من فرعون وجنوده أن يلحقوا بهم، ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ غرقًا في البحر.

♦ فسار موسى ببني إسرائيل وعَبَرَ بهم في البحر، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾، فلمَّا دخلوا البحر ورائهم: أطبَقَ اللهُ تعالى عليهم البحر ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾: أي فغمرهم من الماء ما لا يعلمه إلا الله، فغرقوا جميعًا (وذلك بعد أن نجَّى اللهُ موسى وبني إسرائيل).

– من الآية 79 إلى الآية 82: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ بما زيَّنه لهم من الكفر والتكذيب، ﴿وَمَا هَدَى﴾ أي: ولم يَهدِهم إلى سبيل النجاة، إذ كان يَعِدُهم بقوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا هَدَى﴾ هو تأكيدٌ لقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾، إذ الشيء يؤكَّد بنفي ضِدّه، وهذا كقوله تعالى عن الأصنام: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾.

♦ وقال اللهُ لبني إسرائيل بعد أن نجّاهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون، ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾: أي وحددنا لكم موعداً – عند الناحية اليُمنَى لجبل الطور بـ "سيناء" – لإنزال التوراة على موسى هِدايةً لكم، (ولَعَلّ المقصود من وَصْف جانب الجبل بـ"الأيمن" أي الناحية اليُمنَى لموسى، لأنّ الجبل ليس له يمين وشمال، واللهُ أعلم).

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ وهو شيءٌ يُشبهُ الصَّمغ وطَعْمُه كالعسل، ﴿وَالسَّلْوَى﴾ وهو طائرٌ يُشبه السّماني، وقلنا لكم: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: أي كلوا مِن رِزقنا الطيب، أو: (كلوا من حلال الطعام والشراب)، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ أي لا يتعدى أحدٌ منكم على حق أخيه في الطعام والشراب، (أو لَعَلّ المقصود: لا تكفروا بنعمة اللهِ عليكم، ولا تتركوا شُكره وتعصوه، ولا تُسرِفوا في تناول الطعام والشراب) ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أي حتى لا يَنزل عليكم غضبي، ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾: يعني ومَن يَنزل عليه غضبي فقد هَلَكَ وخسر، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ مِن ذنبه وشِركه ﴿وَآمَنَ﴾ باللهِ ورُسُله، وبجميع ما أخبر به الرُسُل من الغيب ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ تصديقًا لتوبته ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ أي استقام على ذلك حتى الموت.

www.alukah.net

3. الربع الثالث من سورة طه

- الآية 83، والآية 84: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾؟ (يُخبر سبحانه أنه سأل موسى عليه السلام - وهو أعلم -: (ما الذي جعلك تترك قومك يا موسى وتأتي قبلهم؟)، (وقد كان هذا بعد أن نَجّى اللهُ بني إسرائيل من فرعون وجنوده، فأمَرَ اللهُ موسى أن يأتي مع بني إسرائيل إلى جبل الطور - وهم في طريقهم إلى أرض القدس - لإنزال التوراة، ولكنّ موسى استعجل في المسير إلى الموعد، فاستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، ليسير بهم ببطء حتى يلحقوا بموسى عند جبل الطور).

♦ واعلم أنّ اللهَ سبحانه قد سأل موسى عن سبب استعجاله؛ ليُخبره بما جرى لقومه مِن بعده، فـ ﴿قَالَ﴾ موسى - مُجِيباً ربه سبحانه وتعالى -: ﴿هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾: يعني إنهم ليسوا ببعيدينَ مِنِّي، وسوف يَلحقونَ بي، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ أي: واستعجلتُ المجيء إليك ربي، طلباً لرضاك عني.

♦ وفي هذا دليل على مشروعية طلب رضا اللهِ تعالى، ولكنْ بما شَرَعه الله، لأنّ اللهَ تعالى لم يأمر موسى بهذا الاستعجال، ولم يأمره بترك قومه وراءه، ولذلك تَرَتَّبَ على استعجال موسى شَرٌ كبير، كما سيأتي.

- الآية 85، والآية 86: ﴿قَالَ﴾ اللهُ لموسى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي اختبرنا قومك بعد فِراقك لهم، ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ بصُنع العجل ودَعْوتهم إلى عبادته وترْك المسير ورائك.

♦ وانتهت المُناجاة، وأعطى اللهُ الألواح التي فيها التوراة لموسى، ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ عليهم، ﴿أَسِفًا﴾ أي شديد الحزن على فِعلهم، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ بإنزال التوراة (التي فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم، لتَسعدوا بها في الدنيا والآخرة)؟ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾؟ يعني هل استبطأتم وَعْدَ ربكم، فلم تُتِمّوا ميعاده الذي حَدَّدَهُ لكم، وبدَّلتم دينه وعبدتم العجل؟!، ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ - بسبب هذا الفعل القبيح - ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ بترْككم المجيء بعدي وعبادة العجل؟!

- من الآية 87 إلى الآية 91: ﴿قَالُوا﴾: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ أي لم يكن ذلك بإرادتنا واختيارنا، وما تجرّأنا على فِعل ذلك ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا﴾ أي حَمَلنا معنا - مِن مصر - ﴿أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي أثقالا مِن ذهب وحُليِّ قوم فرعون - وهو الذهب الذي استعاره نساء بني إسرائيل من جاراتهنّ المِصريات، بقصد الفرار به - فشعَرنا بالذنب مِمّا فعلناه وأردنا التخلص منه ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ في حفرة فيها نار بأمر السامري، (لأن السامري قال لنساء بني إسرائيل: (هذا الذهب الذي عندكنّ لا يَحِلّ لَكُنَّ أخذه)، ثم حَفَرَ لهنّ حفرة، وأوقد فيها النار، وأمَرَهنّ أن يُلقوا فيها الذهب للتخلص منه، وهو في نيّته أن يَصُوغ الذهب ليَصنع منه العِجل)، ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ يعني: فكما ألقينا الذهب في الحفرة، فكذلك ألقى السامري التراب الذي أخَذَه من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام، فألقاهُ على الذهب ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾: أي فصنع لبني إسرائيل عجلاً له جسم من الذهب، وله صوت كخُوار البقر (فتنةً واختباراً مِن الله تعالى لهم)، ﴿فَقَالُوا﴾ أي قال المفتونون به منهم للآخرين: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ ﴿فَنَسِيَ﴾ أي قد نَسِيَهُ موسى وأخطأ الطريق إليه، فاعبدوه حتى يأتي موسى، (واعلم أنّ السامري قال لهم: (هذا إلهكم وإله موسى)، ولم يقل لهم: (وإله هارون)، لأن هارون كانَ معهم، فخاف السامري أن يُكَذِّبه هارون، فلم يَنسب العجل إليه).

♦ قال تعالى – مُنكِراً عليهم –: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؟! يعني أفلا يرى الذين عبدوا العجل أنه لا يُكلمهم ابتداءً، ولا يَرُدُّ عليهم إذا كَلَّموه، ﴿وَ﴾ أنه ﴿لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾؟ (إذاً فكيف عبدوه وهو لا يُجيبهم إذا سألوه، ولا يُعطيهم إذا طلبوا منه؟!) (ولكنه الجهل والضَلال واتّباع الهوى).

♦ وقال الذين لم يعبدوا العجل لموسى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ – أي مِن قبل رجوع موسى إليهم –: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ يعني إنما اختبركم اللهُ بهذا العجل؛ لِيَظهر المؤمن منكم من الكافر، ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ﴾ هو ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي شاهدتم آثار رحمته عندما نجّاكم من فرعون وجنوده، ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ فيما أدعوكم إليه من عبادة اللهِ وحده، ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ ولا تطيعوا أمْر السامري، فإني خليفة موسى فيكم، فـ ﴿قَالُوا﴾ أي قال عُبَّاد العجل لهارون: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ يعني: لن نزال مُقيمين على عبادة العجل ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

– من الآية 92 إلى الآية 95: ﴿قَالَ﴾ موسى لأخيه هارون: ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ يعني أيُّ شيء مَنَعَك – حينَ رأيتهم ضلُّوا – مِن أن تلحق بي أنت ومَن معك مِن المُوَحِّدين وتترك هؤلاء المشركين؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ حينَ قلتُ لك: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾؟

♦ ثم أمسكَ موسى بلحية هارون ورأسه يَجرُّه إليه، فـ ﴿قَالَ﴾ له هارون: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ يعني: يا ابن أمي لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي، فـ ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أي خِفتُ إنْ أنا جئتُك ببعض القوم – وهم المُوَحِّدون – وتركتُ الآخرين – وهم عُبَّاد العجل – ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لي: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فجئتَني ببعضهم وتركتَ الآخرين، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ أي وخفتُ أن تقول لي: (لم تحفظ وصيتي بحُسن رعايتهم مِن بعدي).

♦ وبعد أن عاتَبَ موسى أخاه: التفت إلى السامري المنافق – الذي كان مِن عُبَّاد البقر، وأظهر الإسلام في بني إسرائيل، ولمَّا أُتيحت له الفرصة، عادَ إلى عبادة البقر فصَنَعَ العجل وعَبَده ودعا إلى عبادته – فـ ﴿قَالَ﴾ له موسى في غضب: ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ يعني: فما شأنك ﴿يَا سَامِرِيُّ﴾؟ وما الذي دعاك إلى ما فَعَلته؟

– الآية 96: ﴿قَالَ﴾ السامري: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾: أي رأيتُ ما لم يروه (وهو جبريل عليه السلام راكباً على فرس)، وذلك وقت نَجاتهم من البحر، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾: أي فأخذتُ بكَفي ترابا مِن أثر حافر فرس جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: أي فألقيتُ حفنة التراب على العجل الذي صنعتُه من الذهب، فأصبح له صوت كخُوار البقر، ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ يعني: وكذلك زيَّنَت لي نفسي هذا الصنيع.

– الآية 97، والآية 98: ﴿قَالَ﴾ موسى للسامري: ﴿فَاذْهَبْ﴾ تائهاً في الأرض طوال حياتك، ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾: يعني فإنّ لك في حياتك أن تعيش ذليلاً حقيراً مهجوراً، تقول لمن أراد أن يقربك: (لا يَمَسَّني أحد ولا أَمَسُّ أحداً)، فحينئذٍ تَفرّ من الناس ويَفرّ الناس منك عقوبةً لك على جريمتك، فهذا هو بعض عذاب الدنيا ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ يعني: وإنّ لك عذاباً آخر يوم القيامة، لن يُخْلفك اللهُ إياه، فهو آتٍ وواقع لا مَحالة، ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ المزعوم ﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾: أي الذي ظللت مقيماً على عبادته: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار، ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ أي ثم لَنُلقِيَنّ به في البحر – بعد أن نحرقه – حتى لا يُعثَر له على أثر، (وذلك لأنّ قلوب بني إسرائيل كانت

www.alukah.net

متعلقة بعبادة العجل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وحَرْقه وهم يَنظرون إليه، ليزول ما في قلوبهم مِن حُبِّه كما زالَ شَخْصه، ولأنّ في إبقائه فتنة).

♦ ثم قال موسى للذين عبدوا العجل: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾ الحق - الذي تجب له العبادة والطاعة - هو ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي لا معبودَ بحقٍ إلا هو، ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أي وَسِعَ عِلمه كل شيء، (وفي هذا ردٌّ على السامري الذي عَبَدَ جماداً لا يَعلَم شيئاً ولا يَقدر على شيئ).

- من الآية 99 إلى الآية 104: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: يعني كما قصصنا عليك - أيها الرسول - خبر موسى وفرعون وقومهما، فكذلك نُخبرك بأخبار السابقينَ لك، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ يعني: وقد أعطيناك مِن عندنا ذِكرى وموعظةً للناس، وهو هذا القرآن العظيم، الذي ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يُصَدِّق به، ولم يَعمل بما فيه: ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾: يعني فإنه يأتي ربه يوم القيامة يَحمل إثمًا عظيمًا ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أي خالدين في ذلك الوزر في النار، حيثُ تُلقَى معهم ذنوبهم في النار، ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾: يعني وقَبُحَ ذلك الحِمل الثقيل من الذنوب، حيثُ أدخلهم النار يوم القيامة ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: يوم يَنفُخ المَلَكُ في "البوق" لصيحة البعث، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾: أي ونَسُوقُ الكافرين في ذلك اليوم وهم زُرق العيون، سُود الوجوه (وذلك من شدة الأحداث والأهوال)، وهم ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي يَتهامسون فيما بينهم من شدة الخوف، فيقولون: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾: أي ما مكثتم في الحياة الدنيا إلا عشرة أيام، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ سراً فيما بينهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي يقول أعلمهم وأرجحهم عقلاً في الدنيا: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾: أي ما مكثتم في الحياة الدنيا إلا يومًا واحدًا (وذلك لِقِصَر مدة الدنيا في نفوسهم يوم القيامة).

♦ واعلم أنه لا تعارُض بين قول اللهِ تعالى - حكايةً عن المجرمين -: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾، وبين قوله تعالى: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، وبين قوله تعالى: ﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾، وبين قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، وذلك لأنّ فترة بقاء المجرمين في الدنيا لم تكن ساعة ولا يوماً ولا عشراً، ولكنهم عَبَّروا عن ذلك مُقارنةً بطول الوقوف يوم القيامة، ولِقِصَر فترة تمتُّعهم في الدنيا، وإنما اضطربت أقوالهم لهَول الصدمة، فكُل واحدٍ منهم قد وَصَفَ الحالة التي يَشعر بها.

- من الآية 105 إلى الآية 110: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾: أي يسألك قومك - أيها الرسول - عن مصير الجبال يوم القيامة، ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾: أي يَقتلعها ربِّي من أماكنها ويُفَتِّتها، ثم تُفَرِّقها الرياح، ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾: أي فيَترك أماكن الجبال - بعد أن نُسِفَت - مستوية ملساء ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ أي انخفاضًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ أي: ولا ارتفاعًا (وذلك بسبب استوائها).

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ أي: في ذلك اليوم يتّبع الناس صوت المَلَك الذي يدعوهم إلى الحساب، ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: أي لا يستطيعون الهروب من دعوة الداعي، ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾: أي وسكنتْ الأصوات خضوعًا للرحمن ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي فلا تسمع منها إلا صوتًا خفيًا، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ أحدًا من الخلق ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾: يعني إلا إذا أَذِنَ الرحمنُ للشافع، ورَضِيَ عن قوله وشفاعته إكراماً له (ولا تكون الشفاعة إلا للمؤمن المُخلِص)، ففي الحديث أنّ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اللهَ تعالى يقول يوم القيامة: (أخرجوا من النار مَن قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يَزِن ذَرَّة) (انظر صحيح الترمذي ج 711/4)، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أي يَعلم اللهُ تعالى ما بين أيدي الناس مِن أمْر القيامة، إذ يَعلم سبحانه ما سيَحكم به عليهم مِن جنةٍ أو نار، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: وكذلك يَعلم ما تركوه مِن أعمالٍ في الدنيا، ﴿وَ﴾ هم ﴿لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ سبحانه وتعالى.

- الآية 111، والآية 112: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ أي خضعتْ وجوه الخلائق، وذَلَّتْ ﴿لِلْحَيِّ﴾ الذي لا يموت، ﴿الْقَيُّومِ﴾ أي القائم على تدبير كلِّ شيء، والقائم على كل نفسٍ بما كسبتْ، والمُستغني عمَّن سواه، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: أي خَسِرَ يوم القيامة مَن جاءَ يَحمل أوزار الشِرك (إذ الظلم المذكور في الآية هو الشِرك، كما قال تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾)، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة سيئاته، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص حسناته.

- الآية 113: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ يعني: وكما أنزلنا عليك تلك الآيات المُشتملة على الوعد والوعيد، فكذلك أنزلنا هذا القرآن بلُغة العرب ليَفهمه قومك ويَهتدوا به، فيَهتدي على أيديهم خَلقاً كثيراً، ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾: أي نوَّعنا في هذا القرآن أصنافاً من العذاب الدُنيوي والأُخروي ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لَعَلّ قومك يتقونَ ما كان سببا في إهلاك الأمم السابقة (وهو الشرك والتكذيب والمعاصي) ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: يعني أو يُحدِث لهم هذا القرآن تذكرةً، فيَتعظوا ويَعتبروا بهلاك الأمم السابقة، فيتوبوا ويُسلموا، ليَسعدوا في الدنيا والآخرة.

- الآية 114: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾: أي فتنزَّه اللهُ وتبرَّأ عن كل نقص، وتقدَّس عمَّا يقوله المُفترونَ وعمَّا يُشركه المشركون، فهو سبحانه ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الذي قهر كل مَلِكٍ وجبار، وهو المالك لكل خلقه، المتصرف في كل شيء.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾: أي ولا تستعجل - أيها الرسول - بمسابقة جبريل في تَلَقِّي القرآن قبل أن يَفْرَغ هو مِن قراءته، ويُبَيِّن لك ما يَقصده الله تعالى من الآيات المُنَزَّلة عليك ﴿وَقُلْ﴾ - داعياً ربك -: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

****

4. الربع الأخير من سورة طه

- الآية 115: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: ولقد وصينا آدم مِن قَبل ألا يأكل من الشجرة، ﴿فَنَسِيَ﴾ الوصية ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾: يعني ولم نجد له عزيمة يُحافظ بها على ما أمرناه به، ولم يكن له صبرٌ عمَّا نهيناه عنه.

- الآية 116: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي واذكر - أيها الرسول - حينَ قلنا للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (سجود تحيةٍ وتكريم، وليس سجود عبادة وخضوع)، ﴿فَسَجَدُوا﴾ جميعًا ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الذي كان معهم (يَعبد الله تعالى)، فإنه ﴿أَبَى﴾ أي امتنع عن السجود (حسداً لآدم على هذا التشريف العظيم).

- الآية 117، والآية 118، والآية 119: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا﴾ - أي إبليس - هو ﴿عَدُوٌّ لَكَ﴾ ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾ أي: وهو عدوٌ أيضاً لزوجتك حواء، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ﴾: أي فلا تُطيعاه حتى لا يَتسبب في إخراجكما من الجنة ﴿فَتَشْقَى﴾ بالعمل في الأرض (إذ تزرع وتحصد وتطحن وتخبز حتى تتغذى)، (وَاعلم أنّ اللهَ تعالى وَجَّهَ الخطاب إلى آدم فقط في قوله: ﴿فَتَشْقَى﴾ لأنّ المقصود من الشقاء هنا: (العمل) كالزرع والحصاد وغيرهما، مما هو ضروري للعيش خارج الجنة، ومعلومٌ أنّ الزوج هو المسئول عن إعاشة زوجته).

www.alukah.net

♦ وقال الله له: ﴿إِنَّ لَكَ﴾ في هذه الجنة ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ أي تأكل فيها فلا تجوع، ﴿وَلَا تَعْرَى﴾ يعني: وأن تَلْبَس فيها فلا تَعْرَى، ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ أي لن تعطش في هذه الجنة ﴿وَلَا تَضْحَى﴾: يعني ولن يصيبك فيها حر الشمس، (والخطاب هنا – وإن كان لآدم – فحوّاء تابعة له بحُكم قوامة الزوج على زوجته، ومن الأدب: خطاب الرجل دونَ امرأته، إذ هي تابعةٌ له).

– الآية 120: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ فـ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾؟ يعني هل أدلك على شجرةٍ، إذا أكلت منها أصبحتَ خالداً فلم تَمُت، ومَلَكتَ مُلْكًا لا يَنقطع ولا يَنقص؟

– الآية 121، والآية 122: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾: أي فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما اللهُ عنها ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾: أي فانكشفت لهما عوراتهما (بعد أن كانت مستورةً عن أعينهما)، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: يعني أخذا يَنزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه عليهما، ليَسترا ما انكشف من عوراتهما، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ أي: وهكذا خالَفَ آدم أمْر ربه، فضلَّ بسبب الأكل من الشجرة ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾: أي ثم اختاره اللهُ لنُبُوَّته، وقَبِلَ توبته، وهَداهُ للعمل بطاعته.

– الآية 123، والآية 124، والآية 125: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى لآدم وحواء: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾: أي اهبطا من السماء إلى الأرض جميعًا مع إبليس، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: يعني (آدم وحواء) يُعادون الشيطان، والشيطان يُعادِيهما، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾: يعني وسيأتيكم أنتم وذرياتكم مِنِّي هدىً وبيان ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ – فآمَنَ به وعَمِلَ بما فيه –: ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا، بل يكونُ مهتدياً راشداً، ﴿وَلَا يَشْقَى﴾ بعذابي في الآخرة، (قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: ضَمِنَ اللهُ تعالى لمن قرأ القرآن وعَمِلَ بما فيه، ألاّ يَضِلّ في الدنيا ولا يَشقى في الآخرة).

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ – فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه –: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾: يعني فإنّ له في الدنيا مَعيشةً شاقة – وإنْ كانَ غنياً – فإنه يَشعر بالضيق والهم، كما يُضيَّق عليه قبره ويُعَذَّب فيه، ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ عن رؤية طريق الجنة، ﴿قَالَ﴾ أي فيقول هذا المُعرِض عن ذِكر الله: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ يوم القيامة ﴿وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا؟

– الآية 126، والآية 127: ﴿قَالَ﴾ اللهُ له: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ يعني لأنك قد جاءتك آياتنا الواضحة فأعرضتَ عنها، ولم تؤمن بها، ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾: يعني وكما تركتها في الدنيا، فكذلك تُترك اليوم في النار، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾: يعني وهكذا نُعاقب مَن أسرف على نفسه بالمعاصي فلم يتب منها ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ (فنجعل له مَعيشةً ضنكاً في حياته الدنيا وفي قبره)، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ ألمًا من عذاب الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾ منه لأنه لا يَنتهي ولا يُخَفَّف.

– الآية 128: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾؟! يعني أفلم يُبَيِّن لقومك – أيها الرسول – كثرة مَن أهلكنا قبلهم من الأمم المُكَذِّبة، الذين ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ ويرون آثار هلاكهم، فيَهتدوا بذلك إلى طريق الرشاد؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: يعني إنّ في كثرة تلك الأمم وآثار عذابهم لَعِبَرًا وعِظات ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ أي: لأهل العقول السليمة الواعية، أما الذين عطّلوا عقولهم ولم يُفَكِّروا بها: فلا يَهتدوا إلى تلك الآيات.

– الآية 129، والآية 130: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾: يعني ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربك بأنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها، ولولا أجلٌ معلوم في اللوح المحفوظ بتأخير العذاب عن أهل مكة: لأصبح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الهلاك لازماً لهم لا يتأخر عنهم بسبب كفرهم، (واعلم أنّ في الآية تقديم وتأخير، أي: ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربك وأجلٌ مُسَمًّى لكان لزاماً: أي لَكانَ العذابُ لازماً لهم)، إذاً ﴿فَاصْبِرْ﴾ أيها الرسول ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ في حقك (من التكذيب بدَعْوتك، ومِن مُطالبتك بالمعجزات التي يقترحونها، ومِن استعجالهم بالعذاب).

♦ ثم أرشده سبحانه إلى ما يَشرح صدره ويُذهِب هَمَّه فقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي استعن بالصلاة ذات الذِكر والتسبيح ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي في صلاة الفجر، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ أي: وكذلك سَبِّح بحمد ربك في صلاة العصر (قبل غروب الشمس)، ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾: يعني وكذلك سَبِّح بحمد ربك في ساعات الليل (والمقصود بذلك صلاتَي المغرب والعشاء)، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: يعني وكذلك سبِّح بحمد ربك في صلاة الظهر (التي تقع بين طَرَفَي النهار – أي بين نهاية نصفه الأول وبداية نصفه الثاني)، وقد أمَرَك اللهُ بهذا ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ أي حتى يُثيبك على هذه الأعمال بما تَرْضى به في الآخرة من النعيم.

– الآية 131: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي لا تنظر بعينيك مُتطلِّعاً ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: يعني إلى ما مَتَّعْنا به أصنافًا من كفار قريش مِن مُتَع الدنيا، فقد جعلنا لهم ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (التي سرعان ما تَذبل وتنتهي)، وقد متَّعناهم بهذا المتاع ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنَختبرهم في ذلك المتاع: (أيَشكرون ربهم بتوحيده وعبادته أم يَكفرون؟) ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ أي: ما أعَدَّه اللهُ لك من الأجر والنعيم هو ﴿خَيْرٌ﴾ لك مِمَّا متَّعناهم به في الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾ منه، حيثُ لا انقطاعَ له ولا نفاد.

– الآية 132: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أي أزواجك وبناتك وأتْباعك المؤمنين ﴿بِالصَّلَاةِ﴾ (ففيها السعادة وغِنى النفس) ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: أي صَبِّر نفسك على أداء الصلاة بخشوع واطمئنان، واعلم أننا ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾: أي لا نَطلب منك مالاً – لِغِنانا عن ذلك – ولكننا نُكلِّفك بأداء الصلاة على أكمل وجوهها، و ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ – إذا أخذتَ بأسباب السعي في طلب الرزق –، ولكنْ لا يُشغِلك طلب الرزق عن الصلاة، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: والعاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى (وهم الذين يخافون ربهم بأداء أوامره وترْك نواهيه).

– الآية 133، والآية 134: ﴿وَقَالُوا﴾ أي هؤلاء المُكذِّبون: ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ يعني: هَلاَّ يأتينا محمد بمُعجزة مَحسوسة مِن عند ربه (كَعَصا موسى وناقة صالح)، فرَدَّ اللهُ عليهم قائلاً: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾؟! يعني ألم يَكفهم أننا أعطيناهم هذا القرآن، المُوافق لِما في الكتب السابقة من الحق، والمُبَشَّر به فيها؟!، (واعلم أنّ البَيِّنة: هي الحُجّة، وهي هنا: محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم، كما قال تعالى في سورة البينة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾، إذ محمد صلى الله عليه وسلم مَوعودٌ به في الكتب السابقة، وهو أيضاً أميّ، لا يقرأ ولا يكتب، وقد جاء بهذا القرآن الخالد، الذي حَوَى علوم الأولين وقصصهم، واشتمل على كل علمٍ نافع في الدنيا والآخرة، وأعْجَزَ أهل اللغة كلهم – رغم براعتهم في الفصاحة والبلاغة – فأيّ آيةٍ أعظم من هذه؟!).

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي مِن قبل أن نُرسل إليهم رسولا ونُنَزِّل عليهم كتابًا ﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ يعني: هَلاَّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ من عندك ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ وشَرْعك ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ أي مِن قبل أن يصيبنا الذل والإهانة بعذابك، ونُفتضَح بين الأمم يوم القيامة.

www.alukah.net

- الآية 135: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ﴾ أي: كلٌ مِنَّا ومنكم ينتظر: لمن يكون النصر والفلاح؟، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: أي فانتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ يوم القيامة: ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ يعني: مَن أهل الطريق المستقيم - وهو الإسلام - ومَن المهتدي مِنَّا ومنكم إلى الحق؟

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الأنبياء كاملة

1. الربع الأول من سورة الأنبياء

- الآية 1: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ على جميع أعمالهم ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عَمَّا يَنتظرهم مِن حسابٍ وجزاء، ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن الاستعداد لهذا الحساب بالإيمان والعمل الصالح (بعد ترْك الشرك والمعاصي).

- الآية 2، والآية 3، والآية 4: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني: ما مِن شيءٍ يَنزل من القرآن ﴿مُحْدَثٍ﴾ أي جديد النزول، مُجَدِّدًا لهم التذكير والموعظة: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: أي كان سَماعهم له سَماع لعبٍ واستهزاء، ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: قلوبهم غافلة عن تدبر القرآن، مشغولة بشهوات الدنيا ومَلَذّاتها، ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي اجتمع الظالمون من رؤساء قريش على أمْرٍ خَفِيّ - لِيَصُدُّوا به الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم - فقالوا لهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾؟ يعني: ما محمد إلا إنسان مثلكم لا يَختلف عنكم في شيء، وما تصديقكم لنُبُوَّته إلا مِن أثر سِحرٍ سحَرَكم به ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ يعني فكيف تأتون إلى هذا الساحر ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: بَصَركم سليم؟، (وقد كَذَبوا في ذلك الادِّعاء الباطل، فإنه لو كانَ ساحراً، لسَحَرَهم ليؤمنوا به، حتى يستريحَ هو وأصحابه من ذلك الإيذاء والتعذيب الذي يَلقونه منهم، وحتى لا يُخرجوهم مِن بلدهم وديارهم وأموالهم كما فعلوا).

♦ واعلم أن المقصود بوصف القرآن بأنه (مُحدَث) أي حديث النزول على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يَنزل آية بعد آية وسورة بعد سورة، بحسب الحوادث والأحوال.

♦ فلمَّا أخبر اللهُ رسوله بالكلام الذي قالوه، أخبرهم صلى الله عليه وسلم أنّ اللهَ الذي عَلِمَ تَحدُّثهم سِرّاً، يَعلم كل قول في السماء والأرض ف ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سِرّاً كانَ أو علانية)، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِمَا أسررتموه مِن حديثكم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالكم وكَيدكم، (وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ لهم).

- الآية 5، والآية 6: ﴿بَلْ﴾ جَحَدَ الكفار بالقرآن، واضطربت أقوالهم فيه بعد أن شعروا بالهزيمة في أن يأتوا بمِثله، ف ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ يعني منهم مَن قال: إنه أحلام مُختلَطة رآها في المنام، ومنهم مَن قال: ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ أي اختلق محمد القرآن مِن عند نفسه، ومنهم مَن قال: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (أي هذا الذي جاء به شِعر)، وإذا أراد أن نُصَدِّقه ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾: أي فليأتنا بمعجزة محسوسة كناقة صالح، وعصا موسى وسائر معجزات الرُسُل مِن قبله.

♦ فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ يعني: لا توجد قرية - قبل كفار مكة - طلب أهلها المعجزات فآمَنوا بها لمَّا تحققت لهم، بل إنهم كَذَّبوا بها فأهلكناهم، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟! يعني أيُؤمِن كفار مكة إذا تحققت المعجزات التي طلبوها؟! (والاستفهام للنفي) يعني: كلا إنهم لن يؤمنوا، (إذاً فلا معنى مِن إعطائها لهم ونحن نعلم أنهم لن يؤمنوا).

- الآية 7: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ أي رُسُلاً من الرجال (لا من الملائكة)، وكنا ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لِيُبَلِّغوا رسالات ربهم إلى الناس، (وقد كانَ هذا رداً على قولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾؟).

♦ وإن كنتم - يا مُشركي قريش - لا تُصَدِّقونَ بذلك ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أي اسألوا أهل الكتب السابقة، ليُخبروكم أنّ الأنبياء كانوا بَشَرًا وليسوا ملائكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، (واعلم أنّ الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين - إذا لم يكن عند الإنسان عِلمٌ منها - أن يَسأل مَن يَعلمها مِن العلماء المُتمكنين في العلم).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الآية 8، والآية 9: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ يعني إننا لم نجعل أولئك الرسل خارجين عن طباع البشر (لا يحتاجون إلى طعام وشراب)، بل جعلناهم أجساداً آدمية تحتاج في بقائها إلى الطعام والشراب، إذاً فلماذا يَعترض هؤلاء المشركون على كَوْن الرسول صلى الله عليه وسلم بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟!

﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ لا يموتون، ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ أي: ثم أنجَزنا لهم ولأتْباعهم ما وعدناهم به من النصر والنجاة ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ على أنفسهم بالكفر والمعاصي.

♦ واعلم أنّ حرف (ثم) المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ هو ما يُعرَف في اللغة بـ (الترتيب الرّتبي)، فكأنّ المعنى: (وأهَمُّ مِمّا ذُكِر أننّا صَدَقناهم الوعد فأنجيناهم وأهلكنا الذين كَذَّبوهم).

- الآية 10: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ وهو هذا القرآن الذي ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي فيه عِزُّكم وشرفكم في الدنيا والآخرة (إنْ تذكرتم به)، إذ هو أعظم من المعجزات التي طلبتموها، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟! يعني: أفلا تتفكرون فيه بعقولكم، لتؤمنوا به وتعملوا بما فيه؟!

- من الآية 11 إلى الآية 16: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ يعني: وكثيرٍ مِن أهل القرى قصمناهم - بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم - بسبب ظُلمهم وكُفرهم ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (كانوا خيراً من أولئك الهالكين)، ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ أي فلمَّا رأى الظالمون علامات عذابنا الشديد نازلاً بهم: ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أي يُسرعون هاربينَ مِن قريتهم.

♦ فنادتهم الملائكة وهم يحاولون الفرار من العذاب: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾: أي لا تهربوا ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ أي ارجعوا إلى ما كنتم تتنعمون فيه من اللذات، وارجعوا إلى مساكنكم المُحصَّنة ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ أي لعل أحداً يَمُرّ بكم فيَسألكم عَمّا كنتم فيه من النعيم فتُخبِروه، أو لعله يُطلَب منكم شيئًا مِن دُنياكم لتفتدوا به من العذاب، (وهذا كله على سبيل السُخرية والاستهزاء بهم).

♦ فلمَّا يَئسوا من الهرب وأيقنوا بنزول العذاب: ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا﴾ يعني يا هَلاكنا (والمقصود أنهم يَدعون على أنفسهم بالهلاك والموت، لمُشاهدتهم عذاب الله نازلاً بهم)، وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي ظلمنا أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد، فعرَّضناها بذلك للخُسران والعذاب، ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي: فما زالت تلك المقولة - وهي الدعاء على أنفسهم بالهلاك واعترافهم بظلمهم - هي دَعْوَتهم يُرَدِّدونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾: أي لم نُبقِ منهم أحداً قائماً (كأنهم زرعٌ محصود)، وأصبحوا خامدينَ لا حياةَ فيهم (كالنار التي أُخمِدَت).

♦ ثم وَضَّحَ سبحانه أنّ إهلاكه لهذه الأمم المُشركة الظالمة كانَ دليلاً على أنه لم يَخلق الإنسان لعباً وعَبَثاً، بل خَلَقه ليَعبده ولا يُشرك به، ويطيعه ولا يعصيه، وأنه خَلَقَ السماوات والأرض ليُذكَر فيهما ويُشكَر، ولهذا قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾، وإنما ليَعلم الناس أنّ الذي خَلَقَ ذلك كله، لا تصلح العبادة إلا له، وأنه سبحانه قادرٌ على أن يُحيي الموتى، لأنّ ذلك أهْوَنُ عليه مِن خَلْق السماوات والأرض.

- الآية 17، والآية 18: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ - من الولد أو الزوجة أو غير ذلك مِمّا نَسَبَهُ إلينا المشركون كَذِباً وافتراءً - ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾: أي لاَتخذناه مِن عندنا لا مِن عندكم ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (وهذا يَستحيل في حقنا، لأن اللعب ليس من شأننا)، ولذلك بَرَّأَ سبحانه نفسه مِن ذلك فقال: ﴿بَلْ﴾ أي لا يليق بنا اتخاذ الزوجة والولد - لِغِنانا عن ذلك -، وإنما ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي نَرمي بالحق (وهو أدلة القرآن) ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ - وهو افتراء المُضِلّين - ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي فيَشُقُّ الحق

دماغَ الباطل فيُهلِكه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: فإذا بالباطل ذاهبٌ مغلوب لا يَبقى منه شيء، ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ يعني: ولكم – أيها المشركون – العذاب الشديد في الآخرة، مِن أجْل وَصْفِكم ربكم بغير وَصْفه اللائق به، ومِن أجْل وَصْفكم لرسوله بالسحر والكذب والشعر، وأنتم تعلمون أنه الصادق الأُمِّي، الذي لم يقل الشعر ولم يتعلمه طوال حياته.

– الآية 19، والآية 20: ﴿وَلَهُ﴾ سبحانه جميع ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلكاً وتصرفاً وتدبيراً وإحاطة، (فهذا برهان آخر على بُطلان دعوى أنّ له تعالى زوجة وولداً، إذ هو خالقُ كل شيء ومالكه، فهل يُقالُ لِمَن صَنَعَ شيئاً إنه أبو المصنوع؟! لا يوجد قائلٌ بهذا أبداً، (فسبحان مَن لا يحتاجُ إلى زوجةٍ أو ولدٍ كما يحتاج البشر، وسبحان الغني القوي الذي له الصفات العُليا، والاستغناء التام عن خَلْقه وعبيده).

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي لا يَتعبون فيَتركوا العبادة ليستريحوا، بل إنهم ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي يُسبِّحون اللهَ ليلاً ونهاراً ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾: أي لا يضْعُفون عن التسبيح، لأنه يخرج منهم كما يَخرج النَفَس من البشر، فكما أن البشر لا يتعبون من التنفس ولا يَمَلُّون منه ولا يُشغلهم عنه شيء، فكذلك الملائكة لا يَمَلُّون من التسبيح ولا يُشغلهم عنه شيء، (إذاً فكيف يجعلهم المشركون شركاء لله تعالى أو يزعمون أنّ له منهم ولداً وهُم لا يستكبرون عن عبادته ولا يَتعبونَ منها؟!)، (واعلم أن اللفظ (يَسْتَحْسِرُونَ) مأخوذ من الحَسير، وهو (الجَمَل) المُنقطع عن السير بسبب التعب).

– الآية 21، والآية 22، والآية 23: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آَلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾؟! يعني: هل اتخذ المشركون آلهة عاجزة من أحجار الأرض تقدر على إحياء الموتى؟! (والاستفهام للنفي والإنكار) يعني: كلا إنهم لا يُحيون الموتى، (والذي لا يُحيي الموتى لا يَستحق العبادة بحال من الأحوال، أمّا اللهُ تعالى فهو المُتفرِّد بالإحياء والإماتة، وأنتم تعلمون ذلك أيها المشركون، فلقد كنتم أمواتًا وأنتم في العَدم، فأوجدكم سبحانه ونَفَخَ فيكم الحياة، فكذلك لا يُعجزه إحياء الناس بعد موتهم).

♦ ثم أبطل سبحانه دعواهم في اتخاذهم آلهةً مع الله تعالى فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾: أي لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله تُدَبِّر شؤونهما، لاَختلَّ نظامهما (لأنّ تَعَدُّد الآلهة يَقتضى اختلافهم في الإرادة والأفعال، مِمّا يؤدي إلى فساد نظام الكون)، ومِن هنا كان انتظام الكون قروناً عديدة دليلاً على أنّ خالقه واحد وأنّ العبادة لا تجب إلا له ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي تَقدَّسَ اللهُ خالق العرش ومالكه والمُختص به، وتبرَّأَ عَمَّا يَصفه به الكافرون.

♦ ومِن دلائل تفرُّده سبحانه بالخَلق والعبادة أنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: أي لا يُسأل عن قضائه في خَلقه، لأنه المالك المتصرف، ولأنه العليم الحكيم، ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ أي: وجميع خَلقه يَسألهم سبحانه عن أفعالهم، لكونهم عبيداً خاضعين لتدبيره وأقداره.

– الآية 24: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً﴾؟! يعني: بل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة لا تنفع ولا تضر! ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول –: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: أي هاتوا دليلاً على استحقاق هذه الآلهة للعبادة، ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾: أي فليس في هذا القرآن (الذي هو ذِكر أُمّتي واتِّعاظها)، ولا في الكتب السابقة دليلٌ على ما ذهبتم إليه، (فالكل يَشهد أنه لا إله إلا الله)، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ يعني: بل أكثرهم قد أشركوا تقليدًا لآبائهم بغير عِلمٍ أو دليل، ولذا ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن تأمل أدلة وبراهين القرآن العظيم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الآية 25: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي لا معبودَ بحقٍ إلا أنا، ﴿فَاعْبُدُونِ﴾: أي فأخلِصوا العبادة لي وحدي أيها الناس.

- من الآية 26 إلى الآية 29: ﴿وَقَالُوا﴾ أي قال المشركون: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ - بزَعْمهم أنّ الملائكة بنات الله - ﴿سُبْحَانَهُ﴾: أي تَنَزَّه اللهُ وتَبَرّأ عن ذلك، ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ يعني إنّ الملائكة عبادٌ للهِ تعالى (ومَن كان عبداً لا يكون ابناً أو بنتاً لله تعالى)، وهُم ﴿مُكْرَمُونَ﴾ أي مُقرَّبونَ مُخصَّصونَ بالفضائل الكريمة.

♦ ومِن حُسن طاعتهم وأدبهم مع الله تعالى أنهم ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به سبحانه (وهذا هو شأن العبد، أنه لا يتقدم سيده بشيء) ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ أي: وهم ولا يَعملون عملاً حتى يَأذن لهم، وهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي يَعلم جميع أفعال الملائكة (ما يُستقبَل منها وما مَضى)، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أي لا تتقدم الملائكة بالشفاعة إلا لمن رَضِيَ اللهُ عن شفاعتهم له (ولا يكون هذا إلا لأهل التوحيد)، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أي: والملائكة - مِن أجل خوفهم مِن الله تعالى - يَحذرون أن يُخالفوا أمْره ونَهْيه، ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: ومَن يَزعم من الملائكة أنه إلهٌ مع اللهِ تعالى - على سبيل الفرض - ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾، و﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الذين يَتعدون حدودهم ويتجاوزون قَدْرهم.

****

2. الربع الثاني من سورة الأنبياء

- الآية 30: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني ألم يَعلم الكفار ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي كانتا مُلتصقتينِ لا فاصل بينهما ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أي فَصَلناهما بقدرتنا، وأنزلنا المطر من السماء، وأخرجنا النبات من الأرض؟، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾؟! يعني أفلا يُصَدِّقون بما يشاهدونه من الآيات الدالة على استحقاق اللهِ وحده للعبادة، فيعبدوه وحده ولا يُشركوا به؟!

- الآية 31: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً راسية لتثبيت الأرض ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي حتى لا تميل بهم وتتحرك (إذ لو تَحَرَّكَتْ بهم: ما استقامَ العيشُ عليها، ولَتَهَدَّمَ ما عليها وتَساقط)، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ أي جعلنا في الأرض طرقًا واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي ليهتدوا بهذه الطرق في الوصول إلى الأماكن التي يقصدونها، وليهتدوا بها أيضاً إلى توحيد خالقهم الذي أنعم عليهم بما فيه مصلحتهم.

- الآية 32: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾: أي جعلنا السماء سقفًا للأرض، وجعلناها أيضاً محفوظة من السقوط، ومن اختراق الشياطين لها، ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ أي: والكفار غافلون عن التفكر في آيات السماء، إذ لو تفكروا فيها لاَستدلوا بها على توحيد اللهِ تعالى وقدرته وعِلمه وحِكمته، (واعلم أن المقصود بآيات السماء: الشمس والقمر والنجوم).

- الآية 33: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ﴾ لراحتكم، ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتطلبوا فيه الرزق، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ خَلَقهما سبحانه لإضاءة الأرض، ولتعرفوا الأيام والشهور، وغير ذلك مِن مَنافعكم، ﴿كُلٌّ﴾ مِن الشمس والقمر ﴿فِي فَلَكٍ﴾ أي في مَدار خاص بهم، ﴿يَسْبَحُونَ﴾ أي يَجْرون في هذا المدار ولا يخرجونَ عنه، (إذ لو خرجتْ الأجرام السماوية مِن مَدارها، لَوَقَعَ التصادم بينهم، ولَحَدَثَ تدميرٌ للعوالم كلها، فسبحان العليم الحكيم القادر).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 34: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ - يا محمد - ﴿الْخُلْدَ﴾ أي دوام البقاء في الدنيا، ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ بعدك؟! لا يكونُ هذا أبداً، (إذاً فلا معنى لأن يَنتظروا بك الموت حتى يتخلصوا مِن دَعْوتك ويَشمتوا بك).

- الآية 35: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي ستذوق مَرارة مُفارقة الروح للجسد، ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ يعني: ونختبركم بما تظنونه شراً (كالفقر والمرض)، و بما تظنونه خيراً (كالغِنى والصحة)، وقد جعلنا هذا الابتلاء ﴿فِتْنَةً﴾ أي اختباراً يُظهِر الصابر الشاكر من الساخط الجاحد، ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم للحساب والجزاء.

- الآية 36: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ - أيها الرسول - ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي ما يتخذونك إلا استهزاءً وسخرية، إذ يُشيرونَ إليك قائلين: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾؟! يعني أهذا الرجل هو الذي يَسُبُّ آلهتكم ويَذكر عيوبها؟!، ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ يعني: وهُم جاحدونَ بما أنزله الرحمن من القرآن والهدى.

♦ والمقصود من الآية: كيف يتألمون لذِكر آلهتهم بسُوء (وهي تستحق السُوء فعلاً لعَجزها ونَقصها)، ولا يتألمون لجحودهم بألوهية ربهم الرحمن (الذي يَستحق العبادة وحده)، حتى إنهم أنكروا أن يكون "الرحمن" اسماً لله تعالى؟!، إنّ هذا لَغاية الجهل والغرور وسُوء الفَهم.

- الآية 37: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾: أي خُلِقَ الإنسان عَجولاً يَستعجل وقوع الأشياء (وإن كانت تحمل له ضرراً)، وقد استعجل المؤمنون عقوبة الله للكافرين، واستعجلت قريشٌ العذابَ تكذيباً وعِناداً، فقال الله لهم: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾: أي سأريكم العذاب الذي وعدتكم به في آياتي القرآنية (ومِن ذلك ما حصل لهم يوم بدر) ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾، (واعلم أنه قد دخل كثيرٌ منهم في الإسلام بسبب هذا الإمهال، فسبحان الحليم الحكيم).

♦ ولعَلّ قول الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ فيه إشارة إلى تَمَكُن هذا الوصف منه، إلا مَن رحمه الله تعالى وحَلاَّهُ بالصبر والحِلم.

- الآية 38، والآية 39: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: متى يحصل هذا العذاب الذي تَعِدُنا به يا محمد، إن كنت صادقاً أنت ومَن اتَّبعك؟، فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لو يعلمون ما ينتظرهم من العذاب في جهنم ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ أي عندما لا يستطيعون أن يدفعوا النار عن وجوههم ﴿وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ أي: ولا يجدون لهم ناصرًا يُنقذهم من هذا العذاب، (لو يعلمون ذلك، ما استعجلوا عذابهم، وَلَتابوا مِن شِركهم وعِصيانهم).

- الآية 40: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ النار ﴿بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي فيَتحيَّرون عند ذلك، ويَخافون خوفًا عظيمًا، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾: أي فحينئذٍ لا يستطيعون دَفْعَ العذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: ولا يُمْهَلون للتوبة والاعتذار.

- الآية 41: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي استَهزأ المشركون السابقون بالعذاب الذي وَعَدَتْهم به رُسُلهم، ولكنّ رُسُلهم صبروا على استهزائهم ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي فأحاط بهم العذاب الذي كانوا يَسخرون منه، فلم يستطيعوا الفرار، (وفي هذا تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاهُ مِن استهزاء قريش واستعجالهم بالعذاب).

- الآية 42: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب -: ﴿مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾؟! يعني: مَن الذي يَحفظكم ويَحرسكم - في ليلكم ونهاركم - مِن عذاب الرحمن إذا نزل بكم؟ (والجواب: لا أحد يستطيع أن يَرُدّ عذاب الله عنكم)، إذاً فلماذا لا تتوبون إليه بتوحيده وطاعته؟! ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ يعني: بل هم عن مواعظ القرآن وحُجَجه مُعرضون، فلا يَستمعون إليها ولا يتفكرون فيها، (وهذا هو السبب في عدم استجابتهم للحق).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الآية 43: ﴿أَمْ لَهُمْ آَلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أي تَمنعهم مِن عذابنا؟! ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾: يعني إنَّ آلهتهم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم، فكيف يَنصرون عابِديهم؟ ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ أي ولا يجدون مَن يُنقذهم مِن عذابنا.

- الآية 44: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ﴾ الكفار ﴿وَآَبَاءَهُمْ﴾ بالأموال والبنين ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي حتى طالت أعمارهم وهُم في هذه النعم، فظنوا أنها لا تزول عنهم، واغترّوا بإمهال الله لهم، واستمَرّوا على كُفرهم، وأعرَضوا عن تدبرّ حُجَج ربهم، ونسوا ما حدث للمكذبين قبلهم، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾؟ أي نُنقِص أرض الكفر، (وذلك بإهلاك قرى الكافرين، وبدخول أهل الجزيرة في الإسلام بلداً بعد الآخر، وبفتح بلاد المشركين وإلحاقها ببلاد المسلمين) ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾؟! يعني أيَستطيع كفار مكة الخروج عن قدرة الله تعالى أو الامتناع عن الموت؟! (والجوابُ: لا، بل الله تعالى هو الغالب، حيث مَكَّنَ لرسوله وللمؤمنين فَتْح مكة ودخول كثيرٍ مِن أهلها في الإسلام).

- الآية 45: ﴿قُلْ﴾ لهم - أيها الرسول -: ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ يعني: إنّ العذاب الذي أُخوِّفكم به هو وَحْيٌ أوحاه الله إليّ وأمَرني بإبلاغه لكم، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ أي: ولكنّ الكفار لا يسمعون هذا الإنذار سماع تدبُّر وانتفاع، وذلك بسبب حُبِّهم للباطل الذي هم عليه، (لأنّ حُبّ الشيء قد يُعمِي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحَبَّه، ويَصُمَّه بحيث لا يَسمعُ شيئاً غيره).

- الآية 46: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ يعني: وإذا أصاب الكفارَ قَدْرٌ قليل مِن عذاب الله يوم القيامة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ - صارخينَ نادمينَ -: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ يعني يا هَلاكنا (والمقصود أنهم يَدعون على أنفسهم بالهلاك والموت حتى يستريحوا من هذا العذاب) ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي ظلمنا أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد، فعرَّضناها بذلك للخُسران والعذاب.

- الآية 47: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: أي يضع اللهُ الميزانَ العادل للحساب في يوم القيامة ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ يعني: وإنْ كان هذا العمل قدْرَ ذرةٍ مِن خير أو شر: يضعها الله في ميزان صاحبها ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ أي: وكفى بالله تعالى مُحصيًا لأعمال عباده، ومُجازيًا لهم عليها.

♦ ويُحتمَل أن يكون اللهُ تعالى قد ذكَرَ لفظ (الْمَوَازِينَ) بصيغة الجمع، إشارة إلى أنّ لكل عبد ميزان خاص به، ويُحتمَل أيضاً أن يكون ميزاناً واحداً توزن فيه أعمال العباد جميعاً، وإنما يَختلف الوزن باختلاف الأعمال الموزونة، واللهُ أعلم.

- الآية 48، والآية 49: ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾: يعني أعطينا موسى وهارون حُجَّةً نصرناهما بها على عدوهما، وأعطينا موسى كتابًا - وهو التوراة - فَرَقْنا به بين الحق والباطل والشرك والتوحيد، ﴿وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: وكانت التوراة نورًا وموعظة يَهتدي بها المتقون ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ أي الذين يخافون عقاب ربهم وهُم لا يرونه في الدنيا، فلا يَعصونه بترك واجب ولا بفعل حرام، ﴿وَهُمْ مِنَ﴾ أهوال ﴿السَّاعَةِ﴾ التي تقوم فيها القيامة ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفونَ حَذِرون.

- الآية 50: ﴿وَهَذَا﴾ القرآن هو ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ أي عظيم النفع لمن قرأه وتذكَّر به، وعَمِلَ بأوامره واجتنب نواهيه، وقد ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، (وفي هذا ردٌ على قول المشركين في أول السورة: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآَيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾، فقد أعطى اللهُ تعالى محمداً القرآن كما أعطى موسى التوراة)، ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾؟! يعني أتنكرونه أيها المشركون وهو في غاية البلاغة والوضوح؟!

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

3. الربع الثالث من سورة الأنبياء

– الآية 51: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ يعني أعطينا إبراهيم هُداه، (والمعنى أننا هديناه إلى معرفة ربّه ووجوب عبادته وحده)، وذلك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي مِن قبل أن نُوحي إليه ونجعله من الأنبياء، ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي كنَّا عالمين أنه أهْلٌ لإعطائه الرُشد والنبوة، وأنه جديرٌ للقيام بدعوة التوحيد.

♦ ويُحتمَل أن يكون قوله تعالى: (مِنْ قَبْلُ) أي مِن قبل موسى وهارون (اللذين ذَكَرَهما اللهُ في الآيات السابقة)، واللهُ أعلم.

– الآية 52، والآية 53: ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ المشركين: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾؟ يعني: ما هذه الأصنام التي صنعتموها، ثم أقمتم على عبادتها؟، فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، ونحن أيضاً نعبدها اقتداءً بهم، (وهذا دليل على جَهْلهم، إذ لم يَذكروا بُرهاناً على صحة عبادتها، بل اكتفوا بالتقليد الأعمى لآبائهم مِن غير دليل).

– الآية 54، والآية 55: ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في ضلالٍ واضح بسبب عبادتكم لهذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾؟ يعني: أهذا القول الذي جئتَنا به حقٌّ وَجِدٌّ، أم كلامك لنا كلام لاعب مستهزئ لا يدري ما يقول؟

– الآية 56، والآية 57: ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿بَلْ﴾ أي لستُ لاعباً، وإنما ﴿رَبُّكُمْ﴾ الذي يَستحق العبادة وحده هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي الذي خلقهنَّ على غير مثالٍ سابق ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ يعني: وأنا مِن الشاهدين على أنه لا رَبَّ لكم غيره، ولا معبودَ بحقٍ سواه، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ أي سوف أُلحِق بها الضرَر ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾: يعني بعد أن تَذهبوا بعيداً عنها وتتركوها وحدها.

– الآية 58، والآية 59: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ أي: فحطَّم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعًا صغيرة، إلا أكبر صنم فيهم فإنه لم يَكسره، بل عَلَّقَ الفأس في عُنُقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾: أي ليَرجع القوم إلى هذا الصنم ويسألوه، فعندئذٍ يَتبيَّن لهم ضَلالهم وعَجْز آلهتهم، وتقوم الحُجَّة عليهم، فيعبدوا اللهَ وحده، ولا يُشركوا به شيئاً.

♦ فلمَّا رجع القوم، ورأوا أصنامهم مُحطَّمة مُهانة، سأل بعضهم بعضًا، فـ ﴿قَالُوا﴾: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾؟ ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يتعدون حدودهم ويتجاوزون قَدْرهم.

– الآية 60: ﴿قَالُوا﴾ أي قال مَن سمع إبراهيم وهو يحلف بأنه سوف يكيد بالأصنام: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي يَذكر الأصنام بسُوء، وهذا الفتى ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

– الآية 61، والآية 62، والآية 63: ﴿قَالُوا﴾ أي قال رؤساؤهم: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي على مَرأى من الناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي لِيَشهدوا على اعترافه بأنه هو الذي كسر الأصنام، ولكي يَحضروا معاقبته، فيكون عِبرةً لغيره.

♦ فلمَّا أحضروا إبراهيم أمام الناس، ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾؟ (وهنا حَدَثَ ما أراده إبراهيم مِن إظهار جَهْلهم وقلة عقلهم أمام الناس)، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم – ليَغلبهم بالحُجَّة –: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ يعني: إنّ هذا الصنم الكبير هو الذي كسَّرها، ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾: أي فاسألوا آلهتكم عن ذلك إن كانت تتكلم.

– الآية 64، والآية 65: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ يَلومونها، إذ كيف يعبدون هذه الأصنام، وهي عاجزة عن أن تدفع عن نفسها شيئًا، أو أن تَرُدّ على مَن يسألها؟! ﴿فَقَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني أقرُّوا على أنفسهم

www.alukah.net

بالظلم والشرك، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي رجعوا إلى باطلهم (بعد أن اعترفوا بالحق)، فقالوا لإبراهيم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ يعني: كيف نسألها يا إبراهيم، وقد عَلِمتَ أنها لا تتكلم؟

- من الآية 66 إلى الآية 69: ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم - مُحَقِّرًا لشأن أصنامهم -: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ إذا عبدتموه، ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إذا تركتم عبادته؟! ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾: أي قُبحًا لكم ولآلهتكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟! يعني أفلا تفكرونَ بعقولكم فتُدرِكوا سُوء ما أنتم عليه من الباطل؟!

♦ فلمَّا بَطلتْ حُجَّتهم وظهر الحق، عادوا إلى استعمال سُلطانهم، فـ ﴿قَالُوا﴾: ﴿حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ يعني أحرِقوه بالنار انتصاراً لألهتكم التي كَسرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: يعني إن كنتم تريدون نَصْرها حقاً، فلمَّا ألقوه في النار: ﴿قُلْنَا﴾ أي قال اللهُ تعالى للنار: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (فلم تُصِبه النار بأذى، ولم تَحرِق إلا الحبل الذي ربطوه به)، (فسبحان المَلِك العظيم رب النار، وسبحان مَن خضعتْ المخلوقات لأمْره وقدرته، وسبحان مَن يقول للشيء كُن فيكون).

- الآية 70: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ أي أرادوا بإبراهيم الهلاك ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (حيث أبطل اللهُ كَيدهم ولم يصيبوه بشيء).

- الآية 71: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾: أي نَجَّينا إبراهيم ولوطًا من "العراق" (التي كان يسكنها أولئك الكفار)، وأخرجناهما ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهي أرض "الشام" التي بارك الله فيها بكثرة الأشجار والأنهار والثمار، كما بارك فيها بكثرة الأنبياء، (فأقام إبراهيم في "فلسطين"، وأقام لوط في قرية "سَدُوم").

- الآية 72، والآية 73: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي وَهَبنا لإبراهيم ولده ﴿إِسْحَاقَ﴾ ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: أي ووَهَبنا له حفيده يعقوب زيادةً على طلبه (إذ طَلَبَ ولداً فأعطاه اللهُ إسحاق، وزاده ولداً مِن إسحاق)، ﴿وَكُلًّا﴾ مِن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أي جعلهم الله صالحين (مُؤَدّينَ لحقوق الله تعالى وحقوق الناس)، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾: أي جعلناهم قدوة للناس ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي يدعون الناس إلى توحيد الله وطاعته (وذلك بأمْره تعالى وتكليفه لهم)، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ أي أوحينا إليهم أن يفعلوا الخيرات (وهو كل أمْرٍ نافع يحبه الله تعالى ويَرضاه)، ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ يعني أمرناهم بأداء الصلاة في أوقاتها (بخشوعٍ واطمئنان) ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ لمن يَستحقها، ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾: أي كانوا مطيعين لله وحده، منقادين له لا لغيره.

- الآية 74، والآية 75: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي أعطيناه النُبُوَّة والحُكم بين المتخاصمين، والعِلم بأحكام الدين ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ أي التي كان يعمل أهلها الفواحش، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ أي كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله تعالى، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾ أي أدخلنا لوطاً ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ الخاصة بعبادنا المؤمنين، والسبب في ذلك: ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي كان من الذين يعملون بأمر الله وطاعته، فاستحق الدخول في تلك الرحمة.

- الآية 76، والآية 77: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: واذكر أيها الرسول نوحاً حين نادانا - مِن قبل إبراهيم ولوط - فدعانا بأن ننصره على القوم الكافرين ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ المؤمنين ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الغرق، ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فلم يُصيبوه بسُوء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ أي كانوا أهلَ قُبح ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالطوفان.

- الآية 78، والآية 79، والآية 80: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: واذكر أيها الرسول خبر داود وابنه سليمان ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾: أي حين كانا يَحكمان في قضية الزرع التي عرَضَها خَصمان متنازعان ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: أي حين انتشرت غنم أحدهما في زرع الآخر ليلاً فأتلفت الزرع، فحَكَمَ داود بأن تكون الغنم مِلْكًا لصاحب الزرع عِوَضاً عَمّا أتلفته،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ أي لم يَخفَ علينا شيءٌ مِن حُكمهم في هذه القضية، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾: أي فَهَّمنا سليمان مُراعاة مصلحة الطرفين مع العدل، فحَكَمَ على صاحب الغنم بإصلاح الزرع التالف، وفي نفس الفترة يستفيد صاحب الزرع بمنافع الغنم مِن لبنٍ وصوف، ثم بعد أن يَتِمّ إصلاح الزرع: تعود الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه.

♦ وحتى لا يظن أحد أن داود عليه السلام كان أقل مِن ولده سليمان في العلم والحُكم، قال تعالى بعدها: ﴿وَكُلًّا﴾ – مِن داود وسليمان – ﴿آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي أعطيناهما النُبُوَّة والحُكم بين المتخاصمين والعلم بأحكام الدين، ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ أي تُسَبِّح معه إذا سبَّح الله تعالى، ﴿وَالطَّيْرَ﴾ أيضاً تُسَبِّح معه، ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي قادرينَ على فِعل ما هو أعجب مِن تسخير الجبال والطير ليُسَبِّحوا مع داود ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ أي عَلَّمه الله صناعة الدروع التي يلبسها المقاتل في الحرب ﴿لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾: أي لتحمي المحاربين أثناء المعركة، فلا يؤثر فيهم السلاح، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لهذه النعمة التي أجراها الله على يد داود واختصه بها؟، (والغرض من هذا الاستفهام: الأمر، أي فاشكروا الله تعالى على هذه النعمة، وفي هذا دليل على جوب شُكر الله تعالى على كل نعمة تُستَجَدّ للعبد).

– الآية 81: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: أي سخَّرنا لسليمان الريح السريعة، لتَحمله ومَن معه من الجنود، فكانت ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض "بيت المقدس" بـ "الشام" التي بارك الله فيها بالخيرات وبكثرة الأنبياء، (فكان عليه السلام يَخرج أول النهار غازياً، ثم تعود به الريح في آخر النهار تَحمل بساطه – الذي هو كأكبر سفينة حربية اليوم – إلى أرض الشام التي كانت مَقرَّه ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (ومن ذلك عِلمنا بما فيه مصلحة سليمان).

– الآية 82: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ يعني: وسخَّرنا لسليمان بعض الشياطين، ليستخدمهم فيما يَعْجز عنه غيرهم، فكانوا يغوصون في أعماق البحر ليَستخرجوا له اللآلئ والجواهر، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: وكانوا يعملون له أعمالاً أقل تعباً من الغوص (كالبناء وصناعة التماثيل والمحاريب، وغير ذلك مِمّا أراده منهم)، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أي مَنعهم الله أن يَعصوا أمْره، وكذلك حَفظَ أعمالهم حتى لا يفسدوها، (فقد رُوِيَ أنهم كانوا يريدون أن يُفسدوا ما عملوه – مَكْراً منهم وخِداعاً – حتى لا ينتفع به سليمان عليه السلام، فحَفظه الله مِن ذلك)، والله أعلم.

****

4. الربع الأخير من سورة الأنبياء

– الآية 83، والآية 84: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ أي اذكر أيها الرسول – في هذا القرآن – خبر أيوب عليه السلام، حينَ ابتليناه بمرضٍ عظيم في جسده، وفَقَدَ ماله وولده، فصبر واحتسب الأجر عند الله تعالى، ونادى ربه – داعياً متضرعاً –: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أي قد أصابني الضر، ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي أرحم بي مِن أبي وأمي ومِن كل راحم، فاكشف هذا الضر عني، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ونداءه، ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ ورفعنا عنه البلاء، ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ أي: رزقناه أولاداً بعدد ما فقد (وزدناه مِثلهم)، وكذلك أعطيناه مالاً كثيراً، (فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل عليه جَرَاداً مِن ذهب) (انظر صحيح الجامع حديث رقم: 2863).

♦ وقد فَعلْنا ذلك ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ بأيوب – بسبب صبره – ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ يعني: وليكون قدوة للعابدين إذا أصابهم البلاء، فيَصبروا مِثله، ويَحتسبوا الأجر عند ربهم، ليُجازيهم بأحسن الجزاء في جنات النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

www.alukah.net

- الآية 85، والآية 86: ﴿وَ﴾ اذكر في القرآن ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ أي كل هؤلاء الأنبياء كانوا من الصابرين على طاعة الله تعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فبذلك استحقوا الثناء الجميل في القرآن الكريم، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأنْ جعلناهم أنبياء، والسبب في ذلك: ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: يعني إنهم كانوا مِمَّن صلح باطنهم وظاهرهم، فأطاعوا أمْر ربهم واجتنبوا نَهْيه.

- الآية 87، والآية 88: ﴿وَذَا النُّونِ﴾ أي: واذكر - أيها الرسول - قصة صاحب الحوت، وهو يونس عليه السلام، ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ أي حين أرسله الله إلى قومه فدَعاهم فلم يؤمنوا، فتوعَّدهم بعذاب الله فلم يتوبوا، ولم يَصبر عليهم كما أمَرَه الله، وخَرَجَ مِن بينهم غاضبًا عليهم، مُغضِباً لربه، ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي ظَنّ أن الله لن يُضَيِّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضِيق والحبس، والتقمه الحوت في البحر ﴿فَنَادَى﴾ ربه ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ أي لا معبودَ بحقٍ إلا أنت ﴿سُبْحَانَكَ﴾ يعني حاشاكَ أن تظلم، فإنّ هذا البلاء أستحقه بمعصيتي ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

♦ واعلم أنّ هذا الذِكر كانَ غرضه الدعاء (وإن لم يُصَرِّح يونس عليه السلام بالطلب)، فقد اعترف بذنبه، وأثنى على ربه، وتوسَّل إليه بتوحيده، فكأنه قال بعد هذا الذِكر: (فنَجِّني يارب مِمّا أنا فيه)، ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أي استجبنا دعاءه ونداءه، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾: أي خلَّصناه مِن غَمّ حَبْسه في الظلمات، مع غَمّ نفسه بسبب ذنبه، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ العاملينَ بشرعنا (إذا تضرعوا إلينا بهذا الدعاء عند شدتهم).

- الآية 89، والآية 90: ﴿وَ﴾ اذكر خبر ﴿زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ ليرزقه الذرية، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾: أي لا تتركني وحيدًا، لا وارثَ لي يقوم بأمر الدين مِن بعدي، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ يعني: وأنت خير مَن يَبقى ويرث، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ - رغم كِبَر سِنّه - ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾: أي جعلنا زوجته صالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عقيماً، ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي زكريا ويحيى ووالدته ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي﴾ فِعل ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ - وهي كل عمل يُرضي الله تعالى - ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: أي كانوا يدعوننا راغبينَ فيما عندنا من النعيم، وخائفينَ مِمّا عندنا من العذاب، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي خاضعينَ متواضعين، مُتذللين للهِ في عبادتهم.

♦ واعلم أنّ الخُشوع هو الذل والخوف من اللهِ تبارك وتعالى، فالخاشعون ذليلون مِن كثرة النِعَم، وذليلون أيضاً من كثرة الذنوب، وهم الخائفون من المَلِك الجبار الذي سَيَحكم عليهم بجنة أو بنار.

- الآية 91، والآية 92، والآية 93: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: واذكر - أيها الرسول - خبر مريم ابنة عِمران التي حَفظت فَرْجها من الحرام، ولم تفعل فاحشةً في حياتها، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ (والمقصود بالروح هنا هو جبريل عليه السلام، الذي قال الله عنه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، وقال عنه: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، فقد أرسل الله جبريل إلى مريم، فنَفَخ في جَيْب ثيابها - وهو المكان الذي عند الرقبة - فوصلتْ النفخة إلى رَحِمِها، فخلق اللهُ بتلك النفخة عيسى عليه السلام، فحملتْ به من غير زوج، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي فكانت هي وابنها آيةً يَستدل بها الناس على قدرة الله تعالى.

♦ وقال الله تعالى للناس: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: إنّ هؤلاء الأنبياء جميعًا هم أئمتكم، إذ دينهم واحد، وهو الإسلام (الذي هو الاستسلام والانقياد والخضوع لأوامر الله تعالى، وعبادته وحده بما شَرَع) ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ أي خالقكم

ورازقكم ومُدَبّر أمْركم، فلذلك لا يَستحق العبادة غيري ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ أي اعبدوني أيها الناس ولا تشركوا بي أحداً مِن خَلقي، ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: ولكنّ الناس اختلفوا بعد هؤلاء الأنبياء، وجعلوا دينهم مَذاهب تُعادي بعضها بعضاً، وأصبحوا فِرقاً وأحزاباً، وعبدوا المخلوقات والأهواء، و﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾: أي كلهم راجعونَ إلينا ومُحاسَبونَ على أفعالهم، (ومِن ذلك تقطيعهم للإسلام إلى مِلَل مختلفة، كاليهودية والنصرانية وغيرهما).

- الآية 94: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ - بإخلاصٍ لله تعالى وعلى النحو الذي شرعه - ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ورُسُله، وبما أخبرت به الرُسُل من الغيب: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي لا نُكرانَ لعمله، (والمعنى أننا لن نُضيع عمله ولن نُبطله، بل نَجزيه عليه أحسن الجزاء) ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي: وسيَجد هذا العمل مُثبَتٌ في كتابه يوم القيامة، لأن الملائكة تكتب أعماله الصالحة بأمر الله لهم، وسيُجزَى بها في جنات النعيم.

- الآية 95: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يعني: ولقد حَرَّمَ الله على أهل القرى - التي أهلكها بسبب كُفرهم وظُلمهم - فأولئك حَرَّمَ الله عليهم رجوعهم إلى الدنيا ليتداركوا أعمالهم السيئة بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح، فقد فات أوان ذلك، وليس لهم إلا الحسرة والندم والعذاب والصراخ.

- من الآية 96 إلى الآية 100: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: أي حتى إذا أَذِنَ الله بفتح سد قبيلتَي يأجوج ومأجوج (وهما قبيلتان عظيمتان موجودتان وراء السد الذي بناه ذو القرنين، والذي سيُفتَح عند اقتراب الساعة)، ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أي: وحينئذٍ سيَخرجون مُسرعين من كل المرتفعات (وهي الجبال الموجودة بالقرب من أراضيهم) ليأكلوا ويُدَمِّروا.

♦ والراجح أنّ كلمة (حَتَّى) - المذكورة في أول الآية - مرتبطة بالآية التي قبلها، لأنّ امتناع رجوع الأمم الهالكة إلى الدنيا لا يزول حتى تقوم القيامة، ثم يُرجَعونَ إلى ربهم للحساب.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي: وحينئذٍ يكون يوم القيامة قد اقترب وظهرت علاماته وأهواله ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني فإذا بأبصار الكفار مفتوحة مِن شدة الفزع، لا تكاد تَطْرِف، وهم يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ يعني يا هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي كنا غافلين عن الاستعداد لهذا اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (فاعترفوا بذنبهم حيث لا ينفعهم الاعتراف).

♦ وقال الله للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ - مِمَن رَضِيَ بعبادتكم له - ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي حَطَبها الذي تُوقَد به، ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾: يعني أنتم ومعبوداتكم الباطلة داخلونَ في جهنم جميعاً، و﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ﴾ الذين عبدتموهم من دون الله تعالى ﴿آَلِهَةً﴾ تستحق العبادة: ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾: أي ما دخلوا النار معكم أيها المشركون، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: كُلٌّ من العابدين والمعبودين - الذين رضوا بعبادتهم - خالدون جميعاً في نار جهنم ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أي لهم في النار آلامٌ شديدة يدل عليها زفيرهم (وهو التنفس والأنين الشديد)، إذ كلما أصاب العذاب أجسادهم، صرخوا من شدة الألم، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ يعني: وهُم في النار لا يَسمعون، وذلك مِن فظاعة العذاب الذي يُلهِبُ أجسادهم، ولكثرة الصُراخ وشدة الأصوات (نسأل الله العافية).

- من الآية 101 إلى الآية 104: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾: يعني إن الذين كَتَبَ الله أنهم من أهل الجنة - بسبب إيمانهم وعملهم الصالح - ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أي مُبعَدون عن النار، فلا يدخلونها، ولا يكونون قريبًا منها، و﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: أي لا يَسمعون صوت لهيبها واحتراق الأجساد فيها، فقد سكنوا منازلهم في الجنة ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ - مِن نَعيمها ولَذّاتها - ﴿خَالِدُونَ﴾، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: أي لا يُقلِقهم الهول العظيم يوم القيامة، بل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَخرجون من قبورهم آمنينَ غير خائفين، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند قيامهم مِن قبورهم لتُبَشِّرهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي هذا يومكم الذي وَعَدَكم الله فيه بالكرامة والسعادة وحُسن الثواب.

♦ ويَتِمّ لهم ذلك الوعد ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ – وذلك حين تُبَدَّل الأرض بغيرها والسماوات بغيرها – فحينئذٍ يَطوي سبحانه السماوات السبع بيمينه ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ أي كما تُطْوَى الورقة على ما كُتب فيها لتدخل في المظروف، ونَبعث الخلائق في ذلك اليوم ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ أي على هيئة خَلْقِنا لهم أول مرة (كما ولدتهم أمهاتهم)، وقد وَعَدْنا بذلك ﴿وَعْدًا﴾ حقًّا، ﴿عَلَيْنَا﴾ الوفاء به، ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي نفعل دائمًا ما نَعِدُ به، ولا يتخلف وَعْدنا أبداً.

♦ واعلم أنّ هذه الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ...﴾ قد نزلتْ رداً على أحد المشركين عندما قال: (إنْ كانَ ما يقوله محمدٌ حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم، فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم، وعيسى والعُزَير في جهنم لأن اليهود عبدوا العُزَير، والنصارى عبدوا المسيح)، فأخبر تعالى أنّ مَن عَبَدَه الناس وهو غير راضٍ عن عبادتهم له، وكانَ هو يَعبد اللهَ وحده ويتقرب إليه بالطاعات التي شَرَعها، فهو مِمّن كَتَبَ اللهُ لهم الجنة كالمسيح عليه السلام.

– الآية 105: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أي كَتَبنا في الكتب المُنَزَّلة بعد أن كَتَبنا في اللوح المحفوظ: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (وهم الذين قاموا بما أمَرَهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه).

– الآية 106: ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ أي عِبرة كافية تَبلُغ بمن يَعمل بها إلى الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ أي يَعبدون ربهم، بما شَرَعه لهم.

– الآية 107: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ – أيها الرسول – ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي رحمةً لجميع الخَلق، فمَن آمَنَ بك سَعِد ونجا، ومَن لم يؤمن بك خابَ وخَسر، (واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أيضاً رحمةً لكُفار قريش من عذاب الإبادة والاستئصال الذي أصاب المُكَذبين قبلهم، كما قال تعالى له في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾).

– الآية 108: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ – مِن ربي – ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ﴾ أي مَعبودكم الحق هو ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وهو اللهُ الأحد الصمد، المستحق وحده للعبادة ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؟ (والمعنى: فأسلِموا له، وانقادوا لعبادته).

– الآية 109، والآية 110، والآية 111: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يعني فإنْ أعرض هؤلاء المشركون عن الإسلام ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿آَذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾: يعني أبلغتكم جميعًا ما أوحاه الله إليَّ، فأنا وأنتم متساوون في العلم والإنذار، ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ يعني: ولستُ أدري أقَريبٌ ما تُوعَدونَ به من العذاب أم مُؤَجَّلٌ إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾: أي يَعلم ما تُعلِنونه من أقوالكم (ومِن ذلك طَعْنكم في الإسلام ونَبِيِّه)، ﴿وَيَعْلَمُ﴾ سبحانه ﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾ في نفوسكم مِن عداوتي وإرادة المكر بي (وسوف يُعاقبكم على ذلك).

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾ يعني: ولستُ أدري، لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه هو استدراجٌ لكم ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ أي: وحتى تتمتعوا في الدنيا إلى وقت انتهاء آجالكم، لتغتروا بإمهال الله لكم فتزدادوا كفرًا، فيكون ذلك أعظم لعقوبتكم في جهنم، (واعلم أنّ الاستدراج: هو الأخْذ بالتدريج، واستدراجُ اللهِ تعالى لأهل الضلال – الذين يُصِرُّون على المعاصي ولا يتوبون منها –: أنهم كلّما جَدَّدُوا للهِ معصيةً، جَدَّدَ اللهُ لهم نعمة، حتى يأخذهم بذنوبهم وهم لا يشعرون، كما قال صلى الله

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عليه وسلم: (إذا رأيتَ اللهَ تعالى يعطي العبدَ من الدنيا ما يحب وهو مُقيمٌ على معاصيه: فإنما ذلك منه استدراج) (انظر صحيح الجامع حديث: **561**).

- الآية **112**: ﴿قَالَ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي افصل بيننا وبين قومنا المُكَذِّبين بالقضاء الحق (وذلك بنَصري عليهم في الدنيا)، **وقال صلى الله عليه وسلم للكفار**: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ﴾ (وذلك لأنهم أنكَروا أن يكون الرحمن اسماً لله تعالى حين قالوا: (وما الرحمن؟)) رغم أنهم يرون رحمته في كل شيءٍ أمامهم، **وهو سبحانه** ﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي الذي نستعين به على إبطال ما تَصِفونه - أيها الكفار - من الشرك والتكذيب والافتراء على الله ورسوله.

****

www.alukah.net

تفسير سورة الحج كاملة

1. الربع الأول من سورة الحج

- الآية 1: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي احذروا عقابَ ربكم، فـ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي زلزلة الأرض عند مَجيء الساعةِ ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ لا يَعلم قَدْره إلا رب العالمين.

- الآية 2: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يعني يوم ترون قيام الساعة: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي تَنسى رَضيعها بسبب الكرب الذي نزل بها، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: أي تُسْقِط الحامل حَمْلها من الرعب، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ أي غابت عقولهم، فيكونوا كالسُكارَى من شدة الهول والخوف، ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ من الخمر، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ أي: ولكنّ أهوال القيامة - كالحَرّ الشديد وشِدّة الرُعب - قد أفقدتهم عقولهم وإدراكهم.

- الآية 3، والآية 4: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: ومِن الكفار ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ أي يُجادلون ويُشَكّكون في قدرة الله على البعث ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جهلاً منهم بحقيقة هذه القدرة، ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ هؤلاء الكفار ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾: أي يَتَّبعون كل شيطان متمرد على أوامر الله تعالى، وهذا الشيطان قد ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾: أي قضى الله على ذلك الشيطان بأنه يُضِل كل مَن اتَّبعه ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: أي يَسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة.

- الآية 5: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ أي في شَكٍّ ﴿مِنَ الْبَعْثِ﴾ بعد الموت، فإليكم ما يُزيل شَكَّكم ويقطع حِيرتكم: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: أي فاعلموا أننا قد خلقنا أباكم آدم من تراب، ثم تناسلت ذريته مِن نطفة (وهي ماء الرَجُل)، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي: ثم يَتحول هذا المَنِيّ بقدرة الله إلى عَلَقة (وهي قطعة من الدم الغليظ متعلقة بالرَحِم)، ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: ثم تتحول هذه العَلَقة بقدرة الله إلى مُضغة (وهي قطعة لحم صغيرة قَدْر التي تُمْضَغ)، فتكون أحياناً مُخَلَّقة (أي تامة الخَلق تنتهي إلى خروج الجنين حيًا)، وأحياناً تكون غير تامة الخَلق (فتَسقط من الرَحِم)، كل ذلك بأمر الله تعالى ومشيئته.

♦ وقد أخبرناكم بكل هذا ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ تمام قدرتنا على الخَلق، ولتعلموا أن الذي ابتدأ خَلْقكم بهذه الصورة قادرٌ على إعادتكم بعد الموت، بل إنَّ إعادة الخَلق أهْوَنُ عليه سبحانه (لأنّ إعادة الشيء كما كان، أسهل من إيجاده أول مرة)، ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني إننا نُبقِي الجنين في الأرحام - المدة التي نشاؤها - إلى وقت ولادته (فمنهم مَن يُولد قبل تسعة أشهر، ومنهم مَن يُولد بعد ذلك)، ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلًا﴾ أي أطفالاً صغارًا ﴿ثُمَّ﴾ نُنَمِّيكم ونُرَبِّيكم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ (وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل).

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ يعني: وبعض الأطفال يموتون قبل الوصول لفترة الشباب، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ يعني: وبعضهم يكبر حتى يَبلغ أردأ العُمر (وهو سِن الهِرَم)، حيثُ يَفقد الإنسان ما كانَ له مِن قوةٍ وعقل ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: أي حتى يَصير لا يَعلم شيئاً مِمَّا كانَ يَعلمه (مِثلما كانَ في طفولته)، (واعلم أنّ اللام التي في قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ﴾ تسمى: (لام العاقبة) أي ليَصير الإنسان إلى هذه الحالة).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ثم ذكَرَ سبحانه دليلاً آخر على قدرته على الإحياء فقال: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ أي يابسةً مَيِّتة لا نباتَ فيها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ تراها قد ﴿اهْتَزَّتْ﴾ أي تحركت وتشققت ليَخرج منها النبات، ﴿وَرَبَتْ﴾ أي ارتفعت وزادت لارتوائها بالماء ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: أي أخرجتْ من كل نوع من أنواع النبات الحَسَن الذي يَسُرُّ الناظرين.

- الآية 6، والآية 7: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك المذكور مِن آيات قدرة الله تعالى، فيه دلالة قاطعة ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي الذي يَستحق العبادة وحده ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ - التي تقوم فيها القيامة - ﴿آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي لا شك في مَجيئها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي يَبعث الموتى مِن قبورهم لحسابهم وجزائهم.

- الآية 8، والآية 9، والآية 10: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: ومِن الكفار ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ أي يُجادلون في توحيد الله تعالى واختياره لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مِن بينهم، وجِدالهم هذا يكون ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جهلاً منهم بحكمة الله تعالى في اختياره، ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي: يُجادلون مِن غير وَحْيٍ مِن الله تعالى، ومِن غير عقلٍ رَشيد، ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أي: يُجادلون مِن غير الاستناد إلى كتاب سماوي مُنير (يعني فيه نورٌ يَكشف الظُلُمات، بِبَيان الحُجَج وكَشْف الحقائق)، فليس لهذا المُجادل حُجَّة عقلية، ولا حُجَّة مكتوبة في كتابٍ سابق، وإنما هي وساوس من الشيطان يُلقيها إليه ليُجادلكم بها.

♦ وهذا المُجادل يكونُ ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾: أي لاويًا عُنُقه، مُعرِضًا عن الحق في تَكَبُّر، فليس جِداله لطلب الهدى، بل ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي ليَصُدّ غيره عن الدخول في دين الله تعالى، فلذلك تَوَعَّده الله بأنّ ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: أي له ذلٌ ومَهانة في الدنيا بافتضاح أمْره ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (في نار جهنم)، ويُقال له وهو يُعَذَّب فيها: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي بسبب ما فَعَلتَه من الشرك والمعاصي، وليس بظلمٍ مِن اللهِ تعالى، لأنّ اللهَ هو الحَكَمُ العدل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فلا يَظلم سبحانه أحدًا مِن خَلْقه مِثقال ذرة، وذلك لِغِناه تعالى وكمال قدرته).

- الآية 11، والآية 12، والآية 13: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي يَدخل في الإسلام على ضَعفٍ وشكٍّ، فيَعبد اللهَ على تردد، ويَربط إيمانه بدُنياه: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ يعني: فإنْ عاشَ في صحةٍ وسَعَة رزق: استمرّ على عبادته، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ يعني: وإنْ حصل له ابتلاءٌ وشِدّة: رَجَعَ عن دينه وتوبته، وبذلك يكون قد ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ إذ لا يستطيع أن يُغيِّر ما قُدِّر له فيها، ﴿وَالْآَخِرَةَ﴾ خَسِرَها أيضاً بدخوله النار، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي ذلك هو الخُسران الواضح.

♦ وذلك الخاسر ﴿يَدْعُو﴾ أي يَعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إذا تَرَكَ عبادته ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إذا عَبَدَه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الحق، وتراهُ ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾: أي يَدعو مَن ضَرَرُه يوم القيامة أقرب إليه مِن نَفعه (لأنه سيَدخل النار بسبب عبادته له، ولن يَدفع عنه شيئًا من العذاب، بعدَ أنْ ظَنّ أنه سيَشفع له عند ربه)، ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾: أي قَبُحَ ذلك المعبود العاجز الذي اتخذوه نصيرًا مِن دون الله تعالى، ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ أي: وقَبُحَ ذلك المُعاشِر والصاحب المُلازم، الذي يَضُرّ مَن التزمه وعَكَفَ على عبادته.

- الآية 14: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ أي آمنوا بالله ورسوله وبكل ما أخبر به رسوله من الغيب ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهي الفرائض والنوافل وأفعال الخير (فأدَّوْها بإخلاصٍ لله تعالى وعلى النحو الذي شَرَعه)، أولئك يُدخلهم اللهُ ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (ومِن ذلك ثواب أهل طاعته، وعقاب أهل معصيته).

www.alukah.net

- الآية 15: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ يعني: مَن كان يعتقد أنّ الله لن يَنصر رسوله محمدًا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ (بإظهار دينه والنصر على أعدائه)، ﴿وَ﴾ في ﴿الْآَخِرَةِ﴾ (بإعلاء درجته وعذابِ مَن كَذَّبه): ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾: أي فلْيَمدُدْ بحبلٍ إلى سقف بيته (لأنّ العَرَب كانت تُسَمِّي كل ما يَعلُوها: سماء)، ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ ذلك الحبل بعد أن يَخنق به نفسه، ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ أى فليَتفكر: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾؟ يعني هل ذلك الفِعل سوف يُذهِب ما في نفسه من الغيظ على النبي محمد؟ (والجواب: لا)، فإن الله تعالى ناصرٌ رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم لا مَحالة، (ولَعَلّ اللهَ تعالى قد وَصَفَ هذا الفِعل بالكيد، على سبيل الاستهزاء بهذا الكافر، لأنه لم يَكِد به إلا نفسه، واللهُ أعلم).

♦ وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ أي فليَصعد بحبلٍ إلى السماء، حتى يَصِل به إلى الأبواب التي ينزل منها النصر فيَسُدَّها - وذلك على سبيل الفرض والتعجيز - فإنّ هذا لن يَمنع نَصْرَ الله لرسوله محمد.

- الآية 16: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني: وكما وَضَّح اللهُ لعباده أدلة قدرته على البَعث، فكذلك أنزل هذا القرآن، وجعل آياته واضحة في ألفاظها ومَعانيها، تَحمل الهدى والخير، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾ بهذه الآيات ﴿مَنْ يُرِيدُ﴾ هدايته (وذلك بأن يوفقه سبحانه للتفكر فيها، فيَعرف الحق، فيؤمن به، ويَعمل بما فيه من شرائع وأحكام).

- الآية 17: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ (وهم المسلمون الذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم)، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ (وهم اليهود)، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ (والراجح أنهم قومٌ باقون على فِطرتهم (أي على التوحيد) وليس لهم شَرْعٌ مُعَيّن يَتّبعونه)، ﴿وَالنَّصَارَى﴾ (وهم عَبَدة الصليب)، ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ (وهم عَبَدَة النار)، ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (وهم عَبَدَة الأصنام)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يَحكم بين هؤلاء جميعًا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (فيُدخل المؤمنين الجنة، ويُدخل الكافرين النار)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (إذ شَهِدَ سبحانه على أعمال عباده في الدنيا، وسيُجازيهم بها في الآخرة).

- الآية 18: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعني ألم تعلم أيها الرسول ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ - من الملائكة - ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ مِن سائر المخلوقات ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ﴾ (كل هؤلاء يسجدون له ويخضعون لأمره) ﴿وَالدَّوَابُّ﴾ (وهي جميع الحيوانات) ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ وهم المؤمنون الذين يسجدون لله تعالى طاعةً واختيارًا، ﴿وَكَثِيرٌ﴾ من الناس ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي وَجَبَ عليه العذاب المُهين - بسبب جحوده وضلاله - ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ يعني: وأيُّ إنسان يُهِنه الله ويُعَذِّبه، فلا يستطيع أحد أن يُكرمه ويُسعِده ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ فمَن شاء أهانه (بعدله وحكمته)، ومَن شاء أكرمه (بفضله ورحمته)، إذ أفعاله سبحانه تدور بين العدل والفضل والحكمة.

♦ وعلى الرغم مِن أن الشمس والقمر والنجوم تَدخل ضِمن قوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ إلا إنه سبحانه قد أفرَدَها بالذِكر لشُهرتها، ولأنّ هناك مَن كان يَعبد هذه الكواكب، (وهذا ما يُعرَف بعطف الخاص على العام)، وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾، فإنها معطوفة - عطفاً خاصاً - على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

2. الربع الثاني من سورة الحج

- من الآية 19 إلى الآية 24: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾: أي هذان فريقان ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾: أي اختلفوا في توحيد ربهم (وهم أهل الإيمان وأهل الكفر)، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتوحيد ربهم ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾: أي يُحيط بهم العذاب في هيئة ثياب مُفَصَّلة من نار، يَلْبَسونها فتَشوي أجسادهم، و ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ أي يُصَبُّ على رؤوسهم الماء الساخن، فيُحدِث ثُقباً في رؤوسهم - بسبب شدة غليانه - ثم يَنزِل مِن خلال هذا الثُقب إلى بطونهم، ف ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾: أي يُذِيب أمعاءهم وجلودهم فتَسقط مِن شدة الحرارة، ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ أي تَضربهم الملائكة على رؤوسهم بمطارق من حديد، و﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾: أي كلما حاولوا الخروج من النار - لشدة غمِّهم وكَرْبهم - ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي تُجبِرهم ملائكة العذاب على العودة إليها ﴿وَ﴾ يقولون لهم - توبيخاً - وهم يُعَذَّبون: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

♦ وأما أهل التوحيد فقد قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ أي بساتين عجيبة المنظر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري أنهار الماء واللبن والعسل والخمر من تحت أشجارها، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾: أي يَتزيَّنون فيها بأساور من ذهب وأساور من لؤلؤ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: أي لباسهم المعتاد في الجنة - رجالاً ونساءً - هو الحرير، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعني: لقد هداهم الله في الدنيا إلى القول الطيب (وهو قول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وسائر الأذكار المشروعة، وكل كلام طيب)، ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾: أي كما وفقهم سبحانه إلى الثبات على الإسلام، الذي هو طريق الله الحميد (ومعنى الحميد: أي الذي يَستحق الحمد والثناء في كل حال، لِكَثرة نِعَمِه على جميع مخلوقاته، ومعنى أن الإسلام هو طريق الله، أي هو الذي يُوصل إلى رضاه وجَنَّته).

- الآية 25: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بوحدانية الله تعالى، وكَذَّبوا بما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: ويَمنعون غيرهم من الدخول في دين الله، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: ويَصُدّون الرسول والمؤمنين - في عام "الحُدَيبية" - عن دخول المسجد الحرام ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً﴾ أي الذي جعلناه مكان تَعَبُّد لجميع المؤمنين على سواء: ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ أي سواء الذي جاء إلى مكة ثم أقام فيها للتعبد في المسجد الحرام، ﴿وَالْبَادِ﴾ أي: وكذلك القادم إليه للعبادة ثم خرج منه، (وقد يكون المقصود بالعاكف فيه: أي الساكن بمكة، فهؤلاء يتساوون مع غيرهم في ثواب العبادة في المسجد الحرام).

♦ وهؤلاء الكفار - الذين يَمنعون الناس عن دخوله - لهم عذاب أليمٌ في الآخرة، ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ يعني: ومَن يُرِد المَيْل عن الحق في المسجد الحرام - وذلك بأن يَظلم نفسه (بارتكاب شِرك أو معصية)، أو يَظلم غيره - فهذا ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، (فمُجَرَّد إرادة الظلم في الحَرَم تستوجب العذاب، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم، وهو الشرك بالله تعالى ومَنْع الناس من زيارته؟!) (وفي هذه الآية وجوب احترام الحَرَم وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه أو فِعلها).

- الآية 26، والآية 27، والآية 28: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي اذكر أيها الرسول لكفار قريش - المُنتسبين إلى إبراهيم كَذِباً وباطلاً - حين أنزلنا إبراهيم بمكة وبَيَّنّا له مكان البيت (لأنّ مكانه كان غير معروف)، وأمَرنا إبراهيم ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ في عبادتي، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ أي طَهِّر المسجد الحرام من الشِرك والنجاسات، (وذلك من أجل الطائفين به) ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ عنده - وهم المعتكفون فيه - ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (وذلك حتى لا يَتأذّوا بأيّ أذى مادي أو معنوي وهم في بيت ربهم).

www.alukah.net

♦ فاذكر هذا لقومك الذين نَصَبوا الأصنام والتماثيل حول البيت، وحارَبوا كل مَن يقول لا إله إلا الله، ومنعوك وأصحابك عن المسجد الحرام، فأين ذهبتْ عقولهم عندما يَزعمون أنهم على دين إبراهيم وقد كان مُوَحِّداً وهم مُشركون؟!

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾: أي بَلِّغ الناس يا إبراهيم أنّ الحج واجبٌ عليهم، وأعلِن ذلك لهم بأعلى صوتك، فحينئذٍ ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي مُشاةً على أرجلهم ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: وسيأتوك رُكبانًا على كل ضامر من الإبل (وهي الناقة خفيفة اللحم مِن كثرة السَّيْر والأعمال، لا من الضَعف والهُزال)، ﴿يَأْتِينَ﴾ أي تأتي هذه النِياق وهي تَحمل راكبيها ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: أي مِن كل طريق بعيد ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: أي لِيَحضروا منافع لهم (مِن مغفرة ذنوبهم، وثواب حَجِّهم وطاعتهم، واستجابة دعائهم والفوز برضا ربهم، وبالربح في تجاراتهم أثناء الحج) ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ يعني: وليذكروا اسم الله على ذَبْح ما يَتقربون به من الإبل والبقر والغنم في أيام مُعَيَّنة، وهي اليوم العاشر مِن ذي الحجة وثلاثة أيام بعده - على الراجح - شُكرًا لله على نعمه، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أي كلوا من هذه الذبائح أيها الحَجيج ﴿وَأَطْعِمُوا﴾ منها ﴿الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (وهو الفقير الذي اشتد فقره).

- الآية 29: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: ثم لِيُكمِل الحَجيج ما تَبَقّى لهم من النُسُك (وذلك بأن يَتحلُّلوا مِن إحرامهم بحَلق شعر الرأس أو تقصيره)، وكذلك يَقصون أظفارهم ويُزيلون ما تراكم مِن الأوساخ في أجسادهم طوال فترة الإحرام، ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ يعني: وعليهم أن يُوفوا بما أوجبوه على أنفسهم من الذبائح لله تعالى ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: ولْيَطوفوا - بعد النحر - طواف الإفاضة بالبيت القديم، الذي أعتقه الله مِن تَسَلُّط الجبارين عليه، وهو الكعبة.

- الآية 30: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الذي ذكرناه مِن إكمال النُسُك والوفاء بالنذور والطواف بالبيت، هو مِمّا أوْجَبَه اللهُ عليكم فعَظِّموه ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: ومَن يَجتنب ما حَرَّم اللهُ انتهاكه: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ يوم يَلقاه.

♦ ولمَّا ذَكَرَ سبحانه الأنعام في الآيات السابقة، أتْبَعَ ذلك بإبطال ما حَرَّمَه المشركون على أنفسهم منها، فقال: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ يعني: وقد أحَلَّ الله لكم أكْلَ الأنعام (من الإبل والبقر والغنم) ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ يعني إلا ما حَرَّمه سبحانه عليكم في القرآن (مِن المَيْتة وغيرها).

♦ ولمَّا حَثَّ سبحانه على تعظيم حُرُماته، أتْبَعَ ذلك بالأمر باجتناب أعظم الحرام (وهو الشِرك)، فقال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ أي ابتعِدوا عن القذارة (التي هي الأصنام)، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: وابتعِدوا عن الكذب (الذي هو الافتراء على الله تعالى)، كتحليل وتحريم ما لم يَأذن به، وإنساب الولد والشريك إليه.

- الآية 31: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ أي كونوا مُستقيمين لله تعالى (بطاعته وإخلاص العمل له)، وعبادته وحده ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي فمَثَلُ هذا المُشرك - في بُعْده عن الهدى، وسقوطه من الإيمان إلى الكفر، وتَخَطُّف الشياطين له من كل جانب - كمثل مَن سقط من السماء ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ فتُقَطِّع أعضاءه، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: يعني أو تأخذه عاصفة شديدة، فتقذفه في مكان بعيد، لا يُعثَر عليه أبداً.

- الآية 32، والآية 33: ﴿ذَلِكَ﴾ أي توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، هو مِمّا فرضه الله عليكم وأمَرَكم به فعَظِّموه ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ يعني: ومَن يَمتثل أوامر الله تعالى ويُعَظِّم معالم دينه (والمقصود بها هنا: اختيار أفضل الذبائح) ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾: أي فهذا التعظيم يَصدر من أصحاب القلوب التي تتقي اللهَ وتخشاه، ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي لكم

في هذه الذبائح ﴿مَنَافِعُ﴾ تنتفعون بها – من الصوف واللبن والركوب – وغير ذلك من المنافع التي لا تَضُرّها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني إلى أن يأتي وقت ذَبْحها، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ يعني: ثم تذهبون بهذه الذبائح إلى مكان ذَبْحها (وهو الحرم كله).

– الآية 34، والآية 35: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ يعني: ولكل جماعةٍ مؤمنة– من الأمم السابقة – جعلنا لها مَناسك مِنَ الذبح يَتقربون بها إلى الله تعالى ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ أي ليذكروا اسم الله وحده عند ذبح ما رَزَقهم مِن هذه الأنعام، وذلك بأن يقولوا عند الذبح: (بسم الله والله أكبر)، شُكراً لله على نعمه.

♦ وإنْ اختلفتْ الشرائع، فكلها متفقة على أصل واحد، وهو إفراد الله وحده بالعبادة، وتَرْك الشِرك به، فلذلك قال تعالى: ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وهو الله الأحد الصمد ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ أي انقادوا لأمْره ظاهراً وباطناً ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ أي المتواضعينَ الخاشعينَ الخاضعينَ لأمر ربهم، فهؤلاء بَشِّرهم أيها الرسول بخيرَي الدنيا والآخرة، وهُم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت قلوبهم مِن عقابه، وبالتالي خافت أن تعصاه، ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ مِن بلاءٍ وشدة، مُحتسبين الأجر عند ربهم في الآخرة، فلا يَجزعون ولا يَتسَخَّطون ولكنهم يقولون: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ – في أوقاتها بخشوعٍ واطمئنان –، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ – مِن أنواع المال – ﴿يُنْفِقُونَ﴾: أي يُخرِجون صَدَقة أموالهم الواجبة والمُستحَبة، (وكذلك يُنفقون مِمَّا رزقهم اللهُ مِن عِلمٍ أو صِحَّةٍ أو سُلطة في خدمة المسلمين، فيُعَلِّمونَ الناس، ويَسعونَ في قضاء حوائجهم، وغير ذلك).

– الآية 36: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أي جعلنا لكم ذبْح الإبل مِن شعائر الدين التي تتقربون بها إلى الله أثناء حَجِّكم (وكذلك الحال في البقر والغنم، وإنما خَصّ سبحانه الإبل لأنها أفضل في الهَدي لكثرة لحمها)، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ أي لكم في هذه الإبل منافع (من الأكل وثواب الصدقة) ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي اذكروا اسم الله عند ذبحها، واذبحوها وهي ﴿صَوَافَّ﴾ أي واقفة على ثلاث من قوائمها (على أن تقيّدوا يدها اليسرى)، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ يعني: فإذا سقطت جنوبها على الأرض مَيّتة: فقد أُحِلَّ لكم أكْلها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ ﴿وَأَطْعِمُوا﴾ منها ﴿الْقَانِعَ﴾ – وهو الفقير الذي لم يسأل تعففًا – ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ – وهو الفقير الذي يسأل لحاجته واضطراره –، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: وهكذا سَخَّرَ الله لكم الإبل – في الركوب والحلب والأكل – لتشكروه سبحانه على هذا التسخير بطاعته وذِكره.

– الآية 37: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ يعني: لن يأخذ اللهُ شيئاً مِن لحوم هذه الذبائح ولا مِن دمائها (لِغناهُ سبحانه عن ذلك وعدم حاجته إلى ما يَحتاجه البشر)، ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ أي: ولكنه سبحانه يَصعد إليه تقواكم له بامتثال أمْره واجتناب نَهْيه، وأن يكون قصدكم بالذبائح: وَجْه الله وحده، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ أي لتُكَبِّروه سبحانه عند الذبح وبعد الصلوات الخمس في أيام التشريق (شُكراً له على هدايته لكم)، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (وهم الذين يُحسنون عبادتهم لربهم، ويُراقبونه في كل أحوالهم، وكذلك يُحسنون معاملة خَلقه)، فهؤلاء بَشِّرهم أيها الرسول بكل خيرٍ وفلاح في الدنيا والآخرة، (واعلم أن الإحسانُ قد قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مُسلِم –: "أنْ تعبُدَ اللهَ كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراهُ، فإنه يَراك").

****

www.alukah.net

3. الربع الثالث من سورة الحج

- من الآية 38 إلى الآية 41: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يَدفع سبحانه عنهم اعتداء الكفار وكيد الأشرار، فقد ثَبَتَ في قراءةٍ أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ أي كثير الخيانة لأمانته وعهوده، ﴿كَفُورٍ﴾ أي جَحودٌ بتوحيد ربه، وجحودٌ لنعمه عليه.

♦ وقد كان المسلمون في أول الأمر ممنوعين من قتال الكفار، مأمورين بالصبر على أذاهم، فلمَّا اشتد إيذاء المشركين لهم، وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وأصبح للإسلام قوة: أَذِنَ الله للمسلمين في القتال؛ بسبب الظلم الذي وقع عليهم في أنفسهم وأموالهم وديارهم، كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ (ولذلك أَذِنَ الله لهم في القتال)، ثم طمأنهم سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ أي قادرٌ على نصرهم وإذلال عدوِّهم.

♦ ثم أخبر سبحانه عن سبب نَصْره لهؤلاء المهاجرين فقال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: أي أخرجهم الكفار ظلماً من ديارهم، مع أنهم لم يفعلوا شيئاً ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: يعني إلا إنهم أسلموا وقالوا: (ربنا الله وحده، ولن نُشرك به شيئاً في عبادته)، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ يعني ولولا ما شَرَعه الله مِن دَفْع الظلم والباطل بالقتال: لَهُزِمَ الحقُّ في كل أُمَّة، ولَخُرِّبَت الأرض، و﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾ وهي مَعابد الرُّهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ وهي كنائس النصارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ وهي مَعابد اليهود (باللغة العِبرية)، ﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي: وكذلك ستتهدم مساجد المسلمين التي يَذكرون الله فيها كثيرًا، (وفي الآية دليل على أنه لا يَجوز لنا هَدْم مَعابد اليهود والنصارى)، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ يعني: ومَن اجتهد في نُصرة دين الله وعباده المؤمنين، فإنّ الله ناصره على عَدُوِّه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ لا يَغلبه أحد، ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يَمنعه شيءٌ مِمّا يريد.

♦ وهؤلاء - الذين وعدناهم بنصرنا - هم ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني إذا مَكنَّا لهم في البلاد ونصرناهم على عدوِّهم: ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي أدُّوها في أوقاتها (بشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها)، ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ أي أخرَجوا زكاة أموالهم إلى مُستحقيها، ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو كل ما أمَرَ الله به مِن حقوقه وحقوق عباده، (وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة)، ﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (وهو كل ما نَهَى الله عنه ورسوله، بشرط ألاَّ يَتسبب النَهي عن المُنكَر في حدوث مُنكَر أكبر منه)، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: ولله وحده يَرجع مَصير الخلائق يوم القيامة، فيُجازي كُلاًّ بما عمل، (إذاً فاتقوا الله تعالى وراقِبوه في السر والعَلَن، وتوبوا إليه، وتوكلوا عليه، فإنّ الأمر كله في يديه).

- الآية 42، والآية 43، والآية 44: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ يعني: وإذا كَذَّبك قومك - أيها الرسول - فلا تحزن ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ (وهم الذين كَذَّبوا شُعَيبًا عليه السلام)، ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ (أي كَذَّب فرعون وقومه موسى عليه السلام)، فهؤلاء الأقوام قد كَذَّبوا رُسُلهم، ولكنّ رُسُلهم صبروا على تكذيبهم وإيذائهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ يعني: فلم أُعاجِل هؤلاء الكافرين بالعقوبة، بل أمْهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: فكيف كان إنكاري على كُفرهم وتكذيبهم؟ (والاستفهام للتقرير) أي كان إنكاري عليهم عظيماً بالعذاب والهلاك، (وفي الآية تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاهُ من أنواع التكذيب والعِناد والجحود مِن قومه).

- الآية 45: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ يعني: ولقد أهلكنا كثيرًا من القرى الظالمة الكافرة ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي فأصبحت فارغة مِن سُكَّانها، وقد تَهدَّمَتْ مَبانيها، وسقطتْ حِيطانُها وجُدرانها ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي على سُقوفِ بيوتها، ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ يعني: وكم مِن بئرٍ كانوا يَشربون منها فهي الآن مُعطَّلة لا يُستخرَج منها الماء، ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ أي: وكم مِن قصرٍ مرتفع ماتَ أهله وتركوه مُعَطّلاً مثل البئر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 46: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ - أي هؤلاء المُكذبون من قريش -، ألم يَمشوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ليُشاهدوا آثار المُهلَكين قبلهم ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: أي فيتفكروا بعقولهم ليَعتبروا بما حدث لهم؟!، ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: يعني أو يَسمعوا أخبارهم سماعَ تدبُّر ليَتعظوا؟!، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ يعني: فإنّ العَمَى المُهْلِك ليس عَمَى البصر، ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي: ولكنّ العَمَى المُهْلِك هو عَمَى البصيرة القلبية عن إدراك الحق والاعتبار، (والمعنى أن الخلل ليس في أبصارهم ولكنّ الخلل في قلوبهم التي أعماها الهوى، وأفسدتها الشهوة والتقليد لأهل الجهل والضَلال، ومِن هنا كان على العبد أن يُحافظ على قلبه مِن مُفسِدات القلوب أكثر من مُحافظته على عينيه).

- الآية 47: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: أي يَستعجلك كفار قريش بالعذاب الذي أنذرتهم به، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (إذ لا بدَّ من وقوع العذاب، وقد عجَّل لهم بعض العذاب في الدنيا في يوم بدر)، ثم أخبَرَهم سبحانه أنّ الزمن الطويل عندهم هو قصيرٌ عند الله تعالى، فقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي مِن مُدَّة إمهاله لهم ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي مِن سنوات الدنيا.

- الآية 48: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ يعني: وكثير من القرى كانت ظالمة (بسبب إصرار أهلها على الكفر)، فأمْهلتهم ولم أعاجلهم بالعقوبة، فاغتروا بحِلم الله لهم، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بعذابي في الدنيا، ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ يعني: وإليَّ مَرجعهم بعد هلاكهم، فأُعَذّبهم بما يَستحقون، (إذاً فلا معنى لاستعجال هؤلاء المشركين بالعذاب، فإنهم إنْ لم يُعَذَّبوا في الدنيا، فإنّ مَصيرهم إلى الله تعالى، وسوف يُجازيهم بما كانوا يعملون).

- الآية 49، والآية 50، والآية 51: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ مِن عذاب اللهِ تعالى لأُخَوّفكم من عقوبة الشرك والمعاصي، ﴿مُبِينٌ﴾ أي أُوَضّح لكم ما أُرسِلتُ به إليكم، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وتركوا الشرك والمعاصي ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم (إذ يَسترها الله عليهم، ولا يُعاقبهم عليها في الآخرة)، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ولهم رزقٌ حَسَن لا ينقطع وهو الجنة، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ يعني: وأما الذين اجتهدوا في إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ أي ظانّين أنهم يُعجزوننا، وأننا لن نَقدر على أخْذهم بالعذاب: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: يعني أولئك هم أهل النار المُوقدة، إذ يَدخلونها ولا يَخرجونَ منها أبدًا.

- الآية 52، والآية 53، والآية 54: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ أي قرأ كتاب الله تعالى لقومه، فإذا قرأه: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: أي ألقى الشيطانُ الوساوسَ والشُكوك للناس أثناء قراءة النبي؛ وذلك ليَصدَّهم عن اتِّباع ما يَقرؤه، ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي لكنّ الله يُبطل كيد الشيطان ويُزيل وساوسه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ أي يُثبِت آياته الواضحات، فلا تقبل الزيادة ولا النقصان، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء (ومِن ذلك عِلمُه بوساوس الشيطان)، ﴿حَكِيمٌ﴾ في كل أفعاله (وهذه سُنَّته في أنبيائه ورُسُله، ليَتميّز المؤمنون مِن غيرهم).

♦ وقد كان هذا الفِعل مِنَ الشيطان ﴿لِيَجْعَلَ﴾ اللهُ ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ من الوساوس والشكوك ﴿فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي في قلوبهم شك ونفاق (وهم المنافقون وضِعاف الإيمان) ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ (وهم المشركين الذين لا تؤثِّر فيهم المواعظ)، (واعلم أنّ الفتنة المذكورة في قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ هي الزيادة في الكفر والضلال والبعد عن الحق)، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ جميعاً ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي في عداوة شديدة لله ورسوله، ومُخالَفة بعيدة عن الحق والصواب.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: ولكي يَعلم أهل العلم - الذين يُفرِّقون بعِلمهم بين الحق والباطل - أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله تعالى، لا شك فيه، ولا سبيلَ للشيطان إليه، ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي فيزداد

www.alukah.net

إيمانهم بالقرآن، وتخشع له قلوبهم وتطمئن، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي سوف يُوَفِّقهم سبحانه إلى الثبات على الإسلام، ليُنقذهم به من النار، (وذلك بحمايتهم من الشيطان، وإعانتهم على طاعة الرحمن).

- الآية 55، والآية 56، والآية 57: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ أي لا يَزالون في شَكٍّ من القرآن، ويَظَلُّونَ على ذلك ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: أي حتى تأتيهم القيامة فجأةً، وهُم على تكذيبهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ أي عذابُ يومٍ لا خيرَ فيه، وهو يوم بدر - على الراجح - حينَ هَزَمهم المسلمون وقتلوا زعماءهم، وأسَرُوا كثيرًا منهم.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يَقضي بين المؤمنين والكافرين: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يُدخِلهم سبحانه ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي لهم عذابٌ يُذِلُّهم ويُهينهم في جهنم (فهو عذابٌ للجسد والنفس معاً) (نسأل الله العافية).

- الآية 58، والآية 59: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي خَرَجوا من ديارهم طلبًا لرضا ربهم ونُصرة دينه ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ أي قتلهم المشركون، ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ مَوتةً (طبيعية) بانتهاء آجالهم أثناء الهجرة: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ (إذ تكون أرواحهم بعد موتهم في أجواف طيرٍ خُضر تأكل من الجنة حيث شاءت)، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي هو سبحانه خير مَن أعطى، و﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ وهو الجنة، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بمَن يَخرج في سبيله، ومَن يَخرج طلبًا للدنيا، ﴿حَلِيمٌ﴾ بمن عصاه، فلا يعاجله بالعقوبة.

- الآية 60: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الذي قصصناه عليك، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ يعني: ومَن اعتُدِيَ عليه وظُلِم، فقد أُذِن له أن يَرُدّ الاعتداء بمِثله، ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ يعني: فإذا عاد المعتدي إلى إيذاء المظلوم: ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ أي فإنّ الله سيَنصر المظلوم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي يعفو عن الذين يعفون عن الناس، ويَغفر ذنوبهم (وفي هذا إشارة إلى ترغيب المؤمن في العفو عن أخيه إذا ظَلَمه، فإنّ العفو خيرٌ له من المُعاقبة، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾).

- الآية 61: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك النصر على المظلوم كائنٌ لا مَحالة ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ أي بسبب أنّ الله قادرٌ على ما يشاء، ومِن قدرته أنه ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي يُدخِل ما يَنقص من ساعات الليل في ساعات النهار، ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي يُدخِل ما نَقَصَ من ساعات النهار في ساعات الليل، فيَطولُ هذا ويَقصُر ذاك، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكل صوت، ﴿بَصِيرٌ﴾ بكل فِعل، لا يَخفى عليه شيء، (فلذلك يَنصر سبحانه مَن يَعلم أنه يَستحق النصر).

- الآية 62: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك المذكور مِن آيات قدرة الله تعالى، لتُوقِنوا ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي الذي يَستحق العبادة وحده ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ يعني: ولتُوقِنوا بأنّ ما يَعبده المشركون من دون الله تعالى هو الباطل الذي لا يَنفع ولا يضرُّ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاتِهِ وقهره على جميع مخلوقاته، ﴿الْكَبِيرُ﴾ في ذاته وصفاته (فهو أكبر وأعظم من كلِّ شيء).

****

4. الربع الأخير من سورة الحج

- الآية 63، والآية 64: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ - أيها الرسول - ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ أي تُصبح خَضراء بما يَنبُت فيها من النبات بسبب هذا المطر؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده (حيثُ أخرج لهم هذا النبات المتنوع، الذي يأكلون منه هم وأنعامهم)، ﴿خَبِيرٌ﴾ بمصالحهم ومنافعهم، وهو سبحانه الذي ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خَلقًا ومُلكًا وتدبيرًا وإحاطة، فالكلّ مُحتاجٌ إلى تدبيره وإنعامه، (وكُلُّ ما تعبدونه مع الله: هو مِلكٌ لله تعالى فقيرٌ إليه)، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ الذي لا يَحتاج إلى شيء ﴿الْحَمِيدُ﴾ أي الذي يَستحق الحمد والثناء في كل حال.

– الآية 65: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ (كالبهائم والزروع وغير ذلك، لرُكوبكم وطعامكم وجميع مَنافعكم)؟ ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ أي: وسَخَّرَ لكم السفن لتجري في البحر بقدرته، وبأمْرِهِ للبحر أن يَحملها رغم ثِقلها، لتَحملكم مع أمتعتكم إلى حيث تشاؤون من البلاد والأماكن، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي: وهو سبحانه الذي يُمسك السماء حتى لا تقع على الأرض – فيَهلك مَن عليها – إلا إذا أَذِنَ سبحانه لها بذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيثُ رَحِمهم بتسخير هذه الأشياء لهم، (إذاً فليعبدوه وحده ولا يُشركوا به).

– الآية 66: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ أيها الناس (بأنْ أَوْجدكم من العدم)، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء أعماركم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد الموت ليُحاسبكم على أعمالكم، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ أي جَحودٌ بآيات ربه الدالة على قدرته ووحدانيته، جحودٌ بنعمه عليه.

– الآية 67، والآية 68، والآية 69، والآية 70: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الماضية ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ أي جعلنا لهم عباداتٍ أمرناهم بها فعملوا بها، فلما جاءت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وقامت الأدلة والبراهين على صحتها، وَجَبَ على الجميع أن يَتلقوا ما جاء به بالقبول والتسليم وترْك الاعتراض، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾: أي لا تَتجادل مع مُشركي قريش – أيها الرسول – في شريعتك وما أمَرَكَ الله به من الذبائح والعبادات، (وذلك لأن المشركين جادلوه في ذبائح الهَدْي أيام التشريق، واعترضوا على تحريم المَيْتة، فأمَرَه الله تعالى أن يُعرض عن جدالهم لجَهْلهم)، وقال له: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي ادعُ إلى توحيد ربك وإخلاص العبادة له واتّباع أمْره، ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني إنك على دينٍ قويم لا اعوجاجَ فيه، ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ يعني: وإن أصرُّوا على مجادلتك بالباطل: ﴿فَقُلِ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: هو سبحانه عليمٌ بأفعالكم ونيّاتكم، ومُجازيكم عليها يوم القيامة، (ولا تجادلهم، فإنهم مُعاندونَ متكبرون).

♦ وقال الله لرسوله: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي مِن أمْر الدين، فمَن وافقَ الطريق المستقيم، فهو من أهل النعيم، ومَن ضَلَّ عنه، فهو من أهل الجحيم، ومن تمام عدله سبحانه، أن يكون حُكمه بعِلم، فلذلك ذكَرَ إحاطة عِلمه بكل شيء قائلاً لرسوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (ومِن ذلك عِلمه سبحانه بجدالهم لك؟) ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ العلم مُثبَت ﴿فِي كِتَابٍ﴾ (وهو اللوح المحفوظ)، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي كتابة العلم وحِفظه والحُكم بين المختلفين ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي سهلٌ عليه سبحانه لأنه على كل شيء قدير، (وفي هذه الآيات إرشادٌ إلى حُسن الرد على مَن جادَلَ جهلاً وعِناداً واستكبارًا).

– الآية 71: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: أي يَعبدون آلهةً لم يُنَزِّل الله بشأنها حُجَّةً تدل على أنها تستحق العبادة، أو أنها تُقرِّبهم إليه كما يَزعمون ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ في هذا الافتراء إلا الهوى واتّباع الآباء بغير دليل ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾: أي ليس للمشركين ناصرٌ ينصرهم، أو يَدفع عنهم عذاب الله تعالى في الدنيا ولا في الآخرة.

– الآية 72: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: يعني إذا تتلى آيات القرآن الواضحة على هؤلاء المشركين: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾: أي ترى الكَراهية ظاهرةً على وجوههم، حتى إنهم ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: أي يَكادون يَبطشون بالمؤمنين الذين يَدعونهم إلى الله تعالى، ويَتلون عليهم آياته، ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول –: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ﴾؟ يعني: هل أخبركم بما هو أشد كَراهيةً إليكم مِن سَماع الحق ورؤية الداعينَ إليه؟ إنها ﴿النَّارُ﴾ التي ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي أعدَّها الله للكافرين في الآخرة ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

– الآية 73، والآية 74: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً بَيَّنَ فيه عَجز ما يُعبَد مِن دونه ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أيها الناس وتَدَبّروه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ يعني لن تَقدر هذه الآلهة المزعومة – ولو

www.alukah.net

اجتمعتْ مع بعضها – على خَلْق ذبابة واحدة، فكيف بخلق ما هو أكبر؟!، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ يعني: إنْ يأخذ الذباب شيئاً من العِطر أو الطعام الذي يَضعونه لآلهتهم: ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: لا تَقدر هذه الآلهة المزعومة أن تَسترد ما يأخذه الذباب منها، فهل بعد ذلك عَجْز؟!، ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ وهو المعبود من دون الله، ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ أي: وضَعُفَ المطلوب، وهو الذباب.

♦ وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ أي ضَعُفَ العابد والمعبود (وهُم المشركون وأصنامهم)، والله أعلم.

♦ فهؤلاء المشركون ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي لم يُعَظِّموا اللهَ حق تعظيمه، إذ جعلوا له شركاء لا تنفع ولا تضر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: أي هو سبحانه القوي الذي خَلَقَ كل شيء وحده، العزيز الذي لا يَمنعه شيءٌ مِمّا أراد (فكيف يكون له شركاء؟!).

– الآية 75، والآية 76: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾ أي يَختار ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ ليُبَلِّغوا الأنبياء بالوحي، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي يَختار من الناس رُسُلا لتبليغ رسالاته إلى خَلقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوال العباد ﴿بَصِيرٌ﴾ بنيّاتهم وأفعالهم، ولذلك يَختار مِنهم مَن يَعلمُ استقامته قولاً وفِعلاً، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، وهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي يَعلم ما يُستقبَل مِن أمْر هؤلاء الرُسُل، وكذلك يَعلم ما مَضى مِن أفعالهم، فلذلك يَختار سبحانه مَن يشاء منهم لرسالاته، (إذاً فكيف يَصِحّ أن يَعترض المشركون على اختيار الله لمحمد صلى الله عليه وسلم؟) ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: وإلى اللهِ وحده يَرجع مَصير الخلائق يوم القيامة، فيُجازي كُلاً بما عمل.

– الآية 77، والآية 78: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي أقيموا صلاتكم، (وإنما خَصّ الركوع والسجود من بين أركان الصلاة لأنهما أشرف أجزائها، وأدَلّ على خضوع العبد لربّه وذُلِّه له)، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحده لا شريك له، وأطيعوا أمْره واجتنبوا نَهْيه (مُعَظِّمينَ له غاية التعظيم، مُتذلّلينَ إليه غاية الذل، مُحِبِّينَ له غاية الحب)، ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ (وهو كل أمْرٍ نافع يُحِبُّهُ اللهُ ويَرضاه) ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يعني: لكي تفوزوا في الدنيا والآخرة، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ أي في سبيل إرضاءه تعالى ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ أي الجهاد الحق الذي أمَرَكم الله به، وهو جهاد النفس والشيطان، وجهاد الكفار المُعتدين بالنفس والمال (مُخلِصينَ النية لله تعالى) ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾: أي اختاركم سبحانه لحَمْل هذا الدين وتبليغه إلى جميع الناس، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: أي لم يَجعل في شريعتكم تضييقاً ولا تشديداً (كما كان في بعض الأمم قبلكم)، بل وَسَّعَ عليكم في تكاليفها وأحكامها، فجعل التوبة لكل ذنب، وجعل الكفارة لبعض الذنوب، ورَخَّصَ للمسافر والمريض في قصر الصلاة وقضاء الصيام، وجعل التيمم لمن لم يَجد الماء أو عَجَزَ عن استعماله.

♦ فالزَموا ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ (وهي عبادة الله وحده لا شريك له)، فـ ﴿هُوَ﴾ سبحانه الذي ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي في الكتب المُنَزَّلة السابقة ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: وفي هذا القرآن أيضاً سَمَّاكم المسلمين ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي شاهدًا على أنه قد بَلَّغكم رسالة ربه، وشاهداً على أنكم قد آمنتم به ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي شهداء على الأمم السابقة أنّ رُسُلهم قد بَلَّغتهم رسالة ربهم (كما أخبركم الله في كتابه)، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ بأركانها وشروطها، في خشوعٍ واطمئنان (شُكراً لله تعالى على هذه النعمة)، ﴿وَآَتُوا الزَّكَاةَ﴾ لمُستحقيها، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ أي الجؤوا إليه سبحانه، واحتموا به من شر أعدائكم ومن شر النفس والشيطان، فـ ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي هو سَيِّدكم ومُتَوَلِّي أمْركم فاعتمدوا عليه، ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ أي فهو سبحانه نعم المُعين والحافظ لمن اعتصم به، ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لمن طلب نَصْره.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة المؤمنون كاملة

1. الربع الأول من سورة المؤمنون

- من الآية 1 إلى الآية 11: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي قد فاز المُصَدّقون بالله ورسوله، العاملونَ بشرعه، (واعلم أنّ الفلاح المقصود هنا هو الفوز بالجنة والنجاة من النار)، ومِن صفات هؤلاء المؤمنين أنهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ أي تَحضُر فيها قلوبهم فلا تنشغل بغيرها، ويكونون في صلاتهم ذليلينَ لربهم (مِن كثرة نعمه عليهم وكثرة ذنوبهم)، (واعلم أنّ السَلَف الصالح كانوا إذا قام أحدهم في صلاته يخافُ أن يَلتفت فيها أو أن يُحَدِّث نفسه بشيءٍ من الدنيا وهو بين يدي ربه تبارك وتعالى، بل كان يَنظر إلى الأرض في حياءٍ وخوف، حتى إنّ أحدهم كانَ يَخرج مِن صلاته وهو شديد الحياء من اللهِ تعالى ويقول: (إنّ مِثلي لا يقومُ بين يديك، ولولا أنك أمَرتني ما فَعَلتُ)).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ أي يَترُكون ما لا خيرَ فيه من الأقوال والأفعال، (ومعنى إعراضهم عن اللغو: أي انصرافهم عنه وعدم التفاتهم إليه)، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي مُؤَدُّونَ الزكاةَ لِمُستحِقّيها، لِيُطَهِّروا بها نفوسهم وأموالهم، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي يَحفظون فروجهم مما حرَّم اللهُ تعالى ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ - من الجواري المملوكات لهم شَرعاً - ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي: فلا لومَ عليهم في جماعهنّ، لأنّ اللهَ قد أحلَّهنّ لهم، ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ يعني: فمَن طلب التمتع بغير زوجته أو جاريته، فهو من المُتَعَدِّينَ لحدود الله تعالى، المُجاوِزينَ الحلالَ إلى الحرام، المُعَرِّضينَ أنفسهم لغضب اللهِ وعقابه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي يُحافظونَ على ما كل اؤتمنوا عليه (مِن قولٍ أو عمل أو مال أو غير ذلك)، (ومِن ذلك مُحافظتهم على التكاليف الشرعية التي أمَرَهم اللهُ بها)، وهُم الذين يُوفون بكل عهودهم وعقودهم، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي يُداوِمونَ على أداء صلاتهم في أوقاتها، وعلى هيئتها الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم. ﴿أُولَئِكَ﴾ المتصفون بهذه الصفات ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ - وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها - ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (إذ لا يَنقطع نعيمهم ولا يزول).

♦ واعلم أنّ العلماء قد اختلفوا في تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الفردوس الأعلى: (فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة)، فقد قال بعضهم: إنّ مَعنى أوسط الجنة أي أفضلها، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي خِياراً، وبقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ - أي أفضلهم - أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾، فعلى هذا يكونُ المعنى: (إنها أعلى الجنة وأفضل الجنة)، وقد ذَكَرَ بعضهم قولاً آخر: وهو أننا إذا تخيلنا أن الجنة عبارة عن صندوق ضخم، فبالتالي تكون الفردوس في منتصف هذا الصندوق ولكنْ في أعلى نقطةٍ فيه، فبذلك تكون أعلى الجنة وأوسط الجنة، واللهُ أعلم.

- من الآية 12 إلى الآية 16: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ - وهو هنا آدم عليه السلام - ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ أي مِن طينٍ مأخوذ من جميع الأرض، ثم نَفَخَ اللهُ فيه مِن روحه فصارَ بشراً سوياً، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ أي: ثم تناسلتْ ذريته مِن نُطفة (وهي ماء الرَجُل)، حيث تَخرج النُطفة من ظهور الرجال، ثم تستقر ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ أي في مُستَقَرّ مُتمكِّن - مُهَيّأ لِحفظ النُطفة - وهو أرحام النساء، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي: ثم يَتحول هذا المَنِيّ بقدرة اللهِ إلى عَلَقة (وهي قطعة من الدم الغليظ متعلقة بالرَحِم)، ثم تتحول هذه العَلَقة بقدرة اللهِ إلى مُضغة (وهي قطعة لحم صغيرة قَدْر

www.alukah.net

التي تُمْضَغ في الطعام)، ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ أي: ثم تتحول هذه المُضغة اللينة بقدرة اللهِ إلى عظام، ثم يَكسو اللهُ هذه العظامَ لحمًا.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ أي: ثم يُنشئه اللهُ تعالى خَلقاً آخر غير الذي ابتدأه به (وذلك بعد نَفْخ الروح فيه)، إذ أصبح إنساناً يتحرك بعد أن كانَ جماداً لا حياةَ فيه، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: عَظُمَتْ قدرة اللهِ تعالى الذي أحسن كل شيء خَلَقَه، (واعلم أنّ معنى قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي أحسن الصانعين، لأنّ كلمة الخَلق تأتي في اللغة بمعنى الصناعة)، كما قال تعالى في سورة الفجر: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ أي التي لم يُصنَع مِثلها في البلاد، (فاللهُ تعالى يَصنع، والناسُ يَصنعون، ولكنّ اللهَ سبحانه هو أحسن الصانعين)، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ أي ستموتون أيها البشر بعد انتهاء أعماركم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ أي يَبعثكم اللهُ من قبوركم أحياءً للحساب والجزاء.

♦ ومِن لطيف ما يُذكَر أنّ العلم الحديث قد أثبتَ أن العناصر المُكوّنة لجسم الإنسان هي نفسها العناصر الموجودة في التربة الطينية، وعددها ستة عشر عنصرًا، أوّلها (الأُكسُجين)، وآخرها (المنجنيز).

- الآية 17: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي سبع سماواتٍ بعضها فوق بعض، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ - الذين تحت السماوات - ﴿غَافِلِينَ﴾ بل كنا حافظينَ لهم مِن أن تسقط عليهم فتُهلِكهم، وكُنّا نُدَبّر أمورهم ونَعتني بمَصالحهم ومَنافعهم (وبذلك انتظم الكونُ والحياة، وإلاّ لَفَسَدَ كلُ شيء).

♦ ولعل اللهَ تعالى وَصَفَ السماوات بالطرائق لأنها الطُرُق التي تسير فيها الملائكة أو التي تسير فيها الكواكب، ويُحتمَل أيضاً أن يكون معنى طرائق: (أنّ بعضها فوق بعض)، وهذا مِثل قول العرب: (طارَقَ بين ثوبين) أي جَعَلَ أحدهما فوق الثاني، واللهُ أعلم.

- الآية 18: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي بمقدارٍ مُعَيّن (بحسب حاجة الخلائق) ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي جَعَلنا الأرضَ مُستقرًا لهذا الماء (كالأنهار والمياه الجوفية، وغير ذلك)، ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ أي قادرونَ على الذَهاب بهذا الماء، وحينئذٍ ستَهلك البشرية عطشاً (وفي هذا تهديدٌ للظالمين).

- الآية 19، والآية 20: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ - أي بهذا الماء - ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي حدائق ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي في تلك الحدائق ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تَربَحونَ منها بالتجارة، وتصنعون منها العصائر ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، (واعلم أنّ اللهَ تعالى قد خَصَّ العنب والتمر من بين باقي الفواكه لمَكانتهما عند العرب وكثرة فوائدهما).

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ أي: وأنشأنا لكم بهذا الماء شجرةَ الزيتون التي تخرج حول جبل الطُور بـ "سيناء"، والتي ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ أي يُعصَر منها الزيت فيُدَّهَن، ﴿وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ أي يَغمس الآكِلونَ اللقمة في هذا الزيت ويأكلونها، (وفي الآية إشارة إلى أنّ أول مَنبَت لشجر الزيتون كان بطُور سيناء، ثم تناقله الناس مِن إقليمٍ إلى آخر).

- الآية 21، والآية 22: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ - وهي الإبل والبقر والغنم - ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي لكم فيها عِبرةٌ عظيمة على قدرة اللهِ تعالى، فقد شاهدتم كيف ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من اللبن (إذ يُخرجُ اللهُ تعالى مِن بين الدم، ومِن بين القاذورات الموجودة في الكرْش: لَبَنًا خالصاً ليس فيه شيءٌ من الرَوْث أو الدم، لا في لونه ولا رائحته ولا طعمه)، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ - كالصُوف والجلود - ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: على الإبل في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ أي:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلى السفن في البحر: ﴿تُحْمَلُونَ﴾ أي تَركبون عليها وتَحملون عليها أمتعتكم، (أفلا تشكرونَ اللهَ تعالى على هذه النعم فتعبدوه وحده ولا تُشركوا به؟!).

- الآية 23: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ لِيَدعوهم إلى التوحيد وترْك الشِرك، ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، فـ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ يَستحق العبادة ﴿غَيْرُهُ﴾، إذِ هو سبحانه الذي يَخلقُ ويَرزق، ويُحيي ويُميت، ويَضر ويَنفع، فأخلِصوا له العبادة، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؟! يعني: أفلا تخافونَ عذابَ اللهِ وغضبه، إنْ بَقيتم على ما أنتم عليه؟!

- الآية 24، والآية 25: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي قال الكُبَراء والسادة المُكَذِّبينَ لنوح - لِيَصُدُّوا الناسَ عن الإيمان به -: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما نوحٌ إلا إنسانٌ مِثلكم لا يتميَّز عنكم بشيء، ولا يريد بدعوته إلا الرئاسة عليكم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ يعني: ولو شاء اللهُ أن يُرسل إلينا رسولاً لأَرسله من الملائكة، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾: أي لم نَسمع قبل ذلك كلاماً مِثل الذي جاء به نوح، ولم يَقُل به أحدٌ من أجدادنا السابقين، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾: أي ما هو إلا رجلٌ به مَسٌّ من الجنون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ أي انتظروا حتى يُفيق فيَترك دَعْوته، أو يموت فتستريحوا منه.

- الآية 26: ﴿قَالَ﴾ نوحٌ - داعياً ربه -: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي انصرني على كفار قومي، بسبب تكذيبهم لي.

- الآية 27: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي اصنع السفينة تحت بَصَرِنا وتحت رعايتنا، ﴿وَوَحْيِنَا﴾ يعني: وبتوجيهنا وتعليمنا (إذ لم يكن يَعرف السُفُن ولا كيفية صُنعها)، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ أي نَبَعَ الماء بقوة من الفرن الذي يُخبز فيه (وكانَ هذا علامة على مَجيء العذاب، لأنّ اللهَ تعالى قد فجَّرَ الأرض عُيوناً من الماء، حتى نَبَعَ الماء من الفرن) ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ أي: فحينئذٍ أدخِلْ في السفينة مِن كل نوعٍ من أنواع الحيوانات (ذكر وأنثى) لِيَبقى النَسل، وأدخل فيها أهلَ بيتك ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ يعني إلا مَنِ استحق العذاب لكُفره (كزوجتك وابنك)، ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي لا تطلب مِنِّي صَرْفَ العذاب عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، ولا تَشفع لهم في تخفيفه عنهم، فـ ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ بالطوفان لا مَحالة.

- الآية 28، والآية 29: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ يعني: فإذا عَلَوْتَ السفينةَ واستقرَرْتَ عليها - أنت ومَن معك (آمِنينَ من الغرق): ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾ أي: يَسِّر لي النزول المبارك الآمن، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أي خيرُ مَن يُنزِلُ الناسَ في المكان الطيب المبارك.

♦ ويُلاحَظ أنّ اللهَ تعالى قال: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، ولم يقل: (وأنت وحدك المُنزِل)، لأنه قد يوجد مَن يُنزِلُ شخصاً في مكانٍ مُريح (كأنْ يُسكِنه في بيتٍ مُريح، أو يَستقبله ضيفاً عليه أو غير ذلك)، إذاً فالعبد يُنزل، واللهُ تعالى يُنزِل، ولكنّ اللهَ سبحانه هو خيرُ المُنزلين.

- الآية 30: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: يعني إنّ في إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لَدلالاتٍ واضحاتٍ على صِدق الرُسُل فيما جاؤوا به، ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ يعني: ولقد كنا مُختبرينَ الأمم بإرسال الرُسُل إليهم قبل نزول العقوبة بهم.

www.alukah.net

- الآية 31، والآية 32: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي أنشأنا جيلاً آخر بعد قوم نوح (وهُم هنا قوم عاد، على الراجح من أقوال العلماء)، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ - وهو هود عليه السلام - فأمَرَهم ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، ف ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ يَستحق العبادة ﴿غَيْرُهُ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؟! يعني أفلا تخافونَ عقاب اللهِ إذا عبدتم معه غيره؟!

♦ واعلم أنّ الله تعالى قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ ولم يقل: (فَأَرْسَلْنَا إليهِمْ)، لأنّ هوداً عليه السلام كان مِن أهل قريتهم، أما عندما أخبر تعالى عن موسى وفرعون فإنه قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، لأنّ موسى عليه السلام لم يكن منهم، واللهُ أعلم.

- من الآية 33 إلى الآية 38: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾ وهم السادةُ والأشرافُ ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بوحدانية اللهِ تعالى ﴿وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآَخِرَةِ﴾ ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي طغَوا بما أنعم اللهُ عليهم في الدنيا من تَرَف العيش، فهؤلاء قالوا لقومهم ليَصُدّوهم عن الإيمان بهُود عليه السلام: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (أي لا فرقَ بينكم وبينه، فكيف تَرضون أن يكون سَيّداً عليكم يأمركم وينهاكم؟!)، ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (أي ستَخسرون مَكانتكم بسبب اتّباعكم له وترْكِكم لآلهتكم)، ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ مِن قبوركم أحياء؟ كيف تُصَدِّقون هذا؟! ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ أي بعيدٌ حقًا ما يَعِدكم به، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: أي ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي جيلٌ يموت وجيلٌ يَحيا، فيموت الآباءُ مِنّا ويَحيا الأبناء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما هذا إلا رجلٌ قد اختلق على اللهِ كذبًا، ولَسنا بمُصَدِّقينَ ما قاله لنا.

- الآية 39: ﴿قَالَ﴾ هودٌ - داعياً ربه -: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي انصرني عليهم بسبب تكذيبهم لي.

- الآية 40: ﴿قَالَ﴾ اللهُ - مُجيبًا لدعوته -: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ أي: بعد زمنٍ قصير سيُصبحون نادمينَ على تكذيبهم.

- الآية 41: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي جاءتهم صيحة شديدة مع ريحٍ شديدة ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالعدل (بسبب كُفرهم وذنوبهم) فماتوا جميعًا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ أي أصبحوا كغُثاء السَيل (وهي الرَغوة التي تطفو على سطح الماء ثم تتلاشى أو تُرْمَى) (والمعنى أنهم أصبحوا لا حياةَ فيهم ولا فائدةَ منهم)، ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي هلاكًا لهؤلاء الظالمين وبُعْدًا لهم من رحمة الله.

- الآية 42، والآية 43، والآية 44: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ أي أنشأنا أُمَمًا آخرين بعد قوم هود (كقوم صالح وقوم شعيب)، ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ أي لا تتجاوزُ أُمَّةٌ أجَلَها فتزيد عليه ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: أي ولا يَتأخرون عن ذلك الوقت لحظة، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ إلى تلك الأمم ﴿تَتْرَى﴾ أي يَتبَع بعضهم بعضًا، ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ - رغم وضوح المُعجِزات التي يأتي بها الرُسُل - ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ بالهلاك والدمار، فلم يَبْقَ إلا أخبار هَلاكهم ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي قصصاً يَحكيها مَن بعدهم لتكون عبرةً لهم، ﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي هَلاكًا لقومٍ لا يُصَدِّقونَ الرُسُل ولا يُطيعونهم.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

2. الربع الثاني من سورة المؤمنون

– من الآية 45 إلى الآية 48: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ الدالّة على أنهما رسولان من عند اللهِ تعالى، وهي الآيات التسع: (العصا واليد والطوفان، والجَراد والقُمَّل والضفادع، والدم ونقصٍ من الثمرات والأنفس)، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ يعني: وأرسلناه بحُجَّةٍ قوية واضحة تَقهر القلوب، فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم بها الحُجّة على المُعانِدين.

♦ ويُحتمَل أن يكون المقصود بالسُلطان المُبِين هنا: (العَصا)، وإنما أعادَ سبحانه ذِكرها بعد أن ذَكَرَ الآيات عموماً، لأنّ العصا كانت أشهر الآيات وأقواها، وبها هُزِمَ السَحَرة، واللهُ أعلم.

♦ فأرسلناه بهذه الآيات ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ وهم أكابر أتْباعه وأشراف قومه، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بموسى وأخيه، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي كانوا قومًا متطاولين على الناس، قاهرينَ لهم بالظلم، ﴿فَقَالُوا﴾: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ – مِن بني إسرائيل – ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ أي مُطيعونَ لأمْرنا، ذليلونَ لنا، نستخدمهم فيما نشاء؟!، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ فيما جاءا به، ﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرق في البحر.

– الآية 49: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: يعني أعطينا موسى التَوراة ليَهتدي بها قومه إلى الحق، (وذلك بعد إهلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل).

– الآية 50، والآية 51، والآية 52، والآية 53: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ أي علامة دالَّة على قدرتنا؛ إذ خَلَقنا عيسى مِن غير أب، ﴿وَآوَيْنَاهُمَا﴾ أي أنزلناهما – بعد اضطهاد اليهود لهما – ﴿إِلَى رَبْوَةٍ﴾ أي مكانٍ مرتفع من الأرض – آمِنٌ مِن الأذى – ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي صالح للاستقرار عليه (لِمَا فيه من الزروع والثمار)، ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: وفيه ماءٌ عذب جارٍ ظاهر للعيون (فسبحان المُنعِم على عباده، المُكرِم لأوليائه).

♦ ثم أخبر تعالى أنه قد أمَرَ جميع الرُسُل بأكل الحلال الطيب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي كلوا من الرزق الحلال، ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي اعملوا الأعمال الصالحة (بأداء الفرائض والإكثار من النوافل) شُكراً لي على نِعَمي.

♦ وقوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فيه وعدٌ مِن الله تعالى بأنه سوف يُثيبهم على أعمالهم الصالحة، (وفي الآية دليل على أنّ أكل الحلال عَونٌ للعبد على العمل الصالح، وأنّ عاقبة الحرام شديدة الضرر، ومنها رَدّ الدعاء).

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني إنَّ دينكم – يا مَعشر الأنبياء – هو دينٌ واحد، وهو الإسلام (الذي هو الاستسلام والانقياد والخضوع لأوامر الله تعالى، وعبادته وحده بما شرَع)، فاجتمِعوا عليه ولا تختلفوا، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ أي خالقكم ورازقكم ومُدَبّر أمْركم ﴿فَاتَّقُونِ﴾ أي فاتقوني – بفِعل ما أمَرتكم به وترْك ما نَهَيتكم عنه – لتنجوا من عذابي وتدخلوا جنتي.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أي: ولكنّ الناس اختلفوا بعد هؤلاء الأنبياء، وجعلوا دينهم مَذاهب تُعادي بعضها بعضاً، وأصبحوا فِرقاً وأحزاباً، بعدما أُمِروا بالاجتماع على دينٍ واحد، وأصبحَ ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي كل حزبٍ منهم مُعجب برأيه، زاعمٌ أنه على الحق وغيره على الباطل، (وفي هذا تحذير من التحزب والتفرق في الدين).

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿زُبُرًا﴾ أي قِطَعاً، كما قال تعالى وهو يَحكي عن ذي القرنين: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أي قِطَعَهُ الضخمة.

– الآية 54: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ أي فاتركهم أيها الرسول في ضَلالهم حتى يأذنَ اللهُ بعذابهم.

www.alukah.net

- الآية 55، والآية 56: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ يعني أيظن هؤلاء الكفار أن الأموال والأولاد التي نُعطيها لهم في الدنيا، أيَحسبون أننا بذلك ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ لِرِضانا عنهم وأنهم يَستحقون هذا الخير؟! كَلاّ ﴿بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يَشعرون أننا نُعَجِّل لهم ذلك الخيرَ فتنةً لهم واستدراجًا، ليموتوا على هذا الضَلال.

- من الآية 57 إلى الآية 61: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ - أي مِن أجل خوفهم مِن الله تعالى - ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفونَ مما خَوَّفهم اللهُ به، يَحذرون أن يُخالفوا أمْره ونَهْيه، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي يُخلصونَ عبادتهم للهِ وحده، ولا يُشركونَ معه غيره، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾: أي يَجتهدونَ في فِعل الطاعات وأعمال الخير ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾: أي قلوبهم خائفةٌ ألا تُقبَل أعمالهم، وألا تُنَجِّيهم مِن عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب، ﴿أُولَئِكَ﴾ المجتهدون في الطاعة ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: أي يُسارعون في الطاعات، كَي ينالوا بها أعلى الدرجات، ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ أي يُسابقون غيرهم في فِعل ما يُرضي ربهم.

- الآية 62: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي لا يُكَلِّف اللهُ نفسًا إلا ما تطيق من الأعمال، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ أي عندنا كتابٌ تكتب فيه الملائكة أعمال العباد ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ أي يَشهد عليهم هذا الكتاب يوم القيامة بالصدق والعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (وفي هذا وعدٌ لأولئك المُسارعين في الخيرات بأنّ أعمالهم مكتوبةٌ لهم في كتابٍ لا يُخفي حسنةً من حسناتهم، وفي هذا أيضاً وعيدٌ لأهل الشِرك والمعاصي بأنّ أعمالهم مكتوبةٌ عليهم في كتابٍ صادق، وسوف يُجزَون بها إن لم يتوبوا).

- من الآية 63 إلى الآية 67: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾ يعني: لكنّ قلوب الكفار في ضلالٍ غامر، وفي غفلةٍ عن هذا القرآن وما فيه من الهدى، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي لهم مع شِركهم أعمالٌ سيئة من كبائر الذنوب - هي أقلّ من الشِرك - ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ أي يُمْهلهم اللهُ ليَعملوها، فيَزداد بذلك عذابهم (وذلك غضباً مِن اللهِ عليهم بسبب عِنادهم)، ويَظلون على هذه الغفلة والأعمال السيئة ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ﴾ - والمُترَفون هم المُنَعَّمون المتكبرون -، فإذا أذاقهم اللهُ عذابه ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ أي يَرفعون أصواتهم، مُستغيثينَ من العذاب الذي أصابهم، فيُقالُ لهم: ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ أي لا تَصرخوا اليوم ولا تستغيثوا، فـ ﴿إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ أي لن يَنصركم أحدٌ من عذاب الله، ولا أمل لكم في النجاة.

♦ وقال اللهُ لهم: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ لتؤمنوا بها ﴿فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ أي كنتم ترجعون إلى الوراء هَرَباً من سماع القرآن، وكنتم ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ أي تتكبرون على الناس ببيت اللهِ الحرام، وتقولون لهم: (نحن أهل الحَرَم، فنحن أفضل من غيرنا وأعلى)، وكنتم ﴿سَامِرًا﴾ أي تَتَسامرون بالحديث ليلاً حول البيت، ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أي تقولون الكلام الهَجْر - وهو الكلام القبيح - في الرسول والقرآن.

- الآية 68: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾؟! يعني أفلم يتفكروا في القرآن ليَعرفوا صِدقه؟!، ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾؟! يعني أم مَنَعَهم من الإيمان أنه جاءهم رسولٌ لم يأت آباءهم الأولين مِثله؟! (وهذا الاستفهام غرضه الإنكار عليهم)، وجواب هذا السؤال: كلا، لقد جاءهم الرسول بالتوحيد الذي جاء به إبراهيم وإسماعيل لآبائهم الاولين، فلماذا الإعراضُ إذاً؟!

- الآية 69، والآية 70: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾؟! يعني أم مَنَعهم من اتّباع الحق أنّ رسولهم محمدًا صلى الله عليه وسلم غير معروف عندهم ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾؟! ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾؟! يعني أم حَسِبوهُ مجنونًا؟! ﴿بَلْ﴾ أي لقد كَذَبوا في هذه الادّعاءات الباطلة؛ فقد كانوا يَشهدونَ له بالصدق والأمانة، ورَضوا بحُكمه عندما أرادوا إعادة بناء الكعبة - وذلك قبل بعْثتِهِ صلى الله عليه وسلم -، فكيف إذاً يَقبلونَ حُكمَه ثم يَتهمونه - كَذِباً - بالجُنون؟!، فعُلِمَ أنهم يقولون ذلك على سبيل العِناد، وحتى يَصُدّوا الناسَ عن دِينه، وإنما ﴿جَاءَهُمْ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْحَقِّ﴾ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ أي يَكرهون الحق (حَسَدًا لمحمد صلى الله عليه وسلم، وتكبُّراً عن الانقياد لِما جاءَ به، وحُبّاً للباطل الذي عاشوا عليه).

♦ ولَعَلّ الله تعالى قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾، ولم يقل: (وكُلُّهم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)، لأنّ القليل من هؤلاء المشركين كانوا يعرفون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جاءهم بالحق، وكانوا يُحبون الدخول في الاسلام، ولكنْ مَنَعهم مِن ذلك: (الخوف من تَعْيير قومهم لهم بأنهم قد تَركوا دين آبائهم)، كما حَدَثَ مع أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، (واعلم أنّ هذا من باب الاحتراس، وهو أسلوبٌ معروف في القرآن، حتى لا يُنقَض الخبر ببعض الأفراد، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾، وهو مِن إعجاز القرآن وبلاغته، حتى لا يستطيع أحد أن يُعارضه).

- الآية 71: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعني: ولو شَرَعَ اللهُ لهم ما يوافق أهواءهم الفاسدة: ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي جئناهم بما فيه عِزّهم وشَرَفهم، وهو القرآن ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (لا يَلتفتون إليه، ولا يتفكرون فيه).

- الآية 72: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾؟! يعني: أم مَنَعَهم من الإيمان أنك أيها الرسول تسألهم مالاً على دَعْوتك لهم فبَخِلوا به؟! والجواب: لا، لأنك لم تفعل ذلك، ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ يعني: لأنك تعلم أنّ ثوابَ اللهِ وعطاءه خيرٌ لك من المال، فلذلك لم تطلب منهم شيئاً مقابل دَعْوتك لهم، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي هو خيرُ مَن أعطى.

- الآية 73: ﴿وَإِنَّكَ﴾ أيها الرسول ﴿لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي تدعو قومك وغيرهم إلى دينٍ قويم، وهو الإسلام.

- الآية 74: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ﴾ وما فيها من البعث والحساب، أولئك ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ أي مائلون عن طريق الدين الصحيح إلى غيره من الباطل.

- الآية 75: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ كالقحط والجوع وغير ذلك: ﴿لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: أي لاَستمَرُّوا في كُفرهم وعنادهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي يَتحيَّرون ويَتخبطون في ذلك الضلال.

- الآية 76، والآية 77: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ أي ابتليناهم بأنواع المصائب ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ يعني: (فما خضعوا لربهم، وما دَعَوه مُتضرّعينَ عند نزول البلاء)، ويَظلون على ذلك العِناد ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا﴾ من أبواب جهنم ﴿ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي يائسونَ من الخَلاص من ذلك العذاب.

****

3. الربع الأخير من سورة المؤمنون

- من الآية 78 إلى الآية 83: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي جَعَلَ لكم وسائل الإدراك من الأسماع والأبصار والقلوب، ومع ذلك فـ ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.

www.alukah.net

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ أي خَلَقكم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ونَشَرَكم في أنحائها، ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ بعد موتكم، لِيُجازيكم على أعمالكم، (إذ القادرُ على خَلْقكم في هذه الأرض: قادرٌ على خَلْقكم في أرضٍ أخرى بعد موتكم)، ﴿وَهُوَ﴾ وحده ﴿الَّذِي يُحْيِي﴾ من العدم، ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعد الحياة، (أليس هذا قادراً على إحيائكم بعد موتكم؟!)، ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي اختصَّ سبحانه بتعاقب الليل والنهار (وذلك بمجيء أحدهما بعد الآخر، واختلافهما طُولاً وقِصَرًا)، فلا قدرة لأحدٍ أن يُوجِدَ ظُلمة الليل وضوء النهار غير الله تعالى، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟! يعني: أفلا تتفكرون بعقولكم لتعرفوا قدرة اللهِ تعالى على البعث واستحقاقه وحده للعبادة، بعدما شاهدتم هذه الآيات؟!

♦ لكنّ الكفار لم يُصَدّقوا بالبعث – رغم هذه الأدلة التي لا يُنكِرها عاقل – ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي ردَّدوا مَقولة المُنكِرين السابقين، فـ ﴿قَالُوا﴾: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أي خَلقاً جديداً بعد أن تَحَلَّلتْ عظامنا في تراب الأرض؟! ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: لقد قيل هذا الكلام لآبائنا مِن قبل، فلم نَرَهُ حقيقةً، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا الذي تتحدثون عنه من البعث والحياة الثانية إلا قصص السابقينَ التي لا حقيقةَ لها.

– الآية 84، والآية 85: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُنكِرين للبعث: ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ من المخلوقات ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي سيعترفون حَتمًا بأنها لله، لأنهم يَعلمون أنه سبحانه الخالق المالك، إذاً ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؟ يعني أفلا تتذكرونَ فتعلموا أنّ الذي خلق الأرض ومَن فيها قادرٌ على البعث بعد الموت وأنه لا يَستحق العبادةَ غيره؟!

– الآية 86، والآية 87: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الذي هو أعظم المخلوقات وأعلاها؟ ﴿سَيَقُولُونَ﴾ حَتمًا: ﴿لِلَّهِ﴾ أي: هذه المخلوقات مِلكٌ لله تعالى (إذ هو خالقها ومالكها والمتصرف فيها)، إذاً ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؟! يعني أفلا تخافونَ عذابه إذا عبدتم معه غيره؟!

– الآية 88، والآية 89: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني: مَن بيده خزائن كل شيء ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ أي يَحمي مَن طلب حمايته ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يعني ولا يَقدر أحد أن يَحفظ مَن أراد الله إهلاكه، أو يَدفع عنه السُوء الذي قدَّره اللهُ له ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: أي سيَعترفون حتمًا بأنّ ذلك كلَّه للهِ وحده، إذاً ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾؟! أي كيف تُخْدَعون فتعبدون غير الخالق الرازق؟! وكيف تذهب عقولكم فتُنكِرون على الخالق إحياء الأموات، وهو الذي أحياهم ابتداءً ثم أماتهم؟!

– الآية 90: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ يعني: بل جئناهم بالحق الذي أرسلنا به محمدًا صلى الله عليه وسلم – مِن أمْر التوحيد والنُبُوّة والبعث والجزاء – ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما نَسَبوهُ للهِ تعالى من الشَريك والولد.

– الآية 91، والآية 92: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ (لأنه سبحانه رَبُّ كل شيء ومَالكُه، وهو الغني القوي الذي لا يحتاج إلى ولدٍ كما يَحتاج البشر)، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ لأنه لو كان هناك أكثر مِن معبود: ﴿إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي سيَنفرد كل معبودٍ بمخلوقاته ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي سيُحارب بعضهم بعضاً كشأن ملوك الدنيا، فبذلك يَختلّ نظام الكون، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي تَنَزَّهَ اللهُ تعالى وتبرّأ عن وَصْفهم الكاذب بأنّ له شريكًا أو ولدًا، فهو وحده ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي يَعلم كل ما غاب عن خلقه وما شاهدوه (فلو كان معه آلهة أخرى لَعَرَفهم وأخبر عنهم)، ولكنه سبحانه خالقُ كل شيء ومالكه ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تَقَدَّسَ سبحانه عن الشريك الذي يَزعمون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– الآية 93، والآية 94: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول – داعياً ربك –: ﴿رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني إنْ أريتني في هؤلاء المشركين ما تَعِدُهم به مِن العذاب: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي أخرِجني مِن بينهم وأبعِدني عنهم حتى لا أهلك معهم.

– الآية 95: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾: يعني وإننا لَقادرون على أن نُنَزِّل عليهم العذاب الذي نَعِدُهم به.

– من الآية 96 إلى الآية 100: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ يعني إذا أساءَ إليك أعداؤك أيها الرسول: فلا تقابلهم بالإساءة، ولكنْ قابِل إساءتهم بالإحسان (وذلك بالصفح والإعراض عنهم)، فـ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: أي نحن أعلم بما يَصِفُهُ هؤلاء المشركون من الشِرك والتكذيب وسنُجازيهم عليه، (وفي هذا تصبيرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم).

♦ ولَمّا أمَرَ اللهُ رسوله بالتحصُّن مِن أذى المشركين، أمَرَه أيضاً أن يَتحصن من أذى الشياطين فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: يعني أحتمي بك من وساوس الشياطين التي تُفسِد القلب، وأحتمي بك أن يُضِلُّوني عن ديني ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ يعني: وأحتمي بك يا رب أن يَحضروا في شيءٍ من أموري، حتى لا يُفسدوها عليّ بالخواطر السيئة، (واعلم أنّ هذا التعوُّذ، وإن خُوطِبَ به الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو أيضاً مُوَجَّه لأمّته، بل هي أحْوَج إليه منه).

♦ ثم يُخبر تعالى عن حال المُحتضِر من الكافرين أو المُفرِّطين في أمْره قائلاً: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ أي رأى مَلَك الموت وأعوانه وشاهَدَ ما أُعِدَّ له من العذاب: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ أي رُدّني يا ربّ إلى الدنيا وأخِّر موتي ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ يعني لَعَلِّي أتدارك ما ضيَّعْتُ من الإيمان والطاعة، فقال اللهُ تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي لا رجوع أبداً، فـ ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ لا تنفعه، لأنه غير صادق فيها، إذ لو رَجَعَ إلى الدنيا لَعادَ إلى ما نَهاه اللهُ عنه، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي سيبقى المَوتى في حاجز يَمنعهم من العودة إلى الحياة حتى يأتي يوم القيامة.

♦ ولعل هذا الكافر خاطَبَ اللهَ تعالى بضمير التعظيم: (ارجعون)، لشدة ما هو فيه من التذلل والخضوع، حتى يُعيده الله إلى الدنيا.

♦ ويُحتمَل أن تكون كلمة (حتى) المذكورة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ هي المعروفة بـ (حتى الابتدائية) أي يكون ما بعدها ابتداء كلام جديد، ويُحتمَل أنها متعلقة بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ – أي من العذاب – لَقَادِرُونَ﴾، فيكونُ هذا انتقالاً مِن ذِكر قدرته تعالى على تعذيبهم في الدنيا إلى وَصْف ما يَلقونه من العذاب عند موتهم، واللهُ أعلم.

– الآية 101: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ يعني فإذا جاء يوم القيامة، ونَفَخَ المَلَك إسرافيل في القرن (وهو المعروف بالبُوق) نفخةَ القيام من القبور للحساب والجزاء: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: أي فحينئذٍ لا تَفاخُرَ بينهم بالأنساب كما كانوا يَتفاخرون بها في الدنيا، ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: أي لا يَسأل أحدٌ أحدًا أن يَحمل عنه ذنوبه.

– الآية 102: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي كَثُرَتْ حسناته وثَقُلَتْ بها مَوازين أعماله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بالجنة.

– الآية 103، والآية 104، والآية 105: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي قَلَّتْ حسناته في الميزان، ورَجَحَتْ سيئاته، وأعظمها الشرك: ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي أهلَكوا أنفسهم، وأضاعوا حظها من نعيم الجنة، فهُم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ أي تَحْرقُ النار وجوههم، ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ يعني قد احترقت شفاههم، وظهرتْ أسنانهم)، ويقول اللهُ تعالى – مُوَبّخاً لهم –: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟ (واعلم أنّ هذا التوبيخ – أثناء العذاب – يكون أشد على النفس من عذاب الجسد).

www.alukah.net

- الآية 106، والآية 107: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي غَلَبَتْ علينا لَذّاتنا وأهواؤنا ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الحق والهدى، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي أخرِجنا من النار وأرجِعنا إلى الدنيا، ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى الضلال ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ نَستحق العقوبة، (واعلم أنّ الظلم: هو وَضْع الشي في غير مَوضعه، والذي يَعبد غير الله تعالى يَضَع العبادة في غير مَوضعها فلذلك هو ظالم، كما قال تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾).

- من الآية 108 إلى الآية 112: ﴿قَالَ﴾ اللهُ عَزّ وجَلّ لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي امكثوا في النار أذلاء ولا تخاطبوني، (فحينئذٍ يَنقطع دعاؤهم ورجاؤهم)، ويقول اللهُ لهم: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ - وهم المؤمنون - ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ يعني أنت أرحم بنا مِن آبائنا وأمّهاتنا، ومِن كل راحم، ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي انشغلتم بالاستهزاء بهم ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ أي حتى نسيتم التذكر والتأمل فيما جاء به القرآن من الذِكر، ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ أي كنتم تضحكون مِن عبادتهم ودعائهم وتضرّعهم إلينا، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بسبب صبرهم على طاعتي - مع ما يُلاقونه من اضطهادٍ وسُخرية - ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي الناجونَ من النار المُنَعَّمونَ في الجنة، (وفي الآية دليل على حُرمة السُخرية من المسلم والاستهزاء به والضحك منه).

♦ و﴿قَالَ﴾ اللهُ لهؤلاء المكذبين - وهم في النار -: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾؟ أي كم بَقيتم في الدنيا من السنين؟ وكم ضيَّعتم فيها من طاعة الله؟

- الآية 113: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا﴾ أي بَقينا فيها ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ - وهذا بسبب شدة العذاب الذي هُم فيه، حيثُ أنساهم كل ما مَرّ بهم في حياتهم وفي قبورهم - ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾: أي اسأل مَن كان يَعدّ الشهور والأيام (من الملائكة أو من غيرهم).

- الآية 114، والآية 115، والآية 116: ﴿قَالَ﴾ اللهُ لهم: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي ما مَكثتم إلا وقتًا قليلاً (لو صبرتم فيه على طاعة اللهِ لَفُزتم بالجنة) ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّ هذا الزمن الذي عِشتموه - بالنظر إلى الدار الآخرة - لا يُعتبَر شيئاً يُذكَر، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ - لا أمْرَ ولا نَهْيَ ولا ثواب ولا عقاب؟! - ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء؟! ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي تَقدَّسَ اللهُ المَلك المتصرف في كل شيء، وتبرَّأ عن أن يَخلق شيئًا لعباً، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبودَ بحقٍ إلا هو ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ أي رَبُّ العرش النفيس (أي عَظيم القيمَة والمَكانة)، وهذا مِثل قولهم: (الأحجار الكريمة).

- الآية 117: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ يعني: ومَن يَعبد مع اللهِ إلهًا آخر، لا حُجَّةَ له على استحقاقه للعبادة ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ يعني فإنما جزاؤه عند ربه في الآخرة، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾: يعني إنّ الكافرينَ لا فلاحَ لهم يوم القيامة.

- الآية 118: ﴿وَقُلْ﴾ - أيها النبي -: ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ أي اغفر لي وارحمني، واغفر للمؤمنين والمؤمنات وارحمهم ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ يعني أنت خير مَن رَحِمَ المذنبينَ التائبين، إذ تَقبل توبتهم ولا تعاقبهم على ذنوبهم.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة النور كاملة

1. الربع الأول من سورة النور

- الآية 1: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ يعني: هذه سورةٌ عظيمة - مِن سور القرآن - أنزلناها ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي أَوْجَبنا على المسلمين العمل بأحكامها ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي حُجَجاً واضحة تهدي إلى الحق ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي لِتتعظوا أيها المؤمنون بهذه الآيات، وتعملوا بما في السورةِ من أحكامٍ وأوامر وآداب.

- الآية 2: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ - اللذان لم يَسبق لهما الزواج - ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ (عقوبةُ لهما على فِعلِهما)، (وقد ثَبَتَ في السُنَّة - مع هذا الجلد - التغريب لمدة عام، وهو إخراج الزاني والزانية مِن بَلَدهما لمدة عام)، وأما عقوبة الزاني المتزوج: فقد ثبت في السُنّة أن يُرجَم بالحجارة حتى يموت، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي لا تَحملكم الرحمة بهما على تَرْك العقوبة أو تَخفيفها، حتى لا تُعَطِّلوا حَدَّ اللهِ تعالى وتَحرموهما من التطهير بهذا الحد ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾ وتعملون بأحكام الإسلام ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: ولْيَحضر العقوبةَ عددٌ من المؤمنين (لِيَعتبروا بما حدث لهما)، (واعلم أنّ الذي يقوم بإقامة الحد هو حاكم البلد أو مَن يَنوب عنه، واعلم أيضاً أنّ الزانية قُدِّمَت على الزاني في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ لأنّ الزنى في حق النساء أقبح وأضَرّ بسبب الحمل، ولأن المرأة هي مفتاح الشر غالباً في جريمة الزنى، والله أعلم).

- الآية 3: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ يعني: الزاني لا يَرضى إلا بنكاح زانيةٍ أو مُشركةٍ لا تُقِرُّ بحُرمة الزنى، ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾: أي وكذلك الزانية لا ترضى إلا بنكاح زانٍ أو مُشرك لا يُقِرّ بحُرمة الزنى، (أما العفيفون والعفيفات فإنهم لا يَرضون بذلك)، ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ النكاح ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، (وهذا دليلٌ صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك تحريم إنكاح الزاني حتى يتوب).

- الآية 4، والآية 5: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي يَتّهِمون نفوساً عفيفة - من النساء والرجال - بالزنا أو مُقَدِّماته ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ - مشهودٌ لهم بالعدل والأمانة - لِيَشهدوا معهم على أنهم رأوا هذه الفاحشة: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾، (وعلى هذا فليَحذر المسلم مِن أن يقول لأحدٍ: (يا ابن الزانية) أو ما شابَهَ ذلك)، لأنّ هذا من الكبائر، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الخارجون عن طاعة الله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي رجعوا عن اتّهامهم، وندموا على أفعالهم، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، فلا يُعذبهم بعد التوبة، بل يُعيد إليهم اعتبارهم ويَقبل شهادتهم.

- الآية 6، والآية 7، والآية 8، والآية 9: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ أي يَتّهِمون زوجاتهم بالزنى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾ يَشهدون على صحة هذا الاتهام ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: فعَلَى الواحد منهم أن يَشهد أمام القاضي أربع مرات بقوله: (أشهدُ باللهِ أني صادقٌ فيما رَمَيتُها به من الزنى)، ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يعني: ويَزيد في الشهادة الخامسة: (الدعاء على نفسه باستحقاقه للعنة الله - أي طَرْدِهِ مِن رحمته - إن كان كاذبًا في قوله).

♦ وبهذه الشهادة تَجِب عقوبة الزنا على الزوجة، ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ يعني: ولكنْ يَدفع عنها هذه العقوبة ﴿أَنْ تَشْهَدَ﴾ - في مُقابل شهادته - ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في اتّهامه لها بالزنى، ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ

www.alukah.net

﴿الصَّادِقِينَ﴾ يعني: وتزيد في الشهادة الخامسة (الدعاء على نفسها باستحقاقها لغضب اللهِ إن كان زوجها صادقًا في اتهامه لها)، فإذا شهد الزوج والزوجة بهذه الشهادة: فإنّ القاضي يُفرِّق بينهما بالطلاق الذي لا رجعة فيه.

- الآية 10: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ - أيها المؤمنون - ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بهذا التشريع للأزواج والزوجات ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ يعني: ولولا أنّ الله توابٌ لمن تاب مِن عباده، حكيمٌ في شرعه وتدبيره: لَفَضَحَ الكاذب مِنهما وعاجله بالعقوبة وأنزلَ به ما دعاهُ على نفسه، ولكنه سبحانه سَترَ عليهم، ليتوب على مَن تاب منهم، وليَرحمهم بهذا التشريع العادل الرحيم.

- الآية 11: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ يعني إنّ الذين جاؤوا بأقبح الكذب - وهو اتّهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة - أولئك ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾: أي جماعةٌ مُنتسبون إليكم أيها المسلمون، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ أي لا تحسبوا قولهم الكاذب شرًّا لكم - لِمَا أصابكم مِن الهَمّ والغم والكرب بسبب هذا الاتهام الكاذب - ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (لأنه تضمن براءة أم المؤمنين ونزاهتها، وتكفير سيئاتكم ورفع درجاتكم بسبب صبركم على هذا البلاء العظيم)، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ يعني: كُلُّ فردٍ تكلم بالإفك، يأخذ عقابه على قدْر ما قال (هذا إن لم يَتُب، ويعفو اللهُ عنه)، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ يعني: والذي تحمَّل مُعظم الإفك، وأشاعَ الفتنة وتورَّط فيها - وهو عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول كبير المنافقين - ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار).

- الآية 12: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ يعني: هَلّا ظَنّ المؤمنون والمؤمنات ببعضهم خيرًا عند سماعهم لهذا الاتّهام الكاذب ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ أي هذا كَذِبٌ واضح على عائشة رضي الله عنها.

♦ واعلم أنّ هذا الخطاب غرضه توبيخ العُصبة الذين تكلموا دونَ تثبت، وفيه تربيةٌ للمسلمين، وإرشادٌ لهم لِمَا ينبغي أن يكونوا عليه من الآداب.

- الآية 13: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: يعني هَلاّ جاءَ هؤلاء الكاذبون بأربعة شهود ثِقات ليَشهدوا على صحة قولهم واتهامهم! ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

- الآية 14، والآية 15: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ إذ أمْهَلَكم للتوبة، ولم يُعَجِّل لكم العقوبة في الدنيا، وسيَرحمكم في الآخرة بقبول توبتكم: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: أي لأَصابكم عذابٌ عظيم بسبب ما تحدثتم فيه بتوسُّع وعدم تحفظ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي يَتلقى بعضكم الكذب من بعض، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (إذ ليس معكم دليل على صحة قولكم) ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾: أي تظنون ذلك شيئًا هيِّنًا من صغائر الذنوب ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ أي من كبائر الذنوب، لأنه عِرض مؤمنة (وهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، (وفي هذا تحذير لكل مَن يتهاون في إشاعة الباطل، ولكل مَن يَستصغر المعصية)، وقد قال أحد السلف: (لا تنظر إلى صِغَر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة مَن عصيتَ).

- الآية 16: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يعني: وهَلاّ - عند سماعكم لهذا الكذب - ﴿قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾: أي لا يَحِلُّ لنا الكلام بهذا الكذب - لخطرِه وعِظَم شأنه - ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي تنزيهًا لك يارب مِن قول ذلك على زوجة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ أي هذا كذب عظيم الذنب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– الآية 17، والآية 18: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ أي يَنهاكم الله تعالى – مُخَوِّفاً لكم – أن تعودوا أبدًا لِمِثل هذا الاتهام الكاذب والقول بغير عِلمٍ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ المشتملة على مَواعظه وأحكامه الشرعية، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم، ﴿حَكِيمٌ﴾ في شرعه وتدبيره.

– الآية 19: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي يُحِبّون أن تنتشر الفاحشة ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (ومِن ذلك اتهامهم كذباً بالزنى)، أولئك ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بإقامة الحد عليهم وغير ذلك من المصائب، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: ولهم في الآخرة عذابُ النار إن لم يتوبوا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ كَذِبهم، ويَعلم ما يَترتب على إشاعة الفاحشة من العقوبة والآثار السيئة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

– الآية 20: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي على مَن وقع منكم في حديث الإفك ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بهم، ﴿وَ﴾ لولا ﴿أَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بعباده المؤمنين، لَمَا بيَّن لهم هذه الأحكام، ولَعَجَّلَ العقوبة لمن وقع في ذلك الذنب العظيم.

****

2. الربع الثاني من سورة النور

– الآية 21: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي لا تتَّبعوا طُرُق الشيطان ووساوسه، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ – أي الشيطان – ﴿يَأْمُرُ﴾ مَن يَتَّبعه ﴿بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ أي يأمره بقبيح الأفعال ومُنكَراتها، (ومِن ذلك تزيينه للفِتَن والمعاصي، والظنون السيئة بالمؤمنين وحب إشاعة الفاحشة بينهم)، لِذا فأغلِقوا عليه كُلَّ بابٍ يأتيكم منه، واعتصموا بالله تعالى لِيَحفظكم مِن شَرِّه، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بكم ﴿مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي ما طَهُرَ أحدٌ منكم مِن ذنبه أبدًا، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾ - بفضله – ﴿يُزَكِّي﴾ أي يُطَهِّر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مِن عباده ويَعصمهم من الشيطان، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم وأفعالكم (فلذلك يُزَكِّي سبحانه مَن عَلِمَ أنه يستحق هذه التزكية).

– الآية 22: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ يعني: لا يَحلف أصحاب الزيادة منكم في قوة الدين والسَّعَة في المال أن يَمنعوا النفقة عن الفقراء من أقربائهم ﴿وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بسبب ذنبٍ فعلوه، ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ عن إساءتهم، ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي: ولْيَتجاوزوا عنهم ولا يُعاقبوهم (خاصةً أنهم قد تابوا وأُقِيمَ عليهم الحد)، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؟ إذاً فتجاوزوا عنهم ليتجاوز الله عنكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (وفي هذا حَثٌّ على العفو، والإعراض عن اللوم والتأنيب)، (واعلم أنّ الصفح أبلغ من العفو، لأن العفو هو عدم المؤاخذة على الخطأ ولكنْ مع بقاء أثره في النفس، أما الصفح فهو التجاوز عن الخطأ مع مَحْو أثره من النفس).

♦ واعلم أنّ هذه الآية نزلتْ في أبي بكر الصِدّيق رضي الله عنه، فقد كان يُنفق على "مِسطَح بن أثاثة" وهو ابن خالته، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين، فلمّا وقع "مِسطَح" في الإفك، غضب عليه أبو بكر وقال: (واللهِ لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال في عائشة)، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؟ فقال أبو بكر: (واللهِ إني أحب أن يَغفر اللهُ لي)، فعندئذٍ عفا عنه أبو بكر، وسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن يمينه التي حلفها، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (كَفِّر عن يمينك ورُدّ الذي كنتَ تعطيه لِمسطَح).

– الآية 23، والآية 24، والآية 25: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: يعني إنّ الذين يَتّهمون بالزنى المؤمنات العفيفات الغافلات عن ذلك الأمر (أي اللاتي لم يَخطر بقلوبهنّ فِعل الفاحشة)، ولا عِلمَ لهنّ بما اتُّهِمنَ به، أولئك

www.alukah.net

الكاذبون في اتّهامهم ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ﴾ أي مَطرودون من رحمة اللهِ في الدنيا والآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في نار جهنم يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ بما نَطَقَتْ، ﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ تَنطق أيضاً لتَشهد ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي يُعطيهم اللهُ جزاءهم كاملاً على أعمالهم بالعدل، ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ في ذلك الموقف العظيم ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ أي هو سبحانه الحق الواضح (يعني الإله الحق الذي تجب العبادة له وحده).

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ﴾ فيه دليلٌ على كُفر مَن سَبَّ زوجة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أو اتّهمها بسوء، لأنّ اللهَ تعالى قد توَعّده بالطرد من رحمته.

- الآية 26: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ يعني: كل خبيث من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مُناسب للخبيث ومُستحقٌ له، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: وكل طيِّب من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مُناسب للطيب ومُستحقٌ له، (فالأنبياء لا يُناسبهم إلا كل طيب من النساء – وخصوصاً سيِّدهم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي هو أفضل الطيبين – فالذَمُّ في عائشة رضي الله عنها بهذا الأمر هو ذَمٌّ في النبي صلى الله عليه وسلم، إذ مُجَرد كَوْنها زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم، فإنها لا تكونُ إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح)، ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيبون والطيبات ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: أي مُبرّؤون مما يتّهمهم به الخبيثون، و ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة، (واعلم أنّ الإمام مالك رحمه الله قد قال: (مَن سَبّ عائشة بالفاحشة فقد كَفر، لأنّ عائشة بَرّأها اللهُ تعالى)).

- الآية 27: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ أي حتى تستأذنوا في الدخول ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ (وصيغة ذلك السلام من السُنّة: السلامُ عليكم أأدخل؟)، فإذا قيل له: (مَن؟)، فعليه أن يَذكر اسمه، ولا يقل: (أنا)، (واعلم أنّ من آداب الاستئذان أن يَطرق الباب طرقاً خفيفاً، وألاَّ يَقف أمام الباب وإنما يقف بجانبه).

﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الاستئذان ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ – لأنّ فيه الوقاية من الوقوع في الإثم – ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي لتتذكروا باستئذانكم أنكم مؤمنون، وأنّ الله تعالى هو الذي أمَركم بهذا الاستئذان، حتى لا يحصل لكم ما يَضُرّكم، وبذلك يزداد إيمانكم.

- الآية 28: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾: يعني فإن لم تجدوا أحدًا في بيوت الآخرين ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي حتى يُوجَد مَن يَأذن لكم، ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا﴾ – لأمرٍ اقتضى ذلك – ﴿فَارْجِعُوا﴾ وأنتم راضونَ غير ساخطين، لأنّ الرجوع في هذه الحالة ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ يعني أطهَر لنفوسكم (لأن الإنسان له أحوالٌ يَكره أن يَطَّلع عليها أحد)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وسيُجازي كل عاملٍ بعمله (إذاً فأطيعوه في تشريعه لكم بالاستئذان، حتى تَكملوا وتَسعدوا في الدنيا والآخرة).

- الآية 29: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي لا حرجَ عليكم ولا إثم في ﴿أَنْ تَدْخُلُوا﴾ – بدون استئذان – ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي ليست مُخَصّصة للسكن، وإنما ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ أي جُعِلَت ليَنتفع بها مَن يَحتاج إليها (كالبيوت المُعَدّة لابن السبيل في طُرُق المسافرين وغير ذلك من المرافق العامة، فهذه الأماكن فيها منافع وحاجة لمن يدخلها)، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي يَعلم سبحانه أحوالكم الظاهرة والخفية، فلذلك شَرَّعَ لكم ما تحتاجونه، وكذلك يَعلم سبحانه ما في أنفسكم فاحذروه، (وفي هذا تحذير لمن يدخل البيوت ولا يُراعي حُرمتها، كالتطلع إلى العورات وغير ذلك)، بل على الإنسان أن يَجلس في مكانٍ لا يَكشف فيه عورة البيت.

– الآية 30: ﴿قُلْ﴾ – أيها النبي – ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لهم من النساء والعورات، ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عمَّا حَرَّم الله من الزنى واللواط وكَشْف العورات وغير ذلك، ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ يعني أطهر لهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (إذاً فلْيُراقبوه سبحانه فيما أمَرهم به ونَهاهم عنه، لأنهم سيَرجعون إليه بعد موتهم، وسيُجازيهم على أعمالهم).

♦ واعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تُتبِع النظرةَ النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الثانية) (انظر حديث رقم: 7953 في صحيح الجامع)، والمقصود بالنظرة الأولى هي نظرة الفجأة، لأنه ثَبَتَ النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن نظرة الفجأة فقال: (اصرف بَصَرَك) (انظر صحيح سنن أبي داوود ج:2/246).

– الآية 31: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لهنّ من العورات، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمَّا حَرَّم الله، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: أي لا يُظهِرنَ زينتهنّ للرجال، ويَتجنّبنَ التبرج (كوَضْع العِطر والكُحل وغير ذلك)، ويَجتهدنَ في إخفاء مواضع الزينة ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني إلا الزينة التي لابد من ظهورها للضرورة (كالعَينين للنظر بهما، والكَفّين لتناول شيئ، والثياب الظاهرة التي لابد من ارتدائها (ما لم يكن فيها شيءٌ يؤدي إلى الفتنة بها))، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يعني: ولْيُلقِينَ بغطاء رؤوسهنّ على صدورهنّ (حتى يَستُرنَ العُنُق والصدر سِتراً كاملاً).

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: أي لا يُظْهِرْنَ الزينة الخفية إلا لأزواجهنّ (إذ يَرَونَ منهنّ ما لا يرى غيرهم)، ﴿أَوْ آَبَائِهِنَّ﴾ يعني: ويُباح لآبائهنّ رؤية بعض الزينة (كالوجه والعُنُق واليدين والساعدين)، واعلم أنّ الأجداد أيضاً يدخلون في لفظ: (آبَائِهِنَّ)، ﴿أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾: يعني وكذلك آباء أزواجهنّ (وكذلك أجدادهنّ)، ﴿أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ (ويَدخل في ذلك أحفادهنّ)، ﴿أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ أي أبناء أزواجهنّ (وكذلك أحفادهنّ)، ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ﴾ ﴿أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾ ﴿أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ (وسواء كان الأخوة والأخوات الأشِقّاء، أو الذين من جهة الأب، أو الذين من جهة الأم)، ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي نساء أُمَّتِهن (والمقصود: النساء المُسلمات، أما النساء الكافرات فلا يَرَونَ منهنّ إلا الوجه والكفين، وأما غير ذلك فيكون إظهاره لهنّ للضرورة)، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يعني أو العبيد المَملوكون لها مِلكاً تاماً – دونَ أن يكون لها شريكٌ فيه – فلِلمُسلمة أن تكشف وجهها لخادمها المملوك، ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ يعني: وكذلك الرجال الذين لا شهوةَ لهم في النساء (مِثل البُلْه – وهم فاقِدو العقل – الذين يَتبعون غيرهم للطعام والشراب فقط)، ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ يعني: وكذلك الأطفال الصغار الذين ليس لهم عِلم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي لا يَضرب النساء عند سَيْرهنّ بأرجلهنّ ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾: أي ليُسمِعْن الرجال صوت ما خَفِيَ من زينتهنّ كالخُلخال ونحوه (ومِن ذلك ما يُعرَف في عصرنا بـ (الكعب العالي)، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي ارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة ربكم فيما أمَرَكم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات القبيحة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي لتفوزوا بخيرَي الدنيا والآخرة.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ فيه رَدٌّ على مَن يُكَفّر المسلمين بسبب ارتكابهم للذنوب، فإنّ اللهَ تعالى قد أمَرَ المؤمنين بالتوبة من الذنوب، ولم يَنزع عنهم لفظ الإيمان.

– الآية 32: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾: أي زَوِّجوا مَن لا زوجَ له – من رجالكم ونسائكم – الأحرار، وأعِينوهم بالمال لِيَعِفّوا أنفسهم عن الحرام، ولا تُعَطِّلوا الزواجَ بطلب المهور الباهظة التي لا قدرةَ للرجال على تَحَمُّلها، فإنّ هذا لا يُرضي اللهَ تعالى، ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: أي وكذلك زَوِّجوا الصالحين مِن عبيدكم وجواريكم، ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ يعني إن يَكُن

www.alukah.net

الراغبون في الزواج للعِفّة فقراء، فلا تَرفضوهم بسبب فقرهم، فقد تَكَفّلَ اللهُ بغِناهم بعد تزويجهم بقوله: ﴿يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة حق على الله عَونهم – وذَكَرَ منهم – الناكح الذي يريد العفاف) (انظر حديث رقم: 3050 في صحيح الجامع)، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ أي كثيرُ الخير، عظيمُ الفضل، ﴿عَلِيمٌ﴾ بحاجة المحتاجين.

– الآية 33: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ يعني: والذين لا يَستطيعون الزواج – لعدم وجود مَن يَقبلهم بسبب فقرهم، أو لعدم وجود الزوجة المناسبة، أو غير ذلك مما يَمنعهم من الزواج – فعليهم أن يَعِفّوا أنفسهم عمَّا حَرَّمَ الله (وذلك بالصبر والصيام، وغض البصر، وبصرف الأفكار الرديئة التي تخطر بقلوبهم وغير ذلك) ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالمال اللازم للزواج، ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: والذين يريدون أن يَتحرروا – من العبيد والجَواري – عن طريق مُكاتبَة أسيادهم (أي التعاقد معهم والاتّفاق على بعض المال)، بحيث يؤدونه إليهم مُقابل حريتهم: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: فعَلَى أسيادهم أن يُكاتبوهم على ذلك إنْ عَلِموا فيهم خيرًا (مِن رُشدٍ وقدرةٍ على الكسب والسداد، وصلاحٍ في الدين)، ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ يعني: وعلى الأغنياء أن يُعينوهم بشيئٍ من الزكاةِ وغيرها لسداد هذا المال لأسيادهم، وكذلك على أسيادهم أن يَضَعوا عنهم شيئاً من شروط هذه المكاتبة، (واعلم أنه سبحانه قد رَغَّبَهم في إعطائهم بقوله: ﴿مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ أي: فكما أنّ المال مالُ الله، إذاً فأحسِنوا لعباد الله، كما أحسن اللهُ إليكم).

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي لا يَجوز لكم إكراه جَواريكم على الزنى طلبًا للمال (وكيف تفعلونَ ذلك وهُنّ يُرِدْن العفة عن الحرام؟)، (واعلم أنه تعالى قال: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾) لأنه لا يُتصَوَّر إكراهها إلا بهذه الحال، وأما إذا لم تُرِدْ تَحَصُّناً فإنها تكون زانية، ويَجب على سيّدها مَنعها مِن ذلك)، ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ﴾ على الزنى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهنّ ﴿رَحِيمٌ﴾ بهنّ (والإثم على مَن أكرههنّ).

– الآية 34: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ – أيها الناس – ﴿آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أي آيات مُوَضِّحات للشرائع والأحكام والآداب ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: وَوَضَّحنا لكم قصصاً من أخبار الأمم السابقة، مِمّا فيه عبرة لكم (كقصة يوسف وقصة مريم، وهما شَبيهتان بحادثة الإفك)، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يخافونَ عذاب الله تعالى، فيؤدوا أوامره ويَجتنبوا نواهيه، (واعلم أنّ الموعظة هي ما يَتّعِظ به العبد فيَسلك به طريق النجاة).

****

3. الربع الثالث من سورة النور

– الآية 35، والآية 36، والآية 37، والآية 38: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يُخبِرُ تعالى أنه لولا نوره وهدايته لَما كان في الكون نورٌ ولا هداية، فهو سبحانه نور، وحجابه نور، وكتابه نور، وهدايته نور)، ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ – وهو الإيمان والقرآن في قلب المؤمن – ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهي العمود (أو القنديل) الذي يوضع فيه فتيلة المصباح (حتى يَجمع نور المصباح فلا يتفرق)، وهذا ﴿الْمِصْبَاحُ﴾ موضوعٌ ﴿فِي زُجَاجَةٍ﴾ (لأنها جسمٌ شفاف فتُظهِر الضوء)، وهذه ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ – لصفائها – ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي كوكب مُضيء مُشرق كالدُّر، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ يعني: والزيت الذي توقد به فتيلة المصباح قد أُحضِرَ من شجرةٍ مباركة (وهي شجرة الزيتون)، وموقع هذه الشجرة من البستان أنها: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ﴾ فقط (بحيث لا ترى الشمس إلا في الصباح)، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فقط (بحيث لا ترى الشمس إلا في المساء)، بل هي في وسط البستان، حتى تصيبها الشمس

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في كامل النهار، فلذلك كان زيتها في غاية الجودة، (يَكَادُ زَيْتُهَا) من شدة صفائه (يُضِيءُ) أي يَشتعل من نفسه (وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) (فإذا مَسَّتْه النار – لإشعال الفتيلة – أضاءَ إضاءةً بليغة).

♦ فهذا النور المجتمع في المصباح هو (نُورٌ عَلَى نُورٍ) أي نورٌ من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، وقد اختلطت هذه الأنوار في الزجاجة التي في القنديل فصارت كأنوَر ما تكون، (فذلك مَثَل الهدى الذي يُضيء في قلب المؤمن، يكاد يَعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم: زاده هدىً على هدىً ونوراً على نور، وبرهاناً بعد برهان)، (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ): أي يُوَفق اللهُ مَن يشاء لاتّباع كتابه (مِمّن عَلِمَ صِدقَ نيّته ورغبته في الإيمان)، (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) لِيَفهموا ما يدعوهم إليه، (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (ومِن ذلك عِلمه بعباده وأحوال قلوبهم، ومَن يستحق الهداية منهم ومَن لا يَستحقها) (اللهم اهدنا ولا تُضِلّنا، وثبِّتنا على الحق حتى نَلقاك).

♦ وهذا النور الذي يَهدي اللهُ به عباده موجودٌ (فِي بُيُوتٍ) أي في مساجد (أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ): يعني أَمَرَ اللهُ أن يُرْفع شأنها وبناؤها، (وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) (بالأذان والإقامة والصلاة والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن)، (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ): أي يُصلِّي للهِ في هذه البيوت – في الصباح وفي المساء – (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ) أي لا تُشغِلهم (تِجَارَةٌ) أي شراء (وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (فألسنتهم وقلوبهم ذاكرةٌ غير غافلة) (وَ) لا تُشغِلهم دُنياهم عن (إِقَامِ الصَّلَاةِ) – في أوقاتها – بخشوعٍ وسكونٍ واطمئنان (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) لمُستحقيها، (يَخَافُونَ يَوْمًا) وهو يوم القيامة، الذي (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ) بين الرجاء في النجاة والخوف من العذاب، (وَ) تتقلب فيه (الْأَبْصَارُ) فتنظر إلى أيّ مصيرٍ تكون؟

♦ وقد فعل هؤلاء الصالحون ما فعلوه مِن الذِكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة – مُعْرِضين عن كل ما يُشغلهم عن عبادة ربهم – فتأهَّلوا بذلك للثواب العظيم (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا): أي لِيَجزيهم اللهُ على جميع أعمالهم بمِثل جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه في الدنيا، (وَيَزِيدَهُمْ) سبحانه (مِنْ فَضْلِهِ) بمضاعفة حسناتهم، (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (أي بغير عدد ولا حَدّ)، بل يُعطيه مِنَ الأجر ما لا يَبلغه عمله، وذلك لِوَاسِع فضلِهِ سبحانه.

– الآية 39: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) – بتوحيد ربهم – (أَعْمَالُهُمْ) التي ظنوها نافعة لهم (كصِلة الأرحام وفِداء الأسرى وغيرها) (كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) وهو ما يُشاهَد كالماء على قاع الأرض المستوية في الظهيرة، (يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ) أي يَظنُّه العطشانُ (مَاءً) (حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) (فكذلك الكافر: يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم يجد لها ثوابًا) (وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) أي حاسبه على كل أعماله، وأعطاه جزاءه عليها كاملاً في جهنم، (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) فلا يَشغله سبحانه شيءٌ عن آخر، ولا يُتعِبُهُ إحصاءٌ ولا عدد (فما هي إلا لحظات ويكون الكافر في نار جهنم).

– الآية 40: (أَوْ) مَثَلُ أعمالهم (كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) أي في بحرٍ عميق (يَغْشَاهُ مَوْجٌ): أي يَعلوه موج، و(مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) آخر، و(مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) كثيف، (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) (إِذَا أَخْرَجَ) الناظر (يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) من شدة الظلام (فكذلك الكافر: تراكمتْ عليه ظلمات الشرك والضلال وفساد الأعمال)، (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا) – مِن كتابه وسُنّة نَبِيِّه – ليَهتدي به (فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) أي فما له مِن هادٍ يهديه من الضلال.

– الآية 41: (أَلَمْ تَرَ): يعني ألم تعلم – أيها النبي – (أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (حتى الكافر فإنه – وإنْ لم يُسَبِّح اللهَ بلسانه – فإنه يُسَبِّحه بحاله، إذ يَشهد بفِطرته أنّ اللهَ سبحانه هو الخالق القادر)، (وَالطَّيْرُ) – بصفةٍ خاصة – تراها (صَافَّاتٍ) أي تَبسط أجنحتها في السماء لتُسَبِّح ربها (وهذه هي صفة تسبيح الطير)، (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) أي:

www.alukah.net

كل مخلوق قد أرشده اللهُ كيف يُصَلّي له ويُسَبِّحه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)، (فإذا امتنع المشركون عن توحيد الله وطاعته، فإنّ اللهَ تعالى غَنِيٌّ عن عبادتهم، إذ يُسَبِّح له الملكوت العُلوي والسُفلي).

- الآية 42: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ): يعني وإليه سبحانه المَرجع يوم القيامة للحساب والجزاء.

- الآية 43، والآية 44، والآية 45: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا) أي يَسوقُ السحابَ إلى حيث يشاء (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ): أي يَجمع أجزاء السحاب بعد تفرقه (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) أي يَجعله متراكمًا فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) أي المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أي مِن بين السحاب لِيَحصل به الانتفاع، (وَيُنَزِّلُ) سبحانه (مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ): أي يُنَزِّل من السحاب - الذي يشبه الجبال في عظمته - بَرَدًا (وهو حجارة بيضاء كالثلج) (فَيُصِيبُ بِهِ) أي بذلك البَرَد (مَنْ يَشَاءُ) مِن عباده، لِيُهلِك به زرعه (بسبب ذنوبه) (وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ) (بفضله ورحمته)، (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ): أي يكاد ضوء البرق في السحاب يَخطف أبصار الناظرينَ إليه مِن شدته.

♦ ثم وَضَّحَ سبحانه بعض دلائل قدرته، لِيُبَيِّن لعباده أنه المُنفرد بالخلق والتدبير، وبأنه وحده المستحق للعبادة، فقال: (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (وذلك بمَجيء أحدهما بعد الآخر، واختلافهما طُولًا وقِصَرًا)، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ): يعني إنّ في ذلك لَدلالةً يَعتبر بها أصحاب البصائر على قدرة الله تعالى ووجوب توحيده، (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ) أي مِن نُطفة (وهو ماء الذكر) (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي) زحفًا (عَلَى بَطْنِهِ) (كالثعابين)، (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ) (كالإنسان)، (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) (كالبهائم)، (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (إذْ بعض الحيوانات لها أكثر من أربع)، (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي قادرٌ على فِعل وإيجاد ما يريد، (ألاَ فاعبدوه وحده ولا تشركوا به).

- الآية 46: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا) في هذا القرآن (آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) أي علامات واضحات مُرشِدات إلى الحق، (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي يُوَفق من يشاء - مِمّن رَغِبَ في الهداية وطَلَبَها وسَلَكَ طُرُقها - إلى طريقٍ مستقيم، وهو الإسلام (اللهم اجعلنا مِن أهله فإنك قدير).

- الآية 47: (وَيَقُولُونَ) أي يقول المنافقون - كَذِباً -: (آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا) (ثُمَّ يَتَوَلَّى) أي يُعرِض (فَرِيقٌ مِنْهُمْ) بقلوبهم عن الإيمان بالله وآياته ورسوله (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أي مِن بعد تصريحهم بالإيمان والطاعة (وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ).

- الآية 48، والآية 49، والآية 50: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) يعني: وإذا دُعوا - في خُصوماتهم - إلى ما في كتاب الله وإلى رسوله (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ) أي يُعرضوا عن التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، (وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ) يعني: وإن يكن الحق في جانبهم: (يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ): أي يأتوا إلى النبي طائعينَ مُنقادينَ لحُكمه (لِعِلمهم أنه يقضي بالحق)، (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ): يعني هل سَبَبُ ذلك الإعراض ما في قلوبهم من مرض النفاق؟، (أَمِ ارْتَابُوا): يعني أم شَكُّوا في نُبُوّة محمد صلى الله عليه وسلم؟، (أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ): يعني أم يخافونَ أن يكون حُكم اللهِ ورسوله غير عادل؟!، والجواب: (كلا إنهم لا يخافون ذلك) (بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ): يعني بل السبب أنهم هم الظالمون، لأنهم يَعلمون أنّ حُكم الرسول سيكون عادلاً، فلذلك يخافون أن يأخذ منهم ما ليس لهم فيه حقٌ، ويُعطيه لخصومهم.

- الآية 51: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ) يعني إلى كتاب الله (وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) في خُصوماتهم (أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا) ما قيل لنا (وَأَطَعْنَا) مَن دَعانا إلى التحاكم، وقَبِلنا حُكم رسولنا (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أي الفائزونَ بجنات النعيم.

– الآية 52: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأمر والنهي، ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ أي يَخَافُ أن يُعاقبه اللهُ على ما مَضَى مِن عُمره في المعصية، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: أي يَحذر الوقوع في مَعصيته في المُستقبل: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالنجاة من النار ودخول الجنة.

****

4. الربع الأخير من سورة النور

– الآية 53: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي أقسَمَ المنافقون لك – أيها الرسول – بأغلظ الأيمانِ بأنك ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج للجهاد معك ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا تُقْسِمُوا﴾ كَذِبًا، ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾: أي فطاعتكم معروفة أنها باللسان فقط، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وسيُجازيكم على أعمالكم.

– الآية 54: ﴿قُلْ﴾ – أيها الرسول – للناس: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يعني فإن تتولوا (والمعنى: فإن تُعرِضوا عن الطاعة وتَرفضوها): ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾: يعني فإنما على الرسول أن يَفعل ما أُمِرَ به مِن تبليغ الرسالة وبَيانها قولاً وعملاً، ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ أي: وعلى الجميع وجوب الانقياد والطاعة، والعمل بشرع اللهِ تعالى، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿تَهْتَدُوا﴾ إلى الحق، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي البلاغ الواضح لرسالة ربه، وليس عليه هداية القلوب، لأنها بيد اللهِ وحده (إذاً فاطلبوها منه تعالى بصِدقٍ وتضرع).

– الآية 55، والآية 56: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بأنه سبحانه ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي سيُوَرِّثهم أرض المشركين ويَجعلهم خلفاء فيها بعد أن يَنصرهم عليهم ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: يعني كما فعل ذلك مع مَن سَبَقوهم من المؤمنين، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ يعني: وسيَجعل دينهم الذي ارتضاه لهم – وهو الإسلام – دينًا عزيزًا ذي مكانةٍ عالية (بأن يُظهِره على سائر الأديان، ويَحفظه من الزوال) ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: أي سوف يُبَدِّل سبحانه حالهم من الخوف إلى الأمن.

♦ واعلم أنّ هذه الآية قد نزلت بالمدينةِ والمسلمون خائفون، لا يَقدر أحدهم أن يَنام وسَيْفُهُ بعيدٌ عنه، وذلك بسبب شدة الخوف من الكافرين والمنافقين، حتى أنجز اللهُ لهم وَعْده، فنَصَرهم على أعدائهم واستخلفهم في أرضهم، وبَدَّلَهم بعد خوفهم أمناً، ولقد صَدَقَ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لأصحابه – كما في صحيح البخاري –: (واللهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمر – أي الإسلام – حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حَضْرَمَوت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون).

♦ ثم وَضَّحَ سبحانه سبب نَصْره وتمكينه لهؤلاء المؤمنين فقال: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد ذلك النصر والأمن والتمكين، وجَحَدَ نِعَمَ الله عليه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الخارجون عن طاعة الله تعالى.

♦ واعلم أنّ العبادة قد عرَّفها ابن تَيْمِيَة رحمه الله بأنها: (هي اسمٌ جامع لكل ما يُحبه اللهُ ويَرضاهُ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)، وعَرَّفها ابن القَيِّم رحمه الله بأنها: (هي كمال الحب مع كمال الذل).

♦ ثم وَضَّحَ لهم سبحانه أهم أركان هذه العبادة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي في أوقاتها (بخشوعٍ واطمئنان) ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ لمُستحقيها ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي ليَرحمكم الله تعالى في دُنياكم وآخرتكم فلا يُعَذبكم فيهما، (وفي هذا إشارة إلى أهمية السُنّة ووجوب اتّباعها وعدم التفريط فيها).

www.alukah.net

- الآية 57: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ أيها الرسول أنّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني إنهم لن يُعجزوا الله تعالى إذا حاولوا الهرب في الأرض، وإنه سبحانه قادرٌ على إهلاكهم في الدنيا قبل الآخرة (كما حدث ذلك في بدر) ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ أي: ومَرجعهم في الآخرة إلى النار ﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، (واعلم أنّ الآية تَحمل تصبيراً للنبي صلى الله عليه وسلم).

- الآية 58: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ أي مُرُوا عبيدكم وجَواريكم والأطفال الأحرار الذين لم يَبلغوا سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ وهي أوقات عوراتكم الثلاثة: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ لأنه وقت الخروج مِن ثياب النوم ولِبْس ثياب اليقظة، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ وهو وقت خلع الثياب في الظهيرة للاستراحة أو النوم، ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لأنه وقت النوم، فهذه الأوقات هي ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ أي يَقِلّ فيها التَستُّر، و﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾: يعني أمّا في غير هذه الأوقات فلا حرجَ عليهم ولا عليكم إذا دخلوا بغير إذن (لحاجتهم في الدخول عليكم)، لأنهم ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي يَدخلون ويَخرجون عليكم للخدمة، ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: بعضكم لابد أن يدخل على بعض (فأنتم تدخلون عليهم لطلب حاجتكم، وهم يدخلون عليكم للخدمة)، فلذلك لا حرج عليكم في غير هذه الأوقات الثلاثة، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ﴾ يعني: وكما بيَّن اللهُ لكم أحكام الاستئذان، فكذلك يُبَيِّن لكم الآيات المتضمنة للشرائع والأحكام والحُجَج والآداب، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يُصلِح خَلْقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبير أمورهم.

- الآية 59: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾ (وهو سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية): ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ – إذا أرادوا الدخول عليكم – في كل الأوقات ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كما يَستأذن الكبار (لأنهم أصبحوا مُكَلَّفين مِثلهم)، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ﴾ المتضمنة لأحكامه وشرائعه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يَحتاجه خَلْقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تشريعاته لهم، (لِذا فعَلَى عباده أن يُطيعوه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه).

- الآية 60: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ يعني: والعجائز من النساء اللاتي قَعَدنَ – أي يَئِسنَ – من الزواج والحمل والحيض لكِبَر سِنِّهِنّ (فلا يَرغبنَ في الرجال للزواج، وكذلك لا يَرغب فيهنّ الرجال) ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾: أي فليس على هؤلاء النساء إثم في ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي يَتخففنَ مِن بعض ثيابهنّ الظاهرة (كالعَباءة التي تكون فوق الثياب، والقناع الذي فوق الوجه، والخمار الذي فوق حجاب الرأس)، بشرط أن يَكُنّ ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾: يعني غير مُظهِراتٍ للزينة (كالثياب الضيقة أو الشفافة، أو وَضع الكُحل والعِطر وما يُعرَف بـ "أحمر الشفتين"، وغير ذلك مما هو زينة يَجب سِتره)، ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ يعني: ولُبْسهن لهذه الثياب – سِترًا وتعففًا – أمام غير المحارم: أحسن لهنّ.

♦ وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيه تحذيرٌ لهؤلاء القواعد من التوسع في الرخصة التي أباحها اللهُ لهنّ، أو جَعْلها وسيلة لما لا يحُمَد عُقباه، فلَفْظ (السميع) لتذكيرهنّ بأنه سبحانه يَسمع ترقيق أصواتهنّ أمام الرجال، وكذلك يَسمع ما تحدثهنّ به أنفسهنّ من المقاصد والنوايا، ولَفْظ (العليم) لتذكيرهنّ بأنه سبحانه يَعلم أحوال وضعهنّ للثياب وتبرجهنّ وغير ذلك.

- الآية 61: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: أي ليس على أصحاب هذه الأعذار إثم ولا حرج في الأكل مِن بيوت المسلمين (لأنهم غير قادرين على التَكسُّب)، وكذلك لا حرج عليهم في الأكل مع الأصِحَّاء، (وذلك لأن أصحاب الأعذار شعروا بالحرج من الأكل مع الأصِحَّاء، خوفاً من أن يكون الأصِحَّاء يَتأذّون منهم فآلَمَهُم ذلك، فأنزل اللهُ هذه الآية ليَرفع الحرج عنهم)، ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ – أيها المؤمنون – حرجٌ في ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ

بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آَبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ) (أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ): يعني أو أن تأكلوا من البيوت التي وُكِّلتم بحِفظها في غياب أصحابها، (أَوْ صَدِيقِكُمْ): يعني أو أن تأكلوا من بيوت الأصدقاء، و(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا): أي لا حرج عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين (يعني: كل واحد بمفرده)، إذ كان بعضهم يَتحرج من الأكل بمفرده.

♦ واعلم أنه لا ينبغي أن يُفهم مِن كلمة: (مجتمعِين) أن يأكل النساء مع رجالٍ غير أزواجهنّ ومَحارمهنّ، فإنّ هذا لا يَجُوز، قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)، (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا) – مسكونة أو غير مسكونة – (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) أي: فليُسَلِّم بعضكم على بعضٍ بتحية الإسلام، وهي: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، (أو: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) (إذا لم يوجد فيها أحد).

♦ وقد كانت هذه التحية التي شرعها اللهُ لكم (تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) لأنه هو الذي شَرَعها وأمَرَ بها، (مُبَارَكَةً) أي تعود بالنفع والخير على الجميع، (طَيِّبَةً) أي محبوبة للسامع، (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ) والأحكام (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أي لتعقلوا هذه الآيات وتعملوا بها.

♦ واعلم أنه قد ثَبَتَ في صحيح مُسلِم دعاء دخول المَنزل، وهو أن يقول المؤمن: "اللهم إني أسألك خير المَوْلَج – (أي: خير المَدخل) – وخير المَخرج، بسم الله وَلَجنا – (أي: دَخَلنا) – وبسم الله خَرَجنا وعلى الله ربنا توكلنا"، ثم يُسَلّم على أهله.

– الآية 62: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) حقًّا هم (الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ): يعني إذا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على أمرٍ جَمَعَهم له في مصلحة المسلمين: (لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ): أي لم يَنصرف أحدٌ منهم حتى يَستأذن النبي صلى الله عليه وسلم، (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ) – أيها الرسول – (أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) حقًّا، (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) أي لأجل بعض حاجتهم (فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) أي ائذن لمن طلب الانصراف لعذر، (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ) لأنّ عُذرهم قد يكون غير مُبيح للاستئذان، (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لذنوب عباده التائبين، (رَحِيمٌ) بهم.

– الآية 63: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) يعني: لا تقولوا – أيها المؤمنون – عند ندائكم لرسول الله: يا محمد، كما تنادونَ بعضكم، ولكن شرِّفوه، وقولوا: (يا رسول الله)، (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ) المنافقين (الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ) ليَخرجوا من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذنه (لِوَاذًا) أي يَستر بعضهم بعضاً، (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) صلى الله عليه وسلم (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) أي تنزل بهم مِحنة وشر أو أن يُضِلّ اللهُ قلوبهم فيكفروا (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) في الآخرة، (وفي هذا دليل على أنّ المتجرىء على الاستهانة بسُنّة الرسول صلى الله عليه وسلم يُخشَى عليه مِن سُوء الخاتمة).

– الآية 64: (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) – خَلقاً ومُلكاً وتصرُّفاً وتدبيراً – فهو سبحانه يتصرف كما يشاء، ويَحكم ما يريد (ومِن ذلك أمْرُهُ تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والتحذير من مخالفة أمْره)، (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ): أي قد أحاط عِلْمه سبحانه بجميع ما أنتم عليه، (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) أي جميع الخلق يوم القيامة (فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا) ويُجازيهم على أعمالهم (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

♦ واعلم أنّ كلمة: (قد) المذكورة في قوله تعالى: (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)، وفي قوله تعالى: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ) جاءت هنا للتأكيد والتقرير، إذ هي تأتي أحياناً للتقليل، وتأتي أحياناً للتكثير.

www.alukah.net

تفسير سورة الفرقان كاملة

1. الربع الأول من سورة الفرقان

- الآية 1، والآية 2: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾: أي عَظُمَتْ بركات الله تعالى، وكَثُرَتْ خيراته، فهو الذي نَزَّلَ القرآن الفارق بين الحق والباطل ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي ليكون مُخَوِّفًا للإنس والجن من عذاب اللهِ ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ - لغِناهُ سبحانه عن ذلك - ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ أي أعطى كل مخلوق ما يُناسبه من الخَلق، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي أعطاهُ خَلْقَه اللائق به على أحسن صُنع ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ يعني أرشَدَ كل مخلوق إلى الانتفاع بما خَلَقَه له.

- الآية 3: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾: أي اتّخذ المشركون معبوداتٍ باطلة لا تستطيع أن تخلق شيئاً (وإنْ صَغُر)، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني: بل هي مصنوعةٌ مِن حجارة، فكيف إذاً يَعبدونها؟!، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (فكيف لها أن تَنفع عابِدِيها أو تَضُرّ مَن لم يَعبدها؟!)، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾: أي لا تستطيع هذه المعبودات أن تَسلب حياة المخلوقات، أو أن تُوجِدهم من العدم، أو أن تُطِيلَ أعمارهم حينَ يأتي أجَلهم، أو أن تبعثهم أحياءً من قبورهم.

- الآية 4: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾ أي ما هذا القرآن إلا كَذِبٌ اختلقه محمد ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آَخَرُونَ﴾ ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي لقد ارتكبوا ظلمًا فظيعًا، وقالوا كذباً قبيحاً، فالقرآن لا يستطيع أن يقوله بَشَر (وهُم يعلمونَ هذا لأنهم أبلغ البشر)

- الآية 5، والآية 6: ﴿وَقَالُوا﴾ عن القرآن: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾ أي قصص الأولين المُسَطَّرة في كُتُبهم، وقد نَقَلَها محمدٌ منهم ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي فهي تُقْرَأ عليه صباحًا ومساءً، فرَدّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعني إنّ الذي أنزل القرآن هو اللهُ الذي أحاطَ عِلْمه بما في السماوات والأرض، ويَعلم ما يُسِرُّون وما يُعلِنون، ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب من الشِرك به وجحود رسالته، ﴿رَحِيمًا﴾ بهم حيث لم يُعاجلهم بالعقوبة، (فلولا أنّ رحمته سبقتْ غضبه لأهلَكَ مَن كَفَرَ به).

♦ ويُذَكِّرني قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بقول البرُوفِيسُور "يوشيودي كوزان" (مُدير مَرصَد طُوكيُو): (إنَّ هذا القرآن يَصِفُ الكونَ مِن أعلى نقطةٍ في الوجود، فكل شيء أمامه مكشوف، إنَّ الذي قال هذا القرآنَ يرى كل شيء في هذا الكون، فليس هناك شيءٌ قد خَفِيَ عليه).

- من الآية 7 إلى الآية 9: ﴿وَقَالُوا﴾: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾؟ يعني: ما لهذا الذي يَزعم أنه رسول (يقصدون محمدًا صلى الله عليه وسلم) يأكل الطعام مِثلنا ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لطلب الرزق؟ ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ يعني: هَلاّ أرسَلَ اللهُ معه مَلَكًا لِيَشهد على صِدقه، ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ من السماء ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ أي حديقة عظيمة ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ لتكون دليلاً على اعتناء الله به؟، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أي قال السادة لِمَتبُوعيهم: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ أي: ما تَتَّبعونَ إلا رَجُلاً قد أصابه السِحرُ فأصبح مَخدوعاً به، فلا تتأثروا بكلامه ولا تلتفتوا إليه.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: أي تَعَجَّبْ أيها الرسول مِن قولهم عنك بأنك ساحر، حتى يُلقوا الشُكوك حولك، باحثينَ بذلك عن طريقٍ يُخَلِّصهم مِن دعوة التوحيد، ولكنهم لن يستطيعوا، ولهذا قال تعالى: ﴿فَضَلُّوا﴾ أي ضَلُّوا عن طريق الحق بسبب هذه الأقوال الكاذبة ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: فلا يَجدونَ طريقاً يَرجعونَ به إلى الحق الذي تَركوه، أو يَتمكنوا به مِن صَرْف الناس عن دَعْوَتك (والذي أوْقعهم في ذلك كِبْرهم وعِنادهم).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- من الآية 10 إلى الآية 14: ﴿تَبَارَكَ﴾ اللهُ العظيم ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ﴾ – أيها الرسول - ﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ الذي يَطلبونه منك، إذ لو شاء سبحانه لَجَعَلَ لك في الدنيا ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي حدائق كثيرة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ عظيمة، ولكنه سبحانه لم يَشأ ذلك في الدنيا، لأنها دارُ عمل، وليست دارُ جزاء وراحة ونعيم، والخير فيما يشاؤه سبحانه.

♦ وما كَذَّبوك لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ – عِناداً – ﴿بِالسَّاعَةِ﴾ التي تقوم فيها القيامة، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ أي نارًا حارة تُوقَد عليهم وتَغلي بهم، و﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ هذه النار يوم القيامة ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ أي سمعوا صوت غليانها وغيظها منهم، ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾: يعني إذا أُلقوا في مكانٍ شديد الضِيق من جهنم، ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ يعني: وقد قُيِّدَت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: أي دَعَوْا على أنفسهم بالهلاك للخَلاص من ذلك العذاب، فحينئذٍ يُقالُ لهم تيئيسًا وتحسيراً: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي لا تَدعوا اليوم بالهلاك مرة واحدة، بل ادعوا مراتٍ كثيرة، فإنه لا خَلاصَ لكم.

- الآية 15، والآية 16: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿أَذَلِكَ﴾ يعني أهذه النار التي وُصِفتْ لكم ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ يعني أم جنة النعيم الدائم ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي التي وَعَدَ اللهُ بها الخائفين من عذابه، ﴿كَانَتْ﴾ الجنة ﴿لَهُمْ جَزَاءً﴾ على أعمالهم، ﴿وَمَصِيرًا﴾ يَرجعون إليه في الآخرة، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ مِن كل ما تشتهيه أنفسهم مِمَّا لَذَّ وطابَ من المطاعم والمشارب والملابس والمراكب وغير ذلك مِمَّا لم يَخطر على قلب بَشَر، (وهذا هو مُنتهَى الإكرام، إذ كَون العبد يَجد كل ما يَشتهي، هو نعيمٌ ليس بعده نعيم)، ﴿خَالِدِينَ﴾ أي متاعهم فيها دائم، ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ أي كان دخولهم الجنة وعدًا مسؤولاً على ربك – أيها الرسول – يسأله عليه عباده المتقون يوم القيامة قائلين: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾، والملائكة تقول: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾، فيُنجز اللهُ لهم وعده، والله لا يُخلف الميعاد.

- الآية 17: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ أي اذكر أيها الرسول يوم يَحشر الله المشركين مع آلهتهم التي كانوا يعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كالملائكة والأنبياء والأولياء والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ اللهُ لهؤلاء – الذين عَبَدهم المشركون –: ﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ عن طريق الحق، وأمَرتموهم بعبادتكم؟، ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ يعني: أم هم الذين ضَلّوا طريق الحق فعبدوكم مِن عند أنفسهم؟ (واعلم أنّ هذا الاستفهام غرضه التقرير والشهادة على المشركين).

- الآية 18، والآية 19: ﴿قَالُوا﴾ أي قال المعبودون من دون الله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي تنزيهًا لك يا ربنا عَمَّا فعل هؤلاء، فـ ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي لا يَصِحُّ أن نَتَّخِذ تابعينَ لنا نأمرهم بعبادتنا وترْك عبادتك ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ بطول الأعمار وسعة الأرزاق، فانغمسوا في الشهوات والمَلَذّات ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي حتى نَسوا ذِكْرك وعبادتك وما جاءتهم به رُسُلك، ﴿وَكَانُوا﴾ بذلك ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي قومًا هالكينَ خاسرين، فحينئذٍ يُقال للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾: أي لقد كَذَّبكم الذين عبدتموهم في ادّعائكم عليهم، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾: أي فها أنتم الآن لا تستطيعون دَفْعًا للعذاب عن أنفسكم، ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ أي: ولا تجدون مَن يَنصركم فيَمنع عنكم العذاب، ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أيها الناس، بأن يُشرك بربه – فيَعبد غيره ويَمُت على ذلك –: ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي نُعَذّبه عذابًا شديدًا في جهنم.

- الآية 20: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ – أيها الرسول – أحدًا ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ مِثلك ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ إذاً فلا تهتم بقول المشركين لك: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام)، فإنهم يَعرفون ذلك ولكنهم يُعاندون، ﴿وَجَعَلْنَا

www.alukah.net

﴿بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ﴾ – أيها الناس– ﴿فِتْنَةً﴾ أي ابتلاءً واختبارًا بالغِنى والفقر، والصحة والمرض وغير ذلك (فالفقير يقول: ما لي لا أكون كالغني؟، والمريض يقول: مالي لا أكون كالصحيح؟، وكذلك فإنّ الغني مُبتلَى بإعطاء الفقير، وهكذا).

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ يعني: هل تصبرون على هذه الابتلاءات، وتصبرون على القيام بما أوجبه الله عليكم أو لا تصبرون؟، (واعلم أنّ هذا الاستفهام غرضه الحث على الصبر والأمر به، فهو مِثل قوله تعالى – عندما حَرَّم الخمر والميسر – : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾؟، أي: انتهوا عمَّا حرّم الله)، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يَسخَط أو يصبر، ومن يَكفر أو يَشكر، فيَجزي الصابرين أجرهم بغير حساب، ويَجزي الساخطين بما يَستحقون من العذاب.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ يَحمل تصبيراً للرسول صلى عليه وسلم والمؤمنين، مِن أجل ما يُلاقونه مِن عِناد المشركين وأذاهم.

****

2. الربع الثاني من سورة الفرقان

– الآية 21: ﴿وَقَالَ﴾ المُكذِّبون ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي الذين لا ينتظرون لقائنا في الآخرة (لأنهم لا يؤمنون بذلك): ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: هَلاّ أنزل اللهُ علينا الملائكة، لتُخبِرنا بأنّ محمدًا صادق ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ فيُخبرنا بصدق رسالته.

♦ ثم وَضّحَ سبحانه سبب جُرأتهم على هذا القول بقوله: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني إنهم أخفوا التكبر عن قبول الحق فى أنفسهم المغرورة، فلذلك لجأوا لتلك المَطالب على سبيل العِناد ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ أي تجاوزوا الحدَّ في طغيانهم وكُفرهم.

– الآية 22: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ – عند الاحتضار، وفي القبر، وفي القيامة – ولكنْ ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾: أي لن تبشرهم الملائكة بالجنة، بل ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لهم: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾: أي حراماً مُحَرّماً عليكم أن تدخلوا الجنة، (واعلم أنّ كلمة (مَحجوراً) هي صفة مؤكِّدة للمعنى).

– الآية 23: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ مِن أعمال الخير والبر – كَصِلة الرحم وإطعام الطعام وفَكّ الأَسرَى وغير ذلك – ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (وهو الغبار الخفيف الذي يُرَى في ضوء الشمس)، وذلك لأن العمل لا ينفع في الآخرة إلا إذا توفرت في صاحبه هذه الشروط: (الإسلام، وإخلاص العمل لله وحده، واتّباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم).

– الآية 24: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من أهل النار ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي أحسن منزلاً في الجنة، (فراحتهم تامة، ونعيمهم لا يُكدَّر، وسعادتهم لا تَنقص).

♦ وهنا قد يقول قائل: كيف وَصَفَ اللهُ الجنة بأنها ﴿أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي مِن النار، ولا خيرَ أصلاً في النار حتى تُقارَن بالجنة؟

– والجواب: أنّ هذا من باب قول العرب: (الشقاء أحبّ إليك أم السعادة؟) وقد عُلِمَ أنّ السعادة أحَبُّ إليه.

– الآية 25: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾: أي اذكر أيها الرسول يوم القيامة، حينَ تتشقق السماء، ويَظهر من فتحاتها السحاب الأبيض الرقيق الذي يُشبه الضباب، ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ من السماوات، حتى يُحيطوا بالخلائق في أرض المَحشر، ويأتي اللهُ تبارك وتعالى لفصل القضاء بين العباد، إتيانًا يليق بجلاله وكماله.

– الآية 26: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ يعني: المُلْك الحق في هذا اليوم يكونُ للرحمن وحده دونَ غيره، (إذ لم يَبقَ لملوك الأرض شيءٌ من المُلك)، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ أي صعبًا شديدًا (لِما فيه من العذاب والأهوال)، (ويُفهَم مِن ذلك أن هذا اليوم يكونُ على المؤمنين غيرَ عسير، بل يكونُ سهلاً خفيفاً عليهم).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 27، والآية 28، والآية 29: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) (نَدَمًا وحسرةً على ما قَدَّمَ في حق الله تعالى)، فـ (يَقُولُ): (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) يعني: يا ليتني اتَّبعتُ الرسولَ محمدًا صلى الله عليه وسلم، واتّخذتُ الإسلام طريقًا إلى الجنة، ثم يَتحسَّر قائلاً: (يَا وَيْلَتَى) يعني: يا هَلاكِي (والمقصود أنه يَدعو على نفسه بالهلاك والموت، لمُشاهدته لعَظائم الأهوال وما يَنتظره من أصناف العذاب)، ويقول: يا (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ) الكافر (فُلَانًا خَلِيلًا) أي صديقًا أتّبعه وأُحِبُّه، فـ (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ) أي عن القرآن وما فيه من الهدى (بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) من ربي، (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) أي يَخذله عند حاجته إليه (والمقصود أنه يُوَرِّطه ثم يتخلى عنه)، (وفي هذه الآيات تحذير من مصاحبة صديق السوء، فإنه يؤدي بصاحبه إلى النار).

♦ واعلم أنّ في هذه الآيات دليل على أنّ العِبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لأن الآية نزلتْ في "عُقبة بن أبي مُعَيْط" عندما أسلم، ثم لامَهُ صديقه المُشرِك "أُبَيّ بن خَلَف" على إسلامه، فأطاعه "عُقبة" وارتد عن الإسلام، فهو النادم المتحسر في الآية، ومع هذا فإن الله قال: (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا)، ولم يَذكر اسم "أُبَيّ بن خَلَف"، لتَبقى الآية على عمومها في كل زمان.

- الآية 30: (وَقَالَ الرَّسُولُ) - شاكيًا لربه ما صَنَعَ قومه -: (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) أي هَجَروا القرآن، وتركوا تدبُّره والعمل به وتبليغه، (وفي الآية تخويف عظيم لمن هَجَرَ القرآن ولم يَعمل به).

- الآية 31: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) يعني: وكما جعلنا لك - أيها الرسول - أعداءً مِن مُجرِمي قومك، فكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوًا مِن مُجرِمي قومه، فاصبر كما صَبَرَ هؤلاء الأنبياء (وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا) إلى طريق الفوز والنجاة (وَنَصِيرًا) لك على أعدائك، (وفي هذا تصبير للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يُلاقيه مِن أذى قومه).

- الآية 32: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا): (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) يعني: هَلاّ أُنزِلَ القرآن على محمد دُفعةً واحدة (كما نَزَلت التوراة والإنجيل)، فرَدّ اللهُ عليهم بقوله: (كَذَلِكَ) يعني كذلك أنزلناه آية بعد آية - بحسب الحوادث والأحوال - (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ): أي لنُقَوِّي به قلبك أيها الرسول، حتى تتحمل أعباء الرسالة، وتزداد به طمأنينةً أنت وأصحابك، (إذ كلما نَزَلَ قرآن: ازدادَ المؤمنون إيماناً، فقلوبهم تحيا بالقرآن، كما تحيا الأرض بالمطر)، (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا): أي قرأناه عليك في تمهُّل، (ويُحتمَل أن يكون المعنى: أنّ الله أنزله مُرَتّلاً (أي شيئاً بعد شيء)، ليَتيَسّر حِفظه وفَهمه والعمل به).

- الآية 33، والآية 34: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) أي: لا يأتيك المشركون بشُبهةٍ معينة أو اقتراح معين - كقولهم: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟)، وقولهم: (لولا نُزِّلَ عليه القرآن جُملةً واحدة) - (إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا): يعني إلا جئناك بالجواب الحق - الذي يَقطع حُجَّتهم - وبأحسن بيان له، (وهذا أحد أسباب نزول القرآن شيئاً بعد شيئ، أنهم كلما شَكَّكوا في شيء، يَنزل القرآن بإبطال شُبهتهم، وإقامة الحُجّة عليهم).

♦ أولئك المشركون هم (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ) أي تَسحبهم الملائكة على وجوههم (إِلَى جَهَنَّمَ)، و(أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا) أي: هُم شَرُّ الناسِ مَنزلةً (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) يعني: وهُم أبعد الناس عن طريق الحق.

- الآية 35، والآية 36: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) وهو التوراة (وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا) أي جَعَلناهُ مُعِينًا له على تبليغ الرسالة، (والمقصود مِن أنّ هارون وزير أي يَشُدّ أزْر موسى (يعني يُقوِّيه ويَتحمل معه أعباء الدعوة))، (فَقُلْنَا) لهما: (اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) (وهُم فرعون وقومه) الذين كذَّبوا بأدلة توحيد الله تعالى، التي جاءهم بها يوسف عليه السلام، (كما

www.alukah.net

قال تعالى - حِكايةً عن مؤمن آل فرعون -: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾)، فذَهَب موسى وهارون إليهم فكذَّبوهما أيضاً ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أي تدميراً عظيمًا، حيثُ أغرقناهم جميعاً في البحر.

- الآية 37: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ أي لمَّا كذبوا نوحاً عليه السلام (لأنّ مَن كَذَّبَ رسولاً فقد كَذّبَ الرُسُل جميعًا، إذ دعوتهم واحدة وهي التوحيد)، فحينئذٍ ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ أي عِبرة عظيمة على إهلاك المشركين وإنجاء المُوَحِّدين، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي أعَدَّ اللهُ للمشركينَ الظالمين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في جهنم.

- الآية 38: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾ أهلكناهم عندما كذَّبوا رُسُلهم ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ (وهُم أصحاب البئر، الذين قتلوا نَبِيَّهم وألقوه في البئر فأهلكناهم)، ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ يعني: وأهلكنا أممًا كثيرة - بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب البئر - لا يَعلمهم إلا الله.

- الآية 39: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ يعني: وكل الأمم قد وضّحنا لهم الأدلة والبراهين، ومع ذلك لم يؤمنوا، ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: أي أهلكناهم بالعذاب إهلاكًا عظيماً.

- الآية 40: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾: أي لقد كان مُشرِكو "مكة" يَمُرّون في أسفارهم على قرية قوم لوط التي أُهلِكَت بالحجارة من السماء، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾؟! (بلى لقد رأوها)، ﴿بَلْ﴾ مَنَعهم من الاعتبار بها أنهم ﴿كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أي كانوا لا يَنتظرون مَعادًا يوم القيامة يُجازون فيه على أعمالهم، فلذلك لم تنفعهم المواعظ ولم تؤثر فيهم العِبَر.

- الآية 41، والآية 42: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يعني: إذا رآك هؤلاء المشركون - أيها الرسول - استهزؤوا بك قائلين: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ يعني: أهذا الذي يَزعم أنّ الله بعثه رسولاً إلينا؟ ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي لقد قارَبَ أن يَصرفنا عن عبادة أصنامنا بقوة حُجَّته وبيانه ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ يعني: لولا أننا ثَبَتْنا على عبادتها، ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ في الآخرة: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يعني مَن أضَلُّ دينًا؟ أهُم أم محمد صلى الله عليه وسلم؟

- الآية 43، والآية 44: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أيها الرسول ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي جَعَل طاعته لهواه كطاعة المؤمن لله ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حتى تردَّه إلى الإيمان؟! ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ القرآنَ سَماعَ تدبُّر ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ أي يَتفكرونَ فيه ليَهتدوا؟! ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: ما هم إلا كالبهائم في عدم الانتفاع بما يسمعونه ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يعني: بل هم أضَلّ طريقًا منها (لأن الأنعام تعرف طريق مَرعاها وتستجيب لنداء راعيها، أما هم فقد جَهلوا ربهم الحق، ولم يستجيبوا لنداء رسوله).

- الآية 45، والآية 46: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ يعني ألم تَرَ إلى صَنيعِ ربك ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أي مَدَّهُ في الكون (منذ طلوع الفجر إلى شروق الشمس)؟، ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ سبحانه ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي ثابتًا مستقرًا لا تزيله الشمس، ولكنه جعل أحواله متغيرة (لِتُعرَف به ساعات النهار وأوقات الصلوات، وغير ذلك من مصالح العباد)، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي جعلنا الشمس علامة على وجوده (إذ لولا الشمس: ما عُرِفَ الظل)، ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي أزلنا الظل شيئاً فشيئاً بضوء الشمس (إذ كلما ازداد ارتفاع الشمس: ازداد نقصان الظل، حتى يَنتهي ويَحِلّ مَحلّه الظلام)، (وهذا من الأدلة على قدرة الله تعالى وحِكمته، وعنايته بمصالح خلقه، وأنه وحده الذي يَستحق أن يَعبدوه).

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ فيه تشبيهٌ للظل بثوبٍ بَسَطَه صاحبه ثم طَواهُ، فسبحان الخلّاق القدير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– الآية 47: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي ساتراً يَستركم بظلامه (كما تَستركم الثياب)، ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي جعل سبحانه النوم راحةً لأبدانكم ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ أي جعل النهار لتنتشروا في الأرض، وتسعوا في طلب رزقكم. ♦ واعلم أنّ المقصود بوصف النهار بالنشور (وهو البَعث)، أنّ الله جعل النهارَ حياةً بعد وفاة النوم (إذ النوم بالليل كالموت، والانتشار بالنهار كالبعث)، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا استيقظ مِن نومه: "الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور".

– الآية 48، والآية 49: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ (التي تحمل السحاب)، لتكونَ ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي لتُبَشِّر الناس بالمطر (رحمة منه سبحانه)، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (والماء الطهور هو الماء الطاهر، الذي يَتطهر به الناس من النجاسات)، وقد أنزلناهُ ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾: أي لنُخرج به النبات في مكانٍ يابس ميت، ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ أي: ولِنُسْقي بذلك الماء كثيرًا مِمّن خَلَقنا من الحيوانات والناس، (ففي إنزال اللهِ للماء، وفي هداية خَلقه لتناوله، وفي إحياء الأرض المَيّتة به، دليلٌ على استحقاق الله وحده للعبادة، وأنه القادرُ على بَعث الخلائق بعد موتهم).

– الآية 50: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي أنزلنا المطر على أرضٍ دونَ أخرى ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي ليَتذكر الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم فيشكروه، وليَتذكر الذين مُنِعوا المطر مَعصيتهم، فيُسارعوا بالتوبة إلى ربهم، ليَرحمهم ويَسقيهم، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي فلم يَقبل أكثر الناس إلا الجحود بنعمنا عليهم، كقولهم: (مُطِرْنا بفضل كوكب كذا وكذا).

– الآية 51، والآية 52: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ (يَدعوهم إلى توحيد ربهم ويُنذرهم عذابه)، ولكننا جعلناك – أيها الرسول – مَبعوثاً إلى جميع أهل الأرض، وأمَرناك أن تُبَلّغهم هذا القرآن، ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في ترْك شيءٍ مِمّا أرسلناك به، بل ابذل كل جهدك في تبليغ الرسالة ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي بهذا القرآن وما فيه من الحُجَج والأدلة ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

****

3. الربع الأخير من سورة الفرقان

– الآية 53: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي خَلَطَ البحرين (يعني جَعَلهما يجريان معاً في مكانٍ واحد)، فـ ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ أي عذبٌ سائغٌ شُربه، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي شديد الملوحة لا يُشرَب، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي حاجزًا يَمنع كل واحدٍ منهما من إفساد الآخر (رغم أنهما مختلطان)، ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ أي: وحراماً مُحَرَّماً أن يَصل أحدهما إلى الآخر.

– الآية 54، والآية 55: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ أي خَلَقَ مِن مَنِيِّ الرجل: ﴿بَشَرًا﴾ (ذكورًا وإناثًا) ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي: فنَشَأَ مِن هذا البَشَر قَرابة النَسَب وقَرابة المُصاهَرة (بالزواج)، (ويُحتمَل أن يكون المعنى: أنه سبحانه أنشأ من هذه النُطفة: ذَكَراً وأنثى، فالذكَر يُنسَب إليه الأبناء، والأنثى يُصهَر إليها (أي يُتزوَّج منها لتُنجِب الأبناء)، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ على خَلق ما يشاء، (واعلم أنّ أصهار الرجل هم أقارب زوجته).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: ورغم هذه الأدلة على قدرة الله وإنعامه على خلقه، فإنّ الكفار يَعبدون من دون اللهِ ﴿مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إنْ عَبَدوه، ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ إنْ ترَكوا عبادته، ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ أي مُعيناً للشيطان على معصية الرحمن.

– الآية 56، والآية 57: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ أيها الرسول ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين من النار، أمّا هداية القلوب فهي إلى الله وحده، (إذ يَهدي سبحانه مَن طَلَبَ الهداية بصِدق، وسَعَى في تحصيل أسبابها)، (ولا يُضِلُّ سبحانه إلا مَن رَغِبَ في الضلال، وسَعَى إليه وأحَبَّه)، ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لمُشرِكي قومك: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أي لا أطلب منكم

www.alukah.net

أجرًا على تبليغ رسالة ربي ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يعني: لكنْ مَن أراد أن يَسلك طريق الحق ويُنفق في سبيل ربه، فإنما هو خيرٌ لنفسه.

- الآية 58، والآية 59: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾ أي صاحب الحياة الكاملة (التي تليق بجلاله) ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (وكُلُّ حَيٍّ غيره مَسبوقٌ بالعدم ويَلحقه الفَناء)، (واعلم أنّ التوكل هو الاعتماد على اللهِ تعالى - مع الأخذ بالأسباب - ولكنْ مع تعلق القلب بمُسَبّب الأسباب (فالجَوارحُ تعمل والقلوبُ تتوكل)، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي أكثِر مِن قول: (سبحان اللهِ وبحمده)، (وهي تعادل في المعنى: (سبحان الله والحمد لله)، (فأمّا كلمة (سبحان الله): فمَعناها أنك تَنفي عن اللهِ تعالى كل ما لا يَليقُ به، وأمَّا معنى (الحمد لله): أنك تشكرُ اللهَ تعالى على نِعَمه، وتُثني على جلاله وكماله)، ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ أي كفى باللهِ خبيرًا بذنوب خلقه، إذ لا يَخفى عليه شيءٌ منها، وسوف يُحاسبهم عليها ويُجازيهم بها، (وفي هذا تصبيرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم على تكذيب قومه وعِناده

◆ وهو سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي عَلا وارتفع على العرش (استواءً يليق بجلاله وعظمته)، وهو سبحانه ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي وَسِعَت رحمته كل شيء، ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾: أي اسأل أيها النبي بذلك خبيراً (يَقصد سبحانه بذلك نفسه الكريمة)، أي اسأل ربك عن نفسه، فهو سبحانه الخبير الذي يَعلم صفات نفسه.

- الآية 60: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ - ولا تسجدوا لغيره من المخلوقات - ﴿قَالُوا﴾ - مُنكِرينَ مُتجاهلين -: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ يعني ما نعرف الرحمن، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ يعني أتريد أن تفرض علينا طاعتك؟، ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾: أي زادهم ذلك الأمر بالسجود بُعْداً عن الإيمان ونُفورًا منه.

- الآية 61: ﴿تَبَارَكَ﴾ أي عَظُمَتْ قدرة الرحمن، وكَثُرَ خيره وفَضْله، فهو ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ أي مَنازل تسير فيها الكواكب والنجوم، ليُستَدَلّ بها على الطُرُقات والأوقات، وغير ذلك مِن مَصالح العباد ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ أي شمسًا مضيئة ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾.

- الآية 62: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي جَعَلهما مُتعاقبَيْن، يَخلُف أحدهما الآخر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ أي يَعتبر بما في ذلك من الآيات، فيُؤمن بالخالق المدبِّر، الذي يَستحق العبادة وحده، (ومِن ذلك أيضاً أنّ مَن نَسِيَ عملاً بالنهار يعمله حين يَذكره بالليل، ومَن نَسِيَ عملاً بالليل يعمله حين يَذكره بالنهار)، ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ للهِ تعالى على نعمه (بالاجتهاد في طاعته ليلاً ونهاراً).

- الآية 63: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ أي عباده الصالحون، (وقد نَسَبهم سبحانه إلى نفسه لتشريفهم)، كقوله تعالى: (بيت الله، وناقة الله)، ثم وَضَّح صفاتهم بأنهم ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي يَمشون على الأرض بتواضعٍ ووقار، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بكلامٍ يؤذيهم: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: أي خاطبوهم خطابًا يَسْلَمون به من الإثم، ومِن مقابلة الجاهل بجهله، (فلم يَرُدُّوا السيئة بالسيئة، ولكنهم رَدُّوا عليهم بأحسن الكلمات ثم فارَقوهم).

- الآية 64: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ أي يَقضون ليلهم بين السجود والقيام، وهُم مُحِبّونَ لربهم (الذي يراهم وهُم قائمونَ له)، ذليلونَ له سبحانه (مِن كثرة نعمه عليهم وكثرة ذنوبهم)، راجونَ رحمته، خائفونَ من عذابه.

- الآية 65، والآية 66: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ يعني إنّ عذابها لا يُفارق صاحبه، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ يعني إنّ جهنم شَرُّ مُستقراً وإقامة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 67: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ أي لم يَتجاوزوا الحد في العطاء ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: أي لم يُضَيِّقوا في النفقة، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ أي كان إنفاقهم وَسَطًا بين التبذير والتضييق.

- الآية 68، والآية 69، والآية 70: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (بل يُخلِصون عبادتهم لله وحده، ويَدعونه في قضاء حوائجهم)، ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قَتْلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يعني إلا بالحق الشرعي (كالقِصاص، ورَجْم الزاني المتزوج، وقتل المُرتَدّ)، واعلم أنّ تنفيذ هذا القِصاص يكون عن طريق وَلِيِّ الأمر (وهو حاكِمُ البلد)، ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ (بل يَحفظون فروجهم - إلا على أزواجهم أو ما مَلَكَتْ أيمانهم - ويَسُدّون كل الأبواب التي تقربهم من الفاحشة)، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يعني: ومَن يَفعل شيئًا من هذه الكبائر ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي يَلْقَ في الآخرة عقابَ إثمه، إذ ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ أي ذليلاً حقيرًا (واعلم أنّ الوعيد بالخلود يكونُ لمن أشرك بالله تعالى) ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ مِن هذه الذنوب توبةً نصوحًا ﴿وَآمَنَ﴾ أنّ الله كان يراه وهو يفعل المعصية، فحينئذٍ يَنكسر قلبه، ويَذِلّ لربه، ويَستحي أن يراه مرة أخرى على معصية، ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي داوَمَ على فِعل الأعمال الصالحة بعد توبته، ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ أي يمحو الله سيئاتهم ويجعل مكانها حسنات (بسبب توبتهم وندمهم، وكثرة استغفارهم على ما مضى من ذنوبهم)، (فإنّ مِن علامات التوبة النصوح: أن تَكره الذنب كما أحببته، وأن تستغفر منه إذا ذكرته)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لمن تاب إليه، ﴿رَحِيمًا﴾ بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد أن فعلوا أكبر المعاصي.

- الآية 71، والآية 72: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ عمَّا ارتكبه من الشرك والذنوب، وندم على ما فعل، وعزم عزماً صادقاً على عدم العودة إلى الذنوب، ورَدَّ الحقوق لأصحابها ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بعد التوبة: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ يعني فإنه بذلك يَرجع إلى ربه رجوعًا صحيحًا، فيَقبل توبته ويَغفر ذنوبه.

♦ ثم يُكمِل سبحانه صفات عباد الرحمن قائلاً: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي لا يَشهدون بالكذب، ولا يحضرون مجالسه ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾: يعني إذا مَرّوا بأهل الباطل مِن غير قصد: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي مُعرضينَ عنهم، مُنكرينَ لِمَا هم عليه، مُمتنعينَ عن سماع ما لا خيرَ فيه من الأقوال والأفعال أو المشاركة فيه.

- الآية 73: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: يعني إذا وُعِظُوا بآيات القرآن وأدلة وحدانية الله تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ يعني لم يَسجدوا على الأرض بدون وَعْيٍ أو تدبر (كما يفعل الكفار الذين يسجدون لاصنامهم)، بل إنهم يَسمعون الآية، ويَفهمون ما تدعو إليه، فحينئذٍ تتفتَّح لها بصائرهم، ويتأثرون بها، فيَخِرُّوا لله ساجدينَ مُطيعين.

- الآية 74: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾ أي اجعل لنا ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي ما تَفرح به أعيننا، ويكون فيه أُنسنا وسرورنا، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي اجعلنا من الذين يتقون عذابك (بطاعتك واجتناب معصيتك)، واجعلنا قدوةً لهم في الأعمال الصالحة والكلام الطيب.

- الآية 75، والآية 76: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي المتصفون بهذه الصفات السابقة ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي يُثابُون أعلى منازل الجنة (بسبب صَبْرهم على طاعة ربهم) ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿تَحِيَّةً﴾ من الملائكة ﴿وَسَلَامًا﴾ أي حياةً طيبة سالمة مِنَ المُنَغِّصات، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ يَستقرون فيه ﴿وَمُقَامًا﴾ يُقيمون به، إذ سعادتها لا تَنقص، ونعيمها لا يُفسِده شيء (كالمَوت والتعب والهَمّ والحَزَن).

www.alukah.net

- الآية 77: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول للمشركين: ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ أي لا يُبالي سبحانه بكم ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ إياه (إذ كانوا يَدعون اللهَ في الشدة، ويُشرِكونَ به في الرخاء)، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بالتوحيد والنُبُوّة والبعث ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي: فسوف يكونُ تكذيبكم مُوجِباً لعذابٍ يَلزمكم، ويُهلككم في الدنيا والآخرة.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الشعراء كاملة

1. الربع الأول من سورة الشعراء

- الآية 1: ﴿طسم﴾ سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (طا سين ميم).

- الآية 2: ﴿تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: يعني هذه هي آيات القرآن المُوَضِّح لكل شيء.

- الآية 3: ﴿لَعَلَّكَ﴾ - أيها الرسول - مِن شدة حِرصك على هداية قومك ﴿بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ أي مُهْلِك نفسك ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يعني لأنهم لم يُصَدِّقوا بك ولم يعملوا بهَدْيك، **فلا تفعل ذلك**، فإنه ليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ وقد بَلَّغتهم.

- الآية 4: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آَيَةً﴾ أي مُعجزة تُرغِمهم على الإيمان (كناقة صالح عليه السلام) ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ أي فحينئذٍ ستصير أعناقهم خاضعة ذليلة لهذه المعجزة، لا يستطيعونَ إنكارها، ولكننا لم نشأ ذلك، لأن الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب اختيارًا.

- الآية 5: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ يعني: ما مِن شيءٍ يَنزل من القرآن ﴿مُحْدَثٍ﴾ أي جديد النزول، مُجَدِّدًا لهم التذكير والموعظة: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾، (**واعلم أنّ المقصود مِن وَصْف القرآن بأنه (مُحدَث)** أي حديث النزول على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يَنزل آية بعد آية وسورة بعد سورة، بحسب الحوادث والأحوال).

- الآية 6: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بالقرآن واستهزؤوا به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: يعني فسوف يَتبين لهم أنَّ ما استهزؤوا به هو الحق والصِدق.

♦ **فلمّا استهزأ مُشركوا قريش بالوعيد**: أنزل الله بهم العذاب الذي استهزؤوا به، وأوَّل عذاب نزل بهم: (هزيمتهم يوم بدر وقَتْل زعمائهم، ثم القحط سبع سنين)، ومَن مات منهم على الشِرك: فسوف يُعَذَّب في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ويُقال لهم وهم يُعَذَّبون: (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تستهزئون).

- الآية 7، والآية 8، والآية 9: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: يعني ألم ينظروا إلى الأرض التي أنبتنا فيها من كل نوع من أنواع النبات الحَسَن المنظر، النافع للناس، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في إخراج النبات من الأرض المَيّتة ﴿لَآَيَةً﴾ واضحة على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وما كان أكثر قومك أيها الرسول مؤمنين ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يَمنعه مانع مِمَّا أراد، القادر على الانتقام من المُكَذّبين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين، (**إذاً فاصبر على الدعوة إليه**، وتوَكَّل عليه سبحانه، فإنه ناصرك ومُذِلّ أعدائك، وإن العاقبة لك وللمؤمنين).

- الآية 10، والآية 11: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾: أي اذكر أيها الرسول حين نادَى اللهُ تعالى موسى ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وهُم ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، وظلموا بني إسرائيل باضطهادهم وتعذيبهم، ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾: يعني ألاَ يخافون عذاب اللهِ فيَتركوا ما هم عليه من الكفر والضلال؟!

- الآية 12، والآية 13، والآية 14: ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي يَملؤه الغمُّ بسبب تكذيبهم لي، ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ بفصيح الكلام، (وقد قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: كانَ في لسانه عُقدة - يعني

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صعوبة في النُطق – تمنعه من كثير من الكلام)، ﴿فَأَرْسِلْ﴾ جبريل بالوحي ﴿إِلَى هَارُونَ﴾ ليُعينني على تبليغ الرسالة، ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ في قتل رجل منهم ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.

– الآية 15، والآية 16، والآية 17: ﴿قَالَ﴾ اللهُ لموسى: ﴿كَلَّا﴾ يعني إنهم لن يقتلوك، وقد أجَبتُ طلبك في هارون ليكون رسولاً معك ﴿فَاذْهَبَا بِآَيَاتِنَا﴾ أي بالمعجزات الدالة على صِدقكما، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ بالعلم والحفظ والنُصرة ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ أي أسمع ما تقولانه لفرعون وما يقوله لكما، ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا﴾ له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: يعني إنا مُرسَلان إليك وإلى قومك من رب العالمين (لتؤمنوا به وتُوحِّدوه)، وقد أمَرَكَ ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أطلِق سَراحهم ليذهبوا معنا إلى حيث أمَرَنا اللهُ تعالى (إلى أرض أبيهم إبراهيم) ليعبدوا اللهَ فيها.

♦ ولَعَلّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ولم يقل: (إنا رسولا رب العالمين) (رغم أنّ موسى وهارون اثنان)، لأن كلمة رسول تأتي أحياناً بمعنى رسالة، فيكون المعنى: (إنّا ذو رسالةٍ من رب العالمين)، أو لأن كلمة "رسول" هنا أُريدَ بها الجَمْع، وهذا وارد في لغة العرب، كقول إبراهيم عليه السلام عن الأصنام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، والله أعلم.

– الآية 18، والآية 19: ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى – مُمتنًّا عليه –: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾: يعني ألم نُرَبِّك في منازلنا صغيرًا، ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ أي مكثتَ في رعايتنا ﴿مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾؟، ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾: أي ارتكبت جنايتك التي فعلتها بقتلك رجلاً من قومي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي من الجاحدين لنعمتي عليك؟

– الآية 20، والآية 21، والآية 22: ﴿قَالَ﴾ موسى مُجيبًا فرعون: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾: أي فعلتُ ذلك القتل مِن غير قصدٍ، وقبل أن يُعَلّمني ربي ويَبعثني إليكم رسولاً، (وفي هذا دليل على جواز إطلاق لفظ الضَلال على الجهل، كما قال تعالى في سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾)، وقال لهم موسى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾: أي خرجتُ مِن بينكم فارًّا إلى "مَدْيَن"، لمَّا خِفتُ أن تقتلوني بما فعلتُ مِن غير عَمْد، ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ وهي النُبوّة والعلم ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: وهل تعتبر تلك التربية نعمةً مِنك عليَّ، وقد جعلتَ بني إسرائيل عبيدًا عندك تستعملهم كما تشاء؟! (والغرض من هذا الاستفهام هو الاستنكار)، حيث بَيَّنَ له موسى أنّ تعبيد بنى إسرائيل وذبْح أبنائهم هو السبب الحقيقي في حصوله عليه وتربيته عنده، لأنّ خوف أمه عليه من الذبح هو الذي جعلها تُلقي به في نهر النيل، فكأنه في الحقيقة مَنَّ عليه بتعبيد قومه وذبْح أبناءهم.

♦ ومِن المُفَسِّرين مَن قال: "إنّ هذا اعترافٌ من موسى لفرعون بنعمة التربية، حيث استعبد غيره ولم يَستعبده هو"، والله أعلم.

– الآية 23، والآية 24: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى: ﴿وَمَا﴾ هو ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي تزعم أنك رسوله؟، فـ ﴿قَالَ﴾ له موسى: هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ يعني إن كنتم موقنينَ بأنّ كل مخلوق لا بد له من خالق (وهو أمْرٌ لا تنكره العقول).

– الآية 25، والآية 26: ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ مِن أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾: يعني ألاَ تسمعون مقالة موسى العجيبة بوجود رب غيري؟، فـ ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: الرب الذي أدعوكم إليه هو الذي خلقكم وخلق آباءكم الأولين، فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم، وله آباء قد ماتوا كآبائكم؟!

– الآية 27، والآية 28: ﴿قَالَ﴾ فرعون للملأ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (واعلم أنّ وَصْف فرعون لموسى بأنه "رسول" هو على سبيل الاستهزاء، واعلم أيضاً أنه جَعَلَ رسالته إليهم، لأنه يظن أنه أكبر مِن أن يُرسَل إليه رسول).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ فلم يَلتفت موسى إلى استهزائه، واستمر في دعوتهم إلى التوحيد، فـ (قَالَ): (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا) (واعلم أنه قد خَصّ مَشرق الشمس ومَغربها، لأن فرعون لا يجرؤ أن يَدَّعي التحكم في ذلك، كما قال إبراهيم للنمرود: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) - فهذا يَستوجب الإيمان بالله وحده - (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) يعني إن كنتم من أهل العقل والتدبر.

- الآية 29، والآية 30: (قَالَ) فرعون مُهَدِّدًا موسى: (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)، فـ (قَالَ) له موسى: (أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ) يعني أتجعلني من المسجونين، حتى ولو جئتك ببرهان قاطع يدل على صِدقي؟

- الآية 31: (قَالَ) له فرعون: (فَأْتِ بِهِ) أي بهذا البرهان (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ).

- الآية 32، والآية 33: (فَأَلْقَى) موسى (عَصَاهُ) (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) أي فتحولتْ ثعبانًا حقيقيًا (وليس تمويهًا كما يفعل السَحَرة)، (وَنَزَعَ يَدَهُ) أي جذب يده من جيبه (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) يعني فإذا هي بيضاء كاللبن مِن غير بَرَص، فإذا رَدَّها إلى جيبه عادت سمراء كسائر جسده.

- الآية 34، والآية 35: (قَالَ) فرعون (لِلْمَلَإِ) وهُم أشراف قومه الذين يقفونَ (حَوْلَهُ): (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) أي واسعُ العلم بالسِحرِ، ماهرٌ به، و(يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) (وقد قال فرعون هذا لتحريض الملأ ضد موسى، فزعم أن موسى عليه السلام يريد الاستيلاء على الحُكم والبلاد، ويَطرد أهلها منها بواسطة السِحر)، ثم قال لهم فرعون يستشيرهم: (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) يعني: فَبِماذا تُشيرون عليَّ أيها السادة في أمْر موسى؟، (ولَعَلّ فرعون قال للملأ لفظ: (تأمروني) - مع أنه زعيمهم ورئيسهم - بسبب انهزامه معنوياً بعدما رأى وضوح آية موسى عليه السلام).

- الآية 36، والآية 37: (قَالُوا) له: (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) يعني أخِّر أمْر موسى وهارون، ولا تَعْجَل عليهما قبل اتخاذ ما يَلزم من الاحتياطات، (وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ): أي أرسِلْ في مدائن مصر وأقاليمها جنوداً لـ (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) أي لِيَجمعوا لك كل ساحر واسع العلم بالسحر، لِيُناظروا موسى.

- الآية 38، والآية 39، والآية 40: (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ) أي جَمَعهم جنود فرعون (لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) يعني إنهم حُدِّدوا لهم وقتاً معلوماً لمناظرة موسى (وهو وقت الضحى، في اليوم الذي يتفرغون فيه من أشغالهم، ويجتمعون ويتزيَّنون)، (وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ) يعني إنهم شجَّعوا الناس على الاجتماع لحضور المناظرة، قائلينَ لهم: (لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) يعني إننا نأمل أن يكون الانتصار للسَحَرة، فنَثبُت على ديننا.

- الآية 41: (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ) يوم المُناظرة: (قَالُوا لِفِرْعَوْنَ): (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا) يعني هل ستعطينا مالاً (إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ)؟

- الآية 42: (قَالَ) لهم فرعون: (نَعَمْ) لكم ما طلبتم (وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) أي من المُقرَّبين مِنّي في المنصب والجاه إن غَلَبْتُم موسى.

- الآية 43: (قَالَ لَهُمْ مُوسَى) مُريدًا إبطال سِحرهم: (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ): يعني ألقوا ما تريدون إلقاءه من السِحر.

- الآية 44: (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ) (فخُيِّل للناس أنها حَيَّات تَسعى)، (وَقَالُوا) أي قال السَحَرة: (بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ) يعني: أقسموا بعزة فرعون قائلين: (إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ).

- الآية 45: (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ) حَيَّةٌ عظيمة (تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) أي تبتلع الحبال والعِصِيّ التي ألقاها السَحَرة مِن أجل أن يُوهِموا الناس أنها حق وهي باطل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الآية 46، والآية 47، والآية 48: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ للهِ جَلَّ وعَلا، عندما علموا أنّ هذا ليس من تمويه السَحَرة، و﴿قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (ولعَلّهم قالوا هذه الجُملة حالَ سجودهم، إعلاماً منهم أنهم ما سجدوا لفرعون كما كانَ يفعل المصريون وَقْتَها، وإنّما سجدوا للهِ رب العالمين الذي لا يستحق العبادة غيره).

♦ ويجوز أن يكون تقديم موسى على هارون في هذه الآية من حكاية قول السَحَرة، فيكون قد صدر منهم قولان، قدّموا في أحدهما اسم هارون - كما جاء في سورة "طه" - اعتباراً بكِبَر سنّ هارون عن موسى، وقدّموا اسم موسى في القول الآخر اعتباراً بفضله على هارون بالرسالة وتكليم الله تعالى له مِن غير واسطة.

- الآية 49: ﴿قَالَ﴾ فرعون مُهَدِّداً السَحَرة - ليَدفع عن نفسه شر الهزيمة -: ﴿آَمَنْتُمْ لَهُ﴾ يعني هل صدَّقتم موسى وأقررتم له برسالته ﴿قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ﴾ بذلك؟ ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ يعني إنّ موسى لَعَظيمُكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فلذلك اتّبعتموه، واتفقتم معه على الهزيمة قبل الخروج إلى ساحة المُناظرة، (وقد أراد فرعون بهذا الكلام: التمويه على الناس حتى لا يتَّبعوا السَحَرة ويؤمنوا كإيمانهم).

♦ وقال فرعون للسَحَرة: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يَنزل بكم من العقاب: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أي بِقَطْع اليد اليُمنَى مع الرجل اليُسرى، أو اليد اليُسرى مع الرجل اليُمنى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بربط أجسادكم على جذوع النخل وأترككم مُعَلَّقينَ لتكونوا عِبرةً لغيركم.

- الآية 50، والآية 51: ﴿قَالُوا﴾ أي قال السَحَرة لفرعون: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي لا ضرر علينا فيما يصيبنا من عقاب الدنيا، فـ ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾: أي راجعون إلى ربنا فيعطينا النعيم المقيم، وسنصبر اليوم على عذابك لِننجو من عذاب اللهِ يوم القيامة، ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ - من الشِرك والسِحر وغير ذلك - مِن أجل ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مِن قومنا.

****

2. الربع الثاني من سورة الشعراء

- الآية 52: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أي: سِرْ ليلاً بمن آمَنَ معك من بني إسرائيل، فاخرجوا من أرض مصر، ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ أي سوف يَتبعكم فرعون وجنوده ليقتلوكم، فاخرجوا قبل أن يُدركوكم.

- الآية 53، والآية 54، والآية 55، والآية 56: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ أي أرسل جنوده ليجمعوا له الرجال من مُدُن مملكته (وذلك حين بَلَغه مَسير بني إسرائيل).

♦ وكان الجنود يقولون للناس - ليُحَرِّضوهم على بني إسرائيل -: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الذين فرُّوا مع موسى ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ أي طائفة حقيرة قليلة العدد ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ حيث خالَفوا ديننا، وخرجوا بغير إذننا، ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ أي مُتيقظونَ مُستعدونَ لهم.

- الآية 57، والآية 58، والآية 59: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ بقدرتنا وإرادتنا ﴿مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (والمقصود بها أرض "مصر" التي كانت مليئة بالبساتين وعيون الماء) ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ أي: وبخزائن المال والمنازل الجميلة، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كذلك كان إخراجنا لهم على تلك الصورة، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أورثنا بني إسرائيل نعماً مُماثِلة للتي كانت لفرعون وقومه، (لأنّ بني إسرائيل لم يرجعوا إلى مصر بعد خروجهم منها، ولأنّ الله قال في سورة الدُخان: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آَخَرِينَ﴾)، (وقد قيل إن المقصود بالوراثة هنا: هو ما استعاره نساء بني إسرائيل مِن حُلِيّ قوم فرعون عند خروجهم من مصر، واللهُ أعلم).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 60، والآية 61، والآية 62: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ أي: لحق فرعون وجنوده موسى ومَن معه وقت شروق الشمس، ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ أي رأى كل واحد من الفريقين الآخر: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي سيُدْرِكنا فرعون وجنوده ويقتلوننا، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم موسى - بثبات -: ﴿كَلَّا﴾ أي لن يُدركوكم، فـ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ - بحفظه ونصره وعِلمه - ﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي سيهديني لِمَا فيه نجاتي ونجاتكم.

- الآية 63: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ - فضربه موسى - ﴿فَانْفَلَقَ﴾ البحر، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾: أي كانت كل قطعة مفصولة من البحر كالجبل العظيم، وأصبح هناك طريقاً يابساً في وسط البحر.

- الآية 64، والآية 65، والآية 66: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآَخَرِينَ﴾ أي قرَّبْنا هناك فرعون وقومه حتى دخلوا البحر، ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (حيثُ استمر البحر على انفلاقه حتى عبروا إلى البر)، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآَخَرِينَ﴾: أي أغرقنا فرعون ومَن معه بإطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه.

- الآية 67، والآية 68: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي حدث ﴿لَآَيَةً﴾ أي عِبرة عجيبة تدل على قدرة الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وما صار أكثر الذين سمعوا هذا الخبر مؤمنين بك أيها الرسول ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (فبِعِزّته أهلك الكافرين المُكَذّبين، وبرحمته نَجَّى موسى ومَن معه أجمعين).

- الآية 69، والآية 70، والآية 71: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ - أيها الرسول - ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي خبر إبراهيم عليه السلام وهو يدعو قومه إلى التوحيد وترْك الشرك ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾: يعني ما هذا الذي تعبدونه؟ (وقد أراد بهذا السؤال أن يَسمع منهم جوابهم حتى يَرُدّ عليه، فيكون ذلك أدعَى للفَهم وقبول الحق، وهو أسلوب حكيم في الدعوة والتعليم: (الابتداء بالسؤال))، فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ مِن حجارة ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ أي نظل مُقيمين على عبادتها.

- الآية 72، والآية 73: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام - مُنَبِّهًا لهم على فساد باطلهم -: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾: يعني هل يَسمعون دعاءكم حين تدعونهم؟، ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾ إذا عبدتموهم، ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ يعني أو يُصيبونكم بضرر إذا تركتم عبادتهم؟

- الآية 74: ﴿قَالُوا بَلْ﴾ أي لا يكون منهم شيءٌ من ذلك، ولكننا ﴿وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فقلّدناهم.

- من الآية 75 إلى الآية 89: ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ﴿أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ الذين قلدتموهم في عبادتهم؟ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾: يعني فإنّ ما تعبدونهم من دون اللهِ هُم أعداءٌ لي، ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: يعني لكنّي أعبد رب العالمين وحده، إذ هو ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ في أحسن صورة ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾: أي يُرشدني إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أي هو الذي يُنعِم عليَّ بالطعام والشراب ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ في الدنيا بقبض روحي ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ يوم القيامة، ولا يَقدر على ذلك أحدٌ غيره، ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ يعني أرجو أن يتجاوز عن ذنبي يوم الجزاء.

♦ وقال إبراهيم داعيًا ربه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ أي امنحني العلم والفهم في الدين ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ لأعمل عَمَلهم في الدنيا، وأكون معهم في الجنة ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ﴾ أي اجعل لي ثناءً حسنًا وذِكرًا جميلاً في الذين يأتون مِن بعدي إلى يوم القيامة، ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ الذين يَرثونها بالإيمان والتقوى (بعد فضلك عليهم ورحمتك بهم)، ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (وقد كان هذا الدعاء قبل أن يَعرف إبراهيم أنّ والده سوف يموت على الشِرك، فلمَّا تبيَّنَ له أنه عدوٌ للهِ تبرَّأَ منه، كما جاء في سورة التوبة)، ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي لا تُذِلّني ولا تفضحني يوم يَخرج الناس من قبورهم

www.alukah.net

للحساب والجزاء ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي سَلِمَ من الشِرك والنفاق، والكِبر والرياء، والحسد والغل، وسائر أمراض القلوب.

– الآية 90: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي قُرِّبتْ الجنة للذين اجتنبوا الشِرك والمعاصي، وأقبلوا على طاعة ربهم.

– الآية 91، والآية 92، والآية 93: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾: أي أُظهِرتْ النار للذين ضَلُّوا عن الهدى، وتجرَّؤوا على مَحارم ربهم وكذَّبوا رُسُله، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ – توبيخًا –: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: يعني أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وتزعمون أنها تشفع لكم عند ربكم؟ ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ بدفع العذاب عن أنفسهم؟ لا شيءَ من ذلك.

– الآية 94، والآية 95: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾: أي جُمِعوا وألقوا في جهنم ﴿هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ يعني: هُم والذين أضَلُّوهم من الإنس ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ يعني: وأعوان إبليس الذين زيَّنوا لهم الشر.

– من الآية 96 إلى الآية 102: ﴿قَالُوا﴾ – مُعترفين بخطئهم – ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ يعني: وهُم يتجادلون ويتنازعون في جهنم مع مَن عَبَدوهم: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يعني إننا كنا في الدنيا في ضلالٍ واضح ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ﴾ أي نُساويكم في عبادتنا ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المستحق وحده للعبادة، ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ الذين دَعَونا إلى عبادة غير الله فاتّبعناهم، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ يعني: فلا أحدَ يَشفع لنا اليوم عند ربنا ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي صديق مُخلِص، يُهِمُّه أمرنا ليُخلِّصنا من العذاب، ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: فيا ليت لنا رجعة إلى الدنيا، فنَصير من المؤمنينَ الناجين.

– الآية 103، والآية 104: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في خبر إبراهيم السابق، وفي دخول المشركين جهنم وحِرمانهم من الشفاعة ﴿لَآيَةً﴾ أيْ عبرة لِمن يَعتبر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وما كان أكثر الذين سمعوا هذا الخبر مؤمنين بك أيها الرسول، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على الانتقام من المُكَذّبين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين، (واعلم أنّ هذه الجملة قد أعادَ اللهُ ذِكرها في هذه السورة بسبب عناد المشركين وإصرارهم على الشرك، وتكذيبهم بالنُبُوّة والبعث).

****

3. الربع الثالث من سورة الشعراء

– من الآية 105 إلى الآية 111: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني إنهم كَذَّبوا نوحاً عليه السلام، فكانوا بذلك مُكَذّبين لجميع الرُسُل، لأنّ دعوتهم واحدة وهي التوحيد، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني ألاَ تخافون عقاب الله تعالى إن عبدتم معه غيره وعصيتموه؟، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فيما أُبَلِّغكم به عن الله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي اجعلوا توحيدكم وقايةً لكم من عذاب ربكم ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعني: إنني لا أطلب منكم أجرًا على تبليغ رسالة ربي (حتى لا يكون ذلك مانعاً لكم عن اتّباعي) ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ يعني: ما أجري على دَعْوتي لكم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أي احذروا عقاب الله تعالى واقبلوا نصيحتي، فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ يعني: كيف نُصَدِّقك وقد اتَّبعك أسافل الناس؟ (وقد قالوا ذلك عندما رأوا أنّ أتباعه من الفقراء وأصحاب المِهَن الحِرَفيّة البسيطة).

– من الآية 112 إلى الآية 116: ﴿قَالَ﴾ لهم نوح: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعني إنني لست مكلفًا بمعرفة أعمالهم، إنما كُلِّفتُ أن أدعوهم إلى الإيمان (والعبرة عند الله تعالى بالإيمان، وليست بالنَسَب والجاه والحِرَف والصنائع)، ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ أي: ما حسابهم – وجزاؤهم على أعمالهم – ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ المُطَّلِع على النيات والسرائر ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ يعني: لو

كنتم تشعرون بذلك ما قلتم هذا الكلام، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وليس لي أن أطرد المؤمنين مِن حَولي – كما اقترحتم عليّ – بحُجَّة أنهم فقراء ضعفاء، حتى أُرضِيكم فتَقبلوا الاستماعَ مِنِّي، ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يعني: ما أنا إلا نذير لكم مِن عذاب اللهِ تعالى ﴿مُبِينٌ﴾ أي أُوَضِّح لكم ما أُرْسِلتُ به إليكم، فـ ﴿قَالُوا﴾ له – مائلينَ عن الحوار إلى التهديد –: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾ عن دَعْوتك لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ أي المقتولين رَميًا بالحجارة.

– الآية 117، والآية 118، والآية 119، والآية 120: ﴿قَالَ﴾ نوحٌ داعياً ربه – بعد أن سَمِعَ تهديدهم –: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ أي أصَرّوا على تكذيبي ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: أي احكم بيني وبينهم حُكمًا تُهلِك به مَن جَحَدَ توحيدك وكذَّب رسولك ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مِمّا تُعَذّب به الكافرين، ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي في السفينة المملوءة بأنواع المخلوقات التي حَمَلها، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ – أي بعد إنجاء نوح ومَن معه – أغرقنا ﴿الْبَاقِينَ﴾ وهُم الذين لم يؤمنوا مِن قومه وردُّوا عليه النصيحة.

– الآية 121، والآية 122: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: أي في خبر نوح عليه السلام، وما كانَ من إنجاء المؤمنين وإهلاك المُكَذّبين ﴿لَآيَةً﴾ أي عبرةً عظيمة لمَن بَعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وما كان أكثر قوم نوح مؤمنين، (ويُحتمَل أن يكون المعنى: وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بك أيها الرسول)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه مِمّن كَفَرَ به وخالف أمْره، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

– من الآية 123 إلى الآية 135: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: كذَّبت قبيلة عاد رسولهم هودًاعليه السلام، فكانوا بذلك مُكَذّبين لجميع الرُسُل (لأنّ دعوتهم واحدة وهي التوحيد، ولأن كل رسول كان يأمر قومه بتصديق جميع الرُسُل)، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني ألاَ تخافون عقاب الله تعالى إن عبدتم معه غيره وعصيتموه؟، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فيما أُبَلِّغكم به عن الله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي اجعلوا توحيدكم وقايةً لكم من عذاب ربكم ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعني: إنني لا أطلب منكم أجرًا على تبليغ الرسالة (حتى لا يكون ذلك مانعاً لكم عن اتّباعي) ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ يعني: ما أجري على دَعْوتي لكم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ يعني أتبنون بكل مكانٍ مرتفع من الأرض ﴿آيَةً﴾ أي بناءً عاليًا (هو آية في الفنّ المعماري)، تُشرِفون منه، فـ ﴿تَعْبَثُونَ﴾ أي تَسخرون مِنَ المارة، مع عِلمكم أنّ ذلك عبثٌ لا يعود عليكم بفائدة؟ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾: أي تتخذون قصورًا عالية وحصونًا مَنيعة، كأنكم ستُخَلّدون في الدنيا ولا تموتون، ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ بأحد من الخلق قتلاً أو ضربًا: ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ أي فعلتم ذلك قاهرينَ ظالمين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: أي خافوا عقاب الله تعالى، واقبلوا نصيحتي، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾: أي احذروا عذاب الله الذي أعطاكم نعماً كثيرة لا تَخفى عليكم، فقد ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ أي أعطاكم الأنعام (من الإبل والبقر والغنم)، وأعطاكم الأولاد، ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: أي أعطاكم البساتين المُثمِرة، وفجَّرَ لكم الماء من العيون الجارية، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ – إن أصررتم على ما أنتم عليه من التكذيب والظلم وكُفْر النِّعم – ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

– الآية 136، والآية 137، والآية 138: ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ فلن نؤمن لك، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين وعاداتهم، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ على ما نفعل.

– الآية 139، والآية 140: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي استمَرُّوا على تكذيبه ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بريح باردة شديدة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإهلاك ﴿لَآيَةً﴾ أي عِبرة عظيمة لمن بعدهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وما كان أكثر قوم عاد مؤمنين (ويُحتمَل أن يكون المعنى:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بك أيها الرسول)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على الانتقام من المُكَذّبين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

- من الآية **141** إلى الآية **152**: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي كذَّبت قبيلة ثمود أخاهم صالحًا في رسالته ودَعْوته، فكانوا بذلك مُكَذّبين لجميع الرُسُل، لأنّ دعوتهم واحدة وهي التوحيد، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ﴾: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني ألاَ تخافون عقاب الله تعالى إن عبدتم معه غيره وعصيتموه؟، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فيما أُبَلِّغكم به عن الله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي اجعلوا توحيدكم وقايةً لكم من عذاب ربكم ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعني: إنني لا أطلب منكم أجرًا على تبليغ الرسالة (حتى لا يكون ذلك مانعاً لكم عن اتّباعي)، ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ يعني: ما أجري على دَعْوتي لكم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ﴾: يعني أيتركَكم ربكم فيما أنتم فيه من النعيم، مستقرينَ آمنين من العذاب والهلاك؟!، (وهذا الاستفهام إنكاري يَحُثهم على شُكر ربهم على ما هم فيه من النعم)، فإنكم تعيشونَ ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي في حدائق مُثمِرة ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية ﴿وَزُرُوعٍ﴾ كثيرة ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: أي نخلٍ ثَمرها ناضج لَيّن، ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ لتسكنوها ﴿فَارِهِينَ﴾ أي ماهرينَ بنَحتها، متكبرينَ على الناس بقوتكم وصناعتكم، إذاً ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: أي خافوا عقوبة الله تعالى واقبلوا نصيحتي ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الذين يُسرفون على أنفسهم بالمعاصي، وهم ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي جمعوا بين الفساد وترك الإصلاح.

- الآية **153**، والآية **154**: ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أي الذين سُحِروا سِحرًا كثيرًا، حتى غَلَبَ السحر على عقولهم، ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ فكيف تتميز علينا بالرسالة؟، ﴿فَأْتِ بِآَيَةٍ﴾ تدل على صِدق رسالتك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

- الآية **155**، والآية **156**: ﴿قَالَ﴾ لهم صالح - بعد أن أتاهم بناقةٍ أخرجها الله له من الصخرة -: ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾ أي لها نصيب من الماء في يوم مُعين ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ أي: ولكم نصيب منه في يوم آخر، (فليس لكم أن تشربوا في يومها ولا هي تشرب في يومكم)، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ كضَرْبٍ أو قتل أو نحو ذلك ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ أي يُهلككم ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

- الآية **157**، والآية **158**، والآية **159**: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي ذبحوا الناقة ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ على ما فعلوا (لَمَّا أيقنوا بالعذاب فلم يَنفعهم ندمهم) ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي نزل بهم عذاب الله الذي توَعَّدهم به صالح عليه السلام فأهلكهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإهلاك ﴿لَآَيَةً﴾ أي عبرة لمن اعتبر بهذا المصير، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وما كان أكثر قوم صالح مؤمنين، (ويُحتمَل أن يكون المعنى: وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بك أيها الرسول)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنتقم من أعدائه المُكَذّبين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

- من الآية **160** إلى الآية **166**: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: يعني إنهم كَذَّبوا لوطاً عليه السلام، فكانوا بذلك مُكَذّبين لجميع الرُسُل؛ لأنّ دعوتهم واحدة وهي التوحيد، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني ألاَ تخافون عقاب الله تعالى إن عبدتم معه غيره وعصيتموه؟، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فيما أُبَلِّغكم به عن الله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي اجعلوا توحيدكم وقايةً لكم من عذاب ربكم ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعني: إنني لا أطلب منكم أجرًا على تبليغ الرسالة (حتى لا يكون ذلك مانعاً لكم عن اتّباعي)، ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ يعني: ما أجري على دَعْوتي لكم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: يعني أتنكحون الذكور مِن بني آدم؟!، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: تتركون ما خلق الله لاستمتاعكم وتناسلكم مِن أزواجكم؟!، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ﴾ – بهذه المعصية – ﴿عَادُونَ﴾ أي متجاوزون الحلال إلى الحرام.

– الآية 167، والآية 168، والآية 169: ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾ عما تنهانا عنه من إتيان الذكور: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ أي المطرودين من بلادنا، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم لوط: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ﴾ الذي تعملونه ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي من الكارهين له كرهاً شديدًا، ثم دعا لوطٌ ربه عندما يئس من استجابة قومه قائلاً: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: يعني أنقِذني وأنقِذ أهلي مما يعمله قومي مِن هذه المعصية القبيحة، ومِن عقوبتك التي ستصيبهم.

– الآية 170، والآية 171، والآية 172، والآية 173: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ المستجيبين لدعوته ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ (وهي امرأته)، إذ لم تشاركهم في الإيمان، فأصبحتْ ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي مع الباقين في العذاب والهلاك، ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآَخَرِينَ﴾: أي نزل بهم أشدُّ أنواع الهلاك والتدمير (وذلك بقلب بلادهم سافلها على عاليها)، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ أي حجارة من السماء كالمطر فأهلكتهم، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: قَبُحَ مَطَر مَن أنذرهم رسولهم فلم يستجيبوا له.

– الآية 174، والآية 175: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ العقاب الذي نزل بقوم لوط ﴿لَآَيَةً﴾ أي عبرة وموعظة يتعظ بها المُكَذّبون، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وما كان أكثر قوم لوط مؤمنين، (ويُحتمَل أن يكون المعنى: وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بك أيها الرسول)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي الغالب الذي يقهر المُكَذّبين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

****

4. الربع الأخير من سورة الشعراء

– من الآية 176 إلى الآية 184: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: كَذَّب أصحابُ المدينةِ المُلتفَّةِ الشجر رسولهم شعيبًا في رسالته، فكانوا بذلك مُكَذّبين لجميع الرُسُل، لأنّ دعوتهم واحدة وهي التوحيد، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني ألاَ تخافون عقاب الله تعالى إن عبدتم معه غيره وعصيتموه؟، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فيما أُبَلِّغكم به عن الله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي اجعلوا توحيدكم وقايةً لكم من عذاب ربكم ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعني: إنني لا أطلب منكم أجرًا على تبليغ الرسالة (حتى لا يكون ذلك مانعاً لكم عن اتّباعي)، ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ يعني: ما أجري على دَعْوَتي لكم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي أتِمُّوا الكيل للناس ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الذين يُنْقِصون الناس حقوقهم، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي زِنوا بالميزان العادل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي لا تُنقِصوا الناسَ حقوقهم فتظلموهم، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي لا تسعوا في الأرض بأنواع الفساد، كالشرك والمعاصي (ومِن ذلك أكْلُكُم أموال الناس بالباطل)، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾: أي احذروا عقوبة الله الذي خلقكم وخلق الأمم الماضية.

♦ ولَعَلّ الله تعالى قال: ﴿قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، ولم يقل: ﴿قَالَ لَهُمْ أخوهم شُعَيْبٌ﴾ كما في باقي القصص السابقة، لأنه لم يكن أخاً لأصحاب الأيكة في النسب، فلمّا ذكَرَ سبحانه قوم "مَدْيَن" في سورة العنكبوت، قال: (أخاهم شعيباً) لأنه كان منهم، والله أعلم.

– الآية 185، والآية 186، والآية 187، والآية 188: ﴿قَالُوا﴾ لشعيب: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين أصابهم السحر إصابة شديدة فذهب بعقولهم، ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ فكيف تتميز علينا بالرسالة؟، ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ﴾ يعني: وإننا نظن أنك ﴿لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي ادع الله أن يُسقط علينا قِطَعَ عذابٍ من السماء لتُهلِكنا بها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم شعيب: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الشرك والمعاصي، وهو أعلم بما تستحقونه من العذاب.

www.alukah.net

- الآية 189: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي استمَرُّوا على تكذيبه، ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ يعني: فأصابهم العذاب في يومٍ شديد الحر، حينَ صاروا يبحثون عن ملجأ يستظلون به، فأظلّتهم سحابة، وجدوا لها بردًا ونسيمًا، فلما اجتمعوا تحتها، التهبت عليهم نارًا فأحرقتهم جميعًا ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

- الآية 190، والآية 191: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإهلاك ﴿لَآيَةً﴾ أي عبرة عظيمة لمن بعدهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وما كان أكثر قوم شعيب مؤمنين، (ويُحتمَل أن يكون المعنى: وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بك أيها الرسول)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على الانتقام من المُكَذّبين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

- من الآية 192 إلى الآية 196: ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي هذا القرآن الذي ذُكِرَتْ فيه هذه القصص السابقة ﴿لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي تنزيلٌ مِن خالق الخلق، ومالك الأمر كله، وقد ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ وهو جبريل عليه السلام الذي نزل بالقرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ أيها الرسول (والمقصود أنه تَلاه عليك حتى وَعَاهُ قلبك حِفظًا وفهمًا) ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ أي لتكون مِن رُسل الله الذين يُخَوِّفون قومهم عذاب ربهم، فأنذِر الإنس والجن أجمعين بهذا القرآن الذي نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ أي بلُغة عربية واضحة المعنى، في غاية الفصاحة والبلاغة والبيان، ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: وإنَّ هذا القرآن لَمذكورٌ ومُبَشَّر به في كتب الأنبياء السابقين.

- الآية 197: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾ - تدلهم على أنك رسول الله، وأن القرآن حق - هو ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وأن يُقِرُّوا بصِحّته (كعبد الله بن سَلام والنجاشي وغيرهما)؟!

- الآية 198، والآية 199: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ يعني: ولو نَزّلنا هذا القرآن بلُغةٍ عربية، ولكنْ نزّلناه على أحد الأعاجم (الذين لا يتكلمون بالعربية) ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فقرأه هذا الأعجمي على كفار قريش قراءة عربية صحيحة، حتى يكون ذلك آية لهم: ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أي لَكَفروا به أيضًا كِبراً وعِناداً، وتحَجّجوا بأيّ عُذرٍ ليَكفروا به.

- الآية 200، والآية 201، والآية 202، والآية 203: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: وكما أدْخَلنا الجحود في قلوب الأمم السابقة (عقوبةً لهم على ظلمهم وإجرامهم)، فكذلك نَفعل بمُشركي قومك بسبب عنادهم وتكذيبهم، إذ هم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي لا يُصَدِّقون بالقرآن - رغم وضوح حُجَّته وقوة بَيانه - وسيَظلون على كُفرهم ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (وحينئذٍ لن يَنفعهم الإيمان)، ﴿فَيَأْتِيَهُمْ﴾ هذا العذاب ﴿بَغْتَةً﴾ أي فجأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يعلمون به حتى يفاجئهم ﴿فَيَقُولُوا﴾ عندئذٍ - وهم نادمون على ما فاتهم من الإيمان -: ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ يعني: هل نحن مُمْهَلون حتى نتوب مِن شِركنا، ونستدرك ما فاتنا؟

- الآية 204: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: يعني أغَرَّ هؤلاء إمهال الله لهم، فاستعجلوا نزول العذاب عليهم من السماء؟!

- الآية 205، والآية 206، والآية 207: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ بأنْ أطَلنا أعمارهم، ووَسَّعنا في أرزاقهم، فعاشوا سنين طويلة يتمتعون بالدنيا ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب، فهل يَنفعهم ذلك التمتع؟ ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ أي لن يدفع عنهم من عذاب الله شيئاً.

- الآية 208، والآية 209: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ - قبل مُشركي مكة - ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ يعني إلا بعد أن أرسلنا إليهم رُسُلاً يُنذرونهم، ليكون ذلك الإنذار ﴿ذِكْرَى﴾ (إذ يُذَكِّرهم الرُسُل ويُرشدونهم إلى ما فيه نجاتهم) ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (لأننا قد أرسلنا إليهم الرُسل، ولكنهم عاندوا واستكبروا واتّبعوا شهواتهم فاستحقوا العذاب).

– الآية 210، والآية 211، والآية 212: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ أي: ما تَنَزَّلَتْ الشياطين بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾: أي لا يَصِحّ منهم (لأنهم يدعون إلى الضلالة وفِعل المنكرات، والقرآن يدعو إلى الهدى وفِعل الصالحات)، ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي لا يستطيعون أن يَنزلوا بالقرآن أصلاً، والسبب في ذلك: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ أي محجوبون عن استماع القرآن قبل أن يَنزل من السماء، مَرجومونَ بالشهب.

– من الآية 213 إلى الآية 220: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: أي لا تعبد مع الله معبودًا آخر ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿وَأَنْذِرْ﴾ أيها الرسول ﴿عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أي حَذِّر الأقرب فالأقرب مِن قومك مِن عذابنا ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي تواضَعْ للمؤمنين وكُن رحيماً معهم، ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ يعني: فإن لم يَتّبعك مَن دَعَوتهم إلى التوحيد، ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الشِرك والمعاصي ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ أي اعتمد في كل أمورك ﴿عَلَى الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يَمنعه شيء مِن فِعل ما يريد، ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي لا يَخذل أولياءه المتقين، ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ للصلاة في جوف الليل، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ يعني: ويرى سبحانه تقلُّبك مع الساجدين في صلاتهم، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لتلاوتك وذِكرك، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّتك وعملك.

– الآية 221، والآية 222، والآية 223: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾؟ إنها ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: أي تتنزل على كل كَذّاب كثير الآثام من السَحَرة المجرمين، (وأما محمد صلى الله عليه وسلم فهو أبعد الناس عن الكذب والإثم، فلم يُجَرِّب عليه المشركون كَذِباً قط، ولم يروا منه ذنباً واحداً)، وهؤلاء الشياطين ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ أي يَختلسون السمع من كلام الملائكة فيُلقونه إلى الساحر (وهذا قبل أن يُمنَع بينهم وبين استراق السمع بالشهب الحارقة)، (واعلم أنّ الشيطان قد يُلْقي إلى الساحر بعضَ ما سَمِعَه قبل أن يَحرقه الشهاب)، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿كَاذِبُونَ﴾ إذ يَصْدُق أحدهم في كلمة، ثم يزيد فيها أكثر مِن مائة كذبة.

– الآية 224، والآية 225، والآية 226، والآية 227: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ أي يقوم شِعرهم على الكذب والباطل، ويوافقهم الضالونَ مِن أمثالهم، (فهل الذين اتّبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم ضالون؟! انظروا إليهم واسألوا عنهم، فإنهم أهدى الناس، وأبَرّهم فِعلاً، وأصدقهم حديثاً، فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم شاعراً لكان أتْباعه من الضالين، فبهذا بَطُلَ اتهامكم الكاذب، فأنتم تعلمون أنه الصادق الأُمِّي، الذي لم يقل الشعر ولم يتعلمه طوال حياته).

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها النبي ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي الشعراء ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾ – من أودية الكلام وفنونه – ﴿يَهِيمُونَ﴾ أي يذهبون كالهائم على وجهه (الذي لا يعرف أين يذهب)، فيخوضون في كل فن مِن فنون الكذب والباطل، وتمزيق الأعراض، والطعن في الأنساب، وتجريح النساء العفائف، والمبالغة في مدح أهل الباطل، والسخرية من أهل الحق، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي يزعمون أنهم فعلوا كذا وهُم لم يفعلوه.

♦ ثم استثنى الله منهم الشعراء المؤمنين بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فقالوا الشعر في توحيد الله تعالى والثناء عليه، والدفاع عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتكلموا بالحكمة والمواعظ الحسنة، ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ أي انتصروا للإسلام وأهله بعد أن طَعَنَ فيهم الشعراء الكافرون، فرَدُّوا عليهم بشِعرهم انتصاراً للحق (كحسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره)، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، وظلموا رسول الله باتهامه كذباً بالسحر والشعر، فسيَعلم هؤلاء الظالمون ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ يعني أيّ مَرجع يرجعون إليه بعد الموت؟ إنَّه جهنم وبئس المصير.

****

www.alukah.net

تفسير سورة النمل كاملة

1. الربع الأول من سورة النمل

- الآية 1، والآية 2، والآية 3: ﴿طس﴾ سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (طا سين)، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يعني هذه هي آيات القرآن المُنَزَّلة على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي آيات الكتاب الواضح في مَعانيهِ وأدلته وحلاله وحرامه، وقد نزلت هذه الآيات لتكون ﴿هُدًى﴾ أي مُرشِدةً إلى الحق ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة، وهؤلاء المؤمنون هم ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي يُؤَدّونها في أوقاتها (بخشوعٍ واطمئنان) ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ لِمُستحِقيها ﴿وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي يُصَدِّقون تصديقاً جازماً بالحياة الآخرة وما فيها من الحساب والجزاء.

♦ واعلم أنّ الواو التي بين كلمة ﴿الْقُرْآنِ﴾ وبين كلمة ﴿كِتَابٍ﴾، تُسَمَّى (عَطف بَيان)، يعني عَطْف توضيح، لِتُبَيِّن أنّ القرآن هو نفسه الكتاب، وليس معناها أنّ (الْكِتَاب) شيءٌ، وأنّ (القرآن) شيءٌ آخر، فكأنّ المعنى: (تلك آيات القرآن الذي هو هذا الكتاب المُبين)، (فالقرآن هو الكتاب، وقد جَمَعَ الله له بين الاسمين)، وهذا مِثل قول أحدهم: (هذا هو اللقاء الثالث والأخير)، يعني هذا هو اللقاء الثالث، وهو نفسه اللقاء الأخير.

- الآية 4، والآية 5: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي حَسَّنّا لهم أعمالهم السيئة فَفَعلوها (عقوبةً لهم على تكذيبهم وعِنادهم) ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي يتخبطون في حِيرتهم وضَلالهم (لا يَعرفون مَعروفاً ولا يُنكرون مُنكراً)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أي لهم العذاب السيِّئ في الدنيا (قتلاً وأسْرًا وذُلا وهزيمةً) ﴿وَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ أي هم أخسَرُ الناسِ صَفَقةً، لأنهم استبدلوا النعيم المُقيم بالعذاب الأليم.

- الآية 6: ﴿وَإِنَّكَ﴾ أيها الرسول ﴿لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي تتلقى القرآن من عند الله الحكيم في خلقه وتدبيره، الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا.

- الآية 7: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾ أي اذكر أيها الرسول قصة موسى عليه السلام، حين قال لزوجته - ومَن معها مِن خادم أو ولد - أثناء مَسيره ليلاً من "مَدْيَن" إلى "مصر" -: ﴿إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا﴾ أي أبصَرْتُ نارًا من بعيد (حصل لي بها بعض الأنس) ﴿سَآَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ يَدُلُّنا على الطريق (وكانَ قد ضَلّ الطريق إلى مصر بسبب ظُلمة الليل) ﴿أَوْ آَتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: يعني أو آتيكم منها بشُعلة نار ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي لتستدفئوا بها من البرد.

- من الآية 8 إلى الآية 14: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾ يعني: فلمّا وصل موسى إلى النارَ، ناداه الله تعالى، وأخبره ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: يعني أخبره سبحانه أنه قدَّسَ هذا المكان وبارَكه، وأنه بارَكَ مَن في النار (وهو موسى عليه السلام) إذ كان يقف في البقعة المباركة التي ناداه الله منها، وأنه سبحانه بارَكَ مَن يقف حول النار مِنَ الملائكة، ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي تنزيهًا لله رب الخلائق عما لا يليق به.

♦ وقال الله له: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ الذي لا يستحق العبادة غيري، ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي الغالب في انتقامي من أعدائي، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبير أمور خلقي، ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ - فألقاها موسى - ﴿فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ يعني: فلمّا رآى عصاه تتحرك في خِفّة كما تتحرك الحية السريعة المعروفة بالـ (جانّ): ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي فَرّ هاربًا ولم يرجع إليها، فطمأنه الله بقوله: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾ من الحية ولا من غيرها، ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾: يعني إني لا يخاف عندي مَن أرسلتهم برسالتي ﴿إِلَّا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ يعني: لكن مَن تجاوَزَ حدَّه بفِعل ذنبٍ ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: ثم تابَ مِن ذنبه (فبدَّل حُسْن التوبة بعد قبح الذنب)، وفَعَل الحسنات لتمحو السيئات: ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به، فلا ييئس من رحمة الله ومغفرته (وبهذا طمأن الله موسى عليه السلام، لأنه كان يشعر بالخوف من الذنب الذي فعله (عندما قتل المصري خطأً)، ﴿وَأَدْخِلْ﴾ يا موسى ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ ثم أخرِجها: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ – رغم اسمرار لون جسمك – ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي من غير بَرَص ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ أي في جُملة تسع معجزات، وهي (العصا واليد والطوفان، والجَراد والقُمَّل والضفادع، والدم ونقص من الثمرات والأنفس) لتأييدك في رسالتك ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي كانوا قومًا خارجينَ عن أمْر الله، كافرينَ به.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي واضحة – يَستدِل بها أصحاب البصائر على وحدانية اللهِ تعالى، وعلى صِدق نُبُوَّة موسى – ﴿قَالُوا﴾: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي هذا سحرٌ واضحٌ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ أي كذَّبوا بالمعجزات التسع، وأنكروا بألسنتهم أن تكون من عند الله ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني: رغم أن قلوبهم تَيَقنت أنها من عند الله تعالى، وذلك ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي اعتداءً على الحق وتكبرًا على الاعتراف به، ﴿فَانْظُرْ﴾ أيها الرسول ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: كيف كان مصير الذين كفروا بآيات الله وأفسدوا في الأرض؟، لقد أغرقهم الله في البحر، وجعلهم عِبرةً لمن يَعتبر.

– الآية 15: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ يعني أعطيناهما عِلماً فعمِلا به، ﴿وَقَالَا﴾: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾ بهذا العلم ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (وفي هذا دليل على فضل العلم وشرف أهله).

– الآية 16: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ﴾ أباهُ ﴿دَاوُودَ﴾ في العلم والنُبُوّة والمُلك، ﴿وَقَالَ﴾ سليمان لقومه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ أي عَلَّمَنا اللهُ كلام الطير ﴿وَأُوتِينَا﴾ أي أُعطانا اللهُ تعالى ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاجه الناس، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ أي هذا هو الفضل الواضح مِن ربنا علينا.

– الآية 17، والآية 18، والآية 19: ﴿وَحُشِرَ﴾ أي جُمِعَ ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ في مَسيرةٍ لهم، ﴿فَهُمْ﴾ – رغم كثرتهم – ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي يُساقونَ بنظام (إذ كان يقف على كل نوعٍ مَن يُنَظّم صفوفهم)، وظلوا في مَسيرتهم ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ أي حتى لا يُهلككم ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوجودكم، فسمعها سليمان وفَهِمَ كلامها ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ لأنّ اللهَ هداها إلى تحذير النمل، واستشعر نعمة الله عليه ﴿وَقَالَ﴾ داعيًا ربه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي ألْهِمْني ووفقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ﴾ عملاً ﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ مني ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أي في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين.

– الآية 20، والآية 21: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ أي تَفَقّد سليمان حال الطير المُسَخرة له، وكان عنده هُدهُد متميز معروف، فلم يجده، ﴿فَقَالَ﴾: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾؟، أسَتَره ساترٌ عني ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ عن حضور مجلسي؟، فلمّا عَلِمَ أنه غائب قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تأديبًا له على غيابه، ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ لأنه خالَفَ ما سُخِّر له، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي بحُجّة ظاهرة، يُوَضّح بها سبب غيابه.

– من الآية 22 إلى الآية 26: ﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد زمنًا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، ثم حضر، فعاتبه سليمان على غيابه وتخلُّفه، ﴿فَقَالَ﴾ له الهدهد: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: أي عَلِمتُ ما لم تَعلمه، ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ﴾ مدينة ﴿سَبَإٍ﴾ بـ "اليمن" ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي بخبر خطير الشأن، وأنا على يقينٍ منه، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي تحكم أهل "سبأ"، ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أسباب الدنيا ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ تجلس عليه لإدارة مُلكها، ﴿وَجَدْتُهَا﴾ هي ﴿وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي حَسَّن لهم أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: فصَرَفهم بذلك التزيين عن طريق توحيد الله تعالى ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق.

♦ وقد حَسَّنَ لهم الشيطان ذلك مِن أجل ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي حتى لا يسجدوا للهِ ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ أي يُخرج المَخبوء المَستور عن الأنظار ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (كالمطر الذي في السحاب، وكالنبات والمعادن التي في باطن الأرض)، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ أيها الخلق في صدوركم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي لا يستحق العبادة غيره، ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الذي هو أعظم المخلوقات.

****

2. الربع الثاني من سورة النمل

- من الآية 27 إلى الآية 31: ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ أي سنتأمل فيما جئتَنا به من الخبر عن أهل "سبأ": ﴿أَصَدَقْتَ﴾ في ذلك ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾؟، ثم كَتَبَ سليمانُ خطاباً لملكة سبأ وقال للهدهد: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ يعني ألقِهِ إلى المَلكة ومَن معها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي تَنَحَّ عنهم قريبًا منهم (بحيث تَسمع كلامهم) ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: فتأمل ما يَتردد بينهم من الكلام بشأن هذا الكتاب.

♦ فذهب الهدهد وألقى الكتاب إلى الملكة، فقرأته وجمعتْ أشراف قومها، و﴿قَالَتْ﴾ لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ يعني إني وصل إليَّ كتابٌ عظيم القدر مِن شخصٍ عظيم الشأن ﴿إِنَّهُ مِنْ﴾ المَلِك ﴿سُلَيْمَانَ﴾ ﴿وَإِنَّهُ﴾ مُفتتَح بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ومَضمون كتابه: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ أي لا تتكبروا عَمّا دَعوتكم إليه ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ أي مُنقادينَ لله بالوحدانية والطاعة.

- الآية 32: ﴿قَالَتْ﴾ الملكة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ يعني أشيروا عليَّ في هذا الأمر، فـ ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ يعني: ما كنتُ لأفصل في أمرٍ إلا بحضوركم ومشورتكم.

- الآية 33: ﴿قَالُوا﴾ لها: ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: يعني نحن أصحاب قوة في العدد والسلاح، وأصحابُ شجاعة وشدة في الحرب، (وهذا تصريح منهم بأنهم مستعدون للدفاع عن مَملكتهم)، وقالوا لها: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ فأنتِ صاحبة القرار ﴿فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ أي ماذا تأمريننا به؟ فنحن سامعونَ لكِ، مُطيعونَ لأمرك.

- الآية 34، والآية 35: ﴿قَالَتْ﴾ - مُحَذِّرةً لهم من مواجهة سليمان بالعداوة، ومُبيِّنة لهم سوء عاقبة القتال -: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ بجيوشهم ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ أي خَرَّبوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ (فيَقتلونهم ويأسرونهم، ويُهينونهم)، ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ يعني: وهذه هي عادتهم حتى يَخافهم الناس، ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ﴾ يعني إلى سليمان وقومه ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ مشتملة على نفائس الأموال ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: فمنتظرةٌ ما يَرجع به الرُسل الذين أرسلتهم إليه، وعلى ضوء ذلك نتصرف، فإنْ أخَذَ سليمان الهدية فهو صاحب دنيا، وإنْ رَفَضَها فهو صاحب دِين، وعندئذٍ نُقَرِّر ما نفعله معه.

- الآية 36، والآية 37، والآية 38: ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ رسولُ الملكة إلى ﴿سُلَيْمَانَ﴾ بالهديَّة ﴿قَالَ﴾ له - مستنكرًا عليه الهدية، ومتحدثًا بنعم الله عليه -: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ تُرضونني به؟! ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ أي: فما أعطاني الله من النُبُوّة والمُلك خيرٌ مما أعطاكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ يعني: بل أنتم الذين تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم، لأنكم أهل مُفاخرة بالدنيا، وقال له سليمان: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ أي ارجع إلى قومك ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي لا طاقة لهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بمقاومتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ أي مِن أرضهم ﴿أَذِلَّةً﴾ أي خاضعون ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي مُهانون (إن لم ينقادوا لدين الله وحده، ويتركوا عبادة مَن سواه).

♦ فلمّا ذهب رسول الملكة: ﴿قَالَ﴾ سليمانُ مخاطبًا أشراف دولته ومَن سَخَّرهم الله له من الجن والإنس: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ أي بعرش الملكة ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؟

– الآية 39: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ أي مارد قويّ ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ أي قبل أن تقوم من مجلسك هذا، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي قويٌّ على حَمْله، ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها، (فسبحان الله العظيم، إذا كانت هذه هي قدرة مخلوق، فكيف بقدرة خالقه سبحانه وتعالى؟!).

– الآية 40: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (وقد قيل: إنّ هذا الرجل كان يَعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب)، فقال لسليمان عليه السلام: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي قبل ارتداد أجفانك إذا تحرَّكَتْ للنظر في شيء، فأذِنَ له سليمان، فدعا اللهَ تعالى فأتى بالعرش، ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ﴾ سليمانُ لمن حوله: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ أي ليختبرني: ﴿أَأَشْكُرُ﴾ – اعترافًا بنعمته عليَّ – ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بترك الشكر؟ ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ يعني: فإنَّ ثواب ذلك الشكر يَرجع إليه في الآخرة ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي جَحَدَ النعمة وتَرَكَ الشكر: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شُكره، ﴿كَرِيمٌ﴾ إذ يَعُمّ بخيره الشاكر والكافر في الدنيا، ثم يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة.

– الآية 41: ﴿قَالَ﴾ سليمان لمن عنده: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيِّروه إلى حالٍ تُنكِره إذا رأته، ﴿نَنْظُرْ﴾ أي حتى نرى: ﴿أَتَهْتَدِي﴾ إلى معرفة عرشها ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾؟

– الآية 42، والآية 43: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ الملكة إلى سليمان ﴿قِيلَ﴾ لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ ﴿قَالَتْ﴾: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ يعني إنه يُشبهه، (فظهر لسليمان أنها أصابت في جوابها بعد أن علمتْ قدرة الله تعالى وصِدق نُبُوّة سليمان)، فقال سليمان في نفسه: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ أي باللهِ تعالى وقدرته ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾ ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ أي كنا مُنقادينَ لأمر الله، مُتَّبعينَ لدين الاسلام، ﴿وَصَدَّهَا﴾ أي مَنَعَها عن عبادة الله وحده ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ يعني إنها كانت كافرة، ونشأتْ بين قوم كافرينَ واستمرتْ على دينهم، وإلا، فإنّ لها من الذكاء ما تعرف به الحق من الباطل، ولكنّ العقائد الباطلة تُذهب بصيرة القلب.

– الآية 44: ﴿قِيلَ لَهَا﴾: ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ أي ادخلي القصر (وكانت ساحته مِن زجاجٍ تحته ماء) ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ أي ظنَّتْ أنه ماء ذات أمواج، ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ لتخوض الماء، فـ ﴿قَالَ﴾ لها سليمان: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ يعني إنه قصرٌ أملس من زجاجٍ صافٍ والماء تحته، فأدركتْ عظمة مُلك سليمان، و ﴿قَالَتْ﴾: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بما كنتُ عليه من الشرك ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي دخلتُ منقادة – تابعة لسليمان – في دين رب العالمين.

– الآية 45، والآية 46: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، فلا يوجد مَن يستحق العبادة غيره، فلمّا جاءهم صالحٌ بدعوة التوحيد: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي صار قومه فريقين: أحدهما مؤمن بدَعْوته، والآخر كافر بها، وكُلٌّ من الفريقين يَزعم أنه على الحق، فـ ﴿قَالَ﴾ صالح عليه السلام للفريق الكافر: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ يعني: لماذا تُسارعون بالكفر والأعمال السيئة التي تجلب لكم العذاب، وتؤخرون الإيمان والأعمال الحسنة التي تجلب لكم الرحمة؟، (ويُحتمَل أن يكون المعنى: لماذا تطالبونني بإنزال العذاب – الذي أنذرتُكم به – ليكون دليلاً لكم على نُبُوَّتي، بدلاً مِن أن تَطلبوا إنزال الرحمات والبركات وسعة الرزق، مع أنّ ذلك سيكونُ دليلاً أيضاً على نُبُوَّتي – بعد أن أطلبها لكم مِن اللهِ

www.alukah.net

تعالى – وأفضل لكم مِن طلب العذاب والهلاك؟!) ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يعني: هَلاَّ تَطلبون مغفرة الله تعالى وتتوبون إليه حتى يرحمكم، (وفي هذا دليل على أن الاستغفار سبب من أسباب الرحمة).

– الآية 47: ﴿قَالُوا﴾ أي قال له الفريق الكافر: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ أي تَشاءَمْنا بك وبمن دخل في دينك، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم صالح: ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني إنّ ما أصابكم مِن خيرٍ أو شر، هو مُقدَّر عليكم من الله تعالى، وليست القضية قضية تشاؤم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي تُختَبَرون بالسَرّاء والضَرّاء والخير والشر.

– الآية 48، والآية 49: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (أي في مدينة صالح – وهي "الحِجْر" – الواقعة شمال غرب الجزيرة العربية)، فكانَ فيها ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي تسعة رجال ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي جمعوا بين الفساد وترْك الإصلاح، وهم الذين اشتركوا في ذبْح الناقة، فـ ﴿قَالُوا﴾ أي قال هؤلاء التسعة بعضهم لبعض – في اجتماعٍ خاص –: ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي لِيَحلف كل واحد منكم بالله: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: لَنأتينَّ صالحًا فجأةً في الليل، فنقتله ونقتل أتْباعه ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أي لوليِّ الدم مِن أقرباء صالح – وهو الذي يطالب بالثأر له – بأننا ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي ما حَضَرنا قتْلهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، (وقد أرادوا قَتْل صالح وأتْباعه، مُعتقدينَ أنهم بذلك سوف يَمنعون وقوع العذاب الذي وَعَدَهم به بعد ثلاثة أيام مِن ذبْح الناقة).

– الآية 50، والآية 51: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾: أي دبَّروا هذه الحيلة الدنيئة (حيثُ جاءوا إلى صالح وهو يصلي ليلاً تحت الجبل ليقتلوه)، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي دَبَّرنا طريقة لنجاته وإهلاك الظالمين (حيث أسقط اللهُ عليهم صخرة من الجبل فأهلكتْ التسعة كلهم)، وهكذا مَكَرَ اللهُ بهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وهُم لا يتوقعون أنه يُدَبِّر لهم طريقاً لهلاكهم، جزاءً لهم على كَيدهم بنَبيِّهم.

♦ ثم أهلك اللهُ القوم كلهم بالصيحة – وذلك بعد مرور ثلاثة أيام مِن ذبْح الناقة – كما وَعَدهم صالح، فماتوا في ديارهم، ﴿فَانْظُرْ﴾ أيها الرسول ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ يعني كيف كان مصير غَدْر هؤلاء الرجال بنَبيّهم صالح ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

– الآية 52، والآية 53: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ أي خالية ليس فيها أحد، إذ أهلكهم اللهُ ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي بسبب ظُلمهم لأنفسهم (بشِركهم وتكذيب نَبِيّهم)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في إهلاك الرجال التسعة وتدمير أهل ثمود المشركين ﴿لَآيَةً﴾ أي عِبرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي يَعلمون أنّ هذه سُنّتنا فيمَن يُكَذّب رُسُلنا ، فهؤلاء هم الذين يَعتبرون بآياتنا، ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي كانوا يتقون عذاب ربهم بالتوحيد والعمل الصالح.

♦ وفي هذه الآيات إثبات صفة المَكْر للهِ تعالى على النحو الذي يَليقُ بجلاله وكماله، لأنه مَكْرٌ بحق، وفي مقابلة مَكْر الماكرين، وقد كانَ النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: (وامكُر لي ولا تمْكُر عَلَيّ) (انظر صحيح الترمذي: 355)، ومِمَّا يَجب أن يُعلَم أنَّ أفعالَ اللهِ تعالى لا تُشبه أفعال العباد، لأنّ ذاتَهُ سبحانه لا تُشبه ذَواتِهم.

– الآية 54، والآية 55: ﴿وَلُوطًا﴾ أي اذكر أيها الرسول خبر لوط عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني أتفعلون هذه الفعلة المُنكرة التي بَلغتْ نهاية القبح ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي تُبصرون قُبحها؟! (إذ كانوا يأتونها في أنْدِيَتِهم علانيةً بلا سِترٍ أو حجاب)، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ أي تنكحون الرجال للشهوة عِوَضًا عن النساء؟! ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي تجهلونَ حقَّ الله عليكم، فلذلك خالفتم أمْره بهذه الفعلة القبيحة التي لم يَسبقكم بها أحد من العالمين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 56: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ – بعد أن أنكر عليهم فِعلهم – ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ لبعضهم – سُخريةً واستهزاءً –: ﴿أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ فـ ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي يتنزهون عن فِعل الفواحش.

- الآية 57: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ – المستجيبين لدعوته – من العذاب الذي سيَقع بقومه ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي حَكَمنا عليها أن تكون من الباقين في العذاب، لأنها كانت عونًا لقومها على أفعالهم القبيحة.

- الآية 58: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ أي حجارة صَلبة شديدة الحرارة، نزلتْ عليهم كالمطر من السماء، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: قَبُحَ مطر مَن أنذرهم رسولهم، وقامت عليهم الحُجّة، فلم يستجيبوا له.

****

3. الربع الثالث من سورة النمل

- الآية 59: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الثناء على اللهِ تعالى بصفاته الكاملة، والشكر له على نِعَمِهِ الظاهرة والباطنة، ﴿وَسَلَامٌ﴾ منه، وأمانٌ ﴿عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ أي الذين اختارهم لرسالته، ثم اسأل مُشركِي قومك أيها الرسول: ﴿آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني: هل اللهُ الذي يَملك النفع والضر خيرٌ أم هذه الآلهة الباطلة التي يَعبدونها من دونه، والتي لا تملك لأنفسها ولا لعابدِيها نفعًا ولا ضرًا؟!

- الآية 60: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي اسألهم: مَن خلق السماوات والأرض؟، (وهذا التفسير باعتبار أنّ (مَن) هنا للاستفهام، ويُحتمَل أن تكون (مَن) بمعنى (الذي)، وعلى هذا يكون المعنى: (هل الأصنام التي لا تخلق ولا ترزق ولا تنفع ولا تضر خيرٌ أم الذي خلق السماوات والأرض) ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أي ذات منظر حَسَن يَسُرّ الناظرين، ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ لولا أنّ الله أنزل عليكم الماء من السماء، وأخرج لكم الأشجار بقدرته، ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعني: هل هناك معبود مع الله فعل هذه الأفعال حتى يُعبَد معه؟! ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي يُساوون اللهَ بغيره في العبادة والتعظيم والمحبة والخوف، (إذ معنى يَعدلون: أي يُساوون، فهي مأخوذة من العدل والمُساواة)، فالذين كفروا يعبدون مع اللهِ أصناماً ومخلوقاتٍ لم يُساووا اللهَ في شيءٍ من الكمال، بل هم فقراء عاجزونَ ناقصونَ مِن كل وجه.

♦ واعلم أنّ الله تعالى قال: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ بضمير الْمُتكلِّم الْجَمْعِي، بعد أن قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ بضمير الْواحد الْمُفْرَد – وهو ما يُعرَف في اللغة بأسلوب الالتفات - لِيجعل الأذهان تلتفت إلَى أهمية ما هو آتٍ، فَتتنبَّه إلى أنّ هذا الإخراج البديع والصُنع المُتقَن هو مِن فِعل البديع الْخَلاَّق جَلَّ وعَلا، ولَمّا كان الماءُ واحداً، والنباتُ جَمعاً كثيراً: ناسَبَ ذلك إفراد الفِعل ﴿أَنْزَلَ﴾، وجَمْع الفِعل: ﴿أَنْبَتْنَا﴾، ومعلومٌ أن الشخص إذا قال: ﴿فَعَلْنَا﴾ أرادَ الإفادة بتعظيم نَفسِهِ (إذا كانَ مقامُهُ أهلاً لذلك)، كما يقول المَلِك أو الأمير في خطابه: (قرَّرْنا نحن، أو أمَرْنا نحن بكذا وكذا).

- الآية 61: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ يعني: مَن الذي جعل لكم الأرض مُستقرًا لكم ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ لِشُربكم ومَنافعكم، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً راسيةً لتثبيت الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ – العذب والملح – ﴿حَاجِزًا﴾ حتى لا يُفسد أحدهما الآخر؟ ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعني: هل هناك معبود مع الله فعل هذه الأفعال حتى يُعبَد معه؟! ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون قَدْر عظمة الله، وأنّ عبادته سبحانه هي الحق، وعبادة غيره باطلة، فهم يُشركون بربهم تقليدًا لآبائهم من غير علمٍ أو دليل.

www.alukah.net

- الآية 62: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ يعني: مَن الذي يُجيب المكروب إذا دعاه ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ الذي نزل به، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي جَعَلكم تَخلُفون مَن قبلكم؟ ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعني: هل هناك معبود مع الله فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم بهذه النعم حتى تعبدوه معه؟! ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي قليلاً ما تتعظون، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

- الآية 63: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يعني: مَن الذي يُرشدكم إذا ضللتم ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾؟ ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني: ومَن الذي يُرسل الرياح الطيبة التي تبشر الخلق بقرب نزول رحمة الله (وهي المطر)، إذ تثيره الرياح بإذن الله تعالى ليَرحم به عباده، فيَسقيهم ويُحيي به أرضهم الميتة؟ ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعني: هل هناك معبود مع الله فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم بهذه النعم حتى تعبدوه معه؟! ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

- الآية 64: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يعني: مَن الذي يُنشئ المخلوقات من العدم، ثم يُميتهم، ثم يُعيدهم كهيئتهم قبل أن يُميتهم؟ (فإذا كنتم تعترفون بأنّ الله هو الذي خلقكم من العدم، إذاً فاعلموا أنّ الذي ابتدأ خَلْقكم بهذه الصورة قادرٌ على إعادتكم بعد الموت، بل إنَّ إعادة الخَلق أهْوَنُ عليه سبحانه (لأنّ إعادة الشيء كما كان، أسهل من إيجاده أول مرة)، ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بإنزال المطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بإنبات الزرع وإخراج المعادن؟ ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعني: هل هناك معبود مع الله فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم بهذه النعم حتى تعبدوه معه؟! ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على استحقاق غيره للعبادة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

- الآية 65، والآية 66: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: لا أحد - مِمّن في السماوات الأرض - يَعلم ما انفرد الله بعلمه من الغيب (ومن ذلك موعد قيام الساعة) ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: أي لا يعلم أحدٌ من الخلق متى سيَبعثهم الله مِن قبورهم أحياءً للحساب والجزاء؟ ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآَخِرَةِ﴾ أي تكامَلَ عِلمهم في الآخرة، فأيقنوا بها عندما رأوا أهوالها (وذلك حين لا ينفعهم الإيمان والندم)، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ وهُم في الدنيا، ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ يعني: بل عَمِيَتْ عنها بصائرهم، رغم قيام الحُجّة عليهم.

- الآية 67، والآية 68: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآَبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ أي سنخرج مِن قبورنا أحياءً كهيئتنا هذه، بعد أن تَحَلَّلتْ عظامنا في تراب الأرض؟! ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: لقد قيل هذا الكلام لآبائنا مِن قبل، فلم نَرَهُ حقيقةً، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا الذي تتحدثون عنه من البعث والحياة الثانية إلا قصص السابقينَ التي لا حقيقةَ لها.

- الآية 69: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُنكِرين للبعث: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأجسادكم وقلوبكم، وتأمّلوا في الهالكينَ كعادٍ وثمودَ وفي ديارهم ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كيف كان مصير المُكَذّبين للرسل؟ (فإنكم لن تجدوهم إلا مُعَذَّبين، قد فرَغَتْ ديارهم، وذهب عِزُّهم ومُلْكُهم، وزالَ نعيمهم وفخرهم، أليس في هذا أعظم دليل على صِدْق ما جاءت به الرُسُل؟).

- الآية 70: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تحزن يا محمد على إعراض المشركين عنك وتكذيبهم لك، ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا يَضِقْ صدرك مِن كيدهم لك، ولا تهتم به، فإنّ اللهَ ناصرك عليهم.

- الآية 71، والآية 72: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: متى يحصل هذا العذاب الذي تَعِدُنا به يا محمد، إن كنت صادقاً أنت ومَن اتّبعك؟، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ أي اقترب لكم ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب، (وأوّل عذاب نزل بهم: هزيمتهم يوم بدر وقَتْل زعمائهم، ثم القحط سبع سنين، ومَن مات منهم على الشِرك: فسوف يُعَذَّب في نار جهنم خالداً فيها أبداً).

- الآية 73، والآية 74: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) بترك مُعاجلتهم بالعقوبة رغم مَعصيتهم وشِركهم، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) أي لا يَشكرونَ اللهَ على ذلك الإمهال بأن يتوبوا ويَنتهوا عَمّا هم فيه، بل يَزيدهم هذا الإمهال طغياناً (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) أي يعلم ما تخفيه صدور خلقه من النيات والخواطر، (وَمَا يُعْلِنُونَ) أي: ويعلم سبحانه ما يُظهرونه من الأقوال والأفعال، وسيُجازيهم على ذلك كله.

- الآية 75: (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ) أي: ما مِن حادثةٍ غائبة (والمقصود: ما مِن شيءٍ غائب عن حَواسّ الخلق) (فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (إِلَّا) مُثبَتٌ (فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) أي في كتابٍ واضح عند الله تعالى، أحاطَ به علمه وكَتَبَه قلمه (وهو اللوح المحفوظ).

- الآية 76، والآية 77: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أي يُخبرهم بالحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها، (وَإِنَّهُ لَهُدًى) يعني: إنّ هذا القرآن هادٍ من الضلال (إذ هو أعظم دليل على صِدق البعث والتوحيد والنُبُوّة) (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) أي نجاةٌ لهم من العذاب (فهو رحمةٌ لمن صدَّق به وعمل بهُداه).

- الآية 78، والآية 79: (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) أي يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم (بِحُكْمِهِ) يوم القيامة (فينتقم من الكاذبين المُعاندين، ويُثيب الصادقين المحسنين) (وَهُوَ الْعَزِيزُ) أي الغالب الذي لا يُرَدُّ قضاؤه، (الْعَلِيمُ) بمن على الحق ومن على الباطل (فلذلك لن يكونَ حُكمه إلا عادلاً)، وبناءً على عِزّته سبحانه وعِلمه: (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أي اعتمد عليه في كل أمورك، وثِق بنصره وحِفظه، فـ (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) أي على الحق الواضح الذي لا شك فيه، والعاقبة الحَسَنة لك ولأتْباعك.

- الآية 80، والآية 81: (إِنَّكَ) أيها الرسول (لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) أي لا تقدر على إسماع مَن طَبَعَ الله على قلوبهم فأماتها (بسبب تراكُم الشرك والمعاصي عليها)، (وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ) يعني إنك لا تَقْدر على إسماع الصُمّ (الذين فقدوا حاسة السمع)، فكذلك أنت لا تقدر على هداية هؤلاء المشركين - إلا أن يشاء الله هدايتهم - لأنهم كالصمّ، حيثُ لا يسمعونك سماع تدبُّر وانتفاع، وخصوصًا (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) يعني إذا كانوا مُعرِضينَ عنك، (وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ) يعني لن تهدي مَن أعماه الله عن الهدى والرشاد، بسبب الكِبر والعناد، (إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) أي لا يُمْكنك أن تُسمِع إلا مَن يُصَدِّق بآياتنا (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) أي مُستجيبونَ لِمَا دَعَوتَهم إليه، مُنقادونَ للحق، غير مُتَّبِعينَ لأهوائهم وشهواتهم.

****

4. الربع الأخير من سورة النمل

- من الآية 82 إلى الآية 85: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) يعني: إذا وَجَبَ العذاب عليهم - لاستمرارهم في المعاصي والطغيان، وإعراضهم عن شرع الله وحُكمه -: (أَخْرَجْنَا لَهُمْ) في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي: (دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) بكلامٍ يفهمونه، فتُخبرهم (أَنَّ النَّاسَ) - أي المُنكرين للبعث منهم - (كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) أي كانوا لا يُصَدِّقون بالقرآن ولا يعملون به (رغم وضوحة وقوة حُجَّته وخلوده إلى قيام الساعة)، (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) أي اذكر أيها الرسول لقومك يوم القيامة، يوم نَجمع مِن كل أُمَّةٍ جماعةً (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا) وأدلتنا الواضحة، (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أي يُجمَعون، ثم يُساقون بنظامٍ إلى موقف الحساب (حَتَّى إِذَا جَاءُوا) للعرض على ربهم (قَالَ) لهم: (أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي) التي أنزلتُها على رُسُلي، وبالآيات الدالة على استحقاقي وحدي للعبادة وعلى قدرتي على البعث (وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا) أي لم تحيطوا عِلمًا ببُطلانها حتى تُعرضوا عنها وتُكذِّبوا بها؟!، (أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)؟ (وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا) أي وجب عليهم حُكم الله بعذابهم بسبب ظلمهم وتكذيبهم (فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ) أي لا يَنطقون بحُجّةٍ يَدفعون بها العذاب عن أنفسهم.

www.alukah.net

- الآية 86: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي هؤلاء المُكَذِّبون ﴿أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي يَنامون فيه ليستريحوا من التعب في طلب الرزق، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي يُبصِرون فيه (للسعي في معاشهم)؟، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في اختلاف حال الناس في الليل والنهار، وفي عناية الله تعالى بمصالح خلقه ﴿لَآَيَاتٍ﴾ تدل على أن الله هو المستحق وحده للعبادة، ثم خَصَّ سبحانه الذين ينتفعون بهذه الآيات بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنون بكمال قدرة الله تعالى ووحدانيَّته وعظيمِ نعمه.

- الآية 87: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي اذكر أيها الرسول يوم يَنفخ المَلَك في "القرن" (وهو المعروف بـ "البوق") ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ فزعًا شديدًا مِن هَوْل النفخة، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يحفظه من الفزع، ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ يعني: وكل مخلوقٍ يأتي إلى ربه طائعاً ذليلاً.

- الآية 88: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي تظنها واقفة مستقرة ﴿وَهِيَ﴾ في الحقيقة ﴿تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ أي تسير سَيرًا بطيئاً مِثل سَيْر السحاب بسبب دوران الأرض (إذ تدور الجبال مع الأرض أثناء دورانها، والناظر إليها يظنها ثابتة) (فسبحان مَن عَلَّمَ محمداً صلى الله عليه وسلم - النبي الأُمِّيّ - هذه الحقيقة)، انظروا ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (فكما أنه سبحانه يَعلم حركة هذه الجبال، وكما أنه أخبركم عن هذه الحركة الخفية ولم تتأكدوا منها إلا بأدق الأجهزة، فكذلك يعلم سبحانه كل فِعلٍ تفعلونه، وكل كلمةٍ تنطقونها، وكل فكرةٍ تخطر ببالكم، فيَنبغي عليكم أن تستشعروا مراقبة الله لكم، لأنه سبحانه سيُحاسبكم على أعمالكم).

- الآية 89: ﴿مَنْ جَاءَ﴾ يوم القيامة ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ أي بتوحيد الله تعالى، وبالأعمال الصالحة (الخالصة لوجهه، والمُوافِقة لشَرعه): ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ إذ تُضاعَف له أعماله عشرة أضعاف، ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آَمِنُونَ﴾ أي هُم آمنونَ من الخوف يوم القيامة، إذ تتلقاهم الملائكة لتُبَشّرهم بالجنة.

- الآية 90، والآية 91، والآية 92: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي بالشرك والمعاصي يوم القيامة: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ أي: فجزاؤهم أن يَكُبَّهم الله على وجوههم في النار، ويُقال لهم - توبيخاً - وهم يُعَذّبون: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟

♦ وقل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ وهي "مكة"، فهو سبحانه ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي حَرَّمَ على خلقه أن يَسفكوا فيها دمًا حرامًا، أو يظلموا فيها أحدًا، أو يصيدوا صيدها، أو يقطعوا شجرها، ﴿وَلَهُ﴾ سبحانه ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ - خلقاً وملكاً وأمراً - كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي المنقادينَ لأمره سبحانه، المُسارعينَ في طاعته، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآَنَ﴾ ليَهتدي به الناس، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ بما فيه وعَمِلَ به: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأنّ ثواب ذلك سيعود عليه وحده، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن الحق بعد وضوحه: ﴿فَقُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (الذين يُخَوِّفون قومهم عذاب ربهم)، وأما هداية القلوب فهي إلى الله وحده (إذ يهدي سبحانه مَن طلب الهداية بصِدق وسَعَى في تحصيل أسبابها، ولا يُضِلُّ سبحانه إلا مَن رغب في الضلال وسعى إليه وأحَبَّه).

- الآية 93: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الثناء على اللهِ تعالى بصفاته التي كلُّها كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، ﴿سَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ﴾ في أنفسكم وفي السماء والأرض ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ مَعرفةً تَدُلُّكم على الحق وتبيِّن لكم الباطل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وسيُجازيكم على أعمالكم.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة القصص كاملة

1. الربع الأول من سورة القصص

– الآية 1: (طسم) سبق الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (طا سين ميم).

– الآية 2: (تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) أي: هذه هي آياتُ الكتاب المُوَضِّح لكل ما يحتاجه العباد في دُنياهم وأُخراهم.

– الآية 3: (نَتْلُوا عَلَيْكَ) أيها الرسول – في هذه السورة – (مِنْ نَبَإِ) أي مِن خَبَر (مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) أي بالصدق (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي يُصَدِّقون بهذا القرآن ويعملون بهُداه.

– الآية 4: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا) أي تكَبَّر وطغى (فِي الْأَرْضِ) أي في أرض مصر (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) أي طوائف متفرقة، يُعادي بعضها بعضاً، وكانَ فرعون (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) – وهُم بنو إسرائيل – إذ كان (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ) الذكور (حتى لا يأتي منهم مَن يَستولي على مُلْكه)، (وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) أي يَترك بناتهم أحياءً ذليلات للخِدمة والإهانة (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) الذين ارتكبوا الجرائم العظيمة، حتى ادَّعى الألوهية من دون الله تعالى.

– الآية 5، والآية 6: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ) أي نُنعِم (عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ) فنُنَجِّيهم من ذلك العذاب والأسْر (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أي قادةً في الخير ودُعاةً إليه (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) أي يرثون الأرض بعد هلاك فرعون وقومه، (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ) أي نُهَيِّئ لهم – من الأسباب الدنيوية – ما يُصبحون به متمكنينَ (فِي الْأَرْضِ) (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ): أي نجعل فرعون وهامان وجنودهما يرون من هذه الطائفة المُستضعَفة ما كانوا يخافونه مِن ذهاب مُلكهم على يد مولودٍ منهم (وهو موسى عليه السلام).

– الآية 7، والآية 8: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) أي ألْهمناها حين ولدتْ موسى (أَنْ أَرْضِعِيهِ) وأنتِ مطمئنة، (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) أن يذبحه فرعون – كما يُذَبِّح أبناء بني إسرائيل –: (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) أي ضعيه في صندوقٍ وألقيه في النيل (وَلَا تَخَافِي) من فرعون وقومه أن يقتلوه، (وَلَا تَحْزَنِي) على فِراقه، فـ (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)، فوضعته في صندوق وألقته في النيل (فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ) أي عثر عليه أعوان فرعون وأخذوه (لِيَكُونَ لَهُمْ) أي: ليصير موسى لهم (عَدُوًّا وَحَزَنًا) لأنّ إهلاكهم سيكون على يده، (واعلم أنّ اللام التي في قوله تعالى: (لِيَكُونَ لَهُمْ) تُسَمَّى لام العاقبة)، (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) أي كانوا ظالمينَ آثمين.

– الآية 9: (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) لفرعون: هذا الطفل (قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) أي سيكون مصدر سرور لي ولك، (لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا) أي لعلنا نستفيدُ مِن خِدمته، (أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا): يعني أو نُقيمه عندنا مقام الولد (وقد قالت ذلك لأنه لم يكن لها ولد)، (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ): أي لا يُدرك فرعون وأعوانه أنّ هلاكهم سيكون على يد هذا الطفل.

– الآية 10: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) يعني أصبح قلبها خاليًا من كل شيء في الدنيا إلا مِن هَمِّ موسى وذِكره، (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أي لقد قاربت أن تُظهِر للناس أنها ألقته في النيل (وذلك من شدة الحزن عليه) (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) يعني لولا أننا ثبتناها فصبرتْ (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أي لتكون من الموقنين بوعد الله لها.

www.alukah.net

- الآية 11: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ - حين ألقته في النيل -: ﴿قُصِّيهِ﴾ أي تَتَبَّعي أثر الصندوق الذي فيه موسى، فسارت أخته على شاطئ النهر وهي تنظر إلى الصندوق، حتى انتهى إلى قصر فرعون ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ أي أبصرتْ موسى عن بُعْد وهو في يد الجنود ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يعرفون أنّ هذه البنت التي تنظر إليه من بعيد هي أخته.

- الآية 12: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ أي منعناه من قبول جميع المُرضِعات اللاتي أحضرهُنّ له فرعون، وذلك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي مِن قبل أن نردّه إلى أمه ﴿فَقَالَتْ﴾ لهم أخته - وكانت تأتي وتقف قريباً من القصر لتتابع أخباره -: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ أي يُحسنون تربيته وإرضاعه؟ ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ أي مُشفقون عليه، لا يَمنعون عنه ما ينفعه، فوافقوها على ذلك.

- الآية 13: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ﴾ ووفينا إليها بالوعد ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ أي حتى تفرح بنجاته من الغرق والقتل ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي أكثر الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله لا يخلف الميعاد.

- الآية 14: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني: ولمَّا وَصَلَ موسى إلى مُنتهى قوته في شبابه ﴿وَاسْتَوَى﴾ أي كَمُلَ عقله: ﴿آَتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي عَلَّمناهُ كيف يَحكم بين الناس، وأعطيناه الحِكمة في القول والعمل، ﴿وَعِلْمًا﴾ وهو الفِقه في دين إبراهيم عليه السلام (وهو الإسلام)، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: وكما أعطينا موسى هذا العطاء (جزاءً له على إحسانه)، فكذلك نُعطي المحسنين عِلماً نافعاً جزاءً لهم على إحسانهم، كما قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي عِلماً ونوراً تُفرِّقون بهِ بين الحق والباطل والحلال والحرام.

- الآية 15: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ أي دخل موسى مدينة فرعون، (والظاهر أنه كان غائباً عن المدينة لأمرٍ اقتضى ذلك)، فدخلها ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي دخلها في وقت الظهيرة (الذي كان ينام فيه الناس)، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾: يعني أحدهما من قوم موسى (من بني إسرائيل)، والآخر (مصري) من قوم فرعون، (وقد كانَ فرعون وقومه أعداءً لبني إسرائيل، لأنهم كانوا يُذيقونهم أشد العذاب) ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي طلب الرجل الإسرائيلي أن ينصره موسى على القبطي ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي: فضرب موسى القبطي بقبضة يده فمات، فحينئذٍ ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه هو الذي هيَّج غضبي، حتى ضربتُ الرجل فمات، ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشيطان ﴿عَدُوٌّ﴾ لابن آدم، ﴿مُضِلٌّ﴾ عن سبيل الرشاد، ﴿مُبِينٌ﴾ أي عداوته واضحة للإنسان، (وقد حدث ذلك القتل الخطأ قبل أن يكون موسى عليه السلام نبياً).

- الآية 16: ﴿قَالَ﴾ موسى - داعياً ربه -: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتل النفس التي حَرّمتَ قتْلها ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ ذلك الذنب، ﴿فَغَفَرَ﴾ اللهُ ﴿لَهُ﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوب عباده التائبين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، فلا يُعذبهم بذنبٍ تابوا منه.

- الآية 17: ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: بسبب إنعامك عليَّ بالتوبة والهداية والعلم: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي لن أكون مُعيناً لأحد على معصيته وإجرامه بعد ذلك، (ومِن ذلك أيضاً أنه سيَعتزل فرعون وملئه، لأنهم ظالمونَ مجرمون).

- الآية 18: ﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى ﴿فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي يُراقب الأخبار التي يتحدث بها الناس في أمْره وأمْر قتيله، ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي: فرأى صاحبه بالأمس يُقاتل قبطيًا آخر، ويَستغيثه بأعلى صوته، ف ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾: يعني إنك ضالٌ واضح الضَلالة (لأنك قاتلتَ بالأمس، واليوم تقاتل أيضاً).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– الآية 19: (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ) أي موسى (أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا) – وهو القبطي – بسبب كثرة استغاثة الإسرائيلي بموسى: (قَالَ) له القبطي: (يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ)؟ (إِنْ تُرِيدُ) أي: ما تريد (إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا) أي طاغية، تضرب وتقتل كما تشاءُ (فِي الْأَرْضِ) (وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) الذين يُصلحون بين المتخاصمين.

♦ وقد قال بعض المُفَسِّرين: (إنّ الذي قال هذه الجملة: (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ) هو الإسرائيلي وليس القبطي، لأنه خاف مِن هجمة موسى – ظانّاً أنه يريده هو – وذلك بعد أن قال له: (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ)، فلمّا سمع القبطي مَقالة الإسرائيلي نَقَلها إلى القصر، لأنه كان من عُمّال القصر)، واللهُ أعلم.

– الآية 20، والآية 21: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ) أي مِن آخر المدينة (يَسْعَى) أي يَمشي مُسرِعاً، فـ (قَالَ): (يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ) وهُم أشراف قوم فرعون (يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) أي يَتشاورون في أمْرك، ويُطالب بعضهم بقتلك (فَاخْرُجْ) من هذه المدينة (إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) (فَخَرَجَ) موسى (مِنْهَا) أي من مدينة فرعون (خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) أي ينتظر أن يُدركه جنود فرعون ليأخذوه، فـ (قَالَ) – داعياً ربه –: (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (وقد وَصَفهم موسى بالظلم لأنهم مُشركون، ولأنهم أرادوا قتله قِصاصاً عن قتلٍ خطأ، وهذا ظلم).

– الآية 22: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) يعني: ولمّا قَصَدَ موسى بلاد "مَدْيَن" وخرج مِن مُلك فرعون وسلطانه: (قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) يعني: أرجو ربي أن يرشدني إلى خير طريق إلى بلاد "مَدْيَن" حتى لا أَضِلّ فأهلك، (فاستجاب اللهُ له، وهَداه الطريق السَوِيّ، الذي أوصله إلى بلاد مَدْيَن سالماً).

– الآية 23، والآية 24: (وَلَمَّا وَرَدَ) أي عندما وَصَلَ (مَاءَ مَدْيَنَ) – وهي بئرٍ يَسقي منها أهل مَدْيَن – (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً) أي جماعة (مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) بهائمهم، (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ) أي وجد امرأتين – منفردتين عن الناس – (تَذُودَانِ) أي تمنعان غنمهما عن الماء لعَجزهما عن مزاحمة الرجال، فلمّا رآهما موسى عليه السلام رَقَّ لهما، و(قَالَ): (مَا خَطْبُكُمَا) يعني: ما شأنكما؟ (قَالَتَا): (لَا نَسْقِي) مَواشينا (حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) يعني حتى يَصرف الرُعاة مَواشيَهم عن الماء، ويَبقى الماء لنا وحدنا، (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لا يستطيع أن يَسقي ماشيَته.

(فَسَقَى لَهُمَا) ماشيَتهما، (ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ) أي ذهب إلى ظل شجرة لِيَستظلَّ بها (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ): يعني إني مُحتاجٌ إلى الخير الذي اعتدتُ أن تُنزِله إليّ (والمقصود: إنني مُحتاجٌ إلى أيّ خيرٍ تسوقه إليَّ – كالطعام وغيره – وكان قد اشتد به الجوع).

– الآية 25: (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا) أي إحدى المرأتين اللتين سقى لهما، وكانت (تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) أي تسير إليه في حياء، فـ (قَالَتْ) له: (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) أي حَكى له قصصه مع فرعون وقومه: (قَالَ) له أبوها: (لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) إذ لا سُلطانَ لهم بأرضنا.

– الآية 26: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا) لأبيها: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) أي اجعله أجيراً عندك لِيَرعى ماشيتك (بالأجرة)، فـ (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ) على حِفظ ماشِيَتك، (الْأَمِينُ) الذي لا تخافُ خيانته.

♦ وقد قيل إنها وَصَفته بالقوة لأنه رفع صخرةً كانت على البئر – لا يرفعها إلا عدد من الناس – فرفعها موسى وحده، ووَصَفته بالأمانة لأنه كان يغض بصره عن النظر إليها.

www.alukah.net

- الآية 27: (قَالَ) الشيخ لموسى: (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ) أي أزوّجك (إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ) (عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ): يعني على أن تكون أجيرًا لي في رَعْي ماشِيَتي ثماني سنين مقابل زواجك لها، (فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ) يعني: فإنْ أكملتَ عشر سنين، فهذا إحسانٌ من عندك، (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) بجَعْل الشرط عشر سنين، و(سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) في حُسن الصحبة والوفاء بما قلتُ.

♦ واعلم أنّ لفظ "الحِجَج" (المذكور في الآية) مُشتَق من "الحج"، لأن الحج يقع كل سنة، فأراد بالثماني حِجَج: ثماني سنوات.

- الآية 28: (قَالَ) له موسى: (ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ) يعني: ذلك الذي قلتَه قائمٌ بيني وبينك (فأنا أوفي بشرطي وأنت توفي بشرطك)، (أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) يعني أيّ المدتين قضيتُها في العمل: (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ): أي لا أُطالَب بزيادة عليها، (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) أي يُراقبنا سبحانه، ويَعلم ما تعاقدنا عليه، وهو خير الشاهدين، (واعلم أنّ الوكيل: هو الذي يُوَكَّل إليه الأمر، وقد أراد موسى هنا أنه وَكَّلَ إليه سبحانه الوفاء بما تعاقدا عليه، حتى إذا أخَلَّ أحدهما بشيءٍ كان اللهُ مؤاخذه).

****

2. الربع الثاني من سورة القصص

- الآية 29: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ) يعني: فلمّا أكمل موسى المدة المتفق عليها (وهي ثَمان أو عشر سنوات)، (وَسَارَ بِأَهْلِهِ) إلى أرض "مصر" لزيارة والدته وإخوته: (آَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا) أي رأى نارًا من جانب جبل الطور بسيناء، فـ (قَالَ لِأَهْلِهِ) أي قال لزوجته - ومَن معها مِن خادم أو ولد -: (امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا): أي انتظروني هنا، فقد أبصرتُ نارًا مُوقدة، وسأذهب لأراها (لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) يَدُلّنا على الطريق (وكانَ قد ضَلّ الطريق إلى مصر بسبب ظُلمة الليل)، (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) يعني أو آتيكم منها بشعلة من النار (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) أي لتستدفئوا بها.

- الآية 30، والآية 31، والآية 32: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ) يعني: فلمّا وَصَلَ موسى إلى تلك النار، ناداه اللهُ تعالى (مِنْ شَاطِئِ) أي مِن جانب (الْوَادِ الْأَيْمَنِ) أي الوادي الذي عن يمين موسى (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) أي في قطعة الأرض المباركة (وهي الوادي المقدس "طُوًى")، (مِنَ الشَّجَرَةِ) أي من ناحية الشجرة (وقد كانت الشجرة الوحيدة في هذا المكان)، فناداه سبحانه (أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) يعني: وأمَرَه اللهُ أن يُلقِ عصاه، فألقاها موسى على الأرض، (فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) يعني: فلمّا رأى عصاه تتحرك في خِفّة كما تتحرك الحية السريعة المعروفة بالـ (جانّ): (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) أي فَرّ هاربًا ولم يَرجع إليها، فطمأنه اللهُ بقوله: (يَا مُوسَى أَقْبِلْ) على العصا (وَلَا تَخَفْ) من الحية ولا من غيرها، فـ (إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ) من كل مكروه، (اسْلُكْ) يعني أدخِل يا موسى (يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) ثم أخرجها: (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ) - رغم اسمرار لون جسمك - (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أي من غير بَرَص (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ): أي اضمم إليك يدك - بأن تضعها على صدرك - ليذهب خوفك من الحية، وتعود يدك عادية لا نور فيها، (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ) يعني: فهاتان المعجزتان: (تحوُّل العصا إلى حية، وجَعْلِ يدك بيضاء تلمع من غير بَرَص)، هُما آيتان (مِنْ رَبِّكَ) تَدُلّان على صِدق رسالتك (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) أي كانوا قومًا خارجين عن أمر الله، كافرينَ به.

- الآية 33، والآية 34: (قَالَ) موسى: (رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا) - وهو القبطي الذي قتلته خطأً - (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) يعني أفصح مِنّي نُطقًا، (وقد قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: كانَ في لسانه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عُقدة – يعني صعوبة في النطق – تمنعه من كثير من الكلام)، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ﴾ أي اجعل هارون رسولاً مِثلي، ليكونَ ﴿رِدْءًا﴾ أي عونًا لي على تبليغ الرسالة ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ أي يوَضِّح لهم ما أخاطبهم به، فيكون ذلك تصديقاً منه لي، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ إن لم يُعينني أخي هارون.

– الآية 35: ﴿قَالَ﴾ اللهُ لموسى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي سنقوّيك بأخيك هارون، ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ أي حُجّة قوية على فرعون وقومه ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء (بسبب رهبتهم من قوة الآيات)، ﴿بِآَيَاتِنَا﴾ أي: بسبب آياتنا، سوف تكونان ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ أي المنتصرون على فرعون وقومه بقوة الحُجّة.

– الآية 36: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحات، تشهد لهم بصِدق ما جاء به موسى مِن عند ربه: ﴿قَالُوا﴾ لموسى: ﴿مَا هَذَا﴾ – الذي جئتنا به – ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ أي سِحراً افتريتَه كذبًا وباطلاً ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾: أي لم نَسمع قبل ذلك كلاماً مِثل الذي تدعونا إليه، ولم يَقُل به أحدٌ من أجدادنا السابقين.

– الآية 37: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لفرعون: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ يعني: ربي أعلم بمَن على الحق مِنَّا (وهو الذي جاء بالآيات الواضحة من عند ربه)، ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: ويعلم سبحانه مَن الذي ستكون له العاقبة الحسنة في الدار الآخرة، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: إنه لا يفوز برضوان اللهِ وجَنَّتِه مَن تجاوز حَدَّهُ، فأشركَ مع اللهِ غيره.

– الآية 38: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لأشراف قومه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ يعني أشعِل نارًا على الطين حتى يصبح صلباً متماسكاً ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ أي ابنِ لي بناء عاليًا ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ يعني: لعلي أقف عليه وأنظر إلى معبود موسى الذي يدعونا إلى عبادته ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي أظن أنّ موسى ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، (واعلم أنّ هامان هو أحد وزراء فرعون، وقيل إنه رئيس وزرائه، واللهُ أعلم).

– الآية 39، والآية 40: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي تعاظموا في الأرض التي خلقناها لهم، وتكبروا عن تصديق موسى واتّباعه ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ إذ لا حقّ لهم في ذلك الاستكبار (لأنّ أدلة موسى واضحة)، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بعد موتهم، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي ألقيناهم جميعًا في البحر وأغرقناهم، ﴿فَانْظُرْ﴾ أيها الرسول ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: كيف كان مصير هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم؟

– الآية 41، والآية 42: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي جعلنا فرعون وقومه قادةً إلى النار (إذ يَقتدي بهم أهل الباطل في الكفر والمعاصي المُوجِبة لدخول النار) ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ أي لا يَنصرهم أحد من عذاب ربهم (بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسولهم) ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي طرداً من رحمتنا (انتهت بِهم إلى الغرق والخسران)، وأخبارهم القبيحة قد وصلتْ إلى كل جِيل، فيَلعنهم المؤمنون ويَذمُّونهم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ الذين تُستقذَر أفعالهم، المطرودينَ من رحمة ربهم.

– الآية 43: ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ – وهو التوراة – ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ أي مِن بعد ما أهلكنا فرعون وقومه والأمم التي قبلهم – كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب "مَدْيَن" –، إذ لم يَنزل عذابٌ بأمةٍ بأكملها بعد نزول التوراة، وقد كانت التوراة ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي يُبصِر بها بنو إسرائيل ما ينفعهم وما يضرهم، ﴿وَهُدًى﴾ أي إرشاداً لهم إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن عَمِلَ بها منهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي ليتذكروا نِعَم الله عليهم، فيشكروه بالإيمان به وبرُسُله، وبطاعته وطاعة رُسُله.

www.alukah.net

- الآية 44، والآية 45: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ أي: ما كنتَ أيها الرسول بجانب الجبل - الذي غَرْب موسى - عندما وقف عند النار ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أي حين كلَّفناه بتبليغ الرسالة إلى فرعون وقومه، ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي لم تحضر شيئاً من ذلك حتى تعلمه وتُخبِر الناس به ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ أي أممًا بعد موسى وعيسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي مكثوا زمنًا طويلاً فنسوا عهد ربهم وتركوا أوامره، فلذلك بعثناك للناس رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره لتُذَكِّرهم به، وتُخَوِّفهم من عذاب ربهم إن لم يؤمنوا، ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ أي مُقيمًا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ حتى تعرف قصة موسي والشيخ الكبير وتخبر بها، ولكنك ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي تخبر أهل مكة بهذه القصة عن طريق الوحي، ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ حيثُ جعلناك رسولاً، وأوحينا إليك أخبارهم، لتكون شاهدة على صِدق رسالتك.

- الآية 46: ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ أيها الرسول ﴿بِجَانِبِ﴾ جبل ﴿الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أي حين نادينا موسى، حتى تخبر الناس بذلك الأمر ﴿وَلَكِنْ﴾ إرسالك للناس كانَ ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (والمقصود بهم أهل مكة ومَن جاء بعدهم) ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي ليَتعظوا بالقرآن فيؤمنوا به ويهتدوا، ليَنجوا به ويَسعدوا.

- الآية 47، والآية 48: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: وإذا نزل بهؤلاء الكفار عذابٌ - قبل بِعثتك إليهم - بسبب شِركهم ومعاصيهم ﴿فَيَقُولُوا﴾ أي فسوف يقولون عندئذٍ: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يعني: هَلاّ أرسلتَ إلينا رسولاً قبل هذا العذاب الذي أصابنا ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ المُنزَّلة في كتابك، ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (فلولا قولهم هذا لَعاجلناهم بالعذاب وما أرسلناك إليهم رسولاً، إذاً فما لهم لا يؤمنون ويشكرون؟!).

♦ واعلم أنّ حرف (لولا) المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ يُسَمّى (حرف امتناع)، أي امتنع إنزال العذاب بهم لأنهم سيقولون: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ - وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما معه من القرآن - ﴿قَالُوا﴾: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ يعني: هَلاّ أعطاه الله مِثل ما أعطى موسى من المعجزات الحِسِّيّة، والتوراة التي نزلتْ دُفعة واحدة، فرَدّ الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ حينَ ﴿قَالُوا﴾ عن التوراة والقرآن: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾: يعني إنهما سِحران تعاوَنا في سِحرهما، ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ منهما ﴿كَافِرُونَ﴾ (فكيف إذاً يُطالبونك بذلك؟!).

- الآية 49: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ أي أكثر هداية من التوراة والقرآن حتى ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زَعْمكم.

- الآية 50: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ في الإتيان بهذا الكتاب الذي طلبتَهُ منهم، ولم تَبقَ لهم حُجّة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ يعني: ومَن أشدّ ضلالاً ﴿مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ يعني بغير وحي أو عقل أو كتاب منير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يوفِّقهم لإصابة الحق.

****

3. الربع الثالث من سورة القصص

- الآية 51: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أي فصَّلنا القرآن لقومك أيها الرسول، وبَيَّنّا فيه الأدلة والحُجَج، وواصَلنا نزوله شيئاً فشيئاً بحسب الحاجة إليه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي ليَتعظوا به فيؤمنوا (فيَنجوا من العذاب ويَدخلوا الجنة).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ويُحتمَل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أي وَصَّلنا لهم القول بأخبار الأولين، وما نزل بهم من عذاب الله لمّا كَذّبوا رُسُله وأنكروا توحيده، (لأن الآيات السابقة كانت تتحدث عن إهلاك فرعون وقومه لمّا كَذّبوا موسى)، واللهُ أعلم.

- الآية 52، والآية 53، والآية 54، والآية 55: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: الذين أعطيناهم التوراة والإنجيل (وهم اليهود والنصارى الذين لم يُبَدِّلوا، ولم يُحَرّفوا كتابهم) ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي مِن قبل القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنون بالقرآن وبمحمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ هذا القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أي كنا قبل نزوله مسلمين مُوَحّدين، نعبد الله بما شَرَعَ على لسان موسى وعيسى عليهما السلام (إذ دين الله واحد، وهو الإسلام)، ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ أي يُعطيهم الله ثواب عملهم مرتين: (مرة على الإيمان بكتابهم، ومرة على إيمانهم بالقرآن)، وذلك ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بسبب صَبْرهم على الإيمان بالقرآن، إذ لم يُزَعزعهم عن ذلك رئاسة ولا دنيا (كما حدث مع غيرهم).

♦ ثم ذَكَرَ سبحانه بعض صفات هؤلاء المؤمنين بقوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يَدفعون السيئةَ بالحسنة فتمحوها (والمعنى أنهم يَتوبون من المعاصي، ويَجتهدون في فِعل الطاعات، حتى يَمحو الله بها السيئات، وكذلك يكونون حَليمينَ على الجُهَلاء، صابرينَ على مَن يؤذونهم، فيُقابلون إساءتهم بالقول الطيب)، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي يُخرِجون صَدَقة أموالهم الواجبة والمُستحَبة، (وكذلك يُنفقون مِمَّا رزقهم اللهُ مِن عِلمٍ أو صِحَّةٍ أو سُلطة في خدمة المسلمين، فيُعَلِّمونَ الناس، ويَسعونَ في قضاء حوائجهم)، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ يعني إذا سمعوا الباطل من القول: ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ لأهل الباطل: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ أي لنا ثوابها، فلا نتركها أبداً، ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ وإثمها عليكم، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ فنحن لا نُشغِل أنفسنا بالرد عليكم، ولا تسمعون منَّا إلا الخير، ولا نخاطبكم بمِثل جهلكم، لأننا ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي لا نريد صُحبة الجاهلين ولا نحب طريقهم، (وفي هذا إرشادٌ إلى حُسن الرد على الجهلاء من أهل الباطل).

- الآية 56: ﴿إِنَّكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (والمقصود بهذه الهداية: هداية التوفيق)، وإنما عليك فقط بيان الطريق المستقيم، كما قال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (أي هِداية الإرشاد والبيان) ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ لأنه سبحانه الأعلم بخلقه، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي الذين يستحقون الهداية، ويَطلبونها من ربهم بصِدق فيَهديهم.

- الآية 57: ﴿وَقَالُوا﴾ أي قال كفار "مكة" للرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾ يعني إن نَتّبع الحق الذي جئتَنا به، ونتبرأ من الأصنام: ﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ أي بالقتل والأسْر والسرقة، وتتجرأ علينا قبائل العرب، (وقد كان هذا اعتذارٌ اعتذر به بعض رجال قريش فقالوا - ما مختصره -: (نحن نعرف أن ما جئتَ به حق، ولكننا نخشى إن آمنا بك واتّبعناك أن يتجرأ علينا العرب ويتخطفوننا كما هو حاصلٌ لغيرنا، وبذلك تسُوء أحوالنا).

♦ فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾: يعني ألم نجعلهم متمكنين في بلدٍ آمِن (حَرَّمنا على الناس سفك الدماء فيه والصيد والسرقة)، و﴿يُجْبَى إِلَيْهِ﴾ أي يُحمَل إليه ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِن مختلف البلاد في موسم الحج، وأثناء رِحلتَي قريش إلى الشام واليمن، وقد كان ذلك ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ أي مِن عندنا، (أليس هذا كافياً في أن يعلموا أن الذي جعل لهم حرماً آمناً قادرٌ على أن يُؤَمِّنهم إذا أسلموا؟!) ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون قَدْر هذه النعم، فيشكروا اللهَ عليها بتوحيده وطاعته.

www.alukah.net

- الآية 58: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ يعني: وكثير من القرى المُكَذِّبة أهلكناها حين ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي حين ألْهَتهم مَعيشتهم عن الإيمان بالرُسُل، فلم يشكروا ربهم، بل كفروا وطَغَوا في المعاصي فأهلكناهم، ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ خالية - كديار عاد وثمود وقوم لوط - ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (كالمسافرين الذين ينزلون بها ساعةً ثم يغادرونها)، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ أي الوارثين لهذه الديار، فلم نُورثها أحداً بعدهم، وتركناها خالية لم تُسكَن، (ألاَ يَذكر كفار قريش هذا، فيَعلموا قدرتنا، ويَتّقوا عذابنا، ويستقيموا على منهج الحق الذي جاءهم؟).

- الآية 59: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ - أي القرى الظالمة المُشرِكة - ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ - أي في أعظم مُدُنها (وهي العاصمة) - ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ ويُعلّمهم، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ أي ظالمونَ لأنفسهم بالكفر والمعاصي.

- الآية 60: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ - من الأموال والأولاد وغير ذلك - ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾: يعني فإنما هو متاعٌ تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا، وزينةٌ تتزينون بها ثم تزول سريعاً، أو تموتون عنها وتتركونها لغيركم، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ما أعَدَّه اللهُ لأهل طاعته من النعيم، هو ﴿خَيْرٌ﴾ مِن مُتَع الدنيا الفانية التي تصحبها المُنَغِّصات ﴿وَأَبْقَى﴾ منها، حيثُ لا انقطاعَ لها ولا مُنَغِّصات، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أيها المُغترون بزينة الدنيا، فتقدِّموا ما يَبقى على ما يَفنى؟!

♦ وفي هذا تذكيرٌ لقريش التي فَضَّلَتْ الدنيا على الآخرة، فرفضت الدخول في الإسلام خوفاً من أن يُؤَثِّر ذلك على حياتها الاقتصادية والأمنية كما زَعَمَتْ.

- الآية 61: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾ على طاعته ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ - وهو الجنة - ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ يوم القيامة، فهل يتساوى هذا ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (ففضَّل لذة عاجلة على لذة دائمة) ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي من المُحضَرين للعذاب؟ لا يستويان أبداً، إذاً فليَختر العاقل لنفسه ما هو أَوْلى بالاختيار.

- الآية 62، والآية 63: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ سبحانه - يوم القيامة - ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي فعبدتموهم معي؟!، فحينئذٍ تبَيَّنَ لهم أنّ ما عبدوه كان باطلاً، وأقَرّوا على أنفسهم بالضلال، فـ ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي قال الذين وَجَبَ عليهم العذاب - وهم الشياطين ورؤساء الضلال - مُتبرئينَ مِمّن عَبَدوهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾ - وأشاروا إلى أتْباعهم - هم ﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ أي الذين أضللناهم، وقد ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ يعني دعوناهم إلى الضَلالة التى كنا عليها فأطاعونا، ولم نُكرِهم على ذلك، ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ مِن أن نكون قد أجبرناهم على الضلالة، وتبرَّأنا مِن أن نكون نحن الشركاء المزعومين، وإنما كنا مُضِلِّين فقط، ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ (بل كانوا يعبدون أهوائهم وشهواتهم) (إذ لا يقدر أحد من الإنس أو الجن في هذا الموقف أن يقول: (إنّ هذا كان يعبدني)).

- الآية 64: ﴿وَقِيلَ﴾ للمشركين يوم القيامة: ﴿ادْعُوا﴾ أي نادوا ﴿شُرَكَاءَكُمْ﴾ الذين كنتم تعبدونهم من دون الله، لِيُخَلِّصوكم مما أنتم فيه ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ أي نادوهم بالفعل ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لأنّ كل معبود قد تبرّأ مِمّن عَبَده، ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ فاشتدت حسرتهم، ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ يعني: (لو أنهم كانوا مهتدينَ إلى الحق في الدنيا، لَمَا عُذِّبوا في الآخرة).

- الآية 65، والآية 66: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ سبحانه ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾؟ هل آمنتم بهم واتّبعتموهم أم كَذَّبتموهم وحاربتموهم؟، ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾: أي خَفِيَتْ عليهم الحُجَج التي يُمكِنهم أن يَحتجُّوا بها ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضًا عن إجابةٍ يُجيبون بها على سؤال ربهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 67: (فَأَمَّا مَنْ تَابَ) مِن شِركه وذنبه، (وَآَمَنَ) بالله ورسوله والدار الآخرة، (وَعَمِلَ صَالِحًا) فأخلص العبادة لله وحده، وعمل بما أمَرَ الله ورسوله: (فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) أي الفائزين بجنات النعيم (فهل من تائب؟)، (واعلم أنّ كلمة (عسى) وكلمة (لَعَلّ) إذا جاءت من اللهِ تعالى، فإنها تفيد الوجوب وتأكيد الوقوع).

- الآية 68: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) (وَيَخْتَارُ) أي يَختار مَن يشاء مِن خَلقه لرسالته، (مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) أي ليس لأحد منهم الاختيار، لأنهم لم يخلقوا شيئاً، ولأنه سبحانه هو الأعلم بمَن يَستحق الاختيار، (سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (وفي الآية رَدٌّ على المشركين الذين اعترضوا على اختيار الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مِن بينهم).

- الآية 69: (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) أي يعلم سبحانه ما تخفيه صدور خلقه من النيات والخواطر، (وَمَا يُعْلِنُونَ) أي: ويعلم سبحانه ما يُظهرونه من الأقوال والأفعال، وسيُجازيهم عليها.

- الآية 70: (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي الذي لا معبود بحقٍ إلا هو، (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآَخِرَةِ): أي له سبحانه الشكر والثناء الجميل في الدنيا (على نعمه الظاهرة والباطنة)، وفي الآخرة (على إدخاله المؤمنين جنته)، إذ يَحمده أهل الجنة بقولهم: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ)، وبقولهم: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)، (وَلَهُ) سبحانه (الْحُكْمُ) أي القضاء العادل بين عباده في الدنيا والآخرة، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بعد موتكم للحساب والجزاء.

- الآية 71: (قُلْ) - أيها الرسول للناس -: (أَرَأَيْتُمْ) يعني أخبروني (إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) أي دائمًا (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ) تستضيئون به لطلب رزقكم؟! لا أحدٌ غير الله تعالى، (إذاً فكيف تشركون به؟!) (أَفَلَا تَسْمَعُونَ) يعني ألاَ تسمعون القرآن سماع تدبر وانتفاع؟!

- الآية 72: (قُلْ) لهم: (أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا) أي دائمًا (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ) أي تستقرون فيه وتنامون؟! لا أحدٌ غير الله تعالى، (إذاً فكيف تشركون به؟!)، (أَفَلَا تُبْصِرُونَ): يعني ألاَ ترون هذه الآيات، وما تحمله من دلالات، على أنه لا معبودَ بحقٍ إلا رب السماوات؟!، (وفي الآيات إشارة علمية إلى أن السماع يكون مع السكون وقلة الضجيج، وأن الإبصار يكون مع الضوء، ولا يتم أبداً مع الظلام).

- الآية 73: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ) بكم - أيها الناس - أن (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أي جعلهما يَخلف أحدهما الآخر لمصالحكم ومنافعكم، فجعل ظلام الليل (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) وترتاح أجسادكم من التعب في طلب الرزق بالنهار، (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) أي: وجعل لكم ضياء النهار لتطلبوا فيه معايشكم، (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي لتشكروه سبحانه على هذه النعم (بالاجتهاد في طاعته ليلاً ونهاراً).

- الآية 74، والآية 75: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) سبحانه - يوم القيامة - (فَيَقُولُ) لهم: (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي، فعبدتموهم معي؟!، (واعلم أنّ الله تعالى قد أعاد ذِكر هذا الموقف، لِيَذكر فيه حالاً لم تُذكَر في الآيات السابقة، وهي: (إشهاد الأنبياء على أُمَمهم)، كما قال تعالى: (وَنَزَعْنَا) أي أخرَجنا (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ) من الأمم المكذبة (شَهِيدًا) - وهو نَبيُّهم - لِيَشهد عليهم، (فَقُلْنَا) لهم: (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على صحة ما أشركتم به في عبادة ربكم؟، (فَعَلِمُوا) حينئذٍ (أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ) أي تبَيَّنَ لهم أن العبادة الحق لله وحده، وأنه سبحانه له الحُجّة البالغة عليهم، (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أي ذهب وغاب عنهم ما كانوا يَزعمونه كَذِباً مِن شفاعة آلِهَتِهم لهم عند ربهم.

****

www.alukah.net

4. الربع الأخير من سورة القصص

- الآية 76، والآية 77: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ أي ظَلَمهم وتكَبَّر عليهم، (ويبدو أنّ فرعون كانَ قد أسند إليه إمارة على بني إسرائيل فأطغته عليهم)، ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ شيئًا عظيمًا، ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ يعني: حتى إنَّ مفاتحه ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ أي يَثقل حملها على العدد الكثير من الأقوياء، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ أي قال له بعض قومه من بني إسرائيل – وهم يَعِظونه –: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ مُتكَبّراً بما أنت فيه من المال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي لا يحب المتكبرينَ مِن خلقه، الذين لا يشكرونه على نعمه، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾: أي اطلب ثواب الدار الآخرة بما أعطاك الله من المال (وذلك باستخدامه في طاعة الله، وأن تعمل فيه بما ينجيك من عقابه) ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: أي لا تترك حظك من الدنيا (بأن تتمتع فيها بالحلال الطيب دونَ إسراف)، ﴿وَأَحْسِنْ﴾ إلى الناس بالصدقة ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بهذه الأموال الكثيرة، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي لا تكن هِمَّتُك أن تُفسد في الأرض (باستخدام هذه النعم في المعاصي والإساءة إلى الخَلق) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

- الآية 78: ﴿قَالَ﴾ قارون للذين وعظوه: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾: يعني إنما أُعطيتُ هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة، (أو لعل المقصود: على عِلمٍ عندي بأن الله يعلم أني أستحق ذلك فأعطانيه)، فرَدّ الله على ذلك الادِّعاء بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي من الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال؟!، فما المانع من إهلاك قارون كما أهلكناهم؟!، (ولو كان كثرة المال دليلاً على حب الله لأصحابه ورِضاهُ عنهم، ما أهلك عاداً وثمود وغيرهم، وقد كانوا أشد منه قوة وأكثر مالاً ورجالاً)، ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (والمعنى أن العبد إذا أكثر من الإجرام بالشرك والكبائر: وَجَبَ عليه العذاب، فلا يُسأل عن ذنوبه سؤال حساب، وإنما يُسْألُ عنها سؤال توبيخ وتقرير وافتضاح، ثم يَدخل النار بغير حساب).

- الآية 79: ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ – لِيُظهِرَ لهم عظمته وكثرة أمواله –، فلمّا رأوه: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ من المال والزينة والجاه، ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي ذو نصيب عظيم من الدنيا.

- الآية 80: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (وهم العالِمونَ بشرع الله تعالى، العارفونَ بحقائق الأمور)، قالوا للذين يريدون الدنيا: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي احذروا الهلاك ولا تغتروا بالدنيا، فـ ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ – وهي الجنة – ﴿خَيْرٌ﴾ مِمّا أُعطِيَ قارون، وسيُعطيها سبحانه ﴿لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا﴾ أي لا يَتقَبَّل هذه النصيحة، ولا يُوَفّق للعمل بها ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ الذين جاهدوا أنفسهم، وصبروا على طاعة ربهم.

- الآية 81: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ انتقاماً مِنّا لظُلمه وكبريائه ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني لم تكن له جماعة يَمنعونه مِن عقاب اللهِ حينَ نَزَلَ به ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ أي: وما كان قارون مُمتنعًا بنفسه وقوّته (لأنّ مَن خَذَلَه اللهُ فلا ناصرَ له).

- الآية 82: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ﴾ – نادمينَ مُعتبِرين –: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ﴾ يعني نتعجبُ مِن أنّ الله ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ أي يُوَسِّع الرزق ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي يُضَيِّقه على مَن يشاء منهم (بحسب حِكْمته البالغة؛ إذ هو سبحانه الأعلمُ بما يُصلِح عباده مِن الفقر والغنى)، ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يعني: لولا أنّ الله أنعم علينا فلم يُعاقبنا بما قلنا ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ كما فعل بقارون، ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ يعني نتعجب مِن أنه ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يعني إنهم لا يُفلحون في الدنيا ولا في الآخرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 83: (تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ) – وهي هنا: الجنة – التي أخبر اللّه بها في كُتُبه، والتي جمعتْ كل نعيم، واندفع عنها كل ما يُفسِد نعيمها أو ينغصه: (نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا) أي لا يريدون تكبرًا على الناس (فِي الْأَرْضِ) التي خلقها الله لهم (وَلَا فَسَادًا) فيها بالشرك والمعاصي، (وَالْعَاقِبَةُ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ) الذين اتقوا عذاب الله تعالى، ففعلوا الطاعات، وتركوا المُحَرّمات.

♦ واعلم أنّ الله تعالى قد ابتدأ هذه الآية ابتداءً مُشَوّقاً، حيثُ ابتدأها بالإشارة إلى شيءٍ غير مذكور في الآيات السابقة – وهو الجنة – لِيَنتبه السامع إلى أهمية المُشار إليه وعُلُوّ شأنه.

- الآية 84، والآية 85: (مَنْ جَاءَ) يوم القيامة (بِالْحَسَنَةِ) أي بتوحيد الله تعالى، وبالأعمال الصالحة (الخالصة لوجهه، والموافقة لشَرعه): (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) إذ تُضاعَف له أعماله عشرة أضعاف، (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) أي بالشرك والمعاصي: (فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يعني لا يُجزَون إلا مِثل أعمالهم، ولا تُضاعَف عليهم (وذلك لعدل الله تعالى ورأفته بعباده).

♦ ثم يقول تعالى – مُبَشِّرًاً نَبِيَّهُ بالعودة إلى مَكَّة فاتحاً مُنتَصِراً –: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ): يعني إنّ الذي أنزل عليك القرآن وفَرَضَ عليك تبليغه والتمسُّك به: (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ): أي سوف يَرُدّك إلى المكان الذي خرجتَ منه، وهو "مكة" (إذ "معاد" هي اسم من أسماء مكة)، (وكانَ هذا الكلامُ يَستحِيلُ أن يَصدُرَ مِن أحدٍ في هذا الوقت بهذا اليَقين إلا في حالةٍ واحدة: وهي أنْ يكونَ قائلُ القرآن متأكداً مِن أنَّ هذا سوف يَحدث في المستقبل، وكانَ يمتلك القدرة على تحقيق ما قال، فالذي قال هذا الكلام هو القادر، الذي يَعلمُ أنَّ ذلك سوف يَحدث يَقيناً، وهو اللهُ سبحانه وتعالى).

(قُلْ) – أيها الرسول – لهؤلاء المشركين: (رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى) (وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالحق الواضح من عند ربه) (وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي: في ضلالٍ واضحٍ (وهم المشركون الذين تركوا عبادة الخالق الرازق المستحق وحده للعبادة، وعبدوا آلهةً باطلة لا تخلق ولا ترزق ولا تنفع ولا تضر).

- الآية 86: (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ) يعني: ما كنتَ تنتظر – أيها الرسول – ولا تتوقع نزول القرآن عليك، (إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) يعني: لكنّ الله أنزله عليك رحمةً بك وبالعالمين، (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ) أي لا تكن عونًا لأهل الشِرك على باطلهم (بموافقتهم على اقتراحاتهم، وعدم تبليغ ما فيه عيبٌ لآلهتهم)، وذلك لأنهم قالوا له: (لو أتَيْتَنا بكتابٍ ليس فيه سَبُّ آلهتنا لاتَّبعناك).

- الآية 87، والآية 88: (وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آَيَاتِ اللَّهِ) أي لا تجعل هؤلاء المشركين يَصرفونك – باقتراحاتهم وأذاهم – عن تبليغ آيات الله (بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ) أي بعد أن شَرّفك الله بإنزالها عليك.

♦ وقد بَلَّغَ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة، تقول السيدة عائشة رضي اللهُ عنها: (لو كانَ النبي صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي، لَكَتَمَ هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

(وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ) أي ادعُ إلى توحيد ربك وإخلاص العبادة له واتّباع أمْره (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الذين يعبدونَ مع الله غيره من مخلوقاته، بل تبرّأ منهم، ولا تَرضَ بشِركهم وادعهم إلى توحيد ربهم، (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ) لأنه (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي لا معبود بحقٍ إلا الله تعالى، ولا يَستحق العبادة غيره، (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) يعني إلا ذاته سبحانه (لأنّ بقاء وجهه سبحانه

www.alukah.net

يَستلزم بقاء ذاته كلها، لأنه سبحانه الحي الذي لا يموت)، ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ أي له القضاء العادل بين عباده في الدنيا والآخرة ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم للحساب والجزاء، (وفي هذه الآية إثباتُ صفة الوجه لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله، وفيها أيضاً دليل على فناء كل شيء إلا الله تعالى وما ورد الدليل بعدم فنائه، وهم ثمانية أشياء: (العرش والكرسي، والنار والجنة، واللوح والقلم والأرواح، وعُجب الذَنَب (وهو الجزء الذي يتبقى من الإنسان بعد موته ولا يتحلل).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة العنكبوت كاملة

1. الربع الأول من سورة العنكبوت

- الآية 1: (الم): سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (ألِف لام ميم).

- الآية 2: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)؟! يعني: هل ظنوا أن يَتركهم الله بلا ابتلاء ولا اختبار بعد أن قالوا: آمَنّا؟! كلا، لابد لهم من الاختبار حتى يَتميز المؤمن الصادق مِن غيره.

- الآية 3: (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي اختبرناهم بإرسال الرُسُل وأنواع الابتلاءات (كالقتال والشدائد وغير ذلك)، (فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ) بهذه الابتلاءات - عِلمًا ظاهرًا للخلق -: (الَّذِينَ صَدَقُوا) في إيمانهم، والصابرينَ على قضاء ربهم، (وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) في ادِّعائهم للإيمان، الساخطينَ على قضاء ربهم (حتى يَتميز كلُّ فريق عن الآخر في الجزاء).

- الآية 4: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) - مِن شِركٍ وغيره - (أَنْ يَسْبِقُونَا)؟! أي يَفوتوا مِنّا ويَهربوا؟! كلا، إنهم لن يُفلتوا من عذابنا أبداً، (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) أي: قَبُحَ هذا الحُكم الذي يَحكمون به على الأمور (وهو ظَنُّهم أنهم سيَهربون من عذاب ربهم).

- الآية 5: (مَنْ كَانَ يَرْجُو) أي يَنتظر (لِقَاءَ اللَّهِ) في الآخرة، ويَطمع في ثوابه: (فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) - الذي أجَّله لبَعث خلقه - (لَآَتٍ) أي سيأتي لا مَحالة، (ألاَ فليَستعد المؤمن للقاء ربه بالتوبة النصوح، وكثرة الندم والاستغفار، ومجاهدة النفس والشيطان، والإكثار من صالح الأعمال)، (وَهُوَ) سبحانه (السَّمِيعُ) لأقوال عباده، (الْعَلِيمُ) بأفعالهم ونيّاتهم.

- الآية 6: (وَمَنْ جَاهَدَ) أي جاهَدَ في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وجاهَدَ نفسه (بإلزامها بالطاعة ومُخالفتها في المعصية): (فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) لأنّ ثواب تلك المجاهَدة سيعود عليه وحده، (إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) يعني إنه سبحانه غَنِيٌّ عن أعمال خَلقه، فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، ورغم ذلك فقد تفضَّلَ الكريم الرحيم على عباده المؤمنين، بقوله - في آخر هذه السورة -: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ).

- الآية 7: (وَالَّذِينَ آَمَنُوا) باللهِ ورسوله، وبكل ما أخبر به رسوله من الغيب، (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) - بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شرَعه - (لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) أي سنمحو عنهم خطيئاتهم، (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) على أعمالهم الصالحة (أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي بمِثل جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه في الدنيا، (واعلم أنّ الجزاء يكون بحسب أحسن عمل عملوه مِن كل نوع، ففي الصلاة يُعطَى جزاء أفضل صلاة صَلاَّها، وفي الصدقات بأفضل صدقة أعطاها وهكذا).

- الآية 8: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) يعني وَصّيناه أن يُبِرّهما، وأن يُحسِن إليهما بالقول والعمل، (وَإِنْ جَاهَدَاكَ) أي بَذَلا جهدهما معك أيها الإنسان (لِتُشْرِكَ بِي) في عبادتي (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أي ما ليس لك به دليل على استحقاقه للعبادة (وليس لأحدٍ علم أو دليل على صحة الشِرك، لأنّ الله تعالى هو الخالق الرازق المستحق وحده للعبادة)، (فَلَا تُطِعْهُمَا) في دَعْوتهما لك إلى الشِرك (وكذلك الحال في سائر المعاصي، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) أيها الآباء والأبناء (فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وأجازيكم على أعمالكم، (لِذا فأحسِنوا إلى والديكم، ولكنْ قدِّموا طاعتي على طاعتهما).

- الآية 9: (وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) أي سوف نُدخلهم في مُدخَل الصالحين وهو الجنة.

www.alukah.net

– الآية 10: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ﴾ ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: يعني إذا آذاه المشركون مِن أجل دِينه: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: أي جعل تعذيب المشركين له كعذاب الله يوم القيامة (في الشدة والألم)، ولم يَصبر على أذاهم، فارتدَّ عن إيمانه، ووافقَ المشركين على شِركهم، ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ لأهل الإيمان به: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء المُرتَدّونَ عن إيمانهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ – أيها المؤمنون – نَنصركم على أعدائكم، فرَدّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾؟! بلى، إنه سبحانه يَعلم ما في صدور خلقه من الإيمان والنفاق، (إذاً فما يَخدع هؤلاء المنافقون إلا أنفسهم وما يشعرون).

– الآية 11: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ بهذه الشدائد – عِلمًا ظاهرًا للخلق – ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ أي صَدَقوا في إيمانهم وعملوا بشرع ربهم، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين يُظهِرونَ للناس الإيمان، ويُخفون الكفر وعداوتهم للمسلمين، ثم يُجازي كل فريق منهم بما يَستحق.

– الآية 12، والآية 13: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِن قريش ﴿لِلَّذِينَ آَمَنُوا﴾ منهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ أي اتركوا دين محمد، واتّبعوا ديننا، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ يعني: وإنْ كان هناك بَعْث وجزاء كما يقول محمد، فنحن مستعدون أن نتحمل عنكم خطاياكم ونُجازَى بها، فأكذبهم اللهُ تعالى بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لن يستطيعوا أن يُنقِصوهم شيئاً من آثامهم يوم القيامة، ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما قالوا، ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: أي سوف يَحملَون ذنوبهم، وذنوب الذين كَذَبوا عليهم وأضَلُّوهم عن الإسلام (دونَ أن يَنقص شيءٌ من ذنوب تابعيهم) ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي سوف يسألهم الله عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب.

– الآية 14، والآية 15: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ لِيَدعوهم إلى التوحيد وترْك الشرك ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ أي مَكَثَ فيهم ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يعني تسعمائة وخمسون سنةً يدعوهم إلى الله تعالى، فلم يَستجب له أكثر قومه ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي أغرقهم الله بالطوفان ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ لأنفسهم بكُفرهم وطغيانهم، ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾: أي أنجينا نوحًا والذين اتَّبعوه (وهُم الذين كانوا معه على السفينة) ﴿وَجَعَلْنَاهَا آَيَةً﴾ أي جعلنا حادثة الطوفان عبرة وعِظة – وكذلك تَرَكنا السفينة على جبل الجُودي – لتكون آيةً ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ في إنجاء المؤمنين وإهلاك المُكَذّبين.

– الآية 16، والآية 17: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ أي اذكر أيها الرسول لقومك خبر إبراهيم عليه السلام وهو يدعو قومه إلى التوحيد وترْك الشرك ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، فلا يوجد مَن يستحق العبادة غيره، ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ أي اجعلوا توحيدكم وقايةً لكم من عذاب ربكم، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أي أصنامًا من الحجارة لا تنفع ولا تضر، ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي تفترونَ كَذِبًا بتسميتكم إياها آلهة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ أي اطلبوا الرزق مِن عند الله، لا مِن عند أصنامكم، ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ أي أخلِصوا له العبادة ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ نعمته عليكم، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم، فيجازيكم على أعمالكم.

– الآية 18: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ – أيها الناس– رسولنا محمدًا صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم إليه: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي كَذَّبوا رسلهم، فنَزَلَ بهم عذاب ربهم، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي البلاغ الواضح لرسالة ربه، وقد فعَل.

– الآية 19: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعني ألم يعلم هؤلاء المشركون ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي يُنشئ المخلوقات من العدم، ثم يُميتهم، ثم يُعيدهم كهيئتهم قبل أن يُميتهم؟ (فإذا كانوا يعترفون بأنّ الله هو الذي خلقهم من العدم، إذاً فليعلموا أنّ الذي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ابتدأ خَلْقهم بهذه الصورة قادرٌ على إعادتهم بعد الموت) ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (لأنّ إعادة الشيء كما كان، أسهل من إيجاده أول مرة).

- الآية 20: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول للذين يُنكِرون البعث: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأجسادكم وقلوبكم، ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ أي انظروا كيف أنشأ الله الخلق، ولم يَصعُب عليه إنشاؤه؟ ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآَخِرَةَ﴾: أي فكذلك لا يَصعُب عليه إعادة إنشائه النشأة الآخرة يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

- الآية 21: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ - مِمّن أصَرّ على المعاصي ولم يَتُب منها، ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ - مِمّن تاب وآمن وعمل صالحًا ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ يعني: وإليه ترجعون بعد موتكم، فيُجازي كُلاً بعمله.

- الآية 22: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يعني: ولن تُعجزوا ربكم أيها العُصاة، إذا ظننتم أنكم ستهربون من عذابه ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (فأينما تكونوا يأتِ بكم سبحانه) ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَنفعكم ويتولى أموركم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَنصركم من عذاب ربكم.

- الآية 23، والآية 24: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي كفروا بالقرآن - رغم وضوحه وقوة حُجَّته - وكفروا كذلك بالبعث والجزاء ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي لن يَطمعوا في رحمتي عندما يَرون عذابي ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

♦ واعلم أنّ هذه الآيات السابقة كانت مُعترضة أثناء قصة إبراهيم مع قومه، وفي هذا دليل على جَواز الاعتراض أثناء الكلام إذا حَسُنَ مَوقعه (كإقامة حُجَّة، أو إبطال باطل، أو التنبيه على أمرٍ مُهِمّ).

♦ ثم يُكمِل سبحانه قصة إبراهيم وقومه قائلاً: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ - بعد أن أنكَرَ عليهم شِركهم - ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ لبعضهم -: ﴿اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ - فألقوه في نارٍ عظيمة - ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ وجَعَلها بردًا وسلامًا عليه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في إنجاء إبراهيم من النار ﴿لَآَيَاتٍ﴾ تدل على قدرة الله تعالى وعنايته بأوليائه الموحدين، وخذلانه للكفرة المشركين، ثم خَصَّ سبحانه الذين يَنتفعون بهذه الآيات بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنون بآيات الله ويعملون بشرعه.

- الآية 25: ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيمُ لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أي عبدتم من دون الله آلهة باطلة، تعلمون أنها أحجارٌ صنعتموها بأيديكم، فلم تعبدوها عن اقتناع، وإنما جعلتموها ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي أحببتم بعضكم من أجل الاجتماع على عبادتها، وإقامة الأفراح حولها ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي يتبرأ بعضكم من بعض ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي مصيركم جميعًا إلى النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يَمنعونكم من دخولها، ويُنقذونكم مِن حَرّها وعذابها.

****

2. الربع الثاني من سورة العنكبوت

- الآية 26: ﴿فَآَمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ أي صَدَّق لوطٌ إبراهيمَ واتَّبع دِينه (وذلك قبل أن يُوحَى إلى لوط بالنُبُوّة)، ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾: يعني إني تاركٌ أرض قومي بالعراق، وذاهبٌ إلى الأرض المباركة - وهي "الشام" - حيث أعبد ربي فلا أُفتَن في ديني، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي الغالب الذي لا يمنعه شيءٌ مما يريد، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وصُنعه، (ومَن كان عزيزاً (غالباً)، حكيماً (لا يأمر عباده إلا بما فيه الخير لهم): إذاً فهو لن يُضَيِّعني).

www.alukah.net

- الآية 27: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ولدًا، ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ حفيدًا، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: أي جعلنا في ذريته الأنبياء والكتب (إذ كل الأنبياء الذين جاءوا من بعده كانوا من ذريته، وكل الكتب التي نزلتْ بعده نزلتْ على ذريته)، ﴿وَآَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ﴾ - على إيذائه في سبيل دَعْوتنا - ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ (كالولد الصالح، والثناء عليه من أهل الشرائع السماوية واقتداءهم به، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا)، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم أعلى الدرجات في الجنة.

- الآية 28، والآية 29، والآية 30: ﴿وَلُوطًا﴾ أي اذكر أيها الرسول خبر لوط عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي تفعلون هذه الفعلة المُنكرة التي بَلغتْ نهاية القُبح، والتي ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي ما فعلها أحدٌ قبلكم من المخلوقين! ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ (تاركين ما أحَلَّه اللهُ لكم مِن نسائكم)، ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ أي تقطعون طريق المسافرين (فتَعتدون عليهم بعمل الفاحشة معهم، وسَلْب أموالهم) ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ أي تأتون الأفعال المُنكرة في مَجلسكم (كالسخرية من الناس، وقذف المارّة بالحَصى، وإيذائهم بما لا يليق من الأقوال والأفعال)؟!

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ - بعد أن أنكر عليهم أفعالهم - ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ له: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ الذي تعِدنا به ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فـ ﴿قَالَ﴾ لوطٌ - داعياً ربه -: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (بإنزال عذابك عليهم، لإصرارهم على الكفر والفواحش).

- الآية 31: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ أي جاءت له الملائكة على صورة بَشَر (ليُبَشِّروه بإنجاب ولده إسحاق، وبحفيده يعقوب من إسحاق)، فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ وهي قرية قوم لوط، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أي ظلموا أنفسهم بكفرهم ومعصيتهم لله.

- الآية 32: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم للملائكة: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ (وهو ليس مِن الظالمين مِثلهم)، فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ - المُستجيبين لدَعْوته - من العذاب الذي سيقع بقومه ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي حَكَمَ اللهُ عليها أن تكون من الباقين في العذاب، لأنها كانت عونًا لقومها على أفعالهم القبيحة.

- الآية 33، والآية 34، والآية 35: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ لإخباره بإهلاك قومه: إذا بِهِ قد ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ أي أصابه الغَمّ لمَجيئهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي عَجَزَ عن تدبير خَلاصهم (لأنهم جاءوا له في صورة شباب في غاية الجمال، فخاف عليهم مِن قومه أن يُريدوا بهم الفاحشة، ولم يكن يعلم أنهم ملائكة)، ﴿وَقَالُوا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ علينا، فإنّ قومك لن يصلوا إلينا، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ على مَن سيَهلك مِن أهلك مع القوم الظالمين، فـ ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ المستجيبين لدَعْوتك ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي حَكَمَ اللهُ عليها أن تكون من الباقين في العذاب، ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ أي عذابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي بسبب معصيتهم لله وارتكابهم للفواحش، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آَيَةً بَيِّنَةً﴾ يعني أبقينا مِن ديار قوم لوط آثارًا واضحة تدل على قدرتنا على إهلاك الفاسقين، وقد كانت هذه العبرة والعظة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي يَعقلون العِبَر، فيَنتفعوا بها، فيُوَحِّدوا اللهَ ويطيعوه.

- الآية 36، والآية 37: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ يعني: ولقد أرسلنا إلى قبيلة "مَديَن" أخاهم شُعيباً، ﴿فَقَالَ﴾ لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، فلا يوجد مَن يَستحق العبادة غيره، ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآَخِرَ﴾ أي آمِنوا بيوم القيامة، وتوقعوا مجيئه، وخافوا مما فيه مِن أهوالٍ وأحوال، فإنّ ذلك يساعدكم على التقوى، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي لا تَسعوا في الأرض بأنواع الفساد (كالشرك والمعاصي وأكْلُكُم أموال الناس بالباطل)، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما جاءهم به ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أي الزلزلة الشديدة،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(وقد كانت هذه الزلازل مصحوبة بصيحة شديدة خلعتْ قلوبهم، لأن الله تعالى قال في سورة هود: (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ))، (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) أي باركين على رُكَبهم، مَيّتين لا حِراكَ لهم.

- الآية 38: (وَعَادًا وَثَمُودَ) أهلكناهم لمّا كَذّبوا رُسُلهم، (وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ) خَلاؤها منهم، وحلول عذابنا بهم، (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) أي: وقد حَسَّن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة التي كانوا يعملونها (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) أي صَرَفهم بذلك عن طريق توحيد الله تعالى والإيمان برُسُله، (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) أي كان عندهم بصائر بمعرفة الحق من الباطل والخير من الشر - لأنّ رُسُلهم قد عَلَّمَتهم - ولكنهم فَضّلوا أهواءهم على عقولهم فهَلَكوا.

♦ واعلم أنّ كلمة "مُستبصِرين" أصْلها "مُبصِرين"، والسِين والتاء هنا للتأكيد، مِثل كلمة "استكبر" بمعنى تَكَبَّر، و"استَحَبّ" بمعنى أَحَبّ، و"استجاب" بمعنى أجاب، (على العكس من السين والتاء التي تدل على الطلب)، مِثل كلمة "استغفر" بمعنى طَلَبَ المغفرة، و"استطعَمَه" بمعنى منه طلب الطعام.

- الآية 39: (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) أهلكناهم لمَّا كَذَّبوا موسى، (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) أي بالأدلة الواضحة على صِدق رسالته، (فأمَّا ما جاءَ به موسى من الآيات إلى فرعون وهامان: فهي المعجزات التسع التي تحداهم بها، وأمّا ما جاء به موسى لقارون فهو نَهْيه عن الظلم والتكبر على الناس)، (واعلم أنّ قَارون مِن بني إسرائيل، ولكنه كَذَّبَ موسى)، (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ) أي تعاظَم قارون وفرعون وهامان في أرض مصر، وتكَبَّروا عن تصديق موسى واتّباعه، (وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) أي: ما كانوا ليفوتوا مِنّا ويَهربوا، بل كنا قادرينَ عليهم فأهلكناهم.

- الآية 40: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ) يعني أخذنا كل واحد من المذكورين بعذابنا (بسبب شِركهم وذنوبهم)، (فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) أي حجارة صَلبة شديدة الحرارة (وهم قوم لوط)، (ويُحتمَل أن يكون المقصود بالحاصب هنا: الريح الشديدة التي تحمل الحَصباء - وهي الحَصا الصغار - وعلى هذا يكون المقصود هنا قوم عاد وليس قوم لوط، باعتبار أن قوم لوط قد ذُكِرَ عذابها تفصيلاً في الآيات السابقة، والله أعلم)، (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) كثمود وقوم شعيب، (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) كقارون، (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) كقوم نوح وقوم فرعون، (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) ويُهلكهم بغير ذنب، (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بكفرهم ومعاصيهم، وتَنَعُّمهم بنِعَم ربهم وعبادتهم غيره (فبذلك استحقوا العذاب).

- الآية 41: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) يعني: مَثَلُ الذين اتّخذوا آلهةً باطلة، يَرجونَ نَصرها مِن دون الله تعالى (كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) يعني كمثل أنثى العنكبوت التي صنعتْ لنفسها بيتًا ليَحفظها، فلم يَنفعها عند حاجتها إليه، (فكذلك المشركون، يَعبدون أصنامهم، راجينَ نفعها وشفاعتها لهم عند ربهم، فلم تنفعهم حين نزل بهم العذاب)، (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ) يعني أضعف البيوت وأحقرها شأناً (لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ) (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أي: لو كانوا يعلمون أنّ آلهتهم الباطلة لا تنفعهم بشيء - كما لم ينفع العنكبوت بيتها بشيء - ما اتّخذوهم أولياء من دون الله، الذي بيده كل شيء.

♦ ومِن لطيف ما يُذكر أنّ العِلم قد اكتشف حديثاً أنّ التي تَبني بيت العنكبوت هي أنثى العنكبوت وليس الذَكَر، وهذا ما صَرَّحَ به القرآن في لفظ: (اتَّخَذَتْ بَيْتًا)، إذ التاء المذكورة هي تاء التأنيث.

- الآية 42: (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) يعني إنّ الله سبحانه يَعلم ما يُشركون به من الآلهة المزعومة، التي ليست بشيءٍ في الحقيقة، بل هي مجرد أسماء سَمَّوها آلهة، لا تنفعهم ولا تضرهم، (وَهُوَ) سبحانه (الْعَزِيزُ) في انتقامه مِمّن أشرك به، (الْحَكِيمُ) في تدبيره وصُنعه.

www.alukah.net

- الآية 43: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ - كمَثَل الآلهة الباطلة وبيت العنكبوت - ﴿نَضْرِبُهَا﴾ أي نجعلها ﴿لِلنَّاسِ﴾ ليَنتفعوا بها ويتعلموا منها، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ يعني: وما يَعقل الحكمة من هذه الأمثال إلا العالِمونَ بآيات الله وشَرْعه.

- الآية 44: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي خَلَقهم سبحانه ليُذكَرَ فيهما ويُشكر، وليَستدِل بهم العباد على عَظَمة خالقهم، وعلى قدرته على إحياء الموتى (لأنّ ذلك أهْوَنُ عليه مِن خَلْق السماوات والأرض)، وبأنه الخالق القادر المستحق وحده للعبادة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

- الآية 45: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: أي اقرأ أيها الرسول ما أوحاه اللهُ إليك من القرآن (تَعَبُّداً به، وتعليماً للمؤمنين، ودعوةً للناس إلى ربهم)، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ يعني أدّها بشروطها وأركانها، في خشوعٍ واطمئنان ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ يعني: إنّ الصلاة الخاشعة تَنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي، لأنّ المُحافِظ الصلاة الخاشعة يَستنير قلبه، ويزداد إيمانه، وتَقوى رغبته في الخير، وتنعدم رغبته في الشر، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: يعني إنّ ذِكر الله تعالى - في الصلاة وغيرها - أعظم وأفضل من كل شيء، (ويُحتمَل أيضاً أن يكون المعنى: أنّ ذِكر الله تعالى، بالقلب واللسان في كل الأحيان، أكبر (في النهي عن الفحشاء والمنكر) من الصلاة، واللهُ أعلم)، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ وسيُجازيكم على أعمالكم.

♦ فإذا قال قائل: (إنّ صلاتي لا تَنهاني عن الفحشاء والمُنكر، فما السبب؟).

السبب أنك لم تُصَلِّ الصلاة التي يُحبها ربُنا ويَرضاها حتى تنهاك عن الفحشاء والمنكر.

♦ هذا، وقد ذَكَرَ العلماء بعض المعاني الإيمانية التي تعينك على أداء صلاة خاشعة بإذن الله تعالى، فمِن هذه المعاني: حضور القلب (وذلك بأن تجعل هَيْبَةَ اللهِ ومَحبته تقهر جميع المَحَابّ والمَهَامّ التي في قلبك)، ومنها: الحَيَاء (وذلك بأن تستشعر أنك مملوءٌ بالنعم، وفي نفس الوقت مملوءٌ بالذنوب)، ونَضرب على ذلك مثالاً: (فقد اكتشف الطب حديثاً - بالمِجهَر الإلكتروني - أنَّ العين تحتوي على (500 مليون خلية) حتى تستطيع الإبصار، ثم تأخذُ أنت هذه الـ (500 مليون خلية)، وتنظر بها إلى ما حَرَّمَهُ اللهُ) (يعني تعصاه بنعمته).

♦ ومنها: الحب (وذلك بأن تستشعر نِعَم الله تعالى عليك، وإمهاله لك، وتوفيقك لطاعته، رغم كثرة ذنوبك)، ومنها: الافتقار إلى الله تعالى (بمعنى أن تتبرأ من حَولك وقوتك إلى حَول الله وقوته)، ومنها: التعظيم (وذلك بأن تستشعر قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، وكذلك تستشعر قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ أي يَقتلعها الله مِن أماكنها، ثم يجعلها هباءً منثوراً، (فحينئذٍ تستشعر أنّ جنايتك عظيمة، لأنك عصيتَ عظيماً، وهو عليك قادر).

♦ فعليك أخي الحبيب - حتى تنهاك صلاتك عن المعاصي - أن تصلي لربك بحُبٍّ ورجاء، وذُلٍّ وانكسار، وخوفٍ وحياء.

****

3. الربع الأخير من سورة العنكبوت

- الآية 46: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ - وهُم اليهود والنصارى - فلا تجادلوهم في الدين ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني إلا بأحسن طُرُق المُجادَلة (مِن الرِفق واللِين والقول الجميل، والدعوة إلى الحق بأيسر الطرق الموصلة لذلك، وتَجنُّب الغضب أثناء الجدال) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: يعني إلا الذين أعلَنوا الحرب عليكم، فهؤلاء قاتِلوهم حتى يؤمنوا أو يَدفعوا لكم الجِزْيَة التي تفرضونها عليهم، (واعلم أنّ الجِزْيَة هي قَدْر مالي مُحَدَّد يَدفعه أهل الكتاب لِوُلاة أمور المسلمين في كل سنة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مقابل حمايتهم)، ﴿وَقُولُوا﴾ لأهل الكتاب: ﴿آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ (وهو القرآن) ﴿وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ (وهي التَوراة والإنجيل)، ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ (وهو اللهُ الواحد الأحد الصمد، الذي لا شريكَ له ولا ولد) ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي خاضعونَ له بالطاعة والانقياد.

- الآية 47، والآية 48: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: وكما أنزلنا الكتب على الرُسُل التي قبلك أيها الرسول، فكذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب الموافق للكتب السابقة (فهو مُصدقٌ لما فيها مِن صِحَّة، ومُبيِّنٌ لِما فيها من تحريف)، ﴿فَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ مِن بني إسرائيل (كعبد الله بن سَلام وأصحابه) ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي يؤمنون بالقرآن (لأنهم عرفوه حق معرفته)، ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يعني: ومِن هؤلاء العرب - من قريش وغيرهم - مَن يؤمن بالقرآن، (ويُحتمَل أن يكون المقصود: ومِن هؤلاء المشركين مَن سيُؤمن بالقرآن في المستقبل، وبالفِعل، فقد آمَنَ كثيرٌ منهم)، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ أي: لا يُنكر القرآن وبراهينه الواضحة إلا الجاحدونَ المُعانِدون.

♦ ومِن مُعجزاتك أيها الرسول أنك: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ يعني إنك لم تقرأ كتابًا قبل نزول القرآن عليك، ولم تكن تكتب حروفًا بيمينك (لأنك لا تعرف القراءة ولا الكتابة)، ولو كنتَ قارئًا أو كاتبًا مِن قبل أن يُوحَى إليك ﴿إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾: أي لَشَكَّ هؤلاء المُعانِدونَ (الذين يريدون إبطال نُبُوّتك)، ولَقالوا: تَعَلَّمه مِن الكتب السابقة (ولكنهم يَعلمون أنك نشأتَ بينهم أُمِّيّاً، وكذلك أهل الكتاب يَجدون في كُتُبهم أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم لا يَكتب ولا يَقرأ)، فلذلك لم يَبقَ لهم ما يَحتجّون به، فللهِ الحمدُ والمِنّة.

- الآية 49: ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ - أي واضحات الدِلالة - ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أي يَحفظه العلماء في صدورهم، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (وهم الذين يَعلمون الحق ثم يميلون عنه، لأنه لا يوافق أهوائهم الفاسدة).

♦ ويُحتمَل أن يكون المقصود مِن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يعني: بل الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته مذكورة في بعض آيات التوراة والإنجيل، محفوظة في صدور علماء أهل الكتاب، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا﴾ التي في التوراة والإنجيل والقرآن ﴿إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ وهم المادّيون من اليهود والنصارى، الذين يأكلون ويَترأّسون على حساب الحق والعياذ بالله.

- الآية 50: ﴿وَقَالُوا﴾ أي قال المُشركون: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يعني: هَلاَّ جاءته مُعجزات مَحسوسة مِن عند ربه (كَعَصا موسى وناقة صالح)، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿إِنَّمَا الْآَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني إنما هذه المُعجزات مِن عِند الله تعالى، فهو القادر على المَجيء بها إذا شاء، أما أنا فلا أملك ذلك، ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾: أي أخوّفكم مِن عذاب اللهِ تعالى إن لم تؤمنوا، ﴿مُبِينٌ﴾ يعني أوضِّح لكم طريق الحق من الباطل.

- الآية 51: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾: يعني ألم يَكْفِ هؤلاء المشركين - لِيَعلموا صِدقك أيها الرسول - ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ (ليتفكروا في حُجَجه وأدلته وقوة بيانه وبلاغته؟!) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في هذا القرآن ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي رحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وذِكرى يتذكرون بما فيه من عِبَر ومَواعظ.

- الآية 52: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أي شاهداً على صِدق رسالتي، فشهادته تعالى لي بالنُبُوّة هي ما أعطاهُ لي من المُعجِزات الباهرات (كانشقاق القمر وغير ذلك)، وكذلك وَحْيُهُ إليَّ بهذا القرآن الذي أُنذِرُكم به، والذي لا يستطيعُ أن يقوله بَشَر، وأنتم تعلمون ذلك لأنكم أبْلغ البَشَر.

www.alukah.net

♦ وهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (ومِن ذلك عِلمه سبحانه بتكذيبكم بهذا الحق الواضح الذي أرسَلني به إليكم)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ - رغم هذه الأدلة الواضحة على استحقاق الله وحده للعبادة - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين استبدلوا النعيم المُقيم بالعذاب الأليم.

- الآية 53: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ أي يَستعجلك كفار قريش بالعذاب الذي أنذرتَهم به (استهزاءً وتكذيباً)، ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يعني: ولولا أنّ اللهَ جعل لعذابهم وقتًا معلوماً لا يتقدم ولا يتأخر، لَجاءهم العذاب حين طلبوه ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ - سواء في الدنيا أو في الآخرة - فقد جاءهم عذاب بدر فجأة، كما قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾، وكذلك سيأتيهم عذاب النار فجأة، كما قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ أي النار ﴿بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي يتحيَّرون عند ذلك ويخافون ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي لا يُمهَلون للتوبة والاعتذار.

- الآية 54، والآية 55: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ - وهو آتيهم لا مَحالة - ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ إذ تَضيقُ عليهم ضِيقاً شديداً، كما قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (أي: دَعَوا على أنفسهم بالهلاك)، ويُغطِّيهم عذابها مِن فوق رؤوسهم ومِن تحت أقدامهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، وتُفصَّل لهم ثيابٌ من نار تغطي أجسادهم، كما قال تعالى: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾، ﴿وَيَقُولُ﴾ اللهُ لهم وهم يُعَذَّبون: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي ذوقوا جزاءَ ما كنتم تعملونه من الشِرك والمعاصي، (أَعَاذَنا اللهُ وإخواننا المؤمنينَ من جهنم).

- الآية 56، والآية 57: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (والمَعنى: إن كنتم أيها المؤمنون في ضِيقٍ من إظهار الإيمان وعبادة الله وحده، فهاجِروا إلى أرض الله الواسعة، ولا ترضوا بالبقاء مع الكفار حتى لا يُجبروكم على عبادة غيري).

♦ ولا يَمنعكم الخوف من الموت ألاّ تهاجروا في سبيلي، فـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي ستذوق مَرارة مُفارقة الروح للجسد (سواء المهاجر أو غيره) ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنُثيبكم على هِجرتكم وصَبركم، بمختلف أنواع النعيم في الجنة.

- الآية 58، والآية 59: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شَرَعه - ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ يعني: لَنُسكننَّهم من الجنة غُرَفًا عالية ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري أنهار الماء واللبن والعسل والخمر من تحتها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (فحياتهم فيها أبديةٌ، وفرْحَتهم فيها لا توصَف)، ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ يعني نِعْمَ جزاءُ العاملينَ بطاعة الله: هذه الغرف في جنات النعيم.

♦ ومِن صفات هؤلاء المؤمنين أنهم هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أوامر اللهِ تعالى لهم - وإن كانت مُخالِفةً لِهَواهم - ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يَعتمدون على ربهم وحده، فبذلك استحقوا هذه المَنزلة العظيمة.

- الآية 60: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ﴾ يعني: وكثير من الكائنات ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي لا تدَّخر غِذاءها للغد كما يفعل ابن آدم، ومع ذلك فـ ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي يرزقها سبحانه كما يرزقكم، فيُسَخِّر لها الأسباب، ويُهيئ لها الفرص فتأكل وتشرب كما يأكل الأقوياء القادرين، (إذاً فلا عذر لمن تَرَكَ الهجرة خوفاً من الجوع والفقر)، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم (ودعائكم له بتوسعة رزقكم)، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم وأفعالكم وخواطر قلوبكم فاحذروه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 61: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني: وإنْ سألتَ أيها الرسول هؤلاء المشركين: ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ على هذا النظام البديع المُتقن ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي ذَلَّلهما لمنافع العباد: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: ﴿اللَّهُ﴾ هو الذي فعل ذلك وحده، ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يعني: فكيف يُصرَفون عن توحيد الله تعالى - خالق كل شيء ومُدَبِّره - ويعبدون معه غيره؟!

- الآية 62: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ أي يُوَسِّع الرزق ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي: ويُضَيِّقه سبحانه على مَن يَشاءُ منهم (فالتصرّف كله بيديه سبحانه، وله الحِكمةُ البالغة في تضييق الرزق وتوسعته؛ لأنه سبحانه الأعلمُ بما يُصلِح عباده مِن الفقر والغنى) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

♦ واعلم أنّ هذه الآية قد نزلتْ رَدّاً على المشركين الذين قالوا لفقراء المؤمنين: (لو كنتم على الحق لم تكونوا فقراء)، وهذا تمويه منهم، إذ في الكافرين فقراء أيضاً.

♦ واعلم أيضاً أن هذا التضييق يكون في مصلحة المؤمن (لأنه يكون تكفيراً لذنوبه أو رَفعاً لدرجاته)، ولعل هذا هو السبب في أن الله تعالى قال: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي يضيقه له (يعني لمصلحته)، ولم يقل: (وَيَقْدِرُ عليه)، واللهُ أعلم.

- الآية 63: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ - أيها الرسول -: ﴿مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي: أخرج به النبات من الأرض (بعد أن كانت يابسة لا خيرَ فيها)؟، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ مُعترفين: ﴿اللَّهُ﴾ هو الذي فعل ذلك وحده، ﴿قُلِ﴾: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي أظهر حُجَّته عليهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي لا يُمَيِّزون بين الحق والباطل، إذ لو عَقَلوا: ما أشركوا مع الله غيره.

- الآية 64، والآية 65، والآية 66: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ في غالب أحوالها ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ أي تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان (لِما فيها من الزينة والشهوات)، ثم تزول سريعًا، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي هي الحياة الحقيقية التي لا موتَ فيها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: (لو كان الناس يعلمون ذلك، ما فَضَّلوا دار الفَناء على دار البقاء).

♦ ثم أعطى سبحانه للمشركين دليلاً على توحيده (بشعورهم الفِطري) عند ركوبهم السفن في البحر قائلاً: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾: يعني إذا ركبوا السفن، وارتفعت الأمواج مِن حولهم وخافوا من الغرق: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يعني أخلصوا له في الدعاء حتى يَكشف عنهم شدتهم، ونسوا حينئذٍ شركائهم، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ وزالت عنهم الشدة: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي عادوا إلى شِركهم، فأشرَكوا بربهم المُنْعِم عليهم بالنجاة وعَبَدوا معه غيره (إنهم بذلك يُناقضون أنفسهم، إذ يُوَحّدون اللهَ ساعة الشدة، ويُشركون به ساعة الرخاء) ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: لتكون عاقبتهم أن يَجحدوا بما آتاهم اللهُ مِن النعم (ومنها كَشْف البلاء عنهم) فيَستحقوا العذاب، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ أي: لِيُكملوا تَمَتُّعهم في هذه الدنيا ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة شِركهم وعِصيانهم (وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ لهم).

- الآية 67: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾: يعني ألم ير كفار مكة أنّ اللهَ جعل لهم مكة حَرَمًا آمنًا، يأمَن فيه أهلها على أنفسهم وأموالهم ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ أي يُتَخطَّفون خارج الحرم (غير آمنينَ على أنفسهم من القتل والأسر والسرقة)، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ - وهو الشِرك - ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟! ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ التي خَصَّهم بها - وهي الأمن في الحرم - ﴿يَكْفُرُونَ﴾ فيعبدون غير المُنعم سبحانه؟!

- الآية 68: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يعني: ومَن أشدُّ ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعَمَ أنّ له شركاء في العبادة ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ على لسان محمد صلى الله عليه وسلم؟! ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾: يعني أليس في النار مَسكنٌ لمن جحدوا توحيد الله تعالى، وكَذَّبوا رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم؟! (بلى، فإنّ جهنم هي بئس المُستقرّ لهم).

www.alukah.net

- الآية 69: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أي جاهَدوا أعداء الله تعالى، وجاهَدوا النفس والهوى والشيطان، وصبروا على الفتن والإيذاء في سبيل الرحمن: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: أي سوف يَهديهم الله طرق الخير الموصلة إلى جنته، ويُثبّتهم على الطريق المستقيم، وينصرهم على أعدائهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الذين يراقبون ربهم في كل شؤونهم، ويجاهدون أعداءه المشركين، ويجاهدون كل ما يُوَسوِس لهم ويُعَطِّلهم عن الوصول إلى جنته)، فهو سبحانه معهم بالحفظ والعون والتوفيق والنصر على هؤلاء الأعداء.

♦ واعلم أنّ الإحسانَ قد قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مُسلِم -: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراهُ، فإنه يَراك"، فالإحسان يَتناول المَعنَيَيْن: (التقوى وإتقان العمل) لأنّ مَن راقبَ الله تعالى، أتقَنَ عمله وحَسَّنه.

♦ ومِن لطيف ما يُذكَر هنا أنّ أحد السلف كان يقول: (ظللتُ أجاهد شهوتي، حتى أصبحتْ شهوتي: المجاهَدة)، والمعنى أنّ مُجاهَدته غلبتْ شهوته، حتى أصبح يتلذذ بهذه المجاهَدة.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الروم كاملة

1. الربع الأول من سورة الروم

– الآية 1: (الم): سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (أَلِف لام ميم).

– من الآية 2 إلى الآية 7: (غُلِبَتِ الرُّومُ) أي: هُزِمَتْ الروم من الفُرس (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ): يعني في أقرب بُقعة من أرض الروم إلى بلاد "فارس"، (وهي أرضٌ يقال لها "الجزيرة" بين نَهرَيْ دِجلة والفُرات)، (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) أي: سوف يَغلِب الرومُ الفُرسَ (فِي بِضْعِ سِنِينَ): أي في مُدّة من الزمن (لا تقل عن ثلاث سنوات ولا تزيد على عَشر)، (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) يعني: للهِ سبحانه الأمر كله (في انتصار الفُرس أولاً، ثم في انتصار الروم أخيراً)، إذ ما شاءه الله كان وما لم يشأه لم يكن، (وَيَوْمَئِذٍ) يعني: يوم يَنتصر الروم على الفرس: (يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (بِنَصْرِ اللَّهِ) للروم (لأنّ الروم كانوا أهل كتابٍ وإنْ حَرَّفوه، وأما الفرس فكانوا مشركين يعبدون النار).

(يَنْصُرُ) سبحانه (مَنْ يَشَاءُ) (وَهُوَ الْعَزِيزُ) أي الغالب، الذي لا يَمنعه أحد مِن فِعل ما يريد، القادر على إنجاز وعده، (الرَّحِيمُ) الذى وَسِعَتْ رحمته كل شيء، حيث مَكَّنَ للمغلوب أن ينتصر رغم ضَعفه، (وَعْدَ اللَّهِ) أي: وبهذا وَعَدَ اللهُ المؤمنين وعداً حقاً لابد من إتمامه (وهو نَصْر الروم النصارى، على الفرس المشركين) (وقد تحقق ذلك الوعد، ولله الحمدُ والمِنَّة)، (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أي لا يعلمونَ – يَقيناً – أنّ الله لا يخلف الميعاد، وإنما (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي يهتمون بما هو ظاهرٌ من أمور الدنيا (كتدبير مَعاشهم بالتجارة والزراعة وغير ذلك)، ولا يهتمون بحقيقة الدنيا (وهي أنها مزرعة للآخرة)، (وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ) – وما فيها مِن نعيمٍ وجحيم – (هُمْ غَافِلُونَ) (لا يُفكرون في مصيرهم بعد موتهم).

♦ وهنا يَتعجب الإنسانُ: (كيف لِمُحمد صلى الله عليه وسلم أن يَتنبأ بنتيجة معركة حربية سوف تحدث بعد بضع سنوات؟! (على الرغم مِن أنَّ الروم حِينَهَا – كما يقول التاريخ – كانت في أشد حالات الضعف والانهيار بعد تلك الهزيمة)، وما الذي يَجعله يَخوض في مِثل هذه الأمور الغَيبيَّة، ويُغامِر بقضية الدِين كلها دونَ أن يُطلَب منه ذلك؟!، بل ويؤكّد أنَّ ذلك سوف يَحدُث عندما قال القرآن: (وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ)، وماذا كان سيحدث إذا لم يَصْدُق القرآن في كل حرفٍ قاله؟!، ولكنَّ القائل هو الله، والفاعل هو الله – الذي يستطيع وحده – أن يُحَقِقَ ما يقول، وأن يَفعل ما يريد، في الوقت الذي يريد).

الآية 8: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ): يعني ألم يتفكر هؤلاء المُنكِرون للبعث في خَلْق أنفسهم (فإنّ الله خَلَقهم ولم يكونوا شيئًا ثم جَعَلهم رجالاً)، أليس القادرُ على خَلْقهم وتربيتهم قادرٌ على بَعْثهم بعد موتهم ليجازيهم بالعدل؟!، بلى قادر، فإنه سبحانه (مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) أي لإقامة العدل والثواب والعقاب، وللدلالة على قدرته على البعث (لأنّ ذلك أهون عليه مِن خلق السماوات والأرض)، (وَأَجَلٍ مُسَمًّى) أي خُلِقَت السماوات والأرض وما بينهما بوقتٍ معلوم تفنَى عنده (وهو يوم القيامة)، (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ) يوم القيامة (لَكَافِرُونَ) (رغم كثرة الأدلة وقوّتها)، وإنما هو الكِبر والعناد.

– الآية 9: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا) – أي هؤلاء المُنكِرون للبعث –، ألم يَمشوا (فِي الْأَرْضِ) متأملينَ مُعتبِرين، (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من المُكذِبين وما نَزَلَ بهم من الهلاك؟، وقد (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) (وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا

www.alukah.net

﴿عَمَرُوهَا﴾ يعني إنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة (حيث قلَبوا الأرض للحرث والزراعة، وبنَوْا القصور وسكنوها)، فعَمَروا دُنياهم أكثر مما عَمَرها أهل مكة، ومع ذلك لم تنفعهم عِمارتهم ولا طول مدتهم، ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالحُجَج الواضحة، فكذّبوهم فأهلكهم الله، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بذلك الإهلاك، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالشِرك والعِصيان.

- الآية 10: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾: أي كانَ مصير أهل السُوء من الطغاة والفاسقين: ﴿السُّوأَى﴾ أي أسوأ العواقب وأقبحها، وهي: ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي كانَ مصيرهم: التكذيب والاستهزاء بآيات الله، فاستحقوا بذلك الهلاك والعذاب، (ألاَ فليحذر المُصِرُّونَ على المعاصي أن تَجُرَّهم ذنوبهم إلى أسوأ العواقب، وهي الكفر والعياذ بالله، وليُسارعوا بالتوبة قبل فوات الأوان).

♦ ويُحتمَل أن يكون المعنى: إنّ مصير الذين أشركوا وفعلوا المعاصي هي السُوأَى (وهي أسوأ العقوبات في الدنيا والآخرة) مِن أجل أنهم كذبوا بآيات الله واستهزؤوا بها، والله أعلم.

- الآية 11: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: أي يُنشئ سبحانه الخلق من العدم، ثم يُميتهم، ثم يُعيدهم كهيئتهم قبل أن يُميتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم، فيُجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

- الآية 12، والآية 13: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي ييْئَس المجرمون من النجاة من العذاب، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ﴾: يعني لم تشفع لهم معبوداتهم الباطلة عند الله تعالى كما كانوا يظنون في الدنيا ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أي تبرؤوا من معبوداتهم يوم القيامة، عندما يئسوا من شفاعتهم لهم، خوفاً من زيادة عذابهم.

- من الآية 14 إلى الآية 19: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ أي يفترق أهل الإيمان وأهل الكفر: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ من رياض الجنة (والروضة: هي كل أرضٍ ذات أشجار وماء وزهور)، ﴿يُحْبَرُونَ﴾ أي يُسَرُّون ويُنعَّمون (اللهم ارزقنا الجنة يارب)، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي يُحضرهم اللهُ في العذاب المقيم، جزاءً لهم على تكذيبهم.

♦ ولمَّا بَيّنَ سبحانه أن الإيمان والعمل الصالح يُنَجّي صاحبه من النار ويكونُ سبباً في نعيمه الأبدي، أمَرَ سبحانه عباده بإقامة الصلوات الخمس (المشتملة على التسبيح والحمد) في المساء والصباح والظهيرة والعصر، فقال: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يعني: فيا أيها المؤمنون سبِّحوا اللهَ تعالى وانفوا عنه ما لا يليق به، وصَلُّوا له ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي حين تدخلون في المساء (وهذا يشمل صلاة المغرب وصلاة العشاء) ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي حين تدخلون في الصباح (وهذا يشمل صلاة الصبح)، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي له سبحانه الشُكر على نعمه، وله الثناء الجميل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

♦ وقوله تعالى: ﴿وَعَشِيًّا﴾ معطوف على قوله: ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾، أي صلوا له في العَشِيّ، وهو الوقت الذي بعد العصر (وهذا يشمل صلاة العصر)، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ أي حين تدخلون في وقت الظهيرة (وهذا يشمل صلاة الظهر).

♦ ومِن مَظاهر قدرته سبحانه واستحقاقه وحده للعبادة أنه ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ (كإخراج الزرع من الحَب، والمؤمن من الكافر)، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (كإخراج البيض من الدجاج، والكافر من المؤمن)، ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾ - بإنزال الماء وإخراج النبات - ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني بعد أن كانت الأرض يابسة لا حياةَ فيها ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ يعني: وكما أخرج سبحانه الحيَّ من الميت، وكما أحيا هذه الأرض الميتة، فكذلك تخرجون - أيها الناس - من قبوركم أحياءً للحساب والجزاء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 20: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على وجوب توحيده وعلى قدرته على البعث ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي خَلَقَ أباكم آدم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ يعني: ثم جعلكم بَشَراً تتناسلونَ و﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ في الأرض لتعمروها، وتسعوا في طلب رِزقكم.

- الآية 21: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي خَلَقَ لكم - مِن نفس نوعكم - زوجاتٍ ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: أي لتستريح نفوسكم معهنّ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: أي جَعَلَ سبحانه بين المرأة وزوجها محبةً وشَفَقة (إلا إذا ظلم أحدهما الآخر، فإنّ تلك المَوَدَّة والرحمة قد تزول حتى يزول الظلم ويرجع العدل والحق، ويتوب الظالم منهما إلى ربه) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ تدل على قدرة الله ووحدانيته ورحمته وحكمته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يتفكرون في آيات الله، ويتدبرون ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

- الآية 22: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ﴾ وارتفاعها بغير عمد، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ مع اتساعها وامتدادها، ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي اختلافُ لغاتكم أيها الناس ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ أي العالِمينَ بآيات الله وشرعه، العارفينَ بحقائق الأمور.

- الآية 23: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: يعني إنه سبحانه جَعَلَ لكم النوم راحة لأبدانكم في الليل، وكذلك في النهار (وقت الظهيرة)، ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني: ومِن آياته طَلَبُكم لأرزاقكم مِن فضل ربكم في الليل والنهار (إذ بعض الناس يعملون بالليل)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ تدل على قدرته على البعث والجزاء (لأن النوم كالموت، والانتشار في النهار كالبعث بعد الموت)، وقد جَعَلَ الله هذه الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: أي يَسمعون المواعظ سماعَ تأمُّل وتفكُّر واعتبار (فهؤلاء هم المنتفعون بها).

- الآية 24: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ - الدالة على كمال قدرته وعظيم حكمته وإحسانه - أنه ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من الصواعق التي فيه (لتخافوا عذابه وتتقوه)، ﴿وَطَمَعًا﴾ في نزول المطر (لترجوا رحمته وتدعوه)، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ﴾ أي يُخرج به النبات من الأرض ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني بعد أن كانت يابسةً لا حياةَ فيها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ على قدرة اللهِ تعالى على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي يَعقلون البراهين فيَعتبروا بها.

- الآية 25: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته ﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ (والمقصود أنّ السماء والأرض قامَتا واستقرَّتا بأمْره تعالى وقدرته، فلم يَختل نظامهما ولم تسقط السماء على الأرض، (فالقادرُ على ذلك قادرٌ على بَعْثكم من الأرض بعد موتكم)، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني إذا ناداكم يوم القيامة - عن طريق نفخة المَلَك إسرافيل في "البُوق" - ليَبعثكم سبحانه من باطن الأرض أحياءً: ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ مُسرعين من قبوركم، ليُحاسبكم على جميع أعمالكم.

- الآية 26: ﴿وَلَهُ﴾ سبحانه جميع ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد (مُلكاً وتصرفاً وتدبيراً وإحاطة)، ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ أي كل هؤلاء خاضعونَ لتدبيره ومشيئته.

- الآية 27: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ من العدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ حيًا بعد الموت، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ يعني: إنَّ إعادة الخَلق أهْوَنُ عليه سبحانه (لأنّ إعادة الشيء كما كان، أسهل من إيجاده أول مرة)، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: ولله تعالى الصفات العُليا (من الكمال والاستغناء عن جميع خَلقه)، فهو سبحانه ليس كمثله شيء، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي الغالب الذي قهر جميع المخلوقات، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه.

- الآية 28: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ أي جعل الله لكم أيها المُشركون مَثَلاً ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (يوَضِّح لكم فيه فساد الشِرك وبُطلانه)، وهو: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾؟ يعني: هل هناك أحدٌ مِن عبيدكم يُشارككم في أموالكم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾: أي بحيثُ تصبحون أنتم وإياهم متساوون في المال، و﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي تخافونَ منهم في مُقاسمة أموالكم كما تخافون الشركاء الأحرار؟! إنكم لن ترضوا بذلك أبداً (إذاً فكيف ترضون بذلك لله تعالى وتجعلون له شركاء مِن خَلقه وعبيده؟!)، ﴿كَذَلِكَ﴾ يعني بمثل هذه الأمثال ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: أي نُبيِّن البراهين والحُجَج لأصحاب العقول السليمة الذين ينتفعون بها.

- الآية 29، والآية 30: ﴿بَلِ﴾ يعني: وليس الأمر تقصيراً في ضرب الأمثال الدالة على الحق، ولكنْ: ﴿اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي اتّبع المُشركون أهواءهم، فقلَّدوا آبائهم بغير علمٍ أو دليل، ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ يعني: فلا أحد يقدر على هداية مَن أضلَّه الله (بسبب إصراره على كُفره وعِناده)، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يُخَلِّصونهم من عذاب الله.

♦ فإذا علمتَ أيها الرسول أحوال المُعرِضين عن الحق بعد ظهور دلائله ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ أي استقم - أنت ومَن اتّبعك - على الدين الذي شَرَعه الله لك، وهو الإسلام، واتّبع ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (فإنّ اللّه تعالى قد فَطَرَ عباده على دين الإسلام الواضح الذي لا عِوَجَ فيه، فخَلَقَ فيهم القابلية للإيمان بربهم وتوحيده، ولكنّ هذه الفِطرة قد تتغير وتتبدل بما يأتي عليها من العقائد الفاسدة، قال صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين - : (ما مِن مَوْلودٍ إلا يُولَدُ على الفِطرة، فأبَوَاهُ يُهَوِّدانِه - (أي يَجعلانه يهودياً) - أو يُنَصِّرانِه - (أي يَجعلانه نَصرانياً) - أو يُمَجِّسانِه) - (أي يَجعلانه مَجُوسِيّاً)).

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي لا تُبَدِّلوا تلك الفِطرة ولا تغيّروها، بل نَمُّوها بالتربية، حتى ينشأ الطفل على الإيمان والتوحيد، (واعلم أنّ هذه الجملة: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ قد تضمنتْ الأمر بعدم التبديل وإن لم تُصَرِّح بذلك، فهي كقول الله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾؟ أي انتهوا)، ﴿ذَلِكَ﴾ أي الإسلام هو ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي الطريق المستقيم الموصل إلى رضا رب العالمين وجنته، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون أن الذي أمَرْتُكَ به - أيها الرسول - هو الدين الحق الذي لا شك فيه.

♦ واعلم أنّ معنى "حنيفاً" أي: مائلاً، والمقصود: (المَيْل عن أيّ دين باطل، والاستقامة على الدين الحق)، واعلم أيضاً أن الله تعالى خَصَّ الوجه بالاستقامة في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، لأن الوجه هو أكرم الجوارح وأشرفها، وبه يَحصُل التوجُّه إلى كل شيء، فإذا خضع وجه العبد لله: خضعتْ له جميع جوارحِه، فلا يُشرك بعبادته أحدًا.

****

2. الربع الثاني من سورة الروم

- الآية 31، والآية 32: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: أي كونوا راجعين إلى الله بالتوبة والطاعة ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ بفعل الأوامر واجتناب النواهي، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ بأركانها وواجباتها وشروطها (في خشوعٍ واطمئنان)، ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين يُشرِكون مع الله غيره في العبادة، ولا تكونوا ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ (وهُم أهل الأهواء والبِدَع الذين بدَّلوا دينهم وغيَّروه، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه، تبعًا لأهوائهم) ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: أي صاروا فِرَقًا وأحزابًا، وأصبح ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم: ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي مسرورون بما هم عليه يَحكمون لأنفسهم بأنهم على الحق، وغيرهم على الباطل).

- الآية 33، والآية 34: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ أي شدة وبلاء: ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي راجعين إليه وحده بالدعاء والتوبة، ليكشف عنهم ضُرَّهم، ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ وكشف عنهم الضر: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يعني إذا جماعة منكم يُشركون بربهم المُنعِم عليهم بالنجاة، فيَعبدونَ معه غيره، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: أي لتكون عاقبتهم أن يَجحدوا بما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

آتاهم اللهُ مِن نِعم (ومنها كَشْف البلاء عنهم) فيَستحقوا العذاب، ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾: أي استمتِعوا أيها المُشركون بدُنياكم الزائلة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كُفركم وعِصيانكم.

– الآية 35: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: يعني أم أنزلنا على هؤلاء المشركين كتابًا فيه حُجّة قاطعة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي يَنطق بصحة شِركهم؟! كلا إننا لم نفعل ذلك، إذاً فلماذا يَفترون على الله الكَذِب بزَعْمهم أنّ له شركاء؟!

– الآية 36: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ أي نعمةً مُعَيَّنة – مِن صحةٍ أو رزقٍ أو أمْنٍ أو غير ذلك – ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ (فرح تكبُّر وليس فرح شُكر)، لأن الله تعالى قال في سورة هود: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني: وإن يُصِبهم مرضٌ وفقرٌ وخوفٌ وضِيق ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصي: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ أي يَيْئَسون من زوال تلك الشدة، ويَسخطون على قضاء الله تعالى، وهذه هي طبيعة أكثر الناس في الرخاء والشدة (إلا الصابرينَ الشاكرين، الذين استثناهم سبحانه في سورة هود بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي على ما أصابهم من الضُرّ (احتسابًا للأجر عند اللهِ تعالى) ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ شُكراً للهِ على نِعَمِه ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ في الآخرة.

– الآية 37: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي يُوَسِّع الرزق على مَن يشاءُ امتحانًا: (هل يشكر أو يكفر؟)، ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي يضيِّقه على من يشاء اختبارًا: (هل يصبر أو يَسخط؟)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ العطاء والمنع ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنون بالله تعالى ويعرفون حكمته ورحمته.

– الآية 38: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: يعني أعطِ الأقرباء حقوقهم من الصدقة والصلة والبِرّ، وكذلك أعطِ الفقير المُحتاج مِن مالك، وكذلك المسافر الذي فَقَدَ ماله – أو نَفَدَ ماله – واحتاجَ للنفقة، ﴿ذَلِكَ﴾ الإعطاء ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (وهُم الذين يريدون بعملهم رضا اللهِ تعالى وَجَنَّتِه والنظر إلى وجهه الكريم) ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزونَ بثواب الله تعالى، الناجونَ مِن عقابه.

– الآية 39: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا﴾ يعني: وما أعطيتم أحداً قرضًا من المال بقصد الربا (وهو الحصول على زيادة من ذلك الشخص عندما يَرُدّ القرض إليكم)، فمَن فعل ذلك ﴿لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: يعني ليزيد ماله الذي عند الناس: ﴿فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي لا يُبارك الله ماله ولا يُضاعف أجره، بل يَمحق بركته ويُعاقِب عليه صاحبه، ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾ يعني: وما أعطيتم مِن زكاةٍ وصدقةٍ للمحتاجين ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ ليَرضى عنكم ويغفر لكم ويرحمكم: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ الذين يُضاعِف الله لهم ثواب أعمالهم.

– الآية 40: ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه هو ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ (من السماء بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات الزرع وإخراج المعادن)، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد انتهاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ من قبوركم للحساب والجزاء، ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾؟! بل الله سبحانه هو المتفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة (فهو الذي أحياكم ابتداءً، وهو الذي يعيدكم بعد موتكم، لأنه الخبير الذي خَلَق أجسادكم وأرواحكم) ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

– الآية 41: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (والفساد هو كل ما فيه مَفسَدة للناس، وليس لهم فيه منفعة، كقِلّة الأمطار وكثرة الأمراض والقحط والغلاء)، فكل هذا قد حدَث ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أي بسبب المعاصي التي يفعلها البشر، وقد أصابهم الله بهذه المصائب في الدنيا ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: أي ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الله تعالى، ويتوبوا من المعاصي، فتَصلُح أحوالهم، وتستقيم أمورهم.

www.alukah.net

♦ واعلم أنّ الله تعالى قال: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ وليس (بكُلّ الذي عملوا)، لأنه لو أصابهم بكل ذنوبهم لأنهَى حياتهم، كما قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

- من الآية 42 إلى الآية 45: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول - لهؤلاء المُكَذِبين: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأجسادكم وقلوبكم ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: كيف كانَ مصير المُكَذِبين مِن قبلكم (كعادٍ وثمود وقوم لوط)؟ وما نزل بهم من الهلاك، فقد ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ أي كان أكثر الأمم السابقة مشركين مِثلكم يا كفار قريش، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم.

♦ فإذا علمتَ أيها الرسول - أنت وأمتك - سُوء عاقبة الشِرك ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: أي وَجِّه وجهك نحو الدين المستقيم، وهو الإسلام (مُنَفِّذًا أوامره، مجتنبًا نَوَاهيه)، واثبُت عليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ وهو يوم القيامة، الذي ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا يقدر أحد على ردِّه، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: أي يتفرقون فِرقتين (كما يَتَصَدّع الجدار فرقتين)، فـ ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي عليه عقوبة كُفره (وهي خلوده في النار)، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ - بعد أن آمَنَ بالله ورُسُله -: ﴿فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: أي يُهَيِّئون ويَفرشون لأنفسهم منازل في الجنة (بإيمانهم وكثرة طاعاتهم وإتقان أعمالهم).

♦ وقد فَرَّقَ اللهُ بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالنعيم المقيم، ويجزي الكافرين بعدله بالعذاب الأليم، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

****

3. الربع الأخير من سورة الروم

- الآية 46: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على قدرته سبحانه، وإنعامه على عباده، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبَد ولا يُعبَد غيره: ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾ (التي تُحرِّك السحاب)، لتكونَ ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أي تُبَشِّر العباد بقُرب نزول المطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ بإنزال المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، وتحصل به سعة الرزق والرخاء (إذ المطر تحيا به مزارع الناس، فيتوفر لهم غذائهم وتجارتهم) ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ أي تجري السفن في البحر بواسطة هذه الرياح الطيبة ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي بأمر الله ومشيئته (لأن الرياح قد تكونُ عاصفةً فتُغرِق السُفن)، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: لتطلبوا رِزقَ ربكم بالتجارة (عن طريق السفر في البحر، بنقل البضائع على السفن من بلدٍ إلى آخر) ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لتشكروا ربكم على هذه النعم العظيمة فتعبدوه وتُطيعوه ولا تُشركوا به.

- الآية 47: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ ليدعوهم إلى التوحيد، ويُبَشِّروا المُوَحّدين بالجنة، ويُحَذِّروا المشركين من النار ﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي جاؤوا أقوامهم بالمعجزات والبراهين الدالة على صِدقهم، فكفر أكثر القوم وكَثُرَ إجرامهم ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بأنواع العذاب والإهلاك - ومنها الهَلاك بالريح (التي جعلها الله نعمةً لأوليائه ونِقمةً على أعدائه) - ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

- الآية 48، والآية 49، والآية 50: ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه هو ﴿الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ أي يُنشئها ثم يَبعثها إلى السحاب ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ مثقلاً بالماء، فتُزعجه وتُحَرِّكه، ﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ أي ينشر سبحانه السحاب ﴿فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ أي يجعله قطعًا متفرقة، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي مِن بين السحاب لِيَحصل به الانتفاع، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾: يعني إذا ساقَ اللهُ المطر إلى ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي يفرحون بنزول المطر عليهم، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ أي يائسينَ بسبب امتناعه عنهم، (واعلم أنّ إعادة لفظ: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ للتأكيد على شدة اليأس الذي استولى عليهم قبل نزول المطر)، ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: أي انظر متأملاً إلى آثار المطر في النبات والزروع والشجر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿كَيْفَ يُحْيِي﴾ به الله ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فيُنبتها ويُحييها؟ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي الذي قَدَر على إحياء هذه الأرض ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ من قبورهم يوم القيامة، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزه شيء.

- الآية 51، والآية 52، والآية 53: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا﴾ على زروعهم ﴿رِيحًا﴾ مُفسدة ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي: فرأوا نباتهم قد فسد بتلك الريح، فصار من بعد خُضرته مُصفرًا: ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ - أي من بعد رؤيتهم لهذا النبات الذي فسد - ﴿يَكْفُرُونَ﴾ أي يجحدون نعم الله السابقة عليهم ويقولون ألفاظ السخط وعدم الرضا.

♦ فلا تحزن أيها الرسول على عِناده‍م ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ أي لا تَقدر على إسماع مَن طَبَعَ الله على قلوبهم فأماتها (بسبب تراكُم الشرك والمعاصي عليها، وبسبب حُبِّهم لتقليد آباءهم، رغم وضوح الحُجَج وإقامتها عليهم)، ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يعني إنك لا تَقْدر على إسماع الصُمّ (الذين فقدوا حاسة السمع)، فكذلك أنت لا تقدر على هداية هؤلاء المشركين - إلا أن يشاء الله هدايتهم - لأنهم كالصُمِّ، حيثُ لا يسمعونك سماعَ تدبُّر وانتفاع، وخصوصًا ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ يعني إذا كانوا مُعرِضِين عنك ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ يعني لن تهدي مَن أعماه الله عن الهدى والرشاد، بسبب الكِبر والعناد، ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي لا يُمْكنك أن تُسمِع إلا مَن يُصَدِّق بآياتنا ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي مُستجيبونَ لِمَا دَعَوتَهم إليه، منقادونَ للحق، غير مُتَّبعين لأهوائهم وشهواتهم.

- الآية 54: ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه هو ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي خَلَقكم من ماءٍ ضعيف، وهو النطفة، وكذلك كنتم ضِعافاً حال طفولتكم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ أي جعل من بعد ضعف الطفولة: قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ أي جعل من بعد قوة الشباب: ضعف الكبر والشيخوخة، ﴿يَخْلُقُ﴾ سبحانه ﴿مَا يَشَاءُ﴾ من مراحل الضعف والقوة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بأحوال خلقه، ﴿الْقَدِيرُ﴾ على إحياءهم بعد موتهم (إذ القادر على إيجادهم من العدم ثم رَدِّهم إلى حال الشيخوخة بعد قوة الشباب: قادرٌ على بَعْثهم بعد الموت)، (واعلم أنه سبحانه قدَّم اسمه (العليم) قبل اسمه (القدير) لأنّ القدرة تتعلّق بالعلم، وبقدر سعة العلم يكون عِظَم القدرة).

- الآية 55: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ - ويَبعث اللهُ الخلق من قبورهم -: ﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: أي يُقسِمون أنهم ما مَكَثوا في الدنيا غير فترة قصيرة من الزمن، ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: يعني إنهم كما صُرِفوا عن معرفة مُدّة مُكثهم في الدنيا، فكذلك كانوا يُصرَفون في الدنيا عن الإيمان بالبعث والجزاء (بسبب عِنادهم وإصرارهم على شِركهم).

- الآية 56: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ - وهُم الملائكة والأنبياء والمؤمنون - يقولون لهؤلاء المشركين الذين كذبوا في قَسَمهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: يعني لقد مكثتم - فيما كتبه الله في اللوح المحفوظ - منذ أن خُلِقتم ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ وهو يوم القيامة، ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنّ وَعْدَ الله حق.

- الآية 57: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾: أي لا تنفع أعذار الظالمين أمام ربهم ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: أي لا يُطلب منهم العُتبى (وهو إرضاء ربهم بالتوبة والعمل الصالح)، فقد فاتَ أوانُ ذلك، (فاذكر هذا لقومك أيها الرسول، لعلهم يتوبون فينجوا).

- الآية 58: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ أي بَيَّنّا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يعني أنواعًا كثيرة من الأمثال والأدلة (مِن أجل إقامة الحُجّة عليهم وإثبات وحدانية الله تعالى وحقيقة البعث بعد الموت)، ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ﴾ - أيها الرسول - ﴿بِآيَةٍ﴾ تدل على

www.alukah.net

صِدقك: ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ يعني: ما أنتم – يا محمد وأتْباعك – إلا كاذبون، تحاولون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا، وتُبطِلوا عبادتنا لأصنامنا.

– الآية 59: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: وكما ختم الله على قلوب هؤلاء المشركين (لإصرارهم على الشرك)، فكذلك يطبع سبحانه على قلوب الذين لا يعلمون، ولا يعملون على إزالة جهلهم، بل أحَبّوا البقاء في الجهل والضلال، (وفي هذا دليلٌ على أهمية طلب العلم).

– الآية 60: ﴿فَاصْبِرْ﴾ – أيها الرسول – على تكذيب قومك وإيذائهم لك، فـ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ﴾ (كما حدث في فتح مكة)، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ أي لا يَستفزَّنَّك ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث والجزاء عن ترْك الحلم والصبر وتبليغ الدعوة.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة لقمان كاملة

- الآية 1: ﴿الم﴾: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (ألِف لام ميم).

- من الآية 2 إلى الآية 5: ﴿تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يعني هذه هي آيات الكتاب المُشتمِل على الحِكَم العظيمة، المُحكَم الذي لا يأتيه الباطل، وقد نزلتْ هذه الآيات لتكون ﴿هُدًى﴾ أي مُرشِدةً إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يراقبون ربهم في كل شؤونهم، ويُحسنون عبادتهم له (بتخليصها من الشرك والرياء، وبأدائها كما شرَعَها لهم)، وهم ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي يؤدّونها في أوقاتها (بخشوعٍ واطمئنان) ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ لمُستحِقّيها ﴿وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي يُصَدِّقون تصديقاً جازماً بالحياة الآخرة وما فيها مِن حسابٍ وجزاء، ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي على نورٍ من ربهم، ويعيشون بتوفيقٍ مِن خالِقِهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزونَ في الدنيا والآخرة.

- الآية 6، والآية 7: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي﴾ أي يَختار ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ (وهو كل ما يُلهي عن طاعة الله ويَصُدّ عن رضاه)، فيُفَضِّله على الحق، ويدعو الناسَ إليه ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي ليُضِلَّهم عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني: وهو لا يَعلم أنّ مَن دَعا إلى ضَلالة، كان عليه ذنب مَن عَمِلَ بها إلي يوم القيامة، ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: أي يتخذ آيات الكتاب الحكيم سُخريّةً ولعباً، ولا يمتثل لأوامرها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي عذابٌ يُهينهم ويُذِلّهم، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ يعني أعرض عن طاعة الله، وتكبَّر عن الامتثال لما تدعو إليه الآيات ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أي صَمَمًا أو ثِقَلاً في السمع، ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ - أيها الرسول - ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في نار جهنم، (واعلم أنّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قد أقسم بالله تعالى أنّ المقصود من ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ هو الغناء).

♦ وهنا قد يقول قائل: (إنني أريد التوبة من سماع الأغاني، ولكني أريد بديلاً لها، لا تتركني هكذا بدون بديل).
وأنا أنصحك أخي التائب الحبيب بالاستماع إلى القرآن الكريم من أحد المشايخ الذين يؤَثِّرون فيك، بحيثُ تَخشع عند سماع تلاوتهم، وكذلك أنصحك بالاستماع إلى أنشودة: (نُونيّة القحطاني) بصوت الشيخ "فارس عباد" أثابه الله، فهي مفيدة جداً ومؤثرة (وأقول ذلك عن تجربة شخصية)، وكذلك أنصحك بالاستماع إلى أناشيد الشيخ "مشاري راشد" أثابه الله تعالى.

- الآية 8، والآية 9: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ بالله ورسوله وبكل ما أخبر به رسوله من الغيب ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (فأدّوا الفرائض والواجبات، وسارَعوا في النوافل والخيرات)، أولئك ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (فحياتهم فيها أبديةٌ، وفرْحَتهم فيها لا توصَف)، ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وَعَدَهم الله بذلك وعدًا حقًّا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يَمنعه مانع مِمَّا أراد، ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يَضع الأشياء في مواضعها (فيُدخل المؤمنين الجنة، ويُدخل الكافرينَ النار).

- الآية 10: ﴿خَلَقَ﴾ سبحانه ﴿السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ كما ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أي كما تشاهدونها (مرفوعةً بقدرتِهِ مِن غير أعمدة)، ﴿وَأَلْقَى﴾ أي وَضَعَ سبحانه ﴿فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً راسية لتُثَبِّت الأرض ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: أي حتى لا تميل بكم وتتحرك (إذ لو تَحَرَّكَتْ بكم: ما استقامَ العيشُ عليها، ولَتَهَدَّمَ ما عليها وتَساقَط)، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ أي نَشَرَ في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ من أنواع الدواب التي تدب على الأرض، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ بهذا الماء ﴿فِيهَا﴾ أي في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي مِن كل نوع من أنواع النبات الحَسَن المَنظر، النافع للناس.

www.alukah.net

- الآية 11: ﴿هَذَا﴾ - الذي ذُكِرَ لكم، والذي تشاهدونه في حياتكم - هو ﴿خَلْقُ اللَّهِ﴾ ﴿فَأَرُونِي﴾ أيها المُشركون ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: أي ماذا خلقتْ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله؟! ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ أي المُشركون ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في ضلالٍ واضح.

- الآية 12: ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ (والراجح أنّ لقمان هو عبدٌ صالح أعطاه الله الحكمة (وهي الفقه في الدين وسلامة العقل والإصابة في القول والفعل)، وألهَمناه ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ نِعَمَه عليك، ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ يعني: فإنَّ نَفْعَ ذلك الشكر يَرجع إليه في الآخرة، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي جَحَدَ النعمة وتَرَكَ الشكر: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن شُكره، ﴿حَمِيدٌ﴾ أي له الحمد والثناء على كل حال (يحمده مَن في السماوات والأرض)، (واعلم أنّ الشكر هو ذِكرُ النعمة باللسان، وذلك بقوْل كلمة: (الحمدُ لله)، وكذلك باستخدام النعمة في طاعة المُنعِم جَلّ وعَلا، وعدم استخدامها في معصيته، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي حَقِّقوا الشُكر بتقواكم للهِ تعالى).

- الآية 13: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لأن الله تعالى هو وحده الخالق المُنعِم، وأما غيره فلم يَخلّق شيئاً ولم يُنعِم بشيء، إذاً فليس من العدل أن يَخلُقَ سبحانه ويُعبَد غيرُه، وأن يَرزُقَ ويُشكَر غيرُه!).

- الآية 14: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾: يعني وَصّيناه أن يُبِرّهما، وأن يُحسِن إليهما بالقول والعمل - وخاصةً أمه - فقد ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي ضَعفًا على ضَعف، وشدة على شدة (وهي آلام الحمل والولادة والإرضاع)، ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم بِرّها فوق بر الوالد مرتين، فكما ثبت في الصحيحين أنّ رجلاً قال: (يا رسول الله مَن أحَقّ بحُسن صحابَتي؟)، قال: (أمك)، قال: (ثم مَن؟)، قال: (أمك)، قال: (ثم مَن؟)، قال: (أمك)، قال: (ثم مَن؟)، قال: (أبوك).

﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ يعني: ومدة رضاعته تنتهي في عامين، (ولفظ "فِصاله" للإشارة إلى أنه يُفصَل حينئذٍ عن الرضاعة)، ووصيناهُ ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾ نِعَمي عليك (بطاعتي وذِكري) ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ إذ هما سبب وجودك في الحياة (فوَجَبَ عليك شُكرهما ببِرّهما وصِلتهما وطاعتهما في غير معصية الله)، ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ يعني: إليَّ مرجعكم بعد موتكم، فأُجازي الشاكر المطيع في جنات النعيم، وأعاقب الجاحد العاصي بالعذاب الأليم.

- من الآية 15 إلى الآية 19: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ أي بَذَلا جهدهما معك أيها المؤمن ﴿عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ في عبادتي ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي ما ليس لك به دليل على استحقاقه للعبادة (وليس لأحدٍ عِلم أو دليل على صحة الشِرك، لأنّ الله تعالى هو الخالق الرازق المستحق وحده للعبادة)، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في دَعْوتهما لك إلى الشِرك (وكذلك الحال في سائر المعاصي، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (وذلك بالقول الكريم اللّيِّن، وبالإنفاق عليهما، وإكرام صديقهما ومَن له تعلُّق بهما، وصِلة رَحِمهما، والدعاء لهما، وطلب رِضاهما)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 3507)، فاعلم أنه لن يَرضى عنك ربك حتى يَرضى عنك والداك ولو كنتَ أعبَدَ أهل الأرض، ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: أي اسلك - أيها الابن المؤمن - طريق مَن تاب من ذنبه، ورجع إليَّ بالتوحيد والطاعة، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أيها الآباء والأبناء ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وأجازيكم على أعمالكم (لذا فأحسِنوا إلى والديكم، ولكنْ قدِّموا طاعتي على طاعتهما).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وقال لقمانُ لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ أي السيئة أو الحسنة التي يفعلها العبد: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ يعني إن كانت قَدْر حبة نبات الخَردل – وهي شيء صغير جداً – ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ (في باطن الجبل)، ﴿أَوْ﴾ في أي مكان ﴿فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يوم القيامة، ويحاسِب صاحبها عليها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده (إذ هو عَدلٌ رؤوفٌ بهم) ﴿خَبِيرٌ﴾ بدقائق الأمور.

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: يعني أَدِّها على أتمّ وجوهها – وفي أوقاتها – بخشوعٍ واطمئنان، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالحكمة والموعظة الحسنة، ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ بلُطفٍ ولِين وحكمة (بشرط ألاَّ يتسبب النهي عن المُنكَر في حدوث مُنكر أكبر منه)، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾: أي تحمَّل ما يصيبك من الأذى مقابل أمْرك بالمعروف ونَهْيك عن المنكر، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: يعني إنّ هذه الوصايا – وخاصةً الصبر – من الأمور التي ينبغي الحرص عليها، ولا يُوَفَّقُ لها إلا أهل العزائم والهِمَم العالية.

♦ واعلم أنّ الصبر ثلاثة أنواع: (صبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية، وصبرٌ على ما يُصيب العبد مِن مِحَنٍ وبَلاءٍ لتكفير ذنوبه أو رفع درجاته)، فعلى الإنسان دائماً أن يتذكر أنّ بلاءَ اللهِ عَدل وأن عافيته فَضْل، فإذا ابْتُلِيَ بشيءٍ فعليه أن يُسارع بأن يقول: (الحمدُ لله، هذا حَدَثَ بذنوبي، أنا أستحق أكثر من ذلك، هذا عدل)، فهذا مِمَّا يُعِينُهُ على الصبر.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي لا تُعرِض بوجهك عنهم إذا كَلَّمتَهم (احتقارًا لهم واستكبارًا عليهم)، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي متكبراً مُتبَختِرًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ أي مُعجَبٌ بنفسه، متكبر على الخلق، ﴿فَخُورٍ﴾ أي يَمدح نفسه على سبيل الفخر، ﴿وَاقْصِدْ﴾ أي تواضَعْ ﴿فِي مَشْيِكَ﴾ ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ فلا ترفعه (إلا على قدر الحاجة)، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أي أقبح الأصوات وأبغضها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لأن أصواتها مرتفعة.

– الآية 20، والآية 21: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾ أي لمصالحكم ومنافعكم ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (كالشمس والقمر والسحاب) ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (كالدوابّ والشجر والماء)، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾: أي عَمَّكم سبحانه بنعمه الظاهرة على الأبدان، والباطنة في العقول والقلوب وما لا تعلمون، (فهو سبحانه الخالق المُنعم المُدَبّر، الذي يستحق أن تعبدوه وحده ولا تعبدوا غيره).

♦ ورغم هذه النعم وهذا التسخير: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: ومِن الكفار ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ أي يُجادلون في توحيد الله تعالى ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي تقليداً لآبائهم من غير دليل، ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي مِن غير وَحْيٍ مِن الله تعالى، ومِن غير عقلٍ رَشيد، ﴿وَلَا كِتَابٍ﴾ سماوي ﴿مُنِيرٍ﴾ (يعني فيه نورٌ يَكشف الظُلُمات، بِبَيَان الحُجَج وكَشْف الحقائق)، **فليس لهذا المُجادل حُجَّة عقلية**، ولا حُجَّة مكتوبة في كتابٍ سابق، وإنما هي وساوس من الشيطان يُلقيها إليه ليُجادلكم بها، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي لهؤلاء المجادلينَ بغير علم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ على نبيِّه محمد، ﴿قَالُوا﴾: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي يَكفينا ما ورثناه عن آبائنا مِن الأقوال والأعمال، ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: يعني أيتَّبعونهم، حتى ولو كان الشيطان يدعو آباءهم – بتزيينه لهم سُوء أعمالهم – إلى عذاب النار الموقدة؟

– الآية 22، والآية 23، والآية 24: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي يُقبل على طاعته سبحانه، مُخلِصاً له في العبادة، لا يلتفت إلى غيره من سائر خَلْقه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في أقواله، مُتقِنٌ لأعماله: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي استمسك بأقوى سبب مُوصِل إلى رضوان الله وجنته، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ يعني: وإلى اللهِ وحده يَرجع مَصير الخلائق يوم القيامة، فيُجازي

www.alukah.net

كُلاًّ بعمله، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾ - أيها الرسول - لأنك قد أدَّيت ما عليك من الدعوة والبلاغ، و﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي عليمٌ بما تخفيه صدور عباده، ثم يجازيهم على أعمالهم.

♦ ثم أخبر سبحانه عن إمهاله واستدراجه لهؤلاء المشركين بقوله: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ في هذه الدنيا الفانية ﴿ثُمَّ﴾ يوم القيامة ﴿نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي نُلجئهم ونَسوقهم إلى عذابٍ فظيع، وهو عذاب جهنم.

- الآية 25: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني: وإنْ سألتَ أيها الرسول هؤلاء المشركين: ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ على هذا النظام البديع، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي ذَلَّلَهما لمنافع العباد: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ مُعترفين: ﴿اللَّهُ﴾ هو الذي فعل ذلك وحده، ﴿قُلِ﴾: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي أظهر حُجَّته عليهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي لا يعلمون ولا يتدبرون مَن الذي يستحق الحمد والشكر، فلذلك أشركوا مع الله غيره، (عِلماً بأنهم لا يُعذَرونَ بهذا الجهل، لأنهم يشهدونَ بِفطرتهم أنه سبحانه الخالق الرازق، إذاً فعليهم أن يتفكروا بعقولهم ليعلموا أنه سبحانه المستحق وحده للعبادة، لأنّ غيره لم يَخلق شيئاً ولم يُنعِم بشيء).

- الآية 26: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - خَلقاً ومُلكاً وتصرُّفاً وتدبيراً - فلا يستحق العبادة أحدٌ غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه، ﴿الْحَمِيدُ﴾ الذي له الحمد والثناء في كل وقتٍ وحال.

- الآية 27: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ يعني: ولو أنّ أشجار الأرض أصبحت كلها أقلامًا، ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ فكانت هذه البحار حِبراً لتلك الأقلام، لِيُكتَب بها الكلمات الإلهية (التي تحمل العلوم والمعارف): لَتكَسَّرتْ تلك الأقلام، وانتهى ذلك الحِبر، و﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يَمنعه أحد مِن فِعل ما يريد، ﴿حَكِيمٌ﴾ (يضع الأشياء في مواضعها)، فلِذا وَجَبَتْ طاعته والتوكل عليه وحده، وحَرُمَ تَعَلُّق القلب بغيرهِ مِن سائر خَلقه، (وفي الآية إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله، فهو ليس كمثله شيء).

- الآية 28: ﴿مَا خَلْقُكُمْ﴾ - أيها الناس - ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ يوم القيامة - في السهولة واليُسر - ﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: يعني إلا كخَلْق نفس واحدة وبَعْثها، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لتكذيبكم أيها المُشركون بالبعث، ﴿بَصِيرٌ﴾ بأعمالكم، وسيجازيكم عليها يوم بَعْثكم، (فكما أنه سبحانه يَسمعكم في وقت واحد، ويراكم في وقتٍ واحد، فكذلك يستطيع أن يخلقكم ويبعثكم في وقتٍ واحد).

- الآية 29: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي يُدخِل ما يَنقص من ساعات الليل في ساعات النهار، ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي يُدخِل ما نَقَصَ من ساعات النهار في ساعات الليل، فيَطولُ هذا ويَقصُر ذاك، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي ذَلَّلَهما لمنافع العباد، ﴿كُلٌّ﴾ مِن الشمس والقمر ﴿يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي يَدورُ في مداره إلى يوم القيامة، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم (ألاَ فاتقوه سبحانه، وراقِبوه في السر والعَلَن، وتوبوا إليه، وتوكلوا عليه، فإنّ الأمر كله في يديه).

- الآية 30: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك المذكور مِن آيات قدرة الله تعالى، لتُوقِنوا ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي الذي يَستحق العبادة وحده ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ يعني: ولتُوقِنوا بأنّ ما يَعبده المُشركون من دون الله تعالى هو الباطل الذي لا يَنفع ولا يضرُّ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاتِهِ وقهره على جميع مخلوقاته، ﴿الْكَبِيرُ﴾ في ذاته وصفاته (فهو أكبر وأعظم من كلِّ شيء).

- الآية 31، والآية 32: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾ أي السُفُن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ أي بأمر الله للبحر أن يَحملها رغم ثِقَلها (نعمةً منه سبحانه على خَلقه) ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على تدبيره وقدرته وعنايته بمصالح خلقه، وأنه وحده الذي يجب أن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يعبدوه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي كثير الصبر على طاعة الله، وعن مَعاصِيه، وعلى أقداره، ﴿شَكُورٍ﴾ أي قائم بحقوق الله تعالى، فيَشكره على نِعَمِه، (وقد خَصَّ اللهُ الصابرينَ الشاكرينَ بالذِكر؛ لأنهم هم الذين يَعتبرون بآياته ولا يَغْفُلون عنها).

♦ ثم أعطى اللهُ للمشركين دليلاً على توحيده (بشعورهم الفِطري) عند ركوبهم السفن في البحر قائلاً: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ يعني إذا ارتفعت الأمواج مِن حولهم، فصارت كالجبال التي تُظَلِّل مَن تحتها، وخافوا من الغرق: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يعني أخلَصوا له في الدعاء حتى يكشف عنهم شدتهم، ونسوا حينئذٍ شركائهم، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ وزالت عنهم الشدة: ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ أي مُوفٍ بما عاهَدَ اللهَ عليه في البحر، ومنهم جاحدٌ بنعمة الله تعالى، حيثُ أشرَك بربه المُنْعِم عليه بالنجاة وعَبَد معه غيره، (إنّ المشركين بذلك يُناقضون أنفسهم، إذ يوحّدون الله ساعة الشدة، ويُشركون به ساعة الرخاء) ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا وتوحيدنا ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ أي غدَّار ناقض للعهد، ﴿كَفُورٍ﴾ أي جَحود لنعم الله عليه.

- الآية 33: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي خافوا عذابه (بامتثال أوامره واجتناب نَوَاهيه)، ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا﴾ وهو يوم القيامة، حيثُ ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾: أي لا يَدفع فيه والدٌ عن ولده شيئاً من العذاب ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ أي دافعٌ ﴿عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ من العذاب (فالولد لا يحمل ذنب والده، والوالد لا يحمل ذنب ولده) ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ أي لا تَخدعكم ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بزينتها وشهواتها فتُنسيكم الآخرة، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي لا يَخدعكم بالله خادعٌ من شياطين الجن والإنس (إذ يغتنم الشيطان إمهال الله لكم فيُجَرّئكم على المعاصي ويدفعكم إلى تأخير التوبة، فانتبهوا يا عباد الله، فإن الموت قادم، وقد يأتي فجأة).

- الآية 34: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: أي يعلم وحده متى تقوم الساعة ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ أي يُنَزِّل المطر من السحاب، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾: أي يعلم الجنين الذي في أرحام الإناث (ذكرٌ هو أم أنثى؟ أبيض أم أسمر؟ طويل أم قصير؟ كم سَيَعيش؟ وغير ذلك)، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ بل الله وحده هو الذي يعلم ذلك، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك كله، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء (وليس بهؤلاء الخمسة فقط) ﴿خَبِيرٌ﴾ بالظواهر والبواطن.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة السجدة كاملة

- الآية 1: (الم): سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (ألِف لام ميم).

- الآية 2، والآية 3: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ) أي لا شك أنّ هذا القرآن مُنَزَّلٌ (مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)؟! يعني أم يقول المُشركون: (إن هذا القرآن قد افتراه محمد من عند نفسه؟!)، كَذَبوا، (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) - أيها الرسول - حيثُ أنزل الله فيه الأدلة والبراهين وتحدَّى به المشركين (لِتُنْذِرَ) به (قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) (والمقصود بهم أهل مكة ومَن جاء بعدهم) (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) أي لِيَتعظوا بالقرآن فيؤمنوا به ويهتدوا، لِيَنجوا به ويَسعدوا.

- الآية 4: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) (مع أنه قادرٌ أن يَخلقها بكلمة "كُن") ولكنه خَلَقها في ستة أيامٍ لحكمةٍ يعلمها سبحانه، (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) أي عَلا وارتفع على العرش (استواءً يليق بجلاله وعظمته) لا يُشبه استواء المخلوقين، (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) يَنفعكم ويَتولى أموركم، (وَلَا شَفِيعٍ) يشفع لكم عند ربكم لتنجوا من عذابه إلا بإذنه، (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ): يعني ألاَ تتفكرون في أدلة توحيد الله تعالى فتُفردوه وحده بالعبادة؟!

- الآية 5: (يُدَبِّرُ) سبحانه (الْأَمْرَ) أي أمْرَ المخلوقات (مِنَ السَّمَاءِ) حيثُ العرش واللوح المحفوظ (إِلَى الْأَرْضِ) حيثُ تتم الحياة والموت والعطاء والمنع وغير ذلك، (فاللهُ تعالى مِن فوق عرشه يُدَبّر أمْر الخلائق كلها في عوالمها المختلفة)، (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) أي: ثم يصعد إليه ما نَتَجَ عن ذلك الأمر والتدبير من أفعال الخلق (كالرضا والسَخَط، والطاعة والمعصية، وغير ذلك)، كل هذا يحدث (فِي يَوْمٍ) أي في يومٍ واحد عند الله تعالى، ولكنْ (كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) من أيام الدنيا.

♦ والمعنى: أن هذا اليوم الواحد - الذي تَنزل فيه الملائكة إلى الأرض، ثم تصعد إلى السماء، وما يحدث فيه من تصرفات الله تعالى في كائنات السماء والأرض - لو كان هذا كله من عمل الناس، لكان حصوله في ألف سَنَة.

- الآية 6، والآية 7، والآية 8، والآية 9: (ذَلِكَ) الخالق المُدبِّر هو (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أي الذي يعلم ما غاب عن حَواسِّكم - أيها الناس - ويعلم ما تشاهدونه، وهو (الْعَزِيزُ) أي القويُّ الغالب، (الرَّحِيمُ) بعباده المؤمنين، وهو (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ): أي الذي أتقن خَلْقَ كل شيء، (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ) وهو آدم عليه السلام (مِنْ طِينٍ)، (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) أي جعل ذرية آدم مُتناسِلة (مِنْ سُلَالَةٍ) وهي النُطفة، التي هي جُزءٌ (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) أي ماءٍ تحتقره النفس (وهو ماء الذَكَر)، (ثُمَّ سَوَّاهُ) أي أتَمّ خلق الجنين وأحسنه (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) بإرسال المَلَك له؛ لينفخ فيه الروح، (وَجَعَلَ لَكُمُ) - أيها الناس - نعمة (السَّمْعَ) التي يُمَيَّز بها بين الأصوات (وَالْأَبْصَارَ) التي يُمَيَّز بها بين الألوان والأشخاص وجميع الأشياء، (وَالْأَفْئِدَةَ) أي القلوب (والمقصود بها نعمة العقل) التي يُمَيَّز بها بين الخير والشر والنافع والضار، ومع ذلك فـ (قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) ربكم على ما أنعم به عليكم.

- الآية 10، والآية 11: (وَقَالُوا) أي قال المُكَذِبون بالبعث: (أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) أي صارت عظامنا ترابًا في الأرض، ثم ضَلَّ هذا التراب (أي غابَ وتاهَ في الأرض) (أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) يعني أنُبعَث خلقًا جديدًا بعد ذلك؟، (بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ) يوم القيامة (كَافِرُونَ) (رغم كثرة الأدلة التي في القرآن على قدرة الله على البعث بعد الموت)، وإنما هو الكِبر والعناد والانقياد وراء الشهوات، (قُلْ) لهم أيها الرسول: (يَتَوَفَّاكُمْ) - عند انتهاء آجالكم - (مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) أي المُكَلَّف بقبض

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيُجازيكم على جميع أعمالكم، (فكما أنكم لا تستطيعون أن تدفعوا الموت عن أنفسكم، فكذلك لن تدفعوا عنكم الحياة عندما يريدها الله لكم وقت البعث).

- الآية 12: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ أيها الرسول يوم القيامة، لرأيتَ أمرًا عظيمًا ﴿إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾ الذين أنكروا البعث ﴿نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي قد خفضوا رؤوسهم أمام ربهم - من الذل والحياء والندم - قائلين: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا نُكَذِّب به من البعث والجزاء ﴿وَسَمِعْنَا﴾ من أقوال الملائكة أنّ رُسُلك كانوا على حق في كل ما أخبرونا به، وقد تُبنا إليك ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ يعني أيْقَنّا الآن أنك الإله الحق، وأنك تَبعث مَن في القبور.

- الآية 13، والآية 14: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ أي رُشدها وتوفيقها للإيمان، ﴿وَلَكِنْ حَقَّ﴾ أي وَجَب ﴿الْقَوْلُ مِنِّي﴾: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (والمقصود هم أهل الكفر والمعاصي، لاختيارهم الضلال على الهدى)، ويُقال لهؤلاء المشركين - وهُم يُعَذَّبونَ في النار -: ﴿فَذُوقُوا﴾ أي ذوقوا العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي بسبب غفلتكم عن الآخرة، وانغماسكم في شهوات الدنيا، ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي تركناكم اليوم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ وهو عذاب جهنم الذي لا ينقطع ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

- الآية 15، والآية 16، والآية 17: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ يعني إنما يُصَدِّق بآيات القرآن ويعمل بها: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ أي تُلِيَتْ عليهم، وَوُعِظوا بما فيها مِن أمْرٍ ونَهْيٍ ووَعْدٍ ووَعيد: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾: أي وقعوا على الأرض ساجدينَ لربهم، خاضعينَ لأمره، ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ - قائلينَ في سجودهم -: (سبحان ربي الأعلى)، وسبَّحوا بحمده - خارج سجودهم - قائلين: (سبحان الله وبحمده) ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن السجود والتسبيح والعبادة، بل يأتونها وهم خاشعونَ مطيعون، و﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: أي تتباعد جنوبهم عن فراش النوم، ليقوموا لله تعالى في صلاة الليل، فـ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في جنته، (والمعنى أنهم يسألونه النجاة من النار ودخول الجنة)، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي: ومِن صفاتهم أنهم يُخرِجون من أموالهم: (الزكاة المفروضة والصدقات المُستحَبّة)، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي: فلا أحد يعلم ما ادَّخر الله لهؤلاء المؤمنين مما تتلذذ به عيونهم وتفرح به قلوبهم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال الصالحة (ومنها قيام الليل والإنفاق في سبيل الله).

- الآية 18: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ أي مُصَدِّقًا بوعد الله ووعيده، مُطيعًا لله ولرسوله ﴿كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ أي كافراً بتوحيد ربه، كافراً برسوله، خارجاً عن طاعة ربه؟! ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾.

- الآية 19: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ باللهِ وبرسوله، وبكل ما أخبر به رسوله من الغيب ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شرَعه - ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾: أي لهم جناتٌ يأوون إليها، ويقيمون في نعيمها ﴿نُزُلًا﴾ أي ضيافةً لهم وجزاءً ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الإيمان والعمل الصالح.

- الآية 20، والآية 21: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ أي مُستقَرهم جهنم، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ - مِن شدة غَمِّهم وسخونة أجسادهم - ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ - توبيخا -: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ أي العذاب الأصغر (وذلك بالمصائب التي يصيبهم بها الله في الدنيا) ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: أي قبل العذاب الأكبر يوم القيامة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لعلهم يتوبون في الدنيا من ذنوبهم وشِركهم (اتعاظاً من هذه المصائب) قبل أن يصيبهم عذاب جهنم.

www.alukah.net

- الآية 22: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يعني: ومَن أشد ظلمًا لنفسه ﴿مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ ووُعِظَ بدلائل توحيده ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ (فلم يَتَّعظ بها واستكبر عن الانقياد لها)، ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ أي سننتقم من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله وحُجَجه، ولم ينتفعوا بها.

- الآية 23، والآية 24: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وهو التوراة (كما أعطيناك القرآن أيها الرسول)، ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ يعني: فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي جعلنا الكتاب (وهو التوراة) هدايةً لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي دُعاةً إلى الله (يأتمُّ بهم الناس في فِعل الخير)، فكانوا ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي يدعون الناس إلى توحيد الله وطاعته (وذلك بأمْر الله تعالى لهم)، **وإنما وَصَلوا إلى هذه الدرجة العالية** ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ أي حين صبروا على طاعة الله، وعلى ترك معصيته، وعلى الدعوة إليه، وتحمُّل الأذى في سبيله ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

- الآية 25: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أيها الرسول ﴿هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يَقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمور الدين، فيُدخل المُكَذِّبين بك النار، ويُدخل المؤمنين بك الجنة (كعبد الله بن سَلام وأصحابه).

- الآية 26: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ يعني ألم يُبَيَّنْ لقومك – أيها الرسول - كثرة مَن أهلكنا قبلهم من الأمم المُكَذِبة الذين ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ ويرون آثار هَلاكهم (كعادٍ وثمود وقوم ولوط)؟! ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ على صِدق الرُسل التي جاءتهم، وبُطلان ما هم عليه من الشِرك، ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ مواعظ الله وحُجَجه، سماعَ تدبر وانتفاع؟!

- الآية 27: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي هؤلاء المُكَذِبون بالبعث ﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ أي نسوق السحاب، فنُنزل منه الماءَ ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعني إلى الأرض اليابسة التي لا نباتَ فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ مختلفًا ألوانه وطعمه، فـ ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ أي تتغذى به أبدانهم وأنعامهم، ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾: يعني ألا يرون هذا بأعينهم، فيعلموا أن الذي أحيا هذه الأرض الميّتة قادرٌ على إحياءهم بعد موتهم؟!

- الآية 28، والآية 29، والآية 30: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾: أي يستعجلك المُشركون بالعذاب قائلين: (متى هذا الحكم الذي يَقضي ويَفصل بيننا وبينكم بتعذيبنا) ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنت ومَن اتّبعك فيما تعدوننا به من العذاب؟ ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يعني: يوم القضاء – الذي يقع فيه عقابكم وتعاينون فيه الموت – ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ يعني لا ينفعهم الإيمان في هذا الوقت، لأن الأمر أصبح يقينيّاً ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي لا يؤخَّرون للتوبة والاعتذار، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تهتم بتكذيبهم، ﴿وَانْتَظِرْ﴾ نَصرَ الله لك، ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ أي يَنتظرون أن تقع بكم مصائب السوء ليتخلصوا منكم، (فلا تهتم أيها الرسول بكَيدهم وتكذيبهم، فإنّ اللهَ ناصرك عليهم ومُنَجِّيك مِن كَيدهم).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الأحزاب كاملة

1. الربع الأول من سورة الأحزاب

- الآية 1، والآية 2، والآية 3: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي استمِرّ على تقوى الله تعالى (بتنفيذ أوامره واجتناب نَوَاهيه)، وليَقتدِ بك المؤمنون في ذلك؛ لأنهم أحوج إليه منك، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يقترحونه عليك مِن عدم إظهار عيوب آلهتهم، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ لا تُطِعهم أيضاً فيما يُخَوِّفونك منه (لأنهم جُبناء)، وفيما يَنصحونك به (لأنهم أعداء)، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخَلقه وبما يفعلونه في السر والعلن، ﴿حَكِيمًا﴾ في أمْره وتدبيره (فلذلك لن يأمرك سبحانه إلا بما فيه الخير لك)، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من القرآن والسُنّة، ولا تترك تبليغ شيئاً من شريعة ربك، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالكم وسيُجازيكم عليها، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي اعتمد على ربك وفوِّضْ أمورك إليه، وثِق بنصره وحِفظه، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي حافظًا ونصيراً لمن توكل عليه.

♦ وقد بَلَّغَ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة، تقول السيدة عائشة رضي اللهُ عنها: (لو كانَ النبي صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي، لَكَتَمَ هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾).

♦ واعلم أنّ الفعل (كان) إذا جاء مع صفة معينة، فإنه يدل على أنّ هذه الصفة مُلازِمة لصاحبها، كقوله تعالى - واصفاً نفسه بالرحمة والمغفرة -: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي كانَ - دائماً وأبَداً - غفوراً رحيماً.

- الآية 4: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾: أي لم يجعل سبحانه لأحدٍ من البَشَر قلبين في صدره (كما ادّعى بعض المشركين)، ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (والظِهار هو أن يقول الرجل لامرأته: (أنتِ عليَّ كظَهر أمي)، أي مُحَرَّمة عليّ كحُرمة أمي التي ولدتني، فلا أقرَبُكِ ولا تَحِلّين لي، (وقد كان هذا القول يُعتبر طلاقًا في الجاهلية، فبيَّنَ اللهُ أن الزوجة لا تصير أُمًّا بحال)، ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ (والأدعياء هم الأولاد الذين تبَنَّيتموهم وادَّعيتم أنهم أبناءكم)، فلم يجعلهم سبحانه ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ في الحقيقة والنَسَب والشرع كما ادّعيتم، ﴿ذَلِكُمْ﴾ - أي ادّعائكم الظِهار والتَبَنّي - هو ﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي هو كلامٌ بالفم لا حقيقة له، ولا يؤخَذ به في الشرع، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ فاتّبعوه واعملوا به، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ أي يُرشد عباده إلى طريق الحق والرشاد.

- الآية 5: ﴿ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ﴾: أي انسبوا مَن تبنّيتموهم لآبائهم الحقيقيين (الذين كانوا سبباً في إنجابهم)، فـ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي هذا أعدل في حُكم الله وشَرْعه ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آَبَاءَهُمْ﴾ الحقيقيين: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي فهُم إخوانكم في الإسلام ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ يعني هم نُصرائكم وأحِبّائكم، وأنتم أيضاً مُكَلَّفون بحمايتهم ونُصرَتهم، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي ليس عليكم إثمٌ ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ أي فيما وقعتم فيه خطأً بغير تعمُّد، ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: يعني إنما يؤاخذكم الله إذا تعمدتم ذلك، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لمن أخطأ بغير عَمْد، ﴿رَحِيمًا﴾ لمن تاب من ذنبه.

- الآية 6: ﴿النَّبِيُّ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني أقرب وأحَبّ إليهم من أنفسهم، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: يعني إنّ حُرمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على أُمَّته، كحُرمة أمّهاتهم عليهم، فلا يجوز نكاح زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده، (وفي هذا إشارة للمؤمن أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحبَّ إليه من نفسه، وأن يُقدِّم ما يريده صلى الله عليه وسلم على ما تريده نفسه، وفي الآية أيضاً وجوب احترام زوجاته صلى الله عليه وسلم، لأنهنّ أمّهات المؤمنين، ومَن سَبَّهن فقد استحق الخُسران المبين).

www.alukah.net

♦ وقد كان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة (يعني كان يَتوارث المهاجرون والأنصار، ولا يَرِث الأقرباء شيئاً)، فنسَخَ اللهُ ذلك بقوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ أي أصحابُ القَرابة، والمقصود: (الأقرباء المسلمون) ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ يعني بعضهم أحق بميراث بعض ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في حُكمِ اللهِ وشَرْعِهِ (كما وَضَّحَ سبحانه ذلك في آيات المواريث)، فهُم أوْلى بالتوارث ﴿مِنَ﴾ عامَّة ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾: يعني إلا أن تُقدِّموا معروفًا لأحدٍ من نُصرائكم وأحِبّائكم المؤمنين (بأن توصوا له بما لا يَتعدى ثلث التَركة)، فلا حرج عليكم في ذلك، ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: أي كان هذا الحُكم المذكور: مُقدَّرًا مكتوبًا في اللوحِ المحفوظ، فيجب عليكم العمل به.

- الآية 7، والآية 8: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾: أي اذكر أيها النبي حين أخذنا من النبيّين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة، ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ يعني: وكذلك أخذنا هذا العهد - بصفة خاصة - منك ومن نوحٍ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (وهؤلاء الخمسة هم أولو العَزم من الرُسل، على المشهور من أقوال العلماء)، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أي عهدًا مؤكدًا بأن يُصَدِّق بعضهم بعضًا، ويُبَشِّر بعضهم ببعض، وقد أخذ الله ذلك العهد من الرُسل ﴿لِيَسْأَلَ﴾ - يوم القيامة - ﴿الصَّادِقِينَ﴾ وهُم الأنبياء ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغهم رسالة ربهم، ووفائهم بما عَهِدَه إليهم، وعمَّا أجابتهم به أُمَمُهم، فحينئذٍ يَجزي سبحانه المؤمنين منهم بالجنة ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في نار جهنم، (ويُحتمَل أن يكون المقصود بالصادقين هنا: مَن آمن بهؤلاء الأنبياء، والله أعلم).

- الآية 9: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (أيام غزوة الأحزاب) - وهي غزوة الخَندق - ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: أي حين اجتمع عليكم المُشركون (من خارج "المدينة")، واليهود والمنافقون (من داخل "المدينة" وما حولها)، فأحاطوا بكم وحاصَروكم، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي على هؤلاء الكفار ﴿رِيحًا﴾ شديدة (اقتلعت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وألقتْ آنيَتهم بما فيها مِن طعامٍ وشراب)، حتى اضطروا إلى الرحيل، ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: وكذلك أرسلنا عليهم ملائكة من السماء لم تروها، فوقع الرعب في قلوبهم، حتى فقدوا رُشدهم وصوابهم، وقرروا العودة إلى بلادهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - مِن حَفْر الخَندق والاستعداد للمعركة - ﴿بَصِيرًا﴾ لا يَخفى عليه شيء من تلك الأحداث، وسيجزي المحسن منكم بالإحسان والمُسيء بالإساءة، (واعلم أنّ المقصود بلفظ "الأحزاب": أي الذين تَحَزَّبوا - أي اجتمعوا - لقتال المسلمين).

- الآية 10، والآية 11: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: أي اذكروا حين جاءكم هؤلاء الكفار مِن فوقكم (أي من أعلى الوادي الذي كنتم فيه، من جهة المَشرق) ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أي من أسفل الوادي (من جهة المغرب)، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي ضَلَّتْ الأبصار عن كل شيءٍ حولها، وصارت لا تنظر إلا لهؤلاء الأعداء من شدة الخوف منهم ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي قاربَتْ قلوبكم أن تصل إلى حَناجركم من شدة الرعب ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ يعني: وفي هذا الموقف الشديد كنتم تظنون بالله الظنون المختلفة (مِن نَصرٍ وهزيمة، ونجاةٍ وهلاك)، ومنهم مَن ظن أن الله لن ينصر دينه، ولن يُعلي كلمته (وهذا كله من وساوس الشيطان)، ﴿هُنَالِكَ﴾ أي في ذلك الموقف العصيب: ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي اختُبر إيمان المؤمنين، وعُرف المؤمن من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي اضطرب المؤمنون اضطرابًا شديدًا بالخوف والقلق، ليتبيّن إيمانهم ويزداد يقينهم.

♦ واعلم أنّ الألِف - التي في نهاية كلمة (الظُّنُونَا) - تُسَمَّى: (ألِف زائدة) لرعاية الفواصل في الوقف، ومِثلها في هذه السورة: (وأطعنا الرسولا)، (وأضلونا السبيلا).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– الآية 12: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي في قلوبهم شك (وهم ضِعاف الإيمان)، فهؤلاء قالوا لبعضهم – عندما رأوا هذا البلاء نازلاً بالمؤمنين –: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من النصر والتمكين ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ أي خِداعاً فلا تصدقوه.

– الآية 13: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ أي اذكر أيها النبي قول طائفة من المنافقين – يوم الأحزاب – وهم ينادونَ المؤمنين من أهل "المدينة": ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ (وهو الاسم القديم للمدينة المنورة) ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: أي لا إقامة لكم في معركة خاسرة، ولا فائدة من البقاء هنا دونَ قتال، ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم، (وما قالوا ذلك إلا خوفاً من القتال وهروباً من المواجهة)، ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ يعني: وهناك فريق آخر من المنافقين يستأذنون النبي في العودة إلى منازلهم، ف﴿يَقُولُونَ﴾ له: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي مكشوفة أمام العدو، ونحن نخاف عليها ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ يعني: والحَقُّ أنها ليست كذلك، إذ بيوتهم مُحَصَّنة، و﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾: أي ما قصدوا بذلك الاستئذان إلا الفرار من القتال.

– الآية 14، والآية 15: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ يعني: ولو دَخَلتْ جيوش الأحزاب إلى "المدينة" من جوانبها على هؤلاء المنافقين، ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ أي: ثم طُلِبَ مِنهم أن يُشركوا بالله ويَرجعوا عن الإسلام: ﴿لَآتَوْهَا﴾: أي لأَجابوا تلك الفتنة (وهي الشرك) ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ أي ما تمهلوا بالإجابة إلا وقتاً قليلاً، (والمعنى أنهم لم يتفكروا قبل أن يُشركوا، بل سارَعوا إلى الشرك حين طَلَبَ منهم المُشركون ذلك)، وذلك لشدة نفاقهم، ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي عاهدوا اللهَ على يد رسوله من قبل هذه الغزوة أنهم ﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾ أي لا يَفِرُّون إنْ حضروا الحرب، ولا يتأخرون إذا دُعُوا إلى الجهاد، ولكنهم خانوا عهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ أي يسأل سبحانه صاحب العهد عن الوفاء بعهده، ويحاسبه عليه.

– الآية 16: ﴿قُلْ﴾ – أيها النبي – لهؤلاء المنافقين: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ﴾ من المعركة ﴿إِنْ فَرَرْتُمْ﴾ خوفًا ﴿مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ (فإنّ ذلك الفرار لن يؤخر آجالكم المكتوبة، وسيأتيكم الموت في المعركة أو في غيرها)، ﴿وَإِذًا﴾ يعني: وإنْ فررتم ﴿لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لن تتمتعوا في هذه الدنيا إلا قليلاً، ثم تموتون عند نهاية أعماركم، وهو زمن قليل جدًا بالنسبة إلى الآخرة.

– الآية 17: ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها النبي –: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ويَمنعكم من عذابه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾؟! لا أحد، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ ينفعهم ويتولى أمورهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم من عذاب ربهم.

****

2. الربع الثاني من سورة الأحزاب

– الآية 18، والآية 19، والآية 20: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾: يعني إنّ الله يعلم المنافقين المُثَبِّطين للمؤمنين عن القتال (والمقصود أنهم يُلقون في نفوسهم الرغبة في القعود عن القتال، ويخوفونهم من العدو) ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ المنافقين: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: أي تعالوا وانضموا إلينا، واتركوا محمدًا وأصحابه يقاتلون وحدهم، فإننا نخاف عليكم الموت، ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: وهم مع تخذيلهم هذا لا يأتون القتال إلا نادرًا (إذ يتخلفون في أكثر الغزوات، وإنْ حضروا قتالاً، فإنهم يقاتلون دفعاً لتُهمة النفاق عن أنفسهم وخوفاً من الفضيحة).

♦ وترونهم أيها المؤمنون ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: أي بُخَلاء عليكم بالمال والنفس والجهد (لِمَا في نفوسهم من العداوة والحقد، وحب الحياة وكراهية الموت)، ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ بسبب هجوم العدو: ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾ أيها النبي ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ بخوفٍ شديد ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ أي يَنظرون بأعينهم يميناً وشمالاً (خوفاً من أن يأتيهم العدو من أيّ جهة) ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: يعني كحال مَن تدور عينه إذا حَضَرَه الموت من شدة الخوف (وهو المُحتضِر الذي لا يستطيع الكلام، مِن شدة الآلام التي

www.alukah.net

يَشعر بها، حتى يُصاب بالإغماء)، (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) وانتهت الحرب: (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ): يعني آذوكم بألسنةٍ حادة كالحديد، وبالَغوا في عِتابكم ولَوْمكم وإسماعكم ما لا يُرضيكم، وَوَصفوا أنفسهم بالشجاعة والنجدة، (واعلم أن السَلَق في اللغة هو بَسْط العضو للأذى، سواء أكان هذا العضو يداً او لساناً).

♦ وتجدونهم (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ): أي بُخَلاء على مشاريع الخير وما يُنفَق في سبيل الله (لأنهم لا يؤمنون بالثواب في الآخرة)، (أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا) بقلوبهم (فلذلك هم جُبناء عند اللقاء، بُخلاء عند العطاء)، (فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) أي أبطل ثواب أعمالهم (لأنه لم يكن عن إيمان، ولم يكن خالصاً لوجهه)، (وَكَانَ ذَلِكَ) أي إحباط أعمالهم (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا).

♦ وهؤلاء المنافقون (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا): أي لم يُصَدِّقوا أن الأحزاب قد هَزَمهم الله تعالى وأنهم عادوا إلى بلادهم (وذلك لضعف يقينهم في وعد الله بالنصر)، (وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ) مرة أخرى إلى "المدينة" - على سبيل الفرض -: (يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ): أي سيَتمنَّى أولئك المنافقون أنهم كانوا يعيشون بين أعراب البادية (الصحراء)، حتى لا يقاتلوا الأحزابَ معكم، بل يكتفون بأن (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) أي يسألون الناس عن أخباركم: (هل انهزمتم أو انتصرتم؟)، (وبالطبع يتمنون هزيمتكم)، (وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ) أي يعيشون معكم في المدينة: (مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) (وذلك لكثرة جُبنهم وضعف يقينهم).

♦ وفي الآيات السابقة إشارة إلى وجوب الوفاء بالعهد، لأنّ نقض العهد من علامات النفاق، واعلم أيضاً أنّ كلمة: (قد) المذكورة في قوله تعالى: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ)، جاءت هنا للتأكيد والتقرير، إذ هي تأتي أحياناً للتقليل، وتأتي أحياناً للتكثير.

- الآية 21: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ) - أيها المؤمنون - (فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) أي قدوة حسنة في أقواله وأفعاله وصبره وثباته، وهذه القدوه الحسنة تكونُ (لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ) (إذ يقتدي به صلى الله عليه وسلم ويَتَّبع سُنَّته مَن كان يرجو ثواب ربه، وينتظر مَجيء اليوم الآخر وما فيه مِن نعيمٍ مقيم أو عذابٍ أليم)، (وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) يعني: ويَقتدي به مَن أكثرَ مِن ذِكر الله تعالى واستغفاره وحَمْدِه في كل حال.

- الآية 22: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) قد حاصروا "المدينة"، تذكَّروا أنّ موعد النصر قد اقترب، لأن الله تعالى قد وَعَدَهم في القرآن أن النصر يأتي بعد الشدة، وذلك في قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)، كما أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم بقدوم الأحزاب عليهم، وأن الله ناصرهم عليهم، فـ(قَالُوا): (هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) من الابتلاء والمِحنة والنصر (وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) (وَمَا زَادَهُمْ) أي: ما زادتهم رؤيتهم للأحزاب (إِلَّا إِيمَانًا) أي تصديقاً بوعد الله لهم (وَتَسْلِيمًا) لقضائه وأمْره.

- الآية 23، والآية 24: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) (وصبروا على البلاء والشدائد): (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) أي وَفَّى بعهده، فقاتل حتى استُشهِد (والمقصود بهم: الصحابة الذين تخلفوا عن غزوة بدر، فحزنوا لِمَا فاتهم من الأجر، فعاهدوا اللهَ لئن حضروا قتالاً مع رسوله صلى الله عليه وسلم ليُقاتلُنّ حتى الاستشهاد)، (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) أي ينتظر إحدى الحُسنَيَيْن: (النصر أو الشهادة)، (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا): أي لم يُغيِّروا عهد الله ولم ينقضوه كما فعل المنافقون (الذين عاهدوا الله أنهم لا يُوَلُّونَ الأدبار، ثم عادوا إلى بيوتهم تاركينَ الرسول والمؤمنين في مواجهة الأعداء).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ واعلم أنّ كلمة (تَبْدِيلًا) تشير إلى أنهم لم يُبَدِّلوا في مَوقفهم ولو تبديلاً قليلاً، بل إنهم ثَبَتوا على عهدهم وصبروا، حتى وَفّوا به حق الوفاء، فهَنيئاً لهم الأجر والجزاء.

♦ وقد قَدَّرَ سبحانه حدوث تلك الأحداث – من الوفاء والغدر والصبر واليأس – (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ) وهم المؤمنون، إذ يَجزيهم الجنة (بِصِدْقِهِمْ) أي بسبب صِدقهم في إيمانهم وصبرهم على البلاء، (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) يعني إنْ شاءَ تعذيبهم، بألاَّ يوفقهم للتوبة النصوح قبل الموت فيموتوا على الكفر، فيدخلوا النار، (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) بأن يوفقهم للتوبة قبل الموت، (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) لذنوب التائبين، (رَحِيمًا) بهم، حيث جعل التوبة نجاةً لهم.

– الآية 25، والآية 26، والآية 27: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ): أي رَدَّ اللهُ أحزاب الكفر عن "المدينة" خائبينَ خاسرينَ مُغتاظين (لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) في الدنيا ولا في الآخرة، (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بإرسال الريح والملائكة على الأحزاب، (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا) لا يُقْهَر، (عَزِيزًا) في انتقامه من أعدائه.

(وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ) يعني: وأنزل الله يهود بني قُرَيظة مِن حصونهم (عقوبةً لهم لإعانتهم للأحزاب على قتال المسلمين) (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) أي ألقى في قلوب اليهود الخوف، وبذلك مَكَّنكم أيها المؤمنون منهم، فـ(فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) (وَأَوْرَثَكُمْ) – أيها المؤمنون – (أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) (وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا) يعني: وأورثكم سبحانه أرضًا لم تتمكنوا مِن دخولها من قبل (لكثرة حصونها وحماية أهلها لها)، وهي أرض خَيبر (وذلك على الراجح من أقوال العلماء)، (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) لا يُعجزه شيء.

****

3. الربع الثالث من سورة الأحزاب

– الآية 28، والآية 29: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ) اللاتي اجتمعنَ عليك، يَطلُبنَ منك زيادة النفقة، ولم يكن عندك ما تُوَسِّع به عليهنّ: (إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) – من لذيذ الطعام والشراب، وحُلِيّ الزينة وغير ذلك –: (فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) يعني أُعطيكنّ شيئاً مما عندي من الدنيا (بقدر استطاعتي) (وَأُسَرِّحْكُنَّ) يعني: أطلقكن (سَرَاحًا جَمِيلًا) أي أُفارقكُنَّ دونَ إيذاءٍ بالقول أو الفِعل، (وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ): يعني إن كنتنّ تُرِدْنَ رضا الله ورضا رسوله والجنة: فاصبِرْنَ ولا تنظرنَ إلى ما عند غيركنّ من النساء (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ) – اللاتي يُطِعنَ اللهَ ويُحسنونَ عِشرة رسوله – (أَجْرًا عَظِيمًا) (وهو المقامات العالية مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة) (وقد اخترنَ اللهَ ورسوله وما أعدَّ اللهُ لهنّ في الدار الآخرة، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم)، ولهذا أكرمهنّ الله تعالى وأنزل على رسوله: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ).

– الآية 30، والآية 31: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) أي بمعصيةٍ ظاهرة (ومِن ذلك عدم طاعة الرسول الله صلى الله عليه وسلم أو سُوء خُلُق يَتأذى به): (يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) أي عذاباً مُضاعفاً على عذاب غيركنّ مِمّن آذَيْنَ أزواجهنّ (وذلك لمكانتكنّ الرفيعة عند الناس، ولأنكنّ قدوة لسائر النساء، فإنّ صاحب العِلم والمنزلة العالية يُستقبَح منه الذنب أكثر من غيره، ويُضاعَف له العذاب عليه)، (وَكَانَ ذَلِكَ) – أي مضاعفة العذاب – (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)، (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) يعني: ومَن تُطع منكنّ اللهَ ورسوله (بفعل الأوامر وترْك النَّواهي) (وَتَعْمَلْ صَالِحًا) من النوافل والخَيرات:

www.alukah.net

﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ يعني نُعْطها جزاءَ عملها الصالح ضِعف ثواب غيرها من سائر النساء، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ وهو الجنة، (وهذه بشارة بالجنة لنساء النبي، أمَّهات المؤمنين، اللاتي نزلتْ هذه الآيات بشأنهنّ).

– الآية 32، والآية 33، والآية 34: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ – في الفضل والمنزلة – ولكنْ بشرط: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾: يعني إنْ عملتنّ بطاعة الله وابتعدتنّ عن معاصيه، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: أي لا تتحدثنَ مع غير المحارم بصوتٍ رقيق ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: أي حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض الشهوة الحرام، (وهذا أدب واجب على كل امرأة مؤمنة)، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ يعني إذا اضطرتْ المرأة للحديث مع غير المحارم، فعليها أن تتحدث بصوت منخفض، أقرب إلى الغِلظة (ليس فيه رِقّة)، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ يعني: والْزَمْنَ بيوتكنّ (فلا تخرجنَ منها إلا لحاجة)، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: أي لا تُظهِرنَ مَحاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، (وهذا خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر)، ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ بأركانها وفي أوقاتها، ﴿وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾ لمُستحِقّيها، ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في كل أمْرٍ ونهي، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ بهذه الوصايا التي وصاكنّ بها ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي ليُبعد عنكنَّ الأذى والسوء والشر يا أهل بيت النبي (وهم زوجاته عليه الصلاة والسلام وذريته) ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ يعني: وليُطهِّر نفوسكم وقلوبكم غاية الطهارة، ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾: أي اذكُرنَ ما يُقرأ في بيوتكنّ من القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، واعملنَ به، واقدُرْنه حقَّ قَدْره، فهو من نِعَم الله عليكنّ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بكُنَّ؛ إذ جعلكنَّ في البيوت التي يُقرأ فيها القرآن والسُنّة، ﴿خَبِيرًا﴾ بكُنَّ، حيثُ اختاركنَّ أزواجًا لرسوله.

– الآية 35: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (وهم المُنقادون والمُنقادات لأوامر ربهم)، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (وهم المُصدِّقونَ العاملونَ بشرع الله تعالى)، ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ (وهم المُطيعون والمُطيعات لله ورسوله)، ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ في أقوالهم وأفعالهم ونيّاتهم وتوبتهم، ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات، وعلى ما يُصيبهم مِن مِحَنٍ وبَلاء، لتكفير ذنوبهم أو رفع درجاتهم، ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ (وهم الخائفون والخائفات من عذاب ربهم)، ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ بإخراج الزكاة المفروضة والصدقات المُستحَبّة، ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ في الفرض والنَّفْل، ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ ﴿وَالْحَافِظَاتِ﴾ لفروجهنّ (عن الزنى ومُقدّماته، وعن كشف العورات)، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ (بقلوبهم وألسنتهم) في غالب أوقاتهم: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء – المذكور صفاتهم – ﴿مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة.

– الآية 36: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ يعني إذا حَكَمَ الله ورسوله فيهم حُكمًا ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أي: ما كانَ لهم أن يُخالفوا أمْرَ ربهم ورسوله (بأن يختاروا غير الذي حُكِمَ فيهم)، (ومِن ذلك قول بعض الفتيات إذا أُمِرْنَ بالحجاب: سوف أرتدي الحجاب عندما أقتنع)!! تقتنعينَ بماذا؟!، تقتنعينَ بأمر الله تعالى؟! ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ أي بَعُدَ عن طريق الصواب بُعْدًا ظاهرًا.

– الآية 37: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أي اذكر أيها النبي حين قلتَ للذي أنعم الله عليه بالإسلام – وهو زيد بن حارثة الذي تبنَّاه النبي صلى الله عليه وسلم – ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أيها النبي بالعِتق، وقلتَ له حين جاءك يشكو إليك زوجته "زينب بنت جحش": ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: يعني أَبْقِ زوجك ولا تُطلِّقها ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ يا زيد، ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يعني: وتُخفي يا محمد في نفسك ما أوحاه الله إليك (مِن أنّ زَيْداً سيُطلقها وأنّ الله سيُزَوّجها لك)، والله تعالى مُظهِرٌ ما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أخفيتَه في نفسك، ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أي تخاف أن يقول المنافقون: (تزوج محمد مُطلَّقة مُتبَنَّاه) ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ يعني: فلمّا قضى زيدٌ حاجته منها بالزواج، ولم يَبق له رغبة فيها، بل صارت كل رغبته أن يُفارقها، ثم طَلَّقها وانتهت عِدَّتها: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ أيها النبي ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾: يعني حتى لا يكون على المؤمنين ذنبٌ في أن يتزوجوا من زوجات مَن كانوا يتبنَّوْنهم ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ (أي بعد طلاقهنّ وانتهاء عِدّتهنّ)، ولتكون أيها الرسول قدوة للمؤمنين في إبطال عادة الجاهلية (التي كانت تُحَرِّم الزواج بزوجة المُتبنَّى بعد طلاقها)، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ يعني: إنّ ما قضاه الله تعالى واقعٌ لا مَحالة.

♦ واعلم أن أمُّ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تقول: (زَوّجَني اللهُ تعالى من فوق سبع سماوات)، واعلم أيضاً أن زيد بن الحارثة رضي الله عنه هو الصحابي الوحيد المذكور في القرآن، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾، ولَعَلّ السبب في ذلك أنه لما تبَنّاه النبي صلى الله عليه وسلم كان يُدعَى بـ (زيد بن محمد)، ثم عندما أبطل الله التبني أصبح يُدعَى بـ (زيد بن حارثة)، ونُزِعَ منه لقب (زيد بن محمد)، فذَكَرَ الله اسمه في القرآن جَبراً لخاطره.

- الآية 38، والآية 39: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ (والمقصود هنا: ما أحلَّه الله له من زواج امرأة مُتبنَّاه بعد طلاقها)، فقد كانت هذه ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ (إذ أباحَ الله ذلك للأنبياء الذين مضوا قبله)، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ أي قدَراً مُقدَّراً لا بد من وقوعه.

♦ ثم أثنى سبحانه على هؤلاء الأنبياء الماضين بأنهم: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ إلى الناس، ﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾ أي يخافون الله تعالى ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (فلا يخافون لومة لائم عند تبليغهم لرسالة ربهم أو فِعل ما أَذِنَ لهم)، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: أي كفى به محاسبًا لأنبياءه على تبليغهم لرسالاته، إذاً فلا يخافوا قول الناس عند تنفيذهم لِما أمَرهم الله به.

- الآية 40: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (لا زيد ولا غيره)، فلذلك لا يَحرُم عليه أن يتزوج مُطلَّقة زيد، لأنه ليس ابنه، ﴿وَلَكِنْ﴾ كانَ محمدٌ ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (إذ لا نُبُوّة بعده إلى يوم القيامة)، فلو كان له ولدٌ ذكَر: لكانَ من الممكن أن يكون نبياً بعده (كما كان أولاد إبراهيم وإسحق ويعقوب وداوود عليهم السلام)، ولكنْ لمَّا أراد الله أن يختم الرسالات برسالته صلى الله عليه وسلم لم يأذن ببقاء أحد من أولاده، بل توفاهم صغاراً، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (فما أخبر به سبحانه هو الحق، وما حَكَمَ به هو العدل، وما شَرَعه لكم هو الخير، ألاَ فسَلِّموا له في قضائه وحُكمه).

- من الآية 41 إلى الآية 44: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بقلوبكم وألسنتكم ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ في جميع أحوالكم، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي اشغلوا أوقاتكم بذكر الله في الصباح والمساء، وبعد الصلوات المفروضات، وفي غير ذلك من الأوقات (بالأذكار والأدعية التي صَحَّتْ عن النبي صلى الله عليه وسلم).

♦ واعلم أن الله تعالى قد أمَرَ المؤمنين بذكره ذِكراً كثيراً، لأنه قد وصف المنافقين بأنهم ﴿لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، فالذكر الكثير براءةٌ من النفاق، وهو خيرُ مُعين على إصلاح القلوب وفِعل الطاعات، وكَفّ اللسان عن الآثام، فإن العَبدَ لابد له مِن أنْ يتكلم، فإنْ لم يتكلم بذِكر الله تعالى وذِكر أوامره: تكَلَّمَ بالأشياء المُحَرَّمَة (كالغِيبة والنَمِيمة والكَذِب والباطل)، فلا سبيلَ إلى السلامة من هذه المُحَرَّمات إلا بذكر رب الأرض والسماوات، فمَن عَوَّدَ لسانه ذِكرَ الله: صَانَ لسانَهُ عن اللغو والباطل.

♦ واعلم أنّ حقيقةُ الذِكر: أنْ تستشعرَ – وأنت تذكر الله – أن العبدَ الفقير يذكرُ الربَّ الغني، وأن العبدَ الذليل يذكرُ الربَّ العزيز، وأن العبدَ الضعيف يذكرُ الربَّ القوي، وأن العبد الذي لا يَملك لنفسِهِ شيئاً يذكرُ الربَّ القدير الذي بيده ملكوتُ كل

www.alukah.net

شيء، فكأنَّ لسانُ حالِكَ يقول: (أسألُكَ بعِزّك وذُلِّي، وقوتك وضعفي، وقُدرتِكَ وعَجزي، وفقري إليك وغناك عني أنْ تعفوَ عني وترحَمَني).

﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أي يَغفر لكم أيها المؤمنون، ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ تدعو لكم وتستغفر لكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ سبحانه ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي ظلمات الجهل والضلال ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي نور العلم والإيمان، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ في الدنيا والآخرة (فلا يُعَذّبهم ما داموا مطيعينَ لأمره مُخلصينَ له)، ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ من الله تعالى ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ (في الجنة) هي قوله لهم: ﴿سَلَامٌ﴾ (أي سَلِمْتم من الخوف والحزن والتعب، ومِن كل سُوء) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ وهو الجنة.

- من الآية **45** إلى الآية **48**: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على أمّتك بإبلاغهم الرسالة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالرحمة والجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعُصاة والمُكَذبين من النار ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ (يعني إلى توحيده وطاعته) ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي تفعل ذلك بأمره إياك وتكليفه لك، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ إذ تُنير الطريق لمن اتَّبع هَدْيك (لأن الحق الذي جئتَ به ظاهرٌ كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يَجحده إلا مُعانِد)، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ أي ثوابًا عظيمًا (وهو روضات الجنات)، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يطلبونه منك ويقترحونه عليك مما يتناقض مع دَعْوتك ورسالتك ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾: أي اترك أذاهم (فلا تهتم به، ولا تقابله بأذىً مثله)، بل اصبر عليهم حتى يأمرك ربك بما تقوم به نحوهم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي اعتمد على ربك وفَوِّضْ أمورك إليه، وثِق بنصره وحِفظه، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فإنه يكفيك ما أهمَّك من أمور الدنيا والآخرة.

- الآية **49**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ يعني إذا عقدتم عليهنّ ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي مِن قبل أن تُجامعوهن: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ يعني: فليس هناك عِدَّة تعُدُّونها عليهن بعد هذا الطلاق، (إذ العِدّة تكونُ للمدخول بها لمعرفة ما في الرَحِم، وأما غير المدخول بها فمعلومٌ أن رَحِمها خالية)، فلها أن تتزوج بعد هذا الطلاق مباشرةً، (وإذا أراد المُطَلِّق أن يَرجع إليها، فيَلزَمه لذلك عقدٌ جديد)، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أي أعطوهن شيئاً مِن مالكم يَتمتعن به (بحسب غِنَى المُطلِّق وفقره)، ليكون عِوَضًا عمَّا فاتهنّ من الزواج، ودفعًا لوَحشة الطلاق، وإزالةً للأحقاد، ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: أي خلُّوا سبيلهن مع السِتر الجميل (دونَ أن تذكروهنّ بسوء).

****

4. الربع الرابع من سورة الأحزاب

- الآية **50**: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ يعني إنَّا أبَحْنا لك الزواج من أزواجك ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ أي اللاتي أعطيتهنّ مهورهنّ ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني: وكذلك أبَحْنا لك ما مَلَكَتْ يمينك من الإماء (الجواري) ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ يعني مما أنعم الله به عليك من أَسْرَى الجهاد (كصَفيّة بنت حُيَيّ، وجُوَيرية بنت الحارث) رضي الله عنهما، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ يعني: وأبَحْنا لك الزواج من بنات عمك ﴿وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ (بخِلاف مَن لم تهاجر وبقيتْ في دار الكفر)، ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ يعني: وأبَحْنا لك الزواج من امرأة مؤمنة ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ ليتزوجها مِن غير مهر ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾: يعني إن كنت أيها النبي تريد الزواج منها، فهذا حلالٌ لك ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني ليس لغيرك من المؤمنين أن يتزوج امرأة بالهِبَة (من غير مهر)، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: قد عَلِمْنا ما أوجبنا على المؤمنين من أحكامٍ ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ وهو أنهم لا يزيدون على الأربع (بشرط وجود الشهود والمهر ووَلِيِّ المرأة)، وأنهم يتزوجون ما شاؤوا من الإماء (بشرط أن تكون المملوكة مسلمة أو من أهل الكتاب)، قد عَلِمْنا كل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا، ولكننا رَخَّصنا لك في بعض أمور النكاح – كالزيادة على الأربع والزواج من غير مَهر – ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ في نكاح مَن شئتَ مِن هؤلاء المذكورات في الآية، لأن الله هو الذي وَسَّعَ عليك، فلا تهتم بقول أحد من الناس ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لك حينَ تحَرَّجتَ مِن نكاح "زينب بنت جحش" خوفاً من كلام المنافقين، ﴿رَحِيمًا﴾ بك وبالمؤمنين (حيثُ وَسَّعَ عليكم ما لم يُوَسِّع على غيركم من أهل الشرائع الأخرى).

– الآية 51: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ يعني: إنّ اللهَ قد أذِنَ لك أن تؤخر مَن تشاء مِن نسائك في قسْمتها في المَبيت، ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ يعني: وتضم إليك مَن تشاء منهنّ فتَبيت عندها، ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ يعني: ومَن طَلَبْتَ المبيت عندها من نسائكَ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ يعني ممن كنتَ اعتزلتَ المبيت عندها لأمرٍ ما: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي: فلا إثم عليك في طلبها والمبيت عندها متى شئت، (وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ يعني: ومَن طَلَبْتَها – ممن اعتزلتَ المبيت عندها – فلا إثم عليك في أن ترجع وتَبيت عندها).

﴿ذَلِكَ﴾ يعني ذلك التخيير الذي أعطاه الله لك في شأن نسائك هو ﴿أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾: يعني أقرب إلى أن تفرح زوجاتك بما تصنعه معهنّ في شأن القسمة والمبيت (لأنه أمْر الله تعالى وهُنّ مؤمنات)، ﴿وَلَا يَحْزَنَّ﴾ بل يَقبلنَ ما تفعله برضا نفسٍ وارتياح (بعد أن عَلِمنَ أنّ الله هو الذي أوحى إليك بذلك، وليس اجتهاداً من عند نفسك)، ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ يعني: ويَرضَيْنَ كلهنّ بما قسمتَ لهنَّ (مما أنت مُخَيَّر فيه).

♦ ورغم هذا التخيير، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يَعدل بين نسائه في المبيت، إلا ما كان مِن "سَودة" رضي الله عنها، فإنها وهبتْ ليلتها لعائشة رضي الله عنها، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم هذا قسْمي فيما أملك، فلا تلُمني فيما تملك ولا أملك" (والمقصود أنه كان يحب عائشة رضي الله عنها أكثر من باقي نسائه)، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي يعلم ما في قلوب الرجال مِن مَيْلها إلى بعض النساء دونَ بعض، (وإنما خَيَّرَ الله رسوله تيسيراً عليه لِعظَم مَهامّه، التي لا يتحملها أقوى الرجال)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما في القلوب ﴿حَلِيمًا﴾ لا يُعاجل مَن عَصاه بالعقوبة، ويَقبل التوبة من عباده.

♦ واعلم أن هذه الآيات تحمل تخفيفاً من الله تعالى لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، لِما يلاقيه من إيذاء ومشقة في سبيل الدعوة، وفي الإصلاح والمؤاخاة بين المسلمين، ومِن فرْض قيام الليل عليه بصفة خاصة، وغير ذلك من الأمور الشاقة، فأكرمه سبحانه بهذه الآية، حيثُ أباح له الزواج بأكثر من أربع، وأباح له أن يتزوج الواهبة نفسها بغير مهر ولا وَلِيّ، وخَيَّره في تأخير القسمة بين أزواجه (ولم يُبح تلك الأمور لغيره من المؤمنين).

– الآية 52: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ أي لا يجوز لك أن تتزوج بعد نسائك التسع (اللاتي في عِصمتك)، وذلك إكراماً لهن، لأنهنّ اخترنَ اللهَ ورسوله والدار الآخرة، ورَضِين بما قَسَمه الله لهنّ، ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ يعني: ولا يَحِلّ لك أن تطلِّقهنّ وتأتي بغيرهنّ بدلاً منهنّ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني: وأمّا ما ملكتْ يمينك من الإماء، فحلالٌ لك مَن شئت منهنّ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ لا يغيب عن علمه شيءٌ، ألاَ فخافوه أيها الناس وراقِبوه، فإنكم ستَرجعون إليه بعد موتكم.

♦ وهنا ينبغي أن نَرُدّ على الشُبهة التي تقول: (لماذا تزوج النبي صلى الله عليه وسلم تِسعاً مع أن الشرع لم يَحِلّ للرجل إلا أربعاً؟)، فدعونا نُجيبهم ابتداءً أنه لا يُعقَل أبداً من شخص يُخبر الناس أنه نبي ثم يأتي بكل بساطة ليأمرهم بفعل شيء ويفعل هو خِلافه، فإنه بذلك يعطي الفرصة لأعدائه أن يأخذوا ذلك حُجّةً عليه، فتبَيّنَ مِن ذلك أنه يستحيل أن يَصدر ذلك الأمر إلا

www.alukah.net

من شخص واثق - تمام الثقة - أنه يفعل ذلك بأمر ربه، وليس مِن عند نفسه، كما قال تعالى له: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾، وقال أيضاً: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾، إلى أن قال تعالى له: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾، فقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾ يُفهَم منه أن الله هو الذي أحَلّ له الزواج مِن نسائه التسع (بصفةٍ خاصة ولأسبابٍ معلومة)، منها ما تقدم في الآيات السابقة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

- الآية 53: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ يعني إلا أن يأذن لكم النبي لتناول طعامٍ ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ يعني غير منتظرين نُضجه وأنتم في بيته تتحدثون، ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ﴾ بعد أن يَنضج الطعام ﴿فَادْخُلُوا﴾ ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي انصرفوا ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ يعني: ولا تَمكثوا مستأنسينَ لحديثٍ بينكم في بيت النبي بعد الأكل، ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ أي انتظار نُضج الطعام والحديث بعد الأكل ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أي يستحيي من إخراجكم من بيته مع أنّ له الحق في ذلك، ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أي لا يستحيي سبحانه من بيان الحق وإظهاره.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾: يعني إذا طلبتم من نساء النبي حاجةً من أواني البيت ونحوها: ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: أي اسألوهنّ من وراء سِتر ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر التي تَعرض للرجال في أمْر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ إذ الرؤية هي سبب الفتنة، (فسبحان الله العظيم، إذا كان ذلك في حق الصحابة الأخيار، ونساء النبي الأطهار، فما بالُ مَن يجلسون على الطعامِ نساءً ورجالاً - مِن غير المحارم - يأكلون ويتحدثون؟! هل قلوبهم أطهر مِن أولئك الأبرار؟!).

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بأيّ نوع من أنواع الإيذاء ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾: أي لا يَحِلّ لكم أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته (لأنهنّ أمهاتكم، ولا يَحِلُّ للرجل أن يتزوج أمَّه) ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (وقد امتثلتْ الأمّة لهذا الأمر، فلم يتزوج أحدٌ نساءَ النبي من بعده).

- الآية 54: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا﴾: يعني إن تُظهِروا شيئًا على ألسنتكم - أيها الناس - مما يؤذي رسول الله ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في نفوسكم (كإخفاء الرغبة في الزواج مِن نسائه مِن بعده): ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي يَعلم سبحانه ما في قلوبكم وما أظهرتموه، وسيجازيكم عليه أشد الجزاء إن لم تتوبوا.

- الآية 55: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آَبَائِهِنَّ﴾: يعني لا إثم على النساء في عدم الاحتجاب من آبائهنّ ﴿وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾ ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي نساء أُمَّتِهنّ (والمقصود: النساء المُسلمات، أما النساء الكافرات فلا يَرَونَ منهنّ إلا الوجه والكفين، وأما غير ذلك فيكون إظهاره لهنّ للضرورة)، ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يعني أو العبيد المَملوكونَ لهنّ، (فلِلمُسلمة أن تكشف وجهها لخادمها المملوك، لشدة الحاجة إليه في الخدمة)، ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ أيتها النساء، فلا تُظهِرنَ مِن زينتكنّ ما ليس لكُنَّ أن تُظهِرنَه، ولا تترُكنَ الحجاب أمام مَن يجب عليكنّ الاحتجاب منه) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ أي يَشهد سبحانه على أعمالكنّ - ظاهرها وباطنها - وسيَجزيكنّ عليها فاتقوه.

- الآية 56: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: أي يُثني سبحانه على النبي صلى الله عليه وسلم عند الملائكة المُقرَّبين، وملائكته يُثنون على النبي ويدعون له، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (وقد ثبت في الصحيحين أن الصحابة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم: (يا رسول الله، قد عَلِمنا كيف نُسَلِّم عليك - يقصدون بذلك قولهم في التشهد: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) - فكيف نصلي عليك؟)، فقال لهم: "قولوا: (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد)".

♦ وقد ثَبَتَ في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة، نذكر منها: "مَن صَلَّى عليَّ مِن أُمَّتي صلاةً مُخلِصاً من قلبه: صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكَتَبَ له بها عشر حسنات، ومَحا عنه بها عشر سيئات" (انظر صحيح الترغيب والترهيب ج: 2).

– الآية 57: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ) (بالمعاصي، وزَعْم الشريك والولد له سبحانه)، (وَرَسُولَهُ) بالأقوال أو الأفعال، أولئك (لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أي طَرَدهم الله مِن كل خيرٍ ورحمة (فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ) (وَأَعَدَّ لَهُمْ) في الآخرة (عَذَابًا مُهِينًا) أي عذاباً يُهينهم ويُذِلّهم.

– الآية 58: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا) أي يؤذونهم بقولٍ أو فِعلٍ مِن غير ذنبٍ عملوه: (فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) أي ارتكبوا أفحَش الكذب، وجاءوا بذنبٍ ظاهرَ القُبح، يَستحقون به العذاب في الآخرة.

– الآية 59: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ) يعني يُسدِلنَ على رؤوسهنّ وصدورهنّ ووجوههنّ (مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) أي مِن مَلاحفهنّ (وهو ما يُشبه "الإسدال" و"العباءة" وغير ذلك)، (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ): يعني ذلك أقرب أن يُمَيَّزنَ بالسِتر والصيانة والعِفّة (فَلَا يُؤْذَيْنَ) أي: فلا يَتعَرَّض لهنّ أحد بمكروه أو أذى، (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (حيث غفر لكم ما تقدم منكم بسبب توبتكم، ورَحِمَكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام).

****

5. الربع الأخير من سورة الأحزاب

– الآية 60، والآية 61، والآية 62: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ) (الذين يُخفونَ الكفر ويُظهرونَ الإيمان) (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أي في قلوبهم شك (وهم ضِعاف الإيمان)، (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) (وهم الذين يَنشرون الأخبار الكاذبة في "المدينة" لتخويف الناس)، لئن لم يَنتهِ هؤلاء جميعاً عن شرورهم وأفعالهم القبيحة: (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) أي سوف نُسَلِّطك عليهم أيها الرسول بالقتل والإخراج (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) أي لا يَسكنون معك في "المدينة" إلا زمنًا قليلاً، ثم يَخرجون منها أو يَهلكونَ وهم (مَلْعُونِينَ) أي مطرودين من رحمة الله، (أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا) يعني في أيّ مكانٍ وُجِدوا فيه: أُسِروا (وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) (ما داموا مقيمينَ على النفاق ونَشْر الأخبار الكاذبة بين المسلمين، بغَرَض الفتنة والفساد)، وقد كانت هذه (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) أي هذه هي طريقته سبحانه في مُنافِقي الأمم السابقة أن يؤسَروا ويُقَتَّلوا أينما كانوا، (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) يعني لن يستطيع أحد أن يُغيِّر طريقة الله في خَلقِهِ وكَوْنه.

– الآية 63: (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ) أي يسألك كفار مكة عن الساعة التي تقوم فيها القيامة (استبعادًا لها وتكذيبًا)، (قُلْ) لهم: (إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ) (وَمَا يُدْرِيكَ) أيها الرسول (لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) أي لَعَلّ زمانها يكون قريباً، فإنّ كل آتٍ قريب.

– من الآية 64 إلى الآية 68: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) أي طَرَدهم من رحمته في الدنيا والآخرة، (وَأَعَدَّ لَهُمْ) في الآخرة (سَعِيرًا) أي نارًا مُوقدة شديدة الحرارة (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) (لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يَنفعهم ويُدافع عنهم، (وَلَا نَصِيرًا) يَنصرهم من عذاب ربهم (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ)، فـ(يَقُولُونَ) نادمين: (يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا) (لنكون من أهل الجنة)، (وَقَالُوا): (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا) يعني أطَعْنا أئمتنا في الضلال وقادتنا في الشرك (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) أي أضلونا عن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طريق الهُدى والإيمان، ﴿رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ الذي تُعذِّبنا به، ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ أي اطردهم من رحمتك طردًا شديدًا، (وفي هذا تحذيرٌ من مصاحبة صديق السوء، فإنه يؤدي بصاحبه إلى النار).

- الآية 69: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى﴾: أي لا تؤذوا رسول الله بقولٍ أو فِعل، حتى لا تكونوا مِثل الذين آذوا نبيَّ الله موسى ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ من الكذب في حقه، ﴿وَكَانَ﴾ موسى ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي كان عظيم القدر والجاه عند الله تعالى.

- الآية 70، والآية 71: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي اعملوا ما يُرضِيه، واجتنبوا ما يُغضبه (خوفاً من عذابه) ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي قولاً مستقيمًا موافقًا للصواب (خاليًا من الكذب والباطل)، فإنكم إن تفعلوا ذلك ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ الدينية والدنيوية (فيَقبَل سبحانه أعمالكم، ويُطَهِّر نفوسكم، ويُطَمئِن قلوبكم، ويُيَسِّر أموركم) ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فلا يُعاقبكم عليها (كل ذلك متوقف على التقوى، والصبر على التقوى، والتزام الصدق)، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (بدخول الجنة والنجاة من النار).

- الآية 72، والآية 73: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ - وهي التكاليف الشرعية كلها - فعَرَضَها سبحانه ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ (عَرْضَ تخييرٍ لا إلزامَ فيه) ﴿فَأَبَيْنَ﴾ أي رفضن ﴿أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ (لِثقلها وضخامتها) ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: أي خِفن من عاقبة تضييعها، وألاّ يَقُمنَ بأدائها على الوجه الأكمل، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ بعد أن عُرِضَتْ عليه - والمقصود بالإنسان هنا آدم عليه السلام - فحَمَلَها بما فيها من ثواب وعقاب، والتزم بها رغم ضَعفه، ﴿إِنَّهُ﴾ أي أكثر بني آدم - وهو الصنف الذي ضَيَّع الأمانة وأسرف في المعاصي - ﴿كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه (لأنه يُعَرِّضها للمَهالك) ﴿جَهُولًا﴾ بعواقب الأمور.

♦ وقد حَمَلَها الإنسان - قضاءً وقدراً منه سبحانه - ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ (إنْ أصروا على ما هم فيه من الضلال ولم يتوبوا من التفريط في الأمانة التي حَمَلوها)، ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بستر ذنوبهم وتَرْك عقابهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لكل مَن تابَ إليه من عباده، ﴿رَحِيمًا﴾ بهم، حيثُ جعل التوبة نجاةً لهم من عذاب جهنم.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة سبأ كاملة

1. الربع الأول من سورة سبأ

- الآية 1، والآية 2: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الثناء على اللهِ تعالى بصفاته التي كلّها كمال، والشكر له على نِعَمِهِ الظاهرة والباطنة، فهو سبحانه ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكًا وتدبيرًا وتصرُّفاً وإحاطة، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآَخِرَةِ﴾: أي له سبحانه الشكر في الآخرة (على إدخاله المؤمنين جنته)، إذ يَحمده أهل الجنة بقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾، وبقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في فِعله، ﴿الْخَبِيرُ﴾ بشؤون خلقه، الذي ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يعلم كل ما يدخل في الأرض من الماء والأموات والكنوز وغير ذلك، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات والمعادن والمياه، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار والملائكة والكتب، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يعني: وما يصعد إليها من الملائكة وأعمال الخلق، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي لا يعاجل مَن عَصاهُ بالعقوبة، ﴿الْغَفُورُ﴾ لذنوب التائبين إليه.

- الآية 3، والآية 4: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾: يعني لن تأتينا القيامة، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، وهذا إخبارٌ من اللهِ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ أي الذي يعلم ما غاب عن حَوَاسّ الناس، و﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ أي لا يغيب عن علمه ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا﴾ مُثبَت ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي في كتابٍ واضح، وهو اللوح المحفوظ، وسوف تأتيكم الساعة ﴿لِيَجْزِيَ﴾ اللهُ ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ أي آمَنوا باللهِ وبرسوله وبكل ما أخبر به رسوله من الغيب ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (فأدَّوا الفرائض والواجبات، وسارَعوا في النوافل والخيرات)، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة.

- الآية 5: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آَيَاتِنَا﴾ يعني: وأما الذين اجتهدوا في إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ أي ظانّين أنهم يُعجزوننا، وأننا لن نَقدر على أخْذهم بالعذاب: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ أي لهم عذابٌ من أسوأ أنواع العذاب وأشَدّه ألمًا.

- الآية 6: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يعني: ويَعلم العلماء الراسخونَ من أهل الكتاب - كعبد الله ابن سَلام وأصحابه - أنّ ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾ ﴿وَيَهْدِي﴾ أي يُرشد الناس ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾: يعني إلى الإسلام، الذي هو طريقُ اللهِ العزيز (والعزيز هو الغالب الذي لا يَمنعه أحد مِن فِعل ما يريد) ﴿الْحَمِيدِ﴾ الذي يَستحق الحمد والثناء في كل حال، لِكثرة نِعَمِه على مخلوقاته.

- الآية 7، والآية 8: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما بينهم - وهم يتحدثون في استهزاءٍ وسُخرية -: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ (يقصدون محمدًا صلى الله عليه وسلم) ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ يعني يُخبركم أنكم إذا مِتّم وتفرقتْ أجسامكم كُلَّ تفرُّق ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي ستُحيون وتُبعثون من قبوركم؟! ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؟ ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ يعني أم هو مجنون لا يدري ما يقول؟ ﴿بَلِ﴾ يعني ليس الأمر كما يقولون، فمحمد أصدق الصادقين، وأعقل أهل الأرض، فقد كانوا يَشهدونَ له بالصدق والأمانة، ورَضوا بحُكمه عندما أرادوا إعادة بناء الكعبة - وذلك قبل بعْثَتِهِ -، ولكنّ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾ الدائم في الآخرة (بسبب عِنادهم واستهزائهم)، ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عن الصواب في الدنيا.

- الآية 9: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: يعني ألم يروا أن السماء والأرض مُحيطتان بهم من جميع الجهات، فـ ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كما فَعَلنا بقارون (بسبب تكذيبهم واستهزاءهم برسولنا)، ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ

www.alukah.net

﴿كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي نُنزل عليهم قطعًا من العذاب (كما فَعَلنا بقوم شعيب)، فقد أمطرتْ السماء عليهم نارًا فأحرقتهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرناه ﴿لَآَيَةً﴾ ظاهرة على قدرتنا عليهم ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ اي راجعٌ إلى ربه بالتوبة، مُقِرٌّ له بتوحيده، مُخلِصٌ له في عبادته (فهذا هو الذي يَنتفع بآيات ربه).

- الآية 10، والآية 11: ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾ (وهي النُبُوّة والمُلك، وكتاب الزَبور)، وقلنا للجبال: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ أي سَبِّحي معه إذا سبَّح اللهَ تعالى، ﴿وَالطَّيْرَ﴾ أيضاً أمَرناها أن تُسَبِّح معه، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (فكان كالعجين في يده، يتصرف فيه كيف يشاء)، وهذا تسخيرٌ لا يقدر عليه إلا رب الأرض والسماء، وأوحينا إليه ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ أي اعمل دروعًا طويلة بهذا الحديد (تَستر المقاتل وتحميه من ضربة السيف)، ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أي قدِّر المسامير في حِلَق الدروع (يعني اجعل المسمار على قدر الحلقة)، فلا تجعل الحلقة صغيرة، فتَضْعُف الدروع عن الدفاع، ولا تجعلها كبيرة فتثقُل على لابسها، ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي اعمل يا داوود أنت وأهلك بطاعتي ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليَّ شيء من أعمالكم، وستجدون جزاءها في جنتي.

- الآية 12: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ أي سَخَّرنا لسليمان الريحَ، فكانَ ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ أي جريانها من أول النهار إلى منتصفه مسيرة شهر بالسير المعتاد، ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: أي جريانها من منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر (فبذلك كانت تقطع مسيرة شهرين في يوم واحد) ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: أي جعلنا النحاس يسيل في يديه كما يسيل الماء، ليعمل به ما يشاء ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي سَخّرنا له بعض الجن، يعملون أمامه وتحت رقابته، فكانوا يعملون له ما يشاء ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ القادر على تسخير ما يشاء لمن يشاء، ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ يعني: ومَن يَضِلّ من هؤلاء الجن عمّا أمرناه به من طاعة سليمان: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: أي نُذِقه من عذاب النار المُستعِرة (أي الموقدة).

- الآية 13: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾: أي يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ من نحاس وزجاج (إذ لم تكن مُحَرَّمة في شريعتهم، ولكنها حُرِّمَتْ في شريعتنا سداً لباب الشرك، حتى لا تُعبَد كما عُبِدَت الأصنام)، ﴿وَجِفَانٍ﴾: أي قِصَاع (جمع قَصعة، وهي الإناء الذي يتسع لعدد من الأشخاص ليأكلوا فيه)، فكانوا يصنعون له قِصاع كبيرة ﴿كَالْجَوَابِ﴾ يعني بحجم الأحواض الكبيرة التي يُجبَى إليها الماء (أي يَجتمع فيها الماء)، ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾: أي قدور ثابتات (لا تتحرك من أماكنها لعِظَمهنّ)، (والقدور جمع قِدر، وهو الوعاء الذي يُطبَخُ فيه)، فكانَ يُطبَخ فيها في أماكنها (لضخامة حجمها)، وقلنا لآل داوود: ﴿اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾: أي اعملوا بطاعة ربكم، شُكرًا له على ما أعطاكم من النعم، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ أي قليلٌ مِن عبادي مَن يَشكرني كثيراً ولا يغفلون عن شُكري (وكان داوود وآله من هذا القليل).

- الآية 14: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ يعني: فلمّا قضينا على سليمان بالموت: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ أي: ما دَلَّ الجنُ على موته إلا "الأرَضَةُ" وهي تأكل عصاه التي كان متكئًا عليها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ يعني: فلما سقط جسده الميت على الأرض: ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ أي علمتْ الجن حينئذٍ ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾: يعني إنهم لو كانوا يعلمون الغيب – كما يكذبون على الناس – لَعَلموا بموت سليمان، و﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أي ما أقاموا في الأعمال الشاقة في خدمة سليمان؛ ظنا منهم أنه من الأحياء.

♦ وفي هذا إبطالٌ لِمَا يعتقده بعض الناس من أن الجن يعلمون الغيب ثم يُخبرون به الساحر ليُخبر به الناس، وهذا خطأ، وإنما الذي يَحدث أن القرين الذي مع الساحر يعرف المعلومات من قرين الشخص الذي أتى إلى الساحر، ثم يخبره بها، فيقول الساحر لهذا الشخص: (إن اسمك كذا، واسم أمك كذا، وقد أتيتَ إليَّ بسبب كذا وكذا).

– من الآية 15 إلى الآية 19: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بـ "اليمن" ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ عظيمة تدل على قدرة الله تعالى، وإنعامه على عباده، وهي: ﴿جَنَّتَانِ﴾ أي بُستانان عظيمان ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ يعني: جنة عن يمين الوادي، وأخرى عن شماله (كلها فواكه وخُضَر، تسقى بماء سَدّ "مأرِب")، وقالت لهم رُسُلهم: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾ ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ نعمه عليكم، فهذه بلدتكم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي كريمة التربة، حَسَنة الهواء، بعيدة عن الأوباء ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ يغفر ذنوبكم متى تُبتم إليه من ذنوبكم واستغفرتم، ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن أمر الله وشُكره وكذّبوا رُسُله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ (وهو السيل الجارف الشديد الذي خرَّب السَدّ وأغرق البُستانين) ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ المُثمرتين: ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾ يعني صاحبتَي ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ (وهو الثمر المُرّ الكريه الطعم)، ﴿وَأَثْلٍ﴾ (وهو نوع من الشجر لا ثمر له)، ﴿وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ يعني: وقليل من شجر النَّبْق (كثير الشوك)، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾: يعني ذلك التبديل من الخير إلى الشر بسبب كُفرهم، وعدم شكرهم لنِعَم ربهم، ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ يعني: وهل نُعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجَحود المُبالِغ في الكفر؟! والجواب: نعم، فإنه يُجازَى بمِثل فِعله.

♦ ثم ذَكَرَ سبحانه بعض النعم الأخرى التي أعطاها لأهل سبأ قبل هَدْم السد وتفرقهم في البلاد، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي جعلنا بين قبيلة سبأ وبين قرى الشام: ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ أي مُدنًا متصلة يَرى بعضها بعضاً من على المرتفعات، ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾: أي جعلنا المسافات بين كل مدينة وأخرى متقاربة (بحيث يخرج المسافر بلا ماء أو طعام، فيستريح أثناء سفره في مدينةٍ ما (يأكل فيها ويشرب)، ثم يُكمِل سَفَره، فإذا جاء الليل، فإنه ينام في مدينة أخرى، حتى يصل إلى الشام أو إلى المدينة التي يريدها)، وقلنا لهم: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾: يعني سيروا في تلك القرى في أيِّ وقتٍ شئتم مِن ليلٍ أو نهار، آمنينَ لا تخافونَ عدوًّا ولا جوعًا ولا عطشًا.

♦ ولكنهم طَغَوا، ومَلّوا من الراحة والأمن وطِيب العيش ﴿فَقَالُوا﴾: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: أي اجعل قُرانا متباعدة، ليَبعُد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بكفرهم، فأهلكناهم بإرسال السيل وتخريب السد، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أي قصصاً يَحكيها مَن بعدهم لتكون عبرةً لهم، ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: أي شرّدناهم وفرَّقناهم كل تفريق بعد أن خُرِّبتْ بلادهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي فيما حدث لأهل "سبأ" ﴿لَآَيَاتٍ﴾ أي عِبَر عظيمة (على إعطاء النعم وسَلْبها)، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي كثير الصبر على طاعة الله، وعن مَعاصيه، وعلى أقداره، ﴿شَكُورٍ﴾ أي قائم بحقوق الله تعالى، يَشكره على نِعَمِه حتى لا تُسلَب منه، (وقد خَصَّ اللهُ الصابرينَ الشاكرينَ بالذِكر؛ لأنهم هم الذين يَعتبرون بآياته ولا يَغْفُلون عنها).

– الآية 20، والآية 21: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي صَدَقَ ظن إبليس فيهم أنه يستطيع إضلالهم ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ أي أطاعوه وعصوا ربهم ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (فإنهم ثَبَتوا على طاعة الله تعالى، واعتصموا بالله منه)، ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أي لم يكن لإبليس قهر على هؤلاء الكفار ليكفروا، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآَخِرَةِ﴾ يعني: لكننا أذنّا له في إضلالهم بالتزيين والوسواس، لنعلم علماً ظاهراً للخلق مَن يؤمن بالآخرة (فيَصبر على الطاعات ويَجتنب الشهوات)، فينجو من النار ويدخل الجنة ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ (فيكفر بها رغم قوة الأدلة) ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ إذ يعلم سبحانه ما تخفيه صدور الخلق من الإيمان والشك، ثم يُجازي كُلاً بما يستحق.

www.alukah.net

– الآية 22: ﴿قُلِ﴾ أيها الرسول لمُشرِكي قومك: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (من الأصنام والملائكة والبشر)، واقصدوهم في قضاء حوائجكم، فإنهم لن يجيبوكم، لأنهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (والمقصود أنهم لا يَملكون شيئاً من ذلك ملكاً تاماً دونَ أن يشاركهم فيها أحد)، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ يعني: ولا يشتركون معه سبحانه في ملك شيء في السماوات والأرض، لأن الكون كله ملكٌ لله وحده، ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾: يعني ليس هناك مُعِينٌ لله تعالى من معبوداتكم الباطلة على خَلْق شيء (حتى لا يُقال: إنه سبحانه يَحتاج إليهم، فلذلك سيَقبل شفاعتهم لكم)، بل اللهُ سبحانه هو المتفرد بالخلق، فلذلك لا يستحق العبادة غيره.

– الآية 23: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾: أي لا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ في الشفاعة (ولمن ارتضى سبحانه أن يُشفَع له من أهل التوحيد).

♦ ثم بيَّنَ سبحانه كيفية الشفاعة يوم القيامة، وهي أن الشافع المأذون له في الشفاعة، عندما يسأل ربه الشفاعة، يُجيبه الله تعالى، فيُصاب الشافع بخوفٍ شديد من عظمة الله وجلاله وسماع كلامه، حتى يصيبه ما يُشبه الإغماء، ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾: يعني إذا زال الخوف عن قلوبهم، سألوا الملائكة، فـ ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ عندما طلبنا منه الشفاعة؟، ﴿قَالُوا﴾ أي قالت الملائكة لهم: ﴿الْحَقَّ﴾ أي قَبِلَ شفاعتكم، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاته وقهره وعلوِّ قدْره، ﴿الْكَبِيرُ﴾ في ذاته وصفاته (فهو أكبر وأعظم من كلِّ شيء).

****

2. الربع الثاني من سورة سبأ

– الآية 24، والآية 25: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لمُشرِكي قومك: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ﴾ (بالمطر)، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ (بالنبات والمعادن والمياه)؟ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هو الرزاق (وهم يعترفون بذلك)، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ يعني: وقل لهم: (إنَّ أحد الفريقين منا ومنكم ﴿لَعَلَى هُدًى﴾ متمكن منه، ﴿أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ منغمس فيه، (ومعلومٌ بالدليل والحُجّة أن المُوَحّدين هم الذين على الهدى، وأن المشركين في ضلالٍ واضح، وإنما شَكَّكهم تلطُّفاً بهم لَعَلّهم يتفكرون فيَهتدوا)، و﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ أي لا تُسألون عن ذنوبنا ﴿وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (وهذا أيضاً تلطُّف بهم ليراجعوا أمْرهم، ولا يحملهم الكلام على العناد).

– الآية 26: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة، ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي يقضي بيننا بالعدل، ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ أي الحاكم بين خلقه، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوال خلقه وبما يَنبغي أن يُقْضَى به، فلذلك لن يكون جزاؤه إلا عادلاً.

– الآية 27: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾: يعني أروني بالحُجّة والدليل استحقاق مَن ألحقتموهم بالله تعالى وجعلتموهم شركاء له في العبادة، هل خلقوا شيئًا؟! ﴿كَلَّا﴾ ﴿بَلْ﴾ الذي يَستحق العبادة ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ ﴿الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن أشرك به، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وتدبير أمور خلقه.

– الآية 28: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ أيها الرسول ﴿إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ يعني أرسلناك للناس أجمعين، ﴿بَشِيرًا﴾ أي مُبَشِّرًا لهم بثواب الله إن أطاعوه ﴿وَنَذِيرًا﴾ لهم من عقابه إن عصوه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (إذ جَهلهم بمَعرفة ربهم الحق هو الذي جَعَلهم يَعبدونَ ما يَصنعون) (عِلماً بأنهم لا يُعذَرونَ بهذا الجهل، لأنهم يشهدونَ بفِطرتهم أنه سبحانه هو الخالق الرازق، إذاً فعليهم أن يتفكروا بعقولهم ليعلموا أنه سبحانه المستحق وحده للعبادة، لأنّ غيره لم يَخلق شيئاً ولم يُنعِم بشيء).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 29، والآية 30: (وَيَقُولُونَ) – مُستهزئين –: (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) الذي تَعِدوننا أن يَجمعنا الله فيه، ثم يقضي بيننا وبينكم بعذابنا (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنت ومَن اتَّبعك؟ (قُلْ) لهم أيها الرسول: (لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ) (آتيكم لا مَحالة)، وهو يوم القيامة الذي (لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً) للتوبة، (وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) ساعةً قبله للعذاب، (فاحذروا ذلك اليوم، وأَعِدُّوا له عُدَّته).

- الآية 31، والآية 32، والآية 33: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا): (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ): يعني لن نُصَدِّق بهذا القرآن ولا بالذي تَقَدَّمَه من التوراة والإنجيل وغيرهما، (وَلَوْ تَرَى) – أيها الرسول – يوم القيامة لرأيتَ أمراً عظيماً (إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) للحساب، (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ): أي يتراجعون الكلام فيما بينهم (كلٌّ يُلْقي باللوم على الآخر)، فـ (يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) وهم الأتْباع الضعفاء (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) – وهم القادة والرؤساء المُضِلّون –: (لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) يعني لولا أنكم أضللتمونا عن الهدى، لكُنّا مؤمنين بالله ورسوله، فـ (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا): (أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ) أي منعناكم (عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ)؟! (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) إذ دخلتم في الكفر بإرادتكم واختياركم، (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا): (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) يعني: بل تدبيركم الشر لنا في الليل والنهار، وخِداعكم لنا هو الذي أوقعنا في الهلاك (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) أي نجعل له شركاء في العبادة، (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ) يعني أخفى كُلٌّ من الفريقين الحسرة (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) الذي أُعِدَّ لهم (إذ علموا ساعتها أنّ حوارهم لبعضهم لا ينفعهم)، (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ) – وهي سلاسل من نار – تُوضَعُ (فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الشرك والمعاصي؟ (والسؤال للتقرير، وجوابه: نعم).

- من الآية 34 إلى الآية 38: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ) أي نبي يدعو قومه الى توحيد الله ويخوفهم من عذابه (إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) وهم المُنغمسون في اللذات والشهوات: (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) – أيها الرُسُل - (كَافِرُونَ) (وَقَالُوا) لرُسُلهم: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا) منكم، واللهُ لم يُعطِنا هذه النعم إلا لرضاه عنا، (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ).

(قُلْ) أيها الرسول للمُغتَرّين بالأموال والأولاد: (إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) أي يُوَسِّع الرزق (لِمَنْ يَشَاءُ) من عباده، (وَيَقْدِرُ) أي: ويُضَيِّقه سبحانه على مَن يَشاءُ منهم (لا لمَحبةٍ ولا لبُغض)، ولكنه يفعل ذلك اختبارًا لعباده (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) يعني: ليست أموالكم ولا أولادكم هي التي تقربكم عندنا وترفع درجاتكم (إِلَّا مَنْ آمَنَ): يعني لكنّ الذي يَتقرب إلينا هو مَن آمن بالله ورُسُله (وَعَمِلَ صَالِحًا) – بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شَرَعه – (فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ) أي لهم ثوابٌ مُضاعَف (بِمَا عَمِلُوا) من الحسنات، فالحسنة بعشر أمثالها إلى ما يشاء الله من الزيادة، (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ) يعني في أعالي الجنة (آَمِنُونَ) من العذاب والموت والأحزان والأمراض، ومِن كل ما يُفسد سعادتهم ومُتعتهم، (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آَيَاتِنَا) يعني: وأما الذين يجتهدون في إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا (مُعَاجِزِينَ) أي ظانّين أنهم يُعجزوننا، وأننا لن نَقدر على أخْذهم بالعذاب: (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) أي يُحضرهم الله ليقيموا في عذاب جهنم، فلا يخرجون منها.

- الآية 39: (قُلْ) أيها الرسول – مؤكداً على هذه الحقيقة التي خَفِيَتْ على كثير من الناس –: (إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) أي يُوَسِّع الرزق على مَن يشاءُ امتحانًا: (هل يشكر أو يكفر؟)، (فإنْ شَكَر: زدناه وأكرمناه، وإنْ كَفَر: سَلَبنا ما أعطيناه وعذبناه)، ويضيِّقه سبحانه على مَن يشاء اختبارًا: (هل يَصبر أو يَسخط؟) (فإنْ صَبَر: أعطيناه أجره بغير حساب، وإنْ سَخط: زدنا في بلائه وشقائه)، (فليست التوسعة دليلاً على حب الله للعبد ورضاه عنه، وليس التضييق دليلاً على

www.alukah.net

كُره الله للعبد وغضبه عليه)، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ - في سبيل الله وطلباً لرضاه - ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي يُعَوّضه لكم في الدنيا بالبدل والبَرَكة، وفي الآخرة بالثواب والنعيم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي هو سبحانه خير مَن أعطى عباده.

- الآية 40، والآية 41، والآية 42: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي اذكر أيها الرسول يوم يَجمع الله المشركين مع الملائكة (الذين عَبَدهم المُشركون في الدنيا)، ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ الله ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾: ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾؟ ﴿قَالُوا﴾ أي قالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي نُنَزّهك يا ربنا عن أن يكون لك شريك في العبادة، ونتبرأ إليك مما فَعَلَ هؤلاء، ف ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾: يعني أنت وليُّنا الذي نطيعه ونعبده وحده، فلا يجوزُ لنا أن نأمرهم بعبادتنا وترْك عبادتك، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي كان هؤلاء يعبدون الشياطين (إذ كانت الشياطين تأمرهم بعبادة غيرك فأطاعوهم)، وكانَ ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ أي يُصَدِّقونَ مَا يقوله الشياطين ويُطِيعونَ أمْرهم، (واعلم أنّ هذا الاستفهام للملائكة غرضه التقرير والشهادة على المشركين، لأنّ الله تعالى يعلم أن الملائكة لم تكن راضية عن عبادة المشركين لهم).

♦ وحينئذٍ يقول الله للمشركين: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: أي لا يملك المعبودون للعابدين نفعًا ولا ضرًّا، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

- الآية 43: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أي على كفار "مكة" ﴿آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحات، تشهد لهم بصِدق ما جاء به محمد مِن عند ربه: ﴿قَالُوا﴾ لبعضهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ أي يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آباؤكم، ﴿وَقَالُوا﴾: ﴿مَا هَذَا﴾ أي القرآن الذي تقرأه علينا يا محمد ﴿إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾ أي كذب مُختلَق جئتَ به من عند نفسك، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يعني: ما هذا إلا سحرٌ واضح (وهم يَعلمون أنهم كاذبونَ في ذلك، فلقد اعترف لهم أحد رؤسائهم - وهو الوليدُ بن المُغيرة - أنّ ما يَقوله السَحَرةُ شيء، وأنَّ هذا القرآن شيءٌ آخر، وأنه ليس بكلامِ بَشَر (وذلك عندما سمع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أجْبَره المُشركون بعد ذلك أن يقولَ للناس إنه سِحر)، واعلم أنهم عندما يقولون عن القرآن إنه سِحر، فإنهم في حقيقة الأمر يَعترفون بهزيمتهم في أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، فيَضطروا إلى اللجوء إلى هذا القول الباطل.

- الآية 44: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ يعني: ما أنزلنا على الكفار مِن كُتُبٍ يقرؤونها، فتشهد لهم بصحة الشِرك الذي كانوا عليه هم وآبائهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ يُخَوّفهم مِن ترْك عبادة الأصنام (إذاً فمِن أين أتوا بهذه العقائد الباطلة؟!).

- الآية 45: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كعادٍ وثمود ﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ يعني: وما بلغ أهل "مكة" عُشرَ ما آتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر وغير ذلك من النعم، ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ فأهلكتهم، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: يعني فانظر أيها الرسول كيف كان إنكاري على كُفرهم وتكذيبهم؟ (والاستفهام للتقرير) أي كان إنكاري عليهم عظيماً بالعذاب والهلاك، (وفي الآية تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاهُ من التكذيب والعِناد مِن قومه، وفيها تهديدٌ ووعيدٌ لهم أن يُهلكهم الله كما أهلك المُكَذبين قبلهم).

- الآية 46: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول - لهؤلاء المُكَذِبين المُعانِدين: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ يعني إنما أنصحكم بنصيحةٍ واحدة وهي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أي لأجل الله تعالى (بنيّة الوصول إلى الحق) - غير مُتَّبعينَ للهوى أو التعصب لآرائكم - فتقوموا لله تعالى ﴿مَثْنَى﴾ أي تكونوا اثنين اثنين (للتفكير بجد وصِدق)، ﴿وَفُرَادَى﴾ أي يتفكر كل واحد بمفرده (لأن الجماعة من شأنها أن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تختلف في الآراء)، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في حياة محمد صلى الله عليه وسلم ومَواقفه معكم، وبُعده عن كل كذب وشر وخيانة، وتتفكروا فيما دعاكم إليه من الهدى، فحينها ستعلمون يَقينا أنه ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ أي: ما به صلى الله عليه وسلم من جُنون، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يعني: ما هو إلا مُخوِّف لكم من عذاب جهنم قبل أن يصيبكم حَرّها الشديد.

- الآية 47: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ يعني: ثواب إنفاقكم في سبيل الله – بعد أن تؤمنوا – عائدٌ عليكم في الآخرة، وأنا لم أطلب منكم أجراً لنفسي على إنذاري لكم عذابَ ربي ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ يعني ما أجري الذي أنتظره ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ وحده ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي لا يَخفى عليه شيء، فهو المُطَّلِع على أعمالي وأعمالكم، وسيُجازي الجميع بما يستحقونه.

- الآية 48: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لمَن أنكر التوحيد ورسالة الإسلام: ﴿إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ (وهو أدلة القرآن) يَقذفها سبحانه على الباطل فيفضحه ويهلكه، وهو سبحانه ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ أي الذي يعلم ما غاب عن حواس الناس في الأرض وفي السماء، ومِن ذلك عِلمه سبحانه بقلوب عباده، ولذلك يختار مِنهم مَن يشاء لرسالته (وفي هذا رَدٌّ على المشركين الذين اعترضوا على اختيار الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مِن بينهم).

- الآية 49، والآية 50: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ (وهو هذا الشرع العظيم الواضح من عند الله تعالى)، وذهب الباطل خائباً، ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾: أي لا يستطيع الباطل أن يُبدئ نفسه، ولا أن يُعِيد نفسه بعد أنْ هَلَك.

♦ ولمّا أقام الله عليهم الحُجّة ولم يؤمنوا، عُلِمَ أنهم مُعانِدون، ولم يَبقَ فائدة في جدالهم، بل اللائق في هذه الحال: (الإعراض عنهم)، ولهذا أمَرَ الله رسوله أن يُنهي هذا الجدال معهم قائلاً: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ أي عن الحق بعد وضوحه: ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: يعني إثم ضلالي على نفسي، ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ يعني: وإن استقمت على الحق، فبفضل وَحْي ربي الذي يُوحيه إليَّ، ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا أقوله لكم، ﴿قَرِيبٌ﴾ ممن دعاه وتاب إليه.

- الآية 51: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ أيها الرسول ﴿إِذْ فَزِعُوا﴾ أي حين يَفزع الكفار مِن رؤيتهم لعذاب ربهم، لرأيتَ أمرًا فظيعاً، ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ حينئذٍ (أي لا نجاة لهم ولا مَهرب مِنّا، بل هم في قبضتنا) ﴿وَأُخِذُوا﴾ إلى النار ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي قريب من موقف الحشر والحساب.

- الآية 52: ﴿وَقَالُوا﴾ – عندما رأوا العذاب في الآخرة –: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ أي بعذاب الآخرة ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني: وكيف لهم تناول الإيمان ووصولهم إليه، وهم في مكان بعيد عنه؟! فإنهم الآن في الآخرة والإيمان كان في الدنيا، وهم لا يستطيعون العودة.

- الآية 53: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾: أي كفروا بالحق في الدنيا (بعد أن عُرِضَ عليهم وهم قادرونَ على الإيمان به)، ولكنهم رفضوه ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي كانوا يَرمونَ بالظن والتخمين من جهة بعيدة عن إصابة الحق (إذ لم يكن لهم دليل على ظنهم الباطل إلا التقليد الأعمى، فلا سبيلَ لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الهدف من مكان بعيد).

- الآية 54: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: أي مُنِعَ بين الكفار وبين ما يشتهونه من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾: أي كما فَعَلَ الله بأمثالهم مِن كَفَرة الأمم السابقة، (إذ جاءهم العذاب فقالوا آمنا، ولكنْ لم ينفعهم إيمانهم حينئذٍ وأُلقوا في الجحيم) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ﴾ من أمر الرُسُل والبعث، ﴿مُرِيبٍ﴾ أي مُوقِع في الحيرة والقلق والتردد.

****

www.alukah.net

تفسير سورة فاطر كاملة

1. الربع الأول من سورة فاطر

- الآية 1: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الثناء على اللهِ تعالى بصفاته التي كلّها كمال، والشكر له على نِعَمِهِ الظاهرة والباطنة، فهو سبحانه ﴿فَاطِرِ﴾ أي خالق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ أي جَعَلَ منهم رُسُلاً يُرسلهم بالوحي إلى الأنبياء، (كجبريل عليه السلام ومَن معه مِن حَفَظة الوحي)، وجعلهم سبحانه ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ أي أصحاب أجنحة تطير بها بأعدادٍ مختلفة: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ إذ بعضهم له أكثر من ذلك، (فقد ثبت في الصحيحين أنّ جبريل عليه السلام له ستمائة جناح)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزه شيء.

- الآية 2: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كالرزق والمطر والصحة والعلم وغير ذلك من النعم: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: أي فلا أحد يستطيع أن يُمسك هذه الرحمة ويَمنعها من النزول، ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ يعني: وما يُمسك سبحانه مِن رحمةٍ عنده، ويمنعها من النزول بسبب معاصي البشر: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي فلا أحد يستطيع أن يُرسل للعباد ما أمسكه سبحانه عنده، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يَمنعه مانع مِمَّا أراد (فلا مانعَ لِمَا أعطاه، ولا رادَّ لِمَا قضاه)، وهو ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يُرسل الرحمة ويُمسكها وَفْق حكمته، واعلم أنه مِن الخطأ الشنيع قول بعضهم لبعضٍ جهلاً: (أنت لا ترحم، ولا تترك رحمة الله تنزل)!!

- الآية 3: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (في خَلقكم ورزقكم)، فاذكروا تلك النعم حَمدًا باللسانِ، واعترافًا بالقلبِ، وبصَرْفِها في طاعةِ ربكم، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ أي: فلا خالقَ لكم غير اللهِ تعالى ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (بالمطر) ﴿وَالْأَرْضِ﴾ (بالنبات والمعادن والمياه) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا يستحق العبادة غيره ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ يعني: فكيف تُصْرَفون عن توحيده وعبادته مع اعترافكم بأنه وحده الخالق الرازق؟!

- الآية 4: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾: يعني إنْ يُكَذِّبك قومك - أيها الرسول - بعد أن أقمتَ عليهم الحُجّة، فاصبر عليهم ولا تحزن ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فصبروا على تكذيب أقوامهم وإيذائهم حتى جاءهم نَصْرُنا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يعني: وإلى اللهِ وحده يَرجع مَصير الخلائق يوم القيامة، وسوف يَجزي المُكَذِّبين بتكذيبهم والصابرين بصبرهم.

- الآية 5، والآية 6: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ - بالبعث والثواب والعقاب - ﴿حَقٌّ﴾ لا شك فيه، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ أي فلا تَخدعكم ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بزينتها وشهواتها فتُنسيكم الآخرة، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ يعني: ولا يَخدعكم بالله خادعٌ من شياطين الجن والإنس (إذ يغتنم الشيطان إمهال الله لكم فيُجَرِّئكم على المعاصي ويَدفعكم إلى تأخير التوبة، فانتبهوا يا عباد الله، فإن الموت قادم، وقد يأتي فجأة)، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (فقد أخرج أبويكم من الجنة، وتعَهَّدَ بإضلال ذُرِيّتهم) ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ولا تطيعوه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ أي يدعو أتْباعه إلى الضلال ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: أي ليصيروا من أصحاب النار الموقدة.

- الآية 7: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بوحدانية الله تعالى وبما جاءت به رُسُله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شَرَعه - ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو الجنة.

- الآية 8: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ يعني: أفمَن حَسَّنَ له الشيطان أعماله السيئة من المعاصي والشرك فرآها حسنًا، كمَن هَدَاهُ اللهُ تعالى فرأى الحَسَنَ حَسَنًا والسيئَ سيئًا؟! لا يستويان أبداً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ بعدله وحكمته ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بفضله ورحمته ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾: أي فلا تُهْلك نفسك أيها الرسول حزنًا على كُفر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هؤلاء الضالين، فما عليك إلا البلاغ وقد بلَّغتهم، و﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ من قبائح الأعمال، وسيجازيهم عليها أسوأ الجزاء.

- الآية 9: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ أي أنشأها سبحانه ثم بَعَثها إلى السحاب ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي تُحَرِّك سحاباً مُثقلاً بالماء، ﴿فَسُقْنَاهُ﴾ أي سُقنا السحاب (بما فيه من الماء) ﴿إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ قد جَفَّتْ أرضُهُ و أشجاره وزرْعُه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي فأخرجنا النبات من الأرض بهذا الماء، بعد أن كانت يابسة لا حياةَ فيها، ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ يعني: وبمِثل ذلك الإحياء، يُحيي الله الموتى يوم القيامة.

- الآية 10: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ - في الدنيا والآخرة -: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي هو سبحانه الذي يملكها وحده (فعَلى مَن أراد العزة أن يطلبها مِن ربه بالإيمان والعمل الصالح)، إذ ﴿إِلَيْهِ﴾ وحده ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: أي يَصعد الذِكر والكلام الطيب إليه تعالى، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أي يَرفعه سبحانه إليه ويَقبله، (وفي هذا حَثٌّ للمومنين على النُطق بالكلام الحَسَن والإكثار من العمل الصالح)، ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي يَكسبون السيئات ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ أي عَمَلهم السيئ هو الذي يَفسد ويَبطُل فلا يفيدهم بشيئ، ولا يَضُرّ اللهَ شيئاً.

- الآية 11: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: أي خَلَقَ أباكم آدم من تراب، ثم تناسلتْ ذريته مِن نطفة (وهي ماء الرَجُل) ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي جعلكم رجالاً ونساءً، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ (بأن يُكتَب من أصحاب الأعمار الطويلة) ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ (بأن يُكتَب من أصحاب الأعمار القصيرة) ﴿إِلَّا﴾ مُثبَتٌ ذلك كله ﴿فِي كِتَابٍ﴾ (وهو اللوح المحفوظ) الذي لا يُزاد فيما كُتِبَ فيه ولا يُنْقَص، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي خَلقكم وعِلْم أحوالكم وكتابتها ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي سهلٌ عليه سبحانه لأنه على كل شيء قدير.

- الآية 12: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ أي العذب والمالح (لا يتساويان في طعمهما)، ف ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ أي حلوٌ شديد العذوبة ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ أي سَهْلٌ مروره في الحلق يُزيل العطش، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي شديد الملوحة لا يُشرَب، ﴿وَمِنْ كُلٍّ﴾ أي مِن كل البحرين ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ أي تأكلون سمكًا طريًّا شهيَّ الطَّعم، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ أي زينةً (وهي اللؤلؤ والمَرْجان) ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ أي تلبسها نساؤكم، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ أي ترى السفن العظيمة - رغم ثِقَلها - ﴿فِيهِ﴾ أي في البحر ﴿مَوَاخِرَ﴾ أي تَشُقّ الماء ذهاباً ومَجيئاً، فتحملكم وتحمل أثقالكم ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي لتطلبوا رِزقَ اللهِ بالتجارة والربح فيها (وذلك بنقل البضائع والسِلَع من بلدٍ إلى آخر) ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ربكم على هذه النعم العظيمة، فتوَحِّدوه وتطيعوا أمْرَه.

- الآية 13، والآية 14: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي يُدخِل ما يَنقص من ساعات الليل في ساعات النهار ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي يُدخِل ما نَقصَ من ساعات النهار في ساعات الليل، فيَطولُ هذا ويَقصرُ ذاك، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي ذَلَّلَهما لمنافع العباد، ﴿كُلٌّ﴾ مِن الشمس والقمر ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي يَدورُ في فَلَكِهِ إلى يوم القيامة، ﴿ذَلِكُمُ﴾ أي فاعل ذلك كله هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ المستحق وحده للعبادة، إذ ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ كله، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الآلهة الباطلة ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ أي لا يملكون شيئاً (حتى القشرة الرقيقة التي تكون على نَّواة التمرة) فكيف تعبدونهم؟!، و﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ - على سبيل الفرض - ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لأنهم لا يملكون شيئاً، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي يتبرؤون من عبادتكم لهم، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ يعني: ولا أحد يُخبرك - أيها الرسول - أصدق من الله العليم الخبير.

****

www.alukah.net

2. الربع الثاني من سورة فاطر

- الآية 15، والآية 16، والآية 17: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾: يعني أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، ولا تستغنون عنه طرفة عين، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن جميع خلقه، ﴿الْحَمِيدُ﴾ الذي يَستحق الحمد والثناء في كل حال، لِكَثرة نِعَمِه على مخلوقاته، ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ سبحانه ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ أي يُهلككم أيها المُشركون ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يُطيعونه ولا يُشركون به شيئاً ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ يعني: وما إهلاككم والإتيان بغيركم بصَعبٍ على اللهِ تعالى، بل هو سهلٌ عليه يسير، فإنه سبحانه يقول للشيء كُن فيكون.

- الآية 18: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي لا تَحمل نفسٌ ذنبَ نفسٍ أخرى، إلا إذا كانت سبباً في إضلالها (ولم تَتُب عن ذلك الإضلال)، ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾ يعني: وإن تَطلب نفسٌ مُثقَلَةٌ بالخطايا مَن يحمل عنها ذنوبها: ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾: أي لا تجد من يَحمل عنها شيئًا من هذا الحِمل ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ يعني: ولو كان الذي سألته من أقربائها (كالأب والأخ ونحوهما).

♦ ولمّا لم يتأثر المُشركون بهذا الإنذار، قال الله لرسوله – لِيُصَبِّرَه على تكذيبهم –: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾: يعني إنما ينفع تحذيرك – أيها الرسول – الذين يخافون عذاب ربهم وهُم لا يرونه في الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني: وأدَّوا الصلاة في أوقاتها – باطمئنانٍ وخشوع – كما أمَرَ اللهُ ورسوله، ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ أي تَطَهّر من الشرك والمعاصي والأخلاق السيئة: ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ لأنّ ثواب ذلك سيعود عليه وحده، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ يوم القيامة، فيجازي كُلاً بما يَستحق.

- من الآية 19 إلى الآية 24: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: أي لا يَتساوَى الكافر (الذي عَمِيَ عن آيات اللهِ تعالى رغم وضوحها) والبصير الذي أبصَرَ آيات اللهِ فآمَنَ بها، ولم يَتكبر عن الانقياد للحق، ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ أي لا تَتساوَى ظُلُمات الجهل والكفر والمعاصي (وما يَنتج عن ذلك من القلق والحيرة) مع نور العلم والإيمان والاطمئنان بذِكر الله وتوحيده، ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ (والحَرور هي الريح الحارة)، فكذلك لا يتساوى ظل الجنة وحر النار، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: أي لا يَتساوَى أحياء القلوب بالإيمان، وأموات القلوب بالكفر، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (سماعَ فَهْمٍ وقَبول)، وهم الذين طلبوا الهداية من ربهم، ولم يَتّبعوا أهوائهم وشهواتهم، ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ – أيها الرسول – ﴿بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (فكما أنك لا تُسمِع الموتى في قبورهم، فكذلك لا تُسمِع هؤلاء الكفار لِمَوت قلوبهم)، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: يعني ما أنت إلا نذير لهم من غضب الله وعقابه، وليس عليك هدايتهم، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الواضح، لتكون ﴿بَشِيرًا﴾ أي مُبَشّرًا للمؤمنين بالجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعصاة والمُكَذِبين من النار، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ يعني: ما مِن أمةٍ سبقتْ إلا جاءها نذيرٌ يُحَذِّرها عاقبة كُفرها وضلالها.

- الآية 25، والآية 26: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾: يعني إن يُكَذّبك مُشركوا قومك أيها الرسول فاصبر على تكذيبهم وإيذائهم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِثل تكذيبهم، وذلك عندما ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمعجزات الواضحات الدالة على نُبُوّتهم ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ أي جاءوهم بالكتب السماوية ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أي: وهذه الكتب السماوية فيها نورٌ يَكشف الظُلُمات بِبَيَان الحُجَج وكَشْف الحقائق، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأنواع العذاب، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي فانظر كيف كان إنكاري عليهم وعقوبتي لهم؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ واعلم أن الواو التي بين كلمة: ﴿الزُّبُرِ﴾، وبين كلمة: ﴿الْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: تُسَمَّى (عطف بيان)، يعني عطف توضيح، لِتُبَيِّن أنّ هذه الكتب هي كتب منيرة، وليس معناها أن (الزُّبُر) شيء (وَالْكِتَابِ الْمُنِير) شيءٌ آخر، فكأنّ المعنى: ﴿جاؤوا بالزُبُر التي هي كتب منيرة﴾، وهذا مِثل قول أحدهم: (هذا هو اللقاء الثالث والأخير)، يعني هذا هو اللقاء الثالث، وهو نفسه اللقاء الأخير.

- الآية 27، والآية 28: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (فسَقَينا به أشجارًا في الأرض) ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ (فمنها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك) ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ أي: وخَلَقْنا من الجبال طُرُقاً بيضاء يسير فيها الناس (إذ الجُدَد جمع جُدّة وهو الطريق) ﴿وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ يعني: ومن الجبال أيضاً خلقنا طرقاً مختلفاً ألوانها (فمنها الأحمر والأصفر والأبيض، والجبال نفسها كذلك) (عِلماً بأنّ اللون الواحد تختلف درجاته أيضاً)، ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ أي طرق وجبالٌ شديدة السواد (إذ الغربيب: هو الشيء شديد السواد، كلَون الغراب)، ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ﴾ (وهو كل ما يَدبّ على الأرض) ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ (وهي الإبل والبقر والغنم)، (وقد خَصّ سبحانه الأنعام بالذِكر من بين سائر الدواب لكثرة منافعها للناس)، وقد خَلَقَ سبحانه مِن الناس والدواب والأنعام ما هو ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ أي كاختلاف ألوان الثمار والجبال والطرق التي فيها.

♦ ولمّا كان هذا الكلام لا يُدركه إلا المتفكرونَ في خَلق الله، ولا يَعتبر به إلا العالمونَ بقدرة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾: يعني إنما الذين يخشون اللهَ تعالى ويتقون عقابَه: هم العلماءُ مِن عباده، وهم الذين يعلمون عظمته وجلاله وقدرته على كل شيء، (وأمّا أهل مكة، فهم لا يتفكرون ولا يهتدون، إذاً فلا غرابة في أنهم لم يخافوا اللهَ تعالى ولم يُوَحّدوه)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يَمنعه مانع مِمَّا أراد، قادرٌ على الانتقام ممن أشرك به وعصاه، ولكنه أيضاً ﴿غَفُورٌ﴾ لكل مَن تاب إليه وطلب رضاه، (ولو عرف العُصاة والمُشركون هذا، ما أصَرُّوا على ضلالهم، ولَسارَعوا بالتوبة إلى ربهم).

- الآية 29، والآية 30: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي يقرؤون القرآن ويعملون به ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي داوَموا عليها في أوقاتها (بشُروطها وأركانها) ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أي أخرَجوا من أموالهم: (الزكاة المفروضة والصدقات المُستحَبّة) ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: أي في الخَفاء والعَلَن، أولئك ﴿يَرْجُونَ﴾ بتلك الأعمال ﴿تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾: أي تجارة لن تفسد (وهي رضا ربهم ورحمته والفوز بجنّته)، فهُم يرجون أن تكون أعمالهم سبباً في حصولهم على رحمة ربهم لِيُدخلهم بها جنّته، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ أي يَرجون بأعمالهم رحمة ربهم.

♦ وقد وَفَّقهم سبحانه لهذه الأعمال الصالحة ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾: أي يُعطيهم ثوابهم كاملاً ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بمضاعفة حسناتهم، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لسيئاتهم، ﴿شَكُورٌ﴾ لأعمالهم، إذ يُثيبهم على القليل بالكثير، (وفي هذا دليلٌ على فضل تلاوة القرآن والعمل به، وإقام الصلاة وإخراج الصدقات).

- الآية 31: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ - وهو القرآن الذي يُؤجَر المؤمنون بتلاوته - ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ من ربهم (إذ كُلُّ ما فيه حقٌّ وصِدق)، وقد نَزَلَ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي مُوافقاً للكتب السماوية السابقة (مُصدقًا لِمَا فيها مِن صِحَّة، ومبيِّنًا لِمَا فيها من تحريف)، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ﴾ بشؤونهم وما يحتاجونه، فلذلك أنزل إليهم هذا الكتاب العظيم، ﴿بَصِيرٌ﴾ بأعمالهم - هل يؤمنون بهذا الكتاب ويعملون به أو لا؟ - وسيجازيهم على ذلك.

www.alukah.net

- الآية 32، والآية 33، والآية 34، والآية 35: ﴿ثُمَّ﴾ بعد هلاك الأمم المُكَذِبة ﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: يعني أعطينا القرآن لمَن اخترناهم من أمّة محمد: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل وارتكاب بعض المعاصي ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ وهو المؤدي للواجبات، المُجتنب للمُحَرّمات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ أي مُسارِع في الأعمال الصالحة، مُجتهد في فِعل فَرْضِها ونفلها، مُجتنب للكبائر والصغائر، وذلك ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وتوفيقه له، ﴿ذَلِكَ﴾ أي إعطاء الكتاب والعمل به ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، وأعظم ثمرة تَنتج لمَن اتَّبع ذلك الفضل: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي جنات الخلود، التي ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، و﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ أي يَتزيَّنون فيها بأساور من ذهب وأساور من لؤلؤ (أو أساور من لؤلؤ مُرَصَّع بالذهب)، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: أي لباسهم المعتاد في الجنة - رجالاً ونساءً - هو الحرير، ﴿وَقَالُوا﴾ حين دخلوا الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ أي أذهَبَ عنا كل حزن وخوف وضِيق وهَمّ، وأعطانا الفرحة، وراحة الجسد والبال، والتلذذ بأصناف النعيم، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ حيث غفر لنا الزلاّت، ﴿شَكُورٌ﴾ حيث قَبِلَ مِنّا الحسنات وضاعَفَها، وهو ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ أي أنزلَنا دار الإقامة (وهي الجنة)، فرَزَقنا الخلودَ فيها ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (والفرق بين النصب واللغوب: أن النصب هو التعب أثناء العمل، واللغوب هو الإعياء الناتج بعد العمل)، فهم لا يصيبهم في الجنة شيءٌ من هذا لأنهم ليسوا مكلفين فيها بفِعل العبادات (جَعَلَنا الله من أهل الجنة).

♦ وقد كان أحد السلف يقول: (مَن طلب الراحة: ترَكَ الراحة)، يعني مَن طلب الراحة في الآخرة: ترَكَ الراحة في الدنيا واجتهد في الطاعة.

- الآية 36، والآية 37: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ ويستريحوا، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ يعني: وبمِثل ذلك الجزاء يَجزي الله كلَّ مُصِرٍّ على الكفر، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي يَصْرُخون من شدة العذاب في النار مستغيثين: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ ورُدَّنا إلى الدنيا: ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، فيقول الله لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾: يعني ألم نُمْهلكم في الحياة وقتاً كافيًا من العُمُر، يتعظ فيه من أراد الاتعاظ، ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا ﴿فَذُوقُوا﴾ عذاب جهنم ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ينصرهم وينقذهم من عذاب ربهم.

- الآية 38: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي مُطَّلع على كل غائبٍ في السماوات والأرض (ومِن ذلك إصرار الكافر على كُفره ولو عاش طُوال الحياة)، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي عليمٌ بكل ما تُخفيهِ الصدور من النيَّات والخواطر، (فاحذروا أن يطَّلع عليكم وأنتم تخفون في صدوركم ما لا يرضيه، واعلموا أن القلب هو مَحلّ نظر الرب).

- الآية 39: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي جَعَلَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يَخْلُف بعضكم بعضًا في الأرض، ﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾ أي جَحَدَ وحدانية الله: ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ لأنه لن يضر بهذا الكفر إلا نفسه، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أي كُرْهاً وغضبًا، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي هلاكاً وخسارةً في الدنيا والآخرة (إذ يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة).

- الآية 40، والآية 41: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول للمشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿أَرُونِي﴾ يعني أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني أيُّ جُزءٍ خلقوه منها حتى يستحقوا عبادتكم؟!، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: يعني أم أنّ لهم شِركًا مع الله في خَلْق السماوات؟!، ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾: يعني أم أعطينا المشركين كتابًا فهم على حُجَّةٍ مِن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صحة شِركهم؟! ﴿بَلْ﴾ أي ليس الأمر كذلك، ولكنْ: ﴿إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: ما يَعِدُ الكافرون بعضهم بعضًا إلا خداعًا إذ قالوا: (إنّ آلهتنا تشفع لنا عند ربنا وتُقَرِّبنا إليه)، وهذا باطلٌ لا دليلَ عليه.

♦ ثم يُخبر تعالى عن عظيم قدرته ولُطفه بعباده قائلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي يُمسكهما حتى لا تزولا عن مكانهما، ويمنعهما من الاضطراب (إذ لو زالَتا واضطربَتا، سوف يتدَمَّر العالم كله في لحظات)، ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾: ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾: يعني ما استطاع أحدٌ أن يُمسكهما مِن بعد إمساك الله لهما، لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ في تأخير العقوبة عن الكافرين والعُصاة، رغم قدرته على إهلاكهم، ﴿غَفُورًا﴾ لمن ندم على ذنبه واستغفر.

– الآية 42، والآية 43: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أي أقسم كفار قريش – بأغلظ الأيمان – أنهم ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ أي رسولٌ من عند الله: ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾: أي لَيَكونُنَّ أكثر استقامة واتِّباعًا للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم – الذي يعرفون أمانته وصِدقه –: ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: ما زادهم مَجيئه إلا بُعْدًا عن الحق ونفورًا منه.

♦ وقد كان هذا النفور ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الانقياد للحق، ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾: أي خداع الناس بالباطل لِيَصُدُّوهم عن الهدى والإيمان (بالأقوال الكاذبة والاتهامات الباطلة)، ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ أي لا يُحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي العاملينَ به (فإنّ عاقبة المكر السيئ تعود على الماكرين بأسوأ العقاب وأشد العذاب) ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: فهل ينتظر هؤلاء المستكبرونَ الماكرون إلا طريقة اللهِ في الأولين، وهي إهلاك الظالمين إذا استمروا على تكذيبهم وعِنادهم؟!، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ يعني لن يستطيع أحد أن يُغيِّر طريقة الله في كَوْنه، ولا أن يُحَوِّل العذاب عن نفسه أو عن غيره.

– الآية 44: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ – أي هؤلاء المُكَذِبون بالعذاب –، ألم يَمشوا ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كيف كان مصير المُكَذِبين مِن قبلكم (كعاد وثمود وقوم لوط)؟ وما نزل بهم من الهلاك، ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: وقد كان أولئك الكفرة أشد قوة من كفار "مكة" ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (لا قوة الكفار ولا غيرها)، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأفعال الظالمين، ﴿قَدِيرًا﴾ على إهلاكهم.

– الآية 45: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي لأهلَكَهم جميعاً، وما تَرَكَ على الأرض مِن أحدٍ يَتحرَّك، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ﴾ سبحانه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني إلى وقتٍ محدد (وهو نهاية آجالهم) ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ أي وقت عقابهم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ لا يَخفى عليه أحدٌ منهم، ولا يَغيب عن عِلمه شيءٌ من أفعالهم، وسيُجازيهم بما عملوا من خير أو شر.

****

www.alukah.net

تفسير سورة يَس كاملة

- الآية 1: ﴿يس﴾: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، وتُقرأ هذا الحروف هكذا: (ياسين).

- من الآية 2 إلى الآية 6: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (يُقسم الله تعالى بالقرآن، المشتمل على الحِكَم العظيمة والأحكام الجليلة، قائلاً لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم): ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني أرسلك اللهُ تعالى بوَحْيٍ منه إلى عباده، ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني إنك على طريقٍ مستقيمٍ لا اعوجاجَ فيه (وهو الإسلام).

♦ وقد كان هذا القرآن الحكيم ﴿تَنْزِيلَ﴾ اللهِ تعالى ﴿الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه مِن أهل الكفر والمعاصي، ﴿الرَّحِيمِ﴾ بمن تاب من عباده، وقد أنزلناه عليك أيها الرسول ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ أي لم يُنْذَرْ آباؤهم منذ فترة طويلة (وهم مُشركو العرب (إذ لم يأتهم رسولٌ مِن بعد إسماعيل عليه السلام)، ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ أي لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الشِرك والضلال، ولا يعرفون ما يُنَجّيهم من ذلك (وهو الإيمان والعمل الصالح).

- من الآية 7 إلى الآية 10: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾: أي وَجَبَ العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين (بعد أن عُرِض عليهم الحق فرفضوه)، وهم رؤساء الكُفر الجاحدينَ المُعانِدين (كأبي جهل وغيره)، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يُصَدِّقون بالقرآن (رغم وضوح حُجَّته وقوة بَيانه)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾: أي جعلنا حال هؤلاء الكفار – الذين رفضوا الحق وأصرُّوا على الكفر – كمن جُعِلَ في أعناقهم قيود ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾: أي جُمِعَت أيديهم تحت أذقانهم في هذه القيود ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ أي اضطروا إلى رفع رؤوسهم، لا يستطيعون خفضها (وهذا كله تمثيلٌ لحالهم في التكبر عن قبول الحق، وفي امتناعهم عن فِعل الخير)، (ولَعَلّ المقصود من القيود التي في أعناقهم أنها مَوانع الهداية في الدنيا، كالتقليد الأعمى لآبائهم من غير دليل، والكِبر والعناد، واتّباع الهوى والانقياد وراء الشهوات).

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ (هذا تمثيلٌ آخر لحالهم، وهي أن الدنيا زُيِّنَت لهم بما فيها من شهوات ومَناصب، فأصبحوا لا يرون غيرها، (فهو سَدٌّ أمامهم مانعٌ لهم من الإيمان)، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ أي: وكذلك صُوِّرَتْ لهم الآخرة بصورة مستحيلة الوقوع، (فكان هذا سَدّاً لهم مِن خَلفهم يَمنعهم من التوبة والتذكر، لعدم خوفهم من عذابها)، ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ يعني أعمينا أبصارهم عن الحق (بسبب عنادهم واستكبارهم)، ﴿فَهُمْ﴾ لذلك ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي لا يُبصرونَ رُشدًا ولا يهتدون، ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ أيها الرسول ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يقعُ الإيمان في قلوبهم، لإصرارهِم على كُفرهم مِن بعد ما تبَيَّنَ لهم الحق.

- الآية 11: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾: يعني إنما الذي ينفعه تحذيرك: مَن آمَنَ بالقرآن واتَّبع ما فيه من أحكام، ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾: أي خافَ من الرحمن ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي: حينما كان لا يَراه أحدٌ غيره سبحانه، ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبه، ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ وهو الجنة.

- الآية 12: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (فنَبعثهم مِن قبورهم أحياءً يوم القيامة)، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ من خيرٍ وشر ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ يعني: ونكتب أيضاً الخير والشر الذي دَلُّوا الناسَ عليه، فعَمل به الناس بعد موتهم واقتدوا بهم (هذا إن لم يتوبوا من إضلال الناس قبل موتهم)، (واعلم أنه يدخل في ذلك أيضاً: الولد الصالح والعلم النافع والصدقة الجارية، فكل هذا يكون في ميزان حسناتهم بعد موتهم)، ألاَ فليَهتم العبد بفِعل هذه الأمور قبل موته، لتنفعه بعد دخول قبره، وعليه أن يُحاسب نفسه ليكون قدوة في الخير، يَقتدي به الناس في حياته وبعد مماته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي حَفظناه وكتبناه في كتابٍ واضح، هو أمُّ الكتب (وهو اللوح المحفوظ).

- الآية 13، والآية 14، والآية 15: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ أي اجعل لقومك - المُصِرِّين على الشرك والتكذيب - مَثَلاً يَعتبرون به، وهو قصة أهل القرية - وقد قيل إنها مدينة "أنطاكية" في "تركيا" - ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ بوَحْيٍ من عندنا، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ أي رسولين (لدَعْوتهم إلى توحيد الله تعالى وترْك عبادة غيره) ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي قوَّينا الرسولين برسولٍ ثالث، ﴿فَقَالُوا﴾ لأهل القرية: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ مِن عند الله تعالى، فـ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (فصِفاتكم كَصِفاتنا، ولا فضلَ لكم علينا يُؤَهِّلكم أن تكونوا رُسُلاً)، ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الوحي عليكم، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ يعني: ما أنتم إلا تكذبونَ علينا في ادّعائكم للنُبُوّة.

- الآية 16، والآية 17، والآية 18: ﴿قَالُوا﴾ أي قال لهم الرُسُل مُؤَكّدين: ﴿رَبُّنَا﴾ - الذي أرسلنا - ﴿يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي البلاغ الواضح لرسالته، وإظهار الأدلة الواضحة التي أرسلَنا بها، فـ﴿قَالُوا﴾ أي قال لهم قومهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي تَشاءَمْنا بكم (ولَعَلّهم قالوا ذلك لانقطاع المطر عنهم بسبب تكذيبهم، فزعموا أن الرُسُل شؤمٌ عليهم)، فقالوا لهم: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ عن دَعْوتكم لنا: ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ أي سوف نقتلكم رميًا بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا﴾ أي سوف يصيبكم منّا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

- الآية 19: ﴿قَالُوا﴾ أي قال لهم المُرسَلون: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾: يعني شؤمكم وما يصيبكم من الضرر: ناتج عن شِرككم وفسادكم، فهو مُصاحبٌ لكم طالما أنكم على شِركِكم، وقالوا لهم: ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾؟! يعني أإن وُعِظتم بما فيه نَجاتكم: تشاءمتم وتوَعَّدتمونا بالرجم والتعذيب؟! ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ أي أكثرتم مِن العِصيان والتكذيب.

- من الآية 20 إلى الآية 29: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ أي مِن آخر المدينة ﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾ أي يَمشي مُسرِعاً، (وذلك حين عَلِمَ أن أهل القرية قد هَمُّوا بقتل الرُسُل أو تعذيبهم)، فـ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ أي لا يَطلبون منكم مالاً على إبلاغ رسالة ربكم، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي هُم على هدايةٍ من ربهم، وما هم بكَذّابين، بل هم مُحِقُّونَ فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده، لأنه لا يستحق العبادة غيره، ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾؟! يعني: وأيُّ شيءٍ يَمنعني مِن أن أعبد الله الذي خلقني؟! ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد مَوتكم ليُحاسبكم ويُجازيكم، ﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ (وهي هذه الأصنام العاجزة)، بحيث ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾ يعني إنْ أراد الرحمن أن يصيبني بسوء: ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾: أي لا تملك هذه الآلهة دَفْع ذلك السوء ولا مَنْعه، ﴿وَلَا يُنْقِذُونِ﴾: أي لا تستطيع هذه الآلهة إنقاذي مما أنا فيه؟! ﴿إِنِّي إِذًا﴾ يعني إن فعلتُ ذلك: ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في خطأ واضح، ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وحده ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ أي استمعوا إلى ما قُلْته لكم، وأطيعوني بالإيمان.

♦ فلمّا قال ذلك، هَجَمَ عليه قومه فقتلوه، فـ﴿قِيلَ﴾ (أي قالت له الملائكة بعد قتله): ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، فـ﴿قَالَ﴾ وهو في النعيم: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾: يعني يا ليتهم يَعلمون بغفران ربي وإكرامه لي، بسبب إيماني به وصبري على اتّباع رُسُله حتى قُتِلت، فياليت قومي يؤمنون بالله فيدخلوا الجنة مِثلي، (وفي هذا بيان فضل مَن سَعى إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بشرط ألّا يتسبب في حدوث مُنكرٍ أكبر منه).

♦ ثم يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي ما أنزلنا عليهم جنوداً من السماء ليُعَذِّبوهم بعد أن قتلوا ذلك الرجل الناصح، ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ يعني: ما احتاج الأمر إلى إنزال جنود من السماء (فهم أضعف من ذلك

www.alukah.net

بكثير) ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي ما كان هَلاكهم إلا بصيحة واحدة صاحَها مَلَكٌ من السماء ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أي مَيّتونَ لا حياةَ فيهم (كالنار التي أُخمِدَت).

- الآية 30، والآية 31، والآية 32: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ يعني: يا حسرةَ العباد وندامتهم يوم القيامة إذا رأوا العذاب، فـ﴿مَا﴾ كانَ ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ مِن ربهم في الدنيا ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني ألم يَرَ أهل مكة المُكَذِبون ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي من الأمم المُكَذِبة قبلهم (كقوم نوح وعاد وثمود) ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: يعني إنهم لا يَرجعون إلى كفار مكة، (وهذا بيانٌ لعدم استطاعة رجوع المُكَذِّبين إلى الدنيا ليؤمنوا ويتوبوا، بعد الهلاك الذي أصابهم بسبب تكذيبهم)، أفلا يتعظ كفار مكة فيتوبوا مما كان عليه هؤلاء المُكَذِبون السابقون، قبل أن يَهلكوا مِثلهم، ويتمنوا الرجوع إلى الدنيا فلا يستطيعون، ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يعني: وما كل هذه الأمم التي أهلكناها وغيرهم، إلا مُحضرونَ جميعًا عندنا يوم القيامة للحساب والجزاء.

- الآية 33، والآية 34، والآية 35: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ يعني: وعلامةٌ لهؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث: أننا أحيَيْنا هذه الأرض اليابسة (التي لا نبات فيها)، فأحييناها بإنزال الماء ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ أي أخرجنا منها حبوباً كثيرة، مِن مُختلف أنواع النباتات (كالقمح وغيره) ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (ومَن أحيا الأرض بالنبات، أحيا الخلق بعد المَمات)، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي في هذه الأرض المَيّتة ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي بساتينَ ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ (ولَعَلّ الله تعالى خَصَّ العنب والتمر من بين باقي الفواكه لمَكانتهما عند العرب وكثرة فوائدهما)، ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾: أي فجَّرنا في الأرض المَيّتة عيوناً من المياه لتَسقيها، كُلُّ ذلك ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ أي الثمر الناتج من هذا النبات، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: أي لم تَخلقه أيديهم، بل يد الله هي التي خَلَقته لهم رحمةً بهم ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾؟! يعني ألاَ يشكرونَ ربهم على هذه النعم، فيُوَحِّدوه ويطيعوه؟!

- الآية 36: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ أي خَلَقَ جميع أنواع الفواكه والخُضَر من نبات الأرض، ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي خَلَقَ لهم من أنفسهم ذكورًا وإناثًا ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِن مخلوقات الله الأخرى التي لا يعلمون عنها شيئاً، (فكما انفرد سبحانه بالخلق، فكذلك يجب أن يُعبَدَ وحده)، وسبحان الذي خَلَقَ جميع المخلوقات مِن ذكَرٍ وأنثى، وهو سبحانه الواحد الأحد الذي لا زوجَ له، فلا يحتاج إلى زوجةٍ أو ولد، لعدم حاجته لشيءٍ مما يحتاجه البشر، ولغِناه التام عن جميع خلقه.

- الآية 37: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ - على توحيد الله وكمال قدرته -: ﴿اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي نَنزع منه النهار ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي يُظلِم عليهم سواد الليل (ولا يقدر على فِعل ذلك أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى).

- الآية 38: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ يعني: وآيةٌ لهم على قدرة الله تعالى: الشمسُ تجري في فَلَكها إلى مكانٍ تستقر فيه بعد غروبها لا تتجاوزه، حيثُ إنها تسجد كل يوم تحت العرش لتستأذن ربها في الشروق، فقد ثبت في الصحيحَين - البخاري ومُسلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل "أبا ذر" حين غربتْ الشمس: (أتدري أين تذهب؟)، فقال: (اللهُ ورسوله أعلم)، فقال: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذَن لها، ويُوشِك أن تستأذن فلا يُقبَل منها، وتستأذن فلا يؤذَن لها، يُقال لها ارجعي مِن حيثُ جئتِ، فتطلع في مَغربها، فذلك قوله تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ})، (واعلم أنّ كونها تسجد تحت العرش لا غرابة فيه، إذ الكون كله تحت العرش).

﴿ذَلِكَ﴾ أي دوران الشمس في مَدارها هو ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يَمنعه شيءُ مما أراده في مُلكه، ﴿الْعَلِيمِ﴾ بكل خلقه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 39: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ يعني: وآيةٌ لهم على قدرة الله تعالى: أنه جعل للقمر مَنازل يسير فيها كل ليلة، (والمقصود بالمنازل هنا: المواقع التي يظهر فيها القمر في كل ليلة من الشهر، وهي ثمانية وعشرون منزلة، ينتقل فيها القمر من هلال إلى بدر) ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ أي: ثم يعود في آخر الشهر ضئيلاً منحنياً (مِثل عِذْق النخلة الذي يَحمل التمر في فروعه)، وهو العود الأصفر اليابس المنحني، الذي يُستخدَم بعد ذلك في "الكَنس" والتنظيف.

- الآية 40: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: يعني لا يمكن للشمس أن تلحق القمر فتمحو نوره أو تُغيِّر مَجراه، ولا يمكن أن يجمعهما ليلٌ واحد، ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يعني: ولا يمكن للَّيل أن يَسبق النهار، فيَدخل عليه قبل انتهاء وقته، (فهما لا يختلطان أبداً إلا بدخول جزء من أحدهما في الآخر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾)، ﴿وَكُلٌّ﴾ من الشمس والقمر والكواكب ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: أي يَجْرون في مَدارهم الخاص بهم إلى نهاية الحياة، فلذلك لا يَصطدم بعضها ببعض، وإلاَّ لَفَسَدَ الكون وتَدمَّر، فسبحانَ اللهِ العظيم الحكيم القادر.

- من الآية 41 إلى الآية 44: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ﴾ على إنجاء اللهِ للمُوَحِّدين وإهلاكه للمشركين: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: أي حملنا ذرية قوم نوح المؤمنين، فأنجيناهم في السفينة المملوءة بأنواع المخلوقات، ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾: أي خلقنا لهم سُفُناً مِثل فُلك نوح – وهي السفينة – وغيرها من المراكب التي يركبونها لتُبَلِّغهم أوطانهم، ويستخدمونها في تجاراتهم ونقل بضائعهم.

♦ واعلم أن قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه إشارة إلى تنوع السفن التي عَلَّمَ اللهُ الإنسانَ كيفية صُنعها (كالغواصات وغيرها).

♦ ثم أخبَرهم سبحانه أنه قادرٌ على إهلاكهم بهذه النعمة التي سَخَّرها لهم إذا عصوا المُنعِم وعبدوا غيره، فقال: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ وهُم في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: أي لا يجدون مَن يُغيثُ صراخهم عند غرقهم، ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾: أي لا يستطيعون أن ينجوا بأنفسهم من الغرق ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾: يعني إلا أن نرحمهم فنُنجّيهم ونُمتّعهم إلى أجلٍ مُعَيّن نشاؤه لهم؛ لَعَلّهم يَرجعونَ ويَتداركونَ ما فرَّطوا فيه في حق ربهم.

- الآية 45، والآية 46: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي لهؤلاء المشركين: ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أي احذروا الدنيا وعقابها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أي احذروا الآخرة وأهوالها (وذلك بالإيمان والاستقامة على الحق) ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي ليَرحمكم الله تعالى، فإذا قيل لهم ذلك: أعرَضوا عن الاستجابة كأنهم لم يسمعوا، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ تَهديهم للحق، وتُبيِّن لهم صِدق الرسول: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي أعرَضوا عنها، ولم ينتفعوا بها.

- الآية 47: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: إذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين: ﴿أَنْفِقُوا﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ (ولَعَلّ المقصود هنا: الرزق الذي زَعَمَ كفار مكة أنهم جعلوه لله تعالى، وهو المذكور في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾، فحينئذٍ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ – استهزاءً بهم – ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾؟ ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: يعني ما أنتم يا أتْباع محمد إلا في ضلالٍ ظاهر، لأنكم تطلبون منا ذلك، (ولم يعلم هؤلاء الجهلة أن الله تعالى قد ابتلى قوماً بالفقر وابتلى قوماً بالغنى، وأنه أمَرَ الفقراء بالصبر، وأمَرَ الأغنياء بالعَطَاء).

www.alukah.net

- الآية 48، والآية 49، والآية 50: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين - على سبيل التكذيب والاستعجال -: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: يعني متى يكون هذا البَعث الذي تَعِدوننا به ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟، فرَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي ما يَنتظر هؤلاء المُكَذِّبونَ بالبعث ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ (وهي نفخة الفَزَع عند قيام الساعة، والتي يموتونَ فيها جميعاً)، إذ ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾ فجأة ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يَختصمون ويتجادلون في شؤون حياتهم (كالبيع والشراء والأكل والشرب وغير ذلك) ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: أي لا يستطيعون أن يوصوا أحدًا بشيء (كما يَفعل المحتضر)، ﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم ليَطمئنوا عليهم، بل يموتون في أسواقهم وأماكنهم، (وهذا كِناية عن شدة السرعة بين الصيحة وهَلاكهم).

- الآية 51، والآية 52: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي نُفِخ في "البُوق" النفخةُ الثانية، لترجع أرواحهم إلى أجسادهم ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: أي يَخرجون من قبورهم مُسرعينَ إلى ربهم، فـ﴿قَالُوا﴾ حينئذٍ - نادمين -: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾: يعني مَن أخرَجَنا مِن قبورنا؟، فيُقال لهم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فيما أخبروا به.

- الآية 53، والآية 54: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: يعني ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ﴾ أي جميع الخلق: ﴿لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي ماثِلونَ أمامنا للحساب والجزاء، ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ (لأن الحساب يتم بالعدل) ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

- من الآية 55 إلى الآية 64: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ أي مَشغولونَ عن غيرهم، (وشُغلهم الشاغل هو التلذذ بأصناف النعيم)، وهم ﴿فَاكِهُونَ﴾ أي فَرِحونَ مَسرورون ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾ أي في ظلال الجنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ أي يَجلسونَ مُتكّئينَ - أي مُستندين - على الأرائك (وهي السُرُر المزيَّنة، تحت الظلال المُمتدَّة) (والسُرُر جمع سرير)، ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾: أي لهم في الجنة من كل أنواع الفواكه اللذيذة، ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾: أي يَتحقق لهم كل ما يَتمنونه ويَشتهونه، ولهم نعيمٌ آخر أكبر مما هم فيه، حين يَرون ربهم في الجنة، فيُكَلِّمهم قائلاً: ﴿سَلَامٌ﴾ أي سلامٌ لكم من كل مكروه، وقد كان هذا ﴿قَوْلًا﴾ لهم ﴿مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ بهم.

♦ ويُقال للكفار في ذلك اليوم: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي تميَّزوا عن المؤمنين، وانفصلوا عنهم، ويقول الله لهم توبيخاً وتذكيرًا: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ﴾: يعني ألم أوصِكم على ألسنة رُسُلي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ ولا تطيعوه؟ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي عداوته ظاهرة للإنسان ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ يعني: وأمَرتكم بأن تعبدوني وحدي، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا هو الطريق المستقيم الموصل لجَنَّتي (وهو عبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان) ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي أضَلَّ منكم خلقًا كثيرًا، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾؟! يعني ألم يكن لكم عقل ينهاكم عن اتِّباع الشيطان؟!، إذاً فـ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي التي كنتم توعدونَ بها في الدنيا على كُفركم وتكذيبكم للرُسُل، ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾: أي ادخلوها لتَلتهب أجسادكم فيها وتُعانوا مِن حَرّها الشديد، جزاءً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

- الآية 65: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي نُغلق أفواههم فلا يستطيعون الكلام، ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ فتشهد بالمعاصي التي فَعَلَتها، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي تشهد أرجلهم بالمعاصي التي مَشَتْ إليها.

- الآية 66: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ يعني: لو شِئنا لأعمينا أبصارهم كما أغلَقنا أفواههم ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾: أي فحينئذٍ سارَعوا إلى الصراط ليَمُرّوا فوقه ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾؟! يعني فكيف يَمُرُّونَ عليه وقد عُمِيَتْ أبصارهم؟!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 67: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ يعني: ولو شئنا لَغَيَّرنا خَلقهم وأقعدناهم في أماكنهم على الصراط ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ أي فحينئذٍ لا يستطيعون أن يَمْضوا أمامهم على الصراط ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ وراءهم.

- الآية 68: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ أي نُطِلْ عمره حتى يصل إلى سن الشيخوخة: ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾: أي نُعِدْه في هذه السِنّ إلى حال الطفولة مرة أخرى، فيَصير ضعيفَ العقل والجسد، بعد أن كان قوياً راشداً أثناء فترة شبابه، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّ القادر على أن يفعل ذلك بهم، قادرٌ أيضاً على بَعْثهم بعد موتهم؟!

- الآية 69، والآية 70: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾: أي ما عَلَّمنا رسولنا محمدًا الشِعر ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أن يكون شاعرًا (وهذا رَدٌ على مَن اتهموه كَذِباً بأنّ الذي يتلوهُ شِعراً)، فإنهم يَعلمونَ أنه لم يتعلم الشِعر طوال حياته، وكذلك يعلمون أن هذا القرآن الذي يتلوه لا يُشبه الشِعر في شيء (لا في الوزن ولا في القافية)، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هذا الذي يتلوه ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ يَتذكر به أصحاب العقول السليمة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ أي قرآنٌ واضح في تمييز الحق من الباطل، ومُوَضِّحٌ للأحكام والحِكَم والمواعظ ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعني: (حيَّ القلب والضمير) ﴿وَيَحِقَّ﴾ به ﴿الْقَوْلُ﴾ أي الحُكم بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لأنهم قد قامت عليهم الحُجّة بالقرآن.

- الآية 71، والآية 72، والآية 73: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ - وهي الإبل والبقر والغنم - ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ أي: فهم مالكونَ لأمرها (يتصرفون فيها كما يشاءون)؟ ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي سَخَّرناها لهم لينتفعوا بها ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ أي: منها ما يَركبونه في أسفارهم، ويَحملون عليها أثقالهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ بعد أن يذبحوها (ولولا هذا التسخير، لَمَا قدروا عليها أبداً)، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ (كالانتفاع بصُوفها وشَعرها، إذ يَصنعون منها ثيابهم وأثاث بيوتهم وغير ذلك)، ﴿وَمَشَارِبُ﴾ إذ يَشربون ألبانها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾؟! يعني ألاَّ يشكرونَ ربهم الذي أنعم عليهم بهذه النعم، فيُخلِصوا له العبادة، ولا يعبدوا معه أحداً مِن خلقه؟!

- الآية 74، والآية 75: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ يعني: ورغم هذه الأدلة على قدرة الله تعالى وإنعامه على خلقه، فإنّ المشركين قد اتَّخذوا من دون الله آلهةً يعبدونها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يعني إنهم عَبَدوها طمعًا في نَصْرها لهم وإنقاذهم من عذاب الله، (وذلك بشفاعتها لهم عند الله تعالى كما يزعمون)، كلا، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾: أي لا تستطيع تلك الآلهة أن تنصر عابِديها، ولا حتى تستطيع أن تنصر نفسها، ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ يعني: والمُشركون وآلهتهم جميعًا مُحضَرون في العذاب، مُتبرِّئ بعضهم من بعض.

- الآية 76: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾: أي لا يَحزُنك أيها الرسول قول المُكَذِبين فيك بأنك شاعر، فإنَّ قولهم لا يَضُرّك شيئًا، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي نعلم ما يُخفونه مِن الكِبر والعناد، ونعلم ما يُظهرونه للناس بهذه الأقاويل حتى يصدوهم عن الإيمان بك، وسنُجازيهم على ذلك كله (وفي هذا تصبيرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم).

- من الآية 77 إلى الآية 80: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ﴾ المُنكِر للبعث ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي مِن ماءٍ حقير مُستقذَر، ثم أخرجناه مِن بطن أُمِّهِ لا يَعلم شيئاً، حتى إذا ربَّيناهُ وأصبح رَجُلاً: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ يعني: فإذا به يَقْوى ويغترُّ، ويُصبح شديد الجدال في إنكار البعث، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أي جَعَلَ إعادتنا للخلق أمراً عجيباً وغريباً ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي نَسِيَ ابتداء خلقه، ونَسِيَ قدرة ربه الذي خَلَقَه من العدم، فـ﴿قَالَ﴾: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟ يعني مَن يستطيع أن يُحيي العظام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المتفتتة؟ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (وهذا هو القياس العقلي الواضح، إذ بالبَداهة أنّ مَن أوجد شيئاً من العدم، قادرٌ على إيجاد مِثله في أيّ وقت) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعني: وهو سبحانه عليمٌ بجميع خلقه، خبيرٌ بتكوينهم.

♦ ورغم أنّ لَفظ "العِظام" مؤنث إلا إنه تعالى ذَكَرَ معها لفظ "رميم"، ولم يَقُل "رَميمة"، وذلك لأن العظام ليست مؤنثاً حقيقياً، بل هي مؤنث مَجازي (يعني مما لا يَبيض ولا يَلد)، فلذلك يجوز أن تأتي مع لفظَي: (رميم) و(رميمة)، وهذا مِثل قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

♦ ثم ذَكَرَ سبحانه دليلاً آخر على قدرته على البعث، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾: أي أخرج لكم من الشجر الأخضر (الذي سارت الماء في أغصانه)، أخرَجَ منه ﴿نَارًا﴾ مُحرقة ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يعني: فإذا أنتم توقدون النار من هذا الشجر الرَّطِب، فهو سبحانه القادر على إخراج الشيء من ضده، كما أخرج أمامكم النار من الماء (فكذلك يُخرج الموتى أحياءً يوم القيامة).

– الآية **81**، والآية **82**: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ (ويُعيدهم كما بدأهم؟) ﴿بَلَى﴾ إنه قادرٌ على ذلك، (بل إنّ هذا أهون عليه مِن خَلق السماوات والأرض) ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لجميع المخلوقات، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بتكوين الأجساد والأرواح التي خَلَقَها، فلذلك لا يَصعُب عليه إعادتها مرة أخرى، و﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ أي شأنه سبحانه أنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ ﴿فَيَكُونُ﴾ يعني فإذا به كائنٌ موجود كما أرادَه اللهُ تعالى.

– الآية **83**: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي تَنَزَّهَ اللهُ وتَبَرَّأ عن العجز والشرك، فهو المالك لكل شيء، المتصرف في شؤون خلقه بلا مُنازع أو مُمانع، وقد ظهرتْ لكم دلائل قدرته وتمام نعمته ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم، لِيُحاسبكم ويُجازيكم على جميع أعمالكم.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الصافات كاملة

1. الربع الأول من سورة الصافات

- من الآية 1 إلى الآية 5: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالملائكة التي تقف في عبادتها صفوفًا مُتراصّة)، ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ (ويُقسِم سبحانه بالملائكة التي تَزجر السحاب، يعني تسوقه إلى حيثُ أمَرَهم اللهُ تعالى)، ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (ويُقسِم سبحانه بالملائكة التي تتلو ذِكر الله وكلامه)، (واعلم أنّ اللهَ تعالى يُقسِم بما يشاء مِن خَلْقه، أما المخلوق فلا يجوز له القَسَم إلا بالله تعالى، لأنّ الحلف بغير الله شِرك).

♦ ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾: يعني إنّ مَعبودكم أيها الناس واحدٌ لا شريكَ له، وهو اللهُ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي هو خالق ذلك كله ومُدَبِّر أمْره ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾: أي مُدَبِّر أمْر الشمس في مَشارقها ومَغاربها.

♦ ولَعَلّ اللهَ تعالى خَصّ مَشرق الشمس ومَغربها مِن بين سائر مُلكه، لأنه لا يجرؤ أحد أن يَدَّعي التحكم في ذلك، كما قال إبراهيم للنمرود: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، فلذلك لا يستحق العبادة إلا اللهُ العظيمُ القادر، ألاَ فأخلِصوا له العبادة والطاعة.

- من الآية 6 إلى الآية 10: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ (وهي السماء القريبة من الأرض)، فقد زيّنَها الله للناظرين إليها ﴿بِزِينَةٍ﴾ هي ﴿الْكَوَاكِبِ﴾ أي هي النجوم، ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ أي جَعَلنا النجوم حِفظاً للسماء مِن كل شيطان متمرِّد على أوامر الله تعالى (إذ يُرجَمون بالشُهُب - التي هي مِن جملة النجوم - إذا حاولوا الوصول إلى السماء)، فبذلك ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ أي لا يستطيعون أن يصلوا إلى الملأ الأعلى ليَستمعوا إلى كلام الملائكة (حتى لا يَنقِلوا أخبار الغيب إلى أوليائهم من السَحرَة) ﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾: أي تُرجَم الشياطين بالشُهُب المُحرقة من كل جهة، وسبب ذلك الرجم: ﴿دُحُورًا﴾ أي طردًا لهم عن الاستماع ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي لهم عذابٌ دائم لا يفارقهم، وهو عذاب جهنم.

♦ ثم أخبَرَ سبحانه أنه بسبب هذه الشهب المترصدة لهم، لا يجرؤ أحدٌ منهم أن يَستمع إلى كلام الملائكة ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ (وهي الكلمة التي يسمعها الشيطان بسرعة من كلام الملائكة، ثم يهرب بها)، ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: يعني فهذا الشيطان يَتبعه شهابٌ مُضيء مُحرق، (وربما أدركه الشهاب قبل أن يُلقي هذه الكلمة إلى شيطانٍ آخر، وربما ألقاها له بقَدَر الله تعالى قبل أن يَحرقه الشهاب، فيذهب بها الآخر إلى الساحر، فيُعطيها له بعد أن يكذب معها مائة كذبة، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم) (والحديث في الصحيحيْن).

- من الآية 11 إلى الآية 26: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ أي اسأل - أيها الرسول - مُنكِري البعث: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ يعني: هل خَلْق أجسادهم وإعادتهم بعد موتهم أعظم أم خلق السماوات والأرض وما فيهما من سائر المخلوقات (كالملائكة والشمس والجبال وغيرهم)؟ والجواب معلوم، وهو أنّ هذه المخلوقات العظيمة أشد خلقاً منهم، فـ ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾: أي بدأنا خَلْق أبيهم آدم من طينٍ لزج يلتصق باليد، ثم خلقناهم - بالتناسل - من نطفة حقيرة، (فلِذلك لا يَصعُب علينا إعادة خَلْقهم مرة أخرى، لأننا خَلَقنا مَن هُم أعظم منهم)، ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾: أي عَجِبتَ أيها الرسول من إنكارهم للبعث (رغم وضوح الأدلة على ذلك)، ولكنهم لجَهْلهم وعَجْزهم لا يستطيعون أن يدفعوا هذه الأدلة القوية إلا بالسُخرية والاستهزاء، ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ بمَواعظ القرآن ودلائل التوحيد والبعث: ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ أي لا يَنتفعون بهذه التذكرة ولا يَتدبَّرونها ﴿وَإِذَا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَأَوْا آَيَةً) أي مُعجزة دالَّة على نُبُوَّتك، أو رأوا حُجّة من حُجَج القرآن تُقرِّر البعث، إذا هم (يَسْتَسْخِرُونَ) أي يَسخرون منها ويستهزئون (وَقَالُوا) – مُستكبرين عن الانقياد للحق –: (إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) أي ما هذا الذي جئتَ به يا محمد إلا سحرٌ ظاهر، وقالوا: (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) أي مبعوثونَ من قبورنا أحياءً، بعد أن تَحَلَّلتْ عظامنا في تراب الأرض؟! (أَوَآَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ): يعني أو يُبعَث آباؤنا الذين مضوا مِن قبلنا؟!، (قُلْ) لهم أيها الرسول: (نَعَمْ) سوف تُبعثون أحياءً (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) يعني أذلاء صاغرونَ وقتَ بَعْثكم، مستسلمونَ لحُكم الله فيكم.

♦ واعلموا أنّ أمْر البعث يسيرٌ جداً على اللهِ تعالى (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) أي نفخة واحدة: (فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ): يعني فإذا هم قائمونَ مِن قبورهم ينظرون إلى أهوال القيامة، (وَقَالُوا) عندما قاموا مِن قبورهم: (يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) أي هذا يوم الحساب والجزاء، فيقال لهم: (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) أي يوم القضاء (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)، ويومئذٍ يقول الله للملائكة: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ): أي اجمَعُوا الذين أشركوا وأمثالهم من أهل الضلال وقُرناءهم من الشياطين (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) يعني: واجمَعوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها (مِنْ دُونِ اللَّهِ) (مِمَّن رَضِيَ بعبادتهم له)، لأن عيسى عليه السلام والملائكة لم يكونوا راضينَ عن عبادة المشركين لهم (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) أي سُوقوهم جميعاً إلى طريق جهنم (وَقِفُوهُمْ) أي احبسوهم قبل أن يصلوا إلى جهنم، فـ (إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) أي مسؤولونَ عمَّا صَدَرَ منهم في الدنيا (سؤال تقرير وإنكار وافتضاح)، ويُقال لهم توبيخًا وتعجيزاً: (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ): أي ما لكم لا يَنصر بعضكم بعضًا كما كنتم في الدنيا؟ (بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) أي مستسلمونَ لأمر الله وحُكمه، لا يستطيعونَ نَصْر أنفسهم.

– من الآية 27 إلى الآية 32: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ): يعني أقبل بعض الكفار على بعضٍ يَتلاومون ويتجادلون، فـ (قَالُوا) أي قال الأتْباع لرؤسائهم في الضلال: (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) أي كنتم تصدوننا بقوة عن اتّباع الدين الحق، وتُنَفِّروننا من الشريعة، وتُزَيّنون لنا الضلال، فـ (قَالُوا) أي قال الرؤساء للتابعين: (بَلْ): يعني ليس الأمر كما تزعمون، ولكنكم (لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) أي ما كنتم مؤمنينَ فكفَّرناكم، ولا صالحينَ فأفسدناكم، ولكنّ قلوبكم كانت قابلة للكفر والعصيان (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ): أي ما كان لنا عليكم مِن حُجّةٍ أو قوّة، فنَصُدُّكم بها عن الإيمان (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ): أي كنتم قومًا متجاوزينَ الحد في الظلم والفساد واتّباع الهوى، (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا) أي وَجَبَ علينا وعيد ربنا بالعذاب، و (إِنَّا لَذَائِقُونَ): أي سوف نذوق العذاب نحن وأنتم (بما قدمناه من العمل السيئ)، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم، فإننا وَجَدناكم مُتمَسّكينَ بالشِرك راغبينَ في الضلال (فَأَغْوَيْنَاكُمْ): أي دَعَوناكم إلى الضلالة فاستجبتم لنا، (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ): أي كنا ضالين من قبلكم (فهَلَكْنا بسبب ضَلالنا، وأهلكناكم معنا).

– من الآية 33 إلى الآية 49: (فَإِنَّهُمْ) أي الأتْباع والمَتبوعين (يَوْمَئِذٍ) أي يوم القيامة (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) (كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله) (إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) (الذين فضَّلوا معصية الله على طاعته)، فنذيقهم العذاب الأليم، وسبب ذلك: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ): (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أي لا يستحق العبادة إلا الله، فاتركوا عبادة مَن سواه: (يَسْتَكْبِرُونَ) عن الانقياد لهذه الكلمة، ويستكبرون على مَن جاء بها، (وَيَقُولُونَ) فيما بينهم: (أَئِنَّا لَتَارِكُو آَلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ): يعني أنترك عبادة آلهتنا لأجل قول شاعر مجنون؟ (يَعنون بذلك محمداً صلى الله عليه وسلم)، وقد كذبوا، فليس محمد كما وصفوه (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ) وهو القرآن والتوحيد (وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) فيما أخبروا به عن التوحيد والبعث، (إِنَّكُمْ) أيها المُكَذِّبون المستهزئون (لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) في نار جهنم (وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الشرك والمعاصي (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) فإنهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ناجونَ من هذا العذاب، ويُجزَونَ بأكثر مما كانوا يعملون (إذ الحسنة بعشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة)، فضلاً من ربهم ورحمة.

♦ واعلم أنّ المُخلَصين هُم الذين أخلصوا عبادتهم لله وحده، وخَلَّصهم ربهم من السُوء والفَحشاء، فـ (أُولَئِكَ لَهُمْ) في الجنة (رِزْقٌ مَعْلُومٌ) أي معلومٌ أنه لا ينقطع (إذ يأكلونه بُكرَةً وعَشِيّاً)، وهو: (فَوَاكِهُ) (والمقصود هنا: الطعام والشراب الذي يُتفكَّه به، أي يُتلَذَّذ به)، إذ كل طعامهم وشرابهم في الجنة يكون للتلذذ فقط، وليس لدفع الجوع عنهم حفاظاً على حياتهم، (وَهُمْ مُكْرَمُونَ) بإكرام الله لهم بأصناف المُتَع والشهوات (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)، يَجلسونَ مُتَّكئين (عَلَى سُرُرٍ) مُزيَّنة، تحت الظلال المُمتَدَّة، (والسُرُر جمع سرير)، (مُتَقَابِلِينَ): أي تتقابل وجوههم في حُبّ، يَجمعهم مَجلس واحد، يَتسامرونَ فيه على السُرُر، و(يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ): أي يدور عليهم خَدَمٌ معهم كؤوس مِن خمر، يأتون بها مِن عيون جارية في الجنة (كعيون الماء الجارية على الأرض) (بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ): يعني هذه الخمر بيضاء في لونها، لذيذة في شُربها، (لَا فِيهَا غَوْلٌ) أي ليس فيها أذى للجسم ولا للعقل (كالصداع وألم البطن) (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ): أي لا يُسكَرون بسببها، فهي لا تَذهب بعقولهم كخمر الدنيا (وقد شَبَّه سبحانه العقل الذي يَذهب بسبب الخمر، بالدم الذي يَنزِف من الجريح).

(وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) أي عندهم في مجالسهم نساءٌ لا تنظر إحداهنّ إلى غير زوجها، ولا يَنظر زوجها إلى غيرها (مِن شدة حُسنها وجمالها)، (عِينٌ) أي واسعات الأعين (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ): يعني كأنهن بَيْض مستور لم تمسه الأيدي، (وهذا وَصفٌ لنساء الجنة – سواء النساء المؤمنات أو الحور العين – وأنهنّ بِيض الأجسام (بياضاً كبَياض بيض النعام، الذي هو أبيض مُختلَط بصُفرة).

– من الآية **50** إلى الآية **61**: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يعني أقبَلَ بعض أصحاب الجنة على بعضٍ يَتساءلونَ عن أحوالهم في الدنيا، وعمَّا كانوا يُعانونَ فيها، وعمَّا أنعم الله به عليهم في الجنة (وهذا مِن تَمام الأُنس والسعادة)، فـ (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ): (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) أي كان لي في الدنيا صاحبٌ يُلازمني، وكان (يَقُولُ) لي: (أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ): يعني كيف تصدِّق بالبعث بعد الموت؟! (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ) أي نُبعث أحياءً من قبورنا ونُحاسَب ونُجازَى على أعمالنا؟!، ثم (قَالَ) هذا المؤمن لأصحابه في الجنة: (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) يعني: هل تنظرون معي على أهل النار لنرى مصير ذلك القرين؟ (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ): أي رأى صاحبه المُنكِر للبعث في وسط النار، فـ (قَالَ) له: (تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ) يعني: والله لقد قاربتَ أن تُهلكني لو كنتُ أطعتُكَ في إنكار البعث، (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي) (بهدايتي إلى الإيمان وتثبيتي عليه): (لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أي من المُحضَرين معك في العذاب.

♦ ولذلك ينبغي للعبد – عندما يقرأ قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ – أن يستشعر أنّ الله هو الذي أنعم على أهل الجنة بالهداية والتوفيق والإعانة والتثبيت، والنجاة من الفتن والذنوب، وأنه هو الذي حَبَّب إليهم الطاعات، وَكَرَّهَ إليهم المعاصي، فبذلك يرجو من ربه هذه النعمة التي ينجو بها من عذابه، ويَتنعم بها في جنته.

♦ ثم يقول هذا المؤمن لأصحابه في الجنة: (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ)؟ يعني: أحقًا أننا مُخلَّدون في هذا النعيم، فما نحن بميتينَ (إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى) في الدنيا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) بعد دخولنا الجنة؟ (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، ثم قال تعالى: (لِمِثْلِ هَذَا) النعيم الدائم، والفرحة الكاملة، والفوز العظيم: (فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) بكثرة الصالحات واجتناب السيئات.

www.alukah.net

♦ وقد كان أحد السلف يقول: (مَن طلب الراحة: ترَكَ الراحة)، يعني مَن طلب الراحة في الجنة: ترَكَ الراحة في الدنيا واجتهد في عبادة ربه.

– من الآية 62 إلى الآية 74: ﴿أَذَلِكَ﴾ الذي سَبَقَ وَصْفه مِن نعيم الجنة ﴿خَيْرٌ نُزُلًا﴾ يعني خيرٌ ضيافةً وعطاءً من الله ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (طعامُ أهل النار)، التي هي غاية الحرارة مع غاية المرارة؟، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي افتتَنَ بها الكافرون في الدنيا، حيثُ قالوا مُستنكرين: (إنّ صاحبكم يُنَبِّئكم أنّ في النار شجرة، مع أن النار تأكل الشجر)، ثم وَصَفَها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي تَنبت في قعر جهنم، ﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثمرها القبيح – في بشاعة منظره – ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ في النار ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾: يعني إنهم بعد الأكل منها يَعطشون، فيشربون شرابًا قبيحًا مخلوطاً بماءٍ شديد الغليان، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي يَنزل هذا الشراب – في أمعاءهم – فوق الزقوم (إذ يشربونه بعد أكْل الزقوم)، ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾: يعني إنّ مَرَدَّهم بعد هذا الطعام المُرّ والشراب الحار إلى عذاب النار.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾: أي وجدوا آباءهم في الدنيا على الشرك والضلال ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ أي: فسارَعوا إلى متابعتهم على ضلالهم دونَ وَعْيٍ أو تدبُّر، ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي ضَلَّ عن الحق – قبل مُشرِكي مكة – أكثر الأمم السابقة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ أي أرسلنا في تلك الأمم رُسُلاً أنذروهم بالعذاب فكفروا بهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾: أي فتأمل - أيها الرسول – كيف كان مصير القوم الذين أنذرهم رسولهم بعذاب الله فكذَّبوه؟ فقد عُذِّبوا، وصاروا للناس عبرة ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فأولئك يُنَجِّيهم ربهم من هذا المصير.

****

2. الربع الثاني من سورة الصافات

– من الآية 75 إلى الآية 82: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ لِننصره على المُكَذِبينَ مِن قومه ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ له نحن، (والمعنى: نِعمَ الرَبُّ المُجيب لمن دَعاه)، حيثُ أجَبْنا دعائه ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ المؤمنينَ به ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (وهو الغرق بالطوفان) ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ بعد انتهاء الطوفان (جزاءً له على صَبْره في دَعْوته)، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: يعني أبقينا له ذِكرًا جميلاً وثناءً حسنًا في الأمم التي جاءت بعده، ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ أي: تحية من الله تعالى، وأمانٌ منه لنوح مِن كل سوء، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: كما أعطينا نوحاً هذا العطاء (جزاءً له على إحسانه وطاعته)، فكذلك نَجزي المحسنين المتقين من عطائنا، ﴿إِنَّهُ﴾ أي نوح ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي المُصَدِّقين المُخلِصين، العاملينَ بأوامرنا، المُتَّبِعينَ لشرعنا، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (وهم مُشرِكو قومه، ألاَ فليَتعظ مُشرِكو مكة مما حدث لهم).

– من الآية 83 إلى الآية 98: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾: يعني إنَّ مِن أشياع نوح – يعني مِن أمثاله – على مِنهاجه ومِلَّته: نبيَّ الله إبراهيم ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: أي اذكر أيها الرسول لقومك حين جاء إبراهيمُ ربه يوم القيامة بقلبٍ بريء من كل اعتقادٍ باطل، لأنه كان في الدنيا يَتبرأ من الشِرك ويدعو قومه إلى التوحيد ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ – مُنكِرًا عليهم عبادتهم للأصنام –: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: يعني ما هذا الذي تعبدونه؟! ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾: يعني أتريدون أن تعبدوا أصناماً سميتموها آلهة (كذباً بألسنتكم)، وتتركون عبادة الله المستحق وحده للعبادة؟! ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني فما ظنكم أنه سبحانه فاعلٌ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بكم إذا عبدتم معه غيره؟!، ﴿فَنَظَرَ﴾ إبراهيمُ ﴿نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (متفكرًا فيما يَعتذر به عن الخروج معهم إلى أعيادهم)، ﴿فَقَالَ﴾ لهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾: يعني إني مريض ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾: أي تَرَكوه وراء ظهورهم (قابلينَ عُذره في عدم الخروج معهم).

﴿فَرَاغَ إِلَى آَلِهَتِهِمْ﴾: يعني أقبَلَ إلى أصنام قومه (بعد أن خَلا المكان الذي كانت فيه) ﴿فَقَالَ﴾ لها مستهزئًا: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني ألاَ تاكلون هذا الطعام الذي يُقدّمه لكم عابِديكم ويَتبَرَّكون بأكْله بعد أن يتركونه عندكم؟، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ لِتَرُدّوا على مَن يسألكم؟، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾: يعني أقبل على الأصنام يَضربها ويُكسِّرها بفأسٍ في يده اليمني، فلمّا رجعوا من عِيدهم: وَجدوا آلهتهم مُكسَّرة ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾: يعني أقبَلوا إلى إبراهيم يَجْرونَ مُسرعينَ غاضبين، (وقد شَكُّوا فيه لأنّ بعضهم سمعه وهو يقول: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (سورة الأنبياء: 57))، فلَقِيَهم إبراهيم بثبات، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾: يعني كيف تعبدون أصنامًا تنحتونها بأيديكم؟! ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يعني: وتتركون عبادة ربكم الذي خَلَقكم، وخَلَقَ ما تعبدونَ من أصنامٍ وكواكب؟!، (فلما قامت عليهم الحُجّة لجؤوا إلى القوة)، فـ ﴿قَالُوا﴾ لبعضهم: ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ واملؤوه حطبًا، ثم أشعِلوا النار في الحطب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ الملتهب، ثم قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ ليُهلِكوه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾: أي جعلناهم المقهورين المغلوبين، إذ نَجّى الله إبراهيم مِن كَيدهم، وجَعَل النار بردًا وسلامًا عليه.

- من الآية 99 إلى الآية 113: ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم بعد أن خرج من النار سالماً: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾: يعني إني مهاجرٌ من بلد قومي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي، فإنه ﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي سيَدُلّني على الخير في ديني ودنياي، وقال إبراهيم داعياً ربه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي أعطني ولدًا صالحًا، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾: أي بَشَّرناه بغلامٍ يكونُ حليمًا في كِبَره (وهو إسماعيل عليه السلام) ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يعني: فلمّا كَبِر إسماعيل وأصبح قادرا على العمل مع أبيه: ﴿قَالَ﴾ له أبوه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (ورؤيا الأنبياء حق) ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ يعني: فما رأيك في ذلك؟، فـ ﴿قَالَ﴾ إسماعيل – مُرْضِيًا ربه، بارًّا بوالده، مُعِينًا له على طاعة الله –: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي افعل ما أمَرَك الله به مِن ذبْحي ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على الذبح الذي أمَرَك الله به، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ يعني: فلمّا استسلما لأمر الله وانقادا له، ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ يعني: ووضع إبراهيم جبين ابنه على الأرض ليذبحه، (واعلم أنّ لكُلّ إنسان جبينان: أيمن وأيسر، والجبهة بينهما)، ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ في تلك الحالة العصيبة ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾: أي قد صَدَّقْتَ رؤياك وفعلتَ ما أُمَرَك اللهُ به، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: يعني إنا كما جزيناك على تصديقك (بأنْ نَجّيناك من هذه الشدة)، فكذلك نجزي الذين أحسنوا مِثلك، فنُنَجّيهم من الشدائد في الدنيا والآخرة، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾: يعني إن الأمر بذبح ابنك هو الابتلاء الشاق الذي أظهر صِدق إيمانك، ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾: أي أنقذنا إسماعيل من الذبح، فجعلنا بديلاً عنه كبشًا عظيمًا، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ﴾ يعني أبقينا لإبراهيم ثناءً حَسَنًا في الأمم التي جاءت بعده يَذكرونه به، ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: تحية من الله تعالى، وأمانٌ منه لإبراهيم مِن كل سوء، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: كما جزينا إبراهيم على طاعته وامتثاله لأمرنا، فكذلك نجزي المحسنين على طاعتهم وتقواهم، ﴿إِنَّهُ﴾ أي إبراهيم ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين أعطَوا العبودية حقها ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (جزاءً له على صَبْره، ورضاه بأمْر ربه) ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾: أي أنزلنا عليهما البَرَكة (حتى إنّ معظم الأنبياء كانوا من ذريتهما)، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ يعني: وكانَ مِن ذريتهما مَن هو مطيعٌ لربه، مُحسِنٌ لنفسه، ومنهم مَن هو ظالمٌ لنفسه ظلمًا واضحاً، لأنه يُعَرِّضها لغضب الله وعذابه بكفره ومعصيته.

www.alukah.net

♦ وقد قلنا بأن المقصود مِن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ هو الهجرة، لأن الله تعالى قال في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ (إذ الهجرة هي الانتقال من مكانٍ إلى آخر بنيّة التمكن من عبادة الله وعدم الفتنة في الدين)، كقول النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخاري -: (فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله...) (أي كانت نِيّته وهو مهاجرٌ إلى هذا المكان: هي طاعة الله ورسوله)، واعلم أيضاً أنّ كلمة: (أنْ) التي في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾، تسمى (أنْ) التفسيرية، لأنها تُفَسِّر المقصود من القول، كما قال تعالى لنبيه نوح: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾.

- من الآية 114 إلى الآية 122: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ أي أنعمنا عليهما بالنُبُوّة والرسالة ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (وهو الغرق، وما كانوا فيه من عبودية ومَذلّة) ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ على فرعون وقومه ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ يعني أعطيناهما التوراة البَيّنة الواضحة في أحكامها ومواعظها ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي هديناهما الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام (دين الله الذي بَعَثَ به أنبياءه) ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾: يعني أبقينا لهما ثناءً حَسَنًا وذكرًا جميلاً فيمن جاء بعدهما، ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ أي: تحية من الله تعالى، وأمانٌ منه لموسى وهارون مِن كل سوء، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: كما أعطينا موسى وهارون هذا العطاء (جزاءً له على إحسانهما وطاعتهما) فكذلك نجزي المحسنين المتقين من عطائنا ﴿إِنَّهُمَا﴾ أي موسى وهارون ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي المُصَدّقين المُخلصين، العاملينَ بأوامرنا، المُتّبعينَ لشَرعنا.

- من الآية 123 إلى الآية 132: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الذين أكرمناهم بالنُبُوّة والرسالة) ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: يعني ألاَ تخافون عقاب الله تعالى إن عبدتم معه غيره وعصيتموه؟ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: يعني كيف تعبدون هذا الصنم المُسَمَّى: "بَعْل")، ﴿وَتَذَرُونَ﴾ أي تتركون عبادة ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾، وهو ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ الذي خلقكم ﴿وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾؟! ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي سيُحضرهم الله يوم القيامة للحساب والعقاب ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصوا دينهم لله، فإنهم ناجونَ من عذابه ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: أي جعلنا لإلياس ثناءً جميلاً في الذين جاءوا مِن بعده، ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ أي: تحية من الله تعالى، وأمانٌ منه لإلياس مِن كل سوء ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: كما أعطينا إلياس هذا العطاء (جزاءً له على إحسانه وطاعته)، فكذلك نَجزي المحسنين المتقين من عطائنا، ﴿إِنَّهُ﴾ أي إلياس ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي المُصَدّقين المُخلصين، العاملينَ بأوامرنا، المُتّبعينَ لشَرعنا.

- من الآية 133 إلى الآية 138: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ﴾ أي اذكر أيها الرسول إنعامنا عليه حين نجيناه ﴿وَأَهْلَهُ﴾ المؤمنين به ﴿أَجْمَعِينَ﴾ (من العذاب الذي نزل بقومهم) ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي زوجته، فقد تركناها ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي تركناها مع الباقين في العذاب والهلاك لكُفرها، ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾: أي نَزَلَ بهم أشدُّ أنواع الهلاك والتدمير (وذلك بقلب بلادهم سافلها على عاليها ورَجْمهم بالحجارة) ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ أي تَمُرُّونَ في أسفاركم على ما تبَقّى مِن منازل قوم لوط وقت الصباح، وترون آثار هلاكهم، ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾ يعني: وكذلك تَمُرُّونَ عليها ليلاً، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتخافوا أن يصيبكم مِثل ما أصابهم؟

- من الآية 139 إلى الآية 148: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِذْ أَبَقَ﴾: أي اذكر أيها الرسول ما حدث له لتأخذ منه العبرة والعظة وتصبر على تكذيب قومك لك، فقد خرج يونس من بلده غاضبًا على قومه، لعدم استجابتهم لدعوته، دونَ إذنٍ من ربه ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي ركب السفينة المملوءة بالركاب والأمتعة، ﴿فَسَاهَمَ﴾: أي اشترك في "القُرعة" التي عَمِلها ركاب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السفينة لتخفيف الحمولة خوفاً من الغرق، فوقعتْ القُرعة على يونس (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) أي كان من المغلوبين في القرعة، فأُلقِيَ في البحر (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) أي ابتلعه الحوت، (وَهُوَ مُلِيمٌ) يعني: إنّ يونس قد فَعَلَ ما يُلامُ عليه (لعدم صبره على أوامر ربه)، (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) يعني: فلولا ما تقدَّم له من كثرة العبادة والعمل الصالح (قبل وقوعه في بطن الحوت)، ولولا تسبيحه وهو في بطن الحوت، عندما قال: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، فلولا ذلك التسبيح: (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ): أي لَمَكَثَ يونس في بطن الحوت، وصارَ له قبرًا إلى يوم القيامة، (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ): أي طَرَحناه مِن بطن الحوت، وألقيناه في أرضٍ خالية من الشجر والبناء (وَهُوَ سَقِيمٌ) أي ضعيف البَدَن من حرارة جوف الحوت، (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ): يعني أنبتنا عليه شجرة من القَرْع تُظِلُّه ويَنتفع بها (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ): يعني أرسلناه إلى مائة ألف من قومه الذين كَذَّبوه (أَوْ يَزِيدُونَ) يعني: بل يزيدون على مائة ألف، (فَآمَنُوا) بيونس وعملوا بهَدْيه، (فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ): أي مَتّعناهم بحياتهم إلى وقت انتهاء آجالهم.

- من الآية 149 إلى الآية 157: (فَاسْتَفْتِهِمْ) أي اسأل قومك أيها الرسول: (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ): يعني كيف جعلوا لله البنات (حين قالوا - كذباً وافتراءً -: (الملائكة بنات الله))، وفي نفس الوقت - الذي يَنسبون فيه البنات إلى اللهِ تعالى - يَجعلون لأنفسهم ما يُحبون من البنين ويَكرهون البنات؟! (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) أي اسألهم: (هل خَلَقَ الله الملائكة إناثًا وكنتم حاضرينَ وقتَ خَلْقهم فعرفتم بذلك أنهم إناث؟!) (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ) يعني: إنّهم مِن كذبهم (لَيَقُولُونَ): (وَلَدَ اللَّهُ) أي زَعَموا أنه سبحانه اتّخذ الملائكة بناتٍ له (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) لأنهم يقولون ما لا يعلمون، (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ)؟ يعني: لأيّ شيءٍ يختار الله البنات دون البنين؟ (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) يعني: بئس الحُكم الذي تحكمونه أيها القوم (وهو أن تَنسبوا البنات لله وتَبرّئوا أنفسكم منهنّ) (واعلم أن هذا مِن باب التنازل مع الخَصم لإلزامه بالحُجّة، وإلاّ فإنه سبحانه مُبرّأ عن أن يكون له ولد (ذَكَراً كانَ أو أنثى)، لأنه رَبُّ كل شيء ومَالكُه والغني عنه، فما الحاجةُ إذاً إلى الولد؟!) (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يعني ألاَ تتفكرون لتعلموا أنه لا يصح لله تعالى أن يكون له ولد لغِناه عن جميع خلقه؟! (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ): يعني أم لكم حُجَّة واضحة على كَذبكم وافترائكم؟!، إن كانت لكم حُجّة في كتابٍ من عند الله (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

- الآية 158، والآية 159، والآية 160: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا): أي جَعَلَ المُشركون بين الله والملائكة قَرابةً ونسبًا، (ولَعَلّ الله تعالى أطلق على الملائكة هنا لفظ "الجن" لاستتارهم عن عيون الناس، فهُم لا يُرَونَ كالجن، واللهُ أعلم)، (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) يعني: لقد علمت الملائكة أن المشركين مُحضَرون للعذاب يوم القيامة، (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) أي تنزَّه الله وتبرَّأ من كل ما لا يليق به ممَّا يصفه به الكافرون (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) يعني: لكنّ المخلصين لله تعالى في عبادته لا يصفونه إلا بما يليق بجلاله وكماله وعظمته.

- من الآية 161 إلى الآية 166: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) يعني: فإنكم - أيها المُشركون - وما تعبدونه من دون الله: (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ): يعني ما أنتم بمُضِلِّين أحدًا من الخلق (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ): يعني إلا مَن حَكَمَ الله عليه أن يُحرَق في الجحيم؛ بسبب كُفره وظُلمه.

♦ وقد قالت الملائكة - رداً على المشركين الذين جعلوهم بناتٍ لله تعالى -: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) يعني: ما مِنّا أحدٌ إلا له مقام معلوم في السماء لا يتعداه، (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) أي الواقفونَ صفوفًا في عبادة الله وطاعته، (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) أي المُنزِّهون اللهَ تعالى (الذين يَنفون عنه كل ما لا يليق به).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- من الآية 167 إلى الآية 170: ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ يعني: ولقد كان كفار مكة يقولون - قبل بعثتك أيها الرسول -: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾: يعني لو جاءنا من الكتب والأنبياء ما جاء للأوَّلين قبلنا: ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي المُخلِصينَ له في العبادة، الصادقينَ في الإيمان.

♦ فلمّا جاءهم القرآن العظيم، الذي فيه ذِكر الأولين وعِلم الآخرين، ولمّا جاءهم أفضل الرُسُل (محمد صلى الله عليه وسلم)، الذي يَعرفون نَسَبه وصِدقه: ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ عِناداً وكِبراً ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي سيعلمونَ ما أُعِدَّ لهم من العذاب بسبب كُفرهم.

- الآية 171، والآية 172، والآية 173: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ أي كَتَبْنا في سابق عِلمِنا كَلِمَتَنا التي لا مَردَّ لها ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، وهي: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ أي لهم النُصرة على أعدائهم بالحُجّة والقوة ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾ المجاهدين في سبيلنا (بالقتال وبالحُجّة): ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي سيغلبون أعدائهم في نهاية الأمر.

- من الآية 174 إلى الآية 179: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾: أي أعرِض أيها الرسول عن هؤلاء المُعانِدين، حتى يأتي أمْرُ الله لك بقتالهم، ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: يعني أنظِرهم وارتقب ماذا سيَحِلّ بهم بسبب عنادهم ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: أي سوف يرون ما ينزل بهم من عذاب الله في الدنيا أو الآخرة، ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: يعني أغَرَّ هؤلاء إمهال الله لهم، فاستعجلوا نزول العذاب عليهم من السماء؟! ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يعني: فإذا نزل عذابنا بأرضهم، فبئس الصباح صباحهم، ثم قال تعالى - مؤكداً لرسوله تحقيق وعده له بالنصر -: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ يعني أعرِض عنهم حتى يأذن الله بعذابهم ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ يعني أنظِرهم فسوف يرون ما يَحِلّ بهم.

- الآية 180، والآية 181، والآية 182: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي تنزَّه رب العزة وتَبَرّأ عما يَصِفه به هؤلاء المفترون، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: تحية الله الدائمة، وثناؤه وأمانه لجميع المرسلين، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي الثناء والشكر له سبحانه (في الدنيا والآخرة)، فهو المستحق لذلك وحده لا شريك له.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة ص كاملة

1. الربع الأول من سورة ص

- الآية 1، والآية 2، والآية 3: (ص): سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة.
(وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) (يُقسِم اللهُ تعالى بالقرآن الذي يَذكُرُ الناسُ به ربهم، والمشتمل على تذكيرهم بما هم عنه غافلون) (هذا هو القسم، وأما الشيء الذي يُقسِم اللهُ عليه فهو محذوف بَلاغةً (لأنه يُفهَم من الآية التي بعده)، وتقديره: (ما الأمر كما يَزعم هؤلاء المشركون مِن أن النبي ساحر وشاعر ومجنون) (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ) يعني: ولكنّ الكافرين في تكبُّر عن الانقياد للحق (وَشِقَاقٍ) أي عداوة ومخالَفة للحق، (فلذلك قالوا في الرسول تلك الاتهامات الباطلة، وإلاّ، فهُم يَعلمونَ يَقيناً أنه أبعد الناس عن السحر والشعر والكذب والجنون)، ألم يروا (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) يعني إننا أهلكنا الكثير من الأمم المُكَذِبة قبل هؤلاء المشركين (فَنَادَوْا): أي استغاثوا حين جاءهم العذاب، ونادوا بالتوبة (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) يعني: وليس وقت مَفَرّ (يعني ليس الوقت وقت فرار مما أصابهم، وليس الوقت وقت توبة)، (ألاَ فليَحذر كفار قريش أن يصيبهم ما أصاب المُكَذِبين قبلهم).
- الآية 4، والآية 5: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ): أي تَعَجَّبَ كفار مكة مِن أنّ الله قد بَعَثَ إليهم بَشَراً منهم (وهو محمد صلى الله عليه وسلم) الذي يعرفون صِدقه ونَسَبه؛ ليدعوهم إلى توحيد الله وطاعته، ويُخوِّفهم مِن عذابه إن أشركوا به وعصوه، (وَقَالَ الْكَافِرُونَ) عِناداً واستكباراً: (هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا): يعني كيف يَزعم أنّ الآلهة الكثيرة صارت إلهًا واحدًا؟ (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) يعني إنّ الذي جاء به لَشيئٌ شديد العجب.
- الآية 6، والآية 7، والآية 8: (وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آَلِهَتِكُمْ) أي انطلق رؤساء القوم يُحَرِّضون قومهم على الاستمرار على الشرك، وأن يَصبروا على تَعَدُّد الآلهة، ويقولون لهم: (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) يعني إنّ ما جاء به محمد شيءٌ مُدبَّر، يَقصد منه الرئاسة والسيادة عليكم، و(مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآَخِرَةِ): أي ما سمعنا بما يدعو إليه في دين آبائنا من قريش، (وعلى هذا يكون المقصود بالمِلّة الآخِرة: أي المُدّة الزمنية الأخيرة القريبة منهم، وهي آخِر عَهْدهم بدين آبائهم)، وقال كفار قريش: (إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) يعني: ما هذا إلا كَذِبٌ وافتراء، (أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا) يعني هل اختصه الله بإنزال القرآن مِن بيننا، وهو ليس بأكبرنا سِنّا ولا بأشرفنا نسباً؟!، قال تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) (وهو القرآن) رغم وضوحه وقوة حُجَّته وبيانه، (بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ): يعني بل إنهم لم يذوقوا عذابي بعد، إذ لو ذاقوه: ما تجرؤوا على ما قالوه، (ويُحتمَل أن يكون المقصود: بل عندما يذوقونَ عذابي، سيعلمون أنه حق).
- الآية 9: (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ): يعني أم هم يَملكون خزائن فضل ربك (الْعَزِيزِ) في سُلطانه ومُلكه، (الْوَهَّابِ) الذي يَهَب ما يشاءُ مِن فضله لمن يشاءُ مِن خلقه؟!، والجواب: (إنهم لا يملكون شيئاً من ذلك)، إذاً فكيف يَعترضون على إعطاء اللهِ النُبُوّةَ لمحمد صلى الله عليه وسلم واختياره مِن بينهم؟! أليس الله بأعلم بمن يستحق ذلك الفضل مِن خلقه؟!
- من الآية 10 إلى الآية 14: (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) فيُعطوا ويَمنعوا كما يشاءون؟!، إنْ كانَ لهم شيئٌ من المُلك – على سبيل الفرض – (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) أي: فلْيأخذوا بالأسباب الموصلة لهم إلى السماء، ثم ليأتوا بالوحي فيَخُصُّوا به مَن شاءوا، أو يَمنعوا نزوله على نبيّنا محمد!

www.alukah.net

♦ ثم وَعَدَ الله رسوله بالنصر عليهم (تصبيراً له على تكذيبهم وعِنادهم)، فقال: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: يعني هؤلاء الجُند المحاربونَ للحق هم جندٌ مهزومون، وسيَصيرون مِن جملة الأحزاب الذين هُزِموا قبلهم، فقد ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ﴿وَعَادٌ﴾ (وهم قوم هود)، ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ أي صاحب القوة العظيمة، (وقيل إنه كان له أربعة أوتاد يَربط فيها مَن أراد تعذيبه)، ﴿وَثَمُودُ﴾ (وهم قوم صالح)، ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾، ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ (وهم قوم شعيب) (والأيْكة هي المدينةِ ذات الأشجار والبساتين)، ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾: يعني هذه الأمم هي التي تحزَّبتْ - أي اجتمعت - على الكفر والتكذيب، ﴿إِنْ كُلٌّ﴾ يعني: ما من أحدٍ مِن هذه الأمم ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: أي كَذَّبَ رسوله الذي جاءه ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾: أي فاستحقوا بذلك عقابي، ونزَلَ بهم عذابي.

- الآية 15: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: يعني ما يَنتظر هؤلاء المشركون - إنْ بَقوا على شِركهم ولم يتوبوا - إلا نفخةً واحدة ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾: يعني ما لها مِن رجوع، (وقد تابَ كثيرٌ منهم والحمدُ لله).

- الآية 16: ﴿وَقَالُوا﴾ أي قال مُشركو مكة: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾: يعني عَجِّل لنا نصيبنا من العذاب في الدنيا قبل يوم القيامة، (وهم لا يؤمنون بيوم القيامة أصلاً، وإنما قالوا هذا استهزاءً وتكذيباً).

- الآية 17: ﴿اصْبِرْ﴾ - أيها الرسول - ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ من الكفر والاستهزاء، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي صاحب الشدة على أعداء الله، والصبر والقوة في طاعة الله (فقد كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويُفطِرُ يوماً) (والحديث في الصحيحين)، فاذكره أيها الرسول عند تكذيب قومك لك، لتقتدي به في صَبْره وقوّته في الحق، ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: أي كثير الرجوع إلى الله تعالى، فيُكثِرُ التوبةَ مِن التقصير، ويُحاسب نفسه على كل ما يَصدر منها.

- الآية 18، والآية 19، والآية 20: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ أي تُردّد تسبيحه إذا سبَّحَ اللهَ تعالى ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ يعني آخر النهار وأوّله، ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: أي جَعَلنا الطير مجموعةً إليه، تُسَبِّح معه على شكل جماعات، ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾: أي كُلٌّ من الجبال والطير وداوود طائعٌ لله تعالى، راجعٌ إليه بتسبيحه وذِكْره، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ أي قوّينا مُلك داوود بإعطائه كل أسباب القوة المادية والإيمانية ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ وهي النُبوّة والسَداد في الأقوال والأفعال ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾: يعني أعطيناه الفصل في خُصومات الناس (أي الحُكم بين الناس في خصوماتهم بكلامه الفاصل بين نِزاعاتهم بالعدل، وهو المعروف بفِقه القضاء).

- الآية 21، والآية 22، والآية 23: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ يعني: وهل جاءك أيها الرسول خبر المُتخاصِمَين ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ أي حينَ تسلّقوا سور المحراب (وهو المكان الذي يصلي فيه داوود) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ﴾ في مكان عبادته، ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾، فـ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ فنحنُ ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ أي ظَلَمَ أحدنا الآخر ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: أي لا تَظلمنا في الحُكم ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: يعني أرشِدنا إلى طريق الاستقامة، ثم قال له أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ (والنَعجة هي أنثى الضأن)، ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (فطَمِعَ فيها أخي) ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ يعني أعطِني إياها، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾: أي غَلَبني في الكلام والجدال فأخَذها مني.

- الآية 24: ﴿قَالَ﴾ له داوود - دونَ أن يستمع إلى حُجّة الآخر -: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾: يعني لقد ظلمك أخوك عندما طلب منك ضَمّ نعجتك الواحدة إلى نعاجه الكثيرة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾ أي الشركاء ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي يَعتدي بعضهم على بعضٍ بالظلم وأخْذ الحقوق ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فلا يَظلم بعضهم بعضاً،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ يعني: وهم قليلون، (وهنا طارَ الخَصمان من بين يدي داوود صاعدينَ إلى السماء، فعندئذٍ عَلِمَ أن الله تعالى قد اختبره، وأنّ هذين الخَصمين كانا مَلَكين)، قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ يعني أيْقَنَ داوود أننا اختبرناه بهذه الخُصومة ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ (لأنه لم يستمع إلى الطرفين، بل حَكَمَ بمجرد الاستماع إلى أحدهما) ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾: أي سَجَدَ خاضعاً لله تعالى، ﴿وَأَنَابَ﴾ أي رجع إليه تائباً من ذنبه.

– الآية 25، والآية 26: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ أي ذلك الخطأ الذي وقع فيه، ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ أي منزلة عالية ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ يعني: وأعددنا له حُسن المصير في الآخرة (وهي الدرجات العالية في الجنة)، وقلنا له: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أي استخلفناك في الأرض وجعلناك حَكَماً بين الخلق ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أي بالعدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ (وهو ما تميل إليه النفس أو تشتهيه أو تتعاطف معه)، فلا تَتّبع شيئاً من ذلك أثناء الحُكم ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي حتى لا يُضلك الهوى عن دين الله وشَرْعِه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في النار ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾: أي بسبب غفلتهم عن يوم الحساب، الذي سيَسألهم الله فيه عن حُكْمهم بين الناس، (وفي هذا توصية لوُلاة الأمر والقُضاة أن يَحكموا بالحق المُنَزّل من عند الله تعالى، ولا يميلوا عنه، حتى لا يَضِلّوا عن سبيل الله).

****

2. الربع الثاني من سورة ص

– الآية 27: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ أي ما خَلَقنا ذلك عَبَثًا ولا لهوًا ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (بسبب ظَنّهم الباطل، وكُفرهم بقدرة ربهم على إحياءهم بعد موتهم، رغم أنهم يعلمون أن السماوات والأرض أعظم مِن خَلْقهم).

– الآية 28، والآية 29: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالشِرك والمعاصي؟! ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ الخارجين عن طاعة الله؟! (هذا لا يليق أبداً بحِكمة الله تعالى وحُكْمه، فهذان الصنفان لا يستويان عند الله، بل يُنَعِّم سبحانه المؤمنين الأتقياء، ويُعَذِّب المُفسدين الأشقياء، وهذه إحدى الحِكَم مِن خَلْق السماوات والأرض: أنْ يُطاع سبحانه فيهما فلا يُعصَى، وأن يُشكر فيهما فلا يُكفَر، ثم يُجازي كُلاً في الآخرة بما يستحق).

♦ ولَمّا كانَ لابد لهم مِن كتاب سماوي يوضح لهم العمل الصالح وثوابه، والعمل الفاسد وعقابه، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ يعني: هذا القرآن الكريم هو كتابٌ مبارك (أي كثير الخير والنفع، فبَرَكته لا تفارق مَن يقرؤه ويتدبره ويَعمل به)، وقد أنزلناه إليك أيها الرسول ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾: أي ليتفكروا في آياته وأدلته، ويعملوا بأوامره ويجتنبوا نَوَاهيه ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يعني: وليَتذكر به أصحاب العقول السليمة ما يَنفعهم فيفعلوه، وما يَضُرّهم فيجتنبوه.

– الآية 30: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ﴾، فكانَ سليمانُ ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي كانَ يَرجع إلى الله تعالى في كل أموره، (واعلم أنّ الأوّاب: هو الذي كلما أذنبَ تاب، وكلما ذكَرَ ذنبه استغفر، وقد قال سبحانه عن نفسه: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ أي غفوراً للتائبين إليه بصِدق، الراجعينَ إليه في كل وقت).

– الآية 31، والآية 32، والآية 33: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾: أي اذكر أيها الرسول حين عُرِضَ على سليمان وقت العصر: ﴿الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ أي الخيول الجيدة السريعة (والصافنات هي الخيول القوية، التي تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة؛ لخِفَّتها)، فما زالت تُعرَض عليه حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر، ﴿فَقَالَ﴾ سليمان مُعترفاً بخطئه: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ

www.alukah.net

الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي): يعني إنني فضَّلتُ حب الخيل عن الصلاة (حَتَّى تَوَارَتْ) أي حتى غابت الشمس عن عيني (بِالْحِجَابِ) (وهو الأفق الذي يَحجبها عن أعين الناظرين)، ثم قال لجنوده: (رُدُّوهَا عَلَيَّ): أي رُدُّوا عليَّ الخيل التي عُرِضَتْ مِن قبل (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ): يعني أخذ يَقطع أرجلها وأعناقها ويُطعِمها للفقراء تكفيراً عن ذنبه، (فهذه أحد مظاهر رجوع سليمان إلى ربه، وسرعة توبته إليه بعد ذنبه، فهو كما وَصَفه ربه: (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)).

- من الآية 34 إلى الآية 40: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) أي ابتليناه واختبرناه (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) أي مولوداً له (مَيِّتاً مُشَوَّه الخِلقة)، فجاءوا به ووضعوه على كرسي سليمان (وهذا المولود قد وُلِد له حين أقسم أنه سيطوف على نسائه، حتى تأتي كل واحدةٍ منهنّ بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: (إن شاء الله)، فطافَ عليهنّ جميعًا، فلم تَحمل منهنّ إلا امرأة واحدة ولدتْ له نصف ولد) (وهذا مُختصَر لحديث مذكور في الصحيحين).

(ثُمَّ أَنَابَ): أي رجَعَ سليمان إلى ربه تائباً (لأنه لم يُقَدِّم مشيئة الله تعالى أثناء كلامه)، فـ (قَالَ): (رَبِّ اغْفِرْ لِي) (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي): يعني أعطِني مُلكًا عظيمًا خاصًا بي (لا يكونُ مِثله لأحدٍ بعدي من البشر) (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ): يعني إنك سبحانك كثير الكرم والعطاء، (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ) أي ذلَّلناها له، فكانت (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) أي طائعةً (رغم قوّتها وشدتها)، وتتوجه به (حَيْثُ أَصَابَ): يعني حيث أرادَ التوجه (فكانت تحمله بجيوشه وأسلحته إلى حيث يشاء)، (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) يعني: وسَخَّرنا له الشياطين ليَستخدمهم فيما يَعْجز عنه غيرهم: فكانَ منهم البناؤون، ومنهم الغوَّاصون في أعماق البحار لاستخراج اللآلئ، (وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) أي مُقيَّدين بالقيود (وهم الشياطين الذين تمردوا على أمرٍ من أوامره).

♦ وقلنا له: (هَذَا عَطَاؤُنَا) يعني هذا المُلك العظيم والتسخير الخاص هو عطاؤنا لك يا سليمان، (فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ): يعني أعطِ مَا شئتَ مِن مُلْكك لمَن شئتَ، وامنعه عمَّن شئتَ، فلا حساب عليك، (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى) أي منزلة عالية (وَحُسْنَ مَآبٍ) يعني: وأعددنا له حُسن المصير في الآخرة (وهي الدرجات العالية في الجنة).

- الآية 41، والآية 42: (وَاذْكُرْ) أيها الرسول خبَرَ (عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ) أي حينَ دَعا ربه (أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ): يعني إنّ الشيطان قد تسبَّبَ لي بتعب ومَشقة، وألم شديد في جسدي، وتسَبَّب في فقد مالي وأهلي، (وقد نَسَبَ ذلك للشيطان لكونه سببا في حدوثه، وتأدُّباً مع الله تعالى، كما قال إبراهيم عليه السلام: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)، ولم يقل: (وإذا أمْرَضَني) رغم أنه يَعلم أنّ النفع والضُرّ بيد الله تعالى وحده)، وكَوْنُ الشيطان سببٌ في ذلك الضر إنما هو بقدَر الله تعالى وإذنه، فقال الله لأيوب: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) أي اضرب الأرض برجلك، فخَرَجَ منها ماءٌ بارد، فقال الله له: (هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) (فاغتسِلْ منه واشرب: يَذهب عنك الضُرّ والأذى).

- الآية 43: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أي: رَزَقناه أولاداً بعدد ما فَقَد (وزِدناه ضِعفهم بنينَ وأحفاداً)، وكذلك أعطيناه مالاً كثيراً، (فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل عليه جَرَاداً مِن ذهب) (انظر صحيح الجامع حديث رقم: 2863).

♦ وقد فَعَلْنا ذلك (رَحْمَةً مِنَّا) بأيوب، وإكرامًا له بسبب صبره على البلاء، (وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يعني: وليكون قدوة وعِبرة لأصحاب العقول السليمة إذا أصابهم البلاء، فيَصبروا مِثله، ويَحتسبوا الأجر عند ربهم، فيكشف عنهم ضُرَّهم، ويَجزيهم بأحسن الجزاء في جنات النعيم، قال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 44: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) يعني: وقلنا له: (خذ بيدك حُزمة يابسة مِن حشائش الأرض) (فَاضْرِبْ بِهِ): أي اضرب بهذه الحُزمة زوجك ضربةً واحدةً إبرارًا بقَسَمك، (وَلَا تَحْنَثْ) أي لا تُخرج كفارة لهذا القسم (لأنه أقسم أثناء مرضه أنْ يضربها مائة جلدة إذا شفاه الله، لأنه غضب عليها مِن أمْرٍ يسير حصل منها، وكانت امرأة صالحة، فرحمها الله ورحمه بهذه الفتوى)، (وقد ذَكَر بعض المفسرين أنّ هذه الحُزمة كان فيها مائة عود، فكانت بمثابة المائة ضربة، عِلماً بأنّ هذه فتوى خاصة من رب العالمين لعبده أيوب عليه السلام)، (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا) على البلاء، (نِعْمَ الْعَبْدُ) أيوب (إِنَّهُ أَوَّابٌ): أي رَجَّاع إلى ربه، في دعائه وفي كل أمْره، لا يعرف إلا الله.

- الآية 45، والآية 46، والآية 47: (وَاذْكُرْ) أيها الرسول في القرآن (عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) (أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ): يعني إنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ): أي اختصهم الله بخصوصيةٍ عظيمة، وهي: (ذِكْرَى الدَّارِ) أي جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بجد واجتهاد (بما شرعناه لهم من الطاعات)، ودعوا الناس إليها وذكَّروهم بها، (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ) أي المختارين للرسالة، (الْأَخْيَارِ) (وهُم المُكثرون مِن فِعل الخير) (والأخيار جمع خَيّر).

- الآية 48: (وَاذْكُرْ) أيها الرسول في القرآن (إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ) (وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ): يعني إنّ كُلاً منهم من الأخيار (وهم المُكثرون مِن فِعل الخير، الذين اختارهم الله لطاعته ونُبُوّته، واختار لهم أكمل الصفات).

****

3. الربع الأخير من سورة ص

- من الآية 49 إلى الآية 54: (هَذَا ذِكْرٌ) يعني: هذا القرآن ذِكْرٌ يُذكَر به الله تعالى، وهو شَرَفٌ لك أيها الرسول ولمَن اتَّبعك، (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) الذين يعملون بهذا القرآن (لَحُسْنَ مَآَبٍ) أي لَهم حُسن مصير عندنا في الآخرة، وهي (جَنَّاتِ عَدْنٍ) أي جنات الخلود (مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ): يعني أبوابها تكونُ مفتَّحةً لهم ليدخلوا منها، ثم يجلسون (مُتَّكِئِينَ فِيهَا) على السُرُر المُزَيَّنة (والسُرُر جمع سرير)، (يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) أي يطلبون فيها ما يشتهون من أنواع الفواكه اللذيذة والشراب، (ولَعَلّ الله تعالى قد ذَكَرَ الفاكهة دونَ سائر الطعام للإشارة إلى أن طعامهم وشرابهم لمجرد التلذذ - كما يُتَلَذَّذ بالفاكهة - لا لطرد الجوع كما في الدنيا، وإلاّ، فإن الله تعالى قد قال في سورة الطور: (وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ)، وقال في سورة الواقعة: (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ)، (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) أي عندهم في مجالسهم نساءٌ لا تنظر إحداهنّ إلى غير زوجها، ولا يَنظر زوجها إلى غيرها (مِن شدة حُسنها وجمالها)، وهُنّ (أَتْرَابٌ) أي متساويات في السن، (إذ سِنّ أهل الجنة هو ثلاث وثلاثون سَنَة)، (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ) يعني هذا النعيم هو ما توعدون به أيها المتقون يوم القيامة، (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا) لكم، (مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) أي ليس له فناء ولا انقطاع.

- من الآية 55 إلى الآية 61: (هَذَا) يعني هذا الذي سَبَقَ وَصفه للمتقين، (وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ) الذين تجاوزوا الحدَّ في الكفر والمعاصي (لَشَرَّ مَآَبٍ): أي لهم شر مَرجع ومصير، وهي (جَهَنَّمَ) التي (يَصْلَوْنَهَا): أي يُعذَّبون فيها، فتغمرهم من جميع جوانبهم، (فَبِئْسَ الْمِهَادُ): أي بئس الفراش فراشهم (لأنه مصنوع من نار)، (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ): يعني هذا حميمٌ وغَسَّاقٌ فليَذوقوه (إذ في الكلام تقديمٌ وتأخير) (والحميم هو الماء شديد الحرارة ، والغَسّاق هو الصديد الذي يسيل من

www.alukah.net

أجساد أهل النار)، ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ﴾ يعني: ولهم عذابٌ آخر يُشبه الحميم والغَسّاق ﴿أَزْوَاجٌ﴾ يعني أصناف عديدة من العذاب.

♦ ثم أخبَرَ سبحانه أن رؤساء الضلال يدخلون النار قبل غيرهم، ثم تقول لهم ملائكة النار - عندما يرون أتْباعهم داخلينَ بعدهم -: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾: يعني هذه جماعة من أهل النار داخلة معكم (وهم أتْباعكم في الضلال)، فيجيبون الملائكة قائلين: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي لا سعة عليهم، ولا راحة لهم هنا ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ يعني إنهم سيُعانون من حرَّ النار كما عانيناه، فـ ﴿قَالُوا﴾ أي قال فوج الأتْباع لرؤسائهم: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾، فـ ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾: يعني إنكم الذين قدَّمتم لنا هذا السَكَن في النار (إذ كنتم تأمروننا بالشرك والفجور)، قال تعالى: ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ يعني: فبئس المُستقَرّ الذي انتهى إليه الطاغون وأتباعهم في النار، و﴿قَالُوا﴾ أي قال فوج الأتْباع داعينَ ربهم: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ يعني: مَن كان سببا في عذابنا هذا (بإضلاله لنا في الدنيا): ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ أي ضاعِف عذابه في النار.

- الآية 62، والآية 63، والآية 64: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى﴾ في النار ﴿رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ﴾ أي كنا نعتبرهم في الدنيا ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾؟ (يقصدون بذلك: المسلمين الذين كانوا يَتّهمونهم بالتُهَم الباطلة، ويلصقون بهم كل شؤم وشر وفساد)، ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾: يعني هل استهزأنا بهم واتّهامنا لهم كان خطأً؟ ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾: يعني أم أنهم معنا في النار، لكنّ أبصارنا ضَلّتْ عنهم فلم تقع عليهم؟، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾: يعني إنّ جدال أهل النار وتخاصمهم حَقٌّ واقع لا شك فيه.

- الآية 65، والآية 66: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول - مُخَوّفاً لقومك من هذا العذاب: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ لكم من عذاب الله إن أشركتم به وعصيتموه، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾: يعني ليس هناك إله يَستحق العبادة إلا الله وحده، فهو سبحانه ﴿الْوَاحِدُ﴾ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو ﴿الْقَهَّارُ﴾ الذي قَهَرَ كل شيء وغلَبه، وهو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي مالك السماوات والأرض ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، وهو ﴿الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن أشرك به، ﴿الْغَفَّارُ﴾ لذنوب مَن تاب إليه ورجع إلى ما يُرضيه.

- من الآية 67 إلى الآية 70: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾: يعني إن هذا القرآن - وما يحتوي عليه من تقرير التوحيد والنُبوّة والبعث وعَرْض القصص والأحداث ووَصْف الجنة والنار - لَهُوَ خبرٌ عظيم الشأن ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ (لا تتفكرون في أدلته ولا تلتفتون إلى مواعظه، ولا ترغبون في سماعه وتدبُّر مَعانيه)، وذلك بسبب ادّعاؤكم الباطل بأنني افتريته، وكيف ذلك، و﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: يعني لم يكن لي عِلم باختصام ملائكة السماء في شأن خلق آدم، عندما قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فما كانَ لي مِن عِلمٍ بذلك لولا تعليم الله لي، ووحيه إليَّ به، ﴿إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يعني: ما يُوحِي اللهُ إليَّ مِن عِلمٍ إلا لأني نذيرٌ لكم من عذابه، مُبَيِّنٌ لكم الحق من الباطل، (فلم يُوحَ إليّ الأمر حتى أكون رئيساً عليكم أو غير ذلك، وإنما أوحِيَ إليّ لتقرير حقيقة واحدة، وهي أني نذيرٌ لكم ولغيركم من عذاب الله المُعَدّ لمن أشرك به في عبادته، وخرج عن طاعته).

- الآية 71، والآية 72: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي اذكر أيها الرسول لهؤلاء المشركين - الذين أطاعوا عَدوّهم وعَدوّ أبيهم، وعصوا ربهم مِن أجْله - اذكر لهم حين قال ربك للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أي أكْمَلتُ صورته

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فأصبح حَيّاً: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ أي فخِرُّوا له ساجدين (سجود تحية وتكريم، وليس سجود عبادة وتعظيم، لأن العبادة لا تكون إلا لله وحده)، (وقد حَرَّم الله في شريعة الإسلام سجود التحية: سداً لباب الشِّرك).

- الآية 73، والآية 74: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ كما أمَرهم ربهم، فلم يَمتنع منهم أحد ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الذي كان معهم (يَعبد اللهَ تعالى)، فإنه ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ أي تكبّر عن السجود، حَسَدًا لآدم على هذا التكريم العظيم ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: فصارَ إبليس بذلك من الجاحدينَ باللهِ تعالى، العاصينَ لأمره.

- الآية 75: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى - مُنكِرًا على إبليس تَرْكَ السجود -: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: يعني ما الذي مَنَعَك من السجود لمَن أكرمتُه فخلقتُه بيديَّ؟ ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ على آدم، ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي المُتكبرين على ربك؟، (وفي الآية إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى، على الوجه اللائق به سبحانه، وأنّ له يَدَيْن ليست مِثل أيْدي المخلوقين، لأنه تعالى ليس كمِثله شيء).

- الآية 76: ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ فقد ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (فرأى أن النار أشرف من الطين، وفَضَّلَ ما يراه عقله على الانقياد لأمر ربه).

- الآية 77، والآية 78: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى له: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي اخرج من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي مَطرودٌ من كل خير، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ أي البُعد مِن رحمتي ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: يعني إلى يوم الجزاء، كما قال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي جزاءهم الحق.

- الآية 79، والآية 80، والآية 81: ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي أخِّرني في الدنيا إلى اليوم الذي تَبْعَث فيه عبادك (وهو يوم القيامة)، فـ ﴿قَالَ﴾ اللهُ له: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ أي فإنك مِمَّن أخَّرْتُ هَلاكهم ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وهو اليوم الذي يموت فيه جميع الخَلق بعد النفخة الأولى - لا إلى يوم البعث، (وقد أجابَ اللهُ طلبه اختباراً لعباده).

- الآية 82، والآية 83: ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ - يا رب - وعظمتك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي سوف أُضِلُّ ذرية آدم جميعاً عن طريق الهُدى (انتقامًا لنفسي مِن آدم) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ﴾ أي مِن بني آدم، ثم خَصَّهم بقوله: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾: يعني إلا عبادك الذين أخلصوا لك العبادة، فخَلَّصتهم من السُوء والفَحشاء، فهؤلاء لن أستطيع إضلالهم.

- الآية 84، والآية 85: ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لإبليس: ﴿فَالْحَقُّ﴾ يعني: فأنا الحقُّ (أو: فالحَقُّ قولي)، ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ يعني: ولا أقول إلا الحق: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ (والمقصود إبليس وذريته) ﴿وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي من بني آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

- الآية 86، والآية 87، والآية 88: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لمُشركي قومك: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعني: إنني لا أطلب منكم أجرًا على تبليغ رسالة ربي (حتى لا يكون ذلك مانعاً لكم عن اتّباعي)، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾: يعني لا أتكلف كذباً على ربي، فأقول ما لم يَقُله، وما أنذركم به من عند نفسي ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: يعني ما هذا القرآن إلا تذكيرٌ للجن والإنس (إذ يَتذكرون به ما ينفعهم في دِينهم ودُنياهم)، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾: أي سوف تعلمون خبر هذا القرآن وصِدقه، حين ينتصر الإسلام، ويدخل الناس فيه أفواجًا، وحين يقع عليكم العذاب، وتنقطع عنكم الأسباب.

****

www.alukah.net

تفسير سورة الزمر كاملة

1. الربع الأول من سورة الزمر

- الآية 1: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ إنما هو ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿الْحَكِيمِ﴾ في أفعاله وأحكامه.

- الآية 2: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (وهو القرآن المُشتمل على الحق الواضح، والأحكام العادلة) ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أي اعبد الله وحده، وأخلِص له جميع عبادتك.

- الآية 3: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾: يعني إنّ الله لا يَقبل من العبادات إلا ما كان خالصاً لوجهه، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أي اتّخذوا آلهةً باطلة، عَبَدوها مِن دون الله تعالى، فهؤلاء قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ يعني ما نعبد تلك الآلهة إلا لتشفع لنا عند الله، وتقرِّبنا عنده مَنزلة.

♦ وقد كفروا بذلك القول؛ لأن العبادة لله وحده، وهو سبحانه لا يَحتاجُ إلى واسطةٍ بينه وبين خلقه في العبادة (لأنه ليس كَمُلوك الدنيا الذين يَحتاجون إلى واسِطةٍ لقضاء مصالح الناس)، وما أنزل الله تعالى مِن حُجَّةٍ بشأن هذه الأصنام تدل على أنها تستحق العبادة، أو أنها تقرِّبهم إليه كما يزعمون، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين المؤمنين الذين أخلصوا عبادتهم لله وحده وبين المُشركين الذين أشركوا معه غيره، فيَقضي بيهم سبحانه يوم القيامة ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمْر الدين، ويجازي كُلاً بما يَستحق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي لا يوفق للهداية مَن يفترون عليه الكذب، فيزعمون أنّ له سبحانه شريكًا أو ولدًا يشفعون لهم عنده، ويكفرون بآياته وحُجَجه.

- الآية 4، والآية 5: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: لَاختارَ من مخلوقاته ما يشاء، ﴿سُبْحَانَهُ﴾: أي تنزَّه الله وتَبرّأ عن أن يكون له ولد (لِغِناهُ عن ذلك وعدم حاجته إلى ما يَحتاجه البشر)، فـ ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ﴿الْقَهَّارُ﴾ الذي قَهَرَ كل شيء وغلَبَه، وخضعتْ جميع المخلوقات لتدبيره وأمْره.

♦ ثم وَضّحَ سبحانه لعبادة بعض البراهين على استحقاقه وحده للعبادة، فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: أي خَلَقهم سبحانه لِيُذكَرَ فيهما ويُشكر، وليَستدِل بهما العباد على عَظَمة خالقهم، وأنه الخالق القادر المستحق وحده للعبادة، وعلى قدرته سبحانه على إحياء الموتى (لأنّ ذلك أهْوَنُ عليه مِن خَلْق السماوات والأرض)، ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ أي يُدخِل سبحانهُ الليلَ على النهار، فيُلبِسهُ إيَّاهُ حتى يُذهِب نُوره، ويُدخِل النهار على الليل فيَستره به حتى يُذهِب ظلامه (فكأنه سبحانه لَفَّهُ عليه وغطّاه به، إذ حقيقة التكوير: اللَّفّ والتغطية)، ولا يستطيع أحد أن يفعل ذلك إلا الله وحده. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي ذَلَّلهما لمنافع العباد، ﴿كُلٌّ﴾ مِن الشمس والقمر ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي يَدورُ في مَداره الخاص به إلى يوم القيامة، ﴿أَلَا﴾ إنّ الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم على خلقه بهذه النعم ﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد في كونه، القادر على الانتقام مِمَّن أشرك به وعصاه، ومع ذلك فإنه سبحانه ﴿الْغَفَّارُ﴾ لكل مَن تاب إليه وطلب رضاه، (ولو عرف العُصاة والمُشركون هذا، ما أصَرُّوا على ضَلالهم، ولَسارَعوا بالتوبة إلى ربهم، ليَغفر لهم ذنوبهم).

- الآية 6: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ربكم - أيها الناس - ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهي نفس آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي خلق حواء عليها السلام مِن ضلع آدم ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أي خلق من الأنعام ثمانية أنواع لمنافعكم (وهي الإبل والبقر والضأن والماعز) (وجَعَلَ من كل نوع منهم ذكرا وأنثى، فبهذا صاروا ثمانية أنواع) (ولعل المقصود مِن قوله تعالى:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ) أنه سبحانه أنزل أصل هذه الأنعام من السماء ثم تكاثرت، كما أنزل آدم وحواء من السماء، والله أعلم).

♦ وقوله تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) (أي مرحلة بعد أخرى: ابتداءً بالنطفة ثم العَلَقة ثم المُضغة ثم العظام ثم اللحم ثم الروح)، وذلك (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) (وهي ظلمات البطن والرحم والمَشيمة)، وهذا بُرهان رابع على استحقاق الله وحده للعبادة، (ذَلِكُمُ) أي الذي خلق هذه الأشياء، هو (اللَّهُ رَبُّكُمْ) الذي (لَهُ الْمُلْكُ) كله، فلذلك (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ): أي لا يستحق العبادة إلا هو (فهو الذي خَلَقكم ورَزَقكم وسَخّر لكم مِن مُلكه ما ينفعكم) (فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) يعني فكيف تُصرَفون بعد ذلك عن عبادته إلى عبادة خَلقه؟!

– الآية 7: (إِنْ تَكْفُرُوا) بتوحيد ربكم – بعد هذه الأدِلّة –: (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ) أي لا يحتاج إليكم ولا إلى عبادتكم، وأنتم الفقراء إليه، (وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) ولا يأمرهم به، (وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ): أي يَرضى لكم شُكر نعمه عليكم (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى): أي لا تؤاخَذ نفسٌ شاكرة بذنب نفسٍ كافرة، ولا تَحمل نفسٌ إثمَ نفسٍ أخرى، إلا إذا كانت سبباً في إضلالها (ولم تَتُب عن ذلك الإضلال)، (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ويحاسبكم على جميع أعمالكم، (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أي عليمٌ بكل ما تُخفيهِ صدورهم من النيّات والخواطر.

– الآية 8، والآية 9: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ) أي شدة وبلاء: (دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ) أي استغاث بربه راجعاً إليه وحده بالدعاء والتوبة، ليكشف عنهم ضره، (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ) أي أعطاهُ سبحانه (نِعْمَةً مِنْهُ) (وهي كشف الضرَّ عنه): (نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ): أي استمرَّ على ما كانَ عليه من الغفلة والجحود قبل أن يُصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الشدة والبلاء، وترَكَ الشكر لربه الذي فرّج عنه كربه، كأنه لم يكن هو ذاك الذي دَعا بكَشْف ضُرّه، (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا): أي جَعَلَ له شُركاءَ فعبدهم معه، وأشرك بربه المُنْعِم عليه بالنجاة، (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) أي: لتكون عاقبته أن يُضِلّ نفسه ويُضِلّ غيره عن دين الله فيَستحق العذاب، (قُلْ) له أيها الرسول – متوعدًا –: (تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ) وشهواتك الرخيصة (قَلِيلًا) حتى ينتهي أجلك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) أي مِن أهلها الخالدين فيها.

♦ أهذا الجاحد خيرٌ (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ) يعني أم مَن هو عابدٌ لربه طائعٌ له، يقضي ساعات الليل (سَاجِدًا وَقَائِمًا) في صلاة الليل (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ): أي يخاف عذاب الآخرة (وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) بمغفرة ذنوبه ودخول جنته؟، (قُلْ) أيها الرسول: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ) أي يعلمون أمْرَ دينهم، ويعلمون ما يُرضي ربهم فيفعلوه، وما يُغضبه فيجتنبوه، فهل يتساوى هؤلاء (وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أي لا يعلمون شيئًا من ذلك؟! لا يستوون أبداً (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) أي أصحاب العقول السليمة، فهؤلاء هم الذين يتعظون بما يسمعون من الآيات والإرشادات الربانية، ويعرفون الفرق بين العلم والجهل والهدى والضلال (وفي الآية حَثٌّ على طلب العلم وأهميته).

– الآية 10: (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أي احذروا عذابه (وذلك بطاعته واجتناب معصيته)، فإنّ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا) – أي أحسَنوا عبادة ربهم ومُراقبتهم له – أولئك لهم (حَسَنَةٌ) أي حَسَنة في الدنيا (كالصحة والرزق والنصر وغير ذلك)، وحَسَنة في الآخرة (وهي الجنة)، (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) فهاجِروا فيها إلى حيث تعبدون ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم، ثم شَجَّعهم سبحانه على الهجرة بقوله: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ) (وهُم الصابرون على فِعل الطاعات، والصابرون على

www.alukah.net

اجتناب المعاصي، والصابرون على ما يُصيبهم من البلاء، ومِن ذلك: صَبْرهم على الهجرة والاغتراب مِن أجل ربهم)، فأولئك يُعطَونَ في الآخرةِ ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني بغير حَدّ ولا عَدّ ولا مقدار (ألاَ فاصبِروا ياعبادَ الله مِن أجل الجنة).

- الآية 11، والآية 12: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول للناس: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾: يعني إنّ اللهَ قد أمَرَني - ومَن اتّبعني - بإخلاص العبادة له وحده ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني أول مَن أسلم مِن أمَّتي، وخضع لأوامر الله رب العالمين.

- الآية 13: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أن يُنزِلَ بي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو عذابُ يوم القيامة.

- الآية 14، والآية 15، والآية 16: ﴿قُلِ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُشركون: ﴿اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾: يعني إني أعبد اللهَ وحده لا شريك له، مخلصًا له عبادتي وطاعتي، (ولعل الله تعالى قد أعاد الأمر بإخلاص العبادة له، للتأكيد على أهمية ذلك الأمر، إذ التكرار يكونُ للتأكيد والتنبيه على أهمية الشيء)، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ (فإنّ ذلك لن يضر اللهَ شيئًا، وإنما ضرره عائدٌ عليكم)، ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ حقاً هُم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي حَرَموا أنفسهم وأهلِيهم من دخول الجنة، لأنهم أضَلُّوهم عن الدين الحق، (وقد قال بعض المُفسِّرين في معنى خُسران الأهل يوم القيامة: هو حِرمانهم من الحور العين، اللاتي كُنّ لهم في الجنة، لو أنهم آمنوا بالحق واتقوا ربهم) ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي هو الخسران الواضح، وأولئك الخاسرون ﴿لَهُمْ﴾ - في جهنم - ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾ أي قِطَع من عذاب النار - على هيئة الظُّلّ - شديدة الحرارة، تغطي رؤوسهم ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ تُلهِب أرجلهم، ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الموصوف ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ لِيَحْذَروا مخالفة أمْره، ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ أي خافوا عذابي، واحذروا فِعل ما يُغضبني.

- الآية 17، والآية 18: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ أي اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله تعالى ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي رجعوا إلى الله تعالى بالتوبة والإيمان وإخلاص العبادة، أولئك ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ في الحياة الدنيا (بالثناء الحَسَن وتوفيق الله لهم)، وفي الآخرةِ برضوان الله والنعيم الدائم في الجنة، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ أي: بَشِّر أيها النبي عبادي ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (وأحسن الكلام وأرشده هو كلام الله تعالى، ثم كلام رسوله صلى الله عليه وسلم) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾: أي وفقّهم للرشاد والسَداد، وهَداهم لأحسن الأخلاق والأعمال، ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي أصحاب العقول السليمة.

- الآية 19: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي وَجَب عليه الحُكم بالعذاب؛ لاستمراره على ضَلاله وعِناده، فإنه لا حيلة لك أيها الرسول في هدايته ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾: يعني هل تَقدر أن تنقذ مَن في النار؟ لا تقدر على ذلك، إذاً فلا تحزن على تكذيبهم وإعراضهم، فقد بلَّغتهم، والله أعلم بمَن يستحق الهداية (وهو الذي يَطلبها مِن ربه بصدق ولا يتكبر عن الانقياد للحق).

- الآية 20: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ أي جعلوا بينهم وبين عذابه وقاية (وذلك بطاعته وإخلاص عبادته وترْك معصيته)، أولئك ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ أي لهم في الجنة غُرَفٌ مَبنية، بعضها فوق بعض ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي تجري أنهارُ الماء واللبن والعسل والخمر مِن تحت قصورها العالية، وأشجارها المُتدلية، ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: بهذا وَعَدَ اللهُ المتقين وعداً حقاً، لابد مِن إتمامه، و﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾.

- الآية 21: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أدخل هذا الماء في الأرض، وجعله عُيونًا نابعة ومياهًا جارية، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾ أي بهذا الماء ﴿زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: أي يَجفّ الزرع بعد خُضرته ونَضارته ﴿فَتَرَاهُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مُصْفَرًّا) (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا): أي يجعله سبحانه متكسِّرًا متفتتًا بعد إخراج الحب منه، (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي في ذلك المذكور – ابتداءً من إنزال الماء، وإحياء الأرض به، وانتفاع الناس بالزرع، إلى أن يجعله الله متفتتاً – (لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) أي تذكير لأصحاب العقول السليمة باستحقاق الله وحده للعبادة، وعنايته بمصالح خلقه، وقدرته على البعث.

– الآية 22: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ): يعني أفمَن وَسَّع الله صدره، فسَعِدَ بقبول الإسلام والانقياد له (فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) أي على بصيرةٍ من أمْره وهُدىً من ربه، كمن تكَبَّرَ عن الانقياد للإسلام، وضاقَ صدره بظلمات الكفر؟! لا يستويان أبداً، (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) يعني: فهَلاكٌ للذين قَسَتْ قلوبهم عن قبول القرآن، فلم تؤمن به رغم وضوحه، ولم تعمل بما فيه، (فالله تعالى قد تَوَعَّدَ أصحاب هذه القلوب القاسية، التي لا تلين بسماع القرآن ولا تتأثر بحُجَجه ومواعظه، بل تقسو من سماعه) (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي في ضلال واضح عن الحق.

– الآية 23: (اللَّهُ) سبحانه هو الذي (نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) (وهو القرآن العظيم)، فجعله (كِتَابًا مُتَشَابِهًا): أي يُشبه بعضه بعضاً في نَظمه وحُسنه وعدم اختلافه، وَجَعَله (مَثَانِيَ): أي تتكرر فيه القصص والبراهين، والوعد والوعيد والأمر والنهي (وذلك للتذكير والموعظة وإقامة الحُجّة)، لأنّ هذا أفضل من سَماعه مرة واحدة (لكثرة غفلة الإنسان واهتمامه بالدنيا وتعلُّق قلبه بها)، (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ) أي ترتعد من سماع القرآن: (جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) (تأثُّرًا بما فيه مِن ترهيبٍ ووعيد) (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أي تطمئن وتهدأ عند ذِكر وَعْده لأهل الإيمان والتقوى (استبشاراً بما في الجنة مِن النعيم)، (ذَلِكَ) أي التأثر بالقرآن هو (هُدَى اللَّهِ) الذي (يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ) مِمَّن يستحق الهداية، (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) أي: فليس له أحدٌ يُوفقه إلى الحق والرشاد.

– الآية 24: (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ): يعني أفمن يُلْقَى في النار مُقيَّدًا، فلا يقدر أن يَتقي النارَ إلا بوجهه، أهذا خيرٌ أم مَن يتلذذ بأصناف النعيم في الجنة؟! لا يستويان أبداً، إذاً فليؤمنوا ولا يتكبروا، (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) في جهنم: (ذُوقُوا) العذابَ الشديدَ جزاءً بـ (مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) من الشِرك والمعاصي.

– الآية 25، والآية 26: (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) – أي الذين مِن قبل مُشركي مكة – فقد كذَّبوا رُسُلَهم (فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) أي مِن حيثُ لا يتوقعون مَجيئه (فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ) أي عذاب الذل والهوان (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ) الذي أعَدَّه الله لهم في جهنم (أَكْبَرُ) وأشد ألماً من عذاب الدنيا (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (أي لو كانوا يعلمونَ ذلك لاتّعظوا ولم يُعاندوا).

– الآية 27، والآية 28: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) يعني أنواعًا كثيرة من الأمثال والأدلة وقصص هلاك الأمم المكذبة، لِتُقيم عليهم الحُجّة، و(لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ): أي ليَتعظوا به ويؤمنوا، فينتهوا عما هم مقيمون عليه من الباطل، وجعلناه (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) أي بلُغة عربية فصيحة واضحة، لِيَفهموه ويَهتدوا به، فيَهتدي على أيديهم خَلقاً كثيراً، (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ): يعني لم نجعل في القرآن شيئاً مائلاً عن الحق والاستقامة، بل جعلناه كتابًا مستقيمًا معتدلاً (لا اختلافَ فيه ولا تناقض، ولا تَشَدُّد ولا تفريط) (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أي لِيَتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه بعد أن يتعظوا بما فيه.

– الآية 29: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) بَيَّنَ فيه حيرة وضلال أهل الشِرك، وهو: (رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ): أي عبدًا مملوكًا لشركاء مختلفين ومتنازعين، فهو حَيران في إرضائهم، (وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ) يعني: وعبدًا آخر خالصًا لمالك واحد، وهذا العبد يعرف ما يُرضِي سيده فيفعله، وما يُغضبه فلا يفعله (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا)؟! يعني هل يقول عاقل بالتساوي بين هذين الرجلين؟!

www.alukah.net

(فكذلك لا يتساوى المُشرِك الذي يعبد آلهة متعددة (فهو في تعب وحَيْرة وشك)، مع الموَحِّد (الذي في راحةٍ واطمئنان)، إذ يأمره إلهٌ واحد وينهاه، وهو الله الواحد الأحد، الذي لا ربَّ غيره ولا معبودَ بحقٍ سواه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحق وبُطلان الباطل ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمونَ عدم تساوي الرجلين المذكورين في المَثَل، وذلك لجهلهم وفساد عقولهم.

– الآية 30، والآية 31: ﴿إِنَّكَ﴾ – أيها الرسول – ﴿مَيِّتٌ﴾ أي سوف تموت، ولن تُخلَّد في هذه الدنيا، ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (إذاً فلا يغتروا بأنفسهم، ولا يتكبروا عن قبول الحق قبل فوات الأوان)، (وقد نزلت هذه الآية عندما استبطأ المُشرِكون موت الرسول صلى الله عليه وسلم وأرادوا الشماتة بموته، فأشارت الآية إلى أنه لا شماتة في الموت، فإنهم سيموتون كما يموت الرسول صلى الله عليه وسلم)، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ – أيها الناس – ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (والاختصام كناية عن الحُكم) أي يَحكم بينكم ربكم فيما كنتم فيه تختصمون من أمور الدين، فيُظهِر الحق ويَفضح الباطل.

****

2. الربع الثاني من سورة الزمر

– الآية 32: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يعني: مَن أشدُّ ظلمًا ﴿مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ فزعَمَ أنّ له شركاء في العبادة، ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أي كذَّب بالحق الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم؟! والاستفهام للنفي (يعني لا أحد أشد ظلماً منه، لتكذيبه بهذا الحق الواضح) ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾: يعني أليس في النار مَسكنٌ لمن جحدوا توحيد الله تعالى، وكَذَّبوا رسوله محمدًا؟! (بلى، فإنّ جهنم هي بئس المُستقَرّ لهم).

– الآية 33، والآية 34، والآية 35: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ أي جاء بالحق – وهم الأنبياء – ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني: والذي صَدَّقَ بهذا الحق (إيمانًا وعملاً) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الذن حققوا التقوى لله تعالى، ففعلوا ما أمَر واجتنبوا ما نَهَى (وفي مُقدِّمتهم محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين)، فهؤلاء ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (من أصناف اللذات والشهوات)، و﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يُحسنون عبادتهم لربهم، ويُراقبونه في كل أحوالهم، ويُحسنون معاملة خَلقه، وقد وَفقّهم سبحانه لهذا الإحسان ويَسَّرهُ لهم ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ يعني ليغفر لهم سبحانه أسوأ أعمالهم – وهي المعاصي – بسبب توبتهم الصادقة، (ولعل المقصود بأسوأ عملهم هو أعظمهُ سُوءاً، وهو الشِرك الذين وقع منهم قبل إسلامهم)، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي يُثيبهم على طاعتهم بمِثل جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه في الدنيا (حتى يكون أجر النافلة كأجر الفريضة).

– الآية 36، والآية 37: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ يعني: أليس اللهُ بقادرٍ أن يكفي عبده محمدًا تهديد المُشركين وكَيدهم فلا ينالوه بسوء؟! بلى إنه سيكفيه تهديدهم، ويحفظه مِن شرهم، وينصره عليهم، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: أي يخوِّفونك – أيها الرسول – بآلهتهم التي زعموا أنها ستؤذيك، مع أنها أحجارٌ لا تنفع ولا تضر، إنّ هذا هو قمة الجهل والضلال ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يعني: ومَن يخذله الله فيُضِلّه عن طريق الحق، فليس له أحدٌ يُوفقه إلى الحق والرشاد، ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ يعني: ومَن يوفقه الله للإيمان به والعمل بكتابه واتّباع رسوله، فلا يستطيع أحدٌ أن يُضِلّه عن الحق الذي هو عليه، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ أي لا يَمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾ أي صاحب انتقام شديد مِمّن عَصاه وعَصى رسوله وحارَبَ أولياءه؟! والجواب: بلى، فإنه سبحانه يقول للشيء كُن فيكون، (وفي هذا تهديدٌ لهم بأنه سبحانه سوف ينتقم منهم إن استمروا في أذاهم وكُفرهم وعِنادهم، كما حدث في بدر).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 38: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أيها الرسول: ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ على هذا النظام البديع المُتقَن؟ ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: ﴿اللَّهُ﴾ هو الذي فعل ذلك وحده، إذاً ﴿قُلْ﴾ لهم - مُقرراً عجز آلهتهم من بعد ما اتضحت لهم قدرة ربهم -: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ - من الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر - فأخبِروني إذاً: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾؟! يعني: هل تستطيع هذه الآلهة العاجزة أن تُبْعِدَ عني أذىً قدَّره الله عليَّ؟! ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ يعني: وهل تستطيع أن تمنع عني نفعًا يَسَّره الله لي، أو تحبس رحمة الله عني؟! إنهم سيقولون: (لا تستطيع ذلك)، إذاً ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي يكفيني سبحانه كَيدكم وشَرَّكم، ولا حاجة لي بغيره، إذ هو الذي يجلب الخير ويدفع الشر، ولا مانع لِما أعطاهُ، ولا مُعطيَ لِما منعه، إذاً فهو وحده المستحق لعبادتي، وليست هذه الآلهة العاجزة، ولِذا سأعبده وحده وأتوكل عليه، و﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: عليه يعتمد المعتمدون في جَلْب مصالحهم ودفع ما يضرهم، وبه وحده تتعلق قلوبهم.

- الآية 39، والآية 40: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول - لقومك المُعاندين: ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي اعملوا على طريقتكم - التي أنتم عليها من مُخالفتي وعداوتي -، فـ ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على طريقتي التي شرعها لي ربي، ولن أتركها مهما فعلتم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ - عند نزول العذاب بكم - ﴿مَنْ﴾ مِنّا الذي ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي يُذِلُّه ويُهِينه ويَكسر كبريائه (هذا في الدنيا)، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أي يَنزل به في الآخرة عذابٌ دائم، لا يَنتهي أبداً، ولا يفارقه لحظة.

- الآية 41: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿الْكِتَابَ﴾ أي القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي لهداية الناس وإصلاحهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي اشتمل عليه الكتاب (إذ كُلُّ ما فيه حقٌّ وعدل)، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ بنوره، وعمل بما فيه، واستقام على منهجه: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ يعني: فإنّ نَفْع ذلك سيعود له في الدنيا والآخرة، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ - مِن بعد ما تبَيَّن له الهدى - ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ يعني: فإنما يعود ضرره على نفسه، ولن يَضرَّ الله شيئا، ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ - أيها الرسول - ﴿عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي ليس عليك أمْر هدايتهم فتجبرهم على الإيمان، وإنما عليك البلاغ وقد بلّغتهم، فلا تحزن إذاً على إعراضهم.

- الآية 42: ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه هو الذي ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾: أي يقبض الأرواح عند موتها بعد انتهاء أجلها (وهذه هي الموتة الكبرى)، ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ يعني: وكذلك يقبض النفس التي لم ينتهي أجلها - وذلك عند منامها - (وهي الموتة الصغرى)، ﴿فَيُمْسِكُ﴾ سبحانه ﴿الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أي يَحبس عنده - مِن هاتين النفسين -: النفس التي قَدَّرَ عليها الموتة الكبرى ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني: ويرسل النفس الأخرى - وهي نفس النائم - إلى استكمال أجلها ورزقها (وذلك بإعادتها إلى جَسَد صاحبها)، ولو شاء سبحانه ألا يعيدها إلى جسدها لَفَعَل، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في قبض الله لنفس الميت والنائم، وحَبْسه لنفس الميت، وإرساله لنفس النائم، ﴿لَآيَاتٍ﴾ - على قدرة الله على البعث - ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (لأن النوم كالموت، والاستيقاظ في النهار كالبعث بعد الموت).

♦ واعلم أن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، لأن الله تعالى هو الذي أمَرَ مَلَك الموت بفعل ذلك، فكأنه في الأصل هو الذي فعله، لأنّ هذا مِثل قول الحاكم أو الأمير: (لقد أنشأتُ كذا وكذا)، ومعلومٌ أنه لا يفعل ذلك بيَدَيه، وإنما يفعله الذين تحت سُلطته.

- الآية 43: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾: يعني بل اتخذ المُشرِكون آلهةً يعبدونها، زاعمينَ أنها ستشفع لهم عند الله في حاجاتهم، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: يعني أتتخذونها شفعاء، حتى ولو كانت هذه الآلهة الباطلة لا تملك شيئاً حتى تشفع لكم، ولا تعقل عبادتكم لها؟!

www.alukah.net

- الآية 44: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ (يعني إنّ الأمر في الشفاعة لله وحده، لأنها لا تتم إلا بعد أن يأذن سبحانه للشافع، ويَرضَى عن المشفوع له)، إذاً فكيف تعبدون من دون الله معبودات باطلة لم يُنزل سبحانه بشأنها حُجَّةً تدل على أنها ستشفع لكم عند ربكم إذا عبدتموها؟!

﴿لَهُ﴾ سبحانه ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (فهو وحده الذي يتحكم في جميع الأشياء)، ومِن ذلك الشفاعة، فإنه لا يملكها إلا الله وحده، ولن يعطيها إلا لمن وَعَدَه بها (وهم المُوَحِّدون)، كما قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ أي لا تملك الملائكة - التي يعبدها المُشرِكون - أن تشفع لأحد عند الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ يعني إلا مَن أقر بتوحيد الله ونُبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء هم الذين يستحقون الشفاعة، فيشفعون لبعضهم عند ربهم، وتشفع لهم الملائكة والأنبياء بعد أن يأذن الله لهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أيها الناس بعد موتكم للحساب والجزاء، ألاَ فاتقوا ما يُغضبه من الشِرك والمعاصي.

- الآية 45: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾ أي نفرتْ وغضبتْ ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ﴾ - إذا سمعوا قول (لا إله إلا الله) -، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام والأولياء وغيرهم: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي يفرحون بشركائهم، (وهذا عائدٌ إلى افتتانهم بأصنامهم، ونسيانهم لحقوق ربهم، الذي خلقهم ورزقهم، بأن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً في عبادته).

♦ ولعل الله تعالى خَصَّ الذين لا يؤمنون بالآخرة بأنهم هم المُنكِرون للوحدانية، لعدم خوفهم من عقاب الآخرة، إذ لو آمَنوا باليوم الآخر (الذي هو يوم الجزاء على أعمالهم)، ولو تَخَلَّوا عن أهوائهم وشهواتهم، وخافوا عقابَ اللهِ تعالى: لاَستقاموا على الحق والخير.

- الآية 46: ﴿قُلِ﴾ أيها الرسول - داعياً ربك - عندما يضيق صدرك من جدالهم وعنادهم: ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: يا خالق السماوات والأرض، يا ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يعني: يا عالم السر والعلانية ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ يوم القيامة ﴿فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الإيمان بك وبرسولك، ومن القول في صفاتك بغير علم، (فاهدِني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم)، (واعلم أنّ هذه التكملة قد ثبتت في السُنّة، وإن كانت الآية لم تذكرها).

- الآية 47، والآية 48: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ يعني لو أنهم يَملكون كل ما في الأرض وضِعْفه معه: ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾: أي لَجَعَلوه فِداءً لأنفسهم ﴿مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (ولو فعلوا ذلكَ ما قُبِلَ منهم، ولن يَدفع عنهم من عذاب الله شيئًا)، ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: أي ظهر لهؤلاء الظالمين يومئذٍ - مِن عذاب الله - ما لم يكونوا يتوقعونَ في الدنيا أنه نازلٌ بهم ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: أي ظهر لهم جزاء سيئاتهم التي فعلوها (حيث نسبوا إلى الله ما لا يليق به، وفعلوا ما نهاهم عنه) ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعني أحاط بهم - من كل جانب - العذاب الذي كانوا يَسخرون منه في الدنيا، فلم يستطيعوا النجاة والفرار.

- الآية 49، والآية 50، والآية 51: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ أي استغاث بنا لنكشف عنه تلك الشدة ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ يعني أعطيناهُ ﴿نِعْمَةً مِنَّا﴾ (وهي كشف الضرَّ عنه، وإبداله بمختلف النعم فضلاً من عندنا، دونَ أن يطلبها منا): ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾: يعني إنما أُعطيتُ هذا العطاء بما عندي من العلم والمهارات والقدرة على اكتساب الأموال (وقد قال ذلك حتى ينسب الفضل لنفسه ولا يشكر ربه)، (أو لعل المقصود: على عِلمٍ عندي بأن الله يعلم أني أستحق ذلك فأعطانيه)، فرَدّ الله

شبكة الألوكة - قسم الكتب

على ذلك الادِّعاء بقوله: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ يعني: بل ذلك اختبارٌ من الله لعباده؛ لِيَنظر مَن يَشكره مِمَّن يجحد نعمته ويُنكِر فضله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمونَ أنّ ما أعطاهم الله من مال وصحة وعافية إنما هو فتنة لهم وليس لرضا الله عنهم، ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي قال مَقالتهم هذه مَن كان قبلهم (كقارون وغيره) ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي لم ينفعهم - حين جاءهم العذاب - ما كانوا يكسبونه من الأموال والأولاد ولم يدفعوا عنهم مِن عذابَ اللهِ شيئاً حينَ نَزَلَ بهم، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي نزلتْ بهم عقوبة ذنوبهم التي عملوها، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ أي مِن هؤلاء المُشركين، وقالوا هذه المقالة ﴿سَيُصِيبُهُمْ﴾ أيضًا ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي ستصيبهم عقوبة ذنوبهم، كما أصابت الذين مِن قبلهم ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لن يُعجِزوا اللهَ تعالى، ولن يُفلِتوا من عذابه، (وقد أصابهم القحط سبع سنين وقُتِلَ زعمائهم في بدر، ولَعذابُ الآخرة أشد وأبقى).

- الآية 52: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ أي يُوَسِّع الرزق ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده، ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: ويُضَيِّقه سبحانه على مَن يَشاءُ منهم (وليس ذلك لمحبةٍ لهم ولا لبُغض)، فإنّ رزق الله للإنسان لا يدل على حُسن حال صاحبه، (ولو كان كثرة المال دليلاً على حب الله لأصحابه ورضاه عنهم، ما أهلَكَ قارون وغيره)، ولكنه يفعل ذلك اختبارًا لعباده، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي التوسيع والتضييق ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنون بالله تعالى ويعرفون حكمته ورحمته.

****

3. الربع الأخير من سورة الزمر

- الآية 53: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالمعاصي: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: أي لا تَيْئسوا من رحمة الله بسبب كثرة ذنوبكم، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب منها، ورجع إلى ربه صادقاً نادماً عازماً (مهما كانت ذنوبه)، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوب التائبين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، حيث جعل التوبة نجاةً لهم من عذابه.

- الآية 54: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾: أي ارجعوا إلى ربكم أيها الناس بالطاعة والتوبة ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أي اخضعوا له ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾: يعني مِن قبل أن يقع بكم عذابه ﴿ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ أي لا تجدون مَن يَنصركم لِيُخفف عنكم عذاب النّار أو يُخرجكم منها.

- من الآية 55 إلى الآية 59: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (وهو القرآن العظيم)، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وأطيعوا ربكم وتوبوا إليه مِن قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ يوم القيامة - وهي شديدة الندم -: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾: يعني يا حسرتي على ما ضيَّعتُ في الدنيا من طاعة الله تعالى وامتثال أوامره، ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ أي لقد كنتُ في الدنيا من المستهزئين بأوامر الله تعالى وبرسوله والمؤمنين، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾: يعني لو أن الله أرشدني إلى دينه لكنت من المتقين (الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، بطاعته وطاعة رسوله)، ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ يعني يا ليت لي رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ﴾ فيها ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين أحسنوا طاعة ربهم، وأحسنوا العمل بما أمَرَتْهم به رُسُلهم، وخافوا اللهَ كأنهم يرونه، فرَدّ الله على تلك الأمنيات الكاذبة بقوله: ﴿بَلَى﴾ يعني: ليس القول كما تقول، فـ ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ الدالة على الحق ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾ رغم وضوحها ﴿وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ عن قَبولها واتّباعها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

- الآية 60، والآية 61: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ (بأنْ وَصَفوه سبحانه بما لا يليق به، ونَسَبوا إليه الشريك والولد)، فترى ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ يوم القيامة، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: يعني أليس في جهنم مأوى ومَسكن لمن

www.alukah.net

تكَبَّرَ على الله، فامتنع عن توحيده وطاعته؟ (بلى، فإنّ جهنم هي بئس المُستقَرّ لهم)، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾ من عذاب جهنم: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي خافوا عذابَ ربهم وهُم في الدنيا (فأدَّوا فرائضه واجتنبوا نَواهيه)، فهؤلاء يُنَجِّيهم اللهُ ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي بفوزهم وتحقق أمنيتهم، وهي الجنة، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾: أي لا يمسهم من عذاب جهنم شيء، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من حظوظ الدنيا (لأنّ نعيم الجنة قد أنساهم كل شيء).

- الآية 62، والآية 63: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (حتى الأشياء التي صَنَعها الإنسان، فإنّ الله سبحانه هو الذي خَلَقَ مَصدر صُنعها، كالحديد وغيره، ثم عَلَّمَ الإنسانَ كيف يَصنعها) ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ إذ يدَبِّر جميع شؤون خلقه، ويَحفظ سبحانه أعمالهم ويُحاسبهم عليها، ﴿لَهُ﴾ سبحانه ﴿مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي له مفاتيح خزائن السماوات والأرض، يُعطي خَلْقَه منها ما يشاء، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي جحدوا بآيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (أي الخاسرونَ في الدنيا بخِذْلانهم عن الإيمان، وفي الآخرة بخلودهم في النار).

- الآية 64: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لمُشركي قومك: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾ (ولا تصلح العبادة لأحدٍ غيره؟!) ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ الذين لم يعرفوا عظمة ربهم وجلاله، فعبدوا معه غيره.

- الآية 65، والآية 66: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الرُسُل أنك ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ بالله تعالى - على سبيل الفرض - ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ أي سوف يُبطِل الله ثواب عملك (لأنه لا يُقبل مع الشِرك عملٌ صالح) ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين خسروا دنياهم وآخرتهم، (فإذا كان هذا مِمَّن لا يُتصَوَّر منهم الشِرك فكيف بغيرهم؟!)، ﴿بَلِ اللَّهَ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْ﴾ أيها النبي ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لنعم الله عليك، وأوّلها نعمة التوحيد (لأن اللهَ سبحانه هو وحده الذي يُنظِّم الكون، وهو الذي يُدَبِّر أمور عباده، وهو وحده الذي يأمرهم ويَنهاهم، وإلا لَتحَيَّرَوا بين إلهٍ يريد وإلهٍ لا يريد، فالحمدُ لله).

- الآية 67: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (وما عظَّموه حق تعظيمه) ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: مِن عظيم قدرته سبحانه أنّ جميع الأرض تكون في قبضته يوم القيامة ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ السبع ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (فسبحان الله العظيم، لو أتينا بأقوى أقوياء الأرض، فإنه لن يستطيع أن يطوي عدداً من الأشجار أو الأعمدة بيمينه)، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تَنَزَّهَ الله وتَبَرَّأ عن شِرك هؤلاء المُشركين (الذين يُساوونَ الخالق العظيم بالمخلوق العاجز الضعيف، ويعبدونه معه)، (وفي الآية إثبات القبضة واليمين لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، فلا تُشبِه يمين المخلوق وقبضته، لأنه سبحانه ليس كمِثله شيء).

♦ واعلم أنه ينبغي للمؤمن أن يتذكر هذه الآية قبل البدء في صلاته - وكذلك أثناء ركوعه - وأن يقول بقلبه: (سبحانك، ما أعظمك).

- الآية 68: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي نَفَخَ المَلَك إسرافيل في "القرن" (وهو المعروف بـ "البوق") - وذلك عند اقتراب يوم القيامة - ﴿فَصَعِقَ﴾: أي ماتَ كلُّ ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ عدم موته، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ يعني: ثم نَفَخَ فيه نفخة ثانية (وهي نفخةَ القيام من القبور للحساب والجزاء): ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ من قبورهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ماذا يفعل الله بهم؟

- الآية 69، والآية 70: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ يعني أضاءت الأرض يوم القيامة عندما يأتي الله سبحانه للقضاء بين الخلائق ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: أي وُضِعَ كتاب أعمال كل واحدٍ في يمينه أو في شماله ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ ليشهدوا على أممهم، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ (أي الشهود على الأمم)، وهم أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بتبليغ الرُسُل لأممهم إذا أنكرت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأمم هذا التبليغ، كما قال تعالى في سورة الحج: (وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أي شهداء على الأمم السابقة أنّ رُسُلهم قد بَلَّغتهم رسالة ربهم (كما أخبركم الله بذلك في كتابه)، (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) أي قَضَى الله بين عباده بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ): يعني أعطى الله يومئذٍ كلَّ نفس جزاء عملها مِن خيرٍ وشر (وَهُوَ) سبحانه (أَعْلَمُ) – حتى من العاملينَ أنفسهم – (بِمَا) كانوا (يَفْعَلُونَ) في الدنيا من طاعةٍ أو معصية.

- الآية 71، والآية 72: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ) أي تسُوقهم الملائكة بعُنف وشدة إلى النار (زُمَرًا) أي جماعات (بحسب مراتب كُفرهم وعِصيانهم) (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) السبعة فجأة، حتى يُصابوا بالرعب والفزع، (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) (وهم الملائكة المُوَكَّلون بالتعذيب في النار)، فقالوا لهم قبل أن يصلوا إليها – مُؤنِّبينَ لهم ومُحَسِّرين –: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) (وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)؟!، فـ (قَالُوا) معترفين بذنبهم: (بَلَى) قد جاءت رُسُل ربنا بالحق، وحَذَّرونا من هذا اليوم، (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ): أي وَجَبَتْ كلمة الله أنّ عذابه لأهل الكفر به، ونحن منهم، فوَجَبَ علينا العذاب، **فحينئذٍ** (قِيلَ) لهؤلاء الجاحدين: (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ): أي قَبُحَ مصير المتكبرين على الانقياد لأوامر الله والإيمان برُسُله.

- الآية 73: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) وهم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية (وذلك بتوحيده والعمل بطاعته)، **فهؤلاء تسُوقهم الملائكة بلُطفٍ** (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) أي جماعات (بحسب مراتب تقواهم وأعمالهم الصالحة) (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا) أي الجنة (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) يعني: وقد فتحت أبوابها (والمعنى أنهم جاؤوها فوجدوا أبوابها الثمانية مفتوحة لاستقبالهم)، (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) (وهم الملائكة المُوَكَّلون بالجنة)، **فقالوا لهم** – مُرَحِّبينَ مُبَشِّرين –: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) مِن كل خوف وحزن وتعب ومن كل مكروه، (طِبْتُمْ): أي قد طَهَّرتهم ونُقِّيتُم من آثار المعاصي بسبب توبتكم النصوح (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ).

- الآية 74: (وَقَالُوا) أي قال المؤمنون: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) (الذي وعدَنا به في كُتُبه وعلى ألسنة رُسُله)، (وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ) وهي أرض الجنة، (نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ): أي نَنزل منها في أيّ مكانٍ شئناه، (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.

- الآية 75: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ) يوم القيامة (حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ): أي مُحيطين بعرش الرحمن من كل جانب (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ): أي يُنَزِّهونَ ربهم – أي يَنفونَ عنه – كل ما لا يليق به، **ويُثنونَ عليه قائلين**: (سبحان الله وبحمده)، (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ): أي قَضَى الله بين الخلائق بالعدل (فأسكن أهل الإيمان الجنة، وأسكن أهل الكفر النار)، (وَقِيلَ) أي قالت الملائكة والمؤمنون: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على ما قَضَى به لأهل الجنة (فضلاً وإحساناً)، وعلى ما حَكَمَ به على أهل النار (عدلاً وحكمة).

****

www.alukah.net

تفسير سورة غافر كاملة

1. الربع الأول من سورة غافر

- الآية 1: ﴿حم﴾: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (حا ميم).

- الآية 2، والآية 3: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إنما هو ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ أي الغالب الذي لا يَمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿الْعَلِيمِ﴾ بما يحتاجه خلقه، فلذلك أنزل لهم هذا الكتاب لهدايتهم وإصلاحهم، وهو سبحانه ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ للمستغفرينَ النادمين ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ من التائبين، ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ على مَن تجرَّأَ على الذنوب ولم يتب منها، ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾: أي صاحب الإنعام الواسع - يعني صاحب النعم الكثيرة - على عباده الطائعينَ المخلصين، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي لا يَستحق العبادة إلا هو، ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: يعني إليه مصير الخلائق يوم القيامة، فيجازي كُلاً بما يَستحق.

- الآية 4: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آَيَاتِ اللَّهِ﴾ الواضحة - التي تدل على التوحيد والبعث - ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: إلا الجاحدون الذين جحدوا أنه الإله الحق المُستَحِقّ وحده للعبادة، ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾: أي لا يَخدعك - أيها الرسول - ما عليه أهل الكفر مِن سعةٍ في الرزق والعَيش، ومِن انتقالهم من مكان إلى آخر للتجارة وطلب الأموال، فإنّ هذا كله متاعٌ قليل، وسوف يزول عنهم عن قريب، ثم مأواهم جهنم وبئس المصير.

- الآية 5: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي قبل مُشركي مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (والأحزاب هي الأمم التي تَحَزَّبَتْ - أي اجتمعت - على تكذيب رُسُلهم كعادٍ وثمود)، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: أي همَّت كل أمة من هذه الأمم المكذبة أن تأخذ رسولها لتقتله، ﴿وَجَادَلُوا﴾ رُسُلهم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ أي مِن غير علمٍ أو دليل ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ أي لِيُحاولوا إزالة الحق بجدالهم، ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أي عاقَبْتُهم بأنواع العذاب والهلاك ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ يعني: فكيف كان عقابي لهم على كُفرهم وتكذيبهم؟ (والاستفهام للتقرير)، أي لقد كان عقابي بهم شديداً مُهلِكاً، ليكونوا عِبرةً لمن يأتي بعدهم، (وفي هذا تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاهُ من تكذيب قومه، وفيه أيضاً تهديدٌ لمُشركي مكة أن يصيبهم ما أصاب المُكَذِّبين قبلهم).

- الآية 6: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يعني: وكما وَجَبَ العقاب على الأمم السابقة التي كَذَّبت رُسُلها، فكذلك وَجَبَ حُكم ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

- الآية 7، والآية 8، والآية 9: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ من الملائكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ يعني: ومَن يقفون حول العرش منهم، كل هؤلاء ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: أي يُنَزِّهونَ ربهم - أي ينفونَ عنه - كل ما لا يليق به، مِمّا يقوله المُشرِكونَ المفترون (مِن اتخاذ الشريك والولد)، ويُثنونَ عليه قائلين: (سبحان الله وبحمده)، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي يؤمنون بوحدانيته وعدم الإشراك به في عبادته، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا﴾: أي يطلبون من ربهم أن يعفو عن المؤمنين، قائلين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشرك والمعاصي ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: أي سلكوا الطريق الذي أمَرتهم أن يسلكوه، وهو الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي اصرف عنهم عذاب النار وأهوالها، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي جنات الخلود ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي: ومعهم الصالحونَ ﴿مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ - والذرية هي الأبناء (ذكوراً كانوا أو إناثاً) - ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي الغالب الذي لا يَمنعه أحد مِن فِعل ما يريد، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرك وصُنعك، ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾: أي اصرف عنهم سُوء عاقبة

سيئاتهم، فلا تؤاخذهم بها، ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: مَن تصْرِف عنه عاقبة السيئات يوم القيامة: ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ وأنعمتَ عليه بالنجاة من عذابك، ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوزَ مثله.

- الآية 10: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ - عندما يدخلون النار - يَكرهونَ أنفسهم كُرهاً شديداً، لأنهم أطاعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم، فأدَّتْ بهم إلى هذا المصير، وعندئذٍ ﴿يُنَادَوْنَ﴾: أي تناديهم ملائكة جهنم: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: يعني إنّ كُره الله لكم في الدنيا أكبر مِن كُرهكم لأنفسكم الآن ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾: أي حين طَلَبَ سبحانه منكم الإيمان به واتِّباع رُسُله، فرفضتم واستكبرتم.

- الآية 11: ﴿قَالُوا﴾ أي قال الكافرون وهُم في جهنم: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ يعني لقد أمَتَّنا مرتين: (مرة حين كنا في بطون أمهاتنا قبل نفخ الروح، ومرة حين انتهى أجلُنا في الدنيا)، ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ يعني: وأحيَيتَنا مرتين: (مرة في الدنيا يوم وُلِدْنا، ومرة يوم بُعِثنا من قبورنا)، ﴿فَاعْتَرَفْنَا﴾ الآن ﴿بِذُنُوبِنَا﴾ السابقة، ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ يعني: فهل لنا مِن طريق نخرج به من النار، وتُعِيدنا به إلى الدنيا لنَعمل بطاعتك؟ (ولكنْ لن ينفعهم هذا الاعتراف، فقد فات أوان التوبة والندم).

- الآية 12: ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي ذلك العذاب الذي أصابكم ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾: أي بسبب أنكم كنتم إذا دُعيتم لتوحيد الله تعالى وإخلاص العمل له: كفرتم، ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ يعني: وإن يُجعَل لله شريكٌ تُصَدِّقوا به وتَتَّبعوه، ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ يعني: فاللهُ سبحانه هو الحاكم في خَلقه، العادل الذي لا يَظلم، وقد حَكَمَ بعذابكم بسبب شِركِكم، فلا سبيلَ إلى نجاتكم، وهو سبحانه ﴿الْعَلِيِّ﴾ الذي له عُلُوّ الذات والقَدْر والقهر، ﴿الْكَبِيرِ﴾ في ذاته وصفاته (فهو أكبر وأعظم من كلِّ شيء).

- الآية 13: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على توحيده وقدرته على البعث ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ أي مطرًا تُرزَقون به (إذ تشربونه أنتم ومَواشيكم، وتَحيا به مَزارعكم بالنبات، فيتوفر لكم غذاؤكم وتجارتكم)، (ففي إحياء الله للأرض المَيّتة: دليلٌ على قدرته على بعث الموتى، وفي خَلْقِهِ للمطر الذي يَنتفع به الناس: دليلٌ على أنه الخالق المُنعِم المُستحِقّ وحده للعبادة)، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ بهذه الآيات ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ أي يُخلِص عبادته لربه، ويرجع إليه بالتوبة في كل وقت.

♦ وبمناسبة ذِكر التوبة في كل وقت، فقد قال ابن القيِّم رحمه الله وهو يتحدث عن الأسباب المُنجية من عذاب القبر: (ومن أنفعها - أي مِن أنفع هذه الأسباب - أن يَجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعةً، يُحاسب نفسه فيها على ما خَسِرَه ورَبِحَه في يومه، ثم يُجَدِّد له توبةً نصوحاً بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة، ويَعزم على ألاَّ يُعاود الذنب إذا استيقظ، ويَفعل هذا كل ليلة، فإنْ ماتَ مِن ليلته: ماتَ على توبة، وإن استيقظ: استيقظَ مُستقبلاً للعمل، مسروراً بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه ويَستدرك ما فاته، وليس للعبد أنفع من هذه التوبة، ولا سِيَّما إذا عَقَّبَ ذلك بذكر الله واستعمال السُنَن التي وردت عن رسول الله عند النوم، حتى يَغلبه النوم، فمن أراد الله به خيراً وَفَّقَه لذلك، ولا قوة إلا بالله).

- من الآية 14 إلى الآية 17: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يعني أخلِصوا - أيها المؤمنون - عبادتكم ودعاءكم لله وحده، وخالِفوا المُشركين في طريقتهم ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: يعني ولو أغضبهم ذلك، فلا تهتموا بهم، بل ادعوا الله وحده، فإنه سبحانه ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: هو العليُّ الأعلى، صاحب الدرجات العالية الرفيعة، وهو أيضاً رافِعُ درجات أوليائه في الجنة، وهو سبحانه ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي صاحب العرش العظيم، ومِن رحمته بعباده أنه ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ أي يُنَزِّل الوحي - الذي به حياة الأرواح والقلوب - ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي بأمره سبحانه ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ المُرسَلين ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ أي ليخوِّف الرسولُ الناسَ من يوم القيامة (الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون، ويلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض) ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ أي ظاهرونَ أمام ربهم

www.alukah.net

﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (لا من أجسادهم ولا مِن أعمالهم)، ويقول الله لهم: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ فيجيب سبحانه نفسه قائلاً: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ﴾ – أي الواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله – ﴿الْقَهَّارُ﴾ الذي قهر كل شيء وغلَبَه، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ مِن خيرٍ وشر ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فلا يَشغله سبحانه شيءٌ عن آخر، ولا يُتعِبُهُ إحصاءٌ ولا عدد.

– الآية 18: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ أي: حَذِّر الناسَ – أيها الرسول – من يوم القيامة القريب وإن استبعدوه (فإنّ كل آتٍ قريب)، ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾: أي في هذا اليوم تكون قلوب العباد قد ارتفعت مِن صدورهم حتى قاربَت أن تصل إلى حناجرهم، خوفاً من عقاب ربهم، وتراهم حينئذٍ ﴿كَاظِمِينَ﴾ أي ممتلئين غمًّا وحزنًا، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: يعني ليس للظالمين قريبٌ ولا صاحب ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾: يعني وليس لهم شفيعٌ يَشفع لهم عند ربهم، فيُستجاب له.

– الآية 19: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾: أي يعلم سبحانه ما تختلسه العيون مِن نظراتٍ إلى الحرام، ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ يعني: ويعلم ما يخفيه الإنسان في نفسه من خير أو شر، (وهذا إخبارٌ من الله تعالى لعباده عن سعة علمه بهم ومراقبته لهم، لِيَحذروا مخالفته، فيفوزوا بجنته)، (واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾، هو معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، وعلى هذا يكون إنذارهم بيوم القيامة مُعترَض بين هاتين الجملتين، لِلَفْتْ الانتباه إلى أهميته وخطورة شأنه).

– الآية 20: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾: أي يقضي سبحانه بين الناس بالعدل (لكمال علمه وقدرته)، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الآلهة الباطلة ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لعَجْزهم عن ذلك (لأنها أصنام لا تسمع ولا تبصر)، و﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِمَا تنطق به ألسنتكم، ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

– الآية 21: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ – أي هؤلاء المكذبون –، ألم يَمشوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ متأملينَ مُعتبِرين، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كيف كانَ مصير المُكَذِّبين مِن قبلكم (كعادٍ وثمود وقوم لوط)؟ وما نزل بهم من الهلاك، وقد ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: وقد كان أولئك الكَفَرة السابقين أشد قوة من كفار "مكة" وأبقى في الأرض آثارًا (كالأبنية والمصانع وغير ذلك)، فلم تنفعهم شدة قوتهم وعِظَم أجسامهم ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي أخذهم بعقوبته؛ بسبب كُفرهم وعِصيانهم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾: أي لم يكن لهم أحد يَمنعهم من عذاب الله تعالى ويدفعه عنهم.

– الآية 22: ﴿ذَلِكَ﴾ أي العذاب الذي نزل بالمُكَذِّبين السابقين ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا﴾: أي بسبب أنّ رُسُلهم جاءتهم بالدلائل القاطعة على صِدق دعوتهم، فكفروا بهم وكذّبوهم، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بعقابه، ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إذ عقابه سبحانه لا يُطاقُ ولا يُحتمَل.

****

2. الربع الثاني من سورة غافر

– الآية 23، والآية 24: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ الدالّة على أنه رسولٌ من عند اللهِ تعالى، وهي الآيات التسع التي أعطاها اللهُ له (وهي العصا واليد والطوفان، والجَراد والقُمَّل والضفادع، والدم ونقص من الثمرات والأنفس)، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي أرسلناه بحُجَّةٍ قوية واضحة، تُبَيِّن لمن تأمَّلها وجوب توحيد اللهِ تعالى وبُطلان ألوهية مَن سواه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ويُحتمَل أن يكون المقصود بالسُلطان المُبين هنا: (العَصا)، وإنما أعادَ سبحانه ذِكرها بعد أن ذَكَرَ الآيات عموماً، لأنّ العصا كانت أشهر الآيات وأقواها، وبها هُزِمَ السَحَرة، فكانت هي الحُجَّة القوية الواضحة التي قهرتْ القلوب، فانقادتْ لها قلوب المؤمنين، وقامت بها الحُجّة على المُعانِدين.

♦ فأرسلناه بهذه الآيات ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ مَلِك "مصر"، ﴿وَهَامَانَ﴾ وزير فرعون، ﴿وَقَارُونَ﴾ صاحب الأموال والكنوز، ﴿فَقَالُوا﴾ – مستكبرينَ عن الانقياد للحق –: إنّ موسى ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (واعلم أنّ قَارون مِن بني إسرائيل، وقد جاءه موسى لينهاه عن الظلم والتكبر على الناس، ولكنه كَذَّبَ موسى ووقف في صف فرعون).

– الآية 25: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ (وهي المُعجِزات المذكورة في الآية السابقة)، لم يكتفوا بمعارضتها وإنكارها، بل ﴿قَالُوا﴾: ﴿اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ﴾ ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ أي اتركوا بناتهم أحياءً للخِدمة والإهانة، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: ما تدبير أهل الكفر إلا في ضَياعٍ وهَلاك.

– الآية 26: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لأشراف قومه: ﴿ذَرُونِي﴾ أي اتركوني ﴿أَقْتُلْ مُوسَى﴾ ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه مني، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ الذي أنتم عليه، ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ أي يُظهِر الفساد في أرض مصر بالقتل والتخريب وغير ذلك، (وقد قال هذا تمويهاً على الناس لِيُحَرِّضهم على موسى عليه السلام).

– الآية 27: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لفرعون ومَلَئه: ﴿إِنِّي عُذْتُ﴾ أي اعتصمتُ ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ – عن توحيد الله وطاعته – ﴿لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ الذي يحاسب الله فيه خلقه.

– الآية 28، والآية 29: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ﴾ (وقد قيل إنّ هذا الرجل هو ابن عم فرعون)، وكانَ ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (بعدما رأى آيات موسى الواضحة)، فقال مُنكِرًا على قومه عَزْمهم على قتْل موسى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ يعني: كيف تستحلون قَتْلَ رجل لم يفعل شيئاً إلا أن قال ربي الله، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالبراهين القاطعة التي تدل على صِدْق ما جاء به ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾؟! ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ يعني عاقبة كذبه ستعود عليه وحده ولن تضركم، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا﴾ وكَذّبتموه: ﴿يُصِبْكُمْ بَعْضُ﴾ العذاب ﴿الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به في الدنيا قبل الآخرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ أي لا يوفِّق إلى النصر والفوز في أموره مَن هو متجاوز للحد في الاعتداء والظلم (يقصد بذلك فرعون) ﴿كَذَّابٌ﴾ فيما يقوله للناس.

♦ ثم قال لهم هذا الرجل المؤمن: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ أي لكم الحُكم والسُلطة ﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي غالبينَ في أرض "مصر" على رَعِيَّتكم من بني إسرائيل وغيرهم، ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾: يعني فمَن يدفع عنا عذاب الله إنْ نزل بنا؟، فـ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾ يعني: ما أُشير عليكم من الرأي والنصيحة ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ أنّ فيه صلاحًا وصوابًا لي ولكم، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾: يعني ما أدعوكم إلا لطريق الحق والصواب.

– من الآية 30 إلى الآية 35: ﴿وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ﴾ (وهو الرجل المؤمن من آل فرعون)، فقال لفرعون ومَلَئه واعظاً ومُحَذرًا: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ – إن قتلتم موسى – يوماً ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تحَزَّبوا – أي اجتمعوا – على أنبيائهم ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي مِثلَ عادة قوم نوح في التكذيب ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (فقد أهلكهم الله بسبب تكذيبهم لرُسُلهم) ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (فلا يُعذبهم إلا بعد قيام الحُجَّة عليهم)، ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (وهو يوم القيامة، الذي ينادي فيه بعضُ الناس بعضًا من هول الموقف وشدة حَرّه، وما ينتج عن ذلك من كثرة العَرَق وشدة الكرب) ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي تحاولون الفرار والهرب، ولكنكم لا تستطيعون ذلك، لأنه ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: أي ليس لكم مِن مانعٍ

www.alukah.net

يَمنعكم من عذاب الله، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يعني: مَن يخذله الله فيُضِلّه عن طريق الحق، فليس له أحدٌ يُوفقه إلى الحق والصواب.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: ولقد أرسل الله إليكم النبي يوسف بن يعقوب بالدلائل الواضحة على صِدقه مِن قبل موسى، وأمَرَكم بعبادة الله وحده لا شريك له ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ أثناء حياته ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾: يعني حتى إذا مات يوسف، ازدادَ شَكُّكم وشِرككم، و﴿قُلْتُمْ﴾: ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ يعني: بِمِثل ذلك الضلال الذي أنتم فيه: يُضِلُّ اللهُ كل متجاوز للحق، شاكٍّ في وحدانيته تعالى، فلا يوفقه إلى الهدى والرشاد، وهؤلاء الضالون هم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ وحُجَجه ليَدفعوها بجدالهم ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾: أي مِن غير أن يكون عندهم حُجَّة من الله تعالى، أو عِلم أتاهم عن طريق الوحي، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: تَسبَّبَ جدالهم الباطل في كُره الله والمؤمنين لهم كُرهاً كبيراً ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ يعني: وكما ختم الله بالضلال على قلوب هؤلاء المجادلين بغير علم، فكذلك يَختم على قلب كل متكبر عن توحيد الله وطاعته، ﴿جَبَّارٍ﴾ بكثرة ظُلمه واعتدائه.

- الآية 36، والآية 37: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ مُكَذِّبًا لموسى في دَعْوته، مُتكبراً عن الإقرار والتسليم لرب العالمين: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ أي بناءً عظيمًا ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ يعني: لَعَلّي أصل إلى الأبواب، وهي ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ يعني أبواب السماوات ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾: يعني أنظر إلى إله موسى بنفسي، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾: يعني أظن أنّ موسى كاذبٌ في دَعواه بأنّ لنا ربًا وأنه فوق السماوات، ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ يعني: وهكذا حَسَّنَ الشيطانُ لفرعون عمله السيِّئ فرآه حسنًا ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾: أي مُنِعَ فرعون عن الوصول إلى سبيل الحق (بسبب الباطل الذي زُيِّن له)، ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ أي تدبيره – ليُوهِم الناس أنه على الحق وأنّ موسى على الباطل – ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾: أي سيكون كيده في خسارةٍ وهلاك، ولن يعود عليه إلا بالشقاء في الدنيا والآخرة.

****

3. الربع الثالث من سورة غافر

- من الآية 38 إلى الآية 44: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ (وهو الرجل المؤمن من آل فرعون)، فقال مُعيدًا نصيحته لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ﴾ أي أطيعوني في الإيمان بالله تعالى واتّباع رسوله موسى: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ يعني أدُلُّكم على طريق الرُشد والصواب، لتنجوا من عذاب الله تعالى، وتفوزوا بجنّته، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ أي يَتنعَّم الناس فيها قليلاً، ثم تزولُ عنهم سريعاً، فينبغي ألا تَرْكَنوا إليها ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ﴾ بما فيها من النعيم المقيم ﴿هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ أي هي دار الإقامة التي تستقرون فيها (فينبغي أن تُفَضِّلوها على الدنيا، وأن تعملوا لها العمل الصالح الذي يُسعِدكم فيها)، واعلموا أنّ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾: يعني مَن عصى اللهَ في حياته وانحرف عن طريق الهدى، فلا يُجْزى في الآخرة إلا عقابًا يساوي معصيته (إلا لو تابَ وقَبِلَ اللهُ توبته)، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ – بامتثال أوامر ربه واجتناب نواهيه – ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ يعني سواء كان ذكراً أو أنثى، ولكنْ بشرط: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي بالله ورُسُله، وبما أخبرتْ به الرُسُل من الغيب ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي يَرزقهم الله من نعيمها ولَذّاتها بغير حساب.

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾: يعني كيف أدعوكم إلى التوحيد المؤدي بكم للفوز بالجنة والنجاة من النار، وأنتم تدعونني إلى العمل المؤدي بي إلى عذاب النار؟! إذ إنكم ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ﴾ في عبادته ﴿مَا لَيْسَ لِي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿بِهِ عِلْمٌ﴾: أي ليس هناك دليل على استحقاقه للعبادة (والله هو الخالق الرازق المُستَحِقّ وحده للعبادة) ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ أي أدعوكم إلى الطريق المُوصل إلى الله العزيز أي الغالب الذي لا يُغلَب، ولا يمنعه شيءٌ من فِعل ما يريد، ﴿الْغَفَّارِ﴾ لمن تاب إليه بعد معصيته وشِركه، ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا شك ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ يعني أنّ الذي تدعونني إلى عبادته ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي لا يَستحق الدعوة إليه، ولا يُلجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة (لعَجْزه ونَقصه)، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ يعني: واعلموا أن مصير الخلائق كلها إلى الله سبحانه، وسيُجازيهم بما عملوا، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ - الذين تعدَّوا حدود الله بالمعاصي وسفك الدماء والكفر - ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

♦ فلمّا نَصَحهم ولم يطيعوه، قال لهم: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾: يعني ستذكرون أني نصحتكم وذكَّرتكم، وسوف تندمون حيثُ لا ينفع الندم، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ وأعتصم به مِن شَرِّكم وإيذائكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ لا يَخفى عليه شيء من أعمالهم وكَيدهم.

- الآية 45، والآية 46: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾: أي نَجَّى الله ذلك الرجل المؤمن من عقوبات كَيْد فرعون وآله، حيثُ نَجّاه الله مع موسى وبني إسرائيل بعبور البحر سالمين، ﴿وَحَاقَ﴾ أي أحاطَ ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (حيث أغرقهم الله جميعاً في البحر)، وأصابهم سُوءُ العذاب في قبورهم حيثُ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أي صباحاً ومساءً ليُعَذَّبوا فيها إلى أن تقوم الساعة، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يقول الله للملائكة: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ في النار، (واعلم أنّ هذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر، الثابت في الصحيحين وغيرهما).

- الآية 47، والآية 48: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾: أي اذكر أيها الرسول لقومك حين يتجادل أهل النار، ويُعاتب بعضهم بعضًا، ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ وهم الأتباع المُقلِّدون ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم رؤساء الضلال: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي كنا تابعينَ لكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ يعني فهل تستطيعون أن تدفعوا عنا شيئاً من النار؟، فـ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ - مُوضِّحين عَجْزهم -: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ (فكيف ندفع عنكم شيئا من العذاب، ونحن لا نستطيع أن ندفعه عن أنفسنا؟!) ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ بقضائه العادل، وقسَّمَ بيننا العذاب بقَدْر ما يَستحق كل واحد منا.

- الآية 49، والآية 50: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ من المستكبرين والضعفاء ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ - وهم الملائكة المُوَكَّلون بالتعذيب في النار -: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ (لكي تحصل لنا بعض الراحة)، فـ ﴿قَالُوا﴾ لهم - توبيخًا -: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾؟ يعني ألم تأتكم رُسُلكم بالحُجَج الواضحة من عند الله فكذَّبتموهم؟، فاعترف الجاحدونَ بذلك، و﴿قَالُوا﴾: ﴿بَلَى﴾، فـ ﴿قَالُوا﴾ أي قال لهم خَزَنَة جهنم: ﴿فَادْعُوا﴾ أنتم (فإننا لا ندعو لكم، ولا نَشفع فيكم)، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي في ضياع، لأنه لا يُستجاب.

- الآية 51، والآية 52: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ على مَن آذاهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ يعني: وكذلك ننصرهم حين تشهد الملائكة للرُسُل أنهم قد بلَّغوا أُمَمهم، وتشهد للمؤمنين بتصديق رُسُلهم، وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أمام ربهم ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي الطرد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: أي لهم الدار السيئة في الآخرة، وهي نار جهنم.

- الآية 53، والآية 54، والآية 55: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾: يعني أعطيناه ما يَهدي الناس إلى الحق (كالتَوراة والمُعجِزات) ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾: أي جعلنا بني إسرائيل يتوارثون التوراة جيلاً بعد جيل، وقد كانت التوراة ﴿هُدًى﴾

www.alukah.net

أي إرشاداً لهم إلى الحق ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي موعظة لأصحاب العقول السليمة، ليتذكروا بها نِعَم الله عليهم، فيشكروه بطاعته وطاعة رُسُله، ﴿فَاصْبِرْ﴾ أيها الرسول على أذى المُشركين (كما صبر موسى على إيذاء فرعون وقومه)، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لا يتخلف، وقد وَعَدك بنصرك على كفار قريش، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ مِمّا عاتَبَك فيه ربك، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي استمِرّ على تنزيه ربك عمَّا لا يليق به، وأكثِر من الثناء عليه، قائلاً بلسانك وبقلبك: (سبحان الله وبحمده) ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ يعني في آخر النهار وأوّله، ولَعَلّ المقصود بذلك: صلاتَي الصبح والعصر، أو أذكار الصباح والمساء، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخاري -: (مَن قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرة: غُفِرَتْ ذنوبه ولو كانت مِثل زَبَد البحر) (وزَبَد البحر هي الرَغوةُ الطافية فوق سطح البحر)، (وفي هذا إرشادٌ إلى وجوب الصبر والتحمل من أجل الله تعالى، والاستعانة على ذلك بالاستغفار والذكر والصلاة).

- الآية 56: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ يعني مِن غير أن يكون عندهم حُجَّة من الله تعالى، أو عِلم أتاهم عن طريق الوحي، أولئك: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾: أي ليس في صدورهم إلا التكبر عن الانقياد للحق، وقد دَفَعَهم ذلك الكِبر إلى الجدال في الحق ليحاولوا إزالته (مِن أجل الوصول إلى العُلُوّ والرئاسة)، و﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾: يعني لن يصلوا إلى ما يدعوهم إليه ذلك الكِبر (وهو الرئاسة عليك والتحكم فيك وفي أصحابك)، فإنّ الله سينصرك عليهم، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ مِن شَرّهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم، ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم، القادر على دَفْع أذاهم وحِفظك مِن كَيدهم.

- الآية 57: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ﴾ أي أعظمُ ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وإعادتهم بعد موتهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمونَ أنّ خَلْق ذلك كله يسيرٌ على الله تعالى.

- الآية 58: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: أي لا يَتساوَى الكافر (الذي عَمِيَ عن آيات اللهِ تعالى رغم وضوحها)، والبصير الذي أبْصَرَ آيات اللهِ فآمَنَ بها، ولم يتكبر عن الانقياد للحق، ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ يعني: وكذلك لا يَتساوَى المؤمنونَ العاملون بشرع الله، والجاحدونَ العاملون للسيئات، ﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يعني قليلاً ما تتعظون أيها الناس وترجعون إلى الحق.

- الآية 59: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾ التي تقوم فيها القيامة ﴿لَآَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي لا شك في مجيئها، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يُصَدِّقون بمجيئها، ولا يستعدونَ لها (بسبب انقيادهم وراء الشهوات والمَلَذّات).

- الآية 60: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ وحدي، وخُصُّوني بالعبادة ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي يتكبرون عن إفرادي وحدي بالعبودية، ويتكبرون عن التذلل إليّ بالدعاء ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي أذِلاّء حقيرين.

♦ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما مِن مُسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثم ولا قطيعة رَحِم، إلا أعطاهُ اللهُ بها إحدى ثلاث: إمّا أن يُعَجِّل له دَعْوَته، وإمّا أن يَدَّخِرها له في الآخرة، وإمّا أن يَصرف عنه من السُوء مِثلها) (انظر صحيح الترغيب والترهيب ج:2).

- الآية 61: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ أيها الناس ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ وتستريحوا من التعب في طلب الرزق، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يعني: وجعل سبحانه النهارَ لتُبصِروا فيه، ولِتسعَوْا في طلب رزقكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بنعمِه الكثيرة عليهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (بل ربما استعانوا بنعمه على مَعاصيه)، وقليلٌ منهم الشكور الذي يَعترف بالنعمة، ويَستخدمها في طاعة المُنعم.

- الآية 62، والآية 63: ﴿ذَلِكُمُ﴾ الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا يَستحق العبادة غيره، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾؟ يعني فكيف تنصرفون عن توحيد الخالق وتعبدون مَا لا يَخلق شيئاً؟!، ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ): يعني كما صَرَفَ اللهُ كفار قريش عن الحق (بسبب إعراضهم عنه وإصرارهم على باطلهم رغم وضوح الحق)، فكذلك يُصرَف الجاحدونَ بحُجَج الله وأدلته عن الحق في كل زمان.

- الآية 64: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا) أي جَعَلها لكم مُستقرّاً لتستقروا فيها، ويَسَّرَ لكم الإقامة عليها، (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) أي جَعَلَ السماءَ سقفًا للأرض، وجَعَلها مُحكمة البناء حتى لا تسقط عليكم، (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ): أي خَلَقكم في أكمل هيئة وأحسن تقويم، (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ): أي رَزَقكم مِن الأطعمة الطيبة اللذيذة (من الثمار والحبوب واللحوم وغير ذلك)، (ذَلِكُمُ) الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو (اللَّهُ رَبُّكُمْ) المُستحِقّ وحده لعبادتكم (فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) أي عَظُمَتْ قدرته، وكَثُرَ خيره وفضله.

- الآية 65: (هُوَ الْحَيُّ) الذي له الحياة الكاملة التامة (والجن والإنس يموتون)، (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ): أي لا معبود بحقٍ إلا هو (فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ): أي ادعوه وحده وأنتم مُخلِصونَ له في عبادتكم، (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي الثناء الكامل والشكر التام لله رب الخلائق أجمعين، على نعمة الهداية إلى الدين الحق (بعبادته وحده لا شريك له)، (وهذه أعظم النعم، لأنّ فيها نجاة العبد من النار) (واعلم أنه من السُنّة: أن يَحمد العبدُ ربه بعد كل نعمة يُنعِم بها عليه - دينية كانت أو دنيوية -، فأكثِروا عبادَ الله مِن قول (الحمد لله) بألسنتكم وقلوبكم، فقد قال صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: (والحمدُ لله تملأ الميزان)، وهي كلمةٌ يُدفَعُ بها عنا العذاب، كما قال تعالى في سورة النساء: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ)).

****

4. الربع الأخير من سورة غافر

- الآية 66، والآية 67: (قُلْ) أيها الرسول لمُشركي قومك: (إِنِّي نُهِيتُ) أي نَهاني ربي (أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الأصنام وغيرها، وذلك (لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي): أي عندما جاءتني الآيات الواضحات من عند ربي، والتي تدل على استحقاقه وحده للعبادة، وبُطلان عبادة غيره، (وفي هذا توبيخ للمُشركين، الذين لم ينتهوا عن عبادة غير الله تعالى، وقد جاءتهم الحُجَج والبراهين من ربهم)، (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ) أي أخضع وأنقاد بالطاعة التامة (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)، (هُوَ) سبحانه (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ): أي خَلَقَ أباكم آدم من تراب، ثم تناسلت ذريته مِن نطفة (وهي ماء الرَجُل) (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) أي: ثم يَتحول هذا المَنِيّ بقدرة الله إلى عَلَقة (وهي قطعة من الدم الغليظ متعلقة بالرَحِم)، ثم تَمُرُّون بمراحل أخرى (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ) من بطون أمهاتكم (طِفْلًا) أي أطفالاً صغارًا (ثُمَّ) يُنَمِّيكم سبحانه ويُرَبِّيكم (لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) (وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل) (ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا): أي لتصيروا شيوخًا، (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ): يعني منكم مَن يموت قبل ذلك العُمر، وقد فعل اللهُ ذلك بكم لكي تعيشوا في هذه الدنيا (وَلِتَبْلُغُوا) بهذه المراحل المُقدَّرة (أَجَلًا مُسَمًّى) أي وقتاً معلوماً تنتهي عنده أعماركم (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) حُجَج الله عليكم بذلك، لتعلموا أنه لا إله غيره يفعل ذلك، فتعبدوه وحده وتطيعوا أمْره.

- الآية 68: (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ): أي هو سبحانه المُتفرِّد بالإحياء والإماتة، وأنتم تعلمون ذلك أيها المُشركون، فلقد كنتم أمواتًا - وأنتم في العَدَم - فأوجدكم سبحانه ونَفَخَ فيكم الحياة، فكذلك لا يُعجزه إحياء الناس بعد موتهم، (فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فكذلك يأمر الله الأرواح يوم القيامة أن تُرَدّ في الأجساد بكلمة: "كن"، فيكونُ ذلك في لمح البصر.

- من الآية 69 إلى الآية 74: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ): يعني ألاَ تعجَب - أيها الرسول - من هؤلاء المجادلين في آيات الله (رغم أنها واضحة الدلالة على توحيد الله وقدرته)؟! (أَنَّى يُصْرَفُونَ)؟! يعني كيف يَنصرفون عن الحق

www.alukah.net

إلى الباطل، رغم وضوح الحق وقوّة أدِلّته؟! وهؤلاء المجادلون هم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ أي القرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ مِن سائر الكتب السماوية، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تكذيبهم ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: أي حين تكون القيود في أعناقهم وهم في نار جهنم، ﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾ في أرجلهم، و﴿يُسْحَبُونَ﴾: أي تسحبهم ملائكة العذاب ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ (وهو الماء الحار الذي اشتدَّ غليانه وحرُّه) ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يعني: ثم بعد عذاب الحميم، توقد بهم النار (كما توقد بالحطب) ليُعانوا من لهيبها وشدة حَرِّها، ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ - توبيخًا وتأنيباً - وهم في هذه الحالة التعيسة: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؟ يعني أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله لِيُخلِّصوكم مِمّا أنتم فيه؟، فـ ﴿قَالُوا﴾: ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾: أي ذهبوا وغابوا عن عيوننا، ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾: يعني بل كنا في ضلال، وكانت عبادتنا لهم باطلة لا تساوي شيئًا، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: وكما ضَلَّت عنهم معبوداتهم في جهنم، فكذلك يُضِلّ الله الجاحدين عن طريق الصواب في الدنيا.

- الآية 75، والآية 76: ﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب الذي أصابكم، إنما هو ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: أي بسبب أنكم كنتم تفرحون بما تفعلونه من المعاصي ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ يعني: وبما كنتم عليه من التكبر على عباد الله وظُلمهم، فلذلك وَجَب أن يُقال لكم اليوم: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي قَبُحَ مصير المتكبرين على الانقياد لأوامر الله والمتكبرين على عباده.

- الآية 77: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أيها الرسول على تكذيب المُشركين، وامض في طريق دعوتك، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ - بنصرك عليهم وإعلاء دينك - هو ﴿حَقٌّ﴾ لابد من إتمامه، ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يعني: فإمَّا أن نُرِيَكَ - أيها الرسول - في حياتك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العقاب (كما حدثَ في بدر) ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نُرِيَكَ ذلك فيهم: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: ففي الحالتين سيرجعون إلينا بعد موتهم، وسنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

- الآية 78: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ ليدعوا قومهم إلى توحيد ربهم، فـ ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ في القرآن ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (لِحكمةٍ أردناها)، وكلهم مأمورونَ بتبليغ وحي الله إلى قومهم وبالصبر على إيذائهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ من الآيات المحسوسة أو العقلية ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ومشيئته، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بعذاب المُكَذِّبين: ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾: أي قضى الله بالعدل بين الرُسل ومُكَذِّبيهم (فأنجى الرُسل وأتباعهم وأهلك المُكَذِّبين) ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي هلك حينئذٍ أهل الباطل (الذين يريدون إبطال الحق بأهوائهم).

- الآية 79، والآية 80، والآية 81: ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ أي: منها ما تركبونه في أسفاركم ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أنواعاً مختلفة من اللحوم، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ - كالصُوف والجلود والألبان - ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني: ولتبلغوا - بالحمولة على بعضها - حاجةً في صدوركم (وهي الوصول إلى البلاد البعيدة بهذه الأثقال، للتجارة وغيرها)، ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: على الإبل في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ يعني: وعلى السفن في البحر: ﴿تُحْمَلُونَ﴾ أي تَركبون عليها (بعد أنْ سَخَّرَها اللهُ لكم)، أفلا تشكرونَ اللهَ تعالى على هذه النعم فتعبدوه وحده ولا تُشركوا به؟!)، ﴿وَيُرِيكُمْ﴾ سبحانه ﴿آيَاتِهِ﴾ الكثيرة الدالة على قدرته وتدبيره في خلقه، ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾: يعني فأيّ آية من آياته تنكرونها؟! (فإنّ آياته واضحة لا تقبل الإنكار).

- من الآية 82 إلى الآية 85: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ - أي هؤلاء المكذبون -، ألم يَمشوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ متأملينَ مُعتبِرين، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كيف كان مصير المُكَذِّبين مِن قبلكم (كعاد وثمود وقوم لوط) وما نزل بهم من الهلاك، وقد ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عدداً وسلاحاً ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ في أجسامهم ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ كالأبنية والمصانع

والحدائق وغير ذلك، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي فلم ينفعهم – حين جاءهم العذاب – ما كانوا يكسبونه مِن مالٍ ورجال وقوة مادية، ولم تدفع عنهم مِن عذابَ اللهِ شيئاً حينَ نَزَلَ بهم، **ثم أخبر سبحانه عن سبب هلاكهم قائلاً:** ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالدلائل الواضحة: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: أي فرحوا – جهلاً منهم – بما عندهم من العلم المُناقِض لِمَا جاءت به الرُسُل، (**أو لَعَلّ المقصود**: فرحوا بما عندهم من العلم الدُنيوي وسَخِروا من العلم الروحي واستهزؤوا بأهله) ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعني أحاط بهم – من كل جانب – العذاب الذي كانوا يَسخرونَ منه ويستعجلونَ به، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي عذابنا الشديد نازلاً بهم ﴿قَالُوا﴾: ﴿آَمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: يعني فلم ينفعهم إيمانهم هذا حين رأوا عذابنا (لأنه إيمانٌ قد اضطُرُّوا إليه، وليس إيمانَ اختيارٍ ورغبة)، **وقد كانت هذه** ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾: أي طريقته في الأمم كلها أنه لا ينفعها الإيمان إذا رأوا العذاب، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾: أي هَلَكَ الجاحدونَ عند مجيء العذاب، فلم يستطيعوا النجاة والفرار.

****

www.alukah.net

تفسير سورة فصلت كاملة

1. الربع الأول من سورة فصلت

- من الآية 1 إلى الآية 4: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (حا ميم)، هذا القرآنُ (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ) وهو الله تعالى صاحب الرحمة العامة (التي وَسِعَتْ جميع خلقه)، (الرَّحِيمِ) أي صاحب الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، (وقد نَزَّل سبحانه القرآن، على نَبيّه محمد عليه الصلاة والسلام)، وهو (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ): يعني بُيِّنَتْ آياته للناس - بياناً في أعلى أنواع البَيان - وذلك بتوضيح الحلال والحرام، والقصص والمواعظ، والآداب والأخلاق، والعقائد والبراهين، بما لا مَثِيل له في أيّ كتابٍ سابق، وقد جعله الله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا): أي بلُغة عربية واضحة المعنى، في غاية الفصاحة والبلاغة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أي يعلمون اللسان العربي، وقد نَزَلَ القرآنُ ليكون (بَشِيرًا) بالثواب لمن آمن به وعمل بهُداه (وَنَذِيرًا) بالعقاب لمن كَفَرَ به واتَّبعَ هواه، (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ): أي أعرض عنه أكثر الناس، فلم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه (رغم وضوحه وقوة أدلته)، وذلك بسبب الكِبر والعناد، والانقياد وراء الهوى والشهوات، (فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) أي لا يسمعونه سماع تدبر وانتفاع.

- الآية 5: (وَقَالُوا) أي قال هؤلاء المُعرِضون للنبي محمد: (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ): يعني قلوبنا في أغطية مانعة من فَهم ما تدعونا إليه، (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) أي ثِقَل في السمع فلا نقدر على سماع ما تقول، (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) أي ساتر يَحجبنا عن إجابة دَعْوتك، (فَاعْمَلْ) بما يدعو إليك دينك، ف (إِنَّنَا عَامِلُونَ) بما يدعو إليه ديننا.

- الآية 6، والآية 7: (قُلْ) لهم أيها الرسول: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) والفرق بيني وبينكم أنني (يُوحَى إِلَيَّ) - مِن ربي - (أَنَّمَا إِلَهُكُمْ) أي معبودكم الحق هو (إِلَهٌ وَاحِدٌ) وهو اللهُ الخالق الرازق، المُستحِقّ وحده للعبادة، (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) أي اسلكوا الطريق المُوصل إليه (وَاسْتَغْفِرُوهُ) نادمينَ على ما فعلتم، مُعترفينَ بخطئكم، (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) الذين عبدوا من دون الله أصناماً لا تنفع ولا تضر، وهم (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) لمُستحِقّيها، (فلا إخلاص منهم للخالق ولا نفع فيهم للمخلوقين) (وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ) - وما فيها من البعث والحساب والجزاء - (هُمْ كَافِرُونَ).

- الآية 8: (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا) باللهِ ورسوله، وبكل ما أخبر به من الغيب (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) - بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شَرَعه - (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ): أي لهم ثوابٌ عظيم غير مقطوع ولا ممنوع.

- من الآية 9 إلى الآية 12: (قُلْ) أيها الرسول لهؤلاء المُشركين - مُوَبخًا لهم ومُتعجبًا مِن فِعلهم -: (أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) وهو اللهُ سبحانه وتعالى (وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا): أي تجعلونَ له شركاء تعبدونهم معه؟!، (ذَلِكَ) الخالق هو (رَبُّ الْعَالَمِينَ) أي مالك الخلائق أجمعين ومُدَبِّر أمورهم، فكيف تعبدونَ معه غيره؟!.

(وَجَعَلَ) سبحانه (فِيهَا) أي في الأرض (رَوَاسِيَ) أي جبالاً راسية لتُثبِّت الأرضَ (مِنْ فَوْقِهَا) (وَبَارَكَ فِيهَا): أي باركَ سبحانه في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها، (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ): يعني قدَّر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يُصلِحهم من المعاش في أربعة أيام: (يومان خَلَقَ فيهما الأرض، ويومان جعل فيها جبالاً وقدَّر فيها أقواتها)، وقد كانت هذه الأيام الأربعة (سَوَاءً) أي كاملة (لِلسَّائِلِينَ) أي: لمن أراد السؤال عنها، (إنّ ذلك يدل على تدبير الله تعالى وقدرته، وعنايته بمصالح خلقه وسِعَة رحمته بهم، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبَد ولا يُعبَد غيره).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ثُمَّ﴾ بعد أنْ خَلَقَ سبحانه الأرض: ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾: أي قَصَدَ سبحانه إلى السماء (وقد كانت دخانًا مِن قبلُ) ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: أي انقادا لأمري مُختارتَين أو مُجبرتَين، فـ ﴿قَالَتَا﴾: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أي خاضعينَ لك (ليس لنا إرادة تخالف إرادتك) ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي فرَغَ سبحانه مِن خَلْق السماوات السبع في يومين، (فتمَّ بذلك خَلْق السماوات والأرض في ستة أيام، مع قدرته سبحانه على خَلْقهما في لحظة واحدة بكلمة "كُن"، ولكنه سبحانه أرادَ ذلك لِحِكَمٍ عالية، منها تعليم عباده الصبر والتمهل في الأمور، والتدرج في إيجاد الأشياء شيئاً فشيئاً)، ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾: يعني أمَرَ في كل سماءٍ ما أراده أن يكون فيها من المخلوقات والطاعات (إذ هو سبحانه يأمر الشيء أن يكون، فيكون)، ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ (وهي السماء القريبة من الأرض)، فقد زيّنَها الله للناظرينَ إليها ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ (وهي النجوم المضيئة)، فجَعَلَها سبحانه زينةً للسماء ﴿وَحِفْظًا﴾ لها من الشياطين (إذ كانوا يُرجَمونَ بالشهب – التي هي من جملة النجوم – إذا حاولوا الوصول إلى السماء ليعلموا شيئاً من الغيب الذي تتحدث به الملائكة)، ﴿ذَلِكَ﴾ الخلق البديع هو ﴿تَقْدِيرُ﴾ أي إيجاد وتنظيم ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يَمنعه شيئٌ مِمّا أراده في مُلكه، ﴿الْعَلِيمِ﴾ بكل خلقه.

– الآية 13، والآية 14: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان – بعدما تبَيَّنَ لهم أوصاف القرآن وبلاغته، وعظمة الله وقدرته – ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ يعني أنذرتكم عذابًا يَستأصلكم ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (حين كفروا بربهم وعصوا رُسُله) ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾ وهم هود وصالح عليهما السلام، فجاؤوهم ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ (والمقصود أنهم جاؤوا متتالينَ يَتْبَع بعضهم بعضًا)، قائلينَ لهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، فـ ﴿قَالُوا﴾ لرُسُلهم: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ ألاَّ نُشرك به ﴿لَأَنْزَلَ﴾ إلينا ﴿مَلَائِكَةً﴾ لتأمرنا بذلك، ولم يُرسلكم وأنتم بشرٌ مثلنا، ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

– الآية 15، والآية 16: ﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾ وهم قوم هود: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أي تعاظَموا في الأرض التى خلقها الله لهم، وتكبروا على العباد، وعن اتِّباع هود عليه السلام ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ إذ لا حقّ لهم في ذلك الاستكبار، لأنّ الله لم يأذن لهم به، وإنما الكبرياء لله وحده، ﴿وَقَالُوا﴾ في غرور: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾؟! ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ رغم وضوح الحُجَج على قدرة الله تعالى واستحقاقه وحده للعبادة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي ريحًا شديدة البرودة، عالية الصوت ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾: يعني في أيامٍ مشؤوماتٍ عليهم ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي عذاب الذل والهوان ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أي أشد ذلا وهوانًا، ﴿وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ بمنع العذاب عنهم أو تخفيفه.

– الآية 17: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾ وهم قوم صالح: ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾: أي بَيَّنَّا لهم سبيل الحق وطريق الرُشد ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾ أي أحبوا العمى وفضَّلوه ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾: يعني أهلكتهم صاعقة العذاب المُهين؛ جزاءً ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

– الآية 18: ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ – من العذاب الذي نزل بعاد وثمود –: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ برُسُلهم ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي كانوا يتقون عذاب ربهم بالتوحيد والعمل الصالح.

– من الآية 19 إلى الآية 23: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ﴾ أي اذكر أيها الرسول يوم يُجمَع ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يُحبَس أوّلهم لِيَلحق بهم آخرهم، فيُساقوا جميعاً إلى النار، ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ يعني إذا وصلوا إلى النار وأنكروا جرائمهم، وقالوا: (لا نقبل شاهداً علينا من غير أنفسنا)، فعندئذٍ ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ – مُعاتِبين –: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾؟!، فـ ﴿قَالُوا﴾ أي قالت لهم جلودهم: ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿وَهُوَ﴾ الذي ﴿خَلَقَكُمْ

www.alukah.net

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي بدأ خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئًا، ثم أماتكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم، وها أنتم قد رجعتم إليه، **فالقادر على هذا كله**: قادرٌ على أن يُنطِقنا وقتما يريد، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾: يعني إنكم – عند ارتكابكم المعاصي – لم تكونوا تَستَخفون فتتركوا المعاصي خوفًا من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ يوم القيامة، ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾ عند ارتكابكم الفواحش ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي، ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ يعني: وهذا الظن السيِّئ الذي ظننتموه بربكم هو الذي أهلككم وأدخلكم النار (لأنه جرَّأكم على ما يُغضب ربكم) ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ اليوم ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين خسروا الدنيا والآخرة.

– الآية 24: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ على العذاب: ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ يعني: فالنار مأواهم، **ولن يفيدهم الصبر شيئاً**، ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾: أي يَطلبوا الرجوع إلى الدنيا؛ ليستغفروا ربهم ويعملوا بطاعته: ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ أي لا يُجابوا إلى ذلك، ولا تُقبَل لهم أعذار.

– الآية 25: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾: أي جعلنا لهؤلاء الجاحدين قرناء فاسدين من شياطين الإنس والجن في الدنيا ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي حسَّنوا لهم قبائح أعمالهم في الدنيا، ودعَوهم إلى لذاتها وشهواتها المُحَرّمة، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعني: وكذلك زَيَّنوا لهم ما خَلْفهم من أمور الآخرة، فأنسوهم ذِكرها، ودعَوهم إلى التكذيب بها ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يعني: وبذلك استحقوا دخول النار ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي في جملة أمم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ﴾ كَفَرة ﴿الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ إذ خسروا أعمالهم في الدنيا، وخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

– الآية 26، والآية 27، والآية 28: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما بينهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ ولا تنقادوا لأوامره، ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾: أي ارفعوا أصواتكم بالصياح والصفير والتشويش على محمد إذا قرأ القرآن ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾: أي لَعَلّكم تغلبونه، فيترك القراءة وننتصر عليه، **ثم قال تعالى** – مُهَدّداً لهم –: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي سوف نجزيهم على أعمالهم بمثل جزاء أقبح عمل كانوا يعملونه وهو الشِرك (الذي يسبب لهم الخلود الأبدي في النار) ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾: يعني هذا الجزاء – وهي النار – هي جزاء أعداء الله (الذين كفروا بتوحيده وحاربوا رسوله ودَعْوته)، ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ أي في النار ﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي دار الخلود والشقاء الدائم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فلم يؤمنوا بها ولم يعملوا بما فيها، (**وفي الآيات دليل** على عِظَم جريمة مَن صَرَفَ الناس عن القرآن العظيم، أو مَنَعهم عن تدبره وهدايته بأيِّ وسيلةٍ كانت).

– الآية 29: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهُم في النار: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ (**ولَعَلّ المقصود هنا**: إبليس مِن الجن، وقابيل بن آدم، إذ الأول قد دَلَّ الناس على كل شر، والثاني قد اقتدى به الناسُ في القتلِ ظلماً واعتداءً)، ويُحتمَل أيضاً أن يكون المقصود: كل مَن كانَ سبباً في إضلالهم من الصنفين: (الجن والإنس)، **ثم أخبروا عن السبب** الذي مِن أجْله طلبوا رؤية هؤلاء المُضِلِّينَ فقالوا: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي تحتنا في العذاب ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي في الدرك الأسفل من النار انتقاماً منهم بسبب إضلالهم لنا.

****

2. الربع الثاني من سورة فصلت

– الآية 30، والآية 31، والآية 32: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (إذ هو الذي خلقنا وحده، فلذلك لن نعبد غيره)، ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على شريعة ربهم، أولئك ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند موتهم قائلين لهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تركتموه من أمور الدنيا ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وتقول لهم الملائكة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾: يعني نحن أنصاركم وأعوانكم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إذ كنا نعينكم في جميع أموركم، ونحفظكم من الوقوع في المعاصي، وسوف نَرعَى لكم بإذن الله ما أهَمّكم من أمور الدنيا، ﴿وَفِي الْآَخِرَةِ﴾ نستقبلكم عند خروجكم من قبوركم حتى تطمئنوا، ونكون معكم أيضاً في الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾ وتفرح به أعينكم، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: أي يَتحقق لكم كل ما تتمنونه وتشتهونه، فمَهما طلبتم مِن شيءٍ وجدتموه بين أيديكم، وقد كان ذلك ﴿نُزُلًا﴾ أي ضيافةً وإنعامًا لكم ﴿مِنْ غَفُورٍ﴾ لذنوبكم، ﴿رَحِيمٍ﴾ بكم.

– الآية 33: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ يعني: لا أحد أحسن قولاً ﴿مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي دعا الناس إلى توحيده وطاعته ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (فبذلك جمع بين العلم والعمل بما يدعو إليه، فكانَ قدوةً لمن يدعوهم)، ﴿وَقَالَ﴾: ﴿إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي المُنقادينَ لأمر الله وشَرْعه.

– الآية 34، والآية 35: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾: أي لا تستوي حسنة الذين استقاموا على شرع الله تعالى وأحسنوا إلى خلقه، مع سيئة الذين خالفوا أمره، وأساؤوا إلى خلقه، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني: ادفع بعفوك وحِلمك وإحسانك مَن أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه، ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ يعني: فبذلك يصير المُسيء إليك – الذي بينك وبينه عداوة – كأنه قريبٌ لك مُشفِقٌ عليك، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: أي لا يُوفَّق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صَبَّروا أنفسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: أي لا يُوفَّق لها إلا ذو نصيب عظيم من السعادة في الدنيا والآخرة.

– الآية 36: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: يعني إذا أصابك مِن الشيطان غضب، أو أحسستَ منه بوسوسة تدفعك إلى مُجازاة المُسيء بالإساءة: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي الجأ إلى اللهِ تعالى، مُعتَصِماً به بصِدق، مُتذللاً إليه أن يُحَصِّنَكَ مِن شره، قائلاً – بلسانك وبقلبك- : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لاستعاذتك به، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بضَعفك وحاجتك إليه، القادرُ على دَفْع وسوسة الشيطان وأذاه.

– الآية 37، والآية 38: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ﴾ الدالة على وحدانيته سبحانه وكمال قدرته: ﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ والمقصود: تعاقب هذه المخلوقات وراء بعضها بنظامٍ مُتقَن، إذ كل ذلك تحت تسخيره وقهره، ولا يتحركون إلا بأمره وإذنه، فلذلك ﴿لَا تَسْجُدُوا﴾ أيها الناس ﴿لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ فإنهما مخلوقان مُدَبَّران ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يعني إن كنتم حقًّا مُنقادينَ لأمره، مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له، ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ يعني: فإن استكبر مُشركو قومك أيها الرسول عن عبادة الله وحده، فإنّ الله غنيٌ عن عبادتهم ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ولا يستكبرون عن ذلك ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ أي لا يَمَلّونَ من العبادة، ولا يتعبون منها.

– الآية 39: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ﴾ الدالة على وحدانية الله وكمال قدرته ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي يابسة مَيِّتة لا نباتَ فيها، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ أي دبَّت فيها الحياة، فتحركت وتشققت ليَخرج منها النبات، ﴿وَرَبَتْ﴾ أي ارتفعت وزادت لارتوائها بالماء ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ بعد موتها ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ من قبورهم ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

– الآية 40: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا﴾ وهم الذين يَميلون عن الحق، فيَكفرونَ بالقرآن، ويجادلون فيه بغير علم، ويحاولون تحريف معانيه لتوافق أهوائهم، أولئك ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ بل نحن مُطَّلِعونَ عليهم، قادرونَ على عقابهم، (واعلم أنّ الإلحاد في اللغة: هو المَيْل عن وَسط الشيء)، ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يعني أهذا المُلحد في آيات الله –

www.alukah.net

الذي يُلقى في النار – خيرٌ أم الذي يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله، مُستحِقًا لثوابه، لإيمانه به وتصديقه بآياته؟!، ﴿اعْمَلُوا﴾ أيها المُلحدون ﴿مَا شِئْتُمْ﴾ ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالكم، وسيجازيكم عليها أشد الجزاء.

– الآية 41، والآية 42: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ أي جَحَدوا بالقرآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ مِن عند ربهم (أولئك هالكونَ ومُعذَّبون)، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ أي مَنيع غالب (لا يقدِر أحد على تغييره أو تبديله أو الإتيان بمِثله)، فـ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي لا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه، فهو محفوظ من أن يُنقَص منه، أو يزاد فيه، والسبب في عزة القرآن وحِفظه أنه ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ﴾ في صُنعه وتدبير أمور عباده، ﴿حَمِيدٍ﴾ أي يَستحق الحمد والثناء في كل حال، لِكَثرة نِعَمِه على مخلوقاته.

– الآية 43: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب – أيها الرسول – ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (إذاً فاصبر على ما يصيبك في سبيل الدعوة، كما صبر هؤلاء الرُسُل)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لذنوب التائبين، ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لمن أصرَّ على كُفره ومعاصيه.

– الآية 44: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾: يعني لو جعلنا هذا القرآن بلُغةٍ غير عربية – كما اقترح بعضُ المُشركين –: ﴿لَقَالُوا﴾ أي سيقول المُشرِكون حينئذٍ: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: يعني هلّا بُيِّنتْ آياته لنفهمه، ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾؟ يعني كيف يكون هذا القرآن أعجمي، ولسان الذي أُنزِلَ عليه عربي؟! (وكل هذا من أجل الإصرار على عدم الإيمان بالقرآن الكريم)، ولمّا عَلِمَ سبحانه ذلك الإصرار منهم، أمَرَ رسوله أن يقول لهم: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾: يعني إنّ هذا القرآن فيه هدايةٌ للذين آمنوا من الضلال، وفيه شفاءٌ لِمَا في صدورهم من أمراض الشهوات والشُبُهات، ومن أمراض الجهل والكِبر والرياء، والحسد والغل وغير ذلك)، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي ثِقَلٌ مِن سماعه وتدبره، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: أي هو على قلوبهم عَمًى، فلا ترى قلوبهم أدلته ولا تهتدي بها (وهذا كله عقوبةٌ مِنَ الله تعالى لهم، بسبب كَراهيتهم للحق، لأنه لا يوافق أهوائهم الفاسدة وشهواتهم الرخيصة)، ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: يعني إنّ حال أولئك المُشرِكين كمن يُنادَى وهو في مكانٍ بعيد، لا يسمع داعيًا، ولا يُجيب مناديًا.

– الآية 45: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ – وهو التوراة – ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: أي اختَلَفَ فيه قومه، فآمَنَ به جماعة وكَفَرَ به آخرون (كما فَعَلَ قومك بالقرآن أيها الرسول)، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأجيل العذاب عن قومك: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: أي لَنَزَلَ بهم قضاؤهُ في الدنيا بإهلاك المُكَذِّبين ونجاة المؤمنين، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ يعني: وإنّ الكفار لَفي شكٍّ مِن هذا القرآن مُوقِع في الحيرة والقلق (وذلك بسبب فساد قلوبهم واتّباعهم لأهوائهم).

– الآية 46: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ لأنّ ثواب ذلك سيعود عليه وحده، ﴿وَمَنْ أَسَاءَ﴾ فعصى الله ورسوله ﴿فَعَلَيْهَا﴾ يعني فإنما عقاب تلك الإساءة سيعود على نفسه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

– الآية 47، والآية 48: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: يعني إلى الله وحده يُرجَع علم قيام الساعة، فلا يعلم أحدٌ وقت قيامها غيره، ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ يعني: ما مِن ثمراتٍ تخرج من أوعيتها ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي بعِلمٍ من الله تعالى (لا يَخفى عليه شيءٌ من ذلك)، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ يعني: ويوم ينادي الله المُشركين يوم القيامة – توبيخًا لهم وإظهارًا لكذبهم –: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ الذين كنتم تشركونهم في عبادتي؟ ﴿قَالُوا﴾: ﴿آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾: يعني أعلمناك اليوم – بعد أن تيَقنّا من الحقيقة – أنه ما منا مِن أحدٍ يشهد أنّ معك شريكًا، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾: أي ذهب وغاب عنهم شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ يعني أيقنوا أنه لا هروب لهم ولا نجاة من عذاب الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 49، والآية 50: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾: أي لا يَمَلُّ الإنسان من دعاء ربه طالبًا الخير الدنيوي، ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يعني إن أصابه ابتلاءٌ وشدة: ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾: يعني فهو يؤوس من رحمة الله، قنوط (أي ظاهر عليه اليأس) لسُوء ظنه بقدرة ربه، القادر على تفريج كربه، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ - كأنْ يُوَسِّعَ اللهُ عليه في رزقه بعد أن كانَ في ضِيقٍ من العَيش - ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ عند ذلك: ﴿هَذَا لِي﴾: يعني قد أتاني هذا لأني مُستحِقٌ له، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: يعني لا أعتقد أن القيامة واقعة، ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ - على سبيل الفرض -: فـ ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ يعني: فإنّ لي عنده الجنة، ثم قال تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ من السيئات، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي مِن عذابٍ فظيع في نار جهنم.

- الآية 51: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بمالٍ وصحةٍ وغير ذلك: ﴿أَعْرَضَ﴾ عن شُكر ربه ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ أي تباعَدَ عن طاعته وتكَبَّرَ على الناس، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يعني: إذا أصابته شِدَّةٌ - مِن فقر أو مرض أو غير ذلك -: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ يعني: فهو حينئذٍ ذو دعاءٍ كثير بأن يكشف الله عنه ضرَّه، (فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء) (إلا مَن عَصَمه الله تعالى في الحالتين)، لأن الله سبحانه قد استثنى الصابرينَ الشاكرينَ بقوله - في سورة هود-: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي على ما أصابهم من الضُرّ (احتسابًا للأجر عند اللهِ تعالى)، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ شُكراً للهِ على نِعَمِه ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

- الآية 52: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُكَذِّبين: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾، فأخبروني إذاً: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؟ يعني مَن يكون أضَلّ منكم؛ وأنتم تعيشون في هذا الخِلاف البعيد عن الحق والصواب، بسبب كُفركم بالقرآن وعداوتكم للحق مِن بعد ما تبيَّن لكم؟! لا أحد أضَلّ منكم عن طريق الهدى، إذاً فلماذا لا ترجعون إلى رُشدكم، وتؤمنون بآيات ربكم، لتنجوا من ناره وتسعدوا بجنته؟

- الآية 53: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ (كالفتوحات الإسلامية وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وكذلك سنُريهم آياتنا في أقطار السماوات والأرض وما اشتملتا عليه من بديع آيات الله تعالى)، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (وما فيها مِن عجائب صُنع الخالق العظيم) ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ من تلك الآيات ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن الكريم هو ﴿الْحَقُّ﴾ من عند رب العالمين.

♦ فدَعُونا نتساءل بإنصاف: (مَن يَملِكُ أن يقول هذا الكلام بهذه القوة، ثم يُحَقِّقُ ما قالهُ إلا خالقُ الكون سبحانه وتعالى؟!)، إنّنا نقول - وبِكُلّ وضوح - : (إنَّ الذي خَلَقَ الكون هو الذي قال القرآن)، فعلى سبيل المِثال: يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ (أي ننزعه منه)، يقول البروفيسور "يوشيودي كوزان" (مدير مَرصَد طُوكيو): (إنَّ هذا القرآن يَصِفُ الكونَ مِن أعلى نقطةٍ في الوجود، فكل شيء أمامه مكشوف، إنَّ الذي قال هذا القرآنَ يرى كل شيء في هذا الكون، فليس هناك شيءٌ قد خَفِيَ عليه)، وهذا مِصداقٌ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وأما المُسْتَشرق الأدِيب "غوتة" - وكانَ أحد أعداء الإسلام - فقد قال في كتابه (الدِيوان الشرقي للشاعر الغربي): (القرآن ليس كلامَ البشر، فإذا أنْكَرْنا كَوْنَهُ مِن الله: فمَعناهُ أننا اعتبرنا محمداً هو الإله).

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يعني ألم يَكفك أيها الرسول شهادة ربك بصِدقك؟!، إذاً فلا تلتفت إلى تكذيبهم ولا تحزن على إعراضهم.

- الآية 54: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ أي هؤلاء الكافرين ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ أي في شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة، ﴿أَلَا إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (علمًا وقدرة)، فلا يَخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، (وسوف يعاقبهم على تكذيبهم بالحق من بعد ما تبَيَّنَ لهم).

****

www.alukah.net

تفسير سورة الشورى كاملة

1. الربع الأول من سورة الشورى

– الآية 1، والآية 2: ﴿حم﴾ ﴿عسق﴾: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (حا ميم) (عَيْن سِين قاف).

– الآية 3، والآية 4، والآية 5: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾: يعني كما أنزل الله إليك هذا القرآن – أيها الرسول –، فكذلك أنزل الكُتُب على الأنبياء من قبلك، وهو سبحانه ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يَمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الأمور في مواضعها (ولذلك اختارك أيها الرسول لتبليغ رسالته دونَ غيرك)، وهو الذي ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكًا وتدبيرًا وتصرُّفاً وإحاطة، فيَفعل ما يشاء ويَحكم ما يريد، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاته وقدْره وقهره، ﴿الْعَظِيمُ﴾ الذي خضعتْ له أعظم المخلوقات، إذ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾: أي لقد قارَبَت السماوات أن يتشقّقنَ، كل واحدة فوق التي تحتها؛ وذلك من عظمة ربهم وجلاله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: أي يُسَبِّحونَ اللهَ تعالى تسبيحاً مَقرونًا بالثناء والحمد، ويُنَزِّهونه – أي يَنفونَ عنه – كل ما لا يليق به، قائلين: (سبحان اللهِ وبحمده)، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي يَطلبون من ربهم أن يغفر ذنوب المؤمنين مِن أهل الأرض، لأنّ الله تعالى قال في سورةِ غافر: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوب التائبين إليه بصِدق، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، فلا يُعذبهم بذنبٍ تابوا منه.

– الآية 6: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي اتّخذوا آلهةً باطلة – يَرجونَ نَصْرها مِن دون الله تعالى – ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي يحفظ عليهم أفعالهم؛ ليجازيهم بها يوم القيامة، ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ أيها الرسول ﴿عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: أي لستَ مُوَكّلاً بحفظ أعمالهم، ولستَ مُكلَّفاً بحسابهم، وإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، وليس عليك شيءٌ من المسئولية بعد البلاغ.

– الآية 7: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي بلُغة عربية واضحة المعنى، في غاية الفصاحة والبلاغة ﴿لِتُنْذِرَ﴾ به ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ وهي "مكة" ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ مِن سائر الناس، ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾: أي تخوّفهم عذابَ يوم الجمع، وهو يوم القيامة، الذي ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك في مَجيئه، والذي يكونُ الناسُ فيه فريقَين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾ وهم الذين آمنوا بالله تعالى واتَّبعوا رُسُله، ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ أي في النار الموقدة، وهم الذين كفروا بتوحيد ربهم وخالفوا رُسُله.

– الآية 8: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي لَجَعَلَ الناس كلهم جماعةً واحدة على دينٍ واحد وهو الإسلام، ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ يعني: ولكنه سبحانه أراد أن يُدخل في رحمته مَن يشاء (مِمَّن عَلِمَ أنه يُفَضِّل الهدى على الضلال، والآخرة على الدنيا)، ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم بالشِرك والمعاصي ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أمورهم يوم القيامة، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يُنقِذهم من عذاب ربهم.

– الآية 9: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: يعني بل اتخذ هؤلاء المُشرِكون آلهةً يعبدونها ويرجون نصرها لهم من دون الله، كلا، لن ينفعوهم بشيء، ﴿فَاللَّهُ﴾ وحده ﴿هُوَ الْوَلِيُّ﴾ الذي يتولاه عبادُهُ المؤمنون بمحبته وطاعته ونُصرة دينه، وهو يتولَّاهم بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وبنصرهم على أعدائهم، وإعانتهم في جميع أمورهم (فهو سبحانه الولي الحق، وأما غيره فلا تنفع ولايته ولا تضر)، ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ مِن قبورهم يوم القيامة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزه شيء.

– الآية 10، والآية 11، والآية 12: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: وأيُّ شيءٍ تختلفون فيه أيها الناس من أمور دينكم: ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: فأرجِعوا الحُكم فيه إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الله تعالى قال في سوة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

النساء: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ﴿ذَلِكُمُ﴾ أي الحاكم العدل العظيم هو ﴿اللَّهُ رَبِّي﴾ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: يعني عليه وحده اعتمدتُ ووَثقت، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ يعني: وإليه أرجع في كل شؤوني، وكيف لا أعتمد عليه؟! وهو سبحانه ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي خالقهما ومُبدعهما بقدرته ومشيئته وحِكمته، وقد ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ – أي مِن نفس نوعكم – ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي زوجاتٍ لتستريح نفوسكم معهنّ، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ (ذكورًا وإناثًا)، ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾: أي يخلقكم في هذا النظام (نظام الذكر والأنثى)، ويُكَثِّركم بسبب هذا التناسل، وهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي لا يُشبهه شيءٌ من مخلوقاته (لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله)، (وإننا نُثبِت له الصفات التي أثبتها سبحانه لنفسه، والتي أثبتها له رسوله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من غير تشبيهٍ لهذه الصفات بصفات مخلوقاته)، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل الأصوات ﴿الْبَصِيرُ﴾ بكل الكائنات.

♦ فاللهُ تعالى يَسمع ويُبصِر، والإنسان أيضًا يَسمع ويُبصِر، ولكنَّ سَمْعَ الإنسان وبصره لهما حدودٌ؛ إذ إنه لا يستطيع أن يُبصِرَ ما وراء الحائط، وكذلك لا يستطيع أن يَسمع ما يدور في الغرفة المجاورة له، أمّا اللهُ تبارك وتعالى فليس لِسَمعِهِ ولا لبصره حدود، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿تبارك الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأصوات، إنّ المرأة لَتُناجي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أسمعُ بعض كلامها، ويَخفى عليَّ بعض، إذ أنزل اللهُ تبارك وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾﴾.

♦ وهو سبحانه الذي ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي له مفاتيح خزائن السماوات والأرض، يعطي خَلْقَه منها ما يشاء، ف ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: أي يوسِّع الرزق لمَن يشاء مِن عباده ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يعني: ويُضيِّقه على مَن يشاء منهم، (وذلك بحسب حِكْمته البالغة؛ إذ هو سبحانه الأعلم بما يُصلِح عباده مِن الفقر والغنى)، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

****

2. الربع الثاني من سورة الشورى

– الآية 13: ﴿شَرَعَ﴾ سبحانه ﴿لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ – على لسان نبيِّه محمد – ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ أن يُبلّغه، ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني: وهو نفس الشيء الذي وَصَّيناك أيها الرسول أن تبلّغه للناس ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: وهو نفس الشيء الذي وَصَّينا به إبراهيم ﴿وَمُوسَى وَعِيسَى﴾، ثم وَضّح سبحانه هذا الشيء الذي وَصّاهم به قائلاً: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ (وذلك بعبادته وحده وطاعته واجتناب معصيته)، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي لا تختلفوا في الدين الذي أمَرتُكم به، وهو الإسلام (الذي هو الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى، وعبادته بما شَرَع)، ولكنْ ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: يعني ثَقُلَ على المُشرِكين ما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له (لأن ذلك لا يوافق أهوائهم الفاسدة وشهواتهم الرخيصة)، فلا تحزن أيها الرسول على كِبرهم وعِنادهم، ف ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي يختار لتوحيده مَن يشاء مِن خلقه (مِمَّن لا يُصِرُّون على الباطل)، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ أي يُوَفِّق للعمل بطاعته مَن يرجع إليه بالتوبة والدعاء (فيَطلب منه الهداية بصدق، ويَسعى في تحصيل أسبابها، بخلاف المُعرِضين المُستكبرين)، (واعلم أن هؤلاء الأنبياء المذكورين هم أولو العَزم من الرُسُل، وذلك على المشهور من أقوال العلماء).

– الآية 14: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: ما تفرَّق العرب واليهود والنصارى في دين الله تعالى – فآمَنَ به بعضهم وكَفَرَ الآخرون – إلا مِن بعدما جاءهم العلم الصحيح الذي يَحمله القرآن، وقامت عليهم الحُجَّة ببعثة محمد عليه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصلاة والسلام، وذلك ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: يعني ما دفعهم إلى الكفر والتفرق إلا الظلم والحسد وطلب الدنيا، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عن الكافرين ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني إلى وقت معلوم (وهو يوم القيامة) ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لَحَكَمَ اللهُ بين هؤلاء المتفرقين (بإهلاك الكافرين منهم وإنجاء المؤمنين)، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ وهُم الذين بَلَّغَهم الرسولُ القرآن (وهم اليهود والنصارى ومُشركو العرب) ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: مِن بعد الأوّلين (وهُم أتباع الرُسُل المذكورين في الآية السابقة)، فهذه الفِرَق المُعاصِرة للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ أي من الدين ﴿مُرِيبٍ﴾ أي مُوقِعٍ في الحَيْرة والاختلاف المذموم.

– الآية 15: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ يعني: فإلى ذلك الدين المستقيم – الذي شرعه الله للأنبياء ووصَّاهم به –: فادعُ أيها الرسول عباد الله، ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ يعني كما أمَرَك ربك، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: أي لا تتبع أهواء الذين شكُّوا في الحق وانحرفوا عن الدين، ولا تُطِع شيئاً من اقتراحاتهم، ﴿وَقُلْ﴾ لهم: ﴿آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾: يعني صدَّقت بجميع الكُتُب المُنَزَّلة على الأنبياء ﴿وَأُمِرْتُ﴾ أي أمَرَني ربي ﴿لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الحُكم، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾: يعني لنا ثواب أعمالنا الصالحة، ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يعني: ولكم جزاء أعمالكم السيئة، ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: أي لا جدال بيننا وبينكم بعد أن ظَهَرَ الحق، ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة، ثم يقضي بيننا فيما اختلفنا فيه ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ يعني إليه المَرجع بعد الموت، فيُجازي كُلاً بما يَستحق.

– الآية 16: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ يعني: والذين يجادلون في دين الله (الذي أرسل به محمدًا صلى الله عليه وسلم) ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ يعني مِن بعد ما استجاب الناسُ له وأسلَموا، أولئك ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي حُجَّتهم ومجادلتهم باطلةٌ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ من الله في الدنيا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في نار جهنم.

– الآية 17، والآية 18: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي أنزل القرآن – وسائر الكُتُب المُنَزَّلة – بالحق الذي اشتملت عليه، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ يعني: وأنزل الله الميزان – وهو العدل – ليُحكَم به بين الناس، (ولَعَلّ المقصود من الميزان أنه الآلة التي يُوزَن بها، إذ بها يتم العدل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، ولَعَلّ المقصود من إنزال الميزان: أنّ الله ألهَمَ الناس أن يصنعوه ويعملوا به، والله أعلم).

♦ وقد جَعَلَ الله جزاء العادلين وجزاء الظالمين، في يوم القيامة الذي لا شَكَّ فيه، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ أي لَعَلّ زمان الساعة – التي تقوم فيها القيامة – يكون قريباً، فإنّ كل آتٍ قريب، ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ أي يستعجل بمجيء الساعة: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ تكذيباً واستهزاءً، ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أي خائفونَ من قيامها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾: يعني إن الذين يجادلون في قيام الساعة ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق (لوضوح الأدلة على قدرة الله تعالى على البعث).

♦ ورغم أنّ لَفْظ "الساعة" مؤنث، إلا إنه تعالى ذَكَرَ معها لفظ "قريب"، ولم يَقُل "قريبة"، وذلك لأن الساعة ليست مؤنثاً حقيقياً، بل هي مؤنث مَجازي (يعني مِمّا لا يبيض ولا يَلد)، فلذلك يجوز أن تأتي مع لفظَي: (قريب) و(قريبة)، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

– الآية 19: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ (مؤمنهم وكافرهم، طائعهم وعاصِيهم)، بدليل أنهم يعصونه وهو يرزقهم ولا يُعَجِّل لهم العقوبة، وهو سبحانه لطيفٌ بهم في تدبير أرزاقهم، إذ ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي يُوسِّع الرزق لمَن يشاء، ويضيِّقه على مَن يشاء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(وَفْقَ حِكمته سبحانه وعِلمه بما يُصلحهم) ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ الذي لا يَغلبه أحد، ﴿الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه مِمَّن أراد الانتقام منه (إذاً فلا يَخدعكم حِلمه، فإنّ بَطْشه شديد وعذابه أليم، ألاَ، فسارِعوا بالتوبة).

– الآية 20: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ﴾ يعني: مَن كان يريد بعمله ثواب الآخرة: ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾: أي نَزِد له في عمله الصالح (بأنْ نُضاعِف له ثواب الحسنة إلى عَشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة)، ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ يعني: ومَن كان يريد بعمله الدنيا وحدها – كالمُرائين الذين يريدون بأعمالهم الثناء من الناس –: ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما قسَمناه له، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾: أي ليس له في الآخرة شيءٌ من الثواب.

– الآية 21: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾؟! يعني: بل لهم شركاء من الشياطين قد شَرَعوا لهم من الدين ما لم يَشرعه الله تعالى وهو الشِرك والابتداع في الدين، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ يعني: ولولا قضاء الله بأنه لا يُعجّل لهم العذاب في الدنيا: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بتعجيل العذاب لهم ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم.

– الآية 22، والآية 23: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾: أي خائفين من عاقبة ما كسبوه في الدنيا من أعمالٍ خبيثة، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يعني: وعقاب تلك الأعمال نازلٌ بهم لا مَحالة، ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ أي في بساتين الجنات وعيونها الجارية ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مِمّا تشتهيه نفوسهم ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الذي لا يُوصَف، ولا تستطيع العقول أن تتخيله لعظمته، ﴿ذَلِكَ﴾ النعيم المقيم هو ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ﴾ به ﴿عِبَادَهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لمُشركي قريش: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: يعني لا أسألكم شيئاً من أموالكم مقابل ما أدعوكم إليه من الحق ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ يعني ولكني أطلب منكم أن تَوَدُّوني في قرابتي منكم (بأنْ تراعوا ما بيني وبينكم من القرابة)، فلا تؤذوني، بل تَحموني من إيذاء الناس حتى أُبَلِّغ رسالة ربي، (وذلك لأنه لم تكن هناك "عائلة" من عائلات قريش، إلا وكانَ فيها قرابة للرسول صلى الله عليه وسلم).

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني: ومن يَكتسب حسنةً نُضاعفها له بعَشر أمثالها، إلى ما شاء الله من الزيادة ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب التائبين ﴿شَكُورٌ﴾ لأعمالهم، إذ يُثيبهم على القليل بالكثير.

♦ ولَعَلَّ الله تعالى ذَكَرَ صفة "الغفور" مع عباده المحسنين، للإشارة إلى ترغيب المُسيئين في الاستغفار والتوبة حتى لا يَقنطوا من رحمته فيَغفر لهم.

– الآية 24: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى﴾ محمدٌ ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فجاء بهذا القرآن من عند نفسه؟! (فكيف يقولونَ ذلك وهم يعرفونَ صِدقه، ويعلمونَ أنه بَشَرٌ مِثلهم، فلماذا إذاً لم يستطيعوا الإتيان بمِثل ما جاءهم به وهُم أبلغ البشر؟!)، ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي يطبع على قلبك أيها الرسول لو افتريتَ على الله كَذِباً، فيُنسيك القرآن ويَمنعك من النطق به، ولكنّ القرآن هو وَحْيُ الله إليك، ثم ذَكَرَ سبحانه الدليل على ذلك بقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي بآيات القرآن التي لا تتبدل ولا تتغيَّر، وبوعده الصادق الذي لا يتخلف، (وقد مَحَا اللهُ الباطلَ وأحَقَّ الحق بالقرآن، فلم يَبْقَ مُشركٌ واحد في أرض الجزيرة العربية قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو كان القرآنُ مُفترَى كما يزعمون: ما مَحا باطلاً ولا أحَقّ حقاً)، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي عليمٌ بما في قلوب عباده، لا يَخفى عليه شيءٌ منها (ومِن ذلك: عِلمه تعالى بما في صدور هؤلاء المُكَذِّبين من الكِبر والعناد والافتراء، وبما في صَدر رسوله محمد من الحق).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الآية 25: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (إذا تابوا إليه بصِدق، وندموا على ما فعلوا، وعزموا على عدم العودة إلى ما يُغضِب ربهم)، ﴿وَيَعْفُو﴾ سبحانه ﴿عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ أي يعفو عن سيئات التائبين، فلا يؤاخذهم بها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ - في السر والعَلَن - وسيُجازيكم أيها الناس على أعمالكم.

- الآية 26: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لِمَا دَعَاهم إليه ربهم وينقادون له، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سبحانه ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ بتثبيتهم، وتوفيقهم إلى المزيد من الأعمال الصالحة، وبمضاعفة أجْرهم وثوابهم، ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

****

3. الربع الأخير من سورة الشورى

- الآية 27، والآية 28: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ يعني لو وَسَّعَ سبحانه الرزق لجميع عباده: ﴿لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي لَطَغَوا في الأرض جميعاً (فيَتكبر بعضهم على بعض، ويَظلم بعضهم بعضاً)، ولأفسدوا في الأرض بالمعاصي وأنواع الفساد ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ﴾ أرزاقهم ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي بمقدارٍ مُعَيّن ﴿مَا يَشَاءُ﴾ (بحسب حِكمته البالغة) ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ﴾ بما يُصلحهم، ﴿بَصِيرٌ﴾ بأحوالهم، ﴿وَهُوَ﴾ وحده ﴿الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ أي يُنَزِّل المطر من السماء، فيُغيثُ الناسَ به ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾: أي مِن بعد ما يَئسوا من نزوله، ومِن بعد ما يَئسوا من آلهتهم العاجزة التي لا تنفع ولا تضر، ﴿وَيَنْشُرُ﴾ سبحانه ﴿رَحْمَتَهُ﴾ في خلقه، (والمقصود بالرحمة هنا هي بركات المطر ومنافعه، إذ تحيا به البلاد والعباد، وتحصل به سعة الرزق والرخاء، لأن المطر تحيا به مزارع الناس، فيتوفر لهم غذاؤهم وتجارتهم) ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْوَلِيُّ﴾ الذي يتولى عباده بإحسانه وفضله، ﴿الْحَمِيدُ﴾ الذي يَستحق الحمد والثناء في كل حال، لِكَثرة نِعَمِه على مخلوقاته.

- الآية 29: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ﴾ الدالة على وجوب توحيده وقدرته على البعث: ﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ﴾ وارتفاعها بغير عمد، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ مع اتساعها وامتدادها ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ يعني: وما نَشَرَ في السماوات والأرض مِن دابةٍ تدب على الأرض، أو مَلَك يَسبح في السماء أو يمشي في طُرُقاتها، ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ يعني: وهو سبحانه قديرٌ على جَمْع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة وقتما يشاء، (بل إنّ ذلك أهون عليه من خلق السماوات والأرض).

- الآية 30، والآية 31: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ - في أنفسكم أو ولدكم أو مالكم - ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من الذنوب، (فما مِن مصيبةٍ تنزل بالإنسان إلا بذنبٍ ارتكبه، إلا لو تابَ من هذا الذنب، وقَبِلَ اللهُ توبته)، ﴿وَيَعْفُو﴾ ربكم ﴿عَنْ كَثِيرٍ﴾ من السيئات، فلا يؤاخذكم بها تكرُّماً منه وإحساناً، فله الحمد والمِنّة، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يعني: ولن تُعجِزوا ربكم أيها العُصاة، إذا ظننتم أنكم ستهربون من عذابه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ (فأينما تكونوا يأتِ بكم سبحانه) ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَنفعكم ويتولى أموركم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يُنقِذكم من عذاب ربكم.

- الآية 32، والآية 33، والآية 34: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ﴾ الدالة على قدرته وعنايته بمصالح خلقه: ﴿الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (والجَواري هي السفن الجارية، والأعلام هي الجبال)، والمعنى: إنّ من آيات الله تعالى هذه السفن العظيمة التي تجري في البحر مثل الجبال، وتسخير الله تعالى للبحر أن يحملها رغم ثِقَلها لمنافع العباد، ومِن مَظاهر قدرته أيضاً أنه ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ أي يُوقف هبوبها ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ أي: فتظل السفن ساكناتٍ على ظهر البحر لا تجري، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في جَرْي هذه السفن ووقوفها في البحر بقدرة الله: ﴿لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي صبور عند الشدائد، ﴿شَكُورٍ﴾ عند النعم (فهذا هو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذين ينتفع بآيات ربه)، ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾: يعني وإن يشأ سبحانه يجعل الرياح عواصف، فيُهلك السفن بإغراقها، بسبب ذنوب رُكّابها، ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ من الذنوب فلا يُعاقِب عليها.

- الآية 35: ﴿وَيَعْلَمَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ وهم المُشرِكون المُكَذِّبون بآيات الله، عندما تشتد العواصف وتضطرب بهم السفن ويخافون الغرق ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي ليس لهم مَهرب ولا مَنجى من الغرق، فعندئذٍ يلجأون إلى الله وحده بالدعاء والاستغاثة، ويَنسون آلهتهم الباطلة.

- من الآية 36 إلى الآية 39: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ - من الأموال والأولاد وغير ذلك - ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يعني فإنما هو متاعٌ تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا، ثم يزول سريعاً، أو تموتون عنه وتتركونه لغيركم، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من النعيم هو ﴿خَيْرٌ﴾ مِن مُتَع الدنيا الفانية التي تَصحبها المُنَغِّصات ﴿وَأَبْقَى﴾ منها، حيثُ لا انقطاعَ لها، ولا مُفسِداً لِمُتعتها، وهذا النعيم قد أعَدَّه سبحانه ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورُسُله ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يعتمدون عليه وحده في كل أمورهم ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾: أي يَجتنبون كبائر ما نهى الله عنه (كالشِرك والقتل والظلم وأكْل الحرام وعقوق الوالدين)، وما قَبُحَ من أنواع المعاصي (كالزنى واللواط) ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا﴾ على مَن أساء إليهم: ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي يَغفرون له هذه الإساءة، ويتجاوزون عن عقوبته؛ طلبًا لعفو الله وجنّته، ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ حين دعاهم إلى توحيده وطاعته ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ على أتمِّ وجوهها - وفي أوقاتها - بخشوعٍ واطمئنان، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ يعني: وهُم الذين إذا أرادوا أمرًا يُهِمُّهم في حياتهم: تشاوروا فيما بينهم، وأخذوا بما يُلهمهم ربهم بالصواب فيه، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من أنواع الأموال ﴿يُنْفِقُونَ﴾ أي يُخرِجون الزكاة المفروضة والصدقات المُستحَبّة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾: يعني إذا أصابهم الظلم: ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ أي يَنتصرون مِمَّن ظلمهم بمثل ما اعتدى عليهم، (وإنْ صبروا على الظلم: فجزاؤهم عظيمٌ عند ربهم في جنّته، كما سيأتي في الآية التالية).

- من الآية 40 إلى الآية 43: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ يعني وجزاءُ سيئة المُسِيء: عقوبته بسيئةٍ مثلها مِن غير زيادة، ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن المُسِيء، وترَكَ عقابه - رغم قدرته على مُعاقبته - ﴿وَأَصْلَحَ﴾ يعني أصلح العلاقة التي تربطه بأخيه، فأعاد المَوَدَّة بينهما - رافضاً الانتصار لنفسه، طالباً بذلك رضا الله وعفوه -: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ يعني: فأجْرُ عفوه على الله تعالى، وهو خيرٌ له مِن شفاء صدره بعقوبة أخيه، (واعلم أنّ عدم ذِكْر هذا الأجر دليلٌ على عِظَمه ومضاعفته لصاحبه) ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يبدؤون بالاعتداء على الناس، ويُسيئون إليهم.

♦ وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ أنه يُشترَط أن تكون نتيجة هذا العفو: إصلاحٌ، بمعنى أنك إذا وجدتَ هذا الشخص - الذي قد عفوتَ عنه - يَتمادى في الإساءة والإيذاء، فهذا لا ينفع معه العفو، لأنه يظن بذلك أنك ضعيف، ولا يَفهم أنك تعفو عنه مِن أجل أن يعفو الله عنك، وأمّا الذي ينفع معه العفو: فهو الذي - إذا عفوتَ عنه - يتوقف عن ظلمه وإساءته، ويَعتبر أنّ عفوك هذا جَميلٌ يَحمله لك في رقبته إلى يوم القيامة.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ يعني مَن انتصر مِمَّن ظلمه - بعد أن وقع عليه الظلم منه - وليس بمجرد الظن والتوقع بأنه سيَظلمه: ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾: أي ليس عليهم مِن طريقٍ إلى مؤاخذتهم ومعاقبتهم، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ يعني إنما الطريق إلى المعاقبة، (والمعنى: إنما الإثم والعقاب) ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ أي يبدؤون بظلمهم والاعتداء عليهم ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: أي يتجاوزون الحلال إلى الحرام، فيفعلون ما لم يأذن الله لهم فيه، ويفسدون في الأرض ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الأذى، فلم ينتصر لنفسه - ﴿وَغَفَرَ﴾ أي تجاوز عمن أساء إليه، وقابل الإساءة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالعفو والصفح: فـ ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: يعني إنّ الصبر والتجاوز عن المُسِيء من الأمور التي ينبغي الحرص عليها، والعزم على التمسك بها، لأن الله تعالى قد أعَدَّ ثوابًا جزيلاً للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس (وهي مغفرة الله لذنوبهم، والتمتع بأصناف النعيم في جنّته)، (واعلم أنَّ اللام التي في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ﴾، والتي في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾، تُسَمَّى: (لام التوكيد)).

- الآية 44، والآية 45، والآية 46: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يعني: ومَن يُضلله الله عن طريق الحق - بسبب إصراره وعناده - فليس هناك أحدٌ يستطيع أن يتولى هدايته، ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ﴾ لربهم: ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾: يعني هل لنا مِن طريقٍ إلى الرجوع إلى الدنيا؛ لنتوب ونعمل بطاعتك؟ فلا يُجابون إلى ذلك، ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ أي يُعْرَضون على النار خاضعينَ ذليلين ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: أي ينظرون إلى النار بجُزءٍ من عيونهم (يعني يَختلسون النظر إليها لشدة خوفهم منها)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ وهُم في الجنة - عندما رأوا ما نزل بالكافرينَ مِن خُسران: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ حقًا هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي حَرَموا أنفسهم وأهليهم من دخول الجنة، لأنهم أضَلُّوهم عن الدين الحق، (وقد قال بعض المُفسّرين في معنى خُسران الأهل يوم القيامة: هو حِرمانهم من الحور العين، اللاتي كُنّ لهم في الجنة، لو أنهم آمنوا بالحق واتقوا ربهم) ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ لا ينقطع عنهم في نار جهنم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يعني لم يكن لهم أعوان ونُصَراء يَمنعون عنهم عذابَ الله، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يعني ومَن يُضلله الله بسبب كُفره وظُلمه: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ يعني فما له مِن طريقٍ يصل به إلى الحق في الدنيا، ولا إلى الجنة في الآخرة.

- الآية 47، والآية 48: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أيها الناس بالإيمان والتوبة والطاعة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ وهو يوم القيامة، الذي ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا يقدر أحد على ردّه، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ﴾ يُنَجّيكم من العذاب ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ أي ليس لكم حينئذٍ إنكارٌ لذنوبكم، لأنها قد جُمِعَتْ لكم في كتابٍ واحد، لم يترك صغيرة من ذنوبكم ولا كبيرة إلا أحصاها، (وفي هذا إرشاد إلى المسارعة إلى كل عمل صالح، لأنّ العبد لا يدري ما يَعرض له من مَشاغل)، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان، فلا تحزن أيها الرسول على إعراضهم ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي لستَ حافظًا لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ يعني ما عليك إلا البلاغ، وقد بلَّغتهم، ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ - مِن مالٍ وصحةٍ وغير ذلك: ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي مصيبة - مِن فقر ومرض وغير ذلك - ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصي: ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ أي جَحود ساخط، إذ يُعدِّد المصائب، ويَنسى النعم.

- الآية 49، والآية 50: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - خَلقاً ومُلكاً وتصرُّفاً وتدبيراً - ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾: أي يُعطي لمن يشاء إناثًا (لا ذكورَ معهنّ)، ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ أي ذكوراً (لا إناثَ معهم)، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾: أي يُعطي لمن يشاء الزوجين - أي النوعين -: الذكور والإناث، ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ أي لم يُعطه الله القدرة على الإنجاب، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يَخلُق، ﴿قَدِيرٌ﴾ على خَلْق ما يشاء، (فالواجب أن يُسَلِّم العبد لربه فيما أعطاه له، ولا يَعترض على قضاءه، لأنه سبحانه يُعطي لحكمة ويَمنع لحكمة، وهذه الحِكَم لا تدركها عقول العباد).

- الآية 51: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ (وذلك بأن يُعلِمَه بطريقٍ سريع خَفِيّ، في يَقَظَةٍ أو مَنام، فيَفهم عن الله تعالى ما ألقاه في قلبه)، ﴿أَوْ﴾ يكلمه سبحانه ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (كما كلَّم سبحانه موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام)، ﴿أَوْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ} (كما أنزل جبريل عليه السلام إلى الرُسُل)، {إِنَّهُ} سبحانه {عَلِيٌّ} بذاته وقدره وقهره، وهو أيضاً عَليٌّ في شأنه (فلا يُكَلِّمه بَشَرٌ إلا من وراء حجاب)، {حَكِيمٌ} في عدم إمكانية رؤيته في الدنيا، لأنّ أجساد العباد غير مُهَيَّئة لذلك، ولكنه سبحانه جعلها مُكافأةً للمؤمنين في الجنة، (وفي الآية إثباتٌ لصفة الكلام لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وكماله).

– الآية 52، والآية 53: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} يعني: وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك أيها النبي، فكذلك أوحينا إليك قرآنًا من عندنا تحيا به القلوب والأرواح، {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}: يعني ما كنتَ تعلم قبل ذلك ما هي الكُتُب السابقة ولا الشرائع الإلهية ولا الإيمان (الذي هو قولٌ واعتقادٌ وعمل) {وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ} أي جعلنا القرآن {نُورًا} (يعني فيه نورٌ يَكشف الظُلُمات، بِبَيَان الحُجَج وكَشْف الحقائق) {نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} {وَإِنَّكَ} – أيها الرسول – {لَتَهْدِي} أي تَدُلُّ الناس وَتُرْشِدُهم {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أي طريقٍ مستقيم لا انحراف فيه، وهو الإسلام، الذي هو {صِرَاطِ اللَّهِ} أي الطريق المُوصل إلى رضا اللهِ {الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (لا شريكَ له في ذلك) {أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} أي يَرجع مَصير الخلائق إلى اللهِ وحده يوم القيامة، فيُجازي كُلاًّ بما عمل.

****

www.alukah.net

تفسير سورة الزخرف كاملة

1. الربع الأول من سورة الزخرف

- الآية 1: (حم): سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (حا ميم).

- الآية 2، والآية 3، والآية 4: (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) يُقسم اللهُ تعالى بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى، والمُوَضِّح للأحكام والحقائق: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) أي بلُغة عربية واضحة، في غاية الفصاحة والبلاغة (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ): يعني لَعَلّكم تفهمونه أيها العرب، وتتدبرون حُجَجه ومواعظه فتؤمنوا به، (وَإِنَّهُ) أي القرآن (فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا) يعني: مكانته في اللوح المحفوظ عندنا (لَعَلِيٌّ) أي ذو عُلُوّ وشرف وشأنٍ عظيم، (حَكِيمٌ) أي مُحكَمٌ (لا اختلافَ فيه ولا تناقض)، وهو أيضاً مشتملٌ على الحِكَم العظيمة.

- الآية 5: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا): يعني هل نَترك إنزال القرآن إليكم يا كفار قريش، ونُعرِض عنكم مِن أجل (أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ): أي بسبب إعراضكم عنه وإسرافكم في الشِرك والعصيان؟! كلا، لن نفعل ذلك (إذ الغرض من هذا الاستفهام هو الإنكار عليهم).

- الآية 6، والآية 7، والآية 8: (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ) يعني: ولقد أرسلنا كثيراً من الأنبياء في الأمم التي مضت قبل قومك أيها النبي، (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي كانوا يَسخرون منه ومِن دَعْوته (كما فَعَلَ مُشركو قومك بك) (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا): يعني أهلكنا المُكَذِّبين السابقين الذين كانوا أشد قوة من قومك، (وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ): أي مضى في الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين، كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود (إذ أهلكهم الله بسبب تكذيبهم واستهزائهم بأنبيائهم) (وفي هذا تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه أيضاً تهديدٌ لمُشركي مكة أن يصيبهم ما أصاب المُكَذِّبين قبلهم).

- من الآية 9 إلى الآية 14: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ) يعني: وإنْ سألتَ أيها الرسول هؤلاء المُشركين: (مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) على هذا النظام البديع المُتقَن؟: (لَيَقُولُنَّ) مُعترفين: (خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) أي خلقهنّ الله ذو العزة القاهرة، والعِلم المُحيط بخلقه (فقد كانوا يعترفون بأن الله هو الذي خلقهم، وكانوا يعلمون بعض صفاته).

♦ ثم وَضَّحَ لهم سبحانه أنّ الله الذي خلقهم وأنعم عليهم، هو وحده المُستَحِقّ لعبادتهم، قال تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا) أي جَعَلها مُيَسَّرةً لكم، لتَسهُل حياتكم عليها، وتنتفعوا بها في الزراعة وغيرها، (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) أي جَعَلَ لكم فيها طُرُقاً (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أي لتهتدوا بها في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها، (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) أي بمقدارٍ مُعَيّن (بحسب حاجة الخلائق، فهو ليس طوفانًا مُغرِقًا ولا ناقصاً عن الحاجة)، (فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا): يعني أحيينا بهذا الماء بلدةً يابسةً لا نباتَ فيها.

(كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) يعني: وكما أحيا سبحانه هذه الأرض الميتة بإخراج النبات منها، فكذلك تُخرَجون - أيها الناس - من قبوركم أحياءً للحساب والجزاء، (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا) أي خلق لكم الأصناف كلها (من أنواع الحيوانات والنباتات وغيرها) (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ): أي جعل لكم من السفن ما تركبونه في البحر، ومن البهائم - كالإبل والخيل والبغال والحمير - ما تركبونه في البر وتحملون عليه أثقالكم، وقد سَخَّرَ سبحانه ذلك لكم (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ): يعني لكي تَعلوا على ظهور ما تركبونه وتستقروا عليه (ثُمَّ تَذْكُرُوا) بقلوبكم (نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) (وَتَقُولُوا) بألسنتكم: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا) وأقدَرَنا على التحكم فيه (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) يعني: وما كنا لذلك الحيوان المركوب قادرينَ على

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السيطرة عليه (لولا أن الله سَخَّرَهُ لنا)، ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ أي راجعونَ إليه بعد مماتنا، (وفي هذا بيانٌ أن الله المُنعِم على عباده بمختلف النعم، هو وحده المُستَحِقّ لعبادتهم).

- من الآية 15 إلى الآية 18: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ يعني: ورغم هذه الأدلة على قدرة الله وإنعامه، فإنّ المُشرِكين قد نسبوا إليه جُزءاً مِن خلقه بقولهم الكاذب: (الملائكة بنات الله)، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ أي جحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه، فيَفتري عليه الكذب، ويَنسب إليه ما ليس له، ﴿مُبِينٌ﴾ أي مُظهر لجحوده وكُفره، ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾: يعني أم تزعمون أيها الجاهلون أن ربكم قد اتخذ مِمّا يَخلق بنات - وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم - ﴿وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ أي: وخصَّكم أنتم بالبنين فجعلهم لكم؟! (وفي هذا تأنيبٌ لهم واستهزاءٌ بحُكمهم الباطل، وإلاّ فإنه سبحانه مُبَرّأ عن أن يكون له ولد (ذكراً كان أو أنثى)، لأنه رَبُّ كل شيء ومَالكه والغني عنه، فما الحاجةُ إذاً إلى الولد؟!)، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ يعني: وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى التي نَسَبَها كذباً للرحمن: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي مُتغيِّراً بالسَواد مِن هذه البُشرَى ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مُمتلىء بالحزن والغم، (فكيف يَرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟! تعالى الله وتقدَّس عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا)، ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾: يعني أتجترئون وتنسبون إلى الله تعالى مَن يُرَبَّى في الزينة؟! ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ يعني: وهو في الجدال غير مُبَيِّن لحُجّته (بسبب الضعف والأنوثة التي خلقها الله فيها).

- الآية 19: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾؟! يعني: هل حَضَروا وقتَ خَلْقهم حتى يحكموا بأنهم إناث؟! ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ الكاذبة ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخرة، ثم يُعاقَبون عليها في نار جهنم.

- الآية 20، والآية 21، والآية 22: ﴿وَقَالُوا﴾ أي قال هؤلاء المُشرِكون الذين عبدوا الملائكة: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ (وهذه حُجَّة باطلة، لأن الله تعالى قد أقام الحُجَّة على العباد بإرسال الرُسُل وإنزال الكُتُب)، و﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾: أي ليس لهم عِلمٌ بأنّ الله قد شاء لهم الشِرك ورضيه منهم! ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: أي ما هم إلا يكذبون (لأنه لا علم عندهم من الله بذلك ولا برهان)، ﴿أَمْ آَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾: يعني أم أعطيناهم كتابًا من قبل القرآن الذي أنزلناه ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟! ﴿بَلْ﴾ يعني إنهم لا حُجَّة لهم إلا التقليد الأعمى لآبائهم، إذ ﴿قَالُوا﴾: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ يعني على طريقة ومذهب ودين، ﴿وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي مُتَّبِعونَ لهم فيما كانوا عليه.

♦ واعلم أنهم قالوا لفظ "الرحمن" على سبيل الاستهزاء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، (أي الذي تزعم يا محمد أنه الرحمن)، لأنهم لم يكونوا معترفين بهذا الاسم، كما قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، وهذا مِثل قول فرعون وهو يتحدث عن موسى: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، فوَصفه فرعون بأنه "رسول" على سبيل الاستهزاء، لأنه لم يكن مُعترفاً برسالته.

- الآية 23، والآية 24، والآية 25: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ - يُنذرهم عقاب ربهم إذا أشركوا به وعصوه - ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ وهم المُنَعَّمونَ المتكبرون من الرؤساء والكُبَراء: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ أي وجدناهم على طريقة ومذهب ودين ﴿وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ﴾ يعني على مناهجهم وطريقتهم ﴿مُقْتَدُونَ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ومَن سَبَقه من الرُسُل - لمن عارَضوهم بهذه الشُبهة الباطلة -: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آَبَاءَكُمْ﴾: يعني أتتبعون آباءكم حتى ولو جئتكم مِن عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق مما وجدتم عليه آباءكم؟، فـ ﴿قَالُوا﴾ في عِناد: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي انتقمنا من هذه الأمم المكذبة بإنزال العقوبة بهم (خَسْفًا وغرقًا وغير ذلك)،

www.alukah.net

(فَانْظُرْ) – أيها الرسول – (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين) يعني كيف كانَ مصير تكذيبهم؟ (ألاَ فليحْذَر قومك أن يستمروا على تكذيبهم، حتى لا يصيبهم مِثل ما أصابهم).

****

2. الربع الثاني من سورة الزخرف

- من الآية 26 إلى الآية 29: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ) أي اذكر أيها الرسول حين قال إبراهيمُ (لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) الذين كانوا يعبدون الأصنام – كما يعبدها قومك –: (إِنَّنِي بَرَاءٌ) أي بريءٌ (مِمَّا تَعْبُدُونَ) (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) يعني: لكنني أعبد الله الذي خلقني (فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ): أي سيُوَفِّقني لاتّباع طريق الحق، الذي تحصل به سعادتي في الدنيا والآخرة (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ): أي جعل إبراهيمُ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية في في ذريته، حيثُ وَصّاهم بالاستمساك بها، كما قال تعالى في سورة البقرة: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ) أي وَصَّاهم بكلمة التوحيد (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إلى توحيد ربهم وطاعته كلما ذُكِّروا بـ "لا إله إلا الله".

♦ ولكنْ لم يتحقق ما تمناه إبراهيم كاملاً، فإنّ هناك مَن لم يرجع إلى التوحيد من ذريته (ومنهم مُشركو مكة وآباءهم)، كما قال تعالى: (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ) أي مُشرِكي مكة، إذ مَتَّعهم الله بالحياة هُم (وَآبَاءَهُمْ) (فلم يعاجلهم بالعقوبة على شِركهم) (حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ) أي القرآن (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) أي رسولٌ يُبَيِّن لهم ما يَحتاجونه من أمور دينهم ودُنياهم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يَعرفون نَسَبَه وصِدقه وأمانته وأخلاقه.

- الآية 30، والآية 31، والآية 32: (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) من عند الله: (قَالُوا): (هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ)، (واعلم أنهم عندما يقولون عن القرآن إنه سِحر، فإنهم في حقيقة الأمر يَعترفون بهزيمتهم في أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، فيَضطروا إلى اللجوء إلى هذا القول الباطل)، (وَقَالُوا): (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ): يعني هَلاّ نُزِّل هذا القرآن على رجل عظيم من إحدى القريتين "مكة" أو "الطائف"، فرَدَّ الله عليهم بقوله: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ)؟! يعني أهُم يَقسمون النُبوّة فيَضعونها حيث شاؤوا؟!، كيف ذلك، و(نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني إذا كنا قد قسَمنا بينهم معيشتهم في الأرزاق، فكيف بالنُبُوّة وهي أعظم من الطعام والشراب والمال؟! فنحن أحق بها منهم، فنختار لها مَن نشاء، (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) فجعلنا هذا غنيّاً وذاك فقيراً (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا): أي ليكون بعضهم مُسَخَّرًا لبعضٍ في المعاش، فيحتاج الغني إلى أن يخدمه الفقير في قضاء حوائجه، ويأخذ الفقير منه أجرة مقابل خدمته، إذ لو كانوا كلهم أغنياء لَمَا خَدَمَ أحدٌ أحداً ولَتعطلت الحياة، (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ) بإدخالهم الجنة – إذا تابوا إليه وأطاعوه – (خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) من مَتاع الدنيا الفاني.

- الآية 33، والآية 34، والآية 35: (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) يعني ولولا كَراهة أن يكون الناس كلهم جماعة واحدة على الكفر – افتتاناً بالمال –: (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا) (والسُقُف جمع سَقف)، فتكون (مِنْ فِضَّةٍ) (وذلك لهوان الدنيا على الله تعالى، فإنها لا تساوي عنده جناح بعوضة)، (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يعني: ولَجعلنا لهم سلالم من فضة يصعدون عليها، (ويدخل في ذلك المِصعَد الحديث)، (وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا) يعني: ولَجعلنا لبيوتهم أبوابًا من فضة (وَسُرُرًا) من فضة أيضاً (عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ) (والسُرُر جمع سرير)، (وَزُخْرُفًا) (والزخرف هو الذهب)، يعني: ولَجعلنا لبيوتهم سقفاً من ذهب أيضاً، (وكذلك الأبواب والمصاعد والسُرُر، نجعل بعضها من فضة وبعضها من ذهب، لتكون أجمل من الفضة وحدها) (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني: وما كل ذلك المذكور إلا متاع الدنيا القليل الزائل (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) يعني: وإنّ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نعيم الآخرة مُدَّخَر عند ربك للمتقين (وهم الذين اتقوا الشِرك والمعاصي)، وإذا وقعوا في معصيةٍ أسرَعوا بالتوبة منها والندم على فِعلها (فنعيم الجنة خيرٌ لهؤلاء المتقين من مَتاع الدنيا الرخيص الزائل الذي يَفرح به المشركون).

- الآية 36، والآية 37، والآية 38: ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ يعني: ومن يُعْرِض ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ وهو القرآن (فلم يَخَفْ عقابه، ولم يَهتدِ بهُداه): ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾: أي نجعل له شيطانًا في الدنيا يُضِلّه ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: أي سيكونُ مُلازماً له يَمنعه الحلال، ويَدفعه إلى الحرام (عقوبةً له على إعراضه عن ذِكر ربه)، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي يَصُدّون هؤلاء المُعرِضين عن طريق الحق (فيُزيِّنون لهم الضَلالة، ويُكرِّهون إليهم الإيمان والطاعة) ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يعني: ويظن هؤلاء المُعرِضون أنهم على الحق والهدى (بسبب تحسين الشياطين لِما هم عليه من الضلال) ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾ هذا المُعرِض للحساب والجزاء: ﴿قَالَ﴾ المُعرِض لقرينه يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ أنت، حيثُ أضللتَني عن طريق الحق.

♦ ولَعَلَّ الله تعالى عَبَّرَ عن المشرق والمغرب بالمَشرقين، من باب تغليب المشرق على المغرب في كلام الناس، كما يُقال: (الأبوان) والمقصود بهما الأب والأم.

- الآية 39: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ - أيها المُعرِضونَ عن ذكر الله - ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي بعدما أشركتم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ يعني: لن ينفعكم أنكم اليوم مشتركونَ أنتم وقرناؤكم في العذاب، فلن يخفف ذلك عنكم شيئاً (ولو تخفيفاً نفسياً)، فلكل واحدٍ نصيبه من العذاب، ولن يَنشغل إلا بحرارة جلده، وحر النار الذي يلفح وجهه، وليس له حينئذٍ إلا الندم والصراخ (نسأل الله العفو والعافية).

- الآية 40: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾؟ يعني أفأنت - أيها الرسول - تستطيع أن تُسمِع مَن أصَمَّه الله عن سماع الحق، بسبب إصراره وعناده؟!، ﴿أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؟ يعني أو هل تستطيع أن تهدي مَن أعمَى اللهُ قلبه عن رؤية طريق الهدى، ومَن هو في ضلالٍ واضح عن الحق؟! لا تستطيع ذلك، فإنما عليك البلاغ، واللهُ تعالى يَهدي مَن يشاء، ويضلُّ مَن يشاء (وِفقَ عدله وحكمته).

- الآية 41، والآية 42: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾: يعني فإنْ توفيناك أيها الرسول قبل أن ننصرك على هؤلاء المُكَذِّبين: ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ في الآخرة، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ من العذاب النازل بهم كيَوم "بدر" ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾.

- الآية 43: ﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾ أيها الرسول ﴿بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن - سواء عَجَّلنا لهم العقوبة أو أخَّرناها عنهم - فاعمل بما يأمرك به القرآن، واجتنب ما يَنهاكَ عنه، وتَخَلَّق بآدابه، ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي على طريقٍ مستقيم لا انحرافَ فيه، وهو الإسلام.

- الآية 44: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ يعني: وإنّ هذا القرآن لَشَرَفٌ لك ولقومك من قريش؛ حيث أنزله الله بلُغتهم (والناسُ محتاجون إلى معرفة لُغتهم، ليعرفوا ما طُلِبَ منهم من عقائد وعبادات وآداب)، فإذا كان أهل قريش أفهَم الناس للقرآن، فإنه يجب عليهم أن يكونوا أول الناس إيماناً به وأكثرهم عملاً بهُداه ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عن شُكر تلك النعمة - وهي القرآن - وعن العمل بها وإبلاغها للناس.

- الآية 45: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي اسأل أيها الرسول أتْباع مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رُسُلنا (وهم علماء أهل الكتاب الصادقين)، لأنّ سؤالهم يعتبر سؤالاً لرُسُلهم (لأنهم يحملون شرائعهم)، فاسألهم سؤالَ تقرير: ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ

www.alukah.net

(الرَّحْمَنِ آَلِهَةً يُعْبَدُونَ): يعني هل جاءت رُسُلهم بعبادة غير الله تعالى؟!، فإنهم سيُخبرونك أنّ ذلك لم يحدث، فإنّ جميع الرُسُل قد دَعَوْا أقوامهم إلى ما دعوتَ الناس إليه، مِن عبادة الله وحده لا شريك له، ونهَوْا عن عبادة غيره مِن سائر خَلقه.

- الآية 46، والآية 47، والآية 48: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا) الدالّة على أنه رسولٌ من عند اللهِ تعالى، وهي الآيات التسع التي أعطاها اللهُ له (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) وهم أشرافُ قومه (كما أرسلناك أيها الرسول إلى هؤلاء المُشركِين من قومك)، (فَقَالَ) لهم موسى: (إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآَيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ) استهزاءً وسُخرية، (وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) (وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) أي بأنواع العذاب (كالجراد والقُمَّل والضفادع والطوفان وغير ذلك) (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن كُفرهم وعِصيانهم إلى توحيد الله وطاعته.

- الآية 49، والآية 50: (وَقَالُوا) أي قال فرعون ومَلَؤه لموسى: (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ): يعني يا أيها العالِم (وكان الساحر فيهم عظيمًا يُوَقِّرونه، ولم يكن السحر صفة ذم عندهم)، فقالوا لموسى: (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) أي بما عَلَّمَك من وسائل إجابة الدعاء، وادْعُهُ بما أوحى به إليك مِن رَفْع العذاب بالتوبة، فإنْ كَشفَ عنا العذاب، فـ (إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) أي مؤمنونَ بما جئتَنا به، (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ) - بعد أن دعانا موسى برفعه عنهم -: (إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) أي يَنقضونَ عهودهم، ويُصِرُّون على كُفرهم وضلالهم.

- من الآية 51 إلى الآية 54: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ) مُفتخرًا، فـ (قَالَ) لهم: (يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ)؟ (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) أي فروع النيل الأربعة تجري مِن تحت قصوري؟ (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) عظمتي وقوتي؟ (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ): يعني بل أنا خير من موسى الذي لا مُلك له ولا عِزّ، لضعفه وحقارته، (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) أي لا يكاد يُظهِر الكلام لمَرَضٍ في لسانه، (فَلَوْلَا) يعني: فهَلاّ (أُلْقِيَ عَلَيْهِ) من السماء (أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) - كالتي يلبسها الملوك - إنْ كانَ حقاً رسول رب العالمين، (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) أي يَتبَع بعضهم بعضاً ليشهدوا له بصدق رسالته، (وقد قال فرعون ذلك دفعاً لذُلّ الهزيمة التي أصابته بعد انتصار موسى على السَحَرة)، (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ): أي استَخَفَّ عقول قومه، فدعاهم إلى الضلالة (فَأَطَاعُوهُ) وكذّبوا موسى، (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) أي كانوا قومًا خارجينَ عن طاعة الله.

- الآية 55، والآية 56: (فَلَمَّا آَسَفُونَا) يعني: فلمَّا أغضبونا - بتكذيبهم لموسى وما جاء به من الآيات الواضحة - (انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) أي يَسبقون مَن يعمل مِثلهم إلى العذاب، (وَمَثَلًا لِلْآَخِرِينَ) يعني: وجعلناهم عبرة وعظة للآخرين حتى لا يتجرأوا على أن يفعلوا مِثلهم، (وأول مَن يَعتبر بهم قريش، التي نزل القرآن بلُغتها لتنبيهها مِن غفلتها).

****

3. الربع الأخير من سورة الزخرف

- الآية 57: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) يعني: ولمّا جَعَلَ المُشركون عيسى ابن مريم مَثَلاً - حين جادلوا محمدا صلى الله عليه وسلم بشأن آلهتهم، واحتجوا بعبادة النصارى لعيسى - (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ): يعني إذا بقومك مِن أجل ذلك يرتفع لهم ضجيجٌ فرحًا وسرورًا، وذلك عندما نزل قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)، فقال المُشركون: (إنْ كانَ ما يقوله محمدٌ حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم، فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم، وعيسى في جهنم لأن النصارى عبدوه)، فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)، فبذلك وَضَّحَ لهم سبحانه أنّ الذي يُلْقَى في النار - من آلهة المُشركين - هو مَن رَضِيَ بعبادتهم له، أما عيسى عليه السلام فلم يكُن راضياً عن عبادة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

النصارة له، (واعلم أنّ الفِعل يَصِدُّون – بكسر الصاد – هو الضجيج وارتفاع الصوت، وأما الفِعل يَصُدُّون – بضَم الصاد – فهو المَنع).

– الآية 58، والآية 59: ﴿وَقَالُوا﴾ أي قال مُشركو مكة: ﴿أَآَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾؟ يعني: (هل آلهتنا التي نعبدها خيرٌ أم عيسى الذي يعبده قومه؟، فإذا كان عيسى في النار، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه)، فقال الله لرسوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾: يعني ما ضربوا لك هذا المَثَل طلباً للحق، ولكنهم أرادوا به الجدال بالباطل، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي يُكثرون الجدال بالباطل ليدفعوا به الحق، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾: يعني ما عيسى ابن مريم إلا عبدٌ أنعمنا عليه بالنُبُوّة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي جعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يُستدَلّ بها على قدرة الله تعالى، لأنه سبحانه خَلَقه من غير أب.

– الآية 60: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أي لَجَعلنا بدلاً منكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ أي يَخْلُفونكم فيها بعد إهلاككم، لِيَعبدوا الله وحده ولا يُشرِكوا به.

– الآية 61، والآية 62: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ يعني: وإنّ نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لَدليلٌ على قُرْبِ وقوع الساعة، (إذ جاء في قراءةٍ أخرى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، أي علامة على قرب مَجيئ الساعة) ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: أي لا تشُكُّوا أنها واقعة لا مَحالة ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ فيما أُخبِركم به عن الله تعالى، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: يعني هذا هو الطريق المستقيم المُوصل إلى الجنة، ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بوساوسه، ليمنعكم عن طاعتي، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي عداوته ظاهرة لكم يا بني آدم.

– الآية 63، والآية 64: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي عندما جاء عيسى لبني إسرائيل بالآيات الواضحة ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: أي جئتكم بالنُبُوّة ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أمور الدين، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي امتثلوا أوامر الله تعالى (وأوّلها عبادته وحده)، واجتنبوا نَواهيه (وأوّلها الشِرك به)، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: يعني إنّ الله – الذي أدعوكم إليه – هو ربي وربكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به، فأنا وأنتم سواءٌ في العُبودية والخضوع لِله تبارك وتعالى، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يعني هذا هو الطريق الصحيح الذي لا انحرافَ فيه، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل غيره.

– الآية 65: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: أي اختلفتْ الفِرَق – مِن أهل الكتاب – في أمْر عيسى عليه السلام، فمنهم مَن جاوَزَ قدْرَهُ (كالنصارى)، حيث قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة – تعالى اللهُ عمَّا يقولونَ عُلُواً كبيراً –، ومنهم مَن كَفَرَ برسالته (كاليهود) حيث قالوا: ساحر، وقالوا: ابن يوسف النجار، واتّهموا أمّه كذباً بالزنا، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ يعني: فهلاكٌ ودمار وعذابٌ أليم يوم القيامة، لمن وَصَفوا عيسى بغير ما وَصَفه الله به.

– الآية 66: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾: يعني هل يَنتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى إلا الساعة التي تقوم فيها القيامة ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (وحينئذٍ سيؤمنون بأنه عبد الله ورسوله، حينَ لا ينفعهم الإيمان!).

– من الآية 67 إلى الآية 73: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني: الأصدقاء المتعاونين على معاصي الله في الدنيا يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الذين تعاونوا على طاعة الله وترْك معاصيه، فإن مَحَبّتهم تدوم في الآخرة، لأنها كانت مِن أجل الله تعالى (وما كان للهِ تعالى دامَ واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل).

♦ ويقول الله لهؤلاء المتقين يوم القيامة: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ مِن عقابي، ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتكم مِن حظوظ الدنيا، ثم وَصَفَ الله هؤلاء المتقين بقوله: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا بِآَيَاتِنَا﴾ وعَمِلوا بما جاءتهم به رُسُلهم ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: أي

www.alukah.net

كانوا مُنقادينَ لله ربِّ العالمين بقلوبهم وجوارحهم، ويُقال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ يعني أنتم وزوجاتكم المؤمنات ﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي تَفرحون وتُسَرُّون، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أي يدور عليهم الخَدَم بالطعام الذي يشتهونه في أوانٍ مِن ذهب، وبالشراب في أكوابٍ من ذهب، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ مِن سائر المُستلَذّات والمُتَع والشهوات، ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ أي فيها كل ما تتلذذ العيون برؤيته وتفرح بالنظر إليه، ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا﴾ أيها المؤمنون ﴿خَالِدُونَ﴾ لا تخرجون منها ولا تموتون ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب أعمالكم الصالحة - التي كانت سبباً في دخولكم الجنة برحمة ربكم - ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، (ولعَلّ الله تعالى قد ذَكَرَ الفاكهة - بعد ذِكر الطعام والشراب - لبيان اكتمال نعيمهم ولذّتهم بعد الأكل والشُرب).

- من الآية 74 إلى الآية 78: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين أجرَموا على أنفسهم بالشِرك والمعاصي ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: أي لا يُخفف عنهم عذابها ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: أي يائسونَ من الخَلاص من ذلك العذاب، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ إذ ظلموا أنفسهم بشِركهم وجحودهم بأن الله هو الإله الحق المُستَحِقّ وحده للعبادة، ﴿وَنَادَوْا﴾ على "مالك" خازن جهنم - وهم في النار -: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ حتى نموت ونستريح مِمّا نحن فيه من العذاب والكَرب، ف ﴿قَالَ﴾ لهم مالكٌ: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ لا خروج لكم منها، ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي وَصَّلنا لكم - نحن مَعشر الملائكة - الحق الذي أمَرَنا الله بتوصيله إليكم (والمقصود هنا جبريل عليه السلام ومَن معه مِن حَفَظَة الوحي)، إذ نَزَلوا بالحق على الرُسُل (بإذن الله لهم) ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ لأنه لا يوافق أهوائكم وشهواتكم.

♦ ولعَلّ الله تعالى قال: ﴿أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾، ولم يقل: (كلكم لِلْحَقّ كَارِهُونَ) لأنّ الذين كرهوا الحق هم الرؤساء (حفاظاً على مناصبهم)، وأما الأتباع فلم يكرهوا الحق، ولكنهم اتّبعوا الرؤساء، فماتوا على الشِرك والكفر فدخلوا النار معهم.

♦ واعلم أنّ مالك هو "رئيس" خَزَنة النار، إذ له أعوان من الملائكة مُوَكَّلون بالتعذيب في النار، لأن الله تعالى قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾.

- الآية 79، والآية 80: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا﴾: يعني بل دَبَّرَ هؤلاء المُشركون أمرًا ليصدوا به الناس عن الحق ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: يعني فإنا أيضاً مُدبِّرونَ لهم ما يناسبهم من العذاب، ومُدبِّرونَ لهم ما يُبطل كَيدهم، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ أي ما يُسِرُّونه ويكتمونه في أنفسهم من الكَيد وغيره ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ أي ما يَتناجون به ويتحدثونه فيما بينهم؟! ﴿بَلَى﴾ نسمع ونعلم، ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: ورُسُلنا الملائكة الكِرام الحَفَظة يكتبون عليهم كل ما عملوا.

- الآية 81، والآية 82، والآية 83: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لمُشركي قومك - الزاعمينَ أن الملائكة بنات الله -: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ كما تزعمون ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ لهذا الولد الذي تزعمونه، تعظيما لله وإجلالاً (لأن تعظيم الولد من تعظيم الوالد)، ولكنْ هذا لم يكن ولا يكون، لأنّ الكُلُّ مِلكُهُ وعَبيدُه، وهم خاضعونَ له، مُسَخَّرونَ تحت تدبيره، وهو الغني عنهم، فكيف يكونُ له منهم ولد؟!، فلذلك لن أعبد غير الله تعالى، ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي تَنَزَّهَ سبحانه وتبَرَّأ من الكذب والافتراء الذي يَصِفه به المُشرِكون، ثم قال الله لرسوله - مُهَدِّداً لهم -: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: أي اترك هؤلاء المفترين على الله ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دُنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي الذي يُوعدون فيه بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما معًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 84: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾: أي هو سبحانه المعبود بحق في السماء وفي الأرض، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الذي أحكَمَ خَلْقَه، وأتقن شرعه، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيءٍ من أحوال خلقه وما يحتاجونه، فلِذا وجبتْ عبادته وحده.

- الآية 85: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي كَثُرتْ خيرات الله تعالى، وعَظُم ملكه، فهو وحده الذي له مُلك السماوات والأرض ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الأشياء كلها، ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ التي تقوم فيها القيامة (إذ هو وحده الذي يعلم وقت مجيئها)، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أيها الناس بعد مماتكم، فيجازي كُلاً بما يَستحق.

- الآية 86: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾: أي لا تملك الملائكة - التي يعبدها المُشرِكون - أن تشفع لأحد عند الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ يعني إلا لمَن أقر بتوحيد الله ونُبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء هم الذين يَستحقون الشفاعة، فيشفعون لبعضهم، وتَشفع لهم الملائكة والأنبياء بعد أن يأذن الله لهم (هذا إذا دخلوا النار بذنوبهم حتى يخرجوا منها)، ففي الحديث الصحيح أنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: (أخرِجوا من النار مَن قال لا إله إلا الله، وكانَ في قلبه مِن الخير ما يَزِن ذَرَّة) (انظر صحيح الترمذي ج 4/711)، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون يقيناً حقيقة ما شَهِدوا به، ويفهمون معنى "لا إله إلا الله" أي لا معبود بحقٍ إلا الله، لأنه لا يَستحق العبادة غيره.

- الآية 87: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني: وإنْ سألتَ - أيها الرسول - هؤلاء المُشرِكين ﴿مَنْ﴾ الذي ﴿خَلَقَهُمْ﴾؟ ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: ﴿اللَّهُ﴾ هو الذي خلقنا، ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾؟ يعني فكيف يَنصرفون عن عبادة خالقهم، ويعبدون ما لا يَخلق شيئاً، بل هم مخلوقون؟!

- الآية 88، والآية 89: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ﴾ يعني: وقد عَلِمَ اللهُ قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيًا إلى ربه قومه الذين كذّبوه: يا رب ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (بل هم مُعانِدونَ مُستكبرون).

♦ واعلم أن الـ ﴿قِيل﴾ هو بمعنى القول، ولَعَلّ قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي عنده سبحانه عِلم قيام الساعة، ويعلم أيضاً قول رسوله محمد وشكواه مِن قومه (لطُول ما دعاهم وهم مُعرِضون عن الحق مُصِرّون على الكفر).

♦ ثم أمَرَ اللهُ رسوله أن يتجاوز عما يلقاه منهم مِن تكذيبٍ وإيذاء، فقال له: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ يعني أعرِض عنهم وتجاوز عن أذاهم، ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾: أي لا يَصدُر منك لهم إلا السلام الذي يقوله العقلاء للجاهلين، حتى لا تُعامِلهم بمثل أعمالهم السيئة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ما يلقَوْنه من العذاب والعقوبة.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة الدخان كاملة

- الآية 1: (حم): سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (حا ميم).

- من الآية 2 إلى الآية 8: (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) (يُقسِم اللهُ تعالى بالقرآن الواضح لفظًا ومَعنى، والمُوَضِّح للأحكام والحقائق): (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) أي ابتدأنا إنزال القرآن (فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) وهي ليلة القدر في رمضان (وهي ليلةٌ كثيرة الخيرات)، (ويُحتمَل أن يكون القرآن قد نزل كاملاً في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزّة في السماء الدنيا، ثم نزل إلى الأرض خِلال ثلاث وعشرين سَنة، بحسب الحوادث والأحوال)، (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) أي مُذَكِّرينَ الناسَ بما ينفعهم وما يضرهم (فلذلك أرسلنا إليهم الرُسُل وأنزلنا إليهم الكُتُب؛ لتقوم حُجَّة الله عليهم)، (فِيهَا) أي في ليلة القدر (يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ): أي يُقضَى من اللوح المحفوظ - إلى الكَتَبَة من الملائكة - كلُّ أمْرٍ مُحكَم من الآجال والأرزاق وسائر الأحداث في تلك السَنَة (لا يتبدل ولا يتغيَّر).

♦ وقد كان هذا الأمر الحكيم (أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا) (إذ جميع ما يُقَدِّره الله تعالى ويُوحيه، إنما هو بأمره وإذنه وعِلمه)، (إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) أي مُرسِلينَ الرُسُل إلى الناس، وقد كان هذا الإرسال (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) أيها الرسول بالمُرسَل إليهم من الأمم والشعوب، لِيَسعدوا في الدنيا والآخرة (إنْ هُم استقاموا على الحق)، (إِنَّهُ) سبحانه (هُوَ السَّمِيعُ) لجميع الأصوات وما تطلبه، (الْعَلِيمُ) بحاجات خَلقه وما يُصلحهم (فلذلك أرسل إليهم الرُسُل وأنزل الكُتُب)، وهو سبحانه (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا): أي خالق السماوات والأرض وما بينهما من الأشياء كلها (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ): يعني إن كنتم موقنينَ بذلك، فاعلموا أنّ رب المخلوقات جميعاً هو المعبود الحق، الذي لا تجب العبادة إلا له، (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ): أي لا يَستحق العبادة إلا هو (يُحْيِي وَيُمِيتُ) (إذ هو المتفرد بالإحياء والإماتة)، (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ).

- من الآية 9 إلى الآية 16: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ) يعني: بل إن هؤلاء المُشركِين في شك من الحق، فهم (يَلْعَبُونَ) أي يلعبون بالدنيا وشهواتها، وهُم في غفلةٍ عن الآخرة وما سيَلقونه فيها، (فَارْتَقِبْ): أي انتظر أيها الرسول بهؤلاء المُشركِين المستهزئين (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) أي بدخان واضح - عند اقتراب الساعة - (يَغْشَى النَّاسَ) أي يُغطي عيونهم "ويَخنِق" أنفاسهم، فيقولون: (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)، ثم يقولون سائلينَ ربهم أن يرفعه عنهم: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ): يعني إنْ كشفتَه عنا فإنا مؤمنونَ بك وبرسولك.

♦ ثم قال تعالى: (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى) ؟! يعني كيف يكون لهم التذكر والاتعاظ بعد نزول العذاب بهم؟! (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ) أي جاءهم رسول مُبَيِّن لهم الحق من الباطل، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، الذي يَعرفون نَسَبَه وصِدقه وأمانته وأخلاقه (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ) أي أعرضوا عن تصديقه واتّباعه (وَقَالُوا): (مُعَلَّمٌ) أي يُعَلِّمه غيره، وهو (مَجْنُونٌ) أي ذاهب العقل، وهم يَعلمونَ أنهم كاذبونَ في ذلك، فقد رَضوا بحُكمه عندما أرادوا إعادة بناء الكعبة (وذلك قبل بعْثَتِهِ صلى الله عليه وسلم)، فكيف إذاً يَقبلونَ حُكمَه ثم يَتهمونه - كَذِباً - بالجنون؟!، فعُلِمَ مِن ذلك أنهم يقولون ذلك على سبيل العِناد، حتى يَصُدّوا الناسَ عن دِينه، (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ): أي سنرفع عنكم العذاب قليلاً، وسترون أنكم ستعودون إلى ما كنتم عليه من الكفر والضلال، وسوف نعاقبكم على ذلك الكفر (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) أي يوم نُعَذِّب جميع الكفار العذاب الأكبر يوم القيامة، وهو يوم انتقامنا منهم (إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) من المجرمينَ المُكَذِّبين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ واعلم أن كثيراً من المُفسِّرين قد قالوا بأن المقصود من هذا الدخان هو ما أصاب قريشاً من الجوع، بسبب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، حتى كان الرجل منهم يرى بين السماء والارض دخاناً من شدة الجوع والجهد)، وفسَّروا أيضاً قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ بأنه يوم بدر، حيث انتقم الله منهم، فقتل زعمائهم وأسَرَ كثيراً منهم، والله أعلم.

– من الآية 17 إلى الآية 29: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾ أي اختبرنا قبل هؤلاء المُشركِين: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ أي كريمٌ عند ربه وكريمٌ عند قومه (وهو موسى عليه السلام)، إذ جاءهم قائلاً لهم ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾: أي سَلِّموا إليَّ عبادَ الله من بني إسرائيل، وأطلِقوا سَراحهم ليذهبوا معي إلى أرض أبيهم إبراهيم ليعبدوا الله فيها، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فيما أُبَلِّغكم به عن الله، ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾: أي لا تتكبروا على الله بتكذيب رُسُله، ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: يعني إني آتيكم ببرهان واضح على صدق رسالتي (وهي العصا)، ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾: أي استجرتُ بالله ربي وربكم أن تقتلوني رجمًا بالحجارة، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾: يعني إن لم تصدقوني فيما جئتكم به فاتركوني، وكُفُّوا عن إيذائي.

﴿فَدَعَا﴾ موسى ﴿رَبَّهُ﴾ – حين كذبوه وأرادوا قتله – قائلاً: ﴿أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ أي مُشركونَ ظالمون، فنَجِّني منهم والمؤمنينَ، وأنزِل بهم عذابك، فأجابه ربه قائلاً: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾ أي: سِرْ ليلاً بمن آمَنَ معك من بني إسرائيل وغيرهم من المصريين الذين آمنوا بك، فاخرجوا من أرض مصر ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ أي سوف يَتبعكم فرعون وجنوده ليقتلوكم، فاخرجوا قبل أن يُدركوكم ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾: أي اترك البحر مفتوحاً (كما كان حين دخلتموه)، ولا تضربه بعصاك مرة أخرى، وذلك حتى يدخل فرعون وجنوده فتُطبقه عليهم ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ أي سيَغرقون في البحر لا مَحالة، ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ بعد غرقهم ﴿مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (والمقصود بها أرض مصر، التي كانت مليئة بالبساتين وعيون الماء الجارية) ﴿وَزُرُوعٍ﴾ متنوعة ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ أي منازل جميلة ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ يعني: وعيشةٍ نَضِرة ومُتعة عظيمة كانوا فيها متنعمين، ﴿كَذَلِكَ﴾: أي كذلك سَلَبنا منهم هذه النعم بسبب جحودهم وعصيانهم، وكذلك أفعل بمن عصاني ولم يشكر نعمتي ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني أورثنا تلك النعم – من بعدهم – لقومٍ آخرين خَلفوهم من بني إسرائيل (ولَعَلّ هذا هو الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، فيكون المعنى: وأورثناها قوماً آخرين من بني إسرائيل، غير الذين عاصَروا فرعون وقومه، والله أعلم)، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أي لم تَبكِ السماء والأرض حزنًا على فرعون وقومه، لأنهم كانوا كافرينَ لم يعملوا على الأرض خيراً ولم يصعد لهم عملٌ صالح إلى السماء ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾: يعني لم يُمهَلوا – ليتوبوا أو يعتذروا – حين نزلتْ بهم عقوبة الله.

– من الآية 30 إلى الآية 33: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أي من العذاب المُذلِّ لهم (بقتل أبنائهم واستخدام نسائهم في الخدمة)، فنَجَّيناهم ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ أي من عذاب فرعون ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾ أي كان جبارًا ظالماً ﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: أي كان مُسرفًا في الظلم والتكبر على عباد الله، ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ أي اخترنا بني إسرائيل للنُبُوّة والمُلك ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ أي على عِلمٍ مِنّا بأنهم كانوا يَستحقون ذلك التفضيل ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ والمقصود هنا (عالَمي زمانهم المعاصرينَ لهم)، بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه، وبسبب إيمانهم واستقامتهم ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ يعني أعطيناهم من المُعجِزات على يد موسى ما فيه اختبارٌ عظيم لهم (أيَشكرون ربهم على نعمه أم يكفرون؟).

– من الآية 34 إلى الآية 39: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي هؤلاء المُشركِين مِن قومك أيها الرسول ﴿لَيَقُولُونَ﴾: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ يعني ما هي إلا موتتنا التي نموتها (فهي الموتة الأولى والأخيرة) ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾: يعني ما نحن بمبعوثين بعد موتنا ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أي ائتونا – يا محمد أنت ومَن معك – بآبائنا الذين قد ماتوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الله يبعث مَن في القبور، قال

www.alukah.net

تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ يعني أهؤلاء المُشركون خيرٌ في القوة والحصون أم قوم تُبَّع اليمني ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم المُكذِّبة؟! (إنهم ليسوا بخيرٍ منهم لا في المال ولا في الرجال)، ورغم قوة هؤلاء المُكذِّبين السابقين فقد ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (فكذلك نُهلِك هؤلاء المُكذِّبين من قريش متى شئنا)، ثم قال تعالى - رداً على إنكارهم للبعث -: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ أي ما خلقنا ذلك كله لعباً ولا باطلاً، ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي لِيَعلم الناس أنّ الذي خَلَقَ ذلك كله قادرٌ على أن يُحيي الموتى، لأنّ ذلك أهْوَنُ عليه مِن خَلْق السماوات والأرض ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون حكمة الله تعالى في ذلك (بسبب انغماسهم في الجهل والضلال).

- من الآية 40 إلى الآية 42: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ (وهو يوم القضاء بين الخلق بما قدَّموه من الأعمال)، هو ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾ أي موعدهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا﴾: يعني في هذا اليوم لا يَدفع صاحبٌ عن صاحبه أو قريبه شيئًا من العذاب والأهوال ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾: أي لا يَنصر بعضهم بعضًا بشفاعتهم لبعضهم عند الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ من أهل الإيمان والتوحيد، فإن الله يَرحمه في الآخرة بأن يُشَفِّع فيه أحد الملائكة أو الأنبياء، أو ولياً من أوليائه المتقين، فيأذن سبحانه له بالشفاعة فيُنَجِّيه من النار، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه مِن أعدائه، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

- من الآية 43 إلى الآية 50: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ التي تخرج في قعر جهنم، هي ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ وهو صاحب الآثام الكثيرة (وأكبر الآثام: الشِرك بالله)، والثمر الذي يَخرج من هذه الشجرة ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو المَعْدن الذي يذوب بسبب شدة السخونة، ف ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ وهو الماء الذي يغلي في الآنية، ثم يُقال لملائكة جهنم: ﴿خُذُوهُ﴾ أي خذوا هذا الأثيم الفاجر ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾ أي ادفعوه بعنف وجُرُّوه بغلظة وشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ يعني إلى وسط النار ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ وهو الماء المَغلي، ويُقال له وهو يُعَذَّب: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ في قومك، ﴿الْكَرِيمُ﴾ عليهم (وهذا على سبيل الاستهزاء والتوبيخ)، ﴿إِنَّ هَذَا﴾ العذاب هو ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ أي الذي كنتم تشكُّون فيه في الدنيا.

- من الآية 51 إلى الآية 57: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين خافوا عذابَ ربهم - ففعلوا ما يرضيه واجتنبوا ما يُغضبه - أولئك ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾: أي في موضع إقامة واستقرار - وهي الجنة - آمنينَ من العذاب والخوف والهموم والأمراض، وهم ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي في بساتين عجيبة المَنظر، ﴿وَعُيُونٍ﴾ أي أنهارٌ جارية ﴿يَلْبَسُونَ﴾ ثياباً ﴿مِنْ سُنْدُسٍ﴾ وهو الحرير الرقيق ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو الحرير الغليظ، ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾: أي تتقابل وجوههم في حُبّ، يَجمعهم مَجلس واحد، ويدور بهم مَجلسهم حيث أرادوا الذهاب في الجنة، ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: يعني كما أدخلنا هؤلاء المتقين الجنات، فكذلك زوَّجناهم فيها بنساءٍ جميلات واسعات الأعين، وقد قال مجاهد رحمه الله: (إنما سُمِّيتْ الحورُ حُوراً، لأنهن يُحار الطَرف - أي تحتار العين - في حُسنهنّ وبياضهنّ وصفاء لونهنّ)، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾: أي يَطلب هؤلاء المتقون في الجنة من كل أنواع الفواكه التي يشتهونها، ﴿آمِنِينَ﴾ من انقطاع ذلك عنهم وفنائه ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾: أي لا يذوقون الموت في الجنة بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ﴿وَوَقَاهُمْ﴾ ربهم ﴿عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ﴾ أي تفضلاً منه وإحسانًا عليهم (بسبب تقواهم لربهم وخوفهم من عذابه)، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (يقول اللهُ عز وجل: وَعِزَّتي لا أجمعُ على عبدي خوفَيْن ولا أجمعُ له أمْنَيْن، إذا أَمِنَني في الدنيا: أخَفتُهُ يومَ القيامة، وإذا خافني في الدنيا: أمَّنْتُهُ يومَ القيامة) (انظر السلسلة الصحيحة ج: 6/ 355)، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوزَ مِثله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 58، والآية 59: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾: يعني فإنما سَهَّلنا لفظ القرآن ومعناه بلُغتك العربية أيها الرسول، ويَسَّرناه للحفظ والفَهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي ليَتعظ قومك بأدلته وحُجَجه، فيؤمنوا به لينجوا ويسعدوا، ولكنهم تكَبّروا عن الإيمان به والانقياد له ﴿فَارْتَقِبْ﴾ أي انتظِر ما وعدناك به من النصر على هؤلاء المُشرِكين، فـ ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾: يعني إنهم أيضاً مُنتظرون موتك ليتخلصوا من دَعْوتك، (فلا تهتم بكَيدهم وتكذيبهم، فإنّ اللهَ ناصرك عليهم ومُنَجِّيك مِن كَيدهم، وسيعلمون لمن تكون النُصرة وعُلُوّ الكلمة في الدنيا والآخرة، إنها لك ولمَن اتَّبعك من المؤمنين).

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة الجاثية كاملة

- الآية 1: ﴿حم﴾: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (حا ميم).

- الآية 2: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ إنما هو ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿الْحَكِيمِ﴾ في أفعاله وأحكامه.

- من الآية 3 إلى الآية 6: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ بارتفاعها واتّساعها ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بجبالها وبحارها ﴿لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي حُجَج وأدلة للمؤمنين على استحقاق الله وحده للعبادة، (وقد خَصَّ سبحانه المؤمنين لأنهم أحياء، يَسمعون ويُبصرون ويَعقلون فيَرون هذه الآيات ويَعتبرون بها)، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾ يعني: وفيما يَنشر الله في الأرض من كل أنواع الدواب: ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي يوقنون بأن الذي خَلَقهم هو المُستَحِقّ وحده لعبادتهم، وأنه القادر على بَعْثهم بعد موتهم لأنه هو الذي ابتدأ خَلقهم، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يعني: وفي تعاقب الليل والنهار عليكم ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ وهو المطر - الذي يحصل بسببه الرزق - ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي بعد جفافها، فأخرجت النبات والزرع بعد أن كانت ميتة لا حياةَ فيها، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ يعني: وفي تقلب أحوال الرياح وتوجيهها لكم من جميع الجهات لمنافعكم، ففي ذلك كله ﴿آيَاتٌ﴾ تدل على قدرة الله تعالى وعنايته بمصالح خلقه ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (إذ لا يُعقَلُ أبدًا أن يَخلُقَ سبحانه ثم يُعبَد غيرُه، وأن يَرزُقَ ثم يُشكَر غيرُه!) ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ وبراهينه ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ أيها الرسول ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالصِدق (وليس كما يُخبر المُشرِكون عن آلهتهم أنها تقرّبهم إلى الله كذباً وباطلاً) ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي بعد حديث الله ﴿وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾؟! يعني فبماذا سيُؤمنون إن لم يؤمنوا بآيات الله الواضحة، التي تدل على أنه الإله الحق، وأنه القادر على إحياء الموتى كما أحيا هذه الأرض الميتة؟!

- من الآية 7 إلى الآية 10: ﴿وَيْلٌ﴾ أي هلاكٌ ووعيدٌ بالعذاب ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ أي كثير الكذب (يَصِف الطاهر بالخبيث والخبيث بالطيب، والكاذب بالصادق والصادق بالكاذب) ﴿أَثِيمٍ﴾ أي كثير الآثام، منغمس في كبائر الذنوب ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ﴾ ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كُفره بها ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الانقياد لها ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ ولم يَنتفع بها ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ أيها الرسول ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في نار جهنم، ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾ يعني إذا وَصَلَ إليه شيء من آيات القرآن: ﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي اتخذها سُخريّةً ولعباً، ولا يَمتثل لأوامرها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي عذابٌ يُهِينهم ويُذِلّهم (جزاءً لهم على استهزائهم بالقرآن)، ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي سيَلقون بعد موتهم: جهنم تنتظرهم ليُعذَّبوا فيها ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾: يعني لن ينفعهم حينئذٍ ما كانوا يكسبونه من الأموال والأولاد، ولن يدفعوا عنهم مِن عذابَ اللهِ شيئاً، ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: ولن تنفعهم آلهتُهم الباطلة التي عبدوها مِن دون الله، ظناً منهم أنها ستشفع لهم عند ربهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، (واعلم أنّ لفظ "وراء" يُطلق على ما كانَ خلفاً وما كانَ أماماً، لأنّ كل ما وُورِيَ - أي: استُتِر - فهو وراء).

- الآية 11: ﴿هَذَا هُدًى﴾: يعني هذا القرآن هادٍ من الضلالة، ومُرشدٌ إلى الحق، يهدي مَن آمن به وعمل بهُداه إلى طريق مستقيم يوصله إلى الجنة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي جحدوا بآيات القرآن وأدلته الواضحة، أولئك ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ أي لهم عذابٌ مِن أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة.

- الآية 12، والآية 13: ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى هو ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي ذلّلَهُ لكم ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ أي لتجري السفن فيه بقدرته سبحانه، وبأمرِهِ للبحر أن يَحملها رغم ثِقلها، لتحملكم وتحمل أثقالكم ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: وتركبونها لتطلبوا رِزقَ اللهِ بالتجارة والربح فيها (وذلك بنقل البضائع والسِلَع من بلدٍ إلى آخر) ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لتشكروا ربكم على هذه النعم العظيمة فتعبدوه وتُطيعوه ولا تُشركوا به، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾ أي لمصالحكم ومنافعكم ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (كالشمس والقمر والنجوم والسحاب) ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (كالدَوابِّ والشجر والماء) ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾: يعني إنّ جميع هذه النعم من الله وحده، وقد أنعم بها عليكم لتعبدوه وحده ولا تشركوا به، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التسخير ﴿لَآيَاتٍ﴾ تدل على قدرة الله تعالى وعنايته بمصالح خلقه، وأنه وحده الذي يَستحق أن يَعبدوه ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يتفكرون في هذه الآيات ليَتّعظوا بها، ويَجتهدوا في فِعل ما يَنفعهم في الدنيا والآخرة.

- الآية 14: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول ﴿لِلَّذِينَ آَمَنُوا﴾ – وذلك قبل الهجرة، قبل أن يأذن الله بجهاد المُشركِين – أن ﴿يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أي يتجاوزوا عن أذى الكفار الذين لا يتوقعون أيام الله (التي ينصر فيها المؤمنين عليهم في الدنيا)، ولا يتوقعون عذابه لهم في الآخرة، وقد أمَرَ الله المؤمنين بالصبر ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (فيجزي المؤمنين على عفوهم وصبرهم بأحسن الجزاء، ويعاقب المُشركِين على شِركهم وإيذائهم بأشد العقاب).

- الآية 15: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ بما شَرَعه الله له: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ يعني فإنما ثمرة عمله راجعةٌ إليه وحده في الجنة، ﴿وَمَنْ أَسَاءَ﴾ فعَصَى اللهَ ورسوله ﴿فَعَلَيْهَا﴾ يعني فإنما عقاب تلك الإساءة سيعود على نفسه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم، ليحاسبكم على جميع أعمالكم.

- الآية 16، والآية 17: ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ وهي التوراة والإنجيل ﴿وَالْحُكْمَ﴾ أي عَلّمناهم الحُكم بين المتنازعين على الوجه الذي يُحقق العدل، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ أي جَعَلنا أكثر الأنبياء منهم، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي رَزَقناهم مِن الأطعمة الطيبة (من الثمار والحبوب واللحوم والمَنّ والسلوى وغير ذلك) ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي فضلناهم على عالمي زمانهم من الأمم المعاصرة لهم، (ولَعَلّ المقصود بذلك التفضيل أنَّ الله جَمَعَ لهم بين استقامة الدين والخُلُق، وبين حُكم أنفسهم بأنفسهم بالعدل والحق، مع طِيب العيش وتحقق الأمن والرخاء) (وذلك أيام إيمانهم واستقامتهم، وبسبب صبرهم على إيذاء فرعون وقومه)، ﴿وَآَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾: يعني أعطيناهم دلالاتٍ واضحة – مِن أمْر دينهم – تبَيِّن لهم الحق من الباطل، وأعطيناهم شرائع واضحة في التوراة تبَيِّن لهم الحلال من الحرام، وتنَظِّم لهم أمور حياتهم، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ وتفرقوا ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: يعني إلا مِن بعد ما تبيَّنوا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي وُعِدوا به في التوراة والإنجيل، وذلك ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي ظلمًا وحسدًا وطلبًا للدنيا (لأنّ كل فرقةٍ منهم كانت تتمنَّى أن يكون هذا النبي الخاتَم مِن عندها، حتى تكون لها الرئاسة والسُّلطة الدينية والدنيوية دونَ غيرها)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ – أيها الرسول – ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي سوف يَحكم بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمور الدين، فيُدخل المُكَذِّبين بك النار، ويُدخل المؤمنين بك الجنة (كعبد الله بن سَلام وأصحابه).

- الآية 18، والآية 19: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ أيها الرسول ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾: أي جعلناك على شريعة واضحة من أمر الدين الحق (الذي ارتضاه الله لعباده)، ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ أي اتبَع الشريعة التي جعلناك عليها ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي لا تتبع أهواء الجاهلينَ بشرع الله، الذين لا يعلمون الحق ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي هؤلاء المُشركِين الذين يدعونك إلى اتّباع أهوائهم واقتراحاتهم ﴿لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: يعني لن يدفعوا عنك شيئًا من عقاب الله إن اتّبعتَ أهواءهم، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي المتجاوزين لحدود الله – من المنافقين واليهود وغيرهم – ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: يعني بعضهم أنصار بعض، إذ يَنصرون بعضهم على

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المؤمنين، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (وهم الذين يخافون عذابه، فيفعلوا ما يُرضيه ويَجتنبوا ما يُغضبه)، فاللهُ سبحانه سينصرهم على أعدائهم، ويُعينهم في أمورهم.

- الآية 20: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾: يعني هذا القرآنُ براهينٌ ظاهرة للناس، ليُبصِروا بها الهدى من الضلال (لِمَا اشتملتْ عليه آياته مِن البلاغة والتحدي والإخبار بالغيب) ﴿وَهُدًى﴾ يعني: وهو إرشادٌ لهم إلى الحق، وإلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة ﴿وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي يوقنونَ بحقيقة صحته، وأنه تنزيلُ رب العالمين.

- الآية 21: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ - وهم الذين اكتسبوا الشِرك والمعاصي بجوارحهم، وخالَفوا أمْر ربهم -، فهل ظنوا ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾ أي متساوين ﴿مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾؟! أي في دنياهم وآخرتهم؟! (لا يكونُ هذا أبداً) ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: أي قبح حُكمهم بالمساواة بين الفجار والأبرار.

- الآية 22: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي خلَقَهما سبحانه لإقامة العدل والثواب والعقاب بين عباده، فأنزل الشرائع وأرسل الرُسُل، ليَعمل الناس في هذه الدنيا ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ مِن خيرٍ أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (فكيف إذاً يُساوونَ بين الصالحين والمُفسدين؟! هذا ليس من العدل في شيئ).

- الآية 23: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أيها الرسول ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي جَعَل طاعته لهَواه كطاعة المؤمن لله، فلا يَهوى شيئاً إلا فَعَله ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ يعني: وأضلَّه الله بعد وصول العلم إليه وقيام الحُجَّة عليه، (ولَعَلّ المقصود من قوله تعالى: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ أي على عِلمٍ من الله تعالى بأنه لا يَستحق الهداية، بسبب اتّباعه لهواه وعدم انقياده لشرع الله)، ﴿وَخَتَمَ﴾ سبحانه ﴿عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يَسمع مواعظَ اللهِ بتدبُّر وانتفاع، ولا يَعقلها بقلبه، ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾: أي جعل سبحانه على بصره غطاءً، فلا يرى البراهين الدالة على استحقاق الله وحده للعبادة، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾: يعني فمن يوفقه للحق والرشد بعد إضلال الله له؟! ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: يعني أفلا تتعظون - أيها الناس - فتعلموا أنَّ مَن فَعَل الله به ذلك لن يهتدي أبدًا؟، إذاً فاطلبوا من ربكم الهداية بصِدق، ولا تتبعوا أهوائكم، (وفي الآية تحذير للمؤمن مِن أن يفعل كل ما تهواه نفسه).

- الآية 24، والآية 25: ﴿وَقَالُوا﴾ أي قال مُشركو مكة: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: يعني ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، ولا حياة غيرها (وهذا تكذيبٌ منهم بالبعث بعد الموت)، وقالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي جيلٌ يموت وجيلٌ يَحيا، فيموت الآباءُ مِنّا ويَحيا الأبناء ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾: أي ما يهلكنا إلا مَرُّ الليالي والأيام وطول العمر، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: أي ما يتكلمون إلا بالظن الناتج عن التخمين واتّباع الآباء بغير دليل، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحاتِ الدلالة في قدرة الله على البعث بعد الموت: ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾: ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أي ائتونا - يا محمد أنت ومَن معك - بآبائنا الذين قد ماتوا، فأحيُوهم لنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنّ الله يَبعث مَن في القبور.

- الآية 26: ﴿قُلِ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ (فهو سبحانه المُتفرِّد بالإحياء والإماتة، وأنتم تعلمون ذلك أيها المُشركون، فلقد كنتم أمواتًا وأنتم في العَدم، فأوجدكم سبحانه ونَفَخَ فيكم الحياة، فكذلك لا يُعجزه إحياءكم بعد موتكم) ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ مِن قبوركم ﴿إِلَى﴾ أرض المَحشَر في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الذي ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي الذي لا شَكَّ فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يَعلمون قدرة اللهِ على إحياءهم كما بدأ خَلْقهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 27: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) خَلقًا ومُلكًا وتصرفاً (فالقادر على خَلْق ذلك كله، قادرٌ على بَعْث عباده يوم القيامة من قبورهم أحياءً)، (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) (وهم الذين يريدون إبطال الحق الواضح بالأهواء الفاسدة)، فهؤلاء يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخولهم نار جهنم وحِرمانهم من نعيم الجنة.

- من الآية 28 إلى الآية 32: (وَتَرَى) - يوم القيامة - (كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً): أي ترى أهلَ كل مِلَّةٍ باركينَ على رُكَبهم - لشدة الذل والخوف - يَنتظرون حُكم الله فيهم، (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يعني إلى رؤية كتاب أعمالها، ويُقال لهم: (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ف (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) أي يَنطق عليكم بجميع أعمالكم من غير زيادة أو نقصان، (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ): أي كنا نأمر ملائكتنا بنسخ أعمالكم وكتابتها وأنتم لا تشعرون، (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) باللهِ ورسوله، وبكل ما أخبرَهم به من الغيب (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) - بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شَرَعه - (فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) أي يدخلهم في جنّته برحمته (بسبب إيمانهم وعملهم الصالح) (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) أي الفوز الواضح الذي لا فوزَ مِثله، (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) أي جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذَّبوا رُسُله ولم يعملوا بشرعه، فهؤلاء يقول الله لهم توبيخًا: (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) عن استماعها والإيمان بها، (وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ) أي كنتم قومًا مُشرِكين تفعلون المعاصي ولا تؤمنون بثوابٍ ولا عقاب؟! (وَإِذَا قِيلَ) لكم: (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ) (وَالسَّاعَةُ) التي تقوم فيها القيامة (لَا رَيْبَ فِيهَا) أي لا شك في مجيئها، (قُلْتُمْ) حينئذٍ: (مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ) (إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا): يعني ما نتوقع وقوعها إلا ظناً (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ): أي لسنا على يقين وتأكد من أن الساعة آتية، (وهذا بالنسبة لبعض الناس، وإلاّ فقد تقدم أن بعضهم كان يُنكر البعث بالكُلِّية).

- الآية 33، والآية 34، والآية 35: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا): أي ظَهَرَ لهؤلاء المُكَذِّبين جزاءُ ما عملوه من الأعمال القبيحة (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ): يعني أحاط بهم - من كل جانب - عذاب النار الذي كانوا يَسخرون منه ويستعجلون به، (وَقِيلَ) لهم: (الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) يعني: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم الاستعداد للقاء ربكم بالإيمان والعمل الصالح والتوبة والاستغفار، (وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ): أي مَسكنكم الدائم هو نار جهنم (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) يُنقذونكم مِن حَرّها وعذابها، (ذَلِكُمْ) أي هذا العذاب الذي أصابكم (بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا): أي بسبب أنكم اتخذتم آيات الله وحُجَجه استهزاءً ولعبًا (وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا): أي خدعتكم الحياة الدنيا بزينتها، (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا) أي من النار، (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ): أي لا يُطلب منهم العُتبَى (وهو إرضاء ربهم بالتوبة والعمل الصالح)، فقد فاتَ أوانُ ذلك، (فاذكُر هذا لقومك أيها الرسول لَعَلّهم يَتوبونَ فيَنجوا).

- الآية 36، والآية 37: (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ) على ما حَكَمَ به لأهل الجنة (فضلاً وإحساناً)، وعلى ما حَكَمَ به على أهل النار (عدلاً وحكمة)، والشكر له على نعمه التي لا تُحصَى، فهو سبحانه (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي مُدَبِّر أمْر الخلائق أجمعين (وَلَهُ) وحده (الْكِبْرِيَاءُ) أي العظمة والجلال والسُّلْطان والحكم النافذ على مَن شاء (فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (وَهُوَ الْعَزِيزُ) أي الغالب، الذي لا يمنعه أحد من فعل ما يريد (الْحَكِيمُ) في أقواله وأفعاله وقدَره وشَرْعه.

****

www.alukah.net

تفسير سورة الأحقاف كاملة

- الآية 1: ﴿حم﴾: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (حا ميم).

- الآية 2: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ إنما هو ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿الْحَكِيمِ﴾ في أفعاله وأحكامه.

- الآية 3: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي ليَعرف العباد عظمة خالقهما فيعبدوه وحده، ويقيموا الحق والعدل فيما بينهم، وللدلالة على قدرته تعالى على البعث بعد الموت (لأنّ ذلك أهْوَن عليه مِن خَلْق السماوات والأرض)، ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي خُلِقَت السماوات والأرض وما بينهما بوقتٍ معلوم تفنَى عنده (وهو يوم القيامة)، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ أي مُعرِضونَ عما أنذرهم به القرآن، فلا يتفكرون في أدلته ولا يتعظون.

- الآية 4: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُشرِكين: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة الباطلة ﴿أَرُونِي﴾ يعني أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني أيُّ جُزءٍ خلقوه منها حتى يَستحقوا عبادتكم؟!، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: يعني أم أنّ لهم شِركًا مع الله في خَلْق السماوات؟!، ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أي بكتاب مُنَزَّل من قبل هذا القرآن يَشهد لكم بصحة عبادة أصنام لم تخلق شيئاً! ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾: يعني أو ائتوني بأثَر مِن عِلمٍ صحيح - يُروَى عن أهل العلم السابقين - يدل على أن الأصنام تشفع لكم عند ربكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تزعمون.

- الآية 5، والآية 6: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ يعني: ومن أشد ضلالاً ﴿مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ دعاءه ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لأنها من الأموات أو الأحجار أو الأشجار، ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ يعني: وهذه المخلوقات غافلة عن دعاء مَن يعبدها، عاجزة عن نفعه أو ضره، ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ يعني إذا جُمِعوا يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾: أي كانت هذه الآلهة المزعومة أعداءً لمن عبدها في الدنيا ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يعني إنها تتبرأ منهم، وتُنكِر عبادتهم لها.

- الآية 7: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أي على هؤلاء المُشركين ﴿آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحاتِ الدلالة على حقيقة التوحيد والبعث والنُبوّة: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: يعني إنهم قالوا عن القرآن حين جاءهم: (هذا سحرٌ ظاهر (وهم يَعلمون أنهم كاذبونَ في ذلك، فلقد اعترف لهم أحد رؤسائهم - وهو الوليدُ بن المُغِيرة - أنّ ما يَقوله السَحَرةُ شيئ، وأنَّ هذا القرآن شيئٌ آخر، وأنه ليس بكلامِ بَشَر (وذلك عندما سمع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أجْبَره المُشركون بعد ذلك أن يقولَ للناس إنه سِحر).

- الآية 8: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يعني بل يقولون: (إنّ هذا القرآن قد افتراه محمد مِن عند نفسه)، مع أنهم يَعلمون أنه بَشَرٌ مِثلهم، إذاً فلماذا لا يأتونَ بمِثله كما تحَدّاهم؟! ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ على اللهِ كما تزعمون ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: يعني فإنكم لن تقدروا أن تدفعوا عني شيئًا من عقاب الله لي، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: أي هو سبحانه أعلم مِن كل أحد بما تقولونه في هذا القرآن من الأقوال الباطلة، ﴿كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فشهادته لي بالنُبُوَّة هي ما أعطاهُ لي من المُعجزات الباهرات (كانشقاق القمر وغيرها)، وكذلك وَحيُهُ إليَّ بهذا القرآن الذي أُنذِرُكُم به، والذي لا يستطيعُ أن يقوله بَشَر، وأنتم تعلمون ذلك لأنكم أبْلغ البَشَر، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْغَفُورُ﴾ لمن تاب إليه من عباده، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، حيثُ جعل التوبة نجاةً لهم من عذابه.

- الآية 9: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لمُشركي قومك: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾: يعني ما كنتُ أوّل رُسُل الله إلى خلقه، ولم آمُركم بشيءٍ جديد، فإنّ جميع الرُسُل قبلي قد دَعَتْ أقوامها إلى التوحيد، وأخبرتهم بحقيقة البعث بعد الموت، ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿بِي وَلَا بِكُمْ﴾: يعني ما أدري ما يفعله الله بي ولا بكم في هذه الحياة الدنيا: (هل سأخرج من بلدي أو أقتل؟، أو تُقبَل دعوتي ويَنصرني ربي؟ وهل سيُعَجِّل الله لكم العذاب في الدنيا أو يُمهلكم إلى عذاب الآخرة؟ أو يهديكم إلى الإسلام؟ لا أدري) ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾: يعني ما أتبع - في أفعالي وأقوالي وفيما أبلِّغه للناس - إلا ما يُوحِيه إليَّ ربي، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ مِن عذاب اللهِ تعالى لأُخَوِّفكم عقوبة الشِرك والمعاصي، ﴿مُبِينٌ﴾ أي أُوَضِّح لكم ما أُرْسِلتُ به إليكم.

- الآية 10: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُكَذِّبين: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ يعني أخبِروني ﴿إِنْ كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ استكباراً وعِناداً ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وهو عبد الله بن سَلام (الذي شهد له اليهود بأنه أعلمهم)، فإنه قد شهد ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ أي على مِثل هذا القرآن (وهو ما في التوراة من التصديق بنُبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم)، ﴿فَآمَنَ﴾ أي صدَّقَ بالقرآن وعمل بما به، ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يا كفار قريش عن الإيمان به والانقياد له، فأخبِروني إذاً: أليس هذا أعظم الظلم وأشد الجحود؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يوفقهم سبحانه إلى طريق الرُشد والصواب، بسبب عنادهم واستكبارهم من بعد وضوح الحق.

- الآية 11: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قريش ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي قالوا في شأن المؤمنين: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ يعني: لو كان الإسلام يعود علينا بالخير والمصلحة المادية: ﴿مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي ما سبقنا إليه هؤلاء المؤمنون الفقراء، لأننا أولى بالخير منهم، (وذلك حسب زعْمهم الفاسد، وإلاَّ فإنهم قد عانَدوا مِن أجل الحفاظ على مَناصبهم الفانية، ورضوا بأن يَتَّخذوا آلهةً من الحَجَر يَتقربون إليها ويَسجدون لها، على العكس من المؤمنين الذين انقادوا للحق بمجرد ظهوره)، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ يعني: وإنْ ظَهَرَ عنادهم وعَظُمَ استكبارهم فأعماهم الله عن الهداية بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: ﴿هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ يعني هذا كذب مأخوذ مِن كَذِب الأوّلين.

- الآية 12: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني: ومِن قبل هذا القرآن - الذي أنكره المُشرِكون - أنزل الله التوراة، وهي ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ الذي أنزله اللهُ عليه ليكونَ ﴿إِمَامًا﴾ يُقتَدَى به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمَنَ به وعمل بما فيه (وذلك قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام)، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ يعني: وهذا القرآن هو كتابٌ مُوافقٌ لِمَا قبله من الكُتُب (فهو مُصَدِّقٌ لِمَا فيها مِن صِحَّة، ومُبَيِّنٌ لِمَا فيها من تحريف)، وقد جعله الله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي أنزله بلُغة عربية واضحة، في غاية الفصاحة والبلاغة ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي ليُخوِّف الذين ظلموا أنفسهم - بالشِرك والمعاصي - من النار ﴿وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ بالجنة، وهم الذين يُراقبون ربهم في كل شؤونهم، ويُحسنون عبادتهم له (بتخليصها من الشِرك والرياء، وبأدائها كما شَرَعَها لهم).

- الآية 13، والآية 14: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ إذ هو الذي خلقنا وحده، فلذلك لن نعبد غيره، ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على شريعة ربهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من فزع يوم القيامة وأهواله، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما تركوه وراءهم بعد موتهم من أمور الدنيا، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي هم أهل الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (إذ حياتهم فيها أبديةٌ، وسعادتهم فيها لا توصَف) ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب أعمالهم الصالحة التي كانت سبباً في إدخالهم الجنة برحمة ربهم.

- الآية 15، والآية 16: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ يعني وَصّيناه أن يُبِرّهما، وأن يُحسِن إليهما بالقول والعمل، وأن يدعو لهما بعد موتهما، - وخاصةً أمّه - فقد ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ أي حَمَلَته في بطنها على مَشقةٍ وتعب ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾: أي وَلَدَته أيضًا على مَشقةٍ وتعب (ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم برّها فوق بر الوالد مرتين، كما ثبت ذلك في الصحيحين)، ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ يعني: ومدة حَمْله وفطامه ثلاثون شهرًا، (واعلم أنّ لفظ "فِصاله" للإشارة إلى أنه

www.alukah.net

يُفصَل حينئذٍ عن الرضاعة)، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: يعني حتى إذا بلغ هذا الإنسان البارّ مُنتهَى قوته البدنية والعقلية ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ (لأنه عندئذٍ يكون أكثر انشغالاً بأمور الدنيا) ﴿قَالَ﴾ داعياً ربه - طالباً إعانته -: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ يعني ألْهِمْني ووفقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ﴾ عملاً ﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ مني ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أي اجعل الصلاح سارياً في ذريتي حتى يَشملهم جميعاً، ليكونوا في ميزان حسناتي، ويدعوا لي بعد موتي، ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من ذنوبي الماضية وندمتُ عليها ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي الخاضعينَ لك بالطاعة، المُستسلمينَ لأمرك ونَهْيك، المُنقادينَ لحُكمك، ثم قال تعالى عن هذا الصنف الصالح: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي نتقبل أحسن أعمالهم (وهو كل عمل صالح، كان خالصاً لله تعالى، موافقاً لشرعه) ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فلا نعاقبهم عليها بعد توبتهم منها، ونرحمهم بإدخالهم ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي في جُملة أصحاب الجنة، وقد كانَ ذلك الإدخال ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي الذي وعدناهم به في كُتُبنا وعلى ألسنة رُسُلنا.

- الآية 17، والآية 18: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ يعني: وأما الذي قال لوالديه - حينَ دَعَواه إلى التوحيد والإقرار بالبعث -: قُبحًا لكما ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ مِن قبري حيًا بعد موتي ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ يعني: وقد مضت الأمم من قبلي، فلم يُبعث منهم أحد؟، ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ يعني: ووالداه يسألان الله هدايته، قائلَين له: ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾ يعني صَدِّق واعمل صالحًا، فـ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ ﴿فَيَقُولُ﴾ لهما: ﴿مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: ما هذا الذي تتحدثون عنه من البعث والحياة الثانية إلا قصص السابقينَ التي لا حقيقةَ لها، ثم قال تعالى عن هذا الصنف الفاسد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي وَجَبَ عليهم حُكم الله بالعذاب ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: يعني في جُملة أمم قد مضت مِن قبلهم على الكفر والتكذيب ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (لأنهم اشتروا الضلالَ بالهدى، واستبدلوا النعيم المُقيم بالعذاب الأليم).

- الآية 19: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ يعني: ولكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيامة، بحسب أعمالهم التي عملوها (كلٌّ بحسب مَرتبته)، ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: وقد فعَلَ سبحانه ذلك، ليُوَفيهم جزاء أعمالهم كاملة يوم القيامة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

- الآية 20: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ لِيُعَذَّبوا فيها، فيُقال لهم توبيخًا: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ (وذلك بإقبالكم على الشهوات والمَلَذّات وانشغالكم بها)، حتى نسيتم الآخرة فلم تعملوا لها، (ولَعَلّ المقصود مِن قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ أي ثواب أعمالكم الخيرية، كإطعام الطعام وصلة الأرحام وغير ذلك، لأن هذه الأعمال لم تكن عن إيمان، فأعطاكم الله جزاءها في الدنيا من المُتَع الرخيصة، فاستمتعتم بها، ولم يُبقِ لكم شيئاً مِن نعيم الآخرة، كما قال تعالى في سورة هود: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (*) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾).

﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي عذاب الذل والإهانة في النار ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي بسبب استكباركم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ التي خلقها الله لكم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ إذ لا حقّ لكم في ذلك الاستكبار، لضَعفكم وعَجزكم (فالكبرياء لله وحده، وهو لم يأذن لكم بالكِبر)، ولأنّ حُجَج الله وأدلته كانت واضحة، ولكنكم تكبرتم عن الانقياد لها ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ يعني: وبسبب خروجكم عن طاعة الله ورسوله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 21: ﴿وَاذْكُرْ﴾ - أيها الرسول - ﴿أَخَا عَادٍ﴾ (وهو هود عليه السلام)، الذي أرسله الله إلى قبيلة عاد، ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾: أي اذكر حين أنذر قومه أن ينزل بهم عذاب الله، وهم في منازلهم المعروفة بـ "الأحقاف"، التي تقع جنوب الجزيرة العربية، (واعلم أن الأحقاف هي الرمال الكثيرة)، ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يعني: وقد مضت الرُسُل بإنذار أقوامها - قبل هود وبعده - بـ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن أشركتم به ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة.

- الآية 22، والآية 23: ﴿قَالُوا﴾ أي قالت عادٌ لهود: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني إنما العلم بوقت مَجيئ هذا العذاب عند الله، ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ يعني: وإنما أبلّغكم ما أرسلني الله به إليكم، ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ بسبب استعجالكم بالعذاب، وجُرأتكم على ربكم.

- الآية 24، والآية 25: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾: يعني فلمّا رأوا العذاب عارضاً (أي على هيئة سحاب يَعرض في الأفق)، وكان متجهًا إلى أوديتهم: ﴿قَالُوا﴾: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾: أي هذا سحابٌ مُمطر لنا، فقال لهم هود عليه السلام: ﴿بَلْ﴾ أي ليس هذا عارضُ مطر ورحمة كما ظننتم، ولكنْ ﴿هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ أي هو عارضُ العذاب الذي استعجلتموه: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ (ما أعظمك يا رب)، ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ أي صاروا ﴿لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ أي لا يُرى في بلادهم شيءٌ إلا آثار مساكنهم (إذ أهلك الله قوم عادٍ عن آخرهم، واقتلعت الريح مُعظم مساكنهم)، ولم يَنجُ إلا هود والذين آمنوا معه برحمة خاصة من الله تعالى، و﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (وفي هذا تهديدٌ لقريش لكي يتوبوا من شِركهم وتكذيبهم).

- الآية 26: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ يعني أعطينا لعاد أسباب التمكين في الأرض - من القوة المادية وغيرها - ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ يعني في الذي لم نُمكِّنكم فيه يا كفار قريش من القوة والإمكانيات، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ يَسمعون به، ﴿وَأَبْصَارًا﴾ يُبصرون بها، ﴿وَأَفْئِدَةً﴾ أي قلوباً يَعقلون بها، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: يعني إنهم لم يَنتفعوا بهذه الحواس، ولكنهم استعملوها فيما يُغضب ربهم ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الواضحة، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: يعني أحاط بهم العذاب الذي كانوا يَسخرون منه، فلم يستطيعوا النجاة والفرار.

- الآية 27، والآية 28: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿مِنَ الْقُرَى﴾ كعادٍ وثمود، ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ يعني: وبيَّنَّا لهم أنواع الحُجَج والأدلة والمواعظ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كُفرهم وعِصيانهم إلى توحيد الله وطاعته، ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾: يعني فهَلاّ نَصَرَتهم آلهتُهم التي عبدوها لتشفع لهم عنده كما يزعمون! ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾: يعني بل غابوا عنهم عند نزول العذاب فلم يجيبوهم، ولم يدفعوا عنهم شيئاً من عذاب الله، ﴿وَذَلِكَ﴾ أي غياب آلهتهم عنهم وعدم نَصْرهم لهم هو ﴿إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي هو نتيجة كذبهم وافتراؤهم الذي كانوا يعيشون عليه من أنهم شفعاء لهم عند ربهم.

- من الآية 29 إلى الآية 32: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾: أي اذكر أيها الرسول حين بَعَثنا إليك عدداً من الجن ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الذي تتلوه ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾: يعني فلمّا حضروا سماع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالُوا﴾ لبعضهم: ﴿أَنْصِتُوا﴾ لنستمع إلى هذا القرآن، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ يعني فلما فَرَغ الرسول صلى الله عليه وسلم من تلاوة القرآن - وقد فَهِمَه هؤلاء الجن وأثَّر فيهم -: ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ أي رجعوا إلى قومهم مُحَذرين لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا به، فـ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(قَالُوا) لقومهم من الجن: (يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى) (وظاهر هذه الجملة أن هؤلاء الجن كانوا على اليهودية)، ثم وَصَفوا لهم القرآن بقولهم: (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ): أي مُوافقاً لِمَا قبله مِن كُتُب الله التي أنزلها على رُسُله (يَهْدِي) أي يُرشد الناس (إِلَى الْحَقِّ) (وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) يُوَصّلهم إلى الجنة (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) – وهو رسوله محمد – فأجيبوه إلى ما يدعوكم إليه (وَآمِنُوا بِهِ)، فإن تفعلوا ذلك (يَغْفِرْ) اللهُ (لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) (وهي كل الذنوب التي بينكم وبين ربكم، وأمّا مَظالم الناس: فرُدُّوها إليهم تُغفَر لكم)، (وَيُجِرْكُمْ) أي يُنقذكم سبحانه (مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) وهو عذاب جهنم.

♦ ثم قالوا لهم: (وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ) يعني: ومَن لم يَستجب إلى ما دعا إليه رسول الله (فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ) يعني لن يُعجز اللهَ تعالى إذا حاول الهرب في الأرض (إذا أراد الله عقوبته) (وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ) أي ليس له أنصارٌ يَمنعونه مِن عذاب الله (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي في ضلالٍ واضح عن الحق.

– الآية 33: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) وما فيهنّ مِن المخلوقات العظيمة، (وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ): أي لم يُعجزه خلق ذلك كله ولم يتعب مِنه، ألم يَعلموا أنه (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) الذين خَلَقهم أوّلاً مِن نُطفة؟ (بَلَى) إنّ ذلك أمْرٌ يسير على الله تعالى (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لا يُعجزه شيء.

– الآية 34: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) لِيُعَذَّبوا فيها، فيُقال لهم توبيخًا: (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ)؟ يعني أليس هذا العذاب الذي أنكرتموه حق؟ (قَالُوا) – مُقسِمين بالله تعالى -: (بَلَى وَرَبِّنَا) إنه حَقّ، (قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ).

– الآية 35: (فَاصْبِرْ) – أيها الرسول – على تكذيب قومك وإيذائهم لك (كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ) أي أصحاب الصبر والعزم (مِنَ الرُّسُلِ) وهم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم جميعاً الصلاة والسلام (وذلك على المشهور من أقوال العلماء)، وعلى هذا يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يقتدي بهؤلاء الأنبياء (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى) عليهم الصلاة والسلام، (وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ): أي لا تستعجل العذاب لقومك أيها الرسول، فإنه آتيهم لا مَحالة، و(كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ) – أي العذاب في الآخرة – (لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ): يعني كأنهم لم يمكثوا في الدنيا (وهم أحياء) ولا في قبورهم (وهم أموات) إلا ساعة من نهار (بسبب رؤيتهم لجهنم التي سيُعذبون فيها) (والإنسانُ إذا عَظُمَ خوفه: نَسِيَ كل ما مَرَّ به من نعيمٍ أو عذاب، خاصةً إذا قارنَ ذلك بعذاب الآخرة الأبدي)، (بَلَاغٌ): يعني هذا القرآنُ بلاغٌ لقومك ولغيرهم، (فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ)؟ (والسؤال غرضه النفي)، يعني إنه لا يُهْلَكُ بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن أمْره وطاعته.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة محمد كاملة

- الآية 1، والآية 2: (الَّذِينَ كَفَرُوا) أي جَحَدوا أن الله هو الإله الحق (وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي مَنَعوا الناس عن الدخول في دين الله تعالى، أولئك (أَضَلَّ) اللهُ (أَعْمَالَهُمْ) يعني أبطل أعمالهم الخيرية (كإطعام الطعام وصلة الأرحام)، فلم يجدوا ثوابها في الآخرة، بل ضَلَّت عنهم (لأنها لم تكن عن إيمان ولم تكن خالصةً لله تعالى)، (وَالَّذِينَ آمَنُوا) باللهِ ورُسُله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) - بإخلاصٍ للهِ تعالى، وعلى النحو الذي شَرَعه - (وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) يعني آمنوا بالقرآن (وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) أولئك (كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ): أي مَحا الله عنهم خطيئاتهم، فلم يعاقبهم عليها بسبب توبتهم (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أي أصلح شأنهم وحالهم في الدنيا والآخرة (واعلم أن البال يُطلَق أيضاً على القلب والعقل وعلى ما يَخطر للمرء من تفكير).

- الآية 3: (ذَلِكَ) أي ذلك الإضلال والهدى (بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ): أي بسبب أن الذين كفروا اتَّبَعوا الشيطان فأطاعوه فأضلهم الله، (وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ): أي اتَّبَعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاءَ به من الهدى، فزادهم الله هدىً، (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) يعني: وكما بيَّن الله حال الفريقين وما يَستحقانه، فكذلك يُبَيِّن الله للناس أمثالهم، بأنْ يُظهِر لهم حال الناجينَ الفائزين من الناس، وحال الهالكينَ الخاسرين منهم ليعتبروا.

- الآية 4، والآية 5، والآية 6: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) - أيها المؤمنون - في ساحة الحرب: (فَضَرْبَ الرِّقَابِ) أي فاضربوا أعناقهم حتى تفصلوها عن أجسادهم (حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ): يعني حتى إذا أضعفتموهم بكثرة القتل: (فَشُدُّوا الْوَثَاقَ): يعني فأحكِموا قيد الأسرَى: (فَإِمَّا مَنًّا): يعني فإما أن تَمُنُّوا عليهم بفك أسْرهم "مجاناً"، وذلك (بَعْدُ) أي بعد انتهاء المعركة، (وَإِمَّا فِدَاءً) يعني: وإما أن يُفادوا أنفسهم بالمال، أو مُقابل إطلاق سَراح أسير مسلم عند المُشركين أو غير ذلك.

♦ واستمِرُّوا على القتل والأسر (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا): أي حتى تضع الحرب أثقالها، وهي معداتها، (وهذه الجملة كناية عن انتهاء الحرب بنصر الإسلام والمسلمين)، (ذَلِكَ) أي ابتلاء المؤمنين بقتال الكافرين (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ) أي لأنتصر من الكافرين بغير قتال (كأنْ يَخسف بهم الأرض أو يصيبهم بوَباءٍ قاتل أو غير ذلك) (وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) يعني: ولكنه جعل عقوبتهم على أيديكم، فشَرَعَ الجهاد؛ ليختبر صِدْق المؤمنين بالقتال، وليَنصر بكم دينه، ويُوصلكم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) من المؤمنين المخلصين - الذين يُقبِلونَ على عدوهم غير هاربين - (فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) يعني لن يُبْطِل الله ثواب أعمالهم، (سَيَهْدِيهِمْ) إلى إجابة سؤال المَلَكَين في القبر، وسيَهديهم إلى سلوك طريق الجنة بعد موتهم، كما قال تعالى في سورة يونس: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)، وقال عن الضالين يوم القيامة: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)، (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) يعني: وسيُصلِح أمورهم التي تركوها في الدنيا بعد موتهم، وسيُصلِح بالهم في الجنة، فلا تصيبهم الهموم والأحزان، (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ) (عَرَّفَهَا لَهُمْ) أي عَرَّفهم بها ووَصَفها لهم، ثم عرَّفهم بمنازلهم فيها إذا دخلوها.

- الآية 7: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ) يعني إن تنصروا دينَ الله تعالى (بالجهاد في سبيله والحُكم بكتابه، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه): (يَنْصُرْكُمْ) على أعدائكم، (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) عند القتال.

- الآية 8، والآية 9: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ) أي هلاكًا لهم وشقاءً (وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) يعني: وأذهب الله ثواب أعمالهم الحسنة (كصلة الرحم وإكرام الضيف وفك الأسرى)، (ذَلِكَ) أي شقاؤهم وإبطال أعمالهم (بِأَنَّهُمْ) أي بسبب أنهم (كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) (وهو القرآن المشتمل على أنواع الهدايات و الإصلاحات) (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ): يعني فلذلك أبطل الله أعمالهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الآية 10، والآية 11: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ - أي هؤلاء المُكَذّبون - ألم يَمشوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ متأملينَ مُعتبِرين، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: يعني كيف كانَ مصير المُكَذّبين قبلهم (كعادٍ وثمود وقوم لوط)؟ وما نزل بهم من الهلاك؟، فقد ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ديارهم، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ يعني: وللكافرين أمثال تلك العقوبة التي نزلت بتلك الأمم، (وفي هذا تهديدٌ لكفار مكة)، ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الذي فعلناه (مِن نجاة فريق الإيمان وإهلاك فريق الكفر) ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: أي بسبب أن الله وليُّ المؤمنين ونصيرهم ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ يعني لا أحد يتولى أمورهم وينفعهم، ولا نصيرٌ لهم يُنقذهم من عذاب ربهم.

- الآية 12: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ أي حدائق وبساتين عجيبة المَنظر تَسُرّ أنظارهم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري الأنهار من تحت أشجارها المُتدلّية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ يعني: ومَثَلُ الذين كفروا في أكلهم وتمتعهم بالدنيا، كمثل البهائم التي لا همَّ لها إلا الأكل والاعتلاف، ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ يعني: ونار جهنم هي مَسكن الكافرين ومأواهم يوم القيامة.

- الآية 13: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ يعني: وكثير مِن أهل القرى الذين كانوا أشد قوة من أهل قريتك أيها الرسول - وهي مكة - ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ أي التي أخرجك أهلها، (ولَعَلّ المقصود هنا أنهم كانوا سبب إخراجه - بإيذائهم له ولأصحابه ومحاربة دعوته - لأنه صلى الله عليه وسلم خرج باختياره ولم يُكرِهه المُشركون على الخروج، بل كانوا يحاولون مَنْعه من الخروج لكي يقتلوه، والله أعلم)، ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أي دمَّرنا هذه القرى المُكَذّبة بأنواع العذاب ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾: يعني فلم يكن لهم نصيرٌ ينقذهم من عذاب ربهم، ولم تنفعهم قوتهم (وفي هذا تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم بسبب خروجه من بلده التي يحبها، وفيه أيضاً تهديدٌ لمُشركي مكة أن يصيبهم ما أصاب المُكَذِّبين قبلهم إن لم يتوبوا، وقد تاب الكثير منهم والحمد لله).

- الآية 14: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾: يعني أفمَن كان على حُجَّة واضحة من ربه (والمقصود بهذه الحُجَّة: القرآن الكريم، الذي أنزل اللهُ فيه البراهين، وتَحَدَّى به المُشركين)، فهل هذا الذي على بصيرةٍ مِن أمْر دينه ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾: أي كمَن حسَّن لهم الشيطان قبيح أعمالهم ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في فِعل المعاصي وعبادة غير الله تعالى، مِن غير حُجَّة ولا برهان إلا التقليد الأعمى؟! لا يستويان أبداً.

- الآية 15: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ يعني: وَصْف الجنة - التي وَعَدَ اللهُ بها عباده المتقين - أنها ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ﴾ أي غير متغيِّر في ريحه أو طعمه بسبب طول مُكثه ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ أي لم تُصِبه "حُموضة" أو غيرها كما يحدث في ألبان الدنيا ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي يَتلذذ بها الشاربون ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ (من الشمع والشوائب)، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي من مختلف الفواكه وغيرها (مِمّا لم يذوقوا طعمه في الدنيا، ولم يتخيلوا لذّته) ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني: وأعظم من ذلك النعيم: (سِتر ربهم وتجاوزُه عن ذنوبهم)، فلذلك عاشوا في الجنة سعداء بمغفرة ربهم لهم ورضاه عنهم.

♦ فهل هذا المتقي - الخائف من عذاب ربه، الذي يفعل ما يُرضيه ويَجتنب ما يُغضبه - فلذلك نَعَّمه الله في هذه الجنة ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ ﴿وَسُقُوا﴾ أي تَسقيهم ملائكة العذاب ﴿مَاءً حَمِيمًا﴾ أي شديد السخونة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾؟! لا يستويان أبداً.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 16، والآية 17: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني: ومن المنافقين الكفار ﴿مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ أي يستمع إلى حديثك - أيها النبي - ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي انصرفوا من مجلسك: ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أي قال هؤلاء المنافقون لمن حضروا مجلسك من أهل العلم بكتاب الله - على سبيل الاستهزاء -: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾؟ يعني ماذا قال محمد قبل قليل؟ (يشيرون بذلك إلى أنهم لم يكونوا مهتمين بحديثه صلى الله عليه وسلم) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي ختم على قلوبهم، فلا تفهم الحق ولا تهتدي إليه، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الكفر والضلال، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ يعني: وأما الذين اتَّبَعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من الحق، ولم يتَّبعوا أهوائهم: ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى﴾ ليَثبتوا على الحق ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾: أي وفقهم للتقوى، ويَسَّرها لهم، فحَبَّبَ إليهم الطاعات، وكَرَّهَ إليهم المعاصي (فأصبحوا يتلذذون بفعل الطاعات، ويتلذذون بمجاهدة الشهوات)، كما كان أحد السلف يقول: (ظللتُ أجاهد شهوتي، حتى أصبحتْ شهوتي: المجاهَدة)، والمعنى أنّ مُجاهَدته غلبتْ شهوته، حتى أصبح يتلذذ بهذه المجاهَدة.

- الآية 18: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ يعني فهل ينتظر هؤلاء المكذبون إلا القيامة التي وُعِدوا بها ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ أي فجأةً ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي حين تأتي شروط الساعة وعلاماتها الكبرى، وساعتها سيؤمنون؟!، (ولَعَلّ الله تعالى عَبَّرَ عن مَجيئ علامات الساعة الكُبرَى بصيغة الماضي - مع أنها لم تأتِ بعد - لتأكيد وقوعها في عِلمه سبحانه)، ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾: يعني فمِن أين لهم التذكر - الذي ينفعهم - إذا جاءتهم الساعة؟! (إذ حِينها يُغلَق باب التوبة).

♦ وقد قال بعض المُفسِّرين بأن المقصود مِن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي جاء بعض شروط الساعة، وهي بعثة محمد عليه الصلاة والسلام وانشقاق القمر، واللهُ أعلم.

- الآية 19: ﴿فَاعْلَمْ﴾ أيها النبي ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا معبود بحق إلا الله، فاعبده وتوكل عليه ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ مِمّا عاتبَكَ فيه ربك ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي استغفر للمؤمنين والمؤمنات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: أي يعلم تصرفكم في يقظتكم نهارًا ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ أي يعلم مستقركم في نومكم ليلاً، (فهو سبحانه يراكم ويعلم حالكم في كل ساعةٍ مِن ليلٍ أو نهار، ألاَ فاخشوه واحذروا أن يراكم على معصية، حتى تفوزوا برضاه في جنات النعيم)، (واعلم أن قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه دليل على وجوب العلم قبل القول والعمل)، واعلم أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: (مَن استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كَتَبَ الله له بكل مؤمن ومؤمنة حَسَنة) (انظر صحيح الجامع حديث: 6026)، فاللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات.

- الآية 20، والآية 21: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ - مُتَمَنّين الجهاد، شوقاً لِمَا أعَدّه الله للمجاهدين في الجنة -: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾: يعني هَلاّ نُزِّلَت سورة من الله تأمرنا بجهاد الكفار، ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ يعني لم يُنسَخ شيءٌ من أوامرها ونواهيها، بل جَعَلتْ الجهادَ فرضاً عليهم لا يتبدل ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي ذُكِرَ الله فيها الأمر بالجهاد والترغيب فيه: ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي الذين في قلوبهم شَكٌّ وضَعفٌ في الإيمان ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أيها النبي - وهم خائفون من القتال - ﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي كنظَر المحتضر الذي يصيبه الإغماء خوفاً من الموت، ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ﴾: يعني فالأولى لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض أن يطيعوا أمْرَ الله تعالى، ﴿وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: يعني وأن يقولوا قولاً حسناً، كأن يقولوا للرسول: (سمعنا وأطعنا)، ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾: يعني فإذا وَجَبَ أمْر الله بفرض القتال عليكم: كَرِهوا القتال، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ يعني لو وَفّوا بما عاهدوا اللهَ عليه من أنهم سيقاتلون مع رسوله ﴿لَكَانَ﴾ الوفاءُ بالعهد ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة.

www.alukah.net

- الآية 22، والآية 23: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: يعني فلعَلّكم إن أعرضتم عن إيمانكم الظاهري (الصُوري) الذي أنتم عليه، وأعلنتم عن كُفركم الذي في باطنكم ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ونَشْر الشِرك والفساد ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ فلا تصلوا أقاربكم المؤمنينَ الصادقين، بل تُعلِنوا الحرب عليهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي أبعدهم الله من رحمته ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾: أي جعلهم لا يَسمعون ما ينفعهم ولا يُبصرون حُجَجَ الله مع كثرتها.

♦ وقد قال صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين -: (لا يدخل الجنة قاطع) أي قاطع رحم، وقال أيضاً - كما في الصحيحين -: (مَن سَرّهُ أن يُبسَط له - (أي يُوَسَّع له) - في رزقه، ويُنسأ له - (أي يُؤخَّر له) - في أجَله: فليَصِل رَحِمَه)، (وقد وَضَّحنا معنى تأخير الأجل عند تفسير الربع الأخير من سورة الرعد، فراجِعه إن شئت).

- الآية 24: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: يعني أفلا يتفكرون في أدلة القرآن ومواعظه، ليعرفوا الحق من الباطل، ويفعلوا ما يَنفعهم، ويَجتنبوا ما يَضُرّهم؟! ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ يعني بل قلوبهم مغلَقة لا يصل إليها شيء من هذا القرآن، فلا تتدبر مواعظ الله وحُجَجه (والله سبحانه هو الذي يفتح لهم تلك الأقفال، إذا طلبوا منه الهداية بصدق، وتخلّوا عن أهوائهم وشهواتهم).

- الآية 25، والآية 26: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ أي ارتدُّوا عن الهدى والإيمان ورجعوا على أعقابهم كفارًا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ واتضح لهم الحق: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي حَسَّنَ لهم نفاقهم ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أي مَدَّ لهم في الأمل - فوعدهم بطول العمر - ليُجَرّئهم على الكفر والمعاصي، ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾: أي بسبب أنهم قالوا لليهود والمُشركون الذين كرهوا القرآن: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ (بأنْ نتعاون معكم على عداوة الرسول وترغيب المؤمنين في التخلف عن الجهاد)، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ أي يعلم ما يتحدثون به سراً مع اليهود والمُشركين، ويعلم ما يخفونه في نفوسهم، فأظهرَ الله ذلك لرسوله.

- الآية 27، والآية 28: ﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي قبضتْ أرواحهم، وهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد؟، ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الذي أصابهم ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ أي بسبب أنهم فعلوا ما أغضب الله عليهم من الشِرك والمعاصي، ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ يعني: وبسبب أنهم كرهوا أن يفعلوا ما يُرضِي اللهَ عنهم من العمل الصالح (ومن ذلك: كُرههم لقتال الكفار بعدما فرضه الله عليهم) ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾: يعني فأبطل الله ثواب أعمالهم الحسنة (كصِلة الرَحِم وإطعام الطعام وغير ذلك).

- الآية 29، والآية 30: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني أم ظن هؤلاء المنافقون ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ يعني هل ظنوا أن الله لن يُخرِج ما في قلوبهم من الحسد والحقد للإسلام وأهله؟! بلى، سيُظهره سبحانه للناس، لأنه يُميّز الصادق من الكاذب، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ يعني: ولو نشاء لأريناك أيها النبي أشخاص هؤلاء المنافقين ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي فحينئذٍ ستعرفهم بعلاماتٍ ظاهرة فيهم، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: أي سوف تعرفهم فيما يَظهر من كلامهم الدالّ على نواياهم السيئة وعداوتهم للمسلمين والذم فيهم (واعلم أنّ لحن القول: هو ما يُفهَم من الكلام بالتعريض والتلميح والإشارة، ويُطلَق أيضاً على الخطأ أثناء الكلام) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ - أيها الناس - فلا تَخفَى عليه طاعة مَن أطاعه، ولا معصية مَن عصاه، وسيَجزي كُلاً بما يَستحق.

- الآية 31: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: أي سوف نختبركم أيها المؤمنون بالشدائد والقتال ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ أي حتى يَظهر للناس ما عَلِمناه في قديم الأزل؛ لنميز أهل الجهاد منكم ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ على قتال أعداء الله، ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ يعني: ونُظهِر أخباركم للناس (أي نختبر صحة ما تخبرون به عن أنفسكم من الإيمان والطاعة، فنُظهِر الصادق من غيره بالجهاد والابتلاءات).

♦ وقد كان أحد الصالحين يقولُ – مُناجياً ربه –: (اللهم لا تَبتلنا، فإنك إذا بَلَوتنا: فضحتَنا وهتكتَ أستارنا).

– الآية 32: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بوحدانية اللهِ تعالى ونُبُوَّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي منعوا الناسَ عن الدخول في سبيل الله (وهو الإسلام) ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾: أي خالفوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فحاربوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ أي من بعد ما جاءتهم الحُجَج والآيات أنه نبي من عند الله، فهؤلاء ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بأفعالهم، بل إنّ ضَرَرها سيَعودُ عليهم ﴿وَسَيُحْبِطُ﴾ الله ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ أي سيُبْطِل ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا، لأنها لم تكن عن إيمان، ولأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى.

– الآية 33: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ باتّباع كِتابه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ باتّباع سُنته ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾: أي لا تبطلوا ثواب أعمالكم بالرياء والشِرك والمعاصي، وبأداء الأعمال على غير النحو الذي شَرَعه الله لكم.

– الآية 34: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي صَدُّوا الناسَ عن الإسلام (بالتعذيب والتخويف ونشر الأكاذيب الباطلة) ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (وسيُعَذّبهم على كُفرهم).

– الآية 35: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾: يعني فلا تضعفوا أيها المؤمنون عن جهاد المُشرِكين، ولا تجْبُنوا عن قتالهم ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ يعني: ولا تبدأوا بدعوتهم إلى الصُلح والمُسالَمة على سبيل الخوف منهم وإظهار العجز أمامهم ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي طالما أنكم الغالبونَ لهم، بل هم الذين يطلبونَ منكم الصُلح ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بنصره وتأييده ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: يعني لن يُنْقصكم ثواب أعمالكم، فأطيعوا أمْره إذا أمَرَكم بالجهاد.

♦ وقد قال بعض العلماء بأنّ هذا النهي عن صُلح الكفار ومُسالَمتهم إنما هو إذا أدَّى إلى إذلال المسلمين أو إظهارهم بمظهر الضَعف، أما إذا كانت الدعوة إلى السِلم لا تضر بمصلحة المسلمين، أو كانت قوّة الأعداء أكبر من قوة المسلمين، فلا بأسَ مِن قبولها عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

– الآية 36، والآية 37: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان (لِما فيها من الزينة والشهوات)، ثم تزول سريعًا، ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾ بالله ورسوله، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ عذابَ ربكم (بأداء فرائضه واجتناب معاصيه): ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ أي يُعطكم ثواب أعمالكم كاملاً، بل ويَزيدكم من فضله ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾: أي لا يسألكم سبحانه إخراج جميع أموالكم، بل يأمركم بالإنفاق في سبيله بقدر طاقتكم، فإنه ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا﴾ يعني إن يسألكم إخراج جميع أموالكم ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ أي يُلِحَّ عليكم في إخراجها، فحينئذٍ ﴿تَبْخَلُوا﴾ بها، فلا تخرجونها ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ يعني: ويُظهِر سبحانه ما في قلوبكم من الكراهية لهذا التكليف الذي يأمركم بإخراج جميع أموالكم (بسبب حُبُّكم الشديد للمال)، ولكنه سبحانه رَحِمَكم فلم يأمركم بذلك.

– الآية 38: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ أيها المؤمنون ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي يدعوكم الرسول إلى النفقة لجهاد أعداء الله ونُصرة دينه، ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ﴾ بالنفقة في سبيل الله، ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ لأنه يَحرمها ثواباً عظيماً، ﴿وَاللَّهُ﴾ هو ﴿الْغَنِيُّ﴾ عنكم وعن مالكم ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ المحتاجونَ إليه في كل أموركم، ولا تستغنون عنه طرفة عين، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾: يعني إن تعرضوا عن امتثال أمْره: ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أي يُهلككم، ويأت بقوم آخرين ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ أي لا يكونوا مِثلكم في الإعراض عن أمْره، بل يطيعونه ويطيعون رسوله، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم.

****

www.alukah.net

تفسير سورة الفتح كاملة

- الآية 1، والآية 2، والآية 3: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ أيها الرسول ﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾ أي فتحاً ظاهرًا واضحاً (يُظهر الله فيه دينك)، والراجح أنّ المقصود بهذا الفتح هو صُلح "الحُدَيْبِيَة"، الذي كانَ قبل فتح مكة، والذي كان من شروطه أن يأمن الناس فيه على دمائهم، وأن يعتنقوا الدين الذي يرغبونه بإرادتهم، فبذلك اتّسعت في تلك المدة دائرة الدعوة لدين الله، وتمَكَّنَ مَن يريد الوصول إلى الحق مِن معرفة الإسلام، والوقوف على حقيقته، فدخل الناس في دين الله أفواجًا؛ ولذلك سمَّاه الله فتحًا مُبينًا.

♦ وقد فتحنا لك ذلك الفتح - أيها الرسول - ويَسَّرناه لك ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بسبب الطاعات الكثيرة التي نَتَجَتْ من هذا الفتح، وبسبب ما تحَمَّلته من المتاعب والأذى في سبيل الدعوة ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ يعني: ولكي يُتِمّ نعمته عليك بإظهار دينك ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: أي يوفقك سبحانه إلى الثبات على الطريق المستقيم الذي لا انحراف فيه (وهو الإسلام)، المُوَصِّل بمن اتّبعه إلى الجنة، ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ﴾ على أعدائك ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ أي نصرًا قويًّا لا يَغلبه غالب، ولا يَدفعه دافع (بسبب دخول الكثيرين في الإسلام - ومنهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص - واستعدادهم لقتال الأعداء).

- الآية 4، والآية 5، والآية 6: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾: أي أنزل الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يوم الحُدَيْبِيَة فسكنَتْ قلوبهم، ورَسَخَ اليقين فيها ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾: أي ليزدادوا تصديقًا بدين الله واتّباعًا لرسوله (مع تصديقهم واتّباعهم)، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الذين يَنصر الله بهم عباده المؤمنين) - ومن هذه الجنود: السكينة التي يُنزلها سبحانه في القلوب فتهدأ وتطمئن - وما يَعلم جنود ربك إلا هو، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه، ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره لأولياءه، (واعلم أنّ في قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ دليلٌ على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بالطاعة، ويَنقص بالمعصية).

♦ واعلم أنّ من الأسباب المؤدية إلى السكينة والطمأنينة: (طلب رضا الخالق، والاستغناء عن المخلوقين)، وكذلك الرضا بالقضاء والقدر، كما قال تعالى في سورة التغابن: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾، قال "عَلقمة" رحمه الله في تفسير هذه الآية: (هو الرجلُ تصيبُه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله؛ فيَرضى ويُسَلِّم)، ولذلك يجب أن تحب كل ما يأتي مِن عنده سبحانه، إذ كما يقولون: (كل ما يأتي مِن حبيبك: فهو حبيبك)، فأنت تحب الله.

♦ وقد قدَّرَ اللهُ ذلك الفتح، وشَرَعَ لعباده الجهاد ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ - الطائعين لأوامر الله - ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي بساتين جميلة المنظر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري الأنهارُ مِن تحت أشجارها المُتدلِّية ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (فحياتهم فيها أبديةٌ، وفرْحَتهم فيها لا توصَف)، ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي يمحو عنهم ذنوبهم فلا يُعاقبهم عليها (بسبب توبتهم، وندمهم على ما مضى من ذنوبهم) ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (لأنّ فيه النجاة من كل خوف وغَمّ، وفيه الحصول على كل مطلوبٍ ومحبوب).

﴿وَيُعَذِّبَ﴾ سبحانه ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ وهم ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أي الذين يظنون أنّ الله لن يَنصر نبيّه والمؤمنين وأنه لن يُظهر دينه، أولئك ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: يعني عليهم تدور دائرة العذاب والشقاء وكل ما يسُوءهم ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ أي طَرَدهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أي قبُحَت مصيراً يصيرون إليه بعد موتهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 7: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الذين يؤيد بهم عباده المؤمنين)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في انتقامه من أعدائه، ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره لأوليائه المؤمنين، (واعلم أنّ الفعل (كان) إذا جاء مع صفة معينة، فإنه يدل على أنّ هذه الصفة مُلازِمة لصاحبها، كقوله تعالى - واصفاً نفسه بالرحمة والمغفرة -: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي كانَ - دائماً وأبَداً - غفوراً رحيماً).

- الآية 8، والآية 9: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ أيها النبي ﴿شَاهِدًا﴾ على أمّتك بإبلاغهم الرسالة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالرحمة والجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعُصاة والمُكَذِّبين من النار ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بعد قيام الحُجَّة عليكم، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: أي تنصروا الله بنَصركم لدينه وعباده المؤمنين، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: أي تعظموه سبحانه فلا تعصوه، بل تؤدوا عبادته كما ينبغي ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي تُسَبِّحوه وتُصَلّوا له أول النهار وآخره، (ولَعَلّ المقصود بذلك: صلاتَي الصبح والعصر، أو أذكار الصباح والمساء).

- الآية 10: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ يعني إن المؤمنين الذين يُعاهدونك أيها النبي بوادي "الحُدَيْبِيَة" على قتال المُشرِكين في ديارهم بمكة - بعدما أرسلتَ إليهم عثمان بن عفان ليُخبرهم أنك لم تأتِ لحَربهم، وإنما أتيتَ إلى مكة معتمراً، ثم ترددتْ الأخبار بأنهم قد قتلوا عثمان -، أولئك المؤمنون الذين يبايعونك إنما هُم في الأصل يبايعون اللهَ تعالى، ويَعقدون العقد معه طلباً لجنّته ورضوانه، لأنه سبحانه الذي أمَرَهم بالجهاد، ولأن طاعة الرسول طاعةً لله).

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (ولتوضيح هذه الجملة، فقد ضَرَبنا مثالاً عند إثبات استواء الله تعالى فوق عرشه، فقلنا: (إذا تصورنا أنني وضعتُ قلماً فوق يدي بحيث يكون مُلامِساً لها، فإننا سنقول: إن القلم فوق اليد، وكذلك إذا رفعتُ القلم فوق يدي - قليلاً - بحيث يكون غير ملامس لها، فإننا سنقول أيضاً: إنّ القلم فوق اليد)، إذاً فإنَّ الفوقيَّة لا تَشترط المُلامَسة، فدَلَّ ذلك على أنّ يَد الله تعالى كانت فوق أيديهم - عندما عاهدوه - ولكنْ مِن عَليائه، (طبعاً مِن غير أن نسأل: كيف وَضَعَ سبحانه يده؟ وما هو شكل اليد؟، فاللهُ تعالى ليس كمثله شيء، ولا يُشبِه أحداً مِن خَلْقه، وكل ما دارَ ببالك فاللهُ بخِلاف ذلك).

﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ أي نَقَضَ عهده - فلم يُقاتل مع الرسول والمؤمنين - ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأنّ إثم ذلك سيعود عليه وحده، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ مِن نُصرة نبيّه والصبر عند لقاء أعداءه وعدم الفرار منهم: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ سبحانه ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة.

- الآية 11، والآية 12: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ (وهم "البدو" الذين تخلَّفوا عن الخروج معك أيها الرسول إلى مكة للعمرة، عندما طلبتَ منهم ذلك تحسُّباً لقتال قريش لكم)، فهؤلاء سيقولون لك إذا عاتبتَهم على تخلفهم: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ أي اسأل ربك أن يغفر لنا تخلُّفنا، وهم ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: أي يقولون ذلك بألسنتهم ولا حقيقة له في قلوبهم، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾؟! لا أحد، إذاً فاتقوا اللهَ وتوبوا من نفاقكم، ولا تتركوا القتال خوفاً من الموت، حتى لا يُهلككم سبحانه بعذابٍ من عنده، ﴿بَلْ﴾: يعني ليس الأمر كما ظننتم أيها المنافقون مِن أن الله لا يعلم ما في صدوركم من النفاق، ولكنْ ﴿كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالكم (ظاهرها وباطنها)، وسيُجازيكم عليها إن لم تتوبوا، ﴿بَلْ﴾: يعني وليس الأمر كما زعمتم من انشغالكم بالأموال والأهل، ولكنْ ﴿ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾: أي ظننتم أنّ أهل قريش سوف يقتلون الرسول وأصحابه، وأنهم لن يَرْجعوا إليكم أبدًا ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أي حَسَّن الشيطان ذلك في قلوبكم، ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أي ظننتم ظنًا سيئًا أن الله لن ينصر نبيّه وأصحابه على أعدائهم ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي كنتم قومًا هَلْكَى - لا خيرَ فيكم إن لم تتوبوا - بسبب ذلك الظن السيئ.

www.alukah.net

- الآية 13، والآية 14: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ أي أعددنا لهم نارًا حارة تُوقَد عليهم وتَغلي بهم (وهذا تخويفٌ لهم لَعَلّهم يَرجعون إلى ربهم)، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي بيده سبحانه كل شيء، فـ ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ بفضله ورحمته ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بعدله وحكمته ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لمن تاب إليه، ﴿رَحِيمًا﴾ به، حيث جعل التوبة نجاةً له، (وقد كانت هذه دعوةً لهم إلى التوبة مِن نفاقهم وعدم الإصرار عليه، وبالفِعل، فقد تاب أكثرهم والحمد لله).

- الآية 15: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ (وهم الذين تخلَّفوا عن الخروج معكم أيها المؤمنون إلى مكة)، فسيقولون لكم ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ (وهي غنائم "خيبر" التي وعدكم الله بها وأنتم راجعون من "الحُدَيْبِيَة"): ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾: أي اتركونا نذهب معكم إلى خيبر، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾: أي يريدون بذلك أن يُغَيِّروا وَعْد الله لأهل الحُدَيبِيَة، إذ وَعَدَهم سبحانه أن يجعل لهم غنائم خيبر عِوَضاً عن فتح مكة في هذا العام، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾: يعني لن تخرجوا معنا إلى خيبر، ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾: يعني إن الله قد قال لنا - قبل رجوعنا إلى "المدينة" -: (إن غنائم خيبر لمن حضر بَيعة الحُدَيْبِيَة فقط)، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ لكم: ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: يعني ليس الأمر كما تقولون، فإن الله لم يأمركم بهذا، ولكنكم تمنعوننا من الخروج معكم حسدًا منكم؛ لكي لا نأخذ معكم من الغنيمة، ثم قال تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: يعني ليس الأمر كما زعموا من أنكم تحسدونهم، ولكنهم لا يفهمون عن الله مِن أمْر الدين إلا شيئاً يسيرًا، فلذلك لم يَفهموا أن الله لن يُخلِف وعده ولو كرهوا ذلك.

- الآية 16: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول ﴿لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ - وهم الذين تخلَّفوا من "البدو" عن الخروج إلى مكة -: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعني سوف يعطيكم الله فرصةً أخرى لكي تُثبِتوا صِدق إيمانكم وتوبتكم، فسوف يأمركم سبحانه بقتال قومٍ يَمتلكونَ شجاعة وقوة شديدة في القتال، فـ ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ مِن غير قتال، ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ أمْرَ ربكم: ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنة ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ يعني: وإن تعرضوا عن طاعة أمْره ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ حين تخلفتم عن السير مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في نار جهنم، (هذا، وقد اختلف العلماء في المقصود بهؤلاء القوم: هل هم الفُرس أو الروم أو أصحاب مُسَيلمة الكذاب؟، واللهُ أعلم).

- الآية 17: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ يعني ليس عليه إثم في أن يتخلَّف عن الجهاد مع المؤمنين لعدم استطاعته، ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لأن هؤلاء جميعاً أصحاب أعذار، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ - في الجهاد وغيره - ﴿يُدْخِلْهُ﴾ سبحانه ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي يُعرِض عن طاعة الله تعالى، فيتخلَّف عن الجهاد مِن غير عُذر: ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في نار جهنم.

- الآية 18، والآية 19: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ أي حين بايَعوك أيها النبي ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ على قتال المُشركين في مكة، (وهذه البَيعة تسمى بيعة الرضوان في عام "الحُدَيْبِيَة") ﴿فَعَلِمَ﴾ سبحانه ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإيمان والصدق والوفاء ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني أنزل الطمأنينة عليهم وثبَّت قلوبهم حتى لا يخافوا من المُشركين، ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو فتح خيبر ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من أموال يهود خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ أي غالباً، لا يمنعه شيءٌ من فعل ما يريد، ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره وصُنعه.

- الآية 20، والآية 21: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ (في أوقاتها التي قدَّرها لكم، وهي الفتوحات الإسلامية التي وصلت الأندلس غربا)، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾: أي عجَّل لكم غنائم خيبر، ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي مَنَعَ اليهود أن يصيبوكم

بالسوء الذي كانوا يُخفونه لكم (وهو قَتْل نسائكم وأولادكم وأخذ أموالكم أثناء غيابكم عن "المدينة")، فصَرَفَ الله قلوبهم عن ذلك لتشكروه (وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) يعني: ولتكون هذه الصَرفة (التي صَرَفهم بها عنكم)، ثم هزيمتهم على أيديكم في خيبر، وغنيمتكم بديارهم وأموالهم: علامة تستدلون بها على أن الله حافظكم وناصركم – في حضوركم وغيابكم – إن أطعتموه واتقيتموه، (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا): أي يوفقكم إلى الثبات على الطريق المستقيم (وهو الإسلام)، ومِن ذلك: طاعة الله تعالى والتوكل عليه وحده في جميع أموركم، (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) يعني: وقد وعدكم الله بغنيمة أخرى لم تقدروا عليها (وهي غنائم فارس والروم) (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) يعني ولكنه سبحانه قادرٌ عليها، فهي في ملكه وتحت تصرفه، وقد وعدكم بها ولا بد مِن وقوع ما وَعَدَ به، وقد حدث ذلك والحمد لله (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا).

– الآية 22، والآية 23: (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من قريش – في الحُدَيْبِيَة – (لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ): أي لأعطوكم ظهورهم فِراراً منكم (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يُعينهم على قتالكم، (وَلَا نَصِيرًا) يَنصرهم عليكم، وقد كانت هذه (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ) أي هذه هي طريقته سبحانه التي قد مضت في الأمم السابقة (وهي نَصْر أوليائه وهزيمة أعدائه)، (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) يعني لن يستطيع أحد أن يُغيّر طريقة الله في خَلْقِهِ وكَوْنه.

– الآية 24: (وَهُوَ) سبحانه (الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) أي صَرَفَ المُشرِكين عن إيذائكم (وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) يعني: وصَرَفكم سبحانه عن قتلهم (بِبَطْنِ مَكَّةَ) وهي الحُدَيْبِيَة (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) يعني من بعد أنْ قَدَرْتم عليهم، فصاروا تحت سلطانكم (والمقصود بهؤلاء المُشرِكين: هم ثمانون رجلاً خرجوا من مكة ليقتلوا الرسول وصحابته بالحُدَيْبِيَة، فأوقعهم الله في أيدي الصحابة، فعفا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقتلهم، فكان ذلك سبب صلح الحُدَيْبِيَة) (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا).

– الآية 25، والآية 26: (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعني: كفار قريش هم الذين جحدوا توحيد الله تعالى (وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ): أي منعوكم يوم الحُدَيْبِيَة عن دخول المسجد الحرام لأداء العمرة وأنتم مُحرِمون، (وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) يعني: ومنعوا الهدي أن يبلغ مكانَ ذَبْحه وهو الحرم، فظل محبوساً في مكانه بالحُدَيْبِيَة، (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ) مُستضعَفون (وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ) يعيشون بين هؤلاء الكافرين بمكة، ويكتمون إيمانهم خوفاً على أنفسهم (لَمْ تَعْلَمُوهُمْ) أيها المؤمنون؛ فلَعَلّكم إنْ دخلتم مكة للحرب والقتال (أَنْ تَطَئُوهُمْ) أي " تدهَسُوهم" بجيشكم فتقتلوهم، (فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ): أي فحينئذٍ يصيبكم عيبٌ وعار بسبب قتلكم لهم خطأً بغير علم، وما يَلزم لذلك من الكفارة ودفع الدِيَة لأهل المقتول.

♦ وقد رَضِيَ الله لكم بالصُلح مع المُشركين، ولم يأذن لكم بقتالهم (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) أي ليُنعِم على كثيرٍ منهم بالإيمان بعد الكفر – وذلك أثناء هُدنة الحُدَيْبِيَة، وبعد فتح مكة – (لَوْ تَزَيَّلُوا) يعني: لو تميَّز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات عن مُشركي "مكة"، وخرجوا مِن بينهم: (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) بأيديكم (قتلاً وأسراً)، وذلك (إِذْ) أي حين (جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) (وهي الكِبر والتعاظم المانعَين لهم عن قبول الحق)، ومِن ذلك امتناعهم أن يدخل الرسول وأصحابه مكة، حين قالوا: (كيف يقتلون أبناءنا ويدخلون بلادنا؟، واللاتِ والعُزَّى ما دخلوها)، وحين رفضوا أن يكتبوا أثناء صُلح الحُدَيْبِيَة: "بسم الله الرحمن الرحيم"، ورفضوا أيضاً أن يكتبوا: "هذا ما قاضَى عليه محمد رسول الله"، فهَمَّ بعض الصحابة أن يرفضوا الصلح انتصاراً لدينهم، ولكنه سبحانه عَلِمَ أن المصلحة والخير في ذلك الصلح (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) يعني أنزل الطمأنينة والحِلم (عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فوافقوا على عدم كتابة ذلك، فتمَّ الصلح (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿التَّقْوَى﴾ يعني: وجَعَلَهم مُلتزمين بما تقتضيه كلمة التقوى"لا إله إلا الله" من الثبات والسكون والحِلم والحكمة ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ يعني: وكان الرسول وأصحابه أحق بكلمة التوحيد من غيرهم، وكانوا أهلاً للتقوى، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (ومِن ذلك: عِلمه بأحقية أصحاب رسول الله بالإيمان والتقوى من غيرهم)، (واعلم أن هذا الموقف يُعَلِّمنا الحكمة والترَوّي وقياس المصالح والمفاسد في الأمور، قبل الاندفاع وراء التعصب بدون حكمة).

♦ ولَعَلَّ الله تعالى وَصَفَ كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" بأنها كلمة التقوى لأنها رأس كل تقوى، ولأنها الواقية مِن الشِرك والخلود في النار، واللهُ أعلم.

- الآية 27، والآية 28: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ أي جَعَلَ الله الرؤيا التي أراها لرسوله عام الحُدَيْبِيَة حقاً، وكان مضمون هذه الرؤيا: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ – لأن الرؤيا لم تحدد العام الذي سيدخلون فيه مكة – ﴿آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ (وهذا كناية عن أداءكم للعمرة والحج باطمئنان) ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ من المُشرِكين (وهذا هو ماحدث في فتح مكة فيما بعد)، ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي: فعَلِمَ سبحانه أنّ الخير والمصلحة في صَرْفكم عن "مكة" في عامكم ذلك، ودخولكم إليها فيما بعد، وأنتم لم تعلموا ذلك، لأنكم لا تعلمون الغيب، ولم تعلموا بأمر المؤمنين المستضعفين بمكة ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أي جعل لكم قبل أن تدخلوا مكة – كما وَعَدَكم في الرؤيا –: فتحاً قريباً (وهو هُدنة الحُدَيْبِيَة وفتح خيبر).

﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أي بالقرآن العظيم ودين الإسلام الواضح ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي لِيُعلِيَهُ على الأديان الباطلة كلها ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: أي يَكفيك أيها الرسول أن الله شاهدٌ على أنه سينصرك ويُظهر دينك على كل دين باطل، (وقد حَقَّقَ سبحانه وعده، فالإسلامُ ظاهرٌ في الأرض كلها، سَمِعَ به أهل الشرق والغرب، واعتنقه كثيرٌ منهم، وخضَعَ له العالم أجْمَع على عهد الصحابة والتابعين، وسيأتي اليوم الذي يَسُودُ فيه الإسلامُ أهلَ الدنيا جميعاً).

- الآية 29: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي على دينه (وفي مقدمتهم الصحابة الكرام): ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾: أي يَرحم المؤمنون بعضهم بعضاً ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أي كأنهم دائماً في ركوع وسجود (وهذا كناية عن إكثارهم من النوافل)، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي يرجون ربهم أن يتفضل عليهم، فيُدخلهم الجنة ويَرضى عنهم، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ يعني: علامة طاعتهم ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة، ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ يعني هذه هي صفتهم الموجودة في التوراة، ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ يعني: وأما صفتهم الموجودة في الإنجيل، فهي ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ يعني أخرج ساقه وفروعه ﴿فَآَزَرَهُ﴾: أي فتكاثرت فروعه بعد ذلك ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي قَوِيَ الزرع واشتد ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ أي صارَ قائمًا على سيقانه، فأصبح مَنظره جميلاً ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾، فبذلك قَوَّى الله الصحابة وكَثَّرهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (وفي هذا دليل على كُفر مَن كَرِهَ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن مَن غاظه الله بالصحابة، فقد وُجِدَ فيه ما يَستوجب الكفر، كما نَصَّت الآية الكريمة على ذلك).

♦ ولَعَلّ الله تعالى ذَكَرَ مَثَل الصحابة في التوراة بكثرة العبادة، لأن اليهود كانوا ماديون، فضرب لهم ذلك المثل الروحاني، ليهتموا أيضاً بمتطلبات الروح (وهي العبادة)، وأما في الإنجيل، فقد جعل الله مَثَلَهم كأنهم أصحاب زرعٍ وحصاد، لأن النصارى كانوا يهتمون بالروحانيات ولا يهتمون بمتطلبات الجسد – مما أباحه الله لهم مِن أمور مَعاشهم –، (فبذلك كان الإسلام ديناً وسطاً كاملاً، يجمع بين متطلبات الروح، وبين متطلبات الجسد فيما لم يُحَرِّمه الله تعالى).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ – أي من الصحابة بصفة خاصة –: ﴿مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة، (واعلم أنّ كُل مَن اتَّبع الصحابة رضي الله عنهم في أعمالهم الصالحة وفي فَهْمهم للدين، فهو في حُكمهم في استحقاق المغفرة والأجر العظيم، ولهم الفضل والسَبْق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمّة، إذ كانوا أفهم الناس لدين الله تعالى، وضَحُّوا بأرواحهم وبكل ما يملكون مِن أجل نُصرة هذا الدين وإبلاغه إلى جميع الخلق، فاللهم إنا نحبهم بحُبِّكَ لهم، فاجمعنا معهم في جنتك ودار كرامتك، بلا سابقة عذاب ولا مناقشة حساب).

****

www.alukah.net

تفسير سورة الحُجرات كاملة

- الآية 1: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي لا تتقدموا بفِعل أمْر - مِن شرائع دينكم - غير ما أمَرَكم به الله ورسوله حتى لا تبتدعوا، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي خافوهُ سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِما تنطقون به، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم وأعمالكم.

- الآية 2: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ عند مُخاطبتكم له، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: أي لا تنادونه بصوتٍ عالٍ كما ينادي بعضكم بعضاً، ولا تقولوا له: يا محمد، ولكن شرِّفوه، وقولوا: (يا رسول الله)، وقد أمَرَكم الله بذلك، كراهة ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي يُبطِل الله ثوابها ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ بحبوطها وبُطلانها.

- الآية 3: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ أي يَخفِضون أصواتهم ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ وهُم في مجلسه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ يعني أخلَصَ قلوبهم لِيَضع فيها تقواه وخَشيته ومُراقبته، (إذ كلمة "امتحن" مأخوذة من "امتحان الذهب" أي تخليصه من الشوائب)، والمعنى أن الله تعالى جعل قلوبهم خالصة من أىّ شيءٍ سِوَى هذه الخشية والطاعة، أولئك ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الجنة.

- الآية 4، والآية 5: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ أيها النبي ﴿مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ أي مِن وراء حُجراتك بصوتٍ مرتفع: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي ليس لهم من العقل ما يُجبرهم على حُسن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلَّم وتوقيره، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ ﴿لَكَانَ﴾ ذلك ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ عند الله تعالى، لأنّ الله قد أمَرَهم بتوقيرك، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِمَا صَدَرَ عنهم من الذنوب والإخلال بالآداب (جهلاً منهم)، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، (ولَعَلّ الله تعالى قال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ للإشارة إلى أن بعض هؤلاء الوفد كان متأدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يناده بصوتٍ عالٍ).

- الآية 6: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ وهو المُرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب ﴿بِنَبَإٍ﴾ يعني إذا جاءكم بخبرٍ ما: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي تثبَّتوا مِن خَبَره - قبل تصديقه ونقله والحُكم به - حتى تعرفوا صحته؛ ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾: أي حتى لا تؤذوا قومًا بريئونَ، وأنتم جاهلونَ ببرائتهم ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، يُفهَم منه أيضاً أنه (إن جاءكم شخصٌ مشهودٌ له بالصدق فاقبلوا منه)، وفي هذا دليل على جواز الأخذ بالأحاديث التي يرويها الآحاد (أي يَرويها شخص واحد ثقة، مشهودٌ له بالصدق والعدل والأمانة)، وليس شرطاً أن يكون الخبر مَروي عن أكثر من شخص حتى نقبله.

- الآية 7، والآية 8: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (فتأدّبوا معه؛ وأطيعوا أمْره دونَ مُجادلة)، فإنه أعلم منكم بما يَصلح لكم، وهو يريد بكم الخير، و﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ مِمّا تختارونه لأنفسكم: ﴿لَعَنِتُّمْ﴾: يعني لأَدَّى ذلك إلى مَشقتكم (إذ ربما تريدون لأنفسكم شيئاً - فيه من الشر والضرر ما لا تعلمونه - فلا يوافقكم الرسول عليه)، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ ﴿وَزَيَّنَهُ﴾ أي حسَّنَ الإيمانَ ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فآمنتم وأطعتم، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾ (وهو الخروجَ عن طاعة الله) ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾ (إذاً فلا مجال للاقتراحات التي تُسيئ إليكم وإلى نبيّكم وأنتم لا تعلمون)، ﴿أُولَئِكَ﴾ المتصفون بهذه الصفات ﴿هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي السالكونَ طريق الهدى والرشاد المُوَصِّل بهم إلى الجنة، فلا يَضِلّوا عنه طالما أنهم متمسكون بهذه الصفات.

♦ وقد كان هذا الخير الذي حصل لهم ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ عليهم ﴿وَنِعْمَةً﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن يَشكر نعمه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في إنعامه على مَن يَستحق هذه النعم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 9: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿بَيْنَهُمَا﴾ (وذلك بدعوتهما إلى الاحتكام إلى كتاب الله وسُنّة رسوله، والرضا بحُكمهما)، ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾: يعني فإن اعتدت إحدى الطائفتين وامتنعت عن الإجابة إلى ذلك، ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾: أي قاتلوا جميعاً هذه الفئة الظالمة ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: أي حتى ترجع إلى حُكم الله ورسوله، ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ أي رجعتْ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بإعطاء كل طائفةٍ حقها، ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أي اعدلوا في جميع أحكامكم (فلا تتجاوزوا حُكم الله ورسوله)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي يحب العادلينَ في أحكامهم، القاضينَ بين خلقه بالإنصاف.

- الآية 10: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا اقتتلا أو تخاصَما ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أموركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي حتى تُرحموا في الدنيا والآخرة، (لأنّ كلمة: ﴿لَعَلَّ﴾ إذا جاءت من اللهِ تعالى، فإنها تفيد التأكيد ووجوب الوقوع).

- الآية 11: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾: يعني عسى أن يكون المُستهزَأ به خيرًا من المُستهزِئ، ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ يعني: ولا يَسخر نساءٌ مؤمنات مِن نساءٍ مؤمنات، ﴿عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا تُظهِروا عيوب بعضكم، ولكنْ تناصَحوا فيما بينكم بالقول اللّيّن، وبألاَّ تكون النصيحة على الملأ، (ولَعَلّ الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، ولم يقل: (ولَا تَلمِزوا بعضكم) لأن المؤمنين يُعتبَرون كفردٍ واحد)، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا ينادي بعضكم بعضًا بما يكره من الألقاب، ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: قَبُحَ هذا الاسم وهذه الصفة: (الفسوق - وهو السخرية واللمز والتنابز بالألقاب - بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتم شرائعه وأحكامه) ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ من هذه الأفعال المنكرة وغيرها ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي، فعَرَّضوها لغضب الله وعقابه.

- الآية 12: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ أي اجتنبوا كثيرًا من ظن السوء بالمؤمنين، فـ ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (لأنّ هناك أشياء لا تعلمونها، إذاً فالتمسوا العُذر لإخوانكم)، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي لا تُفَتِّشوا عن عورات المسلمين، ولا تحاولوا الاستماع إلى أسرارهم، ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: أي لا يَقُل أحدكم ما يكرهه أخوه في غيبته (حتى ولو كانت تلك الصفة التي تذكرونها موجودة فيه)، ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ أي يأكل لحمه وهو ميت؟! ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: يعني فأنتم تكرهون ذلك (إذاً فاكرهوا غيبة أخيكم، ورُدُّوا المغتاب عن غيبته - قدر استطاعتكم - بالموعظة الحسنة) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمَرَكم به ونهاكم عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ أي يقبل التوبة من عباده، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، فلا يُعذبهم بذنبٍ تابوا منه.

- الآية 13: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾: أي خلقناكم من أب واحد (وهو آدم)، ومن أُم واحدة (وهي حواء)، فلا تفاضُل بينكم في النسب، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ﴾ بالتناسل ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ متعددة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾: أي ليَعرف بعضكم بعضًا، فتتعاونوا على ما ينفعكم في الدنيا والآخرة (لا لتتفاخروا بأنسابكم)، فـ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾ أي أفضلكم ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ يعني أشدكم خوفاً منه وعملاً بطاعته، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالمتقين، ﴿خَبِيرٌ﴾ بأفعالهم وما في قلوبهم.

- الآية 14: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ (وهم هنا طائفة من البدو)، قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم - على سبيل التفاخر -: ﴿آَمَنَّا﴾ يعني آمنا بالله ورسوله (وهم غيرُ مؤمنين)، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ يعني إنكم ما آمنتم بعد ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي استسلمنا وانقدنا لأوامر ربنا ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يعني: ولم يَدخل الإيمان بعدُ في قلوبكم، ولكنه سيَدخل إن شاء الله إذا استمرَّيتم على طاعة الله ورسوله واجتناب المُحرَّمات ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ أي لا يُنقصكم

www.alukah.net

سبحانه من ثواب أعمالكم شيئًا ولن يَظلمكم (إذاً فلا داعي لادَّعاء الإيمان على سبيل التفاخر) ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب مِن ذنوبه، ﴿رَحِيمٌ﴾ به، حيث جعل التوبة نجاةً له من عذابه (إذاً فتوبوا إليه أيها الأعراب واصدقوا في إيمانكم، يَغفر لكم ربكم ويَرحمكم).

- الآية 15: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ حقاً هم ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وعَمِلوا بشرعه ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾: يعني لم يَشُكُّوا في إيمانهم ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي بَذَلوا أرواحهم ونفائس أموالهم في الجهاد في سبيل الله وطاعته ورضوانه، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم.

- الآية 16: ﴿قُلْ﴾ - أيها النبي - لهؤلاء الأعراب: ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: يعني أتُخَبِّرونَ اللهَ بدينكم وبما في ضمائركم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؟! ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يَخفى عليه ما في قلوبكم.

- الآية 17: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾: أي يَمُنُّ هؤلاء الأعراب عليك - أيها النبي - بإسلامهم ونُصرتهم لك، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾: أي لا تَمُنُّوا عليَّ دخولكم في الإسلام، فإنَّ نفع ذلك إنما يعود عليكم، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾: يعني بل الله هو الذي له المِنّة والفضل عليكم في أنْ وفقكم للإيمان به وبرسوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في إيمانكم.

- الآية 18: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يعلم ما خَفِيَ عنكم في السماوات والأرض، (ومِن ذلك: عِلمه بمَن صَدَقَ في إيمانه، ومَن يَدَّعي ذلك بلسانه)، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وسيجازيكم على أعمالكم.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة ق كاملة

- الآية 1، والآية 2، والآية 3: ﴿ق﴾: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالقرآن ذي الشرف والخير الكثير) وأما الشيء الذي يُقسِم اللهُ عليه فهو محذوف بَلاغةً (لأنه يُفهَم من الآية التي بعده)، وتقديره: (لقد أرسلتُ محمداً لِيُبَلّغ رسالتي إلى خلقي، ويُنذرهم عذابي إن خالَفوا أمري)، ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾: يعني ولكنّ المُكَذِّبين مِن قريش تعَجَّبوا ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ أي بَشَرٌ مِثلهم - يعرفون صدقه وأمانته - لِيُنذرهم عقابَ ربهم ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾: ﴿هَذَا﴾ أي الذي يدعونا إليه ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نَرجع بعد ذلك إلى خِلقتنا التي نحن عليها الآن؟! ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾: يعني ذلك الإرجاع بعيدُ الوقوع.

- الآية 4: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: يعني لقد عَلِمنا ما تُفنِيه الأرض من أجسادهم بعد موتهم ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ أي كتابٌ محفوظٌ من التغيير والتبديل، ومحفوظٌ فيه كل ما يجري عليهم في حياتهم وبعد مماتهم (وهو اللوح المحفوظ).

- الآية 5: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: أي كذَّبَ هؤلاء المُشرِكون بالقرآن حين جاءهم، ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾: يعني فهم في أمرٍ مضطرب بسببه، إذ اضطربتْ أقوالهم فيه إلى أقوالٍ عديدة، ولم يستقروا على شيءٍ منها، والسبب في ذلك أن فصاحة القرآن وبلاغته قد أذهلتهم، إذ تحداهم أن يأتوا بسورة مِن مثله فعجزوا عن ذلك (رغم أنهم أفصح الناس وأبلَغهم)، فاضطروا إلى اللجوء لهذه الأقوال الباطلة حتى يصدوا الناس عن الإيمان به.

- الآية 6، والآية 7، والآية 8: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بلا أعمدة، وجعلناها مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالنجوم، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي ليس فيها شقوق ولا فتوق، بل هي سليمة من الخلل والعيوب؟ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي جعلناها مُمتدة مُتسعة، وبَسَطناها لتستطيعوا العَيش فوقها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: أي وَضَعْنا في الأرض جبالاً راسيةً لتُثبِّتها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: أي أنبتنا فيها من كل نوع من أنواع النبات الحَسَن النافع الذي يَسُرُّ الناظرينَ إليه، وقد جعل الله هذه الآيات العظيمة ﴿تَبْصِرَةً﴾: أي براهين ظاهرة يَستدِل بها أصحاب البصائر على وحدانية اللهِ تعالى وقدرته على البعث (لأنّ ذلك أهون عليه مِن خلْق السماوات والأرض وما فيهما)، ﴿وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ أي موعظة يتذكر بها كل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، مُقِرٌّ له بتوحيده، مُخلِصٌ له في عبادته (فهذا هو الذي يَنتفع بآيات ربه).

- الآية 9، والآية 10، والآية 11: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ أي كثير المنافع ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أي بساتين كثيرة الأشجار ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ يعني: وحب الزرع المحصود (كالقمح وغيره)، ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي طِوالاً عاليات، ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ أي ثمر ﴿نَضِيدٌ﴾ أي متراكب بعضه فوق بعض، وقد أنبتنا ذلك الزرع والثمر والحَبّ ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ ليأكلوا منه بحسب حاجاتهم، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾: يعني أحيينا بهذا الماء بلدة يابسة لا حياةَ فيها، ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ يعني: وكما أحيا سبحانه هذه الأرض الميتة بالنبات، فكذلك تُخرَجون يوم القيامة من قبوركم أحياءً للحساب والجزاء.

- الآية 12، والآية 13، والآية 14: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي قبل هؤلاء المُشرِكين من قريش: ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ (وهُم أصحاب البئر، الذين قتلوا نَبِيَّهم وألقوه في البئر فأهلكناهم)، ﴿وَثَمُودُ﴾ (وهم قوم صالح) ﴿وَعَادٌ﴾ (وهم قوم هود) ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ أي إخوانه في الوطن الذي كان يعيش فيه، ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ (وهم قوم شعيب) (والأيْكة هي المدينةِ ذات

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأشجار الملتفة الأغصان) ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ اليمني، ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ يعني: كل هؤلاء الأقوام قد كذَّبوا رُسُلهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: فوَجَبَ عليهم وعيدي لهم بالعذاب على كُفرهم.

– الآية 15: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: يعني أفَعَجَزنا عن ابتداء الخلق الأول الذي خلقناه ولم يكن شيئًا؟!، كلا لم نَعجَز، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ يعني: ولكنّ المُكَذِّبين في حَيْرة وشك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث بعد الموت، (وكيف ذلك، والذي خَلَقهم أول مرة قادرٌ أن يعيدهم كما بدأهم؟!، بل إن إعادة الخَلق أهْوَنُ عليه سبحانه، لأنّ إعادة الشيء كما كان، أسهل من إيجاده أول مرة).

– الآية 16، والآية 17، والآية 18: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: أي نعلم ما تُحَدِّثه به نفسه من الخواطر والإرادات، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾: أي نحن – بقدرتنا عليه وعِلمنا بما يُسِرُّهُ وما يُعلِنه – أقرب إليه ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (وهو عِرْق في العُنُق متصل بالقلب) ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أى: نحن أقرب إليه بعِلمنا، وذلك حينَ يَكتب المَلَكان المُكَلَّفان بكتابة أعماله ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: وهُما مُلازِمانِ له عن يمينه وعن شماله (فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات)، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ يعني: ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (والمقصود أنّ هذان المَلَكان، كِلاهما (رقيب) أي مُراقِبٌ لأعمال الإنسان، وكِلاهما (عتيد) أي مُعَدّ لكتابة أعماله).

– الآية 19، والآية 20: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: أي جاءت شدة الموت وآلامه ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي لا مَرَدَّ له ولا مَفَرَّ منه، ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يعني ذلك ما كنت منه تهرب أيها الإنسان وتفزع، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وهو القرن المعروف بـ "البوق" نفخة البعث الثانية، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ الذي توعَّد الله به الكفار والعُصاة (وهو يوم القيامة).

– الآية 21، والآية 22: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ يوم القيامة ﴿مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾: أي معها مَلَكان، أحدهما يسوقها إلى المَحشر، والآخر يَشهد عليها بما عملتْ في الدنيا من خير وشر، ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ أيها الإنسان ﴿فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي من هذا الذي رأيته اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ الذي غطَّى قلبك، فزالت الغفلة عنك، ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي قويٌ حادّ، ترى به ما كنت تنكره من البعث والجزاء.

– من الآية 23 إلى الآية 26: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ – وهو المَلَك الكاتب لأعماله، الشهيد عليها –: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: يعني هذا هو ما عندي من كتاب أعماله، وهو مُعَدٌّ محفوظ حاضر، ثم يقول الله للمَلكين المُكَلَّفَيْن به – السائق والشهيد – إذا حَكَمَ الله عليه بالنار: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ أي كثيرَ الكفر والتكذيب، جاحد بأن الله هو الإلهُ الحقُّ، ﴿عَنِيدٍ﴾ أي مُعانِد للحق، ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: أي كثير الامتناع عن أداء ما عليه من الحقوق في ماله، ﴿مُعْتَدٍ﴾ على حدود الله وعلى عباده، ﴿مُرِيبٍ﴾: أي شاكٍّ في وعد الله ووعيده، ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي عَبَدَ معه معبودًا آخر مِن خَلقه، ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ في جهنم.

– الآية 27: ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ (والمقصود به هنا: شيطانه الذي كان معه في الدنيا): ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي ما أجْبرته على الطغيان والضلال، ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن طريق الحق والرشاد، متوغلاً في الشِرك والعصيان.

– الآية 28، والآية 29: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾: أي لا تتجادلوا عندي في موقف الحساب، إذ لا فائدة من ذلك، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ مِن عذابي، لمن كَفَرَ بي وعصاني، ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي لا مُبَدِّلَ لوعدى،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا مُعقِّبَ لحُكمي، بل هو كائنٌ لا مَحالة، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فلا أعذّب أحدًا إلا بعد قيام الحُجَّة عليه، ولا أعذّب أحدًا بذنب أحد).

- الآية 30: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾؟ ﴿وَتَقُولُ﴾: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾؟ يعني هل من زيادة من الجن والإنس؟ فعندئذٍ يضع الرب سبحانه قدمه فيها، فيَنزوي بعضها على بعض (أي يُضَمّ بضعها إلى بعض) وتقول: قط، قط (أي اكتفيت اكتفيت، فحينئذٍ تمتلئ) (والحديث في البخاري ومسلم)، طبعاً مِن غير أن نُشَبِّه قدم الرب تبارك وتعالى بقدم المخلوق، لأنه سبحانه ليس كمثله شيئ، ولكننا نُثبِت القدم كما أثبتها الله لنفسه، وكما أثبتها له نبيّه صلى الله عليه وسلم مِن غير أن نُشَبهها بشيء).

- من الآية 31 إلى الآية 35: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي قُرِّبت الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، فصارت ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم، (فهم يشاهدونها زيادةً لهم في المَسَرَّة)، ويُقال لهم: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾: يعني هذا هو النعيم المقيم الذي كنتم توعدون به في الدنيا ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي تائب مِن ذنوبه، ﴿حَفِيظٍ﴾ أي يَحفظ حدود الله فلا يَنتهكها، ويحافظ على الطاعات التي يتقرب بها إلى ربه، وهو ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾: أي خاف الرحمن في الدنيا (حينَ لم يكن يَراه أحدٌ غيره سبحانه)، ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾: أي لَقِيَ ربه يوم القيامة بقلبٍ تائب من الذنوب، ويُقال لهؤلاء المتقين: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي ادخلوا الجنة سالمينَ من الهموم والشرور ومن كل سوء، آمنينَ فيها من جميع المكاره والمخاوف ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: أي عندنا ما هو أعظم من النعيم الذي أعطيناه لهم (وهو التلذذ بالنظر إلى وجه الله الكريم)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: (إذا دخل أهل الجنةِ الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟، فيقولون: ألم تُبَيِّض وجوهنا؟ ألم تُدخِلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيُرفع الحجاب، فيَنظرون إلى وجه الله، فما أُعطُوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم)، ثم تَلا صلى الله عليه وسلم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

- الآية 36، والآية 37: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: يعني ولقد أهلكنا كثيراً من الأمم المكذبة قبل مُشركي قريش، ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي كانوا أشد منهم قوة ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي بحثوا وفتَّشوا في البلاد، قائلين: ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾؟ يعني هل مِن مَهرب يُنَجِّنا من عذاب الله؟ فلم يجدوا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في إهلاك الأمم الماضية - رغم قوتها وكثرة حصونها - ﴿لَذِكْرَى﴾ أي عبرة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ يَعقل به، ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: يعني أصغى السمعَ لآيات الله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يعني: وهو حاضرٌ بقلبه، غير غافل ولا ساهٍ.

- الآية 38: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من أصناف المخلوقات ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾: يعني ما أصابنا تعب ولا إعياء بسبب ذلك الخلق، (ففي هذه القدرة العظيمة دليلٌ على قدرته سبحانه على إحياء الموتى، فإنّ ذلك أهون عليه).

- من الآية 39 إلى الآية 42: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أيها الرسول ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ من التكذيب والاستهزاء (فإن الله لهم بالمرصاد)، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي استعن على هذا الصبر بالصلاة (المشتملة على التسبيح والحمد) ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي في صلاة الفجر، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أي في صلاة العصر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: أي صَلِّ له من الليل، ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ يعني: وسبِّحْ ربك واحمده بعد الصلوات المفروضة، ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ وهو المَلَك "إسرافيل" الذي ينادي بنفخه في (البُوق) الذي يُشبه القرن ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي قريب من موقف الحشر والحساب، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ أي يومئذٍ يَسمع الموتى صيحة البعث ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي لا شك فيه، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ أي ذلك هو يوم خروج أهل القبور من قبورهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الآية 43، والآية 44: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي﴾ الخَلق من العدم، ثم ننفخ فيهم الروح، ﴿وَنُمِيتُ﴾ أي نميتهم في الدنيا بعد انتهاء آجالهم، ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾: يعني إلينا مصيرهم جميعًا يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ أي عن الموتى المدفونين بها، فيَخرجون منها ﴿سِرَاعًا﴾: أي مُسرعين لإجابة الداعي (الذي دعاهم إلى الوقوف بين يدي الله للحساب)، ﴿ذَلِكَ﴾ أي الجمع في موقف الحساب، هو ﴿حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي سَهلٌ علينا لا صعوبة فيه، فإننا نقول للشيء كن فيكون.

- الآية 45: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي بما يقوله هؤلاء المُشرِكون مِن الافتراء على الله تعالى والتكذيب بآياته، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أيها الرسول ﴿بِجَبَّارٍ﴾ أي لستَ مُسَلَّطاً عليهم لتجبرهم على الإسلام، وإنما بُعِثتَ مُبلِّغًا لهم، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي ذكّر - بمواعظ القرآن وأدلته - مَن يَخافُ وعيدي (لأنّ مَن لا يخاف الوعيد: لا يَتذَكّر أبداً ولا يتعظ).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الذاريات كاملة

- من الآية 1 إلى الآية 6: (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) (يُقسِم اللهُ تعالى بالرياح المُثيرات للتراب إثارةً شديدة، والتي أيضاً تثير السحاب لإنزال المطر)، (فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا) (أي يُقسِم سبحانه بالسُحُب الحاملاتِ ثِقَلاً عظيمًا من الماء بقدرة الله تعالى)، (واعلم أن الوقر هو الثِقَل، كما كان يقول المُشرِكون: (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) أي ثِقَلٌ في السمع)، (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) (أي يُقسِم سبحانه بالسُفن التي تجري في البَحر بيُسرٍ وسهولة، بعد تسخير الله للبحر أن يَحملها)، (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) (أي يُقسِم سبحانه بالملائكة التي تُقَسِّم أمْر الله في خَلقه، كالأرزاق والأمطار وغير ذلك بأمر ربها)، (واعلم أنّ الله تعالى يُقسِم بما يشاء مِن خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القَسَم إلا بالله تعالى، لأنّ الحَلِف بغير الله شِرك).

♦ ثم أخبر سبحانه عن جواب القَسَم (وهو الشيء الذي يُقسِم اللهُ عليه)، فقال: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) يعني إنّ الذي توعدون به أيها الناس - من البعث والحساب - هو وعدٌ حق لا شك فيه، (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) يعني: وإنّ الجَزاء على الأعمال لآتٍ لا مَحالة، (واعلم أن الدين هنا بمعنى الجزاء، كما قال تعالى في سورة النور: (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) أي جزاءهم الحق).

- الآية 7، والآية 8، والآية 9: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) (يُقسِم سبحانه بالسماء ذات الطُرُق - أو ذات الخَلق الحَسَن): (إِنَّكُمْ) أيها المُكَذِّبونَ (لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ): أي في قولٍ مضطرب بشأن هذا القرآن، وبشأن النبي عليه الصلاة والسلام (إذ اضطربتْ أقوالهم فيهما إلى أقوالٍ عديدة، ولم يَستقروا على شيءٍ منها، والسبب في ذلك أنهم عَجَزوا عن الإتيان بسورةٍ مِثل سور القرآن (رغم أنهم أفصح الناس وأبلَغهم)، فاضطروا إلى اللجوء لهذه الأقوال الباطلة، حتى لا يُفتَضَح عَجْزهم ونقصهم)، (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) يعني: يُصرَف عن الإيمان بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم مَن صَرَفه اللهُ عن الإيمان بهما؛ بسبب إعراضه عن أدلة الله الواضحة وبراهينه اليقينية، فلم يُوَفِّقه اللهُ إلى الخير.

- من الآية 10 إلى الآية 14: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ): أي لُعِنَ الكَذابون (وهم المُفترونَ على الله الكَذِب، الذين يَنشرون الأكاذيب والأقوال الباطلة ليصدوا بها الناس عن دين الله) (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ) أي في جهلٍ وضلالٍ غامر، (سَاهُونَ) أي غافلونَ عن أمْر الآخرة (يَسْأَلُونَ) - سؤال استبعاد وتكذيب -: (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ)؟ يعني متى يوم الجزاء؟، فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) أي يُعرَضونَ عليها ويُعذَّبون فيها، ويُقال لهم: (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) أي ذوقوا عذابكم، (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) في الدنيا.

- من الآية 15 إلى الآية 19: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) - الذين خافوا عذابَ ربهم في الدنيا - هُم اليوم (فِي جَنَّاتٍ) أي في بساتين عجيبة المَنظر (وَعُيُونٍ) أي أنهار جارية، تجري خِلال تلك البساتين والقصور (آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) مِن أصناف النعيم الذي تشتهيه أنفسهم (وهُم راضونَ فَرِحون)، (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) أي كانوا في الدنيا (مُحْسِنِينَ) أي كانوا يُراقبون ربهم في كل شؤونهم، وكانوا يُحسِنون عبادتهم له (بتخليصها من الشِرك والرياء، وبأدائها كما شَرَعَها لهم)، و(كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ): أي كانوا ينامون قليلاً من الليل، لأنهم كانوا يَقومونَ لِيَقفوا بين يَدَي ربهم في الصلاة، كما قال تعالى في سورة السجدة: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) أي تتباعد جنوبهم عن فراش النوم، ليقوموا لله تعالى في صلاة الليل، ف(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا) من عذابه (وَطَمَعًا) في جنته، (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعني: وفي وقت السحور (وهو السُدس الأخير من الليل) يَستغفرون ربهم من ذنوبهم، (ويَحضرني هنا قول أحد الصالحين: (ما ألهَمَ اللهُ عبداً الاستغفار وهو يريد أن يُعَذِّبه)،

www.alukah.net

يَقصد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾)، ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ - واجب ومُستحَبّ - ﴿لِلسَّائِلِ﴾ الذي يسأل الناس لشدة حاجته وفقره ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ وهو المُحتاج الذي يَستحي أن يسأل الناس.

- من الآية 20 إلى الآية 23: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ أي دلائل واضحة على قدرة خالقها تبارك وتعالى، وقد جَعَل الله هذه الآيات ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾ الذين يُوقِنون بأنّ الخالق الرازق هو المُستَحِقّ وحده للعبادة، وأنه القادر على بَعْث الناس بعد موتهم، لأنه هو الذي ابتدأ خَلْقهم، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: وفي خَلْق أنفسكم أيها الناس دلائل على قدرة ربكم، وأنه وحده المُستحِق لعبادتكم ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟ يعني ألاَ تُبصِرونَ هذه الدلائل في أنفسكم فتعتبروا بها؟!، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ - مِن الخير والشر والثواب والعقاب - كل ذلك مكتوبٌ مُقدَّر عند الله في السماء، ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ يعني إنَّ ما وعدتُكم به حَقٌّ ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (أي لا تَشُكّوا فيه كما أنكم لا تَشُكُّون في نُطقكم).

♦ ورغم أن أسباب الرزق موجودة في الأرض، إلا إن الله تعالى قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾، لأنه سبحانه هو مُسَبِّب الأسباب، وهو الذي يُنَزِّل أمْره من السماء بتصريف هذه الأسباب لمَن أراده سبحانه، وذلك حتى تبقى القلوب مُعَلَّقة بالله وحده وليس بالأسباب، كما قال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، وقد كانَ النبي صلى الله عليه وسلم يقولُ في دعائه: (اللهم إني أسألك مِن كل خيرٍ خزائنه بِيَدك، وأعوذُ بك مِن كل شَرٍّ خزائنه بِيَدك).

- من الآية 24 إلى الآية 37: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾؟ يعني: هل جاءك أيها الرسول خبر ضيوف إبراهيم الذين أكرمهم (وقد كانوا من الملائكة الكِرام)، وقد جاءوا له على هيئة بَشر، ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ في بيته، ﴿فَقَالُوا﴾ له: ﴿سَلَامًا﴾ ف ﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ رَدًّا على تحيّتهم: ﴿سَلَامٌ﴾، ثم قال لهم: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ يعني أنتم قومٌ غُرَباء لا نَعرفكم، ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي ذَهَبَ سريعًا إلى أهله - حتى يُكرم ضيفه - ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (وذلك بعد أن ذبَحَه وشَواه)، لأن الله قال في سورة هود: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (أي مَشوي)، ثم وضعه أمامهم ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾، وتلَطَّفَ في دَعْوتهم إلى الطعام، ف ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟، ولكنه رأى أيديهم لا تمتد إلى الطعام ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ يعني أحَسَّ في نفسه بخوفٍ منهم (لأنه ظن أنهم أرادوا به شراً عندما لم يأكلوا)، ف ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ إننا ملائكة ربك، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي بَشَّروه بأن زوجته "سَارَةَ" سوف تَلِد له ولدًا، وسيَكون هذا الولد من أهل العلم بدين الله تعالى (وهو إسحاق عليه السلام)، ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾: يعني أقبلت "سَارَة" نَحْوهم في صَيحة تعجُّب (عندما سمعتْ هذه البشرى من الملائكة)، ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي ضربت وجهها بيدها تعجُّبًا من هذا الأمر، ﴿وَقَالَتْ﴾: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾؟! يعني كيف ألد وأنا عجوز عقيم لا ألد؟ ﴿قَالُوا﴾ أي قالت لها الملائكة: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ﴾: يعني هكذا قال ربُّكِ كما أخبرناكِ، فهو سبحانه القادرُ على ذلك، ولا عَجَب من قدرته ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تصرفاته، ﴿الْعَلِيمُ﴾ الذي لا يَخفى عليه أنكِ عقيم.

♦ ثم ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يعني: فما الأمر الخطير الذي جئتم مِن أجْله أيها المُرسَلون مِن عند الله؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ يعني إنّ الله قد أرسَلَنا لإهلاك قوم لوطٍ المجرمين ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ أي لنُهلكهم بحجارةٍ مِن طين مُتحجِّر شديد الحرارة ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي مُعَلَّمَةً عند اللهِ تعالى بعلامةٍ معروفة لا تُشبه حجارة الأرض، وقد أُعِدّت ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي المُتجاوزينَ الحدَّ في الفجور والعِصيان، ثم قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي نَجَّينا المؤمنين الذين كانوا في قرية لوط (وهُم لوط عليه السلام ومَن آمَنَ به)، فأخرجناهم من القرية قبل نزول العذاب ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (وهو بيت لوط عليه السلام، باستثناء امرأته الكافرة)، ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يعني أبقينا مِن ديار قوم لوط آثارًا واضحة تدل على قدرتنا على إهلاك الفاسقين وانتقامنا منهم، وقد كانت هذه العبرة ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي الذين يَخافون عذابَ الله الأليم، (فهؤلاء يَدفعهم خَوفهم إلى أن يُطيعوا ربهم ولا يَعصوه).

- الآية 38، والآية 39، والآية 40: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ يعني: وفي قصة موسى آياتٌ وعِبَر، (واعلم أن قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ مَعطوفٌ على قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾، فيكون المَعنى: وتركنا أيضاً في قصة موسى آيات) ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي بحُجَّة ظاهرة قوية وهي اليد والعصا ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ يعني أعْرَضَ فرعون عن الإيمان مُغترًّا بقوة جنوده (الذين يَركَنُ إليهم ويَعتمد عليهم)، ﴿وَقَالَ﴾ عن موسى: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي طرحناهم في البحر فغرقوا جميعاً، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يعني: وإنّ فرعون قد فَعَلَ ما يُلامُ عليه ويُعَذَّب به، بسبب كُفره وجحوده وفجوره.

- الآية 41، والآية 42: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ يعني: وفي قصة إهلاك قوم عاد، آيةٌ على قدرتنا وانتقامنا من المُكَذِّبين ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ أي الريح التي لا بَرَكَةَ فيها ولا تأتي بخير، ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: يعني لم تترك شيئًا مَرَّت عليه إلا جعلته كالشيء المُفتَّت (باستثناء مَساكنهم)، لأن الله تعالى قال في سورة الأحقاف: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾، وذلك حتى تكون عبرةً لِمَن بعدهم.

- الآية 43، والآية 44، والآية 45: ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ يعني: وفي قصة إهلاك قوم ثمود، آيةٌ على انتقامنا من الجاحدينَ بآيات ربهم ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ أي قال لهم نبيُّهم صالح: (تمتعوا بنعم ربكم، واشكروا نعمه - بتوحيده وطاعته - حتى تنتهي آجالكم) ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي عَصَوا أمْر ربهم (فلم يُسلِموا له ولم يَشكروا نعمه).

♦ ويُحتمَل أن يكون المقصود مِن قوله تعالى: ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ أي حين قال لهم نبيُّهم صالح - بعد أن ذبَحوا الناقة -: (تمتعوا بحياتكم حتى يأتيكم عذاب الله بعد ثلاثة أيام)، لأن الله تعالى قال في سورة هود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾، ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي استمَرّوا على عِصيانهم لأوامر ربهم، وازدادوا في الطُغيان. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: يعني أخذتهم صاعقة العذاب (وهي الصيحة الشديدة) ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إلى عقوبتهم بأعينهم، ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾: يعني فما أمكنهم الهرب ولا النهوض مما هم فيه من العذاب، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ يعني: وما كانوا مُمتنعين عن العذاب بقوّتهم.

- الآية 46: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: وأهلكنا قومَ نوح مِن قبل هؤلاء المذكورين في الآيات السابقة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي كانوا قومًا خارجينَ عن طاعة الله وأمْره، (إنّ في إهلاك الأمم الماضية لآيةً تدل على إنجاء الله للمُوَحِّدين وانتقامه من المُشركين).

- من الآية 47 إلى الآية 51: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي جَعَلناها سَقفًا للأرض، مُحكَمة البناء، وقد خلقناها ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي خلقناها بأيدينا (وهذا تشريفٌ للسماء، أنّ الله تعالى خلقها بيَدِه الكريمة ولم يَخلقها بكلمة "كُن")، وقد خَلَقَها أيضاً بقوةٍ وقدرةٍ عظيمة، ظهرتْ في رفع السماء بغير أعمدة، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي قادرونَ على توسعة السماء بتلك الصورة العجيبة، ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي جَعَلناها فِراشًا للخَلق لِيَستقروا عليها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ أي نِعمَ الرَبّ الذي مَهَّدَ الأرضَ لعباده، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أنواع الموجودات ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي خلقنا نوعين مختلفين (ذكراً وأنثى، خيراً وشراً، جنةً وناراً، وغير ذلك) ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي لكي تتذكروا قدرة الله فتعتبروا بها، وتذكُروا أنّ خالق الأزواج كلها هو إلهٌ واحد، فلا تعبدوا معه غيره ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي قل أيها الرسول للناس: فِرُّوا من عقاب الله إلى رحمته (وذلك بالتوبة إليه والعمل بطاعته)، ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

www.alukah.net

أي مُخَوِّفٌ لكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا وتطيعوا، مُبَيِّنٌ لكم الحق من الباطل، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ﴾ أي لا تعبدوا معه معبودًا آخر مِن خَلقه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ مِن عذابه، ﴿مُبِينٌ﴾ أي أُوَضِّح لكم ما أُرْسِلتُ به إليكم، (واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حَزَبه - أي أهَمَّهُ - أمْر، فَزَعَ إلى الصلاة، وهذا فرارٌ إلى الله تعالى بالصلاة).

♦ واعلم أيضاً أنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ لا يَتعارض مع أن "البَغل" أُحادي الجِنس، وذلك لأن البغل قد نَتَجَ من تزاوُج نوعين مختلفين من المخلوقات (وهما ذَكَر الحمار وأنثى الفَرَس)، فخَلَقه اللهُ نتيجة هذا التزاوُج الاستثنائي.

- من الآية 52 إلى الآية 55: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ يعني: وكما كَذَّبت قريشٌ نبيَّها محمدًا صلى الله عليه وسلم، وقالوا عنه: (ساحر أو مجنون)، فكذلك قالت الأمم السابقة في رُسُلها، فأنزل اللهُ بهم عذابه، ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾؟! يعني هل تواصَى المُكَذِّبون الأوّلون والآخرون بأن يقولوا جميعاً تلك المَقولة لرُسُلهم؟! ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يعني لم يحدث ذلك، ولكنهم قومٌ تشابهت قلوبهم وأعمالهم في الكفر والطغيان، فقال مُتأخِّروهم مِثل قول سابِقِيهم (لِيَصُدّوا الناسَ عن دين الله)، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: يعني فأعرِضْ أيها الرسول عن المُشرِكين، ولا تلتفت إلى تكذيبهم حتى يأتيك أمْر الله بقتالهم، ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾: يعني لن يَلومك أحد على هذا الإعراض، فقد بَلَّغتَهم ما أُرسلت به إليهم ﴿وَذَكِّرْ﴾ يعني ومع إعراضك أيها الرسول عنهم، فقد أمَرَك ربك أن تداوم على التذكير بوعده ووعيده (بين الحِين والآخر) ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: يعني فإنّ الموعظة يَنتفع بها المؤمنون، وتقوم بها الحُجَّة على المُعانِدين.

- من الآية 56 إلى الآية 60: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي لِيَعبدوني وحدي ويُطيعوا أمري، ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ (لأنه سبحانه غنيٌ عما يحتاجه البشر)، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أي المُعطي، المُتكفل برزق خلقه (فهو سبحانه لا يَحتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو رازقهم والغني عنهم)، وهو سبحانه ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أي صاحب القوة العظيمة التي لا يستطيع أحد أن يتخيلها، وهو ﴿الْمَتِينُ﴾ أي الشديد الذي لا يُقْهَر ولا يُغلَب ولا يُعجزه شيء.

♦ فإذا عرفتَ أيها الرسول ما تقدم مِن هَلاك المُكَذِّبينَ السابقين: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ - بتكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم - ﴿ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أي قد جَعَلَ الله لهم نصيباً من العذاب مِثل نصيب أصحابهم الذين مَضَوا قبلهم ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ يعني فلا يَستعجلوني بالعذاب، فهو آتيهم لا مَحالة، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني: فوَعيدٌ بالعذاب - وتحذيرٌ شديد للجاحدينَ - مِن يومهم الذي يوعَدون فيه بالعذاب، وهو يوم القيامة.

****

تفسير سورة الطور كاملة

- من الآية **1** إلى الآية **10**: ﴿وَالطُّورِ﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالطور، وهو الجبل الذي كلَّم اللهُ عليه موسى)، ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ (أي يُقسِم سبحانه بكتابٍ مكتوب)، وهو القرآن الكريم، الذي كُتِبَ ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ أي في صُحُفٍ مفتوحة، (واعلم أن الرَّق هو الجلد الرقيق الذي يُكتَب فيه، والمنشور هو المفتوح، ويُحتمَل أن يكون المقصود بذلك: أن القرآن يقرؤه المُسلمون من المصاحف، وتقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ)، ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ (أي يُقسِم سبحانه بالبيت المعمور بعبادة الملائكة، وهو بيتٌ في السماء السابعة، تطوف به الملائكة)، ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ (وهي السماء الدنيا)، التي رَفَعها اللهُ بقدرته من غير أعمدة، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أي المملوء بالمياه (ويُحتمَل أن يكون المقصود بالبحر المَسجور أي المُوقَد ناراً يوم القيامة، فقد قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: (تُملأ البحار كلها يوم القيامة بالنار، فيُزاد بها في نار جهنم)، واعلم أنّ الله تعالى يُقسم بما يشاء مِن خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القَسَم إلا بالله تعالى، لأنّ الحَلِف بغير الله شِرك).

♦ ثم أخبر سبحانه عن جواب القَسَم (وهو الشيء الذي يُقسِم اللهُ عليه)، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ أي سيَقَع بالكفار والمُصِرِّين على المعاصي لا مَحالة، و﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ أي ليس له مِن مانعٍ يمنعه عند وقوعه يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ يعني: يومئذٍ تتحرك السماء بشدة فيَختلُّ نظامها، وتضطرب أجرامها السماوية الضخمة ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي تزول الجبال عن أماكنها (وذلك بعد أن يَقتلعها اللهُ من أصولها، ويَجعلها هباءً منثوراً).

- من الآية **11** إلى الآية **16**: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: فهلاكٌ وعذابٌ أليم يوم القيامة للمُكَذِّبين ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ أي يَخوضونَ في الباطل، ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي يَتَّخذون دينهم استهزاءً ولعبًا، فوَيلٌ لهم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي يوم يُدْفَعون دفعاً عنيفاً إلى نار جهنم، ويُقال لهم توبيخًا: ﴿هَذِهِ﴾ هي ﴿النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾؟! يعني هل ما تشاهدونه الآن سِحر (كما كنتم تقولون عن القرآن)؟! ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟! ﴿اصْلَوْهَا﴾ أي ذوقوا حَرَّ هذه النار ﴿فَاصْبِرُوا﴾ على ألَمها وشدتها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي يَتساوَى صَبْركم ويأسكم، فلن يُخَفَّف عنكم عذابها، ولن تخرجوا منها أبداً ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِن الشِرك والمعاصي.

- من الآية **17** إلى الآية **24**: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين خافوا عذابَ ربهم - ففعلوا ما يُرضيه واجتنبوا ما يُغضبه - أولئك ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي في حدائق كثيرة يَجري الماءُ مِن خِلال أشجارها، ﴿وَنَعِيمٍ﴾ لا يُفسِد لَذَّته شيء، ﴿فَاكِهِينَ﴾ أي فَرِحينَ مَسرورين، إذ يَتلذذونَ ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من أصناف النعيم المختلفة، ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (بسبب صَبْرهم على التقوى وخوفهم من عذاب ربهم).

♦ ويُقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال الصالحة، وهُم يَجلسون في الجنةِ ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ أي على سُرُر مَرصوصة بجانب بعضها ومتقابلة (والسُرُر جمع سرير)، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: أي زوَّجناهم بنساءٍ جميلات، بِيض الأجساد، واسعات الأعين، (واعلم أنّ هذا وَصفٌ لنساء الجنة عموماً، سواء النساء المؤمنات أو الحُور العِين).

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾ أي صَدَّقوا بالله ورُسُله وبكل ما أخبر به الرُسُل من الغيب (وهذا التصديق يكونُ إقراراً بالقلب وقولاً باللسان وعَمَلاً بالجَوَارح (والجَوَارِح هي أعضاء الإنسان))، ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ أي اتَّبعهم أبناؤهم في هذا الإيمان: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أي جَعَلنا أبناءهم في نفس مَنزلتهم في الجنة - وإن لم يَبلغوا أعمال آبائهم - لتَكمُل سعادتهم باجتماعهم مع

www.alukah.net

أبناءهم في الجنةِ، (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يعني: لم نُنقِص الآباء شيئًا مِن حسناتهم بسبب رَفع أبناءهم إليهم، بل أعطيناهم جزاءهم كاملاً، ورفعنا إليهم أبناءهم فضلاً منا ورحمة، (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ): يعني كل إنسان مَرهونٌ بعمله يوم القيامة (إلا إنه سبحانه تفضَّلَ على أولئك الآباء المؤمنين، فرَفَعَ أبناءهم إلى درجاتهم رحمةً منه وإحساناً)، (وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ) – مِن مُختلَف الأصناف اللذيذة – (وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) من جميع أنواع اللحوم، (واعلم أن لفظ "اللحم" يشمل أيضاً الحيوانات البحرية (كالأسماك وغيرها)، لأن الله تعالى قال: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا)، وكما ثَبَتَ في صحيح مُسلم أن أول وجبة يأكلها أهل الجنة هي زيادة كبد الحوت، وهي القطعة المُنفردة المتعلقة بكبد الحوت، وهي أطيَبها وألَذّها).

♦ وأهلُ الجنة (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا): أي يُعطي بعضهم بعضاً كأسًا من الخمر اللذيذ، يُناوله أحدهم لصاحبه، ويَنزعه الآخر منه في بَهجةٍ ومِزاح (ليَتِمّ بذلك سرورهم)، ومِن صفات خمر الجنة أنها (لَا لَغْوٌ فِيهَا): أي لا يَحدُث لشاربها هَذَياناً بالكلام كما في خمر الدنيا (إذ اللغو هو الكلام الذي لا فائدة منه)، والمقصود أنها لا تُذهِب عقل شاربها، (وَلَا تَأْثِيمٌ) يعني: وليس في شُربها إثم كما في خمر الدنيا، (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ) أي أطفالٌ صغار مُعَدُّون لخدمتهم (كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ): يعني كأنّ هؤلاء الخَدَم – في الصفاء والجمال – لؤلؤ مُخبَّأ في أصدافه، لم تمَسّه الأيدي.

– من الآية 25 إلى الآية 28: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يعني أقبَلَ أهلُ الجنة يَسأل بعضهم بعضًا عن أحوالهم في الدنيا (وهذا مِن تَمام الأُنس والسعادة)، فـ (قَالُوا): (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) أي كنا – ونحن بين أهلينا – خائفينَ من عذاب ربنا (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) بدخول الجنة (وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) أي نَجّانا من سَموم جهنم (وهو حَرّها الشديد الذي يَدخل مَسامّ الجلد فيَحرقه)، وذلك رحمةً منه سبحانه، بسبب خوفنا من عذابه، (فقد قال صلى الله عليه وسلم: (يقول اللهُ عز وجل: وَعِزّتي لا أجمعُ على عبدي خوفَيْن ولا أجمعُ له أمْنَيْن، إذا أمِنَني في الدنيا: أخَفتُهُ يومَ القيامة، وإذا خافني في الدنيا: أمَّنْتُهُ يومَ القيامة)) (انظر السلسلة الصحيحة ج: 6/ 355)، ثم قالوا: (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ) أي كنا نتضرع إليه وحده، ونتذلل له بالدعاء أن يَحفظنا من العذاب ويوصلنا إلى النعيم، فاستجاب دعائنا (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) أي كثير الإحسان، (الرَّحِيمُ) بعباده المؤمنين، (ومِن بِرِّه ورحمته بنا أنْ رَزَقَنا رضاه والجنة، وأعاذَنا مِن سخطه والنار).

– من الآية 29 إلى الآية 34: (فَذَكِّرْ) – أيها الرسول – مَن أُرسِلتَ إليهم بالقرآن (فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ) يعني إنك – بسبب إنعام الله عليك بالنُبُوّة ورَجاحة العقل وكمال الخُلُق – لستَ بكاهنٍ يُخبر بالغيبِ جَهلاً دونَ وَحي (وَلَا مَجْنُونٍ) لا يدري ما يقول (كما يَزعمون)، (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ) يعني بل يقول المُشركون عنك أيها الرسول: هو شاعرٌ (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) أي ننتظر به نزول الموت ومَصائب الدهر (لنستريح من دَعْوته، ولا ندخل معه في جدالٍ يَغلبنا فيه بحُجَّته)، (قُلْ) لهم: (تَرَبَّصُوا) أي انتظروا مَوتي (فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) أي من المُنتظرينَ بكم العذاب، وسَتَرَون لمن تكون العاقبة، (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا) يعني أم تأمرهم عقولهم بهذا القول المتناقض؟! (إذ صفات الكَهانة والشِعر والجنون لا يمكن اجتماعها في وقتٍ واحد)، (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ): يعني بل هم قومٌ مُتجاوزونَ الحدَّ في الطغيان، فطُغيانهم هو الذي يأمرهم بما يقولون، (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) يعني بل يقولون: (لقد اختلق محمدٌ القرآنَ من عند نفسه) (بَلْ) إنهم يَعرفون أنه ليس من قول الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنهم (لَا يُؤْمِنُونَ) أي لا يؤمنونَ بالقرآنِ جُحوداً واستكباراً (حتى لا يَنقادوا لأوامره)، فلذلك قالوا هذا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الكلام، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ أي فليأتوا بكلامٍ مِثل القرآن ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في زَعْمهم أنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم قد اختلقه.

- من الآية 35 إلى الآية 43: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾: يعني أم خُلِق هؤلاء المُشركون مِن غير خالق؟! ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ لأنفسهم؟! (وكِلا الأمْرين باطلٌ ومستحيل)، وهذا يَلزَم أنّ الله هو الذي خَلَقهم، وأنه وحده المُستحِق لعبادتهم، ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ على هذا الصُنع البديع المُتقَن؟! ﴿بَل لَا يُوقِنُونَ﴾ يعني بل هم لا يُوقِنونَ بعذاب الله، فلذلك أشركوا بربهم، لعدم خوفهم من عذابه، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ يتصرفون فيها حتى يُعطوا النُبوّة لمن شاؤوا؟! ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾؟! يعني أم هم القاهرونَ لمخلوقات الله تعالى، فيتصرفوا في المُلك كما يشاؤون؟! ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزونَ الضعفاء، والله وحده هو المسيطر على الكون، الذي يَتصرف فيه كيف يشاء، ويُعطي مِن فضله ما يَشاءُ لمن يشاء، ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾؟ يعني أم لهم مِصعَدٌ صَعَدوا به إلى السماء، فاستمَعوا فيه إلى الوحي، فعَلموا أنّ الذي هم عليه حق؟! ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: يعني فليأتِ مَن يَزعم أنه استمعَ إلى ذلك بحُجَّة ظاهرة تدل على صِدق دَعواه، (وكيف لهم ذلك وقد حُجِبَتْ الشياطين والجن عن الاستماع، فكيف بغيرهم؟!).

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾؟! يعني أم جعلتم لِلهِ سبحانه البنات حين قلتم – افتراءً وكَذِبًا –: (الملائكة بنات الله)، وجعلتم لأنفسكم البنين الذين ترضونهم؟! (وهذا من باب التوبيخ والاستهزاء بحُكمهم الباطل، وإلاّ فإنه سبحانه مُبَرَّأ عن أن يكون له ولد (ذكراً كانَ أو أنثى)، لأنه رَبُّ كل شيء ومَالكه والغني عنه، فما الحاجةُ إذاً إلى الولد؟!)، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ أيها الرسول ﴿أَجْرًا﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ أي فهُم بسببه في جهد ومَشقة من الالتزام بغرامةٍ تطلبها منهم، فلذلك كرهوا ما تدعوهم إليه؟! (كلا لم يحدث ذلك، إذ لو طلبتَه منهم، لكانَ ذلك مانعاً لهم عن اتّباعك ولاَحتجوا به عليك)، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؟! يعني أم عندهم عِلم الغيب فهم يكتبون منه – أي يَنقلونه من اللوح المحفوظ – ليجادلوك به؟! ليس الأمر كذلك، فإنه لا يعلم الغيب إلا الله، ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: يعني بل إنهم يريدون مكرًا بالرسول والمؤمنين، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي فهُم الذين يَرجع عليهم كَيدهم ومَكرهم، ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾؟! يعني أم لهم مَعبودٌ يَستحق العبادة غير الله؟! ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تَنَزَّهَ اللهُ وتَعاظَمَ عن شِركهم، إذ هو الخالق الرازق المُستحِق وحده للعبادة.

- من الآية 44 إلى الآية 49: ﴿وَإِنْ يَرَوْا﴾ – على سبيل الفرض – ﴿كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ أي قطعة من السماء ساقطةً عليهم ليُعَذَّبوا بها، لم يرجعوا عَمّا هم عليه من التكذيب، بل ﴿يَقُولُوا﴾: ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾: يعني هذا سحابٌ مُتراكم بعضه فوق بعض، ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: أي فاتركهم أيها الرسول في عِنادهم حتى يُلاقوا يومهم الذي فيه يُهلَكون، وهو يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي يوم لا يَنفعهم كَيدهم لك، ولا يَدْفع عنهم شيئًا من عذاب الله ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ أي لا يُنقذهم أحد من هذا العذاب، ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني: وإنّ لهؤلاء المُشرِكين عذابًا يَلقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة (من القتل والأسر وغير ذلك، كما حدث في بدر، وكما حدث في المَجاعة التي أصابتهم سبع سنوات)، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يَعلمون ما أعَدَّه الله لهم من العذاب، ﴿وَاصْبِرْ﴾ أيها الرسول ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي اصبر لأمْره لك بإبلاغ رسالته والصبر على أذاهم، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي تحت بَصَرِنا وتحت رعايتنا، نَراكَ ونَحفظك مِن كَيدهم، (وفي الآية إثباتٌ لصفة العينين لله تعالى على الوجه الذي يَليق به، دونَ تشبيهٍ بخلقه، إذ هو سبحانه ليس كمثله شيء)، واعلم أنّ لفظ "أَعْيُنِنَا" قد جاء هنا بصيغة الجمع للتعظيم، كما يقول الأمير أو الحاكم في خطابه: (أمَرنا نحن بكذا

www.alukah.net

وكذا)، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي حينَ تقوم إلى الصلاة، والمعنى: واستعِن على هذا الصبر بالصلاة (المشتملة – في ركعاتها – على التسبيح والحمد، وكذلك في الأذكار التي بعدها)، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صَلِّ له من الليل، وسَبِّح بحمده (في أذكار المساء)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري –: (مَن قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرة: غُفِرَتْ ذنوبه ولو كانت مِثل زَبَد البحر) (وفي رواية عند الترمذي أنه يقول ذلك صباحاً ومساءً) (واعلم أنّ زَبَد البحر هي الرَغوةً الطافية فوق سطح البحر)، ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ يعني: وافعل ذلك أيضاً وقت صلاة الفجر (عند ذهاب النجوم من السماء)، وهذا يَشمل صلاة الفجر وأذكار الصباح.

♦ ويُحتمَل أن يكون المقصود مِن قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، أي حينَ تقوم من نومك، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري –: (مَن تَعارَّ مِن الليل – أي استيقظ أو أصابه قلق – فقال حين يستيقظ: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله)، ثم قال: (اللهم اغفر لي)، أو دَعا: استُجِيبَ له، فإنْ قامَ فتوضأ ثم صَلَّى: قُبِلَتْ صلاته).

♦ ويُحتمَل أيضاً أن يكون المقصود من قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي حينَ تقوم مِن مَجلسك (فقد قال صلى الله عليه وسلم: "مَن جَلَسَ في مَجلس فكَثُرَ فيه لَغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألاّ إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفِرَ له ما كان في مَجلسه ذاك" (انظر حديث رقم: **6192** في صحيح الجامع).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة النجم كاملة

- من الآية 1 إلى الآية 10: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالنجوم إذا غابت بعد طلوعها)، ويُحتمَل أن يكون المَعنى: (والنجمِ إذا سَقطَ ساجداً لله تعالى)، لأن الهَوِيّ هو السقوط، ويُطلَق أيضاً على النزول سريعاً للسجود، فقد ثَبَتَ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يَهوِي ساجداً، وقد قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾: أي ما ضَلَّ محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهداية والحق ﴿وَمَا غَوَى﴾ يعني: وما خَرَجَ عن العِلم والرَشاد، بل هو في غاية الاستقامة والسَداد، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ يعني: وليس نُطقه صادرًا عن هوى نفسه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي ما القرآن والسُنَّة – اللذيْن يَنطق بهما – إلا وحيٌ يوحيه اللهُ إليه، وقد ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾: أي عَلَّمَ محمدًا صلى الله عليه وسلم مَلَكٌ شديد القوة ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو مَنظر حَسَن (وهو جبريل عليه السلام) ﴿فَاسْتَوَى﴾ أي ظَهَرَ جبريل واستقر ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ (وهو أفق الشمس عند مَطلعها)، وذلك حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم – على صورته الحقيقية – جالساً بين السماء والأرض، وهو يَسُدّ الأفق إلى مَغرب الشمس، (سبحان الله، فكيفَ بعظَمة خالقه سبحانه؟!)، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ أي: ثم اقترب جبريل من الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿فَتَدَلَّى﴾ أي زادَ في القُرب – نازلاً مِن عُلُوّه في الأفق – إلى النبي صلى الله عليه وسلم على الأرض ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ يعني فأصبحَ قُربه منه مِقدار طُول قوسين، بل أقل من ذلك (واعلم أن القوس هو السلاح الذي يُرمَى به السهم)، ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ يعني فحينئذٍ أوحى اللهُ إلى عبده جبريل ما أوحاهُ جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، (واعلم أن قوله تعالى: ﴿مَا أَوْحَى﴾ فيه إشارة إلى تعظيم هذا الوحي، أي: أوحى إليه شيئاً عظيماً).

- من الآية 11 إلى الآية 18: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أي ما كَذَّبَ قلبُ النبي محمد ما رآه بصره (مِن آيات ربه في تلك الليلة، ومِن خِلقة جبريل الحقيقية ذات الستمائة جناح، كما ثَبَتَ ذلك في الصحيحين)، والمقصود مِن أن القلب لم يُكَذِّب البصر: أن القلب تيَقَّنَ أنّ البصر قد رآهُ حقيقةً ولم يكن مُجرد خِداع)، ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾؟! يعني أتجادلونه أيها المُشرِكون على ما يَراهُ من آيات ربه – ومِن ذلك رؤيته لجبريل عليه السلام – وأنتم تعلمون أنه الصادق الأمين؟!، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ يعني: ولقد رأى محمدٌ صلى الله عليه وسلم جبريلَ على صورته الحقيقية مرةً أخرى (ليلة الإسراء والمعراج) ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ (وهي شجرة "نَبْق") التي فوق السماء السابعة، والتي يَنتهي إليها ما تَصعد به الملائكة من أعمال أهل الأرض، و﴿عِنْدَهَا﴾ أي عند هذه الشجرة: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ التي وَعَدَ اللهُ المتقين أن يسكنوها.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ أي يُغطِّي الشجرة – من الحُسن والجمال والنور والألوان – ما لا يستطيع بَشَرٌ أن يَصِفه، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾: أي ما ذَهَبَ بصر النبي صلى الله عليه وسلم يمينًا ولا شمالاً – وهو في السماء السابعة – ولم يَرتفع بصره عن الحد الذي أُمِر برؤيته، ﴿لَقَدْ رَأَى﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ الدالة على قدرة الله وعظمته (كجبريل عليه السلام والجنة والنار، وغير ذلك من عجائب خلق الله تعالى وعظيم قدرته).

- من الآية 19 إلى الآية 26: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾ أيها المُشركون هذه الأصنام التي تعبدونها: ﴿اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ (هل نَفَعَتكم بشيء أو ضَرَّتكم بشيء حتى تجعلوها شركاء لله تعالى؟!).

♦ واعلم أنهم كانوا يُسَمُّون هذه الأصنام بأسماء الإناث، ويَشتقون أسماءها من أسماء الله تعالى، فالعُزَّى قد اشتقوها مِن (العزيز)، واللات مِن (الله)، ومَناة من (المَنَّان)، ثم زعموا أنها تماثيل للملائكة – التي جعلوها بناتٍ لله تعالى – كذباً وافتراءً عليه سبحانه، فرَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾؟! يعني أتجعلون لكم الذَّكَر الذي ترضونه، وتجعلون لله الأنثى

www.alukah.net

التي لا ترضونها لأنفسكم؟! ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي قِسمة ظالمة، (واعلم أن هذا من باب التوبيخ والاستهزاء بحُكمهم الباطل، وإلاّ فإنه سبحانه مُبَرَّأ عن أن يكون له ولد (ذكراً كان أو أنثى)، لأنه رَبُّ كل شيء ومَالكه والغني عنه، فما الحاجةُ إذاً إلى الولد؟!)، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ﴾ يعني ما هذه الأصنام إلا أسماء لا مَعاني لها، وقد ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ آلهةً ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ جهلاً منكم وضَلالاً، إذ إطلاقكم لفظ (إله) على صَنَم لا يَجعله إلهاً، و﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي لم يُنَزِّل الله بشأنها حُجَّة تدل على أنها تستحق العبادة أو أنها تُقَرِّبكم إليه كما تزعمون.

♦ ثم قال الله لرسوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي ما يَتبعون في ذلك إلا الظن الناتج عن التقليد الأعمى للآباء، واتّباع الأهواء المنحرفة عن الفطرة السليمة، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ﴾ - على لسان نبيّهم - ﴿الْهُدَى﴾ أي ما فيه هدايتهم وصَلاحهم وسعادتهم، فلم ينتفعوا به، ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾؟! أي ليس للإنسان ما تمنّاه من شفاعة هذه المعبودات أو غيرها مما تهواه نفسه بغير إذنٍ من الله تعالى، ﴿فَلِلَّهِ الْآَخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أي: فلله وحده الأمر في الدنيا والآخرة، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يعني: وكثير من الملائكة في السماوات - مع علوّ مَنزلتهم - ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾: أي لا تنفع شفاعتهم شيئًا عند ربهم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالشفاعة، ﴿وَيَرْضَى﴾ عن المشفوع له من أهل التوحيد.

- من الآية 27 إلى الآية 30: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ﴾ - مِن مُشركي العرب - ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾ أي يُسمُّون الملائكة تسمية الإناث؛ لاعتقادهم جهلاً أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله تعالى، ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: أي ليس لهم بذلك مِن علمٍ صحيح يُصَدِّق ما قالوه، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ أي ما يتبعون في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ الناتج عن التخمين واتّباع الآباء بغير دليل، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: يعني إنّ الظن لا يَكفي عن العلم ولا يُغني عنه (والمطلوب في العقيدة: العلم وليس الظن)، ﴿فَأَعْرِضْ﴾ أيها الرسول ﴿عَنْ مَنْ تَوَلَّى﴾ أي أعرَضَ ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ وهو القرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (لأنه قد رأى - بظنه الباطل - أنّ إيمانه بالقرآن سوف يَمنعه من شهواته الرخيصة وأهوائه الفاسدة، ففضَّل الدنيا الفانية على الآخرة الباقية)، ﴿ذَلِكَ﴾ - الذي هم عليه مِن طلب الدنيا - هو ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي هو مُنتهى عِلمهم وغايتهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أيها الرسول ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي ضَلَّ عن الإسلام (الذي هو طريق الهدى والرشاد)، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ أي اتَّبع طريق الإسلام، المُوصل به إلى الجنة.

- الآية 31، والآية 32: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ - مُلكًا وتدبيرًا وتصَرُّفاً - فهو سبحانه يَهدي من يشاء (بفضله ورحمته)، ويُضِلّ من يشاء (بعدله وحكمته) ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي ليُعاقب الذي أساءوا بما عملوا من الشرك والمعاصي ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ - وهم المُحسنونَ في عبادة ربهم والمُحسنونَ في معاملة خَلقه - فيَجزيهم سبحانه ﴿بِالْحُسْنَى﴾ وهي الجنة، ومِن صفاتهم أنهم: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ أي يَجتنبون كبائر ما نَهَى الله عنه (كالشِرك والظلم وأكل الحرام ونَقض العهد والكذب والغيبة)، وما قَبُح من أنواع المعاصي (كالزنى)، ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ (وهي الذنوب الصِغار التي لا يُصِرُّ عليها صاحبها، أو يُلِمُّ بها نادراً دونَ تعمد ثم يتوب منها)، فهذه الصغائر - مع الإتيان بالواجبات وترْك المُحَرَّمات وكثرة الاستغفار - يَغفرها الله لهم ويَسترها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ إذ مَغفرته سبحانه تشمل كل ذنب (صغيراً كانَ أو كبيراً) طالما أنّ فاعله قد تابَ منه، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي هو سبحانه أعلم بأحوالكم وضَعفكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي هو أعلم بكم حين خَلَقَ أباكم آدم مِن تراب الأرض ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ أي: وحِينَ كنتم أجنَّة (والأجِنَّة جمع جَنين) ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا تشهدوا لها بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي، وتَصِفُوها بالتقوى (على

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سبيل الفخر والإعجاب)، لأن الإعجاب بالنفس مُحبِط للعمل كالرياء، و(هُوَ) سبحانه (أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) أي هو أعلم بمَن اتقى عقابه فاجتنب مَعاصيه (إذاً فلا داعي إلى ذِكر ذلك منكم، فإنه سبحانه لن يُنقِصكم مِن أجوركم شيئاً).

- من الآية 33 إلى الآية 55: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى): يعني أرأيت - أيها الرسول - هذا الرجل الذي أعرَضَ عن طاعة ربه (وَأَعْطَى قَلِيلًا) مِن ماله للمحتاجين (وَأَكْدَى) أي: ثم توقف عن العطاء وقطَعَ مَعروفه؟! (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ) بأنّ ماله سوف يَنتهي إذا أنفق منه في سبيل الله (فَهُوَ يَرَى) ذلك الغيب ببصره؟! ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف بسبب بُخله، (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى)؟ يعني أم لم يُخبِره أحد بما جاء في التوراةِ وصُحُف إبراهيم الذي وفَّى كل ما أمَرَه الله به، وبلَّغ رسالته كاملة؟!

♦ ثم بَيَّنَ سبحانه بعض ما تضمنته تلك الصُحُف مِن عِلمٍ فقال: (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى): أي لا تؤاخَذ نفسٌ بذنب غيرها (إلا إذا كانت سبباً في إضلالها، ولم تَتُب عن ذلك الإضلال)، (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى): أي لا يُجازَى الإنسان إلا بما كَسَبه هو بسَعْيه من الخير والشر (ومِن ذلك أيضاً: ما دَلَّ عليه الناس أثناء حياته)، (وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) أي سوف يَرى اللهُ سَعْيَه في الآخرة - وهو أعلم به - وإنما هذا لإقامة الحُجَّة عليه، (ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) أي: ثم يُجزَى الإنسانُ - على سَعْيه - الجزاء الكامل بالعدل، (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) يعني إليه سبحانه يَنتهي مصير الخلائق يوم القيامة، كما قال تعالى في سورة الانشقاق: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)، (وَأَنَّهُ) سبحانه (هُوَ أَضْحَكَ) مَن شاء مِن عباده (وَأَبْكَى) مَن شاءَ منهم، (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ) أي أماتَ مَن أرادَ موته مِن خلقه (وَأَحْيَا) مَن أراد حياته منهم (فهو سبحانه المتفرِّد بالإحياء والإماتة، المُستحِق وحده للعبادة)، (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ) أي النوعين: (الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) - من الإنسان والحيوان - (مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) أي مِن نطفة مَنِيّ تُصَبُّ في الرَحِم، (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى) أي عليه سبحانه إعادة خَلقه بعد موتهم (وهي النشأة الأخرى يوم القيامة)، لأنه هو الذي ابتدأ خَلْقهم (وإعادة الشيء كما كان، أسهل مِن إيجاده أول مرة)، (وَأَنَّهُ) سبحانه (هُوَ أَغْنَى) يعني أغنَى بعض خلقه بما يَكفي لسد حاجتهم، (وَأَقْنَى) يعني: وأقنَى آخرين (أي أعطاهم مالاً كثيراً فوق حاجاتهم، فاقتنوه اقتناءً وادِّخاراً)، (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) (والشِعرَى هو نجم مُضيء، كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله تعالى)، (وَأَنَّهُ) سبحانه (أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى) (وهم قوم هود) (وَثَمُودَ) (وهم قوم صالح) (فَمَا أَبْقَى) يعني فلم يُبْقِ منهم أحدًا، (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ) يعني: وأهلك سبحانه قوم نوح قَبل عاد وثمود (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى) أي كانوا أشد تمردًا وأعظم كفرًا ممن جاء بعدهم، (وَالْمُؤْتَفِكَةَ) وهي مُدُن قوم لوط (أَهْوَى) أي أسقطها سبحانه من السماء بعد أن قلَبَ بلادهم، وجعل عالِيَها سافلها (فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) أي فألبَسَها من الحجارة شيئاً عظيماً (وذلك برَجْمها من السماء)، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) يعني: فبأيِّ نِعَم ربك عليك أيها الإنسان المُكَذِّب تَشُك، حتى تعبد غيره وتُكَذِّب آياته؟!

- من الآية 56 إلى الآية 62: (هَذَا) أي محمد صلى الله عليه وسلم (نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى) أي هو مُنذِرٌ بالحق الذي أنذَرَ به الأنبياء قبله (فإنّ جميع الرُسُل قد دَعَتْ أقوامها إلى التوحيد، وأخبرتهم بحقيقة البعث بعد الموت، وخوَّفتهم من الشِرك والعصيان)، (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) أي اقتربت القيامة القريبة (وإن استبعدوها)، فإنّ كل آتٍ قريب، (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ): أي لا تستطيع نفسٌ أن تكشفها (أي تَدفعها إذا جاءت)، ولا تستطيع نفسٌ أن تكشف وقت مَجيئها، إذ لا يَعلم ذلك إلا الله وحده، (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ)؟! يعني أفمِن هذا القرآن تَعجبون - أيها المُشركون - مِن أن يكون صحيحًا؟! (وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ)؟! يعني: وتضحكون منه سخرية واستهزاءً، ولا تبكون خوفًا مِن وعيده؟! (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) أي غافلون مُعرِضونَ عنه؟! (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ) وحده - فهو الذي خَلَقكم ورزَقكم - (وَاعْبُدُوا) أي أخلِصوا له العبادة، واخضعوا مُنقادينَ لأمره.

****

www.alukah.net

- من الآية 1 إلى الآية 5: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ التي تقوم فيها القيامة (إذ إنها آتيةٌ لا مَحالة، وكل آتٍ قريب)، ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾: أي انفلق القمر فلقتين (وذلك حين طَلَبَ كفار مكة من النبي صلى الله عليه وسلم أن يُريهم آية، فدعا اللهَ تعالى، فشَقَّ اللهُ القمرَ فلقتين، فكانت كل فلقة منهما في مكان، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (اشهدوا)) (والحديث في الصحيحين)، ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ تدل على صِدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَيَقُولُوا﴾ - في عِنادٍ واستكبار - بعد ظهور الحق: هذا ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ أي سِحرٌ مارٌّ ذاهب زائل عَمَّا قريب (وهذا مأخوذ مِن قولهم: مَرَّ الشيء واستمَرّ، إذا ذهَبَ وزال)، ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ - في هذا التكذيب - ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ لا عقولهم، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ يعني: وكلُّ أمْرٍ - خيراً كانَ أو شراً - جزاؤه مُستقِرٌ بأهله في الجنة أو في النار (وفي هذا تهديدٌ لهم)، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي جاءهم من أخبار الأمم المُكَذِّبة برُسُلها - وما أصابهم من العذاب - ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي ما فيه كفاية لِيَنتهوا عن كُفرهم وضَلالهم، ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ يعني: وهذه الأخبار التي جاءتهم فيها حكمةٌ بالغة - أي عبرة عظيمة - لمن أراد أن يتعظ بها، ولكنْ ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾؟! يعني فماذا تنفع الإنذارات إذا جاءت لقومٍ أعرَضوا عنها واتَّبعوا أهوائهم وما تدعوهم إليه أنفسهم؟!

♦ ومِن لطيف ما يُذكَر أن أحد علماء المسلمين كان في أحد المؤتمرات، فسُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، فقال الشيخ: (إنّ هذه مُعجزة حدثتْ للنبي صلى الله عليه وسلم منذ ألف وأربعمائة عام).

♦ وهنا قامَ شاب "بريطاني"، فاستأذن الشيخَ في الكلام، ثم قال - ما مُختصَره -: (إن هذه الآية كانت سبباً في إسلامي، إذ كنتُ أبحث عن الدين الصحيح، ففتحتُ المُصحف "المُترجَم" لأقرأ فيه، فوقعتْ عيني على قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، فقلتُ في نفسي: (كيف يُمكن للقمر أن يَنشق؟!)، يقول: (فصَدَّتني هذه الآية عن القراءة)، ثم قال: (ولكنْ لأنّ الله يَعلم صِدقي في طلب الوصول إلى الحقيقة، فقد أجلَسَني ربي أمام أحد "البرامج" في "التِلفاز"، وكان يدور حول الأموال الطائلة التي تُنفَق في "رحلات الفضاء"، وكان المُذيع يَصرخ في علماء الفضاء قائلاً: (كيف تنفقون مائة مِليار دولار مِن أجل أن تضعوا عَلَم "أمريكا" في الفضاء؟!)، فقال له أحدهم: (ليس الأمر كذلك، ولكننا كنا نَبحث التركيب الداخلي لسطح القمر، فاكتشفنا شيئاً عجيباً، وهو وجود حِزام من "الصخور المتحولة" يُطَوِّق القمر مِن أوّله إلى آخره، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان هذا القمر قد انشق في يومٍ من الأيام ثم التحم مرة أخرى، فنَتَجَتْ هذه "الصخور المتحولة" بسبب الاصطدام أثناء الالتحام)، فقفز هذا الشاب مِن مَجلسه وقال: (مُعجزة حدثت لمحمد عليه الصلاة والسلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام في قلب الصحراء، يُسَخّر الله "الأمريكيين" لِيُنفقوا مليارات الدولارات حتى يُثبِتوها، واللهِ إنّ هذا هو الدين الحق، وشَرَحَ الله صدري للإسلام).

- الآية 6، والآية 7، والآية 8: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ يعني أعرِض أيها الرسول عن هؤلاء المُعانِدين ولا تلتفت إلى تكذيبهم، وانتظِر بهم يومًا عظيمًا (وهو يوم القيامة) ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ أي: يوم يدعو المَلَك "إسرافيل" بنفخِهِ في "البُوق" ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ يعني إلى أمْرٍ فظيع، وهو الوقوف أمام المَلِك الجبار للحساب، وتراهم يومئذٍ ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ أي أبصارهم ذليلة ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ - في انتشارهم وسُرعتهم - ﴿جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في الآفاق، وتراهم ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾: أي مُسرعينَ إلى ما دُعُوا إليه، و﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: يعني هذا يومٌ عسير، صعب، شديد الهَول والحَرّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- من الآية 9 إلى الآية 17: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ - أي قبل مُشركي مكة - ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا ﴿وَقَالُوا﴾ عنه: ﴿مَجْنُونٌ﴾ لا يدري ما يقول، ﴿وَازْدُجِرَ﴾: أي نَهَروهُ مُتوعدينَ إياه بأنواع الأذى (إنْ لم يَنته عن دَعْوته)، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ يعني إني ضعيفٌ عن مقاومة هؤلاء الظالمين، ﴿فَانْتَصِرْ﴾ أي انتصِر لي يا رب بعقابٍ مِن عندك على شِركهم بك، فاستجبنا دعاءه، ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أي بمَطَرٍ كثير مُتدفق (كالسيول الجارفة)، ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي شَققنا الأرضَ فأصبحت عيونًا متفجرة بالماء، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي التقى ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾: أي اجتمع الماءَان على أمْر إهلاكهم (الذي قدَّره اللهُ لهم)، ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي حَمَلنا نوحًا - ومَن معه من المؤمنين وأصناف الكائنات - ﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾: أي على سفينةٍ ذات ألواح ومَسامير (لتربط الألواح ببعضها)، فكانت ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي تحت بَصَرنا وتحت حِفظنا ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ يعني: وقد أغرقنا المُكَذِّبين انتصارًا لنَبيِّنا نوح الذي كُفِرَ بنُبُوّته (أي كَفَرَ قومه بنُبُوّته) ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾: أي جعلنا قصة نوح عبرة وعِظة على إهلاك المُشرِكين وإنجاء المُوَحِّدين، وكذلك تَرَكنا السفينة على جبل الجُودي لتكون آيةً للناس على قدرتنا ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾؟ يعني فهل مِن مُتَّعِظ يَتعظ بما حدث لهم (فيُوَحِّد ربه ويُطيعه)؟ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: يعني فكيف كان عذابي ونُذُري - أي عاقبة تكذيب إنذاري - لمَن كَفَرَ بتوحيدي وكَذَّبَ رُسُلي؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحِفظ، وسَهَّلْنا مَعانيه للفهم والتدبر - لمَن أراد أن يَتذكر ويَعتبر - ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾؟ يعني فهل مِن مُتعِّظ بالقرآن، فيَعمل بما فيه (ليَنجو من النار ويَسعد في الجنة)؟، (واعلم أنّ هذه الجملة قد أعادَ اللهُ ذِكرها في هذه السورة للحثّ على الاستكثار من تلاوة القرآن وتدَبُّره وتعليمه والعمل به، وللتنبيه على أهمية الاتعاظ بإهلاك اللهِ تعالى للأمم العاصية رغم قوتها، حتى يتوب العبد توبةً نصوحاً خوفاً مِن عقاب ربه)، واعلم أيضاً أنّ لفظ "مُدَّكِر" أصله "مُتذكِّر"، ولكنْ أُدغِمَت التاء في الذال فصارت (مُدَّكِر).

- من الآية 18 إلى الآية 22: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ أي كَذَّبتْ قبيلة عادٍ رسولَهم هودًا فعاقَبناهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟ يعني ألم يكن عذابي بهم واقعاً مَوقعه؟ والجواب: بَلَى، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي ريحًا شديدة البرودة، ذاتَ صوتٍ شديد ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ أي في يوم شؤمٍ لهم، مُستمرٌ عليهم بالعذاب والهلاك، فكانت هذه الريح الشديدة ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ أي تقتلع الناس مِن أماكنهم على الأرض، فترمي بهم على رؤوسهم، فتكسر أعناقهم، وتفصل رؤوسهم عن أجسادهم، حتى صاروا ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ - لطُول أجسامهم - ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ أي كنَخلٍ مُنقلِع من جذوره، ساقط على الأرض، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟ يعني فكيف كان عذابي وعاقبة تكذيب إنذاري، لمَن عَصاني وكَذَّبَ رُسُلي؟ لقد كان شديداً مُهلِكاً، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحِفظ، وسَهَّلْنا مَعانيه للفَهم والتدبر - لمَن أراد أن يَتذكر ويَعتبر - ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾؟ يعني فهل مِن مُتعِّظ بالقرآن؟

- من الآية 23 إلى الآية 32: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ أي كَذّبوا بالتحذيرات التي أنذَرَهم بها رسولهم صالح بسبب شِركهم، ﴿فَقَالُوا﴾ - في استكبار -: ﴿أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ ونحن جماعة كثيرة؟! ﴿إِنَّا إِذًا﴾ - يعني إنْ اتَّبعناه - ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ أي سنَكون في بُعْدٍ عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي جنون، ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾؟ يعني هل أُنزِل عليه الوحي واختَصّه اللهُ بالنُبُوّة مِن بيننا، وهو ليس أكبَرنا سِنّا ولا أشرَفنا نَسَباً؟! ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي كثير الكذب والتجَبُّر (إذ تجرّأ أن يقول إنّ اللهَ أرسله إلينا)، ثم قال تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب بهم ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾: أي سيعلمون مَنِ هو الكذاب الجبار المتكبر (صالح أم هُم؟)، ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾ أي سنُخرج لهم الناقة التي طلبوها من الصخرة ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾ أي اختبارًا لهم (هل

www.alukah.net

يؤمنون بها أو يكفرون؟)، ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ أي انتظر يا صالح وراقِب ما سيَصنعونه بها، وانتظر ما سيَصنعه اللهُ بهم إذا ذَبَحوها، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على دعوتك لهم وأذاهم لك ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ يعني أخبِرهم أنّ ماء بئرهم مقسومٌ بين قومك وبين الناقة: (يومٌ لهم ويومٌ للناقة)، ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ يعني كل نصيب من الماء: ﴿مُحْتَضَرٌ﴾ أي يَحضره مَن كانت قسمته ويومه (إما ثمود وإما الناقة)، ويُمنَع من الحضور مَن ليس يومه.

♦ فاستمَرُّوا على ذلك فترة من الزمن، ولكنهم مَلُّوا هذه القِسمة، وعَزَموا على قتل الناقةِ ظُلماً وعُدواناً ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ (وهو أشقى رجل في القبيلة، وهو الذي قال اللهُ عنه: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾)، فحَرَّضوهُ على ذَبْحها ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ أي: فتناول السيف، فذَبَح الناقة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟ يعني فكيف كان عذابي وعاقبة تكذيب إنذاري، لِمَن كَذَّبَ بآياتي الواضحة وتكَبَّرَ عن الانقياد لها؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: يعني إنا أرسلنا عليهم جبريلَ عليه السلام، فصاح بهم صيحة واحدة فهَلَكوا عن آخرهم، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾: أي صاروا – بعد هَلاكهم – كالزرع اليابس المتكسر (الذي يُستَخدَم في بناء حظيرة المواشي)، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحِفظ، وسَهَّلْنا مَعانيه للفهم والتدبر – لمن أراد أن يتذكر ويَعتبر – ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾؟ يعني فهل مِن مُتعِّظ بالقرآن؟

– من الآية **33** إلى الآية **40**: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾: أي كذَّبوا بآيات الله التي أنذَرهم بها رسولهم لوط، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي أرسلنا عليهم حجارةً من السماء ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ (وهُم أتباعه المؤمنون)، فقد ﴿نَجَّيْنَاهُمْ﴾ مِن هذا العذاب ﴿بِسَحَرٍ﴾ أي في آخر الليل (وقت السحور)، وقد كان هذا الإنجاء ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ بسبب إيمانهم وشُكرهم لنِعَمنا، و﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ يعني: وبمِثل ذلك الإنعام نَجزي مَن شَكَرَنا بالإيمان والطاعة، ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ يعني: ولقد خَوَّفَهم لوطٌ بعقوبتنا إن لم يؤمنوا وينتهوا عن المعاصي ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ يعني فلم يَسمعوا له، بل شكُّوا في إنذاره لهم وكذَّبوه، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أي طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة بضيوفه من الملائكة ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أي: فأعميناهم حتى لا يَصلوا إلى الملائكة، وقيل لهم: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾ أي جاءهم في صباح الغد: ﴿عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ أي عذابٌ استقر فيهم، فلم يُفارقهم حتى هَلَكوا (وهو رَجْمهم بالحجارة وقَلْب قُراهم)، وقال اللهُ لهم: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم، وعاقبة تكذيب إنذاري الذي أنذركم به رسولكم، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحِفظ، وسَهَّلْنا مَعانيه للفهم والتدبر – لمن أراد أن يتذكر ويعتبر – ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾؟ يعني فهل مِن مُتعِّظ به؟

– الآية **41**، والآية **42**: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ أي جاءَ قومَ فرعون إنذارُنا لهم بالعقوبة على كُفرهم (على يد هارون وموسى)، ولكنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ وهي الآيات التسع – الدالة على وحدانية الله تعالى وصِدق نُبُوَّة موسى وهارون – ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾: أي عاقبناهم بالغرق، عقوبةَ عزيزٍ لا يُغلَب، ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ على فِعل ما يشاء، في الوقت الذي يشاء.

– من الآية **43** إلى الآية **48**: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ – يا مَعشر قريش – ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ المُكَذّبين الهالكين ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾؟! يعني أم لكم براءةٌ مِن عقاب الله مكتوبةٌ في الكتب المُنَزَّلة على الأنبياء؟! ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾: يعني بل يقول كفار "مكة": نحن جماعة مُنتصرة لا يَغلبنا مَن أرادنا بسوء (لأننا أصحابُ حَزمٍ وقوة ورأيٍ صائب)، ثم قال اللهُ لهم – في تحدٍ باهر –: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾: أي سوف يُهزَم جَمْع كفار "مكة" أمام المؤمنين، ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أي: وسوف يَفِرُّون من المؤمنين، (وقد حقق الله ذلك الوعد يوم "بدر"، رغم قلة المؤمنين وكثرة المشركين)، ﴿بَلِ السَّاعَةُ﴾ التي تقوم فيها القيامة هي ﴿مَوْعِدُهُمْ﴾ الأكبر (الذي يُجازَون فيه بما يَستحقون)، ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ أي عذابها أعظم وأشد قسوة من العذاب الذي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أصابهم يوم بدر، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين أجرَموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي في نارٍ مُستعِرة – أي مُوقَدة – يوم القيامة ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾، ويُقال لهم – تأنيباً –: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي ذوقوا شدة عذاب جهنم وحرارتها.

♦ واعلم أن السُعُر يُطلَق أيضاً على الجنون، أي هُم في جنون أصابهم من شدة العذاب (فأنساهم كل نعيم مَرَّ بهم)، فكما ثَبَتَ في صحيح مسلم – عن النبي صلى الله عليه وسلم – أنه يؤتَى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض من أهل النار، فيُغمَس غمسة في نار جهنم، ثم يقال له: (هل ذقتَ نعيماً قط؟)، فيقول: (لا والله ما ذقتُ نعيماً قط).

– من الآية 49 إلى الآية 55: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي خَلَقنا كل شيءٍ بتقديرٍ قدَّرناه في اللوح المحفوظ، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ يعني: وما أمْرنا للشيء – إذا أردناه – إلا أن نقول قولة واحدة، وهي "كُن"، فيكونُ ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ أي لا يتأخر طرفة عين، (فكذلك يكون البعث يوم القيامة)، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم السابقة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾؟ يعني فهل مِن مُتعِّظ بما نزل بهم من العذاب فيؤمن ويُطيع؟، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ يعني: وكل شيء فَعَله أشباهكم السابقون: مكتوبٌ في الزُبُر (وهي الكُتُب التي كَتَبَتها الحَفَظة عليهم)، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من أعمالهم ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ أي مُسَطَّر في صحائفهم، وسيُجزَون به يوم القيامة، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ – الذين خافوا عذابَ ربهم في الدنيا – سيَكونون يوم القيامة ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي في حدائق جميلة المَنظر، ﴿وَنَهَرٍ﴾ أي أنهار جارية، تجري خلال تلك الحدائق والقصور ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي في مَجلس حق، لا يُسمَع فيه كلامٌ باطل، ولا يَأثم فيه أحد (وهو الجنة) ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ أي في جوار المَلِك العظيم، ذي المُلك والسلطان، المقتدر الذي لا يُعجزه شيء.

****

www.alukah.net

- من الآية 1 إلى الآية 13: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ (الذي وَسِعَت رحمته الدنيا والآخرة) ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي علَّم مَن شاءَ مِن عباده القرآن (بتيسير تلاوته وحفظه وفَهْم مَعانيه)، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ليَعبده وحده ولا يُشرك به، ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أي علَّمه التعبير عمَّا في نفسه - تمييزًا له عن غيره - ليَشكر نعمه ويَنقاد لأمره.

♦ ثم ذَكَرَ سبحانه بعض مَظاهر قدرته وعَدله وإنعامه على خلقه، للاستدلال بذلك على استحقاقه وحده لعبادتهم، وعلى قدرته على بَعْثهم بعد موتهم، فقال: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي يَدوران في فلَكَيهما بحسابٍ مُتقَن لا يَختلف ولا يَضطرب، ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (فمَخلوقات السماوات ومخلوقات الأرض تعرف ربها سبحانه وتعالى وتسجد له، وتخضع لِمَا سَخرَّها له مِن مصالح عباده)، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ بقدرته العظيمة من غير أعمدة، ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أي شَرَعَ لكم العدل، وألهَمَكم بصُنع آلته (وهو الميزان)، مِن أجل ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أي حتى لا تعتدوا وتخونوا مَن وَزَنتم له، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾: أي لا تُنقِصوا الميزان إذا وَزَنتم للناس (كل هذا إنعامٌ مِن رحمات الرحمن، ودليلٌ على شدة عناية الله بالعدل بين عباده)، ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي وَضَعَها ومَهَّدها ليَستقر عليها الخلق، ﴿فِيهَا﴾ أي في الأرض ﴿فَاكِهَةٌ﴾ كثيرة ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ يعني: وفيها النخل ذات الأوعية التي يَخرج منها الثمر، (ولَعَلّ الله تعالى خَصَّ التمر من بين باقي الفواكه لمَكانته عند العرب وكثرة فوائده)، ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ يعني: وفيها الحب ذو القِشر - مِثل القمح والأرز والشعير - رِزقًا لكم ولأنعامكم، ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ يعني: وفيها كل نبات طيّب الرائحة (مِثل نبات الريحان وغيره)، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - يا مَعشر الجن والإنس - تكذِّبان، وهي كثيرة لا تُعَدّ ولا تُحصَى؟!، (وما أحسن ما قاله الجن حين تَلا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة، فكلما مَرَّ بهذه الآية، قالوا: "ولا بشيءٍ مِن آلائك ربَّنا نُكَذِّب، فلك الحمد"، وهكذا يَنبغي للعبد إذا تُلِيَتْ عليه نعم الله تعالى، أن يُقِرَّ بها، ويَشكره عليها).

♦ ولَعَلّ الله تعالى قد كَرَّرَ هذه الآية في سورة "الرحمن" تقريراً لعباده بنعمه عليهم، لتذكيرهم بها (وذلك لكثرة غفلتهم عن شُكرها وتعلق قلوبهم بالدنيا)، فإنّ مِن عادة العرب: تكرار الكلام لتأكيده، إذ كانوا يقولون: (ما تَكَرَّر: تَقَرَّر)، ولذلك كُرّرَت الآيات لتأكيد نعم الله على الإنس والجن، فالاستفهام في هذه الآية أسلوبٌ للتقرير وعدم الإنكار.

♦ والذي يَتتبع هذه الآية الكريمة، يُلاحِظ أن الله تعالى قد كَرَّرها ثماني مرات عَقِب آياتٍ فيها ذِكر عجائب خَلقه، وبداية هذا الخلق ونهايته، ثم كَرَّرها سبع مرات - عَقِب آياتٍ فيها ذِكر النار وشدائدها - بعدد أبواب جهنم، ثم كَرَّرها ثماني مرات - في وَصْف الجنتَين وأهلهما - بعدد أبواب الجنة، وكَرَّرها كذلك ثماني مرات في الجنتَين اللتين أقل درجةً من الجنتَين السابقتَين، ولَعَلّ في ذلك إشارة إلى أنّ الذي يَتعظ بالثمانية الأولى (التي تدل على قدرة الله ووحدانيته وعظمته)، فاتّقَى عذابَ ربه (بطاعته واجتناب معصيته)، استحق هاتين الثمانيتَين من الله تعالى (وهي الجنة)، ووقاه السبعة السابقة بفضله وكَرَمه (وهي النار)، والله أعلم.

- من الآية 14 إلى الآية 18: ﴿خَلَقَ﴾ سبحانه ﴿الْإِنْسَانَ﴾ - والمقصود به هنا آدم عليه السلام (أبو البَشَر) - إذ خَلَقه اللهُ ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ أي مِن طين يابس كالفَخّار (إذا نُقِر عليه: سُمِعَ له صوت)، ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ أي مِن لهب النار المُختلَط بعضه ببعض (وهو اللهب الأحمر والأصفر والأزرق)، إذ أصل كلمة "المارج": المروج، وهو الاختلاط، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أي خَلَطهما، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - يا معشر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الجن والإنس – تكذِّبان؟!، هو سبحانه ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ أي مُدَبِّر أمْر الشمس في مَشرقَيها ومَغربَيها (في الصيف والشتاء)، فدَبَّرَ سبحانه ذلك كله وسَخَّره لمصالح العباد، ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما الدينية والدنيوية تكذِّبان يا مَعشر الجن والإنس؟!

– من الآية 19 إلى الآية 25: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي خَلَطَ سبحانه البحرين – العذب والمالح – فجعَلهما ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ يعني يَجريان معاً في مكانٍ واحد، ولكنْ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي حاجز، فـ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ أي لا يَطغى أحدهما على الآخر، فيَذهب بخصائصه ويُفسده، بل يَبقى العذب عذبًا، والمالح مالحًا (رغم اختلاطهما)، ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – الظاهرة والباطنة – تكذِّبان؟! ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ – أي مِن البحرَين – ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الذي يَتزين به نساؤكم، (واعلم أنه قد تم حديثاً العثور على اللؤلؤ والمرجان في بعض الأنهار العذبة في ضواحي "ويلز واسكتلاندا")، ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما تكذِّبان؟!، ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (والجَواري هي السُفن الجارية، والأعلام هي الجبال)، والمعنى: إنّ من آيات الله تعالى هذه السفن الضخمة، التي تجري في البحر مِثل الجبال، فهو سبحانه الذي عَلَّمَ نوحاً عليه السلام كيفية صُنعها، وهو وحده الذي له التصرف فيها وهي في البحر (إذ هو الذي سَخَّرَ البحر لِيَحملها – رغم ثِقَلها – لمنافع العباد، وهو القادر على إغراقها بالرياح وقتما يشاء)، ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – يا مَعشر الجن والإنس – تكذِّبان؟!

– من الآية 26 إلى الآية 30: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ يعني: كل مَن على الأرض – مِن الخَلق – هالك ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي تبقى ذاته سبحانه (لأنّ بقاء وجهه سبحانه يَستلزم بقاء ذاته كلها، لأنه سبحانه الحي الذي لا يموت)، وهو ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي ذو العَظَمة والكَرَم، (وفي الآية إثباتٌ لصفة الوجه لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله، دونَ تشبيهٍ بخلقه)، (وفي الآية أيضاً دليل على فناء كل شيء إلا اللهَ تعالى وما وَرَدَ الدليل بعدم فنائه، وهم ثمانية أشياء: (العرش والكرسي، والنار والجنة، واللوح والقلم والأرواح، وعُجب الذَنَب (وهو الجزء الذي يَتبقى من الإنسان بعد موته ولا يتحلل)، ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ (ولَعَلّ المقصود بالنعمة هنا – عند ذِكر الموت – هو تذكير المؤمنين من الإنس والجن بنعمة الإراحة من التكاليف والعبادات للتنعم في روضات الجنات)، ﴿يَسْأَلُهُ﴾ سبحانه ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يَطلبون منه أن يَقضي لهم جميع حوائجهم (كالرزق والصحة والأولاد ومَغفرة الذنوب، والإعانة على التوبة النصوح وحُسن العبادة)، وكذلك تسأله الملائكة أن يَغفر ذنوب الذين تابوا وآمنوا، فلا غِنَى لأحدٍ منهم عنه سبحانه، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (إذ يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُحيي ويميت، ويُعطي ويَمْنع بحسب عدله التام وحِكمته البالغة)، ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – الظاهرة والباطنة – تكذِّبان؟!

– من الآية 31 إلى الآية 36: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: أي سنأتي لحسابكم ومُجازاتكم بأعمالكم ﴿أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ يعني يا أيها الإنس والجن (فنُعاقب أهل المعاصي، ونُكافئ أهل الطاعات) ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – الدينية والدنيوية – تكذِّبان؟! ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ يعني إن قَدَرْتم أن تهربوا مِن البعث والجزاء – مِن نَواحي السماوات والأرض – فافعلوا، ولكنكم ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي لن تقدروا على ذلك إلا بقوةٍ قاهرة غالبة (وكيف لكم ذلك وأنتم لا تملكون لأنفسكم نفعًا ولا ضرًا؟!، وفي هذا تعجيزٌ لهم) ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما تكذِّبان؟!

www.alukah.net

♦ فإن أردتم الفرار مِن حُكمي فيكم يوم القيامة - على سبيل الفرض - فحينئذٍ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ يعني يُرْسَل عليكما لهبٌ من نار، ونحاس مُذاب - أي قد ذابَ مِن شدة غليانه - يُصَبُّ على رؤوسكم ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ أي فحينئذٍ لا يَنصر بعضكم بعضًا من عذاب الله، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما تكذِّبان؟!

- من الآية 37 إلى الآية 45: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي فصارت حمراء كلَون الورد أو الزيت المغلي (وذلك من شدة الأمر وصعوبته يوم القيامة)، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - يا مَعشر الجن والإنس - تكذِّبان؟! ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ يعني: ففي ذلك اليوم لا تَسأل الملائكةُ مُجرِمي الإنس والجن عن ذنوبهم، (ويُحتمَل أن يكون المقصود من قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ﴾ أي لا يُسأل أحدٌ أن يُحمَل عنه ذنبه، فيكون ذلك مِثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، أي لا يسأله أن يَحمل عنه ذنبه، واللهُ أعلم)، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - الظاهرة والباطنة - تكذِّبان؟!، ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي تَعرِفهم الملائكةُ بعلاماتهم يوم القيامة (مِثل اسوداد وجوههم وغير ذلك) ﴿فَيُؤْخَذُ﴾ المُجرم ﴿بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾: أي تَضُم الملائكة مُقدمة رأسه مع أقدامه، فترميه في النار، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - يا مَعشر الجن والإنس - تكذِّبان؟!، ويُقال يومئذٍ: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي التي كانوا يُكذِّبون بها في الدنيا ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ يعني: مَرةً يُعذَّبون في الجحيم، ومَرةً يُسقون من الحميم المغلي (وهو شرابٌ شديد الحرارة، يشوي الوجوه ويقطِّع الأمعاء) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ (ولَعَلّ المقصود بالنعمة هنا - في آيات وصف العذاب - هو التذكير بنعمة العدل بين العباد، وجزاء الظالمينَ المُفسِدين بما يَستحقون يوم القيامة).

- من الآية 46 إلى الآية 61: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ يعني: ولمَن خافَ الوقوف بين يدي اللهِ تعالى يوم القيامة، فأطاعه وترَكَ مَعاصيه، فهذا المُتقي له في الجنة حديقتان عظيمتان تُحيطان بقصره، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - الدينية والدنيوية - تكذِّبان؟، وهاتان الحديقتان ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أي لهما أغصان مَملوءة بأوراق الشجر، ومَملوءة بالثمار ذات الألوان الجميلة، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - يا مَعشر الجن والإنس - تكذِّبان؟!، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ يعني: في هاتين الحديقتين عَينان من الماء (تجريان خلال أشجارهما)، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - الدينية والدنيوية - تكذِّبان؟!، ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ يعني: في هاتين الحديقتين صِنفان من الفواكه، (وقد قيل إن المقصود بهذين الصِنفين: الرَّطِب (مِثل العنب) واليابس (مِثل اللوز)، وقيل أيضاً: نوعٌ معروف - أي موجود في فاكهة الدنيا - والآخر غير معروف، واللهُ أعلم)، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - الظاهرة والباطنة - تكذِّبان؟

♦ ويَجلس المتقون في الجنة ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: أي متكئين على فُرُش (مُبطَّنة من الحرير الغليظ)، ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ يعني: وثمر أشجار الجنتين قريبٌ منهم (إذ يَقطفونه بسهولة وهم جالسون) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما تكذِّبان؟!، ﴿فِيهِنَّ﴾ أي في هذه الفُرُش: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: أي نساءٌ لا تنظر إحداهنّ إلى غير زوجها، ولا يَنظر زوجها إلى غيرها (مِن شدة حُسنها وجمالها) (سواء النساء المؤمنات أو الحُور العِين)، فقلوبهم وأبصارهم متعلقة بأزواجهم من شدة الحب، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي لم يُجامعهنّ ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ﴾ أي قَبل أهل الجنة ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - يا مَعشر الجن والإنس - تكذِّبان؟!، ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ يعني كأنّ نساء الجنة - في بياضهنّ وجمالهنّ -: (الياقوتُ والمَرْجانُ)، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يعني فبأي نِعَم ربكما - الدينية والدنيوية -

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تكذِّبان؟!، (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)؟ يعني: هل جزاء مَن أحسن بعمله في الدنيا إلا الإحسان إليه بهذا النعيم في الآخرة؟، (ووالله إنّ هذه الآية لَتُعَلِّم العبدَ مراقبة الله تعالى في كل أموره، فيَعبد ربه كأنه يراه، حتى يَجد عنده يوم القيامة – من الثواب – ما يُقال له بسببه: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟))، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ (ولَعَلّ المقصود بالنعمة هنا – في آيات وصف النعيم – هو تذكير المؤمنين برحمة ربهم وإحسانه بهم، إذ هو سبحانه الذي وفقهم لطاعته وحَبَّبها إليهم، وأنعَمَ عليهم بمغفرة ذنوبهم وقبول توبتهم (بعد أن رَزَقهم الصبر والثبات عليها)، كما أنعَمَ عليهم بمضاعفة أجورهم – من عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف – ثم أنعَمَ عليهم بالخلود الأبدي في ذلك النعيم بغير حساب).

– من الآية 62 إلى الآية 78: (وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) يعني: وأدنَى من الحديقتين السابقتين في الدرجة: حديقتان أُخرَتان (بحسب أعمال العباد)، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – الدينية والدنيوية – تكذِّبان؟!، (مُدْهَامَّتَانِ) يعني: هاتان الجنتان خَضراوتان، قد اشتدَّت خُضرتهما حتى مالت إلى السواد، (وهذا اللون الجميل يُلاحِظه الإنسان – في الدنيا – إذا نظر إلى الزروع والأشجار وقت غروب الشمس)، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – يا مَعشر الجن والإنس – تكذِّبان؟ (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) يعني: في هاتين الجنتين عَينان فوَّارتان بالماء لا تنقطعان، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – الدينية والدنيوية – تكذِّبان؟!، (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ) مِن مُختلَف أنواع الفواكه (وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) (ولَعَلّ هاتَين الثمرتَين قد ذُكِرَتا بصفةٍ خاصة، لإظهار فضلهما ومَنافعهما)، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – الظاهرة والباطنة – تكذِّبان؟!، (فِيهِنَّ) أي في هذه الجنات الأربعة: (خَيْرَاتٌ) أي زوجاتٌ طيّبات الأخلاق (لا تؤذي زوجها)، (حِسَانٌ) أي شديدات الحُسن والجمال، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – الدينية والدنيوية – تكذِّبان؟!، (حُورٌ) أي بيض الأجساد (مَقْصُورَاتٌ) أي مَستوراتٌ مَصُونات (فِي الْخِيَامِ) (وهي خيام من اللؤلؤ المُجَوَّف، طولها سِتّون مِيلاً، كما ثَبَتَ ذلك في صحيح مسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم)، واعلم أن هذه الخيمة تكون في مكان مُعَيَّن بداخل القصر، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – يا مَعشر الجن والإنس – تكذِّبان؟!، (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) أي لم يُجامعهنّ (إِنْسٌ قَبْلَهُمْ) أي قبل أزواجهنّ مِن أهل الجنة (وَلَا جَانٌّ) (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – الدينية والدنيوية – تكذِّبان؟!، (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ) أي متكئين على وسائد (خُضْرٍ) أي خضراء اللون، وقد قيل: (إنّ الرَفرف هو شيءٌ إذا استوى عليه صاحبه: رَفرَفَ به، أي طارَ به حيثما يريد، يَتلذذ به مع أنيسته)، (وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) يعني: وفُرُش جميلة المنظر، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ يعني فبأي نِعَم ربكما – الظاهرة والباطنة – تكذِّبان؟!، (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ): أي كَثُرَتْ بركات اسم ربك الرحمن، وكَثُرَ خيره وفضله، فهو سبحانه (ذِي الْجَلَالِ) أي ذي العَظَمَة الباهرة، والمَجد الكامل (وَالْإِكْرَامِ) لأوليائه المتقين.

****

www.alukah.net

تفسير سورة الواقعة كاملة

- من الآية 1 إلى الآية 26: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني إذا قامت القيامة: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾: أي لا تستطيع نفسٌ أن تُكَذِّب بها وقت قيامها، وإنها ﴿خَافِضَةٌ﴾ لأعداء الله في النار، ﴿رَافِعَةٌ﴾ لأوليائه في الجنة، ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾: يعني إذا حُرِّكَت الأرض تحريكًا شديدًا ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ يعني: وفُتِّتت الجبال تفتيتًا دقيقًا ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾: أي فصارت غبارًا متطايرًا في الجو، ﴿وَكُنْتُمْ﴾ - أيها الخلق - ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أي أصنافًا ثلاثة: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: يعني فأصحابُ اليمين - وهم أهل المَنزلة العالية - ما أعظم مَكانتهم!، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: يعني وأصحابُ الشمال - وهم أهل المَنزلة الدنيئة - ما أسوأ حالهم!، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ يعني: والسابقونَ إلى الطاعات في الدنيا هم السابقونَ إلى الدرجات العالية في الجنة، ﴿أُولَئِكَ﴾ هم ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله تعالى في أعلى درجات الجنة، ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي في بساتين النعيم الدائم (التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين)، وإنّ هؤلاء السابقين ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي جماعة كثيرة مِن مُؤمِني الأمم السابقة، وأيضاً من المُسلمين الأوائل في هذه الأمّة (الذين سبقوا غيرهم إلى الجهاد والهجرة)، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآَخِرِينَ﴾ يعني: وقليلٌ مِن آخر هذه الأمة.

♦ ويَجلسون في الجنة ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ أي على سُرُر مَنسوجة بالذهب (والسُرُر جمع سرير) ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ أي يُقابل بعضهم بعضًا (وهم في غاية الحب والبهجة والسرور)، يَجمعهم مَجلس واحد يَتسامرونَ فيه على السُرُر، فإذا أرادوا الانصراف: تدورُ بهم السُرُر إلى قصورهم، و﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ - لخدمتهم في الجنة - ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ أي أطفال صغار لا يَشيبون ولا يموتون، فيَدورون عليهم في مَجالسهم ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ (والأباريق جمع إبريق، وهو الإناء الذي يُصَبّ منه الشراب و"العصائر")، ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ أي: ومعهم كؤوس مِن خمر، يأتونَ بها مِن عيون جارية في الجنة (كعيون الماء الجارية على الأرض) ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي لا تُصَدَّعُ منها رؤوس شاربيها ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي لا يُسكَرون بسببها، لأنها لا تَذهب بعقولهم كخمر الدنيا، (واعلم أن الله تعالى قد شَبَّه العقل - الذي يَذهب بسبب الخمر - بالدم الذي يَنزِف من الجريح)، ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي يَختارونَ ما يشاؤون من الفواكه اللذيذة التي يطوف بها الخَدَم عليهم، ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (مِن كل أصناف الطيور التي ترغب فيها نفوسهم)، ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ يعني: ولهم زوجاتٌ جميلات، بِيض الوجوه، واسعات الأعين، (وهذا الوصف يشمل النساء المؤمنات والحور العين)، ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ يعني كأنّ هؤلاء النساء - في جمالهنّ وإشراقة وجوههنّ - لؤلؤ مُخبَّأ في أصدافه، لم تَمَسّه الأيدي، وقد كان هذا النعيم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (من الإيمان والتوبة والعمل الصالح)، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾: أي لا يَسمعون في الجنة كلاماً باطلاً ولا كلاماً يَتأثمون بسماعه (كالغيبة وغيرها)، حتى لا يَتكدر صفو نعيمهم، ولا تتنغص لذة حياتهم، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾: أي لكنهم يَسمعون قولاً سالمًا من الأذى، وكذلك يَسمعون تسليم بعضهم على بعض، وتسليم الملائكة عليهم.

- من الآية 27 إلى الآية 40: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ - وهم أهل المَنزلة العالية - ﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ يعني ما أعظم مكانتهم وجزاءهم! (إذ قلوبهم مليئةٌ بالسعادة، ووجوههم تَظهر عليها آثار النعيم وتملؤها الفرحة)، إنهم يَتنعمون ﴿فِي سِدْرٍ﴾: أي في شجر السِدْر، الذي يَخرج منه ثمرة النَبَق، التي هي أحلى من العسل وأنعم من الزبد، (واعلم أن شجر السدر فيه ثلاث مِيزات: ظل ظليل، وثمر لذيذ، ورائحة ذكية) ﴿مَخْضُودٍ﴾ أي لا شوك فيها كما في الدنيا، ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ يعني ومَوز متراكب بعضه على بعض ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ أي ظلٍّ دائم لا يزول ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ أي ماء جارٍ لا ينقطع ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ من مختلف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأصناف ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي لا تنقطع عنهم ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي لا يَمنعهم أحدٌ مِن أخْذها (بل كل ما يطلبونه يأخذونه)، ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ أي يَجلسون على فُرُشٍ جميلة مرفوعة على السُرُر (أو: مرفوعة عن الأرض ليتكئوا عليها)، ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾: يعني أنشأنا نساءَ الجنة – اللاتي يَجلسنَ على هذه الفُرُش – نشأةً غير النشأة التي كانت في الدنيا، (بحيثُ يَسعَد بها زوجها وتُسَرّ عينه برؤيتها، فلا يَنظر إلى غيرها) ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ ﴿عُرُبًا﴾ أي مُتَحَبِّبات إلى أزواجهن، إذ يُسمِعونهم أجمل الكلمات وأرَقّ الأصوات وأروع الضحكات، فيَتعلق قلب زوجها بها، ويَشتد حبه لها (حتى يكاد يطير من الفرحة وهو معها)، وقد جعلهنّ اللهُ ﴿أَتْرَابًا﴾ أي في سنٍّ واحدة (وهو سن أهل الجنة: ثلاث وثلاثين سنة) (انظر صحيح الترمذي ج: **682/4**)، وقد خلقناهنّ ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ وهُم ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي جماعة كثيرة من الأولين ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الْآَخِرِينَ﴾ يعني: وجماعة كثيرة من الآخرين (فهل مِن مُشَمِّرٍ للجنة، بالتوبة وصالح الأعمال، وكثرة الحمد والاستغفار؟).

– من الآية **41** إلى الآية **56**: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ – وهم أهل المَنزلة الدنيئة – ﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ يعني ما أسوأ حالهم وجزاءهم!، إنهم ﴿فِي سَمُومٍ﴾ أي في ريح شديدة الحرارة – تخرج من حَرِّ جهنم – فتَخنِق أنفاسهم وتَحرق جلودهم، ﴿وَحَمِيمٍ﴾ يعني: وماء مَغلي ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾: أي ظِل مِن دخان شديد السواد ﴿لَا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال، بل هو شديد السخونة، ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حَسَن المنظر، بل هو شديد القُبح، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أي كانوا في الدنيا مُتنعِّمينَ بالحرام، مُعرِضينَ عما جاءتهم به الرُسُل، لا يُتعِبون أنفسهم في طاعة الله تعالى وأداء تكاليفه، ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ أي كانوا يُقيمون على الشرك والمعاصي، ولا يَنوون التوبة منها، ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ﴾ – مُستبعِدينَ للبعث يوم القيامة –: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ أي سنُبعَث أحياءً من قبورنا، بعد أن تحَلَّلتْ عظامنا في تراب الأرض؟! ﴿أَوَآَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾؟! يعني أو يُبعَث آباؤنا الذين مضوا مِن قبلنا؟!، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآَخِرِينَ﴾ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ أي سيُجمَعون في يومٍ معلوم بوقتٍ مُحَدَّد (وهو يوم القيامة) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ ﴿لَآَكِلُونَ﴾ في نار جهنم ﴿مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾ التي ثَمرها غايةٌ في الحرارة، وغايةٌ في المَرارة، ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ من شدة الجوع (رغم أنها تغلي في حلوقكم وأمعاءكم) ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ يعني إنهم بعد الأكل من الزقوم يَعطشون، فيَشربون ماءً شديد الحرارة، لا يَروي ظمأهم، بل يَشوي وجوههم ويُقَطِّع أمعاءهم، ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾: أي فستَشربون منه بكثرة، كشُرب الإبل العطاش التي لا تَرْتوي بالماء – بسبب مَرَضٍ يصيبها – فيَظل حلقها دائماً شديد العَطَش، شديد الجَفاف، ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾: يعني هذا الذي يَلقونه من العذاب هو ما أُعِدَّ لهم من الضيافة يوم القيامة (واعلم أن كلمة "ضيافة" هنا تحمل توبيخاً لهم واستهزاءً بهم).

– من الآية **57** إلى الآية **62**: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أيها الناس ولم تكونوا شيئًا ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ يعني فهَلاَّ تصدِّقون بالبعث! (فإنّ الذي ابتدأ خَلْقكم قادرٌ أيضاً على بَعْثكم)، ثم ذكَرَ سبحانه بعض الأدلة على ذلك، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾؟ يعني أرأيتم المَنِيّ التي تضعونه في أرحام نسائكم؟ ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾؟! يعني هل أنتم الذين تخلقون ذلك بَشَرًا حياً؟! ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾؟! ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ أي قَدَّرناهُ عليكم، وكَتبنا لكل واحد منكم أجلاً مُحَدَّداً لا يتأخر عنه بحال، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ يعني: وما نحن بعاجزينَ عن إعادتكم أحياءً بعد موتكم، بل إننا قادرونَ أيضاً ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ أي نُبَدِّل ما أنتم عليه من الخَلق والصورة ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي نُوجِدكم في صِوَرٍ لا تعلمونها (وهذا تهديدٌ لهم بمَسخهم إلى أبشع الحيوانات وأقبحها)، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ يعني: ولقد علمتم أن اللهَ تعالى هو الذي أنشأكم النشأة الأولى ولم تكونوا شيئًا ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: يعني فهَلاَّ تتذكَّرون قدرة الله على إنشائكم مرة أخرى (فإن إعادة الشيء كما كان، أسهل مِن إيجاده أول مرة).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- من الآية 63 إلى الآية 67: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾؟ يعني أرأيتم الزرع الذي تضعون بذرته في الأرض؟ ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾؟! يعني هل أنتم الذين تُنبتونه في الأرض؟! ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ يعني بل نحن الذين نُنبته في الأرض ونُخرج منه الورق والحب والثمر، و﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أي لَجعلنا ذلك الزرع يابساً، لا يُنتفع به ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: يعني فأصبحتم - حينئذٍ - تتعجبون مما نزل بزرعكم، وتقولون: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي خَسرنا ما أنفقناه على هذا الحَرث ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ من الرزق.

- من الآية 68 إلى الآية 70: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾؟ أي الذي تشربونه لتحيَوا به؟ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ أي مِن السحاب؟! ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾: يعني بل نحن الذين أنزلناه رحمة بكم، و﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ﴾ أي لَجعلنا هذا الماء ﴿أُجَاجًا﴾ أي شديد الملوحة (لا يُنتفع به في شُربٍ ولا زرع)، ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ يعني فهَلاَّ تشكرون ربكم على إنزال الماء العذب لنَفعِكم، فتوَحِّدوه وتطيعوا أمْره!

- من الآية 71 إلى الآية 74: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي التي توقدونها؟، ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾؟! يعني أأنتم الذين خلقتم شجرتها التي تُقدَح منها النار (مِثل شجر "الزِند والمَرْخ والعَفار والكَلْخ")؟! ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾: يعني بل نحن الخالقونَ لتلك الأشجار، (فالذي أوجد النار في الشجر الرَطب بالماء، قادرٌ على أن يبعثكم أحياءً بعد موتكم ليُحاسبكم)، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي جعلنا نار الدنيا تذكيرًا لكم بنار جهنم، لتتقوا عذاب ربكم بالإيمان والتوبة والعمل الصالح، ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ يعني: وجَعَلنا النار لِيَنتفع بها المُسافرون (بالتدفئة والإضاءة ونُضج الطعام)، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: أي فنَزِّه - أيها النبي - اسم ربك العظيم، نافياً عنه الشريك والولد وكل ما لا يليق بجلاله وعظمته، قائلاً بلسانك وبقلبك: (سبحان ربي العظيم)، إذ هو سبحانه كامل الأسماء والصفات، كثير الخير والإحسان، وأما غيره فلم يَخلق شيئاً ولم يُنعِم بشيء، فكيف يَعبدونهم من دون الله تعالى؟!

- من الآية 75 إلى الآية 82: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾: يعني أُقسِم بمواقع النجوم، (إذ هذا مِثل قول القائل مُهدداً: (أنا لن أقسم، ولكنْ لو لم تفعل كذا: سوف يَحدث كذا)، وهذا تأكيدٌ للقسم)، فأقسَمَ سبحانه بسقوط النجوم في مغاربها (أو بالمواقع التي يَمُرّ بها النجم) - ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي عظيمٌ في قَدْره (لو كنتم مِن أهل العلم)، ثم أخبر سبحانه عن جواب القَسَم (وهو الشيء الذي يُقسِم اللهُ عليه)، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: يعني إنّ هذا القرآن - الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم - لَقرآنٌ عظيمُ المنافع، كثير الخير، غزير العلم، يدعو إلى كريم الأخلاق، وهو مكتوبٌ ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ أي في كتاب مَصُون مستور عن أعين الخلق، وهو اللوح المحفوظ (وذلك على الراجح من أقوال العلماء) ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾: أي لا يَمسُّ اللوح المحفوظ إلا الملائكة الكِرام (الذين طهَّرهم الله من الذنوب والعيوب)، وهذا القرآن الكريم ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مِن رب الخلائق أجمعين، ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾؟! يعني أفبهذا القرآن العظيم أنتم مُكَذِّبونَ أيها المُشركون؟!، ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ يعني: وتجعلون شُكركم لنعم الله عليكم - وأعظمها القرآن - أنكم تكذِّبون بها وتكفرون؟!

- من الآية 83 إلى الآية 96: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾: يعني فهَلّا تستطيعون - إذا وصلت روحُ أحدكم إلى حَلقه عند موته ﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ يعني: وأنتم حضورٌ تنظرون إليه - أن تمسكوا روحه في جسده؟! لن تستطيعوا ذلك، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ بملائكتنا (مَلَك الموت وأعوانه)، ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني: ولكنكم لا ترونهم، ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: يعني فهل تستطيعون - إن كنتم غير مُحاسَبين ولا مَجزيين بأعمالكم -: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾؟! أي تعيدون الروح إلى الجسد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في أنكم غير مُجازين بعد الموت؟!، لن ترجعوها (إذاً فاعلموا أنّ الذي أخَذَها قهراً مِن جَسَدها، قد أخَذَها لحكمةٍ عظيمة، وهي بَعْثها بعد موتها لتُجازَى على أعمالها، وإلاّ لَبَقِيَتْ الأرواح في الأجساد، إذ لا فائدة مِن انتزاعها منها بعد وَضْعها فيها إلا حِكمةُ نَقْلها إلى حياةٍ ثانية، لتُجازَى فيها على ما عملتْ في الحياة الأولى).

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ) أي المَيّت (مِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (وهم السابقون، المذكورون في أول السورة): (فَرَوْحٌ): أي فله عند موته راحة من عناء الدنيا، وفرحة غامرة تغمر قلبه وروحه (عندما يُبَشَّر بالجنة)، (وَرَيْحَانٌ) أي له رائحةٌ ذكية طيبة ورِزقٌ حَسَن، (وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) في الآخرة (إذ فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر)، (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) (وهم أقل درجةً من السابقين المُقرَّبين): (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) يعني فيُقال له: سلامةٌ لك وأمْنٌ (لأنك من أصحاب اليمين)، (أو لَعَلّ المقصود: أنّ إخوانه الذين سَبَقوه مِن أصحاب اليمين يُسَلِّمون عليه ويُحَيّونه عند وصوله إليهم ولقائه بهم)، (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ) بالبعث، (الضَّالِّينَ) عن الهدى: (فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ): أي فله ضِيافة مِن شراب جهنم المَغلي (وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ): يعني وله نارٌ يُحرَق بها، ويُقاسي حَرّها، (إِنَّ هَذَا) الذي قصصناه عليك - أيها الرسول - (لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) الذي لا شك فيه، (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) أي نزِّه وقَدِّس اسمه العظيم، نافياً عنه ما يقوله الظالمون والمُفترون، قائلاً بلسانك وبقلبك: (سبحان ربي العظيم).

****

www.alukah.net

- من الآية 1 إلى الآية 6: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: نزَّهَتْ جميعُ الكائنات رَبَّها عن كل نَقصٍ وعَيب، (إذ مَعنى كلمة (سبحان الله) أنك تَنفي عن اللهِ تعالى كل ما لا يَليقُ بجلاله وعظمته وكماله)، (حتى الكفار، فإنهم - وإن لم يُسَبّحوا اللهَ بلسانهم - فإنهم يُسَبّحونه بحالهم، إذ يَشهدون بفِطرتهم أنّ اللهَ سبحانه هو الخالق القادر، ويَسجدونَ له بخضوعهم لأحكامه الجارية عليهم - مِن غِنىً وفقر، وصحةٍ ومرض، وسعادةٍ وشقاء - ولا يَقدرون أن يَرُدّوها) ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي الغالب الذي لا يَمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنعه وأحكامه وتدبير أمور خلقه، ﴿لَهُ﴾ سبحانه ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو المالك المتصرف في خلقه ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (فهو سبحانه المتفرِّد بالإحياء والإماتة، المُستحِق وحده للعبادة)، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فما شاءه كان، وما لم يَشأه لم يكن)، و﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ الذي ليس قبله شيء ﴿وَالْآَخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء (أي ليس شيءٌ أقرب إليه من شيءٍ آخر، بل هو سبحانه القريب مِن كل شيء - على حَدٍ سواء - بعلمه وإحاطته وقدرته وهو فوق عرشه) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يَخفَى عليه شيء، و﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ﴿ثُمَّ﴾ - بعد خَلْق السماوات والأرض -: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي عَلا وارتفع على عرشه (فوق جميع خَلْقه) استواءً يَليق بجلاله وعظمته (لا يُشبه استواء المخلوقين، لأنه سبحانه ليس كمِثله شيء).

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يعلم سبحانه كل ما يدخل في الأرض من الماء والبذور والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النباتات والمعادن والكنوز ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار والملائكة والكتب ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يعني: وما يَصعد إليها من الملائكة وأعمال الخلق، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿مَعَكُمْ﴾ - بعلمه وإحاطته - ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وسيجازيكم على أعمالكم، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهنّ (لا شريك له في الخلق والتدبير والعبادة والتشريع) ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: يعني وإليه سبحانه مَرجع الخلائق يوم القيامة للحساب والجزاء، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي يُدخِل ما يَنقص من ساعات الليل في ساعات النهار، ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي يُدخِل ما نَقَصَ من ساعات النهار في ساعات الليل، فيَطولُ هذا ويَقصُر ذاك ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي هو عليمٌ بكل ما تُخفِيهِ الصدور من النِيّات والخواطر، (فاحذروا أن يَطّلع عليكم وأنتم تخفون في صدوركم ما لا يُرضيه).

- الآية 7، والآية 8، والآية 9: ﴿آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يعني: يا مَن لم تؤمنوا بعد: آمِنوا بالله ورسوله، ويا مَن آمنتم: اثبُتوا على إيمانكم ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني: وأنفقوا من المال الذي رزقكم الله به واستخلفكم فيه - أي أورثكم إياه - بعد هلاك السابقين، ﴿فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ من مالهم في سبيل الله ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يوم القيامة، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾؟! يعني: وأيُّ شيءٍ يَمنعكم من الإيمان بوحدانية الله تعالى والعمل بشرعه، رغم وضوح الأدلة على ذلك - وأولها شعوركم الفِطري بأنّ الله هو خالقكم - ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ ليلاً ونهاراً ﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾؟! ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يعني: وقد أخذ اللهُ العهدَ منكم على ذلك التوحيد وأنتم في ظهر أبيكم آدم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني إن كنتم تريدون الإيمان: فآمِنوا قبل فوات الأوان، ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي دلائل واضحة من آيات القرآن وبراهينه ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ بذلك ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي مِن ظُلُمات الكفر إلى نور الإيمانِ، ومِن ظُلُمات الجهل إلى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نور العِلم، (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ): يعني إن الله تعالى – بإخراجه لكم من الظلمات إلى النور – لَيَرْحمكم رحمة واسعة، ويُجازيكم أحسن الجزاء (إن آمنتم بآياته ولم تتكبروا عن الانقياد لها).

– من الآية 10 إلى الآية 15: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا) أيها المؤمنون (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي في طُرُق الخير الموصلة إلى جنته – وأولها الجهاد في سبيل الله لتقويَة المسلمين وإضعافِ المُشركين – (وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؟! أي سوف يَرث سبحانه كلَّ ما فيهما بعد فناء الخلق، (ومِن ذلك: هذا المال الذي بأيديكم)، إذاً فأنفِقوا منه في سبيله، قبل أن يعود إليه دونَ أن تؤجَروا عليه، واعلموا أنه (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ): أي لا يتساوى في الأجر والثواب مَن أنفق منكم من قبل فتح "مكة" وقاتل الكفار (حين كان المالُ قليلاً، وحين كان المسلمون أقل عدداً وسلاحاً مما كانوا عليه بعد الفتح) (أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً) عند الله تعالى (مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ) أي من بعد الفتح (وَقَاتَلُوا) (وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) يعني: وكِلا الفريقين قد وعدهم الله بالجنة (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) لا يَخفى عليه إنفاقكم وقتالكم وجميع أعمالكم (ألاَ فاتقوه وامتثِلوا أمْره)، ثم رَغَّبهم سبحانه في الإنفاق بقوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) أي يُنفق إنفاقًا حسنًا (يعني من مال حلال – طالبًا للأجر من الله تعالى – مِن غير أن يَمُنّ على الفقير) (فَيُضَاعِفَهُ لَهُ) أي يُضاعِف له ربه أجر الصَدَقة إلى سبعمائة ضعف، (وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) وهو الجنة.

♦ واعلم أنّ اللهَ تعالى قد سَمَّى ذلك الإنفاق قرضًا؛ حَثّاً للنفوس على العَطاء؛ لأنّ المُقرِض مَتى عَلِمَ أنّ ماله كله سيعود إليه – مع مُضاعَفة حسناته وتكفير سيئاته – سَهُلَ عليه إخراجه، واعلم أيضاً أنّ مَجيء لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ فيه غاية الطَمَأنينة للمُنفِق؛ لأنه يَعلم أنّ قَرْضَهُ سيُعطيه لِغني كريمٍ قادر.

♦ وسوف يُعطي اللهُ المُنفقين ذلك الأجر يوم القيامة (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ) (الذي اكتسبوه بالإيمان والعمل الصالح)، فهذا النور يَتقدمهم ليُضيئ لهم الصراط المُظلِم (الذي يجتازونه إلى الجنة)، فيَمشي ذلك النور (بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) يعني مِن أمامهم يهديهم إلى طريق الجنة (وَبِأَيْمَانِهِمْ) أي يُحيط بهم النور من جميع جوانبهم (وإنما اقتصر سبحانه على ذِكر جهة اليمين على سبيل التشريف لتلك الجهة)، واعلم أنّ نورهم يكون على قدر أعمالهم، وتقول لهم الملائكة المُعَدّة لاستقبالهم: (بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي تجري الأنهار مِن خلال أشجارها وقصورها (خَالِدِينَ فِيهَا) لا تخرجون منها أبدًا، (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، ثم ذَكَرَ سبحانه حال المنافقين يوم القيامة بقوله: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا) – وهم على الصراط –: (انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ): أي انتظرونا نَستضِئ من نوركم لنستطيع المرور على الصراط في هذا الظلام، فـ(قِيلَ) أي يُقال لهم: (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ) أي ارجعوا إلى الدنيا (فَالْتَمِسُوا نُورًا) أي فاطلبوا نورًا بالإيمان والعمل الصالح (وذلك استهزاءً بهم)، (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ) أي فُصِلَ بين المؤمنين والمنافقين (بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) (بَاطِنُهُ) – أي مِن ناحية المؤمنين –: (فِيهِ الرَّحْمَةُ) وهي الجنة، (وَظَاهِرُهُ) – أي من ناحية المنافقين –: (مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) أي مِن جهته العذاب، (وذلك جزاءً لهم على إظهارهم الإيمان بألسنتهم، وإخفائهم الكفر في قلوبهم)، وحينئذٍ (يُنَادُونَهُمْ) أي يُنادِي المنافقون على المؤمنين قائلين: (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) في الدنيا، نؤدي العبادات مثلكم؟!، فـ(قَالُوا) أي قال لهم المؤمنون: (بَلَى) قد كنتم معنا في الظاهر (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) يعني أهلكتم أنفسكم بالنفاق والمعاصي، وأوقعتم أنفسكم في الفتن (وَتَرَبَّصْتُمْ) أي انتظرتم المصائب والموت بالنبي وبالمؤمنين، (وَارْتَبْتُمْ) أي شَكَكتم في دين الله تعالى (وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ) أي خدعتكم أمانِيكم الباطلة، وخَدَعكم طول الأمل بأن الموت بعيد وهو آتيكم لا مَحالة، وبَقيتم على ذلك (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ)

www.alukah.net

أي حتى جاءكم الموت ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي خدعكم الشيطان بإمهال الله لكم، فجرَّأكم على الاستمرار في الضلال، ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ أي لا يُقبل منكم شيءٌ تَفتدونَ به من العذاب ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (وهم الذين أعلنوا الكفر ولم يُخفوه مِثلكم)، ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي مَسكنكم جميعاً نارُ جهنم ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ يعني هي أوْلى بكم من كل منزل (لخُبث نفوسكم) ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يعني: وهي بئسَ المَرجعُ والمُقام.

- الآية 16، والآية 17: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني ألم يَحِن الوقت للمؤمنين - الذين أصابتهم الغفلة، فأكثَروا من المِزاح، وأكثَروا الكلامَ بغير ذِكر الله تعالى - ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾؟ أي تلين قلوبهم وترِقّ عند ذِكر الله وسماع القرآن، وعند ذِكر وعد الله ووعيده؟ ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ - في قسوة القلوب والغفلة - ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ - من اليهود والنصارى - ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي مِن قبل بعثة النبي محمد ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي فقد طالَ عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (لعدم وجود مَن يُذكِّرهم ويُرشدهم)، فبدَّلوا كلامَ الله تعالى ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ يعني: وأصبح أكثرهم خارجين عن طاعة الله وأمْره.

♦ ثم أخبر الله المؤمنين بأنه قادرٌ على إزالة تلك القسوة من القلوب، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (وذلك بإنزال المطر وإخراج النبات، فتصير حية بعد أن كانت مَيّتة)، فكذلك هو قادرٌ على إحياء القلوب الميّتة وتليينها بعد قسوتها (وذلك بالإكثار مِن ذكر الله تعالى، وكثرة التذكير بالوعد والوعيد)، (واعلم أنّ هذا الخطاب يَشمل أيضاً أهل الكتاب، فالله تعالى قادرٌ على إزالة تلك القسوة مِن قلوبهم، إنْ هم تابوا وآمَنوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم)، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على قدرتنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لتعقلوا هذه الآيات فتؤمنوا بها وتفعلوا ما ينفعكم في الدنيا والآخرة.

- الآية 18، والآية 19: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ أي المتصدقين من أموالهم والمتصدقات ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني وكانت صدقاتهم كالقرض الحَسَن (أي مِن مالٍ حلال، وقد أخرجوها طلباً لرضا ربهم وجنته، ولم يَمُنّوا بها على الفقير)، فأولئك ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ ثواب تلك الصدقات إلى سبعمائة ضِعف ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ولم يُفرِّقوا بين أحدٍ منهم في الإيمان ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ أي الذين كمُلَ تصديقهم بما جاءتهم به رُسُلهم (اعتقادًا وقولاً وعملاً)، ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ أي شُهداء المعارك في سبيل الله، هم الآن ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي في الجنة (إذ أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضر، تأكل من الجنة حيث شاءت)، و﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي لهم أجرهم الجزيل، ونورهم العظيم (وذلك يوم القيامة)، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (فلا أجْرَ لهم ولا نور)، بل يَحترقون في نار جهنم.

- الآية 20: ﴿اعْلَمُوا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ في غالب أحوالها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان ﴿وَزِينَةٌ﴾ تتزينون بها، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ بمتاعها الزائل، ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ أي تزايُد ﴿فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ والانشغال بذلك عن الآخرة، وهذه الدنيا - في سرعة زوالها -: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ أي كمَثَل مطر أعجب الزُّرَّاعَ نباته (أي النبات الذي خَرَجَ بسبب هذا المطر)، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي يَجِفّ ذلك الزرع ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خُضرته ونَضارته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ أي متكسِّرًا متفتتًا، (فكذلك تزول الدنيا سريعاً كسُرعة زَوال هذا الزرع بعد خُضرته)، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ للكفار ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأهل الإيمان ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ - لمن عمل لها ونسي آخرته - ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي متعة زائلة، فلا تغترُّوا بها.

♦ واعلم أن المقصود بكلمة (الْكُفَّار) المذكورة في الآية أي الزُّرَّاع، وهم الذين كفروا - أي غَطُّوا - بذرة الزرع بتراب الأرض، إذ الفعل (كَفَر) معناه في اللغة (غطَّى)، ولذلك سُمِّيَ الجاحدونَ كفاراً، لأنهم يُغطون الإيمان الذي خلقه الله في فِطرتهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 21: ﴿سَابِقُوا﴾ أي تسابَقوا - أيها الناس - في السَعي ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (وذلك التوبة النصوح والابتعاد عن المعاصي)، لتفوزوا بمغفرةٍ من ربكم ﴿وَجَنَّةٍ﴾ واسعة ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: أي هي مُعَدَّة للذين وحَّدوا اللهَ واتَّبَعوا رُسُله، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ إذ الجنة لا تُنال إلا برحمة الله وفضله (بسبب الإيمان والعمل الصالح) ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي ذو العطاء الكثير الواسع.

- الآية 22، والآية 23، والآية 24: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ يعني ما أصابَ أحدٌ مكروهاً قط (من الأمراض والجوع والموت وسائر الابتلاءات) ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾: يعني إلا هي مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخلَق الخليقة ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي سهلٌ عليه سبحانه لأنه على كل شيء قدير، وقد أخبَرَكم سبحانه بذلك ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾: يعني لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من حظوظ الدنيا (لأنكم تعلمون أنّ كل شيء مُقدَّر، وأنّ الآخرة خيرٌ وأبقى) ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ من النعم (فرحَ كِبر وغرور)، لأنكم تعلمون أنكم ما أدركتم تلك النعم بحَولكم وقوتكم، وإنما هو بفضل الله ورحمته، إذاً فاشتغِلوا بشُكر مَن أعطاكم النعم وصرَفَ عنكم البلاء، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ أي مُعجَبٌ بنفسه، متكبر على الخلق بنعم الله عليه، ﴿فَخُورٍ﴾ أي يَمدح نفسه على سبيل الفخر، فهذا الكِبر والفخر يَمنع المتكبرين من القيام بحقوق الله وحقوق الآخرين، ولهذا قال تعالى بعدها: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بتحسينه لهم، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ يعني: ومَن يُعرِض عن الإنفاق في سبيل الله فلن يضر إلا نفسه، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن صدقته، ﴿الْحَمِيدُ﴾ الذي يَستحق الحمد والثناء في كل حال، لِكثرة نِعَمِه على مخلوقاته.

- الآية 25: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالحُجج الواضحات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ أي أنزلنا عليهم الكتب - المتضمنة للأحكام والشرائع - فصارت معهم (أي يَحكمون بها بين الناس)، وشَرَعنا للناس الميزان (وهو العدل)، وألهَمناهم بصُنع آلته (وهو الميزان الذي يُوزَن به) ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾: أي ليتعامل الناس فيما بينهم بالعدل، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي فيه قوة شديدة، (والمقصود: آلات القتال، كالسَيف وغيره)، ﴿وَمَنَافِعُ﴾ كثيرة ﴿لِلنَّاسِ﴾ إذ مُعظم صناعاتهم معتمدة على الحديد، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ - علمًا ظاهرًا للخلق - ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ أي يَنصر دينه ورُسُله بآلات القتال (المصنوعة من هذا الحديد)، ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي يَنصرونه سبحانه وهم لا يرونه بأبصارهم في الدنيا، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي لا يحتاج إلى نُصرة أحد، وإنما طلب مِن عباده الجهاد لاختبار صِدق إيمانهم، ورفع درجاتهم في الجنة.

♦ والظاهر من قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أن الله تعالى أنزل الحديد من السماء، كما أنزل آدم وحواء من السماء.

- الآية 26، والآية 27: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قومهما ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أي جعلنا في ذريتهما الأنبياء والكتب المُنَزَّلة (إذ كل الأنبياء الذين جاءوا من بعدهما كانوا من ذريتهما، وكل الكتب التي نزلتْ بعدهما نزلتْ على ذريتهما)، ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ﴾ يعني: فمِن ذريتهما أُناسٌ مُهتدونَ إلى الحق، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي خارجونَ عن طاعة الله، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا﴾ أي: ثم أتبعنا - على مِنهاج نوح وإبراهيم - برُسُلنا الذين أرسلناهم بالآيات، ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي أتبعنا على مِنهاج أولئك الرُسل ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (وقد خُصَّ بالذِكر مِن بين الرُسل لتأخره عنهم في الزمان) ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أي الذين اتبعوا عيسى على دينه الحق - وهو توحيد الله تعالى - أولئك جَعَلَ الله في قلوبهم ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ فكانوا مُتوادِّين فيما بينهم، رُحماء بالناس، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ يعني: وقد ابتدعوا رَهبانية (بالغلوِّ في العبادة وعدم الزواج، وارتداء الثياب الخشنة، والانقطاع في الصوامع للتعبد)، ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي ما فرضنا عليهم تلك الرهبانية، لِما

www.alukah.net

فيها من التشديد، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ يعني: ولكنهم هم الذين ألزَموا أنفسهم بها، قاصدينَ بذلك رضا الله، مِن غير أن يَشرعها اللهُ لهم!!، ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: يعني فلم يلتزموا بما أوجبوه على أنفسهم من الطاعات، لأنهم شرعوا لأنفسهم ما يَشُقّ عليهم أن يلتزموا به ﴿فَآَتَيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم الذين ثبتوا على إيمانهم بالله ورُسُله وعبدوا اللهَ تعالى بما شرع، (ومِن ذلك: إيمانهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، المُبَشَّر به في كُتُبهم)، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي كثيرٌ منهم خارجونَ عن طاعة الله، مُكَذِّبون بنَبِيّه محمد صلى الله عليه وسلم.

- الآية 28، والآية 29: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ أي آمَنوا بعيسى وموسى عليهما السلام: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي خافوا عقابه ﴿وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم (المذكور عندكم في التوراة والإنجيل): ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (أي يُعطكم الله ضِعفين من الأجر - يعني أجراً مضاعفاً - مقابل إيمانكم بنبيّكم، ثم إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم) ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ أي تهتدون به، (إذ تعيشون في الدنيا على نور هداية الله تعالى، وفي الآخرة تمشون بهذا النور على الصراط) ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لعباده التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، حيث جعل التوبة نجاةً لهم من عذابه، وقد أعطاكم الله تعالى ذلك كله ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي ليَعلم أهل الكتاب - الذين رفضوا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم - ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: أي ليَعلموا أنهم لا يقدرون أن يَحصلوا على شيء مِن فضل الله تعالى (سواء يَكسبونه لأنفسهم أو يَمنحونه لغيرهم) إلا بإذنه (ومِن ذلك ادّعائهم كَذِباً بأنهم يَحملون "صك الغفران" لمن فعل المعاصي منهم!!)، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ﴾ كله ﴿بِيَدِ اللَّهِ﴾ وحده ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على خلقه.

♦ والظاهر أن المقصود من "الفضل" الذي لا يَقدر عليه أهل الكتاب: هو نعمة النُبُوّة والرسالة، لأنهم كانوا يريدون حَصْر النُبُوّة والرسالة في بني إسرائيل فقط، وكانوا يَرجون أن يكون النبي الخاتم مِن بني إسرائيل وليس مِن العرب، فجحدوا بنُبُوّة محمد صلى الله عليه وسلم، فلذلك ناداهم الله تعالى هنا بلفظ الإيمان، لتذكيرهم بأنهم أهل كتاب، وأنّ اللهَ قد أمَرَهم في كُتُبهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويَتّبعوه، وأنه يجب أن يكونوا أول المؤمنينَ به من الناس، لأنهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أصله (لأنْ لا يعلم)، ومَعناه: لكي يَعلم، و (لا) هنا تُسَمّى ("لا" الزائدة لتقوية الكلام وتأكيده)، فهي كقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعني أُقسِم بيوم القيامة.

****

تفسير سورة المجادلة كاملة

- الآية 1: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ) - مِن فوق سبع سماوات - (قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) (وهي المرأة التي جاءت تجادلك - أيها الرسول - في شأن زوجها الذي قال لها: (أنتِ عليَّ كظَهر أمي)، أي مُحَرَّمة عليّ كحُرمة أمي التي ولدتني، فلا أقرَبُكِ ولا تَحِلِّين لي) (وقد كان هذا القول يُعتبر طلاقًا في الجاهلية)، (وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) يعني: وهي تتضرع إلى الله تعالى لتفريج كُربتها، (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) - مِن عليائه - (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لكل قول، (بَصِيرٌ) بكل شيء.

♦ تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (تبارك الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأصوات، إنّ المرأة لَتُناجي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أسمَع بعض كلامها، ويَخفى عليَّ بعض، إذ أنزل اللهُ تبارك وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾).

- الآية 2: (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ) أي يُحَرِّمون زوجاتهم على أنفسهم كحُرمة أمهاتهم عليهم (وهو ما يُعرَف بالظِهار)، فهؤلاء قد عصوا الله تعالى بهذا الظِهار وخالَفوا شرعه.

♦ ثم أبطَلَ سبحانه هذا الظِهار - الذي يَظلم الزوجة - وبَيَّنَ أنها لا تصير أُمًّا بحال، فقال: (مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ) يعني: إنّ نسائهم لَسْنَ في الحقيقة أمهاتهم، إنما هُنّ زوجاتهم، و(إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ) يعني ما أمهاتهم (إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ) (وَإِنَّهُمْ) أي هؤلاء الأزواج المُظاهِرون (لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا): أي يقولون قولاً كاذبًا فظيعًا لا حقيقة له، ولا يؤخَذ به في الشرع، (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) أي يعفو عمَّن صَدَرَ منه بعض المُخالَفات - ويَغفر له ذنوبه - إذا تَدارَكها بالتوبة النصوح والاستغفار.

- الآية 3، والآية 4: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ) (وذلك بأن يقولوا لهنّ: (أنتِ عليَّ كظَهر أمي)، أي كحُرمتها) (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) أي يَعزمون على العودة للتي ظاهَروا منها (إذ كان الظِهار في الجاهلية طلاقاً)، فإذا رجع المُظاهرون منكم عن قولهم وعزموا على إتيان نسائهم: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) يعني: فعلى الزوج المُظاهِر أن يُخرِج كفارة الظِهار (وهي عِتق رقبة مؤمنة، عبداً كانَ أو جارية)، بشرط أن يَعتق الرقبة (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا): أي مِن قبل أن يُجامع زوجته التي حَرَّمها على نفسه، (ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ): يعني ذلك هو حُكم الله فيمَن ظاهَرَ مِن زوجته، وقد وَعَظكم الله - أي أمَرَكم - بعدم الوقوع فيه، وأوجب هذه الكفارة على مَن وقع فيه، لكي لا تعودوا إليه أبداً (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالكم، وسيُجازيكم عليها، (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) رقبة يُعتقها، أو لم يستطع دفع ثمنها: (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا) يعني: فعليه صيام شهرين متتاليين مِن قبل أن يُجامع زوجته، (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ) أن يصوم الشهرين لعُذر شرعي: (فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) يعني: فعليه أن يُطعم ستين مسكينًا بما يُشبعهم، (ذَلِكَ) الذي بيّنّاه لكم من أحكام الظِهار (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) وتعملوا بما شَرَعه الله لكم، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم، (إذ الإيمان بالله ورسوله: اعتقادٌ وقولٌ وعمل)، (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) يعني: تلك الأحكام هي أوامر الله وحدوده فلا تتجاوزوها، (وَلِلْكَافِرِينَ) - الذين يَجحدون شرائع الله وحدوده ويتعدونها - لهم (عَذَابٌ أَلِيمٌ) في نار جهنم.

- الآية 5، والآية 6: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أي يُعادونَ اللهَ ورسوله ويَكرهون شَرعه، أولئك (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي خُذِلوا وأُهينوا، كما خُذِل الذين خالَفوا أمر الله ورُسُله مِن قبلهم، فأذاقهم اللهُ عذابه وأذلّهم، (وقد ذَكَرَ سبحانه لفظ (كُبِتُوا) بصيغة الماضي - مع أن عقابهم وإذلالهم لم يأتِ بعد - لتحقق وقوع ذلك العقاب في عِلم الله تعالى، إذ هذا كقوله سبحانه: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ))، (وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) أي واضحاتٍ في الحُجَّة (تدل على أن شرع الله وحدوده حق)، (وَلِلْكَافِرِينَ) - الذين جحدوا آيات الله - لهم (عَذَابٌ مُهِينٌ) يوم القيامة (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا): أي يوم يُحيي الله جميع

www.alukah.net

الموتى ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ يوم القيامة، فقد ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أي حَفظه عليهم في صحائف أعمالهم ﴿وَنَسُوهُ﴾ (لانشغالهم بالدنيا الفانية)، فلم يتوبوا، ولم يستغفروا، ولم يندموا على ما ضاع من عُمْرهم في المعاصي فاستحقوا العقوبة، كما قال تعالى في سورة الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (إذ شَهِدَ سبحانه على أعمال عباده في الدنيا، وسيُجازيهم بها في الآخرة).

– الآية 7: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعني ألم تعلم أيها الرسول ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ولا يَخفى عليه شيء؟، فـ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني: ما يَتحدث ثلاثةٌ مِن خَلقه سرّاً إلا هو رابعهم بعلمه وإحاطته، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ (بعلمه وإحاطته)، ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ﴾ يعني: ولا أقلَّ من هذه الأعداد المذكورة ولا أكثر منها ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ بعِلمه ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (لا يَخفى عليه شيءٌ مِن أمرهم)، فيَرى مكانهم ويَسمع كلامهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ويُجازيهم عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (واعلم أن الله تعالى قد بدأ هذه الآيات بالعِلم وخَتَمَها بالعلم، ليُوَضِّح أنه سبحانه معهم بعِلمه وليس بذاته، إذ هو سبحانه قد أخبر عن نفسه قائلاً: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي عَلا وارتفع على العرش – استواءً يليق بجلاله – فوق السماء السابعة، وهذه آية مُحكَمة، يعني لا تَحتمل أكثر مِن مَعنى).

– الآية 8: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ – أيها الرسول – ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ (وهم اليهود والمنافقون الذين نَهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحديث سرًّا بما يُثير الشك في نفوس المؤمنين)، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: ثم يَرجعون إلى ما نُهُوا عنه ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي يتحدثون سرًّا بما هو إثمٌ من القول، وإيذاءٌ للمؤمنين، ومُخالفةٌ لأمر الرسول؟ ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يعني: وإذا جاءك – أيها الرسول – هؤلاء اليهود والمنافقون لأمر من الأمور: حَيَّوك بغير التحية التي شرعها الله لك، فقالوا: (السامُ عليك) أي الموت لك، واللهُ تعالى قد حَيَّى نبيّه بقوله: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: يعني هَلاَّ يُعاقبنا اللهُ بما نقول لمحمد (إن كان رسولاً حقّاً)، فرَدَّ اللهُ عليهم قائلاً: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾ أي تكفيهم جهنم يدخلونها ويُعانونَ من حَرِّها الشديد، ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: أي فجهنم هي بئس المَرجع والمُستقَرّ لهم.

– الآية 9: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ﴾ يعني إذا تحدثتم سرًا فيما بينكم: ﴿فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾: أي لا تتحدثوا بما فيه إثمٌ من القول، أو عُدوانٌ على غيركم، أو مُخالفةٌ لأمر رسولكم (كما يفعل اليهود والمنافقون) ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ يعني: ولكن تحدثوا بما فيه خيرٌ وطاعة وإحسان ومَصلحة للمسلمين، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه)، فإنكم راجعونَ إليه بعد موتكم.

– الآية 10: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: يعني إنما التحدث سراً بالإثم والعدوان هو من وسوسة الشيطان (إذ هو المُزَيِّن لها والمُشَجِّع عليها)، وقد فعل الشيطانُ ذلك ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: أي ليُدْخِل الحزن على قلوب المؤمنين (إذ كانَ يوسوس لهم بأنّ ذلك التناجي والكيد والتدبير سوف يَضُرّهم)، ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعني: وليس ذلك بمؤذي المؤمنين شيئًا إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته، ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ وحده ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي فليَعتمدوا عليه في كل أمورهم.

– الآية 11: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ يعني إذا طُلِب منكم أن يُوَسِّع بعضكم لبعضٍ في المجالس فأوسعوا: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي يُوَسِّع اللهُ لكم في الرزق، ويُوَسِّع لكم في قبوركم وفي غُرُفاتكم في الجنة، ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ يعني: وإذا طُلِب منكم أن تقوموا مِن مَجالسكم لأمرٍ فيه خيرٌ لكم وطاعةٌ لربكم فسارِعوا بالقيام له:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ أي لِيَرفع اللهُ مكانة المؤمنين المُطيعين منكم في الدنيا والآخرة ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ يعني: ويَرفع سبحانه أهل العلم منكم – أيها المؤمنون – درجات عالية في الجنة (لجَمْعهم بين الإيمان والعلم والعمل)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فاتقوه وسارِعوا إلى امتثال أمره، (وفي الآية إشارة إلى مكانة العلماء وفضلهم ورفع درجاتهم).

– الآية 12، والآية 13: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ هذا مَنسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ – بأنْ نَسَخَ ذلك الحُكم فضلاً منه ورحمة – ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، (لذلك لم أشأ أن أخوضَ في تفسير هاتين الآيتين).

– من الآية 14 إلى الآية 19: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ – أيها الرسول – ﴿إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهم المنافقون الذين اتخذوا اليهود أصدقاء وناصَروهم عليكم؟!، ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾: يعني أولئك المنافقون ليسوا في الحقيقة من المسلمين ولا من اليهود، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أي يَحلفون كذبًا أنهم مُسلمون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون فيما حَلَفوا عليه، أولئك ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لا يُطيقونه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي قَبُحَ ما كانوا يَعملونه من النفاق والحَلف الكاذب، وقد ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾: أي جعلوا حَلفهم الكاذب وقايةً لهم من قتل المسلمين لهم وأخْذ أموالهم بسبب كُفرهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي فصَدُّوا المؤمنين – بذلك الحَلِف الكاذب – عن سبيل الله (وهو جهادهم وتطهير صفوف المسلمين منهم)، إذ كانوا يوقعون العداوة بين المسلمين، ويُثيرون المَخاوف والشكوك في قلوبهم، حتى يَصدوهم عن سبيل الله وهو الإسلام، وهم مُختبئون تحت عَباءته ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي يُذِلّهم ويُهينهم في نار جهنم، وحينئذٍ ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لن تدفع عنهم أموالهم وأولادهم مِن عذاب اللهِ شيئًا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي اذكر أيها الرسول يوم يَبعث اللهُ هؤلاء المنافقين جميعاً يوم القيامة ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾: أي يَحلفون للهِ تعالى أنهم كانوا مؤمنين (مِثلما كانوا يَحلفون لكم أيها المؤمنون في الدنيا) ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ يعني: ويَعتقدون أنّ ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم في الدنيا عند المسلمين! ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي البالغونَ في الكذب حدًا لم يَبلغه غيرهم، وسبب ذلك أنه قد ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ أي غَلَبهم الشيطان واستولى عليهم، حتى تركوا أوامر الله وذِكره والعمل بطاعته، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ وأتْباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة.

– الآية 20: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي يُخالفون أوامر الله ورسوله ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾: أي في جُملة الأذِلّاء المغلوبينَ المُهانين في الدنيا والآخرة.

– الآية 21: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾: أي كَتَبَ اللهُ في اللوح المحفوظ، وقضى بأن النَصر له ولكتابه ولرُسُله وعباده المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يُقهَر، ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يُغلَب.

– الآية 22: ﴿لَا تَجِدُ﴾ – أيها الرسول – ﴿قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي يُصدِّقون بالله واليوم الآخر، ويَعملون بما شَرَعَ اللهُ لهم، فلا تجدهم أبداً ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي يُحبون ويُناصرون مَن عادَى اللهَ ورسوله وخالف أمْره وشرعه، فلا يَفعلون ذلك مع أحدٍ من الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (والعشيرة هم الأقرباء)، ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين يَنصرون دين الله ويُعادونَ أعدائه، قد ﴿كَتَبَ﴾ اللهُ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي ثَبَّتَ الإيمانَ في قلوبهم ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾

www.alukah.net

يعني وقوّاهم بنَصرٍ منه على عَدُوّهم في الدنيا، وقوَّاهم ببرهانٍ منه سبحانه (وهو حُجَج القرآن وأدلته الساطعة) ﴿وَيُدْخِلُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (والفرحة تملأ وجوههم)، وقد ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ – بسبب إيمانهم وطاعتهم – فلا يَغضب عليهم أبداً، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ يعني: وهُم قد رَضوا عن ربهم بما أعطاهم من الكَرامات ونعيم الجنات، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ وأولياؤه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزونَ بسعادة الدنيا والآخرة.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الحشر كاملة

- الآية 1: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نزَّهَتْ جميعُ المخلوقات رَبَّها عن كل نَقصٍ وعَيب، (إذ مَعنى كلمة (سبحان الله) أنك تَنفي عن اللهِ تعالى كل ما لا يَليقُ بجلاله وعظمته وكماله)، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يَمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الأشياء في مَواضعها.

- الآية 2: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي أخرج الجاحدينَ بنُبُوّة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (وهم يهود بني النَضير)، إذ أخرجهم سبحانه ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ - التي كانت حول "المدينة" - ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ أي لأول حَشْرٍ لهم، (والحَشر هو جَمْع الناس في مكان واحد)، والمقصود به هنا: حَشْر يهود جزيرة العرب إلى أرضٍ غيرها (أي جَمْعهم للخروج إلى أرضٍ أخرى)، وقد كان ذلك أول خروج لهم من جزيرة العرب، ولذلك سَمَّاه الله تعالى (أول الحشر) أي الخروج الأول، وأما الخروج الثاني لهم فكانَ مِن خيبر إلى الشام.

♦ واعلم أن اللام التي في قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ تُسَمَّى (لام التوقيت)، أي: أخرَجَهم سبحانه من ديارهم ليبدأ أول حشر وخروجٍ لهم، فهي كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي ابتداءً من وقت تَحَرُّك الشمس عن وسط السماء (وهو وقت الظهر)، وكقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لأول عِدتهنّ (وهو الطُهر الذي لم تُمَسّ فيه).

﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ - أيها المسلمون - ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾ من ديارهم بهذا الذل والهَوان (بسبب قوة حصونهم)، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: وظن اليهود أنّ حصونهم مانعةٌ لهم من عذاب الله، وأنها لا يَقدر عليها أحد، ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي مِن حيث لم يَخطر لهم ببال ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ يعني ألقى في قلوبهم الخوف والفزع الشديد، فصاروا ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾: أي اتّعِظوا يا أصحاب البصائر السليمة والعقول الراجحة بما حدث لهم، فلا تَعصوا ربكم.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾، هو مِثل قول العرب: (أتَى عليه الدهر) أى: أهلَكَه وأفناه، وكما يقولون أيضاً: (لقد أُتِيَ فلانٌ مِن مَأمنه) أى نَزَلَ به الهلاك، أمّا إتيانُ اللهِ تعالى يوم القيامة فيكونُ إتيانًا حقيقيًّا بذاته على النحو اللائق بجلاله وكماله، ففي صحيح مُسلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال - وهو يتحدث عن يوم القيامة -: (حتى إذا لم يَبْقَ إلاَّ مَن كان يَعْبُدُ اللَّهَ تعالى مِن بَرٍّ وفاجر: أتاهم رَبُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنَى صورةٍ مِن التي رأوهُ فيها) (إلى آخر الحديث).

- الآية 3، والآية 4: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ يعني: ولولا أنّ اللهَ تعالى قضى على هؤلاء اليهود بالخروج مِن ديارهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر وغير ذلك، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ - الذي أصابهم في الدنيا وما يَنتظرهم في الآخرة - ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي بسبب مُخالفتهم لأمر الله ورسوله، ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ﴾ يعني: ومَن يُخالف أوامر الله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

- الآية 5: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ يعني: ما قطعتم أيها المؤمنون مِن نخلةٍ في أرض يهود بني النَضير ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾: يعني أو تركتموها قائمةً على ساقها، مِن غير أن تتعرضوا لها: ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: يعني فكُلّ ذلك كان بإذن الله وأمْره، فلا إثم عليكم فيه ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ يعني: وليُذلَّ بذلك اليهود الخارجين عن طاعته، حيث سَلَّطكم على قطع نخيلهم وتحريقها.

www.alukah.net

- الآية 6: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ يعني: والمال الذي رَدَّه الله على رسوله - أي أعطاه له - من أموال بني النَضير: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: يعني فلم تركبوا لتحصيله - أيها المؤمنون - خيلاً ولا إبلاً، ولم تعانوا مَشَقة من أجل الحصول عليه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ مِن أعدائه، فيَستسلموا لهم بغير قتال (مِثلما سَلَّطَ رسوله محمداً على يهود بني النَضير ففتح بلادهم، بعد أن نقضوا عهدهم معه وتآمَروا على قتله)، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزه شيء (واعلم أن الفَيء هو ما أُخِذ من أموال الكفار مِن غير قتال، وقد وَضَّح سبحانه كيفية تقسيمه في الآية التالية).

- الآية 7، والآية 8: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: يعني إنّ هذا الفيء - الذي أعطاه الله لرسوله من أموال مُشركي أهل القرى، مِن غير قتال أو مشقةٍ منكم أيها المؤمنون -: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ يعني فإنّ هذا الفَيء يُقسَّم كالآتي: (الجُزء الأول لله وللرسول، وذلك بأن يُجعَل في مصالح المسلمين العامة، ويُنفَق منه أيضاً على الكعبة وسائر المساجد، والجُزء الثاني لأقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو عبد المُطَّلِب (فقد جُعِل لهم ذلك الجزء من الفَيء مكان الصدقة، لأن الصدقة لا تَحِلُّ لهم)، والجُزء الثالث لليتامى (وهم الأطفال الذين مات آباؤهم وهم صِغار، لم يبلغوا بعد)، والرابع للمساكين (وهم أهل الاحتياج والفقر)، والخامس لابن السبيل (وهو المسافر الغريب الذي فَقَدَ ماله - أو نَفَذ ماله - واحتاجَ للنفقة).

♦ وقد قضى اللهُ بتلك القِسمة ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ أي حتى لا يكون المال مِلكًا متداولاً ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (ويُحرَم منه الفقراء)، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ يعني: وما أعطاكم الرسول مِن مال، أو شَرَع لكم مِن شرع، فاقبلوه، ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ يعني: وما نهاكم عن أَخْذه أو فِعْله فانتهوا عنه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بامتثال أوامره وترْك نواهيه وطاعة رسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه وخالَفَ أمْره ونَهْيه، (واعلم أن هذه الآية أصل في وجوب العمل بالسُنّة: قولاً أو فِعلاً أو تقريرًا).

♦ وكذلك يُعطَى مِن هذا الفَيء ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ أي الذين اضطرهم كفار "مكة" إلى الخروج من ديارهم وأموالهم (بسبب إيذائهم لهم والتضييق عليهم)، فهاجَروا إلى "المدينة" وهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾: أي يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا والرضوان في الآخرة ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالجهاد في سبيل الله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الذين صَدَقوا في إيمانهم، حيث تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا لينصروا اللهَ ورسوله.

- الآية 9: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ يعني: والأنصار الذين سكنوا "المدينة"، وأسكَنَ اللهُ الإيمانَ في قلوبهم بعدما أحبوه واختاروه على الكفر، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي مِن قبل هجرة المهاجرين إليهم ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي يحبون المهاجرين، ويُعطونهم من أموالهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ يعني: ولا يجد الأنصار في أنفسهم حَسَدًا للمهاجرين على ما أعطاهم اللهُ من مال الفَيء وغيره، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: ويُقَدِّمون المهاجرينَ والفقراء على أنفسهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني حتى ولو كان بهم فقرٌ واحتياج لهذا المال أو هذا الطعام الذي يعطونه لإخوانهم، ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ يعني: ومَن يَسلَم من البخل، فيُعطي ما زادَ عن حاجته لإخوانه المحتاجين: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون في الدنيا والآخرة، (واعلم أن الشح هو البخل، غير أن الشُحّ يُطلَق على حِرص النفس على حقوقها وقلة التسامح فيها، ويرى ابن القيم رحمه الله أنَّ الشُحّ هو شدة الحِرص على الشيء، والمبالَغة في طلبه، والتعب في تحصيله، وأما البخل فهو مَنْع إنفاقه بعد الحصول عليه، فهو شَحيحٌ قبل الحصول على الشيء، بخيلٌ بعد الحصول عليه).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الآية 10: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: وأما المؤمنون الذين جاؤوا من بعد الأنصار والمهاجرين، فإنهم ﴿يَقُولُونَ﴾: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ وهم المهاجرون والأنصار ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي حقدًا وغيظاً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (بل اجعلنا نحبهم بسبب حُبّهم لك ولرسولك) ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ﴾ بعبادك، ﴿رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين، فاستجِب دعائنا برحمتك، ووفِّقنا إلى أداء حقوقك ومَحبة عبادك المؤمنين (وفي الآية دليل على أنه ينبغي للمسلم ألاّ يَحمل في قلبه شحناء لأخيه، وأن يَذكر سَلَفَه الصالح بخير، وأن يُحِبّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدعو اللهَ أن يَرضى عنهم).

- من الآية 11 إلى الآية 17: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ - أيها الرسول - ﴿إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ وهم المنافقون الذين ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي قالوا ليهود بني النَضير الكفار: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾: يعني لئن أخرجكم محمد ومَن معه مِن منازلكم: ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ من المدينة ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي لا نطيع أحداً طَلَبَ منا خِذْلانكم أو ترْك الخروج معكم، ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ يعني: ولئن قاتلوكم لنُعِينكم عليهم بالرجال والسلاح ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ فيما وَعَدوا به يهود بني النَضير، فـ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾: يعني لئن أُخرِجَ اليهود من "المدينة" لا يَخرج المنافقون معهم، ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ لأنهم جُبناء، ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ يعني: ولئن قاتلوا معهم - على سبيل الفرض - ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾: أي سوف يَفِرّون مُنهزمين من المؤمنين ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ أي: ثم لا يَنصرهم الله تعالى، بل يَخذلهم ويُذِلُّهم.

﴿لَأَنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني إنّ خوف هؤلاء المنافقين منكم أعظم وأشد في صدورهم مِن خوفهم من الله تعالى، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي بسبب أنهم لا يَفهمون صفات الله تعالى، ولا يَعلمون عظمته وقدرته، ولا يتصورون شدة عذابه.

♦ ثم أخبر سبحانه عن بعض صفات اليهود والمنافقين قائلاً: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ أي اليهود والمنافقون ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾ بالأسوار والخنادق ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾: يعني أو مِن خلف الجُدران، ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: أي عداوتهم فيما بينهم شديدة، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي تظن أنهم مجتمعون على كلمة واحدة، ولكنّ قلوبهم متفرقة، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (إذ لو كانوا يعقلون: لاَجتمعوا على الحق بعد ما عرفوه، وما حدث لهم هذا التفرق).

♦ مَثَل هؤلاء اليهود فيما أصابهم من العقوبة ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي كمَثَل كفار قريش يوم "بدر"، ويهود بني قَيْنُقاع، فقد ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: أي ذاقوا سُوء عاقبة كُفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم، ومَثَل هؤلاء المنافقين في تحريض اليهود على القتال ووَعْدهم لهم بأنْ يَنصروهم على الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾: أي كمَثَل الشيطان حين زَيَّنَ للإنسان الكفر ودعاه إليه، ﴿فَلَمَّا كَفَرَ﴾ ذلك الإنسان ﴿قَالَ﴾ له الشيطان: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ ومن كُفرك ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ أي كان مصير الشيطان والإنسان الذي أطاعه في الكُفر ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾ ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: وذلك جزاء المُعتدينَ، المتجاوزينَ لحدود الله.

- الآية 18، والآية 19: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي خافوا اللهَ واحذروا عقابه، ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يعني: ولْتتدبر كل نفس ما قَدَّمَت من الأعمال ليوم القيامة (ألاَ فحاسِبوا أنفسكم أيها المؤمنون قبل أن تُحاسَبوا، وسارِعوا بالتوبة الصادقة التي يُبَدِّل الله بها سيئاتكم حسنات، وأكثِروا مِنَ حمد الله على نعمه عليكم، وأكثِروا من الاستغفار على ذنوبكم)، كما كان يُكثِر النبي صلى الله عليه وسلم - قبل موته - مِن قول: (سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه)، عِلماً بأن

www.alukah.net

(سبحان الله وبحمده) تعادل في المعنى (سبحان الله والحمد لله)، وقد كان أحد السلف دائماً يقول: (الحمد لله أستغفر الله)، فقال له أحد جُلَسائِه: (ألاَ تُحسِنُ غيرَ هذا؟)، فقال له: (بل أُحسِنُ الكثير، ولكنني رأيتُني أتقلبُ بين نعمةٍ وذنب)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كل أفعالكم وأقوالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ أي تركوا أداء حقوق الله التي أوجبها عليهم ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني فلذلك أنساهم حظوظ أنفسهم من الأعمال الصالحة التي تنجيهم من العذاب يوم القيامة، و﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الخارجونَ عن طاعة الله ورسوله.

- الآية 20: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ﴾ المُعَذَّبون ﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ المُنعَّمون، ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بكل مطلوبٍ ومحبوب، الناجونَ من كل خوفٍ ومكروه.

- الآية 21: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ من الجبال، ففهِمَ ما فيه مِن وَعدٍ ووعيد: ﴿لَرَأَيْتَهُ﴾ - رغم قوته وضخامته -: ﴿خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي خاضعًا ذليلاً متشققًا لشدة خوفه من الله تعالى، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ ونوضّحها لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في قدرة الله وعَظَمته، (وفي الآية حَثٌّ على تدَبُّر القرآن، وتفهُّم مَعانيه، والعمل به).

- الآية 22: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي لا معبود بحق إلا هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي عالم السر والعَلانية، ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ الذي وَسِعَت رحمته كل شيء، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

- الآية 23: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي لا يَستحق العبادة غيره، ﴿الْمَلِكُ﴾ أي المالك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا شريك، وهو ﴿الْقُدُّوسُ﴾ أي المُنزَّه - أي المُبَرَّأ - عن كل ما لا يليق به، وهو ﴿السَّلَامُ﴾ أي ذو السلامة مِن كل نقص، الذي يُفيض السلام على مَن شاء مِن عباده، وهو ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ أي المُصَدِّق رُسُله وأنبياءه بالآيات والمعجزات، ليُثبت للناس صِدق ما أرسلهم به، وهو سبحانه ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ أي الرقيب على أعمال خَلقه، المُسَيطر على كَوْنه، فلا يَخرج شيءٌ عن إرادته وإذنه، وهو ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلَب، ﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي قَهَرَ جميع العباد، وخضع له سائر الكون، وهو ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي له الكبرياء والعَظَمة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تَنَزَّهَ الله وتعاظَمَ عن شِرك هؤلاء المُشرِكين (الذين يُساوونَ الخالق العظيم بالمخلوق العاجز الضعيف، ويعبدونه معه).

- الآية 24: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾ أي المُوجِد لكل المخلوقات من العدم، ﴿الْبَارِئُ﴾ أي المُبدِع في خَلْقه، ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الذي يُصَوِّر أشكال المخلوقات ويُنشئها على هيئاتٍ مختلفة، ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ والصفات العُلَى، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه مِن أعدائه، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لأوليائه.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الممتحنة كاملة

– الآية 1، والآية 2، والآية 3: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي لا تتخذوا الكافرين نُصَراء وأحِبّاء، فـ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ أي تعطونهم مَحبتكم فتخبرونهم بأسرار النبي والمسلمين!!، وكيف تفعلون ذلك ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الذي أنزله اللهُ على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم)، و﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾ أي اضطروه إلى الخروج من مكة بالتضييق عليه ومُحاربة دعوته ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يعني: وكذلك اضطروكم أيضاً إلى الخروج منها بشدة الإيذاء والتعذيب والاضطهاد، وكل ذلك مِن أجل ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي تعبدوه وحده لا شريك له، فكيف تتخذونهم أولياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾؟! يعني: إن كنتم – أيها المؤمنون – قد هاجرتم مُجاهدينَ في سبيلي، طالبينَ رِضايَ عنكم، فلا تتولوا أعدائي وأعداءكم بالمَعونة والنُصرة، فـ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ أي تعطونهم مَحبتكم وتنقلون إليهم أخباركم سراً ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ في قلوبكم تجاههم (وأعلمُ أيضاً ما فعلتموه في الخفاء، عندما أخبرتم أقربائكم المُشركين بأسرار المسلمين) ﴿وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ يعني: وأنا أعلم بما أظهرتموه للناس (فكيف لا تستحيون مِن اطّلاعي عليكم؟!)، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ يعني: ومَن يفعل ذلك منكم فيتولى أعداء الله تعالى ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أي فقد خرج عن الطريق المستقيم – المُوَصِّل إلى الجنة – وسَلَكَ طريق الجهل والضَلال.

♦ واعلموا أنّ أقربائكم المُشركين – الذين تعطونهم مَحبتكم وأسراركم – ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾: يعني إن يتمكنوا منكم: لا يَرحموكم، ولا يُراعوا القَرابة التي بينكم، ولا يعترفوا بمَحبتكم لهم، بل ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾: أي يَمُدّوا إليكم أيديهم بالقتل والضرب، وألسنتهم بالسَبّ والأذى، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ يعني: وهم قد تمنَّوا أن تكفروا مِثلهم.

♦ واعلموا أيها المؤمنون أنكم ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾: أي لن ينفعكم أقربائكم وأولادكم المُشركين – الذين تتقربون إليهم بنقل أسراركم الحربية – ولن يدفعوا عنكم من عذاب الله شيئاً، و﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يعني: يوم القيامة يُفَرِّق الله بينكم، فيُدْخلكم أيها المؤمنون الجنة، ويُدخِل المشركين النار، وهُم سوف يَفرّون منكم عند اشتداد الهَول (فما الفائدة إذاً من مَعصية الله تعالى مِن أجلهم؟!) ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فاحذروا مُخالفة أمْره.

– الآية 4، والآية 5: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ﴾ – أيها المؤمنون – ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوة حسنة ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ عليه السلام ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ المُشركين: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾ أي بريئون منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام وغيرها، فقد ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي لم نعترف لكم بقرابةٍ ولا ولاء، وقد أنكرنا ما أنتم عليه من الكفر، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ أي ظَهرتَ العداوة والكراهية بيننا وبينكم – واضحة لا خفاءَ فيها – ولو كنتم أقربائنا، ﴿أَبَدًا﴾ أي ما دُمتم على كُفركم ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ وتتركوا عبادة غيره.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: يعني لكنْ لا يدخل في ذلك الاقتداء: استغفار إبراهيم لأبيه، حين قال له: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (فإنّ ذلك كانَ قبل أن يَتبيَّن لإبراهيم أنّ أباه لن يتوب مِن شِركه، فلما تبيَّنَ له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه)، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ أي اعتمدنا عليك وحدك، فثبِّتنا على الإيمان، ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أي رجعنا إليك بالتوبة، ورجعنا إليك في كل أمورنا ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ يعني: ونحن نعلم أنّ إليك مَرجعنا بعد موتنا، فسَنستعد للقدوم عليك، ونَعمل ما يُقرّبنا إليك، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (وذلك بأن تسلِّط الكافرين علينا فيَفتنونا عن ديننا، أو تنصرهم علينا – بسبب ذنوبنا – فيُفتَنوا

www.alukah.net

بذلك، ويقولوا: (لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا العذاب)، فيَزدادوا كفرًا)، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامك ممن عصاك ولم يتب إليك، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرك لأوليائك (فدَبِّر لنا ما يَنفعنا ويُرضيك عنا).

♦ ويُحتمَل أن يكون هذا الدعاء المذكور في الآية مِن قول إبراهيم عليه السلام ومَن معه، ويُحتمَل أيضاً أن يكون إرشاداً من الله تعالى للمؤمنين أن يقولوه تَقويةً لإيمانهم وتثبيتاً لهم عليه، كما فَعَلَ إبراهيم ومَن معه (رغم قلتهم وكثرة عدوهم).

- الآية 6: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِيهِمْ﴾ أي في إبراهيمَ والذين معه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوة حميدة (في مُعاداة الكفار ولو كانوا أقربائهم)، وهذه القدوه الحسنة تكونُ ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ﴾ (إذ يَقتدي بهم مَن كان يرجو ثوابَ ربه، ويَنتظر مَجيء اليوم الآخر وما فيه مِن نعيمٍ مقيم أو عذابٍ أليم)، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ يعني: ومن يُعرِض عما أمَرَه الله به من الاقتداء بأنبيائه، ويتخذ أعداء الله أولياء: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن طاعة عباده، وهم المُحتاجون إليه، وهو ﴿الْحَمِيدُ﴾ الذي يَستحق الحمد والثناء في كل حال، لِكَثرة نِعَمِه على مخلوقاته.

- الآية 7: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ - أيها المؤمنون - ﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ (وهم الذين عاديتموهم من أقاربكم المُشرِكين امتثالاً لأمر الله تعالى)، فهو سبحانه قادرٌ أن يجعل بينكم وبينهم ﴿مَوَدَّةً﴾ أي مَحَبَّةً بعد ذلك البُغض (وذلك بانشراح صدورهم للإسلام)، فيصيروا إخوانكم في الدين، ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب إليه من الشرك والمعاصي واعترف بذنبه، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم (حيثُ جعل التوبة نجاةً لهم).

- الآية 8: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ﴾ - أيها المؤمنون - ﴿عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (وهم الكفار الذين لم يُقاتلوكم بسبب دينكم)، ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾، فهؤلاء لا ينهاكم الله ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ أي تكرموهم وتحسنوا معاملتهم ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ يعني: وتَعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم والحُكم بينهم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي يحب الذين يَعدلون بين جميع الناس في أقوالهم وأفعالهم.

- الآية 9: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي قاتلوكم بسبب دينكم ﴿وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ ﴿وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾ أي عاوَنوا الكفارَ على إخراجكم، فهؤلاء ينهاكم الله ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ أي يَنهاكم أن تتولوهم بالنُصرة والمَحبة، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ يعني: ومَن يتخذهم أنصارًا على المؤمنين وأحبابًا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (لأنهم وضعوا الولاية في غير مَوضعها، والظُلم هو وَضْع الشيء في غير مَوضعه).

- الآية 10: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ يعني إذا جاءكم النساء المؤمنات مُهاجراتٍ من دار الكفر إلى دار الإسلام: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي اختبروهنّ لتعلموا صِدق إيمانهنّ (وذلك بأن يَحلِفنَ لكم بأنهنّ ما خَرَجنَ من ديارهنّ إلا رغبةً في الإسلام، ولم يَخرُجنَ كُرهاً لأزواجهنّ أو غير ذلك من أمور الدنيا)، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ أي أعلم بحقيقة إيمانهنّ منكم، لأنه وحده الأعلم بما في القلوب، (وفي هذا دليل على صحة القاعدة الفقهية التي تقول: (نحن لنا الظاهر، والله يتولى السرائر))، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ يعني إنْ غَلَبَ على ظنكم أنهنّ صادقاتٌ في إيمانهنّ (بعد أن حَلفنَ لكم): ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: أي فلا ترُدُّوهنّ إلى أزواجهنّ الكافرين، إذ ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ﴾: أي فالنساء المؤمنات لا يَحِلّ لهنّ أن يَتزوجنَ الكفار، ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ يعني: ولا يَحِلّ للكفار أن يتزوجوا المؤمنات، ﴿وَآَتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ يعني: وأعطوا الكفار - وهم أزواج المؤمنات المهاجرات إليكم - مِثل ما أنفقوا عليهنّ من المهور، (فإذا جاء زوجها المُشرِك يُطالبكم بقيمة المَهر الذي أنفقه عليها، فأعطوه إياه).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أي لا إثم عليكم في أن تتزوجوا هؤلاء المؤمنات المهاجرات (إذا دفعتم لهنَّ مُهورهنّ)، ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ يعني: ولا تمسكوا أيها المسلمون بنكاح زوجاتكم الكافرات (سواء اللاتي تركتموهنّ بدار الكُفر أو المُرتَدّات)، لأنّ العِصمة قد انقطعت بإسلامكم، فلا يَحِلّ لكم الإمساك عليهنّ، ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ يعني: واطلبوا من المُشركين قيمة المهور التي أنفقتموها على نسائكم المُرتَدّات إليهم، ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ يعني: ولْيَطلب منكم المشركون قيمة المهور التي أنفقوها على نسائهم المهاجرات إليكم، (واعلم أنّ هذا بيان لمَظهر من مظاهر عدالة الإسلام في أحكامه، حتى مع المشركين)، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي ذلك الحُكم المذكور هو ﴿حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي هو حُكم الله الذي يَحكم به بينكم فلا تخالفوه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال عباده وما يُصلحهم، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شَرَعه لهم، لِيَحفظ لهم حقوقهم.

- الآية 11: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ يعني: وإنْ ذَهَبَتْ بعض زوجاتكم المُرتَدّات إلى الكفار، ولم يُعطكم الكفار مهورهنّ التي دفعتموها لهنّ، ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي: ثم انتصرتم – في يومٍ ما – على هؤلاء الكفار أو غيرهم: ﴿فَآَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾: يعني فأعطوا بعض الغنائم لهؤلاء المسلمين – الذين ذهبت أزواجهم إلى الكفار – بمِثل ما أنفقوا عليهنّ من المهور (وذلك قبل تقسيم الغنائم) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ أي اتقوا اللهَ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإنَّ إيمانكم بالله يُوجِبُ عليكم تقواه.

- الآية 12: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ أي يُعاهِدنك ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ في عبادته، ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ (سواء بعد أن يَلدوهنّ أو قبل الولادة)، ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ يعني: ولا يَنسِبنَ لأزواجهنّ أولادًا ليسوا منهم، كأنْ يكون هذا الولد نتيجة زِنا أو تَبَنِّي أو يكونُ مُلتقَطاً من الطريق (أي كانَ ابن خطيئة، وألقته أمه في الطريق لتتخلص منه)، فهذا هو البُهتان – أي الكذب – المُفترَى، وأمّا قوله تعالى: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، لأن الولد إذا وضعته الأم، سقط بين يديها ورجليها، فلذلك زعمتْ كذباً أنها ولدته وهو ليس ابنها.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ﴾ أيها النبي ﴿فِي مَعْرُوفٍ﴾ تأمرهنّ به: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ أي اقبل بَيعتهنّ وعهدهنّ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾ أي اسأل اللهَ أن يَغفر لهنّ ما مَضى من ذنوبهنّ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم (فلا يُعذبهم بذنبٍ تابوا منه).

- الآية 13: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تنصروا قوماً غَضِبَ الله عليهم لكُفرهم، ولا تحبوهم، ولا تتخذوهم أصدقاء، ولا تخبروهم بأسرار المسلمين، ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ﴾: يعني قد يَئِسَ هؤلاء الكفار من ثواب الله في الآخرة (لعدم إيمانهم بها) ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾: يعني كما يئس أصحاب القبور الكفار من رحمة الله تعالى (وذلك حين شاهدوا الحقيقة بعد موتهم، وعلموا عِلم اليقين أنهم لا نصيبَ لهم من رحمة ربهم)، أو لَعَلّ المقصود: (كما يئس الكفار مِن عودة أصحاب القبور إلى الحياة، لعدم إيمانهم بالبعث بعد الموت).

****

www.alukah.net

تفسير سورة الصف كاملة

– الآية 1: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نزَّهَتْ جميعُ الكائنات رَبَّها عن كل نَقصٍ وعَيب، (إذ مَعنى كلمة (سبحان الله) أنك تَنفي عن اللهِ تعالى كل ما لا يَليقُ بجلاله وعظمته وكماله)، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لأوليائه.

– الآية 2، والآية 3: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: يعني لماذا لا توفون بالعهود التي بينكم وبين الله تعالى، والوعود التي بينكم وبين الناس؟!، ولماذا تأمرون الناس بالخير وتنسون أنفسكم فلا تفعلوه؟! (وهذا إنكارٌ على كل مَن يُخالف فِعلُه قولَه)، فقد ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: أي عَظُم كُرهاً عند الله أن تقولوا بألسنتكم ما لا تفعلونه، (هذا، وواللهِ إني لَخائفٌ جداً من هذه الآية، فاللهم عفوك وغفرانك لي).

– الآية 4: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ – أي لإعلاء كلمته وإظهار دينه – ﴿صَفًّا﴾ أي صفوفاً مُتراصّة (لا تخاف من الأعداء) ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ أي كأنهم بُنيان مُحكَم لا يَنفذ منه العدو.

– الآية 5: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي اذكر لقومك أيها الرسول حين قال موسى لقومه: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ بالأقوال السيئة ومُخالفة الأوامر، ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: وأنتم تعلمون ﴿أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾؟!، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ يعني فلمّا انصرفوا عن الحق بعد أن علموه، وأصروا على العِصيان: ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي صَرَفَ الله قلوبهم عن قَبول الهُدى والعمل به؛ عقوبةً لهم على ضلالهم الذي اختاروه لأنفسهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لا يوفق الخارجين عن طاعته إلى ما فيه هدايتهم وسعادتهم (وذلك بعد أن توغلوا في الفجور والضلال واختاروه على الهدى).

♦ واعلم أن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ يَجعل المؤمن على خوفٍ وحذر مِن فِعل المعاصي، حتى لا يُعاقب اللهُ قلبه بالضلال والغفلة، كما قال تعالى في سورة الكهف: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ (إذ أشغلناه بالدنيا وهمومها، حتى صارت هِمَّته دنيئة، وعزيمته ضعيفة، فلم يَعُد يَشعر بحلاوةٍ في الطاعة، ولا يَتلذذ بالذِكر والعبادة)، ورَحِمَ الله مَن قال: (رأيتُ الذنوب تُميت القلوب، وقد يُورِث الذلَّ إدمانُها، وترْك الذنوبَ حياةُ القلوب، وخيرٌ لنفسك عِصيانها)، وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (إن للحسنة نوراً في القلب، وضياءً في الوجه، وقوةً في البَدَن، وسعةً في الرزق، ومَحبةً في قلوب الخَلق، وإن للسيئة ظُلمةً في القلب، وسواداً في الوجه، وضعفاً في البَدَن، وضِيقاً في الرزق، وبُغضاً في قلوب الخَلق)، ورَحِمَ الله مَن قال: (أيا عبدُ كم يراك اللهُ عاصياً، حريصاً على الدنيا وللموت ناسياً، أنسِيتَ لقاءَ الله واللحدَ والثرَى؟، ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصيَ، لو أن المرءَ لم يلبس ثياباً من التُقى، تجَرَّدَ عُرياناً ولو كانَ كاسياً، ولو أن الدنيا تدومُ لأهلها، لَكانَ رسولُ الله حَيّاً وباقياً).

– الآية 6: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لقومه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، وقد جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ أي لِما جاءَ قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ المُنزَّلة على أخي موسى، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني: وشاهدًا بصدق رسول يأتي من بعدي اسمه "أحمد" (وهو اسم من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وسلم)، وداعيًا إلى التصديق به، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: فلمّا جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات الواضحات من عند الله تعالى، والتي تدل على صِدق رسالته ووجوب اتّباعه في العقيدة والشريعة: ﴿قَالُوا﴾ أي قال الجاحدونَ بنُبُوّته: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي هذا الذي جئتَنا به سِحرٌ ظاهر.

– الآية 7: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يعني: ومَن أشد ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي اختلق على الله الكذب، فجعل له شركاء في عبادته، وحَرَّم ما لم يُحَرِّمه اللهُ تعالى ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ يعني: وقد فعل ذلك وهو يُدعَى إلى الدخول في الإسلام

وإخلاص العبادة لله وحده، فهذا ظُلمه أعظم مِمّا لو كانَ أيام الجاهلية (حين لم يكن هناك رسولٌ ولا قرآن)، أمّا أن يَكذب على الله تعالى والنورُ غامر، والوحي يَنزل، والرسول يدعو ويُبَيِّن: فالأمر حينئذٍ أعظم وأشد ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يوفِّق الذين ظلموا أنفسهم - بإصرارهم على الكفر والشرك - إلى طريق الحق والصواب.

- الآية 8: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي يريد هؤلاء الظالمون أن يُطلوا الحق الذي بُعِثَ به محمد صلى الله عليه وسلم - وهو القرآن - بأقوالهم الكاذبة، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ أي مُظهِر الحق - بإتمام دينه - ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

- الآية 9: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْهُدَى﴾ وهو القرآن ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ وهو دين الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي لِيُعلِيَهُ على كل الأديان الباطلة المُخالِفة للإسلام ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك، (وقد حَقَّقَ سبحانه وعده، فالإسلامُ ظاهرٌ في الأرض كلها، سَمِعَ به أهل الشرق والغرب، واعتنقه كثيرٌ منهم، وخَضَعَ له العالم أجْمَع على عهد الصحابة والتابعين، وسيأتي اليوم الذي يَسُودُ فيه الإسلامُ أهلَ الدنيا جميعاً).

- من الآية 10 إلى الآية 13: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾ يعني هل أُرشِدكم إلى تجارةٍ عظيمةِ الشأن ﴿تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟ ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي تداومون على إيمانكم بالله ورسوله ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ لنُصرة دينه وإعلاء كلمته (حتى يُعبَد وحده ولا يُعبَد غيره) ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من تجارة الدنيا وشهواتها الرخيصة العاجلة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فإن فعلتم ذلك أيها المؤمنون: ﴿يَغْفِرْ﴾ اللهُ ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فلا يعاقبكم عليها ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ﴾ أي حدائق جميلة المَنظر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري الأنهار من تحت أشجارها المتدلية وقصورها العالية ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ أي مساكنَ حَسَنَةَ البناء، طَيِّبَة الرائحة (كالقصور المصنوعة من الذهب والفضة، والخِيام المصنوعة من اللؤلؤ)، ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي في جنات الخلود ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز مِثله، ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ يعني: ويُعطِكم سبحانه نعمةً أخرى تحبونها - أيها المؤمنون - وهي: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾ على عدوكم ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ يعني: وفتحٌ عاجل يتم على أيديكم (وهو فتح مكة وباقي المدن والقرى، وما يَتبع ذلك مِن عزةٍ وسعادةٍ وهناء)، ﴿وَبَشِّرِ﴾ - أيها النبي - ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ الطائعين، بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة.

- الآية 14: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ أي كونوا أنصارًا لدين الله تعالى ورسوله والمؤمنين، وكونوا في استجابتكم لأمر ربكم ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ وهُم أصفياء عيسى (الذين اختارهم لصُحبته): ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾؟ يعني مَن يَنصرني ويُعينني في كل ما يُقرِّب إلى الله تعالى ويأمر به؟، فـ﴿قَالَ﴾ له ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي نحن أنصار دين اللهِ والداعونَ إليه.

♦ أما بقية بني إسرائيل فقد افترقوا فرقتين، كما قال تعالى: ﴿فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى عليه السلام وبما كان يدعوهم إليه من التوحيد، ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ برسالته، فاقتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ أي نَصرنا المؤمنينَ بوحدانية الله تعالى وبنُبُوّة عبده ورسوله عيسى، فنصرناهم ﴿عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ من الكَفَرة والمُشركين بالحُجّة والتمكين ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ يعني فأصبحوا ظاهرينَ عليهم؛ غالبينَ لهم.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة الجمعة كاملة

- الآية 1: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي: يُنزِّه اللهَ تعالى ويُقَدّسه - ويَنفي عنه كل ما لا يليق بجلاله وعظمته - جميعُ الكائنات التي في السماوات والأرض، (إذ مَعنى كلمة (سبحان الله) أنك تَنفي عن اللهِ تعالى كل ما لا يَليق به)، (وقد وَعَدَنا سبحانه على لسان رسوله بالجزاء العظيم على التسبيح)، فقد قال صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين -: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"، (وواللهِ إني لأَشعر بسعادة بالغة عندما أقول هاتين الكلمتين، إذ يَتردد في خاطري وأنا أقولهما أنهما (الحبيبتان الثقيلتان)، فأستشعر حينئذٍ أن الله تعالى يحب هذه الكلمات ويَفرح بقائلها، وها أنا الآن أقول ما يُحبه حبيبي (الله)).

♦ واعلم أن صفة "الفَرَح" ثابتة لله تعالى، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين - : (لَلهُ أفرح بتوبة عبده...) إلى آخر الحديث، (طبعاً مِن غير أن نُشَبِّه صفات الله تعالى بصفات مخلوقاته، إذ هو سبحانه ليس كمثله شيء).

♦ وقَوْله تعالى: (الْمَلِكِ) أي هو وحده المالك لكل شيء، المتصرف فيه بلا مُنازِع، الحاكم الذي لا حُكم إلا له، ومَرجع الأمور كلها إليه، (الْقُدُّوسِ) أي الكاملُ في صفاته، المُنزَّه - أي المُبَرّأ - عن كل نقص، (الْعَزِيزِ) أي الغالب على أمره، فإذا أراد شيئاً قال له "كن" فيكون، (الْحَكِيمِ) في تدبيره وصُنعه.

- الآية 2، والآية 3، والآية 4: (هُوَ) سبحانه (الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ): أي أرسَلَ في العرب - الذين ليس عندهم كتاب سماوي - رسولاً منهم إلى الناس جميعًا (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) أي يقرأ عليهم القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) أي يُطَهِّرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ): أي يُعلِّمهم القرآن والسُنّة، (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي: ولقد كانوا قبل بعثته لَفي انحراف واضح عن الحق، (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) يعني: وقد أرسَله سبحانه إلى قومٍ آخرين لم يأتوا بعدُ، وسوف يأتون من العرب ومِن غيرهم (إذ رسالته صلى الله عليه وسلم لجميع الإنس والجن، منذ بعثته إلى قيام الساعة)، (وَهُوَ) سبحانه (الْعَزِيزُ) الذي لا يَمنعه شيءٌ مِن فِعل ما يريد، (الْحَكِيمُ) في اختيار مَن عَلِم أنه يَستحق النُبوّة مِن خَلقه، (ذَلِكَ) أي بَعْث الرسول صلى الله عليه وسلم في أمّة العرب وغيرهم، هو (فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) من عباده (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) أي ذو العطاء الكثير الواسع.

- الآية 5: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) (وهم اليهود الذين كَلَّفهم اللهُ بالعمل بما في التوراة ثم لم يعملوا بها - ومِن ذلك: جحودهم بنُبُوّة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن علموا صفاته المذكورة في التوراة - حَسداً منهم على إعطاء النُبوّة لأحدٍ غيرهم).

♦ فهؤلاء مَثلهم (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا): أي كَشَبَه الحمار الذي يَحمل كتبًا من العلم النافع ولا يَدري ما فيها، (بِئْسَ) أي قَبُحَ (مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) بعد أن علموا أنها الحق، (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (وهم الذين يتجاوزون حدوده ويخرجون عن طاعته)، فلا يوفقهم سبحانه إلى الحق والصواب وإلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

- الآية 6، والآية 7: (قُلْ) أيها الرسول لهؤلاء اليهود - الذين تَمَسَّكوا بالمِلّة اليهودية المُحَرَّفة -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا) يعني يا أيها اليهود (إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ): يعني إن ادَّعيتم كذبًا أنكم أحِبّاءُ لله تعالى دونَ غيركم من الناس، وأنّ الجنة خاصة بكم وحدكم، وأنكم إذا مِتُّم دخلتموها: (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في دَعواكم، (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: ولن يَتمنوا الموتَ أبدًا، بسبب خوفهم من عقاب الله لهم (لِما يَعرفونه مِن صِدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكَذبهم، وبسبب ما ارتكبوه مِن الكُفر والعِصيان)، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وسيُعاقبهم على ظُلمهم.

- الآية 8: ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ يعني فهو آتيكم لا مَحالة، ولن تستطيعوا الهرب منه، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: ثم تُرجَعون يوم القيامة إلى الله تعالى، عالم السر والعَلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ويُجازيكم على أعمالكم.

- الآية 9، والآية 10: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ يعني إذا نادى المؤذن للصلاة في يوم الجمعة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: فامضُوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ يعني: واتركوا البيع والشراء، (لأنه إذا لم يكن هناك بيع: لم يكن هناك شراء، وكذلك اتركوا جميع ما يَشْغَلُكم عن الصلاة)، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لِما فيه من غفران ذنوبكم وثواب الله لكم في جنات النعيم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (يعني إن كنتم تعلمونَ مصالح أنفسكم، فافعلوا ما أمَرَكم اللهُ به)، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ يعني: فإذا سمعتم الخطبة وأدَّيتم الصلاة: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ لأداء أعمالكم التي تركتموها عند النداء للصلاة ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: أي اطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعي والعمل، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يعني لكي تفوزوا بخَيرَي الدنيا والآخرة.

- الآية 11: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ يعني: وإذا رأى بعض المسلمين تجارةً أو شيئًا مِن لهو الدنيا وزينتها: تفرَّقوا إليها ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ - أيها النبي - ﴿قَائِمًا﴾ على المنبر تخطب.

♦ واعلم أن هذه الآية قد نزلت في شأن قافلة تجارية جاءت من الشام، وكان الناس في المسجد وقت الجمعة، فلمّا انتهت الصلاة وطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يَخطب - وكانت الخطبة في أول الإسلام بعد صلاة الجمعة، وذلك قبل نزول هذه الآية - فخرج الناس يتسللون ليروا القافلة (ظناً منهم أن خروجهم بعد الصلاة جائز، حتى ولو لم يسمعوا الخطبة)، فاستقبلوا القافلة بالدفوف فرَحاً بها (حيثُ كان بهم في ذلك الوقت فقرٌ وغَلاء)، حتى لم يَبق مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحاضرينَ معه: (والذي نفسي بيده لو تتابعتم - أي في خروجكم من المسجد - حتى لا يَبقى منكم أحد، لَسالَ عليكم الوادي ناراً) (انظر السلسلة الصحيحة ج: 7)، ثم نزلتْ هذه الآية تَعِيب عليهم خروجهم وترْكهم لنبيّهم يَخطب، وتعاتبهم عتاباً شديداً.

﴿قُلْ﴾ لهم - أيها النبي -: ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ - من النعيم الأبدي - ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ التي تشغلكم عن طاعة الله، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي هو سبحانه خير مَن أعطى عباده، (ألاَ فاطلبوا منه الرزق - واسعوا في تحصيله - بعد أن تؤدوا طاعته)، واستعينوا بطاعته على تحصيل رزقه، ولا يتكرر منكم هذا الصنيع السيئ، وإلا فقد تتعرضون لعذابٍ عاجل غير آجل.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة المنافقون كاملة

- الآية 1، والآية 2، والآية 3: يعني إذا حضر المنافقون مَجلسك أيها الرسول: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾: ﴿قَالُوا﴾ لك بألسنتهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ (سَواء شهد المنافقون بذلك أو لم يشهدوا) ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما أظهروه لك، وحلفوا عليه بألسنتهم (وقد أخفوا في قلوبهم الكفر به)، وهؤلاء المنافقون قد ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أي جعلوا حَلفهم الكاذب وقايةً لهم من قتل المسلمين لهم وأخْذ أموالهم بسبب كُفرهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي فصَدُّوا المؤمنين – بذلك الحَلِف الكاذب – عن سبيل الله (وهو جهادهم وتطهير صفوف المسلمين منهم)، إذ كانوا يوقعون العداوة بين المسلمين، ويثيرون المخاوف والشكوك في قلوبهم، حتى يصدوهم عن سبيل الله وهو الإسلام، وهم مختبئون تحت عباءته ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي قَبُحَ ما كانوا يعملونه من النفاق والحَلف الكاذب، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾: يعني ذلك لأنهم آمَنوا في الظاهر، ثم كفروا في الباطن، واستمَروا على ذلك ولم يتوبوا ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي خَتَمَ الله على قلوبهم بالكفر والعياذُ بالله (فلا يَدخل قلوبهم خيرٌ ولا إيمان)، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي لا يَفهمون ما فيه صَلاحهم.

- من الآية 4 إلى الآية 8: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: وإذا نظرتَ أيها الرسول إلى هؤلاء المنافقين: أعجَبك مَناظرهم وهيئاتهم (إذ هم يَهتمون بالظاهر ولا يُصلِحون الباطن)، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني وإن يتحدثوا: تَتلذذ بالاستماع لحديثهم (وذلك لفصاحة ألسنتهم)، وهُم في الحقيقة ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ يعني كأنهم أخشابٌ مُلقاة على الحائط، لا حياةَ فيها، ولا ثَباتَ لها، ولا مَنفعة منها (وذلك لفراغ قلوبهم من الإيمان وعقولهم من الفَهم والعلم النافع، على الرغم مِن عِظَم أجسامهم)، ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾: أي يظنون أن كل صوت عالٍ واقعٌ عليهم وضارٌّ بهم (وذلك لشدة جُبنهم وعِلمهم بحقيقة نفاقهم)، ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي هم أعداؤكم – أيها الرسول والمؤمنون – بل إنّ عداوتهم أشد خطراً من عداوة المُشرِكين (إذ عداوتهم غير ظاهرة، لدخولهم تحت شعار الإسلام، على العكس ممن يُعلنون عداوتهم لكم من المُشرِكين وغيرهم)، ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ أي خُذ حذرك منهم أيها الرسول (حتى لا يُفشوا أسراركم، أو يريدوا بكم سوءاً)، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أي طَرَدهم الله من رحمته وفضَحَهم وأهلكهم، ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: يعني كيف يَنصرفون عن الحق إلى الباطل، رغم ما يشاهدونه مِن وضوح الحق وقوّة أدِلَّته؟!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء المنافقين – بعد أن قالوا بعض الكلمات الخبيثة في حق الرسول وأصحابه –: ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: يعني أقبِلوا تائبينَ إلى الله تعالى، مُعتذرينَ عمَّا صدر منكم من القول السيِّئ، حتى يَستغفر لكم رسول الله ويدعو اللهَ تعالى أن يعفو عنكم، فإذا قيل لهم ذلك، تجدهم أيها الرسول قد ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي حَرَّكوها إلى جهةٍ غير جهة من يُخاطبهم، رافضينَ الاعتذار إليك، ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي يُعرِضون عن الحق، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الامتثال لأوامر ربهم.

♦ ثم أخبَر اللهُ رسوله أن استغفاره لهؤلاء المنافقين لا يَنفعهم، فقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (وذلك لإصرارهم على الكفر والعناد، وتوَغّلهم في الفِسق والضَلال) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لا يوفِّق الخارجين عن طاعته للإيمان بدينه (وذلك لاستمرارهم على الباطل مِن بعد ما تبَيَّن لهم الحق).

♦ وهؤلاء المنافقون ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ فيما بينهم – بعد أنْ أغاظهم اجتماع الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حُبهم له –: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾: أي لا تنفقوا على فقراء المهاجرين وهم عند محمد، ولا تقدموا لهم عوناً أو مساعدة حتى يجوعوا، فيتفرقوا طالبينَ للرزق بعيداً عنه (وكأنّ الرزق بأيديهم وتحت مشيئتهم!)، فَرَدَّ الله

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عليهم قائلاً: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي هو وحده الذي يَملكها ويتصرف فيها، فيُعطي الرزق لمَن يشاء – بتيسير أسبابه له – ويَمنعه عمَّن يشاء، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي لا يَفهمونَ ذلك لفساد قلوبهم، ولهذا ظنوا أنهم إنْ مَنَعوا الإنفاق على المهاجرين، فسوف يموتون جوعاً (ولم يعلموا أن الذي يرزق المنافقين أنفسهم هو الله وحده)، و﴿يَقُولُونَ﴾ أيضاً: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ – وذلك بعد أن كانوا في إحدى الغزوات مع الرسول صلى الله عليه وسلم –: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ﴾ – يَقصدون بذلك أنفسهم – أنهم سيُخرِجون ﴿مِنْهَا﴾ أي من "المدينة": ﴿الْأَذَلَّ﴾ (يَقصدون بذلك المؤمنين)، فَرَدَّ الله عليهم قائلاً: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لهم الغَلَبة والعُلُوّ لا لغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يَعلمونَ ذلك؛ لانغماسهم في الجهل الضلال.

– الآية **9**، والآية **10**، والآية **11**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي لا تُشْغِلْكم أموالكم ولا أولادكم عن عبادة الله وطاعته، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يعني: ومَن شَغَلته أمواله وأولاده عن فرائض الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين بلغوا أقصى درجات الخسران والغفلة، لأنهم خالفوا ما أمَرَهم الله به، ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (ويدخل في هذا: النفقات الواجبة – كالزكاة والكفارة ونفقة الزوجات والنفقة في الجهاد –، والنفقات المستحبة، وهو التصدق في جميع طُرُق الخير)، وسارِعوا إلى ذلك ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ﴿فَيَقُولَ﴾ نادمًا: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: يعني هَلاّ أمهلتني، وأخَّرتَ موتي إلى وقتٍ قصير ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ يعني فأتصدق مِن مالي ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأتقياء، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (وذلك حيثُ لا يَنفع الندم)، فتوبوا أيها العُصاة قبل فوات الأوان ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وسيُجازيكم على أعمالكم.

♦ ولَعَلّ الله تعالى ختم سورة المنافقين بالحث على كثرة الذِكر والصدقة، لأنّ فيهما علاجاً للقلب من مرض النفاق، فقد وَصَفَ الله تعالى المنافقين بأنهم ﴿لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، فتبَيَّنَ مِن ذلك أن الذِكر الكثير براءةٌ للقلب من النفاق، كما أن الصدقة سببٌ لعلاج القلب المريض، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (داوُوا مرضاكم بالصدقة) (انظر صحيح الترغيب والترهيب ج: **1**)، وليس هناك أخطر من أمراض القلوب، إذ لا ينفع في الآخرة مالٌ ولا بنون، إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليم.

****

www.alukah.net

تفسير سورة التغابن كاملة

- الآية 1: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي يُنَزِّه اللهَ تعالى ويُقَدّسه - ويَنفي عنه كل ما لا يليق بجلاله وعظمته - جميعُ الكائنات التي في السماوات والأرض، (إذ مَعنى كلمة (سبحان الله) أنك تَنفي عن اللهِ تعالى كل ما لا يَليق به)، (حتى الكفار، فإنهم - وإنْ لم يُسَبّحوا اللهَ بلسانهم - فإنهم يُسَبّحونه بحالهم، إذ يَشهدون بفِطرتهم أنّ اللهَ سبحانه هو الخالق القادر، ويَسجدون له بخضوعهم لأحكامه الجارية عليهم - مِن غِنىً وفقر، وصحةٍ ومرض، وسعادةٍ وشقاء - ولا يستطيعون رَدَّها)، ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي له سبحانه التصرف المُطلَق في كل شيء، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي له الثناء الحَسَن الجميل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزه شيء.

- الآية 2، والآية 3، والآية 4: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس، ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ يعني: فَبعضكم جاحدٌ لألوهيته (إذ يَعبد معه غيره مِن سائر خَلقه)، وبعضكم مؤمنٌ باستحقاقه وحده للعبادة (فيَعبده وحده - على النحو الذي شَرَعه - ولا يُشرك به شيئاً)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالكم، وسيُجازيكم بها.

♦ ثم ذَكَرَ سبحانه بعض مَظاهر قدرته وإنعامه على خلقه، للاستدلال بذلك على استحقاقه وحده لعبادتهم، وقدرته على بَعْثهم بعد موتهم، فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي ليَعرف العباد عظمة خالقهما فيعبدوه وحده، ويقيموا الحق والعدل فيما بينهم، وللدلالة على قدرته تعالى على البعث بعد الموت (لأنّ ذلك أهون عليه مِن خَلْق السماوات والأرض)، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي خَلَقكم سبحانه في أحسن صورة، ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ يوم القيامة، فيجازي كُلاً بعمله، ﴿يَعْلَمُ﴾ سبحانه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يغيب عن علمه شيء ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي يَعلم سبحانه ما تتحدثون به سِرًّاً وما تُظهرونه لغيركم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي عليمٌ بكل ما تُخفيهِ الصدور من النيّات والخواطر (فاحذروا أن يَطَّلع عليكم وأنتم تخفون في صدوركم ما لا يُرضيه).

- الآية 5، والآية 6: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾؟ يعني ألم يأتكم أيها المُشرِكون خبر الذين كفروا من الأمم الماضية ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: يعني فقد أصابهم سُوء عاقبة كُفرهم وتكذيبهم (بالعذاب العاجل في الدنيا) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم؟، ﴿ذَلِكَ﴾ أي العذاب الذي نزل بالمُكَذِّبين السابقين ﴿بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بسبب أنّ رُسُلهم جاءتهم بالدلائل القاطعة على صِدق دعوتهم، ﴿فَقَالُوا﴾ - مُنكِرين مُستكبرين -: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾؟ يعني أيُرشدنا بَشَرٌ مِثلنا؟ ﴿فَكَفَرُوا﴾ بتوحيد ربهم وكذَّبوا رُسُله ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ أي أعرَضوا عن الحق فلم يقبلوه ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عنهم وعن إيمانهم (فإنه سبحانه لا يَضُرّه ضلالهم شيئًا، وإنما هم يَضُرّون أنفسهم بذلك ضرراً عظيماً) ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه وهم المحتاجون إليه، وهو سبحانه ﴿حَمِيدٌ﴾ أي مُستحقٌّ للحمد والثناء في كل وقتٍ وحال، لِكثرة نِعَمِه على مخلوقاته.

- الآية 7: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ أي ادَّعوا ادِّعاءً باطلا أنهم لن يُخْرَجوا من قبورهم أحياءً بعد الموت، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿بَلَى﴾ ﴿وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ أي سوف يُخبِركم الله ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ ويُجازيكم عليه ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

- الآية 8، والآية 9، والآية 10: ﴿فَآمِنُوا﴾ أيها المُشرِكون ﴿بِاللَّهِ﴾ ربكم ولا تعبدوا غيره (فإنه الذي خَلَقَكم ورزقكم، وهو المُستحِق وحده لعبادتكم)، ﴿وَرَسُولِهِ﴾ يعني: وآمِنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم (الذي تعرفون صِدقه وأمانته ونَسَبَه وأخلاقه)، ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ وهو القرآن (الذي فيه نورٌ يَكشف الظلمات بِبيان الحُجَج وكَشْف الحقائق)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالكم وأقوالكم، وسيُجازيكم عليها ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ أي اذكروا يوم يَجمعكم اللهُ من قبوركم إلى الحساب يوم القيامة (الذي يَجمع اللهُ فيه الأوّلين والآخرين)، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ أي ذلك هو اليوم الذي يَظهر فيه التفاوت بين الخَلق (فأهل الإيمان يكونون في الغرف العاليات، المشتملة على جميع اللذات والشهوات، وأهل الكفر والإصرار على المعاصي يكونون في أسفل سافلين، حيثُ الغم والكرب والعذاب الأليم)، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ وحده، فيُخلص له العبادة ﴿وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ على النحو الذي شرَعه اللهُ لعباده: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ أي يَمْحُ عنه ذنوبه ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ أي حدائق كثيرة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري الأنهار من تحت قصورها وبين أشجارها، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (وهُم سُعداء مُرتاحونَ البال، فلا تصيبهم الهموم، ولا يُخَطِّطون لمستقبلهم، ولا يخافونَ منه، بل أصبح كل ما يُشغِلهم هو التلذذ والتمتع بأنواع النعيم والشهوات)، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوزَ مِثله، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي جحدوا أن الله هو الإله الحق ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فلا يُفارقهم عذابها، ولا يَستريحونَ منه لحظة، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: وقَبُحَ ذلك المَرجع الذي صاروا إليه، وهو جهنم.

- الآية 11: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: يعني ما أصابَ أحدٌ مكروهاً قط (من الأمراض والجوع والموت وسائر الابتلاءات) ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقضائه وقدره، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ أي يؤمن بقَدَر الله تعالى، ويؤمِن حِكمته في تدبيره وأفعاله، فيَعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليُصيبه: ﴿يَهْدِ﴾ اللهُ ﴿قَلْبَهُ﴾ للتسليم بأمره، والرضا بقضائه، فيؤجَر وتَهون عنده المصيبة، (ولَعَلّ الله تعالى قد ذَكَرَ هدايته للقلب دونَ سائر الأعضاء، لأن القلب هو أصل الهداية، وسائر الأعضاء تابعة له) ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يَخفى عليه شيءٌ مِن أحوالكم وما في قلوبكم.

♦ وقد قال "عَلقمة" رحمه الله في تفسير هذه الآية: (هو الرجلُ تصيبُه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيَرضى ويُسَلِّم)، فأنت تحب اللهَ تعالى، ولذلك يجب أن تحب كل ما يأتي مِن عنده سبحانه، إذ كما يقولون: (كل ما يأتي مِن حبيبك: فهو حبيبك)، فهنيئاً لمن تخلى عن هواه، وأحب ما يحبه مولاه، واستسلم لقضاء الله.

- الآية 12: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ باتّباع كِتابه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ باتّباع سُنّته، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: يعني فإن أعرضتم عن الامتثال للأوامر والنواهي: ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي فاعلموا أن الرسول لن يضره إعراضكم، إذ ما عليه إلا البلاغ الواضح لرسالة ربه وقد بَلّغ، وما تضرون بذلك الإعراض إلا أنفسكم.

- الآية 13: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود بحق إلا هو، ولا يَستحق العبادة غيره، ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ وحده ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي فليعتمدوا عليه في كل أمورهم.

- الآية 14: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ﴾ أي مِن بعض أزواجكم وبعض أولادكم - وليس كلهم - ﴿عَدُوًّا لَكُمْ﴾ أي يَصدونكم عن سبيل الله، ويجعلونكم تتكاسلون عن طاعته والتزود للآخرة ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أي كونوا منهم على حذر، ولا تطيعوهم في التخلف عن صلاة الجماعة وفِعل الخير، ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ يعني: وإن تتجاوزوا عن سيئاتهم، وتُعرضوا عنها فلا تعاقبوهم عليها، وتستروها عليهم فلا تفضحوهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تجاوَز عن عباده، ﴿رَحِيمٌ﴾ بمَن رحم الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء) (انظر صحيح الترغيب والترهيب ج: 2)، فحينئذٍ يعفو سبحانه عنكم كما عفوتم عن أزواجكم وأولادكم، (واعلم أن العفو: هو عدم المقابلة بالمِثل، والصفح: هو الإعراض عن اللوم والتوبيخ، والمغفرة: هي سِتر الذنوب وعدم فَضح صاحبها).

www.alukah.net

- الآية 15: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي اختبارٌ مِن الله لعباده، ليَعلمَ سبحانه: أيَشكرونه عليها ويُطيعونه فيها، أم يَنشغلونَ بها عن عبادته؟ ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وهو نعيم الجنة، الذي أعدَّهُ اللهُ لِمَن اتّقاه وأطاعه، ونَجَحَ في اختباره.

- الآية 16، والآية 17، والآية 18: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: أي ابذلوا أيها المؤمنون جهدكم وطاقتكم في تقوى الله تعالى، فافعلوا ما تقدرون عليه من أوامره، واجتنبوا نواهيه كلها (ومِن ذلك: إعطاء الزوجة والأولاد حقوقهم، بشرط ألاّ يُشغلوكم عن فرائض الله تعالى)، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما توعَظون به وافهموه، ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أمْرَ الله ورسوله ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ - مما رزقكم الله - يَكُن ﴿خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ يعني: ومَن يُعافيه اللهُ من البخل، وحِرص نفسه على المال، فيُعطي ما زادَ عن حاجته لإخوانه المحتاجين: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزونَ في الدنيا والآخرة، واعلموا أنكم ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: يعني إن تنفقوا إنفاقًا حسنًا (أي مِن مالٍ حلال - طالبينَ الأجر من الله تعالى - مِن غير أن تمُنّوا على الفقير): ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ أي يُضاعِف اللهُ لكم أجْر هذا الإنفاق إلى سبعمائة ضعف، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ أي يُثيب على القليل بالكثير، ﴿حَلِيمٌ﴾ حيثُ لم يُعاجلكم بالعقوبة حين عصيتموه، بل أرشَدكم إلى الإنفاق الذي يَغفر اللهُ به ذنوبكم، وهو سبحانه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي عالم السر والعلانية، وهو ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلَب، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– الآية 1: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ يعني إذا أردتم – أنت والمؤمنون – أن تطلِّقوا نساءكم لأمرٍ اقتضى ذلك (كأن تكون أخلاقهنّ سيئة أو كُنّ مُستكبراتٍ عن طاعتكم أو غير ذلك): ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: أي طَلِّقوهنّ لأول عِدّتهنّ (يعني في وقتٍ تكون فيه طاهرة من الحَيض – ولم يُجامعها زوجها في هذا الطُهر – ليكون ذلك الطُهر هو أول عِدّتها)، فهذا الطلاق هو الذي تكون العِدّة فيه واضحة (بخِلاف ما لو طلّقها وهي حائض، فإنها لا تَحتسب تلك الحَيضة التي وقع فيها الطلاق، فبذلك تَطُول عليها العِدّة)، وكذلك لو طلَّقها في طُهرٍ قد جامَعَها فيه، فقد تَحمل بعد هذا الجماع، فلا يتضح بأيّ عِدّةٍ تَعتدّ (هل بمرور ثلاث حَيضات أم بوضع الحمل؟)، وأما لو طلَّقها وهي حامل فإنّ عِدّتها تنتهي بوضع حَمْلها كما سيأتي.

♦ واعلم أن العِدَّة هي المدة التي تنتظر فيها المرأة دونَ زواجٍ مِن رجل آخر، وذلك للتأكُد مِن فراغ الرَحِم مِن الحَمل، وكذلك لإعطاء الفرصة للزوجين في التَرَوّي والرجوع إلى بناء الأسرة المُتهَدِّمة بسبب الطلاق، وكذلك لضمان استحقاق الزوجة للنفقة والسَّكَن – مِن الزوج – ما دامت في العِدَّة.

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ يعني: واحفظوا العِدَّة (وذلك بأن تعرفوا بدايتها ونهايتها)، لِما يترتب على ذلك من أحكام (كَصِحّة المراجعة وعدمها، واستمرار النفقة على المُطلَّقة وإسكانها أو توَقُّف ذلك).

♦ واعلم أن مدة هذه العِدَّة: ثلاث حَيْضات (وذلك على الراجح من أقوال العلماء)، بمعنى أن يَمُرَّ عليها الحَيْض ثلاث مرات، تبدأ في عَدِّ هذه الحَيْضات الثلاث مِن لحظة وقوع الطلاق، فإذا أتَى عليها الحَيْض بعد الطلاق ولو بلحظة: فإنها تحتسب هذه الحَيضة من الحَيْضات الثلاث، أمّا إذا طلقها الزوج وهي حائض: فإنها لا تَحتسب هذه الحَيْضة – التي وقع فيها الطلاق – مِن الثلاث حَيْضات.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ يعني أطيعوه في أمْره ونهْيه، وقِفوا عند حدوده فلا تتعدوها، و﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ أي لا تُخرجوا المُطلَّقات من البيوت التي يَسكنَّ فيها حتى تنتهي عِدّتهنّ، ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ يعني: ولا يجوز لهنّ الخروج من البيوت بأنفسهنّ ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ يعني إلا إذا فعلنَ فعلة مُنكَرة ظاهرة كالزنى، أو تكون بذيئة اللسان فتؤذي أهل البيت أذىً لا يتحملونه، فعندئذ يُباح إخراجها، ﴿وَتِلْكَ﴾ أي ما سَبَقَ مِن التشريعات والأحكام هي ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ الفاصلة بين الحلال والحرام، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ لأنه بذلك يُعَرِّضها لغضب الله وعذابه، ﴿لَا تَدْرِي﴾ – أيها المُطلِّق -: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾: أي لَعَلّ الله يُحدِث بعد ذلك الطلاق أمرًا لا تتوقعه – وهي في بيتك – فتُراجِعها، (كأنْ يَجعل الله في قلبك رغبةً في مُراجَعتها – أثناء العِدّة – وفي ذلك خيرٌ كثير لكما ولأولادكما).

– الآية 2، والآية 3: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعني فإذا قارَبَتْ عِدَة المُطلَّقات أن تنتهي: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: أي فَرَاجِعُوهُنَّ، وَفي نِيَّتِكُم: (حُسن معاملتهنّ بعدَ مُراجَعتِهنّ والإنفاق عليهنّ) ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: يعني أو خَلّوا سبيلهنّ، مع أداءِ حقوقهنّ، وعدم ذِكرهنّ بسوء، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ يعني: وأشهِدوا على هذه الرَّجعة – أو هذه المُفارَقة – رَجُلين مُسلِمَين بالغَين عاقلَين مَشهودٌ لهما بالعدل، (واعلم أن العدل يُشترَط فيهِ العُرف في كل مكان وزمان، فكل مَن كان صادقاً أميناً مُعتبَرًا عند الناس: قُبِلَتْ شهادته)، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ يعني: وأدُّوا الشهادة – أيها الشهود – خالصةً لله وحده، لا لشيءٍ آخر، ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ﴾ أي بهذا يَعِظ اللهُ الذي يؤمن ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيَفعل ما يُرضيه ويَجتنب ما يُغضبه (وخصوصاً في هذه الأحكام المتعلقة بالطلاق والرَجعة والعِدّة): ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ مِن كل ضِيق ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ

www.alukah.net

﴿حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: أي يُيَسِّر له أسباب الرزق من حيث لا يَخطر على باله، ولا يكونُ في حُسبانه، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي يَعتمد على الله تعالى، آخِذاً بالأسباب التي شرَعها له - مع تعلق قلبه بالله وحده -: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي فهو سبحانه كافيه ما يُهِمُّه في جميع أموره، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ أي غالبٌ على أمْره (فإذا أراد شيئاً قال له كُن فيكون)، وإنما ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي جعل لكل شيءٍ أراده أجلاً ينتهي إليه، وتقديرًا لا يُجاوزه (فهو واقعٌ لا مَحالة، ولكنْ في الوقت الذي يريده الله).

- الآية **4**: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ يعني: وأما حُكم المُطلَّقات اللاتي انقطع عنهنَّ دم الحيض؛ لكِبَر سِنّهنّ: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: يعني إنْ شَكَكتم فلم تدروا ما الحُكم فيهنَّ: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ تبدأ مِن لحظة وقوع الطلاق، ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني: وكذلك الصغيرات اللاتي لم يَحِضن بعد، فعِدَّتهنّ ثلاثة أشهر، ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ يعني: وأما المُطلَّقات الحَوَامِل، فإنَّ عدَّتهنّ تنتهي بوضْع الحَمل، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ أي يَخف عذابه ويُنَفِذ أحكامه: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ أي يُسَهِّل له أموره ويُصلح باله في الدنيا والآخرة.

- الآية **5**: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الذي ذُكِر مِن أمْر الطلاق والعِدّة، هو ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ الذي ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ أيها الناس لتعملوا به، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ باجتناب معاصيه وأداء فرائضه: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ أي يَمْحُ عنه ذنوبه ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾: أي يُعطه ثواباً عظيماً مضاعَفاً في جنات النعيم.

- الآية **6**: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ يعني أسكِنوا - أيها الرجال - مُطلَّقاتكنّ في سَكَنكم، أو في سَكَن مِثل سَكَنكم (وذلك في أثناء العدة) ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ أي على قدر سَعَتكم وطاقتكم.

♦ وقد اختلف العلماء: (هل يَسكن معها في نفس السَكَن أثناء العِدّة؟، أو يوفِّر لها سَكناً مناسباً بقدر استطاعته (ولو بالإيجار)؟، أو يَترك لها مَنزله ويَخرج منه حتى تنتهي عِدّتها؟)، والراجح أن المنزل إذا كانَ يَتَّسع لهما معاً (هو في حجرة وهي في أخرى)، فلا داعي لإخلائه لها (بل الأَوْلى أن يَسكُنا معاً، كما تقدَّم في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾)، وأما إنْ كان البيت لا يَتَّسع إلا لواحدٍ منهما فيَجب أن يَتركه لها، أو يوفِّر لها سَكناً مناسباً (بالإيجار) بقدر استطاعته.

﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ يعني: ولا تُلحِقوا بهنّ ضررًا - سواء في السكن أو في النفقة - لأجل أن تُضَيّقوا عليهنّ السَكَن فيَترُكنَه لكم ويَخرُجنَ منه، ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ﴾ يعني: وإنْ كانَ نساؤكم المُطلَّقات حوامل: ﴿فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ أثناء عِدّتهنّ ﴿حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادهنّ منكم: ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على هذا الإرضاع (وهذا خاص بالمُطلَّقة فقط)، ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي تشاوَرا في أمرٍ يَنتهي بالاتفاق على أُجرة مُعَيّنة نظير هذا الإرضاع (لا إفراطَ فيها ولا تفريط)، ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ يعني: وإن اختلفتم في الأجرة، فامتنعتم عن الإنفاق عليهنّ بسبب عُسرٍ عندكم في النفقة، وامتنعنَ هُنَّ عن الإرضاع: ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ يعني فلْتُرضِع للأب مُرضِعة أخرى غير الأم المُطلّقة (حتى لا تقعوا في هذا الاختلاف).

- الآية **7**: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ يعني: فليُنفقْ الزوج الغني - من الرزق الذي وسَّعه الله عليه - على زوجته المُطلّقة وعلى ولده منها، ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ يعني: ومَن ضُيِّق عليه في الرزق (وهو الفقير): ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ يعني فليُنفق مما أعطاه الله من الرزق على قدر طاقته، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (فلا يُكلَّف الفقير مثلما يُكلَّف الغني)، و﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾: أي سيجعل الله بعد ضيقٍ وشدة: سَعَةً وغِنىً، (واعلم أنّ هذا كانَ وعداً من الله تعالى قد أتمه لأصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم، حيث كانوا في شدةٍ وفقر، ففتح عليهم مُلك الفُرس والروم فأبدل عُسرهم يُسراً)، وأما غيرهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فيُشترَط لهم التقوى حتى يوَسّع الله أرزاقهم، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (*) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

- من الآية 8 إلى الآية 11: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ يعني: وكثير من القرى التي عصى أهلها أمْر الله ورُسُله، واستمروا في طغيانهم وكُفرهم ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي جازينا أهلها على أعمالهم السيئة جزاءً شديداً ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ أي عذابًا عظيمًا (تُنكِره العقول من شدته وفظاعته) ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: أي ذاقوا سُوء عاقبة طغيانهم وكُفرهم، ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ يعني: وكان مَصير كُفرهم هلاكًا وخُسرانًا لا خُسرانَ بعده، وقد ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة (لا يُطاق ولا يُحتمَل)، إذاً ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾: أي خافوا اللهَ واحذروا غضبه يا أيها المؤمنون - أصحاب العقول السليمة - ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ (وهو القرآن)، وأرسل إليكم ﴿رَسُولًا﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أي يَقرأ عليكم آيات الله التي توضّح لكم الحق من الباطل ﴿لِيُخْرِجَ﴾ اللهُ تعالى - بهذا الرسول وهذا القرآن - ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي مِن ظلمات الكُفر إلى نور الإيمانِ، ومِن ظلمات الجهل إلى نور العِلم، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ رَبّاً وإلهاً، فلا يَعبد غيره ﴿وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ (وهو كلّ عمل كانَ خالصًا للهِ تعالى، وموافقًا لِمَا كان عليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم): ﴿يُدْخِلْهُ﴾ اللهُ ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي بساتين عجيبة المنظر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري أنهار الماء واللبن والعسل والخمر من تحت أشجارها المتدلية وقصورها العالية ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾: أي قد أحسن الله للمؤمن رزقه في الجنة، إذ لا يَنقطع عنه نعيمها أبداً.

- الآية 12: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: وخَلَق سبحانه سبع أرَضين (أرضاً فوق أرض)، كما هو الحال في السماوات السبع (سماءً فوق سماء)، ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يعني: أي يَتنزل وحي الله إلى رُسُله، ويَتنزل تدبيره لخلقه (بين السماوات والأرض)، وقد أخبَرَكم سبحانه بخَلقه العظيم وتدبيره لشؤون عباده ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فترغبوا فيما عنده من النعيم) ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (لتتقوه في كل أفعالكم وأقولكم، حتى تنجوا مِن ناره).

****

www.alukah.net

- الآية 1: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾؟! يعني لِمَ تمنع نفسك عن الحلال الذي أحَلّه الله لك؟! ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾؟! يعني: أتفعل ذلك طلباً لإرضاء زوجاتك؟!، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِما فعلته، ﴿رَحِيمٌ﴾ بك، فلا لَومَ عليك (وَكَفِّر عن يَمينك).

♦ واعلم أن سبب نزول هذه الآية - كما ثَبَتَ في الصحيحين - أن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يَمكث عند زينب بنت جحش، فيَشرب عندها عسلاً، فتواصَيتُ أنا وحَفصة: إنْ أيّتُنا - يعني إنْ إحدانا - دَخَلَ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلتقل: إني أجد منك ريح مَغافير، أكلتَ مَغافير؟) (والمغافير هو صمغ حلو، له رائحة كريهة)، فدخل على إحداهما (وهي حفصة رضي الله عنها)، فقالت له ذلك، فقال لها: (لا، ولكني شربتُ عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حَلفتُ) (أي حَلِفتُ على ذلك، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يشتد عليه أن توجد منه الريح)، وقال لها: (لا تُخبِري بذلك) - أي طلب منها ألاّ تخبر أحداً بهذا السر، ولكنها أخبرتْ به عائشة رضي الله عنها - فنَزَلَ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة رضي الله عنهما.

- الآية 2: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾: أي قد شَرَعَ اللهُ لكم - أيها المؤمنون - تحليل حَلِفكم بأداء الكفارة عنها، وهي: (إطعام عشرة مساكين - وَجبة مُشبِعة - مِن أوْسَطِ طعام بيوتكم، أو أن تَكسوهم (سواء كانَ الكِساء قديمًا أو جديدًا، المُهمُّ أن يكون صالحاً - لهم - للارتداء)، أو أن تَعتقوا عبدًا أو جارية، فمَن لم يستطعْ إطعامَ المساكين أو كِسوَتهم - بسبب فقرهِ مثلاً - وكذلك لم يَجدْ عبدًا يَعتقه: فعليه أن يصومَ ثلاثة أيام)، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي مُتولي أموركم، فلذلك يَسَّرَ عليكم بتشريع هذه الكفارة، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما يُصلحكم، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تشريعه لكم.

- الآية 3: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ أي: واذكر أيها النبي عندما أخبرتَ زوجتك حفصة بحديثٍ سِرّ (وهو قولك لها: شربتُ عسلاً ولن أعود له، وقد حَلفتُ فلا تخبري بذلك أحداً)، ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾: يعني فلمّا أخبرتْ به عائشة رضي الله عنها ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني: وأطلَعَ اللهُ رسوله على إفشائها لسِرّه: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾: يعني أخبَرَ حفصة ببعض ما أخبرتْ به عائشة، وأعرض عن إخبارها بباقي الحديث لسُمُوّ أخلاقه صلى الله عليه وسلم، حتى لا يَتسبب لها في مزيد من الخجل والإحراج، ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾: يعني فلمّا أخبرها بما أفشته من السر: ﴿قَالَتْ﴾ له: ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾؟! ﴿قَالَ﴾ صلى الله عليه وسلم: ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾: يعني أخبرني بذلك اللهُ العليم الخبير، الذي لا يَخفى عليه شيء.

- الآية 4: ﴿إِنْ تَتُوبَا﴾ - يا حفصة ويا عائشة - ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ مما فعلتما: فإنّ الله يَقبل توبتكما، ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: أي فقد مالت قلوبكما إلى مَحبة ما كرهه الرسولُ مِن إفشاء سرّه، فلذلك يَجب عليكما التوبة مِن ذلك حتى يَقبلها الله منكما، ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ يعني: وإن تتعاونا عليه صلى الله عليه وسلم فيما يَكرهه: فإنّ تعاونكما لن يضره شيئاً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أي ناصره على مَن يُعاديه ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ ناصره أيضاً ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (ولَعَلّ المقصود هنا: أبو بكر (والد عائشة) وعُمر (والد حفصة) رضي الله عنهم جميعاً)، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ يعني: والملائكة - بعد نُصرة الله له - أعوانٌ له ونُصَراء على مَن يؤذيه ويُعاديه.

- الآية 5: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾: يعني إنْ طلقكنَّ النبي أيتها الزوجات، فسوف يُزوِّجه ربُّه بزوجاتٍ خيرٍ منكنّ ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ أي خاضعاتٍ لأمر الله تعالى، ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ (أي مُصَدِّقاتٍ بالله ورسوله عاملاتٍ بشرع الله تعالى)، ﴿قَانِتَاتٍ﴾ أي مُطيعاتٍ لله ولرسوله، ﴿تَائِبَاتٍ﴾ أي راجعاتٍ إلى ما يحبه الله، ﴿عَابِدَاتٍ﴾ أي كثيرات العبادة له،

(سَائِحَاتٍ) أي صائمات، (ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) يعني: منهنَّ الثيِّبات (اللاتي سَبَقَ لهنّ الزواج قبل ذلك)، ومنهنّ الأبكار (اللاتي لم يَسبق لهن الزواج)، (وقد تابت عائشة وحفصة رضي الله عنهما مما فَعَلا، فلذلك لم يُطلّقهما النبي صلى الله عليه وسلم)، واعلم أنّ اختيار الله تعالى لرسوله، أن تَبقى نساؤه معه حتى يموت، فيه دليل على أنهنّ خيرُ النساء وأكملهنّ (رضي الله عنهنّ جميعاً).

- الآية 6، والآية 7: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا): أي احفظوا أنفسكم وأهليكم من الوقوع في نار جهنم (وذلك بفعل ما يُرضي ربكم وترْك ما يُغضبه، وبتربية أولادكم وزوجاتكم على تقوى الله تعالى وتعليمهم شَرْعه)، واعلموا أن هذه النار (وَقُودُهَا) أي حَطَبُها الذي توقد به هو (النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ): أي يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قُساةٌ في معاملاتهم، (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ): أي لا يُخالفونَ اللهَ في أيّ أمر (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) يعني: ويُنَفذون ما يأمرهم الله به من تعذيب أهل النار (وهذا يدل على أنهم مأمورونَ بالغلظة والشدة في تعذيب أهل النار، نسأل اللهَ العفو والعافية).

♦ ويُقال للذين كفروا عند إدخالهم النار: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) (فقد فات أوان التوبة والاعتذار)، و(إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الشرك والمعاصي.

- الآية 8: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا) أي ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة ربكم (رجوعاً لا معصيةَ بعده، أو بأنْ تعزموا عزيمةً صادقةً قاطعة على عدم العودة إلى الذنوب)، (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ): يعني إذا داوَمتم على تلك التوبة (الصادقة النادمة الجازمة)، فسوف يَمحو الله عنكم سيئات أعمالكم (وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ) أي لا يُذِّلهم ولا يُهينهم ولا يُعذبهم، بل يُعلي شأنهم ويَرحمهم بدخول جنته، و(نُورُهُمْ) (الذي اكتسبوه بالإيمان والعمل الصالح) (يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أي يَتقدمهم ليُضيئ لهم الصراط المُظلِم، فيَمشي مِن أمامهم ليهديهم إلى طريق الجنة (وَبِأَيْمَانِهِمْ) أي يُحيط بهم ذلك النور من جميع جوانبهم (وإنما اقتصر سبحانه على ذِكر جهة اليمين على سبيل التشريف لتلك الجهة)، واعلم أنّ نُورهم يكونُ على قدْر أعمالهم، و(يَقُولُونَ) - وهم على الصراط -: (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) حتى نتجاوز الصراط ونصل إلى الجنة (وَاغْفِرْ لَنَا) أي تجاوَز عن ذنوبنا واسترها علينا (حتى ننجوا من السقوط في جهنم) (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (ونحن نَعلم قدرتك على المغفرة، فاغفر لنا ذنوبنا، ولا تجعل أقدامنا تَزِلّ على الصراط بسببها)، (ولَعَلّهم قالوا ذلك الدعاء عندما رأوا أن المنافقين قد انطفأ نورهم، فخافوا مِن ذنوبهم)، (واعلم أنّ كلمة (عسى) إذا جاءت من اللهِ تعالى، فإنها تفيد الوجوب وتأكيد الوقوع).

- الآية 9: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ) المُحارِبين (بقتالهم)، (وَالْمُنَافِقِينَ) أي: وجاهِد المنافقين باللسان والحُجَّة، (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) أي اشدُد على كِلا الفريقين في القول والفعل (وَمَأْوَاهُمْ) - أي: ومَقرُّهم - (جَهَنَّمُ) (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) الذي يصيرون إليه.

- الآية 10: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا) - في عدم انتفاعهم بقُرب المؤمنين منهم، ولو كانوا أقرباءهم أو أزواجهم -: (امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ) حيثُ (كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ) أي كانتا في عصمة عبدَين من عبادنا صالحين (وهما نبيّ الله نوح ونبيّه لوط عليهما السلام) (فَخَانَتَاهُمَا): أي وقعت من الزوجتين الخيانة في الدين، فقد كانتا كافرتين بنُبُوّة

www.alukah.net

أزواجهما ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يعني فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتَيهما من عذاب الله شيئًا ﴿وَقِيلَ﴾ للزوجتين: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ فيها، (وفي هذا المَثَل دليلٌ على أن القُرب من الأنبياء والصالحين لا يُفيد شيئا مع العمل السيِّئ).

- الآية 11، والآية 12: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ - في عدم ضَرَرهم بمُخالطة الكافرين ولو كانوا أزواجهم -: ﴿امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ التي كانت في عِصمة أشد الكافرينَ بالله (وهي مؤمنة بالله)، ﴿إِذْ قَالَتْ﴾: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (ولعَلّ سبب دعائها بهذا الدعاء أن فرعون قد هَدَّدَها بأنها إنْ آمنتْ، فسوف يَحرمها من السَكَن في القصر، فلذلك طلبتْ من الله تعالى أن يَبني لها بيتاً في الجنة)، ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ يعني: وأنقِذني من عذاب فرعون الظالم، ومما يَصدر عنه من أعمال الشر، حتى لا يُصيبني سُوء عاقبة عمله، ولا أفتَن في ديني، فأكفر بعد إيماني، ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: وأنقِذني من القوم التابعينَ له في الظلم والضلال ومِن عذابهم.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ يعني: وضَرَبَ الله مَثَلاً للذين آمنوا: مَريم بنت عمران ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي حَفظتْ فَرْجها من الحرام، ولم تفعل فاحشةً في حياتها (على الرغم من انتشار الزنا في بني إسرائيل في زمانها)، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (والمقصود بالروح هنا هو جبريل عليه السلام، الذي قال اللهُ عنه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، وقال عنه: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾)، فقد أرسل الله جبريل إلى مريم، فنَفخ في جَيْب ثيابها - وهو المكان الذي عند الرقبة - فوصلتْ النفخة إلى رَحِمِها، فخَلَقَ اللهُ بتلك النفخة عيسى عليه السلام، فحملتْ به من غير زوج، ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾: أي صدَّقت بكلمات ربها الدينية والقدرية وبكُتبه المُنَزَّلة على رُسُله، وعملتْ بشرائعه التي شَرَعها لعباده، ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ أي مِن المُطيعينَ لله تعالى.

♦ ويُلاحَظ هنا أن الله تعالى لم يقل: (وكانت من القانتات) مع أنها أنثى، وقد قال عنها - أيضًا - في سورة آل عمران: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وذلك لأنه سبحانه لمّا كان يريد أن يَمدح عبدًا من عباده - رجلاً كانَ أو امرأة - كان يَمنحه درجة الرجال، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾).

♦ واعلم أن قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ يَشمل تصديقها بولدها عيسى عليه السلام، فهو كلمة الله تعالى، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، والمقصود بـ "كلمة الله" أن الله تعالى خلقه بكلمة: "كن" فكانَ مِن غير أب.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة المُلك كاملة

- من الآية 1 إلى الآية 4: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: أي كَثُرَتْ خيرات الله تعالى على خَلْقه، وعَظُمَتْ قدرته ومُلكه، فهو الذي بيده مُلك الدنيا والآخرة والتصرف فيهما، وأمْره وقضاؤه نافذان فيهما ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزه شيء، (وفي الآية إثباتُ اليَدّ لله سبحانه وتعالى، كما يليق بجلاله وكماله وعظمته، مِن غير أن نُشَبِّه يد الله تعالى بيَد المخلوق، لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يُشبِه أحداً مِن خَلْقه، وكل ما دارَ ببالك فاللهُ تعالى بخِلاف ذلك)، وهو سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ (فكُلّ حَيّ يَعيش بالحياة التي خلقها الله، وكل مَيّت يَموت بالموت الذي خلقه الله)، (ولَعَلّ اللهَ تعالى قدَّمَ ذِكر الموت على الحياة، لأن الموت هو أكبر واعظ للإنسان)، وقد قدَّرَ سبحانه ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي لِيَختبركم أيُّكم أتقنُ له في الطاعةً وأحسنُ في العمل الصالح (وهو كلّ ما كانَ خالصًا للهِ تعالى، وموافقًا لِمَا كان عليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يَمنعه مانع مِمَّا أراد، القادرُ على الانتقام ممن أشرك به وعصاه، ومع ذلك فهو ﴿الْغَفُورُ﴾ لكل مَن تاب إليه وطَلَبَ رضاه، (ولو تيَقَّنَ العُصاة والمُشركونَ بهذا، ما أصَرُّوا على ضَلالهم، ولَسارَعوا بالتوبة إلى ربهم).

♦ وهو سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي خَلَقَ سبع سماوات متناسقة، بعضها فوق بعض (واعلم أن مَعنى كلمة (طِباق) أي طبقة فوق طبقة، بحيث لا تلمس إحداهما الأخرى)، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ أي لا ترى - أيها الناظر في مُلك الله - خَللاً في خَلْق الرحمن (بل كل شيءٍ قد وُضِعَ في مَوضعه المناسب له)، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ يعني: فأعِد النظر إلى السماء: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾؟! يعني هل ترى فيها مِن شقوق؟! ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: ثم أعِد النظر مرة بعد مرة: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي يَرجع إليك البصر ذليلاً لا يرى نقصًا في خَلْق الله تعالى، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ يعني: والبصر قد تعب من كثرة النظر، ويَئِسَ مِن أن يجد خللاً في خَلْق المَلِك القدير جَلَّ وعَلا.

- الآية 5: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ (وهي السماء القريبة من الأرض)، فقد زيّنَها الله للناظرينَ إليها ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ (وهي النجوم المضيئة)، ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أي جَعَلنا النجوم حِفظاً للسماء مِن الشياطين (إذ كانوا يُرجَمونَ بالشُهُب - التي هي من جُملة النجوم - إذا حاولوا الوصول إلى السماء لِيَعلموا شيئاً من الغيب الذي تتحدث به الملائكة، حتى يَنقِلوه إلى أوليائهم من السَحَرة)، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي أعددنا للشياطين عذاب النار المُستعِرة (أي الموقدة)، إذ يدخلونها في الآخرة، لِيُعانوا مِن شدة حَرّها.

- من الآية 6 إلى الآية 11: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ يعني: وللجاحدين (الذين جَحَدوا توحيد خالقهم واستحقاقه وحده للعبادة)، أولئك لهم عذاب جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: وقَبُحَ ذلك المَرجع الذي صاروا إليه (وهو جهنم)، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ يعني إذا ألقتهم الملائكة في جهنم: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ أي سمعوا لجهنم صوتًا فظيعاً ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي تغلي غليانًا شديدًا، ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: أي تكاد جهنم تتمزق مِن شدة غيظها على الكافرينَ والمُصِرّين على المعاصي، غضباً لربها سبحانه وتعالى، وهذا جندي واحد فقط من جنود الله تعالى (ما أعظمك ياربِ!)، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي كلما أُلقِيَ في النار جماعة من الناس: ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ (وهم الملائكةُ الغِلاظ الشِداد المُكَلَّفون بتعذيبهم في النار)، فسألوهم - على سبيل التأنيب -: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟! يعني ألم يأتكم في الدنيا رسولٌ يُحَذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟!، ف﴿قَالُوا﴾ - مُعترفينَ بذنبهم -: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ أي جاءنا رسولٌ مِن عند الله وحَذّرَنا، ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ به، ﴿وَقُلْنَا﴾

www.alukah.net

له – عندما جاءنا بالآيات من عند الله –: ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: ما نَزَّل الله على أحدٍ من البشر شيئًا، وقلنا للرُسل: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يعني ما أنتم – أيها الرُسل – إلا في ضلالٍ بعيد عن الحق والصواب، ﴿وَقَالُوا﴾ – نادمين مُتحسرين –: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾: يعني لو كنا نسمع سماع مَن يطلب الحق، أو نفكر فيما يدعونا إليه الرُسل: ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي ما كنا في أهل النار الموقدة، ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ الذي استحقوا به عذاب النار (ولكنْ حينَ لا ينفع الندم)، ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي بُعدًا لأهل النار عن رحمة الله تعالى.

– الآية 12: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ يعني: إنّ الذين يخافون أن يَعصوا ربهم – وهم غائبون عن أعين الناس، ولا يراهم أحدٌ إلا الله – أولئك ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو الجنة.

– من الآية 13 إلى الآية 18: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ يعني: وأخفوا قولكم – أيها الناس – سراً فيما بينكم، أو تكلَّموا به بصوت مرتفع، فهما عند الله سواء (لأنه سبحانه يتساوى عنده السر والعلانية) ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي عليمٌ بكل ما تُخفيه الصدور من النيّات والخواطر (فكيف تَخفى عليه أقوالكم وأعمالكم؟!) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؟! يعني كيف لا يَعلم سبحانه خَلْقه وشؤونهم، وهو الذي خَلَقهم وخَلَقَ قلوبهم التي في صدورهم؟!، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ أي الرفيق بعباده (مؤمنهم وكافرهم، طائعهم وعاصيهم)، بدليل أنهم يعصونه وهو يرزقهم ولا يُعَجِّل لهم العقوبة، ﴿الْخَبِيرُ﴾ بأعمالهم وبما يُصلِحهم، فـ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ أي جَعَلها مُسَخَّرةً لكم – رغم ضَخامتها واتّساعها – وجعلها مُمَهَّدةً لتمشوا فوقها وتستقروا عليها، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي امشوا في نواحيها وجوانبها، ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (الذي يُخرجه سبحانه لكم مِن هذه الأرض)، وهذا يُعَلِّمنا الأخذ بالأسباب والسعي في طلب الرزق، إذ لم يقل سبحانه: (كلوا من رزقه) فقط، ولكنه قال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾، ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ يعني: وإليه وحده أمْر إحيائكم من قبوركم للحساب والجزاء (فإنّ هذا يسيرٌ على الله تعالى، إذ هو الذي ابتدأ خلْقكم، وهو القادرُ على إعادتكم أحياءً بعد موتكم)، فتذَكَّروا هذا حتى لا تركنوا إلى الدنيا وتنسوا الآخرة، (وفي الآية دليل على قدرة الله تعالى وعنايته بمصالح خلقه، وأنه وحده الذي يَستحق أن يَعبدوه).

♦ ثم أخبَرَ اللهُ تعالى عباده أنّ الذي سَخَّرَ لهم الأرضَ لمنافعهم، قادرٌ على أن يَنزع ذلك التسخير ويُسَلِّطها عليهم، إذا عصوا أمْره ولم يشكروا نعمه، فقال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ ؟ يعني هل أمِنتم – أيها العُصاة – اللهَ الذي فوق السماء أن يَخسف بكم الأرض كما فعل بقارون؟ ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ يعني فإذا هي تتحرك بكم بشدة – وأنتم بداخلها – حتى تهلكوا؟ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ؟ يعني أم أمِنتم اللهَ الذي فوق السماء أن يُمْطِركم بحجارةٍ من السماء فتقتلكم؟، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ يعني فستعلمون حينئذٍ كيف كانَ عاقبة تحذيري لكم (ولكنْ حين لا يَنفعكم ذلك العلم)، (وفي الآية إثبات صفة العُلُوّ لله تعالى ، كما يليق بجلاله وكماله وعظمته، فهو سبحانه على عرشه، فوق جميع خلقه كما أخبر عن نفسه)، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي الذين مِن قبل كفار "مكة" – كقوم نوح وعاد وثمود – فقد كَذَّبوا رُسلهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ؟! يعني فكيف كان إنكاري على تكذيبهم؟، وكيف كان تغييري للنعم التي سَخَّرتُها لهم؟ (والاستفهام للتقرير) أي كان إنكاري عليهم عظيماً بالعذاب والهلاك، (وفي الآية تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاهُ من أنواع التكذيب والعِناد والجحود مِن قومه).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– الآية 19: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾؟! يعني أغَفِل هؤلاء المُشرِكون عن قدرة الله ورحمته، فلم يَنظروا إلى الطير فوقهم وهم ﴿صَافَّاتٍ﴾ أي باسطاتٌ أجنحتها عند طيرانها في الهواء ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ يعني: ويَضمُمنَ أجنحتها إلى جُنوبها (دونَ أن ترفرف بها)، فمَن يُمسِكها إذاً حتى لا تقع؟! ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾: أي ما يَحفظها من الوقوع عندئذٍ إلا الرحمن (الذي وسعتْ رحمته كل شيء، والذي يَستحق العبادة وحده) ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ إذ يَرى سبحانه جميع مخلوقاته ويُدَبِّر أمورهم (سواء الطائر في السماء، أو الغائص في الماء، أو الماشي في ظُلمة الصحراء).

– الآية 20: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾؟! يعني: بل مَن هذا الذي هو مُعِينٌ لكم – في زعْمكم أيها الكافرون – ﴿يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي يُنقذكم من الرحمن إنْ أراد بكم سُوءًا؟! أو: مَن هذا الذي ينصركم على أعدائكم غير الرحمن؟! لا أحد، ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ أي: ما الكافرون – في زَعْمهم هذا – إلا في خِداعٍ وضلال من الشيطان، إذ قال لهم: (إنّ آلهتكم تشفع لكم عند ربكم وتُقَرِّبكم إليه)، وهذا باطلٌ لا دليلَ عليه.

– الآية 21: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾؟! يعني: بل مَن هذا الذي يَرزقكم – من السماء أو الأرض أو البحر – إنْ أمسَكَ الله رزقه ومَنَعَه عنكم؟! لا أحد، ﴿بَلْ﴾ إنهم لم يتأثروا بتلك المواعظ والعِبَر، ولكنهم ﴿لَجُّوا﴾ أي استمروا في طغيانهم وضَلالهم ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ أي في مُعاندةٍ واستكبار ﴿وَنُفُورٍ﴾ أي تَباعد عن الحق، لا يريدون سَماعه (لأنه لا يتوافق مع شهواتهم الرخيصة).

– الآية 22: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى﴾ يعني أفمَن يَمشي مُنَكِّساً رأسه (تائهاً، لا يدري أين يذهب)، فهل هذا أشد استقامةً وأكثر هدايةً ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؟! يعني أم الذي يمشي معتدلاً مستقيماً على طريق واضح لا اعوجاج فيه؟!، (وهذا المَثَل قد ضربه الله تعالى للكافر (الذي يمشي في ظلمات الجهل والضلال والتقليد الأعمى بغير دليل)، والمؤمن الذي هو على بصيرةٍ وحُجَّةٍ مِن أمْر دينه، فيمشي في نور العلم والإيمان والاطمئنان بذِكر الله وتوحيده).

– الآية 23، والآية 24: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول – مُذَكِّراً لهؤلاء المُشرِكين بنعم ربهم عليهم –: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ من العدم، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ نعمة ﴿السَّمْعَ﴾ التي يُميَّز بها بين الأصوات، ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ التي يُميَّز بها بين الألوان والأشخاص وجميع الأشياء، ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي القلوب (والمقصود بها نعمة العقل) التي يُميَّز بها بين الخير والشر والنافع والضار، ومع ذلك فـ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ ربكم على ما أنعم به عليكم (بل تعبدون معه غيره مِن مخلوقاته)، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ أي خَلَقكم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ونَشَرَكم في أنحائها، ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ بعد موتكم، فتُجمَعون إليه وحده للحساب والجزاء، (إذ القادرُ على خَلْقكم في هذه الأرض: قادرٌ على خَلْقكم في أرضٍ أخرى بعد موتكم).

– الآية 25، والآية 26، والآية 27: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ أي: متى يتحقق هذا الحشر والعذاب الذي تَعِدُنا به يا محمد، إن كنت صادقاً أنت ومَن اتَّبعك؟، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني إنما العلم بوقت قيام الساعة عند الله وحده، ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾ أي مُخَوِّفٌ لكم من عذاب الله إنْ أشركتم به وعصيتموه، ﴿مُبِينٌ﴾ أي أُوَضِّح لكم ما أُرسلتُ به إليكم.

♦ وقد جاءهم العذاب الموعود يوم القيامة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ يعني فلمّا رأوا العذابَ قريبًا منهم يوم القيامة: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أساءَ الله وجوههم، فتغيّرتْ بالسواد والحزن والكآبة ﴿وَقِيلَ﴾ لهم – تأنيباً –: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

www.alukah.net

﴿تَدَّعُونَ﴾: يعني هذا هو العذاب الذي كنتم تطلبون تعجيله لكم في الدنيا، (ولَعَلّ الله تعالى عَبَّرَ عن مَجيئ القيامة بصيغة الماضي - مع أنها لم تأتِ بعد - لتأكيد وقوعها في عِلمه سبحانه).

♦ ولَعَلَّ الله تعالى قال: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ولم يقل: (سِيئَتْ وجوههم)، لِيَذمهم بصفة الكفر، التي هي سبب هلاكهم.

- الآية 28: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ يعني أخبِروني: ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾: يعني إن أماتني الله ومَن معي من المؤمنين كما تتمنون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فأخَّرَ آجالنا، وعافانا مِن عذابه، ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟! يعني فمَن هذا الذي يَحميكم، ويَمنعكم من عذاب الله الأليم، بعدما أشركتم به في عبادته، وكفرتم بآياته الواضحة، واستحققتم عذابه؟! لا أحد، إذاً فبماذا تنتفعون بموتنا وهلاكنا؟!

- الآية 29: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ أي قل لهم أيها الرسول: الذي يَرحمنا وينجينا من عذابه هو الرحمن الذي يدعوكم إلى عبادته وحده، والتقرب إليه بما شَرَع، فقد ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ أي صدَّقنا به وعملنا بشرعه، ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾: يعني عليه وحده اعتمدنا في كل أمورنا، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي فسوف تعلمون إذا نزل العذاب بكم: أيُّ الفريقين منا ومنكم في بُعْدٍ واضح عن طريق الله المستقيم؟

- الآية 30: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: يعني أخبِروني إن صارَ ماؤكم الذي تشربون منه غائراً - أي ذاهبًا في الأرض - لا تصلون إليه بأي وسيلة: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾؟! يعني فمَن غيرُ الله تعالى يستطيع أن يأتيكم بماءٍ جارٍ على وجه الأرض ظاهر للعيون؟! لا أحد (إذاً فاعبدوا اللهَ وحده ولا تشركوا به، فإنه سبحانه الخالق الرازق القادر، المُستحِق وحده للعبادة، وأما غيره فلم يَخلق شيئاً ولم يُنعِم بشيء).

♦ وفي خِتام سورة المُلك، نحب أن نَذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنّ سورةً من القرآن، ثلاثون آية، شفعتْ لرجل حتى غُفِرَ له، وهي "تبارك الذي بيده الملك") (انظر حديث رقم: 2091 في صحيح الجامع) (وفي رواية أنها خاصمتْ - أي دافعَت - عن صاحبها حتى أدخلته الجنة) (وصاحبها هو المُلازم لقراءتها بتدبر واعتبار).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- من الآية 1 إلى الآية 7: ﴿ن﴾: سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة.
﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يُقسِم اللهُ تعالى بالقلم الذي يُكتَب به، ويُقسِم أيضاً بما يُسَطِّرُه الناس - أي يَكتبونه - من الخير والنفع والعلوم، ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ يعني إنك أيها الرسول - بسبب إنعام الله عليك بالنُبُوّة ورَجاحة العقل وكمال الخُلُق - لستَ بمجنون (كما يَزعم المُعانِدون من قومك)، ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ - على ما تَلقاه من شدائد وإيذاء في تبليغ رسالة ربك - ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي ثوابًا عظيمًا غير منقوص ولا مقطوع، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (وهي الأخلاق العظيمة التي اشتمل عليها القرآن، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يَمتثل أوامر القرآن ويتخلق بآدابه، حتى قالت عنه أمُّنا عائشة رضي الله عنها: كان خُلُقه القرآن)، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (ما مِن شيءٍ يوضع في الميزان أثقل مِن حُسن الخُلُق، وإنّ صاحب حُسن الخُلُق لَيَبلُغ به درجة صاحب الصوم والصلاة) (انظر حديث رقم: 5726 في صحيح الجامع)، ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ يعني: فستَرى قريباً أيها الرسول - وسيَرى الكافرون - أيّكم الذي أصابته فتنة الضَلال والجنون؟، (وقد تبَيَّنَ لجميع الخَلْق أنه صلى الله عليه وسلم أهدى الناس وأعقلهم وأكملهم، وأنّ أعداءه هم أضل الناس وأقلهم عقلاً وبصيرة)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أيها الرسول ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي يَعلم سبحانه مَن ضَلَّ عن الإسلام (الذي هو طريق الهدى والرشاد) ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الذين اتَّبعوا طريق الإسلام، المُوصل بهم إلى الجنة، (وفي هذا تصبيرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه أيضاً تهديدٌ للمُشرِكينَ إن لم يتوبوا).

- من الآية 8 إلى الآية 16: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: اثبُت أيها الرسول على ما أنت عليه من مُخالَفة المُكَذّبين، ولا تطعهم فيما يقترحونه عليك ويطلبونه منك (مما يُخالف شرْع ربك)، فإنهم ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾: أي تمنَّوا لو أنك تُلاينهم على بعض ما هم عليه (بألاَّ تذكر آلهتهم بسوء)، حتى يَلينوا لك في القول، ويَكفوا عن إيذائك وإيذاء المؤمنين، ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ أي لا تطع كلَّ إنسانٍ كثير الحلف (لأن الحلف الكثير غالباً يؤدي إلى الحلف كذباً، وهو ما يُسَمَّى باليمين الغموس، أي الذي يَغمس صاحبه في النار، وهو من الكبائر، ويحتاج إلى توبة نصوح صادقة)، ﴿مَهِينٍ﴾ أي حقيرٌ في أفعاله، ﴿هَمَّازٍ﴾ أي مُغتاب للناس (يعني يَعيب عليهم، ويَذكرهم بما يَكرهونه في غيبتهم)، ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ أي يَمشي بينهم بالنميمة (فيَنقل حديث بعضهم إلى بعض بغرض الإفساد والإيقاع بينهم)، ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: أي شديد البخل بالمال، فلا ينفقه في وجوه الخير، ﴿مُعْتَدٍ﴾ على الناس (بإيذائهم في أنفسهم وأموالهم)، ﴿أَثِيمٍ﴾ أي صاحب الآثام الكثيرة (وأكبر الآثام: الشِرك بالله)، ﴿عُتُلٍّ﴾ أي غليظ الطباع، بذيء اللسان (غير مؤدَّب) ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ أي: ثم هو بعد كل تلك الصفات القبيحة: مَنسوبٌ لغير أبيه.
﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: ومِن أجل أنه كان صاحب مال وبنين: تكبَّرَ عن الحق وكَذَّبَ به، فإذا قُرِئَتْ عليه آيات القرآن، قال: (هذه قصص السابقين وأباطيلهم)، (وهذا مِن جهله وعِناده، وإلاَّ، فكيف يكون هذا الكتاب المشتمل على الحق والعدل التام، أساطيرَ الأولين؟!).

♦ ثم قال تعالى - مُهَدِّداً هذا الصِنف -: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: أي سنَجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه - عقوبةً له - ليكون مُفتضَحًا بها أمام الناس، (وقد قيل إنّ هذا وعيدٌ له بتشويه أنفه يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾)، (واعلم أن هذه الآيات - وإن كانت نزلت في الوليد بن المُغيرة - إلا أنّ فيها تحذيرًا للمسلم من الاتصاف بإحدى هذه الصفات الذميمة، أو مُوافقة مَن يفعل ذلك).

www.alukah.net

- من الآية 17 إلى الآية 33: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ أي اختبرنا أهل مكة بالمال والولد والجاه والسيادة، فلم يشكروا نعم الله عليهم، بل كفروا بها - بتكذيبهم لرسولنا وإنكارهم لتوحيدنا - فأصبناهم بالجوع والقحط لَعَلّهم يتوبون ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا﴾: أي كما اختبرنا أصحاب الحديقة، إذ اغتروا بحديقتهم - عندما جاء وقت حصادها - وحلفوا فيما بينهم أنهم ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾: أي لَيَقطعُنَّ ثمارها مُبَكّرينَ في الصباح، ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ يعني ولم يقولوا: (إن شاء الله)، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي فأنزل اللهُ عليها نارًا أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾، ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾: أي فأصبحت حديقتهم محترقة سوداء كالليل المظلم، ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: أي نادى بعضهم بعضًا وقت الصباح: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ أي اذهبوا مُبَكّرين إلى زرعكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ يعني إن كنتم مُصِرّين على قطع الثمار.

﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ أي يتحدثون بصوتٍ خافت، قائلين ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ أي لا تُمَكّنوا اليوم أحداً من المساكين من دخول حديقتكم، ﴿وَغَدَوْا﴾ أي ساروا في أول النهار إلى حديقتهم، وهم ﴿عَلَى حَرْدٍ﴾ أي على قصدهم السيِّئ (في مَنْع المساكين من ثمار الحديقة)، ﴿قَادِرِينَ﴾ أي زاعمينَ أنهم قادرون على تنفيذ ما أرادوه، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ يعني: فلمّا رأوا حديقتهم محترقة: أنكروها، وظنوا أنها ليست حديقتهم، فـ﴿قَالُوا﴾: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ يعني لقد ضللنا الطريق إليها.

♦ فلمّا تأكدوا أنها حديقتهم، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي محرومونَ خيرها، بسبب عَزْمنا على البخل ومَنْع المساكين، وهنا ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي قال أعدلهم (وهو خيرهم وأرجحهم عقلاً): ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ يعني ألم أقل لكم هَلاّ تقولون: (إن شاء الله)، عندما قلتم: (لَنصرِمُنّها مُصبِحين) ، حتى تُنَزِّهوا اللهَ تعالى - أي تَنفوا عنه - أن تكون لكم مَشيئة مُستقلة عن مَشيئته، أو قدرة مِثل قدرته؟!، فـ﴿قَالُوا﴾ - بعد أن عادوا إلى رُشدهم -: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ يعني حاشاكَ ربنا أنْ تظلم، فإنّ هذا البلاء نستحقه بمعصيتنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: أي كنا ظالمينَ لأنفسنا بهذا القصد السيِّئ، وبتَرْك كلمة الاستثناء: (إن شاء الله)، ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ يعني: كلٌ منهم يُلقي باللوم على الآخر، و﴿قَالُوا﴾: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ يعني يا هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ أي كنا متجاوزينَ الحد في مَنْعنا الفقراء ومُخالفة أمر ربنا، ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾ أي يُعطينا أفضل من حديقتنا (بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا) ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ يعني إنا إلى ربنا وحده طامعونَ في عفوه، طالبونَ للخير الذي عنده، ثم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: بمِثل ذلك العقاب (وهو الحرمان)، يُعاقب اللهُ - في الدنيا - كل مَن خالف أمْره، وبَخِلَ بما أعطاه من النعم، ولم يؤدِّ حق اللهَ فيها ﴿وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي أعظم وأشد مِن عذاب الدنيا، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: (لو كان الناس يَعلمونَ شدة عذاب الآخرة، لابتعدوا عن كل سبب يوصلهم إليه، وأغلَقوا كل بابٍ يَدخل لهم الشيطانُ منه).

- من الآية 34 إلى الآية 43: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا عقابَ الله تعالى - بفعل ما أمَرَهم به وتَرْك ما نهاهم عنه - أولئك لهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾؟! يعني أفنَجعل الخاضعينَ لله تعالى بالطاعة، كالجاحدينَ الخارجينَ عن طاعته؟! (هذا لا يليق أبداً في حُكم الله وحِكمته)، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟! يعني: كيف حكمتم - أيها المُشرِكون - بهذا الحُكم الظالم، فساوَيتم بينهما في الثواب؟! ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾؟! يعني أم عندكم كتابٌ مُنَزَّل من السماء تقرؤونَ فيه أنّ المُطيع كالعاصي؟!، ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؟! يعني إنّ لكم في هذا الكتاب إذاً ما تشتهون؟! ليس لكم ذلك، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾؟! يعني أم لكم عهودٌ عندنا - أوجَبناها على أنفسنا إلى يوم القيامة - بأنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون؟!، ﴿سَلْهُمْ﴾ أي اسألهم أيها الرسول: ﴿أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾؟! يعني أيّهم ضامن بأنْ يكون له ذلك الحُكم الذي حكموا به لأنفسهم؟! ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾؟! يعني أم لهم آلهة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تضمن لهم ما يقولون، وتُعِينهم على إدراك ما طلبوا؟! إذا كانَ الأمر كذلك: ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ المزعومين ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دَعواهم!

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أي اذكر لهم - أيها الرسول - يوم القيامة، حين يَصعب الأمر ويَشتد الكرب، ويأتي الله تعالى لفصل القضاء بين الخلائق، فيَكشف عن ساقه الكريمة التي لا يُشبهها شيء ﴿وَيُدْعَوْنَ﴾ حينئذٍ ﴿إِلَى السُّجُودِ﴾ لله تعالى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي لا يستطيعون الانحناء (فقد ثبَتَ في الصَحِيحَيْن (البخاري ومُسلِم) - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَكشف ربنا عن ساقه، فيَسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويَبقى مَن كان يسجد في الدنيا رياءً وسُمعة، فيَذهب ليَسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا" (أي: عظماً بلا مِفصل، بحيث لا يَنثني عند الرفع والخفض)، وتراهم في ذلك اليوم ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾: يعني أبصارهم مُنكسرة، لا يرفعونها عن الأرض، و﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: أي تُغطّي وجوههم ذلة وكآبة شديدة، ﴿وَقَدْ كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أي يُدْعَون إلى الصلاة لله وحده ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ يعني: وهم أصحَّاء قادرون عليها فلا يسجدون، تعظُّمًا واستكبارًا.

- من الآية **44** إلى الآية **52**: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: أي اترك لي - أيها الرسول - مَن يكذِّب بهذا القرآن، فإنّ عليَّ جزاءهم والانتقام منهم، و﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي سنفتح لهم أبواب الرزق الكثير في الدنيا - استدراجًا لهم - حتى يَغتَرُّوا بما هم فيه، ويعتقدوا أنهم على الهدى، ثم نُعاقبهم - على غفلةٍ منهم - مِن حيثُ لا يعلمون، (واعلم أنّ الاستدراج: هو الأخْذ بالتدريج، واستدراجُ اللهِ تعالى لأهل الضلال - الذين يُصِرُّون على المعاصي ولا يتوبون منها -: أنهم كلّما جَدَّدُوا لله معصيةً، جَدَّدَ اللهُ لهم نعمة، حتى يأخذهم بذنوبهم وهم لا يشعرون، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتَ اللهَ تعالى يعطي العبدَ من الدنيا ما يحب وهو مُقيمٌ على معاصيه: فإنما ذلك منه استدراج) (انظر صحيح الجامع حديث رقم: **561**).

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: يعني وأُمهِل هؤلاء المُكَذِّبين حتى يَظنوا أنهم لا يُعاقَبون، فيَزدادوا كُفرًا وطغياناً، وبذلك يَتضاعف لهم العذاب، (وهذا هو كَيْدِي لهم) ﴿إِنَّ كَيْدِي﴾ بأهل الكفر ﴿مَتِينٌ﴾ أي قويٌّ شديد، لا يُدفَع بقوةٍ ولا بحِيلة، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ أيها الرسول ﴿أَجْرًا﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ أي فهُم بسببه في جهد ومَشقة من الالتزام بغرامةٍ تطلبها منهم، فلذلك كرهوا ما تدعوهم إليه؟! (كلا، لم يحدث ذلك، إذ لو طلبتَه منهم، لكانَ ذلك مانعاً لهم عن اتّباعك ولاَحتجوا به عليك)، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؟! يعني أم عندهم عِلم الغيب فهم يَكتبون منه - أي يَنقلون منه من اللوح المحفوظ - ما حكموا به لأنفسهم مِن أنهم أفضل مَنزلةً عند الله مِن أهل الإيمان؟!

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: أي اصبر أيها الرسول لأمْر ربك بإبلاغ رسالته والصبر على أذاهم، واصبر لحُكمه وقضاءه بإمهالهم وتأخير نَصْرك عليهم، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ (وهو يونس عليه السلام)، فلا تكن مِثله في غضبه على قومه وعدم صبره عليهم ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: أي حين نادى ربه، وهو مملوءٌ غمًّا (طالبًا تعجيل العذاب لهم)، ثم خرج مِن قريته - وهو غاضبٌ على قومه - دونَ أن يأمره الله بذلك، فركب في السفينة، وكانت الحمولة زائدة، فوقعت القرعة عليه، فألقوه في البحر، فابتلعه الحوت، فنادى ربه وهو مملوءٌ غماً قائلاً: (﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾)، فاستجاب الله دعائه وقَبِل توبته، وأخرجه من بطن الحوت، و﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يعني لولا أنه قد أدركته نعمة مِن ربه: ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾: أي لأُلقِيَ مِن بطن الحوت بالأرض الخالية المُهلِكة ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي يَذمُّه الله تعالى ويَلومه (لعدم صبره على أوامره)،

www.alukah.net

لكنه لمَّا تاب: أُلقِيَ من بطن الحوت على شاطئ البحر وهو غير مذموم، بل أنبت الله عليه شجرة من القَرْع تُظِلُّه ويَنتفع بها، ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ أي اختاره الله لرسالته (بعد أنْ قَبِلَ توبته)، حيث رَدّ عليه الوحى بعد انقطاعه، وأرسله إلى مائة ألفٍ أو يزيدون من الناس فآمَنوا جميعاً به، ﴿فَجَعَلَهُ﴾ سبحانه ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي الكاملينَ في صلاحهم، الذين صلحتْ نيّاتهم وأعمالهم وأقوالهم.
﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ يعني: ولقد قارَبَ الكفار أن يُصيبوك بالعين والحسد - أيها الرسول - حتى تهلَك، وذلك من شدة نظرهم إليك وكلهم حَسَدٌ وحِقدٌ عليك (وذلك حين سمعوا القرآن منك)، لولا حماية الله لك، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - بحسب أهوائهم - ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ لا يدري ما يقول (وذلك حتى يَصرفوا الناسَ عنك)، ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني: وليس القرآن بكلام مجنون كما يَزعمون، ولكنه تذكيرٌ وموعظة للجن والإنس (إذ يَتذكرون به ما ينفعهم في دِينهم ودُنياهم).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الحاقة كاملة

– من الآية 1 إلى الآية 8: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ يعني: القيامة الواقعة حقًّا، والتي يتحقق فيها الوعد والوعيد، ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾؟ يعني: ما هي القيامة الواقعة حقًّا في صفتها وحالها؟ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾؟ يعني: وأيّ شيء عَرَّفك – أيها الرسول – حقيقة القيامة، وصَوَّر لك شدتها وصعوبتها؟

♦ ثم ذَكَرَ سبحانه بعض أحوال الذين كذَّبوا بالقيامة، وما ترَتّب على تكذيبهم مِن عذابٍ وهَلاك، فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ (وهم قوم صالح) ﴿وَعَادٌ﴾ (وهم قوم هود)، فهؤلاء قد كذّبوا ﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ (وهي القيامة التي تَقرَع القلوب – أي تطرِقها وتجعلها تنبض بقوة – من شدة الرعب)، ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ يعني أهلَكهم اللهُ بالصيحة العظيمة التي جاوزَت الحد في شدتها، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ يعني أهلَكهم اللهُ بريحٍ قوية، شديدة البرودة، عالية الصوت، وقد ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾: أي سلَّطها اللهُ عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ متتابعة لا تنقطع، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾: أي فترى قوم عاد في تلك الليالي والأيام مَوتى ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ – لطُول أجسامهم – ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ أي كنَخلٍ مُنقلِع من جذوره، ساقط على الأرض، ليس في جوفه شيء (أو: مقطوع الرأس)، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾؟! يعني فهل ترى لهؤلاء القوم مِن نفسٍ باقية دونَ هلاك؟!

– من الآية 9 إلى الآية 12: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ﴾ الظالم ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ يعني: ومَن سَبَقه من الأمم التي كفرتْ برُسُلها ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ وهم قوم لوط (الذين انقلبت بهم ديارهم) (فالمؤتفِكات هي المُنقلِبات)، ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي جاء هؤلاء جميعاً بالأفعال الخاطئة، وهي الشِرك والمعاصي ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: أي فعَصَتْ كل أمّةٍ منهم رسولَ ربهم الذي أرسله إليهم ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ أي: فأخَذَهم الله أخذة بالغة في الشدة (إذ الربا هو الزيادة، ورابية أي زائدة عن الحد)، ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ أي عندما جاوَزَ ماء الطوفان حدَّه، حتى عَلا وارتفع فوق الجبال: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي حملنا آباءكم المؤمنين مع نوح عليه السلام، في السفينة الجارية على الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: أي لنجعل هذه الحادثة – التي كان فيها نجاة المؤمنين وإغراق المُشرِكين – عبرة وعظة، ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ يعني: ولِتحفظها كل أذن حافظة – لا تنسى الحق والخير – بل تفهم ما تسمعه وتعرف المقصود منه لتتعظ به.

– من الآية 13 إلى الآية 18: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني: فإذا نَفَخَ المَلَك في "البوق" نفخة واحدة (وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم)، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: ورُفِعتْ الأرض والجبال عن أماكنها، فضُرِبَتا ببعضهما ضربةً واحدة، فصارتا هباءً منثوراً، (واعلم أنّ هذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، لأنّ كلمة "دَكاً" الأولى هي الدكة الواحدة التي ذُكِرَت هنا، وأما كلمة " دَكاً " الثانية، فقد كُرِّرَت لتأكيد هذه الدكة القوية)، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي فحينئذٍ قد قامت القيامة، ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي تشققت وتمزقت لنزول الملائكة ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ يعني: فهي يومئذٍ ضعيفة متراخية، لا تماسُك فيها ولا صلابة، ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ يعني: والملائكة تقف على جوانبها وأطرافها التي لم تتشقق (تنتظر ما يأمرها به ربها) ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي فوق هولاء الملائكة ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ أي ثمانية من الملائكة العِظام، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ – أيها الناس – على الله تعالى لِيُحاسبكم ويُجازيكم، ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾: أي لا تخفى منكم خاطرة من الخواطر التي كنتم تُخفونها، بل كل أعمالكم تكونُ ظاهرةً لله تعالى يوم القيامة (ظاهرها وباطنها).

www.alukah.net

– من الآية 19 إلى الآية 24: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ يعني: فأمَّا مَن أخَذَ كتاب أعماله بيمينه: ﴿فَيَقُولُ﴾ للناس – وهو مُبتهجٌ مسرور –: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ أي خذوا اقرؤوا كتابي ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾: يعني إني أيقنت في الدنيا بأني سألقى جزائي يوم القيامة، فأعددتُ له العُدّة (من الإيمان والتوبة والاستغفار والعمل الصالح)، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي في عيشة يَرضى بها صاحبها ويَفرح (إذ فيها كل ما تشتهيه الأنفس، وتتلذذ العيون برؤيته) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي مرتفعة في مكانها ودرجاتها، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي ثمارها قريبة (يتناولها القائم والقاعد والمُتَّكئ)، ويُقال لأهل الجنة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أي بعيدًا عن كل أذى، سالمينَ من كل مكروه ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي بسبب ما قدَّمتم من الأعمال الصالحة، في أيام الدنيا الماضية.

♦ واعلم أنّ الهاء التي في كلمة: (كتابيهْ) وكلمة: (حسابيهْ) تُسَمَّى (هاء السَكْت).

– من الآية 25 إلى الآية 37: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يعني: وَأمَّا مَن أخذ كتاب أعماله بشماله: ﴿فَيَقُولُ﴾ – نادمًا متحسرًا –: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ يعني: يا ليتني لم أُعطَ كتابي ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ يعني: ولم أعلم ما جزائي ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ يعني: يا ليت الموتة – التي مِتُّها في الدنيا – كانت القاطعة لأمري، ولم أُبعَث بعدها، ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ يعني: ما نفعني مالي الذي جمعته في الدنيا، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أي ذهبتْ عني قوتي وحُجّتي (فلم يَعُدْ لي قوة تنقذني، ولا حُجّة تنفعني)، ثم يقول الله لملائكة جهنم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾: أي خذوا هذا الظالم المجرم، فاجمعوا يديه إلى عُنُقه بالقيود ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: ثم أدخِلوه نار جهنم ليُعاني حَرّها، ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: ثم أدخِلوه في سلسلة طويلة من الحديد الساخن، طُولها سبعون ذراعًا (تدخل مِن فمه وتخرج مِن دُبُره)؛ فـ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ أي كان لا يُصَدِّق بأنّ الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، ولم يكن يعمل بكتابه، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يعني: ولم يكن يَحُثّ الناس على إطعام أهل الفقر والاحتياج (إذ لم يكن في قلبه رحمة يَرحم بها الفقراء والمساكين، فلا هو أطعمهم من ماله ولا حَثَّ غيره على إطعامهم)، ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي فليس لهذا الكافر يوم القيامة قريبٌ – أو صديق مُخلِص – يَدفع عنه العذاب ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ يعني: وليس له طعامٌ إلا مِن الصَديد (الذي يسيل مِن جلود أهل النار)، والذي ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ أي لا يأكله إلا المُذنبون المُصِرُّون.

– من الآية 38 إلى الآية 52: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني: فأُقسِم بما تُبصِرونه من المَرئيات، (واعلم أنّ (لا) التي في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ تُسَمَّى (لا الزائدة) لتأكيد القسم)، فأقسَمَ اللهُ بجميع ما ترونه أيها الناس ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ مما غاب عن أبصاركم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: يعني إنّ القرآن يقرؤه رسولٌ عظيم الفضل والشرف – وهو محمدٌ صلى الله عليه وسلم – فيَقرؤه تبليغاً عن ربه سبحانه وتعالى –، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون، (فإنكم تعلمون أنّ القرآن لا يُشبه الشِعر في شيء (لا في الوزن ولا في القافية)، وتعلمون أنّ محمداً لم يتعلم الشِعر طوال حياته) ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ أي إنكم تؤمنون إيماناً قليلاً لا ينفعكم (وهو إيمانكم بأن الله هو الخالق الرازق، ثم تشركون به في عبادته)، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ أي: وليس القرآن بقول كاهنٍ يُخبر بالغيبِ جَهلاً دونَ وَحْي، وليس فيه شيءٌ من كلام الكَهَنة)، ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي قليلاً ما يكونُ عندكم تذكُّر وتأمُّل للفرق الواضح بين القرآن وغيره، إنه ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي هو كلام رب العالمين، الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ يعني: ولو ادَّعى محمدٌ علينا شيئًا لم نَقُله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾: أي لأنتقمنا منه وأخذناه مِن يمينه أخذاً شديداً لنُعَذِّبه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (والوتين هو عِرق القلب، فإذا انقطع: ماتَ الإنسان)، ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾: أي فحينئذٍ لا يقدر أحد منكم أن يَحجز عنه عقابنا ويمنعه، ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: وإنّ هذا القرآن لَموعظةٌ للمتقين، الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه، ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ يعني: وإنا لَنعلم أنَّ مِنكم مَن يُكَذِّب بهذا القرآن – جحوداً واستكباراً – رغم وضوح آياته، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي التكذيب به ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أي ندامة عظيمة على الكافرينَ به، حين يرون عذابهم ويرون نعيم المؤمنين، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن الكريم ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾: أي هو حقٌّ ثابت، ويَقينٌ لا شك فيه، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي فنَزِّه – أيها النبي – ربك العظيم، نافياً عنه شِرك المُشرِكين، قائلاً بلسانك وبقلبك: (سبحان ربي العظيم)، إذ هو سبحانه كامل الأسماء والصفات، كثير الخير والإحسان، وأما غيره فلم يَخلق شيئاً ولم يُنعِم بشيء، فكيف يَعبدونهم مِن دونه؟!

****

www.alukah.net

تفسير سورة المعارج كاملة

- من الآية 1 إلى الآية 4: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ﴾: أي دَعا داعٍ من المُشركين بنزول العذاب على نفسه وعلى قومه، عندما قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فأخبَر سبحانه أن هذا العذاب واقعٌ بالكافرينَ يوم القيامة لا مَحالة، و﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أي ليس له مانعٌ يَمنعه مِن الله ذي العُلُوّ والجلال، إذ ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾: أي تصعد الملائكة - ويَصعد معهم الروح الأمين (جبريل) - إلى الله سبحانه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ مِن سنوات الدنيا (والراجح من أقوال العلماء أن هذا الصعود يحدث يوم القيامة، الذي جعله الله على الكافرين مِقدار خمسين ألف سنة، وجعله على المؤمن كقدر ما بين الظهر والعصر) (انظر صحيح الجامع حديث رقم: 8193)، فيكون صعود الملائكة في هذا اليوم إلى الأماكن التي حَدَّدها الله لهم أن يستقروا فيها يوم القيامة، والله أعلم.

- من الآية 5 إلى الآية 18: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أيها الرسول على استهزائهم واستعجالهم بالعذاب ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾: أي صبرًا لا تَسَخُّطَ فيه ولا شكوى معه لأحدٍ من الخَلق، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾: يعني إن الكافرين يَستبعدون العذاب ويرونه غير واقع، ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ أي: ونحن نراه واقعًا قريبًا (فإنّ كل آتٍ قريب) ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ أي يوم تكون السماء سائلة كالمَعْدن الذي يذوب بسبب شدة السخونة، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أي: وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش (الذي نسفته الريح)، ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ يعني: وفي ذلك اليوم لا يسأل قريبٌ قريبه عن شأنه؛ ولا يسأله أن يحمل عنه ذنبه، لأنّ كل واحدٍ منهما مشغولٌ بنفسه، رغم أنهم ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي يرونهم ويعرفونهم (ولكن لا يستطيع أحدٌ أن ينفع أحدًا)، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾: أي يتمنى الكافر لو يَفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، الذين كان يخافُ عليهم في الدنيا أكثر مما يخاف على نفسه (فما أفظع هذا العذاب، الذي يُضَحِّي الإنسان بابنه مِن أجل أن ينجو منه)، ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ أي: وبزوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾ ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ أي: وبعشيرته التي تضمه إليها نسباً، وتحميه من أعداءه، وتساعده في شدته، ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعني: وبجميع مَن في الأرض مِنَ البشر وغيرهم ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ أي: ثم ينجو هو من هذا العذاب، ﴿كَلَّا﴾: أي لا قرابة تنفع ولا فداءَ يُقبَل (في ذلك اليوم) ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ يعني إنما الذي في انتظاره: جهنم التي تتلظى نارُها (أي تلتهب بشدة)، ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾: أي تنزع جلدة الرأس (لشدّة حرارتها)، وإنها ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ أي تنادي - يوم القيامة - مَن أعرض عن الحق في الدنيا، وتَرَكَ طاعة الله ورسوله ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ أي جَمَعَ المال، فوضعه في خزائنه، ولم يؤدِّ حق الله فيه، (واعلم أنّ مَعنى ﴿أَوْعَى﴾ أي جعل المال في وعاء، كالخزائن وغيرها، واعلم أيضاً أنّ الذي تناديه جهنم: يُدفَع إليها دَفعاً، كما قال تعالى في سورة الطور: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾، نسألُ اللهَ العافية من جهنم).

- من الآية 19 إلى الآية 35: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ أي شديد الخوف والفزع (فلا يَصبر على المصائب، ويَخاف أن يُنفِق مما أعطاه الله له)، فـ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ يعني إذا أصابه مكروه: كانَ كثير السَخَط والحزن، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ يعني: وإذا أصابه الخير: كانَ كثير المنع بما في يديه ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ يعني إلا المُقيمينَ لصلاتهم على أتمّ وجوهها، فإنّ اللهَ يُنَجّيهم من هذا السَخَط وهذا البُخل، إذا تمسكوا بهذه الصفات الآتية: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ أي يُداومونَ على أدائها ما داموا أحياء، ولا يَشْغَلهم عنها شاغل، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ يعني: في أموالهم نصيبٌ معيَّن، فرضه الله عليهم (وهو الزكاة)، فيُعطونه ﴿لِلسَّائِلِ﴾ وهو الذي يسأل الناس لشدة حاجته وفقره ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ وهو المُحتاج الذي يَستحي أن يسأل الناس، ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي يُصدّقون بيوم الحساب والجزاء، ويستعدون له بالأعمال الصالحة، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفونَ من عذاب الله تعالى (ولذلك يُكثِرونَ من الاستغفار والندم على ما مَضَى من ذنوبهم، حتى يُنَجّيهم سبحانه من عذابه، كما قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾)، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي لا ينبغي أن يأمنه أحد، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي يَحفظون فروجهم مما حرَّم اللهُ تعالى ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ وهُنّ الجواري المملوكات لهم شَرعاً ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي: فلا لومَ عليهم في جماعهنّ، لأنّ اللهَ قد أحلّهنّ لهم، ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ يعني: فمَن طلب التمتع بغير زوجته أو جاريته، فهو من المُتَعَدِّينَ لحدود الله تعالى، المُتجاوزينَ الحلالَ إلى الحرام، المُعَرِّضين أنفسهم لغضب اللهِ وعقابه، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي يُحافظونَ على ما كل اؤتمنوا عليه (مِن سِرّ أو عمل أو مال أو غير ذلك)، (ومِن ذلك: مُحافظتهم على التكاليف الشرعية التي أمَرَهم اللهُ بها)، وهُم الذين يُوفُّون بكل عهودهم مع الله تعالى، ووعودهم وعقودهم مع الناس، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ أي يؤدُّون شهاداتهم بالحق دونَ تغيير أو كتمان، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: أي يُحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها – بشروطها وأركانها – وعلى هيئتها الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم (في خشوعٍ واطمئنان)، ﴿أُولَئِكَ﴾ – المتصفون بهذه الصفات – سوف يَستقرون يوم القيامة ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي في حدائق جميلة المنظر (فيها كل ما تشتهيه النفوس وتَسعد برؤيته العيون)، وهم ﴿مُكْرَمُونَ﴾ بإكرام الله لهم بأصناف المُتَع والشهوات.

♦ ولَعَلَّ اللهَ تعالى بدأ هذه الصفات السابقة بالصلاة، وخَتَمَها أيضاً بالصلاة، للإشارة إلى أن الصلاة الخاشعة هي سبب استقامة العبد على الطريق الصحيح الموصل إلى الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، هذا إذا أداها العبد – كما أمَرَه الله تعالى – بخشوعٍ (أي بِذُلٍّ وانكسار، أمام المَلِك الجبار).

– من الآية 36 إلى الآية 41: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾: يعني فأيُّ شيءٍ دفع هؤلاء الكفار إلى أن يَسيروا مُسرعينَ نَحْوك أيها الرسول؟!، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ أي يتجمعون عن يمينك وعن شمالك، وهُم ﴿عِزِينَ﴾ أي على شكل حَلقات متعددة، وهم يستمعون إلى قراءتك (باحثينَ عن أيّ كلمة يَسخرون بها من دعوتك)، ويقولونَ – في استهزاءٍ بالمؤمنين –: (لئن دَخَلَ هؤلاء الجنة لَندخُلنّها قبلهم)، فرَدَّ اللهُ عليهم قائلاً: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؟! ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كما يَطمعون، فإنهم لا يدخلونها أبدًا، فـ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ (وهو ماء الذَكَر)، ومع ذلك فقد جحدوا بتوحيد ربهم الذي خَلَقهم، وجحدوا بقدرته على بَعْثهم بعد موتهم، فمِن أين يَتشرفون بدخول جنته؟!

♦ ثم قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾: يعني فأُقسِم برب مَشارق الشمس والكواكب، ومَغاربها جميعاً: ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أي قادرونَ على أن نُهلكهم ونأتي بأناسٍ خير منهم (يطيعون الله تعالى ولا يُشركونَ به)، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ يعني: ولا أحد يستطيع أن يَفوت ويَهرب من عذابنا، أو يُعجِزنا إذا أردنا أن نعيده حَيّاً بعد موته، (واعلم أنّ (لا) التي في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ تُسَمَّى (لا الزائدة) لتأكيد القسم).

– من الآية 42 إلى الآية 44: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: أي اترك هؤلاء المُشركين ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دُنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي الذي يُوعدون فيه بالعذاب (وهو يوم القيامة) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾: أي يوم يخرجون من قبورهم مُسرعينَ إلى أرض المَحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ أي كما كانوا في الدنيا يَذهبون مُسرعينَ إلى أصنامهم التي صنعوها بأيديهم، (واعلم أنّ (النُصُب) مُفرَد (الأنصاب)، وهي الأصنام والأحجار المنصوبة التي تُعبَد من دون الله تعالى، والتي

www.alukah.net

كان المُشرِكون يذبحون عندها تعظيمًا لها)، فجعلهم الله يُسرِعون يوم القيامة وهم يُدفَعونَ بعنف إلى الحساب، جزاءً لهم على إسراعهم في الدنيا لأصنامهم.

♦ وتراهم يوم القيامة ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾: يعني أبصارهم ذليلة منكسرة إلى الأرض، و﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: أي يُغطي وجوههم ذلٌ وكآبة، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي الذي كانوا يوعدونَ به في الدنيا، وكانوا به يستهزؤون ويُكَذِّبون.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة نوح كاملة

- من الآية 1 إلى الآية 4: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ ليدعوهم إلى توحيد الله وطاعته، وأوحينا إليه ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي حَذِّرهم عاقبة الشِرك والعِصيان ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فـ﴿قَالَ﴾ لهم نوح: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي مُخَوِّفٌ لكم من عذاب الله تعالى إن لم تؤمنوا وتطيعوا، ﴿مُبِينٌ﴾ أي أُوَضِّح لكم ما أُرسِلتُ به إليكم: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ أي خافوا عقابه (بفِعل ما يُرضيه واجتناب ما يُغضبه)، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ يعني: وأطيعوني فيما آمركم به، وأنهاكم عنه، فإنْ فعلتم ذلك ﴿يَغْفِرْ﴾ اللهُ ﴿لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ (وهي كل الذنوب التي بينكم وبين ربكم، وأمّا مَظالم الناس: فرُدُّوها إليهم تُغفَر لكم)، ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي لا يُعَجِّل سبحانه بهَلاككم (إنْ آمنتم)، بل يؤَخّر بقاءكم في الدنيا إلى نهاية آجالكم، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ - وهو الموت - ﴿إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ أبدًا، ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (يعني لو كنتم تعلمون ذلك لَسارعتم إلى الإيمان والطاعة).

- من الآية 5 إلى الآية 12: ﴿قَالَ﴾ نوحٌ - شاكياً لربه ما صَنَعَ قومه -: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ إلى توحيدك وطاعتك ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي دائماً باستمرار، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾: يعني فلم تَزِدهم دَعوتي لهم إلا هربًا وإعراضًا عن دينك، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذنوبهم (بعد أن يؤمنوا): ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ (لكي لا يسمعوا دعوة الحق) ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: أي تغطَّوا بثيابهم حتى لا يروني ﴿وَأَصَرُّوا﴾ على باطلهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ أي استكبروا عن قَبول الإيمان استكبارًا شديدًا وعجيباً (إذ قالوا له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾؟! يعني: كيف نُصَدِّقك وقد اتَّبعك أسافل الناس؟!، وقد قالوا ذلك عندما رأوا أنّ أتْباعه من الفقراء وأصحاب المِهَن الحِرَفيّة البسيطة)، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي أبلَغتهم الدعوة بصوت مرتفع ليسمعوها جميعاً، ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ أي دَعوتُ بعضهم إلى الإيمان ظاهرًا (عَلنًا في غير خفاء)، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ يعني: وكذلك أسررتُ لبعضهم بصوتٍ خفيٍّ (وذلك بحسب الظروف والأوقات واجتماع الناس، بما يتناسب مع مصلحة الدعوة)، ﴿فَقُلْتُ﴾ لهم: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي اطلبوا من ربكم أن يغفر ذنوبكم (بعد أن تتوبوا إليه مِن شِرككم ومَعاصيكم) ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ لمن تاب من عباده ورجع إليه، فإنْ تتوبوا إلى ربكم، وتستغفروه نادمينَ على ما فعلتم: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: أي يُنَزِّل عليكم المطر غزيرًا متتابعًا (كلما احتَجتم إليه)، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ يعني: ويُكثِر أموالكم وأولادكم ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ أي حدائق تتنعمون بثمارها وجمالها ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ تشربون منها، وتسقون منها زرعكم ومواشيكم.

- من الآية 13 إلى الآية 20: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾؟! يعني ما لكم لا توَقّرون اللهَ تعالى، وتتفكرون في عظمته وجلاله، وتخافون قدرته وانتقامه، وهو القاهر فوق عباده؟! ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ يعني: وهو الذي خلقكم في أطوار - أي مراحل - متدرجة: (نطفة ثم علقة ثم مُضغة ثم عظامًا ولحمًا)، ثم ذَكَّرهم نوح عليه السلام ببعض مَظاهر قدرة الله تعالى وعنايته بمصالح خَلْقه، للاستدلال بذلك على استحقاقه وحده لعبادتهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾؟ أي خَلَقَ سبع سماوات متناسقة، بعضها فوق بعض، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾: أي جعل القمر نورًا يُنير ما فوقه من السماوات وما تحته من الأرض، ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ أي: وجعل الشمس مِصباحًا مُضيئًا يَستضيء به أهل الأرض ويستفيدون من حرارته في التدفئة والزراعة، (والفرق بين الضياء والنور: أن الضياء هو الضوء الصادر مِن مصدره مُباشرَةً، فيكون الجسم مُضِيئاً بذاته، وأما النور: فهو الضوء المنعكس عن مصدر معين)، فالقمر ليس مُنيراً بذاته، بل بانعكاس ضوء الشمس عليه، وقد قيل أيضاً إن الجسم المُضِيئ يُشِعّ حرارة، وأما المُنير فلا يُشِعّ حرارة، والله أعلم).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ يعني أنشأ أصلكم – وهو آدم عليه السلام – مِن تراب الأرض إنشاءً بديعاً، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: ثم يعيدكم في الأرض بعد موتكم، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: ويُخرجكم منها يوم القيامة إخراجًا مُحَققًا للحساب والجزاء (إذ الذي ابتدأ خَلْقكم، قادرٌ على إعادتكم أحياءً بعد موتكم، بل إنّ إعادة الشيء كما كان، أسهل مِن إيجاده أول مرة)، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ أي جَعَلها لكم مُمَهّدة كالبِساط ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾: أي لتسلكوا فيها طرقًا واسعة (تهتدونَ بها في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها).

– من الآية 21 إلى الآية 25: ﴿قَالَ نُوحٌ﴾: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ أي بالَغوا في عِصياني وتكذيبي ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾: أي اتبَعَ الضعفاءُ منهم رؤساءَهم الضالين (الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا وعقابًا في الآخرة) ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ أي: وقد مَكَرَ رؤساءُ الضلال بأتْباعهم الضعفاء مكرًا عظيمًا (لِيَصدوهم عن دينك) ﴿وَقَالُوا﴾ لهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾: أي لا تتركوا عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا نوحاً في دعوته إلى التوحيد، ﴿وَلَا تَذَرُنَّ﴾ يعني: ولا تتركوا – بصفة خاصة – الأصنام الكِبار: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (وهذه هي أسماء أكبر أصنامهم)، وقد كانت أسماء رجال صالحين (يعبدون اللهَ وحده)، فلمّا ماتوا: أوحى الشيطان إلى قومهم أنْ يُقيموا لهم التماثيل والصور، ليُذَكِّروهم بالله تعالى وطاعته، فيَنشطوا على الطاعة إذا رأوا تماثيلهم، فلمّا مات هؤلاء القوم وطالَ الزمن وجاء غيرهم: وسوس لهم الشيطان بأنّ آباءهم كانوا يعبدون هذه التماثيل، ويتوسلون بها إلى الله تعالى، فاقتدوا بهم في ذلك واعبُدوهم، فعَبدوهم من دون الله تعالى، زاعمينَ أنهم يُقَرِّبونهم إلى ربهم ويشفعونَ لهم عنده.

♦ وهذه هي الحكمة من تحريم التماثيل، وتحريم بناء القِباب – جَمْع قُبّة – على القبور، والأضرحة في المساجد، لأنها تصير مع تطاول الزمن مَعبودةً للجُهّال (يَدعونهم، ويَذبحون عندهم، ويطوفونَ بهم).

♦ وقال نوحٌ عليه السلام – شاكياً لربه – ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني: وقد أضلَّ هؤلاء الرؤساء كثيرًا من الناس، بما زيَّنوهُ لهم من طُرُق الضلال، ثم قال نوحٌ – داعياً ربه –: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: أي لا تزد هؤلاء الظالمينَ المُعانِدين إلا بُعْدًا عن الحق (وهذا بعد أن يئس من استجابتهم لدعوته)، ثم قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ أي: فبسبب ذنوبهم وإصرارهم على الكفر والطغيان: أُغرِقوا بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾: أي فأُدخِلوا – بعد الإغراق – نارًا عظيمة اللهب والإحراق، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ يُنقذونهم من عذابه.

♦ واعلم أن قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ أصلُه: (ومِن خطيئاتهم)، و (مِن) هنا تُسَمَّى: (مِن التعليلية) يعني بسبب خطيئاتهم، و(ما) تُسَمَّى: (ما الزائدة) لتقوية الكلام وتأكيد المعنى.

– الآية 26، والآية 27، والآية 28: ﴿وَقَالَ نُوحٌ﴾ – قبل أن يُغرق اللهُ قومه –: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾: أي لا تترك على الأرض إنساناً كافراً يدور ويتحرك (والمعنى: لا تُبقِ منهم أحداً حياً)، فـ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ﴾ يعني إنْ تتركهم دون إهلاك: ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ المؤمنين، فيُبعِدوهم عن طريق الحق ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ يعني: ولا يأتِ مِن ظهورهم وأرحامهم إلا مائلٌ عن الحق، شديد الكفر والعصيان ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾: أي لا تزد الكافرينَ إلا هَلاكًا وخُسرانًا في الدنيا والآخرة.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الجن كاملة

- من الآية 1 إلى الآية 5: (قُلْ) أيها الرسول لجميع الناس: (أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) يعني: لقد أوحَى اللهُ إليَّ أنَّ جماعةً من الجن قد استمعوا لتلاوتي للقرآن (فَقَالُوا) لقومهم: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) أي قرآنًا بديعًا في بلاغته وفصاحته وحِكَمه وأحكامه (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ): أي يدعو إلى الحق والهدى (فَآمَنَّا بِهِ) (وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا) – الذي خلقنا – (أَحَدًا) في عبادته، (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) يعني: وأنه – تقدَّسَ سُلطان ربنا وجلاله – (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) أي لم يتخذ ربنا زوجةً ولا ولدًا، (واعلم أنّ الجَدّ هو الجلال والعظمة)، (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) يعني: وأنّ سفيهنا – وهو إبليس – كان يقول على الله تعالى قولاً بعيدًا عن الحق والصواب، وهو ادِّعائه كَذباً أنّ له ولداً وزوجة، (واعلم أن السفيه هو ضعيف العقل)، (وَأَنَّا) – معشر الجن – (ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) أي كنا نظن أنه لن يَكذب أحدٌ من الإنس أو من الجن على الله تعالى، فلذلك صَدّقنا إبليس، والآن قد تَبَيّنَ لنا أنه قد كَذَبَ على الله تعالى.

- الآية 6: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ) أي يستعيذونَ ويَحتمون (بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا): أي فزادَ رجالُ الجنِّ رجالَ الإنسَ خوفًا ورعبًا (بسبب استعاذتهم بهم من دون الله تعالى)، (واعلم أن هذه الاستعاذة – التي أنكرها الله على أهل الجاهلية – هي من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة النصوح)، واعلم أيضاً أنه يدخل في هذه الاستعاذة: قول بعض الناس – إذا دخل أحدهم مكاناً ما –: (دستور يا أسيادي)، فهذه استعاذة بالجن الموجودين في المكان ليَحموه، والصحيح أن يقول: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)، فإنه لن يضره شيء في هذا المكان حتى يخرج منه، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم (انظر حديث رقم: 805 في صحيح الجامع).

♦ وفي الآية تحذير شديد من اللجوء إلى السَحَرة والقِسِّيسين وغيرهم، بدعوى إبطال السِحر أو المس الذي بهم، تاركينَ التداوي بما شَرَعه الله لهم من القرآن والأذكار الصحيحة.

- الآية 7: (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ) يعني: وأنّ كفار الإنس ظنوا كما ظننتم يا معشر الجن (أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) بعد الموت.

- الآية 8 إلى الآية 13: (وَأَنَّا) – معشر الجن – (لَمَسْنَا السَّمَاءَ) أي التمسنا السماء (يعني طلبنا الوصول إلى السماء؛ لاستماع كلام أهلها كما كنا نفعل) (فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا) أي مُلِئَت بكثير من الملائكة الأقوياء الذين يحرسونها، (وَشُهُبًا) يعني: ووجدناها مُلِئَت بالشُهُب المُحرِقة التي يُرمَى بها مَن يقترب منها، (وَأَنَّا كُنَّا) قبل نزول الوحي على النبي محمد (نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) أي كنا نتخذ من السماء أماكن (لنستمع إلى بعض أخبار الغيب الذي تتحدث به الملائكة مِن وحي الله تعالى) (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا): يعني فمَن يحاول الاستماع الآن: يجد له شهابًا بالمرصاد، يُحرقه ويُهلكه، (وفي هاتين الآيتين إبطالٌ لِما يَزعمه السَحَرة من ادِّعاء عِلم الغيب، وإنما الذي يَحدث أن القرين الذي مع الساحر يعرف المعلومات من قرين الشخص الذي أتى إلى الساحر، ثم يخبره بها، فيقول الساحر لهذا الشخص: (إن اسمك كذا، واسم أمك كذا، وقد أتيتَ إليَّ بسبب كذا وكذا).

♦ وعندما رأى هؤلاء الجن أن السماء قد مُلِئَت بالملائكة والشُهُب، لم يعلموا أنّ ذلك قد حدث حِفظاً للوحي من استماع الشياطين له قبل أن ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم، بل ظنوا أن هناك أمراً عظيماً سوف يحدث لأهل الأرض، ولم يعلموا هل هو شرٌ أو خير، فلذلك قالوا: (وَأَنَّا) – معشر الجن – (لَا نَدْرِي): (أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ)؟ (وهذا مِن أدبهم

www.alukah.net

مع الله تعالى، إذ لم يقولوا: (أَشَرٌّ أراده الله بمن في الأرض)، رغم أن الله تعالى قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، ولكنهم لم ينسبوا الشر إليه سبحانه (تأدباً مع ربهم عز وجل)، أما عندما تحدثوا عن الخير فإنهم قالوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾؟ يعني أم أراد اللهُ بهم خيرًا وصلاحاً؟ (وهو إنزال الوحي)، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ أي المتقونَ المستقيمونَ على الإيمان والطاعة ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني: ومِنّا قومٌ أقل من الصالحين (وهم ضِعاف الإيمان والمُصِرّين على المعاصي) ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أي كنا فِرَقًا ومَذاهب مختلفة (إذ كان منهم اليهود والنصارى وغيرهم) كسائر البشر، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: وأننا أيقَنّا الآن – بعد سماعنا للقرآن – أنّ الله قادرٌ علينا، وأننا في قبضته وسلطانه، فلن نهرب منه في الأرض إذا أراد بنا أمرًا ﴿وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ يعني: ولن نستطيع أن نُفلِت مِن عقابه هَرَبًا إلى السماء، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ – وهو القرآن – ﴿آَمَنَّا بِهِ﴾ وأقرَرنا أنه حقٌ مِن عند الله تعالى، ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ﴾ ويعمل بكتابه ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ يعني فإنه لا يخاف نُقصانًا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ يعني: ولا يخاف زيادةً في سيئاته.

– من الآية **14** إلى الآية **17**: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ أي الخاضعونَ لله وحده بالطاعة، ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي الظالمونَ الذين مالوا عن طريق الحق، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ وخَضَعَ لله بالطاعة والانقياد: ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾: أي فأؤلئك هم الذين سلكوا طريق الحق والصواب – بعد أن اجتهدوا في اختياره وطلبوه مِن ربهم بصدق – فهداهم الله إليه، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ يعني: وأما المائلونَ عن طريق الإسلام، فكانوا وَقودًا لجهنم، ثم قال اللهُ لرسوله: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يعني: وأنه لو سارَ كفار الإنس والجن على طريقة الإسلام ولم يميلوا عنها: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾: أي لأَنزلنا عليهم ماءً كثيرًا، فتكثر زروعهم وتتسع أرزاقهم ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنَختبرهم في ذلك المتاع: (أيَشكرون ربهم على نعمه – بتوحيده وطاعته – أم يَجحدونَ بها ويَعصون ربهم؟)، ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ يعني: ومَن يُعرض عن القرآن وشرائعه وأحكامه: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي يُدخِله الله عذابًا شاقًّا متصاعداً في الشدة والألم.

– الآية **18**: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أي قد بُنِيَتْ لعبادة الله وحده ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: أي فلا تعبدوا فيها غيره، وأخلِصوا له الدعاء والعبادة في مساجده، (وفي هذا وجوب تطهير المساجد مِن كل ما يتناقض مع إخلاص العبادة لله تعالى وحده، واتّباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولَعَنَ مَن فَعَلَ ذلك، لأن هذا قد يؤدي إلى عبادة مَن فيها).

– الآية **19**: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يعني: وعندما قام محمد صلى الله عليه وسلم، يعبد ربه: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾: أي كادَ الجن أن يكونوا عليه جماعات متراكمة، بعضها فوق بعض (مِن شدة ازدحامهم لسماع القرآن منه).

– من الآية **20** إلى الآية **24**: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لكفار مكة: ﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾: يعني إنما أعبد ربي وحده، ولا أشرك معه في العبادة أحدًا، و﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ يعني إني لا أقدر أن أدفع عنكم ضرًا، ولا أجلب لكم نفعًا، وإنما ذلك بيد الله وحده، ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ يعني: إني لن ينقذني أحدٌ من عذاب الله إن عصيته ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ يعني: ولن أجد من دونه مَلجأً أهرب إليه مِن عذابه ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾: يعني لكني أملك أنْ أُبَلّغكم عن الله تعالى ما أمَرَني بتبليغه لكم، ورسالاتَه التي أرسلني بها إليكم.

♦ واعلم أن الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ يسمى: (الاستثناء المنقطع)، لأنه غير مُستَثنى من الجملة التي قبله، فهو يأتي بمعنى: (لكن).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ – بأن يُشرك بالله تعالى ويُكَذِّب رسوله ويُعرض عن دينه –: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ يعني فإنّ هذا الصِنف جزاؤه نار جهنم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، (فالمقصود بالمعصية هنا: الشرك والتكذيب، لأن الخلود في النار لا يكون إلا للمُشركين، كما دَلّ على ذلك الكثير من الآيات المُحكَمة – أي التي لا تحتمل أكثر من معنى – وكذلك الأحاديث الصحيحة، وإجماع سلف الأمّة)، وسوف يتضح من السياق الآتي أن المقصود هنا في هذه الآية: المُشرِكون وليس عُصاة الموَحِّدين.

♦ وسيَظل هؤلاء المُعانِدون على عنادهم ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني حتى إذا رأوا ما يوعدون به من العذاب: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذٍ ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ يعني: مَن هو أضعف ناصرًا ومُعينًا وأقل جُندًا (فريق المُشرِكين أم فريق المؤمنين)؟ (وذلك حين لا ينفعهم العِلم).

– من الآية **25** إلى الآية **28**: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المُشرِكينَ المستعجلينَ بالعذاب: ﴿إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ﴾: يعني لستُ أدري: هل العذاب الذي وُعِدتم به قد اقترب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ يعني أم يَجعل له ربي مدة طويلة قبل أن يأتي؟، فإنه سبحانه هو الأعلم بذلك، إذ هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ أي العليم بما غاب عن حواس الناس، ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾: أي لا يُطلِع أحدًا على غيبه ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾: يعني إلا مَن ارتضاهم الله لتبليغ رسالته، فإنه سبحانه يُطلِعهم على بعض الغيب، حتى يُبَلِّغوه للناس، ليكون ذلك دليلاً على صِدق نبوتهم، ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾: يعني فإنّ الله تعالى يُرسل مِن أمام هذا الرسول – ومِن خلفه – رَصَداً (أي حَرَساً) من الملائكةً ليحفظوا الغيب الذي أطلعه الله عليه، حتى لا يسمعه الجن ويَهمسوا به إلى الكهنة.

♦ وقد أخبَرَ اللهُ رسوله محمداً بذلك ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾: أي ليَعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن الرُسُل الذين قبله كانوا على مِثل حاله من تبليغ رسالات ربهم إلى خَلْقه، وأنه حُفِظَ من الجن كما حُفِظوا (حتى يطمئن ويصبر على أذى قومه)، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ يعني: وأن الله تعالى قد أحاط عِلمه بما عند هؤلاء الرُسُل (من الشرائع والأحكام وغيرها) ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ يعني: وأنه سبحانه قد أحصى عدد كل شيء، فلا يَخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

– من الآية 1 إلى الآية 9: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾: يعني يا أيها المتغطي في ثيابه (أو المتغطي في غطاء) (وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي ذهب إلى بيته خائفاً يرتجف بعد أنْ جاءه الوحي أول مرة، ورأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية، فقال لخديجة رضي الله عنها: زَمّلوني – وفي رواية: دَثّروني – أي غَطوني غَطوني، فغَطّته حتى هدأ) (والحديث في الصحيحين)، فناداه الله بذلك ليستشعر اللِّين والعطف من ربه، ثم قال له: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي قم للصلاة في الليل إلا قليلاً منه: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ أي قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلاً حتى تَصِلَ إلى الثلث، ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾: يعني أو زِد على النصف حتى تصل إلى الثلثين (فإنك مُخَيَّر في ذلك كله) (واعلم أن هذا القيام كان قبل فرْض الصلوات الخمس، فلمّا فَرَضَ اللهُ الصلوات الخمس، أصبح قيام الليل واجباً على النبي صلى الله عليه وسلم مُستَحَباً لأمّته)، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي اقرأ القرآن بتمَهُّل (مُبَيِّنًا الحروف والوقوف)، ليكون أقرب إلى التدبر والتأثر.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: يعني إنا سننزل عليك – أيها النبي – قرآنًا عظيمًا مشتملاً على الأوامر والنواهي والأحكام الشرعية (فاستعن بالقيام والعبادة على تحَمُّل ثِقَل الرسالة)، ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ يعني إن العبادة التي تنشأ في جوف الليل ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾: يعني هي أشد تأثيرًا في القلب (لفراغ القلب مِن مشاغل الدنيا) ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ يعني: وهي أوضح قولاً من قراءة النهار (لسكون الأصوات في الليل)، ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ يعني إنّ لك في النهار انشغالاً واسعًا بأمور الرسالة وقضاء مصالحك، (ففرِّغْ نفسك ليلاً لعبادة ربك) ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي استمر على ذِكر ربك ودعائه بأسمائه الحسنى ليلاً ونهاراً ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾: أي انقطع إليه انقطاعًا تامًا (وذلك بانفصال قلبك عن الدنيا أثناء عبادته، والاستغناء التام عن جميع خَلْقه، وطلب حاجتك منه وحده)، فإنه سبحانه ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي مالك المشرق والمغرب، ومُدَبّر أمْر الشمس فيهما (فهو سبحانه الذي بيده كل شيء)، ولذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي لا معبود بحق إلا هو ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي اعتمد عليه وحده، وفوِّض أمورك إليه، فإنه يكفيك ما أهَمّكَ من أمور الدنيا والآخرة.

– من الآية 10 إلى الآية 14: ﴿وَاصْبِرْ﴾ أيها الرسول ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ من التكذيب والاستهزاء (فإنّ الله لهم بالمِرصاد)، ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ يعني: وخالِفهم في أفعالهم الباطلة (مع الإعراض عنهم، وترْك الانتقام منهم)، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾ يعني: واترك لي أيها الرسول هؤلاء المُكَذّبين (أهل التنعُّم والترَف في الدنيا) ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ يعني: وأمهِلهم زمنًا قليلاً – بالصبر على تكذيبهم – حتى يأتي وقت عذابهم، فـ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾: يعني إنّ لهم عندنا في الآخرة قيودًا ثقيلة ﴿وَجَحِيمًا﴾ أي نارًا موقدة يُحرَقون بها ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: أي طعامًا كريهًا يقف في الحلق ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ لا يُطيقونه، وذلك ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: أي يوم تتزلزل الأرض والجبال بشدة ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ أي حتى تصير الجبال تَلاً من الرمل السائل المتناثر، بعد أن كانت صُلبة جامدة.

– من الآية 15 إلى الآية 19: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ – يا أهل مكة – ﴿رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي يَشهد عليكم بما صدر منكم من الكفر والعصيان (وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي تعرفون صِدقه وأمانته ونَسَبَه وأخلاقه) ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (وهو موسى عليه السلام) ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾: أي فكذّبَ فرعون بموسى وعصى أمْره ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: أي فأهلكناه إهلاكًا شديدًا، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾؟! يعني إنْ كفرتم أيها الناس، فكيف تدفعون عن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنفسكم عذاب يوم القيامة (الذي يشيب فيه الولدان الصغار، مِن شدة هَوله وكَربه)؟! ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ يعني: السماءُ يومئذٍ متشققة، بسبب صعوبة ذلك اليوم، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾: أي كان وَعْد الله بمجيئ ذلك اليوم واقعًا لا مَحالة.

♦ ورغم أنّ لَفْظ "السماء" مؤنث، إلا أنّ اللهَ تعالى قال: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾، ولم يقل: (السماء مُنفطرةٌ به)، وذلك لأنّ كلمة (السماء) ليست مُؤنّثاً حقيقياً، بل هي مؤنث مَجازي (يعني مما لا يَبيض ولا يَلد)، فلذلك يجوز أن تأتي مع لفظَي: (مُنفطر) و(مُنفطرة)، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾: يعني إن هذه الآيات المُخَوِّفة عظة وعبرة للناس ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يعني فمَن أراد الاتعاظ والانتفاع بها في الدنيا والآخرة، اتخذ بالإيمان والتقوى طريقًا يوصله إلى رضوان ربه الذي خلقه وربَّاه، لِيُدخله جَنّته ويُنَجّيه مِن ناره.

- الآية **20**: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أيها النبي ﴿يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ – للصلاة في الليل – ﴿أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ يعني أقل من ثلثي الليل (أحياناً)، ﴿وَنِصْفَهُ﴾ يعني: وتقوم نصفه (أحياناً أخرى)، ﴿وَثُلُثَهُ﴾ يعني: وتقوم ثلثه (أحياناً أخرى)، ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني: ويقوم معك طائفة من أصحابك، ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي يعلم مَقادير الليل والنهار، وما يَمضي ويَبقى منهما، ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عَلِمَ سبحانه أنه لا يمكنكم إحصاء الوقت المطلوب منكم في قيام الليل من غير زيادة ولا نقص، لكون ذلك يتطلب انتباهاً ومَشقة كبيرة، وكذلك عَلِمَ سبحانه لن تستطيعوا الاستمرار على هذا القيام المطلوب منكم، فلذلك خفَّف عليكم ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي فاقرؤوا في صلاة الليل ما تيسر لكم قراءته من القرآن، وصَلُّوا من الليل ما سَهُلَ عليكم ولو ركعتين، ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾ أي: عَلِمَ سبحانه أنه سيوجد فيكم مَن يُعجزه المرض عن قيام الليل، ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ يعني: ويوجد قومٌ آخرون يَتنقَّلون في الأرض – للتجارة والعمل – يطلبون من رزق الله الحلال في الصباح الباكر (فهؤلاء يَصعُب عليهم قيام الليل)، ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: ويوجد قومٌ آخرون يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمته ونَشْر دينه (فهؤلاء أيضاً يَصعُب عليهم قيام الليل) ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي فاقرؤوا في صلاتكم ما تيسَّر لكم من القرآن، (ولَعَلّ الله تعالى كَرَّرَ ذلك الأمر تأكيدا لنسخ وجوب قيام الليل، إذ كان واجباً وأصبح بهذه الآية مستحباً)، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي واظِبوا على أداء الصلوات الخمس – في أوقاتها – على الوجه الذي شَرَعه الله لكم، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعني: وأعطوا الزكاة – الواجبة عليكم – لمستحقيها (في أوقاتها)، ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني: وتصدَّقوا في وجوه الخير والإحسان (من مالٍ حلال – طالبينَ الأجرَ من الله تعالى – مِن غير أن تَمُنّوا على الفقير)، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: واعلموا أنّ كلَ خيرٍ تُقدِّمونه لأنفسكم مِن الطاعات، تجدون ثوابه عند الله في الآخرة (فإنه سبحانه لن يُضَيِّع تعبكم مِن أجْله)، ثم وَصَفَ الله ذلك الجزاء بقوله: ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ مما قدَّمتم في الدنيا ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (إذ يُضاعِف اللهُ لكم الحسنة بعشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة) ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ (نادمين معترفينَ بذنوبكم) ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، حيث جعل التوبة نجاةً لهم من عذابه.

****

www.alukah.net

شبكة الألوكة

تفسير سورة المدثر كاملة

- من الآية **1** إلى الآية **7**: (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ): يعني يا أيها المتغطي في ثيابه (أو المتغطي في غطاء) (وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي ذهب إلى بيته خائفاً يرتجف بعد أنْ جاءه الوحي أول مرة، ورأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية، فقال لخديجة رضي الله عنها: زَمّلوني – وفي رواية: دَثّروني – أي غَطوني غَطوني، فغطّته حتى هدأ) (والحديث في الصحيحين)، فناداه الله بذلك ليستشعر اللّين والعطف من ربه، ثم قال له: (قُمْ فَأَنْذِرْ): أي قم مِن فِراشك، فحَذّر الناس من عذاب الله (إنْ أصَرّوا على الشِرك والعِصيان)، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أي عَظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه، وبتنزيهه مِن كل ما لا يليق به، وبعبادته وحده لا شريك له، (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ): أي طَهِّر ثيابك من النجاسات؛ فإنّ طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن، (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) يعني: واستمِر على هَجْر الأصنام وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها، (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) أي لا تَمُنّ على ربك بما تقوم به من الأعمال لأجله (فإنّ ثمرة عملك ستعود عليك وحدك)، أو لَعَلَّ المقصود: (ولا تمُنّ على أحد بما أعطيته، فتُكثِر عليه المَنّ بذلك العطاء فيضيع أجرك، ولكن اطلب الأجر من الله وحده)، (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) أي اصبر على الأوامر والنواهي والإيذاء في سبيل الدعوة (طلباً لرضا ربك وجنّته).

- الآية **8**، والآية **9**، والآية **10**: (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) يعني: فإذا نُفِخَ في "البوق" نفخة البعث من القبور (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) أي صعبٌ شديد (عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) أي: ليس سهلاً على الكافرين أن يَنجو مما هم فيه من الشدائد والكُرُبات (ويُفهَم من الآية أن حال المؤمنين – في ذلك اليوم – غير حال الكافرين في الشدة والبلاء).

- من الآية **11** إلى الآية **31**: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا): أي اترك لي – أيها الرسول – مَن خَلَقته وحيدًا لا مال له ولا أهل (والمقصود به هنا: الوليد بن المغيرة، أحد زعماء المُشرِكين) (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) أي جعلتُ له مالاً مبسوطًا واسعًا (وَبَنِينَ شُهُودًا) أي: وجعلتُ له أولادًا حضورًا معه في "مكة" لا يغيبون عنه، (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) يعني: ويَسَّرتُ له طُرُق العيش تيسيرًا شديداً (حتى استغنى بذلك عن طلب المال من أيّ أحد) (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ)؟! يعني: ثم يَطمع بعد هذا العطاء أن أزيد له في ماله وولده، بعد أنْ كَفَرَ بي وبرسولي؟! (كَلَّا) لن أزيده على ذلك، ف(إِنَّهُ كَانَ لِآَيَاتِنَا عَنِيدًا): أي كان مُعانِدًا مُكَذِّبًا للقرآن وأدلته، (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا): أي سأُكَلِّفه مَشَقّة من العذاب والإرهاق (لا راحة له منها)، (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ): يعني إنه فكَّرَ في نفسه، وأعَدّ ما يقوله من الطعن في القرآن الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم (وذلك بعد أن اعترف لزعماء قريش بأنّ ما يَقوله السَحَرةُ شيء، وأنَّ هذا القرآن شيءٌ آخر، وأنه ليس بكلامِ بَشَر، ثم طلب منه المُشرِكون أن يقول أمام الناس إنه سحر حتى لا يُفتضَح تكذيبهم وعنادهم)، (فَقُتِلَ): أي لعنه الله (يعني طرده من رحمته) (كَيْفَ قَدَّرَ)؟! يعني كيف أعَدَّ في نفسه هذا الطعن، وهو يعلم أنه كاذب؟! (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)؟! يعني ثم لعنه الله وأهلكه، كيف أعدَّ في نفسه هذا الطعن؟!، (فبهذا لعنه الله لعنتين تلازمانه، واحدة في الدنيا والأخرى في الآخرة)، (ثُمَّ نَظَرَ) أي: ثم تأمَّل فيما أعَدَّه من الطعن في القرآن، (ثُمَّ عَبَسَ) أي عَبَسَ وجهه (يعني قَبَضَ ما بين عينيه، وظهر عليه الغضب)، (وَبَسَرَ) أي اشتدَّ في العبوس، واسوَدَّ وجهه عندما ضاقت عليه الحِيَل، ولم يجد مَطعنًا يَطعن به في القرآن، (ثُمَّ أَدْبَرَ) أي أعرض عن الحق (وَاسْتَكْبَرَ) أن يَعترف به، (فَقَالَ) عن القرآن: (إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ): أي ما هذا الذي يقوله محمد إلا سِحرٌ يُنقَل عن الأولين، (إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ): أي ما هذا إلا كلام البَشَر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ ثم قال تعالى متوعداً إياه بالعذاب: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ): يعني سأدخله جهنم (لكي يُعاني حرَّها ويَحترق بنارها) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ)؟ يعني: وما أعلمك أيُّ شيءٍ جهنم؟، إنها (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ): أي لا تُبقِي لحمًا ولا تَترك عظمًا إلا أحرقته (ثم يعود كما كان لاستمرار العذاب)، وهي (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) أي مُحرِقةً للبشرة، مُسَوِّدةً للجلود، (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) أي يتولى أمْرها ويقوم على تعذيب أهلها تسعة عشر مَلَكًا من الملائكة الأشداء.

♦ وعندما نزلت هذه الآية، استهزأ المُشرِكون بهذا العدد ورأوه قليلاً، فرَدَّ اللهُ عليهم قائلاً: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) (وذلك لشدتهم وقوتهم)، والمعنى: وما جعلنا خَزَنة النار – وهُم "مالك" وثمانية عشر معه – إلا من الملائكة العِظام الأقوياء، (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يعني: وما جعلنا عددهم إلا ضلالاً للكافرين، و(لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) يعني: وليَحصل اليقين للذين أُعطوا الكتاب – من اليهود والنصارى – بأنَّ ما جاء في القرآن عن ملائكة جهنم هو حق من عند الله تعالى (حيث وافقَ ذلك نفس العدد الذي في كُتُبهم)، (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا) أي يزدادوا تصديقًا بالله ورسوله (عندما يرون أن التوراة مُوافِقة للقرآن الكريم)، (وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) أي حتى لا يقعوا في شك في يوم من الأيام (لِمَا اكتسبوه من اليقين بتوافق الكتابين على حقيقة واحدة)، (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ) يعني: وليقول الذين في قلوبهم نفاقٌ والكافرون: (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)؟ يعني ما الذي أراده الله بهذا العدد الغريب؟، فيُجيبهم سبحانهُ بأنّ المقصود مِن ذلك هو تمييز المؤمن من الكافر، فقال: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) يعني: بمِثل ذلك يُضِلُّ الله مَن أراد إضلاله (لسُخريته من الحق)، ويهدي مَن أراد هدايته (لإيمانه بحكمة الله تعالى)، (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) يعني: وما يعلم عدد جنود ربك – ومنهم الملائكة – إلا الله وحده، (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) يعني: وما النار إلا تذكرة وموعظة للناس (ليعرفوا بها عظمة ربهم، ويخافوا عذابه، فيتَّقوه بامتثال أوامره).

– من الآية 32 إلى الآية 37: (كَلَّا): أي ليس الأمر كما زعم المُشرِكون مِن أنهم سيقدرون على خزنة جهنم الأشداء، (وَالْقَمَرِ) (يُقسِم الله سبحانه بالقمر) (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) (يعني: ويُقسِم سبحانه بالليل حين يَذهب) (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) (يعني: ويُقسِم سبحانه بالصبح إذا أضاء وظهر)، ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: (إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ): يعني إن النار لإَحدى العظائم، وقد جعلها اللهُ (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) أي إنذارًا وتخويفًا للناس (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ) بفعل الطاعات، حتى يَبلغ الدرجات العالية في الجنة، (أَوْ يَتَأَخَّرَ) بفعل المعاصي، حتى يَنزل الدركات السُفلَى في نار جهنم.

♦ واعلم أنّ اللهَ تعالى يُقسِم بما يشاء مِن خَلْقه، أما المخلوق فلا يجوز له القَسَم إلا بالله تعالى، لأنّ الحَلِف بغير الله شِرك.

– من الآية 38 إلى الآية 48: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) يعني: كل نفس مَحبوسة مَرهونة بما كسبت من أعمال الشر، مأخوذة بعملها السيئ إلى جهنم (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ): يعني إلا المُسلمينَ المُخلصين، الذين فكُّوا رقابهم من النار بالتوبة والطاعة، فإنهم يكونون (فِي جَنَّاتٍ) لا يُتخَيّل وَصْفها، وهم (يَتَسَاءَلُونَ) أي يسأل بعضهم بعضًا (عَنِ الْمُجْرِمِينَ) (الذين أجرموا في حق أنفسهم بالشرك والمعاصي)، ثم يُمَكّنهم الله من رؤيتهم والتحدث إليهم، فيقولون لهم: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)؟ يعني ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون حَرّها؟، فـ(قَالُوا) لهم: (لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) (وهذا يُبَيِّن خطورة ترْك الصلاة والاستهانة بها)، (وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ): أي لم نكن نُخرج زكاة أموالنا لنُطعِم بها الفقراء والمساكين، (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ): أي كنا نتحدث بما يكرهه الله تعالى مع أهل الضلال (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) أي كنا نُكَذِّب بيوم الحساب والجزاء (حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ): أي حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضَلالات والمُنكَرات، ثم قال تعالى: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ

www.alukah.net

الشَّافِعِينَ﴾ (من الملائكة والنبيين وغيرهم)، لأن الشفاعة لا تكون إلا مِن بعد أن يأذن الله للشافع، ويَرضى عن المشفوع له، كما قال تعالى في سورة النجم: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

– من الآية **49** إلى الآية **56**: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؟! يعني فما لهؤلاء المُشرِكينَ مُنصرفين عن القرآن وما فيه من المواعظ؟! ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ يعني كأنهم حُمُر وحشية شديدة النِّفار (أي شديدة الهرب) ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أي فرَّت من أسد كاسر، ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾: يعني بل يَطمع كل واحد من هؤلاء المُشرِكين أن يُنَزّل الله عليه من السماء كتابًا مفتوحاً (يأمره فيه بالإيمان واتِّباع محمد عليه الصلاة والسلام)، وهذا كقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾، فرَدّ الله عليهم قائلاً: ﴿كَلَّا﴾: يعني ليس إعراضهم بسبب ما طلبوه، ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآَخِرَةَ﴾ يعني: ولكنهم في الحقيقة لا يخافون عذاب الآخرة، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء، فلذلك تجرؤوا على ربهم وعانَدوا وتكبروا، ﴿كَلَّا﴾ لن نستجيب لاقتراحاتهم السخيفة، فـ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾: يعني فإنّ هذا القرآن فيه التذكير الكافي والوعظ الشافي (لمن أراد الاستجابة)، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾: يعني فمَن أراد الاتعاظ: قرأ القرآن، فاتعظ بما فيه وانتفع بهداه، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يعني: وما يتعظون به إلا أن يشاء الله لهم الهدى، (إذاً فعليكم أيها الناس بالتذكُّر والاتعاظ، لأنه المؤدي بكم إلى أن تتقوا ربكم)، فإنه سبحانه ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ أي هو سبحانه أهلٌ لأن يُتقى ويُطاع ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يعني: وهو أهلٌ لأن يَغفر لمَن تاب إليه واتقاه.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة القيامة كاملة

- من الآية 1 إلى الآية 4: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: يعني أُقسِم بيوم القيامة، (إذ هذا مِثل قول القائل مُهدداً: (أنا لن أُقسِم، ولكنْ لو لم تفعل كذا: سوف يَحدث كذا) (وهذا تأكيدٌ للقسم)، ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (يعني: وأقسَمَ سبحانه بالنفس المؤمنة التقية، التي تلوم صاحبها على ترْك الطاعات وفِعْل المعاصي، فإذا أحسَنَ صاحبها: لامته على عدم الزيادة، وإذا أساء: لامته على الذنب والتقصير) (هذا هو القسم، وأما الشيء الذي يُقسِم اللهُ عليه فهو محذوف بَلاغةً (لأنه يُفهَم من الآية التي بعده)، وتقديره: (إن الناس سيُبعَثونَ من قبورهم أحياءً بعد الموت)، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾؟! يعني أيظنُّ هذا الإنسان الكافر أننا لن نقدر على جَمْع عظامه بعد تفرقها؟! ﴿بَلَى﴾ سنجمعها، و﴿قَادِرِينَ﴾ أيضاً ﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾: أي قادرينَ على أن نجعل أصابعه – بعد جَمْعها – خَلْقًا سويًّا كما كانت قبل الموت، (ومِن ذلك: تسوية الخطوط الدقيقة التي في الأصابع – وهي "البصمة" – التي تختلف بين كل إنسان وآخر).

- من الآية 5 إلى الآية 15: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾: يعني بل يُنكر الإنسان البعث، لأنه يريد أن يَبقى على الفجور فيما يُستقبَل من أيام عمره، و﴿يَسْأَلُ﴾ – سؤال استبعاد واستهزاء –: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾؟! يعني متى يكون يوم القيامة؟! فرَدَّ الله عليه بقوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ يعني فإذا تحيَّر البصر ودُهِش (فزَعًا مما رأى من أهوال القيامة) ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أي ذهب نوره ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: أي جُمِع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، (أو لَعَلَّ المقصود: اجتماع الشمس والقمر يوم القيامة بعد أن كانا مفترقين، والتصاقهما بعد أن كانا منفصلين، واقترابهما من الناس حتى يتأذوا بالعرق وشدة الحر)، ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ﴾: ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾؟ يعني أين المَهرب من العذاب؟، ﴿كَلَّا﴾: أي لن تستطيع الفرار، فإنه ﴿لَا وَزَرَ﴾: أي لا ملجأ ولا حِصن تحتمي به، وإنّ ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ يعني إلى الله وحده مصير الخلائق يوم القيامة ومُستقَرّهم، فيُجازِي كُل واحدٍ بما يَستحقه، ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: أي يُخبِرُ اللهُ الإنسانَ في ذلك اليوم بجميع أعماله: ما قدَّمه منها في حياته، وما أخَّره بعد موته (وهو كل ما دل عليه الناس أثناء حياته – مِن خيرٍ أو شر – فعملوا به بعد موته، فإنه يُكتَب في ميزانه)، ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: يعني بل الإنسان حُجّة واضحة على نفسه، إذ تشهد عليه أعضاؤه بكل ما فعل ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ يعني: ولو جاء بكل مَعذرة يَعتذر بها عن إجرامه، فإنه لا ينفعه ذلك.

- من الآية 16 إلى الآية 20: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: أي لا تحرك أيها النبي لسانك بالقرآن – وقت نزول الوحي عليك – لأجل أن تتعجل بحفظه (مَخافة أن يتفلَّت منك)، فـ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾: يعني إنّ علينا جَمْعه في صدرك لتحفظه، ثم علينا تسهيل قراءته على لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يعني فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي استمعْ لقراءته وأنصِت لها، ثم اقرأ القرآن كما قرأه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ يعني: ثم إنّ علينا توضيح ما أُشكِل عليك فَهْمه من مَعانيه وأحكامه.

- من الآية 21 إلى الآية 25: ﴿كَلَّا﴾: أي ليس الأمر كما زعمتم – أيها المُشركون – مِن إنكار البعث والجزاء، لأنكم تعلمون أن القادر على إيجادكم اليوم، قادرٌ على إيجادكم مرة أخرى، ولكنْ: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يعني: ولكنّ الذي جعلكم تُكَذِّبون بالبعث والجزاء هو حبكم للحياة العاجلة – أي الدنيا – وما فيها من لذات وشهوات، ﴿وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ﴾ أي: وتتركون العمل للآخرة (لأن الإيمان بها يُكَلِّفكم الصلاة والزكاة والصيام والجهاد، والتخلي عن الكثير من الشهوات المُحرّمة)، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ أي: وجوهُ أهل السعادة يوم القيامة مُشرِقة حَسَنة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: أي ترى خالقها ومالِكَ أمْرها، فتتمتع بذلك، وقد

www.alukah.net

قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: (إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، يقول الله تعالى: (تريدون شيئاً أَزيدُكُم)؟، فيقولون: (ألم تُبَيِّضْ وجوهنا؟ ألم تُدخِلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار؟)، فيُكشَفُ الحجاب، فما أُعْطوا شيئاً أحَبّ إليهم من النظر إلى ربهم)، (يا الله، كم أتمنى هذه اللحظة، التي أرى فيها خالقي وحبيبي، اللهم اجعلنا مِن أهل الجنة - بلا سابقة عذاب ولا مناقشة حساب - ومَن قالَ آمين).

(وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) يعني: ووجوهُ الأشقياء يوم القيامة عابسة مُسوَدّة (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ): أي تتوقع أن تَنزل بها عقوبة شديدة تَقصم فقرات الظَّهر، وذلك ابتداءً من إلقائها في جهنم (نسأل الله العفو والعافية).

- من الآية 26 إلى الآية 35: (كَلَّا): أي ليس الأمر كما تحسب أيها الإنسان مِن أنّ اللهَ لن يجمع عظامك ولن يُجازيك، فـ(إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ) يعني: فإذا وصلتْ روحك إلى أعالي صدرك، (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) يعني: وقال بعض الحاضرين لبعض: هل مِن راقٍ يَرْقيه ويَشْفيه مما هو فيه؟، (وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ) يعني: وأيقن المُحتضر أنَّ الذي نزل به هو فراق الدنيا والأهل (لمُعاينته لملائكة الموت) (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) يعني: واتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، وصَعُبَ الأمر واشتد الكَرب، (فحينئذٍ ستعلم أنّ الذي أخَذَ روحك قهراً مِن جَسَدك، قد أخَذَها لحكمةٍ عظيمة، وهي بَعْثها بعد موتها لتُجازَى على أعمالها، وإلاّ لَبَقِيَتْ الأرواح في الأجساد، إذ لا فائدة مِن انتزاعها منها بعد وَضْعها فيها إلا حِكمة نَقْلها إلى حياةٍ ثانية، لتُجازَى فيها على ما عملتْ في الحياة الأولى).

(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ): يعني إلى الله تعالى مَساق العباد يوم القيامة ليجازيهم بأفعالهم: (إما إلى الجنة وإما إلى النار)، (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى) يعني: فلا صَدَّقَ هذا الكافرُ بالقرآن، ولا أدَّى فرائض الصلاة (وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) يعني: ولكنه كذَّب بالقرآن، وأعرض عن الإيمان (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) أي: ثم مَضَى إلى أهله يَتبختر في مَشيته (مُعجَباً بنفسه، غير خائف من عذاب ربه)، فلذلك توعَّده الله بقوله: (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) أي: هلاكٌ لك فهَلاك في الدنيا أيها المُكَذِّب المتكبر، (ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) يعني: ثم هَلاكٌ لك فهَلاك في جهنم (وهذا التكرار لتأكيد الوعيد بالعذاب).

- من الآية 36 إلى الآية 40: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)؟! يعني أيظنُّ هذا الإنسان المُنكِر للبعث أن يُترك هَمَلاً لا يُؤمَر ولا يُنهَى، ولا يُحاسَب ولا يُعاقَب؟! (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى)؟! يعني ألم يكن هذا الإنسان نُطفة ضعيفة من ماءٍ حقير يُصَبّ في الأرحام؟!، (ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً) أي: ثم صار قطعة دم جامدة (متعلقة بالرحم)، (فَخَلَقَ فَسَوَّى) أي فخلقه الله بقدرته وسوَّى صورته في أحسن تقويم؟ (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ) أي فجَعَلَ من هذا الإنسان: النوعين: (الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)؟! يعني أليس ذلك الخالق لهذه المخلوقات بقادرٍ على إعادتهم بعد موتهم؟! بلى إنه قادرٌ على ذلك (فإنّ إعادة الشيء كما كان، أسهل من إيجاده أول مرة).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الإنسان كاملة

- الآية 1: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾؟ (وهذا الاستفهام غرضه التقرير والتأكيد)، أي لقد جاء على الإنسان وقتٌ من الزمان - قبل أن تُنفَخ فيه الروح - لم يكن وقتها شيئاً يُذكَر، ولا يُعرَف له أثر.

- الآية 2، والآية 3: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي خلقناه من نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، ﴿نَبْتَلِيهِ﴾: أي نختبره بالتكاليف الشرعية بعد بلوغه، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: أي فجعلناه - مِن أجْل ذلك التكليف - ذا سمعٍ وبصر؛ ليسمع الآيات، ويرى الأدلة، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾: أي وَضَّحنا له طريق الهدى والضلال والخير والشر، لِيَكونَ ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾: يعني إما مؤمنًا شاكرًا، وإما كفورًا جاحدًا.

♦ ولَعَلَّ الله تعالى ذَكَر لفظ ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ بعد أن ذَكَرَ النُطفة، لِيَختبر الإنسان بذلك: (هل يتذكر أصل نشأته، فينقاد لربه ويتواضع مع خَلْقه؟، أم يَغتر بنفسه ويتكبرعلى أوامر ربه؟).

- الآية 4: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أي أعددنا ﴿لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ﴾ تُشَدُّ بها أرجلهم، فيُسحَبون بها إلى جهنم، ﴿وَأَغْلَالًا﴾: أي قيودًا تُجمَع بها أيديهم مع أعناقهم، ﴿وَسَعِيرًا﴾ أي نارًا يُحرَقون بها وهم مُقيَّدون.

- من الآية 5 إلى الآية 10: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ (وهم أهل الطاعة والإخلاص، الذين يؤدون حق الله تعالى وحق عباده)، أولئك ﴿يَشْرَبُونَ﴾ في الجنة ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ فيها خمر (لأنّ الكأس - في عُرف السابقين - كانت تُطلَق على الخمر، فلا يُقال (كأس) ما لم يكن بها خمر) ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي هذه الخمر ممزوجة (أي مخلوطة) بماء الكافور لِيَزيدها لذة، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ يعني: وهذا الشراب اللذيذ هو عينٌ جارية في الجنة يَشرب منها عباد الله، (هذا باعتبار أنّ ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ معناها (يشرب منها)، ويُحتمَل أن يكون المقصود: (عيناً يشرب عباد الله خَمْرهم بها) أي مخلوطاً بمائها)، ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي يُجْرونها إجراءً سهلاً حيث شاؤوا، فحيثُما ذهبوا تمكنوا من تفجيرها ليشربوا منها (سواء في غُرَفهم أو قصورهم أو مجالس سعادتهم وأُنسِهم).

♦ إنهم كانوا في الدنيا ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: أي يوفون بما أوجبوه على أنفسهم من طاعة الله تعالى واجتناب معصيته، (واعلم أن النذر ثلاثة أنواع: (النذر المشروط بشرط معين)، كأن يقول العبد مثلاً: (إنْ شَفَى اللهُ فلانًا: فللهِ عَلَيَّ أن أصوم ثلاثة أيام)، وهذا النوع مكروه؛ لأنه لا يَصدر إلا من البخيل الذي يَشترط على ربه، والنوع الثاني: هو (النذر المُطلَق) أي بدون شرط أو مقابل؛ كأنْ يقول العبدُ مثلاً: (للهِ عليَّ أن أصوم ثلاثة أيام، أو للهِ عليَّ أن أقرأ نصف جزء من القرآن يومياً، أو للهِ عليَّ ألاّ أفعل المعصية الفلانية أبدًا، أو لمدة أسبوع مثلاً)، وذلك على سبيل إلزام النفس وتربيتها، وترويضها على فِعل الطاعات واجتناب المعاصي، وهذا النوع هو قُربة من أفضل القُرُبات، وأما النوع الثالث: فهو (النذر لغير الله تعالى)، كالنذر للأولياء والصالحين وغير ذلك، وهذا شِرك.

♦ واعلم أنّ الإنسانَ إذا نذرَ نذرًا جائزًا: (سواء كانَ نذرًا مُطلَقًا، أو كانَ نذرًا مَشروطاً) فعليه أن يُوفِي بنذره، فإذا نَقَضَ نذرَهُ، فليَعلم أنَّ كفارة النذر هي نفسها كفارة اليمين، وأمّا نَذْرُ الشِّرك، فلا يَجوز للإنسان أن يَفعله ولا أن يُوفِي به.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: وكان هؤلاء الأبرار يخافون عقاب الله يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يكون ضرره خطيرًا، وشَرُّه منتشرًا على الناس (إلا مَن رحمه الله تعالى)، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ - أي رغم حُبِّهم له وحاجتهم إليه - فيُطعِمونه ﴿مِسْكِينًا﴾ أي فقيرًا عاجزًا عن الكسب، لا يملك شيئًا من الدنيا ﴿وَيَتِيمًا﴾: أي طفلا مات أبوه، ولا مالَ له، ﴿وَأَسِيرًا﴾ قد أُسِرَ

www.alukah.net

في الحرب (من المُشرِكين وغيرهم)، ويقولون في أنفسهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي طلباً لرضا الله وجنّته ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾: أي لا نريد منكم عِوَضًا ولا ثناءً ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ أي يومًا شديدًا تَعبس فيه الوجوه (مِن فظاعة أمْره وشدة هَوله)، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ أي ثقيلاً طويلاً يشتد فيه الحر والعَرَق.

- من الآية 11 إلى الآية 22: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾: أي فحفظهم الله من شدائد ذلك اليوم ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ يعني: وأعطاهم حُسنًا ونورًا في وجوههم، وبهجةً وفرحًا في قلوبهم، ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ يعني: وأثابهم - بسبب صبرهم على فِعل الصالحات وترْك المُحَرّمات - جنة عظيمة يأكلون منها ما شاؤوا، ويَلْبَسون فيها الحرير الناعم، (ولعَلَّ اللهَ تعالى خَصّ الحرير من بين نعيم الجنة، لأنه هو ثوبهم الظاهر الذي يدل على الرفاهية والنعيم الذي يعيشون فيه)، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ (والأرائك جمع أريكة، وهي السرير المُزَيّن بالستائر الجميلة)، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾: أي لا يرون فيها حَرَّ شمس، ولا شدة بَرد، بل جميع أوقاتهم في ظِلٍّ ظليل، بحيث تتلذذ به الأجساد، ولا تتألم مِن حَرٍّ ولا برد، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ يعني: وقريبةً منهم أشجار الجنة، مُظَلّلةً عليهم ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ يعني: وسُهِّل لهم أَخْذُ ثمارها تسهيلاً عظيماً (إذ يتناولها القائم والقاعد والمتكئ) ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ﴾ يعني: ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام من الفضة ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ يعني: وبأكواب الشراب من الزجاج ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي يَجمع بين صفاء الزجاج وبياض الفضة، ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي قدَّر السُقاة هذه الأكواب على مقدار ما يَشتهي الشاربون، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾: أي يُسقَى هؤلاء الأبرار في الجنة كأسًا مملوءةً خمرًا مُزِجَت بالزنجبيل.

♦ واعلم أن زنجبيل الجنة يكون خالياً من أي مُنَغِّص أو مُكَدِّر موجود في زنجبيل الدنيا (إذ كان الزنجبيل في الدنيا له طعم حار لاذع، لا يستسيغه بعض الناس)، قال "مُقاتِل" رحمه الله: (لا يُشبه زنجبيل الدنيا)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كل ما ذَكَر اللهُ في القرآن مِمّا في الجنة وسَمَّاه، ليس له في الدنيا مِثل)، فالأشياء في الجنة يُنزَع منها المُنَغِّصات التي كانت في الدنيا، كما قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ أي شَجَر نَبْق ليس له شوك (رغم أنه كان فيه شوك في الدنيا)، وكما قال تعالى عن نساء الجنة: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.

♦ ويُسقَون أيضاً في الجنة ﴿عَيْنًا﴾ أي مِن عينٍ ﴿فِيهَا﴾ أي موجودة في الجنة ﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ (ولَعَلّها سُمِّيَت بذلك لسَلاستها ولذتها وحُسنها)، ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ أي يدور عليهم - لخدمتهم - أطفال صغار لا يَشيبون ولا يموتون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ أي هؤلاء الأطفال: ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ أي ظننتهم - لجمالهم وانتشارهم في الخدمة هنا وهناك - ﴿لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ أي كأنهم اللؤلؤ المُضيء المنثور على الأرض.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ يعني: وإذا رأيتَ هناك (في أيّ مكان في الجنة): ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يُدْركه الوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي عظيمًا واسعًا لا نهاية له، ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ﴾ أي يَعلوهم ويُجَمِّل أجسادهم: ثيابٌ بطائنها من الحرير الرقيق الأخضر، ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ يعني: وظاهرها من الحرير الغليظ، ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ يعني: ويُحَلّون - من الحُليّ - بأساور من الفضة، ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي شرابًا نقياً من كل أذى، فائقاً في الجودة (ألَذّ من النوعين السابقين)، ولذلك أُسنِدَ إسقاؤه إلى الله عز وجل، (واعلم أنّ مِن طُهر هذا الشراب أنه لا يصير بولاً نَجِساً، ولكنه يصير رشحاً من جلودهم كرشح المِسك).

♦ ويُقال لهم: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾: يعني إن هذا النعيم قد أُعِدَّ لكم بسبب أعمالكم الصالحة، ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ أي: وكان عملكم في الدنيا عند الله مَرضيًا مقبولاً.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- من الآية 23 إلى الآية 26: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ أي نَزَّلْناه عليك أيها الرسول آية بعد آية – بحسب الحوادث والأحوال – لتُذَكِّر الناس بما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي اصبر على أمْر الله لك (بإبلاغ رسالته والصبر على أذى المُشركين)، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ يعني: ولا تطع اقتراحات وأهواء المُشركِينَ المُنغمسينَ في الشهوات، المُبالغينَ في الكفر والضلال، (ولَعَلَّ الله تعالى قال: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، ولم يقل: (ولا تطع منهم أحداً)، للإشارة إلى أن طاعتهم تؤدي إلى ارتكاب إثم أو كُفر).

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي استعن على الصبر وتحَمُّل الأذى بالمداومة على ذِكر ربك ودعائه بأسمائه في أول النهار وآخره، (ويدخل في ذلك: صلاة الصبح والظهر والعصر) ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ أي صَلِّ له صلاة المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني: وصَلِّ له – في الليل – وقتاً طويلاً فيه.

- الآية 27، والآية 28: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يعني إن هؤلاء المُشركِين يحبون الدنيا وينشغلون بها ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ يعني: ويتركون خلف ظهورهم العمل بما فيه نجاتهم من يومٍ عظيم الشدائد.

♦ ثم يُذَكِّرهم سبحانه بأنه خالقهم والقادر على تبديلهم بغيرهم، فيقول: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾ أي أوجدناهم من العدم ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي أحْكمنا خَلْقهم، وقوَّينا أعضاءهم ومَفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ يعني: وإذا شئنا أهلكناهم، وجئنا بقومٍ مؤمنينَ ممتثلينَ لأوامر ربهم.

- من الآية 29 إلى الآية 31: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾: يعني إن هذه السورة عبرة وموعظة للناس، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: يعني فمَن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة، اتخذ بالإيمان والتقوى طريقاً يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يعني: وما تريدون أمرًا من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته، (واعلم أن الآية قد أثبتت أن العبد له مشيئة وإرادة، ولكنها تابعة لمشيئة الله وإرادته، فما شاءه الله كان، وما لم يشأ لم يكن)، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) (انظر حديث رقم: 7406 في صحيح الجامع)، ويدخل في ذلك قولهم: (اعتمدتُ على الله وعليك)، والصحيح أن يقول: (اعتمدت على الله ثم عليك)، أو: الفضل لله تعالى ثم لك، وهكذا)، وقد ثبت أيضاً أنّ رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (ما شاء الله وشئتَ)، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (جعلتَ لله نِدّاً؟! – وفي رواية: أجعلتَني نِدّاً لله؟! –، ما شاء الله وحده) (انظر صحيح الأدب المفرد ج: 1/274)، وفي هذا دليل على أن العُذر بالجهل قاعدة شرعية أصولية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل للرجل: اسكت يا كافر، أو: اسكت يا فاسق، ولكنه عَذَرَه بجهله وعلَّمه، فلذلك يجب أن نرحم الناس، وأن نَعذرهم بجهلهم، وأن نُعَلِّمهم كما أنعم الله علينا بالعلم.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأحوال خلقه، ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره وصُنعه، ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ﴾ مِن عباده ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ ورضوانه (وهم المؤمنونَ به وبرسوله)، ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ المتجاوزين لحدود الله تعالى: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

♦ واعلم أنّ الفعل (كان) إذا جاء مع صفة معينة، فإنه يدل على أنّ هذه الصفة مُلازِمة لصاحبها، كقوله تعالى – واصفاً نفسه بالرحمة والمغفرة –: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي كانَ – دائماً وأبَداً – غفوراً رحيماً (لِمَن رجع إليه نادماً على ذنوبه).

****

www.alukah.net

تفسير سورة المرسلات كاملة

- من الآية 1 إلى الآية 7: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالرياح الطيّبة، التي يُرسلها متتابعة، كالشَعر المتتابع في عُرف الفَرَس، وهو الشعر الموجود أعلى عُنُقه)، ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالرياح الشديدة المُهلِكة، التي تَعصف بكل ما تَمُرّ به وتقتلعه)، ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالملائكة المُكَلَّفين بالسُحُب، إذ يَنشرونها ويسوقونها إلى حيثُ شاء اللهُ أن تُمطِر)، ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالملائكة التي تنزل من عنده بالآيات التي تُفَرِّق بين الحق والباطل والحلال والحرام)، ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالملائكة التي تتلقى الوحي من عنده، ثم تنزل به على أنبيائه ليُذَكِّروا الناسَ به)، ليكونَ ذلك الوحي ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي يَشمل إعذارًا من الله إلى خَلقه، يعني إزالةً لأعذارهم في عدم الإيمان (وذلك بذِكر البراهين وإقامة الحُجَج)، كما يشمل إنذارًا منه إليهم (وذلك بتحذيرهم من عذاب النار والحرمان من نعيم الجنة، وبتذكيرهم بقصص هلاك السابقين ليتعظوا بهم)، حتى لا يكون لهم حُجّة على الله تعالى بعد إنزال الوحي.

♦ ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ يعني إنّ الذي توعدونَ به أيها الناس - مِن أمْر يوم القيامة، وما فيه من حسابٍ وجزاء - لَنازلٌ بكم لا مَحالة، (واعلم أنّ الله تعالى يُقسِم بما يشاء مِن خَلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القَسَم إلا بالله تعالى، لأنّ الحَلِف بغير الله شِرك).

- من الآية 7 إلى الآية 15: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي ذهَب ضياؤها، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي تشققتْ، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي تطايرت وصارت هباءً منثوراً، ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي حُدِّدَ لها وقتٌ للحُكم بينها وبين أُمَمِها، ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾؟ يعني لأيِّ يومٍ أخِّرت الرُسُل؟، (والغرض من هذا السؤال: تعظيم الأمر وإثارة الانتباه)، إنها أخِّرت ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ أي ليوم القضاء والحُكم بين الخلائق (وهو يوم القيامة)، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؟ يعني: وما أعلمك - أيها الإنسان - أيُّ شيءٍ هو يوم الفصل وشدته وهوله؟ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي هَلاكٌ عظيم في ذلك اليوم للمُكذّبينَ بالحق الذي جاءت به الرُسُل.

- من الآية 16 إلى الآية 19: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾؟ يعني ألم نُهلك السابقين من الأمم الماضية - كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود - بسبب تكذيبهم للرُسُل؟ ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾؟ يعني: ثم نُلحِق بهم المتأخرين (مِمّن كانوا مِثلهم في العصيان والتكذيب)؟، ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: أي بمِثل ذلك الإهلاك، نفعل بكفار مكة - بسبب تكذيبهم لرسولهم محمد - إن لم يتوبوا ويؤمنوا، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي هَلاكٌ وعذابٌ شديدٌ لهم يوم القيامة، بعدما شاهدوا عقوبات المُكَذّبين أمثالهم وديارهم الخاوية، ولم يتعظوا بها، (واعلم أن هذا التكرار للتحذير والوعيد (لَعَلَّ المُشرِكين يتعظون به، ويتوبون مما هم فيه قبل فوات الأوان)، فكُلّ مَقطع من مَقاطع هذه السورة كأنه "هَزّة عنيفة" للمُكذّبين، بعد تقرير الله لهم بآياته الواضحة ونعمه الظاهرة).

- من الآية 20 إلى الآية 24: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾؟ يعني ألم نخلقكم - يا معشر الكفار - من ماءٍ ضعيف حقير، وهو النطفة ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: أي فجعلنا هذا الماء في مُستَقَرّ مُتمكِّن - مُهَيّأ لحِفظ النُطفة - وهو أرحام النساء، ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾: أي فجعلناه في الرحم إلى وقت محدد، معلوم عند الله تعالى، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ أي فقدَرنا على خَلْقه وتصويره وإخراجه، فنِعْمَ القادرونَ نحن، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: عذابٌ أليم يوم القيامة، لمَن كَذَّبَ بقدرتنا على إحياء مَن ابتدأنا خَلْقه أول مرة.

- من الآية 25 إلى الآية 34: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾؟ يعني ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها وعاءً؟، تَضُمّ ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾: أي تَضُمّ على ظَهرها أحياءً كثيرين، وفي بطنها أمواتًا كثيرين، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾: أي جعلنا في الأرض

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جبالاً راسيةً عالية لتُثبِّتها حتى لا تضطرب بكم، ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾؟ يعني وأسقيناكم ماءً عذبًا حُلواً؟ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي هَلاكٌ ودَمار يوم القيامة للمُكَذّبين بهذه النعم.

♦ ويُقال للكافرين يوم القيامة: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: أي سيروا إلى عذاب جهنم الذي كنتم به تُكَذِّبون في الدنيا، ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي سيروا فاستظلوا بدخان جهنم، الذي يتفرع منه ثلاث فروع، ولكنه في الحقيقة ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ أي لا يُظِل من حر ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ أي: ولا يَدفع شيئًا من حر اللهب، بل يحيط بهم اللهب والحر من كل جانب، كما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾، ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾: يعني إن جهنم تقذف بشرر عظيم من النار (كل شرارة منه كالبناء الضخم) ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ يعني كأنّ شرر جهنم – في هيئته –: جِمالٌ صُفر اللون (أو جِمالٌ سُود يَميل لونها إلى الصُفْرة)، وهي مُندفعة ومُتزاحمة (والمقصود بهذا التشبيه: زيادة الترويع والتهويل)، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي هَلاكٌ وعذابٌ شديد يوم القيامة للمُكَذّبين بعذاب الله تعالى.

– من الآية 35 إلى الآية 40: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾: يعني هذا هو يوم القيامة الذي لا يَنطق فيه المُكَذّبون بكلامٍ ينفعهم ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ يعني: ولا يكون لهم إذن في الكلام فيعتذرون (لأنه لا عُذرَ لهم)، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي هَلاكٌ عظيم في ذلك اليوم للمُكَذّبينَ بمجيئه، ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: يعني هذا يومٌ يَفصل اللهُ فيه بين الخلائق، ويَتميز فيه الحق من الباطل، وقد ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾: أي جمعناكم فيه – يا معشر كفار هذه الأمّة – مع الكفار الأولين من الأمم الماضية، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾: يعني فإنْ كان لكم حِيلة في الخَلاص من عذابي، فافعلوها وأنقِذوا أنفسكم مِن انتقامي، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي عذابٌ أليم في ذلك اليوم للمُكَذّبينَ بيوم الحساب والجزاء.

– من الآية 41 إلى الآية 47: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين خافوا عذابَ ربهم – ففعلوا ما يُرضيه واجتنبوا ما يُغضبه – هم اليوم ﴿فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾: أي في ظلال الأشجار المتدلية، وعيون الماء الجارية ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي يطلبون فيها ما يشتهون من أنواع الفواكه اللذيذة، (ولَعَلّ الله تعالى قد ذكَرَ الفاكهة دونَ سائر الطعام للإشارة إلى أن طعامهم وشرابهم لمجرد التلذذ – كما يُتلَذَّذ بالفاكهة – لا لطرد الجوع كما في الدنيا، وإلاّ، فإن الله تعالى قد قال في سورة الطور: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾، وقال في سورة الواقعة: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾)، ويُقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أي بعيدًا عن كل أذى، سالمينَ من كل مكروه ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب ما قدمتموه في الدنيا من صالح الأعمال، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: أي بمِثل ذلك الجزاء العظيم، نَجزي أهل الإحسان على طاعتهم وتقواهم، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي هَلاكٌ وحسرة عظيمة يوم القيامة للمُكَذّبين بما فيه من النعيم الأبدي.

♦ ثم هدَّد اللهُ الكافرين بقوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾: أي كلوا من لَذّات الدنيا الفانية، واستمتعوا بشهواتها الرخيصة زمنًا قليلاً، فإنكم مُجرمونَ بإشراككم بالله، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي هَلاكٌ وعذابٌ يوم القيامة للمُكَذّبين بالتوحيد والنُبُوّة والبعث والحساب.

– الآية 48، والآية 49، والآية 50: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ يعني وإذا قيل لهؤلاء المُشركين: صَلُّوا لله تعالى واخضعوا له وحده: لا يخضعون ولا يُصَلُّون، بل يُصِرُّون على استكبارهم، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي هَلاكٌ وعذابٌ عظيم يوم القيامة للمُكَذّبين بآيات القرآن الواضحة، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: إنْ لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأيّ كلامٍ بعده يؤمنون؟! وهو المُوَضِّح لكل شيء، الواضح في حِكَمه وأحكامه وأخباره، المُعجز في ألفاظه ومعانيه.

www.alukah.net

تفسير سورة النبأ

- من الآية 1 إلى الآية 16: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟ يعني: عن أيِّ شيءٍ يسأل رجالُ قريش بعضهم البعض؟، إنهم يتساءلون ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾: أي عن الخبر العظيم الشأن (وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنُبُوّة والبعث يوم القيامة) ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (ما بين مُصَدِّق ومُكَذِّب)، ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعم المُشرِكون من إنكار صحة ذلك الخبر العظيم، ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تكذيبهم، وسوف يَظهر لهم ما سيفعله الله بهم يوم القيامة، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ أي: ثم سيتأكد لهم حينئذٍ صِدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن والبعث، وذلك حين لا ينفعهم العلم (وهذا تهديدٌ ووعيدٌ لهم).

♦ ثم ذَكَرَ سبحانه بعض مَظاهر قدرته وإنعامه على خَلْقه، وعنايته بمصالحهم، للاستدلال بذلك على استحقاقه وحده لعبادتهم، وقدرته على بَعْثهم بعد موتهم، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾؟ يعني ألم نجعل الأرض مُمَهَّدة لكم كالفِراش لتستقروا عليها؟، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾؟ يعني: وجعلنا الجبال ثابتة لتثبيت الأرض - كما تُثبَّت الخيمة بالأوتاد - حتى لا تضطرب بكم؟، ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾؟ أي خلقناكم أنواعاً (ذكراً وأنثى)؟، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾؟ أي جعلنا نومكم راحةً لأبدانكم (إذ فيه تهدؤون وتستريحون من التعب نهاراً في طلب الرزق)؟، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي ساتراً يَستركم بظلامه (كما تَستركم الثياب)؟، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي تنتشرون فيه لطلب مَعاشكم، وتسعَون فيه لمَصالحكم؟، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾؟ أي بَنَينا فوقكم سبع سماوات متينة البناء، مُحكَمة الخَلق، لا شقوق لها؟، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾؟ أي جعلنا الشمس سِراجًا (يعني تَشِعّ بالضوء) ﴿وَهَّاجًا﴾ أي تَشِعّ بالحرارة، (وذلك لتنتفعوا بضوءها وحرارتها في الإبصار والتدفئة والزراعة، وغير ذلك من منافعكم)؟، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ (وهي السُحُب المُمطرة)، فأنزلنا منها بقدرتنا ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ أي ماءً مُنصبّاً بكثرة ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ أي لنخرج بهذا الماء حَبّاً مما يأكله الناس ﴿وَنَبَاتًا﴾ أي حشائش مما تأكله أنعامكم ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي بساتين مُلتفة ببعضها لِتُبهِج النفوس؟

- من الآية 17 إلى الآية 20: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ أي يوم القضاء بين الخلق بما قدَّموه مِن أعمال - وهو يوم القيامة - ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ أي كان موعدًا محددًا للأولين والآخرين ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي يوم يَنفخ المَلَك إسرافيل في القرن - وهو المعروف بـ "البُوق" - نفخة البَعث من القبور ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي تأتون أُمَمًا (كل أمّةٍ مع نَبيّها)، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ أي انشقت في ذلك اليوم ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي صار لها أبواب كثيرة لنزول الملائكة، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ أي نُسِفَت الجبال - بعد أن اقتلعها الله من أماكنها - ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي فصارت كالسراب الذي لا حقيقة له (إذ يُرَى - مكان الجبل - تراباً في الهواء، فيُظَنّ أنه جبل).

- من الآية 21 إلى الآية 30: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي تَرصد يومئذٍ أهل الكفر والإصرار على المعاصي، حيثُ أرصَدها الله تعالى لهم (أي أعدَّها لهم)، وصارت ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾: أي صارت جهنم مَرجعاً للمتجاوزين حدودهم في الشِرك والظلم والفجور والعِصيان (إذ يَرجعون إليها بعد موتهم)، ويَظلونَ ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي باقين فيها أزماناً متتالية لا تنتهي، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي لا يُصيبهم فيها هواءٌ بارد، ﴿وَلَا﴾ يذوقونَ فيها ﴿شَرَابًا﴾ يَرويهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ أي ماءً شديد الحرارة، ﴿وَغَسَّاقًا﴾ وهو صديد أهل النار (الذي يسيل من أجسادهم) فيشربونه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ وقد كان هذا الجزاءُ ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ أي جزاءً عادلاً مُوافِقًا لأعمالهم التي عملوها في الدنيا، حيثُ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي كانوا لا ينتظرون يوم الحساب (لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يعملوا له) ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ أي كَذّبوا بما جاءتهم به الرُّسُل تكذيباً شديداً، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ يعني: وقد أحصينا كلَّ شيء عملوه (إذ كانت ملائكتنا تكتب أعمالهم في الكتب التي معهم)، ويُقال لهم – تأنيباً – وهم يُعَذَّبون: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (فحينئذٍ يَعظُم كَرْبهم، ويَتمكن اليأس من نفوسهم)، أَعَاذَنا اللهُ وإخوانَنا المؤمنينَ من جهنم.

– من الآية 31 إلى الآية 40: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين عملوا ما يُرضِي ربهم واجتنبوا ما يُغضبه – خوفاً من عذابه –، أولئك سيَكونُ لهم ﴿مَفَازًا﴾ أي مكانَ فوز ونجاة (وهو الجنة)، فإنّ لهم فيها ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ أي لهم بساتين جميلة المنظر وأعنابًا لذيذة، ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ أي لهم في الجنة زوجات جميلات مُرتفِعات الصدور، (واعلم أن هذا الوصف يشمل النساء المؤمنات في الجنة والحُور العِين)، ﴿أَتْرَابًا﴾ أي في سِنٍّ واحدة (وهو سِنّ أهل الجنة: ثلاث وثلاثين سنة) (انظر صحيح الترمذي ج: 682/4)، ﴿وَكَأْسًا﴾ أي لهم كأسٌ فيها خمر (لأنّ الكأس – في عُرف السابقين – كانت تُطلَق على الخمر، فلا يُقال (كأس) ما لم يكن بها خمر)، ﴿دِهَاقًا﴾ أي مملوءة، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي لا يسمعون في الجنة كلامًا باطلاً، ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ أي لا يُكَذِّب بعضهم بعضًا (حتى لا يَتكدر صفو نعيمهم، ولا تتنغص لذة حياتهم).

♦ كل ذلك كانَ ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ﴾ لأهل الجنة، ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾: أي عطاءً كافيًا لهم، (يُقال: أعطاني فُلان فأحسَبَني أي كَفاني)، (وإذا أخَذَ ما يكفيه، قال: حَسبي أي يكفيني)، فهذا العطاء هو فضلٌ من الله تعالى ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي خالق كل ذلك ومُدَبِّر أمْره، وهو ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي وَسِعَت رحمته الدنيا والآخرة، وهو سبحانه الذي ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي لا يَملك أحدٌ من خَلْقه (ولو كان جبريل عليه السلام) أن يُخاطبه إلا بإذنه، وذلك ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾: أي يوم يقوم الروح الأمين (جبريل عليه السلام)، فيقف وحده (لِعِظَم خَلْقه)، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ أي تقف الملائكة جميعاً صفاً واحداً، ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي لا يَشفعون لأحدٍ من الخلق في النجاة من النار ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾: يعني إلا لِمَن أَذِنَ له الرحمن في الكلام أو في الشفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: وقال هذا المَلَك – الذي أَذِنَ اللهُ له في الكلام – قولاً صواباً يُرضى ربه، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي اليوم الذي لا شك في وقوعه، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ يعني فمَن شاء النجاة مِن عذاب ذلك اليوم، فليتخذ مَرجعًا حَسَناً إلى ربه (وذلك بسلوكه طريق النجاة، بالإيمان وصالح الأعمال والتوبة وكثرة الاستغفار).

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي حَذَّرناكم مِن عذاب يوم القيامة القريب (وإن استبعدتموه)، فإنّ كل آتٍ قريب، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: أي يوم يرى فيه كل امرئٍ ما عَمِلَ من خيرٍ وشر، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ – مِن هَول الحساب وصعوبة الأمر –: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (فلم أُبعَث حَيّاً بعد موتي حتى لا أُعَذَّب).

****

www.alukah.net

تفسير سورة النازعات

- من الآية 1 إلى الآية 9: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار والفجار نزعاً شديداً عند الموت)، (ومعنى غَرْقاً: أي الإغراق في نَزع الروح من أقصى الجسد)، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالملائكة التي تَقبض أرواح المؤمنين بنشاط ورفق)، ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالملائكة التي تَسْبَح عند نزولها من السماء وعند صعودها إليها)، ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالملائكة التي تسبق غيرها في تنفيذ أمْر ربها)، ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ يعني: ويُقسِم سبحانه بالملائكة المُنَفّذات لأمر ربها فيما كَلّفها به (كقبض الأرواح, وإنزال الأمطار, وإرسال الرياح, وغير ذلك بأمر ربها ومَشيئته).

♦ هذا هو القسم، وأما الشيء الذي يُقسِم اللهُ عليه، فهو محذوف بَلاغةً (لأنه يُفهَم من الآية التي بعده)، وتقديره: (سوف تُبعَث الخلائق من قبورها وتُحَاسَب) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾: أي يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى (وهي نفخة الإماتة)، (وقد سُمِّيَت هذه النفخة بالراجفة، لأنها تتسبب في إرجاف - أي اضطراب - الكون كله وفنائه)، ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾: أي تتبعها النفخة الثانية (وهي نفخة الإحياء) (وقد سُمِّيَت بالرادفة لأنها تَردُف النفخة الأولى، أى تأتى بعدها)، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: قلوبُ الكفار يومئذٍ خائفة قلقة، ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ يعني: أبصار أصحاب هذه القلوب تكون ذليلة منكسرة، (واعلم أنّ الله تعالى يُقسِم بما يشاء مِن خَلْقه، أما المخلوق فلا يجوز له القَسَم إلا بالله تعالى، لأنّ الحَلِف بغير الله شِرك).

- من الآية 10 إلى الآية 14: ﴿يَقُولُونَ﴾ أي يقول مُنكِرو البعث: ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾؟! يعني هل سنُرَدُّ في الحالة الأولى (وهي الحياة) بعد أنْ مِتنا؟! ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾؟! يعني أنُرَدُّ بعد أنْ صِرنا عظامًا مفتتة؟!، و﴿قَالُوا﴾: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ يعني: رَجْعتنا تلك ستكون إذاً خاسرة، أي لا أمل في وقوعها (فشَبَّهوها بالتجارة الخاسرة التي لا أمل في ربحها)، فرَدَّ اللهُ عليهم قائلاً: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: يعني فإنما هي صيحة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾: يعني فإذا هم أحياءٌ على وجه الأرض، (واعلم أن الساهرة: هي الأرض المستوية البيضاء التي لا نبات فيها، وهي هنا أرض المَحشر، وقد قيل إنها سُمِّيَت بالساهرة لأنّ مَن عليها يومئذٍ من الخلق يَسهرون ولا ينامون، بل يُحاسَبون ويُجازونَ بأعمالهم).

- من الآية 15 إلى الآية 26: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾؟ يعني: هل جاءك أيها الرسول خبر موسى عليه السلام؟ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: أي حين ناداه ربه بالوادي المطهَّر المبارك "طُوًى"، فقال له: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ - بآياتي -، ف﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ أي قد تجاوَزَ الحد في الكفر والظلم والعِصيان، ﴿فَقُلْ﴾ له: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾؟ يعني هل لك رغبة في أن أدُلّك على ما يُزَكِّيك ويُطَهِّرك من النقائص والعِصيان؟ ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾؟ يعني وأُرشِدك إلى طاعة ربك وأُعَرِّفك به، فتخشاه وتتقيه، لتنجو من ناره وتَسعد بجنّته؟، ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ يعني أراه موسى العلامة العُظمَى، الدالة على صِدقه في رسالته (وهي العصا التي تحولت إلى ثعبان عظيم، ويده التي أصبحت بيضاء كالثلج، بخِلاف باقي جسده الأسمر)، ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون بالآيات ﴿وَعَصَى﴾ ربه عزَّ وجلّ، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي انصرف رافضاً للحق، ﴿يَسْعَى﴾ مُجتهدًا في معارضة موسى، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ أي فجَمَعَ أهل مملكته وناداهم، ﴿فَقَالَ﴾ لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (وهنا قد وصل إلى قمة الكُفر والعياذُ بالله) ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾: أي فانتقم اللهُ منه بالعذاب في الدنيا والآخرة، وجعله عِبرةً لكل متمرد على ربه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾: يعني إنّ في فرعون - وما نزل به من العذاب - لَمَوعظةً لمن يَخشى اللهَ تعالى (وهو المؤمن التَقِيّ)، فهذا هو الذي يجد العظة والعبرة في هذه الآيات والقصص.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

♦ واعلم أن المقصود من هذه الآيات السابقة: تصبير الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يُعانيه من تكذيب قومه له، وجحودهم بالحق الواضح الذي جاء به، فلذلك قَصَّ اللهُ عليه جُزءاً من قصة موسى عليه السلام، وصَبْره على إيذاء فرعون وتكذيبه، ليكون ذلك تخفيفاً عليه، وتهديداً لقومه بعقوبةٍ تنزل بهم، كعقوبة فرعون الذي كان أشد منهم قوة، ومع ذلك فقد أهلكه الله وجنوده في البحر.

- من الآية 27 إلى الآية 33: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾؟! يعني هل إعادتكم أيها الناس أحياءً - بعد موتكم - أعظم أم خَلْق هذه السماء الواسعة المرفوعة بغير أعمدة؟!، والجواب معلوم: وهو أنّ هذه السماء العظيمة أشد خلقاً منكم، فقد ﴿بَنَاهَا﴾ أي رفعها سبحانه فوقكم كالبناء (فلا تسقط عليكم إلا إذا أراد)، و﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: يعني أعلى سقفها في الهواء ﴿فَسَوَّاهَا﴾ يعني أحكَمَ خَلْقها (فلا خلل فيها ولا شقوق) ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: يعني أظلَمَ ليلها (بغروب شمسها) ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: يعني أظهَرَ نهارها (بشروق شمسها)، ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ يعني: والأرض - بعد خَلْق السماء - بَسَطَها ومَهَّدها، ثم وضع فيها منافعها، فـ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾: أي فجَّر فيها عيون الماء، ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ يعني: وأنبت فيها ما يَرعاه الإنسان (مِن مختلف النبات والحبوب والثمار)، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾: أي ثَبَّتَ فيها الجبال (لتكون أوتادًا لها فلا تضطرب)، وقد خَلَقَ سبحانه كل هذه الأشياء وسَخَّرها؛ لتكون ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ أي مَنفعةً لكم ﴿وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (التي هي الإبل والبقر والغنم)، (ألاَ فاعلموا أنه وحده المُستحِق لعبادتكم، وأنّ إعادة خَلْقكم يوم القيامة أهْوَن عليه مِن خَلْق هذه الأشياء العظيمة).

- من الآية 34 إلى الآية 41: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ يعني فإذا جاءت القيامة الكبرى والشدة العظمى (وذلك بعد النفخة الثانية)، ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ يعني عندئذٍ يُعرَض على الإنسان كل عمله، فيتذكره ويعترف به، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ يعني وأُظهِرَت جهنم لكل مُبْصِر، فيراها واضحةً مُخيفة لا يُخْفيها شيء، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ أي تمَرَّد على أمْر ربه ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي فَضَّلَ الحياة الدنيا على الآخرة واتَّبع شهواتها العاجلة: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾: يعني فإنّ مَصيره إلى النار، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي خاف من القيام بين يدي ربه، ليسأله عن كل صغيرةٍ وكبيرة، وعن كل نعمةٍ أنعمها عليه، فدَفَعَه ذلك الخوف إلى المُسارَعة في فِعل الطاعات، والعزم على تَرْك السيئات، والإكثار من الحمد والاستغفار ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ أي نَهَى نفسه عن الأهواء الفاسدة والخواطر الدنيئة: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يعني فإن الجنة هي مَسكنه الدائم (التي فيها ما تشتهيه نفسه، وتفرح بها عينه).

- من الآية 42 إلى الآية 46: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ أي يسألك كفار مكة عن الساعةِ التي تقوم فيها القِيامة - استبعادًا لها وتكذيبًا - قائلين: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾؟ يعني: متى وقت وقوعها؟، ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾؟ يعني: إنك أيها الرسول لا تعلم شيئاً عن وقت مَجيئها، حتى تَذكرها لهم، وإنما ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ أي: مُنتهَى عِلمها إلى الله وحده (فلا يَعلمها أحدٌ غيره)، و﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ يعني: وإنما شأنك في أمْر الساعة أن تُحذّر منها مَن يخافها، إذاً فلا تهتم بمن يستعجلك بها، استخفافاً بأمرها، فـ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ يعني يوم يرون القيامة: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ يعني: كأنهم لم يَمكثوا في الدنيا (وهم أحياء) ولا في قبورهم (وهم أموات) إلا ما بين الظهر إلى غروب الشمس (وهو وقت العَشِيّ)، أو ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار (وهو وقت الضحى)، وذلك لِمَا شاهَدوه من أهوال القيامة، ولطُول وقوفهم في حر الشمس، وتغطية العَرَق لجميع جسدهم، وبسبب رؤيتهم لجهنم التي سيُعَذَّبونَ فيها (والإنسانُ إذا اشتدّ خَوْفه: نَسِيَ كل ما مَرَّ به مِن نعيمٍ أو عذاب، خاصةً إذا قارَنَ ذلك بعذاب جهنم الأبدي).

www.alukah.net

تفسير سورة عَبَسَ

- من الآية 1 إلى الآية 16: ﴿عَبَسَ﴾ أي ظَهَرَ الغضب والعبوس في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، ﴿وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ يعني: وأعرَض لأجل أنّ الأعمى "عبد الله بن أمّ مكتوم" قد جاءه طالباً للعلم والهدى، (وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مُنشغِلاً بدعوة كبار قريش إلى الإسلام، فأعرَضَ عن "عبد الله بن أمّ مكتوم" رضي الله عنه)، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآيات مُعاتِباً لرسوله صلى الله عليه وسلم، قائلاً له: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾؟ يعني وأيُّ شيءٍ أعْلَمَك - أيها الرسول - بحقيقة أمْره؟ ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ أي: لعله بسؤاله هذا تَزكو نفسه وتَطهُر مما كانَ عليه في جاهليته ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾: يعني أو يحصل له المَزيد من الاعتبار والاتعاظ فيتقي عذاب ربه، ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ عن هَدْيك - وهم كفار قريش - ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾؟ يعني فأنت تتصدى لهم (بإقبالك عليهم وإنصاتك لكلامهم)؟! ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾؟! يعني: وأيّ شيءٍ عليك من المسؤولية في عدم تطهُّرهم مِن كُفرهم، بعد أن بَلّغتهم؟! ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ يعني: وأمَّا مَن كان حريصاً على لقائك، فجاءك يجري ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ أي يخشى اللهَ من التقصير في طلب النصيحة والموعظة ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾؟! يعني فأنت عنه تتشاغل؟! ﴿كَلَّا﴾: أي ليس الأمر كما فعلتَ أيها الرسول ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾: يعني إن هذه السورة موعظةٌ لك ولكل مَن شاء الاتعاظ، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾: يعني فمَن أراد الاتعاظ: قرأ القرآن فاتعظ بما فيه وانتفع بهُداه.

♦ وهذا القرآن موجودٌ ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾: أي في صُحُفٍ مُعَظّمة موَقّرة (وهو اللوح المحفوظ)، ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ أي عالية القدر (مرفوعة في السماء)، ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ من الزيادة والنقص، ومُنَزَّهة - أي مُبَرّأة - عن مَسّ الشياطين لها، ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ أي: موجودة بأيدي ملائكةٍ كَتَبَة (ينقلون الوحي من اللوح المحفوظ)، (وقد قيل في تسميتهم بالـ(سَفَرة)، لأنهم سُفراء بين الله وخَلْقه، إذ كانوا يُعاونون جبريل عليه السلام في حِفظ الوحي حتى يبلغه إلى الأنبياء والرُّسُل)، وهُم ﴿كِرَامٍ﴾: أي مُكَرَّمون عند الله تعالى، ﴿بَرَرَةٍ﴾ يعني أخلاقهم وأفعالهم بارّة طاهرة طائعة لله تعالى.

♦ وما أقرب هذا الوصف من مؤمنٍ كريم النَفْس، طاهر الروح، يحفظ كتاب الله ويعمل به، بيده مُصحَف يقرؤه، ويُرَتّل فيه كلام ربه وحبيبه، فقد ثَبَتَ في في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" مَثَل الذي يقرأ القرآن وهو حافظٌ له، مع السَفَرة الكرام البَرَرة، ومَثَل الذي يقرؤه وهو يتعاهده وهو عليه شاقٌّ شديد، فله أجران"، (ويُحتمَل أن يكون المقصود بكونه مع الملائكة السَفَرة: أنَّ له في الآخرة منازل في الجنة، يكونُ فيها رفيقاً لهم).

- من الآية 17 إلى الآية 23: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾! أي: لُعِنَ الإنسان الكافر وعُذِّب، ما أشدَّ كُفره بربه! ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾؟! يعني: ألم يَرَ مِن أيِّ شيءٍ خَلَقَه الله أول مرة، لِيَعلم أنه سبحانه القادر على بَعْثه بعد موته؟!، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ أي لقد خَلَقَه الله من ماءٍ ضعيف (وهو المَنِيُّ)، فقدَّره أطواراً - أي مراحل متدرجة -: (نُطفة ثم عَلَقة ثم مُضغة ثم عظامًا ولحمًا)، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ أي: ثم وَضَّحَ له طريق الخير والشر، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ﴾ بعد انتهاء أجله، ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾ أي جعل له مكانًا يُقبَر فيه (وإلاّ لأنتَنَ وتعفّن)، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾، يعني ثم وقتما شاءَ سبحانه: أحياه بعد موته للحساب والجزاء (وهو يوم القيامة)، ﴿كَلَّا﴾: أي ليس الأمر كما يزعم هذا المُنكِر للبعث، فإنّ البعث بعد الموت واقعٌ لا مَحالة، ورغم ذلك فإنه ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي لم يُؤَدِّ ما أمَرَه اللهُ به من الإيمان والعمل بطاعته، بل استمر في طُغيانه وعِناده.

- من الآية 24 إلى الآية 32: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ - مُتأملاً - ﴿إِلَى طَعَامِهِ﴾ كيف خَلَقَه الله له ودَبَّره؟، ألم يَرَ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ من السماء على الأرض ﴿صَبًّا﴾ أي إنزالاً قوياً، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ لِتُخرج منها النبات ﴿شَقًّا﴾ بديعاً حكيماً، بحيث

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تخرج النباتات من الأرض خروجاً يُبهج النفوس، ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ أي حبوباً كثيرة يأكلها الناس (كالأرز والقمح والذرة وغير ذلك) ﴿وَعِنَبًا﴾ بألوان مختلفة ﴿وَقَضْبًا﴾ أي عَلَفًا للدواب ﴿وَزَيْتُونًا﴾ تأكلونه وتصنعون منه الدُّهن (وهو الزيت) ﴿وَنَخْلًا﴾ يَخرج منه أنواعاً مختلفة من التمور، ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ أي حدائق عظيمة الأشجار (تبتهج النفوس لرؤيتها)، ﴿وَفَاكِهَةً﴾ أي ثمارًا متعددة، ﴿وَأَبًّا﴾ أي عُشباً تأكله الأنعام، كل ذلك قد خلقه الله تعالى ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ أي لتَنْعَموا به أنتم وأنعامكم (وهي الإبل والبقر والغنم، التي تنتفعون بألبانها ولحومها وركوب بعضها)، (إذاً فاعلموا أن الذي يَعتني بمصالحكم هو وحده المُستحِق لعبادتكم).

- من الآية 33 إلى الآية 42: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ يعني فإذا جاءت صيحة البعث (التي تصيب الأسماع بالصَّمَم مِن شدتها) ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ﴾ - لشدة ذلك اليوم وصعوبته - ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾: يعني وزوجته وأبنائه، (وهؤلاء المذكورون هم أقرب الناس إليه، ومع هذا يهرب منهم، خوفاً مِن أن يطالبوه بحَقٍ لهم عليه، فيأخذوه منه)، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يعني: لكل واحد منهم يومئذٍ أمْرٌ يُشغله عن غيره، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ أي: وجوهُ أهل النعيم في ذلك اليوم: مُضيئة، ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾: أي مَسرورةٌ فَرِحة، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ يعني: ووجوهُ أهل الجحيم مُظلمة مُسودَّة ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ أي تغطيها ذِلَّة وكآبة شديدة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ﴾ الذين كفروا بنعم الله وكذَّبوا بآياته، ﴿الْفَجَرَةُ﴾ الذين تجرؤوا على حُرُماته وانتهكوا حدوده.

****

www.alukah.net

تفسير سورة التكوير

- من الآية 1 إلى الآية 14: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي ذهب ضَوْءُها، ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي تساقطت على الأرض، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي سُيِّرَت عن وجه الأرض - بعد أن اقتلعها الله من أماكنها - وجعلها هباءً منثوراً، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ يعني: وإذا النُوق الحوامل تُرِكَت وأُهمِلَت (بعد أن كانت تأخذ اهتماماً شديداً وعنايةً بالغة من أصحابها حتى تلد)، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ يعني: وإذا الحيوانات الوحشية جُمِعَت؛ لِيَقتصَّ اللهُ مِن بعضها لبعض، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: "لَتُؤَدَنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد - (يعني حتى يُقتَصّ) - للشاة الجَلحاء - (أي التي لا قرْنَ لها) - من الشاة القرناء (وهي التي ضربت الأخرى بقرونها)"، ثم ثَبَتَ في حديثٍ آخر أنه بعد هذا القِصاص: تصيرُ الشاتان تراباً (انظر السلسلة الصحيحة ج 4/606)، (وذلك حتى يَتحقق العدل التام يوم القيامة)، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ يعني: وإذا البحار أُوقِدَت بالنار، فقد قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: (تُملأ البحار كلها يوم القيامة بالنار، فيُزاد بها في نار جهنم)، ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ يعني: وإذا النفوس قُرِنَت - يعني أُدخِلَت - بأجسادها، أو (قُرِنَت بأمثالها في الخير والشر)، فأصبحت كُلّ طائفة متشابهة في الأعمال، تقف مع بعضها يوم القيامة، ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ يعني: وإذا الطفلة (التي دُفِنَت وهي حية)، سُئِلَت يوم القيامة - جَبرًا لخاطرها وتوبيخاً لِمَن دَفَنَها -: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾؟! يعني ماذا فعلتْ حتى تُدفَن وهي حية؟!، ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ يعني: وإذا صُحُف الأعمال فُتِحَت وعُرِضَت على أصحابها، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي قُلِعَت وأُزيلت من مكانها، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ يعني: وإذا النار أُوقِدَت، فاشتعلت اشتعالاً شديداً، ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي قُرِّبت مِن المتقين (زيادةً لهم في المَسَرَّة والاطمئنان)، فإذا وَقَعَ كل ذلك: فقد ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ أي وجدتْ كلُّ نفس ما قدَّمَت من خير أو شر.

- من الآية 15 إلى الآية 25: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾: يعني فأُقسِم بالنجوم التي تختفي أنوارها نهارًا، والتي هي ﴿الْجَوَارِ﴾ أي الجارية في مَدارها، ﴿الْكُنَّسِ﴾ أي المستترة في أبراجها (أي في مَنازلها)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ يعني: وأُقسِم بالليل إذا أقبَلَ بظلامه، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ يعني: وبالصبح إذا ظهر ضياؤه، ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: يعني إن القرآن لَتبليغُ رسولٍ كريم - وهو جبريل عليه السلام - الذي يُبَلِّغ القرآنَ عن رب العالمين، ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ يعني إنّ جبريل صاحب قوة شديدة في تنفيذ ما يؤمَر به، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يعني: إنَّ جبريل ذو مكانة عالية عند صاحب العرش (وهو اللهُ تعالى)، ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي تطيعه الملائكة هناك (في السماء) أو في أيّ مكان يذهب إليه، ﴿أَمِينٍ﴾ أي مؤتمَن على الوحي الذي يَنزل به.

♦ واعلم أنّ كلمة (لا) التي في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ تُسَمَّى (لا الزائدة) لتأكيد القسم، واعلم أيضاً أنّ الله تعالى يُقسِم بما يشاء مِن خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القَسَم إلا بالله تعالى، لأنّ الحَلِف بغير الله شِرك.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ يعني: وما محمد - الذي تعرفونه - بمجنون كما تزعمون (حتى تصرفوا الناسَ عنه)، فإنكم تعلمون أنه أعقل أهل الأرض، إذ كنتم تَشهدونَ له بالصدق والأمانة، ورَضيتم بحُكمه عندما أرادتم إعادة بناء الكعبة (وذلك قبل بعْثَته)، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ يعني: ولقد رأى محمدٌ جبريلَ - الذي يأتيه بالوحي - في الأُفق العظيم (وهو أُفق الشمس عند مَطلعها)، وذلك حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم - على صورته الحقيقية - جالساً بين السماء والأرض، وهو يَسُدّ الأُفُق مِن مَطلع الشمس إلى مَغربها، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ يعني: وما محمدٌ ببخيل في تبليغ الوحي عن ربه، فإنه لو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كان كاتماً شيئاً من الوحي، لَكَتَمَ عتاب الله تعالى له في شأن الصحابي "عبد الله بن أُمّ مكتوم" في سورة (عَبَسَ)، ولَكَتَمَ قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ يعني: وما هذا القرآن بقول شيطانٍ مَرجومٌ بالشُهُب – حتى لا يَسمع كلامَ الملائكة في المَلأ الأعلى – ولكنه كلام رب العالمين ووَحْيه.

– من الآية 26 إلى الآية 29: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟! يعني: فأين تذهب بكم عقولكم في التكذيب بالقرآن، بعد أنْ علمتم براهينه القاطعة؟! ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني: ما هذا القرآن إلا تذكيرٌ للجن والإنس (إذ بالتفكر فيه يَهتدون إلى الحق، وباتِّباعه يَسعدون في الدنيا والآخرة)، فإنّ القرآنَ فيه العِبَر والمواعظ الكافية ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ أي يستقيم على الحق والإيمان، ولا يتَّبع شيطانه وهَواه، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني: وما تشاؤون الاستقامة ولا تَقدرون عليها، إلا أن يشاءها لكم الله تعالى، رب الخلائق أجمعين (ألاَ فاطلبوها منه بصِدقٍ وتذلل، واجتهِدوا في تحصيل أسبابها).

****

www.alukah.net

تفسير سورة الإنفطار

- من الآية 1 إلى الآية 5: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أي انشقت واختلَّ نظامها، ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ أي تساقطت على الأرض، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي اختلطت ببعضها وأصبحت بحراً واحداً (سواء المالح والعَذب)، وذلك لانكسار الحاجز الذي كان يفصل بينهما - بعد زلزلة الأرض - إعلاماً بخراب العالم، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي قُلِبَت وأُخرِجَ ما فيها من الأموات، فإذا وقع كل ذلك: فقد ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾: أي وَجَدَ كلُّ إنسانٍ جميع أعماله: ما قدَّمَه في حياته، وما أخَّرَه بعد موته (وهو كل ما دَلَّ عليه الناس أثناء حياته - مِن خيرٍ أو شر - فعَمِلوا به بعد موته، فإنه يُكتَب في ميزانه، ثم يُجازَى به).

- من الآية 6 إلى الآية 12: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟! يعني ما الذي خدعك وجرّأك على عِصيان ربك الكريم، صاحب الخير الكثير، الجدير بالشكر والطاعة؟!، ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ ولم تكن شيئاً يُذكَر ﴿فَسَوَّاكَ﴾ أي أحكَمَ خَلْقك ﴿فَعَدَلَكَ﴾: أي جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء (كل شيءٍ يؤدي وظائفه)، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ يعني: في أيِّ صورةٍ شاءها خلقك، ﴿كَلَّا﴾ أي لم يَغُرَّك كرم الله تعالى، ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ يعني: وإنما الذي جَرَّأك على المعاصي هو تكذيبك بيوم الدين (الذي هو يوم الجزاء)، كما قال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي يُعطيهم جزاءهم الحق، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ أي وما علمتم أنّ عليكم ملائكة يُراقبون أفعالكم ويَحفظونها ويَكتبونها في صحائفكم، ﴿كِرَامًا﴾ أي مُكرَّمينَ عند الله تعالى، ﴿كَاتِبِينَ﴾ لِمَا كُلِّفوا به، فلا يفوتهم شيءٌ من أعمالكم وأسراركم، ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ في السر والعَلَن، وسوف تُفاجأون يوم الجزاء بصحائف أعمالكم، وقد حَوَت جميع أعمالكم، فلم تترك صغيرةً ولا كبيرة.

- من الآية 13 إلى الآية 19: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ (وهم الأتقياء، المؤدّون لحقوق الله تعالى وحقوق عباده) ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ يوم القيامة، ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ (الذين أهملوا حقوق الله تعالى وحقوق عباده، وخرجوا عن طاعته) ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ أي في نارٍ شديدة الاشتعال ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾: أي يُعانون مِن لهيبها وحَرّها يوم الجزاء، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ يعني: وما هم عن عذاب جهنم بغائبين (لا بخروجٍ ولا بموت) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾؟ يعني: وما أدراكَ أيها الرسول ما عظمة يوم الحساب والجزاء؟، ثم يؤكد سبحانه ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾؟ يعني ثم ما أدراكَ ما في هذا اليوم من الشدة والصعوبة؟ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ يعني: يومئذٍ لا يَقدر أحدٌ على نفع أحد، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ يعني: والأمر في ذلك اليوم لله وحده، لا ينازعه فيه أحد (فلا يَشفع أحدٌ لأحد إلا إذا أَذِنَ الله للشافع، ورَضِيَ عن المشفوعِ له)، كما قال تعالى في سورة النجم: ﴿إلا مِن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويَرضى﴾.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة المطففين

- من الآية 1 إلى الآية 6: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ أي: عذابٌ شديد للذين يُنقِصون المكيال والميزان، (إذ التطفيف هو التقليل في الميزان)، وهم ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾: يعني إذا اشتروا من الناس شيئاً مَوزونًا أو بمكيال، إذا هم يُوفونَ لأنفسهم (أي يأخذون فوق حقهم)، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ يعني: وأما إذا كالوا لهم بمكيال أو وزنوا لهم بميزان، إذا هم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي يُنقِصون حقوق الناس، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾؟! يعني ألاَ يعتقد أولئك المطففون أن الله سيَبعثهم ويُحاسبهم على أعمالهم؟ بلى إنهم سيُبعَثونَ مِن قبورهم ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي في يومٍ عظيم الهول (وهو يوم القيامة) ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني: يوم يقوم الناس بين يدي رب العالمين، ليحاسبهم على القليل والكثير.

♦ واعلم أنّ اللام التي في قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، تُسَمَّى لام التوقيت (أي لبداية يوم عظيم).

- من الآية 7 إلى الآية 17: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾: يعني ألاَ إنّ مَصير الفُجّار - الذي كُتِبَ لهم أن يصيروا إليه يوم القيامة - ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ أي في ضِيقٍ شديد، جزاءً لهم على أعمالهم (ومنها: الظلم ونقص الكيل والميزان)، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾؟ يعني وما أدراك أيها الرسول ما هذا الضِيق؟، إنه سِجنٌ مقيم وعذابٌ أليم، وكتابُ أصحابه: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ أي: مكتوبٌ بوضوح، يَفهمه صاحبه إذا قرأه يوم القيامة.

♦ وقد قال بعض المفسرين إنّ "سِجّين" هو اسم كتاب ديوان الشر الذي كُتِبَت فيه أعمال الفجار والشياطين، واللهُ أعلم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: عذابٌ شديد يوم القيامة للمكذبين ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي الذين يُكَذّبون بوقوع يوم الجزاء ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ أي ظالم، متجاوز للحد، ﴿أَثِيمٍ﴾ أي صاحب الآثام - وهي الذنوب - الكثيرة (وأكبر الآثام: الشِرك بالله)، فهو يُفَضِّل الانقياد وراء شهواته على الإيمان بهذا اليوم والاستعداد له، و ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني إذا قُرِئَتْ آيات القرآن على هذا الظالم، قال: (هذه قصص السابقين وأباطيلهم)، (وهذا مِن جَهله وعِناده، وإلاَّ، فكيف يكون هذا الكتاب المشتمل على الحق والعدل التام، أساطيرَ الأولين؟!) ﴿كَلَّا﴾: أي ليس الأمر كما زعموا، بل هو كلام الله تعالى، ووَحيه إلى نَبيّه، ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني: وإنما الذي حَجَبَ قلوبهم عن قبول الحق: ذنوبهم التي غطت قلوبهم وتراكمت عليها، (وفي هذا تحذير مِن مُواصلة الذنوب وعدم التوبة منها، لأن ذلك قد يؤدي بالعبد إلى أن يُحرَم من التوبة والعِياذُ بالله)، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة: نُكِتَت في قلبه نُكتة سوداء - (والنكتة هي الأثر) -، فإذا هو نَزَعَ - (أي أقلع عن الذنوب ونَزَعَ نفسه عن ارتكاب المعاصي) - واستغفر وتاب: سُقِلَ قلبه - (أي تمت تنقيته من ذلك الأثر بسبب توبته وندمه) -، وإنْ عادَ - (أي إلى الذنب مرة أخرى) - : زِيدَ فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذَكَر الله: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ") (انظر صحيح سنن الترمذي ج: 5/ 434).

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ يعني ألاَ إنهم يوم القيامة لَمَحجوبونَ عن رؤية ربهم، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ يعني: ثم إنهم لَداخِلو النار ليُعانوا حرها الشديد، ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم - تأنيباً وتحسيراً - وهم يُعَذَّبون: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

♦ واعلم أنّ حَجب الكفار عن رؤية الله تعالى في الآخرة دليلٌ على رؤية المؤمنين له في الجنة، لأنه يُفهَم من الآية أنّ غيرهم من أهل الإيمان غير محجوبين، وقد قال تعالى في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقال النبي صلى

www.alukah.net

الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: (إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، يقول الله تعالى: (تريدون شيئاً أَزِيدُكُم)؟، فيقولون: (ألم تُبَيِّضْ وجوهنا؟ ألم تُدخِلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار؟)، فيُكشَفُ الحجاب، فما أُعْطوا شيئاً أحَبّ إليهم من النظر إلى ربهم)، وقال صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحَين (البخاري ومسلم) -: (إنكم سَتَرَوْنَ ربكم كما ترون القمر، لا تُضامُون في رؤيته - (أي لا يَصعُب عليكم رؤيته) - فإن استطعتم ألاَّ تُغلَبوا على صلاةٍ قبلَ طلوع الشمس - (وهي الفجر) - وصلاةٍ قبلَ غروب الشمس - (وهي العصر) - فافعلوا)، وفي هذا الحديث تحذيرٌ لكل مَن يُضَيِّع صلاة الفجر والعصر - فيُصَلّي الفجر بعد شروق الشمس، أو يُصَلّي العصر بعد أذان المغرب - مِن أن يُحرَم مِن لذة النظر إلى وجه الله الكريم.

- من الآية 18 إلى الآية 28: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾: يعني ألاَ إن مَصير المتقين - الذي كُتِبَ لهم أن يصيروا إليه - ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ أي في الدرجات العالية في الجنة، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾؟ يعني وما أدراك أيها الرسول ما هذه الدرجات العالية؟ إنّ أصحابها في نعيمٍ مقيم لا يستطيعون تَخَيّله، وإنّ كتابهم ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ أي: مكتوبٌ بوضوح، يَفهمه صاحبه إذا قرأه يوم القيامة ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي يَطَّلِع عليه المُقَرَّبون من ملائكة كل سماء.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: يعني إن أهل الصدق والطاعة لَفي الجنة يتنعمون، وإنهم يَجلسونَ مُتكئينَ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ (والأرائك جمع أريكة، وهي السرير المُزَيّن بالستائر الجميلة) ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بإعجابٍ وانبهار إلى ما أعطاهم الله من أصناف النعيم (وأعظم ذلك النعيم: التلذذ بالنظر إلى وجه الله الكريم)، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ يعني: ترى في وجوههم بهجة النعيم، ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ أي يُسقَون مِن خَمرٍ صافية، ﴿مَخْتُومٍ﴾ يعني: إناؤها مُحكم الغلَق، لم يَمَسّه أحدٌ قبلهم، ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ يعني في آخر ذلك الشراب تفوح رائحة مِسك، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ يعني: (وفي تحصيل ذلك النعيم: فليتسابق المتسابقون بكثرة الطاعات وإتقانها، والبُعد عن المعاصي وأسبابها)، ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ يعني: وهذا الشراب مَمزوج ومَخلوط من عين عالية في الجنة تُعْرَف بـ "تسنيم"، ليزداد شرابهم بها لذة، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ يعني: وهي عينٌ قد أُعِدَّت لِيَشرب منها المُقَرَّبون، ويتلذذوا بها.

- من الآية 29 إلى الآية 36: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾: يعني إنّ المجرمين كانوا في الدنيا يستهزئون بالمؤمنين ويضحكون منهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ (سُخريةً بهم)، ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ يعني: وإذا رجع المجرمون إلى أهلهم تَفَكَّهوا معهم بالسخرية من المؤمنين، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ يعني: وإذا رأى هؤلاء الكفار أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم مُتَّبعينَ للهدى: ﴿قَالُوا﴾ - فيما بينهم -: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾: يعني إن هؤلاء لفي ضلالٍ بسبب اتّباعهم محمدًا، ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ يعني: وما بَعَثَ اللهُ هؤلاء المجرمين مُراقبينَ على أعمال المؤمنين حتى يَحكموا عليها بالضلال!، ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ يعني: فيوم القيامة يَسخر المؤمنون من الكفار، كما سَخِرَ الكفار منهم في الدنيا، وهم ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ يعني: على المجالس الفاخرة ينظرون إلى أعدائهم في النار، ثم قال تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟ يعني هل جُوزِيَ الكفار جزاءً موافقاً لِمَا كانوا يفعلونه في الدنيا من الشرور والمعاصي؟ (والجواب: نعم).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الإنشقاق

- من الآية 1 إلى الآية 6: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ أي تشققت وتمزقت لنزول الملائكة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي سمعتْ وأطاعت أمْرَ ربها فيما أمَرَها به من الانشقاق، ﴿وَحُقَّتْ﴾ يعني: وحُقّ لها أن تنقاد لأمره، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي اتَّسعت رُقعتها، بعد أن زالت جبالها وتهدمت مَبانيها، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ يعني: وقذفتْ ما في بطنها من الأموات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنهم، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾: أي سمعتْ وأطاعت أمْرَ ربها فيما أمَرَها به، ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي حُقَّ لها أن تنقاد لأمره، فإذا حدث كل ذلك: فقد ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (كما تقدم نظير هذا في سورة الانفطار)، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾: يعني إنك ساعٍ إلى الله تعالى، وعاملٌ أعمالاً مِن خير أو شر ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ أي فستَظل على ذلك حتى تُلاقي ربك يوم القيامة، ليُجازيك على عملك بفضله أو بعدله، (فاللهم ليس لنا إلا عفوك وغُفرانك، ولا نَثِق إلا في رحمتك، فنسألك باسمك الأعظم أن تَمُنّ علينا - قبل موتنا - بتوبةٍ نصوح صادقة تُرضيك عنا، تمحو بها خطايانا، وتُبَدِّل بها سيئاتنا حسنات).

- الآية 7، والآية 8، والآية 9: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ يعني فأما مَن أُعطِيَ صحيفة أعماله بيمينه (وهو المؤمن): ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي حسابًا سهلاً لا مُناقشة فيه ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ يعني: ويَرجع إلى أهله المؤمنين، وأهله من الحور العين، وهو فَرِحٌ مسرورٌ في الجنة.

- من الآية 10 إلى الآية 15: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ أي يأخذ كتابه بشماله مِن وراء ظهره، إهانةً له، (ولَعَلّ هذا هو الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾)، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾: أي سوف يدعو على نفسه بالهلاك ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ أي سيدخل ناراً شديدة الالتهاب، يُعاني حَرّها، ف﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي كان في أهله - في الدنيا - مسرورًا (بغرور وتكبُّر)، غير خائف من عذاب ربه، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي ظَنَّ أنه لن يَرجع إلى خالقه حياً للحساب، ﴿بَلَى﴾ سيُعيده اللهُ كما بدأه ويُجازيه على أعماله، ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ أي بصيراً بحاله وأعماله.

♦ ولذلك ينبغي للعبد أن يتعلم كيف يُراقب اللهَ تعالى، وذلك بأن يَضع أمام عينيه دائماً قول ربه تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾؟، وقوله تعالى: ﴿بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾، فلا يفعل شيئاً إلا ويتذكر أن الله تعالى يراه، ويتذكر أنه لو وضع له صاحب العمل ما يُعرَف بـ (كاميرات المُراقَبة)، وأخبره أنه يراه، فإنه لن يجرؤ أن يفعل شيئاً يُغضِبه! (فما لكم لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا؟!).

- من الآية 16 إلى الآية 19: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾: يعني فأُقسِم باحمرار الأُفُق عند الغروب، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ يعني: وأُقسِم بالليل وما جَمَعَ من الحشرات وغيرها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ يعني: وبالقمر إذا اكتمل نوره، ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أي سوف تمُرّون أيها الناس بمراحل متعددة - مرحلة بعد أخرى - (مِن نُطفة إلى عَلَقة إلى مُضغة إلى نفخ الروح إلى الموت إلى البعث).

♦ واعلم أنّ كلمة (لا) التي في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ تُسَمَّى (لا الزائدة) لتأكيد القسم، واعلم أيضاً أنّ الله تعالى يُقسِم بما يشاء مِن خَلْقه، أما المخلوق فلا يجوز له القَسَم إلا بالله تعالى، لأنّ الحَلِف بغير الله شِرك.

- من الآية 20 إلى الآية 25: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟! يعني فأيُّ شيءٍ يَمنع هؤلاء المُكذّبين من الإيمان بالله واليوم الآخر بعدما اتّضحت لهم الآيات؟! ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾؟! يعني: وما لهم إذا قرئ عليهم آيات القرآن الواضحة وأدِلّته الساطعة لا يسجدون لله وحده، ولا يخضعون لأمره؟! ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ يعني إنما عادة الذين كفروا:

www.alukah.net

التكذيب ومُخالفة الحق ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يعني: واللهُ أعلم بما يكتمون في صدورهم من العناد (مع عِلمهم أنّ ما جاء به القرآنُ حق)، ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أيها الرسول ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قد أعدَّه اللهُ لهم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لكنّ الذين آمَنوا بالله ورسوله، وبكل ما أخبر به رسوله من الغيب، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهي الفرائض والنوافل وأفعال الخير (فأدَّوْها بإخلاصٍ لله تعالى وعلى النحو الذي شَرَعه)، أولئك ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي لهم في الآخرة أجْرٌ غير مقطوع ولا منقوص.

****

تفسير سورة البروج

- من الآية 1 إلى الآية 9: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالسماء ذات المَنازل التي تسير فيها الكواكب والنجوم)، ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بيوم القيامة الذي وَعَدَ اللهُ الخلقَ أن يجمعهم فيه)، ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يَشهد يوم القيامة، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ (يُشهَد عليه)، ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أي: لُعِنَ الذين شَقُّوا في الأرض شقًا عظيمًا لتعذيب المؤمنين، ثم فَسَّرَ سبحانه ما في هذا الأخدود بقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ يعني: وأوقدوا النارَ الشديدة ذات الحَطَب الكثير (لِيَزيدها اشتعالاً)، ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أي مُلازِمونَ للأخدود، قريبون من النار، لِيُضِيفوا لها الوقود إذا أُطفِئَت، ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي حضورٌ، قائمونَ على تعذيب المؤمنين، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ يعني: وما أخذوهم بهذا العقاب الشديد إلا لأنهم آمنوا بالله ﴿الْعَزِيزِ﴾ أي الغالب، ﴿الْحَمِيدِ﴾ أي الذي يَستحِق الحمد والثناء في كل حال، لِكثرة نِعَمِه على مخلوقاته ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهنّ (لا شريك له في الخلق والتدبير والعبادة والتشريع) ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (إذ شَهِدَ سبحانه على أعمال عباده في الدنيا، وسيُجازيهم بها في الآخرة).

- الآية 10، والآية 11: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي فَتَنوهم عن دينهم فأحرَقوهم بالنار؛ لِيَصرفوهم عن دين الله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ مما فعلوا: ﴿فَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بأنواعه المختلفة، وخصوصاً: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ أي لهم عذابٌ مُحرِق مُضاعَف في جهنم (جزاءً لهم على إحراقهم للمؤمنين بالنار)، (واعلم أن الآية عامة في كل مَن فَتَنَ المؤمنين عن دينهم)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وتركوا الشرك والمعاصي ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ أي حدائق جميلة المَنظر (فيها من كل أصناف النعيم الذي يتخيلونه، والذي لا يَخطُر أيضاً على قلوبهم)، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري الأنهار من تحت أشجارها المتدلية وقصورها العالية، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ الذي لا فوز مِثله.

- من الآية 12 إلى الآية 16: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: يعني إن انتقام ربك من أعدائه لَعظيمٌ شديد، ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي يُبدئ الخلق في الدنيا، ثم يعيده كما بدأه، لِيُحاسب خَلْقه ويُجازيهم (وكذلك يبدئ البطش بأعدائه فى الدنيا، ثم يعيده عليهم فى الآخرة بصورةٍ أشد وأبقى)، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب إليه، ﴿الْوَدُودُ﴾ أي كثير المَوَدّة والمَحَبّة لأوليائه (فهو سبحانه يُحب عباده المؤمنين وهُم يُحبونه)، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي صاحب العرش ﴿الْمَجِيدُ﴾ الذي بلغ المُنتهَى في الفضل والكرم (فالمَجيد هنا صفةٌ لله تعالى وليست للعرش، إذ الكلام فيه تقديم وتأخير، فكأنه قيل: (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ ذو العرش))، ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ أي لا يَمتنع عليه شيءٌ يريده.

- من الآية 17 إلى الآية 22: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾؟ يعني هل جاءك أيها الرسول خبر الجموع الكافرة المُكَذِّبة لأنبيائها؟ ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ وما حَلَّ بهم من العذاب، ﴿بَلِ﴾ لم يَعتبر قومك بذلك، ولكنّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أي في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تكذيب متواصل كعادة مَن قبلهم، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ أي قد أحاط بهم عِلماً وقدرة، (فهُم في قبضته وتحت سلطانه وقهره)، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ يعني: وليس القرآن كما زعموا بأنه شِعرٌ وسِحرٌ ليصرفوا الناس عنه، ولكنه قرآنٌ عظيمُ الخير والنفع، وإنه مكتوبٌ ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ لا يصيبه تبديل ولا تحريف.

****

تفسير سورة الطارق

- من الآية 1 إلى الآية 4: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالسماء، وبالنجم الذي يَطرقها ليلاً) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾؟ يعني وما أدراك - أيها الرسول - ما عظمة هذا النجم؟، إنه ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ أي هو النجم المُضِيئ المتوهِّج (الذي يَثقب الظلام بنوره)، ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ يعني: ما كُلُّ نفسٍ إلا وقد كُلِّفَ بها مَلَكٌ رقيبٌ عليها، يَحفظ أعمالها؛ لتُحاسَب عليها يوم القيامة.

- من الآية 5 إلى الآية 10: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ المُنكِر للبعث: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾؟ يعني مِن أيّ شيءٍ خَلَقَه اللهُ تعالى؟ (حتى يَعلم أن إعادة خَلْقه بعد الموت أهْوَن مِن ابتداء خَلْقه أوّل مرة)، لقد ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ أي خُلِقَ مِن مَنِيٍّ مُنصَبّ بسرعة في الرَحِم، وهذا الماء ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ أي يَخرج مِن بين صُلب الرجل (وهو العَظم الذي في ظهره)، ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ وهو العظم الذي في صدر المرأة (فهذا العَظم هو الذي يَخرج منه ماء المرأة)، ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾: يعني إنّ الذي خَلَقَ الإنسان من هذا الماء الضعيف، لَقادرٌ سبحانه على رَجْعه إلى الحياة يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي يوم تُختبَر أسرار الصدر فيما أخفته من العقائد والنِيّات، ويُمَيَّز الصالح منها من الفاسد، فحينئذٍ تُكشَف وتَظهر أمام الخلق (إلا مَن ستره اللهُ تعالى بستره الجميل، اللهم استرنا ولا تفضحنا)، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ﴾ يعني فما للإنسان حينئذٍ مِن قوةٍ يَدفع بها العذاب عن نفسه، ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يُخَلِّصه من عذاب الله.

♦ وهذا يُذَكِّرني بقول أحد التائبين: (اللهم لا براءةَ لي مِن ذنبٍ فأعتذر، ولا قوةَ فأنتصِر، ولكني مُذنِبٌ مُستغفِر، فاللهم أدخِل عظيمَ جُرمي في عظيمِ عفوك).

- من الآية 11 إلى الآية 17: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالسماء ذات المطر المتكرر)، ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يعني: ويُقسِم بالأرض ذات التشقق (أي التي تتشقق عندما يخرج منها النبات): ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يعني إن القرآن لَقولٌ فاصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ أي ليس باللعب واللهو (بل هو الجد كل الجد)، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يعني إن المُكَذِّبينَ للرسول والقرآن، يَكيدون ويُدَبِّرونَ كَيداً يَصرفونَ به الناس عن القرآن، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ يعني: ويَكيد اللهُ كَيدًا عظيماً - مُقابِلاً لكيدهم - ليُظهِر الحق، ولو كره الكافرون، ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تستعجل عذابهم أيها الرسول، بل ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾: يعني أمهِلهم قليلاً، وسترى ما يُصيبهم من العذاب والهلاك (سواء في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما معاً)، فقد نزل بهم العذاب يوم بدر، وأصابهم القحط والجوع سبع سنوات، ولَعذابُ الآخرة أشد وأبقى.

****

www.alukah.net

تفسير سورة الأعلى

- من الآية 1 إلى الآية 13: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ أي: نَزِّه وقَدِّس اسم ربك الأعلى، نافياً عنه الشَريك والولد وكل ما لا يليق بجلاله وعظمته، قائلاً بلسانك وبقلبك: (سبحان ربي الأعلى)، فهو سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ جميع المخلوقات ﴿فَسَوَّى﴾ يعني فأتقن خَلْقها وحَسَّنه، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ جميع المقادير، وقَدَّرَ لكل مخلوق ما يناسبه ﴿فَهَدَى﴾: يعني فأرشَدَ كل مخلوق إلى الانتفاع بما خلقه اللهُ له، ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أي أنبتَ العُشب الأخضر (مِن مختلف النباتات التي يَرعاها الإنسان ويَنتفع بها)، ﴿فَجَعَلَهُ﴾ أي جَعَلَ ذلك المَرعى - بعد الانتفاع بثمره وحَبِّه - ﴿غُثَاءً﴾ أي جافًا مُتكسِّراً ﴿أَحْوَى﴾ أي مائلاً إلى السواد، (ولَعَلّ المقصود من هذه الآيات الكريمة: إرشاد العباد إلى كمال قدرة ربهم وتنوّع نعمه، حتى يزداد المؤمنون إيماناً على إيمانهم، وحتى يعود الكافرون إلى رُشدهم بعد هذا البيان الواضح الحكيم).

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ يعني: سنُقرئك أيها الرسول هذا القرآن قراءةً لا تنساها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أنْ يُنسِيَه لك، مِن أجل مَصلحةٍ يَعلمها لعباده (قد اقتضت بها حِكمته)، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾: أي يَعلم العَلانية من القول والعمل، ويَعلم ما يَخفى منهما.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ أي سنُوَفّقك أيها الرسول توفيقاً دائماً للطريقة الأسهل في جميع أمورك (ومِن ذلك: تسهيل تَلَقّي أعباء الرسالة، وجَعْل دينك يُسرًا لا عُسرَ فيه)، ﴿فَذَكِّرْ﴾ يعني: فعِظ قومك - أيها الرسول - بهذا الوحي الذي يَسَّرناه لك، والذي فيه خيرهم وصلاحهم، ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ يعني: وخُصَّ بالتذكير مَن يُرجَى منه التذكُّر، ولا تُتعِب نفسك في تذكير مَن لا يُورثه التذكر إلا استكباراً وعناداً، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾: أي سوف يتعظ الذي يخاف ربه، ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ يعني: وسيَبتعد عن الذِكرى: الأشقى الذي لا يَخشى ربه، وهو ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أي الذي سيَدخل نار جهنم العظمى (ليُعاني من شدة حرِّها ولهيبها) ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَا﴾ حياةً تنفعه، (وفي هذا تحذير لكل مَن يَرفض النصيحة).

- من الآية 14 إلى الآية 19: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: قد فازَ بالجنة مَن طَهَّرَ نفسه من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة (فتَعَلَّمَ العلم الشرعي وتَحَلَّى بالصبر) ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ يعني: وذَكَرَ ربه تعالى فوَحَّده ودَعَاه بأسمائه، وأقام الصلاة في أوقاتها - باطمئنانٍ وخشوع - طلباً لرضوانه، وامتثالاً لشرعه، وخضوعاً لعظمته، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يعني: ولكنكم أيها الناس تُفَضِّلون زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، فلا تُقَدِّمون للآخرة إلا أعمالاً قليلة ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ يعني: وإنّ نعيم الآخرة الدائم المتتابع، خيرٌ من لَذّات الدنيا العاجلة وأبقى منها، ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ يعني: إنّ ما أُخبِرتم به في هذه السورة هو مِمّا ثَبَتَ معناه في الصُّحُف التي أُنزِلت قبل القرآن، وهي ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ عليهما السلام.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الغاشية

- من الآية 1 إلى الآية 7: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾؟ يعني هل جاءك أيها الرسول خبر القيامة التي تَغشى الناس - أي تغطيهم - بأهوالها وشدائدها؟، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ يعني: وجوهُ الكفار يومئذٍ ذليلة مُنكسرة، ﴿عَامِلَةٌ﴾ أي مُجهَدة بالعمل الشاق المُهين، الذي ليس بعده راحة، ﴿نَاصِبَةٌ﴾ أي مُتعَبة (يَظهر عليها الإعياء) من ثِقَل السلاسل والقيود، ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾: أي تصيبها نارٌ شديدة الحَرق والالتهاب، ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾: أي تُسقَى مِن عَين ماء شديدة الحرارة، ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (والضَّريع هو نباتٌ له شوك)، ﴿لَا يُسْمِنُ﴾ أي لا يُسمِن جسد صاحبه مِن الهُزال والضعف، ﴿وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ يعني: ولا يَسدُّ جوع آكله.

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (*) طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾، وذلك لأن النار عبارة عن دَرَكات (أي طَبَقات سُفلَى)، ولكل دركةٍ منهم طعامها وشرابها.

- من الآية 8 إلى الآية 16: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ أي يَظهر عليها آثار النعيم والبهجة والحُسن (وهي وجوهُ المؤمنين)، ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ يعني: لِأجل سَعْيها في الدنيا بالطاعات: راضية بأصناف النعيم في روضات الجنات، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي مرتفعة المكان، رفيعة المكانة ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾: أي لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة تُنَغِّص سعادتهم أو تُقلِق راحتهم (واللغو هو الكلام الباطل)، ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يعني: في الجنة عينٌ تتدفق مياهها، ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ أي مرفوعة عن الأرض (والسُرُر جمع سرير)، ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ يعني: وأكوابٌ مُعَدّة للشاربين، ﴿وَنَمَارِقُ﴾ أي وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ (أي الواحدة بجانب الأخرى) للاستناد إليها، ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ يعني: وبُسُط - جَمْع بساط - كثيرة مفروشة.

- من الآية 17 إلى الآية 26: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي الجاحدونَ بتوحيد ربهم وقدرته على البعث، وبما أعَدَّه لأوليائه من النعيم المقيم وما أعَدَّه لأعدائه من عذاب الجحيم، أفلا يَنظرون نظرة اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ هذا الخلق العجيب، حتى تتحمل الجوع والعطش أياماً كثيرة لتحملكم في أسفاركم؟، وكيف سَخَّرها الله لكم رغم قوّتها، فأصبح يقودها الكبير والصغير؟، وكيف سَخَّرها لكم لتشربوا ألبانها وتركبوا ظهورها وتأكلوا لحومها؟، وكيف جعلها سبحانه تَبرك على رُكَبِها لتحمل أثقالكم عن قُربٍ ويُسر، ثم تنهض بما حملت؟، وكيف خلق سبحانه خُفّها بصورةٍ بديعة تجعلها تسير على الأرض الصخرية والأرض الزَلِقة ولا تغوص في الرمال؟، ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ﴾: ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ بغير أعمدة؟، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ﴾: ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي ثُبِّتَت لِيَحصل بها ثبات الأرض واستقرارها؟ ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ﴾: ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؟ يعني كيف بُسِطت ومُهِّدت ليستقر الناس عليها؟، ﴿فَذَكِّرْ﴾ أيها الرسول هؤلاء المُعرِضين بما أُرسِلْتَ به إليهم، وذَكِّرهم بنعم الله وأدلة توحيده، ولا تحزن على إعراضهم، فـ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (وليس عليك شيءٌ من المسؤولية بعد إبلاغهم)، وإنك ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾: أي ليس عليك إكراههم على الإيمان ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ يعني: لكنّ الذي أعرَضَ عن الموعظة وأصَرَّ على كُفره: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ﴾ - في الآخرة - ﴿الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ أي العذاب الشديد في النار، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾: يعني إنَّ إلينا مَرجعهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ وجَزاءهم على أعمالهم.

****

www.alukah.net

- من الآية 1 إلى الآية 5: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (يُقسم الله تعالى بوقت الفجر) ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالليالي العشر الأُوَل من شهر ذي الحجّة، وما شُرِّفَت به من فضائل وأعمالٍ في الحج)، ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ يعني: ويُقسِم سبحانه بكل زوجٍ وفرد (من الصلوات وغيرها)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ يعني: وبالليل إذا يَسْري (أي يسير ويذهب)، ثم يؤكد سبحانه هذه الأقسام العظيمة بقوله: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾؟ يعني أليس في هذه الأقسام المذكورة قَسَمٌ مُقنع لذي عقلٍ سليم؟، (فالحِجر هنا هو العقل، وقد سُمِّيَ بذلك لأنه يَحجُر صاحبه - أي يَمنعه - عن فِعل ما لا يليق).

♦ وأما الشيء الذي يُقسِم الله عليه، فهو محذوف بَلاغةً (لأنه يُفهَم من الآية التي بعده)، وتقديره: (سنُعَذّب المُشرِكين المُعانِدين كما فعلنا بمَن قَبلهم).

- من الآية 6 إلى الآية 14: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾؟ يعني ألم تعلم أيها الرسول كيف فعل ربُّك بقوم عاد؟، وهي قبيلة: ﴿إِرَمَ﴾ ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي ذات الأعمدة الضخمة (التي تحمل الأبنية القوية العالية) ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾: أي التي لم يُصنَع مِثلها في البلاد (في ضخامتها وقوتها)، وهذا يدل على قوة مَن بناها وعِظَم أجسادهم، ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾؟ يعني: وكيف فعل سبحانه بقوم ثمود الذين قطعوا الصخر بالوادي واتخذوا منه بيوتًا في الجبال؟ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾؟ يعني: وكيف فعل بفرعون صاحب الجنود الكثيرة الذين قوّوا مُلْكه؟، (وقد قيل إنه كان له أربعة أوتاد يَربط فيها مَن أراد تعذيبه)، فهؤلاء المذكورون هم ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾: أي الذين تجاوزوا حَدّهم - في الظلم والطغيان - في بلاد الله تعالى ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ بكُفرهم وعِصيانهم ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي: فأنزل عليهم ربُّك عذاباً شديداً، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أي يَرصد أعمال مَن أصَرّ على عِصيانه (إذ يُمهِله قليلاً، ثم يأخذه أخْذَ عزيزٍ مقتدر).

- من الآية 15 إلى الآية 20: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ يعني إذا اختبره ربه ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ أي وَسَّع له رزقه، وجعله في أطيَب عيش: ﴿فَيَقُولُ﴾ حينئذٍ: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ أي لقد أكرمني ربي (وهو يظن أن ذلك لكرامته عند ربه ورضاه عنه) ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يعني: وأما إذا ما اختبره ربه، فضيَّق عليه رزقه، ﴿فَيَقُولُ﴾ حينئذٍ: ﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾ أي لقد أهانني ربي وأذلّني بالفقر، فرَدَّ اللهُ على ذلك الظن الفاسد بقوله: ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان، فإن الله تعالى يُوَسِّع الرزق على مَن يشاءُ امتحانًا (هل يَشكر أو يَكفر؟)، ويُضيِّقه على مَن يشاء اختبارًا (هل يَصبر أو يَسخط؟)، (فليست التوسعة دليلاً على حب الله للعبد ورضاه عنه، وليس التضييق دليلاً على كُره الله للعبد وغضبه عليه)، ﴿بَل﴾ هناك ما هو أقبح من هذا الظن الفاسد، وهو أنكم ﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ولا تحسنون معاملته؛ لضعفه وفقره (بسبب نظرتكم المادية واغتراركم بالدنيا)، ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يعني: ولا يَحُثُّ بعضكم بعضًا على إطعام المسكين، وهو جائع أمامكم، ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾: أي تأكلون حقوق الآخرين في الميراث أكلاً شديدًا (وخاصةً النساء والأطفال)، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: وتحبون المال حبًا عظيماً يُشغِلكم عن طاعة ربكم.

- من الآية 21 إلى الآية 30: ﴿كَلَّا﴾: أي ما هكذا ينبغي أن يكون حالكم، ثم تَوَعَّدهم سبحانه بقوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ يعني: فإذا زُلزِلَت الأرض وكُسِرَت كَسرة شديدة، (واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ لا يتعارض مع قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾، لأنّ كلمة "دَكّاً" الأولى هي الدكة الواحدة التي ذُكِرَت هنا، وأما

كلمة "دَكّاً" الثانية، فقد كُرِّرَت لتأكيد هذه الدكة القوية، وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي صفاً عظيماً).

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ لفصل القضاء بين خلقه (مَجيئاً يليق بجلاله وكماله وعظمته)، ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي: ووقفت الملائكة صفاً عظيماً، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ (يقول النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم –: "يُؤتَى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف مَلَك يَجُرّونَها")، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: حينئذٍ يتعظ الإنسان العاصي ويتوب، ولكنْ: ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾؟! يعني: وكيف ينفعه الآن الاتعاظ والتوبة، وقد فات أوان ذلك؟!، ﴿يَقُولُ﴾ حينئذٍ – نادماً متحسراً –: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يعني: يا ليتني قدَّمتُ في الدنيا أعمالاً تنفعني في حياتي الحقيقية في الآخرة، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ يعني: فيومئذٍ لا يستطيع أحد أن يُعذِّبَ مثل تعذيب الله لمَن عَصاهُ ولم يَتُب قبل موته، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ يعني: ولا يستطيع أحد أن يُقَيِّد مثل تقييد الله تعالى للفجار بالسلاسل العظيمة.

♦ وأما المؤمنون الطائعون، المُطمئنونَ إلى صِدق وَعْد الله ووعيده، فاتقَوا عذابه بتَرك الشرك والمعاصي، وسارَعوا إلى التوبة الصادقة، فهؤلاء يُنادَون يوم القيامة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي المطمئنة إلى ذِكر الله وتوحيده، الآمنة اليوم من عذابه: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ أي في جواره، ﴿رَاضِيَةً﴾ بإكرام الله لكِ من أصناف النعيم في الجنة ﴿مَرْضِيَّةً﴾ أي قد رضي عنكِ ربك ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي فادخلي في جُملة عبادي الصالحين ﴿وَادْخُلِي﴾ معهم ﴿جَنَّتِي﴾.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة البلد

- من الآية 1 إلى الآية 10: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (يُقسِم الله تعالى بهذا البلد الحرام، وهو "مكة") (واعلم أنّ كلمة (لا) التي في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ تُسَمَّى (لا الزائدة) لتأكيد القسم)، إذ هذا مِثل قول القائل مُهدداً: (أنا لن أُقسِم، ولكنْ لو لم تفعل كذا: سوف يَحدث كذا)، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: وأنت أيها النبي مُقيم في هذا البلد الحرام، ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بوالد البشرية - وهو آدم عليه السلام - وما تناسَلَ منه مِن ولد)، ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي لقد خلقنا الإنسان في شدةٍ وعَناء في الدنيا (إذاً فلا يغتر بهذه الدنيا الزائلة، ولا يتعلق بها، لأنها دارُ تعبٍ وهموم، ولا تشغله عن طاعة ربه، لِعِلمه أنه لا راحة ولا سعادة دائمة إلا في الجنة، فلذلك ينبغي له أن يَسعى في عملٍ يُريحه من هذه الشدائد، ويُوجِب له الفرح والسرور الدائم).

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؟! يعني أيظنُّ هذا الإنسان المغرور بالدنيا الزائلة أنّ اللهَ لن يقدر عليه؟!، إذ ﴿يَقُولُ﴾ مُتباهيًا: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ يعني لقد أنفقتُ مالاً كثيرًا (يَقصد هنا في المعاصي، وفي صَدّ الناس عن الدخول في الإسلام، لأن هذه الآية نزلت في أحد المُشرِكين المحاربين لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم).

♦ ولَعَلّ الله تعالى قد سَمَّى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا في قوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا﴾، لأن هذا المُنفِق لا ينتفع بما أنفقه، ولا يعود عليه ذلك الإنفاق إلا بالندم والخسارة، والعذاب في الدنيا والآخرة، وليس كمَن أنفق ماله في وجوه الخير طلباً لرضا الله تعالى وجَنّته، فإنَّ هذا قد تاجَرَ مع ربه، وربح أضعاف ما أنفقه.

♦ ثم قال تعالى متوعدًا هذا الصِنف: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾؟! يعني أيظنُّ - بفِعله هذا - أن الله لا يراه، ولا يحاسبه؟!، ثم قال تعالى مُقرِّراً له بقدرته ونعمه عليه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ليُبصِر بهما؟! ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ لِيَنطق بهما؟ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾؟! أي وَضَّحنا له طريقَي الخير والشر والسعادة والشقاء (وذلك بما خلقناه في فطرته، وبما أرسلنا به رُسُلنا وأنزلنا به كُتُبنا)؟! هل نَسِيَ كل هذا، ثم أنفق ما أعطيناه في مَعصيتنا وصد الناس عن ديننا؟!

- من الآية 11 إلى الآية 20: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾؟ يعني أفلا تَجاوز مَشَقة الآخرة (بالإنفاق مِن ماله فيما يُرضِي ربه، ليأمَن عذابه، بدلاً من الإنفاق في معصيته؟!)، (إذ العقبة هي الطريق الصعب في الجبل، والمقصود باقتحام العقبة هنا: النجاة من النار)، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾؟ يعني وأيُّ شيءٍ أعلَمَك ما هي مَشَقة الآخرة، وما الذي يُعِين على تجاوزها؟، إنه ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: يعني إنه عِتق رقبة مؤمنة مِن الأسر والعبودية (لتأخذ حُرِّيتها) ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾: يعني أو إطعامُ الناس في يومٍ ذي مَجاعة شديدة، فيُطعِم الإنسانُ حينئذٍ أشد الناس حاجةً وفقراً، وهو ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي يتيمًا مِن أقربائه (لِيَجتمع فيه ثواب الصدقة وصلة الرحم)، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: يعني أو يُطعِم فقيرًا ليس عنده شيء، (ومعنى "ذا مَتربة": أي قد التصقت يداه بالتراب، كِناية عن شدة فقره)، ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ - قبل تلك الأعمال الصالحة - ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا في إيمانهم وأخلصوا أعمالهم لربهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي أوصى بعضهم بعضًا بالثبات والصبر على طاعة الله والصبر عن معاصيه، والصبر على اختباراته، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ يعني: وتواصوا بالرحمة بالخلق، ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين فعلوا هذه الأفعال هم ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي هم أصحاب اليمين، الذين يؤخَذ بهم يوم القيامة إلى الجنة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني: وأما الذين كفروا بآيات القرآن الواضحة: ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي هم أصحاب الشمال، الذين يؤخَذ بهم يوم القيامة إلى النار، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾: أي جزاؤهم أنّ نارَ جهنم تكون مُغلقةً عليهم، لا يخرجون منها (نسأل اللهَ العافية).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الشمس

- من الآية 1 إلى الآية 10: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالشمس وإشراقها في وقت الضحى)، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالقمر إذا تَلا الشمس في الطلوع (أي طلع بعد غروبها)، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ يعني: وبالنهار إذا جَلَّى الشمس (يعني أظهَرَها وكَشفَها للناظرين)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يعني: وبالليل عندما يَغشى الشمس (أي يُغَطّيها بظُلمته حتى يُغَطّي ضوءَها)، ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالسماء وبنائها المُحكَم)، (هذا باعتبار أنّ (ما) المذكورة في الآية هي: ما المصدرية)، أمّا إذا كانت (ما) بمعنى (الذي)، فحينئذٍ يُقسِم سبحانه بالسماء والذي بَناها، وهو اللهُ تعالى.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالأرض ومَدِّها وفرْشِها)، أو لَعَلّ المقصود أنه سبحانه يُقسِم بالأرض والذي فرَشَها ومَدَّها، وهو اللهُ تعالى، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بكل نفس، وبإكمال خَلْقها لأداء مُهِمَتها)، أو لَعَلّ المقصود أنه سبحانه يُقسِم بكل نفسٍ، والذي سَوَّاها وأحكَمَ خَلْقها، وهو اللهُ تعالى، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ يعني: فوَضَّحَ لها طريق الشر وطريق الخير.

♦ ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ أي: قد فازَ بالجنة مَن طَهَّرَ نفسه من الذنوب والعقائد الفاسدة والأخلاق السيئة (فتابَ توبةً صادقة، وتَعَلَّم العلم الشرعي، وتَحَلَّى بالصبر في جميع أموره، وفَعَلَ ما يُرضي ربه)، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي خسر مَن أخفى نفسه (يعني غَطّاها بالشرك والمعاصي والأخلاق الدنيئة والأهواء الفاسدة، ومَنَعَها عن فِعل الخير).

- من الآية 11 إلى الآية 15: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ أي كذَّبتْ قبيلة ثمود نَبيَّها "صالحاً" عليه السلام ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ أي بسبب طُغيانها في الشرك والعِصيان، وذلك ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أي حينَ انطلق أشقى رجل في القبيلة ليذبح الناقة، ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ - وهو صالح عليه السلام -: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي احذروا أن تمَسُّوا الناقة بسوء فتهلكوا؛ فإنها آيةٌ أرسَلَها اللهُ إليكم، تدل على صِدق نبيِّكم، ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ أي: واحذروا أن تعتدوا على سَقْيِها، فإنّ ماء بِئركم مَقسومٌ بينكم وبين الناقة: (يومٌ لكم ويومٌ لها)، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما توَعَّدهم به ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي ذبحوا الناقة، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: فأطبق عليهم ربُّهم العذابَ فأهلكهم ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾ أي بسبب إجرامهم، ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي فجعل العقوبة عليهم على السواء، فلم يُفْلِت منهم أحد ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ يعني: ولا يخاف سبحانه عاقبة ما أنزلَ عليهم من العقاب الشديد (إذ ليس سبحانه كما يخاف الإنسان عاقبة فِعله - إذا هو قتل أحداً أو عَذَّبه -، بل هو سبحانه رب كل شيء، وهو القاهر فوق عباده، وهو العزيز الحكيم).

****

www.alukah.net

شبكة الألوكة

تفسير سورة الليل

- من الآية 1 إلى الآية 11: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالليل عندما يُغَطّي بظلامه الأرضَ وما عليها)، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالنهار إذا كَشَفَ ظلام الليل بضيائه)، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (يعني ويُقسم سبحانه بخَلْق النوعين: الذَكَر والأنثى)، (هذا باعتبار أنّ (ما) المذكورة في الآية هي: ما المصدرية)، أمّا إذا كانت (ما) بمعنى (الذي)، فحينئذٍ يُقسِم سبحانه بالذي خَلَقَ النوعين: (الذَكَر والأنثى)، وهو اللهُ تعالى.

♦ ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ يعني إنّ عملكم أيها الناس لَمُختلف بين عاملٍ للدنيا وعاملٍ للآخرة، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ الفقراء مِن ماله (طلباً لرضا الله وجنّته) ﴿وَاتَّقَى﴾ عذاب ربه (بترك الشرك والمعاصي) ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي صدَّق بكلمة "لا إله إلا الله"، وبما ترتب عليها من الجزاء في الآخرة، وعَمِلَ بما تدعو إليه (وهو الانقياد لأوامر الله وحده): ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ أي: فسوف نُيَسّر له أسباب الخير والصلاح، ونُرشده ونوفقه إليها، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بماله (فلم يُؤَدِّ حق الله فيه) ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ عن ثواب ربه ودعائه ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ يعني: وكذَّب بكلمة "لا إله إلا الله"، وبما ترتب عليها من الجزاء في الآخرة، وتكبّر عن الانقياد لأوامر الله وحده: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ أي: فسوف نُيَسِّر له أسباب الشقاء، ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ يعني: ولن يَنفعه ماله الذي بَخِلَ به ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ يعني إذا سقط في النار.

- من الآية 12 إلى الآية 21: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ يعني: إنّ علينا أن نُوَضِّح طريق الهُدى المُوَصِّل إلى الجنة، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ يعني: وإنّ لنا مُلك ما في الدنيا والآخرة (نُعطي ونَمنع مَن نشاء، لا مالكَ غيرنا)، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾: يعني فحَذَّرتكم أيها الناس نارًا تتوهج بشدة (وهي نار جهنم)، التي ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾: أي لا يدخلها إلا مَن كان شديد الشقاء، وهو ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾: أي كذَّب النبيَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأعرض عن طاعة الله تعالى، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ يعني وسوف يُزحزَح عن النار: شديد التقوى، وهو ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾: أي الذي يُنفِق ماله ليكون سبباً في تطهير نفسه من الذنوب والأخلاق السيئة والأهواء الفاسدة، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أي ليس لأحدٍ من الناس عليه نعمة معينة، فهو لأجْلها يُكافئه بهذا المال (أو بعبارةٍ أخرى: ليس إنفاقه ذلك مكافأةً لمن صَنَعَ له معروفاً)، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ يعني لكنه يطلب بذلك الإنفاق: رضا اللهِ تعالى وَجَنّتِه والنظر إلى وجهه الكريم، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ يعني: ولَسوف يُعطيه ربه في الجنة ما يَرضى به ويفرح.

♦ واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال – في فضل الصدقة –: "صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العُمر، وفِعل المعروف يَقي – أي يحمي فاعله – مَصارع السُوء" (انظر حديث رقم: 3760 في صحيح الجامع).

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الضحى

- من الآية 1 إلى الآية 11: ﴿وَالضُّحَى﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بوقت الضحى)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالليل إذا غَطَّى الأرضَ بظلامه)، ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تركك ربك أيها النبي ولا تخلَّى عنك ﴿وَمَا قَلَى﴾ يعني: وما كَرِهك (بسبب إبطاء الوحي عنك)، وقد نزلتْ هذه الآيات عندما تأخر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ففرح المُشرِكون بذلك وعَيّروه، فحزن النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل اللهُ سورة الضحى مُواساةً له.

﴿وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ يعني: ولَلدَّار الآخرة خيرٌ لك أيها النبي من دار الدنيا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ مِن أنواع النعيم في الآخرة ﴿فَتَرْضَى﴾ بذلك العطاء وتفرح، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى﴾؟ يعني ألم يعلم أنك كنتَ يتيماً، فآواك إلى بيت عمك "أبي طالب" ورعاك؟، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾؟ يعني: وعَلِمَ أنك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلّمك ما لم تكن تعلم، ووَفّقك لأحسن الأعمال؟، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾؟ يعني: وعَلِمَ أنك فقير، فأغنى نفسك بالقناعة والصبر، وبما يَسَّرَ لك مِن مال خديجة وأبي بكر الصِدِّيق (رضي الله عنهما)؟ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ﴾ – الذي مات أبوه وهو صغير لم يَبلغ بعد – ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي فلا تُسِئْ معاملته ولا تُذِلّه ولا تأخذ ماله (شُكراً لله تعالى على رعايتك وأنت يتيم)، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ (وهو الذي يسأل الناس لشدة فقره، وكذلك الذي يسأل في أمور الدين حتى يتعلم) ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي لا تَنهره، بل أطعمه، واقضِ حاجته، أو قل له قولاً معروفاً (شُكراً لله تعالى أن أغناك بعد فقرك)، وكذلك أجِب سؤال طالب العلم (شُكراً لله تعالى أن هداك للعلم النافع، وعلّمك ما لم تكن تعلم)، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي تَحَدَّثْ أمام الناس بنعم ربهم عليهم لتُذَكِّرهم بها فيُوَحِّدوه ويطيعوه.

♦ ولَعَلّ الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم: (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإنّ كل ذي نعمةٍ محسود)، أنّ التحدث بالنعمة يكون بعد انتهاء الحاجة أو المَصلحة، ويكون أيضاً أمام مَن تَعْلم أنه ليس عنده مرض الحسد، بل يقول دائماً إذا رأى أو سمع ما يعجبه: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اللهم بارِك).

♦ واعلم أنه من الأشياء التي يُبتلى بها العبد: أن يَعتاد النعمة فلا يؤدي شُكرها، ولا يخافُ أن تُسلَب منه بسبب ذنوبه أو تقصيره في شُكر ربه، ورَحِم اللهُ مَن قال: (إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَها، فإنّ الذنوب تُزيل النعم)، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه – كما في صحيح مسلم –: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحَوُّل عافيتك وفُجاءَةِ نِقمتك وجميع سَخَطك).

****

تفسير سورة الشرح

- من الآية 1 إلى الآية 8: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؟ يعني ألم نُوَسِّع لك صدرك – أيها النبي – لِيَتحمل شرائع الدين، والدعوة إلى الله تعالى، والاتصاف بمكارم الأخلاق، كالصبر والحِلم ورَدّ السيئة بالحسنة؟ ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾؟ يعني وحَططنا عنك بذلك حِمْلك (إذ الوِزر هو الحِمل الثقيل، كما قال تعالى – حكايةً عن بني إسرائيل –: ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ أي أثقالاً ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي مِن ذهَبهم، (ولَعَلّ المقصود بذلك الحِمل أنه صلى الله عليه وسلم كان يَحمل هَمّ الدعوة وأعباء الرسالة، وما يَنتج عن ذلك من تكذيبٍ وإيذاء)، وهذا الحِمل هو ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي أثقل ظهرك ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ

www.alukah.net

﴿ذِكْرَكَ﴾؟ يعني أعلَينا ذِكرك (فأصبحتَ تُذكَر مع ربك في الأذان والإقامة والتشهد)، إذاً فلا يُضعِفك أذى أعدائك وتكذيبهم عن تبليغ رسالة ربك؛ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾: يعني فإنّ مع الضيق فرجًا، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ يعني إنّ مع الشدة والكَرب: تيسيرٌ وتخفيف، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ يعني: فإذا فرغتَ من أمور الدنيا وأشغالها فاجتهِد في العبادة، وإذا فرغتَ من عبادةٍ فاجتهد في أخرى، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ يعني: وإلى ربك وحده فارغب فيما عنده، مُخلِصاً له الدعاء.

****

تفسير سورة التين

– من الآية 1 إلى الآية 8: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالتين والزيتون، وهما من الثمار المشهورة)، وقد قيل إن المقصود هنا: أرض الشام التي تكثر فيها زراعة هذه الثمار (لأن الآيات الآتيةِ تدُل على أن هذا القَسَم بالأماكن المُقدَّسة)، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ (يعني: ويُقسم سبحانه بجبل "طور سيناء" الذي كَلَّمَ اللهُ عليه موسى)، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعني: وبهذا البلد الآمِن مِن كل خوف، وهي "مكة"، التي نزل فيها الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

♦ ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي خلقناه في أحسن صورة، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أي: ثم رددناه إلى النار (إنْ لم يُطِع اللهَ ويَتّبع الرُسُل) ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ – بإخلاصٍ لله تعالى وعلى النحو الذي شرَعه – ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي لهم أجرٌ عظيم غير مقطوع ولا منقوص، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾؟! يعني فأيُّ شيء يدفعك أيها الإنسان إلى أن تُكذّب بالبعث والجزاء، بعد وضوح الأدلة على قدرة الله تعالى على ذلك؟ (إذ الدِّين هنا هو الجزاء، كما قال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي يُعطيهم جزاءهم الحق)، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾؟! يعني أليس اللهُ الذي جعل هذا اليوم للفصل بين الناس هو أحكم الحاكمين وأعدلهم؟! بلى، فليس هناك أعدل من الله تعالى، وليس هناك أحسَنُ منه حُكماً، وإنّ حِكمته سبحانه تقتضي أنه لا يَترك خَلْقه بغير ثوابٍ وعقاب، ولا يُساوي المُتّقي بالفاجر، (واعلم أنّ لفظ "أَحْكَم" يشمل الحُكم ويشمل أيضاً الحكمة).

****

تفسير سورة العَلَق

– من الآية 1 إلى الآية 8: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ يعني: اقرأ أيها النبي ما أُنزِل إليك من القرآن، مُفتَتِحًا قراءته باسم ربك المتفرد بالخلق، الذي ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾: أي خَلَقَ كل إنسان مِن قطعة دم غليظ أحمر متعلق بالرحم، ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ يعني: اقرأ أيها النبي ما أُنزِل إليك، وإنّ ربك هو كثير الإحسان، واسع الكرم، وقد أكرمك بإنزال الوحي عليك، وعلَّمك ما لم تكن تعلم، وهو ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي علَّم خَلْقه الكتابة بالقلم، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (فنَقَله من ظُلمة الجهل إلى نور العلم)، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ يعني: ألاَ إن الإنسان لَيَتجاوز حدود الله تعالى إذا رأى نفسه قد استغنى بماله أو ولده أو سُلطانه، ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ يعني: فاعلموا أن المَصير إلى الله تعالى بعد الموت، لِيُجازي كلَّ إنسان بعمله.

– من الآية 9 إلى الآية 19: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾؟! يعني هل رأيتَ أعجَب مِن طغيان هذا الرجل (وهو هنا أبو جهل) الذي يَنهى عبدًا لنا إذا صلَّى لربه (وهو محمد صلى الله عليه وسلم)؟! ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾؟! يعني أرأيتَ إنْ كانَ محمدٌ على الهدى فكيف يَنهاه أبو جهل؟! ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾؟! يعني أو إنْ كانَ محمدٌ آمِرًا غيره بالتقوى، أيَنهاه أبو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جهل عن ذلك؟! ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾؟ يعني أرأيتَ إنْ كذَّب أبو جهل بما يُدعَى إليه، وأعرَضَ عنه؟ ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾؟! يعني ألم يعلم أنّ اللهَ سبحانه يرى كل ما يفعله الإنسان؟!، فكيف إذاً لم يَستَحِ من ربه ويَخَفْ عذابه؟!، ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كما يزعم أبو جهل مِن أنه قادرٌ على إيذائك أيها الرسول، ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عن إيذائه لك: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي لنأخذنَّ بناصيته (وهي مُقدَّم رأسه) أخذًا عنيفًا، ونطرحه في النار، ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ يعني: ناصيته ناصية كاذبة في مَقالها، خاطئة في أفعالها، (إذ طالما كَذَّبتْ بالحق، وتعمدتْ ارتكاب المُنكر)، ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: فليُحْضِر حينئذٍ أهل ناديه – أي مَجلس قومه – الذين يَستنصر بهم، فإننا ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: أي سندعو ملائكة العذاب، ﴿كَلَّا﴾ يعني إنه لن يُصيبك – أيها الرسول – بسوء، فـ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ فيما دعاك إليه مِن تَرْك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾ لربك ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ مِن رضاه (بالتحبب إليه بطاعته، وخاصةً الصلاة).

****

تفسير سورة القَدْر

– من الآية 1 إلى الآية 5: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي ابتدأنا إنزال القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي في ليلة الشَرَف والفضل (وهي إحدى ليالي شهر رمضان)، (ويُحتمَل أن يكون القرآن قد نزل كاملاً في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزّة في السماء الدنيا، ثم نزل إلى الأرض خِلال ثلاث وعشرين سَنة، بحسب الحوادث والأحوال)، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾؟ يعني وما أعلمك – أيها النبي – ما ليلة القَدْر والشَرَف؟، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: يعني إنها ليلةٌ كثيرة الخيرات، إذ ثواب العمل الصالح فيها خيرٌ من ثوابه في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ أي: يَكثر نزول الملائكة فيها ومعهم الروح الأمين جبريل عليه السلام ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ وأمْره لهم بالنزول، ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي يَنزلون مَصحوبين بكل أمْرٍ قضاه سبحانه في تلك السَنَة (مِن رزقٍ وأجل وغير ذلك)، ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ يعني: هذه الليلة أمْنٌ كلها، لا شرَّ فيها يصيب المؤمنين إلى أن يَطلع الفجر (إذ هي كلها خيرٌ وسلامٌ من الملائكة على المؤمنينَ العابدين).

****

تفسير سورة البَيّنة

– من الآية 1 إلى الآية 4: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: لم يكن أهل الكتاب (وهم هنا اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بنُبُوّة محمد صلى الله عليه وسلم) ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ يعني: وكذلك لم يكن عَبَدة الأصنام ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ أي لم يكن هؤلاء جميعاً تاركي ما هم عليه ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي حتى تأتيهم العلامة الموجودة في الكتب السابقة، (إذ كانَ كل فريق من هؤلاء المذكورين متمسكاً بما هو عليه، وعازماً على عدم تَرْكه إلا إذا جاءت هذه العلامة، حتى المُشرِكين، فإنهم كانوا يعلمون هذه العلامة، مِن كثرة ما تحدّثَ بها أهل الكتاب في هذه الفترة)، وهذه العلامة هي: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ (وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يتلو قرآنًا في صحف مُطهَّرة من الباطل، ومُطهَّرة من الزيادة والنقص)، (واعلم أن هذه الصُّحُف تشمل الأوراق والجلود التي يُكتَب فيها القرآن، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابته في هذه الصُّحُف).

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي: مكتوبٌ في تلك الصُّحُف أخبار صادقة وأوامر عادلة، تهدي إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ يعني: وما اختلف الذين أعطاهم اللهُ الكتابَ من اليهود والنصارى في

www.alukah.net

كَون محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً حقًّا إلا مِن بعد ما تأكدوا أنه النبي الذي وُعِدوا به في التوراة والإنجيل (وذلك لأنهم كانوا يَرجون أن يكون النبي الخاتَم مِن بني إسرائيل وليس مِن العرب)، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يعني: وما أُمِروا في مُختلف الشرائع إلا ليعبدوا اللهَ وحده، قاصدينَ بعبادتهم ثوابه ورضاه، ﴿حُنَفَاءَ﴾ أي مائلينَ عن الشرك إلى دين الإسلام (وهو الخضوع والانقياد لأوامر الله تعالى) ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ كما شُرِعَت لهم ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي يُعطوها لمُستحِقيها ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ يعني: وذلك هو دين الاستقامة، وهو الإسلام، (إذاً فلماذا لم يؤمنوا بالإسلام الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أُمِروا أن يؤمنوا به؟!).

- من الآية 5 إلى الآية 8: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (وهم اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بنُبُوّة محمد صلى الله عليه وسلم) ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ (وهم الذين عبدوا مع الله معبوداً آخر من مَخلوقاته)، فعِقابُ هؤلاء جميعاً سيَكونُ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ يوم القيامة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ يعني أولئك هم شر الخَلق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ أي آمَنوا بالله ورسوله وبكل ما أخبر به رسوله من الغيب ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهي الفرائض والنوافل وأفعال الخير (فأدَّوْها بإخلاصٍ لله تعالى وعلى النحو الذي شرَعه) ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾: يعني أولئك هم خير الخَلق، ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ - في الآخرة - ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي جنات الخلود، التي ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي تجري أنهار العسل واللبن والخمر من تحت قصورها ومن خلال أشجارها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (فحياتهم فيها أبديةٌ، وفرْحَتهم فيها لا توصَف)، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فقَبِلَ أعمالهم الصالحة، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعَدَّ لهم من أنواع النعيم واللذات، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: ذلك الجزاء الحَسَن لمن خافَ اللهَ تعالى واجتنب مَعاصيه.

****

تفسير سورة الزلزلة

- من الآية 1 إلى الآية 8: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: يعني إذا رُجَّت الأرض رَجَّتها الشديدة عند قيام الساعة، ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني: وأخرجت ما في بطنها مِن مَوتى وكنوز، ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾؟ يعني: وتساءل الإنسان وهو خائف: (ما الذي حدث لها؟)، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي: يوم القيامة تُخبِر الأرضُ بما عُمِلَ عليها من خير أو شر، وقد شهدتْ بتلك الأعمال لأصحابها ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾: أي بسبب أن الله تعالى أمَرَها أن تُخبِر بما عُمِلَ عليها، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ يعني: في ذلك اليوم يَخرج الناس من قبورهم متفرقين ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي ليُريهم اللهُ ما عملوا من الحسنات والسيئات ويُجازيهم عليها، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾ - أي مِقدار ذَرّةٍ مِن خير -: ﴿يَرَهُ﴾ أي يَرى ثوابه في الآخرة، ويَدخل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحَين (البخاري ومسلم) -: (اتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تمرة)، يعني: ولو أن تتصدقوا بنصف تمرةٍ، أو ما يُعادلها في القِيمة، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا﴾ - أي مقدار ذَرّةٍ مِن شر -: ﴿يَرَهُ﴾ أي يَرى عقابه في الآخرة، ويَدخل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحَين -: (إنّ العبد لَيتكلم بالكلمة ما يَتبيّن فيها - أي لا يُلقي لها بالاً - يَزِلّ بها في النار أبعد ما بين المَشرق والمغرب)، فاللهم عفوك وغفرانك لنا.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة العاديات

- من الآية 1 إلى الآية 11: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بالخيل العاديات - أي الجاريات - في سبيله نحو العدوِّ، حين يَظهر صوتها مِن سرعة جَرْيها)، (واعلم أنّ الضَبح هو صوتٌ خاص يَصدر من الخَيل حين تجري بسرعة)، ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالخيل اللاتي تنقدح النار مِن صلابة حوافرها أثناء جَرْيها)، (فكلمة المُوريات مَعناها: المُخرِجات للنار، والقدح هو الشرارة التي تخرج نتيجة احتكاك حوافر الخيل بالأرض)، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ (يعني: ويُقسِم سبحانه بالخيل المُغيرات - أي التي تهجم - على الأعداء عند الصبح)، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ أي: فهيَّجْنَ بهذا الجَري غبارًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ أي: فتوسَّطنَ برُكبانهنّ جموعَ الأعداء، ثم أخبَرَ سبحانه عن الشيء الذي يُقسِم عليه، فقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ يعني إن الإنسان لِنعم ربه لَجحود (إذ يَعُدّ المصائب ويَنسى النعم)، ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ يعني: وإنه معترف بجحوده ذلك ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ يعني: وإنه لحُبّ المال لَشديد، (واعلم أن تسمية المال بالخير هي تسمية عُرفية تَعارَفَ عليها الناس، إذ يقولون: فُلان عنده خير كثير)، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾؟ يعني أفلا يَعلم هذا الإنسان الجاحد ما ينتظره إذا أخرَجَ اللهُ الأمواتَ من قبورهم للحساب والجزاء؟ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ يعني: واستُخرج ما خَفِيَ في الصدور من الخير والشر، والنوايا الصالحة والفاسدة وغير ذلك، ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾: يعني إن ربَّهم بهم وبما في صدورهم - من النيّات والخواطر - يومئذٍ لخبير، لا يَخفى عليه شيءٌ من ذلك.

****

تفسير سورة القارعة

- من الآية 1 إلى الآية 11: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ يعني: القيامة التي تَقرع القلوب (أي تَطرقها وتجعلها تنبض بقوة من شدة الرعب)، ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾؟ يعني: ما هذه القارعة في صفتها وحالها؟ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾؟ يعني: وأيّ شيء عَرَّفك حقيقة القارعة، وصَوَّر لك شدتها وصعوبتها؟ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ أي: في ذلك اليوم يكون الناس - في كثرتهم وتفرقهم واختلاطهم - كالفَراش المنتشر بسرعة (والفَراش جمع فَراشة)، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ يعني: وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش (الذي نسفته الريح)، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: يعني فأما مَن رَجَحَت مَوازين حسناته: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي في عيشةٍ يَرضى بها صاحبها في الجنة (إذ فيها كل ما تشتهيه النفوس، وتفرح برؤيته العيون)، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ يعني: وأما مَن خَفّت مَوازين حسناته، ورَجَحَت مَوازين سيئاته: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي: فأمّه التي يأوى إليها يوم القيامة هي الهاوية (وهي التي يَهوِي فيها - أي يَسقط فيها - على رأسه)، وهي النار، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾؟ يعني وما أدراك أيها الرسول ما هذه الهاوية؟ إنها ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي نارٌ قد حَمِيت من كثرة الوقود عليها.

****

تفسير سورة التكاثر

- من الآية 1 إلى الآية 8: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾: أي شَغَلَكم التفاخر بكثرة الأموال والأولاد عن طاعة الله تعالى ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ يعني: واستمَرَّ انشغالكم بذلك إلى أن صِرتم إلى المقابر ودُفِنتم فيها، ﴿كَلَّا﴾: أي ما هكذا ينبغي أن يُلْهيكم التكاثر بالأموال، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في قبوركم ويوم جَزائكم أن الدار الآخرة خيرٌ لكم من الدنيا، ثم كَرَّرَ سبحانه الوعيد والتهديد - لأهمية الأمر - قائلاً: ﴿ثُمَّ كَلَّا﴾ أي: ثم احذروا ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سُوء عاقبة انشغالكم بها، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: يعني ألاَ لو تعلمون ذلك علماً يقينياً، لانتهيتم عن ذلك، ولَسارعتم إلى إنقاذ أنفسكم من الهلاك، ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ أي سوف ترون جهنم في الآخرة، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أي: ثم ستَرَونها حقيقةً دونَ شك، ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أي: ثم لَتُسألُنَّ يوم القيامة عن كل أنواع النعم التي تمتعتم بها: هل شكرتم ربكم عليها أو لا؟ (حتى الماء البارد وظِلَ المَسكن وشِبَع البطن)، ألَا فأكثِروا مِن كلمة: (الحمد لله) فإنها تملأ ميزان العبد يوم القيامة، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم (والحديث في صحيح مسلم).

****

تفسير سورة العصر

- من الآية 1 إلى الآية 3: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (يُقسِم اللهُ تعالى بصلاة العصر، أو بالعُمر كله): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾: يعني إنّ بَني آدم لَفي هَلاكٍ وخسارة ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ باللهِ ورُسُله، وبالغيب الذي أخبَرَتْ به الرُسُل، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - بإخلاصٍ لله تعالى وعلى النحو الذي شَرَعه - ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يعني: وأوْصَى بعضهم بعضًا بالاستمساك بالحق (وذلك باتّباع الكتاب والسُنّة)، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يعني: وأوْصَى بعضهم بعضًا بالصبر والثبات على ذلك.

****

تفسير سورة الهمزة

- من الآية 1 إلى الآية 9: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ أي: عذابٌ شديد لكل مُغتاب للناس (وهو الذي يَذكرهم بما يَكرهونه أثناء غيبتهم)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - موَضّحاً خطورة الغيبة -: (الرّبا اثنان وسبعون باباً، أدناها - يعني أقلّها في العقوبة - مِثل إتيان الرجل أمّه، وإنّ أربى الرّبا - أي أشدّه في العقوبة -: استطالة الرجل في عِرض أخيه) (انظر حديث رقم: 3537 في صحيح الجامع).

﴿لُمَزَةٍ﴾ أي يَسخر من الناس، سواء كانت تلك السُخرية باللسان أو عن طريق الإشارة باليد أو العين أو غيرهما، (ويَدخل في ذلك: مَن يُقلِّد الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليُضحِك الآخرين).

♦ وهو ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أي كانَ هَمُّه: جَمْع المال وعَدَّه، ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: أي يظن أنه ضَمِنَ لنفسه - بهذا المال الذي جَمَعه - الخلود في الدنيا والإفلات من الحساب، ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كما يظن، ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾: أي ليُطرحَنَّ في النار التي تُحطِّم كل ما يُلقَى فيها، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾؟ يعني وما عَرَّفَكَ أيها الرسول حقيقة هذه النار؟، إنها ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ ﴿الْمُوقَدَةُ﴾ أي شديدة اللهب والاشتعال ﴿الَّتِي﴾ - مِن شِدَّتها - ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾: أي تنفُذ من الأجسام إلى القلوب، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ أي مُغلقة على مَن فيها، وهُم ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ أي مُقَيَّدون في السلاسل المُطوَّلة، فيُعَذَّبون وهُم في هذه القيود (نسألُ اللهُ العافية).

♦ واعلم أن اللفظ "هُمَزة"، واللفظ "لُمَزة" هو إحدى صِيَغ المُبالَغة، مثل هَمَّاز ولَمَّاز، أي كثير الهَمز واللَّمز.

****

تفسير سورة الفيل

- من الآية 1 إلى الآية 5: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعني ألم تعلم أيها الرسول ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (وهو أبرَهة الحبشي وجيشه، الذين جاءوا بفيلٍ ضخم لتدمير الكعبة المباركة)؟ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾؟ يعني ألم يجعل سبحانه ما دبَّروه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في إبطالٍ وتضييع؟ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ يعني: وبعث عليهم طيرًا في جماعات متتابعة، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾: أي تقذفهم بحجارة من طين متحجِّر شديد الحرارة، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾ أي فجعلهم سبحانه – بهذه الحجارة – مُفَتَّتين كالعصف (وهو أوراق الزرع الجافة) ﴿مَأْكُولٍ﴾ أي الذي أكلته البهائم، ثم ألقته مِن فمها وداسته بأرجلها، (ألاَ فليَتعظ كفار قريش مما حدث لهم، فيوَحِّدوا ربهم القادرُ على الانتقام ممن عصاه، وتكَبَّرَ عن الانقياد لأمره واتِّباع رسوله).

****

تفسير سورة قريش

- من الآية 1 إلى الآية 4: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾: أي اعْجَبوا لإلف قريش – أي اعتيادهم – لنعم ربهم دونَ أن يشكروه عليها، ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ يعني: واعْجَبوا من انتظام رحلتيهم في الشتاء إلى "اليمن"، وفي الصيف إلى "الشام"، وتيسير ذلك لهم؛ لجَلْب ما يحتاجون إليه، واستقامة مَصالحهم، إذاً ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أي: فليشكروا رب هذا البيت – وهو الكعبة – بإخلاص العبادة له وحده دونَ غيره، فهو سبحانه ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ شديد، ﴿وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ عظيم (بسبب هذا البيت الحرام)، كما قال تعالى في سورة القصص: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا﴾ يعني ألم نجعلهم متمكنين في بلدٍ آمِن (حَرَّمنا على الناس سفك الدماء فيه والصيد والسرقة)، ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ﴾ أي يُحمَل إليه ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِن مختلف البلاد في موسم الحج، وأثناء رِحلتَي قريش إلى الشام واليمن، ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ أي مِن عندنا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون قَدْر هذه النعم، فيشكروا اللهَ عليها بتوحيده وطاعته.

****

تفسير سورة الماعون

- من الآية 1 إلى الآية 7: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؟ يعني أرأيتَ أيها الرسول حالَ ذلك الذي يُكذِّب بالبعث والجزاء؟ (إذ المقصود بالدِّين هنا: الجزاء، كما قال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي يُعطيهم جزاءهم الحق)، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾: أي فذلك هو الذي يَدفع اليتيم بعنف وشدة عن حقه؛ لقساوة قلبه، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يعني: ولا يَحُثّ الناس على إطعام أهل الفقر والاحتياج (فلا هو أطعمهم من ماله ولا حَثَّ غيره على إطعامهم)، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي: فعذابٌ شديد للمُصَلِّينَ الذين هم عن صلاتهم لاهون (أي لا يُقيمونها على وَجْهها الصحيح الذي شَرَعه اللهُ لهم، ولا يؤدونها في أوقاتها)، فما بالنا بمَن لا يصلي أصلاً؟! ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أي يَتظاهرون بأعمال الخير مُراءاةً للناس (أي طلباً لثناءهم عليهم) ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ يعني: ويمنعون إعارة (أي إقراض) ما لا يَضُرّ إعارته من الآنية وغيرها، فكيف يُنفقون ما هو أكثر مِن ذلك؟! (فلا هُم أحسَنوا عبادة ربهم، ولا هم أحسَنوا معاملة خَلْقه)، (واعلم أنه لا يَدخل في ذلك مَن كانَ متأكداً – مِن تجارب سابقة – أنّ جيرانه أو أصدقائه لا يعيدون إليه هذه الأشياء بعد استعارتها، فهذا لا إثمَ عليه في عدم إعطائها لهم، واعلم أيضاً أنّ لفظ "الماعون" هو ما يُعرَف عند بعض الناس بلفظ "المَواعين"، والصحيح أنّ اسمه "الماعون" وهي الآنية بمختلف أشكالها).

****

www.alukah.net

تفسير سورة الكوثر

- من الآية 1 إلى الآية 3: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾: يعني إنا أعطيناك أيها النبي الخير الكثير في الدنيا والآخرة (ومِن ذلك: نهر الكوثر في الجنة، الذي حافّتاه -أي شاطئاه - : خيام اللؤلؤ المُجَوَّف، وطِينُه: المِسك)، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أي: فأخلِص صلاتك لربك وحده، ﴿وَانْحَرْ﴾: أي اذبح ذبيحتك له، وعلى اسمه وحده، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: يعني إنّ الذي يَكرهك، ويَكره ما جئتَ به من الهدى والنور: ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي هو المنقطع أثره، المقطوع من كل خير.

****

تفسير سورة الكافرون

- من الآية 1 إلى الآية 6: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول - للذين كفروا بتوحيد الله تعالى وكفروا برسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: يعني إنني لا أعبد هذه الأصنام والمَعبودات الباطلة التي تعبدونها من دون الله تعالى (إذ هي مخلوقاتٌ عاجزة لا تنفع ولا تضر، وما أنزل اللهُ مِن شيءٍ يدل على أنها تستحق لعبادتكم أو أنها تُقَرِّبكم إليه كما تزعمون)، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (لأنني أعبد إلهاً واحداً، وهو الله رب العالمين، الخالق الرازق المُستحِق وحده للعبادة)، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ - في المستقبل - ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ - في المستقبل - ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ (واعلم أن هذه الآية قد نزلت في أشخاص من المُشركين بعَينهم، قد عَلِمَ اللهُ أنهم لا يؤمنون أبدًا؛ لعنادهم وإصرارهم من بعد ما تبيَّنَ لهم الحق)، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذي أصررتم على اتّباعه، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ يعني: ولي ديني الذي لا أطلب غيره.

****

تفسير سورة النصر

- من الآية 1 إلى الآية 3: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾: يعني إذا تمَّ لك - أيها الرسول - النصرُ على كفار قريش، وتمَّ لك فتح "مكة" ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ يعني: ورأيتَ الكثير من الناس يدخلون في الإسلام جماعات جماعات: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ يعني فإذا وقع ذلك الوعد: فاستعد للقاء ربك بالإكثار من التسبيح بحمده والإكثار من استغفاره.

♦ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثِر قبل موته مِن أن يقول: (سبحان الله وبحمده، أستغفرُ اللهَ وأتوب إليه)، (فلذلك ينبغي للعبد ان يُكثِر من هذا الذِكر، حتى يستعد للقاء الله تعالى بكثرة الحمد على نعمه، وكثرة الاستغفار من ذنوبه، حتى يُعِدّ حَمداً كثيراً لِيُساعده في سؤال النعم أمام اللهِ تعالى، كما يُعِدّ استغفاراً كثيراً لِيُساعده في سؤال الذنوب)، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿كَانَ تَوَّابًا﴾ على التائبين من عباده، المُكثِرين من التسبيح والحمد والاستغفار (إذ يوفقهم سبحانه للتوبة الصادقة النصوح، ويَقبلها منهم، فلا يُعَذِّبهم).

♦ واعلم أنّ الفعل (كان) إذا جاء مع صفة معينة، فإنه يدل على أنّ هذه الصفة مُلازِمة لصاحبها، كقوله تعالى - واصفاً نفسه بالرحمة والمغفرة -: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي كانَ - دائماً وأبَداً - غفوراً رحيماً.

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة المسد

– من الآية 1 إلى الآية 5: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: أي خَسِرَت يدا أبي لهب (يعني خَسِر عمله)، ﴿وَتَبَّ﴾ أي خَسِر هو بذاته، إذ هو من أهل النار بسبب إيذائه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾: أي ما نفعه ماله ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: وما نفعه ولده الذي كَسَبَه (إذ الولد مِن كَسْب أبيه)، فلن يَدفع عنه ماله وولده شيئاً من عذاب الله إذا نزل به، ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي سيَدخل نارًا شديدة الاشتعال، هو ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ التي كانت ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ أي كانت تحمل الشوك، فتُلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لتؤذيه، ﴿فِي جِيدِهَا﴾ أي سيكون في عُنُقها ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ أي حبلٌ مِن ليف شديد خشن، تُرفَع به في نار جهنم، ثم تُرمَى إلى أسفلها.

♦ ومِن لطيف ما يُذكَر أنّ هذه السورة كانت سبباً في إسلام أحد علماء الغرب، إذ قال بعد إسلامه – ما مُختصَرُه –: (هذا الرجل (أبو لهب) كانَ يكره الإسلام كُرهاً شديداً، وكان يَسخر مِن دعْوة النبي محمد، وكانَ يُشَكِّك الناسَ في كلامه، وقبل وفاة (أبي لهب) بعشر سنوات: نزلتْ سورة في القرآن اسمها سورة المَسَد، تُقَرِّر أنَّ (أبا لهب) سوف يدخل النار، أو بمعنى آخر: إنَّ (أبا لهب) لن يَدخل الإسلام.

♦ ففي خلال عشر سنوات ما كانَ على (أبي لهب) إلا أن يأتي أمام الناس ويقول: (محمدٌ يقول بأنني لن أُسلِم، وبأنني سوف أدخل النار، ولكني أُعْلِن الآن أنني مُسلِم!!)، لكنَّ (أبا لهب) لم يفعل ذلك مُطلَقاً، رَغمَ أنَّ كل أفعاله كانت مُخالِفة لأفعال النبي محمد: إلا أنه لم يُخالِفه في هذا الأمر، رغم أنه كانت لديه الفرصة – عشر سنوات كاملة – أن يَهدِمَ الإسلام بكلمة واحدة! ولكنْ، لأنَّ هذا الكلام ليس كلام محمد، ولكنه كلامُ مَن يَعلمُ الغيبَ وحده، ويَعلمُ أنَّ (أبا لهب) لن يُسلِم.

♦ ما رأيُكُم الآن؟، إنْ لم يكن هذا القرآن وَحْيٌ من الله تعالى: فكيف للنبي محمد أنْ يَعلم أنَّ (أبا لهب) سوف يُحقق كل ما في هذه السورة بالحرف الواحد؟!، إنْ لم يكن النبي محمد يَعلم أنّ القرآن وَحْيٌ من عند الله تعالى: فكيف يكونُ واثقاً خِلال عشر سنوات أنَّ ما عنده هو الحق؟!، إنني الآن أستطيعُ أن أقول: (إنه لِكَي يَضَع شخصٌ مِثل هذا التحدي الخطير، فهذا ليسَ له إلا أمرٌ واحد: (أنَّ كلامَهُ هذا هو وَحْيٌ مِن الله)).

****

تفسير سورة الإخلاص

– من الآية 1 إلى الآية 4: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي هو اللهُ وحده المتفرد بالألوهية (أي المُستحِق وحده للعبادة)، والمتفرد بالرُّبوبيّة (وهي أفعال الخلق والرزق والتدبير وغير ذلك مما لا يَقدر عليه غيره)، والمتفرد بالأسماء الحُسنى والصفات الكاملة (التي لا يُشاركه فيها أحد)، وهو ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي المقصود في قضاء الحوائج وتفريج الكُرَب (إذ هو الذي يَصمِد إليه العباد – أي يلجؤون إليه – عند حاجتهم وشدائدهم)، فهو سبحانه المُستغني عن كل خلقه، والجميع مُفتقرون إليه، (وقد قيل في معنى الصمد: أي الذي لا جوف له)، وهو سبحانه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: أي ليس له ولد ولا والد، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: لم يكن أحدٌ مُماثِلاً له ولا مُشابِهًا (لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله)، إذ هو سبحانه ليس كمثله شيء.

****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة الفلق

- من الآية 1 إلى الآية 5: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول - مُستعيذاً بربك - قائلاً بلسانك وبقلبك: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾: يعني أستعيذ وأعتصم وأحتمي برب الفلق (وهو الصبح) ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: مِن شر جميع المخلوقات وأذاها، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: ومِن شر ليلٍ شديد الظُلمة إذا دخل وانتشر، وما فيه من الشرور والمؤذيات، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: ومِن شر الساحرات النافخات فيما يَعقِدنَ من عُقَدٍ بقصد السِّحر ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ﴾ أي كاره للناس (يتمنى زوال النعم التي أعطاها الله لهم)، ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ يعني إذا أعمَلَ حسده ووَجَّهَه إليهم، (واعلم أن الحسد كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأنه اعتراض على الله تعالى فيما قَسَمه بين عباده، ولذلك ينبغي للإنسان إذا رأى ما يُعجبه في نفسه أو في ماله أو في ولده أو في شيءٍ يَخُصّ غيره أن يقول: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اللهم بارِك)، ثم يسأل اللهَ أن يعطيه مِثل أخيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أصاب أخاه بعينه: (هَلاّ بَرَّكتَ) يعني تقول: اللهم بارِك.

****

تفسير سورة الناس

- من الآية 1 إلى الآية 6: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول - مُستعيذاً بربك - قائلاً بلسانك وبقلبك: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾: يعني أستعيذ وأعتصم وأتحصّن برب الناس، القادر وحده على ردّ شر الوسواس، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي مالكهم وسيّدهم والمتصرف في كل شؤونهم، ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ الذي لا معبودَ بحَقٍ غيره، فاطلب حمايته سبحانه ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ أي: مِن أذى الشيطان الذي يوسوس عند الغفلة، ويَخنَس - أي يَختفي - عند ذِكر الله، ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ أي الذي يوسوس بالشر والشكوك في قلوب الناس (إذا هم غفلوا عن ذِكر الله تعالى)، وهذا الوسواس ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي مِن شياطين الجن والإنس.

****

هذا، والحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، مِلء السماوات، ومِلء الأرض، ومِلء ما بينهما، ومِلء ما شاء ربنا من شيءٍ بعد، أسأل الله باسمه الأعظم أن يجعل عملنا صالحاً، ولوجهه خالصاً، وأن ينفع المسلمين بهذا التفسير، وأن يجعله أسهل تفسير للقرآن الكريم، وأن يجعله حُجّةً لنا لا علينا، كما أسأله سبحانه أن يجعل ذلك العمل في ميزان حسنات جميع القائمين على موقع الألوكة الكريم، وأن يَجعله في ميزان حسنات كل مَن أعانني عليه أو طَبَعه أو دَلّ الناس عليه لينفعهم به، اللهم آمين، وصَلِّ اللهم وسَلِّم وبارِك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تَبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(وكَتَبَه الفقير إلى عفو ربه: رامي حنفي محمود عام 1439 هـ / 2018 م)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المحتويات

اسم السورة	رقم الصفحة
تفسير سورة الفاتحة	1
تفسير سورة البقرة	3
تفسير سورة آل عمران	66
تفسير سورة النساء	102
تفسير سورة المائدة	147
تفسير سورة الأنعام	173
تفسير سورة الأعراف	212
تفسير سورة الأنفال	248
تفسير سورة التوبة	262
تفسير سورة يونس	289
تفسير سورة هود	310
تفسير سورة يوسف	331
تفسير سورة الرعد	350
تفسير سورة إبراهيم	359
تفسير سورة الحِجر	368
تفسير سورة النحل	377
تفسير سورة الإسراء	400
تفسير سورة الكهف	422
تفسير سورة مريم	440
تفسير سورة طه	450
تفسير سورة الأنبياء	464
تفسير سورة الحج	477
تفسير سورة المؤمنون	488
تفسير سورة النور	498
تفسير سورة الفرقان	509
تفسير سورة الشعراء	518
تفسير سورة النمل	529
تفسير سورة القصص	538

www.alukah.net

تفسير سورة العنكبوت 550
تفسير سورة الروم 560
تفسير سورة لقمان 568
تفسير سورة السجدة 573
تفسير سورة الأحزاب 576
تفسير سورة سبأ 588
تفسير سورة فاطر 595
تفسير سورة يس 601
تفسير سورة الصافات 608
تفسير سورة ص 616
تفسير سورة الزمر 623
تفسير سورة غافر 633
تفسير سورة فصلت 643
تفسير سورة الشورى 649
تفسير سورة الزخرف 657
تفسير سورة الدخان 665
تفسير سورة الجاثية 669
تفسير سورة الأحقاف 673
تفسير سورة محمد 678
تفسير سورة الفتح 683
تفسير سورة الحجرات 689
تفسير سورة ق 692
تفسير سورة الذاريات 696
تفسير سورة الطور 700
تفسير سورة النجم 704
تفسير سورة القمر 707
تفسير سورة الرحمن 711
تفسير سورة الواقعة 715
تفسير سورة الحديد 719
تفسير سورة المجادلة 724
تفسير سورة الحشر 728

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تفسير سورة الممتحنة..732
تفسير سورة الصف..735
تفسير سورة الجمعة..737
تفسير سورة المنافقون..739
تفسير سورة التغابن.. 741
تفسير سورة الطلاق..744
تفسير سورة التحريم..747
تفسير سورة المُلك..750
تفسير سورة القلم..754
تفسير سورة الحاقة..758
تفسير سورة المعارج..761
تفسير سورة نوح..764
تفسير سورة الجن..766
تفسير سورة المزمل..769
تفسير سورة المدثر..771
تفسير سورة القيامة..774
تفسير سورة الإنسان..776
تفسير سورة المرسلات..779
تفسير سورة النبأ..781
تفسير سورة النازعات..783
تفسير سورة عبس..785
تفسير سورة التكوير..787
تفسير سورة الإنفطار..789
تفسير سورة المطففين..790
تفسير سورة الإنشقاق..792
تفسير سورة البروج..793
تفسير سورة الطارق..794
تفسير سورة الأعلى..795
تفسير سورة الغاشية..796
تفسير سورة الفجر..797
تفسير سورة البلد..799

www.alukah.net

تفسير سورة الشمس..800

تفسير سورة الليل..801

تفسير سورة الضحى...802

تفسير سورة الشرح..802

تفسير سورة التين..803

تفسير سورة العلق...803

تفسير سورة القدر...804

تفسير سورة البينة..804

تفسير سورة الزلزلة..805

تفسير سورة العاديات...806

تفسير سورة القارعة...806

تفسير سورة التكاثر..806

تفسير سورة العصر..807

تفسير سورة الهمزة..807

تفسير سورة الفيل..807

تفسير سورة قريش...808

تفسير سورة الماعون..808

تفسير سورة الكوثر..809

تفسير سورة الكافرون...809

تفسير سورة النصر...809

تفسير سورة المسد.. 810

تفسير سورة الإخلاص...810

تفسير سورة الفلق..811

تفسير سورة الناس...811

****

شبكة الألوكة - قسم الكتب